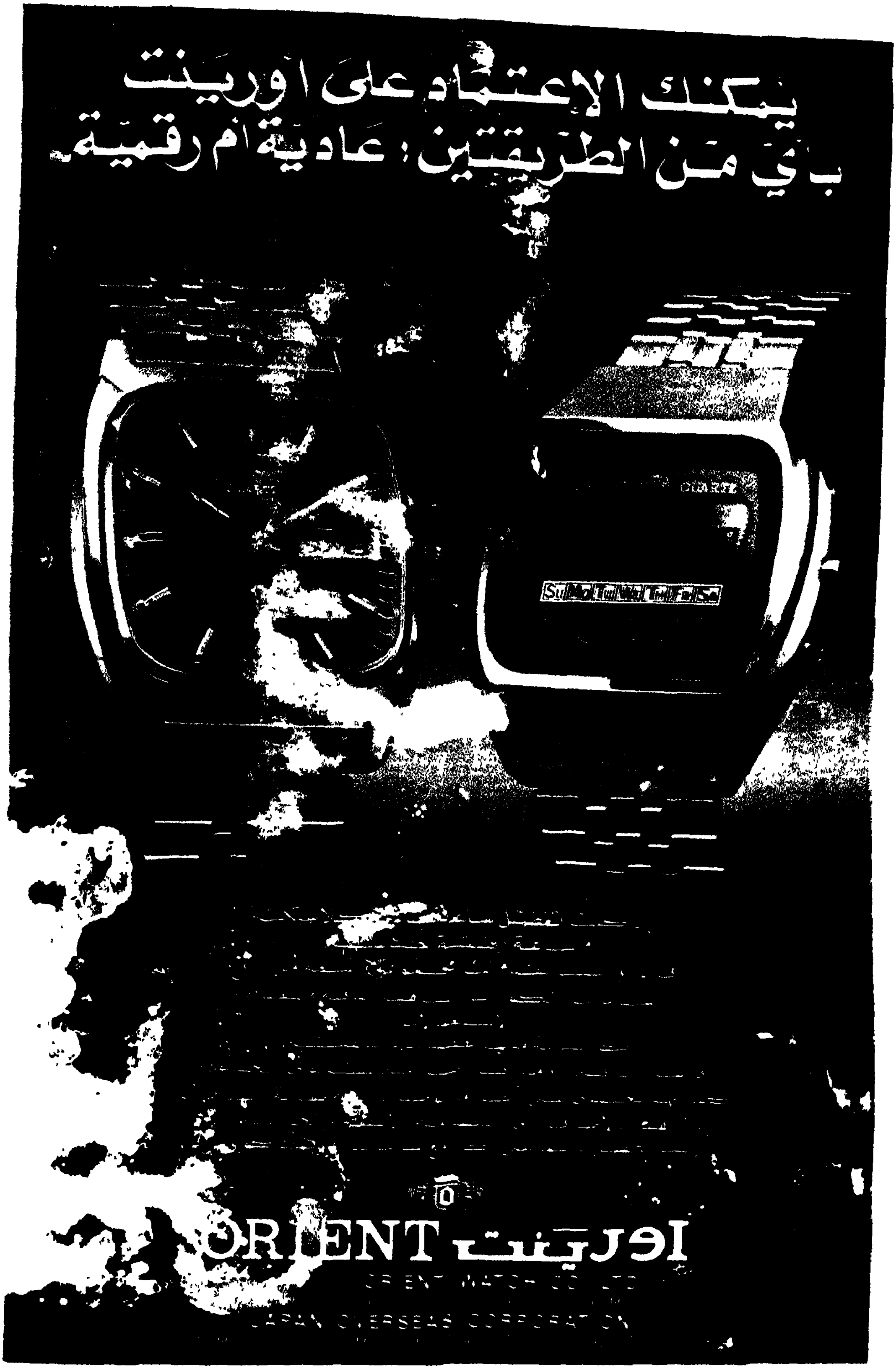



يمكنك الاعتماد على اورينت
بأي من الطريقتين : عادية أم رقمية
QUARTZ
Su Mo Tu We Th Fr Sa
ORIENT اورينت
ORIENT WATCH CO. LTD
JAPAN OVERSEAS CORPORATION

عزيزي القارئ

عندما يحل الصيف وتبدأ العطلات ، ياخذ الفراغ الـذى يعانى منه الشباب العربى صبغة « رسمية » • ويمتلىء الشارع العربى بالوف الالوف من الشباب التائه والحائر •• ماذا يفعلون لثلاثة او اربعة اشهر قادمة ؟

السؤال لا يشغل الكثيرين من الـذين يفتـرض انهـم يخططـون ويفكـرون لمستقبل هؤلاء الشبـاب ، لان الحـاح شواغـل الحاضـر يحجب فيمـا يبدو رؤية المستقبل ، لكن ذلك لا يؤجل المشكلة • وانما يزيدها تعقيدا •

حقا ، ماذا يفعل الشباب العربى طوال اشهر الصيف ؟

هم قلـة اولئك الـذين يتمكنون من السياحة حول العالم، يشاهدون ويتعلمون وينـفقون الكثير • لكن هؤلاء استثناء مـن الشباب العربى ، ونحن هنـا نتحدث عن « القاعدة » • غير المسافرين، فثمة الوف القاعدين، الوف السواعد مسترخية ومعطلة، طاقات هائلة كامنة وساكنـة ،مدفونة فى الشوارع والمنازل !

وللدقة فان المشكلة ليست فى فراغ الشباب فقط • ولا فى التفكير لمستقبل الشباب وحدهم، لكنها فى فراغ السياحة العربية، على ما تحفل به من ... وفى التفكير لمستقبل الامة العربيـة على ما يحيط به مـن اخطـار محدقة تلوح نذرها فى الافق الآن •

... محنة امة • قبل ان تكون مشكلة شباب تائه ،حيرته سافرة خلال عطلة الصيف،ومقنعة على مدار العام !

... ذلك نقول : انقذوا الشباب العربى • انقذوا عقله ... وروحه •

هذا هو الطريق لانقاذ المستقبل العربى ! ■■

المحرر

كانت العربى هى المجلة الأولى والوحيدة فى العالم العربى
التى طارت الى افغانستان بعد احداثها الاخيرة ،وناقشت
رئيس مجلس الثورة فى الاسئلة التى تشغل الجميع فى بلادنا

افغانســـتان

فهمي هويـــدى
يكتب من كابول

اول حديث فى العالم العربى مع رئيس مجلس الثورة •

« لسنا ماركسيين ولم تذكر الكلمة فى تاريخنا السياسى • »

« نحن مسلمون موحدون باللـه وسيكون فى افغانستان اســلام نقى غير موظف لصالح افراد •»



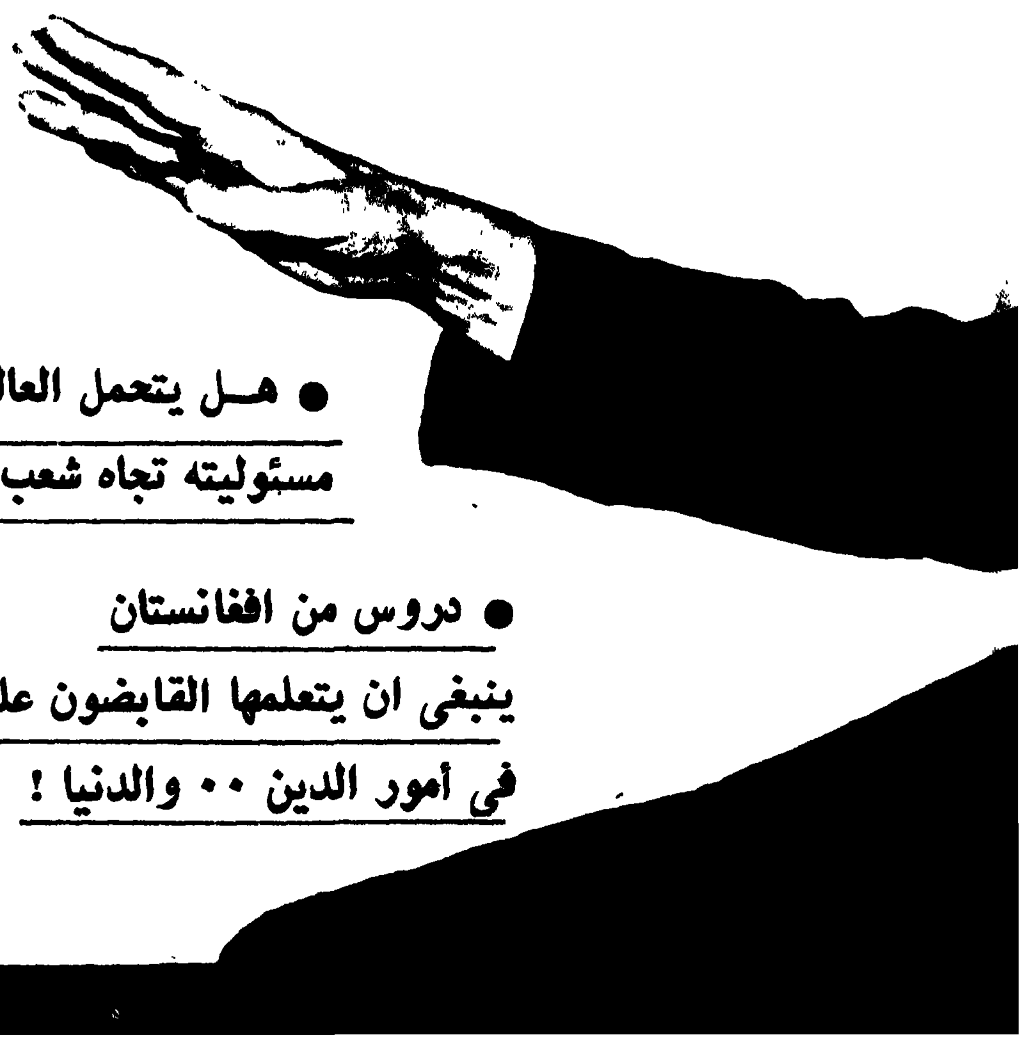
« اعدام احد رجال الدين اكذوبة اريد بها تشويه ثورتنا » •



الرئيس تراكي يتحدث
الى فهمي هويدي

بعد الزلزال ..!

- ٣ خيارات صعبة واجهت افغانستان ٠٠ وتواجهنا جميعا ٠
- ايهما اقل سوءا : اسلام هش مع ظلم ام مع وعد بالعدل ؟؟
- بعد الثورة اقترب السوفييت من مخارج البترول العربى ٠
- الذى جرى وآثاره البعيدة على باكستان وايران ٠
- هل توقظ الاحداث حلم الهند فى استعادة « شبه القارة » ؟

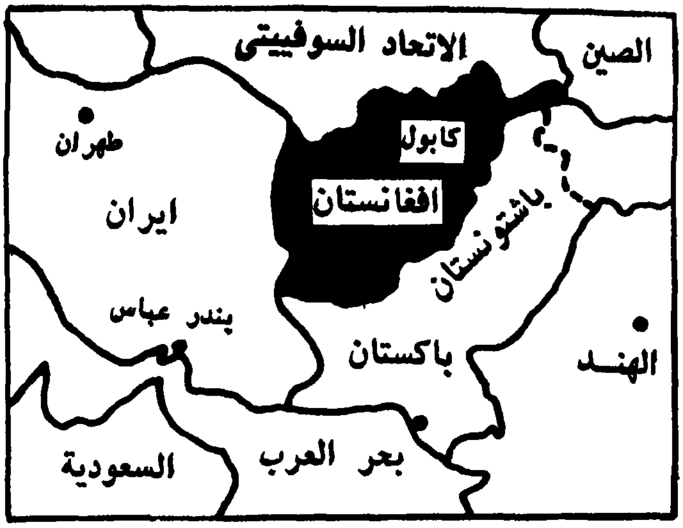


- هل يتحمل العالم العربى مسئوليته تجاه شعب افغانستان ؟

- دروس من افغانستان ينبغي ان يتعلمها القابضون على الزمام في أمور الدين ٠٠ والدنيا !



برباك كارمل زعيم حرب «بارتشام» ونائب رئيس مجلس الثورة •



خريطة لافغانستان وجيرانها ••

الذى حدث فى افغانستان هو زلزال كبير ، بكل ما ترمز اليه الكلمة وتعنيه •• زلــزال اهتزت له مشاعر المسلمين فى أنحاء الارض ، وانهارت فى أعقابه توازنات محسوبة بين الشرق والغرب ،وحدثت بسببه شقوق عميقة ـ لا يزال اكثرها دفينا ـ فى الخريطة السياسية لمنطقة وسط آســيا ، قد تمتد آثارهــا الى مخارج البترول العربى •

وهذا الزلزال ـ اذا استمر ـ يعد نقلة بالغة الاهمية فى تاريخ أفغانستان ونقطة تحول فى منطقة وســط آسيا ،وبداية صفحة جديدة فى قصة صراعات القوتين الاعظم ، الولايــات المتحـدة والاتحاد السوفيتى •

وهو يعنينا بكل المقاييس ، ليس فقط لان آثاره قد تمتد الى مخارج البترول العربى ـ على خطورة هذه النقطة ـ ولكن ايضا لان مسرح الحدث هو احدى قلاع الاسلام العريقة والمنسية فى آسيا • ولان « حالة » افغانستان بوجه خاص تعكس واقع دول عديدة فى عالمنا العربى والاسلامى، والخيارات الصعبة المطروحة امام شعوب هذه الدول لشــق الطريق الى المستقبل •• وهو يعنينا ـ اخيرا ـ باعتبارنا جزءا من هذا العالم المضطرب ، الذى سلبت فيه ارادة الصغار طوعا وكرهــا ، وبقى الكبار وحدهم فى الساحة ، يتلاعبون بمصــائره واقداره وفقا لمصالحهم •

لهذا كله ينبغى ان نفهم بالضبط ما حدث، ونستوعبه، ونحفظ دروسه جيدا • وهو امر لن يتحقق ما لم نكف عن لطم الخدود وشق الجيوب ، والنواح والحسرة على الذى ضاع والذى سيضيع ، كما يفعل بعضنا الان •

ذلك اننا فى مواجهة موقف يحتاج الى عقل واع، ونظر بعيد ، وارادة عمل شجاعة •• نحن فى مواجهة زلزال : هل هذا مفهوم ؟!

« جمهورى ديموكراتيك »

صارت « جمهورى ديموكراتيك افغانستان » • وهو الاسم الذى يحمله ختم الدولة الجديدة • اى انهــا اصبحت ثالــث الديمقراطيات فى العالــم الاسلامى ، بعد الجزائر واليمن الجنوبية ، وان كانتا من الديمقراطيات « الشعبية » ••

بعد مشهد درامى عنيف، ولدت الجمهورية الافغانية الثانية فى «٧ ثور من عام ١٣٥٧» بالتقويم الشمسى



احدى الدبابات الثلاث التى خربت ليلة الثورة ..ما زالت فى شارع وزارة الدفاع ، يطالعها الناس ويعبث بها الصغار !

تصوير : أوسكار مترى

الذى يتبعونه (الرئيس السابق داود هو الذى اسس « الجمهورية الاولى » بعدما انقلب على ابن عمه الملك محمد ظاهر شاه عام ١٩٧٣) .. ويبدو انها ولدت قبل الان ، لان حزب « الخلق » الذى قام بالثورة كان يخطط لقيامها بعد سنتين ، ولكنه اضطر الى تفجيرها ـ كما قال لى الرئيس نور تراكى ـ بعدما اتجه الرئيس السابق داود الى ضرب الحزب ، بهدف تصفيته واقتلاع جذوره نهائيا..

ولهذا قصة لم ينشر جانب كبير منها ..

ذلك ان الرئيس داود بدأ عهده بتعاون وتاييد من جانب اليسار الافغانى ، حتى قيل ان نائب رئيس مجلس الثورة الحالى برباك كارمل ، هو الذى كتب البيان الاول لانقلاب الرئيس داود . كما كان بعض وزراء اول حكومة لداود من المنتمين الى اليسار . وفى طريقه للانفراد بالحكم ، وجه الرئيس داود ضربات عديدة الى القيادات الدينية ، واعتقل كثيرين من هذه القيادات . ثم استدار بعد ذلك ليضرب اليسار ، وهى محاولة ظهرت بشكل واضح بعد اغتيال احد زعمائه « مير أكبر خيبر » فى منتصف ابريل الماضى .. وكانت جنازته الكبيرة اعلانا لتحدى سياسة الرئيس داود . وعندما صلوا على الزعيم اليسارى المقتول ، فى مسجد بلوخشتى ، اكبر مساجد العاصمة كابول ، كان الجمع غفيرا بدرجة اثارت الانتباه . وطوال يومى العزاء فى المسجد ـ وهى عادة افغانية ـ كان التحدى سافرا..

وازاء ذلك قرر الرئيس داود توجيه ضربة اكبر لحزب الخلق ، فامر باعتقال سبعة من زعمائه بينهم الرئيس تراكى ونائبه برباك كارمل ، وطبيبة من اعضاء اللجنة المركزية هى الدكتورة عنايات ، التى ينطقون اسمها «اناهيتا» (السبعة فى وزارة الثورة والدكتورة عنايات هى وزيرة الشئون الاجتماعية) .

واعلن فى راديو كابول انه تم اعتقال السبعة ، وان مجلس الوزراء سينظر فى امرهم . وكما قال لى احد الوزراء الجدد ، انه صدرت التعليمات الى حكام الاقاليم لتنظيم حملة شعبية (برقيات التاييد والتحريض التى نعرفها) تطالب باعدام «الخونة السبعة» . ولسوء حظ الرئيس داود ، فقد كان الشخص الوحيد الذى تاخر اعتقاله كان هو المسئول عن تنظيم الحزب داخل الجيش وهو السيد حفيظ الله امين نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية الحالى . وقد اتاح له ذلك ، بعدما انكشفت نوايا الرئيس داود ، ان يضع مع العسكريين خطة الانقلاب . وفى لحظة اعتقاله ، ارسل ورقة مع ابنه ، يحدد فيها اشارة البدء .

وكان قد اعلن ان مجلس الوزراء سيجتمع برئاسة الرئيس داود يوم الخميس «٧ ثور» ٢٧ ابريل ليقرر مصير المعتقلين . وعلى حد قول الوزير الافغانى ، فقد كان مقررا تنفيذ حكم الاعدام فيهم يوم السبت ٢٩ ابريل . ولذلك تحدد موعد الانقلاب فى

الثامنة من صباح نفس يوم اجتماع الوزارة ـ في وضح النهار ـ ليصفي حكم الرئيس داود ـ قبل ان يصفي هو خصومه ..
ونجحت المحاولة ..

وكان اول مافعله «الابناء في الجيش» كما يصفهم الرئيس تراكي ، بعد حصار القصر الجمهوري ، هو اطلاق سراح المعتقلين السبعة ، قبل أن يصدر داود تعليماته باعدامهم . ومن السجن خرجوا الى قيادة الثورة ، التي انتهت بولادة « جمهوري ديموكراتيك افغانستان » !

بضاعة الشائعات

وعندما وصلنا الى كابول ، كانت آثار ساعات الزلزال الطويلة التي امتدت من قبل ظهر الخميس الى فجر الجمعة ، ما زالت باقية . كان الجيش

أمام مدخل القصر الجمهوري ، الجيش لا يزال مستنفرا .



بدباباته في الشوارع ، بينما ثلاثة دبابات محترقة منذ ليلة الثورة ، ما زالت متروكة كما هي حول وزارة الدفاع . والوزارات وكل المرافق محروسة بجنود الجيش شاهري السلاح . وحظر التجول قائم فيما بين الحادية عشرة مساء والخامسة صباحا، لكن الشوارع خالية منذ التاسعة والمحال التجارية مغلقة من السابعة .وبيت الرئيس السابق محمد داود لا يزال مغلقا على اللحظة التي اسدل فيها الستار على عهده ، الساعة السادسة والنصف من صباح الجمعة ٢٨ ابريل، عندما اطلق عليه النقيب امام الدين الذي لم يتجاوز ٢٧ عاما ، طلقات مدفعه الرشاش ، اثر اصابته برصاصة في ذراعه الايمن ، اطلقها «نعيم» شقيق الرئيس السابق اثناء حوار كان يجري بينهما حول الاستسلام .

كان افطار الرئيس داود واسرته لا يزال موضوعا على المائدة المستطيلة لم يمس .. شرائح اللحم البارد والكافيار وانواع الجبن المستورد وعصير الفاكهة . وكانت اسطوانات الموسيقى الهندية على حالها مبعثرة في حجرة الرئيس الخاصة ، بينما صف طويل من زجاجات الويسكي(١٠٠ زجاجة) يثير الانتباه الى جوار حجرة النوم !

المدينة تتحدث همسا ، والترقب والانتظار في كل العيون . الفنادق خالية الا من جماعات « الهيبيز » الذين يهيمون في الشوارع بثيابهم الرثة ، غير مبالين بالذي حدث ، وربما غير عالمين به !

الصحفيون الاجانب تائهون امام الطرق المسدودة في كل اتجاه ، وممنوعون من مغادرة كابول الى اية مدينة أخرى داخل افغانستان . بل أن الجميع ممنوعون من مغادرة افغانستان باسرها الا بعد الحصول على تاشيرة خروج . وبعد هذا كله تنتظرهم مذبحة في المطار ، حيث تفض كل ورقة مطوية ويدقق في كل ثنية قميص !

والدبلوماسيون المقيمون وقد اذهلتهم المفاجاة ، يضربون اخماسا في اسداس . ذلك ان القابضين على السلطة قادمون من المجهول . من قاع المجتمع الافغاني . بحواريه الضيقة وبيوتها المتهدمة التي لاتصل اليها المياه . وتسمم رائحة طفح المجاري كل ركن فيها .

قال لي احد السفراء : لقد انهار كل ما بنيته من علاقات ومخططات خلال ثلاث سنوات ،

احمد بهاء الدين

لم يتمكن لسبب طارىء من كتابة مقاله ، ويستانف « حديث الشهر » في العدد القادم ، باذن الله •

وعلى الآن ان ابدأ من الصفر تماما ، فنحن نتعامل مع اشخاص لا نعرف عنهم شيئا ،ونظام تضاربت حوله الاقاويل • ولا نفهم بالضبط اين مركز القوة فيه ، المكتب السياسي ام اللجنة المركزية ، ام مجلس الثورة ام مجلس الوزراء ؟

ومصدر المعلومات المتاح امام الجميع هو راديو كابول ، الذى يذيع نشرتين اخباريتين يوميا باللغتين الانجليزية والفرنسية ، ثم ان هناك ثلاث صحف (كانت ثمانيا قبل الثورة) ـ «فارياب» وتصدر بلغة « الباشتو» وهي خليط من الاردية والانجليزية والعربية ـ « انيس » التى تصدر بلغة «الدارى» الاقرب الى الفارسية ـ وصحيفة « كابول تايمز» التى تصدر بالانجليزية •

البضاعة الوحيدة الرابعة هى الشائعات • فى كل ساعة تسمع شائعة مختلفة • الملا نور شاه امام مسجد بلوخشتى (اكبر مساجد كابول) اعدم لانه عارض الثورة • جول مشاه خطيب جلال أباد دعا الى اعلان الجهاد • اختفى وزير الدفاع العقيد عبد القدير لانه لم يكن عضوا بالحزب•عثر على جثةطيار روسىهبط بالباراشوت فى أول يوم الثورة • الحكومة الامريكية قررتنقل سفيرها فى كابول • ألغى اثنان من البرامجالدينية من الاذاعة • صناعة السجاد ستؤمم ••

وهكذا ، شائعات بغير حصر ظللنا نسمعها كل صباح ، ثم نكتشف فى صباح اليوم التالىانها غير مؤكدة ، باستثناء ، قرار نقل السفير الامريكى ، الذى كان صادرا قبل الثورة ، وتاخر تنفيذه بعد قيامها •

القرآن كل صباح

وصلنا الى كابول متاثرين بالصورة التى رسمت للثورة ورجالها فى العالم الخارجي • وهىصورة انطلقت كل خطوطها وملامحها من نقطة واحدة ، انها ثورة ماركسية • اى ماشغل الجميع هو « لون » الثورة بصرف النظر عن اى شىء آخر •

وكان واضحا من متابعة بيانات النظام الجديد ان اول هذه البيانات ركز فى سطره الاول على « احترام » مبادىء الاسلام ، وفى السطر الثانى على تحقيق الديمقراطية •• وحتى الآن فان اذاعة كابول ما زالت تفتتح ارسالها كل صباح بتلاوة القرآن الكريم والحديث الدينى ، بينما يفتتح رئيس مجلس الثورة كل خطبه بـ «باسم الله الرحمن الرحيم » ••

وفى الوقت ذاته ـ ورغم الاجماع على شبهة الانتماء الماركسى للنظام الجديد ـ فانه ليسفى كتابات حزب «الخلق» المعلنة ايةاشارة الىالماركسية سواء ، كان ذلك فى برنامج الحزب «المانفستو» الذى صدر مع تاسيسه منذ ١٥ عاما ،اوفىخطةعمل الثورة ، التى اعلنها الرئيس نور محمد تراكى فى الشهر الماضى،وصدرت مقدمتها «باسم الله الرحمن الرحيم » ؟

فقط ، ثمة خيط رفيع فى « المانفستو » يؤيد هذه الشبهة ،لكنه لا يعد دليلا قويا ، وهو يتمثل فى عبارة وردت على صفحته الاولى تقول : ان المشكلة الاساسية فى التاريخ المعاصر ، هى فى الصراع بين الاشتراكية الدولية والاستعمار الدولى ، وهو الصراع الذى بدأ مع ثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى •

هذه الظواهر المحيرة ، تثير العديد منالاسئلة التى حاصرت اول مؤتمر صحفى عقده الرئيس محمد تراكى فى الاسبوع الاول لقيام الثورة ،حتى ان مندوب « الجارديان » الانجليزية ساله : هل صليت الظهر اليوم ؟ •• وكان رد رئيس مجلس الثورة ان هذه مسالة شخصية لايحق لاحد انيسال الآخر عنها ••

ويبدو ان الرئيس تراكى قرر عدم اجراء اية احاديث مع ممثلى الصحافة الغربية ، بعد الصورة المشوهة التى رسمت للثورة فى اوروبا وامريكا ، وعنها نقل العالم العربى • ولكنه ادلى بحديثين لرئيس تحرير جمعية «اطلاعات » الايرانية ، ومجلة « كارانت » الهندية ، وكان حديثى معه هو الثالث •

الرئيس تراكي قال لي

قلت للرئيس نور تراكي : اريد ان اعرف الحقيقة ..

كان الرجل جالسا في احدى حجرات القصر المخصصة لمكتب الرئيس السابق محمد داود . والطريق الى مكتبه يمر بجماعات كثيفة من الجنود حاملي المدافع الرشاشة ، ومجموعة من الدبابات ، التي تمدد البعض فوقها في استرخاء، بعد ان اصبحت فرقة الجيش المدرعة رقم ١٥ التي بدات الثورة مع الفرقة الرابعة ، بمثابة حرس جمهوري ، خلفا للفرقة السابعة التي كانت تحرس الرئيس داود . وقيل انها ابيدت بجنودها ال ١٢ الفا ، ولكن الواقع انها استسلمت بعد مقاومة محدودة .

بشعره الاشيب الذي ينم عن عمر تجاوز الستين، وتجاعيد وجهه التي حفر معظمها في المعتقلات واوكار العمل السري ، وبصوته الهادىء وكلماته المختارة، قال الرئيس تراكي ، وهو يجيب على قائمة الاسئلة التي وضعتها امامه :

نحن مسلمون موحدون بالله . وليس لاحد ان يطالبنا بان نثبت ذلك،ونسوق له الادلة والبراهين. فتلك مسالة بين الانسان وخالقه .

● فكرنا مؤسس على مبدا الصراع الطبقي . لكننا لسنا شيوعيين ، ولم يكن في افغانستان حزب شيوعي يوما ما . ولكن الدوائر الرجعية والامبريالية هي التي اصبحت تصنف الدعاة الى الحرية والعدل والمساواة،وكل اصحاب الاتجاهات التقدمية ، باعتبارهم شيوعيين .

● لا اظن ان العالم العربي والاسلامي قلق على الاسلام في افغانستان ، بدليل اعتراف الجميع بثورتنا . فضلا عن انني تلقيت رسائل شخصية من بعض الزعماء العرب ، تعبر عن اطيب المشاعر. (بعث الملك خالد ملك السعودية برسالة يعبر فيها عن ارتياحه لاعلان قادة الثورة تمسكهم بتعاليم الاسلام ، كما اوفد العقيد معمر القذافي وزير خارجية بلاده برسالة اخرى الى الرئيس تراكي) .

● اما الاصوات التي مازالت تعبر عن هذا القلق على الاسلام والمسلمين في بلادنا ، فمن الافضل ان يشغل اصحابها انفسهم بقضايا العدل والحرية والتقدم للجماهير المسحوقة في بلادهم ، بدلا من دس انوفهم في شئون دولة اخرى لها استقلالها مثل افغانستان .

● وحتى الغرب ، اصبح الان قلقا على الاسلام في افغانستان ، اليس في هذا مدعاة للعجب والسخرية ؟ وقد ادهشني احد الصحفيين الانجليز في المؤتمر الصحفي الذي عقدته بكثرة اسئلته والحاحه على موضوع الاسلام . حتى كاد الرجل ان يرتدي ثياب « المحتسب » (قالها بالعربية) الذي كان منوطا به رعاية شئون الاسلام والمسلمين في التاريخ العربي .

● وحتى تكون الصورة اوضح في العالم العربي، فان مبعوثا للثورة سوف يقوم بزيارة الدول العربية ، حالما تنتهي من بعض الخطوات والاجراءات الداخلية العاجلة .

● ان الاسلام في افغانستان ليس بحاجة الى حماية احد ، ولكن الجماهير المؤمنة في بلادنا هي الحارسة الحقيقية لمبادىء الاسلام وقيمه . ومع ذلك ، ينبغي ان نعمل باصرار على الا نجعل الاسلام مطية لآمال الرجعيين والطغاة والمستغلين .

● ان الجماهير المسلمة في افغانستان بحاجة الى مساعدة ودعم العالم العربي . ونحن نترقب هذه المساعدة التي نعتبرها الصيغة العملية للتعبير عن التضامن والاخاء في الاسلام . وليتنا نعطي الجوانب المادية في حياة المسلم ، نفس الاهتمام الذي نوليه للجوانب الروحية . ان قلوب الناس في بلادنا عامرة بالايمان ، لكنهم بحاجة الى الغذاء والكساء والماوى . باختصار ، نحن لا نريد «ملا» من العالم العربي والاسلامي ، فلدينا اكتفاء ذاتي في رجال الدين ، ولكننا نريد مساعدات مالية تمول مشروعات تنقذ بلادنا وشعبنا من هوة التخلف.

● لم يمس احد « الملا » في افغانستان فيما اعلم . بل ان العكس هو الصحيح ، فنحن نتجه الى المزيد من الرعاية والاهتمام بهم . وقد قررت الثورة ان تخصص لهم معاشات شهرية باعتبارهم «عمالا دنيويين» . لكنني في الوقت ذاته انبه الى ان الثورة ستضرب بيد من حديد كل شخص او جهة



بالصواريخ ضرب مكتب الرئيس داود ، وهنا سقط الصاروخ الوحيد الذى أخطأ هدفه ، أمام مبنى شركة الطيران الافغانية (ايرانا)

تحاول ان تعترض مسيرتها ، بغير استثناء ولا تمييز .

● « الملا » الذين كانوا معتقلين قبل الثورة، فى ظل الحكم السابق ، سندرس حالاتهم . الذين نسب اليهم شيء سيحاسبون عليه امام القضاء والباقون سيفرج عنهم . (كانت حكومة الرئيس داود قد اتهمت بعض العناصر التى تنتمى الى الجماعة الاسلامية التى يطلق عليها « الاخوان المسلمون » بانها قتلت وزير التخطيط عام ٧٧ ، وقامت بحملة اعتقالات واسعة بين افراد هذه الجماعة)

عن مستقبل الاسلام

وفى اجابته على سؤال حول مستقبل الاسلام فى افغانستان قال الرئيس نور تراكى :

عندما تزورنا فى مرة قادمة ستجد فى بلادنا اسلاما نقيا من الخرافات والشوائب . اسلاما لن يستغل ولن يسخر لخدمة الطغاة والاقطاعيين والمشعوذين .

وسالته هل يمكن الجمع بين الماركسية والاسلام. خصوصا وان هناك من يقول بذلك فى العالم العربى ؟

اجاب : هذه القضية ليست مطروحة فى فكر حزب الشعب الديمقراطى الافغانى ، فضلا عن انها مسالة علمية تحتاج الى بحث طويل .

وسالته : هل تاثر برنامجكم بالفكر الماركسى ، وهل يمكن ان تتحول افغانستان الى الماركسية فى المستقبل ؟

اجاب : ان تجربتنا نابعة من ظروف بلادنا الخاصة . ونحن حريصون على ان يكون برنامجنا تقدميا ، ومن اجل فقراء افغانستان من العمال والفلاحين . وعلى المستوى الشخصى ، فان اكثر ما تاثرت به فى الواقع هو الادب السوفيتى .

قلت : ثمة شواهد متعددة تشير الى انكم منحازون الى الخط السوفيتى ، وان علاقة غير عادية تربطكم بموسكو ..

تحدث الرئيس تراكى طويلا فى هذه النقطة قائلا . ثورتنا منحازة للطبقات المسحوقة فى افغانستان . وقد كان الاتحاد السوفيتى بعد ثورة اكتوبر ، وسيظل صديقا مخلصا للشعب الافغانى. لقد كان الاتحاد السوفيتى هو اول الدول التى اعترفت باستقلال بلادنا ، واول الدول التى مدت لنا يد المساعدة غير المشروطة . بل كان الدولة الاولى التى اعترفت بالجمهورية الافغانية عام٧٣ (ثورة ٢٦ سرطان) ، وهو ايضا اول من اعترف

بثورة ٧ ثور التي قام بها حزب الشعب الديمقراطي. وسالته : هل تعتقد ان ثورتكم ستغير من خريطة منطقة وسط اسيا ؟

قال الرئيس تراكي: ان تجربتنا للجميع، والافكار لا تعرف الحدود ولا تعرف لها بطاقات جنسيـــة وجوازات سفر .. وليس هناك ما يمنع من أن ياخذ الاخرون من افكارنا .

اخيرا سالته حول الخطوات القادمة للثورة في المجال الداخلي ، فقال ان هذه ثورة الفقراء من العمال والفلاحين ، وان النهوض بهذه الملايين المسحوقة في افغانستان هو مسئولية الثورة ورسالتها . وقد حدد برنامج العمل ٣٠ نقطة على هذا الطريق ، من تطبيق الاصلاح الزراعي ومحاربة الاقطاع واقامة مزارع جماعية للفلاحين ، الـــى تامين معاشات لكل الكادحين . والتوسع في الخدمات ،ودعم القطاعين العام والخاص .

وهنا اضاف الرئيس تراكي « ان الحزب هو الذي سيقود هذا التغير ، من خلال كوادره التي ستحمل المسئولية في كل موقع» .. وهو يقدر الاعضاء العاملين (الكوادر) والمنتسبين بحوالي ٥٠ الف عضو . والمنتسبون يقضون ستة اشهر تحت الاختبار ، ثم يصبحون من الاعضاء العاملين .

ثورة بسبب السفور

هذه هي وجهة نظر رئيس مجلس الثورة ورئيس الحزب ورئيس الوزراء ، وربما رئيس الجمهورية القادم من افغانستان .. ،

لكن هناك وجهة نظر مقابلة، تطرح شواهد اخرى في « لون » حزب الخلق . وقبل ان نستعرض هذه الشواهد لا بد ان ننتبه الى مدى عمق الشعور الديني في افغانستان . ،

فعامة الناس هناك ، امام قضية الدين ،ينسون كل شيء ، الفقر والتخلف والظلم التي عانوا منها كثيرا ، ولا يرددون الا عبارة واحدة ، سمعتها تتكرر على كل لسان هي انه «مادام الاسلام آمنا فنحن بخير » .

وقد كان هذا الشعور الديني العميق هو الذي دفع الجماهير الى الثورة والاطاحة بالملك امــان الله خان في عام ١٩٢٩ ، لمجرد ان زوجته ظهرت سافرة الوجه في صورة نشرت لها باحدى الصحف الاوروبية ، اثناء زيارة قامت بها الاسرة لاوروبا

واذا كانت صورة وجه سافر لزوجة الملك نشرت في اوروبا اضطرته للتنازل عن العرش ، فما بالكم اذا ذكرت كلمة الماركسية في افغانستان ؟؟

واذا كان الفزع ينتاب الكثيرين من المتعلمين والدارسين في العالم العربي عندما تذكر «الماركسية» امامهم ، فكيف نتصور صدى ذلك في مجتمع هــذه عاطفته الدينية ، ونسبة الامية فيه تصل الـــى ٩٠ ٪ ؟

من اجل ذلك اختفت كلمة «الماركسية » تماما من قاموس الحياة السياسية في افغانستان ، ولم يجرؤ احد من المنتمين الى فرق اليسار ان ياتي علــى ذكر الكلمة علنا ، بالتلميح او التصريح ، بل انهم ينفون بصورة قاطعة ايه علاقة لهذه العرضــات بالماركسية ، ويعتبرون تصنيفهم في هذا الاطار تغريبا معاديا وامبرياليا ، كما قال الرئيس تراكي .

شواهد اخرى

ومع ذلك فثمة اجماع على ان الخريطة السياسية لافغانستان عرفت خلال الخمسة عشر عاما الاخيرة ثلاث فرق لليسار :اولها واقدمها حزب «شولي جاويد» أو الشعلة الابدية ، الذي تؤيده الصين ، وقد وصفه الرئيس تراكي بانه يساري متطرف ،والثاني حزب «الخلق» او الشعب الديمقراطي(بعد الترجمة) الذي انشاه الرئيس نور محمد تراكي ، والثالث حزب « بارتشام » او العلم ،الذي يرأسه برباك كارمل نائب رئيس مجلس الثورة الحالي . ويدعم السوفييت هذين الحزبين اللذين اختلفت مواقفهما من الرئيس داود .

فبينما كان بارتشام يؤيد التعاون معه ، فان حزب الخلق كان اميل الى مقاطعته . وبعد اتجاه الرئيس داود الى ضرب اليسار ، اندمج الحزبان في «الخلق» منذ عام تقريبا ، واختفت كلمة «بارتشام » .مؤقتا (بدات الخلافات تظهر بين زعيمي الحزبين حول توزيع المناصب بعد الثورة ، وان كانت الوزارة قد قسمت بينهما مناصفة)

الا ان الذي يعنينا في هذه الصفحة من تاريخ اليسار هو الاتجاه القوي بين المراقبين والعارفين بالخريطة السياسية لافغانستان ، الذي يعتبر هذه الفرق ذات انتماء ماركسي بدرجات متفاوتة .حتى ان الخلاف بين الصين والاتحاد السوفيتي انعكس على

علاقاتهما ، فالصحيفة السرية للحزب المؤيد من الصين «شولي جاويد » ، كانت تهاجم الحزبين الاخرين معتبرة حزب الخلق الاكثر اعتدالا بانه « رجعي » ، وحزب بارتشام بانه « تحريفي » !

ايضا يدللون على تاييد السوفيت لهذين الحزبين بواقعة حدثت عندما جرى صدام بين ممثلي اليمين واليسار امام البرلمان الافغاني عام ٦٥ ، وشجت راس نور محمد نور وزير الداخلية الحالي ، وكان عضوا بارزا في « الخلق » فان السفير السوفيتي في كابول تدخل وقتئذ وقال للسلطات الافغانية ان حالته الخطرة تحتاج الى علاج خاص . ثم جاءت طائرة خاصة نقلته حيث عولج هناك في موسكو . وبعد أن عاد بتعصب زائد للسوفييت اشاع اعضاء حزب « شولي جاويد » انهم في موسكو قبل ان يخيطوا له راسه ، غيروا مخه ، واستبدلوه بمخ رجل سوفيتي !

والرئيس تراكي له كتابات في الماركسية اللينينية صدرت في الهند بلغة الباشتو (مؤلفاته ما بين ١٠ ، ١٢ كتابا في الادب والسياسة)، وكانت محظورة في افغانستان قبل الثورة لكنها لم تنزل الى الاسواق بعد الثورة، لمزيد من الاحتياط والحذر .

وعندما وقع الانقلاب ، وعرفت أسماء قادته ، كان « مانشيت » مجلة « كارانت » التي تميل الى اليسار وتصدر في بومباى ، والتي يرتبط رئيس تحريرها مع هؤلاء القادة بعلاقات وثيقة ويعرفهم جيدا منذ الستينات ، كان المانشيت يقول : النجمة الحمراء ترتفع فوق افغانستان !

وبالاضافة الى هذا كله، فان البعض يقول ان محاولة داود تصفية اليسار ليست هي السبب الرئيس الذى اشعل الثورة ، ولكنها الذريعة والحجة الظاهرة فقط ، وان السبب الحقيقي هو في سياسة الرئيس داود خلال السنتين الاخيرتين التي اتجهت الى الانحياز لامريكا ومد الجسور مع ايران وباكستان ، بصورة لم ترض عنها موسكو .

واذا كانت هذه الشواهد لا تعنى بالضرورة أنهم ماركسيون . وهذا وارد بقدر ، لانه من الطبيعي أن يسعى الاتحاد السوفيتي الى دعم قوى معارضة لنظام ارستقراطي كالذى كان قائما في افغانستان . كما انه من المفهوم ايضا ان تسعى هذه القوى لضمان تاييد الاتحاد السوفيتي وهو دولة كبرى ولها حدود مشتركة مع بلادهم بطول ١٢٨٠ كيلو مترا . اقول أنهم اذا لم يكونوا ماركسيين ، فمن المؤكد انهم يتجهون الى موسكو ، وان النظام السوفيتي يلقى بثقله السياسي والاقتصادى الى جانبهم ..

احلاهما مر !

وقد كان هذا التوجه الى موسكو هو احد الخيارات المطروحة أمام افغانستان . ويبقى بعد ذلك خياران آخران هما : بقاء الوضع كما كان عليه في ظل حكم أسرة الدوراني ، التي ينتمي اليها الرئيس السابق محمد داود وابن عمه الذى أطاح به عام ٧٤ والمقيم الآن في ايطاليا ، الملك محمد ظاهر شاه . أو التوجه المنسوب الى الاسلام يتمثل في المولويين والملا (رجال الدين والاول أعلى درجة) ، ثم الجماعة التي تحمل اسم «الاخوان المسلمون » .

ولنحاول أن نستعرض هذين الخيارين ..

ذلك أن نظام حكم الرئيس داود ارتبط فعلا بارستقراطية عانت منها افغانستان الكثير . أسرة واحدة تحكم ، مع خمس أسر بالتحديد ، لها علاقات وثيقة بها ، سواء بالقرابة أو الانتماء الطبقي . هذه الاسر الست كانت تحتكر ثروة افغانستان ، وكل المناصب والوظائف العليا بها .. (وهو خطأ تكاد تقع فيه الثورة الآن باتجاهها الى قصر المناصب الرئيسية على كوادر الحزب فقط) . حتى انه لم يكن مسموحا لواحد من خارج هذه الاسر أن يتجاوز درجة معينة في السلك الوظيفي . بل أن السلك الدبلوماسي الافغاني كانت وظائفه مقصورة على اثنتين فقط من هذه العائلات .

وقد قال لي أحد السفراء العرب وهو يعلق على هذه الظاهرة : لم نكن نرى الا وجوه أبناء هذه العائلات في الوزارات والحفلات والنوادى ، حتى خيل الينا أنه ليس في افغانستان غيرهم . وقد أبدى أحدهم استياءه ودهشته عندما دعى الى حفل والتقى هناك بواحد من الافغانيين ، من خارج تلك العائلات .

وقد كان هذا الاحتكار الطبقي للوظائف أحد الاسباب الاساسية وراء هجرة المثقفين الافغانيين الى الخارج ، وهي من أعلى نسب الهجرات . ذلك

ان ٧٠٪ تقريبا من الافغانيين الذين اوفدوا للدراسة بالخارج لم يعودوا الى وطنهم ، لان الابواب مغلقة امامهم .

وربما كان هذا الاحتكار ايضا احد العوامل التى ادت الى انتشار صور عديدة من الفساد الادارى والمالى الذى عرفت به افغانستان ، وقد كانت الرشوة فى مقدمة مظاهر هذا الفساد المستشرى ، فاذا كان التقدم بالاساليب المشروعة ممنوعا على صغار الموظفين ، فان الابواب غير المشروعة بغير حصر ولا عد !

ومن الطبيعى فى ظل اوضاع كهذه ان يستشرى الاقطاع ، وان يفرز حكم الطبقة طغيان حكم الفرد . وهو الذى بلغ ذروته فى عهد الرئيس السابق داود . اذ الغى البرلمان وملأ السجون برجال الدين وضيق عليهم ، لكن احدا لم يتحرك . وعندما استدار ليضرب اليسار ، قامت الثورة .

اما التوجه المنسوب الى الاسلام ، فقد كان يسىء الى جوهر الدين ، لتخلفه الفكرى الشديد ...

ورغم ان التربة خصبة للغاية ، ومهيأة تماما لاستقبال هذا التوجه والانطلاق به الى الامام ، الا ان الفكر الدينى فى افغانستان ينتمى فى الواقع الى عصور المماليك والاتراك . والعاملون فى هذا العمل معروفون بانهم من حفظة « المتون (النصوص) القديمة » ، وهو موقف اظهرهم فى صورة شديدة الجمود والتخلف . وكما اصدر مفتى استنبول فتواه الشهيرة فى عهد السلطان محمود ، التى كفر فيها كل محاولة لتحديث الجيش التركى لان استخدام اسلحة « الكفار » حرام والتشبه بزيهم حرام ! فان المولويين والملا لا يزالون عند هذا الموقف . هم ضد الحياة الحديثة بكل صورها . الراديو والتلفزيون والسينما حرام عندهم . والاصلاح الزراعى ضد الدين ، وحلق اللحية كفر ، لانها وان كانت من الصغائر « الا ان الاصرار على الصغيرة يعد من الكبائر التى يكفر مرتكبها » !

وعندما انشئت كلية الطب فى كابول خلال الخمسينات ، احتجوا وقاموا بحصار الكلية بدعوى ان تشريح جثث الموتى حرام . واضطرت الجامعة ازاء ذلك ان تدرس للطلاب كافة العلوم فى كابول ، وتوفدهم الى الهند لدراسة علم التشريح وحده !

وقبل ذلك فى بداية القرن الحالى ، عندما ارسلت الحكومة الافغانية بعثة من الفتيات لدراسة التمريض فى استنبول ، ثار المولويون واجبروا البعثة على العودة مرة اخرى الى كابول .

هذه ـ اذن ـ الخيارات التى كانت مطروحة امام افغانستان : اما التوجه الى موسكو ، او البقاء فى ظل حكم اسرة نادر شاه ، او تسليم الامور الى المولويين والملا !

الم اقل انها خيارات صعبة !

وللحقيقة ، فانه فيما يتعلق بالاسلام ، فلم يكن له وجود حقيقى ومؤثر ، بل ان رجال الدين تعرضوا لاضطهاد شديد ، فى ظل حكم داود ، وحتى اذا افترضنا ان هذا الوجود الهش استمر فى ظل الثورة ، فلن تصبح الاوضاع اكثر سوءا . وربما حدث العكس اذ انه فى الوضع السابق كان متلازما مع طغيان وفساد واقطاع ، واذا صدقت وعود قادة الثورة والتزموا بالبرنامج الذى اعلنوه ، فقد يتحقق وضع افضل لصالح الجماهير الفقيرة والغفيرة التى كانت مهملة فى الماضى .

الخيارات والدروس

اى انه من وجهة النظر الاسلامية ، فاننا نستطيع ان نصوغ الخيارات التى كانت مطروحة امام الشعب الافغانى على النحو التالى : اما اسلام مشوه يقوم على فكر متخلف ، او اسلام « معلب » وهش يقترن بظلم بيّن ، او اسلام معلب ـ ايضا ـ مع عدل موعود !

لم يكن امام الناس ان يختاروا بين وضع امثل وغيره ، ولكن كان عليهم ان يختاروا الوضع الاقل سوءا !

ولما كانت فرق اليسار هى الاكثر تنظيما ، والانشط فى قطاعات الجيش ، خصوصا وان مائة ضابط افغانى كانوا يوفدون للتدريب فى الاتحاد السوفيتى سنويا طوال حكم داود ، فقد كانت هى البديل الوحيد المهيأ لتولى السلطة .

وساعدهم على ذلك انهم اضطروا الى ان يعملوا « تحت الارض » ، وفى الظلام خلال سنوات حكم الرئيس السابق داود ، الذى مارس نوعا من الحكم الفردى المتسلط ، فى حين انهم فى ظل حكم الملك ظاهر شاه كانت حرية التعبير متاحة لهم بقدر ، وكان

لهم في البرلمان ٩ نواب يتكلمون في النور ، ولم تكن فكرة الثورة واردة .

اى انه في غيبة وجود وسائل مشروعة للتنفس والتعبير والحركة ، كان اللجوء الى التنظيمات السرية والوسائل غير المشروعة هو المنفذ والحل الوحيد ..

وهذا درس آخر ليتنا نتعلمه ونستوعبه !

المستقبل في المساجد

وعلى كل ، فانه اما وقد حدث الزلزال ، وصعد على المسرح فريق اليسار المتجه الى موسكو ، فان احتمال هذا المستقبل تستحق منا الاهتمام .

داخليا ، ثمة موقف لم يحسم بعد مع طبقة المولويين والملا . ورغم انهم ايدوا موقف النظام الجديد من اعلانه احترام مبادىء الاسلام ، الا ان هذه ليست الكلمة الاخيرة . لان الخلفيات ما زالت تثير مخاوف بعضهم . وقد قيل ان عددا من رجال الدين واسرهم اختفوا ، وتسللوا الى باكستان متاثرين بهذه المخاوف . كما اتيح لى ان اتاكد من ان بعض طلبة الجامعة - في السنوات النهائية - تركوا دراستهم قبل تخرجهم بشهرين ، وفروا مع اسرهم الى باكستان . وقال لى اكثر من واحد التقيت به انه اصبح يفكر في الهجرة ، هو واسرته ، لكن قرارهم مرهون بالتطورات القادمة .

وحساسية هذه النقطة تكمن ليس فقط في الشعور الديني العارم في افغانستان ، ولكن ايضا في ان المولويين والملا هم سلطة لها وزنها خارج كابول . واذا كانت الدولة تمارس السلطة الادارية ، الا ان السلطة الفعلية ما زالت في يد رجال الدين وشيوخ القبائل .

وقد قال لى احد الخبراء العارفين بالاوضاع في افغانستان ، ان مستقبل هذه الثورة سيتحدد داخل المساجد !

اما انعكاسات الموقف في افغانستان على ماحولها ، فلا يمكن التقليل من شانها . ذلك ان افغانستان باعتبارها قلعة اسلامية عريقة ، كانت تعتبر من وجهة نظر امريكا والغرب هي الجدار الذى يحول دون وصول السوفييت الى المحيط الهندى . وكان هناك حرص من القوتين الاعظم على استمرار التوازن بين مصالحهما في افغانستان ، كما كانت الحكومة الافغانية في الماضى تحرص على اقامة علاقات طيبة مع هاتين القوتين ، حفاظا على دقة الميزان .

وكان معروفا مثلا ان الاتحاد السوفيتى وحلفاءه ينفذون كل المشروعات الجزء الشمالى من افغانستان . الطرق والجسور ومحطات الكهرباء ومشروعات التعمير بينما كان الامريكيون واعوانهم ينفذون مشروعات النصف الجنوبى للبلاد . وعندما اقام السوفيت مطار كابول ، سارع الامريكان الى بناء مطار حديث في قندهار - العاصمة الثانية في منطقة الجنوب . وهناك ، يقولون انه لمزيد من حفظ التوازن في العاصمة فان السجائر امريكية . لكن الكبريت سوفيتى ، وهذه الواقعة صحيحه !

وهم يتندرون بالقصة التى حدثت في الخمسينات عندما زار الرئيس الامريكى ايزنهاور مدينة كابول ، وصدم عندما قيل له ان المطار الذى هبط فيه اقامه السوفيت ، والسيارة التى استقلها من طراز «زيم» السوفيتى ، والطريق الذى مر فوقه الى المدينة شقه السوفييت ، وبيت الضيافة الذى نزل فيه بناء السوفيت ! !

حلم القياصرة القديم

لكن الميزان انقلب لصالح السوفيت مع قيام الثورة ، وقلب معه حسابات كثيرة ، بل نسف لعبة التوازن ذاتها . فقد كان للسوفيت قدم واحدة في افغانستان (كانوا ينفذون ١٢٠ مشروعا هناك قبل الثورة) والآن نستطيع ان نقول انه صارت لهم قدمان !

افغانستان لم تعد هي الجدار العازل الذى يحول دون وصول السوفيت الى المحيط الهندى ، بل فتحت ابوابها - لاول مرة في تاريخها - لتحقيق حلم القياصرة القديم . ان يصبح « لروسيا » منفذ الى « البحار الدافئة » وبينها بحر العرب المؤدى الى المحيط الهندى . والعالم الواسع الارجاء بعد ذلك .

وليس معنى ذلك ان السوفيت قد وصلوا فعلا الى شاطىء بحر العرب ، ولكن غاية ما يمكن ان يقال انهم تقدموا خطوة هامة في هذا الاتجاه .

والعارفون بشئون المنطقة يقولون ان فتح ابواب افغانستان للسوفيت ، يجعل بمقدورهم ان يطرقوا بسهولة ابواب ميناء « بندر عباس » الايرانى ، القريب من الحدود الافغانية .

وثمة نتيجة اخرى بالغة الاهمية تترتب على اقتراب السوفيت من بحر العرب ، وهي امكانية التحكم في مداخل الخليج ، والتحكم بالتالي في مخارج البترول العربي والايراني !

وباب المستقبل لا يزال يتسع لمزيد من الاحتمالات. ذلك انه بعد نجاح السوفيت في منافسة السيطرة الامريكية على مياه البحر الابيض «الدافئة» منذ الستينات ، فقد تشهد الثمانينات منافسة سوفيتية اخرى للسيطرة الامريكية على مياه المحيط الهندي، وتهديدا للقلاع الامريكية المسلحة التي نصبتها فوق بعض جزر المحيط .

وينبغي ان نلاحظ ان هذا الاحتمال وغيره ، لا يتعارض مع افتراض ان النظام الجديد في افغانستان قد لايكون ماركسيا، أو « تابعا » للاتحاد السوفيتي . فقد وصل السوفيت الى البحر الابيض عبر علاقات وثيقة مع بعض الدول العربية (مصر في المقدمة) ، دون ان تصبح مصر ماركسية او تابعة لموسكو . ذلك ان الاخذ والعطاء من قواعد اللعبة السياسية . ويظل المهم دائما هو كيف يمكن ان تاخذ باكثر مما تعطي ، وكيف يضبط العطاء بحيث لا يتحول الى تفريط في الاوراق، بدلا من اللعب بها !

عن ايران وباكستان

وثمة انعكاسات اخرى ينبغي الا نقلل من اهميتها تلقي بظلها على الجيران الآخرين ، وفي مقدمتهم ايران وباكستان . وهما منفذ افغانستان الوحيد على العالم الخارجي ، وبالذات باكستان التي تتلقى مؤن واحتياجات افغانستان في ميناء كراتشي. اما ايران، فان اقتراب النفوذ السوفيتي من بترولها هو امر يؤرقها بغير شك ، ثم اقتراب ريح الثورة والتغيير من حدودها ، هو خطر آخر لاحت نذره في الافق .

وفيما يتعلق بباكستان فان المشكلة التي برزت على الفور بعد الثورة ، تتعلق بقبائل الباشتون والبلوش ،التي تعيش على الحدود المشتركة بين الدول الثلاث (افغانستان وباكستان وايران)، لكن الثقل الاكبر لجماعاتها هو بين افغانستان وباكستان .

وثمة نزاع بين الدولتين حول تبعية هذه القبائل، يطفو ويهدا طبقا لمدى تحسن علاقاتهما . وحجة كابول . ان مناطق هذه القبائل كانت جزءا من افغانستان ، ولكن التقسيم البريطاني للمنطقة في عام ١٨٩٣ اقتطع من ارضها هذه المناطق وضمها الى الهند ، ثم اصبحت جزءا من باكستان عام ١٩٤٧ ، بعد الاستفتاء الذي جرى في مقاطعات الهند ذات الاغلبية المسلمة .

وبعد الثورة ، ارسل شيوخ قبائل الباشتون والبلوش برقيات تاييد لزعمائها ، من باب التذكرة بقضيتهم . ولم تتاخر حكومة الثورة في اعلان موقفها ، وفي اول كلمة القاها وزير خارجية افغانستان الجديد امام المجتمع الدولي ـ في اجتماع وزراء خارجية دول عدم الانحياز بهافانا ـ قال ان الخلاف السياسي الوحيد بين بلاده وبين باكستان يتمثل في مشكلة الباشتون والبلوش، وان افغانستان ستسعى الى حل المشكلة بالوسائل السلمية «وفي ضوء الاعتبارات التاريخية للمنطقة» ..

وثمة تاكيد هنا في كابول انه اذا اعطيت قبائل الباشتون والبلوش حق تقرير المصير ، فسوف تختار الانضمام الى افغانستان صراحة . اما اذا منحت حكما ذاتيا ، فان ذلك سيعد اقرارا ضمنيا بعدم احقية باكستان فيها ، فضلا عن انه سيصبح بمثابة تمهيد للانسلاخ عن باكستان .

واذا حدث ذلك ـ واذكر اننا نتحدث عن احتمالات المستقبل ـ فانه يعني اشياء كثيرة :

ـ يعني ان تقتطع من باكستان مساحة ليست هينة ، يسكنها حوالي ٨ ملايين من المنتمين الى هذه القبائل. وهي ضربة قاصمة ، خصوصا بعد انفصال بنجلاديش عن باكستان في عام ٧٢ .

ـ ويعني ان تضرب الجسور الصينية التقليدية الممتدة الى باكستان ،ويكسب السوفيت نقطة في صراع النفوذ المحتدم بين موسكو وبكين .

ـ ويعني ـ وهذا هو الاهم ـ ان يتقدم السوفيت خطوة اخرى الى الامام ، في اتجاه بحر العرب ومخارج البترول العربي والايراني .

وحلم الهند الدفين

وهذه الانعكاسات السلبية التى قد تلقى بظلها بصورة حادة على باكستان ، توقظ عند الهند فيما يبدو رغبة فى تصفية الحسابات معها ، وربما حلما يجدد املها فى عودة شبه القارة الهندية الى ما كانت عليه قبل التقسيم فى عام ٤٧ ٠

فقد سارعت الهند بالاعتراف بالنظام الجديد ، بعد ٢١ ساعة من تشكيل الحكومة ٠ اعترف الاتحاد السوفيتى فى الساعة السابعة والنصف من مساء يوم ٣٠ ابريل ، وجاء اعتراف الهند فى الرابعة من مساء اليوم التالى ٠

وقد يقال فى تفسير ذلك أن الهند تريد أن تثبت حضورها على مسرح الحدث الجديد فى وسط آسيا ٠ وقد يقال أن الهند لها مصالح فى افغانستان : لها ٣٠٠ خبير غير جالية هندية كبيرة٠

قد يقال هذا وذاك فى تفسير مسارعة الهندالى الاعتراف بالنظام الجديد ٠ ولكن أليس واردا أيضا ان يكون هناك سبب اضافى آخر ، هو الضغط على باكستان ولى ذراعها ٠حصوصا وأن هناك سابقة للهند فى هذا الصدد ، عندما تدخلت عسكريا لدعم انفصال بنجلاديش ، وشطر باكستان الى نصفين !

اذ كيف نتصور مستقبل باكستان ومصيرها بعد أن انفصلت عنها بنجلاديش فى مرحلة ،ثم اذا اقتطعت منها اراضى الباشتون والبلوش فىمرحلة اخرى ، وبعد هذا « التقزيم » تجد نفسها فى مواجهة نفوذ دولة كبرى مثل الاتحاد السوفيتى ؟

قد تكون هذه مجرد احلام وأوهام ، ولكن لنتذكر أن احلام الامس هى حقائق اليوم ، وأن احلام اليوم هى حقائق الغد ٠ وان هذا هو أحد قوانين التطور ! ٠

هل ننتبه ونتعلم ؟

لكن بعضنا ينشغل عن هذا كله ، يغمض عينيه ويصم اذنيه ، ولا يرى ما جرى فى افغانستان الا بمنظور واحد هو : انهم ماركسيون !

وقد اذهب الى أبعد مدى مفترضا ان دافع هؤلاء هو الغيرة على الاسلام والخوف عليه ، الا انى لا افهم ان نسكت على ما فعله نظام داود بالقيادات المنسوبة للاسلام ، وبالمسلمين انفسهم ، بدعوى انه مسلم ، ثم نملأ الدنيا صياحا وصراخا عندما يتغير الوضع ويقبض على السلطة آخرون ، منسوب اليهم انهم ماركسيون ٠

ويثيرالدهشة فىالمنهج هنا الا يرى بعضنا فى شئون المسلمين الا ضبط ورصد علاقتهم بالله سبحانه ، رغم أن هذا أمر يحاسبهم عليه الله ــ بينما لا يخطر لهؤلاء ان يبذلوا جهدا موازيا فى اتجاه تصحيح واقع المسلمين انفسهم ٠٠

وهذا المنطق يذكرنا بالمناقشات الفقهية التى جرت فىالماضى حول الكافر العادل والمسلم الجائر ، وجراة بعض الفقهاء فى القول بأن الكافر العادل افضل من المسلم الجائر « لان الاول عليه كفره ولنا عدله ، والثانى له اسلامه وعلينا جوره » فيما يذكره الامام الشاطبى ٠

وللدقة اقول انه فى حالتنا هذه ، فان قادة ثورة افغانستان يقولون انهم مسلمون وموحدون بالله واقول ايضا انهم فى قضية العدل «واعدون » ، وهو امر يحتاج الى وقت للتثبت منه ٠

اخيرا ، فانه تبقى اسئلة معلقة ، بعضها نملك الاجابة عليه ، وبعضها فى علم الغيب ، من هذه الاسئلة مثلا :

هل ستبقى الثورة فى افغانستان على موقفها من الاسلام ، أم ستتحول عنه فى مرحلة قادمة ٠ اى هل موقفها الراهن هذا تكتيكى أم استراتيجى؟

هل ينفلت العيار فى لحظة حماقة من اى طرف وتحدث مواجهة بين الشارع الافغانى بقيادة رجال الدين وبين النظام الجديد ؟

هل يتحمل العالم العربى والاسلامى مسئوليته تجاه مسلمى افغانستان ، ويمد جسورا قوية معهم، ام ينطوى ويبتعد ويلجا الى المطيعة ، متاثرا بالمخاوف والخلفيات ؟

ثم ، هل تنبهنا تجربة افغانستان الى ضرورة وجود تيار اسلامى ناضجومستنير ، قادر علىاقناع الجماهير والتقدم بها نحو المستقبل ، أم يظل الحال كما هو عليه ، فتضيع منا قيادة الجماهير ؟

وهل تدعونا التجربة الى ان نفتح الابواب لممارسة حرية الحركة والتعبير للجميع فى النور ، قبل نفاجأ بالانفاق محفورة تحت كل الاقدام ، وفى الظلام ؟!

ونغرس بأيدينا بذور زلزال جديد !

■■



... هـذا الصراع الدامى بين وطننـا العربى واسرائيل . اليس من اجل « البيت » ؟ ـ كانوا فى ديارنا عابرين فاستقروا ، واصبحت لهم بيـوت . وكنا فى ديارنا مستقرين فتشردنـا ـ لاجئـين او مغتربين ـ واصبحنا نبحث عن بيوت » .

بقلم : الدكتور عبدالعزيز كامل

قـالت : اكيد انك لم تجرب هذا الموقف ، ولم تشعر بهذا الاحساس .. حين تجمع أوراقك وكتبك وملابسك ، وتغلق بـاب البيت وراءك ، وتترك مفتاحه مع صديق ليتابع اجراءات التسليم، وتتجه بعد هذا الى المجهول .

هذا البيت كان بيتى الوحيد . حين اغلقته اصبحت بلا بيت وساعود الى جامعتى السابقة فى اقصى الغرب . انـزل المدينـة كأى غـريب لابحث عن مسكن ، وانشىء بيتا جديدا ،واسترد بعض ما تركت عند اصدقائى من متاع ، حافظوا على بعضه ، وحطموا بعضه ، وباعوا البعض بثمن بخس . ومنهم من يتمنى ألا اعود ، ليستولى على ماتركت عنده . وانت لاتملك ـ حين تلقاهم ـ الا ان تقول لهم : شكرا ..

وفى طريق عودتى ، سامر على موطنى . وقد ذاب بيت الاسرة بين اصابع اخوتى بعد موت الوالد والوالدة . انتهى هـذا العهـد . ذهب البيت



الكبير مع الرجل الكبير • واصبح لكل من اخوتى سكنه وحياته الخاصة •

أليس غريبا ان اكون غريبة فى وطنى ؟ ابحث فيه عن سكن ؟ وامر على البيت القديم بعد ان سكنه قوم جدد ، فلا استطيع الاقتراب من بابه وكنت استطيع السير فيه مغمضة العينين ؟

لماذا كان لنا هذا البيت الكبير ؟ ظن الوالد انه يتناسب مع مكانته الادبية والعلمية بعد ان تقدمت به السن •• ثم رحل •• واثار البيت الكبير من بعده تنافسا كبيرا ومطامع • الثريات الكريستال الرائعة • السجاجيد العجمية الفاخرة • دخلت كلها معركة الغنائم • الحاضرون اخذوا • والغائبة بغير نصيب ، الا قليل او هالك •• كانوا فيه من الزاهدين •

وعندما زرت البيت آخر مرة ، كانت معظم الحجرات مهجورة • اتذكر قصر البارون امبان — المغولى الطراز — الذى بذل فيه منشىء ضاحية مصر الجديدة ما بذل ، واقام فيه الاحتفالات الاسطورية ؟ اتذكره بعد ان هجره صاحبه وتنازع اصحاب الحق فيه ، واغلق القصر ابوابه وزحف الغراب على حديقته ، ياكل الخضرة والنضرة ، وبقيت اشجار النخيل الملكى منكسة الرأس ذابلة •• شعثاء •• ظامئة ؟ يبدو ان سر هذا القصر سرى الى بيوت اخرى ، بنتها الامال الكبيرة ، وضيعتها النزاعات الصغيرة ••

والا ماذا اصنع ؟

ولكى القى على القصة مزيدا من الضوء هل اعود بك الى الماضى قليلا ؟

لقد تخرجت متفوقة من الكلية كما تعلم ، فترة جميلة كانت حياتى فى الكلية • هل تذكرنى عندما كنت طالبة ؟

قلت نعم لصداقتى مع الوالد ، ولتفوقك ، ولانى كنت — مجرد مصادفة — اكثر من عام — عضوا فى لجنة النظام المسئولة عن القسم الذى كنت فيه • وكنا نتضاحك مع الزملاء عند رصد النتيجة: الاولى بامتياز ؟ فيذكرون اسمك • ويرتفع صوت ضاحك : من شابه اباه فما ظلم • وضحكة اخرى: شكلا وموضوعا •• تتبعها موجة من الضحك •• وكان الوالد ذكيا وسيما ••

ومضت هذه الايام الخضراء وانقطعت اخبارك عنى فماذا حدث ؟

قالت : سافرت فى بعثة حكومية الى الخارج، وتابعت دراستى العليا حتى حصلت على الدكتوراه • على ايدى اساتذة عالميين فى هذا المجال • وما اجمل البحث العلمى لمن يحبه ، والمغامرات العلمية فى آفاق جديدة ، مع اساتذة يبنون اهرامات العلم، وتحس وانت تعيش معهم او تقرأ لهم انك فى جو الخلود ••

شهور وشهور امضيتها فى بحوث ميدانية فى قرى نائية • اكتفى بالقليل من الطعام والشراب واسعد بالكثير من البحث العلمى • كان سكنى خشنا ، وثيابى غليظة • عشت الاقلال والتحمل مع اهل هذه القرى ، حيث حركة التاريخ بطيئة ، وامواج المدينة — حين تصل اليها — تصبح تقلصات ضئيلة •

واستقام قلمى فى الكتابة ، ومهجتى فى البحث واخذت استعد للعودة الى وطنى •• الى بيتى •• كانت حياتى قد اتخذت منهجا علميا دقيقا •• فهل استطيع ان انقل حياتى الى وطنى • أيكون لى بيت الى جوار بيت ابى ، انظم فيه مكتبتى وحياتى؟ كانت السن قد تقدمت بالوالد • ولن يبقى البيت الكبير من بعده • والاعمار كلها بيد الله • والاستعداد لظروف المستقبل افضل من تركها

للمفاجآت .. هل اقول له : انني لا احس الامن بعدك ، وانك السد الذى يحول بيننا وبين التنازع على ما تركت لنا ؟ ليته ترك لنا الحب واخذ المال ! !

وارسلت اليه برغبتي . وجاء الرد : تعيشين في بيت الاسرة . كيف تسكنين وحدك . وماذا يقول الناس عنك وعنى ؟

ـ وماذا قالوا عندما كنت في البعثة سنين ؟ اتوافق على سكنى وحدى في الخارج منفردة ، ولا توافق على سكنى الى جوارك ؟ لقد كنت امينة على شرفك وشرفى . وهانذا اعود اليك بتاج من العلم والكرامة مرفوعة الراس .

كان الموت متحدثا اسمعه . ولايسمعونه . اراه قريبا ويرونه بعيدا .

وكل الذى اريد ان يكون لى بيتى .. بيتى الذى استقر فيه ولاينازعنى فيه احد . فالوطن بيت .

ـ مستحيل .. هكذا كان رد الوالد حاسما وقاطعا

هل اعود ، ومع امن اليوم خشية المستقبل ؟ اعود الى الوقت الهالك في المجاملات ، وشعورى الدائم بالقلق ، والسكنى في بيت متين البنيان ، هش المصير ؟

قلت لك : الاعوام تمر .. وليست الفتاة كالفتى . هكذا تحكم علينا بيئاتنا . وحين تتقدم بها السن مهما يكن شرف الدافع الذى حملها بعيدا عن موطنها فسيكون السؤال :

ـ لماذا لم تتزوج حتى الان؟ وكيف تعيش ؟

ورغم هذا كله ، بدات اجراءات التعيين في الجامعة . ومشت بطيئة . الروتين القاتل . التحايل على النصوص . لم تكن نصوصا ، وانما لصوص مواهب وحياة وقدرات .. وكنت احس بوادر هذا في زياراتى الصيفية وبعض لقاءاتى بالزملاء :

انت ذكى ، ولك انتاجك ومواهبك . اذن انت منافس خطر . ستكون عاصفة فوق المياه الهادئة . ويفلسفون هذا . انه التحاسد المهنى .. لماذا لا يكون تعاونا مهنيا ؟ وانت ايها الوافد الجديد ، لماذا تثير حياتهم الهادئة ؟ ما اسعدهم بما عندهم وبالمحاضرات المعادة عاما بعد عام .. ولها في كل عام محصول جديد . قل انها زراعة المحاضرات . وسلام على السباق مع الزمن في عصر العلم والتكنولوجيا !

اعلم انى قاسية في قولى . ولكن لك ان تسال الكثير من الزملاء عما لقوا من عقبات عاشوا بها ، وقلوبهم موزعة بين الاقامة والهجرة . هل احسست ان سيل الروتين كان اقوى من ابى بعد ان تقدمت به السن ، ولم تعد لكلمته قوتها القديمة ، بينما كان العرض الاخر من العالم الجديد اكثر سخاء ، والجو العلمى ـ كما بدا لى ـ اكثر استقرارا ، والقدرة على الانتاج افضل ؟

وسافرت الى العالم الجديد ..

وكنت امينة مع وطنى . لقد رددت ـ وبالقساط ـ كل مصاريف البعثة الدراسية . فهذا المال ليس حقى اذا عملت في الخارج . انها اموال جاءت من جهد الزارع وعرق الصانع . وشعرت براحة كبيرة عند سداد القسط الاخير من هذا الدين . لم اطلب العون من احد . ولا من والدى .. بعض زملائى كان يعجبون : لماذا تردين مصاريف البعثة ؟ اقول : هذا حق وطنى ، او بعض حقه . ثم اننى اريد ـ ولو بعد حين ـ ان اعود الى وطنى . اسافر دون اى مشكلات . سيكون لى في الوطن بيت .. فالوطن بيت .

وهناك على الشاطىء البعيد .. في اقصى الغرب .. على المحيط الهادى استقر بى المقام في الجامعة

ـ منزلى ؟ اصفه لك . فسيح بالنسبة لى . نوافذه من الزجاج العريض ، تبدو الغابة من ورائها كانها لوحة كبيرة .. الاشجار الضخمة كانها حراس ازليون لجمال الوضع . وغير بعيد قمم مغطاة بالثلوج . مياه تنحدر وتتجمع في بحيرات يجرى ماؤها الى المحيط الكبير .. مئات ومئات من الجزائر الصغيرة . الطيور طليقة .. طليقة .. لها حريتها في الغابة . ومع الفجر ارى قطرات المياه متجمعة على الاوراق العريضة .

تتساقط احيانا كالدموع من عيون خضراء ، أو تلمع كاللآليء • جواهر يجمعها الليل وينثرها النهار •

احيانا لا اشعر بجدران المنزل الزجاجية • انا فى الغابة • والغابة فى نفسى بكل جمالها • انا فى المحيط • والمحيط صدر الكون بكل اتساعه •• ارى نفسى احيانا موجة سابحة فيه•• لا •• لا اريد أن اكون موجة مالحة •• بل موجة عذبة فى نهر نشأت على شواطئه وسرت فى ظل نخيله •• انا من ترابه ومائه وعمقه وجذوره •• كم احب النيل •• الحلم والحقيقة •• الماضى والمستقبل !

ومهما يكن جمال المنظر حولك او فى نفسك ، فانت لا تحب ان تراه وحدك • فالجمال مشاركة • صفة تخلعها على الاشخاص والاشياء والمشاهد ••

سعدت بعملى الجامعى وهدوء حياتى اليومية ، ولكنى لن ازيد عن ترس صغير فى آلة عملاقة فى بلد غريب •••

ويزداد الحنين الى الوطن • وترتفع اثمان المساكن فى العالم العربى كله فهذه ظاهرة عالمية • لا بد لى من سكن حيث اعمل • فهنا مصدر رزقى ، وحيث اجد التقدير المادى والادبى• لا تقل لى عودى ، فالاتجاه العربى الى الهجرة ظاهرة عامة • والقدر العناصر على الهجرة هى من اكثرها كفاءة • وعلينا ان ننظم انفسنا على مستوى عالمى • ولكن القضية الان كيف يكون لى فى وطنى بيت صغير • بغير هذا البيت اعود الى وطنى غريبة • وازور أهلى غريبة • اجمل الفنادق لا تغنى عن البيت • فى الفندق انت رقم حجرة • انت رقم جواز سفر • انت قائمة حساب• فى البيت انت انسان •

والقضية فى ديارنا : اليست البحث عن حقوق العرب فى العودة الى ديارهم وارضهم المغتصبة ؟ وهذا الصراع الدامى المرير بين اسرائيل ووطننا العربى •• اليس من اجل « البيت » ؟ كانوا فى ديارنا عابرين فاستقروا ، واصبحت لهم بيوت •

وكنا فى ديارنا مستقرين فتشردنا ـ لاجئين او مغتربين ـ واصبحنا نبحث عن بيوت •

وعندما هاجر المسلمون من اسبانيا الى المغرب، اخذوا معهم مفاتيح البيوت على أمل العودة • وظلت الاسر الاندلسية تتوارث هذه المفاتيح •• رمز العودة الى فردوس الاسلام المفقود ••

كثير من اصدقائى فى الارض السليبة ما زالوا يحتفظون بمفاتيح بيوتهم ، يسلمها الاباء الى الابناء على امل العودة يوما •• وفى ادب الثورة الفلسطينية نرى للمفتاح دورا اذكر معه قصة غسان كنفانى « الصغير يكتشف ان المفتاح يشبه الفاس » • تدور احداثها حول مفتاح بيت الاسرة •• يقول : بالنسبة لنا كان المفتاح مجموعة من الفضائل دخلت حياتنا ببطء ولكن بثبات •• فهو المفتاح الوحيد الذى لم يستطع الزمن ان يضيعه •• وتجرى احداث القصة ، والبطل الرئيسى فيها هو المفتاح •• رمز البيت والوطن والصلابة والعودة •• مفتاح يشبه الفاس الصغيرة •• هذه تفتح الارض وهذا يفتح البيت ••

ويحزننى ما اجد من نظرة بعض الشركات الاستغلالية ـ ولا أقول الاستثمارية ـ الينا •• بل نظرة بعض الاجهزة الحكومية •• التى تحاول امتصاص جهد السنين الماضية والاتية ، من أجل الحصول على مسكن •• ووسط ضجيج الاستغلال يضيع الصوت الانسانى فى الانتماء والولاء •

لا أريد كثيرا •• بيت صغير من حجرتين او ثلاث • احس حين اكون فيه انه بيتى فى وطنى• قد ازوره فى العام مرة •• قد اقضى فيه اياما او اسابيع • ولكن هذا البيت هو شهادة انتماء • انه العش الجديد فى الوطن القديم • انه المرفا الآمن بعد حياة العواصف فى البحار السبعة •

اريد أن يكون فى حقيبتى مفتاح عربى اللسان، لا يفتح الا بيتا فى وطنى •• حين اتحسسه اطمئن الى طريق العودة • اريد بيتا فى وطنى•• فالوطن بيت •• ■■

الكويت ـ د• عبد العزيز كامل

أسماء......

للدكتور عبده بدوى

أمى أسماء بنت أبى بكر
قد جاءت كيما تبحر لى فى هذا العصر
.. أمى أسماء بنت الصديق
قد جاءت مثل الوثنى فى ضيق
.. أمى أسماء قد جاءت غضبى بنطاقين
لكن فى عينيها لم أبصر حزنا .. بل حزنين
فلقد قالت - فيما نصحتنى به
ويداها طرحت على الكتفين -
يا عبدالله
ان كنت على حق فارفع هذا السيف الوضاح
فى وجه الحجاج
.. فرفعت السيف
ليهل ربيع من بعد الصيف
ليغرس عطرا من فوق الخوف
لكن الوجه [illegible]
[illegible]
ان تصمت كل [illegible] !



وعبدالله..

[illegible]





العير كل الخير للرضيع الذى يرضع من امهطبيعيا،
لا ان يترك لرجاجة ، لا احساس فيها ولا حياة .

درس من اسماك الزينة :

ليس باللبن وحده نعيش ..!

بقلم : دكتور عبدالمحسن صالح

قد يتفلسف الانسان بعلمه،ويتعالىبفكره ، وقد يقع فى الخطأ ، ويضل الطريق ، وعندئذ قد تاتى سمكة اوحشرة او دودة او حتى ميكروب دقيق ليضع ـ بسلوكه الطبيعي ـ حدودا لفلسفاتنا ومعارفنا ، أو كانما هو يضع لنا أيضا النقط فوق الحروف ، علنانصحح أخطاءنا ، ونرجع الى كل ما هو طبيعي ومقنن ومنقح وأصيل .

■ لاشك ان كل شيء طبيعي مرغوب وغال ومستعب وجميل ، فهو الاصل ، وكل ماعداه تقليد .. لا تختلف فى ذلك العطور عن الجواهر عن السلوك عن الالبان عن ألرضعات التى يتناولها صغار الانسان والحيوان ، فيختلف بذلك تكوينهم النفسى والجسدى من البداية .

نقول قولنا هذا بعد ان اعطتنا بعض انواع من الاسماك درسا قد لا تخفى احكامه على لبيب، ذلك ان المبدأ الاول للسمك (ان كانت للاسماك مبادئ، على اية حال) يتلخص فى عبارة مقتضبة شعارها : الذى يرضع طبيعيا يعيش ، والموت لمن حاد عن الطريق !



« هل يمكن أن تهب هذه الزجاجة عاطفة الام وحنانها لوليدها ؟ .. راجع المقال لتعرف الجواب » .

وقد يبدو الموضوع غامضا وغريبا ، خاصة واننا نعرف ان الاسماك لاتمتلك الداء ولا البانا ولا رضعات طبيعية او مصطنعة كالتي يعرفها البشر ، فماذا يمكن ان تقدمه لنا سمكة من عبر واحكام قد تنفعنا في حياتنا ، وتضع الحدود لجنوح الانسان من خلال مدنيته الحديثة عن كل ما هو طبيعي حتى ولو كان ذلك في رضعة لبن ؟

دعنا نتعرض للقصة من اولها ، ولنبدأها بسمكة مع صغارها ، ولنا مع الانسان بعد ذلك عودة ، فلعله الى رشده يعود !

سمكة مرضعة

في بداية الخمسينات من هذا القرن لاحظ مربو اسماك الزينة ان عزل صغار بعض انواع السمك عن الآباء ، ثم وضعها في احواض خاصة ، حتى يمكن حمايتها من هجمات الاسماك الاكبر ، يؤدي الى ضمور الصغار ، ثم تنتهي حياتهم بموت اكيد .

حينئذ ظهرت علامات استفهام كبرى : فلماذا يموت صغار هذه الانواع رغم مايقدمه لها الانسان من اطايب الطعام الملائم لعمرها ونموها ؟ .. وهل يرجع موتها الى نقص بعض عناصر غذائية محددة ؟ .. واذا كان الامر كذلك ، فما هي تلك العناصر الناقصة حتى يمكن تعويضها في غذاء صناعي امثل يهبها نموا بسرعة الصاروخ ؟

وفشلت كل المحاولات في انقاذ الصغار ، فليست الاغذية المقدمة هي سبب موتها ، اذ ثبت انها اغذية متوازنة في عناصرها ، متكاملة في تكوينها ، غنية بكل ما يطمع فيه اى مخلوق من نعيم الحياة ، والدليل على ذلك ياتينا من صغار الانواع الاخرى التي تنمو وتترعرع على تلك الاغذية ذاتها ، وفوق ذلك تراها وهي تسبح في صحة جيدة ، لكن الامر يختلف تماما مع انواع غيرها ، فتتبدل قوتها الى هزال ، وصحتها الى مرض ، وحياتها الى موت .

لكن ليست بالعناصر وحدها يحيا السمك ، ولا بالطعام الموزون ينمو ويعيش .. بل هناك عنصر الوالدين !

فلكي يعيش صغار هذه الانواع من الاسماك ، فما عليك الا ان تعيدها الى والدتها ، او والدها او والديها معا ـ يختلف ذلك طبعا باختلاف النوع ، فما ان تحس بآبائها وامهاتها ، حتى تسارع اليها وتلتصق باجسامها ، وتظل على ذلك اياما ، وعندئذ يتبدل ضعفها قوة ، وموتها حياة !

لكن .. ماذا يعني ذلك حقا ؟ ..

يعني ان الصغار يحتاجون الى رضعة طبيعية من الكبار .. رضعة من «لبن» خاص ، او ان شئنا الدقة لقلنا : رضعة من افراز خاص !

صحيح ان الاسماك لا تمتلك «الداء» ولا هي ترضع ولا تدر لبنا كالذي نراه خارجا من الحيوانات الثديية .. الخ ، ومع ذلك ، فلا حياة لصغار هذه الانواع (اهمها بعض انواع من سمك القرص وسمك القط) ما لم تتقبل « الرضعة » الاولى من افرازات آبائها ، لانها تهيىء امعاءها الرقيقة

للتكيف تدريجا بالغذاء الطبيعي او الصناعي الذى ينتشر فى البيئة المائية من حولها ، وهي - لهذا - تفضل الموت على اى غذاء آخر ياتيها من غير الطريق «الشرعى» او الطبيعى !

لا نكوص عن لبن الوالدين !

والشعار الثانى الذى تضعه الحياة لكائناتها هو « ليس كل لبن يجيء مناسبا لكل وليد » ! •• ولقد احترمت الاسماك هذا الشعار ، فى حين ان الانسان قد اخل بما ارتضته له الطبيعة سبيلا ، وما اكثر مايخل الانسان بالنواميس والشرائع ، حتى ولو كان ذلك فى رضعة لبن تقدمها الحياة بمعايير خاصة ، لتصبح سائغة وصالحة للرضع فى النوع الواحد دون سواه !

فالرضعة الصناعية مهما كان مصدرها قد يحسبها الناس صالحة لطفل الانسان ، وهى ليست فى الواقع كذلك ، فصلاح المرضعة والرضيع ، او الوالدة والوليد ينبع اساسا من المنفعة المتبادلة بينهما اثناء عملية الرضاع ، وهذا ما ستتضح لنا اصوله بعد ان نقدم اولا « شريعة » السمك فى هذا السبيل !

فصغار السمك من نوع القط لاتقبل بحال من الاحوال الافراز الذى يشبه اللبن من نوع سمك القرص . والعكس ايضا صحيح ، فكل افراز لكل نوع قد جاء « بتوليفة » خاصة ليكون صالحا لما جاء له •• اى ان الافراز المناسب قد جهز للصغير فى النوع المناسب ، وللعمر المناسب ، فاذا ماأراد العلماء تغيير هذا المبدأ او تحويره ، اضربت صغار السمك عن الاكل حتى الموت ! •• هذا رغم ان الافراز السمكى من الانواع المختلفة يبدو للعين والانف واحدا ، لكن المهم هو الجوهر •• لا المظهر - حقيقة عرفها السمك قبل ان يعرفها البشر ، وما اكثر ما لا يعرفون !

الذكر هو المرضع •• لا الانثى .

على ان واحدة من الملاحظات الهامة التى قادتنا الى سر آخر ، قد جاءت على يدى أحد علماء الحيوان الهنود ، فبينما كان سونداروا راج يقوم بجولة على الشاطىء . لاحظ الصيادين وقد اصطادوا احد انواع سمك القط (الذى قد يبلغ طوله مترا ونصف متر) وقد برزت من بطنه ما يشبه الوسادة الاسفنجية ذات الزوائد او الحلمات الكثيرة ، فجذب ذلك اهتمامه ، فكان ان طلب من الصيادين ان يدلوه على مصدره ، فاخبروه انهم اصطادوه من عش مائى كان يعتنى فيه بصغاره ، وعندئذ قادته بديهته الى أن ذلك النسيج الغريب ربما كانت له علاقة بالنسل ، وبعد دراسة طويلة وعميقة ، اتضح له ان هذا النسيج لا يظهر الا بظهور الذرية ، وأنه يحتوى على سائل يشبه اللبن ، وبتحليله وجده غنيا بالبروتينات ، ولكنه ليس كالبان الحيوانات الثديية فى تركيبه وقوامه ، كما ان تلك الحلمات الكثيرة البارزة من النسيج تاوى اليها الصغار «لترضع» منها رضعتها ، فاذا اثيرت ، ابتعدت عنها ، لكنها لا تلبث ان تعود اليها ، ولا تزال تلك الاسماك الصغيرة ترضع وترضع ، وتنمو وتنمو ، حتى تصل اطوالها الى ما يقرب من سنتيمترات اربعة ، لكنها تبدأ - فى نهاية تلك المرحلة - فى التهام الكائنات البحرية الصغيرة بين كل رضعة واخرى ، وكانما هى تستعد لتكييف حياتها وطعامها - بعد ذلك - دون اعتماد على لبن الاب .

نقول لبن الاب ، لان الام تضع البيض ، وتتركه للذكر ، ثم تذهب بعد ذلك الى حال سبيلها ، وكانما غريزة الامومة لا تعنيها فى قليل او كثير ، وعندئذ يقع العبء كله على الذكر ، فيظهر له ذلك النسيج الاحمر الغنى بالشعيرات الدموية ، وفيه يتحول الدم الى افراز اخر ، فيه للصغار لذة ونمو وحياة ، ثم انهم لا يرضون بغيره بديلا .

هذه اذن نواميس الحياة مع اسماكها ، فماذا فعل البشر ؟

الانسان •• ذلك الانانى !

يخطىء كل من يظن ان الرضعة الصناعية لا تختلف كثيرا عن الرضعة الطبيعية ، او قد تكون الصناعية - على حد قول الاعلانات الخادعة - اوفر عناصر ، واعظم غذاء واكثر فائدة للرضيع ، وبحيث تمنحه صحة وقوة كقوة « كنج كونج » العجيب !

وصغار الانسان ليست كصغار السمك ، فحيث تعاف ذرية السمك البان غيرها . نجد اطفال الانسان ترضع كل ما نقدم لها من البان ، حتى ولو كان اللبن لبن حمار •• ثم انها لا تستطيع

ان تميز بين هذا وذاك ، لكن الامور قد اختلطت علينا ، وحسبنا ان ما قدمه العلم من رضعـــات صناعية ، تحتوى على كل العناصر الاساسية ـ حسبنا ان ذلك هو غاية المراد ، او انه حسنة من حسنات العلم ليبقى على الاثداء رونقها وبهاءها ٠٠ فعيب المرأة العصرية انها هجرت رضاعة وليدها من لبنها ، بحجة ان ذلك يحفظ عليها صحتهـــا وجمالها ، ولا يستنزف عناصرها ، واستعاضـــت عن ذلك بزجاجات او رضعات صناعية ، وهذه ـ بلا شك ـ تترك بصماتها عليها وعلى وليدها دون ان تدرى ٠

فالرضعة الطبيعية من ثدى الام تختلف فى امور كثيرة عن الرضعة الصناعية من زجاجة ، فهى اولا مسالة متاركة وجدانية وعاطفية وفسيولوجيـــه وبيوكيميائية ٠٠٠ الخ بين الام ووليدها ، لكن هذه مواضيع قد يطول فيها الحديث ويتفرع ، وعلينا ان نتعرض هنا فقط الى ما نراه مناسبا لموضوعنا ٠

فالذين يعتقدون ان اى لبن يستطيع ان يحل محل لبن آخر فى ارضاع الطفل لا شك انهم فى اعتقادهم هذا مخطئون ، فلبن الابقار او الجاموس او الماعز ٠٠٠ الخ لا يتشابه مع لبن انثى الانسان فى بعض الخواص ، وكانما كل لبن قد جـــاء ليناسب رضيع النوع الواحد ، ونحن لا نريد هنا ان ندخل فى معادلات وتحليلات وتفاصيل علمية لكن يكفى ان نذكر ان اللبن الذى ينساب مـــن ثدى انثى الانسان ذو تكوين مثالى لتغذيـــة طفل الانسان كما ان هذا اللبن الانسانـــى ذو تركيب متوازن ، بل هو اكثر توازنا من لبـــن الابقار ، فهذا يختلف عن ذاك فى نسب السكريات والدهون والبروتينات ، وما جاء مناسبا لمعـدة او أمعاء عجل رضيع ، لا يناسب تماما امعاء طفل رضيع ٠٠ صحيح ان طفل البشر لن يضرب عـــن تناول هذا اللبن الحيوانى ـ كما تفعل صـــغار بعض انواع السمك ، لكن ذلك اللبن لن يكون مثاليا كلبن الام خاصة ، والنوع عامة (اى النوع الانسانى عموما ، لان البانه واحدة) ٠

فمن الدراسات والملاحظات التى تجمعت فـــى هذا المجال ، تشير الاحصائيات الى ان الذيـــن يرضعون من صدور امهاتهم يصبحون اقل اصابة ببعض امراض الحساسية من الذين يرضعون من غير اثداء امهاتهم ، كما ان الذين يرضعون طبيعيا لا يصابون بالميكروبات بنفس الدرجة التى يصاب بها الذين يرضعون من زجاجة ، فراضعو الزجاجة يصابون اكثر ، وهذا يرجع الى كون لبن الام الطبيعى يحتوى على مواد بروتينية من ذلك النوع الذى نطلق عليه اسم الاجسام المضادة ، وهى نوع من البروتينات « الحربيـــة » التى تعتبر سلاحا رادعا من اسلحة الدفاع والمناعة ، ولا شـــك انها تقف مع الرضيع فى بداية ضعفه ومحنته ، خاصة وانه لا يزال وافدا جديدا على هذا الكوكب وان اجهزته الدفاعية لم تتعرف بعد على ابعاد الصراع القائم حولها ـ نعنى البكتريا والفيروسات والفطريات ٠٠٠ الخ ٠

واللبن الذى ينساب من ثدى الام الى فم رضيعها مباشرة لا يجاريه اى لبن اخر ، او هو كما يعبر عنه الجراح الشهير دكتور جون هارفى كيلوج فى كتابه « التسمم الذاتى » فيقول « ان اللبن صورة من انسجة سائلة ، وهى كاى نسيج ، يتكون على حساب الدم ، ولهذا يحمل فى ثناياه بعض خواص ذلك الدم الذى انتجه ، وعندما يكون طازجا وحاملا لحرارة الكائن الذى افرزه ، فانه يمتلك بعض القدرة على محاربة وتدمير الجراثيم ، اذ يحتوى على بعض الاجسام المضادة الموجودة فى الدم » ٠٠ وهذا ما لا نستطيع ان نحصل عليه من الرضعات التخليقية او الصناعية ، حتى ولـو اكثرنا مـــن محتوياتها الغذائية !

اول لبن ٠٠ ليس كمثله لبن !

على ان هناك حكمة كبرى تكمن فى تكوين الرضعة الطبيعية ذاتها وفى تزامن ذلك التكوين مع عمر الرضيع ، فهو ـ بلا شك ـ سيدخل خبرة جديدة مع جهازه الهضمى الحساس، ولكى يبدأ هذا الجهاز فى ادارة عملياته ، كان لا بد ان تكون الخامـــة مناسبة تماما لبداية التاهيل والتشغيل ، ولهذا فان اول لبن يتلقاه الرضيع من ثدى امه يختلف عن اللبن الذى يرضعه منها بعد ذلك بعدة ايام ٠

فاول عدد من الرضعات ليست ـ فى الحقيقة ـ لبنا صافيا ، بل لبن « تمهيدى » او قل انها وجبة خفيفة صالحة ومناسبة تماما للغرض الذى جاءت من اجله ٠٠ فهى عبارة عن سائل اصفر خفيف ضارب الى البياض ، ويحتوى على نسبة من المواد البروتينية والاملاح غير العضوية اعلى من مثيلته

في اللبن الذى يدره الثدى بعد ايام ، كما ان هذا السائل الخفيف اقل في محتواه الكربويدراتـي والدهنى عن اللبن الحقيقى !

وطبيعى ان هذه الوجبة الخفيفة لا تشكل عبئا على جهاز الوليد الهضمى ، بل تعطيه كل شيء بحساب ومقدار ، ويستمر هذا السائل الاصفر الخفيف يتدفق من ثدى الام لمدة ثلاثة ايام او اربعة ، ومع مرور الايام يحل اللبـن الطبيعى تدريجا ، ويقل فيه معيار هذا السائل الذى جاء ليجهز ويمهد ، حتى يتكيف الجهاز الهضمى بما يتلقى بعد ذلك من جرعات تتناسب وقدراته !

ولاشك أن الغذاء المتوازنوالمناسب لعمر الوليد من اول يوم يفد فيه الى الحياة هو ما جادت به الحياة ، ثم ان اى حيود عن هذا الطريق ، قد يؤدى الى اضرار لا تحمد عقباها ، فزيادة نسبة السكر في التغذية الصناعية ـ على سبيل المثال ـ عن مثيلتها في الرضعة الطبيعية قد تؤدى ـ على حسب قول دكتور يوليوس اوزيك الاستاذ بجامعة نيويورك الى عادات غذائية ضارة لا يمكن كبح جماحها ، مما قد ينتج عنه اختلال وظيفى او بيوكيميائى او عضوى او ما شابه ذلك . « فمعظم تركيباتلبن الابقار المضافاليها موادكربوهيدراتية زائدة عنمعدلها فى لبن الام ، تمارضاعها للاطفال فى زجاجات ، قد يهيىء انسجتهم من البداية لطلب مزيد من السكريات ،فتتحول الى انسجة دهنية فسمنة لا يمكن مقاومتها ، وللسمنة امراضها بغير شك » !

منفعــة متبادلة !

لكن ارضاع الطفل طبيعيا من ثدى امه ليس فقط فائدة او صفقة من جانب واحد ، اى صفقة الرابح فيها هو الرضيع بما يحصل عليه من لبن، بل أن هناك منفعة متبادلة بين الام ورضيعها علىحد قولدكتور آشلىمونتاجو عالمالانثربولوجى الشهير .

فمن بداية اللحظة التى يولد فيها الطفل ، كان لا بد من وجود مشاركة حسية وعاطفية متبادلة بين الام ووليدها .. ومنذ هذه اللحظة ايضا ، فان الوليد يستطيع ان يقدم لوالدته فوائدكبرى ، لكن على شرط الا تنقطع الصلة الوثيقة التـى تربط الاثنين برباط مقدس ، واهم ما فى ذلك الرباط ان ترضعالام وليدها من ثديها منالبداية.

ويؤكد آشلىمونتاجو ذلك بقوله : لقد ثبت ـ وبما لا يدع مجالا للشك ـ أن الوليد اذا ترك مع امه بعد الولادة لتحتضنه ، واذا منحتــه ثديهـا ليرضع ، فان ثلاث مسائل شائكة يخشاها اطبـاء الولادة من سنوات طويلـة قـد تحلهـــا الرضعـة الطبيعية فى التو واللحظة .

فاولى هذه المسائل الشائكة قد تظهر فى هيئة نزيف بعد الولادة .

وثانيتهـا تقلص الرحم ورجوعـه الى حجمـه الطبيعى .

وثالثتها ختام عملية الولادة بانفصال المشيمة .

هذه المسائل الثلاثة يمكن تجنبها وتيسيرها فى معظم الحالات بعملية طبيعية وبسيطة للغاية .. عملية لا تخرج عن تقديم ثدى الام للوليد ليرضع، وعندئذ يتضا.ل النزيف ، ويعود الرحم الى وضعه فى اقل وقت ممكن ، وتسقط المشيمة دون مجهود يذكر !

والواقع ان عملية الرضاعة الطبيعية ليست عملية ميكانيكية كالتى تحدث مثلا بـين الرضيع وزجاجة جامدة من لبن لا حياة فيها ولا حركة ، انما العاطفة الحقة ، ونبض الحياة الدافق يتمثل فى تلك العلاقة الخاصة جدا بين كائنين حيين ، ومن هذه العلاقة تتحدد بعض شخصياتنا وسلوكنا فيما بعد ، والتجارب التى اجراها العلماء على مواليد الانسان والحيوان تشير الى ذلك ، كما انها توضح انه ليس بالرضعة وحدها يعيشــس الوليد ، وليس بالزجاجة وحدها ينمو نموا سويا، بل لابد من وقت محدد يقضيه الرضيع على صدر امه ، وان تصل ما امر الله ان يوصل ، فمع كل ضغطة مـن شفتـى الرضيع تشتغل جيوش مـن الهرمونات ، وتنطلق الاف من النبضات العصبية خلال الاعصاب الحسية الواصلة بين المخ والثدى لتجعلمن هذه العملية سيمفونية رائعةمنسيمفونيات الحياة ، فتشكل كيان كائن قادم ، وكما اراده الله .. لا كما اراده الذين تفلسفوا وقدموا بديلة فى زجاجة اذ ليس كرضعة الام رضـاع لو كنتم تعلمون ، ولنا فى السمك عبرة ، وفيه الكفاية لقوم يفقهون !

■■

الاسكندرية ـ د . عبدالمحسن صالح

اقوال معاصرة



■ حرب اكتوبر لن تكون آخر الحروب اذا لم تساهم اسرائيل فى مسئولية اقرار السلام •

انور السادات

■ لم اكن اعتقد اننى فى حياتى المليئة بالمآسى يمكن ان اعيش هذا الحدث السار •

الملك حسين بعد اعلان زواجه الرابع

■ ينفق العالم مليار دولار يوميا على التسليح ، وهو مبلغ يعادل الناتج القومى لامريكا اللاتينيه ،وضعف الناتج القومى لافريقيا ، كما انها تساوى ماينفق على الصحة فى العالم كله•

الرئيس الفرنسى ديستان فى مؤتمر نزع السلاح

■ لاننا ندعم الفلسطينى ، فقد اتهمونا ظلما بمساندة الارهاب الدولى •

العقيد معمر القذافى



■ لو ان اهتمامى كان مقصورا على عملى القانونى فقط ، لكنت قد مت فكريا خلال عامين ، وجسمانيا خلال اربعة اعوام •

الرئيس الامريكى السابق ريتشارد نيكسون فى مذكراته

■ لا يستطيع اى مسئول فى العالم العربى ان يفرض آراءه وتصوراته للاحداث على بقية انحاء الوطن العربى •

الامير فهد بن عبد العزيز



■ ساحة معارك الشرق الاوسط ليست فى مرتفعات الجولان ولا فى صحراء سيناء ، بل انها هنا فى واشنطن سواء شئتم ذلك ام ابيتم •

السناتور الامريكى العربى الاصل جيمس ابورزق

■ ان المعركة بين السكاكين ورقاب العصافير ، معركة قديمة • ونظرة واحدة الى السماء ، والى ملاين الاجنحة التى تخترق المدى الازرق كل صباح ، تؤكد ان المعركة تنتهى دائما بانتصار العصافير !

الشاعر نزار قبانى



■ اسرائيل لا تعتمد على الضمانات الدولية ، فهذه الضمانات بحاجة الى ضمانة اخرى تضمنها ، ولا وجود لمثل هذه الضمانة فى العالم كله •

مناحيم بيجين

■ بسبب الظروف المعقدة التى تحيط بالاتفاق حول أمن الخليج ، فان ايران تضع فى حسابها أن تؤدى هذه المهمة وحدها اذا لزم الامر •

الامبراطور رضا بهلوى

في عام ١٩٦٥ ،اخرج صلاح عبد الصبور مسرحيته الشعرية الاولى : «ماساة الحلاج» •ووظف فيها شعره المترف الصافي للتعبير عن ماساة الحلاج وماساة كل روح مرهفة وعقل نير : ماذا يفعل الحلاج بالحقيقة التي وقعت له ؟ هل يدعو الناس الى تبنيها ؟هل يكتمها في قلبه ؟وماذا تجدى الحقيقة في العالمين ؟ ان هو دعا اليها الناس فربما تعلقوا بها ،وساروا في طريقها ، وعملوا على اعلاء شانها فنالهم اذى كبير يجلبه عليهم الحكام ودعاة الظلم •وان كتمها في قلبه فماذا تكون جدوى الحقيقة ؟ وما الذى يفيده منها مكتشفها ،اذا ظلت حبيسة صدره؟

الثائر القديس في مسرحية مأساة الحلاج



صلاح عبد الصبور

بقلم : الدكتور على الراعى

وماساة الحلاج بهذا الوصف هى بعض من ماساة كل ثائر : يرى الظلم ويتبين وجه العدل • فان هو رزق القوة والصلابة ، حارب من اجل ان يرتفع الظلم عن الناس ، وان هو وهن ، وتحرج وآثر العافية ، كتم الحق فى نفسه ، ووجد طريقا يرضى به نفسه ، ويسكت روحه المتوثبة •

دبما يضيق الثائر بما تفرضه الحقيقة على ضميره الحي من اعباء ، كما ضاق صدر هاملت ، او ربما مشى ومعه الحقيقة ، دون سند كاف من الناس ، ولا تحين للفرصة او الزمن المناسبين، كما فعل جيفارا • وربما دعا الى الحق فى الفاظ تحير الحكام وتثير عليه الشرطة ، ثم لا تدع الفرصة للناس كى يتقدموا لحماية ذلك الذى ثار من اجلهم مثلما كان حال المسيح وحال الحلاج •

ويزيد من تعقيد المسالة فى حالة الحلاج انـه صوفى وانه يرى ان لا حق له فى ان يكشف للناس ماوقع له من حقيقة اوصلها اليه الله • وهنا يكون الحرج مؤذيا اشد الايذاء • حرج من يفشى سرا الهيا لينفع الناس ، ثم يجد ان هذا الافشاء قد اغضب عليه من عاش طيلة حياته يسعى الى مرضاته •

والواقع ان ماساة الحلاج تطرح من تحت ردائها الصوفى النير والجميل مشكلةالعمل الثورى وكيف يكون • يدور الحوار بـين الحلاج وبـين صديقه الشبلى :

الحلاج : هل تدرى يا شيخى الطيب
لم نور ربى قلبك ؟
الشبلى : هذه حالى ياحلاج •
لن تحسدنى ،ومعاذ اخوتنا ان يخطر فى بالك
ان تحصى مايلقى عبد من نعمة مولاه
لكن لا تسالنى أيضا •• ما يدرينى ؟
احوال الصوفيين مواهب •
الحلاج : لا ،انى اشرح لك •
لم يختار الرحمن شخوصا من حلقه
ليفرق فيهم اقباسا من نوره
هذا ، ليكونوا ميزان الكون المعتل
ويفيضوا نور الله على فقراء القلب

غير أنالشبلى يرفضهذا المنطق ويرى انهقد يسلمه الى السقوط :

انى اخشى ان اهبط للناس
قد ابسط اجفانى فوق الدنيا
وارى يسراها ، اتمنى النعمى واليسرى
وارى عسراها ، اتوقى العسرى
ويموت النور بقلبى •

ويقول الحلاج :

هبنا جانبنا الدنيا
ماذا نصنع عندئذ بالشر ؟
الشبلى : الشر
ماذا تعنى بالشر ؟
ماذا
الحلاج : فقر الفقراء
جوع الجـوعى ، فى أعينهم تتوهـج الفـاظ
لا أوفى معناها •

ولكن الشبلى يرفض هذا ايضا ،ويرى انالشر قديم فى الكـون ، وهو أريد بمن فى الكـون ، ليعرف الله من يطيعه من عبادهومن يتنكب طريقه•

فى منتصف الطريق

يزلزل كلامالشبلى نفس الحلاج،ولكنه لا يقنعه• ذلك ان الحلاج قد سار نصف الطريق نحو الثائر الذى يضع كلماته موضع التنفيـذ : أرسل الى بعض من وجوه القوم رسائل خاصة ،وتلقى منهم أجوبة مرضية • وعدوه ان ملكوا الامر ان تحلو سيرتهم ويعطوا الناس حقوق الناس على الحكام حتى يجاوبهم هؤلاء بحقوق الحكام على الناس •

ويقال له : وماذا لو خانوك فيما بعد ؟فيقول: أكون قد خبت أنا ، ولكن ، لم تخب كلماتى !

غير أن الحلاج لا يمضى فى هذا الموقف العملى قدما ، ليجمع من حوله الناس• بل أنه ليصرفهم من حولهحين تقبض عليهالشرطة ويدفعونبه الىالمحاكمة فيقول أحد الصوفيين للمجتمعين من فقراء الناس : لقد اخذوه من اجل دفاعه عنكم • من اجلتنديده بالفقر ومن يصنعونه • ويتجمع الناس ، ويعلو صوتهم دفاعا عن الحلاج فيقول هذا لهم :

لا ياأصحابى
لا تلقوا بالا لى
استودعكم كلماتى
عودوا ، عودوا
ودعونى ،حتى تنفذ فى بدنى
لتؤدبنى
الفاظ عقاب المحبوب النارية •

هذا العزوف عن العمل من اجل تحقيقالعدالة بقوة الناس وبسيوف العدل ، يبديه الحلاجايضا وهو فى سجنه يناقش احد السجينين اللـذين زاملاه فترة حبسه • يرفض الحلاج ما يطالب به السجين الثانى من استخدام القوة لاستئصال الشر• فيقول السجين وهو يحاوره : هل تقضى عمـرك مقهورا فى ظل الجدران ؟ لم لاتهرب ؟ ويساله الحلاج : ولم اهرب ؟ فيقول السجين : كى تحمل سيفك من اجل الناس • فيقول الحلاج : من لى بالسيف المبصر ، الذى يميز بين الشرير والخيِّر ، فان هذين ليتشابكان احيانا حتى لايقدر علـى

فصلهما الا الله • ثم يبكى الحلاج حيره واسى ويسال نفسه : هبنى اخترت لنفسى : هل أرفع صوتى ، أم ارفع سيفى ؟ هذه الحيرة بين القول والفعل هى التى تسلم الحلاج الى الموت •

ان السجين الثانى يهرب من سجنه ، وحين يسمع من بعد بمحاكمة الحلاج يجمع الناس من حوله ، ويدفعهم الى التظاهر دفاعا عن الحلاج، وينجح فى هذا الى درجة تزعزع السلطات ، فيأتون بالحلاج الى قاعه المحكمة مرورا بالطرق الخالية من الناس • ثم يموت السجين من بعد فى معركة مع جنود السلطان ، فيظل امينا للرأى الذى ارتآه من ضرورة قهر الظلم بالقوة •

اما الحلاج فهذا ما قاله عن نفسه حين واجهته مشكلة وضع كلماته موضع التنفيذ :

الحلاج : عاينت الفقر يعربد فى الطرقات
ويهدم روح الانسان
فسألت النفس :
ماذا اصنع ؟
هل ادعو جمع الفقراء
ان يلقوا سيف النقمة
فى الشدة الظلمة ؟
ماأتعس ان نلقى بعض الشر ببعض الشر
ونداوى الما بجريمة •
ماذا اصنع؟
ادعو الظلمة
ان يضعوا الظلم عن الناس
لكن هل تفتح كلمة
قلبا مقفولا يرتاج لهبى ؟
ماذا اصنع ؟
لا املك الا ان اتحدث •

والمشكلة ان الحلاج لا ينقصه ماسميه اليوم بالوعى الثورى فهو يرى ان قبس النور الذى يبثه الله فى صدر الصوفى ،نما قصد به ان يحمل الصوفى على رد ميزان العدل المختل الى اعتدال، وان يفيض من نور الله على فقراء القلب •

الفقر هو القهر

وهو يعرف كذلك فقر الفقراء ،وجوع ال..

ويحس احساسا عميقا بحال المسجونين والمصفودين يسوقهم شرطى غاشم ، بسوط لايعرف متى وضعه فى يده : كما يشعر بحرارة فقدان الحرية وخضوع الرجال والنساء كارهين الى ظالمين يطالبونهم بأن يتخذوهم اربابا من دون الله •

ان الحلاج ليدرك المعنى الاعمق للفقر فيقول لقضاته :

ما الفقر ؟
ليس الفقر هو الجوع الى المأكل والعرى الى الكسوة
الفقر هو القهر
الفقر هو استخدام الفقر لاذلال الروح
الفقر هو استخدام الفقر لقتل الحب وزرع البغضاء
الفقر يقول ـ لاهل الثروة ـ
اكره جمع الفقراء
فهم يتمنون زوال النعمة عنك
ويقول لاهل الفقر
ان جعت فكل لحم أخيك •

فهو اذن يدرك ابعاد القضية كلها • ولكنه غير راغب ـ وهو ـ فى النهاية ـ غير قادر على أن يسير الطريق كله نحو الثورة المجدية •

والى جوار موقف الحلاج ، يعرض صلاح عبد الصبور نماذج من مواقف اخرى من العمل الثورى ، يقفها بعض شخصيات المسرحية • وعلى رأسهم الشبلى ، صديق الحلاج •

منذ البداية يعارض الشبلى وضع الحقائق الصوفية فى خدمة الناس • ذلك ان على كل منا ان يتدبر درب خلاصه ، فاذا صادف الدرب فليسر فيه وليجعله سرا ، ولا يفضح ابدا هذا السر •

اى ان الشبلى لايؤمن بخلاص الجوع ،وانما بخلاص افراد محظوظين افضى الله اليهم سره ، فضمنوا النجاة يوم الحساب ولهذا فهو حين يستدعى للشهادة وابداء الرأى فيما قاله الحلاج من أن الله حال فيه ، يرفض أن يمضى فى الحديث ويقول لقضاته :

كل منا يتحدث عن حاله
أو يصمت حين يشاهد •
الحلاج يرى ،

فيجن من الفرحة حتى يهذى ويعربد
وانا اتلذذ فى صمتى ٠

ثم يقول الشبلى لمضاته : دعونى اوعى حالى واصرفونى فانى قد عاهدت الله الا افشى نعماءه ٠ الا اكشف وجه الاسرار ٠ الا ،تحدث عن حالى قط ٠ ويلح ،الشبلى فى السؤال والتوسل ،حتى يؤذن له بترك قاعة المحكمة ٠ فيخرج لا يلوى على شيء ٠ يخرج مرتاعا ،غير ملق بالا الى المصير الذى ينتظر صديمه الحلاج ٠ ان هذا المصير امر خاص بين الحلاج وربه !

وكان الحلاج قد دفع به الى الحبس ،فادخل الى زنزانة تضم سجينين آخرين ٠ ورأى السجينان الوافد الجديد فقررا أن يتخذا منه مسلاة ، وان يجعلوه هزوا فناوشاه بالاسئلة ، الى ان تبينا انه اعلى واجل قدرا من هذا ، فانتبه اليه السجين الثانى خاصة ، واخذ يستمع اليه فى اهتمام ٠ قال الحلاج :

الوالى العادل
قبس من نور الله ينور بعضا من ارضه
اما الوالى الظالم
فستار يحجب نور الله عن الناس
كى يفرخ تحت عباءته الشر

غير ان السجين الثانى لا يقنع بهذا الكلام ويصرح بان أقوال الشيخ «أقوال طيبة» لكن لا تصنع شيئا ٠ ثم يروح يحكى له طرفا من حياته ٠فهو فى طفولته كان يتطلع ،ى ان يصبح عالما حكيما وكانت امه تسمعه يردد الاقوال البراقة كالفخار المدهون ، فتطيب نفسها ، وتدعو الله ان تعيش كى ترى ابنها استاذا فى بيت الحكمة او قاضى شرع ،او والى ربع ، او شيخا صاحب نعمة ٠ ولكن الام مرضت ٠قعدت ٠عجزت ٠ ماتت ٠ لم تمت جوعا ، فهذا تبسيط ساذج ، يلتذ به الشعراء الحمقى والوعاظ ،لاوغاد ، حتى يخفوا بمبالغة ممقوتة وجه الصدق القاسى :

أمى ماتت جوعا ، أمى عاشت جوعانة
ولذا مرضت صبحا،عجزت ظهرا،ماتت قبل الليل٠

ويطلب الحلاج لروحها الرحمه ،فيقول السجين الثانى : بل فليعلن من قتلوها ٠ فهى ما ماتت بل قتلت ٠ قتلهامن لم يعطوها ما يكفى كى يطعمها ويطعم ابنها ٠ اولئك الذين جعلوا الابن ياكل لحم الاحياء ليشب ٠ يتخذ طريق الجريمة كى يعيش ٠ ثم يسال السجين الحلاج : قل لى : هل تصلحهم كلماتك ؟فيقول الحلاج : هل يصلحهم غضبك ؟٠

وهكذا لايتفق الثائران ٠ومن ثم يهرب السجين ويبقى الحلاج ينتظر مصيره مع السجين الاول٠ بينما يتخذ السجين الهارب طريق الكفاح العملى٠

والطريف ان السجين الاول تجذبه كلمات الحلاج، حتى لينهج نهجه ويرفض ان يهرب مع السجين الثانى ، حين دعاه هذا الى الهرب ، ويفضل ان يبقى مع الحلاج يرعى ذلك ،لنبت الغامض الذى نبت فى روحه من كلمات الحلاج ٠ غير ان الحبس يطول وسعادة السجين الى جوار الشيخ لا تلبث ان تنقضى فيقول :

ياخيبة سعيى
احببتك حتى قيدنى حبك
فى هذا الفخ كأنى فار ممعد
ليسامحك الله !
بكلامك ضيعت حياتى ٠
بكلامك ضيعت حياتى ٠

لقد اثر الحلاج أن يسير سيرة السيد المسيح وهذا ما يلاحظه السجين الثانى فورا ٠ فهو رجل ذكى ٠ يقول له : أمسيح ثان أنت ؟ فينكر الحلاج انه يستحق هذه المنزلة الرفيعة ٠ فما مهمته الا احياء الارواح الموتى ٠ فيساله السجين : وبماذا تحيى الارواح ؟ فيقول الحلاج : بالكلمات !

الدائرة مفرغة ٠ والحلقة غير مقطوعة ٠ومأساة الحلاج لا مفر منها ٠

★★★

فى المسرحية صراع واضح بين اطراف متعددة٠ بين الحلاج والحكام ٠ بينه وبين الشبلى حول مفهومين للعمل الصوفى ٠ بينه وبين السجين الثانى حول الكلمات وبينه وبين نفسه حول الطريق الذى يتخذ : يرفع صوته أم يرفع سيفه؟ والصراع الاخير هو الذى يعطى المسرحية نبضها ، وحيويتها، ويجعل من التكامل معها شيئا كثير الامتاع ٠

غير ان احسن ما فيها هو تصويرها لعزلة الثائر

القديس وهي عزلة يفرضها عليه اخلاصه لما يرى، وشجاعته في الدفاع عما يرى وتفرده عن العالمين . الشبلي اداره ظهره لحبل المشنقة . السجين الاول ندم على انه نهج نهج الحلاج . وحتى جموع الناس الذين دافع عنهم الحلاج اسهموا في تسليمه للعدو : اتباع السلطان وضعوا في كف كل منهم دينارا من ذهب فان، وقالوا لهم: صيحوا : زنديق كافر ، فصاحوا : زنديق كافر ! والله وفية قتلوه حين احبوا كلماته اكثر مما احبوه هو ، فتركوه يموت لكي تبقى الكلمات !

فالحلاج اذن وحيد ـ وحدة الثائر الفرد ، الثائر القديس . في مثل موقعه صرخت جان دارك من قلب ملتاع وهي ترى اصحابها وزملاءها ومن حاربت معهم جنود الانجليز ، يتخلون عنها واحدا واحدا : «انني وحيدة .. الله وحيد . »

وفي المسرحية كذلك شيء ثمين لا تستغني عنه المسرحيات الجيدة ، الا وهو : تعريض الاراء التي تعتنقها وترددها الشخصيات لتيار من الفحص والنقد المتصلين .

الحلاج على علو شانه وصدقه يتعرض لهذا النقد وتبرز المسرحية عدم جدوى كلماته ، على لسان الشخصيات الاخرى ، وعن طريق توالي الاحداث .

الشبلي ينقد نفسه وموقفه المستضعف ، حين يرى صديقه وحبيبه معلقا في المشنقة ويقول :

لو كان لي بعض يقينك

لكنت منصوبا الى يمينك

لكنني استبقيت ، حينما امتحنت ، عمري

وقلت لفظا غامضا معناه ،

حين رموك في أيدي القضاة .

أنا الذي قتلتك .

أنا الذي قتلتك .

وفي المسرحية ايضا اهتمام واضح بتصوير كل الشخصيات ، صغيرها ، وكبيرها . الاخيار بينها والاشرار . ان ما يجرى في قاعة المحكمة من حديث فاحش ولغو متفاخر بين القاضي ابي عمر وابن سليمان ـ وهو حديث يحتج عليه القاضي ذو الضمير الحي : ابن سريج ، ليرسم في براعة شخصية كل من الثلاثة .

وما يجرى في الزنزانة بين السجين الاول والسجين الثاني من هزر ومزاح مريض ثم ثورة ...

يوضح شخصية كل منهما ويبرز اثر السجن المدمر على ارواح الناس .

وفي ماساة الحلاج «ايضا تلك الحيلة المسرحية البارعة التي استهل بها صلاح عبد الصبور مسرحيته حين ابرز الحلاج معلقا في فرع شجرة ، وجعل طوائف من الناس تتداول في امره : من قتله ، ولم قتل ؟ ثم اظهر بعض من تعامل معهم الحلاج في حياته وجعله يتحدث عن دوره في الماساة التي انتهت بشنق الحلاج .

ان هذه الحلية تعطي بعدا آخر لشخصية الحلاج . اذ تصوره وقد تحول الى قديس ، تقسم الناس ان تحفظ كلماته وترددها . وتبذرها في الارض وتسمعها للريح ، وتخبئها بضاعات التجار ، وتخفيها افواه حداة الابل ، وتدونها في الاوراق المحفوظة بين طوايا الثوب ، وتجعل منها اشعارا وقصائد . فالحلاج اذن لم يهزم . ولم يمت .

وهي حيلة تشبه من قريب ما فعله برنارد شو في مسرحية : « القديسة جان دارك » ، حين جعل لمسرحيته مشهدا ختاميا ، ياتي في اعقاب نهاية المسرحية . ويمثل جان دارك بعد أن قررت الكنيسة في القرن العشرين اعتبارها قديسة ، ثم تظهر اشباح من تعاملت معهم في حياتها وتاخذ القديسة تحادث كلا منهم فيما كان منه .

ثم يعلق صلاح عبدالصبور تعليقا مرا على المواقف جميعا ، وعلى ماساة الكفاح من اجل اناس لا يعون ولا يبالون ، حين يجعل ابو عظ يقول وقد اخذوا الحلاج الى السجن :

باح ..

بم باح لكي تاخذه الشرطة ؟

لا ادرى . وعلى كل فالايام غريبة

والعاقل من يتحرز في كلماته

لا يعرض بالسوء

لنظام أو شخص أو وضع أو قانون أو قاض أو وال أو محتسب او حاكم .

★ ★ ★

على الانسان ان يزهق روحه ، اذا اراد ان « يحيا » !

الكويت د . علي الراعي

•• وقراءة الاسلام بعين واحدة:

الدين للإنسان والعكس ليس صحيحاً!

بقلم : فهمي هويدي

لاننا في مرحلة الحاجة الى التذكير بالبديهيات ، بعدما صرنا نسال عن العقل نستخدمه او لانستخدمه ، وعن تحرير الارض يتم عبر الفنادق ام الخنادق ، وعن الاسرائيليين أعداء هم ام اصدقاء ، وعن العروبة اختيار هي ام قدر •• •• بعد هذا كله ، ارجو أن يؤذن لي أن اذكر بواحدة من بديهيات الفكر الديني ، التي غابت عن الكثيرين فيما يبدو ، وهي ان الدين وسيلة لاغاية ، وان الدين للانسان وليس العكس •

اقول ذلك ايضا بعدما تابعت خلال الاسابيع الاخيرة ، فيما يسمى بالصحافة الاسلامية ، عديدا من المقالات والتعقيبات والتصريحات ، التي تعبر عن رؤية غاية في الضيق والقصور ، لموقف الاسلام من غير المسلمين ، وبعدما اثار انتباهي فيما يكتبه المفكرون وعلماء المسلمين ، ان اكثرهم يتحدث عن الاسلام منفصلا عن الانسان . اذ يتوجهون بالخطاب الى المسلمين وحدهم ويسقطون من عداهم من الحساب ، الامر الذي حجب عن الاخرين فرصة استكشاف رؤية الاسلام للانسان •• مجرد كونه انسانا ، بصرف النظر عن دينه أو لونه أو عرقه •

لقد شغل المسلمون بانفسهم زمنا طويلا ، وربما كان معهم عذرهم في ذلك • فالمحن التي حاقت بهم في عصور المد والانتصار ـ الحكم الاموي وبدايات الحكم العباسي ـ ثم تلك التي لازمتهم حتى عصور الجزر والانكسار ـ اواخر الخلافة العثمانية ـ هذه المحن افرزت حالة من انكفاء المسلمين والغالبية العظمى من مفكريهم على ذواتهم •• على همومهم وجراحهم الخاصة • وما زالت مبررات هذا الانكفاء ودواعيه قائمه.

ونتيجة لتلك الاسباب فقد ظل المجتمع الاسلامي أسير معاناته ، وظل المفكر الاسلامي مشغولا بهذه المعاناة • والذين افلتوا من هذا الاسار قلة نادرة ، استطاعوا ان يرفعوا رؤوسهم من الهموم التي اغرقتهم وان يروا « الآخرين » حولهم • وعندما ازاحوا تلك المرايا التي ظلت تعكس صورهم وحدهم ، رأوا مشهدا مختلفا بل فريدا : الاسلام عندما يخاطب الانسان • وكان نتاجهم المتاز الذي عالج قضية الدين والانسان من منظور متميز تماما عما هو سائد ومستهلك في « سوق » الفكر الديني •

●

ولقد كتبت من قبل عن « قراءة الاسلام باعين مغمضة » ، التي تعتمد اسلوب الترديد بغير فهم ، باللسان وبغير تمرير على العقل ، او اسلوب اطلاق الاحكام في غير مواضعها ولغير مقاصدها • لكن القضية التي نحن بصددها الآن تعبر عن موقف آخر ، هو اقرب

الى « القراءة بعين واحدة » ، اذا صح التعبير، وهى التى تعنى ان نفهم ونستوعب جانبا من الاسلام ، ونسقط جانبا آخر ، بالغفلة او بالجهل او بالعمد !

نحن اذا فى مواجهة حالة « تعتيم » ، بلغة الساعة ، استهدفت وجها للاسلام له قسماته المضيئة والمشرقة . ولا اعرف متى نستطيع ان نتصدى لجيوش الظلام هذه الزاحفة حولنا من كل اتجاه . وان كنت على يقين من ان ذلك بمقدورنا ، على « الجبهة الفكرية » على الاقل ، بشرط واحد هو : ان نستبدل الهراوات التى نتحاور بها ، الى شموع نستضىء بها ونتقدم على هداها !

●

وكما قلت ، فاننا نحاول العودة الى البديهيات والمسلمات ، نزيح من فوقها اكوام التراب ، وننفض قدر طاقتنا تلك اللفائف والاستار الكثيفة التى حجبتها واخفت معالمها .

تعالوا نقرأ ، بعينين مفتوحتين كلما امكن ، بعض آيات القرآن فى قيمة الانسان :

ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر (الاسراء ٧٠) ـ وصوركم فاحسن صوركم (التغابن ٣) ـ واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الارض خليفة (البقرة ٣٠) اذ قال ربك للملائكة انى خالق بشرا من طين . فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين (ص ٧١) ـ واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ، فسجدوا الا ابليس ابى واستكبر وكان من الكافرين (البقرة ٣٤)

ملحوظة : تكررت الاشارة الى الامر الالهى للملائكة بالسجود لآدم فى ٧ مواضع اخرى بالقرآن : الاعراف ٢١ ـ الحجر ٢٩ ـ الاسراء ٦١ ـ الكهف ٥٠ ـ طه ٧٢ و ١١٦ .

وفى ختام هذه النقطة نقرأ ذلك الخطاب الموجه الى بنى الانسان : الم تروا ان الله سخر لكم ما فى السموات وما فى الارض ، واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة (لقمان ٢٠) .

تقول هذه الايات الكريمة باختصار شديد : ان الانسان مخلوق مكرم « خلقه الله على صورته » كما فى الحديث الشريف ، الذى شرحه الامام النيسابورى بقوله ان الله أعطى للانسان على ضعفه من كل صفة من صفات جماله وجلاله نموذجا ، وهو خليفة الله فى الارض المسئول عن « عمارة هذه الارض عمارة روحية ومادية » ـ وقد نفخ الله فيه من روحه ، اى منحه بعضا من سره العظيم ، ليكون جديرا بهذه الخلافة ـ ثم بعد ان خلقه وسواه ، أمر الملائكة بالسجود له ، تكريما وتعظيما . وبعد هذا الاحتفال بالانسان يقرر القرآن ان الله سبحانه سخر الكون كله من أجله ، الارض والسماء .

هذا هو الانسان كما يصوره القرآن : مخلوق مقدس ، الكون كله مسخر له ، وخلافة الله فى الارض هى وظيفته ومسئوليته .

اى انه فى مواجهة دعوة اليهودية الى شعب الله المختار ، جاء الاسلام معلنا بدء عصر جديد ، الانسان فيه هو مخلوق الله المختار !

●

لنقرأ بعد ذلك نداء الله تعالى الى البشر اجمعين ، سلالة هذا المخلوق المقدس ، مسلمين وغير مسلمين :

ـ يا ايها الناس ، انا خلقناكم من ذكر وانثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا (الحجرات ـ ١٣)

ـ يا ايها الناس ، اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها ، وبث منهما رجالا كثيرا ونساء (النساء) .

ولنستعد كلمات النبى عليه ال

كلهم عيال الله ، فاحبهم اليه انفعهم لعياله

يعد هذا التعظيم للانسان ، وبعد التذكير باخوة البشر والدعوة الى المودة والتعارف بينهم جميعا ، يتوجه الله سبحانه الى نبي المسلمين بقوله :

وما أرسلناك الا رحمة للعالمين (الانبياء ١٠٧) ـ ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن (النحل ١٢٥) ـ ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا ، افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين(يونس ٩٩) .

ويمضي القرآن مؤكدا انه لا اكراه في الدين،قد تبين الرشد من الغي (البقرة ٢٥٦) وقد نزلت هذه الاية في مستهل العهد المدني ،لتقرر واحدا من اصول التشريع والدعوة ، بينما المسلمون على عتبات تاسيس الدولة .

وعند هذه المرحلة ، تتتابع الآيات التي تسجل موقفا شامخا يتجاهله الكثيرون ، هو ان الاسلام اشد ما يكون حرصا على تاكيد حرية الاعتقاد للانسان . ذلك انه بمقتضى خلافته في الارض ـ كما تقول الدكتورة بنت الشاطئ في كتابها « مقال في الانسان » ـ تحمل الانسان الامانة ، التي هي تبعة التكليف وحرية الارادة ومسئولية الاختيار . وهذا الوضع لا يفهم ولا يتصور ، اذا لم يقم على حق اصيل مقرر في الحرية الانسانية .

هنا تقول الايات : فان اسلموا فقد اهتدوا ،وان تولوا فانما عليك البلاغ ، والله بصير بالعباد (آل عمران ٢٠) ـ فاعلموا انما على رسولنا البلاغ المبين (المائدة ٩٢) .

[حتى وهو جنين ، له حقوق . اذا ولد وفارق الدنيا بعد ساعات ، ولم يغسل ويصلى عليه اثم اهله وعشيرته . واذا سقط الجنين نتيجة اعتداء ففيه دية ، فرس أو قيمته ، وان سقط حيا ثم مات فديته مائة من الابل كما يقول الفقهاء .]

ويتكرر هذا القصر لمهمة الرسول على البلاغ اكثر من عشرات المرات ، في مواضع مختلفة من القرآن الكريم .. تعزيزا وتاكيدا ،واحتراما لحرية الانسان في الاعتقاد .

بعد ذلك يضيف القرآن منبها المسلمين ونبيهم : من يطع الرسول فقد اطاع الله ، ومن تولى فما ارسلناك عليهم حفيظا(النساء ٨٠)

وهكذا تكتمل الصورة ، مهمة الرسول مقصورة على التبليغ ، وكل بشر مسئول عن اختياره بعد ذلك ، بغير عسف ولا اكراه ،وحساب الجميع عند الله . وليس لاحد من البشر ان يحاسب احدا على اختياره او اعتقاده .حتى النبي ذاته ، ليس ذلك من شانه ، لانه ليس وكيلا عن البشر ولا مسيطرا عليهم ، بل هو مبشر ومذكر فقط !

●

ان النصوص تعبر عن موقف غاية في الوضوح من قضية الانسان ، ومع ذلك تعالوا نقرا مزيدا من الشرح والتحديد ، فيما يقوله فضيلة الشيخ محمد عبد الله دراز في كتابه « نظرات في الاسلام » .

ـ « كل انسان له في الاسلام قدسية الانسان . انه في حمى محمي ، وفي حرم محرم . ولا يزال كذلك حتى ينتهك هو حرمة نفسه ، وينزع بيده هذا الستر المضروب عليه ، بارتكاب جريمة ترفع عنه جانبا من تلك الحصانة ،وهو بعد ذلك برئ حتى تثبت جريمته » .

ـ « ان الاسلام يحمي اعداءه في حياتهم ،ويحميهم بعد موتهم . يحميهم في حياتهم فيحول دون قتالهم الا اذا بدأوا هم بالعدوان .ويحميهم في ميدان القتال نفسه ، اذ يؤمنهم من النهب والسلب والغدر والاغتيال ، ثم يحميهم بعد موتهم ، اذ يحرم اجسادهم على كل تشويه او تمثيل .. ولم لا ؟ .. اليسوا أناسيّ ولهم كرامة الانسان » .

ـ « ان الاسلام لم يكتف بان عرف كل فرد حقه نظريا في هذه الحصانة الانسانية ، ولكنه احد يهيب به أن يدافع عن هذا الحق ،فلنسمع صوت النبي (ص) وهو يقول : من قتل

دون ماله فهو شهيد . ومن قتل دون دمه فهوشهيد ، ومن قتل دون أهله فهو شهيد ، ومن قتل دون مظلمته فهو شهيد » .

ان مقارنة هذه الرؤيــة التى يقدمهــاالاسلام ممثلة فى نصوص القرآن ، بما نسمعه ونقرؤه هذه الايام من بعض الذين ينتسبون‌الى الاسلام ، ويفترض انهم ينطقون باسم مؤسساته ويدعون اليه ، هذه القراءة تصيبنابالدهشة ، بل بالذهول .

ولطول ما حجبت هذه النصوص ، ولتعددالمواقف المناقضة لها ، تبدو الآن كما لو كانت اكتشافا نطالعه لاول مرة . وليست نصوصــاأنزلت منذ ١٤ قرنا ، على قوم كانوا يسجدون للاصنام . فاذا بالقرآن يقول لهم ان الانسان‌أعظم من ذلك بكثير ، وانه ينبغى الا يحنى هامته لمخلوق، وأن‌الملائكة سجدت لهذا الانسان،تعظيما وتكريما !

وعلى هذا الطريق ، ثمة علامتان ينبغى‌أن نتوقف عندهما :

* الاولى : حرص الاسلام على أن يقرروحدة الاديان كلها ، متمثلة فى وحدة مصدرها وغايتها (لا نفرق بين احد من رسله البقرة٢٨٥) ثم ان الذى تلقاه محمد عليه السلام هو فى جوهره ما تلقاه الرسل من قبل (ما يقال‌لك‌الا ما قد قيل‌للرسل من‌قبلك ـ فصلت ٤٣).

* والثانيــة : حرص الاسلام على أن‌يقرر أن الله سبحانه ليس منحازا لاحد . فالمؤمنون جميعا امامــه سواء ، وكل يؤجــرويثاب على عمله ، وهنا يخاطب المسلمين بقوله (ليس بامانيكم ولا أمانى أهل الكتاب ، من‌يعمل سوءا يجز به ، ثم لا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا النساء ١٢٣) ذلك ان« كلهم آتيــه يوم القيــامة فردا مريم ٩٥ » و « .. فمن يعمل مثقال ذرة شرا يره ، ومن‌يعمل مثقال ذرة خيرا يره الزلزلة ٧ ، ٨ » .

●

ما شان هذا كله بقضية الدين هل هووسيلة أم غاية، وهل هو للانسان أم أن العكس هو الصحيح ؟

لقد كان ضروريا أن نتعرف على ملامح‌رؤية الاسلام للانسان ، لنصل فى النهاية الى اجابة هذا السؤال . لنطمئن الى أن الذى‌سخر الكون كله بسمائــه وأرضه من أجــل الانسان ، هو ـ سبحانــه ـ الذى أنزل هذاالدين ليكون‌وسيلة الانسان فى « عمارة الارض عمارة روحية ومادية » ، وبعث الرسل مبشرين‌ومنذرين . أن هذا طريق السلامة وذاك طريق الندامه . وللانسان أن يختار بغير قهر ولا اكراه .

وفى مقدمة كتاب « الموافقات » للامــام‌الشاطبى . كتب أحد علماء الازهر . الشيخ عبد الله دراز ، يقول : ان هذه الشريعــةالمعصومة ليست تكاليفها موضوعة حيثما اتفق ، لمجرد ادخال الناس تحت سلطــة الدين . بل‌وضعت لتحقيق مقاصد الشارع فى‌قيام مصالحهم فى الدين والدنيا » ـ أى أن الشريعة ليست‌لذاتها . ليس الدين‌للدين . كما يروج‌البعض ويعتبرون ذلك قرينه التسليم والايمان . لكن‌الدين للناس . لمصالحهم فى الدنيا والاخرة . والشرائع ـ أكرر مرة أخرى ـ تابعة للمصالح،تقترن بها وجودا وعدما، بتعبير رجال القانون.

وتقرير هذه الحقيقة والاقتنــاع بهــا ،يساعدنا فى فهم ومعالجة ما يطرح امامنا . العين والآخر من قضايا . مثل دور الدين فى‌المجتمع ، وتطبيق الشريعة الاسلامية . والالتزام بالنصوص والطقوس . وعلاقة المسلمين بغيرهم‌من البشر . مؤمنين كانوا أم غير مؤمنين .

هل هذه . . . ...

الصور . . .

ادخال . . .

المقصد . . .

لا ليعبدون» «الذاريات ٥٦» تطل الآن،ونلح .

الكون مسخر للانسان ، واذا سلمنا بان ال

. . . الاية ؟.. تلك مناقشة اخرى .

ابن خلدون من العرب



بقلم : الدكتور عماد الدين خليل

«ليس شرطا أن نتخذ من مقدمة ابن خلدون موقف الدفاع ، فى محاولة مرهقة لجعل معطياتهـا جميعا تقف فى جانب الصواب ، مادام انه فـكر بشرى معـرض للخطأ والصواب » ٠

● يتحدث ابن خلدون ، فى أكثر من مكان من مقدمته ، عن دور الاسلام فى جمع العـرب على كلمة واحدة وتمكينهم من الملك ٠ «ان العرب ـ يقول الرجل فى احد فصوله ـ لايحصل لهم الملك الا بصبغة دينية من نبوة او ولاية او اثر عظيم على الجملة» ٠٠ ويتدرج فى البرهان على مقولته هذه «والسبب فى ذلك ـ يقول ـ انهم لخلق التوحش الذى فيهم اصعب الامم انقيادا بعضهم لبعض للغلظة والانفة وبعد الهمة والمنافسة فى الرئاسة، فقلما تجتمع اهواؤهم ٠ فاذا كان الدين بالنبوة او الولاية كان الوازع لهم من انفسهم وذهب خلق الكبر والمنافسة منهم فسهل انقيادهم واجتماعهم وذلك بما يشملهم من الدين المذهب للغلظة والانفة، الوازع عن التحاسد والتنافس ، فاذا كان فيهم النبى او الولى الذى يبعثهم على القيام بامر الله ويذهب عنهم مذمومات الاخلاق وياخذهم بمجهودها ويؤلف كلمتهم لاظهار الحق ، تم اجتماعهم وحصل لهم التغلب والملك ٠ وهم مع ذلك اسرع الناس

قبولا للحق والهدى ، لسلامة طباعهم من عوج الملكات وبراءتها من ذميم الاخلاق ... » (١)

فهاهنا يطرح ابن خلدون المسالة بوجهيها فيفسر لنا الدور الكبير الذى لعبه الاسلام ازاء العرب فى فجر انبعاثهم ، ويبين لنا فى الوقت نفسه الميزات الايجابية التى كانت هذه الامة تتحلى بها، فكان ان اختيرت لحمل آخر واعظم رسالة فى تاريخ الانسان .. وهو من خلال تحليله الاجتماعى والسايكولوجى يعطينا مفتاح ذلك الاختيار وذلك الانجاز التاريخى الذى تحقق فى تقابل هذين القطبين : الاسلام والعرب .

وبتخلى العرب عن هذا الالتزام الذى صنعوا به انجازهم العظيم ذاك ، كانوا يفقدون دائما قدرتهم على الفعل التاريخى،ويعودون الى التمزق والتفكك ، وتطغى عليهم طبائع البداوه السالبة التى هى نقيض الحضارة . وفى فصل له بعنوان «ان العرب ابعد الامم عن سياسة الملك » يتحدث ابن خلدون عن صورة هذا التقابل الفعال بين الاسلام والعرب اذا اريد لهم ان يلعبوا دورا ايجابيا « ان العرب اكثر بداوة من سائر الامم وابعد مجالا فى القفر ، واغنى عن حاجات (المدن) لاعتيادهم الشظف وخشونة العيش ، فاستغنوا عن غيرهم ، فصعب انقياد بعضهم لبعض ... وانما يصير ـ العرب ـ الى سياسة الملك بعد انقلاب طباعهم وتبدلها بصيغة دينية تمحو ذلك منهم ، وتجعل الوازع لهم من انفسهم،وتحملهم على دفاع الناس بعضهم عن بعض واعتبر ذلك بدولتهم ، لما شيد لهم الدين السياسة بالشريعة واحكامها الراعية لمصالح العمران ظاهرا ، وباطنا ، وتتابع فيها الخلفاء ، عظم حينئذ ملكهم وقوى سلطانهم ..» (٢) انها النقلة الكبيرة التى نقلهم الدين الجديد اليها .. النظام والالتزام والانقياد المسؤول للسلطة ، المنبثق عن وازع طوعى بقوة الايمان ومستلزماته من اعماق النفس،وتلك هى ضرورات العمران والتحضر .

ثم ان العرب ذلك «انقطعت منهم عن الدولة اجيال نبذوا الدين فنسوا السياسة ورجعوا قفرهم وجهلوا شان عصبيتهم مع اهل الدولة ببعدهم عن الانقياد .. فتوحشوا كما كانوا .. ولما ذهب أمر الخلافة انقطع الامر جملة من ايديهم وغلب عليهم العجم دونهم ، واقاموا فى بادية قفارهم لايعرفون الملك ولا سياسته ، بل قد يجهل الكثير منهم انهم قد كان لهم ملك فى القديم ، وما كان فى القديم لاحد من الامم فى الخليقة ما كان لاجيالهم من الملك .. لكن بعد عهدهم بالسياسة لما نسوا الدين فرجعوا الى اصلهم من البداوة .. » (٣) انه الارتداد ـ اذن ـ الى البداوة ، وفقدان مستلزمات السياسة والتحضر التى يعرف الدين كم هى ضرورية للعمران البشرى ، ويعرف ـ كذلك ـ كيف يضع ـ بها ـ الامم والشعوب فى قلب التاريخ .

موقف من اكاذيب الشعوبية

وفى المدخل الذى مهد فيه ابن خلدون لمقدمته(٤) حيث تحدث عن أهمية علم التاريخ وعن المعايير التى يتوجب على المؤرخ ان ياخذ بها لتجاوز الوقائع الكاذبة ورفض ما لايمكن تصديقه يعبر ابن خلدون ـ كذلك ـ عن رؤيته الدينية والتزامه، ويسعى جاهدا باسلوبه النقدى لتنقية جوانب من التاريخ الاسلامى ورجالاته العرب ، احاطت بها وبهم الكثير من الشوائب والاكاذيب ، حيث يناقش ويفند ـ على سبيل المثال ـ مسالة العلاقة بين العباسة اخت الرشيد وجعفر بن يحيى بن خالد ، وانها كانت السبب وراء نكبة الرشيد للبرامكة . ويؤكد أن الدافع الحقيقى لتلك النكبة هو «استبدادهم على الدولة واحتجانهم أموال الجباية ، حتى كان الرشيد يطلب اليسير من المال فلا يصل اليه فغلبوه على امره فى سلطانه ولم يكن له معهم تصرف فى أمور ملكه(٥) » .

كما يناقش ويفند اكذوبة انكباب الر[illegible] على الخمر واقتران سكره بسكر الندامى « [illegible]

(١) مقدمة [illegible]
[illegible] ٩٨ ـ ٢

[illegible] على عبدالواحد وافى ، لجنة البيان العربى [illegible]

[illegible] ٤٥٧ ـ ٤٥٨
[illegible] ٣٧٤ ـ ٣٧٨ ـ

ـيقول ابن خلدون ـ ما علمنا عليه من سوء . واين هذا من حال الرشيد وقيامه بما يجب لمنصب الخلافة من الدين والعدالة ، وما كان عليه من صحابة العلماء ومكاتبته (اياهم) .. وما كان عليه من العبادة والمحافظة علـى اوقـات الصلـوات وشهـود الصبـــح لاول وقتهـــا ، وانــــه كان يصلى فى كل يوم مائة ركعة نافلة ، ويغزو عاما ويحج عاما ؟ » (٦) ثم يتطرق ابن خلـدون الى ما كان عليه خلفاء بنى العباس الاوائل من بعد عن الترف والتزام بالدين وفهم لمتطلبات الشريعة ، وكيف ادرك المهدى اباه المنصور «وهو يتورع عن كسوة الجديد لعياله من بيت المال» وكيف « كان يباشر الخياطين فى ارقاع الخلقان من ثياب عياله..» وما يلبث ، بعد طرح مزيد من الوقائع ، ان يصل الى القول « بان اولئك القوم كلهم كانوا بمنجاة من ارتكاب السرف والترف فى ملابسهم وزينتهم وسائر متناولاتهم ، لما كانوا عليه من خشـــونة البداوة التى لم يفارقوها بعد .. » (٧) وينتقل ليناقش ويفند ما اشيع ـ كذلك ـ عن عدد مـن رجالات الدولة العباسية ، ثم يخلص الى وضع يده على بعض الاسباب التى تكمن وراء اتهامات باطلة كهذه » ... وامثال هذه الحكايات كثـيرة وفى كتب المؤرخين معروفة ، وانما يبعث علــى وضعها والحديث بها الانهماك فى اللذات المحرمة وهتك قناع المخدرات ، ويتعللون بالتاسى بالقوم فيما ياتونه من طاعة لذاتهم ، فلذلك تراهـــم كثيرا ما يلهجون باشباه هذه الاخبار .. ولـو ائتسوا بهم فى غير هذا من أحوالهم وصـــفات الكمال اللائقـة بهم لكـان خيرا لهم لو كانـوا يعلمون .. » (٨)

وابن خلدون يذكرنا هنا بذلك التحذير الذى اطلقه المؤرخ الاندلسى القاضى ابو بكر بن العربى قبل ذلك باكثر من ثلاثة قرون ، فى كتابه القيم (العواصم من القواصم) ، من ان احد ابرز الدوافع لاختلاق هذه الروايات وتسليط الضوء عليها هـو رغبة الخلـف فى تبريـر ممارستـهم اللااخلاقية واشباع شهواتهم بحجة ان السلـف كانوا قد اقترفوها .

مقولات اثارت جدلا

وفى تفنيد ابن خلدون لقصة العباسة اخـت الرشيد وادانته البرامكة ودفاعه عن الرشـيد والمامون ورجالاتهما وتجاوز ذلك كله الى تبرئة ساحة الكثير من خلفاء بنى امية الذين سبقوهما ، وفى تاكيده على اخلاقية العرب الذين كانوا ياخذون انفسهم كما يقول « بالتخلق بالمحامد واوصاف الكمال » .. فى هذا كله موقف واضح يقفه ابن خلدون ازاء بعض معطيات الحملة الشعوبية ضد الاسلام والعرب ، والتى اخذت تطل براسها منذ العصر العباسى الاول ، الامر الذى يبعد هـذه الصفة التى سعى بعض الباحثين المعاصرين الى الصاقها بالرجل بسبب من بعض مقولاته عن العرب، تلك التى انتشرت فى مقدمته هنا وهناك .

وهذا يقودنا ـ بالضرورة الى ان نقف قليلا عند بعض هذه المقولات التى وصف بها العرب بصفات سالبة فى اكثر من موضع . وقد اثـارت هذه المقولات ولا تزال ، العديد من المناقشات من مثل «ان العرب لا يتغلبون الا على البسائط» و«ان العرب اذا تغلبوا على اوطان اسرع اليها الخراب» و«ان العرب ابعد الامم عن سياسة الملك » و « ان المبانى والمصانع فى الملة الاسلامية ـ ويقصد بها العرب الفاتحين ـ قليلة بالنسبة الى قدرتها والى من كـان قبلهـا من الدول » و« ان المبانى التى كانت تختطها العرب يسرع اليها الخراب الانى الاقل » و « ان العرب ابعد الناس عن الصنائع » و « ان حملة العلم فى الاسلام اكثرهم من العجم » .

تيارات ثلاثة

ونستطيع أن نتبين ، من خلال المناقشات التـى اثيرت حول هذا الموضوع ، ثلاثة تيارات اساسية يتهم اولها ابن خلدون بنزعته البربرية ، او تملقه السلطات البربرية التى عاصرها وعمل فى ظلالها ، ويدافع ثانيها عنه بحجة انه لم يقصد بالعرب سوى البدو غير المتحضرين . اما ثالثها فيرى أن آراءه فى هذا الصدد جاءت انعكاســـا

(٦) المقدمة ص ٣٧٨ ـ ٣٧٩

(٧) المقدمة ص ٣٧٩ ـ ٣٨١ ـ (٨) المقدمة ص٣٨٥

للمرحلة التاريخية التي عايشها او كان قريب عهد بها والتي كانت القبائل العربية في الشمال الافريقي قد عاثت فيها هناك فسادا وتخريبا (٩)

ونحن لا نستطيع ان ناخذ بكل واحد من هـذه الآرا، على انفراد • ففيما يتعلق بالرأى الاول لم يستطع احد من المؤرخين ان يجزم بانتماء ابن خلدون البربري ، على العكس ، ان معظم الروايات تميل لايصال نسبه الى عرب الجنوب من الحضارمة • ثم ان الرجل ، حتى وهو يعمل في ظلال السلطات البربرية ، لاقى من المتاعب والاهوال ما لاقى ، ولم يستطع ان يفرغ للكتابة سنوات معدودات ، الا بشق الانفس ، ثم ما لبث ان انتهى بـه المطاف الى مصر المملوكية لا البربرية ، حيث تقلد هناك ايضا مناصب عديدة وواصل كتاباته وتنقيحاته • ثم ان الرجل ـ من جهة ثالثة ـ لم يال جهدا في اماكن عديدة من مقدمته في الدفاع عن العرب ضد الروايات الكاذبة التي دست على تاريخهم ، كما مر بنا ، وفي تبيان فضل العرب ، ولا سيما بعد ظهور الاسلام فيهم ، والتبسط في طرح دورهم التاريخي العظيم • وفي المقابل كان يسحب بعض مقولاته على البربر ايضا حيثما كان هناك تشابه في التجربة التاريخية بينهم وبـين العرب • فهو يبدأ فصله المعنون بـ « ان المباني والمصانع في الملة الاسلامية قليلة بالنسبة الـى قدرتها •• » بقوله « ان السبب في ذلك ما ذكرنا مثله في البربر بعينه ، اذ العرب ايضا اعرق في البدو وابعد عن الصنائع ••» •

ويرفض الرأى الثاني بمجرد أن نرجع الى مقولات ابن خلدون سابقة الذكر لكي ما نلبث أن يتبين لنا كيف ان ابن خلدون لم يقف في تحليله عند حدود مصطلح (البدو) الذي يقتصر على العرب غير المتحضرين والذين لم يعرفوا حياة المدن ، وانما تنسحب هذه التحليلات لكي تشمل عموم لفظ العرب : بداوة ومتحضرين • وهو واضح في هذا تماما ، خصوصا لدى حديثه عن الاجيال الاولى من العرب التي حملت الاسلام الى مشارق الارض ومغاربها •

اما الرأى الثالث فهو اقربها الى الصواب ، لكن الم يحدثنا ابن خلدون في التمهيد الذي سبق به مقدمته انه ما كتب هذه المقدمة اساسا الا لصياغة معايير دقيقة تمكن المؤرخ من تمييز الحق من الباطل وتمحيص الروايات واخذ ما يمكـن تصديقه ورفض ما سوى ذلك ؟ هل يقع ، هو الذي نعى على المؤرخين السابقين تحيزهم وهواهـم وميلهم ، في وهدة الهوى والتحيز والميل بهذا الوضوح وهذه الصراحة ، فيهاجم العرب هـذا الهجوم القاسي لا لشيء الا لانه عاصر مرحلة لعبت فيها (بعض) القبائل في الشمال الافريقي ، من مثل هلال وسليم وعدى ، دورا تخريبيا مريعا ؟

الاحتمال الراجـح : مشكلـة المنهج

يبقى ثمة احتمال رابع يتعلق بمنهج ابن خلدون نفسه، ذلك المنهج الذي يقوم على التعميم أحيانا(١٠) وهو ليس بدعا في هذا ، فان اشد فلاسفة التاريخ الغربيين حداثة ، وبخاصة اصحاب المثالية الهيغلية والمادية التاريخية ، وقعوا في الخطأ نفسه فمارسوا خطيئة (التعميم) وسحبوا جزئيـات التجربـة التاريخية على مساحات واسعة في الزمان والمكان من اجل تاكيد مبادئهم الكلية الشاملة • بل ان ازمة الفكر الغربي ـ اساسا ـ هي في هـذا الخطأ المنهجي الذي يمط الجزئيات بما هو فوق طاقتها والذي يسحب رؤية عصر ما ، بكل ما تحمله من خصائص ذاتية نسبية موقوتة ، لكي يغطي بها حركة التاريخ البشري كله •• وكلنا نعرف كيف احدث التيارات الفكرية الجديدة ، سواء فـي

(٩) انظر على سبيل المثال طه حسين فلسفة ابن خلدون الاجتماعية ، ترجمة محمد عبد الله عنان ص ١٠٢ وعلى عبد الواحد وافي عبد الرحمن [illegible] ٢٢٨ . ومحمد عبد الله عنان [illegible] اعلام العرب) ص ٢١٩ ـ وانظر كذلك [illegible] الطبعة الثالثة ص ١٢١ ـ ١٣٠

[illegible] فرنسية لمقدمة ابن خلدون •

[illegible] يحاول ان يطرح الاحتمالات [illegible]

[illegible] عليها انطباقا [illegible] ، ولعل [illegible]

[illegible] ـ الاهتمام بالمعايير [illegible]

المادية التاريخيه ام الفرويدية ام غيرهما ، تطامن من كبريائها امام الحقائق العلمية والتاريخيه ، وتعلن عن تراجعها عن الكثير من المواقف التعميمية التي مارستها تلك المذاهب ايام غلوها الكلاسيكي.

انه شيء اساسي في ذهنية وسايكولوجية الفلاسفة والباحثين في فروع المعارف (الانسانية) . انهم وقد وضعوا ايديهم على حقائق قيمة في تفسير بعض جوانب الحياة البشرية وكونوا على ضوء ذلك رؤية او فلسفة يمكن ان تلقى نورا نفاذا على مساحات واسعة من تاريخ السعي البشري في العالم . يسعون الى التشبث بهذه الرؤية او الفلسفة الى حد التشنج المنهجي . بحيث يريدون أن يكون التاريخ كله ، بوقائعه الكثيفه المزدحمة المتغايرة المعقدة الصعبة . مصداقا لهذه الرؤية او تلك الفلسفة . وتحدث ـ كثيرا ـ عمليات تفصيل قسري ، او اعادة صياغة للوقائع نفسها من أجل أن تنسجم مع رؤاهم وفلسفاتهم التي صاغوها سلفا . والتي انبنت متجانسة مع قدر من الوقائع لا مع كل الوقائع او حتى جلها !!

نماذج من المقدمة

ألا يجوز أن يكون ابن خلدون قد وقع في خطأ كهذا ؟ نعم .. *واننا بالرجوع الى معطيات* مقدمته جميعا نضع ايدينا على حشد من التعميمات لمقولات قد تنطبق على عصر ما او مكان ما ، ولكنها لا تنطبق على كل زمان ومكان . من مثل التحديد الزمني الصارم لاعمار الدول ، ومن مثل ان الدول لا تقوم الا بالعصبية .. الخ .. ولنقرأ معا هذه الفقرة التي وردت في المقدمة الخامسة من الباب الاول .. واعلم ان اثر هذا الخصب في البدن واحواله يظهر حتى في حالة الدين والعبادة . فنجد المتقشفين من أهل البادية او الحاضرة . ممن ياخذ نفسه بالجوع والتجافي عن الملاذ . احسن دينا واقبالا على العبادة من أهل الترف والخصب » . تحليل رائع لكنه ما يلبث ان يمارس التعميم فيبعد عن الصواب ، بدرجة او اخرى «بل نجد اهل الدين قليلين في المدن والامصار لما يعمها من القساوة والغفلة المتصلة بالاكثار من اللحم والادم ولباب البر . ويختص وجود العباد والزهاد لذلك بالمتقشفين في غذائهم من أهل البوادي . وكذلك نجد حال أهل المدينة الواحدة في ذلك مختلفا باختلاف حالها في الترف والخصب (١١) » .

وكلنا نعرف ان الدعوة الاسلامية شقت طريقها في المدن والامصار وقامت على اكتاف اناس اختلفت حظوظهم من الطعام والشراب . ونعرف ايضا ان البادية كانت اقرب الى الارتداد ، بعيد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وانه لم يبق مخلصا للاسلام ودولته ، في تلك الفتنة الجامحة ، كما تذكر الروايات ، غير المدن الكبيرة الاصيلة في تحضرها كالمدينه ومكة والطائف .

ويمكن للقارىء ان يرجع الى فهارس مقدمة ابن خلدون لكي يرى بام عينيه مزيدا من الامثلة على تعميميته ، ان ابن خلدون يسحب على مدى الزمان والمكان وقائع هي بمثابة مساحات محدودة من حركة الزمان وابعاد المكان .

ومن ثم الا يجوز لنا ان نستنتج ان الذي دفع ابن خلدون الى اصدار تلك المقولات بحق العرب ، ليس مجرد رد فعل نفسي وفكري ازاء ما احدثته هجمات بعض قبائلهم في الشمال الافريقي ، مع ترجيحنا النسبي لهذا العامل ، وانما رغبة منه في التعميم الذي مارسه في اكثر من مكان والذي يقود بالضرورة الى مد المقولات او النظريات او القوانين الى اكبر مدى زماني او مكاني لكي يعطيها صفة الشمولية ويجعلها اكثر ثقلا واهمية في حركة التاريخ على حساب الوقائع التاريخية نفسها ؟

وهكذا . فانه اذا كانت بعض القبائل العربية، في فترة ما من تاريخها ، لا تقدر على التغلب الا على البسائط ، عممت في مقدمة ابن خلدون واصبحت«ان العرب لا يتغلبون الا على البسائط» وكلنا نعرف ما الذي فعله العرب المسلمون خلال فتوحاتهم وكيف انهم تحدوا جغرافية العالم فلم يقف امامهم شيء !!

واذا كانت بعض الجماعات العربية لدى تغلبها

---

(١١) المقدمة ص ٤٩٦

على بعض الاوطان أسرع اليها الغراب، وعمم ذلك في مقدمة ابن خلدون واصبح « ان العرب اذا تغلبوا على اوطان اسرع اليها الغراب » ، وكلنا نعرف ما تفجر على ايدى العرب المسلمين ، بعد الفتح ، من خير حضارى عميم نقل العالم خطوات واسعة الى الامام تمدنا وتحضرا ..

واذا كانت بعض الجماعات العربية بعيدة عن سياسة الملك ، وعمم ذلك وأصبح « ان العرب ابعد الامم عن سياسة الملك » ، وكلنا نعرف ان العرب المسلمين هم الذين ساسوا ثلاث دول كبرى ـ على الاقل ـ لعبت دورها الخطير في تاريخ البشرية : دولة الراشدين ودولة الامويين في الشام والاندلس ودولة العباسيين .

وهكذا تجيء المقولات الاخرى نتيجة طبيعية لهذه النزعات الصارمة في التعبير اللهم الا تحفظا واحدا يطرحه في احدى هذه المقولات حيث يذكر « ان المباني التي كانت تختطها العرب يسرع اليها الغراب الا في الاقل » .

ويبدو لنا ـ من ثم ـ لماذا لم يمنحنا ابن خلدون تحديدا صارما لما يريده بمصطلح العرب، هل هم البدو ، ام العرب المتحصرون ،ام الاثنان معا ان تحديدا كهذا يجيء نقيضا لنزعة التعميم التي تعتبر احدى مناقص مقدمة ابن خلدون .

وليس شرطا ـ بعد هذا كله ـ ان نتخذ من مقدمة ابن خلدون ، ذلك العمل الفذ الملهم ، موقف الدفاع ، في محاولة لجعل معطياتها جميعا تقف في جانب الصواب ، ما دام انه ما من فكر بشرى ، ما من محاولة استقرائية ، ما من جهد وضعي ، الا وهو معرض للخطا والصواب ، ان على مستوى الموضوع ، او على مستوى المنهج.. ويكفي ابن خلدون اكبارا . انه في مساحات واسعة من عمله الكبير هذا ، كان رائدا وعبقريا في الوقت نفسه !! ■■ .

الموصل ـ د . عماد الدين خليل

++++++++ تموز (يوليو) ماذا يعني ؟ ++++++++++++++++++++++++

تموز هو الشهر السابع من السنه الميلادية .واسمه بالفرنسية Juillet وبالانكليزية July وبالايطالية يوليو.كان الرومان يسمونه «كونتيلس»ومعنى ذلك الخامس ، لانه الشهر الخامس من السنة القديمة التي تبدأ بآذار . والذى سماه هومرقس انطونيوس اكراما ليوليوس قيصر الذىولد في الثامن عشر منه . وكان الانكلوسكسون يسمونهشهر المروج او شهر التين لان المروج تزهر فيه ، ويقع فيه الحصاد ، وسماه شارلمان شهر القش ،ويسمى عندنا شهر الحصاد ، وعلامته عند الاقدمين برج الاسد لان الشمس كانت تدخل هذا البرج فيهوذلك منذ الفى سنة . اما الان فانها تدخله في منتصف آب .

اما تموز فهو اسم سرياني او فينيقي وكانالسريان والفينيقيون يسمون به المعبود « أدونيس». وقد امتاز تموز على جميع شهور السنة بانه شهرالحرية عند كثير من الامم والشعوب ، ففي الرابع منه نال الامريكيون حريتهم ، وفي الرابع عشر نالالفرنسيون حريتهم ايضا ، عندما استولى رجال الثورة الفرنسية على سجن الباستيل عام ١٨٨٩.وفي الرابع والعشرين منه سنة ١٩٠٨ وقع الانقلاب العثماني فانزل السلطان عبد الحميد عن عرشه ،واعلن الدستور ، فصار ذلك اليوم عيدا للاحرار العثمانيين . وفي العاشر من تموز سنة ١٨٠١انسحب نابليون من مصر ، بعد ان دخلها في الثاني منه سنة ١٧٩٨ ،وظل فيها معجيوشه ثلاث سنوات،وقد اعتبر تاريخ دخوله مصر بداية عصر النهضة الحديثة . وفي السادس والعشرين منه سنة ١٩١٧اعلنت بلاد نجد العربية استقلالها .

وفي تموز ، حيث يغلي الماء في الكوز ، كمايقول المثل ، يغادر اهل المدن منازلهم هربا من الحر وينتشرون في المصايف الجميلة ، طلبا للراحةاو السكينة والهدوء،حيث تنخفض درجات الحرارة، ويستسلم الناس الى الدعة والاسترخاء والـ[illegible] ، ويعيشون في ظل الطبيعة السمحاء ، بلا جليد او رسمبات ، يتنشقو[illegible] غبار والجراثيم وروائح النفايات .



طرائف أجنبية

المرأة ..
والتاريخ !

● كلير بوث لوس زوجة هنرى لوسى رئيس تحرير مجلة تايم الامريكية سابقا سالوها يوما عن الشىء الذى يميز المرأة عن الرجل ، قالت : اشياء كثيرة جدا ، فالمرأة احسن والمرأة اعظم ، ولولا المرأة لما وجدنا شيئا يذكرنا بماضينا !

قالوا : كيف !

قالت : « الرجل بطبيعته ميال الى التخلص من كل شىء لم يعد يجد فيه نفعا له .. اما المرأة فهى تتخلص من كل شىء واى شىء يحمل معه ذكريات غير سعيدة .. ولكنها تحتفظ بعد هذا بكل شىء قديم سواء كان نافعا ، او غير نافع ، مادام يحمل لها ذكريات حلوة !

« لولا عاطفية المرأة مابقى لنا شىء قديم .. ولكان من الممكن ان تسقط صفحات كثيرة من التاريخ ! »

الرجل الكبير !

● قال افلاطون وهو يقترب من الشيخوخة : « لقد علمتنى الحياة ان الجد والصراحة لا مكان لهما فى العلاقات الانسانية. المقياس الحقيقى للرجل الكبير، هو ابتسامته وروحه المرحة وقدرته على السخرية من المتاعب ! »

لا تصدقوا افلاطون!

● قال برناردشو : «نهاية المشاكل فى حياة الناس هى بداية الموت . اى مجتمع يعيش بلا مشاكل ، هو مجتمع محكوم عليه بالاعدام ،لاتصدقوا افلاطون وهو يحدثنا عن«يوتوبيا» او المدينة الفاضله ! فمن بين المزايا التى يتمتع بها الانسان القدرة على حل المشاكل ، ونحن اذا افترضنا اننا حللنا جميع مشاكلنا الملحة..فليس معنى هذا اننا بدأنا نعيش فى المدينة التى وعدنا بها الفيلسوف القديم . فسوف يحمل لنا الغد دائما مشاكل جديدة .. مشاكل من صنعنا نحن لكى نجد باستمرار عملا يشغلنا عن التفكير والتامل فى الحياة الرتيبة المملة التى نحياها .. ان الانسان نفسه اكبر مشكلة ! »





خيول الشاعر !

● كان روبرت فروست يجلس امام المثال الذى انشغل فى صنع تمثال نصفى للشاعر الكبير . وفجاة تقدم احد تلاميذ المثال وقال يسال فروست: « كيف تبدأ عندما تريد ان تكتب قصيدة جديدة ؟ »

وقال الشاعر : « لا بد ان ارى شيئا قد حدث لك مثلا .. لم امسك بالقلم واكتب بضع كلمات على الورق ! وسكت فروست وراح يتفرس فى وجه صاحبه، قبل ان يكمل حديثه ، وقال يساله : « هل ركبت جوادا من قبل ؟ » لو انك تجيد ركوب الخيل ، فسوف تدرك ما اعنى عندما اقول لك اننى اركب كل كلمة سجلتها بقلمى على الورق ، وانطلق بها ، تماما كما لو كانت جوادا اصيلا .. ومع هذه الرحلة الطويلة تخرج القصيدة فى النهاية الى النور.. وقد تجمع بعض «الجياد» ، وقد يصيب بعضها التعب ، وعندئذ، يتحتم على ان ابحث عن غيرها.. والا وجدت نفسى اسقط على الارض معها ! »

أحلام اليوم هي حقائق الغد

ثورة الكمبيوتر

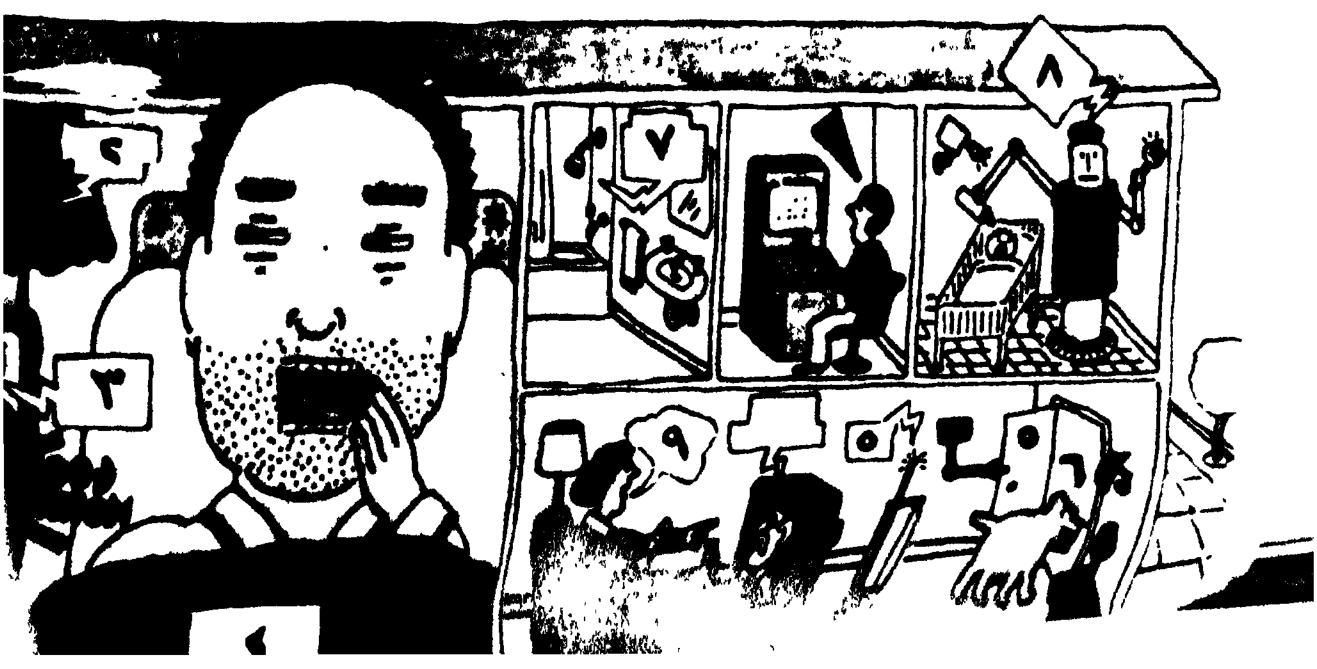
عندما تتحكم الأزرار الالكترونية في حياة الانسان

الذى يجرى الان فى عالم الكمبيوتر ، لا يمكن أن يوصف باقل من أنه ثورة ، بل أحد أخطر الثورات فى تاريخ الانسان·

■ لقد أخذت ثورة الكمبيوتر أو ما يسمى بالدماغ الالكترونى عهدا على نفسها بتسهيل الحياة وتبسيطها وجعلها اكثر جمالا بوسائل لم تخطر ببال ولا خيال أحد · ففى المنزل أو المكتب سيتم انجاز الاعمال الروتينية بكفاءة منهلة وبسرعة خارقة · واوقات الفراغ التى تزداد بصورة كبيرة ستكون أكثر نفعا فى المستقبل · والتعليم العام الذى غالبا ما يكون مملا ورتيبا قد تنفخ فيه روح جديدة على غرار دروس « اكسفورد » الخصوصية· والرعاية الطبية سيجرى تامينها بصورة أكثر دقة واتمانا · وبالاصافة الى ذلك كله ، فانك تستطيع أن تمسى فى السارع وانت امن ، فلن تتعرض للنشل ، ولن يعترض سبيلك طامع ، لان جميع المعاملات والصفقات التجارية ستتم عمليا بواسطة الكمبيوتر ، ولن تضطر لحمل أية أموال سائلة تذكر فى جيب سترتك ·

وستمكن ثورة الكمبيوتر المنزل من الاضطلاع بدور رئيسى فى المجتمع ، كما كان شانه قبل الثورة الصناعية · فالانتاج واسع النطاق من أجهزة الكمبيوتر قد جعل بالامكان توفير هذه الاجهزة فى البيوت لقاء ثمن يقل عن ٨٠٠ دولار للجهاز الواحد ، وان هذا السعر فى طريقه الى الانخفاض تدريجا · وسيصبح بالامكان جعل كثير من المخترعات المحلية التى تستخدم الطاقة الكهربائية

هده مجموعه من الرسوم تصور جانبا من المهام التى يمكن أن يؤديها الكمبيوتر مستقبلا فى
(٤) يحدد مواعيد رب الاسرة اليومية (٥) ينظف المنزل(٦) يفتح الباب الخلفى ليخرج منه الكلب · (٧
الالعاب · (٩) يجرى حوارا بين المشاهد والمذيع فى محطة التلفزيون (١٠) اعداد المائدة وطهى ال
تجارية بوناسة · (١٢) اعداد حمام شمسى داخل المنزل لربة البيت · (١٣) التحذير بوجود له



تعمل على نمط الكمبيوتر • وفى النهاية سيصبح جهاز الكمبيوتر فى المنزل ضروريا شانه فى ذلك شان المغسلة التى لا يمكن الاستغناء عنها • فهو سيعمـل على برمجة عمل الغسـالات وماكينـات الخياطة كما يطلق تحذيرا بوجود لص أو حريق •

وعند حدوث خطا فى التطبيق ينبه الكمبيوتر الى هذا الخطا ليتم اصلاحه فى الحال ولضبط التعليمات الموجهة (وفى الاجيال المستقبلية ستتم عملية اصلاح الغلط أوتوماتيكيـا) • وتكاليف الطاقة ستصبح أقل بواسطة اختراع يعمل بنظام الكمبيـوتر ويوجـه الحـرارة الى الاماكن التى تتطلبها وتغلقها عندما لا تكون هناك ضرورة لها • وبطريقة مشابهة تقوم عين الجهاز ذات المعـرفة غير المحدودة والتى تحدد أماكن تواجد الاشخاص فى جميع الاوقات باضاءة النور واطفائه حسب الحاجة •

بلدة الكترونية !

ويحتفـظ مدير احدى المؤسسـات الحكوميـة الامريكية فى منزله بدماغ الكترونى يتولى برمجة المعاملات المالية وسجلات ضريبة الدخل والتعيينات وأرقام الهواتف ودفتر اليوميات • وحتى أطفاله يستخدمون جهاز الكمبيوتر المتناهى فى الصغر ، فى تنظيم شئون حياتهم اليومية •

وهناك فى ولاية أوهايو الامريكية بلدة تعتبر النموذج الاصلى للبلدة الالكترونية ، حيث توجد فيها محطـة تلفزيون تعمـل بالكمبيـوتر وتزود المشتركين فيها باربعـين قناة تلفزيونيـة ، تبث برامج ترفيهية للاطفال وافلاما تربوية وسينمائية وأحداثا رياضية على الهواء مباشرة ، ودروسا لطلبـة المعاهد العليا بدون رقابـة صحفيـة أو دعايات تجـارية • ويدفـع المشترك فى المحـطة التلفزيونية مبلغ أحد عشر دولارا فى الشهر •

ومعطة التلفزيون هذه تمكن المشاهد أيضا من التحدث الى المذيع وجها لوجه عن طريق أزرار معينة والاستفسار منه عن أمور لم يفهمها • وبالضغط على أحد الازرار يستطيع المشترك أن يناقش أحد السياسيين البارزين أو يسـاهم فى برنامج محلى للهواة الموهوبين ، كما تبث المحطة برامج مخصصة للاطباء والمحامين • ويوجه أصحاب الصحف المحلية عن طريق هذه المحطة أسئلة الى المشاهدين لمعرفة آرائهم فى هذه الصحف • وتمكن المحطة التلفزيونية المشترك من شراء حاجياته من الاسواق المركزية التى يختارها ومعرفة أثمانهـا ومن ثم التوجه لاستلامها ، كما تمكنه من حجـز طاولة فى مطعم شرقى واعداد وجبة الطعام المفضلة لديه سلفا !

وسيجعل هذا الدماغ الالكترونى من الممكن فى يوم ما الحصول على الاجهزة والملابس المصنوعة حسب الطلب فى غضون دقائق • وستصبح الاشياء المصنوعة بناء على طلب الزبون والمفصورة الان

نسان المنزلية والعمليـة • (١) يدق جرس المنبه(٢) يفتح الستائر (٣) يقدم نشرة الاخبار الصباحية عام ويحدد درجته بتسعين درجة (٨) يؤدى دور الامباطمام الرضيع واسكاته عند البكاء بواسطة بعض عداد القهوة والحليب وسكبهما • (١١) اعطاء ربةالبيت معلومات عن الاثار القديمة ويقدم نموذجا لاية نزل • (١٤) تنبيه سائق السيارة بأن الوقود سينفدبعد ستة أميال (١٥) ارال مطر صناعى •



على الاغنياء - بفضل هذا الجهاز - في متناول كل فرد • ومع انه ستمضي بضع سنين قبل ان يصبح في وسع ربة البيت العادية قضاء حاجياتها من السوق بواسطة تلفزيون يعمل بالكمبيوتر ، الا أن علم تطوير الالات وصنعها ما زال يقوم بجهود مكثفة لتحقيق ذلك •

له صفات انسانية !

ويلعب الكمبيوتر دورا كبيرا في مجال الرعاية الطبية وقد أصبح عاملا له الصفة « الانسانية » • فالمريض يميل الى اعطاء أكبر كمية من المعلومات الصريحة عن تاريخه الطبي وحالته المرضية والماكولات التي يتعاطاها والتي يمتنع عنها ، الى آلة أعدت لتوجيه الاسئلة التمهيدية المناسبة أكثر من اعطائها الى طبيب يقوم بتوجيه الاسئلة المحرجة والتي تسبب ضيقا للمريض • مثال ذلك يتم وضع بعض المرضى امام جهاز كمبيوتر قبل ادخالهم على الطبيب وذلك لمعرفة تواريخهم الطبية والامراض التي يشكون منها والحصول على معلومات عن المستشفيات التي عولجوا فيها • وبالامكان اجراء عملية الاسئلة والاجوبة مع الكمبيوتر باللغات الفرنسية والاسبانية والانجليزية، مع تزويد الطبيب المعالج بالترجمة الفورية • وتستطيع أجهزة الكمبيوتر هذه اكتشاف وتحديد الامراض المزمنة الدماغية والبصرية كالورم الخبيث في الرأس والماء الازرق في العين فضلا عن اكتشاف الاضطرابات الدموية وغيرها •

وفي كثير من المستشفيات يتم برمجة أجهزة الكمبيوتر لتذكير ادارة الصيدلية باعداد الوصفات الطبية وتنبيه الممرضات لاعطاء الادوية المناسبة في الوقت المحدد • وبعد أن يفحص الطبيب المريض يتم ايداع تقرير بما في ذلك نتائج التحليل المخبري في صندوق للمعلومات حيث يتم الوقوف على تاريخ المريض الطبي •

والاكثر من ذلك أن أجهزة الكمبيوتر تمكن المريض من الحصول على ملفه الصحي لقاء مبلغ زهيد من المال ، كما تقوم بتحليل كميات من دمه في ثوان معدودة •

هاتف بحجم القلم

ويقوم الكمبيوتر بدور رئيسي في ميدان السلامة على الطرق العامة • فبالاضافة الى التطوير المستمر لمحرك السيارة المعدني لجعله يعمل بصورة أكثر كفاءة وبالتالي اعطاء السيارة قوة أكبر ، فان أجهزة كمبيوتر دقيقة للغاية ستخفف من حوادث السير اليومية وتجعل الحياة أكثر أمنا وبساطة بالنسبة للسائق والمسافرين على حد سواء • ويزود أحد مصانع السيارات الرئيسية في الولايات المتحدة كل من يشتري سيارة من انتاجه بجهاز صغير جدا يتم تركيبه بداخلها • ويستطيع السائق عن طريق الضغط على زر هذا الجهاز أن يعرف بالتحديد الكمية المتبقية من الوقود في الخزان وعدد الاميال التي يتوقع أن يقطعها (بالسرعة العادية) قبل أن يكون من الضروري التزود بالوقود من جديد •

وهناك سيارات مزودة باجهزة دقيقة تمكن السائقين مسبقا من معرفة عدد الاميال التي سيقطعونها الى الجهة التي يقصدونها وتحدد لهم وقت الوصول التقريبي • وتم كذلك تزويد أنواع من السيارات باجهزة هاتف بحجم قلم الرصاص قابلة للحمل أو النقل ، بامكانها ايصال السائق باي رقم في العالم في ثوان • بالاضافة الى فرامل أوتوماتيكية تتحكم بالسيارة وتعمل على ايقافها عندما يصاب السائق بالذعر أو يفقد السيطرة على زمام الموقف مع جهاز رادار دقيق جدا لمنع حوادث التصادم •

وسيجني الشبان الفوائد القصوى للثورة الالكترونية (على عكس الفوائد المتحصلة من معظم الثورات الاخرى) • ويقدر استاذ في الرياضيات والتربية في احدى الجامعات الامريكية بانه سيكون هناك خمسة ملايين جهاز كمبيوتر خاص في المنازل وفي متناول أيدي الطلبة في غضون عامين• ويتكهن بانه في عام ١٩٨٢ سيتمكن ٨٠٪ من عائلات الطبقة فوق المتوسطة من الحصول على أجهزة كمبيوتر قادرة على القيام بادوار هامة في التطوير الثقافي لاطفالها • ويقول أحد رواد التعليم الالكتروني وهو أوثور روبرت البريشت : « ستصبح أجهزة الكمبيوتر أكثر شيوعا في المدارس من آلات العرض الخاصة بالشرائح التعليمية وآلات العرض السينمائي وأجهزة التسجيل الشريطية • وسيتم استخدام هذه الاجهزة من اللحظة التي تفتح فيها المدارس أبوابها وخلال فترات الاستراحة والتناء وجبة الغداء وطوال الوقت الذي يقرر فيه المدراء ابقاء هذه المدارس مفتوحة » •

ثورة فـي التعليم

والذى يحدث ليس قابلا للتصديق فقط بل امر لا بد منه وحتمى • ويقول احد أساتذة التربيـة الامريكيين « من الواضح ان هذه الاجهزة السحرية تقدم العون الى الاساتذة غير الاكفاء •انها تنشط الطلبة الكسالى وتزودهم بالعلم والمعرفة اكثر من تلك التى يتلقونها على أيدى معظم المدرسين • وسيتم خـزن ملايين من المعلومات والثقـافة فى كبسولات صغيرة جدا لاسترجاعها عند الحاجة » •

ويقول استاذ علم الكمبيوتر الامريكى جيرالد ايسترن « ان اجهزة الكمبيوتر تمكن الطالب من الوصول الى مستوى من العلم والمعرفة فى غضون اشهر قليلة لم يكن ليصـل اليه بدونهـا وانه بالتاكيد لن يحصـل على هذا المستوى لسنوات عديدة من الدراسة بالاساليب العادية » • وفى ولاية مينيسوتـا هناك الفـان وثلاثمائة جهـاز كمبيوتر تعليمى • ويتدرب ٩١٪ من مجموع طلاب الولاية على هذه الاجهزة • فالطلبة المتخصصون فى « البيولوجى » (علم الاحياء) بامكانهم تحليل التلوث فى البحيرة كما يتعلم مزارعو المستقبـل أفضل الطرق لزراعة مساحة معينـة من الارض وتحقيق نتائج باهرة •

وفى صنيفيل بولاية كاليفورنيا يستخدم روبرت البريشت أجهزة كمبيوتر لتعليم الاطفال كيفيـة برمجة هذه الاجهزة لتقوم بدورها بتعليم أطفـال آخرين • وفى بروكلين بولاية ماساشوسيتس اجرت مؤسسة علمية وطنية تجاربها الاولية على ٤٨ من طلبة المرحلة المتوسطة حيث قام هؤلاء الطلاب ببرمجة أجهزة كمبيوتر فى حقـول الرياضيـات واللغة والموسيقى •

وفى احدى الكليات فى نيوهامشاير يستطيـع ٩٦٪ من الطلبة استخدام أجهزة الكمبيوتر المتوفرة فى الكلية باعداد كبيرة •

ويقول تقرير لبعض خبراء التربية أن طلبـة المدارس العليا أخذوا يختارون بصـورة متزايدة الكليات التى سيلتحقون بها على اساس تسهيلات الكمبيوتر الموجودة لديها •

وفى جامعة ولاية الينوى هناك اجهزة كمبيوتر تساعد الطالب على تعلم مائة وخمسين موضوعا بدءا من اللغة السواحلية الى علم الصواريخ وذلك بموجب نظام يعرف باسم بلاتـو (Plato) •

ويجلس الطالب فى كشك صغير يستطيع اجـراء حوار مع الكمبيوتر عن طريق لوحة مفاتيح موجودة امامه فى الجهاز •

ولعله ليس ببعيد ذلك اليوم الذى يقوم فيه جهاز الكمبيـوتر بكل شىء فى المنزل تقريبـا ، وعندئذ نستطيع ان نالف المشهد التالى :

« رن جرس المنبه فى الساعة السابعة والنصف صباحا • وعلى الفور فتحت ستائر غرفة النـوم بحركة خفيفة ، وأخذ كل من ابريق الشاى والقهوة يغلى فى المطبخ ، وفتح الباب ليخرج منه الكلب • وأدير جهاز التلفزيون لسماع أول نشرة أخبـار فى اليوم الجديد ولمشاهدة برامج متنوعة اقتصادية وسياسية ونقدية وتشريعية الخ • وبعد ذلك جاء دور البريد الصباحى الذى يبثه المراسلون عن أجهزة الكمبيوتر• وكان رب المنزل ما زال مستلقيا فى فراشه وبعد برهة ضغط على زر موجود فى صندوق مجاور وأخـرج مذكرة تتضمن الاعمـال اليومية الشخصية والتى ظهرت على الفور على شاشة الكمبيوتر • وبعد ان أخذ دشا باردا ارتدى ملابسه وسار بخطى هادئة الى السيارة التى كان بالطبع موتورها يعمل ، ثم انطلق بها الى مكتبه فى الشركة لممارسة عمله اليومى • وبعد ذهابه قامت زوجتـه بواسطة الكمبيوتر بالاطـلاع على قوائم الاسعار المختلفة للمواد الغذائية وغيرها • وبعد منافسة الجزار والخبـاز وصاحب البقالـة ضغطت على زر فى الجهاز لتحديد الكميات المطلوبة لحفل العشاء • ثم ضغطت على زوجين من المفاتيح فى الجهاز الموجود فى المطبخ وحصلت على المقادير اللازمة لوجبات الطعام المفضلة التى سيتم اعدادها• وتم تسخين الفرن الى الدرجة المطلوبة تمهيدا لطهى الاصناف المعدة » •

وبالرغم من أن هذا المشهد التمثيلى يبدو خياليا بل ضربا من الاحـلام فى الوقت الحاضر ، وقـد يستغرق تحقيقه سنوات عديدة ، الا أن التكنولوجيا الاساسية قائمة • وسيتمكن العلماء والمهندسون المختصون فى هذا المضمار فى المستقبل من تحقيق هذا الحلم •

وخلاصة القول فان ثورة الكمبيوتر ستحدث تاثيرا كبيرا فى حياة الكثير من الامم وستعمل على جعل الحياة اليومية بسيطة خالية من التعقيدات •

ترجمة : سمير جيوسى

الزهاوى

بين العقاد والزيات

بقلم : جمال الدين الالوسى



العقاد



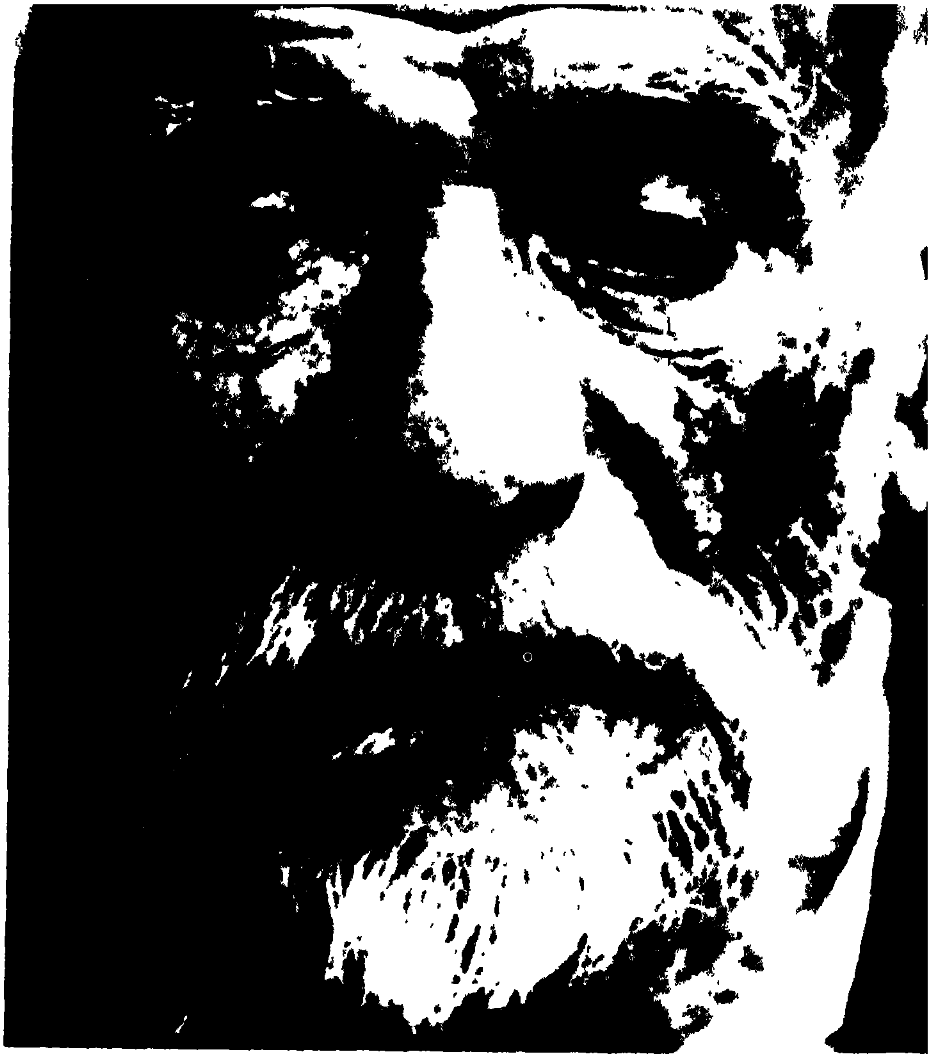
الزيات

■ فى سنة ١٩٢٧ سئل الاستاذ العقاد اين يضع الزهاوى بين الفلاسفه والسعراء ، فكان زبدة جواب العقاد « انه صاحب ملكه علمية ، من طراز رفيع ، وانه يصيب فى تفكيره ما طرق من المسائل التى يجتزىء فيها بالاستقراء والتحليل ، ولا تفتقر الى البديهة والسعور . فمن ينسده فلينسده عالما ينظم ، او يجنح الى الفلسفة ، فهو فمين باصغاء اليه واقبال عليه فى هدا المجال ، وان خير مكان له هو بين رجال العلوم ، ورادة القضايا المنطقية . فهو لا يبلغ بين الفلاسفة والسعر مثل ذلك المكان » .

ولو ان صاعقة انقضت على راس الزهاوى لكانت اهون عليه من هذا الحكم القاسى ، الذى ظاهره فيه الرحمه ، وباطنه فيه العذاب ...
وى ظاهره ، ولكن ...

ان ينادى به الساعر الفيلسوف ، وذلك قبل ان كان الناس يضفون على الشعراء «الكبير» او«الاكبر» .

... العقاد رحمه الله كان يقدر وقع كلامه ...
... الزهاوى ، وربما تعمدها ، وجاءت ...
... مقالة العقاد فى وقت كانت المعركه ...



الزهاوى

« لــو ان صــاعقة انفضت على راس الزهــاوى لكــانت اهون عليه من راى العقاد فيه ! »

على اشدها بين انصار الرصافى وانصار الزهاوى، فزادت كلمة العقاد الطين بله كما يقال . واتخذ منها خصومه حجة وشهادة بايديهم للهجوم على الزهاوى .

رد الزهاوى على العقاد

وقرأ الزهاوى ذلك وهو المغيظ المحنق ، فكتب ردعلى العقاد وفحوى رده «ان الشاعرية والفيلسوفية لا تثبتان لانسان بدعواه ان كان خلوا منهما ، ولا ينفيان عنه بانكار منكر ان كان له منهما نصيب . وليس ذوق المتنافسين فى شىء باولى ان يتخذ مقياسا من ذوق الآخر . بل الحكم العدل فى مثل ذلك هو الراى العام لجيليهما والاجيال الاتية ... » ومقالة الزهاوى على هدوئها كانت تدمى بالالم وتندى بالحزن ، وظلت تعتلج فى صدره الهموم من جرانها فقال من رسالة لصديق له (محمد يعيش) .

« وقرات قبل ذلك مقالا للاستاذ العقاد يطردنى فيه من حظيرة الشعراء والفلاسفة » (١) ونشر الزهاوى ابياتا ندد بتلك الحملات الظالمة فى نقدها ، وكان الزهاوى يظن الرصافى وراءها قال فيها:ـ

ملأوا صدور الصحف حقدا
والحقد قد سموه نقدا

أنى ألتفت أرى أما
مى من رجال السوء ضدا

قالوا : « دخيل فى القريـ
ـض ، فما أجاد ، ولا أجدا »

قالوا : « صغير لا يعد من
الفحول ولا أجدا »

(١) اقرأ المقالتين فى كتاب (الزهاوى)للاديب الاستاذ عبد الرزاق الهلالى .

قالـوا : « الى الاحسـان منـــ
ــه غـيره في الشعــر أجـــدا

ولـــه جـــــراءة فيلســـــو
ف يوســع الاديـان جحــدا »

كـذبـــوا فانـــى شـاعـــر
وأديــن بالاســــلام جـــدا

وكتب في رده « كنت احسب ان هناك نقدا نزيها يراد به خدمه الحقيقه ، ورفع شان الادب، واذا النقد حقد ، واذا النقد سب وشتيمة ،واذا النقد تشويه لسمعة العراق » .

ودامت هذه المعارك الادبيه حقبة امتدت الى السنة التي رشح فيها العقاد للتدريس بكليه « دار المعلمين العالية » ببغداد وشاع خبـــر ترشيح العقاد واوشك ان يزمع اسمر الـــى العراق فكان الهم والاسى يلازم صدر الزهاوى، وراح يحسب انه بمجيء العقـاد سيلتف حوله الخصـوم وسيخلقـون للزهاوى متاعب ، وباتت تساوره الاحزان ، ويتمنى على الله أن لا يتحقق تعيين العقاد للمنصب ، وفي الكنانة ادباء يحسنون تدريس الادب . وقد هبت رياح العقاد رخاء حيث اصاب النجح والفوز بالانتخابات النيابية بفـوز قائمة الوفد الذى هو من ابرز اعضائه ومن كتابه البارزين وكان موضع ثقة رؤساء الوفد ، ففضل النيابة وهو بطبعه لايميل الى التغرب ولم يبرح مصر الا مرتين مرة الى فلسطين والثانية الـــى السودان وللرحلتين دواع ...

ورشح العقاد مكانه للتدريس الاديب الاستاذ أحمد حسن الزيات فانفرجت ازمة الزهاوى وهدا باله .

وفرح بمقدم الزيات وحف بزيارته في اليوم الثاني من وصوله بغداد وان لم يكن بينهمامعرفة، ولكن رابطة الادب خير رابطة . والزهاوى سخى النفس سهل الخلق يحب السبق في زيارة ضيوف بغداد ولاسيما ان كانوا من الشعراء والا... المفنين المشهورين ...

القصا...

الزهاوى يستقبل الزيات في بغداد

كتبت جريدة البلاد لصاحبها رفائيل بطي في ١ كانون الاول سنه ١٩٢٩ خبر وصول الاستاذ الزيات وقالت : « وصل بغداد اخيرا حضرة الاديب الكبير الاستاذ احمد حسن الزيات الذى ذكرنا خبر تعيينه استاذا للادب العربي في دار المعلمين العالية ببغداد » .

وكتبت السياسة المصرية في توديعه « ولسنا في حاجة لان ننوه بتوفيق الحكومة العراقية فـى هذا الاختيار . فالاستاذ الزيات من أعلام المدرسة الادبية الجديدة ، وله طريقة في النقد الادبي يشهد بها مؤلفه المعروف في « تاريخ الادب العربي» وبيان ساحر يذكره كل من قرأ ترجمته « آلام فرتر» و « رفائيل » .

والاستاذ الزيات انما يذهب الى العــراق رسولا للثقافة المصرية الجديدة التي يبدو اثرها اليوم واضحا في جميع البلاد العربية ، وسوف يكون له من مهمته في عاصمة العراق وسيلـــة لتقوية الروابط الفكريـــة والاجتماعية بين القطرين الشقيقين » .

وحل الزيـــات بفندق (كارلتون) وهـــو من الفنادق ذات الدرجة الاولى وكانت قلة ، واجهته تطل على شارع الرشيد وواجهته الخلفية تشرف على دجلة بجوار الجسر الوسط « جسر الاحرار» وفي وسطه باحة مفتوحة واسعة ووسطها حديقة تعمرها اشجار الليمون والنارنج وشتلات الورد.

ولم يمض على قدومه غير ليلة واحدة لم ياخذ قسطه فيها من وعثاء السفر في سيارات (نيرن) حتى خف الاستاذ جميل صدقي الزهاوى فى الصباح الثاني ليزور الزيات قبل ان يقـابله احد من الناس . فقال الزيات يصف هذا اللقاء « كنت جالسا في بهو كارلتون » صباح اليوم الثاني لقدومي بغداد *اروض قلبي على روعة الفراق، واذني على لهجة العراق،وعيني على غرابة الصـ...*

واذا باحد النذل ، يلقى الى ببطاقة كتب عليـ... *«جميل صدقي الزهاوى » ولم تكد تلوح لـ...* مخيلتي صورة الشاعر التي صورها السماع الـ...

حتى رأيت على باب البهو شيخا في حدود الثمانين (١٩٦٣ ـ ١٩٣٦) قد انخرع متنه ، وتقلقلت رجله ورعشت يده ، فلا يحمل بعضه بعضا الا جهدا . اقبل على يتخلع على ذراع غلامه ، وقد انبسطت اسارير جبينه العريض ، وانفرجت شفتاه الذابلتان عن ابتسامة نضرة عذبه ، ثم سلم تسليم البشاشة بيد مرتجفة ، ورحب بى ترحيب الكرم ، بصوت متهدج ، ثم انطلق يشكو جحود الامة ، واغفال الدولة ، وكيد الخصوم ، والحاح المرض ، وتطرق الى خصومته ما منذ مع الاستاذ العقاد، فذكر والاسف المر يكسبه لهجة المظلوم ، وهيئة الشهيد ـ كيف استغلها فى العراق من سدد خطاهم فى الشعر، وارجف بها من تولاهم بالرعاية ، وحمدا لله على اننى جئت بغداد بدل العقاد ، فقد كان وجوده تاليبا متصلا على فضله ، وازعاجا مستمرا لسكينته .

الزهاوى ينقد العقاد متسترا

عرفنا رأى العقاد فى شاعرية الزهاوى وفلسفيته ، وقرانا رد الزهاوى ، فلما اصدر العقاد ديوانه اهتبلها الزهاوى فرصة لينتقم من العقاد بنقد ديوانه ولو من وراء ستار ، فقد نشرت مجله « لغة العرب » لصاحبها الاب انستاس الكرملى سنة ١٩٢٨ مقالات متتابعة ، نقد كاتبها ديوان الاستاذ العقاد ، وكانت خلوا من التوقيع لاتصريحا ولاتلميحا ، فانصرف ذهن القراء الى ان الناقد هو صاحب المجلة ، وانصب هجوم العقاد على الاب انستاس لانه المسئول عن المجلة، وظلت حقيقة كاتبها سرا مخفيا حتى كشف عنه البحاثة عبد الرزاق الهلالى ، فقد عثر على مسودات المقالات التى بلغت (١١٠) صفحات نشر منها (٥١) صفحة ولم تنشر المجلة الباقى ، واذا هى بخط الزهاوى ، وقد فعل مثل ذلك حين نقد ديوان شوقى ونقد شعر الجواهرى ، والتمس اديبا من اخوانه يوقع النقد .

هذه طبيعته ولك أن تسميها «الجبن» أو تسميها «نشدان السلامة» ، وهكذا تحمل الاب الكرملى وهو برىء قسوة قلم العقاد .

« غيرى جنى وانا المعذب فيكم
فكأننى سبابة المتندم »

ظهرت الحلقة الأولى من نقد الزهاوى تحت عنوان ـ ديوان العقاد ـ فى العدد الرابع من السنة السادسة من مجلة (لغة العرب) الصادر فى نيسان ١٩٢٨ قال فى مستهلها .

(العقاد كاتب كبير ، وكنا نعتقد انه كذلك شاعر كبير ، حتى جاءنا ديوانه الجديد حافلا بما نظمه قديما وحديثا ، فاذا هو دون ما اكبر تصورنا، واذا هو مشحون بالاغلاط ، والضرورات القبيحة، واذا هو فى كثير من قصيده يخرج من الموضوع فلا تبقى فيه الوحدة المتوخاة منه ، واذا هو يبالغ او يغرق فى كثير من ابياته ، واذا هو يقلد القدماء،فليس فيه ما يمت الى الشعور بواشجة، الا ابياتا قليلة متفرقة هنا وهناك) .

وشرع ينقد الابيات التى يرى فيها ما يستوجب النقد من ناحية اللغة والشرح والوزن والمعنى وهو نقد يمثل وجهة نظره ومماحكاته ، واستمر ينشر نقده فنشر الحلقة الثانية فى الجزء الخامس من المجلة فى شهر مارس ١٩٢٨ والثالثة نشرها فى الجزء السادس الصادر فى حزيران من السنة نفسها .

العقاد يهاجم الكرملى

وصدر رد الاستاذ العقاد بعد ان كتب اليه صديق للزهاوى ومن انصاره ينفى فيها للعقاد ان يكون للزهاوى صلة فيما نشر فى لغة العرب عن ديوانه وان اناسا فى المدينة يمشون فى الدسيسة ليوقعوا الشر بينه وبين الزهاوى قال العقاد .. (وليس من شانى ان اعزو هذا الكلام الى احد غير صاحب المجلة المكتوب اسمه على غلافها ، فان النقد هو الذى يعنينى ، وليس الكاتب ، ولا من اوعز لها اذن وهى راضية عنه ، موافقة عليه ، غير انى اعجب وانله لصدور نقد كهذا فى مجلة يقال عن صاحبها انه كثير الاشتغال بالعربية ، واسع الاطلاع على قواعدها النحوية والصرفية ، فان فى نقده لغلطا فاحشا لا يقع فيه

من له المام بهذه القواعد ، واطلاع ولو كاطلاع التلاميذ المبتدئين ، ولست اعرف معرفة اليقين « ما » الاب انستاس الكرملي صاحب المجلة المكتوب اسمه على غلافها • ولكني سمعت من صاحب لي اديب انه راهب دير ، ادمن الاشتغال باللغة العربية ، حتى تريب رؤساؤه به لهذا نقلوه الى دير ينقطع فيه عن خدمة هذه اللغة زمنا لا ادرى ما قدره ؟ فان صح ما رواه صاحبي الاديب فهم قد اطلقوه الان ، لانهم رجعوا الى الصواب في امره ، وعرفوا ان البلية على العربية في اشتغاله بها ، لا انصرافه عنها ، وتركها وشأنها •

واخذ يرد على اخطاء الزهاوي •

وقرأ اديب من انصار الرصافي تعقيب العقاد وما استهل من الهجوم العنيف على الاب انستاس فكتب في جريدة العراق يوم ١ تموز يولية ١٩٢٨ في باب على هامش السجل كلمة بعنوان« المؤاخذ بذنب غيره » وذكر أن كاتبا غير الكرملي انتقد العقاد ، وغيره اساء الى العقاد ، وهو الذي عوقب على تلك الاساءة وهو الذي اخذ بتلك الفعلة (٢) هذا مجمل ما كان بين الزهاوي والعقاد يوم راح يشكو للزيات ظلم العقاد له وهو البادىء •••

الزيات يصف الزهاوي

قال الزيات :

« لم يدع لي الزائر الكريم فرصة بين كلامه الدافق ، ادخل عليها منه بالتخفيف ، فان الزهاوي كما علمت ـ بعد ـ ديدنه ان يتكلم ، كالبلبل خاصته ان يغرد ، او كالزهر طبيعته ان يفوح ،فهو في مجلس الصداقة شاك او شاكر ، وفي مجلس الادب معاصر او شاعر ، وفي مجلس الانس مفاكه او محدث ، كان الشيخ يتكلم او ينشد ، ونبراته المؤثرة ، وقسماته المعبرة ، ولحيته الخفيفة المرسلة ، ووجهه المسنون الاعجف ، وشاربه النائم على فمه الاهرث ، وعينه البراقة ترارأ من خلف المنظار ، وشعره الاشمط يتهدل على نتوء الصدغ ـ كل اولئك كان يخيل الى ان طيفا من أطياف الجدود ، او نبيا من انبياء اليهود قد انشق عنه حجاب الزمن فجاة في هذا المكان الصامت ،والنور القاتم ، والجو الغريب ، ولكن الجدية التى تغيض من كلماته والعزيمة التى تضطرم في نظراته ، كانت تطرد هذا الخيال ، وتجعلني وجها لوجه امام كتلة من الاعصاب القوية المشدودة ، تتكلم وتتالم ، وتثور وتهدأ ، وتسخط وترضى، وموضوع مقالها وانفعالها لا يخرج ابدا عن «الانا» اذا صح التعبير وقال : «دابتو (عربة) الشيخ بعد ذلك على ان تقف امام منزلي صباح يوم الجمعة من كل اسبوع فكنت استقبله استقبال العابد المتحنث للكاهن الملهم ، ثم نقضي ضحوة النهار معا يحدثني فاعجب ، او ينشدني فاطرب، وقد تكون اذني الى فمه ، وليس معنا ثالث ولكنه يجاهر بالالقاء ، ويصور المعنى بالصوت والايماء ، حتى يدهش المنزل ، وينصت الشارع ، وهو بين الفترة والفترة يعود الى الشكاة ، وشكواه لا تنقطع ، واظل انا امام هذا الجيشان الروحي ساهما حالما ، افكر في الذهن الذى لا يكل ، واللسان الذى لا يفتر ، والزهو الذى لا يتقاصر، والقلق الذى لا يسكن ، والتمرد الذى لا يهن ، والشباب الذى يلبس رداء الشيخوخة ، والحياة تاخذ هيئة الموت ، ويقول لي :

انظر كيف اذيب عمري في شعري والامة تقذفني بالبهتان ، والحكومة تخرجني من الاعيان(٣)• ■■

جمال الدين الالوسي •

---

(٢) الكاتب هو الاستاذ مصطفى علي الاديب المعروف•

(٣) اختارت الحكومة اعضاء مجلس الاعيان في اول قيامه ١٩٢٥ وكان بينهم جميل صدقي الزهاوي ، فلما مضت سنتان جريت بين الاعضاء القرعة فكان من نصيب الزهاوي الكرة الحمراء التي هي علامة الرسوب ، ولم تشأ الحكومة اعادته فظل ينقم عليها ، ويحلم بالعودة الى الاعيان ، والقرعة لا تجرى الا مرة وبعد أن تمضي اربع سنوات على العين ـ اما ان يجدد تعيينه ، او يخرج تلقائيا من العينية •

اعداد : يوسف زعبلاوى

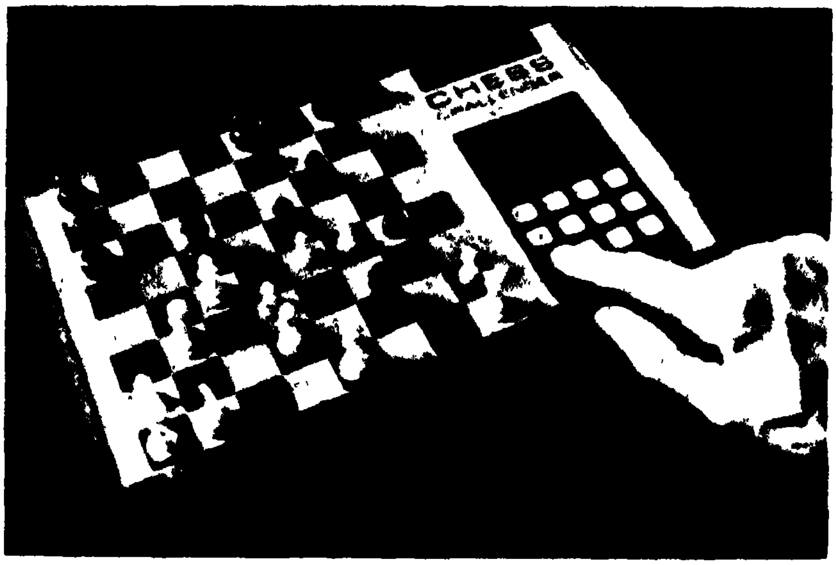
سطريج جديد تشتريه وتشترى خصمك العنيد معه

● الشطرنج الالكترونى الذى صنعته احدى الشركات الامريكية مؤخرا لا يختلف كثيرا عن الشطرنج العادى من حيث الشكل والاحجار والخانات .. واسلوب اللعب ومبادئه أيضا .. الا ان الشطرنج الالكترونى مزود بازراروشاشة كشاشة الحاسبات الالكترونية الصغيرة .ولا عجب فالشطرنج الالكترونى مجهز هو الاخر بحاسبة الكترونية صغيرة تختفى وراء ازراره وشاشته .

اما مهمة هذه الحاسبة فطريفة ، ان لم نقل عجيبة . فهى تقوممقاممنافسكاو غريمك فى اللعب .. تنازلها فتغلبها حينا وتغلبك حينا آخر .. وكانها الخصم البشرى لا الآلى اذن فانت تقتنى الشطرنج . الالكترونى وتقتنى معه زميلك فى اللعب ، وهو زميل طيّع ومتكافىء من حيث المستوى .. طيع .. لانك مطلق الحرية فى ملاعبته وقتما تشاءوللمدةالتى تشاء ، فلا مشاغل ولا مواعيد تقيده وتحول بينك وبينه .

ويجرى اللعب علىالشطرنج الالكترونى بالضغط على الازرار . وتحريك الاحجار بواسطة هذه الازرار ، وفق الرغبة.وما اسرع ما يرد عليك غريمك بنقلة مضادة يعلنها على الشاشة الصغيرة .. فتبادر انت الى الضغط على الزر المناسب لتلك النقلة ، نيابة عن خصمك ، ثم ترد عليه بنقلتك وهكذا .. حتى اذا تبين الغالب بينكما من المغلوب، اواعترض سبيل اللعب اشكال ما .. ظهر بيان ذلك بوضوح على شاشة الشطرنج .

ولعل اغرب ما يذكر عن الشطرنج الالكترونى ان فى الامكان برمجته منحيث المستوى والمهارة فىاللعب بحيث يفوقك او يكون دونك كفاءة اذا لم تشا ان يكون فى مستواك ..



ثمرة رائد من ثمار الهندسة البيولوجية

● شركة جنرال الكتريك شركة أمريكية عملاقة .. عملاق بدخلها وأرباحها وعملاقة بتعدد منتجاتها وتنوع أوجه نشاطها .. هذه الشركة سجلت مؤخرا اختراعا فريدا فى نوعه .. فالذى اخترعته ليس آلة أو جهازا أو اسلوبا جديدا محسنا للتطبيق فى مجال الزراعة أو الصناعة أو خلاف ذلك .. انه بكتريا جديدة .. بكتريا خلقوها فى مختبرات الشركة .. بكتريا لم يكن لها وجود ، وتتصف بخصائص لاتتصف بمثلهاأىمن صنوفالبكتيريا المخلوقةكلها..





وغنى عن البيان أن هذه البكتريا ، التي سمتها الشركة Pseudomonas Baeteria انما هي ثمرة لما يعرف بالهندسة البيولوجية أو (الجينية) Genetic Engineering . وقد ظهرت هذه الهندسة في الغرب في السنوات الاخيرة وتعرضت لاجراءات التحريم في أكثر من مدينة ، وذلك نظرا للمخاطر التي قد تؤدي اليها عن غير قصد ، كتخليق كائن خبيث فتاك ...

ومما يذكر عن البكتريا الجديدة انها خلقت من انواع اخرى معروفة من البكتريا ، وقد راعوا في تخليقها توليد خصائص فريدة خاصة بها .. أو على وجه التحديد ، القدرة على التهام البترول وهضمه ، الامر الذي يجعل البكتريا الجديدة الوسيلة المثالية للقضاء على تلوث البحار والمحيطات بسبب البترول .

روث البقر
مصدر من مصادر الطاقة البديلة

● ظهرت في الولايات المتحدة الامريكية مؤخرا صناعة جديدة رائدة .. صناعة استخراج الغاز الطبيعي من روث البقر . وقد لا يمضي سوى أسابيع قليلة حتى يكتمل انشاء المصانع المناسبة في شيكاغو ومدينة بارتو Bartow في ولاية فلوريدا .

ومما يذكر هنا ان احدى الشركات حصلت على امتياز لبناء مصنع من تلك المصانع الرائدة في المدينة السالفة الذكر .. مدينة بارتو . وبلغت رسوم الامتياز الذي منحته لها دائرة الطاقة الحكومية نحو مليون دولار .. اما الشركة فتعرف باسم هاملتون وهي متفرعة عن الشركة الام اليونايتد تكنولوجي - United Tech

الذراع الالكترونية
تتلقى اوامرهــا من الدماغ



سبق ان تحدثنـا فى هذا البـاب عن الذراع الصناعية الجديدة التى لاتقل عن الذراع الطبيعية قوة (راجع العدد ٢١٤ شهر ٧٦/٩) ٠٠ ولما كان امر هذه الذراع الكهربائية الميكانيكية موضع اهتمام الكثيرين عدنا الى الحديث عنها بما استجد لدينا من معلومات عنها وصور واضحة لها •

١ ـ الذراع ذات مرونــة كبيرة ، وتستطيع القيــام بثمانى حركات مختلفة ،تشمل فيما تشمل حركات الاصابع ٠٠ وما ذلك الا لان الذراع تتلقى امر القيام بهذه الحركات من الـدماغ ، كالذراع الطبيعية تماما ٠٠ والصورة الاولــى تبين الذراع الجديدة بوضوح وتبين ايضا احد الذين رُكبت لهم هذه الذراع وقد مضــى يكتب بها ولسان حاله يقول : « لقد ردت الى حب الحيــاة ثانية » !

٢ ـ ولكن تلقى الاوامر من الدماغ عملية معقدة ،وتقتضى تحديد موقع العضلات المسؤولة عن حركات الذراع والموزعــة بين الصدر والظهر والاكتاف٠٠ وهذا هو بالضبط ما يفعلــه الطبيب المختص فى الصورة(٢)٠

٣ ـ وتقتضى العملية المعقدة ايضا وجود ما يضمن التقاط الاوامر أو الاشارات الكهربائية Impulses التى يصدرها الدماغ ، لتنطلق عبر النخاع الشوكى الى العضلات السالفة الذكر،بل الى نهايات الاعصاب فى تلك العضلات ٠٠ وانت ترى فى الصورة(٣) اربعــة الكترودات electrodes ، هى التى تلتقط اشارات الدماغ وتعمل على ترجمتها الى حركة٠ ومن شـان هـذه الالكترودات اللاقطة ان تحلل رموز اشارات المخ وتقف على اوامره • فهى اذن بيت القصيد فى الذراع الجديدة ٠٠ وتحتاج الـذراع الواحدة الى عشرة الكترودات تثبت على جسم صاحبها ٠٠ عند الخصر •

---

nology• وقد اختارت للمصنع موقعا مناسبا فى مزرعة لتسمين الماشية تتسع لعشرين الف راس من البقر • ولا يخفى الباعث على اختيار هذا الموقــع ٠٠ فالمصنع يحصل على خامتــه الاولية ـروث البقرـ مباشرة، دونما حاجة الى نقله والتكلف على شحنه •

ويسيّل الروث ، بعد عزل محتوياته الليفية،ويصب السائل فى خزانات كبيرة مملوءة بنوع معين من البكتريا ٠٠ يتحمل الحرارة العالية ، بل يعشقها ومن ثم سموه عاشق الحرارة Thermophilic •

ثم تسخن الخزانات الى درجة حرارة ١٢٠ مئوية ، فتلتهم البكتريا الروث ولا تلبث ان تفرز غازات تحتوى على غاز الميثين (الغاز الطبيعى) بنسبة ٦٥٪ تقريبا •

ويذهب الخبراء الى ان مصنع مدينة بارتو سيفى بالجانب الاكبر من حاجة هذه المدينة ومصانعها الى الغاز الطبيعى • ويقدرون عدد الابقار التى تستطيع ان تفى باغراض التدفئة فى منزل واحد بثمانية وعشرين راسا ونصف الراس ٠٠ هذا بالطبع اذا لم تعرقل عملية الانتـ ج حالات الامساك التى قد يتعرض لها البقر ٠٠ !

الحرب الدبلوماسية

في منطقة الخليج

بين الولاة العثمانيين والدهاء البريطاني !

بقلم الدكتورة نجاة عبدالقادر الجاسم

قسم التاريخ ـ جامعة الكويت

هذه صفحات من تاريخ الخليج العربي ، تسجل بعض معالم تلك المرحلة التي كان التنافس فيها شديدا بين بريطانيا والدولة العثمانية على التفوق والسيطرة في « مشيخات » المنطقة . وهي تروي من خلال تفاصيل قد تبدو صغيرة ، ولكنها ذات دلالة هامة ، كيف وضعت بريطانيا أقدامها في الخليج ، في تسلل حذر ، و .. خطوة خطوة !

■ بعد انتهاء الوجود المصري في الحجاز ونجد ، في أواخر القرن التاسع عشر ، دعمت الدولة العثمانية وجودها في هذه المناطق . وفي الوقت ذاته دعمت بريطانيا نفوذها في بعض المواقع الساحلية على الخليج العربي الذي اهتمت به لدواعي تامين طريقها الى الهند .

وقد أدى هذا الوضع الى حدوث مواجهة بين الامبراطوريتين ، لم تكن عسكرية لاسباب موضوعية عديدة ، ولكنها كانت مواجهة سياسية ودبلوماسية بالدرجة الاولى . مما ملأ دور الوثائق على الجانبين بالعديد من المكاتبات التي تكشف طبيعة هذه المواجهة وأحداثها .

فقد بدأت بريطانيا بتقوية نفوذها السياسي على القسم الجنوبي من ساحل الخليج بحكم الموقع الجغرافي وقربه من الهند ، في حين أن الدولة العثمانية اتخذت من ولاية بغداد نقطة انطلاق نحو القسم الشمالي من الخليج العربي .

وبينما اعتمدت بريطانيا في مد نفوذها في امارات الخليج العربي على الاتفاقيات التي عقدتها مع شيوخ هذه الامارات فان الباب العالي عجز عن اتخاذ اجراء للدفاع عن حقه في السيادة على تلك الجهات واكتفى بابلاغ حكومة لندن بعدم اعترافه بهذه الاتفاقيات .

ولم يكن لاحتجاج الباب العالي اثر يذكر في تغيير مجرى الحوادث واتجاه السياسة البريطانية التي غدت بعد عقد معاهدة السلام في البحر عام ١٨٥٣ مع امارات الساحل المهادن ، اكثر اصرارا في التمسك بهذه الاتفاقيات وربط الشيوخ بعجلة السياسة البريطانية التي تبنت في ذلك العهد

مبدأ التقدم الى ما وراء حدود الهند بقصد الدفاع عن الهند ·

قضية الرقيق

وكما اتخذت حكومة الهند البريطانية من اختلال الامن في مياه الخليج العربي ذريعة للتدخل واجبار شيوخ الامارات على عقد اتفاقيات تربطهم بها ، فانها أيضا كانت تستغل كل فرصة لبسط نفوذها على جهات أخرى لم يكن الوجود العثماني فيها واضحا ·

وفي هذا الصدد فان قضية « مكافحة الرقيق » كانت لها انعكاساتها العديدة على التنافس العثماني البريطاني · والحق ان الدولة العثمانية لم تكن مثل المشيخات العربية مصدرة للرقيق بل كانت ولاية بغداد سوقا هاما لشراء الرقيق المستجلب من افريقيا · لذلك بدأت بريطانيا في فرض معاهدات حظر تجارة الرقيق على الامارات المساهمة في تصديره · وبعد أن قطعت شوطا في هذا المجال اتجهت الى عقد اتفاقيات أخرى مع الدولة العثمانية ، وبطبيعة الحال لم يدر بوسع بريطانيا أن تفرض على الباب العالي نفس الشروط التي فرضتها على الامارات العربية· وفي بداية الامر اكتفى باستصدار تصريح من حكومة الآستانة في ١٨٤٧ تعهدت فيه بحظر الاتجار في الرقيق بين ولاية بغداد وسواحل افريقيا الشرقية·

وقد أثارت سياسة مكافحة الرقيق مشاكل قانونية تتعلق بحق تفتيش السفن · ذلك لان عديدا من سفن الخليج العربي كانت تحمل العلم العثماني · ويبدو أنه بعد عقد معاهدات الغاء تجارة الرقيق مع الامارات العربية لجأ بعض قادة السفن الى رفع العلم العثماني للتهرب من التفتيش البريطاني· ومع ازدياد النفوذ البريطاني وازدياد الوعي في الدولة العثمانية من جهة أخرى، أمكن عقد اتفاقية لتحريم تجارة الرقيق في الخليج العربي مع الباب العالي في ١٨٨١ · وتقضي هذه الاتفاقية بأن يكون حق التفتيش ساريا على الطرفين ، ولكن من الواضح أن بريطانيا هي التي مارست وحدها حق التفتيش ، كما نصت المعاهدة على أن تسلم السفن المخالفة لاقرب سلطة عثمانية لمحاكمتها · وهذا النص ليس له نظير حتى بالنسبة للامارات العربية التي قبلت أن يحاكم أصحاب السفن المتهمون بالاتجار بالرقيق أمام محاكم قنصلية بريطانية ·

السلطة القضائية

وعندما نتحدث عن السلطة القضائية فلا بد من الاشارة الى أنه لم يكن هناك تفاهم مسبق بين الآستانة ولندن حول هذا الموضوع · ولذلك نجد أن الخلافات كانت تظهر عندما ترفض كل منهما أن تمارس احدى الدولتين سلطة على المواطنين الخليجيين ·

كان أكثر شيوخ ساحل الخليج ملتزمين أمام الحكومة البريطانية ــ عن طريق المعاهدات والاتفاقات ــ بالامتناع عن الحروب البحرية · لذلك كانت الحكومة البريطانية ترى أن من حق المقيم السياسي البريطاني أن يطلب تعويضا باسم حكومته من حكام الساحل في حالة ارتكاب رعاياهم أعمال « القرصنة » · وقد رأت حكومة الهند (البريطانية) أن من واجب البريطانيين أيضا الحصول على تعويض لرعايا هؤلاء الحكام عندما يتعرضون لمضايقات في البحر من قبائل عربية تابعة لشيوخ آخرين لا يرتبطون مع بريطانيا بمعاهدات · لان الحكومة البريطانية التزمت أمام هؤلاء الشيوخ بالمحافظة على السلام في مياه الخليج العربي ·

وقد اهتمت الحكومة البريطانية بتأكيد سلطتها القضائية على رعايا امارات الخليج العربي على أساس أن ترك الامر بيد السلطات العثمانية يؤدي الى ظهور « القرصنة » بصورة واسعة ، لان السلطات العثمانية غير قادرة على فرض عقوبات رادعة وحماية من يتعرضون للعدوان ، فضلا عن أن انتعاش القرصنة يؤدي الى الحاق الضرر بالمصالح التجارية البريطانية ·

وكان الباب العالي قد ابلغ السلطات البريطانية في اكتوبر ١٨٧٩ بانه قد صدرت تعليمات مشددة للموظفين باليقظة والسهر على حفظ الامن في مياه الخليج العربي · وكلما وقع حادث قرصنة أسرعت حكومة لندن الى تنبيه الحكومة العثمانية الى ما في ذلك من خطر ، ففي نوفمبر ١٨٧٩ كتبت حكومة لندن الى الباب العالي بان اهمال

السلطات العثمانية او عجزها عن حفظ الامن فى مياه الخليج العربي قد يؤدى الى نتائج من صالح الباب العالي أن يتجنبها .

غير أن الحكومة البريطانية كانت ترى احيانا ـ ولاعتبارات سياسية ـ الا تتصرف بصورة قد تبدو عدائية تجاه الباب العالي ، حتى لا يؤدى ذلك الى استثارة الشعور الاسلامي تجاه بريطانيا . ولذلك كان وزير خارجية بريطانيا « سالسبورى » يرى انه من الافضل فى بادىء الامر التوصل الى اتفاق صريح او ضمني مع الباب العالي يمكن بمقتضاه تجنب المتاعب الناجمة عن عدم تعيين حدود لمناطق السيادة العثمانية على ساحل الاحساء، وعدم كفاءة الموظفين العثمانيين واهمالهم وتقصيرهم فى المحافظة على من هذه المياه .

نتيجة لهذا الوضع اصبحت بريطانيا حريصة على أن تفصل فى القضايا والمنازعات التى تقع بين رعاياها او رعايا الامارات العربية وغيرها . وكانت السلطات البريطانية تتدخل فى حالة الاعتداء على اى سفينة أجنبية . كما حدث عندما هاجمت جماعة من القراصنة الفرس سفينة فارسية اخرى قرب مصب شط العرب ، وتمت معاقبة المعتدين بترتيب تم بين المفوضية البريطانية فى طهران ووزارة الخارجية الفارسية.

مشكلة رعايا البحرين

كما تبرز الخلافات بين الدولتين العثمانية والبريطانية بوضوح فيما يتعلق بممارسة السلطة القضائية على رعايا البحرين سواء كانوا مقيمين فى الجزيرة أو خارجها . والواقع ان الدولة العثمانيةكانت تتطلع الى وضع اقدامها فىالبحرين بأى شكل ولكن الوجود البريطاني هناك حال دون ذلك .

وكان من نتائج الصراع الداخلى فى البحرين فى اواخر القرن التاسع عشر ، الى جانب تعرض الشيوخ الى ادعاءات التبعية الفارسية أو العثمانية ، ان شيخ البحرين كتب الى المقيم السياسى (هينيل) يعلن نفسه رعية بريطانية ، ويطلب من المقيم ان يحمى جزيرته باعتبارها تابعة لبريطانيا . وتعلل الوثائق البريطانية هذا الطلب بأن الشيخ وجد فيه الضمان الوحيد ضد اخطار العدوان الاجنبي سواء من الدولة العثمانية أو فارس . الا ان المقيم البريطاني لم يرحب بهذا العرض حتى لا يثير الدول الاخرى .

وقد اعتبرت الحكومة البريطانية ان الحماية البريطانية على البحرين تمتد الى رعايا البحرين اينما كانوا .وقد ابلغت وزارةالخارجية البريطانية السفير العثماني فى لندن وذلك فى ابريل ١٨٧٤ بان الحكومة البريطانية لا تقبل تبعية البحرين الى الدولة العثمانية ، وانها ستتحمل مسؤلية ارتباطاتها مع الجزيرة . ومن بين هذه الارتباطات ممارسة الوكيل السياسي البريطاني للسلطات القضائية بالنسبة لجميع الاجانب المقيمين فى البحرين ، او فى حالة قيام منازعات بين مواطني البحرين وغيرهم من عرب الخليج . ولا حاجة بنا الى القول بان انتشار الجاليات فى الخليج العربي أتاح الفرصة للقضاء البريطاني لكي يمارس سلطاته على اعداد كبيرة من التجار وغيرهم من الهنود الذين كانوا يعتبرون رعايا بريطانيين .

واذا كانت رعوية الهنود المقيمين فى الخليج امرا مسلما به ، فان مسالة الجنسية بالنسبة لمواطني البحرين والمقيمين منهم فى مناطق عثمانية قد أثارت جدلا بينالدولتين العثمانية والبريطانية. وحدث عندما اراد نائب القنصل البريطاني فى بغداد بحث موضوع احد مواطني البحرين اثر تعرضه للسرقة فى كربلاء ، ان اعترض المتصرف العثماني واعتبر ذلك تجاوزا وتدخلا غير مسموح به . وطالب بان تباشر السلطات العثمانية القضية كلها .

فما كان من السلطات البريطانية الا ان ابلغت والى بغداد بان شئون البحرين كانت موضوع مناقشة بين الحكومتين البريطانية والعثمانية وانها لا تسمح ابدا لاهالي البحرين بان يعاملوا فى بلاد الدولة العثمانية كرعايا عثمانيين ، وهو الوضع الذى كانت تقضى به تعليمات الباب العالي . غير انه فى النهايةرفضت حماية القنصل البريطاني لرعايا البحرين . وابلغته السلطات العثمانية فى البصرة بانها لن تعترف بسريان الحماية عليهم الى ان تصلها تعليمات من استنبول ..

تجنيد ٣٠٠٠ بحريني

ولكن مشكلة رعايا البحرين تجددت بصورة اكثر حدة ، عندما حاولت السلطات العثمانية فى عام ١٨٧٣ تجنيد ثلاثة الاف بحريني مقيمين فى البصرة . وقد دفع ذلك الكثير منهم الى مغادرة الولاية ، مما ادى الى نقص فى الايدى فى المزارع هناك.وكانت القنصلية البريطانية قدمنحت جوازات

سفر بريطانية الى عدد كبير من ابناء الجزيرة ، بينما احتجت حكومة لندن على اجراءات الباب العالى الذى لم يملك سوى ابلاغ الحكومة البريطانية بانه ليست لديه نية اعتبار اهالى البحرين رعايا عثمانيين ، ووعد بتبليغ موظفيه فى البصرة بذلك وهو ما تم فى نوفمبر ١٨٧٤ •

وقد اكدت حكومة لندن انها لا تعترف بان البحرين جزء من الاملاك العثمانية ، وانها تعتبر اهالى الجزيرة ـ حتى الذين لم يولدوا فيها ـ لهم حق الحماية البريطانية ، والاعفاء من الخدمة العسكرية فى الجيش العثمانى •

وكان والى البصرة قد تعهد امام الاحتجاجات البريطانية بأن يمنع الموظفين الذين تحت سلطته الادارية من التعرض لمثل هذه الامور دون اخطار مسبق •

الا ان الباب العالى لم يستمر على موقفه • ففى سنة ١٨٩٢ عاد يؤكد ان اهالى البحرين رعايا عثمانيين ، وشكت السلطات العثمانيـة مـن ان بريطانيا طلبت من الشيخ عيسى حاكم البحرين ان يامر رعاياه بان يعملوا ما يثبت انهم تحت الحماية البريطانية وذلك عند زيارتهم لميناء البصرة وغيره من الموانىء العثمانية •

وفى يناير ١٨٩٨ ابلغ الباب العالى السفير البريطانى فى العاصمة العثمانية بانه تلقى تقريرا حول تعيين نائب قنصل بريطانى فى البحرين ، وان الحكومة البريطانية ينبغى ان تطلب من حكومة الاستانة أن تسمح بهذا الاجراء • فجاء رد حكومة لندن بانها لا تعترف بان للباب العالى الحق فى منح الاجازات وبراءة الاعتماد للموظفين البريطانيين •

وما ان حل القرن العشرين حتى اصبح للوكيل السياسى البريطانى فى الجزيرة تاثير عظيم فـى اقرار المنازعات القضائيـة وكلما ازدادت المصالح التجارية الاوربية فيها ، اتجهت نية الحكومـة البريطانية الى جعل نفوذ الوكيل السياسى البريطانى اكثر فاعلية •

وثبتت بريطانيا اقدامها

ولم تكن الحماية البريطانية مقصورة على اهالى البلاد • بل شملت الاجانب المقيمين بها • وقـد اثارت قضية احد التجار الالمان هذا الموضوع • اذ ان هذا التاجر واسمه « ونكهوس » كان يمتلك شركة لشراء الصدف لها فروع متعددة فى موانىء الخليج العربى • وعندما اراد ونكهوس ان ينشىء فرعا لشركته فى البحرين سنة ١٩٠٠ اثار التساؤل حول موقف الوكيل البريطانى من علاقة هذا التاجر الالمانى برعايا شيخ البحرين •• ذلك ان اتفاق سنة ١٨٨٠ يمنع حاكم البحرين من التصريح باقامة مصالح اجنبية فى بلاده ، باستثناء المصالـح البريطانيه، كما يمنعه من قبول اقامة وكلاء اجانب بالجزيرة • وظل الموضوع محل اخذ ورد بين الوكيل البريطانى ، وحكومة الهند البريطانية التى قررت انه من المناسب ان يظهر ممثل بريطانيا النوايا الحسنة للاجانب من الاوروبيين فى اى منازعـات تحدث بينهم وبين شيخ البحرين او رعاياه ، واما فى حالة الضرورة فانه يجب عليه أن يطلب حماية كل هؤلاء الاجانب كما يحمى رعايا بريطانيا •

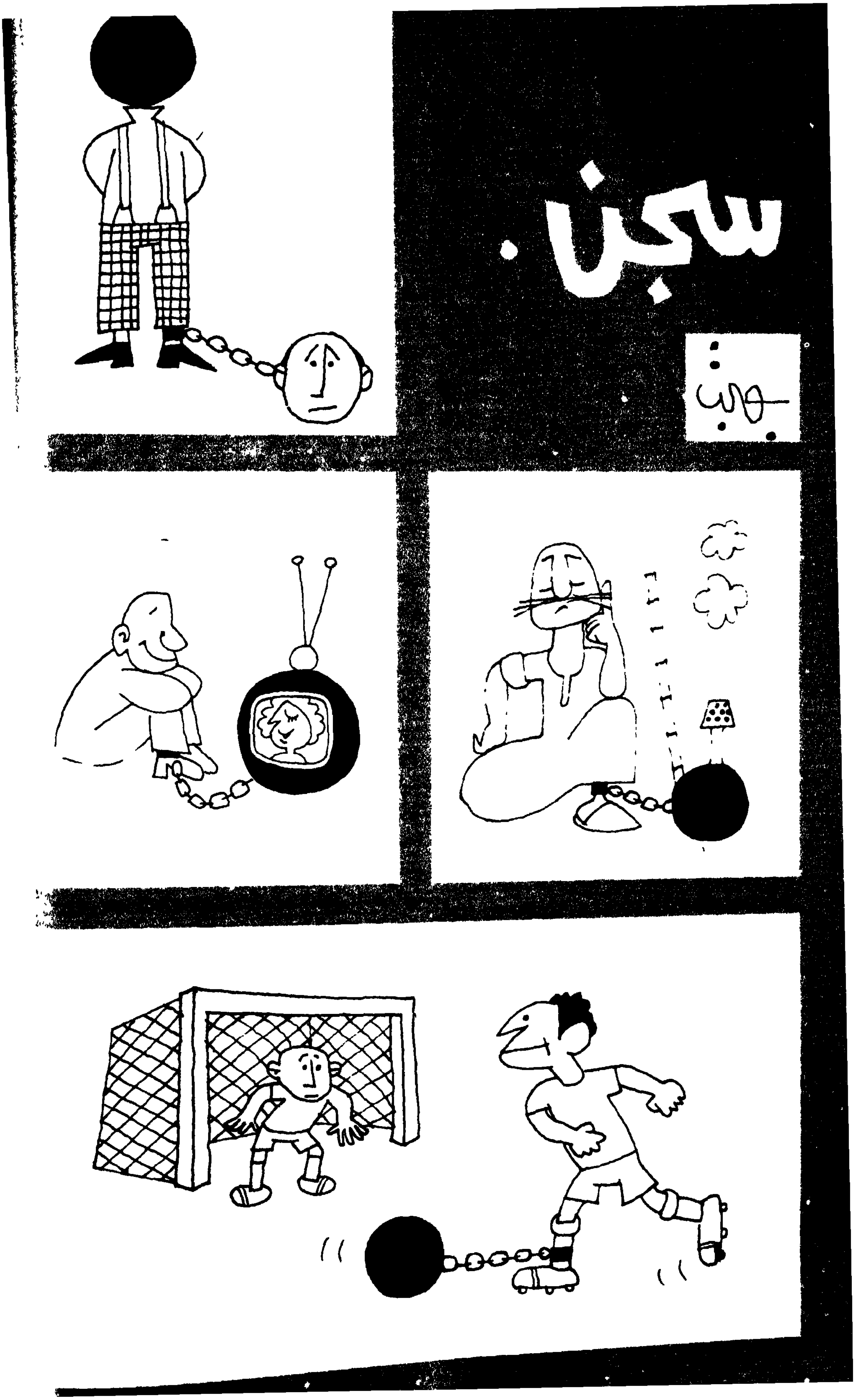
وعندما وقع بعد فترة قصيرة اعتداء على عامل فى شركة ونكهوس الالمانية من قبل أحد أبنـاء شميق شيخ البحرين تدخل المقيم البريطانى والزم الشيخ بدفع تعويض للعامل كما امر المقيم ـ بناء على تعميمات حكومته ـ بجلد المعتدين • وترتب على هذه العادثة ان اخذت بريطانيا على عاتقها مهمة الفصل فى المنازعات التى تنشا بين الاجانب والوطنيين •

وازاء هذا كله ، لم يكن فى استطاعة الباب العالى ان يمسك بزمام الامور ، أو يحد مـــن تغلغل النفـوذ البريطانى خاصة بعد المعـاهدات العديدة التى ربطت البحرين بحكومة لندن ، وعلاوة على ذلك فان النفوذ العثمانى الذى تمثل فى وجود حاميـات له بالاحساء كان يواجه متاعب جمة • فهذه الحاميات كانت ضعيفة وقليلة العدد وموزعة فى مواقع متباعدة •

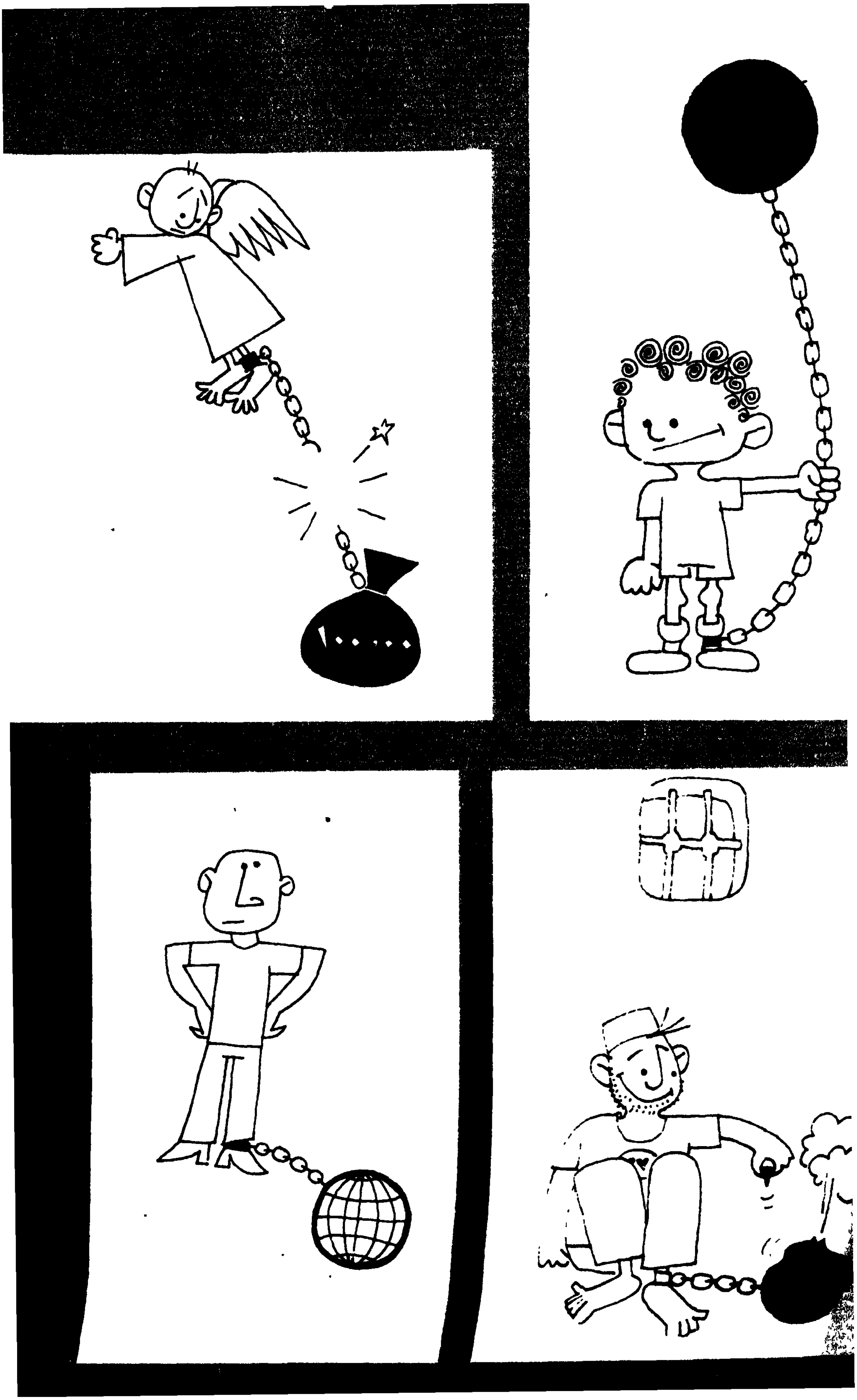
وهكذا تضافرت العوامل الاقتصادية والعسكرية على ترجيح كفة بريطانيا ، حتى جاء مشروع الاتفاقية الانجليزية التركية سنة ١٩١٣ ليؤكد ان الدولة العثمانية لم تعد قادرة على الدفاع عـــن ولاياتها الواقعة فى شبه الجزيرة العربية •

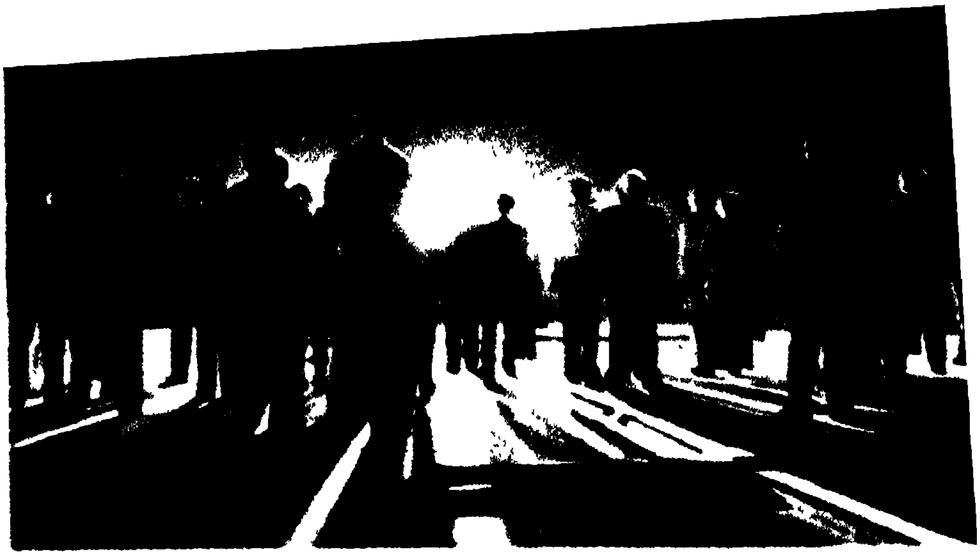
وقد اعترفت فى هذه الاتفاقية ـ التى حالت نشوب الحرب العالمية الاولى دون التصديق عليها ـ بالحماية البريطانية على قسم كبير من الساحل العربى وهو ما كانت تحاول ان تجادل فيه نظريا على الاقل ، طوال القرن التاسع عشر وبدايـة القرن العشرين • ■■

الكويت ـ د• نجاة عبد القادر الجاسم



سجن





مشهد نزول الطبق الطائر ٠

علماءنا يعتبرون الحديث فى هذا الموضوع مضيعة للوقت ٠٠ واجاب رئيس وكالة ابحاث الفضاء روبرت فروس على سؤال مماثل « لا يمكننا ان نلقى بانفسنا فى بحث من هذا النوع بدون وجود نقطة بدء واحدة اكيدة ٠٠ على كل حال لقد قررنا ان الطريقة العلمية الوحيدة للتاكد اذا كانت توجد حياة متطورة فى الفضاء الخارجى هى الاتصال بالراديو : ارسال رسائل للفضاء ومحاولة استقبال رسائل منه ٠٠ وسنبدا البحث بهذه الطريقة فى نهاية العام ٠

المشروع الجديد اسمه « سيتى » (الحروف الاولى لاسمه الكامل : « البحث عن ذكاء غير ارضى ») ويدلل على مدى الاهتمام به ان الكونجرس اقر ميزانية له فى عام ١٩٧٩ مليون دولار امريكى: جزء على العشرين من تكلفة فيلم « لقاءات قريبة من النوع الثالث » !!

نوادى الاطباق الطائرة !

نعود اليوم لتناول موضوع الاجسام والظواهر الغريبة فى الفضاء لعودة ظهور الاطباق الطائرة من جديد ليس فقط كموضة : فى السينما حيث يحقق « لقاءات قريبة » ارقاما قياسية فى الريع بعد النجاح الساحق لفيلم « حروب الكواكب » وفى التليفزيون (حلقات « الفضاء ١٩٩٩ » و « عودة الاوفو » و « طريق النجوم » ٠٠ الخ) وعشرات الكتب والمجلات المتخصصة فى ملابس وقصص ولعب الاطفال ـ الخ ـ بل ايضا كهوس : ظاهرة انتشار نوادى الاطباق الطائرة وجماعات مراقبة الفضاء فى ايطاليا وافتتاح مطارين مخصصين لهبوط « الاوفو » فى اقصى شمال البلاد ـ على جبال الالب قرب الحدود السويسرية : مطار اقامته جمعية « كون » (المركز الوطنى لابحاث

وهبوط مركبة فضاء فى « اصطدام كوكب » (فيلم جديد لم يعرض بعد) تستقبله «مخلوقات فضائية»





جبل « برج الشيطان » من فيلم « لقاءات قريبة من النوع الثالث »

الاوفو) في منتصف العام الماضي قرب مدينة كواسو • بينما اقتحمت مجلة الفضاء الاسبوعية «سولاريس» المطار الثاني في مطلع العام قرب لافينا • (ولم تهبط مراكب من الفضاء الخارجي في أي من المطارين بعد !!)

جمعيه «دون» هي اكبر جمعيات الفضاء الايطالية واكثرها جدية • اسست في ١٩٦٥ ولها عشرة فروع في مدن ايطاليا الرئيسية تضم ٣٠٠٠٠ عضو عامل بخلاف اكثر من عشرة آلاف عضو منتسب تصدر نشرة داخلية نصف شهرية ومجلة كل ثلاثة شهور توزع ١٥٫٠٠٠ نسخة •• وتقوم الجمعية بتنظيم ندوات عالمية في « الاوفولوجيا » (علم الاوفو) وتنظم حملات مراقبة السماء في ورديات متتالية ـ بالنظارات المقربة وآلات التصوير وآلات قياس الاشعاع الذري والمغناطيسية ـ تستمر احيانا ستة شهور كاملة ، كذلك تقوم بترجمة الوثائق والكتب الهامة حول دراسات الفضاء الى اللغة الايطالية ويجمع ارشيف كامل ودقيق للشهادات والوثائق حول التجارب التي خبرها ايطاليون « مع أجسام وظواهر ومخلوقات غير أرضية » •• وصف لي سكرتير الجمعية روبرتو بينوتي (وهو رئيس مبيعات شركة سيارات لانتسا في منطقة فلورنسه) الشروط القاسية التي تفرضها الجماعة لقبول الاعضاء العاملين لكي تعجز خارجها عناصر المتطرين والمخرفين والمتشعوذين الذين يقبلون كمنتسبين فقط ليس له من الحقوق الا الاشتراك في نشرات ومجلة الجمعية •

٥٠ لقاء أكيدا

سألته عن لقاءات النوع الثالث في ايطاليا فقال ان بأرشيف الجمعية حوالي خمسين منها « لا يرقى اليها الشك يعود اقدمها الى اغسطس ١٩٤٧ واحدثها الى ٣ سبتمبر الماضي، حينما سمعت الارملة لورنزا مالتوني ـ وهي تقيم بجوار مدينة رافينا مع أولادها الثلاثة ـ صوتا غريبا بالخارج • نظرت من النافذة فرأت على بعد حوالي عشرين مترا في حوش خلف المنزل جسما بيضاوي الشكل لونه وردي يقرب للقرمزية ، وعلى مقربة منه خمسة أو ستة كرات بيضاء مضيئة و « شخص » صغير القامة على رأسه خوذة من نوع ما ـ وحينما انتقلت الارملة الى نافذة اقرب لترى بشكل افضل، رأت الجسم البيضاوي يرتفع ثم يبتعد بسرعة ليختفي في اتجاه الغرب ، ولم تر للكرات المضيئة وللشخص اثرا •• قال بينوتي ان هذا اللقاء لم يشهده احد منهم) فمنزل الارملة منعزل وكانت وحدها فيه في ذلك الوقت (ولكن عدة أشخاص بالمنطقة اكدوا سماع ذلك الصوت الغريب في تلك الساعة، ويشهد كل من يعرف الارملة باتزانها وجديتها •• اما احدث الاحداث غير المالوفة فيعود الى نهاية يناير الماضي (ولم يدخل الارشيف بعد لان التحري عنه ما زال مستمرا) ـ كان بائع جلود يقود سيارته ليلا في طريق المرور السريع بين بولونيا وفلورنسه حينما ظهرت كرة بيضاء مضيئة بلون أصفر لازمت سيارته لاكثر من ثلث الساعة ، تسبقها أو تجاورها أو تتعقبها ، ورافقها حتى داخل انفاق الطريق •• وحينما كانت امام سيارته سلط عليها كشافاتها فرأى لها ظلا على الارض •• (ترد هذه الكرات المضيئة التي تتبع وتراقب الاجسام المتحركة على الارض وفي الفضاء باستمرار في القصص والشهادات عن الاطباق الطائرة ، وتظهر كثيرا في فيلم « لقاءات قريبة » ويقول المؤمنون بالاوفو انها « جواسيس او عيون » تطلقها سفن الفضاء للاستطلاع •• !!)

قال ان أكبر موجة نشاط للاجسام الطائرة غير المعروفة بدأت في ايطاليا في مطلع نوفمبر ١٩٥٤ واستمرت ثلاثة شهور حدث خلالها ٣٥٦ لقاء من النوع الاول ولقاءات عديدة من النوعين الثاني والثالث •• حكى عشرات القصص بعضها عجيب حقا ، ولما رأى انني لم اقتنع بعد ، سألني كيف يمكن أن تعلل اذن اجماع الشهود في جميع أنحاء العالم ، وغالبيتهم من الاميين ، على وصف متطابق لمخلوقات الفضاء (انها زرقاء اللون ، شفافة نسبيا ، قوامها صغير ، رأسها ضخم ، عيونها واسعة جاحظة ، أذرعها طويلة مدببة) ؟؟ •• وسألته لماذا ترى مراكب العوالم الاخرى وركابها بكثرة في ايطاليا وامريكا ولا ترى في العالم العربي مثلا حيث (على الاقل) السماء اكثر صفاء ؟؟ •• أجاب ان عالما فرنسيا « أثبت » في سنة ١٩٤٥ استنادا على شهادات اللقاءات بانواعها المختلفة ـ وجود مدارين حول الكرة الارضية لظهور الاطباق الطائرة ، ويمر احدهما بطول الحذاء الايطالي ، لكنهما لا يمرا بالعالم العربي !!

وبخلاف « جماعة » كون هذه وحوالي عشرة جمعيات اخرى تتصف بنفس الدرجة من الجدية ،•

توجد خمسمائة جمعية ايطالية صغيرة للروحانيين والمشعوذين والمتيمين بالاطباق الطائرة والمخلوقات الزرقاء الصغيرة .. منها - مثلا - جماعة « المتلامسين » التى تتبادل الحوار مع « كابتن باترى » قائد الوحدة رقم ٣٢٥ من اسطول فضاء الكواكب « ابسلون ٧ » .. وجماعة « الوس » وتراسها وسيطة روحانية نجحت فى سبتمبر الماضى فى جمع اكثر من خمسة الاف شخص وعدد من الصحفيين فى مدينة صغيرة انتظارا لهبوط طبق طائر (ولكنه اخلف الموعد) .. وجماعة « ارجو » ولها اتصال مستمر بسكان الكوكب « اجليوس » الذين .. « يعيشون ثمانمائة عام لان الطعام لا يحمض فى معداتهم ولا ينتج سموما ومخلفات » .. ومن اعضاء هذه الجمعية جيوفانى كوشيو الذى يؤكد ان طبقا طائرا اختطف زوجته التى كانت تتشاجر معه دائما .. (ويبدو ان البوليس لا يصدقه لانه يواصل البحث عن جثتها !!) .

ضد المنطق وقوانين الطبيعة

الاستاذة مرجريتا هاك المتخصصة فى مراقبة السماء (فهى مديرة مرصد تريستا) لا تؤمن بالاوفو وزوار الفضاء ، ولكنها لا تنفى امكان وجود حياة - متطورة ربما - على كواكب اخرى . تقول : يوجد مائة مليار من الاجرام السماوية ربما تتوفر فى مليون منها ظروف مواتية للحياة باى شكل من اشكالها - ولكن اذا وجدت حياة راقية متطورة مثل الانسانية ، واذا افترضنا انها معاصرة لنا (وحياة انسانيتنا لحظة فى تاريخ هذا الكون) فان مسافات مهولة تفصلها عنا ، لانه من الثابت عدم وجود حياة متطورة على الاقل فى مجموعتنا الشمسية لا على الارض ، واقرب المجموعات الشمسية الاخرى لنا - مجموعتا « الفاوبيتا سنتاورى » - تبعدا عنا باربعة الاف سنة ضوء ، وتوجد مجموعات شمسية تبعد عنا ٣٠ و ٤٠ الف سنة ضوء .. لذا لا يمكن تصور عبور حياة من مجموعة شمسية اخرى لزياتنا ..

وتسترسل العالمة الفلكية لتقول - فى حديث مع مجلة « بانوراما » الاسبوعية - ان غالبية الذين شاهدوا الاطباق الطائرة وسكان الفضاء « من البسطاء غير المتعلمين الذين لم يتعودوا على الملاحظة والاختبار العلمى » ولا يوجد فلكى واحد راى ايا من هذه الظواهر . مع ان عيونهم واذانهم



مخلوق فضائى من الحلقات التلفزيونية «طريق النجوم»

مركزة دائما على الفضاء بتلسكوبات ابصار واستماع اقوى بكثير من التى فى متناول الاشخاص المعتادين الذين قد يرون ظاهرة غريبة عنهم - نادرة الوقوع - فيوفر لهم خيالهم تبريرا خياليا لها .. لان حواس الانسان يوجهها عقله ، واذا لم يتعرف العقل على ما ترسله له الحواس من معلومات ويجد لها تعليلا عقليا فى المعلومات السابقة التى يختزنها ، فانه يترك الخيال حرا ليعمل .. واضافت العالمة الفلكية : يكفى ان نقول ان حركة وتصرف الاطباق الطائرة - كما يصفها الشهود - تتعارض مع المنطق ومع القوانين الطبيعية كما نعرفها ...

واضاف الصحفى الذى اجرى الحديث مع الاستاذة هاك قائلا ان المحللين النفسيين والاجتماعيين يجمعون على ان الذين يعتقدون بالاطباق الطائرة وزوار الفضاء يكونون عادة « اشخاص من ذوى الخيال الخصب الحى سهل الاثارة ، من البسطاء سليمى النية (الاطفال الازليين) ، من الذين يمكن التاثير عليهم بسهولة ويمكن ان يتحولوا الى متعصبين وغير طبيعيين ، من المكبوتين اجتماعيا الذين يعانون من المخاوف وعدم الطمانينة ، الذين يشتاقون لعالم خاص بهم يستكشفونه ويعيشون فيه ابطالا ، الذين يجدون فى الاطباق الطائرة مهربا من الواقع وانتقاما منه .. الخ ..

كم من هذه الصفات - يا ترى - تنطبق على الروائى الايطالى مورافيا والرئيس الامريكى كارتر .. ؟؟ !! ■■

مكتبة العربي

الأهوار: رحلة في عالم مثير ومجهول!

تأليف : جافين يانج

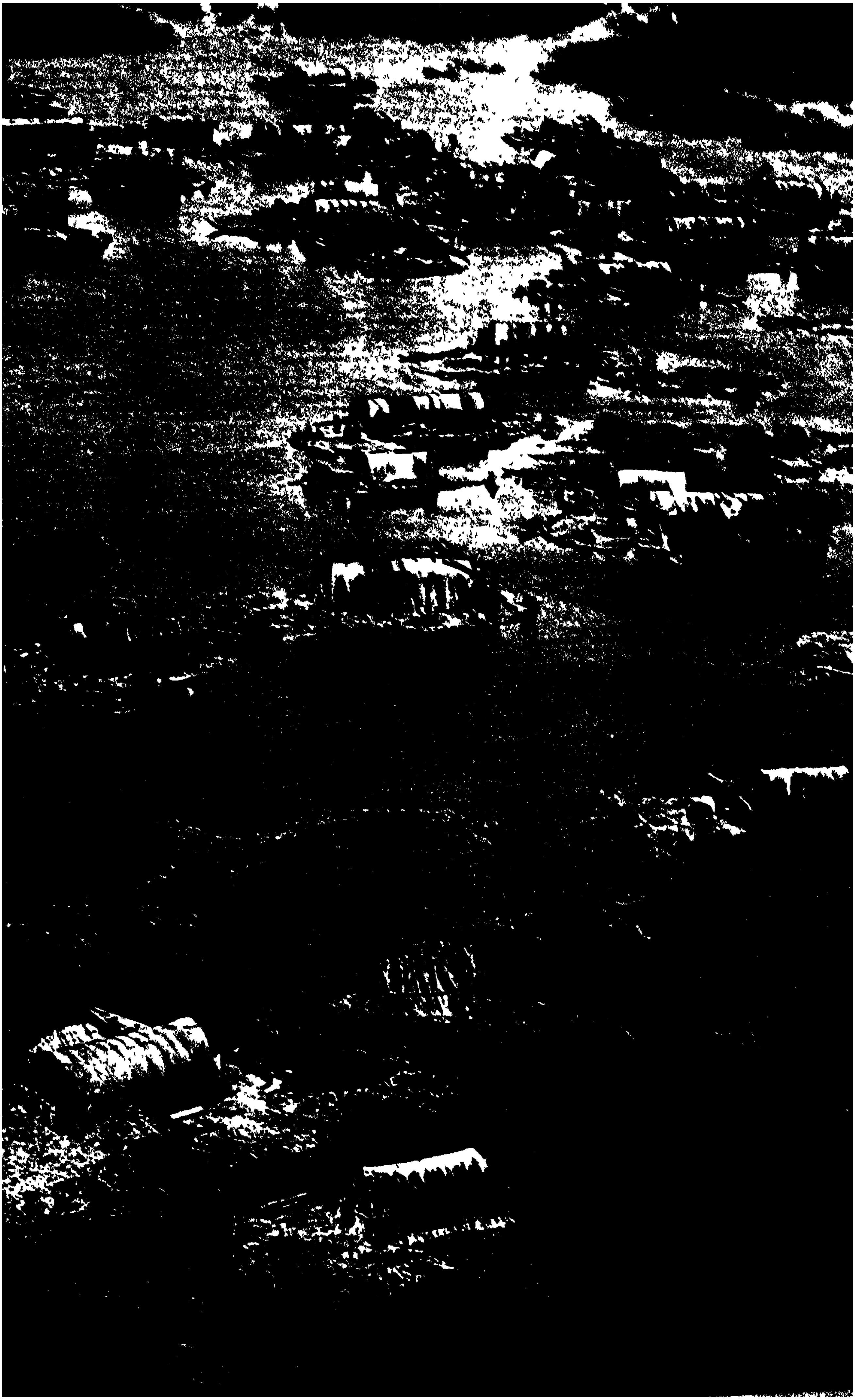
عرض وتلخيص:

روزماري صايغ





الاهوار واهلها ـ صورة للمنطقة من الجو، الاكواخ والقوارب والاعشاب ، والمياه الضحلة.. مشهد بديع رغم قسوة الظروف.



■ كتب جميلة عن الفنون العربية والحضارة العربية تصدر الآن بمعدل طيب، وقد اتاح مهرجان العالم الاسلامي الذى اقيم في لندن عام ١٩٧٦، الفرصة لظهور عدد كبير من هذه الكتب. ولكن الكتب الجميلة عن الشعب العربي نادرة الوجود حتى اننا اذا وجدنا واحدا منها في الاسواق، فهو حدث يجدر بنا أن نحتفل به، وخاصة اذا كانت محتوياته تنم عن ذكاء وتستند الى معلومات وحقائق، وكان الكتاب بعد هذا جيد الصياغة.

ان اول ما يشدنا الى هذه الدراسة عن « الاهوار » العربية في جنوب العراق، يكمن بعد النظرة الاولى في الصور الملونة التي التقطتها عدسة الكاميرا التي حملتها يد المصور المحترف « نيك هويلر » فقد اظهر هويلر مهارة خاصة في التاثير غير العادي للاضواء .. في الضباب، وفي الغسق .. في الفجر وفي ضوء النيران المشتعلة. واذا كانت بعض الصور تبدو الى حد ما وقد اخذت بعد اعداد لها، فهو امر من الصعب تجنبه، كما يعلم كل الذين حاولوا التقاط صور في العالم العربي.

وبالرغم من ان الصور هي التي ستبيع هذا الكتاب للكثيرين، فان النص الذى كتبه مراسل صحيفة الاوبزرفر جافين يانج، قادر على ان يشد القارىء عن طريق هذا المزيج من التعاطف الانساني والمعلومات التي يحتويها لم براعته في الكتابة. ومن الواضح تماما انها مهمة قام بها المؤلف من تلقاء نفسه، فهو لم يكلف بها، وانما جاء كتابه عملا يعبر فيه عن الحب، وشهادة على الشعور بالاحترام والود.

سر اهتمام الاجانب !

وقد يتساءل العديد من العرب المتعلمين عن سر تعلق الاجانب واهتمامهم بالعرب القبليين في فقرهم واميتهم. وهؤلاء الذين يمثلون «تخلف» مجتمعهم ؟ ولماذا يجد هؤلاء الاجانب في عاداتهم التقليدية كل هذه المتعة والقيمة، حتى انهم يضطربون اذا ما شعروا بان هناك خطرا يهدد بزوالها عن طريق زحف الحضارة اليهم ؟

هل السبب في كل هذا ان الاجانب يريدون بقاء المجتمعات العربية في هذا « التخلف » ؟ و نتيجة لتشويه الحقائق وسوء النية اللذين تميز بهما الكثير من الكتابات الغربية عن العالم العربي، فاننا نجد ان هناك من يميل الى الاخذ بهذا الرأى. ولكن القراء العرب، عن طريق رفضهم غير الفورى، لكل الكتب بدافع من ردود الفعل السياسية، قد يكونون بهذا قد نظروا الى مجتمعهم نظرة اضيق من اللازم. فمن الحقائق المؤسفة ان العرب المتعلمين يعيشون بصورة اساسية في المدن، وليس لديهم تقريبا اية معلومات موثوق بصحتها عن خلفياتهم الاجتماعية والثقافية. اقصى مايمكن ان يعرفوه ياتي عن طريق الكتب التي يقراونها او مشاهدة الافلام السينمائية.

ولكن ان يعيشوا في هذه المناطق البعيدة النائية .. فهذا مستحيل !

الهروب الى الصحراء

ان جميع الرحالة الاوروبيين العظماء الذين جاءوا الى الشرق الاوسط، كانوا رومانسيين، هاربين من «المدنية» ومن « الحضارة» ،مفتونين بالمفارقات في الحياة العربية ،وبما تمثله من اصداء لماضي اوروبا الضائع .. جاءوا اذن تشدهم الصحراء وحياة البدو ـ وهي مثل من الامثلة القليلة الحية في عالم اليوم «للبدائيين النبلاء» .. لقد تجنبوا المدن العربية، المراكز الحقيقية للحضارة العربية، حيث حاول العسكريون والبيروقراطيون والائمة والتجار الابقاء على انظمتهم. وهكذا نجد ان الصورة عند الاوروبيين للعرب منحازة لغير المألوف الغريب البدائي ..

ومع الاتجاه الى الرومانسية كان هناك ميل الى مناصرة « عرب لورنس »، وكان الشعوب المستعمرة بارضها ومواردها يمكن ان تخصص للاخرين. ان المستكشفين جعلوا من العرب حقيقة ماثلة امام القراء الاوروبيين، فاوروبا ما كانت

لتعرف شيئا عن العرب بدون كتاباتهم • ولم يكن احد يتخيل ان هؤلاء «المجهوليين» و « غير المتحضرين » من الشعوب ، كان لديهم المعرفة الخاصة بهم ، وكان لهم تاريخهم ، وان لديهم القدرة بعد هذا على تكوين فكرة عن الاوروبيين •

العرب « المودرن » !

نحن نجد ان المستكشفين عرفوا بعض هذه الشعوب، على الاقل ، ولو كانت مجموعات منتقاة فيهم • ان المستشرقين والمتخصصين فى الدراسات الاسلامية والعربية خلقوا شيئا شبيها بعبادة الثقافة التى لم تستبعد العرب الحقيقيين فحسب ، بل اسهمت فى تنمية روح العداء تجاههم .. ان العرب « المودرن » او العصريين يدمرون ثقافتهم وتاريخهم عن طريق عدم الارتباط بهما بصورة كافية ، على ان هذا الراى لم يحل دون انتشار وجهة نظر اخرى مغايرة تماما ، وهى ان العرب قوم تقليديون للغاية لدرجة انهم غير قادرين على تقبل «الحضارة» وهم فى ذلك يختلفون عن الاتراك واليابانيين وغيرهم •

والان ، وقد كشف العديد من الشخصيات العربية والهيئات المهتمة بشئون العرب مثل وليد الخالدى ومجلة دراسات الشرق الاوسط التى تصدر فى لندن Review of M.E. Studies ومعهد البحوث والاعلام للشرق الاوسط فى واشنطون، روح العداء وسوء النية اللذين يختفيان وراء « الثقافة » الغربية عن العالم العربى ، نجد ان هناك املا فى اعادة النظر فى تلك المواقف الاوروبية • وقد بدات بعض صحف اوربا الرصينة تعكس هذا التغيير .. فلم تعد الكليشيهات التى اعتدناها فى اسلوب مجلة تايم الامريكية تظهر فى تكرار ممل كما كانت فى الماضى مثل « عقدة اضطهاد الشعوب » و «الاثارة العاطفية» و«الاراء اللاعقلانية » والميل الى « العنف » والتركيز على « مناطق الاضطرابات » •

« الحب » فى كتاب يانج

بالرغم من ان بعض ما جاء فى الكتاب يبدو فى ظاهره رومانسيا خفيفا ، الا ان « العودة للأهوار » لجافين يانج ، يعتبر بحق جزءا من محاولة جديدة اكثر تفهما للعرب باسلوب ممتع للعقل ، حتى وهى محصورة داخل ذلك الاطار من التسلية !

انه ليس دراسة قام بها استاذ فى «الانثروبولوجيا» او تاريخ حياة الشعوب ، فقد جاء اهتمام يانج بالمعدانيين* بصورة عارضة، لم تحول هذا الاهتمام الى مغامرة •

لقد خلا كتاب يانج من كل قيد اللهم الا تلك الرغبة التى تملكته فى ان يقدم عملا طيبا لشىء طيب ، فجاء الكتاب خاليا من اى تحيز او راى او ادعاء • انهم اناس وجد فيهم الكاتب ، وبكل بساطة، قوما جديرين بالحب ، حتى انه استطاع ان يدخل فى حياتهم بنفس السهولة التى يدخل فيها بجسمه فى جاكتته القديمة التى يحبها • وهو يعجب بمهارتهم كصائدين وبقوتهم وشجاعتهم وجمالهم ، والكاتب كان عادلا عندما شمل النساء فى حديثه وهو يشيد بجمالهن • انه يحب روحهم الاجتماعية ودفء مشاعرهم ، حتى انهم اعطوه هذا الاحساس بان لديه وطنا حقيقيا بينهم .. وهو يحب بعد هذا تلذذهم واستمتاعهم بالحياة (وهى خاصية تجدها بين هؤلاء الذين يعيشون على حافة الجوع اكثر مما تجدها بين الاثرياء) ، ثم هو يحب روحهم الميالة الى الاستقلال الشديد، وروحهم المرحة، ويعجب ايضا بالتصاقهم بالطبيعة وبقدرتهم على تسمية كل نبات وكل حيوان فى عالمهم المائى العجيب •

عشاق الطبيعة

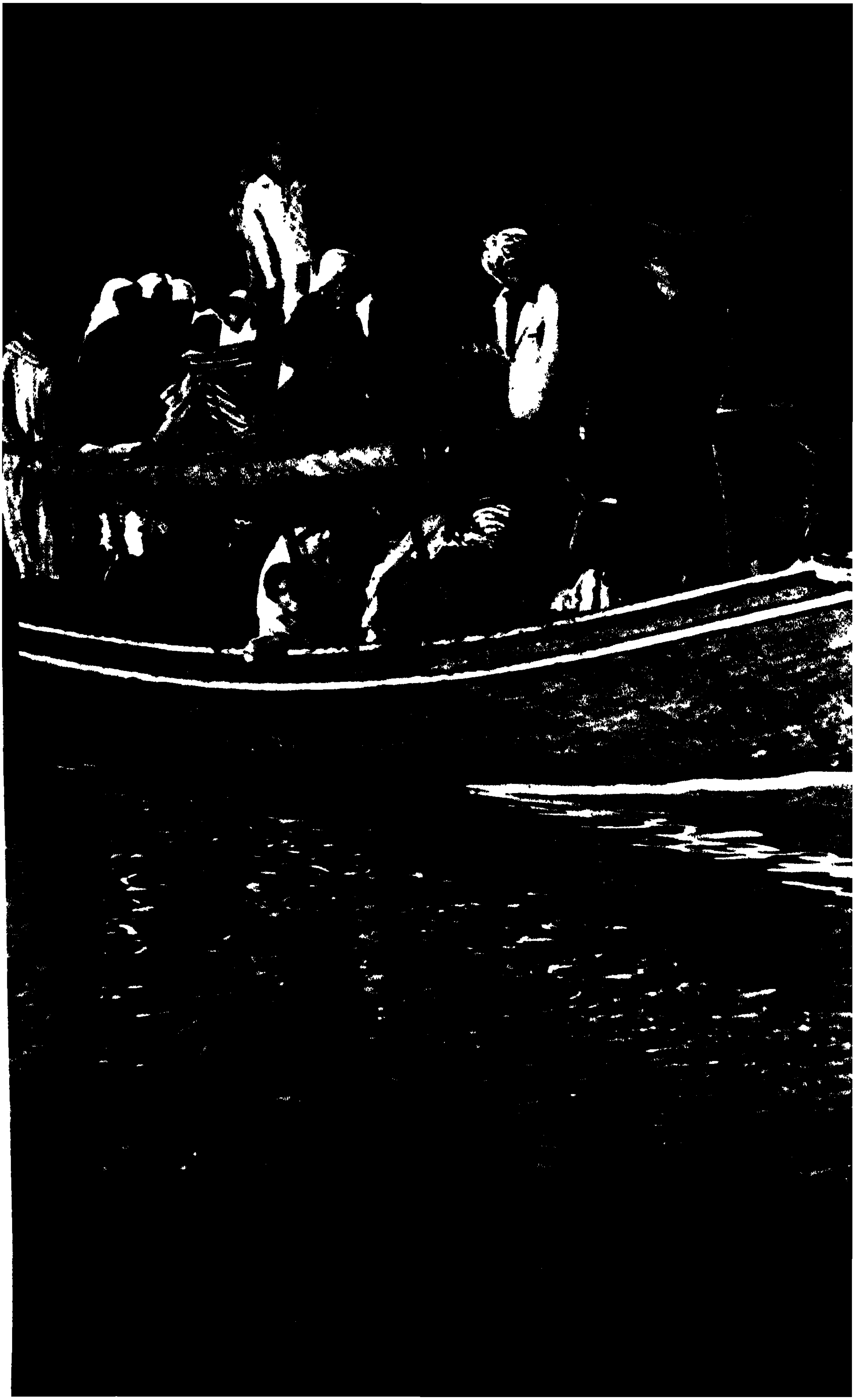
وكمعظم الاوروبيين ، وعلى عكس غالبية العرب، كان يانج حساسا فى تصويره للمناظر الطبيعية ، مفضلا لو انها بقيت مسكونة فى غير كثافة •ولكن لا يجوز لنا ان نصفه بانه يبغض البشر ، وهو وصف يلازم الكثيرين من عشاق الصحراء • انه مبهور بمنظر تلك البحيرات الضحلة الهائلة التى يلفها الضباب ، وقنواتها الضيقة التى تجرى مياهها وسط حقول القصب ، والطيور والحيوانات التى تعيش فيها وحولها • لقد اصبح صيد

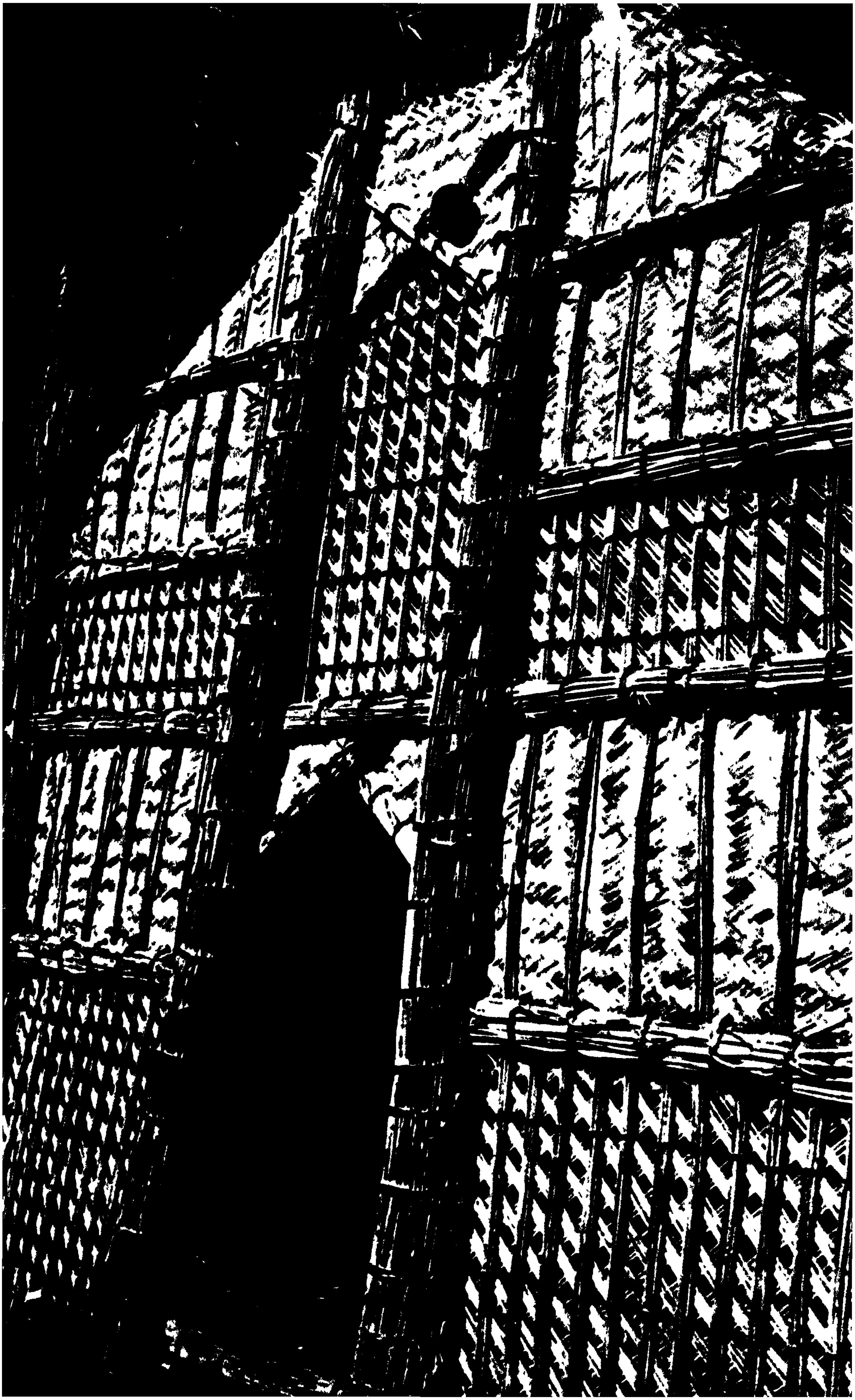
* المعدانيون : أصل سكان الاهوار •

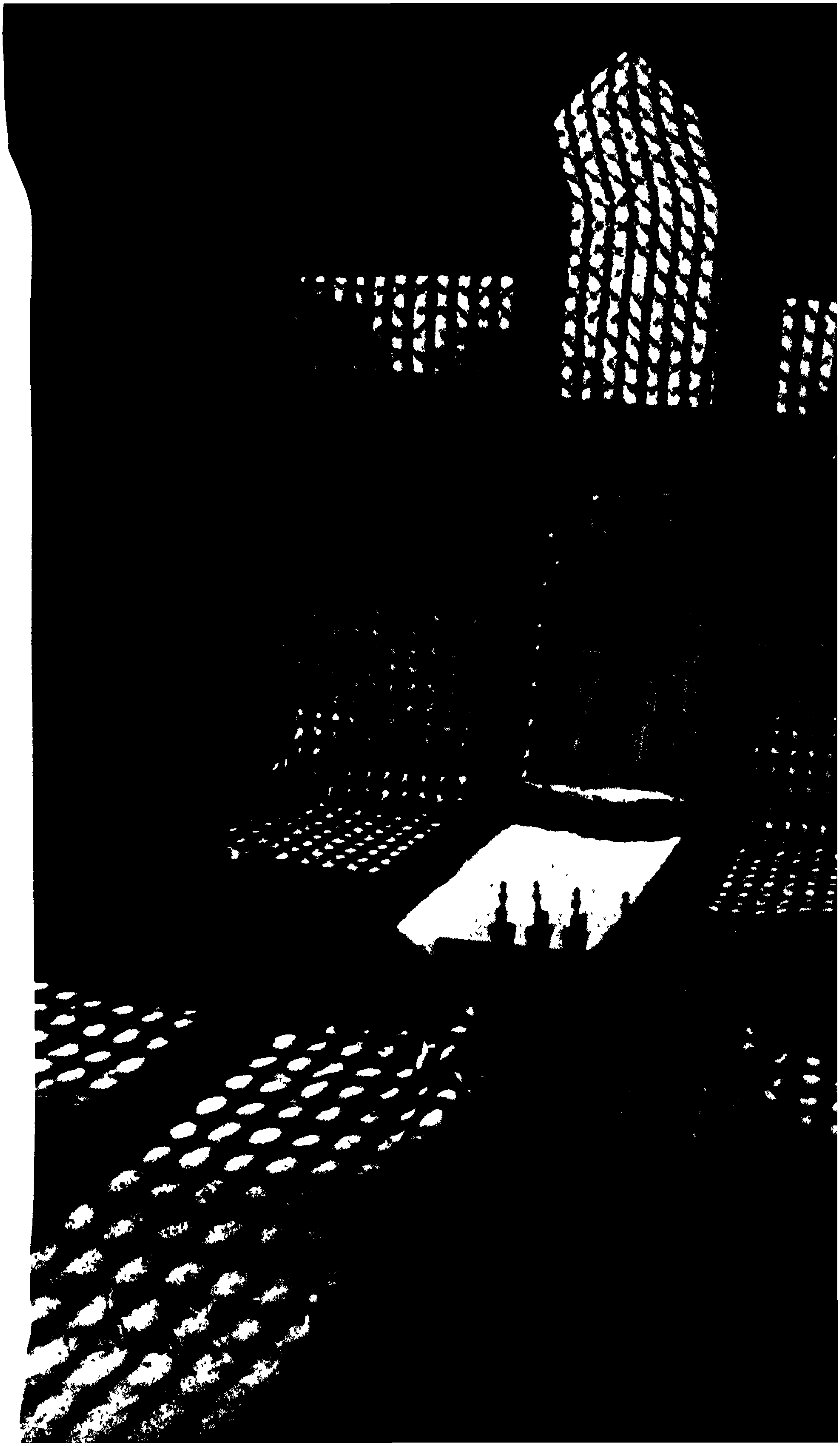


القمح من المحاصيل الاساسية في المنطقة ، وهذه سيدة تتولى بنفسها عملية تخليص القمح من بعض شوائبه (الى اليمين) . وفي الصورتين السفليتين نجد فتاتين تقودان قاربين وسط البحيرة ، بينما صياد يلملم شباكه بعدما ادى مهمته .. ويظل القارب او المركب الصغير هو وسيلة الانتقال الوحيدة في منطقة الاهوار (الصورة الى اليسار) .







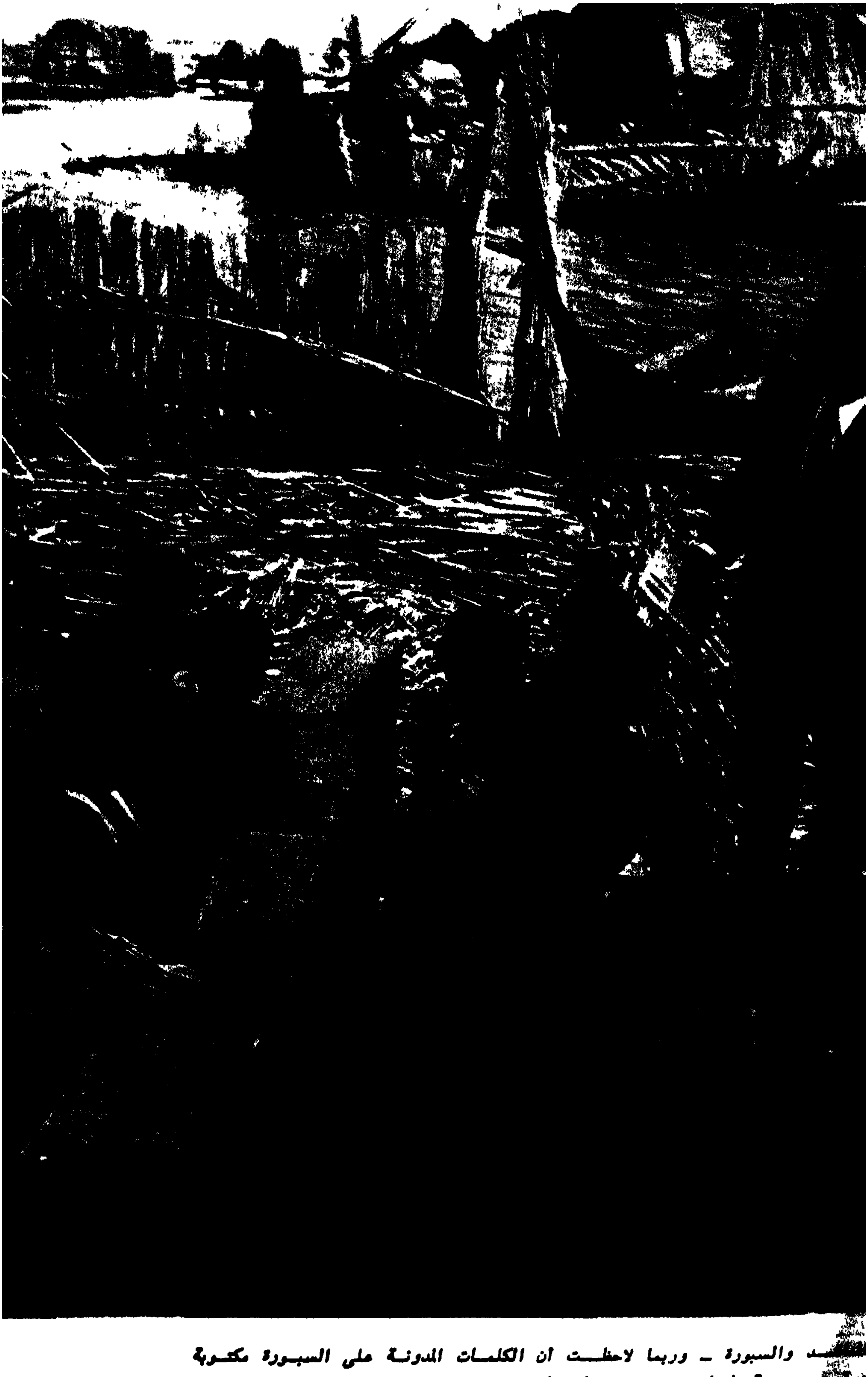




يتعلمون ويمارسون الرياضة وغيرهـا من
اشكال الحياة العادية .



فصل دراسي في الصحراء ، المدرس والتلام
بالانجليزية ، وهي لم تكن كذلك في الاص



...ـد والسبورة ـ وربما لاحظت أن الكلمات المدونة على السبورة مكتوبة
...م عربية طبعا ، وقد ضيرت ليستطيع القارىء الاجنبى أن يستوعب الصورة •

الغنازير البرية او البط يمثل جانبا اساسيا من نشاط سكان هذه المنطقة • ان الطريقة التي استقر بها المدانيون في هذه البيئة غير العادية، وقد شيدوا مساكنهم من عيدان القصب المنسوجة فوق تلك الجزر الاصطناعية ، معتمدين اعتمادا تاما على جواميسهم المائية ، وعلى مقايضتهم للسمك والحصر بالقمح •• هذه الصور سرته رؤيتها بفضل ما تميزت به من انسجام وغموض • ان قراهم الصغيرة بالكاد ترى ، حتى من الجو لانها تبدو اقرب الى الجزر الطبيعية • ولعل اوجه الشبه بين اسلوب حياة عرب الاهوار المعاصرين وابناء سومر القدامى ، تضفي مزيدا من الاهتمام الذى تاكد بمهارة في المقارنات التي وضحت في الصور الفوتوغرافية لواجهة مبانيهم وشكل بيوتهم وقواربهم ، واساليبهم في صيد السمك بالحراب• هنا مرة اخرى ، نجد احد عناصر الجمال التي قل ان نجدها في صحراء العالم العربي التي تزحف اليها المدنية بسرعة •

الحضارة تزحف

واذا كان الاصل في اهتمام يانج بالاهوارالعربية رومانسيا ، فهي رومانسية تبدو وقد هذبتها عناية حقيقية بهذه المنطقة واهلها •• وهؤلاء ليسوا مجرد شخصيات اغريقية حديثة في ريف رائع غريب ولكنهم اناس حقيقيون يصابون بالمرض ، ويفقدون مواليدهم ، ويموتون • ان جزءا كبيرا من رحلة يانج الاولى الى الاهوار بصحبة ولفريد ليسجر امضياها في التطبيب والعلاج البدائي ، لسكان الاهوار •• فهم رغم تميزهم بقوة اكثر من معظم اهل الريف في العراق ، الا ان المدانيين يعانون من الامراض••فهم مصابون بالبلهارسياوالتهابات العيون المعدية والدوسنتاريا والدودة الشريطية وداء الصدر والجروح التي لم تندملنتيجة للاصابة بطلقات نارية•وعندما عاد يانجبعد غيبة استغرقت سبعة عشر عاما نجده يحدثنا عن الطبيب العراقي الذى وجده يعمل بمساعدة احدى الممرضات ، وعن العيادة الطبية التي قامت هناك وعن السفينة الصغيرة الراسية• وهو لون من التحضر يلقى ترحيبا من يانج في رحلته •• ثم هو يجد بعد هذا المدارس التي لم يكن لها اثر من قبل ، ويجد مستوى افضل من الغذاء والكساء، ومصنعا للسكر، ومصنعا لتجميد السمك •

الاصالة باقية

وبالرغم من القلق الذى يحس به وهو يرى تلك البيوت الصغيرة الشبيهة بعلب الكبريت والمبنية بالاسمنت المسلح ، تحل محل المساكن المصنوعة بعيدان القصب ، وكيف ستتلاشى معها تلك المهارات التقليدية واسلوب الحياة لعرب الاهوار•• الا ان يانج يجد عزاءه عند عودته الى الاهوار في الواقع الثابت وهو ان الكثير بقي على حاله لم يتغير ، فكرم الضيافة القديم ، ودفء الصداقة الذى عرفه ما زالا هناك •• ويدعوه صديق يعمل في مصنع السكر الجديد الى الذهاب معه في رحلة لصيد الغنازير ، وهو يرتدى بدلة العمل الزرقاء (الافرول) •

ويختلف اهل الاهوار عن غيرهم من مزارعي العراق في عزوفهم عن الهجرة الى بغداد ، فحياتهم ما زالت ترضيهم : «في الماء••وبين عيدان القصب وفي الهواء الطلق نعيش ، وهنا نحب ان نقضي حياتنا» • ان الاهوار في واقع الامر قد وفرت لهم العماية منذ القدم ضد محاولات القمع المباشرة ، لهذا نجد انه ليس سهلا عليهم التخلي عنها ، ان معظم الغزاة كانوا يصلون اليهم ، ولكنهم لا يلبثون ان يتجاوزوا منطقتهم وسكانها •

ان مهارة يانج ككاتب تكمن بصفة خاصة في انتقاله السريع منالطابع الاعلامي (فالكتاب يحوى ثقلا له وزنه من الحقائق التاريخية والاجتماعية والاقتصادية) ، الى الوصف الحي المرئي ، الى المشاعر الفياضة والاسلوب المرح •

ان تعبير هذا الكاتب عن مشاعره ، وهو اسلوب غير انجليزى ، هو الذى جعل من هذا الكتاب شيئا مختلفا تماما عن الكثير من كتب الرحالة الذين زرعوا اعلامهم في ارض الغير ، متجاهلين انسانية سكانها فقد جا كتاب يانج مزيجا من التعبير عن مشاعر الارتباط والتعاطف والحنين الى الماضي

والخوف من التغيير واخيرا التفاؤل . انه يعبر في كتاب عن الاعراب من ولعهم في الصيد ولكنه يتجاوز في الوقت نفسه مع هذا الذي الذي يجده فيهم ويسمو عن الوداعة والتحضر . ويتجسد شيء ضمانهم القوى احد مظاهر « جوهرهم » .

الذين أحبهم :

والود يتضمن بداهة عدم الود ، وبالرغم من لباقته ، فقد وضح تماما ان يانج يفضل بعض العرب على غيرهم . فهو لا يحب الاغنياء ، ولا اصحاب النفوذ،والذين يباهون بسياراتهم الامريكية الفارهة وقصورهم في المدن . وهو يصف أحد هؤلاء الاثرياء بانهعصبي زجنبيومسيطر ذو «كرش» بارز ، وهو الوجه المناقض تماما في المرآة للرجل القبلي«العادي» . وقد يعترض القراء العرب على هذا التحيز . ولكن يانج يطبق بامانة هذه القيم التي يؤمن بها على أبناء بلده انفسهم . فحياة التجار الانجليز في البصرة ونواديهم وزوجاتهم والمياه النقية التي يعمون بها تثير فيه نفس القدر من الاشمئزاز الذي يشعر به تجاه اثرياء العرب . ان الانجليز الذين يعجب بهم هم امثال برترام توماس وفيلبي وولفريد ثيسجر ، لانهم عاشوا وسط المعدانيين (سكان الاهوار الاصليين) ومع الذباب والناموس اللذين يشاركانهم حياتهم ولانهم شربوا المياه التي يشربون منها وتحدثوا لغتهم واحترموا عاداتهم وتقاليدهم . وهو شيء لم يفعله حاكم من قبل سواء كان ايرانيا ام عربيا ام تركيا .

واذا كان القارىء يجد في« العودة الى الاهوار » شيئا من السذاجة السياسية في بعض الاحيان ، فهو عيب صغير في كتاب يستهدف جذب القارىء اليه ، لا القاء محاضرة عليه .

لا اظن ان الكثيرين سوف يسيرون وراء يانج الى الاهوار . ولكنني اعتقد ان الكثيرين قد يتمنون بعد قراءة « العودة الى الاهوار »، لو انهم لميمضوا هذا الوقتالطويل «محبوسين» فيالشوارع المزدحمة التي تعج بالناس وتمتلىء بالصخب والضجيج . ■■









الطب في خدمة صحتك وشبابك وجمالك ياسيدتي

بقلم : الدكتورة صبيحة الدباغ

هذه مجموعة من النصائح التي تهم كل امرأة . توجهها الدكتورة صبيحة الدباغ ، من واقع خبرة طويلة ودراسة علمية عميقة ، وهي الحائزة على دبلوم الطب العالي في الصحة الوقائية من جامعة لندن .

بوسع الطب الحديث يا سيدتي ان يقدم لك الشيء الكثير للحفاظ على صحتك وشبابك وجمالك ، ولن يكلفك ذلك الا شيئا من الرغبة الاكيدة والارادة الحازمة ، ولا تبرمي بما ساقول وساكون متساهلة متسامحة معك ، ولنبدأ منهجنا على الوجه التالي : اقلعي من التدخين ان لم تستطيعي الاقلاع بالمرة فهو مضر بجمالك فضلاعن صحتك، فاما من ناحية الجمال فانه يلوث اصابعك واسنانك ويقلص اللثة ويصيب العينين بالاحمرار، واما من ناحية الصحة فهو من العوامل الخطرة في سرطان الرئة وتصلب الشرايين وامراض الدورة الدموية الاخرى فهو معجل بالاجل ، مقصر للعمر .

واذ نفرغ من التدخين نتجه الى العبوس والتقطيب، لماذا تعبسين ياسيدتي فترسمي الخطوط وتحفري الاخاديد في محياك الجميل ولا سيما على جبهتك ؟ الا تعلمين ان الاعتياد على التقطيب يغضن بشرتك مع مرور الزمن ؟ اللطف والدماثة والوجه المشرق الطبيعي هما الاصل في قوة الشخصية . لا العبوس

والتقطيب والشراسة ! ان التقطيب يعجل بالهرم فيضيف ما لا يقل عن خمس سنوات الى عمرك الحقيقى عندما تبلغين سن الكهولة •

ارهاق العينين هـــو الاخر قد يسبب الغضون فى وجهك الجميل فافحصى عينيك مرة فى العام على الاقل لتتاكدى من قوة بصرك ، واذا كنت تكرهين ارتداء النظارات فعليك باستعمال العدسات اللاصقة ، ومع ان النظارات الشمسية ضرورية فى وهج الشمس الا ان الادمان عليها يقلل من مقاومة العينين الطبيعية للضوء القوى فالاعتدال فى استعمالها مما ينبغى ان يؤخذ به ، كما ان السهر المتواصل يرسم هالات وغضونا حول العينين، ولا ننصح بانتزاع الحاجبين ورسم خطوط مكانهما فان طراز الجمال النسوى غير ثابت فقد ياتى يوم تكون الحواجب الكثة هى المرغوبة ، ولا يمكن حينذاك استعادة ما فات ، ولا تخلو العملية من محاذير فاذا كنت راغبة فى تخفيفهما بعض الشىء او اقتلاع شعرات فى مواضع اخرى من الوجه فليكن فى عيادات طبية مختصة بالتجميل •

حماية لشعر رأسك

وحذار من الاساءة الى شعر رأسك بالاصباغ والقص المتعاقب بشكل جنونى او قصه بصورة لا ضرورة لها ، لان الشعر ينمو بمعدل سبع بوصات فى العام الواحد فان الاساءة اليه بالمقص يحتاج الى سنة كاملة لتلافى الضرر •

ثم ان ثغر المرأة من ابرز مواطن محاسنها فعليك بعدم التفريط بصحة ونظافة اسنانك وحاولى جاهدة الامتناع عن اقتلاع اى سن الا للضرورة القصوى واذ نتحدث عن الفم والاسنان ينبغى الا يفوتنا التنبيه الى الالتهابات فى البلعوم فقد تكون هذه ارهاصات او مقدمات لروماتزم او التهاب المفاصل •

وغنى عن البيان أن بوسع جراحة التجميل ان تزرع لك سنا اصابها العطب او تزيل التجاعيد او الندوب من وجهك او تغير شكل وحجم الانف والثديين ، ذلك ممكن بفضل ما يقدمه الطب الحديث من خدمات •

ولصحة وسلامة تفكيرك واعصابك عليك بالنوم المنتظم الكافى المريح ، واذا ما اصبت بالشقيقة او الصداع النصفى فقد يكون سببه الحساسية والا فعلاجه الكافئين والايرغوت Ergot والاسبرين •

واذا ما تجاوزت الاربعين كان لزاما عليه الاقلال من السعرات الحرارية ومعنى ذلك خفض كمية ما تتناولينه من طعام ، والا فان اول آثار التضخم فى حجمك يبدو واضحا فى العضدين ثم الصدر ويختلف بعد ذلك من امراة لاخرى فقد يبدو فى البطـن والوركين •

والطب أشد ما يكون يقظة من أجل لديك يا سيدتى فهو بالمرصاد لاقل عقدة او تطور غير طبيعى لينتشلك من عدو البشرية الالد : السرطان



■ الذين لا يستطيعون ان يتذكروا الماضى ، لابد وان يعودوا الى العيش فيه مرة اخرى !

« جورج سانتايانا »

■ حقيقة انا امشى ببطء ..ولكن لم يحدث ابدا اننى مشيت خطوة واحدة الى الوراء .

« ابراهام لنكولن »

■ عندما تقول انك موافق علىشىء من حيث المبدأ ، فهذا يعنى انه ليس لديك النية اطلاقاعلى المضى فى تنفيذه !

« بسمارك »

■ حكمة تلك التى تقول اننا لايمكن ان نشعر بالحب نحو اى انسان ، اذا لم نكن نعرفاننا نستطيع ان نسخر منه او نضحك عليه فى وقت او فىآخر .

« اجنس ربليار »

■ العطاء هو الشىء الذى يثبت انك المالك الوحيد لاى شىء . فالذى لا تستطيع ان تعطيه هو الذى يتحكم فيك ويمتلكك انت نفسك !

« اندريه جيد »

وليس فى صدرك كما تعلمين عضلات وانما مجرد شحم لين وانسجة لينة فحافظى عليه من التهدل والارتخاء .

واظننى فى غنى عن القول بان الكحول عدو الجمال ، فضلا عن الجهاز الدموىوالكبد والكليتين ومعجل بالشيخوخة والهرم ، وان بعض شركات التامين تخصم عادة خمس سنوات من حياة المؤمن على حياته فيما اذا كان يتناول الكحول باعتدال .

تجنبى الحركات المفاجئة

وللحفاظ علىصحة قلبك تجنبى الحركاتالمفاجئة العنيفة سواء فى الالعاب او غيرها ، ولكيلا تتورطى بالانزلاق الغضروفى ليكن ظهرك مستقيما حين تحملين ثقلا وتجنبى التواء الجسم السريع اثناء ذلك ، وللتوصل الى الشىء الذى تريدين حمله اثنى ركبتيك بدلا من احناء ظهرك .

وركبتاك معرضتان للمفاجئات فالل رفز فيهما

قد ينم عن التهاب مفصلى يجب ان يكون الطبيب على علم به ، وقدتسبب زاوية كعب حذائكالعالى الذى تحتذينه صداعا والما فى الظهر او الرقبة من دون ان تعلمى السبب فتاملى فى حذائك ، فاكثر النار من مستصغر الشرر ، ولنات الان الى امور اوثق صلة بك وهى العادة الشهرية فاذا ما لاحظت اى تغير او الم او نزيف غير معتاد مع افرازات غير مالوفة فلتكن هذه المعلومات فى اذن طبيبتك فى الحال ، وليس اضر بصحتك وجمالك وشبابك من الحمل عاما بعد عام ، فلا اقل من فاصلة عامين بين حمل وآخر ، على ان تكونى خلال ذلك محفوفة بكل رعاية وعناية ، ولا سيما خلال الحمل ، فيما يتعلقبتزويدك بالفيتامينات والمواد المعدنية والراحة والتمارين الرياضية الخفيفة والعناية باسنانك وصيانتها من التسوس والتلف ، وارى لزا عليك أن تخففى من الجهد الملقى على ور لبس بتحاشى البدرة والسمنة ولا تهـ

■ احمل ما فى الصبر انه يسبب ضيقا وألما للمرء الذى لا يكف عن مضايقتك !

« فراانكلين روزفلت »

■ ما يقوله الالمانى المؤمن بالبحث: يجب ان تقف امام الشباك. أما الالمانى المؤمن بالمثالية فيقول : يجب ان تجلس خلف الشباك .

(كورت توخولسكى)

■ عندما يوصف مجتمع ما بأنه جيد فهذا معناه غالبا : أنه موازييك لصور كاريكاتيرية مصقولة .

(فردريش فون شليغل)

■ الملوك والشحاذون ليسوا بحاجة الى رسائل توصية !

(القيصر فلهلم الاول)

■ اثنان واثنان اربعة ، وهذه النتيجة ثابتة رغم نواح الهواة بانها ثلاثة ونواح النقاد بأنها خمسة .

(جيمس فستلر)

■ الطلب على الشىء يجعله يزدهر اما امتلاك الشىء فانه يعرضه للغبار والتلف .

(مارس بروست)

العمل مسح جلدك بالمراهم والدهونات لان الجلد آنذاك فى حالة توسع من جراء الحمل ، ولكيما تتحاشى اصابتك بالدوالى عليك بالراحة المنتظمة بين فترة واخرى برفع قدميك ، وعلى الاخص فى أيام الحر القائظ .

بعد الخامسة والثلاثين

واذا كنت قد جاوزت الخامسة والثلاثين فمن المستحسن ان تطلبى الى طبيبتك ان تقوم مرة كل عام او عامين باخذ مسحة من عنق الرحم وفحصها مجهريا للتاكد من عدم اصابتك ــ لا سمح الله ــ بسرطان الرحم ، فهذا الاختبار مهم جدا ، حتى وان بدوت صحيحة جميلة معافاة ، فمثل هذا الاختبار يفصح عن وجود اى حجيرات خبيثة لاستئصال شافتها فى الحال ، فالسرطان مرض غدار ، بوسع حجيراته ان تبقى كامنة من عشر الى خمس عشرة سنة ، وهذا اختبار بسيط وغير مؤلم وبامكان اى طبيبة ان تجريه لك فى عيادتها فاذا وجدت ظواهر غير معتادة ، وليس بالضرورة أن تكون سرطانية ، أجرى لك فحص ثان للتاكد من النتيجة .

ولم يعد بعد اليوم اى ضرورة لتحمل آلام البواسير بعد انتشار طريقة (لورد) الجديدة الخالية من كل الم .

واسمحى لى أن اهمس فى اذنك ان خير وسيلة للاحتفاظ بصحتك وجمالك وشبابك ان تكونى محبة ومحبوبة من لدن زوجك لان ذلك يساعد المراة على افراز المزيد من مادة الاويستروجين الطبيعية التى تؤثر على النخاع الشوكى وجهاز الدورة الدموية وخير ما يدلنا على افادتك من هذه المادة البريق المتالق فى عينيك والاشراقة الرائعة فى وجنتيك .

اكسفورد / د. صبيحة الدباغ

قضايا حيوية

نشره الفاتيكان اثناء مؤتمره الثاني ، وهو نص رسمي يدل على تغيير جذري وايجابي تجاه الاسلام وتجاه قيمه الدينية يقول ذلك النص :

« ان الكنيسة تنظر ايضا بتقدير الى المسلمين الذين يعبدون الله الواحد الحي القيوم الرحيم القادر على كل شيء ، خالق السماء والارض الذي كلم الناس والذين يخضعون لاوامره الغيبية بكل حواسهم ، كما خضع له ابراهيم الذي تشيد به العقيدة الاسلامية » . ثم يقول النص : « واذا كانت قد نشأت عبر القرون خلافات وعداوات غير قليلة بين المسيحيين والمسلمين، فان المجمع الفاتيكاني المقدس يدعو الجميع الى نسيان الماضي ومحاولة التفاهم المتبادل الصادق والعمل المشترك لنصرة العدالة الاجتماعية والقيم الاخلاقية ولصالح سلم وحرية كل الناس » .

ان هذا النص ايجابي جدا ومع ذلك يلاحظ انه لم يشر البتة الى محمد رسول الاسلام الكريم صلوات الله وسلامه عليه .

وكان تقدير النبي محمد هو الهدف الذي حاول ملتقى قرطبة ان يحققه .وقد تم تسجيل هذه الخطوة لنبي الاسلام النبيل بعد عامين ونصف العام اعدادا وتحضيرا وتعاونا بين علماء المسلمين والمسيحيين . ورجاؤنا ان تتحقق خطوات اخرى ايجابية كذلك وبالتعاون بعضنا وبعض كي يتم التعارف اكثر واكثر على هذه الشخصية الفذة وتقديرها حق قدرها من جانب المسيحيين .

في مؤتمر قرطبة

ومن غير الممكن في مقال كهذا تلخيص قراية عشرين محاضرة او بحثا قدمها مسيحيون حول المبادىء المسيحية بصورة تساعد على غرس تقدير ايجابي بين المسيحيين نحو رسول الاسلام الكريم ، ونذكر بالمناسبة ان نصوص الملتقى بالعربية والاسبانية هي الان في طريقها الى النشر ...

ان تظهر قريبا ، وسوف نحاول الان تلخيص بعض الافكار الاساسية حتى نبين كيف امكن تجاوز الموقف التقليدي القديم .

هناك جملة من المواقف والمبادىء تبناها اغلبية المحاضرين المسيحيين ، وذكر بها رئيس الاساقفة الاسبان الكاردينال « تارنكون » بكل ماله من سلطة في خطبته الافتتاحية للمؤتمر ، اذ قال :

« اليس الاصغاء الى ما تقوله العقيدة الاسلامية في محمد (في الموضوع) هو احسن السبل الى الاقتراب بكل مودة واحترام من اخواننا المسلمين حتى في هذا الموضوع الذي كان في الماضي عنصرا للتوتر ؟ اليس فهم ايمان المسلمين بمحمد هو تفهم افضل واعمق لذلك الرجل التاريخي الممتاز ولدوره في تاريخ البشرية الديني ؟ ان تقدير ايمان المسلمين بمحمد قد يكون ايضا افضل طريق لتقدير قيمه الدينية في حد ذاتها وفي المجال الالهي للنجاة وقد يكون مساعدة لحياتنا العقيدية نفسها »

وبعد البحث عن الحقيقة والاصغاء الى ما يقوله المسلم في شان رسوله ، هناك موقف اخر اتبعه الباحثون في هذا الموضوع وعليهم ان يتبعوه في المستقبل ، وهو احترام المعتقدات الاسلامية ، هذا ايضا شرط واجب على كل مسيحي كما قال مطران مدريد « على المسيحي ان يعترف بقيم العقيدة الاسلامية التي يعتنقها اليوم مئات الملايين من المؤمنين ، هذا شيء هام جدا بالنسبة للمسيحي ، اذ كيف يستطيع ان يقدر الاسلام والمسلمين دون تقدير نبيهم والقيم التي بثها ولا يزال يبثها في حياة اتباعه ؟ »

واضيف الى هذه المواقف الثلاثة التي هي البحث عن الحقيقة والاصغاء الى قول المسلمين واحترام معتقداتهم موقفا آخر جديدا علينا ان نرسخه في أنفسنا بشتى الوسائل هو الاحترام المخلص المتعاطف الايجابي والمودة الكبيرة ...

الحقائق الاسلامية ورجالاتها ورسولها وكل مبادىء الاسلام ، وانا اعلم ان هذا ليس بالهين اليسير ولكنى اعلم ايضا انه مما ساعدنى على فهم الرسول هو اننى كنت وما زلت اكن له مودة ومحبة عظيمتين ٠

وقد درست انا فى محاضرتى بالمؤتمر كل سيرة محمد صلى الله عليه وسلم كمثل اخلاقى اعلى ، ليس فقط بالنسبة للمسلمين بل لكل انسان مستقيم ٠ من اجل هذا كان علينا ان نزيل الاحكام المسبقة السلبية التى يحتفظ بها كثير من المسيحيين الاوربيين ضد جزئيات او احداث سيرة رسول الاسلام الكريم ، وبصفة عامة فقد حاولنا جميعا مسلمين ومسيحيين ان نقدم حياة الرسول كمثل للكمال الانسانى الذى يوحى للمسلمين فى الحاضر بمجموعة من الاخلاقيات والروحانيات هى اقرب ما يمكن من الكمال حتى يومنا هذا ٠

ولكى يمكن للمسيحيين ان يعرفوا بشكل افضل محمدا رسول الاسلام وتقديره اكثر وتقدير رسالته فانه يتحتم على المسلمين والمسيحيين ان يعملوا معا فى اسبانيا وفى اوربا وفى كل بلدان امريكا الناطقة باللغة الاسبانية وبكل الوسائل ، *وعملنا المشترك تحتمه بصفة خاصة رغبتنا فى القضاء على الاحكام المسبقة السلبية لاننا ـ نحن المسيحيين ـ نعرف عقلية مواطنينا ولنا عندهم مكانة ويثقون بنا كثيرا ويحترمون ما لنا من سلطة معنوية عالية ، وعندما يلاحظون احترامنا لمحمد وتقديرنا له فانهم يتخلصون من تلك الافكار الخاطئة التى ترسبت فى اعماقهم عبر السنين ، ظلما للاسلام ولنبيه الكريم ٠*

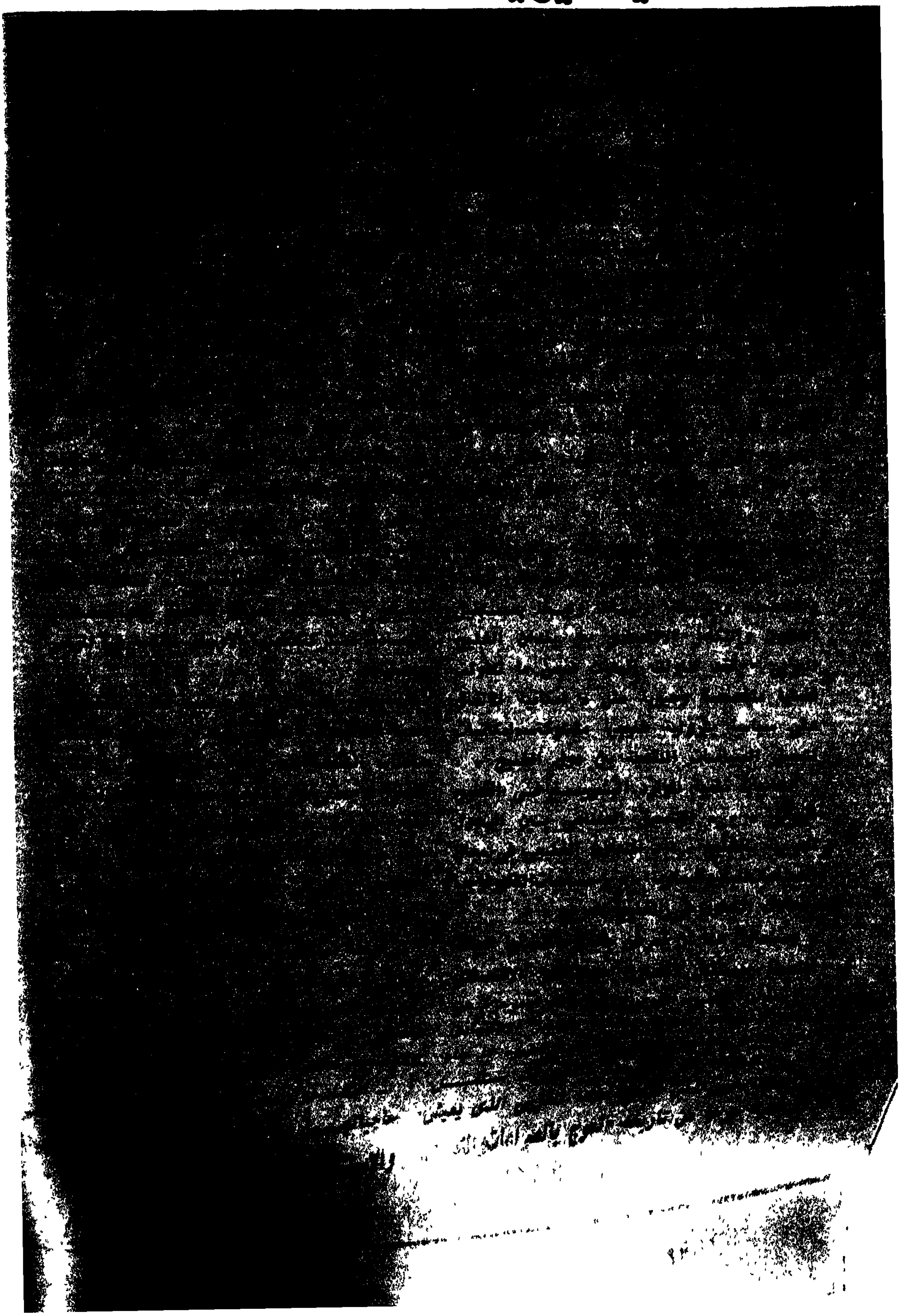
مدريد ـ د ٠ ميجيل دى ايبالثا

هــل يتحقق التكامل الاقتصادى فــى منطقة.. الخليج العربى

بقلم
الدكتور محمود عبد الفضيل

تنص المادة الخامسة عشرة لاتفاقية الوحدة الاقتصادية العربية « على أنه يجوز لبلدين أو أكثر من بلدان الاطراف المتعاقدة عقد اتفاقات اقتصادية تستهدف وحدة أبعد مدى من هذه الاتفاقية » ٠ وبالتالى فان اتفاقية الوحدة الاقتصادية العربية أجازت نشوء التكتلات الاقتصادية « الاقل شمولا » بين مجموعات متجانسة *من الاقطار العربية باعتبارها خطوة على طريق الوحدة الاقتصادية الاكثر شمولا* ، ولا شك أن نشوء مثل هذه « التكتلات الاقتصادية الاقليمية » يمليه خليط من الاعتبارات والضرورات الجغرافية والتاريخية والسياسية فى ظروف عالمنا العربى الراهن ٠

قضايا حيوية



الاقتصادى المشترك على مستوى بلدان الخليج العربى ، واهمها ما يلى :

ـ تنويع مصادر الدخل القومى بغية التخفيض من درجة الاعتماد شبه المطلق للنشاطات الاقتصادية فى الدول الخليجية على قطاع النفط وذلك عن طريق البدء ببعض المجهودات التصنيعيــة فى اتجاهين : اتجــاه « الاستعاضــة عن الواردات » واتجاه « الصناعات التصديرية » القائمة على تصنيع النفط ومشتقاته •

ـ تنمية ورفع كفاءة الموارد البشرية عن طريق التوسع فى النظام التعليمى وتطوير مؤسســات التدريب المهنى والفنى •

ـ استكمال مشروعات الهياكل الاساسية على صعيد بلدان الخليج (طرق ، مواصلات ، موانىء، كهرباء ، الخ ••) •

ـ انشاء معــاهد مشتركة للابحــاث العلميــة ولتطويع التكنولوجيا المستوردة •

ـ القيام بمشروعات أعمار الصحارى •

ـ الاتفاق على مشروعات لحماية البيئة والثروة السمكية والمائيه فى الخليج من التلوث بفعــل مصافى التكرير وحركة ناقلات النفط •

وفرص تقسيم العمل

وهناك عدد من المستويات المختلفة لتقسيم العمل بين بلدان الخليج العربى ولعل اهم هذه المستويات والاشكال ما يلى :

* صيغة المشروعات المشتركة : برزت المشروعات المشتركة بين دول الخليــج فى مجــال الصناعــة النفطية بصفة خاصة من خلال مجهودات منظمــة الاقطار العربية المصدرة للنفط والاتفاقات الجماعية لهذه الدول • ولذا فان المدخل الجاهز فى مجال انشاء المشروعات المشتركة فى اطار مخطط للتكامل الانمائى لبلدان الخليج يتمثل فى قطاع صناعة البتروكيماويات القــائمة على تصنيع مشتقــات النفط • وفى هذا المجال تجدر الاشارة الى مبادرة الــكويت بــالدعوة الى انشاء مجمــع للعطريات بالتنسيق مع بقية دول الخليــج وذلك لتفــادى الازدواجية •

ويرى البعض ان هناك ثمة مجال محدود لانشاء المشروعــات المشتركة فى بعض الصناعات مثــل « صناعة الاطارات وقطع غيار السيارات » و « الحديد والصلب » نظرا لوجود حجم معقول من الطلب الفعال على منتجات هذه الصناعة فى منطقة الخليج•

* تقسيم العمل على مستوى الاقطار الخليجية فى مجال سوق المال والنقد : يلاحظ أنه خــلال الفترة السابقة تبلورت بعض المعــالم الخاصــة لنشاط اسواق النقد والمال فى منطقة الخليج مما يحتاج لتنسيق وضرورة الاتفاق على تقسيم محدد للعمــل والتخصص فى هذه المجــالات بين بلدان الخليج منعا للتضارب والازدواجية • فهناك تجربة النشاط البنكى الدولى فى البحرين والتى تغلب عليها طابع الاقراض قصير الاجل ، وبداية تكون « سوق مالية دولية » فى الكويت ، وظاهرة المغالاة فى التوسع فى النشاط المصرفى فى دولة الامارات والذى غلبت عليه الطبيعة « المضاربية » •

كذلك تطرح قضية توحيد النقد على مستوى بلدان الخليج نفسها كقضية حيوية فى ظل « أزمة الدولار » واضطراب النظام النقدى الدولى •• حيث تتوافر بعض المقومات الموضوعيــة لانشــاء « عملة خليجيــة » مرتبطة بالنفــط تلعب دوره « الوحدة الحسابية » و « عملية التداول » لتسوية المعاملات الجارية والمدفوعات ما بين بلدان الخليج•

البعد الاستراتيجى

ان اية عملية للتكامل الاقتصادى على مستوى بلدان الخليج لا بد وان تكتسب بالضرورة بعدا استراتيجيا وسياسيا ، فبلدان الخليج لا تشكل فقط وحدة جغرافية ـ وتاريخية متجانسة ومتصلة بل لها هوية جغرافية ـ سياسية محددة فى خريطة الصراعات السياسية والاقتصادية الدولية المعاصرة• فبلدان منطقة الخليج العربى تشترك فى مواجهة مجموعة من المخاطر والاعتبارات السياسية والامنية

تضيف بالضرورة بعدا استراتيجيا لا غنى عنه لاية عملية تعاون أو تكامل اقتصادى بين بلدان الخليج العربي • اذ أن أية مجهودات تكاملية أو تنسيقية بين بلدان الخليج لا بد لها من تطوير استراتيجية للعمل المشترك لدرء الاخطار المشتركة التى تهدد بلدان الخليج العربى وأهمها : الخطر المشترك الذى تواجهه دول الخليج فيما يتعلق بحماية منابع النفط من التهديد الخارجى - ضرورة حماية وتامين حقوق الملاحة فى الخليج العربى - مخاطر التفتت والضعف السياسى نتيجة صغر حجم بلدان الخليج العربى جغرافيا وسكانيا (فيما عدا العراق والسعودية) •

واستكمالا للرؤية الاستراتيجية لموقع عملية « التكامل الاقتصادى بين بلدان الخليج » من الحركة العامة للتكامل الاقتصادى العربى ، لا بد لنا من ابراز قضية هامة تتعلق بوحدة المصير العربى المشترك • فرغم ايماننا بان التكامل الاقتصادى بين دول الخليج قضية تؤازرها كل الحقائق والمعطيات الموضوعية ، فان هذه النتيجة على أهميتها ، يتعين أن تقترن بحقيقة موضوعية أخرى لا تقل عنها أهمية الا وهى أن عملية التكامل الاقتصادى بين دول الخليج العربى ينبغى لها أن تكون فى اطار وضمن افق قومى عربى • ان هذه الحقيقة التى أكدت عليها بوضوح ورقة السيد غفار عباس كاظم (من الامانة العامة لمجلس الوحدة الاقتصادية العربية) لها نفس القدر من الاهمية والحيوية لكل من مجموعة اقتصاديات الخليج وللاقتصاد العربى فى مجمله •

فرغم أن أقطار الخليج العربى تزخر برؤوس الاموال النقدية وبمخزون هائل من مادة النفط والغاز ، فانها فى مقابل ذلك تعانى من نقص هائل فى الايدى العاملة (الماهرة وغير الماهرة) كذلك تعانى من عدم وفرة الاراضى الصالحة للزراعة (اذا استبعدنا العراق) فضلا عن حاجتها الماسة الى التكنولوجيا الحديثة والخبرات التنظيمية والادارية • ففى الوقت الذى تعانى فيه منطقة الخليج العربى من عجز حاد وهيكلى فى الايدى العاملة والموارد الغذائية والخبرات الفنية والتكنولوجية اللازمة لدوران عجلة التنمية،يتوافر لدى الاجزاء الاخرى من العالم العربى فائض نسبى من هذه العناصر الاساسية اللازمة للتنمية• وبعبارة أخرى أن المعطيات الموضوعية تشير أن أية « تكتل اقتصادى » على مستوى بلدان الخليج العربى سوف يعجز عن توفير مقومات « الامن الغذائى» و«الامن التكنولوجى»و «الامن العسكرى»• ولذا فان « العمل الاقتصادى المشترك فى منطقة الخليج يجب أن يخضع للتنسيق المستمر مع سائر ارجاء الوطن العربى ليجعل من عملية التكامل الاقتصادى بين أقطار الخليج فى المدى البعيد جزءا لا يتجزأ من عملية التكامل الاقتصادى العربى » •

هذا هو ما يفرضه منطق الطبيعة ومنطق التاريخ •• ولكن هناك قوى عديدة (محلية وخارجية) تدفع فى اتجاه تكريس التجزئة وتعميق « الاقليمية النمطية » على مستوى كل قطر خليجى على حدة •• ولذا فان أية دراسة جادة « للاقتصاد السياسى للتعاون والتكامل الاقتصادى الخليجى » لا بد لها أن تحدد - بوضوح القوى الاقتصادية والاجتماعية التى لها مصلحة مشتركة باتجاه الوحدة والتكامل وكذلك طبيعة المصالح الاقتصادية والتجارية التى يهمها تكريس الاقليمية والتجزئة • ومن ناحية أخرى أبرزت مناقشات ومداولات الندوةان أيةمجهودات للتكامل الاقتصادى على مستوى بلدان الخليج لكى تنجح لا بد أن يكون وراءها قوة اقتصادية مهيمنة لها مصلحة فى توحيد الاوضاع فى منطقة الخليج •• وهنا توجد دائرة ساخنة للصراع بين ثلاث قوى رئيسية تتنازع حق الهيمنة على مصائر الامور بالخليج العربى وهى المملكة العربية السعودية ، والعراق ، وايران•• ولذا فان الطريق الى التكامل الاقتصادى الخليجى هو طريق شائك مشحون بالصراعات المحلية والدولية •

د • محمود عبد الفضيل

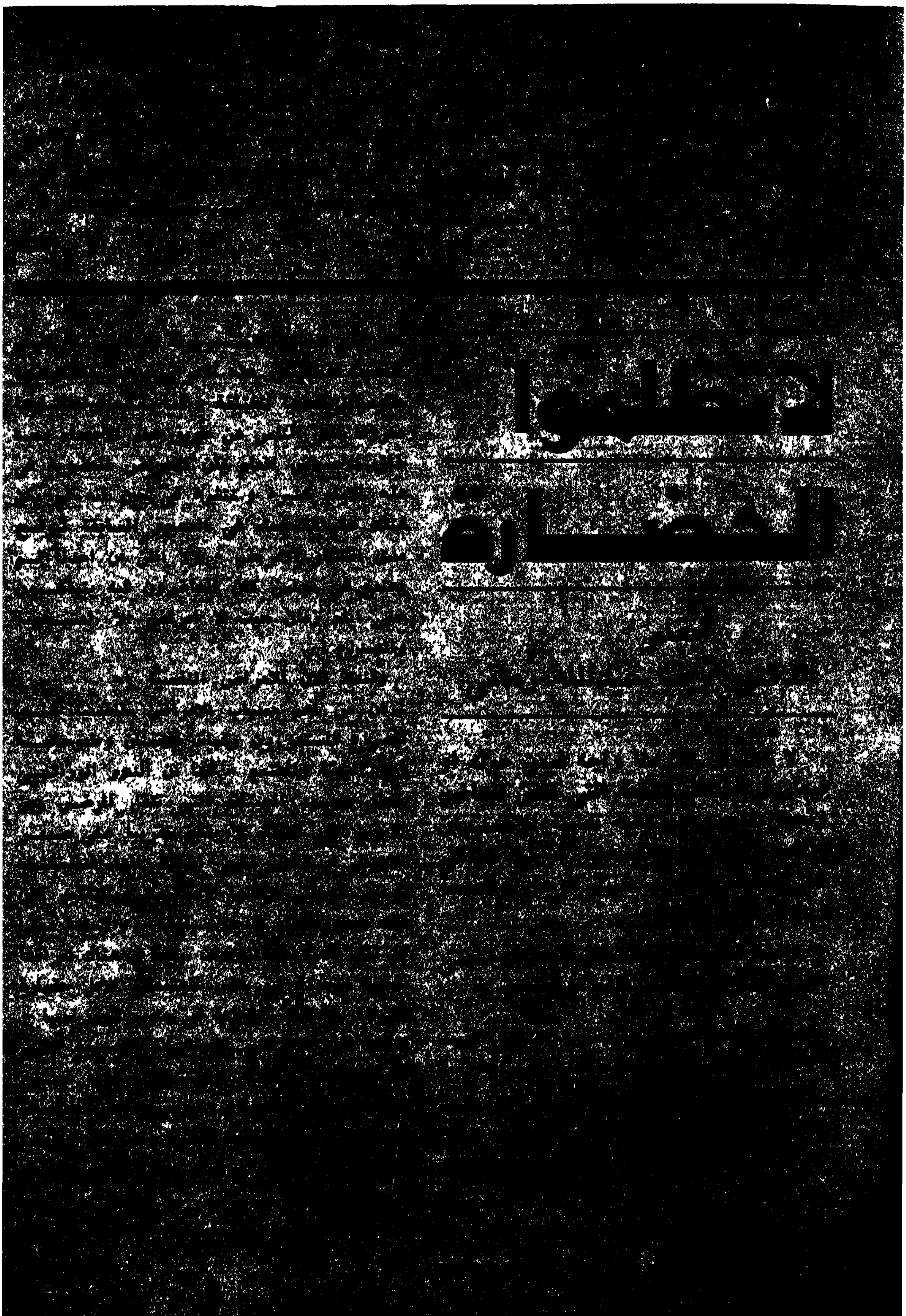
قضايا حيوية

[illegible]

الرئيس هو صاحب الرؤية

بقلم: محمد [illegible] عبدالله [illegible]

[illegible]


لا تظلموا
الحضارة

قضايا حيوية

نفسه حين يريد وكيف يريد ـ ويختار الصديق والعمل .... الخ والتعبير يجعل كل شيء واضحاً بعكس الانسان المتخلف ـ الذي يعيش تحت طائلة دور عليه ان يلعبه فهو مرتبط بعائلة وبيئة احب او لم يحب . وليس له الحق في ان يعبر عن مشاعره وبالتالي تبدو مشاكله النفسية غير واضحة او غير موجودة على الاطلاق . وايضا قد يعبر عن امراضه النفسية ومشاكله بالشكوى عن اعراض جسدية مثل الم القلب والراس والكبد ، وهذه الشكاوى كثيرة في المراة العربيه خصوصا حينما ينظر اليها على انها وسيلة وطريقة للانجاب وليس كائنا محترما له حقوقه وواجباته.

اذا لماذا تبدو الامراض النفسية وكانها منتشرة اكثر هذه الايام .

لقد كان نظام العائلة والقبيلة في السابق يتيح للعاجزين عضويا او نفسيا الاحتماء بباقي اعضاء القبيله ، والذين يوفرون له ماكله ومشربه ومسكنه . في حين ان نظام الحياة الحديثة يفضح حالا كل من لا يقدر على العمل بسبب اى مرض سواء كان نفسيا او عضويا .

ولذلك يمكن القول ان الحضارة الحديثة فقط كشفت كل من لديه استعداد للاصابة بالامراض النفسية ولكنها لم تسببها . وكدليل على ذلك نذكر ان نسبة الاصابة بمرض الفصام الشخصية (٩٪) ثابتة في جميع البلدان بغض النظر عن مستواها الحضارى . كذلك وجد ان معدل الانتحار ومعدل الدخول في مستشفيات الامراض النفسية والعصبية قد قل في بريطانيا خلال الحرب العالمية الثانية عنه في الايام العادية .

ايضا كانت امراض القلق والخوف بين اليهود المعتقلين في معسكرات التجميع النازية بنسبة اقل اثناء اعتقالهم عنها قبل او بعد ذلك ، بالرغم من ان الحرب بالنسبة للانجليز في الحالة الاولى او معسكرات التجميع بالنسبة لليهود في الحالة الثانية كانت تشكل مصدرا كبيرا للضغوط النفسية .

لقد كانت الامراض النفسية موجوده ومنتشرة في السابق ولكنها كانت تفسر احيانا على انها «عفاريت» واحيانا اخرى على انها عقاب من عند الله ... بل احيانا اعتبر من اصيب بها قديسا كجاندارك مثلا .. ولا يزال الفلاحون في القرى المصرية يعتقدون ان مرضى الصرع على اتصال بالله سبحانه وتعالى .

وقد يصاب الانسان السوى بنوع من القلق في الايام الاولى ، كلما غير بيئته كالدراسة او العمل في الخارج . لكنه مع الايام يتاقلم مع الوضع الجديد ، بينما يصاب بمرض نفسى من لديه استعداد لذلك لنفس الاسباب . وبالمناسبة فانه يوجد في امريكا اخصائيون نفسيون لمعالجة الكلاب نفسيا ، فهل يعني ذلك ان كلابنا اعقل من كلابهم

وما اريد ان اصل اليه هو ان الوسائل العلميه كشفت فقط عن الامراض العضويه منها والنفسية التى كانت موجوده وغير معروفة في الماضي .

اخيرا ، فانني احب ان اضع هذه التساؤلات امام الذين يتباكون على الماضي ويلعنون الحضارة الحديثة :

١ ـ من المعروف ان انتاج الامة يزيد كلما ارتفع مستواها الحضارى فكيف يتمشى ذلك مع قولهم ان الحضارة تخلق كثيرا من الامراض النفسية

٢ ـ تامل القوانين التى تنظم الدولة الحديثة ـ كم هي وكيف تعطى لكل ذى حق حقه فهل معنى ذلك ان عصور الحكم الفردى كانت اكثر عدلا .. هل تحديد الواجبات والحقوق يجعل الحياة اكثر تعقيدا ام اكثر وضوحا .

٣ ـ ثم انظر الى الزراعة وكيف ادخلوا عليها الاساليب المعقده للوراثة والتلقيح وطرق الرى بحيث صار انتاج الفدان اكثر من الضعف . وقس على ذلك كثيرا من فنون الحياة الحديثة والتى هى اعقد بكثير من سابقتها ثم اجبنى ....

كيف اتهمت الحضارة بخلق الامراض النفسية .

البحرين ـ د . رضا رمانى





رحلة مع الذكريات والندم !

بقلم : منير نصيف

« قفص » الزواج .. لماذا يحاول البعض منا ان يهرب منه ؟

وهل هو حقيقة سجن كما يقولون ؟ واذا كان كذلك ، فلماذا يسعون اليه ؟

وما اكثر ما قيل فى هذا « السجن » ! ولكنه سجن من نوع غريب .. فالذين يقفون خارجه يريدون أن يدخلوه .. والذين دخلوه يريدون الخروج منه ! ! وهو قول قديم مشهور ، ولعله يعبر بصدق عن طبيعة التجربة التى مر بها الملايين من الرجال والنساء ويمرون كل يوم !

ولكن ما مدى صحة هذا الكلام .. والى اى حد ينطبق على هذه التجربة اليوم . وهل تغيرت الصورة ؟

ما هى القصة .. وما هو السبب الذى دفعنا الى التوقف عند باب هذا السجن الكبير ، لنقف على بعض جوانب هذه المشكلة ، ونتعرف على الاسباب التى تحول معها هذا «العش» الهادىء الجميل الذى بذل الاثنان فى سبيل بنائه كل ما يملكان ، واكثر مما تسمح به قدراتهما ، من اجل ان ينعما فيه برحلة العمر معا .. ثم اذا بهما او باحدهما يهدم العش على من فيه وكان شيئا لم يكن !

السبب ، احصائية نشرت اخيرا ، وهى تتحدث عن هذه الظاهرة الخطرة .. ظاهرة الطلاق ، وكيف انها تفشت بصورة مخيفة فى السنوات الاخيرة !

هل هى مشكلة حقيقية ؟

واسباب الخلافات التى تنشا بين الزوجين وتؤدى فى النهاية الى « ابغض الحلال عند الله » كثيرة ومتعددة ! والأهم من هذا انها تبدأ صغيرة، ثم لا تلبث ان تكبر وتكبر مع الايام حتى تصير مشكلة .. والاغرب من هذا انها حتى بعد ان تصبح مشكلة نجد ان حلها ابسط مما كان الزوجان يتصوران ، لو انهما توقفا عندها بعض الوقت وراحا يستعرضان اسبابها ويحاولان ان يبحثا معا الحلول التى قد تتطلب فى بعض الاحيان قدرا يسيرا من التضحية او التنازل عن شيء بسيط من « الكبرياء » او « الكرامة » او حب النفس ! وهى صفات ثلاث المفروض ان تذوب فى الزواج ! ولكن

هي طبيعة الانسان في غضبه وفي عناده •• وهي اقوى عند الرجل منها عند المراة ، كما يقول ليونارد ليبونز في كتابه « علامات على الطريق »! انها قصه من واقع الحياه ، رواها لي صديق وقد حرص على الا يغوض فيها عن الاسباب بقدر ما يحدثنا عن النتائج ! فهو يروى لنا تجربة زوج طلق امراته بعد سبع سنوات من زواج كان سعيدا، اعطته خلالها ثلاثة اطفال • لماذا ؟ لانه اكتشف بعد هذه السنوات الطويلة انه لم يعد «حرا» •• وان زوجته وبيته وأطفاله قد أخذا منه «الحرية» التي كان ينعم بها قبل ان يتزوج !

البداية واحدة

لقد حزم حميبة ملابسه •• وترك البيتورحل•• ذهب ليقيم في فندق صغير لا يفصل بينه وبين مقر عمله غير مسافة قصيرة يقطعها على قدميه في الصباح والمساء !

والقى برأسه التي هدها الفكر على الفراش ، وحاول ان ينام •• فقد كان لا بد له ان يذهب الى عمله في الصباح في الشركة الكبيرة التي بدأ فيها عمله صغيرا ، ثم اخذ يرتقي درجات السلم حتى اصبح واحدا من اكبر واكفا المهندسين الذين تفاخر بهم •• واغمض عينيه ، وما كاد يستسلم للراحة والنوم •• حتى قفز من فراشه مذعورا•• اين انا ؟ ما هذا المكان الجديد ؟ وتذكر •• وقال يحدث نفسه : « غدا سوف اعتاد حياتي الجديدة! هكذا البداية ، دائما صعبة !

وحاول ان يعود الى النوم مرة اخرى •• ولكنه هرب منه •• ولم يجد مفرا من ان يرتدي ملابسه، ويخرج الى الشارع ، لعله يعود بعد نزهة قصيرة افضل حالا واكثر استعدادا للنوم !

وخرج •• وعاد •• ولكنه فوجيء يقضي الليل ساهرا مع الكتاب الجديد الذي اشتراه في نزهته !

وفي الصباح ذهب الى مكتبه •• وكان طبيعيا ان يثير منظره وتصرفاته دهشة زملائه •• لم يكن كعادته ابدا ، كان خاملا زائغ العينين ، لا يستطيع ان يجمع فكره •• وسالوه ، ولكنه لم يجب ! لقد صمت واذهله هذا التطور الذي حدث لشخصيته •• صمت ! ؟ ومتى عرف الصمت وهو الذي كان يجد لكل سؤال جوابا •• لا يهم كيف كان يجيب على اسئلة زوجته •• ولكن المهم انه كان يعرف دائما كيف يسكتها عندما يشتد الخلاف بينهما على اي شيء وعلى كل شيء !

واخيرا عرفوا منه الخبر •• لقد طلق زوجته•• واختفت الصورة التي كانت على مكتبه بعد مجيء الطفل الاخير ببضعة اشهر •• فقد حملها في هدوء ووضعها في درج مكتبه !

اين ذهبوا ؟

ومرت بضعة اسابيع • وفي مساء احد الايام خرج يمشي كعادته قبل ان يعود الى غرفته بالفندق ، فقد فشل حتى الآن في العثور على شقة خالية وسط ازمة السكن المزمنة في المدينة ، وقادته قدماه ، دون ان يشعر الى البيت ، الذي تركه هاربا منذ اسابيع قليلة •• وتسمر في مكانه •• لقد وجد البيت غارقا في الظلام •• اين ذهبوا ؟ ماذا حدث ؟ ان المبلغ الذي يدفعه لاطفاله وامهم يكفيهم ويزيد •• فما الذي دفعها الى ترك البيت • هل يمكن ان يكونوا قد ذهبوا في زيارة لبيت احد من اصدقائهم •• ولكن ما الذي يهمه الآن ؟ ألم يكن هو الذي اختار ان يهجر هذه الحياة التي بدأها مع الفتاة التي احبها فاختارته دون سائر الرجال •• ماذا يهم الان••سواء تركوا البيت ام لم يتركوه !

وهم بالعودة من حيث جاء ! ولكنه لم يستطع•• ووجد نفسه ، دون ان يشعر يتجه الى بيت الجيران ويدق الباب ! وخرجت السيدة التي كانت صديقة لزوجته منذ ان اختارا البيت الصغير « عشا » لهما بعد الزواج •• وحيته بحرارة ، وسالته ، وهي تبحث بعينيها حوله : « متى عدتم •• اين زوجتك •• كيف امضى الاطفال العطلة ! »

ولم يكن في حاجة بعد هذا الى ان يسال عن شيء •• لقد فهم كل شيء •• انها لم تنشر الخبر على الناس ، كتمت سرها حتى عن اعز صديقاتها واقربهن اليها •• وحملت اطفالها ، وذهبت •• ولكن الى اين ؟

واستدار بسرعة ، وابتعد •• والسيدة ما زالت واقفة في مكانها ، تحدث نفسها : «ما الذي دهاه»

الذكريات تعود

وفى تلك الليلة ، ولاول مرة منذ ان هرب من نفسه ومن حياته ومن البيت الذى كان يبنى فيه مع زوجته مستقبل هذه الاسرة •• لاول مرة وجد نفسه يقف ويفكر ويتذكر •• لماذا فعل ما فعل ؟ ترى اين هم الان ؟

الم يكن ممكنا ان تستمر حياته مع زوجته واطفاله ؟

وسرح بفكره بعيدا بعيدا •• لقد كان يحبها•• وكانت هى أيضا تحبه •• وابتسم وهو يذكر صرخة طفلهما الاول ، ثمرة حبهما الاولى •• كانت اسعد لحظة فى حياته ، عندما خرج الطبيب ليشد على يده ويزف اليه النبا السعيد •• ثم جاءت الطفلة الثانية بعد عامين من وصول شقيقها •• كانت صورة طبق الاصل من امها •• نفس العينين •• ونفس الابتسامة •• لقد كانت الام ترى فيها نفسها فى طفولتها •• كانا من الممكن ان يتوقفا عن انجاب مزيد من الاطفال •• ولكن شاء القدر ان يرزقهما بطفل ثالث •• ومع وصول هذا الطفل الاخير بدات المتاعب والمشاكل !

الشر •• والخير

ولكن اية مشاكل ؟ وحاول ان يتذكر مشكلة ولكنه فشل تماما ! هل هذا معقول •• لقد تهدم البيت بسبب هذه المشاكل •• والآن لا يستطيع ان يتذكر شيئا منها •• الى هذا الحد كانت من الصغر ولكن كيف كبرت ؟

يقول ايمرسون : « ان الشر هو النواة الوحيدة التى يمكن للانسان ان يراها بالعين المجردة ، اما الغير فهو يحتاج الى عدسة مكبرة ! »

والشر فى العيون وفى الكلام وفى التصرفات التى تصدر عنا ، فى بعض الحالات تكون متعمدة ، وفى معظم الحالات تاتى عفوا دون ان ندرى ،ودون ان ندرك النتائج التى سوف تترتب عليها !وعندها يكون الندم •• اما الخير فمكانه دائما فى القلوب !

وعاد الى ذكرياته معها •• الغريب انه لم يعد يجد فى راسه سوى تلك الصورة الحلوة التى عاشها معها ومع اطفاله •• كيف التقيا •• كيف تحابا وتواعدا على الزواج •• كيف كان والدها يعارض زواج ابنته فى هذه السن المبكرة لانها لم تكمل بعد تعليمها الجامعى ! ثم جاءت اخيرا لحظة الانتصار الكبير ، عندما عرف كيف يتغلب على كل الصعاب ويتزوج الفتاة التى اختارها قلبه !

ولكن اين هى الان ؟ وتمنى فى تلك اللحظة ، لو انها كانت تقف امامه ، لياخذها بين ذراعيه ويقول لها « تعالى نبدأ من جديد يا حبيبتى•• سامحينى ، فقد اخطات فى حقك •• وفى حق اطفالنا الابرياء ! »

واحس بالدموع تملأ عينيه •• ليته يعرف اين هى !

ولم تطل حيرته •• لقد عرف كل شىء •• لم تعد الزوجة تحتمل العيش فى البيت مع اطفالها•• ومع الذكريات••فقررت ان تذهب الى بيت والديها فى المدينة التى تركتها وراءها بعد ان امضت فيها اجمل سنى صباها ! وقررت ان تعود من جديد الى دراستها التى قطعتها منذ سبع سنوات ••وتركت اطفالها الصغار فى رعاية امها •• وبدات رحلتها الجديدة فى الجامعة !

حنين المرأة

وكانت تعود الى الماضى بين الحين ودون ان يشعر بها احد •• كانت تذهب الى شقتها التى قضت فيها تلك الرحلة القصيرة مع والد ابنائها الذى آثر الهرب••وتمضى بضع ساعات مع نفسها ومع الذكريات •• ثم لا تلبث ان تستقل القطار عائدة الى حياتها الجديدة !

ولكن ليس من اجل هذا وحده قررت ان تحتفظ بالبيت وبكل شىء فيه •• وانما هى ابقت عليه لانها سوف تعود للاقامة فيه بعد ان تكمل تعليمها الجامعى ويكبر الاطفال ويذهبون الى المدرسة ثم تبحث لنفسها عن عمل تملأ به الفراغ وكانت تجد فى تلك اللحظات القصيرة التى تقضيها مع الاشياء التى جمعوها معا ، عزاء كبيرا •• كانت ترى فيها كفاح سبع سنوات مع الرجل الذى احبته واعطته اجمل شىء تقدمه الزوجة لزوجها •• ثلاثة اطفال ، كانوا ومازالوا ثمرة حب لاتعرف

حتى الان ، لماذا وكيف وصل الى نهايته بهــذه السرعة !

ندم وحسرة !

واستمرت العجلة فى دورانها •• ايام تمر ، فلا تزيده الا ندماً وحسرة ! وكان الحنين يستبد به كثيرا •• انه يريد ان يرى اطفاله •• يريد ان يرى زوجته •• ولكن كيف ؟

وذهب اليهم •• ووقف امام باب البيت الــذى يعرفه •• بيت الاسرة التى نقدم يطلب يد ابنتها عندما كان مهندسا صغيرا مازال فى بداية الطريق ولكنه لم يجرؤ على ان يتقدم خطوة واحـــدة اخرى •• كيف سيواجه والدها ؟ ماذا يقول لأمها التى اعطته اجمل واثمن ما عندها •• اعطته قطعة منها ، ليحميها ويرعاها ، ثم اذا به يدوس بقدمه على الزهرة ، ويمضى فى الطريق وحده ، مع الاشواك !

وعاد من حيث اتى •• عاد الى شقته الجديدة والى عمله •• وحاول ان ينسى •• وما اكثر ما يمكن ان يصنعه الزمن لكل من يريد ان ينسى •• وما اسهل ما ينسى الرجل ! وقرر ان يبدأ التجربة من جديد •• وكان قراره هذا اعترافا بينه وبين نفسه ، بتشوقه الى « القفص » الذى دخله بقدميه، ثم تصوره سجنا ، ما لبث ان هرب منه •• وهاهو الان يسعى الى الدخول اليه من جديد .

وتزوج •• ورزق بطفلة !

ومرت الاعوام •• اعوام طويلة وكبر اطفاله من زوجته الاولى •• والتحقوا بالجامعة ! !

وفى احد الايام كان يقرأ صحف الصباح ، وهو يتناول افطاره مع زوجته الجديدة وابنته منها•• وفجاة سقطت الصحيفة من يديه ! •

ــ ماذا حدث ؟

ــ لاشىء •• لاشىء •• تذكرت اننى يجب ان اذهب فورا الى مكتبى •• ان لدى اعمالا هامة لابد من انجازها اليوم ! وهرول الى الخارج •• لقد ترك الصحيفة على مائدة الطعام ، حتى لا يثير الفضول •• واسرع يشترى نسخة اخرى •• وفتح الصفحة التى كان يقرأها •• ووقف امام صورتها يتاملها •• هى بلحمها ودمها •• ابنته التى تركها طفلة •• واحس بالدنيا تدور به•••ما اعجب الشبه بينها وبين امها •• انها هى نفسها فى شبابها ، تقاطيع وجهها الدقيقة الجميلة •• شعرها الاسود الناعم •• ابتسامتها الحلوة التى كانت اول ماشده اليها •• هل يمكن ان تتكرر صورة الام بمثل هذا الشبه الغريب !

لقاء

وراح يقرأ الخبر تحت الصورة •• لقد نجحت الفتاة بتفوق ، وتخرجت فى كلية الحقوق ،وقرروا ايفادها فى بعثة لاتمام دراساتها العليا فـــى الخارج •• وهى اليوم ضيفة اساتذتها فى حفل يقيمونه تكريما لها قبل سفرها ••

وراح يعد الساعات •• حتى حان موعد الحفل اخيرا •• وذهب •• ذهب وحده ورآهم جميعا•• الام وولديها الاخرين يجلسون فى الصف الاول•• اما هو فقدكان بين الجلوس فى الصفوف الاخيرة••

وآخيرا ظهرت ابنته •• وقفت تلقى كلمة تشكر فيها اساتذتها وتودع زميلاتها وزملاءها • واحس برعشة تسرى فى بدنه كله ! وارتفعت الايدى تصفق للفتاة وتقدم الجميع لتهنئتها !

وجاء دوره •• فى آخر الطابور الطويل بعد ان انصرف الجميع الى القاعة المجاورة لتناول الشاى•• ومد اليها يده مصافحا ، واحست باصابعـــه ترتجف •• ولم يقدم لها نفسه •• واسرع يقول لها : « ما اسعد والديك بك يا ابنتى ! » قالها وهو يتمنى لو انه ضمها الى صدره وراح يمطرها بقبلاته !

قالت : « نعم •• كنت اتمنى ان يكون ابى معنا الليلة •• ولكنه رحل منذ زمن طويل •• عندما كنت طفلة صغيرة فى الخامسة !

ــ رحل •• الى اين ؟

لا ادرى •• ولا احد يدرى •• حتى امــــى نفسها ! »

واستدار بسرعة •• وخرج من القاعة مهرولا !

وجاءه صوتها من بعيد وهى تدعوه لتناول قدح من الشاى ! ولم يرد •• ولم يلتفت اليها •• فقد كانت عيناه مليئتين بالدموع ! ■■

منير نصيف

الحال من المجرور ، والمبتدأ ، والخبر

بقلم : محمد خليفة التونسى

الحال من الاسم مجرورا بالاضافة

وتاتى الحال كذلك من الاسم المجرور بالاضافة (اى من المضاف اليه) وشواهده كثيرة :

١) ففى القرآن الكريم : « ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا » فكلمة « ميتا » حـال مـن « اخيه المضاف اليه •

٢ ـ ٣) وفيه « ونزعنا ما فى صدورهم من غل اخوانا » و « اليه مرجعكم جميعا » فكلتا الكلمتين « اخوانا » و « جميعا » حال من ضمير الغائبين « هم » قبلها •

٤) وفيه « اتبع ملة ابراهيم حنيفا »(وقد تكررت ثلاث مرات) ،وفيه أيضا «اتبعوا ملة ابراهيم حنيفا» فكلمة « حنيفا » حال من « ابراهيم » المجرور بالاضافة •

٥) ومن الشواهد الاخرى قول الشاعر الجاهلى سلامة بن جندل :

تقول ابنتى : « ان انطلاقك واحدا
الى الروع يوما ـ تاركى لا ابا ليا »

(اى ان ذهـــابك وحيـــدا الـى الحـــرب سيتركنى بلا اب) فكلمة « واحدا » فى البيت حال من الضمير « كاف المخاطب » المجرور بالاضافة •

ولمعظم النحاة فى مجىء الحال من المضاف اليه شروط معتسفة يوجبونها فى المضاف على غير تمييز بين الاحوال ، ومن هذه الشروط ان يكون المضاف جزءا من المضاف اليه (كما فى « ونزعنا ما فى صدورهم من غل اخوانا » فان المصدر جزء من صاحبه) او يكون المضاف بمنزلة الجزء من المضاف اليه •

ويؤيدنا فى رفض هذه الشروط المعتسفة سيبويه صاحب اقدم الكتب الباقية واصلها ، وابو على الفارسى وهو من افقه شيوخنا بالمسائل النحوية ، واثقبهم بصيرة فى الاساليب العربية •

ومن الامثلة التى انكرها بعض النحاة على ابى على الفارسى « جاء غلام هند ضاحكة » ولا مسوغ لهذا الانكار لان المعنى واضح ، ولكن المعنى يكون اشد وضوحا لو كانت الحال جملة ، فنقول « جاء غلام هند وهى تضحك » وحيث تيسر وضوح المعنى جاز ان تاتى الحال مفردة كما فى قولنا « سقط سلاح اللص هاربا » و « فتح مكتبك غائبا » و « وقعت كتب المدرس منحنيا »

ومهما يكن فان الحال من المضاف اليه تكون واضحة اذا كانت جملة ، وقد تحتاج الى تامل اذا كانت مفردة ، وهى اقل وضوحا اذا كانت شبه جملة ، فالافضل اتباع الوضوح ، لان الكلام للافهام لا للابهام •

والخلاصة هنا ان الحال ـ كما تاتى من الفاعل او المفعول به احدهما او كليهما تاتى من المجرور سواء كان جره بالاضافة او بحرف جر اصلى او زائد ، فتقول ، كتبت بالقلم جافا و « بالقلم جافا كتبت » و « لا تحارب بالسيف مفلولا » و « مررت على بيت الحارس نائما » و « كفى بك صديقا » وتاتى من نائب الفاعل مثل « ضبط اللص متلبسا بجريمته » وتاتى من الفاعل والمجرور معا ، مثل « جلست الى اخى مسرورين » ومن المفعول بـه والمجرور معا ،مثل «رايت ليلى مع هند مسرورتين» كما تاتى من المجرور بحرف الجر مستغنا به ،

مثل « يالخالد قائدا ، ليدفع عن قومه » او مستغاثا له مثل « يا للايتام ضعافا » ، او متعجبا منه « يالعنترة لاعبا بالسيف » ، كما تاتي من المجرور بالاضافة في مثل هذه الاحوال ايضا ، ومثال ذلك مستغاثا به « يا لشجاعة خالد قائدا ، كي يدفع عن قومه » ، ومستغاثا له ، مثل « يا لضيعة الايتام ضعافا » ، ومتعجبا منه مثل « يا لبراعة عنترة لاعبا بالسيف » .

الحال من المبتدأ ، والخبر

هذا بعض ما جمعناه من الشواهد على ان الحال تاتي من المبتدأ :

١ ـ في القرآن الكريم « له الدين واصبا » فكلمة « واصبا » (١) حال من المبتدأ « الدين » وشبه الجملة « له » خبر مقدم .

٢ ـ وفيه « لله الامر من قبل ومن بعد » فشبه الجملة « من قبل » ومثله « من بعد » حالان من المبتدأ « الامر » فكان العبارة « لله الامر متقدما ومتاخرا او « سابقا ولاحقا » .

٣ ـ من اقوال الامام علي ـ كرم الله وجهه ـ حين الح عليه انصاره ان يتقبل بيعتهم له بالخلافة: « انا لكم وزيرا خير لكم مني اميرا » (٢) فكلمة « وزيرا » حال من المبتدأ « انا » (٣)

٤ ـ من رواية المبرد في كتابه « الكامل » قول جرير هاجيا الاخطل وقومه بني تغلب :

لا تطلبن خئولة في تغلب
فالزنج أكرم منهم أخوالا (٤)

فكلمة « اخوالا » حال من المبتدأ « الزنج » كانه قال : « الزنج اخوالا اكرم من تغلب » وهذا البيت من الشواهد النحوية .

٥ ـ وللشاعر الاموي ذي الرمة ـ مطلعا لقصيدة ينسب فيها بصاحبته « مية » ـ قوله :

لمية موحشا طلل
يلوح كانه خلل

فكلمة «موحشا» حال من المبتدأ بعدها « طلل » (والبيت من الشواهد النحوية على ان الحال تاتي احيانا من النكرة) .

٦ ، ٧ ـ ومن الشواهد النحوية « يا جارتا ، ما انت جارة » و « الطريق امامك واسعا » فكلمة « انت » مبتدأ ، و « جارة » بعده حال منه ،وكذلك « واسعا » حال من « الطريق » .

٨ ، ١١ ـ وهذه اربعة شواهد نحوية من كتاب سيبويه «هذا بسرا أطيب منه رطبا» و «لك الشاء: « شاة بدرهم » : والشاء لك : شاة بدرهم (تعرب كلمة « شاة » هنا حالا منصوبة من المبتدأ « الشاء ») (سواء تاخر عن خبره أو تقدمه) .

والشاهد الرابع « الشاء لك : شاة بدرهم » ـ برفع كلمة « الشاء » على انها مبتدأ ، و «بدرهم» خبره، وجملة المبتدأ والخبر هي الحال من «الشاء».

١٢ ـ ويقول شاعرنا الحكيم المتنبي :

« والغنى في يد اللئيم قبيح
قدر قبح الكريم في الاملاق »(٥)

فشبه الجملة « في يد اللئيم » حال من المبتدأ « الغنى » .

ومن هنا يظهر الصواب فيقولنا مثلا « الزهاوي شاعرا » و « ابن سينا فيلسوفا » و « عبد الرحمن

---

(١) « الواصب » هنا : الواجب الدائم (انظر « وصب » في « أساس البلاغة » للزمخشري)

(٢) هذه العبارة خاتمة الجزء الاول من شرح نهج البلاغة للاستاذ الامام محمد عبده رحمه الله.

(٣) في العبارة حال اخرى « اميرا » جاءت من ياء المتكلم بعد حرف الجر « مني » ، وهذا شاهد على مجيء الحال من المجرور ، وسيرد مثلها هنا ، كما ورد مثلها في المقالة السابقة (العدد ٢٣٣) .

(٤) لو أعربنا « أخوالا » هنا تمييزا لفسد المعنى (انظر الكامل للمبرد ٢٣٤/١ طبعة المكتبة التجارية بالقاهرة سنة ١٣٥٥ هـ) .

(٥) لا يكون الكريم قبيحا بسبب املاقه ، ولكن الاملاق (الفقر) هو القبيح ، وهو اقبح ما يكون اذا ابتلي به كريم ، فكأن المتنبي يريد أن يقول « قدر قبح الاملاق عند الكريم » ولكن الشاعر ـ معتمدا على وعي السامع ـ يتصرف في الكلام مادام المعنى واضحا ، ولو بعد تأمل (ويلاحظ ـ من الناحية الشكلية في بيت المتنبي ـ ان قوله في « الاملاق » حال من الكريم المجرور قبلها بالاضافة ولو جعلناها حالا مفردة لصارت الجملة :« قدر قبح الكريم مملقا » .

شكرى ناقدا » اذا جعلنا كلا من هذه الجمل عنوان مقالة او كتاب مثلا ، لبيان قدرة كل منهم وآثاره : الزهاوى فى الشعر ، وابن سينا فى الفلسفة ، وعبد الرحمن شكرى فى النقد •

كما انه من الصواب ان يقال مثلا : « العقاد كاتبا أشهر منه شاعرا » و « طه حسين كاتبا خير منه شاعرا » و « خليل مطران شاعرا اعظم منه كاتبا » •

وكثير من كبار معاصرينا المشتغلين باللغة والادب ينكرون امثال هذه التراكيب ، ويخطئونها • وانهم فى هذا مخطئون • (وقد نعود بعد لبيان اسباب التباس الامور عليهم وعلى غيرهم فى هذا الباب) •

الحال من خبر المبتدأ

والشواهد على مجىء الحال من الخبر كثيرة ، نكتفى منها بما ياتى :

١ ـ فى القرآن الكريم : هذا بعلى شيخا فكلمة « شيخا » حال من الخبر « بعلى » •

٢ ـ وفيه «هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق » فجملة « ينطق عليكم بالحق » حال من الخبر « كتابنا » ولو أولناها حالا مفردة لصارت العبارة « هذا كتابنا ناطقا عليكم بالحق » •

٣ ـ وفيه « انما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه » ـ والجملة الاسمية « ذلكم الشيطان » تفيد الحصر بعد « انما » ـ والجملة الفعلية « يخوف أولياءه » حال من الخبر « الشيطان » ولو بدلناها مفردة لصارت « مخوفا أولياءه » (٦) •

٤ ـ ومن الشواهد النحوية قول الشاعر :

« وقالوا لها : هذا حبيبك معرضا »

فكلمة «معرضا» حال مفردة من الخبر «حبيبك»•

الحاجة الى الحال فى التعريفات

وقد ظهر لنا من تصفحنا بعض كتب الادب ودواوين الشعر قديما وحديثا ان الحال من المبتدأ ومن الخبر تتردد كثيرا فى آثار البلغاء ، وظهر لنا من اشتغالنا الطويل العريض بالتعليم والبحث والكتابة شىء اهم من ذلك ، هو ان المعلمين والكتاب والعلماء ومن اليهم من الباحثين أحوج الى استعمال ذلك للابانة عن مقاصدهم بايجاز ووضوح عند تعريف الاشياء او وضع حدودها أو بيان اطوارها او صفاتها او خواصها وما اليها •

ولنفرض مثلا أننا نريد أن نبين أحوال الماء ، اذن نقول مثلا : الماء باردا ـ قار ، وحارا ـ سخن ، وشديدة حرارته ـ حميم ، وجامعا بين البرودة والسخونة ـ فاتر ، وزاكيا فى الجسم ـ نمير ، وجامعا بين الصفاء والعذوبة ـ زلال •

أو نقول فى أحوال الخيل : الفرس طويلا ضخما ـ هيكل ، وتاما حسن الخلقة ـ مطهم ، وساميا طرفه،حديدا بصره ـ طموح ،وجامعا بين خفة الجرى وسرعته ـ سكب ، ومتصلا جريه ـ بحر •

أو نقول فى توضيح المعانى للالفاظ المشتركة : البناء مرتفعا هيكل ، والفرس طويلا ضخما هيكل ايضا وكل هذه امثلة للحال من المبتدأ •

واذا عكسنا وضع هذه الجمل ونحوها ، وجعلنا المبتدأ فى كل منها خبرا ، والخبر مبتدأ ، فقلنا مثلا : « الهيكل : البناء مرتفعا ، والهيكل : الفرس طويلا ضخما» ، فان الحال هنا جاءت من الخبر•

ونقول على هذا النمط فى بيان أحوال السيوف او أنواعها مثلا : الصمصامة : السيف صارما لا ينثنى ، والمهند والهندى والهندوانى : السيف مطبوعا فى الهند ، والصفيحة : السيف عريضا •

وفى بيان أحوال الملابس أو أنواعها : الغلالة : الثوب رقيقا ، والمنامة : الثوب متدثرا به صاحبه عند النوم ، والمبذل الثوب يبتذله صاحبه فى اشغاله البيتية ونحوها •

وكذلك تاتى الحال من المبتدأ ، ومن الخبر بعد دخول النواسخ عليهما ، كما سنبين فى المقالة التالية • ■■

محمد خليفة التونسى

---

(٦) وفيه « ذلك الكتاب ، لا ريب فيه ، هدى للمتقين » فيرى بعض معربى القرآن الكريم ان الجملة « لا ريب فيه » حال من الخبر « الكتاب »ويعربون « هدى » حالا أخرى مفردة منصوبة ، بمعنى « هاديا » ، والعبارة تحتمل هذا ، فلا خطأفيه ، وان احتملت غير هذا الاعراب •



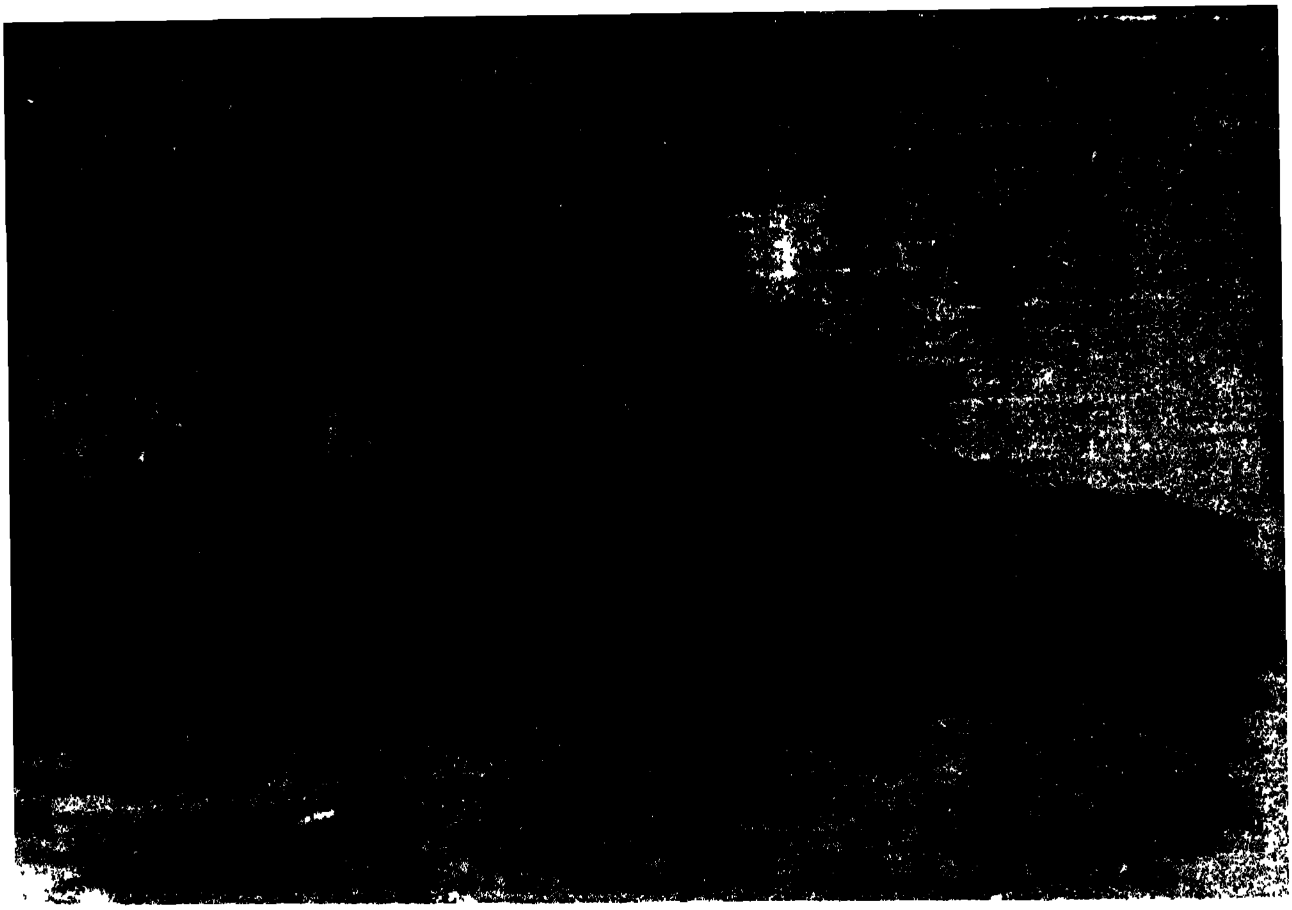
جزيرة سواكن فى عام ١٩٣١

هل تصلح نجمة البحر خطيئة الشعب المرجانية ؟

نكبة سواكن يعرفها الجميع ..

ذلك الميناء التاريخى الذى كان ينافس استنبول واشبيليه فى القرن السادس عشر ، قتلته الشعب المرجانية الكثيفة التى ظهرت عند مداخله ، واصبحت تشكل خطرا محققا على الملاحة فيه .وصدر الحكم ضده بالاعدام فى بداية هذا القرن باستبدال ميناء بورتسودان به ، ولكن خالق الشعب المرجانية خلق نقيضها أيضا ، اذ ظهرت أخيرا بعض الحيوانات الدقيقة مثل نجمة البحر الشوكية وسمك الببغاء ، التى تتغذى على هذه الشعب ، وتقضى عليها تدريجيا .

لقد فشل الانسان فى مواجهة الشعب المرجانية ، وجاءت هذه الحيوانات الدقيقة لتتصدى للخطر بصورة تلقائية .. فهل يعود مجد سواكن ؟؟



الملامح المتبقية اليوم من سواكن .

صب دمعي وأنا قلبي ساكن
حار فراقك نار يا سواكن
من الشعر الشعبي السوداني

بقلم : الدكتور احمد محمد غندور

■ لقد شهدت سواكن حضارة عظيمة ، وكان الميناء فى أوج عظمة سواكن وازدهارها يعج بالسفن من مختلف أرجاء العالم محملة بالنفيس والغالى من البضائع كالسمك والعنبر والسجاد الفاخر وأشهى المأكولات وأجمل الملبوسات . وكان الميناء مقرا لشركات ملاحة كبرى ، من أشهرها الشركة الخديوية المصرية .... كما كان هناك ايضا مكتب ضخم للتلغراف الانجليزى لتسهيل الاتصال .

وفى منطقة الميناء ، كانت ترقد جزيرة صغيرة ، منشآتها آية فى الفن المعمارى ، بها الكثير من المبانى التى تتكون من ثلاثة واربعة طوابق مزينة بالنقوش الجميلة على الابواب والجدران .. ومن اشهرها قصر الشناوى وكيل الخديوى المصرى الذى يشتمل على ٣٦٥ غرفة وهو أشبه بالفنادق .

يحكى لى العم حسن بوادى وهو رجل ناهز التسعين حجة وعاصر أيام الامير عثمان دقنه اعظم امراء المهدية* فى شرق السودان والذى اذاق الانجليز شر الهزيمة عند سواكن فى أوائل القرن العشرين « يا بنى كانت أيام خير وسعادة ... المال وفير والخير كثير . الاسواق مليئة بما لذ وطاب من الملبس والمأكل . الجزيرة بها علية القوم والاكابر ... ملبسهم الحرير والديباج ومنامهم أرق المفروشات وازهاها ومنازلهم تحفة للعين مسرة للناظرين . كان بالجزيرة مستشفى به أعظم الاطباء حتى ان احدهم

*المهدية : ثورة دينية قامت فى السودان عام ١٨٨١ ميلادية بقيادة محمد احمد المهدى ضد الحكم التركى ، واستمرت حتى دخول الحكم الثنائى المصرى الانجليزى فى عام ١٨٩٨م .

«الدكتور ابراهيم المصرى» عالج امرأة عمياء حتى أبصرت ورات ذلك الخير والجمال فى بلدنا الحبيب .... كان يتوسط الجزيرة ملهى جميل كان يحلو لنا ان نذهب اليه لنتفرج ونمرح .... فى وسطه كانت هناك نافورة مياه جميلة زينت بأجمل التماثيل ... وكانت هناك فرقة موسيقية تعزف موسيقى عربية على الطبول والقرب يرقص الجميع على انغامها الشجية .

خراب سواكن

ومع ازدهار سواكن وازدياد حركة السفن بالميناء اتضح للسلطات المحلية عدم صلاحية الميناء للمستقبل البعيد ، وذلك فى ضوء الازدياد المستمر فى نمو الشعب المرجانية على ضفتى ومدخل الميناء . تلك الظاهرة اصبحت مصدرا للخطر الدائم ، لان عرض المياه العميقة الصالحة للملاحة لا يزيد عن حوالى ١٠٠ متر بالاضافة الى احتمال اصطدام السفن بالشعب الموجودة على المدخل .... بدأ المسئولون يفكرون فى بناء ميناء جديد بدلا عن سواكن .. فى حوالى ١٩٠٥ ـ اكتشفت السلطات ميناء بورتسودان الحالى (فى شمال سواكن) بالصدفة، اذ انها كانت مرسى لبعض صيادى الاسماك واتضح فى الحال صلاحية بورتسودان للملاحة اذ ان مدخل وضفتى الميناء واسعة وعميقة الى أبعد حد، ولا توجد به اى تعرجات مرجانية الا القليل جدا التى لا تهدد حركة الملاحة .

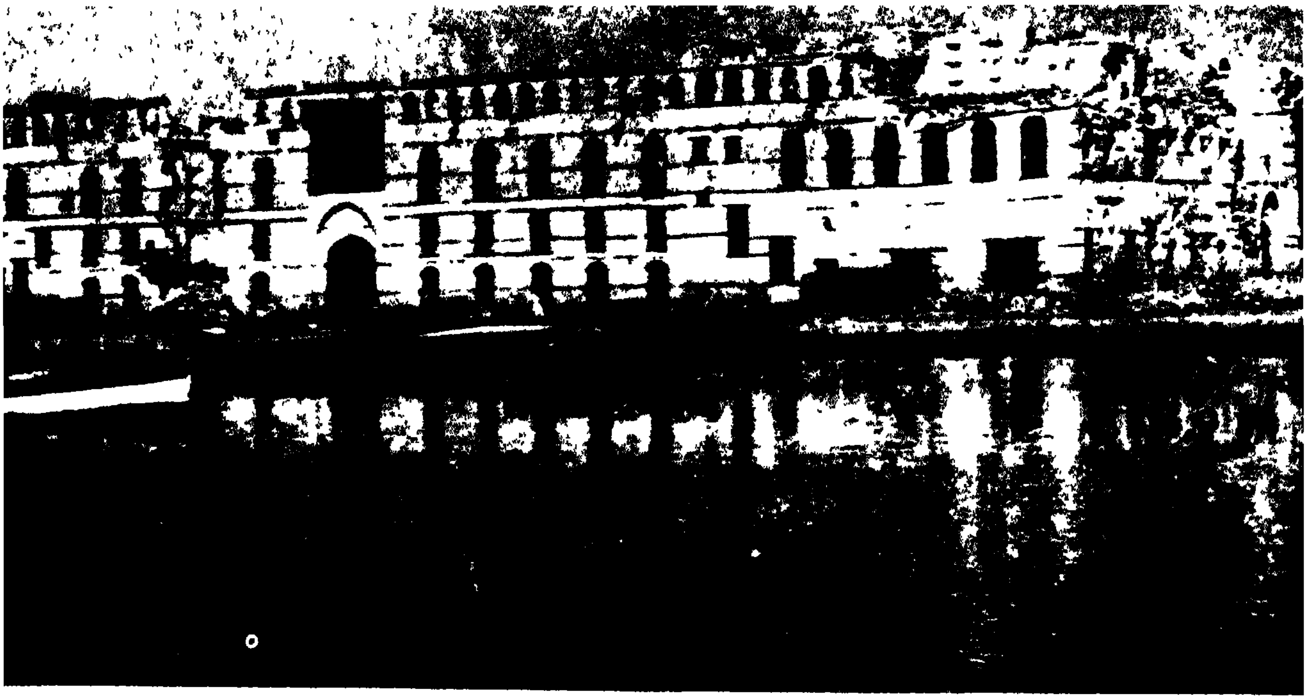
وفى حوالى ١٩٠٩ تم افتتاح ميناء بورتسودان الحالى ، وتعتبر تلك السنة بداية النهاية لخراب سواكن حيث أبلغت الحكومة التجار والاهالى فى مدينة سواكن بنيتها فى نقل الميناء الى بورتسودان .... ولكن فى البداية لم يستجب الناس لذلك اذ عز عليهم ان يرحلوا عن ديارهم ومبانيهم الجميلة . الا ان الحكومة قامت بعدة تغييرات ارغمت الناس على الهجرة عن سواكن الى بورتسودان وهى : ـ

- تغيير مديرية سواكن ـ والتى كانت الحاكم الاول والاخير فى شئون الناس ـ الى مركز صغير ليس له الا القليل من الصلاحيات الادارية واصبحت المديرية فى بورتسودان .
- حولت ادارة الجمارك من سواكن الى بورتسودان واصبح جمرك سواكن نقطة تفتيش صغيرة .
- حول التلغراف الانجليزى الى بورتسودان.
- وآخر هذه التغييرات ـ والقشة التى قصمت ظهر البعير ـ تمثلت فى تحويل البنك الاهلى المصرى الى بورتسودان .

وامام ذلك ، اضطر الناس الى الرحيل الى بورتسودان لمباشرة اعمالهم وتجارتهم . حمل الكل النفيس والغالى من الاثاث والمفروشات الزينات . قل عدد الناس فى سواكن . وتوقفت عنها حركة السفن التجارية الا سفن الحجيج ، اغلق المستشفى أبوابه ، توقف البنك عن نشاطه ، وقلت المعاملات التجارية . توقفت الموسيقى العذبة فى ملهى المدينة الجميل واصبح هدير موج البحر هو الطاغى على

احدى الشعب المرجانية المستديرة عند اخراجها حية من البحر .. السطح لزج ومليء بمادة جيلاتينية .





« قصر الشناوى باشا » اكبر وافخم مبانى سواكن عام ١٩٥٠ ·· لم يبق منه اليوم شيء ·

كل صوت · انشغل الناس فى تعمير الميناء الجديد وانحسر شان سواكن العظيمة واصبحت المبانى الجميله اطلالا لا يسكنها الا البوم ····

ولم يملك اهل سواكن الا الحسرة يعبرون بها عن محنة سواكن · وترددها بنات سواكن فى اغان تفيض رقة واسى · من بينها اغنية تقول :

« صب دمعى وأنا قلبى ساكن
حار فراقك نار يا سواكن »
فى ربوعك شامخات قصور يا سواكن
الجبابرة الهبت تثور
بقيادة دقنه الجسور فى سواكن*
أثارك فى كل حين يا سواكن
ذكرى دائمة للخالدين فى سواكن
لما أصابك جور السنين يا سواكن
هجرنا العش الامين يا سواكن
وديارك أصبح حزين
تبكى الدمع السجى فى سواكن

* « دقنة » الامير عثمان دقنة اعظم امراء المهدية فى شرق السودان ·

مجموعة مختلفة من الشعب المرجانية



الحدائق البحرية !

هده الشعب المرجانية التي كانت سببا فيحراب سواكن الجميلة . يطلق عليها أحيانا اسم « الحدائق البحرية » ، وذلك لشبهها بالحدائق البرية من حيث التشكل في طريقة نمو تشعبها .. ومن حيث جمال الوانها وتعددها من احمر واخضر واصفر وخلافه ... هده الشعب المرجانية ليست الا كائنات بحرية دقيقة من فصيلة الحيوانات الجوف معويات . .... يتكون جسمها من الجيلاتين ويشبه في تكوينه شقائق « نعمان البحر » وهو عبارة عن حيوان عمودى له أياد دقيقة تساعده في الحركة والغذاء ويسمى البولب .

الا ان الفرق بين الشعب المرجانية وشقائق النعمان هو أن البولب في الشعب المرجانية يصنع لنفسه هيكلا جيريا يفرزه من املاح الكالسيوم الموجودة في مياه البحر ليحتمي داخله .. وأغلبية الشعب المرجانيه تنمو عادة في شكل مستعمرات من الاف البولب المتصل بعضها بالبعض ولا يزيد طول البولب الواحد عن (١ ـ ٣) مليمتر .. لو فحصنا احدى الشعب المرجانية نوجدنا عددا هائلا من الفتحات والتعاريج على سطحها وكلها تمثل الهيكل الخارجي للحيوانات الجيلاتينية التي تعيش في حماية هدا الهيكل .

وأصدق دليل على ذلك هو لمس احدى الشعب المرجانية عند اخراجها حية من البحر . حيث نجد السطح مليئا بالافرازات نتيجة لتفاعل الحيوانات الجيلاتينية التي تموت سريعا خارج الماء تاركة هيكلا صخريا من املاح الكالسيوم .

ومن أهم الشعب المرجانية :

- شعب قرون الوعل وهي تشبه قرون الوعل.
- الشعب المستديرة .
- الشعب الدماعية التي تشبه دماغ الانسان من حيث تعاريجه .

والحيوانات الجيلاتينية التي تعيش داخل الهياكل الجيريه تتعدى بالكائنات الدقيقة التي تطفو فوق سطح البحر ... وهناك مجموعة من النباتات الدقيقة تعيش داخل الحيوانات الجيلاتينية وهي التي تعطى الالوان الزاهية للشعب المرجانية ..... هذه النباتات تساعد الحيوانات الجيلاتينية على التخلص من فضلاتها السامة كثاني أوكسيد الكربون والامنيوم لانها تتغذى بها .

خطرة على الملاحة

ووجود هذه النباتات داخل الحيوانات الجيلاتينية عامل هام يتحكم في اماكن تواجد الشعب لان هذه النباتات تعتمد على اشعة الشمس لحياتها ونموها. وبالتالي لا توجد شعب مرجانية في عمق اكثر من ٩٠ مترا تحت سطح البحر ..... معمرور السنين وازدياد عدد المستعمرات المرجانية تكون هناك ثلاثة أنواع من التجمعات المرجانية وهي :ـ

- « الشعب الدائرية وهي التي تقف وراء ماساة سواكن ، وتكون قريبة من الارض بجوار الساحل ولا يوجد مجرى مائي عميق يفصلها عن الارض ولذلك تشكل خطوره على الملاحة ونمو هده الشعب في البدايه في اتجاه رأسي . ولان الشعب المرجانية لا تستطيع ان تعيش كثيرا خارج الماء ، فسرعان ما يمتد نمو الشعب في اتجاه افقي حتى يمتلىء بها الشاطىء ولكن عوامل الطبيعة المختلفه تسبب في تكسير الشعب المرجانية التي تقع في المجرى العميق الصالح لملاحة السفن ، وبمرور السنين ينخفض مستوى المجرى العميق في هذه الناحية التي تصبح ضحلة (اقل من ٩٠ مترا) وبالتالي صالحة لنمو الشعب .

وهذه هي المتكلة الاساسية في ميناء سواكن.. اذ ان النمو الدائم للشعب المرجانية على ضفتي ومدخل الميناء أثر في عرض المجرى العميق الصالح للملاحة الذى يتناقص تدريجيا يوما بعد يوم .

- الشعب الحاجزة واشهرها تلك الموجودةحول قارة استراليا والتي تنمو على امتداد (١٢٠٠) ميل حول الساحل الشرقي للقارة .
- الشعب الاطول ، وهي عبارة عن دائرةمن الشعب المرجانية في عرض البحر تتخللها بحيرة شاطئية.وهذه الشعب موجودة فيمنطقة البحر الاحمر على مسافة ١٦ ميلا شرق ميناء بورتسودان ، وبه فنار ضخم لتنبيه السفن للابتعاد عن تلك المياه الضحلة المليئة بالشعب المرجانية .

الا ان النوعين الاخرين من الشعب لا يشكلان خطرا مباشرا على حركة السفن لانهما لا يوجدان الا في عرض البحر ولكن يتسببان في تشكيل حد أدنى من الخطورة على حركة الملاحة .

الوجه الآخر للخطر

ومع ذلك فهناك عدة فوائد للشعب المرجانية :



العم حسن بوادى يحكى عن سواكن



أطول سنقنيب ٠٠ هذه الصورة التقطت من قمة فنار سنقنيب وتظهر بوضوح المجموعة الضخمة للشعب المرجانية التى تكون تجمعاتها فى شكل دائرة فى عرض البحر العميق ٠

ـ فهى مكان لتوالد الاسماك وتكاثرها ، ذلك ان الاسماك تجد حماية من اعدائها فى البحر فى خباء الشعب المرجانية ٠ وتجد ايضا الغذاء فى الطحالب والنباتات والحيوانات حول منطقة الشعب المرجانية ٠٠٠٠ وبعد ان اكتشف ذلك الخبراء ، بداوا فى حوالى عام ١٩٣٠ فى امريكا وبعدها فى اليابان بمحاولة بناء شعب صناعية من الحجارة الضخمة وبقايا العربات وغيرها !

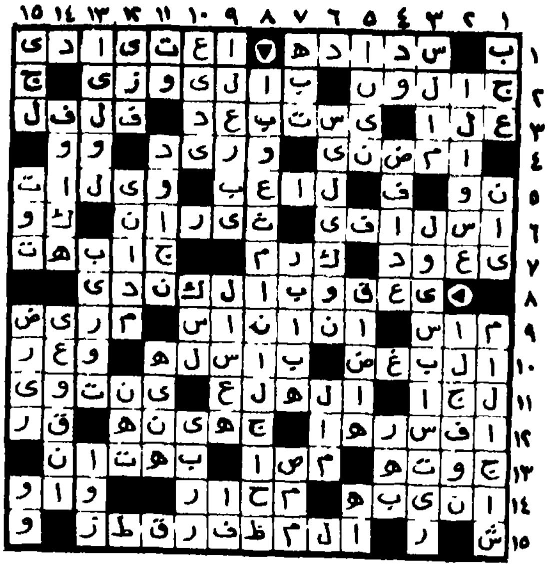
ـ وهى فرصة طيبة للاستغلال السياحى ، اذ ان الشعب المرجانية من أجمل ما خلق الله فى البحر ، وليست هناك متعة توازى متعةالنظر اليها من خلال زجاج مرئى اذ تتجمع فيها الوان قوس قزح اذ تسبح فيها مجموعة ضخمة من الاسماك من مختلف الالوان ٠

ـ وهى قد تعنى احتمال وجود البترول ، ذلك ان وجود كميات ضخمة من الاسماك وخلافها من الحيوانات البحرية حول الشعب المرجانية حيث تتوالد وتموت تاركة بقاياها وبمرور السنين ، ومع التفاعل الجيولوجى والبيولوجى يؤدى ذلك الى احتمال وجود البترول فى اعماق الشعب المرجانية والان تجرى الدراسات والابحاث للتحقق من هذا الامر ٠

اخيرا ، فان مستقبل سواكن لا يزال مجهولا ، ولا احد يعرف على وجه الدقة ما اذا كان مجد هذا الميناء سيعود مرة اخرى ام لا ، وما اذا كانت تلك الحيوانات الدقيقة ستتمكن من ازالة الخطر ام انها ستخفف منه فقط ٠ ان الاجابة على هذه الاسئلة سوف تحتاج الى وقت قد يطول أو يقصر ، ولننتظر ما يجىء به الغد ٠ ■■

الخرطوم ــ د ٠ احمد محمد غندور

● حل مسابقة العدد ٢٣٣ ●



يعقوب الكندى

●

أبوعثمان الجاحظ

اثنتان فى واحدة :

(٨) افقيا : يعقوب الكندى ، فيلسوف العرب • عالم عربى كبير كان له نشاطه الفلسفى والعلمى فى بغداد على عهد المامون • عنى بالرياضيات والمنطق والعلوم الطبيعية والفلك والموسيقى •

(٨) راسيا : ابو عثمان الجاحظ ، اديب عباسى شهير • درس فى البصرة وبغداد ، واطلع على جميع العلوم المعروفة فى عصره • كان صاحب ملاحظة دقيقة وروح مرحة وقلم رشيق • من مؤلفاته « البخلاء » و « الحيوان» « والبيان والتبيين » •

الفائزون بالجوائز

- الجائزة الاولى وقدرها : ٣٠ دينارا ، فاز بها يحيى رياض حسان/البدرشين/مصر
- الجائزة الثانية وقدرها : ٢٠ دينارا ، فاز بها محمد محمد عبدالحليم/الاحساء/السعودية
- الجائزة الثالثة وقدرها : ١٠ دنانير ، فاز بها ابراهيم عبدالعميد/أبو ظبى/الامارات العربية

٨ جوائز مالية قيمتها (٤٠) دينارا ، كل منها خمسة دنانير ، فاز بها كل من :

١ ـ مازن عادل احمد ـ الصليخ الجديد/بغداد/العراق •

٢ ـ سمر محمود ابو سلمى ـ الزرقاء/الاردن •

٣ ـ وهيبة مرزوق احمد ـ المنامة/البحرين •

٤ ـ عبد الحميد عبد الرحيم تمراز ـ بنغازى/ليبيا •

٥ ـ عبد اللطيف احمد حسن ـ الخرطوم/السودان •

٦ ـ عبد الملك يحيى الضحيانى ـ صنعاء/اليمن الشمالى •

٧ ـ ليلى عبد العزيز العبد الكريم ـ العديلية/الكويت •

٨ ـ عبد العزيز صالح ـ كانو/نيجيريا •



طبيب الأسرة

يجيب على هذه الاسئلة نخبة من الاطباء

هبوط ضغط الدم

● اصبت بدوار فقال لى الطبيب اننى اشكو من هبوط فى ضغط الدم ٠٠ فما سببه وما علاجه ؟

– فى بعض الحالات يكون ضغط الدم مائلا الى المستوى المنخفض ٧٠/١٠٠ ولا يعانى الشخص من اى اعراض٠ويكون هذا هو ضغطه الطبيعى ٠وهذا المستوى يلاحظ فى جنسيات مختلفة ٠ أما اذا كان ضغط الشخص عاديا وهبط الى مستوى منخفض فان ذلك يسبب دوارا ، مع عدم القدرة على الاستمرار على الوقوف ويجلس المريض أو يستلقى على الارض ، مع شحوب فى اللون وعرق بارد غزير يغطى الجسم، مع عجز على القيام باى عمل او التركيز، أو تفهم الاشياء٠

وينخفض الضغط عندما تقل دقات القلب نتيجةلتاثر العصب الحائر فيقل النبض ويهبط الضغط وتظهر الاعراض الاخرى ٠ وربما صحب ذلك اغماء لفترة وجيزة ٠ ويعود الضغط الى حالته الطبيعية اذا استلقى المصاب على ظهره بعيدا عن الاجواء قليلة التهوية، مع استنشاق مواد منبهة كالروائح العطرية أو النشادر٠

– وينخفض الضغط فى حالات فقدان سوائل الجسم كالعرق الشديد ، أو الاسهال الشديد ، أو القيء الشديد ، وتتحسن حالة المريض عندما يعوض السوائل التى فقدها ٠

– ويحدث انخفاض فى ضغط الدم كذلك فى حالات فقدان كمية كبيرة من الدم سواء كان ذلك ظاهرا كما هو الحال فى الحوادث أو بسبب نزيف داخلى ، كالنزيف الذى يحدث فى قرحة المعدة او الاثنى عشرى ٠ وكذلك ينخفض ضغط الدم فى بعض الامراض المزمنة، والضعف العام ٠

وهناك مرض يحدث فيه ضمور للغدة فوق الكلية (الغدة الكظرية) وهو مرض نادر ، ويمكن التوصل الى تشخيص هذا المرض بوجود أعراض أخرى نتيجة لنقص افراز الغدة الكظرية ٠

الاطفال والتبول

● متى يستطيع الطفل التحكم فى بوله ؟ وما سبب تأخر ذلك عند بعض الاطفال ؟

– قبل الاجابة على هذا السؤال يجب ان نفرق بين التحكم الحقيقى وبين التحكم المؤقت ٠

ففى حالة التحكم الحقيقى تكون السيطرة هنا لمراكز عصبية عليا فى المخ تستطيع ارسال الاوامر للمراكز العصبية الدنيا التى تتحكم بعملية التبول ٠ فتتم الاستجابة اما بالتاخير او بالتبول بتفهم وارادة ووعى ٠

أما التحكم المؤقت فهو شيء من الافعال الانعكاسية المشروطة التى لا رأى ولا سيطرة للعقل عليها ٠ مثلها مثل الالتفاف السريع مع اخذ موقف التاهب والاستعداد عند سماع صوت انفجار بالقرب من الانسان ٠ فهنا لا سيطرة للمخ على الحركة وانما تتم كافعال انعكاسية مشروطة٠ هذا النوع من التحكم قد يتم فى الشهر السادس أو السابع وتكون الاستجابة لنداء

الطبيعة لمجرد رؤية الماء أو ملامسته لجسم الطفل ولكن لا يمكننا أن نصفه بالتحكم السليم وقد يزول في نهاية العام الاول .

أما التحكم الحقيقي فلا يمكن أن يتم الا بعد نمو الجهاز العصبي نموا كافيا وهذا لا يحصل الا بعد السنة الاولى من عمر الطفل .

ومما تقدم نرى بان كل جهد يبذل قبل هذا التاريخ هو جهد ضائع لا يعطي اية فائدة .

وعادة ما يتحكم الطفل أولا بالسيطرة على بوله نهارا ثم بعد ذلك يتم التحكم ليلا وتتفاوت قدرة السيطرة والتحكم من طفل لآخر فمنهم من يتمكن من التحكم ببول النهار ما بين الشهر الخامس عشر والثامن عشر ومنهم من لا يستطيع ذلك وخاصة في الليل الا بعد عامه الثالث وقد تتأخر لعامه الرابع أو الخامس .

أما عن الاسباب التي تؤدي الى التاخير في السيطرة والتحكم فهي كثيرة نذكر منها الآتي :

اولا : عدم التعويد الصحيح والاهمال واستعمال الشدة .

ثانيا : الاضطرابات العاطفية، كالغيرة من طفل حل ضيفا على الاسرة وجلب انتباهها واهتمامها أو فقدان العطف والمحبة في البيت كانفصال الابوين أو مرض احدهما أو غيابه .

ثالثا : عوامل وراثية وهنا يتاخر نمو الجهاز العصبي لدى الطفل بسبب العامل الوراثي المنقول له من احد الابوين الذي يكون هو ايضا قد تاخر وهو طفل بالتحكم ببوله .

رابعا : الامراض التي تصيب الطفل مثل البول السكري والتهاب المسالك البولية .

خامسا : ضعف القوى العقلية لدى الطفل .

سادسا : الاصابة بالصرع حيث يتم التبول اثناء النوبة بدون وعي .

سابعا : تشوهات خلقية اثناء تكوين اجهزة الطفل سواء كان ذلك في جهازه البولي أو جهازه العصبي أو في عموده الفقري .

ارتفاع نسبة الكوليسترول في الدم

● ماهي الامراض التي تسبب ارتفاع نسبة الكوليسترول في الدم ؟

ـ من المعروف ان نسبة الكوليسترول في الدم تتراوح بين ١٥٠ ـ ٢٥٠ ملليجرام في السنتيمتر المكعب وتزداد هذه النسبة بحيث تصل الى ٤٠٠ ملليجرام في بعض العائلات وذلك كعامل وراثي ويترسب الكوليسترول على هيئة تورمات بسيطة صفراء حول العينين وفي الجلد ويتعرض هؤلاء الاشخاص لتصلب في الشرايين في سن مبكرة كما يتعرضون لامراض انسداد الشرايين .

اما الامراض التي تسبب ارتفاع نسبة الكوليسترول في الدم فمنها :

ـ الامراض الخلقية التي يصاب بها الكبد ويتضخم ويترسب الكوليسترول في الجلد ايضا .

ـ كذلك تزداد النسبة في التهاب الكلى المزمن ـ وفي التهاب الكلى تحت الحاد وترتفع الى حوالي ٤٠٠ ملليجرام .

ـ وفي حالات خمول الغدة الدرقية ترتفع النسبة ويلاحظ ان هذا الارتفاع يعطي مؤشرا على مدى خمول الغدة وتتناقص النسبة بمدى استجابة المريض للعلاج .

ـ وترتفع نسبة الكوليسترول في حالات انسداد القنوات المرارية خصوصا اذا طال مدة الانسداد .

ـ كما انه في حالات تصلب الشرايين تكون نسبة الكوليسترول في معظم الحالات مرتفعة ـ ولا يعرف اذا كان هذا الارتفاع يعتبر نتيجة أم سببا لتصلب الشرايين .

ـ وفي حالات مرض البول السكري نجد ان نسبة الكوليسترول ترتفع خصوصا اذا كان المريض لا يتقيد بالعلاج

ـ ويلاحظ كذلك انه من الممكن ان ترتفع نسبة الكوليسترول في مرضى النقرس نتيجة للاضطرابات التي تـ

تمثيل هذه المادة فى الجسم

– وترتفع نسبة الكوليسترول فى الدم بعد الاكلات الدسمة خصوصا التى تحتوى على دهون حيوانية .

لذا كان من واجب الذين يعانون من ارتفاع الكوليسترول فى الدم ان لا يتعاطوا هذه الدهون ويستعملوا الدهون المستخرجة من زيت الذرة مثلا .

من هنا يتضح ان ارتفاع الكوليسترول فى الدم له اسباب عدة ولابد من فحص المريض فحصا دقيقا لمعرفة سبب هذا الارتفاع وعلاجه تبعا لما تتطلبه حالته وقبل حدوث المضاعفات والتى من اهمها تصلب الشرايين والتعرض لاحتمال تجلط الدم فى الشرايين وما يسببه من امراض .

خصيتا الطفل

● لى طفل بلغ عامه الثالث ومع ذلك لا يوجد فى الصفن الا خصية واحدة .. ما السبب يا ترى ؟ وهل فى ذلك خطر عليه مستقبلا ؟

– تتكون الخصيتان اول ما تتكونان فى داخل البطن مع تكوين الجهاز التناسلى بالجنين وغالبا ما يبدأ ذلك فى الاسبوع السادس او السابع من عمره فى داخل الرحم وتستمران فى النمو داخل البطن حتى الشهر السابع حيث تبدآن رحلة النزول الى الصفن مرورا بالقناة الاربية .

ويساعد ازدياد ارتفاع الضغط فى تجويف بطن الجنين فى دفعهما الى مكانهما الطبيعى يسانده فى هذه العملية افراز بعض الهرمونات .

وعادة ما تنتهى رحلة النزول فى الشهر الثامن . والخصية اليسرى تسبق زميلتها اليمنى بالاستقرار فى مكانها . وعند اختفاء الخصية من الصفن نطلق عليها لقب الخصية المعلقة او الهاجرة . وقد تحدث بواحدة منهما او بكلتيهما .

وقد وجد بان من ١ – ٣٪ من الذكور المكتملى النمو و ٢٠٪ من الخدج لديهم خصية معلقة عند الولادة . ولكن سرعان ما تنزل الى مكانها الطبيعى وتستقر به بعد مضى شهر . وفى نهاية العام الاول يكون ٨٠٪ من هذه الحالات قد استقرت بالصفن .

وقد تتاخر عملية النزول او لا تتم ابدا لاسباب عدة نذكر منها :

اولا : انسداد او التصاق حدث فى طريق النزول .

ثانيا : قصر الحبل المنوى المتصل بها يمنعها من مواصلة دربها ويشدها الى اعلى .

ثالثا : اضطرابات هرمونية بجسم الطفل .

ووجب علينا اولا ان نفرق بين الخصية المعلقة والتعليق الكاذب الذى يحدث عند ملامسة اصابع اليد الفاحصة لصفن الطفل فتنجذب الخصية الى اعلى وتعطى انطباعا غير حقيقى بانها معلقة .

والخصية التى تظل بالبطن او فى القناة الاربية خارج الصفن غالبا ما تضمر وتضعف قدرتها على صنع الحيوانات المنوية القادرة على التلقيح . وتجدر الاشارة هنا بان العقم لا يتم الا اذا وجدنا الخصيتين معلقتين ولكن الخطورة الحقيقية هى بان الخصية المعلقة عرضة لان تتحول اذا ما تركت خارج الصفن الى ما بعد سن البلوغ لاورام خبيثة ومن هنا وجب انزالها او ازالتها .

ولم يستقر الطب حتى الان على السن المناسب الذى يجب ان يبدأ به العلاج ووجد بان العلاج المبكر يعطى نفس النتيجة مثل العلاج الذى يتم عند سن البلوغ من ناحية ضعف القدرة على افراز الحيوانات المنوية فى الخصية المعلقة . ولكن للعلاج المبكر تاثير نفسى على الطفل الواعى فيشعر بالراحة والاطمئنان وبانه مثل اقرانه من ناحية التكوين .

ويفضل البعض ابتداء العلاج بين العام الخامس حتى العاشر من عمر الطفل وينقسم العلاج الى قسمين الاول باعطاء كمية من الهرمونات عن طريق الابر .

والقسم الثانى باجراء عملية جراحية، اذا فشل العلاج الاول لتثبيت الخصية فى مكانها الطبيعى .

• فنان تشكيلي من لبنان •

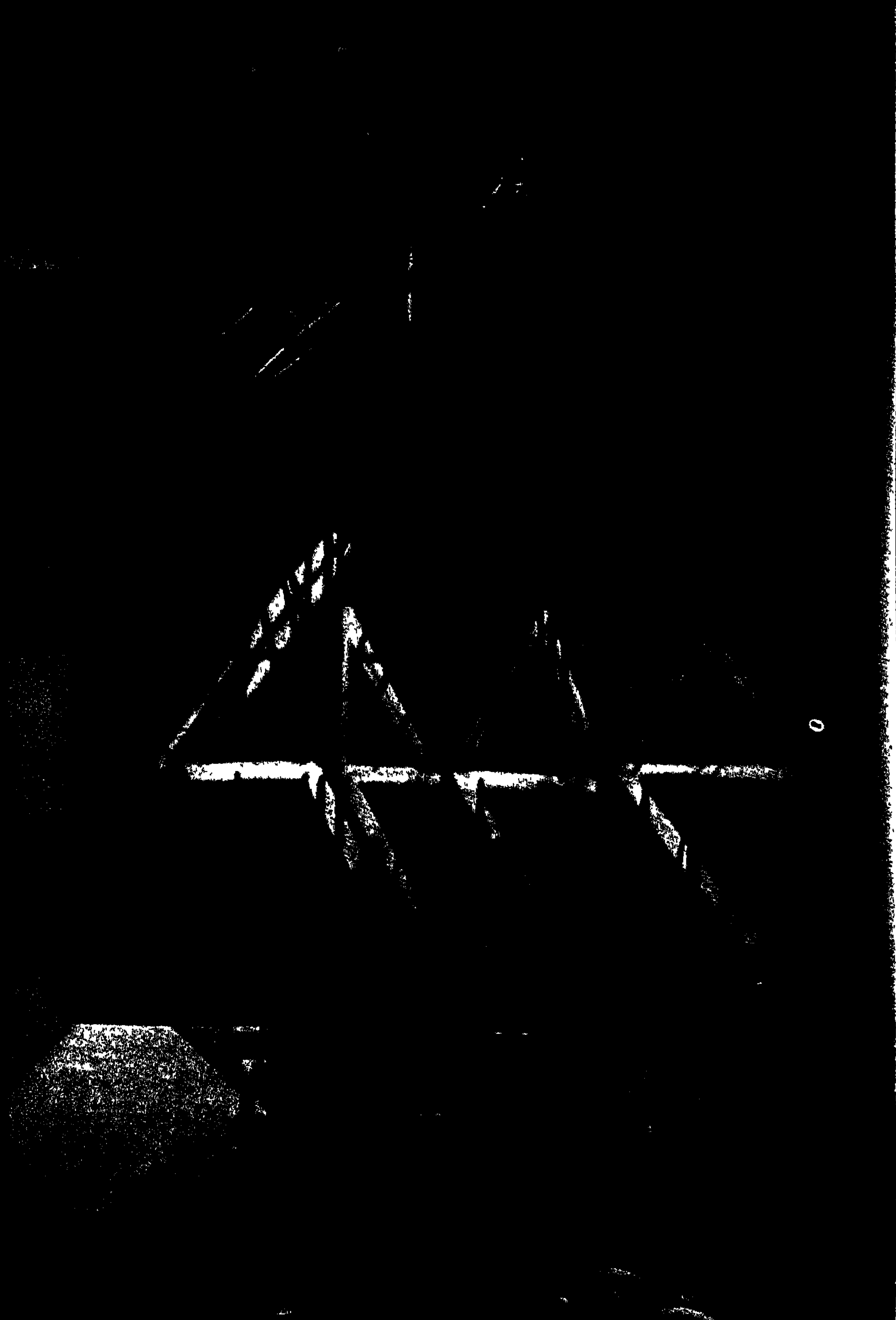
حسين ماضي



بقلم : راجي عنايت



طبيعة صامتة



رغم وعيه •• وبرغم نجاحه الفني•• وبرغم مكانته الفنية الاكاديمية•• برغم هـذا جميعا ، مـا زال الفنـان اللبنـانى « حسـين مـاضى » يعـانى الصراعـات الـتى فرضت علـى معظم الفنانين التشكيليين العـرب ، نتيجـه للهـوة التى ما نفتأ تتسع بين الفنـان التشكيلى العربى من ناحيه ، وجماهيره العربية من جهة أخرى ••

واذا كان الصراع ما زال قائما فـى نفس الفنان « حسين ماضي » ، بين جبل حرمون بكل بساطته ومتاحف ومعارض روما بكل تعقيداتها •• فالاجدر بنا أن نبدأ القصة من أولها ••

اصطياد الطبيعة

بمدينة (شبعة) فوق جبـل حرمون بالجنـوب اللبنانى ، فى مواجهة الحدود الشمالية لفلسطين المحتلة •• ولد حسين ماضي عام ١٩٣٨ ، بمنـزل الاسرة الكبير •• وكان اول ما تفتح عليه وعيه ••مزارع الجد فى الجبل •• اشجار الخوخ والتفاح •• جداول الماء •• والعصافير ••

وهو بعـد صبى صغير ولم يصـل الى السن المناسب لدخول المدارس ، كان حسين يذهب الى الحقل كل يوم فى صحبة جـده •• يسعى بـين الجنائن والحقول •• يلاحق الطيور التى ما يكاد يقترب منها حتى تفر هاربة •• يتطلع الى الطبيعة من حوله ، فيشعر بالرهبة من فرط التناقض الهائل بين حجمه ، والجرم الهائل للجبـال التى يعيش فوق واحد منها ••

كـان يتطلع الى الاشجار •• والثمـار •• والطيـور ، فيفرح ، ويعبـر عن فرحته بصرخات وصيحات واغانى •• لكنه كان يشعر دائمـا انه يتوق الى التعبير عن كل هذا الجمال وكل هـذه العظمة ، وكل هذه الرقه ، بطريقة اخرى •• ما هى ؟ •• لا يعرف ••

وذات يوم ، وبينما هو يلعب قريبا من البيت مع بعض اصحابه ، اتفقوا معه على أن يغمض عينيه حتى ينتهـوا مـن اختيـار الامـاكن التى سيختفون فيها •• وكان عليه بعد ذلك ان يمضى باحثا عنهم •• اختفى الصحاب ، وصاحوا صيحتهم ايذانا بتحركه للبحث عنهم •• فتح حسين عينيه • ومضى يتطلع يمينا ويسارا •• دار حول البيت متوقعا ان يجد احدهم مختفيا وراء الشجرة الكبيرة القائمة فى الساحة الخلفية •• فلم يجد احدا•• لكنه وجد ما غير مسار حياته بعد ذلك •• وجـد ورقة عليها رسوم ملونة لبعض الفواكه التى يراها فوق أشجار مزرعة الجـد •• تفـاح وكمثرى ••

توقف عن الركض •• وتناول الورقة المتغضنة ، يبسطها بحرص وعناية ، وكانما هى كشف الـرى هام ، يستوجب العناية الشديدة ••

بسـط الورقـة فـى ضـوء الشمس ، وراح يتاملها ، وقد بهرته فكره اصطياد الطبيعة على صفحة ورقـة ! • طـال تامله للرسم •• ناسيا اصحابه ، فاصابهم السام ، وخرجوا من مكانهم يبحثون عنه هو ! •• وعندما عثروا عليه لم يكن يبدو عليه أنه يرغب فى مواصلة اللعب معهم ، فانصرفوا عنه ، بينما تحرك هو الى داخل البيت ، يحمل بين يديـه ذلك الكنز الـذى عثر عليه •• والذى فتح له باب الفن التشكيلى •

رؤيــة ضبابية

لقد ادرك الآن ! •

لم تعد تعده فكرة البحث عن وسيلة لاظهـار اعجابه بما يـراه •• لم تعد الصيحة أو الاغنية تشبع انفعاله •• لقد عرف الطريق الى الرسم ••

وكـان اول تطبيق لهـذا الاكتشاف العجيب ، يدور حول ذلك البلبل يتقافز داخل قفصه المعلق داخل البيت •• طالمـا تطلع الى ذلك الطـائر ، واستمع الى تغريده ، وراقب حركاته ، وانفعل•• ثم لم يصل الى طريقة يعبر بها عن انفعاله •• أما الآن فالى الورقـة والقلم •• اى ورقـة واى قلم •• وامتـلات أوراق البيت برسوم غريبـة ، يحـاول بها الصبى الصغـير أن يعبر عن انفعاله بما يراه ••

وعندما بلغ الثامنة من عمره ، والتحق بالمدرسة الابتدائية ، ظهرت موهبته ، من خلال الرسوم التى تشغل حواشى كتبه المدرسية ، بعد ان تضيـق عنها الاوراق التى تتوفر له••وفى سن الثانية عشرة، عندما عثر على دائرة معارف لاروس للطيور فى منزل جده ، كانت فرحته لا توصف •• وكان وقتها



من اعمال النحت .. عازف الناى



حشد الطيور ينعكس على هذا التكوين (من اعمال النحت)

يتم دراسته التكميلية فى (النبطية) بالجنوب اللبنانى .

فى ذلك الوقت ، لم يكن حسين ماضى يعى جيدا، ان محاولته هذه للرسم وللاستمتاع بالرسوم التى يراها فى الكتب ، هى الخطوات الاولى على درب الفن .. كانت رؤيته لما يسمى « الفن » رؤية غامضة ضبابية ... لكن ماذا يهمه فى هذا ، طالما انه يستمتع بما يفعله متعة لا تدانيها متعة اخرى ؟ .

اين انا ... ؟

كان والده موظفا فى الحكومة اللبنانية ، ينتقل من مدينة الى اخرى ، وفقا لطبيعة عمله ، وفى اغلب الاحيان كانت الاسرة بكاملها تنتقل معه الى حيث مقر عمله.. لكن ما ان ينتهى العام الدراسى، حتى ينتقل الاولاد الى مزرعة الجد فى « شبعة » .. وكان حسين اكثرهم تشوقا لهذا .. يعد الشهور والاسابيع والايام ، انتظارا للحدث العظيم .

كان السفر الى « شبعة » بالنسبة له ، يعنى مشاركة جده فى اعمال المزرعة ، يعنى معايشته للطبيعة على اوسع نطاق . يعنى التزود بذخيرة



آنية فاكهة من احدث الاعمال



تشكيلات فنية للفظ الجلاله

من المشاعر والاحاسيس ، تثرى رسومه على مدى العـــام .

وعندما بلغ حسين ماضى المرحلة الثانوية فى دراسته . كان مع والده الذى عمل فى ذلك الحين بمدينـة طرابلس شمال لبنـان . وفى طرابلس تحول الى مصادر جديدة لتامل هذا الفن العجيب فن الرسم .. امضى الساعات يتامل رسوم الجرائد والمجلات والكتب .. يكتشف بنفسه كيف يحاول كل فنان ان يعبر عن الطبيعة بطريقته الخاصة .. ويكتشف حقيقة جديدة ، هى ان العنصر الواحـد من عناصر الطبيعة ، الشجرة .. او المراة .. او العصفور .. ، كل من هذه العناصر يصوره كل فنان برؤية خاصة وباسلوب خاص .

وينشا عنده السؤال الذى ما زال يردده حتى الان ، ذلك السؤال الذى يحـرك بحثـه الدائب وسط الاتجاهات والاساليب ، ذلك السؤال الذى يجعله لا يجمد عند شكل محدد من اشكال التعبير .. اين انا من كل هذا ؟ ..

فى هذه المرحلة يلتقى بزميل دراسته الذى يداب على ارسال رسومه الى مجلة «الحوادث» اللبنانية . ذلك الفنان الذى تفوق فيما بعد فى رسومه الكاريكاتورية والذى عرف باسم (جلول) .. من هذا الزميل عرف حسين ان فى بيروت كلية للفنون الجميلة ! . كلية يمضى فيها الطـــالب سنوات دراسته يرسم ! . وعلى الفور اتخـــذ حسين ماضى قراره بان يتجه الى هذه الكلية بعد انتهاء دراسته الثانوية .. التى كانت فى ذلك الوقت على وشك الانتهاء .

المقهى مدرسة !

فى عام ١٩٥٨ ، عندما اعلن حسين اسرتـــه بقراره هذا ، نشات معارضة حاده فى وجه هـذا القرار .. الفن كهواية .. نعم . لكن احتراف الرسم .. لا .

لكن تنتصر ارادة الشاب حسين فى النهاية ويسافر الى بيروت للالتحاق باكاديمية الفنـــون الجميلة . وما ان يضع حسين قدمه فى الاكاديمية لاول مرة ، حتى يغرق فى دوامة اشكال الدراسة الباهرة التى يمر بها .. وهو لا ياخذ موقـــفا محددا من اى شكل من اشكال التعبير الفنى ، بل يندفع فى نشاطه الفنى .. يرسم وينحت ويحفر..

والتقاء بزميل دراسته الثانوية جلول ، يسعى بعد ان تنتهى ساعات الدراسة ، للمساهمة برسومه فى مجلة الاحد والحسناء وجريدة الكفاح . وتوزع يومه بين نشاطات ثلاثة .. فى الصباح دراسته فى الاكاديمية ، وفى المساء عمله الصحفى الذى اصبح منتظما ، وبين هذا وذاك جلسته هـــو وزملاء الدراسة فى المقهى .. التى يقول عنهـا حسين ماضى انها كانت المدرسة الحقيقية الفعلية لطلبة الاكاديمية .

فى المقهى كانت تجرى المناقشات بين الطلبـــة لرسم (اسكتشات) ورسوما سريعة لرواد المقهى ولكل ما يعبر امامها .. وفى المقهى كانت تجرى المناقشات حول الفن والفنان . كانت المقهى هى مركز النقد والنقد الذاتى ، والمعارك الكلامية المتواصلة ، التى كانت تنضج عليها الافكار الفنية للفنان الشاب حسين ماضى . وهناك تعرف على المدارس الفنية العالمية الحديثة .. سمع لاول مرة عن السريالية والتكعيبية والمستقبلية والتجريدية ..سمع عن مونى وتولوزلتريـك ، وسيزان ، وماتيس ، وبيكاسو .

حتى ذلك الحين لم يتجاوز الامر بالنسبة لـــه حدود السمع ومشاهدة الاعمال الفنية لكل هؤلاء الذين يدور حولهم الحديث .. اما هو فقد كان يلتزم الاتجاه الطبيعى الواقعى ، كان يكتفـــى بتسجيل الطبيعة فى امانة دون تصرف او تحوير.. فهو بعد لم يزل منبهرا بالطبيعية كما هى ، يريد ان يسجلها على اوراقه ولوحاته .

القطة والطيور

وعندما انتهت دراسته فى الاكاديمية عام ١٩٦٣، اسرع الى مزرعة عمه القريبة من مدينة «شمعبه»، وبقى هناك لا يغادرها على مدى شهرين ونصف .

يخرج مع العم فى جولاته الطويلة لاصطياد طيور الحجل والعصافير والحمام البرى .. كان الوقت ربيعا ، وما زال الجو باردا فى المزرعة العالية على الجبل ، فما ان تنتهى جولة الصيد حتـــى يسرع مع عمه الى البيت يشعلان كتل الخشب الكبيرة ويستدفئان بها .. كان البيت الريفى للعم جميلا ونظيفا ، لا ينقطع تحويم الطيور حوله ، وكان يمضى الساعات يتامل القطة الجميلـــة الرابضة الى جوار المدفاة .



قناع مسرحى

من الكرتون

طوال المدة التى قضاها حسين ماضى فى مزرعة عمه ، لم يوقف عن الرسم يوما واحدا ٠٠ الطيور، والاشجار ، والقطة الجميلة فى جميع حركاتهـــا واحوالها ٠ ولاول مرة فى حياته يمضى هذه المدة المتواصلة فى نشاط فنى مكثف ٠

فى اثناء جولاته مع عمه ، واثناء انشغالـــه برسومه التى لا تنتهى ، واثناء مراقبته للقطة الجميلة ، كان حسين يفكر فى خطوته التالية ٠٠ هل يبحث عن عمل ؟ ٠٠ هل يتفرغ للانتاج الفنى وسط هذه الطبيعة الساحرة ؟ ٠٠ هل يستكمل دراسته ؟ ٠٠ ولكن اين ؟ ٠٠

الى روما ٠٠٠

الى روما ! ٠٠ هكذا كان القرار ٠٠ الى روما للدراسة فى اكاديميتها للفنون الجميلة ٠

واذا كانت لقاءات المقهى فى بيروت قد فتحت سمعه على اسماء اقطاب الفن القدامى والمعاصرين، والمدارس الفنية الحديثة ، فان وجوده فى روما قد فتح عقله على هذه الدوامة ، وكشف له عن اعماقها،والظروف الاجتماعية والاقتصادية والفكرية التى دفعت الى وجود هذه المدارس بكل ما بينها من تناقض ٠

وهناك فى روما ، دخل حسين المرحلة التالية فى حياته ، مرحلة الخلق ٠٠ التى يتجاوز فيها مهمة مجرد نقل الطبيعة الى لوحاته ٠٠ بدا يبحث عن رؤيته الخاصة للحياة والطبيعة من حوله ٠٠ بدا يكتسب العين الخاصة التى تنظر الى الشىء ، اى شىء ، نظرة خاصة ومختلفة عن نظرة باقى الناس الى نفس هذا الشىء ٠٠

ادمن زيارة المتاحف والمعارض والمراسم الخاصة للفنانين الذين يتجمعون فى عاصمة الفن التشكيلى٠ روما ٠ كان يدرس ويقارن ٠٠ كيف ينظر كل فنان الى الطبيعة وكيف يعبر عن نظرته ٠٠ ما هـــو الاسلوب الذى يختاره ، وما هى الخامات التى يستخدمها ؟ ! ٠٠

وهكذا بدات محاولات الفــنان حسـين مـاضى للتصرف فى معالم الشكل الطبيعى عند رسمه ٠٠ ويقول ان الالتزام بنقل الطبيعة فى المرحلـــة السابقة قد افاده فائدة كبرى فى هذه المرحلة ٠٠ لقد زوده بالركيزة التى ينطلق منها الى التعبير عن نفسه ٠٠

وحتى عندما قام بالعديد من المحاولات التـى كسبت رضا الكثير من الزملاء والفنانين ، تصاعد مرة ثانية نفس السؤال القديم : اين انا من هذا كله ؟ ٠٠ وحتى ذلك الوقت لم يصل حسين ماضى الى اجابة محددة عن السؤال الخالد ، وكان ان هرب منه الى العمل المتواصل الذى لا يتوقف ٠٠ العمل المحموم الذى يحميه من خوض محنة الاجابة عن السؤال الذى لا يعرف عنه اجابة واضحة ٠

الجائزة الاولى

فى نهاية العام الاول من دراسته بروما التقى

بفنان ايطالي شاب ، ونشات بينهما صداقـــة عميقة • وكان من الطبيعي ان الموضوع المفضل والوحيد في نقاشاتهما التي لا تنتهي هـو الفن والفنان •• وكان من الطبيعي ايضا ان يطرح حسين ماضي على صديقه الفنان ذلك السؤال الذي يبحث عن اجابة له •• اين انا من هذا الذي يدور حولي ؟ ••

وجاءت الاجابة على لسان الصديق «اعرف نفسك اولا •• وحتى تـعرف نفـسك يجب ان تعـرف تاريخك •• وفنان بلدك والبلاد المحيطة به •• ادرس وتامل الفنون الاشورية والبابلية والفرعونية والفارسية •• تامل ما انتجته هذه الفنون ،وابحث عن نقط الالتقاء والاختلاف بينهما •• ثم حاول ان تفهم الفروق الاساسية بينهما وبين الفنون الاوربية المعاصرة •• هذا هو الطريق الذي يضع قدمك على الطريق السليم •• ! ! •

على الفور مضى حسين ماضي يحقق هـــذه النصيحة •• في المتاحف التاريخية ، والمراجع التي تتناول فنون الشرق • وعندما عاد الـى بيروت في عطلة نهاية السنة الدراسية ، وضـع لنفسه برنامجا يتجول فيه بين اطلال الفنون القديمة يحاول ان يصل الى اسرارها ••

انعكس هذا بشكل واضح على انتاج حســين ماضي ، وبدا في حماس يسجل رؤيته الجديدة • وفي هذه الاثناء اقامت الحكومة اللبنانية مسابقة للحصول على منحة دراسية في النحت والرسم•• اختار حسين ماضي ان يدخل هذه المسابقة فـي النحت،فحصل على المركز الاول •• وهكذا اصبحت دراسته في روما بكل نفقاتها منحة من الدولة •

صدمة في بيروت

في عام ١٩٦٨ انتهت دراسته في روما ، وعاد حسين ماضي الى بيروت • وكان من الطبيعي ان يفكر اول ما يفكر في اقامة معرض لاعماله ،يتعرف فيه ابناء وطنه على ما وصل اليه انتاجه مــن تطور ••

كان يتصور ان بيروت ستفتح له ذراعيها،وان ابناء بلده سيسارعون الى اقتناء اعماله ، كما حدث له اكثر من مرة في روما •• لكن الامر لم يسر على هذا النسق •• مع اعجاب الذين زاروا المعرض باعماله،فانه لم ينجح في بيع الحد الادنى من لوحات المعرض •

كانت صدمة •• جعلته يعود لتوه الى روما ، ليقيم نفس المعرض ويبيع انتاجه ، بما يكفل له ان يمتلك مرسما خاصا به في روما•وهكذا مضت الحياة بالفنان حسين ماضي ، موزعا بين بيروت وروما •• في بيروت يدرس بالجامعة اللبنانية في كلية الفنون الجميلة ، وما ان ينتهي المنهج المكثف الذي يدرسه لطلبته في بيروت حتى يرحل الـى روما ، لمتابعة الحركة الفنية ، والانتاج ، واقامة المعارض الخاصة والمشاركة في المعارض العامة••

ومنذ عام ١٩٦٢ اقام الفنان حسين ماضي ١٢ معرضا خاصا ، كما اشترك في ١٤ معرضا عاما• في بيروت والاسكندرية وروما ، وتارانتـو ، وسلمونا ، وميلانو ، وبغداد ، وطوكيو ، وفيرونا، وليش ••

وجدان عربي وعين أوربية

ومع الصلة القائمة بين الفنان حسين ماضي وروما •• فهو حاضر العروبة ، اذا جاز التعبير•• يرى ان الفكر العربي يجب ان يكون هو بترول العرب الجديد •• وتاثره بالفن العربي والخط العربي يظهر بوضوح في اعماله وفي هذا يقـول « انا انظر الى الفن العربي ، بوجدان عربي ، وعين اوروبية » وقد قادته محاولاته المتلاحقة في مجال الفن التشكيلي ، الى ساحة التجريد •

ومن العناصر التي استفادها حسين ماضي من الفن الاشوري التي انعكست على اغلب انتاجه الحديث ، عنصر الحركة •• او عنصر الزمن •لقد استولت عليه فكرة تسجيل العنصر الواحد فـي حركات مختلفة مما يكثرفي الاثار الفنية الاشورية• وهو يؤمن ان الحركة هي بنت التكوين الطبيعي للكائن ، من هنا كان بحثه عن اشكاله من خلال حركة العنصر •

وهو يحاول في انتاجه الحديث ان يختزل الكائن الحي الى خطوط تلخص شكله وحركته معا مـع التزامه في نفس الوقت « بوجدان عربي وعــين اوروبية » • ولعل اوضح مثال لهذا ، رســوم الحفر الزخرفي التي انجزها لكل حروف اللغــة العربية • ■■

راجي عنايت

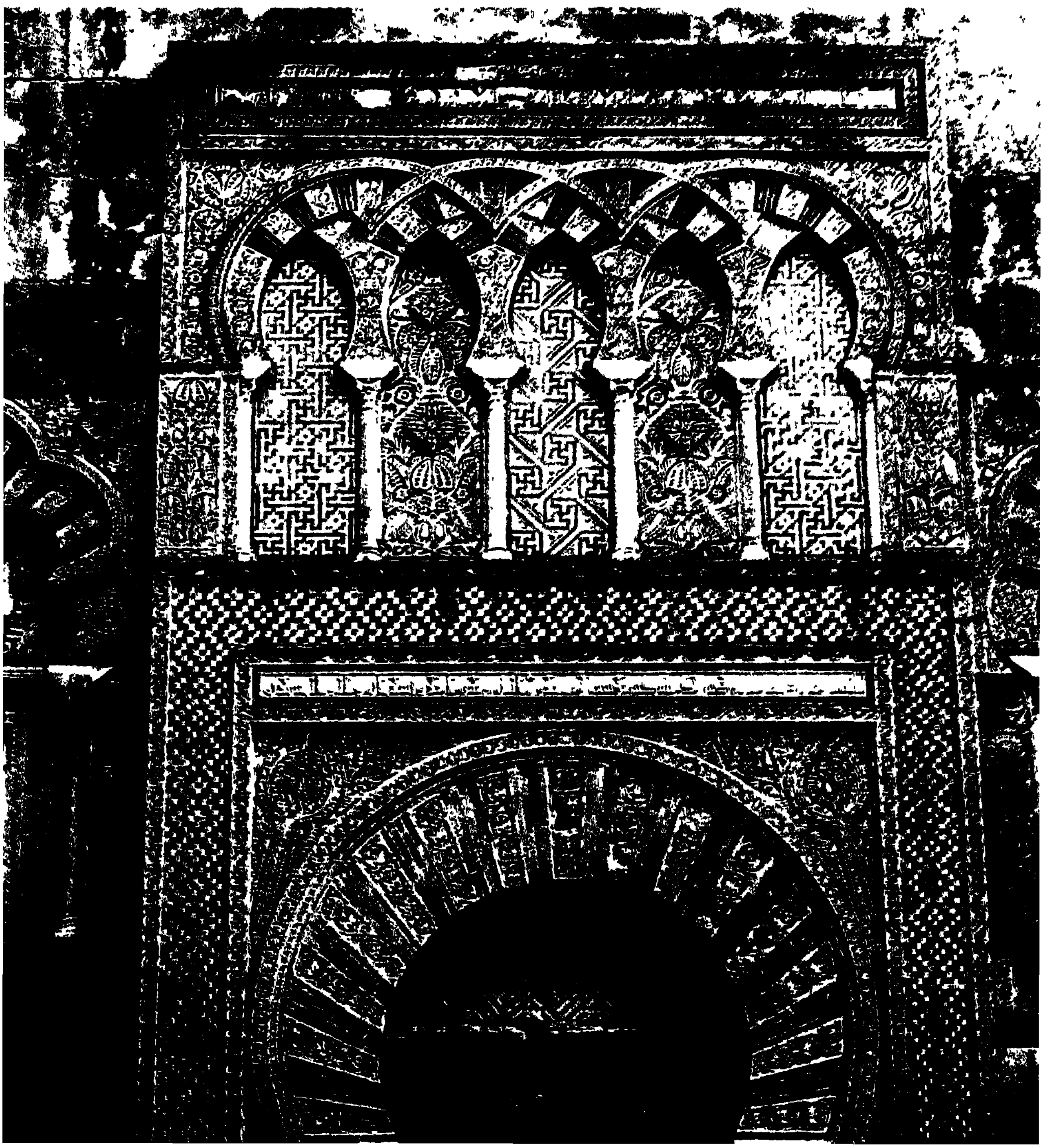
رداً على افتراءات الباحثين الغربيين :

العرب مبدعون لا مقلدون

فى العمارة والزخرفة

بقلم : شريف يوسف

نموذج لروعة العمـارة الاسلامية فى الاندلـس ،التى تغطى كل جدران قصور الحمراء فى غرناطة



■ مع كل الشواهد الملموسة التى تثبت اصالة هذا الفن عند العرب وتبرهن بان التمدن الاسلامى لم يكن أول عهد العرب بالحضارة بل كان لهم بين النهرين حضارة مرموقة وآداب رفيعة قبل الاسلام بعدة قرون ، وكذلك كان عرب اليمن الذين عاصرت دولهم الفراعنة فى مصر ، ومنها المعينية والسبئية والحميرية بناة مارب الشهير ومؤسسو مدينة صنعاء وغيرها من المدن ..

وبالرغم من كل البراهين التى تؤيد كون الفن المعمارى العربى الاسلامى فنا مستقلا بذاته له خصائصه ومميزاته التى تختلف كل الاختلاف عن خصائص ومميزات الفنون المعمارية التى سبقته من ساسانية وهلينية وهندية ورومانية وبيزنطية وقبطية ..

فان هناك فئات متحيزة ومعادية للعرب والاسلام ما تزال مصرة على كون الطراز العربى الاسلامى ما هو الا مقتطفات من طرز المبانى التى كانت معروفة عند الامم التى اختلط بها العرب وتاثروا بحضاراتهم واساليبهم الفنية المختلفة.وان العرب والمسلمين لم يكونوا مبتكرين ومبدعين ، بل كانوا مقلدين للفنون التى وقعت تحت انظارهم ، فتاثروا باساليبها ، ثم صاغوها بعد ذلك بالصورة التى نراها اليوم ، والتى نطلق عليها اسم « الطراز العربى الاسلامى » .

ومن الامثلة على تحامل بعض الباحثين وتحيزهم ما جاء فى قول الاستاذ (كريسول) ان بناء قبة الصخرة فى بيت المقدس وما فيها من زخارف وعناصر بنائية يمكن تقسيم مصادرها الى نسبمئوية موزعة كما يلى ـ ٢٢٪ من هذه العناصر والزخارف ترجع الى أصول رومانية ، ٢٢٪ منها الى مصادر بيزنطية ، و ٥٥٪ اخرى الى اساليب مسيحية ، (وابقى ١٪ فقط لم يحدد مصدرها) .

عناصر الفن المعمارى العربى الاسلامى

ولدحض مثل هذه الافتراءات وغيرها مما سنورده فيما بعد ، لا بد لنا من ان نحدد اهم عناصر الفن المعمارى العربى الاسلامى ، ونحاول ان نشرح ونثبت بصورة لا تقبل الجدل بان تلك العناصر كانت عربية اصيلة ، خالية من اى تقليد لغيرها من العناصر التى كانت معروفة فى الابنية القديمة ، وان وجود بعض التماثل والتشابه بين بعض هذه العناصر والعناصر القديمة لا يعنى التقليد مطلقا .

لقد سخر العرب والمسلمون عقولهم الناضجة وخيالهم المتقد ، فى تشكيل عناصر مبانيهم ، وابتكار تعابير فنية خاصة ، اخذوا فى تطبيقها فى منشاتهم العديدة ، فكان الفن المعمارى العربى الاسلامى قبل كل شيء فنا دينيا بالدرجة الاولى متاثرا بروح الاسلام ، وقد انصبت انواعه المختلفة على المواضيع الدينية من مساجد ، وجوامع ، ورُبُط ، وزوايا ، ومدارس ، ومراقد ، وغيرها من المنشات الدينية . ففى المساجد والجوامع التى شادها العرب والمسلمون فى مختلف المدن والعواصم الاسلامية تتمثل اساليب فن العمارة العربية الاسلامية الحقيقية،وفى هذه المساجد نماذج لعناصر البناء تختلف كليا عن العناصر القديمة .

بناء المساجد غير بناء الكنائس

لم يكتف المتحيزون بالقول بان هذه العناصر كانت تقليدا للعناصر القديمة ، بل ذهبوا فى المغالاة الى ابعد من ذلك ، فادعوا بان نظام بناء المساجد نفسه موروث عن نظام بناء الكنائس ، بدعوى ان العرب لم تكن لهم معرفة باصول البناء ، ولا رغبة فى العمارة ، وانهم عندما فتحوا بلاد الشام اقتسموا بعض الكنائس مع اصحابها وحوروها لتكون مساجد لهم ، وهكذا فعلوا فى دمشق وحلب وحمص . اما المساجد التى بناها المسلمون فيما بعد على انقاض تلك الكنائس فهى ابنية اشتقت مخططاتها من مخططات الكنائس السورية ، وان المسجد الجامع الاموى فى دمشق لدليل على ذلك ، كما ادعوا .

وللرد على ذلك نقول ان جميع المراجع التاريخية القديمة تثبت ان الخليفة الوليد بن عبد الملك ـ عندما بنى الجامع الاموى فى دمشق ـ هدّم الكنيسة المعروفة بـ (كنيسة يوحنا المعمدان) واقام مسجده الجامع فى موضعها،وان الاساكب (الاروقة) الثلاثة البالغ طول كل منها ١٣٦ مترا والممتدة بصورةموازيةلجدار القبلة فى بيت الصلاة(الحرم او المحراب) تختلف تماما عن اقبية الكنائس الممتدة باتجاه مذبح الكنيسة . ثم ان اساكب الجامع الاموى الثلاثة متساوية بينما الفناء الوسيط فى الكنائس يكون اعرض من الفنائين الجانبيين . اما وجود ثلاثة اساكب فى الجامع الاموى فهو ليس قاعدة عامة فى جميع الجوامع والمساجد ، فقد بنى المسلمون جوامع ومساجد باسكوب واحد او

باسكوبين او اربعة او اكثر • ولا بد من الاشارة هنا الى ان العالم (سوفاجيه) قد رد على هذا الادعاء فقال « انالمسجد الجامع الاموى فى دمشق لا يدين بشىء للكنيسة التى كانت فى موضعه من قبل » •

اما القول بان معظم العناصر الهامة فى بناء المساجد منقولة عن الكنائس كالمآذن والمحاريب والمقصورات والمنابر فهو مردود ايضا للاسباب الآتية :

أصل المئذنة

١ ـ ان القول بان المآذن مشتقة من طراز ابراج الكنائس مردود من اساسه حينما نقرأ فى كتاب وفاء الوفاء فى أخبار دار المصطفى (للسمهودى) ان بلالا الحبشى رحمه الله كان يصعد على اسطوان فى دار عبدالله بن عمر فىقبلةمسجد المدينة،ويؤذن وهو واقف فوقها ، وقيل انه كان يرقى على اقتاب فى بيت حفصة بنت عمر بن الخطاب (رض) وزوج الرسول (ص)••ثم تطورت فكرة ذلكالمكان المرتفع، وصارت بشكل صومعة يصعد المؤذن الى شرفتها من سلم يدور فى جوفها • وكان عمر بن عبد العزيز عامل الوليد بن عبد الملك اول من ادخل بناء المئذنة فى جامع المدينة • وان من اقدم المآذن فى شمال افريقية صومعة جامع القيروان فى تونس ، وقد بنى هذا الجامع (عقبة بن نافع) سنة ٥٠ هـ / ٦٧٠ م ، ثم اقام هشام بن عبد الملك مكان مئذنتها القديمة المئذنة الحالية فى سنة ١٠٥ هـ ، فاصبحت هذه المئذنة نموذجا لمآذن مساجد المغرب العربى والاندلس • اما فى العراق وبلاد فارس فقد اخذت المآذنشكلا اسطوانيا واحيانا ملويا كما فىسامراء، ثم صار للمآذن اشكال متنوعة فى الهند وما وراء النهر ، كما ظهرت مآذن باشكال مختلفة فى جوامع القاهرة تتدرج من قاعدة مربعة يعلوها قسم مثمن ثم تنتهى براس او راسين احيانا عليهما مبخرة • وقد بلغت المآذن من النحافة والجمال اقصى ما يمكن فى المآذن التركية فى اسطنبول وغيرها من المدن •

أصل المحراب فى المسجد

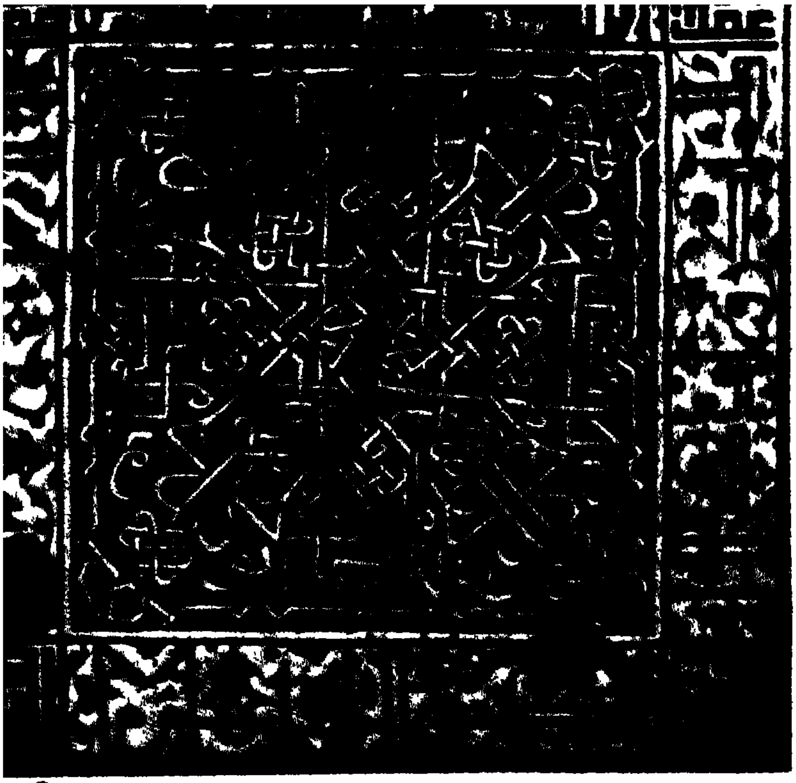
٢ ـ القول بان المحراب تقليد لموضع المذبح فى الكنيسة وان العمال الاقباط الذين استخدمهم عمر بن عبد العزيز فى تعمير جامع المدينة سنة ٩١ هـ / ٧٠٨ م هم الذين اوجدوا المحراب ، قول مردود وباطل ايضا ، وذلك لاختلاف موضع الذبح والآلة عن محراب الجامع الذى هو عبارة عن تجويف بسيط اشبه بالطاقة المسدودة فى جدار القبلة • وقد وضع فيها ليستدل منه على موضع الامام بين المصلين • وقد اعتاد العرب فى الصحراء ان يركز شيخ القبيلة حربته او لواءه فى موضع من المواضع ليحدد به موضع المحراب فى الفضاء ومقام الامام من المصلين • وتعرف هذه ب (العَنَزة) ، وكانت متبعة منذ عهد الرسول الاعظم • ولم يكتف المسلمون بعد ذلك بالتجويف البسيط للدلالة على المحراب ، بل ادخلوا الشىء الكثير من الزخرفة على هذه الطاقةالمسدودة واحاطوها باطار مستطيلامتدت عليه الكتابة الكوفية الجميلة والزخارف المتنوعة وصارت كانها ستارة مزركشة مسدلة على الجدار تحيط بالمحراب من جانبيه واعلاه • هذا وليس من الضرورى ان يكون المحراب فى وسط جدار القبلة كما هو الحال فى موضع المذبح فى الكنيسة • وقد تتعدد المحاريب فى المسجد الواحد احيانا ولا يقتصر على محراب واحد فيها •

أصل المقصورة فى المسجد

٣ ـ اما المقصورة فى بعض الجوامع فليس لها ما يماثلها فى الكنائس ، لان المقصورة وان كانت ليست بعنصر اساسى من تخطيط المسجد لكنها استحدثتفى المسجد لتكونسياجا يحمى بعضالحكام حين يتوجهون للصلاة • ويذكر بعض المؤرخين ان الخليفة عثمان بن عفان (رض) عمل مقصورة فى جامع المدينة بعد مقتل الخليفة عمر بن الخطاب (رض) وكانت من اللبن وفيها نوافذ ينظر الناس خلالها الى الامام • وفى زمن عمر بن عبد العزيز هدمت هذه المقصورة وجعلت من الخشب • وان معاوية بن ابى سفيان اوجد المقصورة فى الجامع الاموى فى دمشق عندما حاول احد الخوارج طعنه فى الجامع ، ثم اصبحت المقصورة سنة لتمييز السلطان كما يقول ابن خلدون فى مقدمته ، وصارت بدعة قلدها بعض الملوك والامراء •

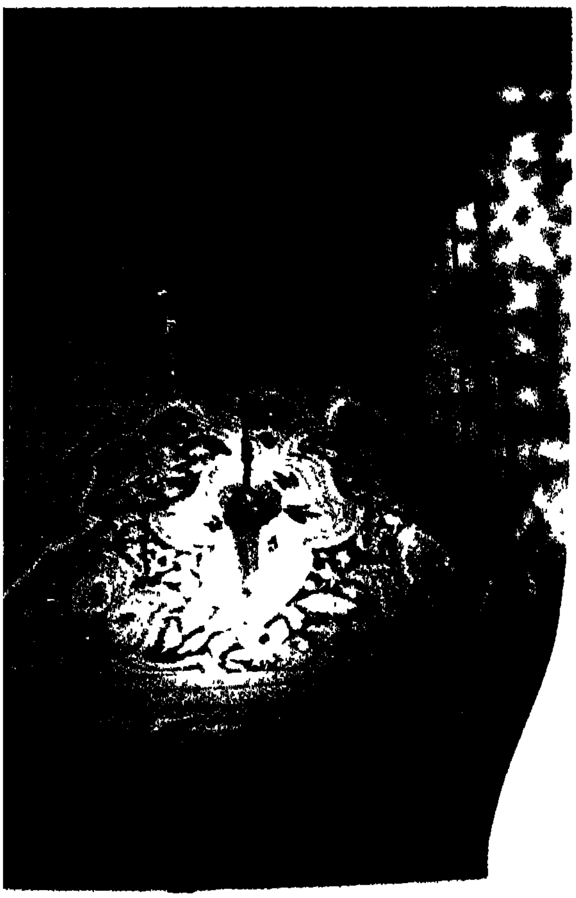
أصل المنبر فى المسجد

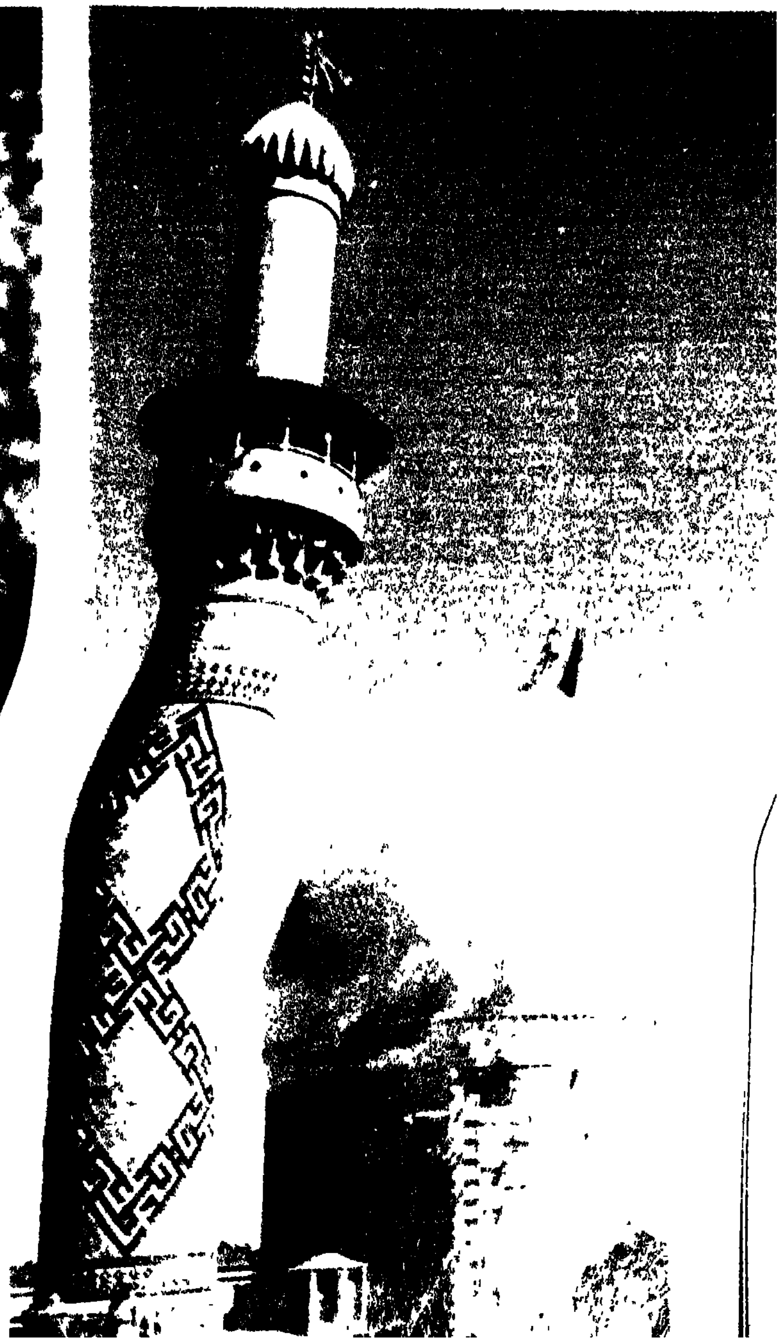
٤ ـ اما المنبر فى الجوامع فهو يختلف تماما عن تلك الشرفة القائمة فى منتصف احد الاعمدة الامامية من الكنيسة ، فالمنبر سواء كان قطعة اثاث



« توكلت على الله » مكررة أربع مرات في الزوايا الاربعة لهذا المربع الخزفي النادر .. لقد كانت الخطوط أحد أساليب الزخرفة في العمارة العربية. (الى اليسار)

مئذنة دائرية في العراق كتب عليها اسم « سيدنا علي » في أشكال زخرفية ، بينما المئذنة كلها مغطاة بالسيراميك . (الى أسفل)





واحدة من تحف الفن الاسلامي،لقـ
الزجاج المزخرف،التي دون عليها
الجلالة . وقد احتلت مكانا واضـ
في العمارة الاسلامية . (الى أعلا



التوريق (استخدام أشكال أوراق الشجر) هو أحد أساليب العمارة المعروفة وهذه مجموعة من الزخارف المنقوشة على الخزف (الى اليمين)

مدخل قصر الباى فى تونس ،والى جواره منارة جامع الزيتونة ، الواجهة مغطاة بالخزف المليء بالنقوش العربية الجميلة (الى أعلا)



خشبية متحركة او بناء ثابتا يكون موضعه الى يمين المحراب • ولم يكن المنبر موجودا فى جامع المدينة فى بادئ الامر ، وكان النبى الاعظم اذا خطب يقف الى جذع نخلة هى احدى اعمدة الجامع• وقد ذكر احد المؤرخين ان نجارا عمل منبرا بثلاث درجات من الخشب ووضع فى جامع المدينة ، وكان الرسول الاعظم يجلس على اعلى الدرجات ويضع قدميه على الدرجة الوسطى اذا ما طال وقوفه وقت الخطابة واراد الراحة ، ويقال ايضا ان هذا المنبر كان من الطين بمرقاتين او عتبتين •

اما القول بان عبد العزيز بن مروان قد حمل المنبر من احدى الكنائس فى مصر ووضعه فى جامع المدينة فليس هناك ما يثبت هذا القول من الوجهة التاريخية• ومن المعروف ان معاوية زاد عدد درجات المنبر وجعلها سبع او تسع درجات على اختلاف قول المؤرخين • وقد اهتم المسلمون بتزيين المحاريب وجعلوا النقوش فيها محفورة فى الخشب او الحجر وحذق رجال الفن واجادوا اسلوب النحت الغائر المغرم او شبه المغرم وبلغت اجادتهم حدا بعيدا فى الدقة والاتقان ورقة الحساسية الفنية ووفرة التعابير الزخرفية •

أصل القبة فى المسجد

٥ ـ اما القبة فمن المعلوم ان العرب اتخذوا لمساجدهم الاولى ظلة من سعف النخيل وجريده ، ثم استبدلوا ذلك بسقوف خشبية مسطحة • وقد شيد الخليفة الاموى عبد الملك بن مروان قبة الصخرة فى بيت المقدس سنة ٦٦ هـ / ٦٨٥ م وكانت القبة مصنوعة من الخشب تغطيها صفائح من الرصاص وفوقها الواح من النحاس البراق ، وقد سقطت هذه القبة عام ٤٠٧ هـ واقيم مكانها القبة الحالية وهى مكونة من طبقتين تغطى الطبقة الداخلية الواح من الخشب ، عليها نقوش وزخارف جصية جميلة • ويذكر بعض المؤرخين ان عبد الملك ابن مروان حينما اراد بناء قبة الصخرة وصف ما يختاره من عمارة القبة وتكوينها للمهندسين والصناع فصنعوا له (قبة السلسلة) فاعجبه تكوينها وامر ببناء قبة الصخرة طبقا لهذا النموذج•

اختلاف القبة الاسلامية عن سواها

مما لا شك فيه ان انشاء القباب كان معروفا عند الرومان والفرس الا ان القباب التى انشاها العرب فى الاندلس وشمال افريقية ومصر ، لا سيما فى العهد الفاطمى والايوبى والمملوكى ، تختلف كل الاختلاف شكلا وتركيبا عن القباب المعروفة قديما•فشكل المقرنصات والمحاريب الصغيرة وانواعها المختلفة التى ترتكز عليها القباب ويتم التحول بواسطتها من المربع الى المثمن ثم الدائرى تختلف تماما عن المقرنصات الفارسية •

لقد اصبحت القباب عنصرا هاما من العناصر المميزة للعمارة العربية الاسلامية ، وقد حوّر المسلمون اسلوب انشائها بما يتفق مع اساليبهم ومزاجهم الفنى حتى تضاءلت القباب الفارسية والرومانية امام القباب الاسلامية • لقد اصبحت المقرنصات فى القباب الاسلامية اشبه بالزخرفة كما يشاهد فى قبة جامع تلمسان فى الجزائر ، بينما صار الاساس فى قبة جامع قرطبة هو تجزئة الكتلة الكروية الى خطوط هندسية بشكل عقود نصف دائرية متشابكة كالكمرات وصار ما وراءها حشوا ، ولهذا يمكن اعتبار هذه الانواع من المقرنصات ابتكارا للفنان العربى المسلم •

لم يتوقف بناء القبة عند هذا الحد بل صار الابتكار يشمل الشكل الخارجى للقبة،فاخذ السطح الخارجى للقبة يتجزأ الى اضلاع بشكل خطوط تنبثق من قمة القبة وتنزل الى اسفلها وكانها هيكل عظمى لجسد القبة • كما تنوع شكل القباب فى العراق وبلاد فارس والهند وصار السطح الخارجى للقبة يغطى بحلة جميلة من القاشانى ذات الزخرفة الجميلة كما طوقت بكتابات من آيات الكتاب الحكيم فى غاية الابداع والاتقان •

أصل العقود فى المساجد

٦ ـ اما عن العقود فقد ادعى المتحيزون ان بعض العقود التى استعملها العرب فى مبانيهم كالعقد المنفرج والعقد الثلاثى الفتحات كانت معروفة عند الساسانيين والهنود ، وان جميع اشكال العقود العربية مقتبسة من العقد نصف الدائرى الرومانى • وادعى آخرون ان جميع العقود المستعملة فى المساجد الفاطمية فى مصر تتخذ اشكال العقود الفارسية • وللرد على ذلك نقول ان العرب ابتكروا انواعا كثيرة من العقود وجعلوا لكل نوع اسما خاصا به ومكانا معينا لاستعماله فى البناء ، من هذه العقود (العقد المنفرج) الذى يسمى خطأ (العقد الفارسى) وهو تطور للعقود المطولة

المدببة ، و (العقد المنبعج) البيضاوى الشكل ، و (العقد المنبطح) وهو عقد مقوس غير كامل او هو الجزء الافقى من العقد المقوس ، و (العقد الاحدب) وهو العقد المدبب المنفرج • وهناك انواع اخرى كالعقد الثلاثى والعقد الخماسى والعقد المقصوص والمدبب المطول والعقود المتتابعة او المزدوجة • ان هذه الاشكال العديدة للعقود والمستعملة فى المبانى الاسلامية تدل دلالة واضحة على روح الابتكار وسعة الخيال فى التعبيرات الفنية لدى العرب والمسلمين •

ان العقد المنفرج الذى يطلق عليه خطأ اسم العقد الفارسى « والذى يتكون من كتفين مستقيمين يجتمعان عند رأسه فى زاوية منفرجة وله طرفان راسيان مستقيمان يربطهما بالكتفين انحناء مقوس من كل جانب » ، والعقد الثلاثى الفتحات كانا اكثر استعمالا فى الابنية المغربية والاندلس وليس لهذين القطرين اى اتصال ببلاد فارس والهند ، وفضلا عن ذلك اصبح استنباطهما ملتزما بقواعد واصول هندسية معروفة لدى المعمارى العربى المسلم •

أصل الصنج فى المساجد

٧ ـ اما الصنج المعشقة فقد ابتكر العرب انواعا متعددة منها وجعلوها عتبات أفقية فوق الفتحات ، وتتكون الصنج المعشقة من قطع حجرية متلاصقة ومتعاشقة ، وقد عرف الرومان من قبل عمل الصنج المعشقة ، ولكن العرب لم يقلدوها بل حوروها تحويرا كبيرا واوجدوا انواعا متعددة لها هى اكثر تلاصقا واجمل منظرا وشكلا ، وقد اتخذت الصنج المعشقة الافقية والمقوسة فى المبانى العربية مظهرا زخرفيا مع الاحتفاظ بوظيفتها المعمارية الاساسية•

أصل الزخارف فى المساجد

٨ ـ وعن الزخرفة العربية الاسلامية ادعى المتحيزون بانها كانت معروفة ايضا عند الرومان والفرس والهنود وان الزخرفة الهندسية كانت موجودة فى المبانى الرومانية وان الزخرفة باوراق العنب وغيرها من النباتات والاثمار كانت شائعة عند الفرس والهنود • وللرد على هذا نقول ان من الثابت ان العرب لم يقلدوا هذه الزخرفة حرفيا بل اخرجوها من جمودها وجفافها والبسوها حلة جميلة حتى اصبحت وكانها نسج من الخيال وصار عددها وانواعها لا حد له ولا حصر ، سواء كانت تلك الزخارف محصورة داخل الاشكال الهندسية المتعددة الانواع او حرة تسير فى خطوط ومنحنيات تتكرر وتتعاقب الى ما لا نهاية له •

ان تسمية الزخارف المعروفة بالتوشيح العربى ب (الارابسك) مما يدل دلالة واضحة على انها لم تكن شائعة قبل ظهور الاسلام بل هى عربية اصيلة جعلها العرب عنصرا زخرفيا فى المبانى وغيرها من الاشياء ، وقد عرّفت دائرة المعارف الاسلامية التوشيح بانه « اصطلاح زخرفى يقصد به التعريف عن مجموعة مكررة تملأ الفراغات وتتكون من عنصرين زخرفيين او اكثر متشابكين تشابكا هندسيا متماثلا او منتظما تتباين الحركة فيهما تباينا توقيعيا » • ومن المعلوم ان قوام التوشيح هو الجمع بين الخطوط الهندسية والاشكال النباتية التى قوامها الشريط او الفرع او الغصن، ومن وريقات او سعف او براعم او زهيرات يراعى فى تنسيقها مظهر التماثل ، وهذا التماثل اما ان يكون تماثلا متقابلا او تماثلا عكسيا ، وبهذه الصورة تتجلى عظمة هذه الزخرفة العربية التى لا مثيل لها عند الامم القديمة •

الخط العربى فى زخرفة المساجد

وقد احتل الخط العربى ولا سيما الخط الكوفى مكانة ممتازة بين الموضوعات الزخرفية وصار مظهره البديع يبهر الانظار لما فيه من تناسق وتكرار واتزان فى التمثيل ولهذا شاع استخدامه كعنصر زخرفى فى المبانى وغيرها من اشياء • وقد اصبح هذا الخط جزءا لا ينفك عن المبانى الاسلامية بل صار متمما لها ومندمجا فيها • وقد تسابق الخطاطون فى تنسيق الحروف العربية وزخرفتها بالازهار والنباتات وصارت العروق والسيقان تتشعب وتتعانق حتى طغت على الحروف نفسها •

هذا وقد يتساءل القارىء الكريم بعد عرضنا لأهم العناصر فى المبانى العربية الاسلامية من هم أولئك المهندسون الذين اشتهروا بمثل هذه الاعمال المبتكرة فى تلك العصور ؟ وهل تلك الروائع المتناسقة المتزنة من العمائر والمنشات شيدت طبقا لتصاميم اعدت لها ونفذت بمقتضاها ؟ وهل تلك الزخارف الدقيقة المتنوعة عملت وفق مخططات رسمت لها قبل الشروع بعملها ؟

مما لا شك فيه ان مثل هذه التفاصيل المعمارية

الدقيقة لا يمكن ان تتم الا اذا هيا لها المهندسون ذوو الاختصاص الرسوم والمخططات المدروسة،وان واجهات المبانى والقباب والمآذن لا بد لها من رسوم جاهزة قبل الشروع بالعمل ، ومثل هذا بالنسبة الى التفاصيل المعمارية الاخرى كالوزرات والمحاريب والمقرنصات والابواب والسقوف وغيرها التى لا يمكن عملها الا طبقا لرسوم مفصلة وملونة احيانا او نماذج مجسمة صغيرة (ماكيت) كما يسميها المهندسون اليوم .

بعض المهندسين المسلمين

فعلى سبيل المثال لا الحصر نورد هنا اسماء بعض المهندسين الذين اشتهروا فى الهندسة والبناء والزخرفة :

ـ سعد ابو عثمان الذى بنى قنطرة من قناطر خليج مصر فى عهد عبد العزيز بن مروان سنة ٦٩ هـ / ٦٨٨ م .

ـ يحيى بن حنظلة الذى بنى مسجد عمرو بن العاص فى عهد قرة بن شريك سنة ٩٢ هـ/٧٠٩م.

ـ صالح بن كيسان الذى أشرف على تعمير مسجد الرسول (ص) فى المدينة فى عهد الوليد ٨٧ هـ / ٧٠٦ م .

ـ اسحق بن قبيصة الذى بنى قصرا لهشام بن عبد الملك ٧٢٤ ـ ٧٤٣ م .

ـ *فتح الله الذى بنى قبة مسجد الزيتونة بتونس ١٥٠ هـ / ٨٦٤ م .*

ـ *المهندسون والمشرفون ـ عبد الله بن محوز ، والحجاج بن يوسف ، وعمران بن الوضاح ، وشهاب ابن كثير الذين اختارهم المنصور لوضع مخطط المدينة* المدورة (دار السلام ـ بغداد) سنة ١٤٥ هـ / ٧٦٢ م .

ـ موسى بن داود مهندس المامون (٨١٣ ـ ٨٣٣ م) الذى قال له « اذا بنيت لى بناء فاجعله مما يعجز عن هدمه ليبقى طلله ورسمه » .

ـ احمد بن كثير الفارغانى الذى بنى المقياس بجزيرة الروضة سنة ٢٤٧ هـ / ٨٦١ م .

ـ عبد الله بن القفاص الذى بنى مجنبات البهو وقبة مسجد الزيتونة فى تونس سنة ٣٨٥ هـ / ٩٩٥ م .

هذا ونحن حين نكتفى من ذكر هذا العدد القليل من المهندسين نقول ان فريقا كبيرا من المهندسين كانوا بنائين ونجارين مغرمين بفنهم ، درسوا الهندسة بصورة عملية وكانوا يرسمون بانفسهم منتجاتهم قبل تنفيذها،وقد وصل النوابغ منهم الى مرتبة المهندسين الخالدين فى التاريخ الاسلامى ، ومن أراد التوسع والاطلاع على اسمائهم ومؤلفاتهم فليراجع كتاب الفهرست لابن النديم ص ٣٧١ ـ ٣٩٧ ، وكتاب مفاتيح العلوم للخوارزمى ص ١١٧ ـ ١٢١ .

والآن حين نكتفى بهذا القدر من تعداد فضل العرب والمسلمين على تقدم فن العمارة لا يسعنا ان ننكر فضل عدد كبير من علماء الغرب المنصفين الذين قاموا بدراسة الفن المعمارى الاسلامى وعنوا عناية كبيرة بالآثار العربية الاسلامية فى مختلف الاقطار.فلم يتركوا زاوية من الزوايا الا وتناولوها بحثا وتنقيبا ودونوا نتائج دراساتهم هذه فى كتب وأسفار عديدة اصبحت اليوم مرجعا مهما يستعين بها المتتبعون لدراسة هذا الفن القيم ، فمن واجبنا الاعتراف بفضلهم وتقدير جهودهم الضانك وتضحيتهم من مال ووقت فى التاليف والتنقيح والاخراج والطبع والنشر .

ولا يفوتنا هنا الا ان نذكر بكل اعجاب وتقدير ما جاء فى كتب الاستاذ الكبير الدكتور احمد فكرى (مساجد بغداد ومدارسها) من تفاصيل دقيقة لفن *العمارة العربية الاسلامية وما ورد فيها من ردو موضوعية على جميع افتراءات المتحيزين والمغرض من علماء الغرب .*

وقبل ان نختتم هذا المقال نود ان نثبت العبارة التالية التى جاءت فى كتاب العالم ال المنصف (فيردو) Viardot عن الفن العرب « يقولون ان وجود الشبه بين الفنين الن والعربى ، وان سبق أحدهما الآخر ، مع على ان احدهما قلد الآخر ، فهل قلد العربى صنوه الفن النصرانى يا ترى ؟ لا تقدمه فى الصنعة ظاهرا لامراء فيه ، وان استقت معرفتها فى العصر الوسيط من ال فلا معدى عن انها استقت الفن الوحيد الذ الدين الاسلامى » .

بغداد ـ شريف يوس

(١) تاريخ عرب اسبانيا Histoire des Arsbes Espagnes .

عبد الرحمن عزام

دهشت عندما قرات قول المحرر فى افتتاحية العدد ٢٣٢ الذى جاء فى سياقه (بان المستر ميهيو قال بانالسيدعبدالرحمن عزام الذى نسب اليه اقتراح ارجاع اليهود من حيث أتوا) ليس من الزعماء العرب ؟ ؟

ان عبدالرحمن عزام سياسى عربى له مكانته ٠٠ وكان اول من ادخل فكرة الوحدة العربية وتوحيد المناهج التعليمية واول من ناصر الحركات الاستقلالية العربية سواء فى ليبيا او فى الجزيرة العربيه ٠

وهو اول ديلوماسى عربى كان يحضر اجتماعات مجلس الوزراء العراقى فى اواخر الثلاثينات ايام كان سفيرا لمصر فى بغداد ، اعترافا بمكانته السامية التىعلت على الحواجز والحدود الوهمية التى تمزق وطننا العربى الكبير ٠

فاذا لم يكن عبدالرحمن عزام من الزعماء العرب ، فمن هم الزعماء اذن ؟

حامد رجيب

عربى مقيم فى لندن

العربى والمجلات الفرنسية فى الشمال الافريقى

● اكاتبكم من غرب الوطنالعربى الجزائر ، وقلبى مملوء بالحب والتقدير لمجهوداتكـم الجبارة فى سبيل انجاحمجلتكم، ولااستطيع وصف الفراغ الذىتركته مجلتكم فى مكتباتنا ، فـان الشـاب اليـوم وبعـدانقطاعها يجـرى لاهثا وراء صديق له يملك عددا اوعددينليستلفهما منه ، ولو ان زمن صدورها قد مرت عليه سنونعديدة ، ٠

وانا مـن هنا ومـن ارضعربية مسلمة ، مـن ارض ضحت بـاعـز مـا تملـكمن شباب فى سبيل استرجاع شخصيتها العربيـة المسلمـةوالرجوع الى حظيرة الوطـن العربى الام ، وباسم جميـعالشباب الجزائرى الذى يسعى لاسترجاع ثقافته الاصلية باذلاكل مجهوداته فى سبيل محو مخلفات الاستعمار الفرنسى ،وهو اخطر مستعمر ، اذ انه وكما تعلمون سـمم جـذور شخصيتنا للقضاء تماما على عرق الاسلام والعروبة فينا ،وها نحن والحمد لله وقد دفعنا ثمن عودتنا لحظيرة العروبةوالاسلام، نخوض معركة حامية الوطيس فى سبيل استرجاعثقافتنا الاصلية ، وقد كانت مجلتكم اهم رافديزودنا بالجيدمن المعرفة الحقة ٠

والان وفى خضم معركتنا ،أتتركـون المجـلات العقيمـة *الفائدة ، والاجنبية تغزونـاوتسمم افكارنا ٠٠ ؟*

عمرو عبد الوحيد

وهران ــ الجزائر

المتنبى

المقال الذى نشره العربـى فى عدده رقم ٢٣١ تحـت عنوان (عقدة المتنبى) للدكتور شكرى محمد عياد ، أتاحت لنا سطوره أن نعيش مع المتنبـى بعض الوقت ، والكاتب يحاول أن يبرىء المتنبى من السعـى وراء المال ٠ ولكن المتنبـى يقول لنا من خلال شعره انـه يحمل روحا يتعطش للمجـد والسلطة والقوة بدليل قوله :

وذهـر ناسه ناس صغـار
وان كانت لهم جثث ضخام
وما انا منهم بالعيش فيهم
ولكن معدن الذهب الرغام

ولا شك ان المال وسيلـة من وسائل القوة التىكان يبحث عنها المتنبى ٠ ولا يعنى هذا انه كان بخيلا او مقترا ولكنه كان يسعى الى الجاه ٠٠والمال ـكما لا يخفى ـ بعض ادوات هذا الجاه ٠

وليس ادل على ذلك منقوله فى كافور

اولى اللئام كويفير بمعذرة
فىكل لؤم ،وبعض العذر تفنيد
وذاك ان الفحول البيض عاجزة
عن الجميل،فكيف الخصية السود

عبدالبارى عبدالرحمن

سوريا ــ القامشلى

تعقيب على مقال ارتيريا

● العدد ٢٣٠ من العربى جاء غنيا بالمواضيع الممتازة ، واخص بالذكر ، لا على سبيل التفصيل ، البحوث الثلاثة التى تناولت تنزانيا ، ارتيريا ، الاوجادين ، بحيث تشكل ملفا خاصا بقطاع من افريقيا • والحقيقة ان البحثين الخاصين بتنزانيا والاوجادين كانا من مستوى رفيع ، الا ان البحث الخاص بارتيريا ، على جودته ، يستدعى بعض التحفظ•

فى معرض كلامه عن ارتيريا ، ذكر الاستاذ سعد زغلول فؤاد : « تعاقب عليها المستعمرون الاجانب ففقدت استقلالها وتعرقل تطورها •• ، فقد احتلتها تركيا عام ١٥٥٧ حيث اكتفت باحتلال شواطئها الا ان الاستعمار التركى ظل جاثما على البلاد ٣٠٠ عام من ١٥٥٧ الى ١٨٤٦ ، وحين انسحبت تركيا حل مكانها المصريون •• »

لا ادرى من اين اتى الاستاذ زغلول بهذا التشخيص ،فهذه نظرة لا تنفذ الى الرؤية الشاملة للمعركة التى كانت تخوضها الشعوب الاسلامية فى مواجهة المد الاستعمارى الاوروبى فى القرن السادس عشر وما يليه •

« ان الاستعمار الاسبانى ــ البرتغالى كان يطبق فكى كماشة على افريقيا ، وان البرتغاليين اختصوا بسواحل البحر الاحمر والجنوب العربى » ••

« وفى هذه الاثناء ، كانت وطأة البرتغاليين قد اشتدت على المسلمين فى الهند ، فارسلوا رسلهم الى القسطنطينية والى مصر » •

« وان مصر التى دخلها العثمانيون عام ١٥١٧ قد اصبحت عنصرا ناشطا فى مكافحة الاستعمار البرتغالى الذى وصل اوج سطوته خلال العقود الاولى من القرن السادس عشر »•

وتشمل الوثائق التركية فى اسطنبول معلومات عن توجه

جمعية خيرية على مستوى العالم العربى

مما يؤسف له حقا ان عالمنا
ربى يفتقر الى جمعية
ية تشمل كافة اقطاره ••
؛ يتاثر نشاطها بالحدود
مصطنعة،والتقلبات السياسية•
اننا بحاجة لجمعية يكون
ماطها على مستوى الوطن
مربى ، وليس من هدف لها
وى فعل الخير تمول عن طريق
ملايين الطلاب فى المدارس
الجامعات •• من العمال
لموظفين •• من التجار
الحرفيين تقوم بكل ما من
أنه الحفاظ على ابتسامة
انسان العربى••تؤدى واجبها
ـى الاحوال العادية
الاستثنائية •• تهرع لمواساة
ل منكوب واغاثة كل ملهوف••
العالم العربى اولى بجمعية
هذه من دول اوربا فماساة
لانسان العربى فوقكل وصف•

جورج حورى
الرياض ــ السعودية

احرموا سلطات اسرائيل من هذا الدخل

● ذكرت صحف الضفة الغربية ان الرسوم الجمركية التى تتقاضاها سلطات الاحتلال الاسرائيلى من القادمين لزيارة اقاربهم فى الضفة الغربية وقطاع غزة عبر الجسور قد بلغت ثلاثة ملايين ليرة اسرائيلية شهريا •

ولكى نحرم العدو الاسرائيلى من هذا الدخل فانى اهيب بكل زائر لاهله فى الضفة الغربية وقطاع غزة الا يحضر معه اية هدايا ، كى نفوت على سلطات العدو امتصاص هذه المبالغ منا •

فهل من مجيب ؟ !

عثمان الحاج عبدالمعطى الخطيب
اربد ــ الارد

القوى المحلية الى السلطان العثمانى مطالبة بالعون ضد البرتغاليين •

وفى مقال مجلة الجمعية الجغرافية لاسيا الوسطى •• :

« وبحلول النصف الثانى من القرن السادس عشر اصبح الاتراك يتحدون بقوة عنيفة سيطرة البرتغاليين فى الخليج ، فلم تكن الامال الجياشة فى صدر السلطان سليمان القانونى باقل من مطامع البرتغاليين ، بل قد كان يخطط لطردهم من كل المناطق الاسلامية •• »

« •• ودارت معركة رهيبة بالسيوف والاسنة خسر فيهما الفريقان خسائر دامية جدا ، وقد حطم للاتراك خمس سفن، ونزل بعض جنودهم على الساحل فتلقاهم اخوانهم من المواطنين العرب بالاحضان ، وبذلوا لهم كل عون ممكن •• »

وخير ما انهى به هذه الاستشهادات التوضيحية هو هذا المقطع الذى يرسم الصورة الاجمالية للصراع ، والاعمال الجهادية الاسطورة التى تنزع بعض الاقلام المعاصرة المتجنية او المتسرعة الى تزييف حقيقتها وتسميتها بالاستعمار التركى ••

« •• وعلينا فى هذا المجال ان نشير الى حقيقتين هامتين، اولاهما انه كان على الدولة العثمانية ان تتصدى للعدوان الصليبى على شمال افريقيا ، اذ انه لولا ذلك التصدى لما كان سقوط غرناطة وخروج المسلمين من الاندلس هو خاتمة المطاف فى مأساة الجناح الغربى لدولة الاسلام ••

لقد ابرز الدفاع عن المغرب بطولات عثمانية ، •• وعلينا ان نذكر ان البرتغاليين تغلغلوا فى مناطق غنية وواسعة من افريقيا ، الامر الذى جعل رقعة الصراع معهم واجبة الامتداد الى قطاعات واسعة من المحيط الهندى تشمل سواحل افريقيا الشرقية وسواحل الهند ومداخل الخليج من ناحية عمان ••

معتز هانى الرواس ــ اللاذقية

تداركوا هذا الجيل

● انه لمن الخطر ان تقوم دولة الاحتلال بضم اجزاء جديدة من الوطن العربى • ولكن الاخطر من ذلك هو ان ينشأ جيل عربى يؤمن بان لليهود الحق فى اقامة دولة لهم فى قلب هذا الوطن العربى •• بحيث يبدو الامر وكانه مجرد خلاف على الحدود لا اكثر ولا اقل •• ولا شك ان الاعلام العربى شريك فى ارتكاب هذه الجريمة •

عبد المنان النجار
الكرك ــ الاردن

صوت اسلامى من الهند

● اقيم فى نيودلهى عاصمة الهند معرض ضخم للكتاب اشتركت فيه عدة دول • وكنا نامل ان نلتقى فى هذا المعرض بالفكر العربى الاسلامى على تنوعه وثرائه •• ولكننا اصبنا بخيبة امل عندما فوجئنا بغياب معظم الدول العربية والاسلامية عن هذا المعرض ما عدا دولتين هما الكويت والعراق • اما باقى الدول العربية والاسلامية فغائبة ••

وتساءلنا اين الحماس الاسلامى •• وهل هناك فرصة تنتهز اكثر من هذه لنشر الفكر الاسلامى والعربى ومد الجسور بين ابناء الاسلام •

بشير عبد على ــ الهند

استطلعوا الجنوب اللبنانى

● الغزو الاسرائيلى امتد الى الجنوب اللبنانى ••شرد ودمر وقتل •• وترك بصمات من الهمجية لا استطيع وصفها•

اقترح على مجلة العربى ان تبادر بارسال بعثتها لتسجيل تلك البصمات الهمجية ليرى العالم الحضارة الصهيونية على حقيقتها !!

احمد عبدالحليم ــ لبنان

بقلم : ربيع ديب

■ كان يعلم ـ الاحمق ـ انها ستتوقف .. همس حمزة لنفسه .. بلى ، كان يعلم . ومع ذلك فقد استمر بصلف وعناد .

شحن حمزة ذاته بمزيد من الحماس ، ودفع بكامل طاقته ، فوق ما يبذله وهو يدفع عربة الخضار . ومن خلال النافذة رآهما : كان يتشبث بالمقود ، تلتف ذراعاه من حوله مثل الفعى . وكانت تسترخى فى المقعد الى جانبه، تنظر ببلاهة وعنقها ملوى الى الوراء .

جدف الرجل الى يمين حمزة ، ثم توقف منحنيا .. وحين انزلقت بعيدا عنه جلس وسط الاسفلت الساخن ، وبعدها توقفت تماما .

اتكا حمزة بكفيه المتعبتين على الغطاء المقشور وهو لا يزال منحنيا يغالب الما فى الظهر ، فيما هو يحاول استعادة جسده منتصبا كالمالوف ، تماما كما يفعل كل يوم وهو يدفع بالعربة . ومن فوقه كانت اشعة الشمس تسقط على عنقه .. وفجاة شعر وكان الم الظهر يمتد كجدول صغير ليتصل بالم العنق الذى لازمه طوال الليل فوق المقعد المعدنى الصدىء فى المخفر .

ـ الى اين تذهب يا حمزة ؟ . ـ عاود الهمس

ـ نصفك هناك فى الجنوب ، ونصفك الآخر فى « النبعة » الى الشمال .. الى اين تعود يا حمزة، وهل حقا انك لا تزال حيا ؟ . ام هو حلم الموتى يلازمهم ؟ . منذ صغرك وهم يقولون لك ان الموتى يحلمون ، او يتحولون الى اشباح .. منذ صغرك وانت تعتقد ان اشباح الموتى تثار لاصحابها .

صمت السائق ، وابتسامة بلهاء تتشعب فى وجهه كالثار الجدرى .. وحمزة استطاع ملاحظة ان الرجل ليس غاضبا كما ينبغى ، ولذلك ازداد كرهه اياه .. وهى ظلت هناك مسترخية فى المقعد الامامى ، يبرق احمر الشفاه فى وجهها لطخة فارقة وكريهة .

نصفك هناك .. والنصف الاخر .. هناك . فتيقن من انك لست بين الانقاض .

سقط متربعا ، ثم أرخى ذراعيه على ركبتيه ، وبدا مع الرجل الجالس خلفه على بعد خطوات وكانهما صخرتان فى بيئة صحراوية . والشمس تسقط الآن فوق صفحة وجهه وكانما تتسرب من جبهته الجنوبية السمراء . والى اليمين كان ماء البحر رييميا رائقا على نحو رتيب . وسنونوات الى اليسار انتظمن كالعقد فوق اسلاك الهاتف وهى تمارس لعبة التوازن الازلية .

★ ★ ★

ـ انت واثق من اننا سنصل ؟ .

ـ دع الامر لى ..

ولم يترك لك مجالا لمزيد من الكلام .. وانت وجدت فى سؤالك تصرفا طبيعيا وقد شاهدت السيارة مترهلة كعجوز . ولم يكن ثمة مفر وانت تنشد الى نصفك هناك فى الجنوب .. وهى كانت السيارة الوحيدة فى المرآب ، وكان يتكىء عليها يكاد يشارك المراة ثوبها وهى تمضغ اللبانة ، واللطخة تبرق فى وجهها مثيرة وكريهة معا . وانزلقت فى المقعد الخلفى الى جانب الرجل .. انتظرت ساعة كاملة .. بلى ، شعرت انك وحدك



تنتظر ، قبل ان تسمع جارك يتطوع لدفع اجرة راكبين ، فتحركت السيارة • وحين زايلت المكان سقطت قذيفة في شارع خلفي •

حمزة لم ترهبه القذيفة ، كما لم يرهبه كثيرا انهيار الفندق والجحيم الذى انفتح • فقد الف القذائف تبصقها الطائرات في الجنوب فتهوى كطيور السمان المصابة قبل ان تنفجر •• هناك على بعد اميال ، حيث ترك العجوزين يتشبثان بالافدنة القليلة المزروعة تبغا •

ـ لنرحل يا ابى ••

ـ ارحل انت ••وسابقى هنا •• او اموت هنا••

كان عنيدا دون حد •• وحمزة تذكره والفندق يتهاوى مثل هيكل عظمى خرب •• كان باستمرار يقول ان بينه وبين الارض سرا ، وانها ستلعنه اذا ما رحل •

ـ ولكن يا ابى ••

ـ قلت هى ارضى ولن ارحل ••

وها هو يسعى حثيثا باتجاه الجنوب ليقول للاب ان الموت واحد في الجنوب وفي الشمال ، وان للرعب رائحة واحدة • واما نصفه في « النبعة » اسرته ، فقد كان من العبث التفكير في الذهاب اليه وجميع الطرقات مقفلة •• يختلج عصفور ما في صدره وهو يستحضر صورتها هناك •• انها تقف الآن حيال الشارع •• يبدو نصفها الاعلى وسط النافذة مشطورا يخفى الولد شطره الايمن وقد استسلم فوق ذراعيها وكانه يشاركها قلقها •• ينظران معا الى نهاية الشارع بانتظار العائد•

★ ★ ★

قالت له :

ـ لا تذهب •

قال :

ـ يا امراة •• نحن نعيش يوما بيوم •

وادركت انه سيذهب للعمل لا محالة •• وهى ، على اية حال ، تحتفظ بالمال القليل الذى يبقى ، وتعلم انه ، على الرغم من اى شىء ، سيذهب ومع ذلك فقد قالت :

ـ قلبى يحدثنى بشر •

وعقدت كفيها فوق ركبتيها باستسلام •• كانت تعلم انه سيذهب •

خطرت له الفكرة المعتادة كناقور وسط ماء ضحل:

ـ هيئى نفسك •• سنذهب الى الجنوب •

ظلت مستسلمة كعهدها • واستطاع ان يخمن ما يجول في ذهنها •

كان دائما يقول لها : هيئى نفسك •• سنذهب الى الجنوب ، أو سنذهب الى الشمال •• منذ تزوجها وهو يقول ذلك •• سنتان مضتا وهو اشبه بالكرة تقذف بها الصواريخ شمالا وجنوبا •• تحمل هى الولد ، ويحمل هو صرة الثياب • وها هو الآن يفكر في ضرورة ازالة الحواجز بين نصفه هناك ، نصفه •• هناك •

★ ★ ★

ـ ملعون والدك ••

عبرت به السيارة محاذرة الاصطدام به ، وحين تجاوزت السيارة العجوز على بعد خطوات منه ادرك انه المقصود بالشتيمة •• شيعها بعينين ذاهلتين وهى تبتعد ، وشعر بدبيب الحياة من حوله وكانه يستشعر ذلك لاول مرة •• كان يخيل اليه انهم في بقعة مهجورة ، الى ان مرت هذه السيارة •• نهض عن الاسفلت وتقدم من السائق المنتن ، ومن خلفه تهادى قرع اقدام الرجل الآخر •

ـ الى متى نظل هكذا ؟ •

ـ لا ادرى •

ـ ولكنك قلت دع الامر لى •

ـ لم يجبرك احد •

ـ ولكنك اخذت اجرك •

ـ قلت لم يجبرك احد •

ـ أنت تخدعنا •

شعر بعدم قدرته على ضبط شحنة الحقد الفائرة في داخله •• وكرر :

ـ أنت تخدعنا •

وفي تلك اللحظة اشعلت المراة سيجارتها ، وبدت كريهة وقبيحة فوق ان يطيق •• والرجل الآخر وقف متكئا على السيارة فبدا جزءا منها • وحمزة استطاع الآن ان يتخيل للرجل امراة في مكان ما تقف مشطورة في النافذة ، وتخيله خارجا من انقاض فندق وسط ازيز الرصاص والسنة اللهب •

★ ★ ★

جذبه رجل ودفع به فوق الدرج ، فيما تواصل ازيز الرصاص في الخارج ، يضج مقتربا كشىء غامض ، كلما صعد فوق الدرجات •• وتذكر انه *اودع ، منذ ساعة ، عربة الخضار عند مالكها*

وتسلم منه الليرات العشر .. دفع بالعربة طيلة النهار وسط الازقة واجساد النسوة ، قبل ان تئز الرصاصات الاولى الى الشرق ، وقبل أن تنفلت الاجساد من الشوارع كطيور مذعورة ، تحمل فوقها وجوها قاتمة مرعوبة تستشعر الخطر بالغريزة .

كانت يد الرجل لا تزال تلتصق بكتفه حين سمعه:

ـ كنت ستقتل نفسك .

تلفت حواليه ، وكان وسط ما يشبه الفندق .

كانوا يتوزعون فوق مقاعد قديمة مقشورة تذكر بانها كانت يوما وثيرة ومترفة . وعلى الجدران صور زيتية ، وخريطة للعالم ترك دخان التبغ عليها لونا أصفرا مميزا ، وشخص وراء مكتب يميزمويشير الى انه المسؤول .

استقبلوه باعين مندهشة . وآتاه صوت الرجل المسؤول :

ـ ما الذى يحدث ؟ .

ارتبك ، ثم لاحظ ان الامر منطقى : ان يسالوه

ـ ولكنك آت من الخارج .

قال :

ـ لم اتحقق من الامر .

ـ ولكنك ات من الخارج .

ازداد ارتباكه .. وازداد احساسه بمنطق السؤال ، ان يسال وهو القادم من الخارج .

ـ انهم يقتتلون .

وادرك انه لا يتفرد فى استنتاجه هذا ، وانه لم يفلح فى اشباع فضولهم .. وتركوه يستلقى فوق احد المقاعد .

اجال عينيه فى الوجوه من حوله ، وعدهم اربعين .. نساء ورجال انحشروا فى غرفة الاستقبال كيفما اتفق . وأدار خادم المذياع .. حاول حمزة ـ ولا يدرى لماذا ـ استظهار ملامحهم وهو مغمض العينين فعجز .. فتح عينيه وأعاد النظر فى الوجوه وهى شاخصة الى المذياع الذى يبث اغنية محلية غير مكترث بما يجرى خارجا .. علق احدهم :

ـ الدنيا تهتز والاذاعة غائبة .

رن الصوت فى فراغ اجوف كرنة نشاز وسط جوقة الصمت الوقورة بافراط ، فارتد الرجل الى الوراء يدارى خيبة داهمته،وحمزة شاركه احساسه بالخيبة ، قبل ان تلتمع صورة الزوجة فى ذهنه . وتساءل : كيف الوصول اليها ؟ . وفى تلك اللحظة دوى الانفجار عنيفا هز الفندق مباشرة ، وعلا الصراخ رهيبا ، والاجساد راحت تتصادم وهى تبحث فى جميع الاتجاهات عن مخرج للنجاة.. ومن مكان ما ارتفع صوت يدعو الى الهدوء والاطمئنان دون ان يخفى رنة الرعب المسيطر على صاحبه .

وجد حمزة نفسه قريبا من الباب الخارجى .. حاول أن يتذكر حاله وهو يهبط الدرج فما افلح .. ومن الخارج انهمرت زخات من الرصاص عنيفة كجرس اسطورى ، قريبة حتى لكانها تنطلق من الداخل .. ارتد حمزة يصعد الدرج بعنف، مصطدما بالاجساد الهاربة باتجاه الاعلى .. سقطت امراة على وجهها فتركوها . وعند مدخل غرفة الاستقبال كان الصوت المشجع لا يزال يؤكد حضوره .

انحشروا من جديد داخل غرفة الاستقبال .. بدت الغرفة اضيق مما يتصور .. هتف الخادم :

ـ اسمعوا ..

ران الصمت تماما ، وتعلقت الاعين بالخادم وقد مال يسند اذنه بكفه ..

قال الخادم :

ـ هذا ليس برصاص ..

فضحكوا .

ـ قلت هذا ليس برصاص .

كان صوته مشحونا بالرعب :

ـ فى الطابق الارضى محل للالعاب النارية .. اذا ، الانفجار فى هذا البناء ..

تنبه حمزة الى ان الازيز لم يتوقف . وبوحى من ملاحظة الخادم فكر فى أن من غير المعقول وجود سلاح يطلق الرصاص دون توقف .

بدوا جامدين كتماثيل . وحين اندفع الخادم مذعورا عاودوا لعبة الفرار ، تتصادم أجسادهم واصواتهم . وفجاة كان الدخان يتسرب عبر الدرج والنوافذ .. ارتدوا من جديد . وحمزة لم يستطع مقاومة التفكير فيمن سينجو وفيمن سيموت .. انهارت امراة مغمى عليها فازداد ارتباكهم .. نظر حمزة ناحية السوق عبر باب الشرفة فاستطاع رؤية جدار هائل من الدخان ، تبعه جدار من النار ، وادرك ان اللهب سيمتد، لا محالة ، الى آثاث الغرفة .. وحين نظر الى الوجوه من حوله خمن فى ذاته ان وجهه لا يقل عنها رعبا .. انتابه حقد مفاجىء ، وحدث نفسه

بانه لا يستحق الموت عبثا ، وان والده في الجنوب سيكون أكثر حظا وهو يموت وسط أعراس التبغ .. صاح المدير المسؤول مرعوبا :

ـ في الطابق السفلي فرن للحلويات ومستودع للمازوت .

وتنبه حمزة الى ان الرجل هو عينه صاحب الصوت المشجع ، فذوى ابتسامته عابثة . ثم لاحظ انه يلتصق بالباقين ، يشكلون معا كتلة رعب واحدة .. سقط شيء ما في الخارج ، ودوى وهو يصطدم باسفلت الشارع .. اندفع الخادم من بينهم وقذف بكرسي خشبي في اتجاه نافذة قائمة أعلى الجدار الداخلي .. انتبه المدير للحركة فاندفع صوبه . وأمام الاعين المرعوبة المندهشة صعد على كتفي الخادم وتعلق بالنافذة.. اندفعوا جميعا كمترس على الغرق عثر على قارب نجاة .. وفيما كان حمزة يقفز فوق الاجساد فكر في أن احدا لم يحاول الاتصال بالشرطة او رجال الاطفاء . وكان في شاغل عن التفكير في تعليل لذلك .

زحف فوق الاجساد ، وحين بلغ النافذة سمع انفجارا عنيفا ، واجتاح الجحيم على مصراعيه.. كان جدار هائل من النار ، وكتل ضخمة تتساقط قريبا من مدى النظر ، غامضة ورهيبة .. وجد نفسه فوق درج اخر ، وشرطي يمسك بذراعه ، وفي تلك اللحظة انهارت قواه تماما .

تلفت من حوله فالفى نفسه فوق المقعد الحديدي في المخفر .. اصطدمت عيناه بوجه امراة مالوف، لم بوجه رجل عرف فيه المدير المسؤول للفندق.. اقترب الرجل منه فساله :

ـ ما الذي حدث ؟ .

قال الرجل بغير اكتراث :

ـ انشطر الفندق واندفن من فيه .

وراها تقف في النافذة ، نصفها الاعلى مشطور ، وعلى ذراعها طفل .. وتساءل : كيف السبيل اليها .. ان يلتصق بها ليقول لها انه خارج لتوه من الجحيم .. ولكن نصفه هناك في الجنوب ماذا عنه .. سيذهب اليه ليقول له ان الموت واحد ، وان الرعب له رائحة واحدة ، وان اعراس التبغ تستحق ان نموت من اجلها .

★ ★ ★

ـ انا خارج من الجحيم لتوي .

لم يكترث له . والمراة استمرت في مضغ اللبانة .

ـ انت لا تفهم ما اعنيه ..

ـ ومن يهتم ؟ . غدا تعود الامور الى مجاريها.

ـ ولكنني يجب أن اصل الى الجنوب .

ـ ستصل .

ـ ولكن كيف ؟ .

ـ كما يصل صاحبك .

واشار الى الرجل الاخر .

كان يقف الى جانب الشارع يتهيا لايقاف سيارة قد تاتي من جهة الشمال .

سالته المراة :

ـ الا بيت لك في بيروت ؟ .

ـ بلى .. في النبعة .

ـ لم لا تذهب اليه ؟ .

ـ انا ذاهب اليه فعلا .

ـ ولكنك تتجه جنوبا .

ـ ساصل اليه عن طريق الجنوب .

ـ لم افهم .

ولم يجب .. خيل اليه انها لن تفهم ابدا ، وكذلك صاحبها .. واحس أن عداء قديما يقوم بينه وبينهما .. وعاوده الشعور بان الرجل يخدعه ، وان تغيرا ما يجب أن يحدث .. ان يتغير السائق . ان تتغير السيارة ان يحدث اي تغيير بين شطريه في الجنوب والشمال .

ـ انت تخدعنا .

ـ ....

ـ لن ارتضي ان اظل مشطورا هكذا .

ـ ....

وجه السائق يزداد بشاعة .. والرجل هناك ، على بعد خطوات ، بدا جامدا وهو يستجدي الشارع سيارة .. قال حمزة ان الرجل جبان وهو يهرب ادخل يده في جيبه سترته يبحث عن شيء .. اصطدمت يده بسكين ، فقال للسائق :

ـ سأقتلك ..

ـ ....

ـ سأقتلك ..

وكان يعني ما يقوله .

■■

لبنان ـ ربيع ديب

دراسة الشهر

العرب والصيف

بقلـم : ابراهيم محمد الفحام

(من رابط بالاسكندرية أربعين يوما ، كتب الله له براءة من النار ، وأمنامن العذاب ـ قول مأثور)



■ ورغم ان الاصطياف يبدو في ظاهره عادة حضارية مستحدثة ، الا انها تعد في الحقيقة ، من اكثر عادات الشعوب تاصلا وعراقة .

فمما رواه (ياقوت الحموي) في (معجم البلدان) نقلا عن (الشعبي) ان (سام بن نوح) كان يصطاف كل عام في الموقع الذي رست فيه سفينة ابيه ، عقب انحسار الطوفان ، عند جبل (الجودي) شمالي (الموصل) ويشتو بارض (جوخي) في الجنوب .

وقد عرف العرب الاصطياف منذ عصور سحيقة ، واختلفت مظاهره عندهم ـ عبر اطوار تاريخهم المديدة ـ وفقا لدواعيه من جهة ، وبحسب مواطنهم الجغرافية ومستوياتهم الحضارية والمادية من جهة اخرى .

الاصطياف للرعي :

ويتمثل اقدم مظاهر الاصطياف في تلك الرحلات الجماعية التي كان يضطر اليها رعاة الجزيرة العربية ، عندما تشتد حرارة الصيف في مواطنهم، ويعمها الجدب وتهب عليها رياح السموم القاتلة، فتجعل الحياة فيها جحيما لا يحتمل ، ويتجهون ـ ومعهم ماشيتهم واغنامهم الى حيث يجدون الماء والكلأ ، سواء في ارض الجزيرة ام خارجها .

وكانوا يقولون في تلك الرحلات (من تصيف الشرف ، وتربع الحزن ، وتشتى الصمان ، فقد اصاب المرعى) .

والشرف والحزن والصمان ، مواقع اعتاد العرب الاقامة فيها في تلك الفصول .

واشار (طرفة بن العبد) الى الاصطياف بنجد في قوله :

حينما قاظوا بنجد وشتوا
بين ذات الحاذ من ثني وقر

الاصطياف للتجارة :

وقد اتخذ الاصطياف كذلك سبيلا للتجارة ، وخير مثل لذلك (رحلة الشتاء والصيف) التي كان يقوم بها (بنو عبد مناف) الى الشمال صيفا، والى الجنوب شتاء ، على رأس قوافلهم التجارية.

وقد ذكر (ابن هشام) في سيرته ان اول من قام بتلك الرحلة (هاشم) جد النبي ، الكريم الذي توفي في احدى رحلاته بمدينة (غزه) فسميت (غزة هاشم) ولكن (ابن خلدون) يرى ان تلك الرحلة كانت عادة موغلة في القدم ، تطلبتها الظروف الطبيعية والجوية في الجزيرة .

الاصطياف للاستجمام :

ولم يكن الاصطياف دائما مجرد رحلة شاقة للرعي او للتجارة ، فقد كانت هنالك ـ في الوقت نفسه ـ مصايف تقصد لمجرد الاستجمام والتخفف من الحر ، وغيره من متاعب الحياة .

وقد روى ان (حسان بن أسعد أبي كرب الحميري) اعظم تبابعة اليمن في العصر الجاهلي كان يصطاف في (ظفار) ويشتو في (مارب) كما كانت (رصافة الشام) مصطاف (النعمان بن ثابت بن الأيهم) من ملوك الغساسنة في ذلك العصر . ثم جدد (هشام بن عبدالملك) ذلك المصطاف ـ منذ ولايته للعهد ـ وظل يتردد عليه بعد تولية الخلافة حتى توفي سنة ١٢٥ هـ . فظل بعض الخلفاء والأمراء يصطافون فيه من بعده . كما اتخذت (رصافات) مماثلة بعد ذلك في بلدان اخرى .

وكانت (الطائف) ـ كما هي اليوم ـ من أجمل المصايف العربية . فقد اشتهرت بطيب هوائها ، وروعة مناظرها ، وكثرة ثمارها ، في فصل الصيف، حتى لقد زعم بعض الرواه انها كانت في الأصل جنة من جنان الشام ، ثم شاء الله ـ بدعوة من ابراهيم عليه السلام ـ ان ينقلها الى الحجاز ، فطفت على سطح الماء ، حتى بلغت موقعها الحالي فسميت (الطائف) .

وقد ذكر (البكري) في (معجم ما استعجم) ان (بني عامر بن صعصعة) كانوا يصطافون فيها (لطيبها وثمارها ويتشتون بلادهم من أرض نجد) .

وعبر (الأصمعي) عن انطباعه بزيارتها بقوله (دخلت الطائف فكأني ابشر ، وقلبي ينضح بالسرور ، ولم أجد سببا لذلك الا انفساح جوها، وطيب نسيمها) .

وكان الاصطياف فيها مظهرا من مظاهر الترف، يفخر به السراة ويغبطون عليه . وفي ذلك يقول



(محمد بن عبدالله النميرى) فى (زينب) أخت (الحجاج بن يوسف الثقفى) :

تشتـو بمكـــة نعمـــة
ومصيفهـــا بالطـــائف

كما كان (الحجاج) يغبط غلامه (سعدا) الذى كان يلى أمواله بالحجاز قائلا (أغبط الناس عبدى سعد ، يتربع جدة ، ويتقيظ الطائف ، ويشتو بمكة) .

مصايف الشمال :

ولما اتسعت الفتوحات العربية ـ وخاصة نحو الشمال ـ صاروا يتخذون مواقع أخرى لاصطيافهم فى ذلك الاتجاه ، وصار بعض الولاه يشتون فى بلدة من بلدان ولاياتهم ويصطافون فى أخرى ـ فكان (زياد بن أبيه) يشتو فى (البصرة)ويصطاف فى (الكوفه) .

وكانت (الشاش) من البلدان التى اشتهرت برقة جوها صيف ، وشدة برودتها فى الشتاء حتى لقد قال فيها (أبو ربيع البلخى) :

الشــاش فى الصيف جنــه
ومن أذى الحـــر جنـــــة
لكـــــــه يعتريـــــــى
بها لـــدى البـــرد جِنَّـــة

ويمثل ذلك أيضا اشتهرت (همدان) التى كانت تستحب الاقامة فيها صيفا ، ولا تحتمـــل فى الشتاء حتى لقد قال فيها (ابن خالويه) .

وكان لا يستطيع الاقامه فى تلك المناطق ـ ولاسيما ـ غير المترفين الذين ألفوا الحياة الرغدة الهانئة ، والذين يتحملون ما يتطلبه الرحيل اليها، والاقامه فيها ـ مع عائلاتهم وأتباعهم ـ مـــن النفقات .

ولذلك يذكر (أبودلف العجلى) ضمن مفاخرهـ ما اعتاده كل عام ، من الاصطياف فى (الجبال) شمالى العراق فيقول :

وانى امرؤ كسروى الفعـــال
أصيف الجبال وأشتو العراقا
وألبـــس للحـــرب أثوابهـــا
وأعتـــق الدارعين اعتـــاقا

ويقول (ياقوت الحموى) انه كان يصطـــاف فى (الجبال ليسلم من سمائم العراق ، ويشتو فـى العراق ، ليسلم من زمهريـــر (الجبـــال) وثلوجها .

غير أن ذلك الذى يفخر به (أبودلف) لم يرق (عبدالله بن طاهر) الذى كان سىء الرأى فيه ، فقال فى ذلك :

ألم ترنا جلبنا الخيـــول
الى أرض بابل قبـــا عتـــاقا
فما زلن يسعفن بالدارعين
صورا حزونا وطورا رقاقـــا
الى أن وردن بأذنابهـــــا
قلوب رجال أرادوا النفاقـــا
وأنت ـ أبا دلف ـ ناعـــم
تصيف الجبال وتشتو العراقا

فلما وقف (أبودلف) على تلك الأبيات آل على نفسه ألا يصيف الا بالعراق ولا يشتو الا بالجبال. وقال :

ألم ترنى حين حال الزمـــان
أصيف العراق وأشتو الجبالا
سموم المصيف وبرد الشتـــاء
حنانيك حالا أزالتك حـــالا
فصبرا على حدث النائبـــات
فان الخطوب تذل الرجـــالا

وكانت بساتين الشام وجبالها تتخذ مصايف خاصه للأعيان ، يقضون فيها أمتع أيام العمر ، وكان (لنجم الدين الشهابى) مصيف من ذلك القبيل ، فى القرن السادس الهجرى ، أقامـــه فوق جبل (حرمون) المعروف بجبل الشيخ ، على ارتفاع نحو عشرة آلاف قدم على سطح البحر ، وكان يطل على مساحات شاسعةمن المناظر الزراعيه والمعزيه المبهجه وفيه يقول :

ومنزل فـــوق قن الشيخ بت بـــه
يعانق الانس واللذات والطـــرب
أهدى لنا من ربى نجد معطـــرة
ومنظرا من ديار العجم والعرب

أما فى الأندلس فكانوا يتخذون مصايفهم فـــى (الفحوص) وهى ضيعاتهم المشهوره بجوها البديع



وحدائقها الغلاية ، التى تتوسطها دور ريفيـــة حميئة . يسمونها (المنيات) جمع (منية) •

ويذكر (أبوالمحاسن بن تغرى بردى) فى (النجوم الزاهرة) أن (الملك العادل الأيوبى) كان من عاداته ـ بعد أن قسم البلاد بين أولاده ـ أن يتردد بينهم وينتقل من مملكة الى أخرى ، فيصطاف بالشام (لأجل الفواكه والمياه الباردة) ويشتو بمصر (لاعتدال الوقت فيها ، وقلة البرودة) وظل على ذلك حتى توفى فى سنة ٦١٥ هـ •

الاصطياف للتعبد والرباط

كانت تقابل غزوات العرب للثغور الأوروبية ، غزوات مضادة منهم للثغور العربية ، تـــكثر بصفة خاصة فى فصل الصيف ، عندما يامن الغزاة ركوب البحر ، فيروعون سكانها ويمعنون فيها ـ اذا استطاعوا ـ نهبا وتخريبا •

وترغيبا للناس فى التصدى لهم ـ مهما تكبدوا من تضحيات ـ وضعت أحاديث ومأثورات عديدة ، فى فضل الرباط فى تلك الثغور •

فمما روى من ذلك أن (من رابط بالاسكندرية أربعين يوما ، كتب الله له براءة من النار ، وأمنا من العذاب) كما روى عن (عبدالملك بن جريج) انه قال (لقد حججت ستين حجة ، فلو قضى الله لى الاسكندرية فاقيم بها شهرا ، وأصلى عـــند ساحلها ، وأدعوا الله تعالى ، لكان أحب الى من الستين حجة ، التى حججت فى الاسلام) •

وقيل فى دمياط أن (من رابطها ليلة ، كان فى حظيرة القدس مع النبيين والشهداء) وأن (المقبور فيها كالشهيد ، والراكب فى بحرها كالمتشحط بدمه) ، كما قيل مثل ذلك فى سائر الثغـــور الأخرى •

وضمن الشيخ (محمود العالم) كتابه (مفاكهة الاذواق ، من مشاريع الاشواق ، فى فضل الجهاد والترغيب فيه ، والحث عليه) كثيرا من الأحاديث المماثلة ، فى باب (فضل الرباط والحراسة فى سبيل الله) مثل قوله (صلاة فى الساحل علـــى البحر ، بالف ألف صلاة مضاعفة) •

وكان فى ذلك مايغرى سكان تلك الثغور بالصمود فيها ، ويغرى غيرهم بالرحيل اليها ، للمشاركة فى الذود عنها ، واكتساب ثواب الصلاة علـــى سواحلها المباركة •

ويذكر (المقريزى) فى خططه،أن أهل الاسكندرية كانوا يجتمعون فى منارتها على الساحل فى يوم

معين من ربيع كل عام ، فيقضي بعضهم ذلك اليوم في التعبد ، ويقضيه غيرهم في اللهو ، ثم ينصرف منهم من يشاء ، ويبقى منهم من يبقى الرباط (ومن ذلك اليوم ، يحترس على البحر من هجوم العدو) .

وكان ذلك الرباط ـ الذى يستمر طوال الصيف ـ يتم في مواقع متفرقة على امتداد السواحل العربية، حيث كان بعض الشيوخ يقيمون زوايا لهم ، تعقد فيها حلقات لذكر الله ومدارسة العلم ، وتتخذ ـ في الوقت نفسه ـ مراقب للسفن المعادية، ومعاقل للدفاع عن البلاد .

وعندما فترت روح الجهاد ، ظلت تلك الزوايا قائمة كمراكز للتصوف ، يقصدها المريدون من كل صوب ، للتبرك بشيوخها ، والتماس ثواب التعبد على ساحل البحر .

وكان التوضؤ من ماء البحر والاغتسال فيه ، والصلاة على رماله من اهم التقاليد التى يحرص عليها شيوخ تلك الزوايا واتباعهم .

وقد قدم لنا (النائب الانصارى) في كتابه (المنهل العذب ، في تاريخ طرابلس الغرب) صورة لتلك التقاليد الساحلية ـ في معرض حديثه عن الشيخ (محمد بن عبدالرحمن الحطاب) الاندلسى الاصل المتوفى في منتصف القرن العاشر الهجرى، والمدفون في ضريحه المقام بزاويته المشرفه على البحر ، قرب بلدة (تاجوراء) .

الاحتفالات الصوفية

ولا تزال الأضرحة التى اقيمت لاولئك الشيوخ في زواياهم العديدة ، تتخذ مزارات لابناء المناطق المجاورة ، وخاصة في فصل الصيف ، عندما تسمح الظروف الجوية بالاقامة في العراء بضعة أيام ، خلال الاحتفالات الصوفية والشعبية ، التى تقام تخليدا لذكراهم في كل عام .

وهكذا اصبحت الشواطىء المحيطة ببعض تلك الأضرحة ـ مع الزمن ـ مصايف عامرة تحمل اسماء شيوخها حتى الآن . ومن امثلة ذلك مصايف الاسكندرية وضواحيها (سيدى بشر ، وسيدى جابر ، وسيدى الشاطبى ، وسيدى العجمى ، وسيدى عبد الرحمن ، وسيدى كرير) .

كما ترجع نشاة مصيف (راس البر) الى الاحتفالات السنوية ، التى كان يقيمها اتباع الطرق الصوفية ، عند اضرحة شيوخ المرابطين على ساحل دمياط . وهنالك اعتقاد متوارث في تلك المنطقة بان ارواح الشهداء الذين قتلوا دفاعا عن تلك المدينة ، اثناء الحملات الصليبية عليها ، لا تزال تحلق هنالك قرب الساحل في المكان المسمى (بين الموجتين) .

ضد الصداع وعسر السمع !

عرف العرب الخصائص الصحية لماء البحر ، فذكر (المسعودى) في (مروج الذهب) انه (نافع من البرص) وانه (ينفع من الاخلاط الفاسدة ، اذا شرب منه اليسير مع دهن اللوز).

وذكر (ابن البيطار) في كتابه (الجامع لمفردات الأدوية والأغذية) في معرض حديثه عن البحر (والاستحمام به ينفع الأمراض المزمنة والعارضة للبدن كله ، والأعصاب خاصة وبخاره اذا كان سخنا ـ نفع من الاستسقاء والصداع وعسر السمع) .

كما ذكر انهم كانوا يدخلونه في تراكيب المراهم ويستعملونه مسهلا ، ويصبونه ـ وهو ساخن على الجسم ليشفى الم العصب ، ويتداون به من الحكة والجرب .

وقال في خصائص (الرمل الذى يكون في ساحل البحر) انه (اذا احمى بحرارة الشمس وانطمر فيه الناس الرطبة ابدانهم خففها في الحال من الانطمار على هذه الصفة ، بطمر الاعضاء كلها ما خلا الرأس) ونقل عن (جالينوس) انه (يجفف اللحم الترهل الشبيه بالماء ، اذا صبر فيه صاحب هذه العلة ، والرمل سخن حتى يغطيه كله) .

ولذلك فقد كان بعض المرضى يقصدون سواحل البحار للاستحمام فيها ، او الانطمار في رمالها استشفاء من امراضهم .

وبرغم التركيز على الاهمية العلاجية للماء

المالح دون الماء العذب ، فقد كان البعض يقبل أيضا على الاستحمام فى الانهار عندما يصطافون على ضفافها •

ويبدو أن ذلك لم يكن مقصورا على العامة من الناس ، فقد روى (ابن اياس) فى (بدائع الزهور) ضمن أحداث سنة ٨٢٣ هـ أن السلطان (المؤيد شيخ) كان يهوى الاستمتاع بالسياحة فى ماء النيل ومعه جماعة من أفراد حاشيته ، أثناء استجمامه فى أحد القصور المطلة عليه فى فصل الصيف •

كما يذكر (ابن اياس) ضمن أحداث سنة ٩١٩ هـ - أن بعض الخاصة من أهل القاهرة ، كانوا يرسلون أولادهم الى (جبل الطور) صيفا اتقاء لمرض الطاعون الذى كان يستشرى فى العاصمة فى ذلك الفصل ، وكان أول من اتبع تلك العادة (عبدالبر بن الشحنة) قاضى القضاة الحنفى •

وقد اشتهرت بعض البلدان بسوء جوها فى الصيف ، واضراره الشديد بسكانها ، وخاصة المرضى منهم ، وكانت - وهى أحد ثغور الشام - واحدة من تلك البلدان • حتى ان الجاحظ أشار الى تاثيرها فى بعض المرضى ، الذى قد يبلغ حد الاصابة بالجنون • ولذلك فقد كان القادرون من سكان تلك البلدان يحرصون على الرحيل عنها ، والاصطياف فى غيرها كلما اشتد الحر •

مصايف خاصة

كان بعض الناس الذين يضطرون للبقاء فى مواطنهم فى الصيف ، يتخذون لهم مصايف داخلية، فيما يتخللها أو يحيط بها من المزارع والبساتين وشواطىء البرك والانهار •

وكان سكان القاهرة يقضون أوقاتا ممتعة على شاطىء النيل ، وعلى ضفاف البرك العديدة التى كانت تنتشر فيها مثل (بركة الحبش) التى يعبر (ابو الصلت امية بن عبدالعزيز الاندلسى) عن ذكرياته حولها بقوله : (واتفق أن خرجنا فى مثل هذا الزمان ، الى بركة الحبش ، وافتراشنا من زهارها أحسن بساط ، واستظللنا من روحها باوفى رواق ، فظللنا نتعاطى من زجاجات الاقداح شموسا من طلع بدور ، وجسوم نار فى غلائل نور، الى ان جرى ذهب الاصيل على لجين الماء ، ونشبت نار الشفق بفحمة الظلماء) •

كما يناجى (المقريزى) تلك البركة قائلا :

يا بركة الحبش التى يومى بها
طول الزمان مبارك وسعيد

حتى كأنك فى البسيطة جنة
وكأن دهرى كله بك عيد

يا ليت شعرى هل زمانك عائد
فالشوق فيه مبدىء ومعيد

ومن البرك الاخرى التى كانوا يقضون على ضفافها أمتع الاوقات (بركة الشعيبه) و (بركة الشقاف) و (بركة الفيل) و (بركة الازبكية) التى يقول فيها الشيخ (حسن العطار) :

بالازبكية طابت لى مسرات
ولذلى من بديع الانس أوقات

حيث المياه بها والفلك سابحة
كأنها الزهر تحويها السماوات

أبدت عليها الروابى الخضر سندسها.
وغردت فى نواحيها حمامات

والماء حين سرى رطب النسيم به
وحل فيه من الارواح زهرات

كسابغات دروع فوقها نقط
من فضة واحمرار الورد طلنات

وكان بعض السراة فى المدن العربية الكبرى يصطنعون فى حدائق قصورهم بركا خاصة ، تشبه حمامات السباحة فى زمننا هذا • وكان (الحجاج بن يوسف) يجتمع بزواره صيفا ، وهو جالس على فراش وثير الى جانب احدى تلك البرك فى حديقة قصره •

من عاداتهم صيفا

وكانت هنالك وسائل عديدة يتخذونها للتخفف من حرارة الصيف • ومن أبسط تلك الوسائل

مراوح اليد التي كانوا يتانقون في صنعها حتى تكون غاية في الاناقة والجمال • وكانت تطرز عليها بعض الرسوم والزخارف الملونة ، والعبارات الرقيقة ، وابيات الشعر المختارة مثل الابيات التالية :

أنــا في الكــف رفيفــة
مسكني قصر الخليفــة

أنــا لا أصلــــح الا
لظــريف أو ظريفــة

أو وصيف حسن الـــ
ـقد شبيه بالوصيفــة

وقد ذكر (الثعالبي) في (لطائف المعارف) ان بني امية اقتدوا بما كان يفعله الاكاسرة عندما كان يطين لهم سقف بيت في كل يوم صائف ، تكون قيلولته الملك فيه • وكان يؤتى باطباق تصنع من اغصان شجر الخلاف ، فتوضع حول البيت ، وفي ثناياها قطع الثلج الكبار ، تلطيفا للجو •

وفي عهد الخليفةالعباسي «المنصور» ابتكروزيره (ابو أيوب المورياني) وسيلة جديدة لتلطيف الجو، بوضع انسجة سميكه مبللة بالماء المعطر على هيكل ذى ثلاث سيقان فلا يكاد يتخللها الهواء حتى يرق•

وانتشر كذلك استخدام مراوح الخيش الكبيرة، التيوضعها (الشريشي) في شرح (مقامات الحريري) بانها تكون اشبه بالشراع للسفينة ، وتعلق في سقف البيت ويشد بها حبلوتدار وتبلبالماء وترش بماء الورد ، فاذا اراد الرجل في القائلة او الليل ان ينام جذبها بحبل فتذهب بطول البيت وتجيء فيهب على الرجل منها نسيم طيب الريـــــح باردا) •

وذكر (الشهاب بن ابي حجلة) ان تلكالمروحة استحدثت في زمن بني العباس (وكان سبب حدوثها ان هارون الرشيد دخل يوما على اخته (علية بنت المهدي) في قيظ شديد ، فوجدها قد صبغت ثوبا من زعفران وصندل ، ونشرته على حبل ليجف ، فجلس هارون قريبا من ذلك ،فجعلت الريح تمر على الثوب فتحمل منه ريحا بليـلة عطرة ، فوجد لذلك راحة من الحر واستطابه فامر ان يصنع له في مجلسه مثله) •

وكان مما يراعى في اقامة الدور أن تكون ـ من حيث مواقعها وتصميماتها ـ قادرة على دفع حرارة الشمس عن داخلها ، وتلقى النسمـات المنعشة من مهابها ، والاحتفاظ بجو ملائم في الصيف ، وخاصة في السراديب الرطبة ، التي كانت تقام تحت الارض •

وبلغ من براعتهم في تكييف الجو ـ وخاصة في الاندلس ـ انهم كانوا يكلفون البنائين بان يضعوا داخل الجدران قنوات طويلة متوازية من الفخار ، تبدأ من أعلى البنـاء حتى اسفله ، ويملؤونها بالماء الساخن شتاء وبالماء المثـلج في الصيف ، مع تجديده من وقت الى آخر ، كوسيلة للتدفئة او التبريد •

ويذكر (ابن خوفير الكتبي) في كتابه (مسامرة الضيف ، بمطارحة الشتاء والصيف) أنه كان بحماهدار (جمال الملك) وزير لخليفة (المسترشد بالله) العباسي (مستر ح) فيه انبوب اذ أداره الانسان يمينا حرج منه مء بارد ، واذا أداره شمالا خرج منه ماء ساخن •

وقد عني الخلفاء والامراء وغيرهم من الاغنياء بجلب الثلج وتخزينه ، لتبريد شرابهم به طوال الصيف •

ويروى انه لما ولي (ابن الفرات) الوزارة ـ وكان اليوم الذى خلع عليه فيه شديد الحرارة ـ استهلك فيما قدمه من الشراب للمهنئين من زواره ١٤٠ الف رطل من الثلج في يوم وليلة •

وكانت المياه المثلجة توضع في جرار مختلفـة الاحجام يسمونها (المزملات) لانها كانت (تزمل) اى تكسى بشيء من النسيج السميـك ، المبطـن بالتبن ، للاحتفاظ ببرودة مائها • وكانت تركب على الكبار منها صنابير من الفضة أو الرصاص •

وقد وصف (القلقشندي) في (صبيح الاعشى) بشيء من التفصيل ـ الاسلوب الذى كان يتبع نحو نقل الثلج بحرا وبرا من الشام الى القاهرة ، ثم تخزينه في (الشرابخانات) لاستخدامـه في تبريد المياه وغيرها من الاشربة • ■■

ابراهيم محمد الفحام

مسابقة العدد

■ مسابقة هذا العدد هي « الكلمات المتقاطعة » ·· والمطلوب ايجاد الاجابات الصحيحة لها وارسالها الينا ·· ويمكنك اعادة رسم مربعات الكلمات المتقاطعة على ورقة مستقلة ، حتى لا تشوه صفحة العدد بقطعها منه ·· أما الكوبون المنشور في اسفل الصفحة المقابلة ، فمن الضروري ان يرفق بالاجابة حتى تفوز بواحدة من الجوائز التي مجموعها ١٠٠ دينار تمنح على الوجه الاتي :

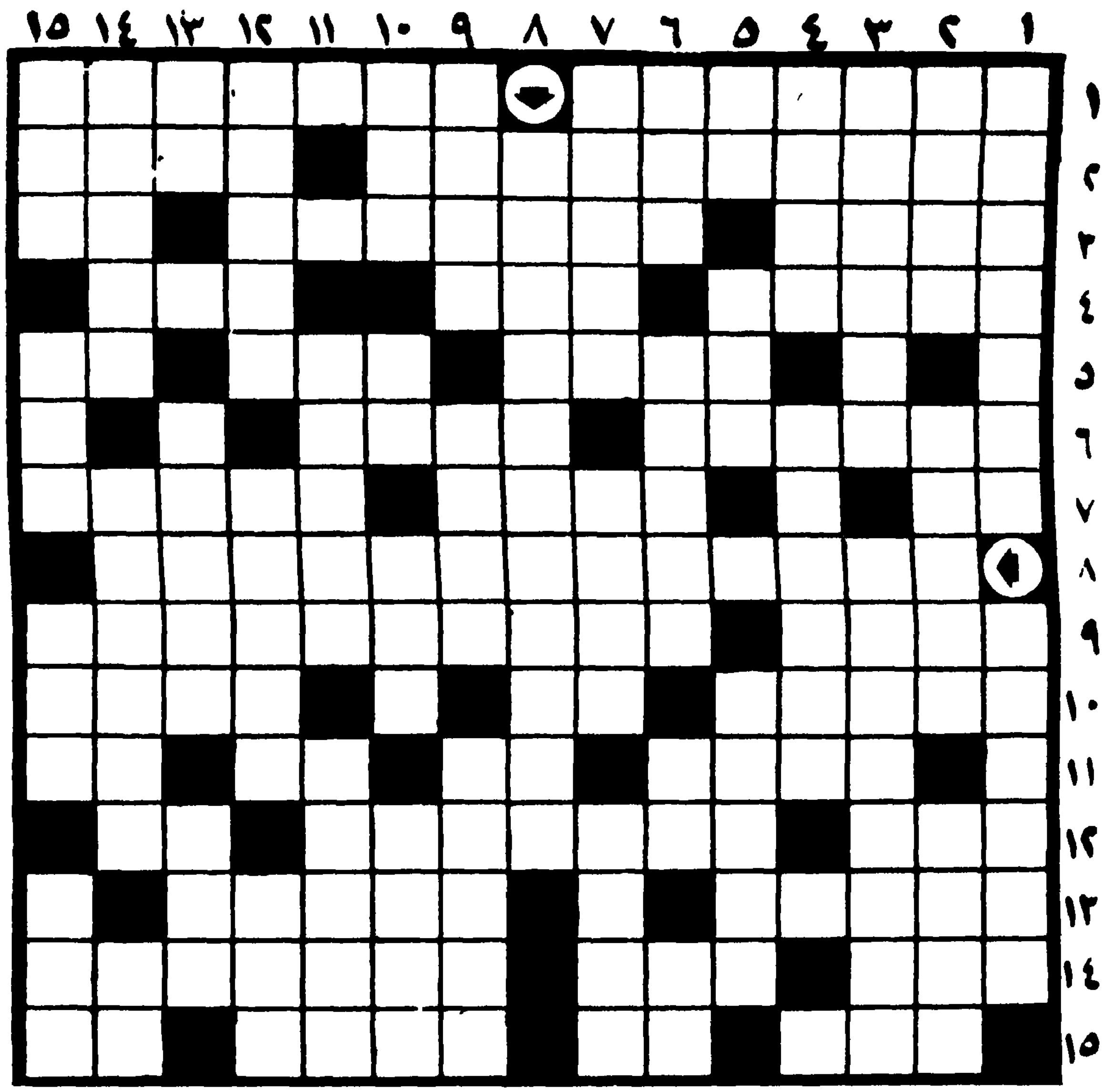
الجائزة الاولى ٣٠ دينارا ـ الجائزة الثانية ٢٠ دينارا الجائزة الثالثة ١٠ دنانير و٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا كل منها ٥ دنانير ·

ترسل الاجابات على العنوان التالي : مجلة العربي صندوق بريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد ٢٣٦ » وآخر موعد لوصول الاجابة الينا هو اول سبتمبر (ايلول) ١٩٧٨ ·

اذا استطعت حل مسابقة الكلمات المتقاطعة ، ستجد في (٨) أفقيا اسم مؤرخ وعالم موسوعي عربي ، كما ستجد في (٨) رأسيا اسم شاعر غزل عربي شهير ·

الكلمات الأفقية

(١) من اصحاب المعلقات ـ المفتاح الذي اوصل الى فك رموز اللغة الهيروغليفية ·
(٢) اسم منطقة على القمر ـ اكتب ·
(٣) جابه ـ من اللغات القديمة المكتوبة ـ نصف كلمة (سائد) ·
(٤) نصور ـ عسكر ـ ننعت ·
(٥) فرعون مصر الذي وحد الوجهين ـ عقله ـ بحر ·
(٦) من المحيطات ـ يبسط على الارض ·
(٧) مقام موسيقي ـ صحيح ـ شاركت ·
(٨) مؤرخ وعالم موسوعي عربي ·
(٩) صانك ـ فيلسوف التطور ·
(١٠) مخزن مياه ـ ضمير ـ كر ·
(١١) طويت ـ أحصي ـ حرف استفهام ـ اجاب ·
(١٢) بعد ـ الخاتمة ـ من الاسماء الحسنى ·
(١٣) حماهن ـ من الحيوانات الثديية ·
(١٤) من الامراض ـ قمة ـ الاسم الجديد لسيام ·
(١٥) ظرف مكان ـ اخفي ـ تخاف ـ جواهر·



الكلمات الراسية

(١) شاعر عباسي من أصل فارسي ـ مرجع مصور عن مصر انجزته الحملة الفرنسية .

(٢) منعناصر الطبيعة الجغرافية ـ صلاحية ـ ما يدب على الارض .

(٣) عشق الذات ـ اثر افريقي هام .

(٤) باغت ـ المعاهدة التى انهت حرب الافيون الصينية .

(٥) نصف كلمة (شارل) ـ سكن ـ دولة فى القارة الامريكية .

(٦) يدرك ـ يسهله ـ ارض مرتفعة ـ رغب.

(٧) طيور منزلية ـ عملة عربية ـ من الازهار .

(٨) شاعر غزل عربي شهير .

(٩) موسم زراعي هام ـ ندامى ـ شاعر فلورنسي ومؤلف الكوميديا الالهية .

(١٠) فوق العين ـ مقام موسيقى ـ وحدة مكاييل ـ شمال .

(١١) من المحاصيل الزراعية ـ حرفية .

(١٢) حالية ـ مبرورها ـ سلسلة جبال اوربية .

(١٣) جلب ـ من البحار ـ شرب .

(١٤) من الفواكه ـ ولاية امريكية ـ نظير .

(١٥) اقترب ـ قضى ـ من الامراض ـ من اجزاء الجسم .

عالم فلكى انجليزى شهير

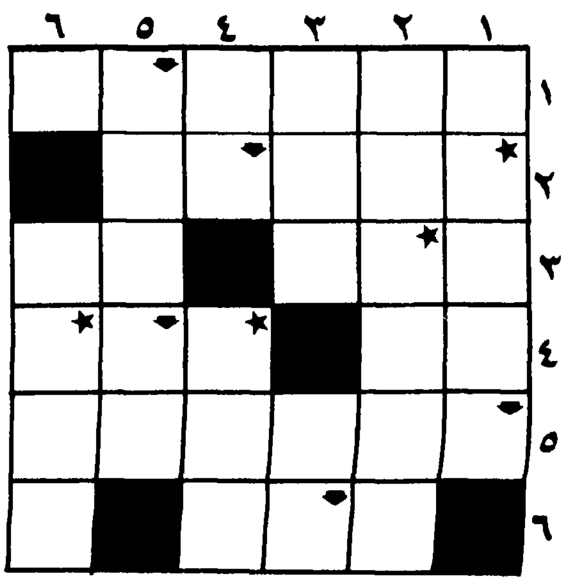
ابدأ أولا بحل مسابقة الكلمات المتقاطعة ، بعد ذلك انقــل الحــروف التى فى المربعات التى بها الاسهم ،ورتبها بحيث تصنع الاسم الأول لعالم فلكى انجليزى شهير ، ثم انقل الحروف التى فى المربعات التى بها النجوم ، ورتبها بحيث تصنع لقبه .

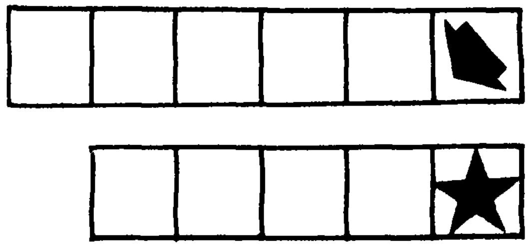
الكلمات الأفقيــة :

(١) من اشهر فلاسفة العرب فى الاندلس .
(٢) من المتفجرات .
(٣) تجيب ـ نصف كلمة (يبتر) .
(٤) ضمير ـ ارشد .
(٥) اصمت .
(٦) عملة عربية .

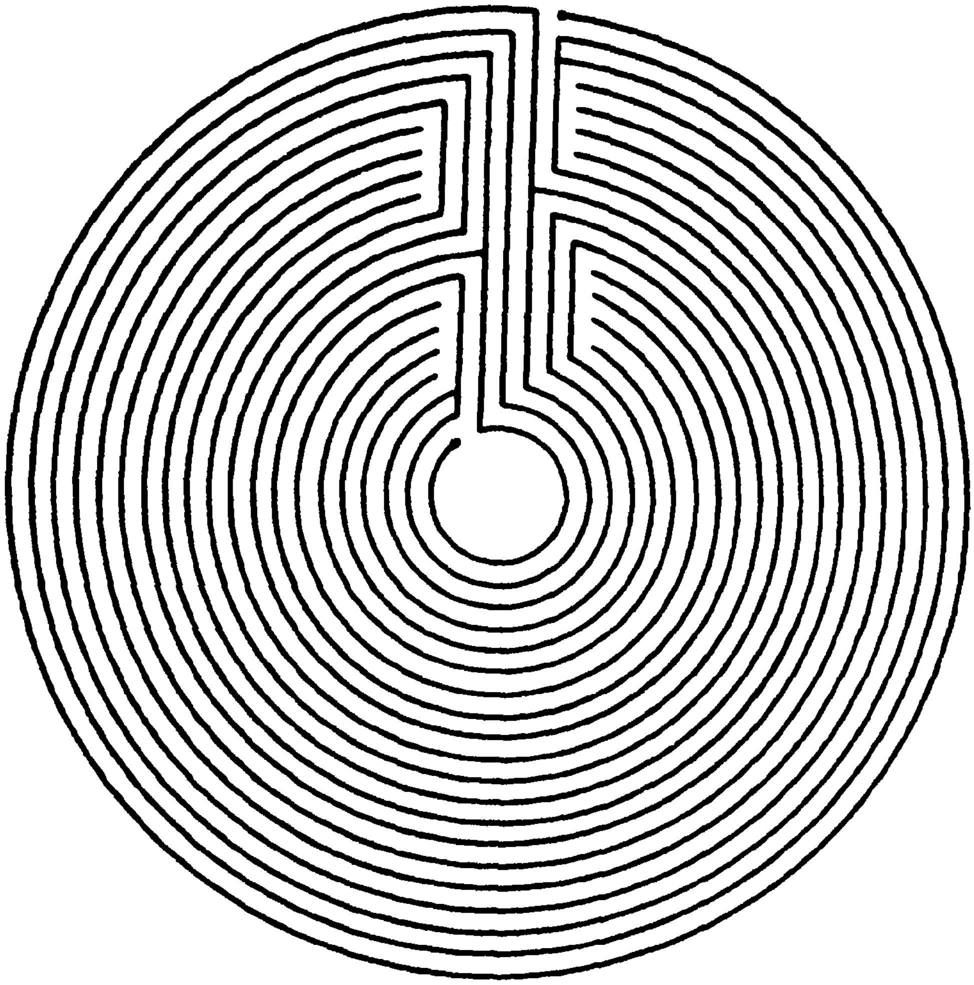
الكلمات الرأسيــة :

(١) سرور .
(٢) عاصمة اوربية .
(٣) فى لعبة الطاولة ـ هجم .
(٤) نصف كلمة (رونق) ـ جاء .
(٥) قوى .
(٦) مؤذن الرسول .





متاهة



المتاهة المأساوية

هذه واحدة من المتاهات الشهيرة ٠٠ ان مجرد النظر اليها يثير الاعصاب ،ولعل هذا هو السر في أن أحد رجال الأعمال بولاية فيلاديلفيا فقد عقله عام ١٩٠٣ أثناء محاولته معرفة عدد الطرق المختلفة التى تصل من مركز الدائرة وخارجها ٠

حاول أن تجرب حظك ٠٠ولكن بدون انفعال ٠٠٠ لعلمك عدد الطرق يقدر بالمئات ٠٠٠

استاذ نبيه يسال :

درجات كامل اكبر من درجات سعد (من ٣) ، تكون درجات فريد أكبر من درجات كامل (من ٢) ، وينتج ان درجات احمد اكبر من درجات فريد ٠ ويكون الترتيب : احمد - فريد - كامل - سعد ٠

النجمة والسهم :

يوهان كبلر

المتاهة المأساوية :

عدد الطرق ٦٤٠ طريقة !! ٠

● بالعقل فقط ●

● استاذ نبيه يسال ●

من هو صاحب أعلى الدرجات ••؟

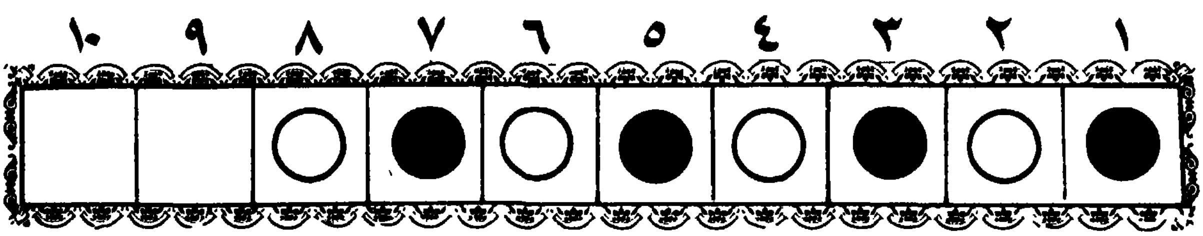
فى امتحان نهاية العام ، كان مجموع درجات احمد وسعد وفريد وكامل متباينا •• اى ان كل واحد منهم حصل على مجموع مختلف عن مجموع اى من الآخرين •• فاذا علمت ان :

(١) مجموع درجات أحمد وسعد ضعف درجات فريد •

(٢) مجموع درجات سعد وفريد ضعف درجات كامل •

(٣) درجات سعد أقل من درجات كامل •

هل يمكنك أن تعرف اسم صاحب أعلى الدرجات •• وهل يمكنك أن ترتب الاسماء حسب الدرجات التى حصل عليها كل واحد؟••

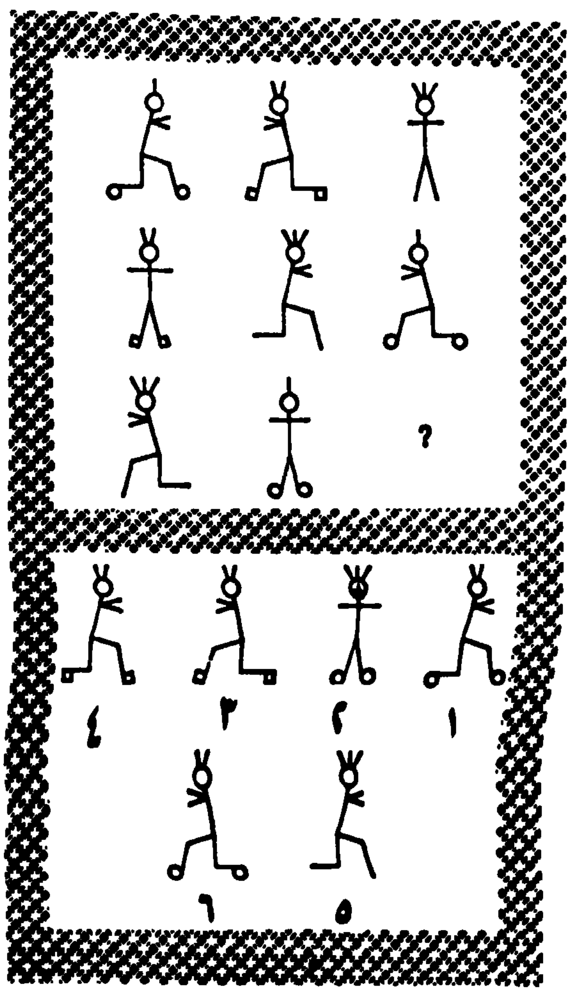


فى أربع حركات

فى الرسم اربع قطع بيضاء واربع قطع سوداء ، بالاضافة الى خانتين فارغتين • حاول ان تحرك هذه القطع بحيث تصبح القطع البيضاء متجاورة و كذلك السوداء ، وبحيث لا يكون هناك فراغ بين القطع • عند التحريك يشترط أن تحرك فى كل مرة قطعتين متجاورتين معا الى المكان الخالى • هل تستطيع أن تفعل ذلك فى أربع حركات ؟ ••

الشكل المطلوب

من دراسة العلاقة بين الاشكال التى فى الصفين العلويين ، حاول ان تعرف اى الاشكال ذات الارقام يحل محل علامة الاستفهام •

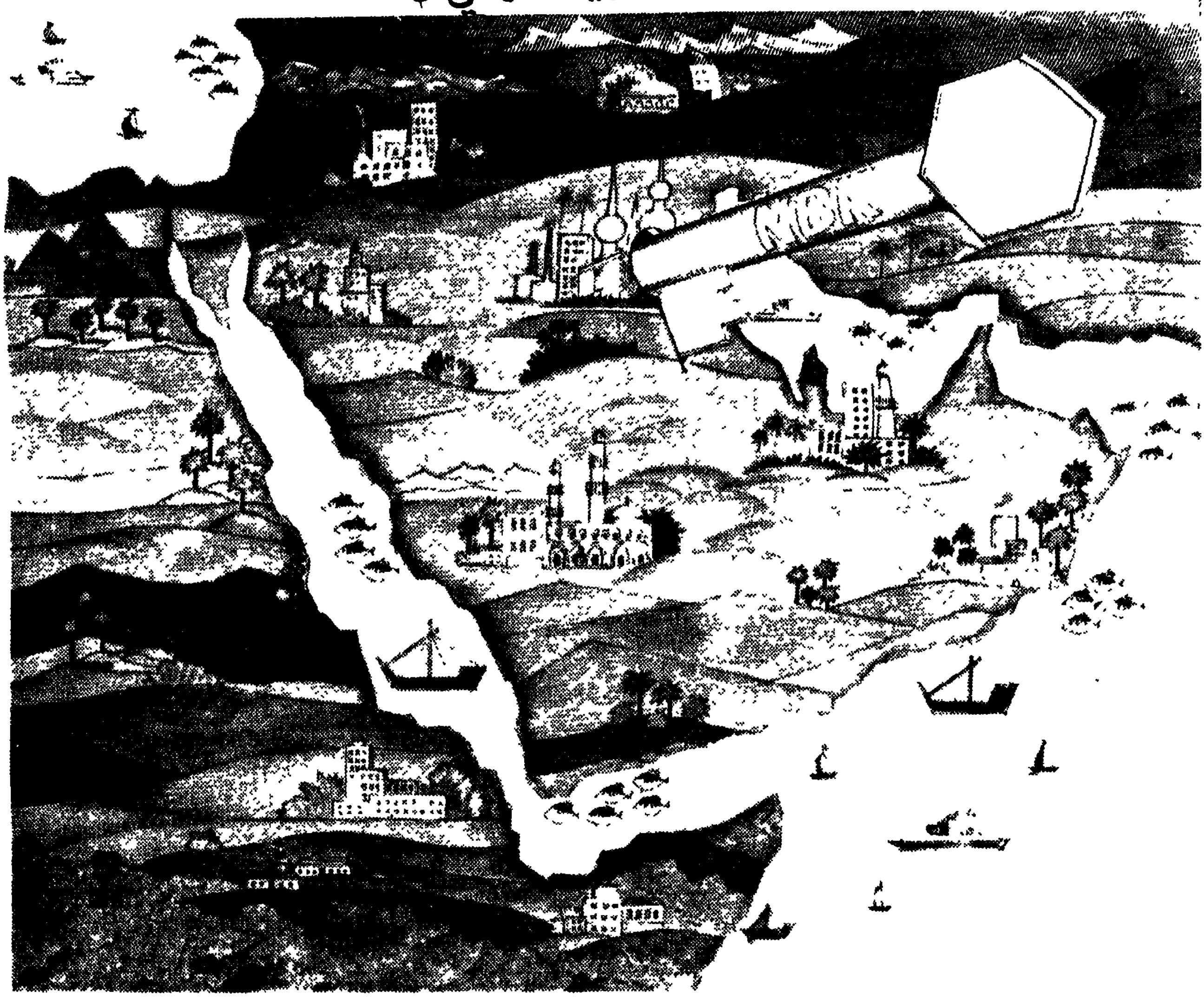


فى أربع حركات :

حرك ٢ ، ٣ الى ٩ ، ١٠ ـ ثم ٥ ، ٦ الى ٢ ، ٣ ـ ثم ٨ ، ٩ الى ٥ ، ٦ ـ ثم ١ ، ٢ الى ٨ ، ٩ •

الشكل المطلوب :

رقم ٤ •



NBK



وست اند
WEST END WATCH Co
W
SWISS
ساعات العصر الحديث
WED
الوكيل العام
يونيبرس
يعقوب يوسف بهبهاني
ساحة الصفاة - دولة الكويت
ص.ب : ٣٣٤ - تلفون : ٤٣٢٥٨٥


فوزو
الشاحنة رقم ١
في اليابان
هناك العديد من الشاحنات الثقيلة الممتازة في اليابان، غير أن فوزو تفوقها كلها مبيعاً. اتصلوا مع موزعي كرايزلر في منطقتكم وتحققوا بأنفسكم من أن فوزو لها من القوة والمتانة ما يكفي لكل مهمة. إن مؤسسة كرايزلر هي التي جاءت بفوزو إلى الشرق الأوسط. ولذلك يمكنكم أن تثقوا من توفر قطع الغيار والخدمة التي تعقب البيع.
FUSO

سلسلة ثقافية
تصدرها فى مطلع كل شهر

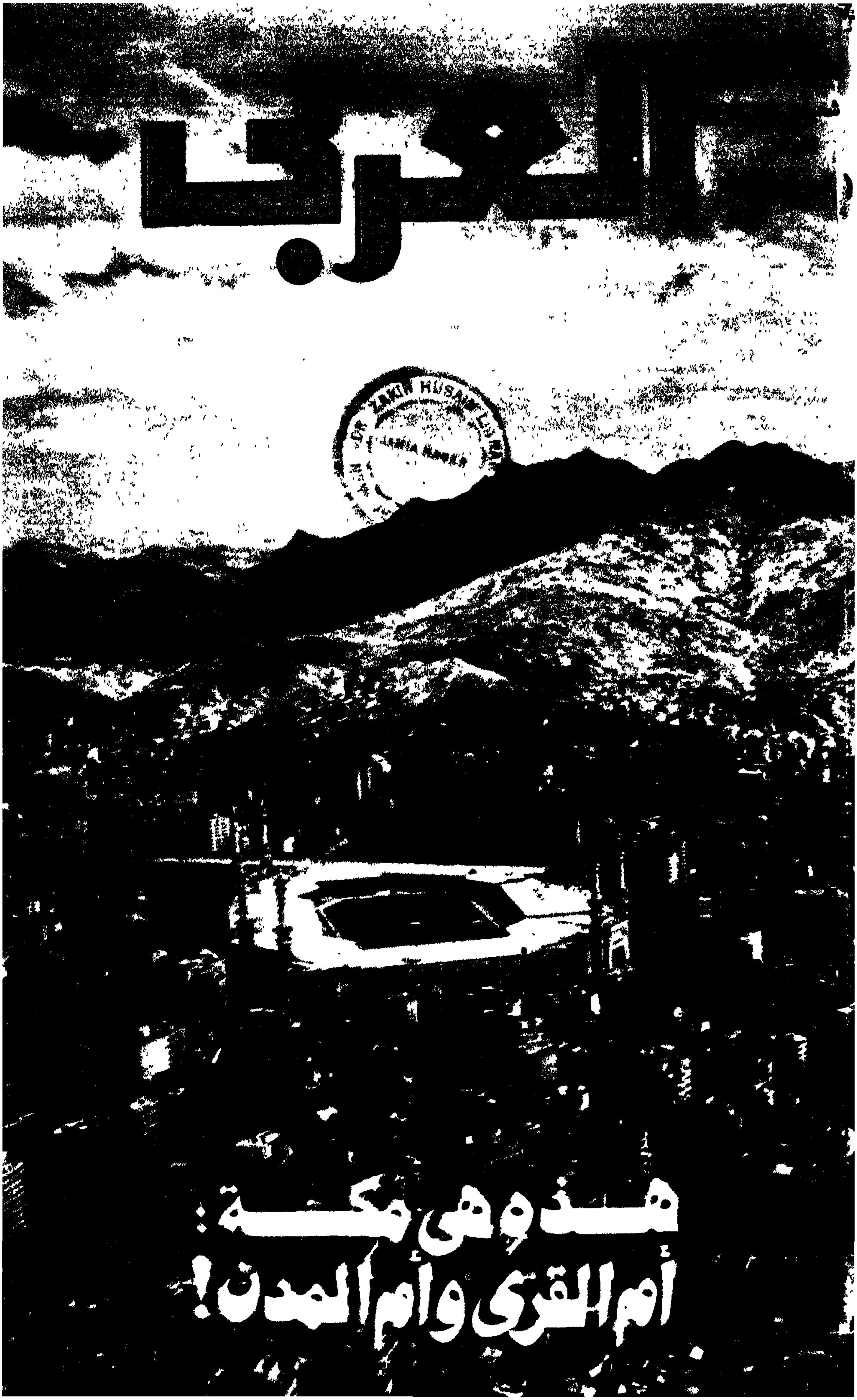
أول يولية ١٩٧٨

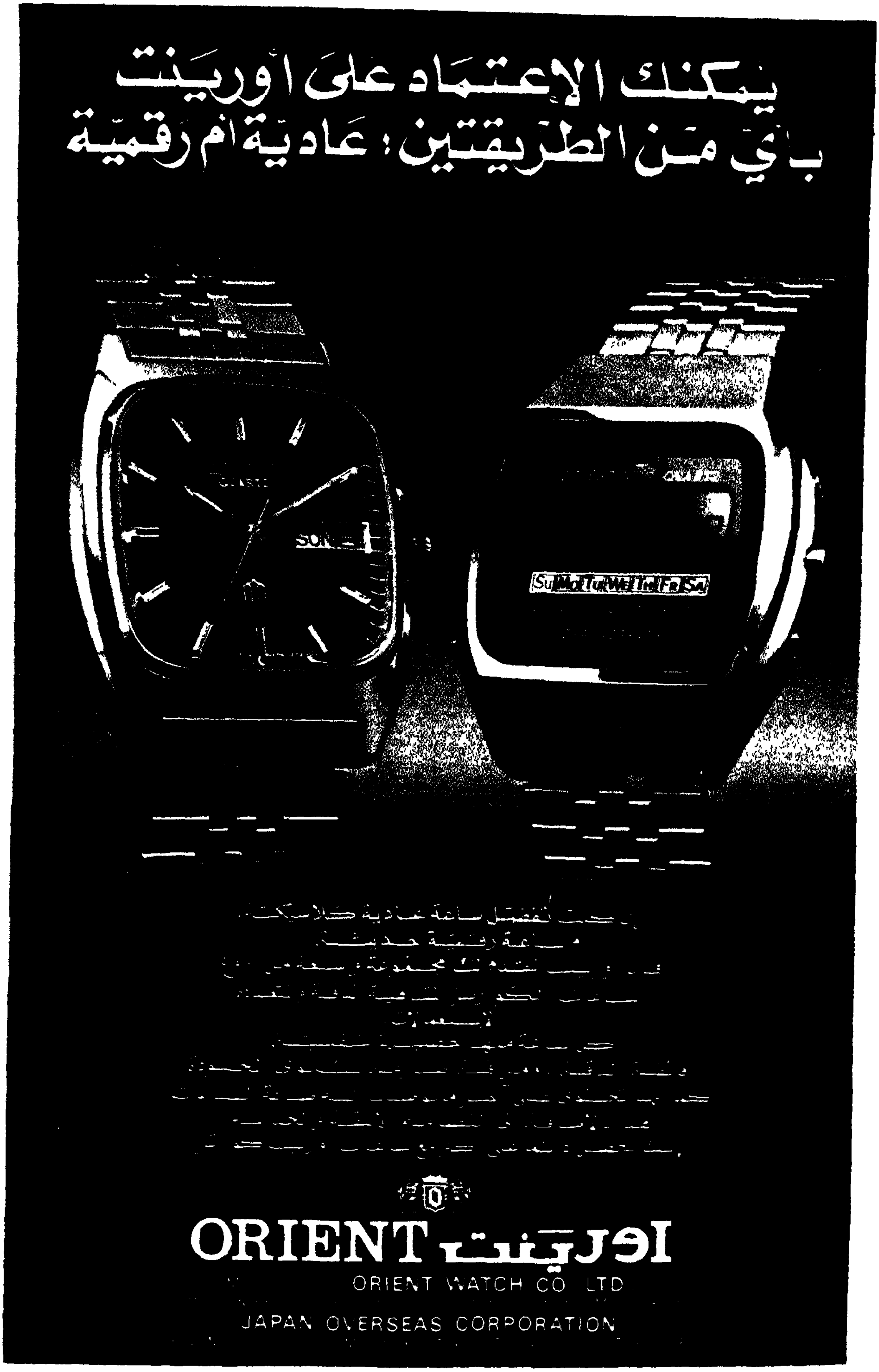
١٠٦/١

من المسرح الايرلندى - ١

القمر فى النهر الأصفر

تأليف : دنيس جونستون
ترجمة وتقديم : د. أحمد السيد النادى
مراجعة : د. على الراعى


العربي
هذه هي مكة:
أم القرى وأم المدن!


يمكنك الإعتماد على اوريَنت
بأي من الطريقتين: عادية ام رقمية
QUARTZ
SUN
Su Mo Tu We Th Fr Sa
ORIENT اوريَنت
ORIENT WATCH CO. LTD
JAPAN OVERSEAS CORPORATION

عزيزي القارئ

كان الشهر الذى مضى ، شهرا حزينا من شهور الحياة العربية ، فقد انفجرت فيه الاحداث المؤسفة بعنف متجدد فى لبنان ، وفى اليمن الشمالى واليمن الجنوبى على السواء • والمؤسف ان هذه الاحداث ليست جديدة ولا طارئة • فهى قائمة باسبابها ومبرراتها منذ سنوات وسنوات • ولكن انفجارا عنيفا او حادثا كبيرا يذكرنا بوجودها • فالحرب الاهلية فى لبنان مثلا لم تتوقف وما زالت تتوالى مضاعفاتها ، حتى صارت قراءتنا لاخبارها فى الصحف روتينا اعتدناه !

كما اعتدنا مسلسلات الاغتيالات !

وكما اعتدنا خلافات الحدود العربية !

واذا كانت الاحداث فاجعة ومؤلمة • فلعل لها فضيلة انها تذكرنا ان هذا الذى يجرى ليس « روتينا » • ولا يجوز ان تتبلد مشاعرنا نحوه بحكم تكراره واستمراره ، بل نعمل جاهدين على التعرض للجذور ، وحل القضايا من اسسها ، وعدم الاكتفاء بوضع الضمادات على جرح غائر ، ولا الاستسلام لفترات سكون تسبق العواصف الجائحة !

المحرر

العربي

رئيس التحرير : أحمد بهاء الدين

القسم العام :

■ حديث الشهر سولجنتسين ، ايضا .. بعد أن عاش في روسيا وعاش في امريكا .. يبحث عن طريق ثالث ! ـ أحمد بهاء الدين ٦

اسلاميات :

■ نحو ثورة روحية ترد الانفصام في حياة البشر ـ د . عون الشرف ١٤
■ دراسات قرآنية : طرح جديد لمواقف المعارضة ـ د . أحمد خلف الله ٣٧
■ للمناقشة البلاغ الاول ! ـ فهمي هويدي ٤٧

سياسة واقتصاد :

■ انماء العالم الثالث وتقدمه بين النموذج المضاد والنموذج المقيد ـ د . حسن صعب ٢٠

شخصيات :

■ جاليليو : الحقيقة والرمز ـ د . عبد العظيم أنيس ٣٠
■ ٣ وجود : (١) سعيد عبده : الطبيب والزجال والناقد المسرحي ـ د . على الراعي ٥٤
(٢) أحمد الصافي النجفي هكذا عرفته ـ د . فيصل دبدوب ٥٨
(٣) أبو حيان التوحيدي .. ضاحكا ! ـ يعقوب افرام منصور ٦٤
■ لقمان وامثالنا العربية ـ يوسف الشاروني ١١٤

تاريخ :

■ الوجدان اليهودي في مواجهة الذات الإلهية ـ حسين ذو الفقار صبري ٢٧
■ كولومبيا زهرة اوركيد وزمردة وحبة بن سمراء ـ د . شاكر مصطفى ٤٢

استطلاعات :

■ هذه هي مكة : أم القرى وأم المدن ! ـ مصطفى نبيل ٦٨
■ استطلاع الكويت :القديم والحديث في الكويت .. المستشفى الاميري بين عهدين وحضارتين ـ منير نصيف ١٢٢

عروبة :

■ أسواق القاهرة العربية ـ جمال الغيطاني ١٠٦

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

تصدرها وزارة الاعلام بحكومة الكويت

والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

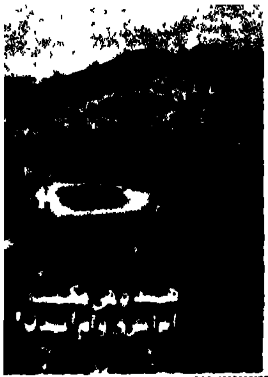
ALARABI — No. 237 August 1978 — P. O. Box 748 KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٤٢٧١٤١ تلغرافيا « العربي »

الاعـــــلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات

المراســـلات : تكون باسم رئيس التحرير

المجلة غير ملتزمة باعادة أى مادة تتلقاها للنشر



صورة الغلاف :

من مكة المكرمة بدأ التاريخ العربي والاسلامي عندما خرج النبي محمد عليه الصلاة والسلام برسالته الى البشرية جميعها ، وحول الكعبة تلتقي عيون المسلمين في انحاء الارض خمس مرات كل يوم ، واليها يحج المسلمون ، تجولت بين مقدساتها واستمعت الى اهلها ، ومشيت في دروبها ابحث عن كل اثر اسلامي وانقب عن كل حدث تاريخي (الاستطلاع على الصفحة ٦٨) .

طب وعلوم :

- حتى تتجنب امراض القلب : نم مبكرا وانهض مع العصافير ـ د . صبيحة الدباغ ١٨
- جبهة لتحرير الحيوان ! ـ سمير جيوسى ٥١
- انباء الطب والعلم : جهاز ناطق يسمع المكفوفين ما يريدون قراءته ـ اللوكيميا واحتمالات شفائها بالوصفات الشعبية ـ الانتورين يصلح علاجا لامراض القلب ـ يوسف زعبلاوى ٦٦
- لماذا الخلاف في صيامنا واعيادنا والعلم قادر على قياس الزمن لجزء من بليون من الثانية ؟! ـ د . عبد المحسن صالح ٩٦
- طبيب الاسرة : الصرع ـ اللولب كمانع للحمل ـ البهاق ـ المغص الكلوى واسبابه ١٢٨

تربية وعلم نفس :

- ذكاء طفلك بين الدراسة والبيت والمدرسة ـ د . نبيه غبرة ١٣٠

أدب وشعر :

- شعراء معروفون مجهولون ـ عبد الرزاق البصير ١٠٤
- فاض ـ (قصيدة)ـ عيسى العصفور ١١٣
- صفحة لغوية : الحال تاتى من كل الاسماء وما ينوب عنها ـ محمد خليفة التونسى ١٣٦
- قصة العدد : منديله ـ مجيد طوبيا ١٣٨

كتب :

- كتاب الشهر : البندقية وغصن الزيتون ـ للصحفى الانجليزى : دافيد هيرست ـ عرض وتقديم : روز مارى صايغ ١٤٥

فنون :

- تجربة من المغرب العربي : من فن النخبة الى فن الشارع ! ٨٨
- اول يوم في رمضان ـ كاريكاتير بريشة بهجت عثمان ٩٤

متنوعات :

- عزيزى القارىء ... ... ٣ ■ اقوال معاصرة ٤١
- حل مسابقة العدد (٢٣٤) ... ١٢١ ■ حوار القراء ١٤٢
- مسابقة العدد ... ... ١٥١ ■ نزهة العقل الذكى ١٥١

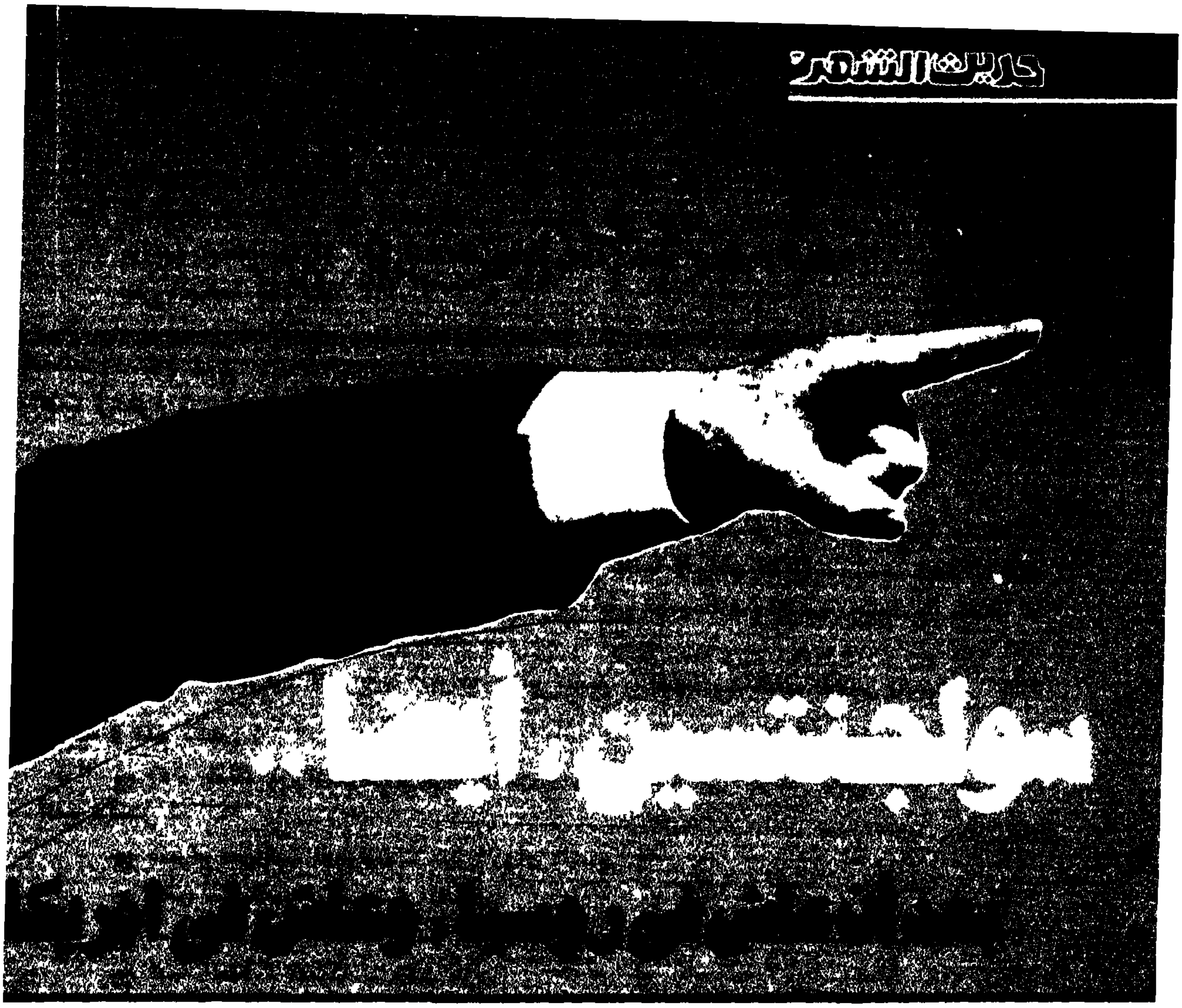
ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس ، الخليج العربي ريالان قطريان ، البحرين ٢٠٠ فلس بحريني ، العراق ١٢٠ فلسا ـ سوريا ١٠٠ قرش ، لبنان ١٠٠ قرش . الاردن ١٠٠ فلس . السعودية ريالان سعوديان . السودان ١٠ قروش . ج.م.ع ١٠ قروش . تونس ٢٥٠ مليما . الجزائر ٥ر٢ دينار . المغرب ٥ر٢ درهم . اليمن ٥ر٢ ريال . ليبيا ١٥٠ درهما . جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ٢٠٠ فلس .

الاشتراكات : يراجع طالب الاشتراك :

١ ـ الشركة العربية للتوزيع وعنوانها : ص . ب (٤٢٢٨) بيروت/لبنان .

٢ ـ مؤسسة توزيع الأخبار وعنوانها : ٧ شارع الصحافة/القاهرة/مصر .

« للمشتركين في جمهورية مصر العربية »

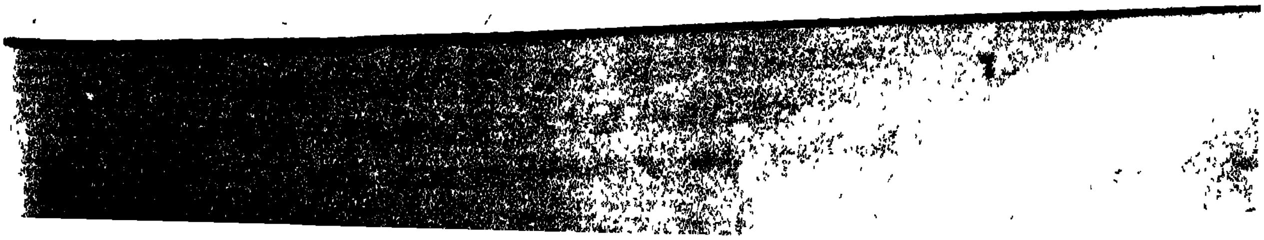


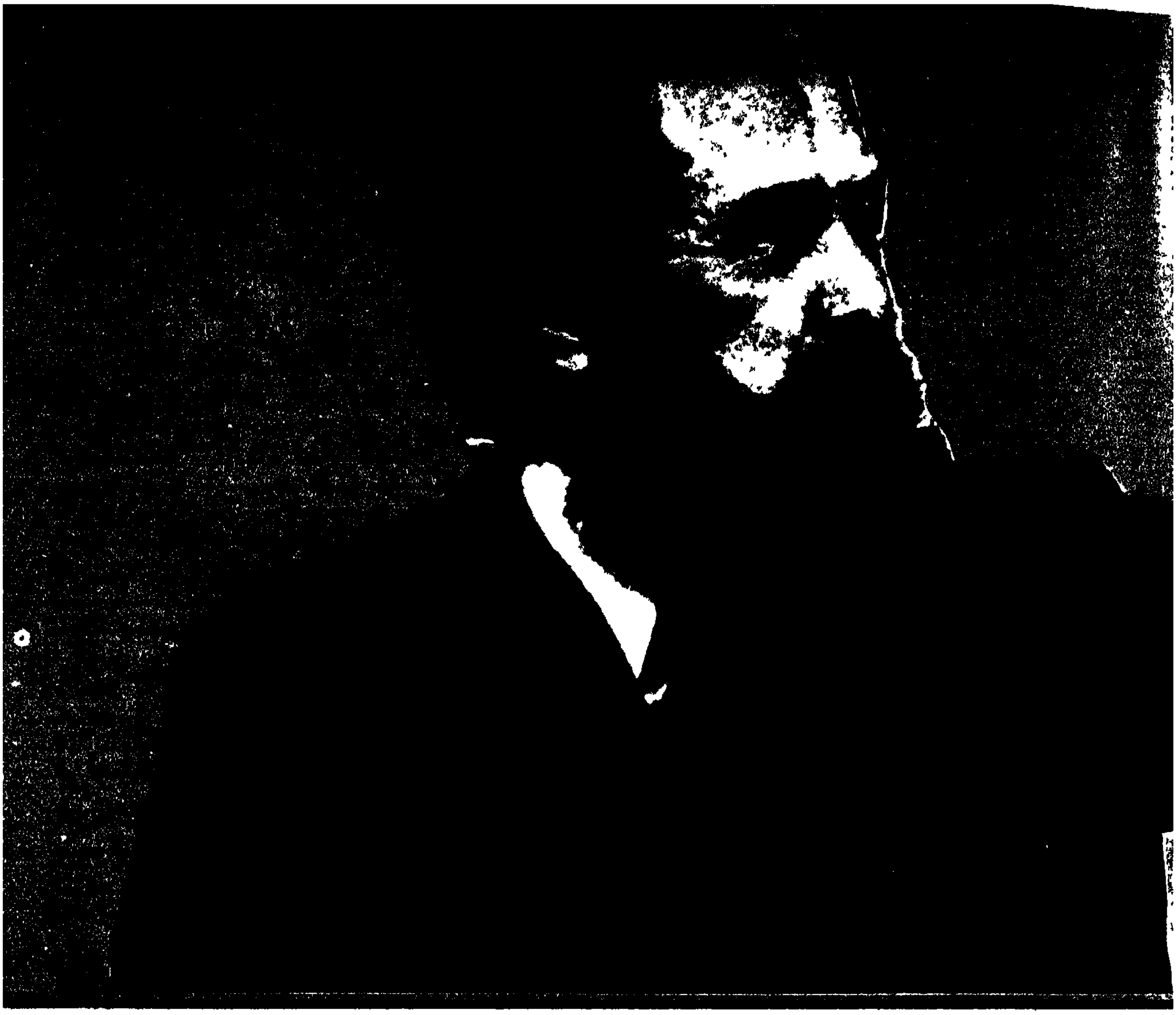
يبحث عن طريق ثالث !..

بقلم : أحمد بهاء الدين

● سولجنتسين ، الكاتب الروائي الاديب ، صـار ، رضي بعض النـاس او كره آخرون ، من علامات العصر الفنية والثقافية • وربما صار نموذجا ـ ضمن نماذج اخرى مختلفة ـ على حيرة الفنان في هذا العصر المضطرب الذى نعيشه • واذا قلنا حيرة الفنان ، فكأننا نقول حيرة العقل والضمير والفؤاد •••

فالكاتب المفكر ، او الفنان الحقيقي، يفترض فيه انه يحس ويرى ماقد لايراه





سولجنتسين وهو يلقى محاضرته فى هارفارد

ولا يحسه الاخرون • تماما كما نسمع ان القطط والجياد تحس بقدوم الزلازل قبل وقوعها بايام • بل قبل ان يحس بهـــا ويسجلها أدق جهاز « سيسموجراف » فى العالم • حدث هــذا قبل زلزال الصين منذسنة ، وقبل زلزال سالونيك فى اليونان قبل شهرين •

ذلك ان الكاتب المفكر الصادق ، او الفنان الموهوب ، من شانه أن يكون عاكفا باستمرار على تامل الحياة من حوله ،الامر الذى يمكنه من اختراق مظاهر الاشياء ، والنفاذ الى ما وراءها •

فقد يرى الكاتب فى مجتمع متخلف بذرة نمو وارتقاء • وقد يرى فى مجتمع متقدم حافل بالبريق ، بذور دمار وفناء•

ولكن الكتاب المفكرين ،والفنانين ،ليسوا انبياء • وقد تخطىء نبوءاتهم او حساباتهم • الا أن افكارهم عادة تنبهنا الى اشياء هامة ، قد لاتكون ظاهرة لكل العيون • وبذلك تنشط أذهاننا •

●

وحياة سولجنتسين حيــاة غريـــبة •فقد شب فى أول دولة شيوعية فى العالم



وهي روسيا التي صار اسمها، بكل انحائها الاتحاد السوفيتي، وقد عاش اسوأ واصعب مراحل الثورة . رأى عصر المجاعات وعصر ستالين باجراءاته البالغة العنف لتغيير حياة مائتي مليون نسمة وقلبها رأسا على عقب . وعاش جنديا طيلة اهوال الحرب العالمية الثانية وفظائعها . وتمرد ككاتب وفنان ومواطن على الدولة . وعرف حياة السجون . والمنافى ، ومستشفيات الامراض العقلية .

وقد اشتهر سولجنتسين فجأة حين نشرت اول رواية له في الغرب . ثم ظهر ان لديه كنزا من الروايات الضخمة . وترجمت اعماله الى كل اللغات . وصار رمزا للرافضين نظام الحكم والحياة فى الاتحاد السوفيتي . واعطاه العالم الغربى جائزة نوبل ، سواء لفنه او نكاية فى الاتحاد السوفيتي . ولكنه كان اول من قبلها ، بعكس بوريس باسترناك الذى رفضها قبله بسنوات لانه وجد فيها رائحة الاستغلال السياسى ، أو لأنه لم يجسر .

وكما نعرف ، فقد قررت السلطة في الاتحاد السوفيتي طرده نهائيا من البلاد . على اساس انه سيكون فى الخارج اقل ازعاجا لها من وجوده فى الداخل .

وفى الغرب قوبل مقابلة الابطال . وجمع الملايين من ايراد مؤلفاته . واستمر فى اصدار كتب يهاجم فيها النظام السوفيتي اشهرها « ارخبيل كولاج » . والارخبيل هو مجموعة الجزر المتناثرة فى البحر . وكولاج اسم أحد السجون فى الاتحاد السوفيتي . فهو يشبه انتشار السجون فى الاتحاد السوفيتي بانتشار الجزر فى البحر .

وقد استقر به المقام اخيرا فى الولايات المتحدة . ولاول مرة قبل درجة الدكتوراه الفخرية من كبرى جامعات امريكا ، جامعة هارفارد . وحين ذهب الى حفل استلام الدكتوراه الفخرية ، ووقف ليلقى الكلمة المعتادة فى مثل هذه المناسبة ، فوجىء الحاضرون بانه يلقي مرافعة يدين فيها المجتمع الغربي الرأسمالى كما عرفه ، دون ان يعدل عن موقفه من ادانة المجتمع الشيوعى فى الاتحاد السوفيتي .

وبحكم شهرة سولجنتسين ، وبحكم تجربته التي عاشها في الشرق والغرب ، صارت هذه المحاضرة وثيقة ترجمت الى كل اللغات ، وأثارت جدلا واسعا فى الغرب فهذه الروح القلقة التى جاءت الى جنة الغرب ، يعلن صاحبها انه لم يجد الجنة التى توقعها .

●

والمجال لايتسع هنا ، الا لترجمة بعض فقرات هذه الوثيقة . بما فيها من آراء ، قبل التعليق عليها ..

يقول سولجنتسين :

« ان الاسباب المؤدية الى انفجار عالمنا تبدو واضحة للعيان : وهي انقسامه الى قوتين عظميين تملك كل منهما قوة كافية لتدمير العالم . ولكننا تعودنا ان نقلل من هذا الخطر بتوهم ان الاتفاقات الدبلوماسية ، او التوازن بين القوتين ، يدرأ الخطر . هذا فى حين ان عالمنا تقسمه شروخ اكثر عمقا واكبر عددا مما يبدو .

« هناك ما يسمى « بالعالم الثالث » الامر الذى جعلنا نقسم الكرة الارضية الى ثلاثة عوالم . والواقع ان هناك اكثر من ثلاثة ، ولكننا لانتبين هذه العوالم جيدا .

لاننا بعيدون عنها جدا · فكل حضارةعريقة اصيلة دامت قرونا طويلة،واتسعت حتىشملت مساحة واسعة نسبيا منالارض،هى فى الواقع عالم قائم بذاته ، ملىء بالألغاز وبالمفاجآت التى لا تخطر «للعقلالغربى » ·

« تلك مثلا هى حالة الصين ، وحالةالهند ، وحالة العالم الاسلامى ، خصوصا اذا حسبنا امتداداته فى افريقيا ، وتلككانت ، لمدة الف سنة ، حالة روسيا ·فلأن العقل الغربى رفض وباستمرار الاعترافباصالة وخصوصية «روسيا» ، فقد فوجىء بما حدث فيها ، ولم يفهمها ابدا ،لا قبلالثورة الشيوعية ، ولاحتى فى يومنا هذا· واذا كانت اليابان تعطينا نموذجا عنمجتمع غريب بعيد ، لكنه انضوى بسرعة تحت عالم الغرب ، وهذا مالست متاكدامنه بعد ، فان دولة اخرى مثل اسرائيل، تعطينا نموذجا على انه رغم ان كلمظاهرحياتها غربية ، الا ان هناك فارقا حاسما بينها وبين الغرب ، فنظامها السياسىيقوم اساسا على الدين »

ويضرب سولجنتسين مثلا على «قصرنظر » الغرب ·· بانه حتى وقت قريب جدا · كان هذا « الغرب » ليس سوىقطعة صغيرة من اوروبا · وكان يفتح المستعمرات ، ويحتل بلادا شاسعة ، حتىاختفت الحدود بالنسبة له · وظن هذا « الغرب الصغير » الذى يحكم العالم انانتصاره نهائى ، وان تفوقه يثبت تفوق الانسان وحريته وقوته · ولكن فجاة ،وفىاقل من نصف قرن ، انقلبت الآية : طرد الغزاة من العالم تقريبا وبعد فترة قصيرةفى عمر التاريخ الانسانى · وانقلبت العلاقة بين الغزاة وبين مستعمراتهمالقديمة · فالمستعمرات القديمة تحمل « فواتير » ضخمة تطالب اليوم بسدادها،ولايدرىاحد هلسيقوىأحد علىسدادهافى اى يوم ·

« ولكن «العمى» الغربى مستمر ·ووهم التفوق لدى الغربيين قائم : فهم يركنون اساسا الى ان اى دولة فى العالمسوف يكتب لها التقدم ، لن يتحقق لها ذلك الا بانتهاج النظم الغربية ، اىالبرلمانية وتعدد الاحزاب وما الى ذلك · وان المسالة انما هى مسالة وقت فحسب ·يعرقل هذا التطور حينا حكومات فاسدة، او اضطرابات داخلية · وبالتالى فما زالالغرب يقيس درجة تقدم كل بلد بدرجة اقترابه من الحياة الغربية · فى حين انهذا ينطوى على نقص خطير فى ذهنية الغرب،فهو لايرى ولا يدرك ماهو جوهرى،جذرى فى هذه « العوالم الاخرى » ·

« وهناك وهم آخر سائد · هو انالقوتان الاعظم : امريكا والاتحاد السوفيتى ، سوف يتقاربان بحكم *التقدمالصناعى والتطور العلمى* · فى حين اننى اولا أرى العكس · فلا يمكن لاحدهماتطوير نظام الاخر الا بالقوة ، ثم ان تقاربهما وتمازجهما ليس خيرا ، لانهكما سينشر مزايا الاثنين ، فانه سينشر ايضا عيوبهما ·

« ولو كنت القى خطابى هذا فىبلادى روسيا ـ يستطرد سولجنتسين ـ

لركزت على عيوب الشرق ، ولكن لانني اعيش في الغرب منذ اربع سنوات،واخاطب جمهورا غربيا ، فانني لابد ان اركز على ماارى انه عيوب الغرب ونواقصه ، فيما يتعلق بهذا الانفجار العالمي الذى يتهددنا»٠

ثم يمضى سولجنتسين فى شرح نقاط الضعف التى يراها فى العالم الغربي المتقدم ٠قد يمكن ايجازها اذا وضعناها تحت عناوين محددة ٠

فقدان الشجاعة

يتحدث الكاتب الروائى طويلا عما يسميه فقدان الشجاعة ليس فقط لدى العالم الغربى ككل ، بل وكل دولة على حدة ، بل وخصوصا الدوائر الحاكمة والمثقفين ٠٠

فالسياسة الغربية طابعها الضعف والتردد ، والساسة انفسهم طابعهم عدم القدرة على اتخاذ مواقف المواجهة التى تنطوى على خطر ، والمثقفون يبررون هذا، ويضعفون امام حجج الاطراف الاخرى٠٠ولكن فقدان الشجاعة ، ازاء من ؟

انه هنا لايسمى طرفا ٠ بل يكتفى بكلمة عائمة واحدة هى : ازاء الارهاب ! وهو بالتاكيد لايقصد الارهاب بمعناه الشائع من خطف طائرات ،واغتيال سياسيين٠٠٠ ولكن الذى يبدو من السياق العام للحديث انه يقصد تردد الغرب فى مواجهة الاتحاد السوفيتى ،ولكنه لايريد ان يقع فى خطيئة التحريض على تدمير بلاده،وفى اخماد حركات التحرر فى العالم الثالث،لانه بذلك يناقض نفسه فى اول الحديث ٠

انعدام روح التضحية

وفى نفس المجال يتحدث عن انعدام روح التضحية ، وعدم الرغبة فى الموت ، يطرح سولجنتسين ملاحظة ذكية حين يقول :يجب ان يتذكر « الغرب » انه لم يكسب حربا واحدة خلال القرن العشرين ٠٠٠الا بمساعدة طرف آخر ٠٠٠

ففى الحرب العالمية الاولى ، استعان بروسيا القيصرية التى لم تكن من الغرب لانظاما ولاحضارة ٠ وفى الحرب العالمية الثانية ،استسهل الغرب تسليح عدوه اللدود ، الاتحاد السوفيتى ، حتى الاسنان ليدمر هتلر ٠ فكانت النتيجة انه اعطى الاتحاد السوفيتى نصف اوروبا ٠ فى حين ان الغرب كان بامكانه هزيمة المانيا بمفرده ، لو كانت لديه روح الاستعداد للموت فى سبيل قضية اسمى ٠ وقد تخلص الغرب من هتلر ولكنه وجد امامه خصما اقوى واخطر بما لايقاس !

ويهاجم – فى الطريق – دعاة السلام فى فيتنام ، ويتهمهم بروح التخاذل التى جعلت امريكا تقبل الهزيمة على يد ٠٠فيتنام !

ويقول :والان،نجد ان مخططى السياسة فى الغرب ، رغم ان الغرب اقوى ،الا انهم حين يفكرون فى احتمال الحرب مع الاتحاد السوفيتى ، يحاولون الاستعانة ايضا بطرف آخر ، يضحى بدلهم ، وهو : الصين !



سولجنتين

بريشة الرسام الفرنسي « تيم »

ويقول : تصوروا لو سلحت امريكاالصين حتى تحارب لها ـ او معها ـ ضد روسيا ستكون قد استبدلت بدولة من ٢٥٠ مليون شيوعي دولة مدججة بالسلاح من ١٠٠٠ مليون شيوعي !

وذلك كله لان « الغربي » فقد روح الشجاعة ،والتضحية ،والقبول بالموت طلبا حياة اعلى !

الترف المادى

ويرجع سولجنتسين هذه الحالة التي تسود الغرب وتهدد بانهياره الى امرين :

الامر الاول ،هو ان العالم الغربي ،منذ انتهاء العصور الوسطي وبدء عصر النهضة ، اخذ يهجر الدين ،ويتمرد علي القيم الروحية ويحط من شأنها ، ويجعل القيم المادية هى اساس حياته ، ومحور افكاره ، وبرهان تقدمه، ومصدر سعادته.

الرفاهية المادية في كل شيء . طموح الفرد مادى . وعود الزعماء ماديــة . ثقافة الاذاعة والصحافة والتلفزيون مادية. مادة اكثر واستهلاك اكثر ومقتنيات اكثر.

هذا التفكير المادى المطلـق ـ يقـول سولجنتسين ـ يلتقي فيه الشرق والغرب. فاذا كان الشرق فى رأيه ماديا وملحدا رسميا وبحكم فلسفة الدولة ، فالغرب يصل الى نفس النتيجة عن طريق آخر ..طريق الانغماس فى المصلحة والمادة وحب الاقتناء والاستهلاك !!

وحضارة شأنهـا البحث عـن اللذة، والاستمتاع ،والمزيد من الرخاء ،لايمكن الا ان تكون حضارة شائخة ، خائفة، تهاب الموت وتكره التضحية ،فهى تتنازل امام خصومها خطوة بعد خطوة ، طلبا للسلامة!

الحق والواجب

والسبب الرابع الذى يسوقه سولجنتسين لهذا الذى يسميه « فقدان الشجاعة » فى مجتمع الغرب، هو نوع فهم هذا المجتمع للقانون! انه يرى ان التزام القانون شيء عظيم. وهو اكثر مايفخـر به الغـرب . ولكن المجتمع بحكم ماديته وانعدام الروحانية فيه قد اخذ يمط فى القانون حتى آخره. والقانون يحمى المحسن ولكنه صار يحمي المسيء ايضا! وانعدم فيه التوازن بـين حرية المحسن وحرية المسيء . وضعفت الدولة الى حد بعيد . وصارت سيطرتها على المجتمع معدومة .فاذا اراد رئيس دولة وضع سياسة للمحافظة على الطاقة، لم يتمكن . فلا الفـرد يستجيب لنـداء الواجب ويضحي ببعض ترفه، ولا الشركات الكبرى ذات القوة الهائلة ترعى المصلحة العامة .. ولها محاموها الذين يجدون الف ثغرة فى اى قانون، وحماتها بين رجال السياسة واعضاء الكونجرس، وعملاؤهـا فى جهاز الدولة نفسه .

وهذا يجعل الساسة يتنافسون فى ارضاء الشركات والافراد حتى يفوزوا بالمناصب. ومن يصل الـى المنصب يصـل مقصوص الجناح .لم يعد هناك مكان فى الغرب لرجال تاريخيين، وزعماء اقوى من القوانين. بحيث يستطيعون قيادة مجتمعاتهم الـى اهداف اعلى وتضحيات من نوع ما ! راح عهد هؤلاء الزعماء التاريخيين فى الغرب ولم يعد فى دنيا الغرب واحد منهم !

وما يقول به سولجنتسين هنا رد فعل ملفت للنظر من رجل عاش تحت نظام يقول انه « لاقانون فيه » ولاحقوق للفرد فيه ، ازاء مجتمع كل الحقوق فيه للفرد.

ويقول انه مالم يعد الغرب الى فكرة « الواجب » في مقابل « الحق » فان الميزان لن ينعدل ، والوضع سوى يهترىء وينهار ٠

وينتقد القول بأن الانسان هو الغاية وسعادته هي الهدف ٠ ذلك لان الانسان مخلوق ناقص ٠ فيه مزايا وصفات ، ولكن فيه غرائز وله اطماع ، ومليء بالعيوب ٠ فلو اعفيناه من اى سلطة روحية اعلى ، تتحول الدنيا الى غابة يحميها القانون !

الصحافة والثقافة

ويشن سولجنتسين حملة هائلة علـــى الصحافة والاذاعة والتلفزيون ، انها ايضا في سبيل المادة فقط تبحث عن الاثارة في الدرجة الاولى ٠ فسرقة اسرار البنتاجون ونشرها مقبولان ٠ والصحافة الجنسيـة الصارخة مقبولة ٠ وحوادث النصب والسرقة والقتل والاغتصاب تتصدر الانباء ٠ وهي محور الافلام في السينما والمسلسلات في التلفزيون ٠ ونشر ادق خصائص حيـاة الاشخاص مقبول ، لانه «من حق كل فرد ان يعرف» ، دون اعتبار لحق كل فرد فى ان يحيا حياته الخاصة به فى هدوء ٠

بل انه يقول : كما ان هناك حـــق المعرفة ، فهناك حق الانسان في ان لايعرف انه ـ شخصيا ـ لايريد ان يعرف معظم الفضائح والحوادث التى تطارده عبر كل وسائل الاعلام دون رحمة ٠ انها تشتت ذهنه ، تمزق روحه ٠ فما البال باثر هذا على الشباب ، الذى يخرج ويتـصور ان الدنيا هكذا ، كما يراها فى مرآة الاعلام المشوهة ؟

●

ويختتم سولجنتسين معاضرتـه ، او « قنبلته العنقودية » بقناعاته الاساسية :

● انه يكره الاشتراكية والشيوعيـة والسوفيتية ، ولكنه لو سئل لما رشح حياة الغرب ـ كما هي ـ بديلا لنظام بلاده !

● ان الغرب كما هو الان فاقد لصحته الداخلية ٠ مهما اخفت ذلك مظاهر القوة والرخاء ٠٠٠

● ان اقصى ما تعمل له سياسة الغرب هي ابقاء الواقع كما هو ، فهو ينحدر اكثر فاكثر الى المحافظة ٠٠ ناسيا ان غيره يتغير ٠ كانت البحار ـ مثلا ملكا له ٠٠ واليوم ملأت الأساطيل المعادية البحار السبعة !

ان فلسفة الغرب المادية تعتبر أن الانسان خلق للسعادة ، بالتالى فان كل شيء يجب أن يكون لمصلحة الفرد ٠ ولكن الانسان كما خلق للحياة ، فقد خلق أيضا للموت!

وبالتالى فلابد له من الايمان ٠٠ الايمان بالله وبالقيم الروحية والمعنوية ٠٠ وبأن رسالة الانسان هى الارتقاء الى « قيـم اعلى » وليس مجرد اقتناء اكثر ٠

● وقد خرج من وطن ملحد رسميا ، فاذا به يجد نفسه في عالم ملحد واقعيا !

●

٠٠ وبعد فلا شك ان القارىء قد وجد فى كلام سولجنتسين اختلافا كثيرا ٠ ولكن هذا هو سولجنتسين فى كل اعماله ٠

تارة هو حالم كبير ! وتارة فنـــان موهوب ! وتارة مجذوب !

ولكن حيرته تعلمنا درسا أساسيا : الكيانات الحضارية القديمـة عليهـا ان تعثر على ذاتها ، وعلى طريقها للتطـور والتقدم فى نفس الوقت ٠ مستفيدة بكل التجارب ، لا مقلدة ! أصيلة لا تابعة ! ■■

احمد بهاء الدين ٠

الحيوان موجود فينا بالفعل ، والانسان كامن فينا بالقوة ، ولكى يخرج ما هو كامن بالقوة ، لابد من الفعل »

نحو ثورة روحية ترد الانفصام فى حياة البشر

بقلم :
الدكتور عون الشريف قاسم
جمهورية السودان الديمقراطية

■ صنف العلماء الاشياء على الارض الى جماد ونبات وحيوان ولكنهم اختلفوا فى تصنيف الانسان وتحديد منزلته من الحيوان • فان فى الانسان رغم حيوانيته من ملكات العقل والروح والوجدان ما يكاد أن يجعل منه صنفا رابعا متميزا عن بقية الاصناف الثلاثة المعهودة • وهو فى ذلك اشدها الغازا واعسرها احاطة• ولتعقد الظاهرة الانسانية وخفاء معظم أسرارها عن عيون الباحثين وعقولهم كانت الدراسات الانسانية عامة اقرب الى الاجتهادات الفردية ووجهات النظر منها الى العلم التجريبى المحكوم بمعايير التجربة المعملية التى فجرت ينابيع المعرفة الكونية فى كل مجالات العلوم الطبيعية مما هو مشاهد فى عالمنا المعاصر • والناظر فى العلوم الانسانية البحتة كعلم النفس وعلم الانسان وعلم الاجتماع وما اليها كعلم الاقتصاد مثلا يجد هذا الاختلاف فى وجهات النظر بعيدا وعميقا •

ويكفى أن نلحظ هذا الاختلاف فى التعريفات الكثيرة التى سعى بها العلماء والمفكرون منذ القدم لتقييد الظاهرة الانسانية وتحديدها فمنهم من ذهب الى أن الانسان حيوان ناطق ، ومنهم من قال انه حيوان اجتماعى ، ومنهم من قال انه حيوان ذو تاريخ ، ومنهم من قال انه حيوان عاقل، وكل ذلك لا يفرد الانسان افرادا مطلقا عن غيره من الحيوان • فان كثيرا من الحيوان لا يعتمد على الغريزة وحدها فى معركة البقاء وانما يتمتع بقدر من الذكاء يتفاوت بتفاوت الانواع • ويبلغ درجة كبيرة فى بعض أنواع القرود العليا كما دلت التجارب العلمية فى السنوات الاخيرة• وقد اوضحت الدراسات التى اجريت على النمل والنحل وغيرهما من الحشرات وبعض الحيوانات ان اجتماعية الانسان تبدو بدائية ومتخلفة بالمقارنة بما وصلت اليه حياة بعض المخلوقات الدنيا التى تضبط الغريزة نظامها ضبطا هندسيا لا يتخلف فيه فرد من افرادها عن موقعه او وظيفته• ولا أمل للانسان فى بلوغ مرتبة انضباط مملكة النمل او النحل الا بتضحية عظيمة بجزء كبير من قدراته العقلية والشعورية ليصبح التحكم الآلى هو المعيار الذى تدار به دفة الحياة ، كما تكهن بذلك الاديب المتصوف الدوس هكسلى فى كتابه المشهور عن (العالم الجديد الشجاع) فتقوم

الآلة والحاسب الالكتروني من الانسان مقام الفريزة من الحشرات والحيوان ، وعندها لا يصبح الانسان انسانا وانما يتحول الى ضرب من السلوك الفريزي الآلي بعيد كل البعد عن ماهية الانسان كما يعرفها هو حتى الان .

استخراج الانسان من الحيوان !

وكل ذلك يشير الى غموض هذه الماهية الانسانية واختلافها الكبير عما يحيط بها من جماد ونبات وحيوان رغم التقائها في كثير من الصفات بالوان النبات والجماد والحيوان واعتمادها عليها الاعتماد الكلي في معركة الحياة . ولعل سر الانسان يكمن في هذه الطبيعة المتارجحة بين المتناقضات في نفسه وفي الكون من حوله . فهو على الدوام وسط بين النقيضين اذ قد ينحدر في لحظة من حياته الى مستوى الابالسة وقد يرتقي في لحظة اخرى الى مرتبة الملائكة ولكنه في كلا الحالين لا يستقر لفترة طويلة في مقامه ذاك وانما يرتد في معظم الاحوال الى مرتبة وسط بين الطرفين تقرب من احدهما او تبعد باختلاف الظروف والملابسات .

ومن ثم ندرك ان انسانية الانسان ليست كما ثابتا على الدوام وانما هي قيمة متارجحة تزيد وتنقص بمقدار الجهد المبذول لاحداث التوازن بين الطرفين المتناقضين في الحياة وفي الوجود . على هذا يمكننا القول بان الانسان كانسان امر طارىء على الطبيعة ولا بد لوجوده من جهد يبذل على مستوى الفرد والجماعة لاستخراج جوهره الفرد من بين عناصر الحيوان الكامنة في اصل فطرته . فكما اننا محتاجون لبذل كثير من الجهد العقلي والجسدي لاستخراج خيرات الارض والوجود من حولنا وتحويلها عن طريق الصناعة الى اشياء مفيدة لحياتنا بمزج العناصر وتكوين المركبات وما اليها من العمليات الطبيعية والصناعية ، فاننا محتاجون الى بذل جهد اكبر لاستخراج الانسان فينا من براثن الحيوان الكامن في اصل فطرتنا . وبعبارة فلسفية الحيوان موجود فينا بالفعل والانسان كامن فينا بالقوة ، ولكي يخرج ما هو كامن بالقوة لا بد من الفعل .

ومن هنا ندرك ان الانسان ليس جاهزا بالطبع وانما هو وليد المعاناة والمجاهدة والنضال والصراع فكانما الانسان مركب اعلى يخلق خلقا بالمران والرياضة والتربية والممارسة وهو في ذلك امكانية كامنة تخرج الى حيز الوجود بمقدار ما يبذل فيها من جهد وعلى هذا تتفاوت اقدار الناس في سلم الانسانية . فحيث لا يبذل جهد لتشذيب الطبيعة والارتقاء بها يخلد الانسان الى الارض ويلتصق بالحيوان وقد دلنا المولى سبحانه وتعالى على ذلك في قوله الكريم (واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين . ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه اخلد الى الارض واتبع هواه ، فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا باياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون) صدق الله العظيم .

والانسان انسان بتغلبه على نوازع الحيوان فيه وبنجاحه في انتزاع الانسان الكامن في عمق اعماقه . ولا يتأتى ذلك بالاستجابة العفوية لغرائزه وشهواته ورغباته كما يفعل الحيوان لانه بذلك لا يتصرف تصرف الحيوان الذي تحكم استجابته الفريزة في معظم الاحوال ، بل يهبط الى درك اسفل من الحيوان . فان الحيوان محكوم في الغالب الاعم بفطرة كامنة فيه تضبط تصرفاته وتحدد استجابته وتقف به عند الحدود اللازمة لتامين حياته . ورغم اشتراك الانسان مع الحيوان في هذا الجانب الفريزي من حياة النوع الا ان الجانب الواعي الذي يتحكم في كثير من تصرفات الانسان الفريزية يكاد يفوق الجانب الفريزي البحت . ولهذا السبب كاد الانسان ان ينفرد من بين جميع الحيوانات بافراطه في تلبية رغباته الحسية بالقدر الذي يتجاوز الحدود اللازمة لبقاء النوع ويؤدي الى التهلكة كما هو مشاهد في الاغراق في ملذات الحس من اكل وشرب وجنس . فان الانسان في كثير من الاحوال لا يقف عند حدود الاستجابة الفريزية في تحقيق كثير من متطلباته الحيوية بل يندفع بارادة واعية منه للاغراق في ذلك بما يفوق قدرات احتماله فيسقط صريع البطنة او الادمان على الخمر او التهتك في المجون والجنس وما اليها من تجاوزات لا يشاركه فيها كثير من الحيوان .

مملكة التعلم والتفكير

ومن ثم فان الانسان محتاج الى كبح عواطفه والجام غرائزه اكثر من الحيوان الذى تكفل الله احسن الخالقين بامره فاودعه نظاما آليا غريزيا مغروسا فى اصل فطرته هو الذى يتحكم فى ضبط معظم تصرفاته ومن ثم ظل الخروف خروفا على توالى الدهور والازمان لا فرق فى ذلك بين خروف وآخر الا بعلامات شكلية يميز الناس بها الخراف ولكنها جميعا سواسية فى الطبيعة والتصرف . وكما تسوى الغريزة بين اصناف الحيوان والحشرات وتسمها بصفات لازمة لا تكاد تتبدل بين افراد الجنس الواحد ، فان عنصر الوعى فى الانسان يميزه عن بقية الحيوان ، ويميز الانسان عن الانسان بحيث لا تكاد تجد شخصيتين انسانيتين متطابقتين كل التطابق فى جميع الصفات والسمات ، ولهذا السبب أمكن تمييز أفراد الجنس البشرى بالشخصيات والاسماء والالقاب . وهذا الوعى الذى يصبح به الانسان انسانا ملكات متعددة متشابكة غايتها بلوغ مرتبة التوازن بين المتناقضات فى كيان الانسان والارتفاع به الى منزلة خلافة الله فى الارض التى رسمها الله سبحانه وتعالى لادم حين خلقه وذلك هى قوله تعالى فى سورة البقرة (٣٠) (واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الارض خليفة قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال انى أعلم ما لا تعلمون) . وقد جعل الله تبارك وتعالى أهم خصائص هذه الخلافة ملكة العلم التى حبا بها آدم وفضله بها على كثير ممن خلق واسجد له من أجلها الملائكة كما جاء فى قوله الكريم فى سورة البقرة (٣١ - ٣٤) (وعلم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال انبئونى باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين . قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك أنت العليم الحكيم . قال يا آدم انبئهم باسمائهم فلما انباهم باسمائهم قال الم اقل لكم انى اعلم غيب السموات والارض واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون . واذ قلنا للملائكة اسجدوا فسجدوا الا بليس ابى واستكبر وكان من الكافرين) . صدق الله العظيم .

وقد كانت ملكة التعلم والتفكر هذه سبيلا الى تطور الانسان تطورا ذاتيا فى استقلال عن قبضة الطبيعة المباشرة التى سخرها الله سبحانه وتعالى بارادته الواعية وقد سمى الله سبحانه وتعالى هذه المسئولية المصيرية بالامانة وذلك فى قوله تعالى لخدمة الانسان ، وبذلك تحمل مسئولية مصيره فى سورة الاحزاب (٧٢) (انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان .انه كان ظلوما جهولا) . ومعيار الوفاء بهذه الامانة الانسجام مع نواميس الله فى الكون بالخضوع لاحكامه والتزام اوامره واجتباب نواهيه .

وهذا الانسجام مع الكون هو فطرة الله فى خلقه المعبر عنها بالعبادة اى الاقرار بالعبودية لله سبحانه وتعالى خالق العالمين والسعى لاطاعته بسلوك سننه فى الخلق لان تلك وظيفة الخلق التى خلقهم الله سبحانه وتعالى لتحقيقها كما جاء فى قوله جل وعلا (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) .

جزء من الطبيعة والكون

والانسان رغم اختلافه عما يحيط به من نبات وحيوان وجماد جزء لا يتجزأ من الطبيعة ومن الكون . وما دامت الطبيعة تسير وفق قوانين محددة تضمن انسجام الكون وتحقق انتظام حركته فان الانسان محكوم بداهة بقوانين مماثلة تضمن انتظام حركته فى المجتمع وانسجامه مع الطبيعة والكون . والفرق بين الانسان وغيره من ظواهر الطبيعة الاخرى فى هذا المجال ان الالتزام بقوانين الله فى الكون مغروس فى أصل المخلوقات بالضرورة والطبع فهى تطيع الله بالفطرة وتعبده بلسان الحال وان لم تفعل ذلك بلسان المقال . ورغم أن الانسان مفطور على العبادة الا ان الله اختصه بنعمة الحرية حين ارتضى حمل الامانة فهو مخير بين الايمان والكفر . (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) . هذا فى حين ان الكون كله يعبد الله بالضرورة (وان من شىء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم) الاسراء ٤٤ (يسبح له ما فى السموات ومافى الارض له الملك وله الحمد) التغابن ١ (ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته) الرعد ١٣ (وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير) الانبياء

٧٩ . (الم تر ان الله يسجد له من فى السموات ومن فى الارض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب) الحج ١٨ .

فكانما تحصيل الانسجام مع الكون الذى يحققه معظم الوجود بالطبع والضرورة يحققه الانسان بالعمل والجهد والمشقة والى هذا تشير كثير من آيات القرآن الكريم (لقد خلقنا الانسان فى كبد) البلد ٤ (يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه) الانشقاق ٦ . والانسان حين يصل بعد كل هذا الكدح الى مرتبة التوازن والانسجام مع الكون لا يحقق امرا غريبا عنه بل يرجع الى اصل فطرته التى فطره الله عليها . فان الله فى سابق علمه لم يترك الانسان نهبا للحيرة والتخبط دون هداية بل دله على سبيل الرشاد وهو فى عالم الذر واخذ منه موثقا على ذلك كما جاء فى قوله الكريم فى سورة الاعراف (١٧٢) (واذ اخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى شهدنا ان تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين) .

فالانسان مفطور على التدين لان الدين فى جوهره وسيلة الانسان لتحقيق هذا الانسجام مع الكون وخالق الكون وفى ذلك يقول الله سبحانه وتعالى فى سورة الروم ٣٠ (فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون) . وبهذا اصبح التدين قمة الوعى الانسانى الذى يفتح افاق الوعى الكونى ويحقق التوافق بين الفرد فى دخيلة نفسه وفى مجتمعه وفى الكون المحيط به . وكلما رسخ هذا الوعى الكونى فى ضمير الانسان ووجدانه كان اقرب الى تحقيق ذاته واكثر استعدادا لاستكمال انسانيته فان الانسان جزء من كل ولا اصلاح للجزء الا بوضعه موضعه الصحيح من الكل .

الانسان حيوان عابد

والدين فى حقيقته تعبير عن هذه العلاقات الكونية المتشابكة بين الجزء والكل التى تصل بين الفرد ونفسه وبينه وبين مجتمعه وبينه وبين الطبيعة والكون وبينه وبين خالق الكون فيتم التناسق والانسجام بين الفرد والوجود وذلك الدين القيم الذى يرتكز عليه نظام الكون ، سواء كان ذلك فى شكله المادى القائم على قوانين الطبيعة او فى شكله المعنوى القائم على قوانين الاجتماع البشرى. ولن يتحقق هذا التكامل بين الانسان والكون الا بنظرة شاملة للوجود ولما وراء الوجود تضع الانسان موضعه الصحيح من هذا النظام الالهى اللامتناهى الذى ان ادرك الانسان جزءا محدودا منه فمعظمه غيب عنه فى علم الله خالق العالمين .

وهذا الغيب الذى يشكل الجزء الاعظم من هذا الكون الذى نعيش فيه فى هذه الحياة الدنيا ويشمل كل الوان الحياة الابدية فى العالم الاخر ، امر بعيد عن عقولنا وادراكنا لانه لا يخضع فى معظمه لتجاربنا ولا تتاتى لنا معرفته الا بفيض من الله، ولهذا السبب اودع الله الايمان بهذا النظام المتكامل فى الدنيا وفى الاخرة فى اصل فطرتنا ورعى هذه الفطرة بالهداية والعناية منذ ان دب الوعى الانسانى على الارض . والله سبحانه وتعالى يقول فى سوره البقرة ٣٨ (قلنا اهبطوا منها جميعا فاما ياتيكم من هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) . وهدى الله تبيان لكل ما غاب عن علمنا من علاقات الوجود اللازمة لتكامل الوعى الكونى فى نفوس البشر . وكل هذا لا يتم بالانغلاق على تجاربنا المحدودة بحدود حواسنا القاصرة وانما يتم بالانفتاح على دفق الوجود كما نحسه بعقولنا وارواحنا وقلوبنا ومشاعرنا تحدونا هداية الله التى انزلها لخلقه عن طريق الرسل الذين بلغوا دين الله الواحد ، وعلى تفاوت فى درجات التبليغ بحسب ظروف الزمان والمكان وبذلك يتعمق وعينا الكونى وتتفجر فى نفوسنا كل طاقاتنا الروحية والوجدانية والفكرية الكامنة فتزداد ارتفاعا فى سلم الانسانية ويتقلص الحيوان فينا لحساب الانسان .

وبما ان هذا التطور الروحى الشامل لا يبلغ مداه الا بتضافر ملكات الوعى جميعا ماديها ومعنويها الذى يتجلى فى اعلى صورة فى عبادة الله التى تحقق هذا التوازن الشامل فى علاقة الانسان بالوجود صح القول بان اصدق تعريف للانسان

لا يشاركه فيه حيوان آخر انه حيوان عابد • فهو بطبيعة تكوينه يحمل في دخلية نفسه هذا التطلع الروحي والاستشرافي الى افاق عليا تنطلق عندها طاقات الروح من اسار الجسد وتتجلى انسانية الانسان في انصع صورها • ولذلك كانت نظرة الانسان متجهة دائما الى اعلى ونظرة الحيوان الى اسفل • وهذا التطلع الروحي المنبثق من طبيعة التكوين البشري والذي عبر عنه الانسان في قيام الحضارات وفي كل صنوف الانجاز الفكري والروحي والفني هو تطلع دائم لا ينفرد به جيل دون جيل او مرحلة من مراحل التطور البشري دون اخرى •

عن حضارة الغـرب

والفهم الذي استقر في اذهان كثير من المحدثين من ان الدين مرحلة تالية للسحر في فجر الانسانية وهو بذلك تعبير عن بداية الفكر الذي يسعى الى تفسير الوجود تفسيرا غيبيا ذاتيا نابعا من مخاوف الانسان وجهله ، فهم لا تسنده تجربة الانسان في هذا الطور الثالث من تقسيمهم لمراحل تطور الفكر الانساني • فان هذا الطور العلمي الذي يرتكز على المشاهدة والتجربة وتحكيم الحواس والوصول الى النتائج بعد التمحيص والتدقيق والمراجعة واعادة التجربة لم يلغ هذا التطلع الروحي الكامن في نفوس البشر • بل ان روح التدين قد اثبتت وجودها حتى في الانظمة التي اتخذت من مذاهبها الاجتماعية والفكرية ادوات هدم للدين كما هو الحال في الماركسية التي كادت ان تصبح مع الزمن دينا وضعيا له انبياؤه ورسله وكتبه المقدسة وسدنته واتباعه الذين يقدسون كل نص من نصوص كتابهم المقدس كما يقدس اصحاب الديانات التقليدية نصوص كتبهم •

وكل ما في الامر ان الروح الدينية قد اتجهت الى الارض بدل ان تتجه الى السماء، وذلك انحراف عن العبادة موقوت والزمن وحده كفيل برد المنحرفين الى صراط الله المستقيم الضارب الجذور في عمق اعماقهم والذي به وحده يرتقون في سلم الانسانية فتتفجر النفوس باتصالها بمنابع الابداع الالهي وتتهيا لاشاعة الخير والحق والفضيلة والجمال في دنيا البشر •

والمتمعن في تطور الفكر البشري يعجب للنظرة الجزئية التي عالجت بها حضارة الغرب الراهنة قضية الدين على المستوى الفكري والاجتماعي • ومن الواضح ان للظروف التاريخية التي اكتنفت تطور المجتمعات الاوروبية في العصور الوسطى اثرها الكبير على تشكيل هذه النظرة الجزئية التي حكمت على الدين عامة في حياة البشر من خلال التجربة الاوروبية الخاصة ، التي كان أهم سماتها الصراع الكبير بين باباوات الكنيسة ورجال الحكم والفكر والذي لم ينته باقصاء رجال الكنيسة عن التحكم في حياة المجتمع فحسب ، بل اضاف الى ذلك اقصاء الدين نفسه عن الحياة العامة مما عبروا عنه حينا بفصل الدين عن الدولة وحينا آخر بالعلمانية • ونسبة لانتشار نفوذ حضارة الغرب في القرون الاخيرة على مستوى العالم وسيطرتها الفاعلة على مجرى الحياة العقلية في حياة كثير من الامم اصبحت هذه النظرة الاوروبية الى الدين هي المعيار الذي تقاس به التجربة الدينية على مستوى الانسانية عامة بصرف النظر عن اختلاف التجارب وتمايزها عن التجربة الاوروبية •

وانه لجدير بنا والانسانية تستشرف عهدا جديدا من الانعتاق والتحرر من سيطرة الغرب الاستعمارية ان نعيد النظر في كثير من المعطيات الفكرية التي مكن لها الغرب بنفوذه الثقافي في عقول كثير من مثقفي العالم الثالث وعلى رأس ذلك مكانة الدين من مسيرة التطور البشري عامة ومن حياة المجتمع خاصة • ولعل ذلك هو المنطلق لتفجير الثورة الحضارية التي تنتظرها الانسانية وهي تقف على حافة الهاوية التي دفعت بها اليها حضارة الاستهلاك الراهنة التي تغذي الجسد وتميت الروح وتجعل من المتعة الحسية العابرة سبيلا الى الغاء انسانية الانسان ، فلا يصبح امامه من مخرج سوى الانتحار الذري أو الفناء الحضاري • ومن الواضح ان التجربة الاوروبية رغم خيرها العميم على الانسانية في كثير من المجالات وتطويرها للحضارة الانسانية على المستوى الفكري والعلمي وما نجم عن ذلك من ازدهار مادي فان الخواء الروحي الذي اشاعته في حياة البشرية من اكبر

معاول الهدم لمنجزات الانســان • فان ما يبنيه الانسان فينا فى آلاف السنين ينسفه الحيوان فينا فى لحظات خاصة اذا كان مسلحا بادوات الدمار الذرى •

نحو ثورة روحيـة

وما تحتاجه الانسانية فى ازمتها الراهنة ثورة روحية تعيد الى الانسانية توازنها الذى فقدته مُن جراء التطور غير المتوازى الذى فصلت بـه حضارة الغرب روح الانسان من عقله وجسده فاصابت الحضارة بالانفصام والازدواج • واحدثت بذلك شرخا عميقا فى وجدان الانسان لا سبيل الى تلافيه الا باستعادةتكامل حياة الانسانالروحية والمادية وتعميق ذلك الوعى الكونى فى وجدان الانسان وعقلهوحياته مما لا تسمح به مواضعات الحضارة الطاغية بفلسفتها المعلنة • وفى كل ذلك اشارة الى ان ما يجرى فى الساحة الفكرية هو فى جوهره انتكاسة فى وعى الانسان وعودة الى مرحلة الانفصام فى حياة البشر التى تفصل بين تطور الانسان الروحى وتطوره المادى والتى جاء دين الله الواحد الذى انزله الله على رسله لتجاوزها على مر العصور وتباين البينات •

ولم يبلغ هذا الانفصام درجة من الخطورة على تطور البشر مثلما بلغه فى هذه المرحلة الحاسمة من تاريخ الانسانية بسبب هذا الانحراف الكبير فى مسار التطور الدينى الذى احدثته التجربة الغربية فحادت بالانسانية عن وجهتها الصحيحة ودفعت بها الى هذا الوضع الحضارى الخطير الذى تجابه فيه تحديات عصر الصناعة المتطورة بنفوس ممزقة وشخصيات مزدوجة • هذا فى حين ان مسار الفكر الدينى من لدن آدم عليه السلام كان وما يزال يحدو الانسانية فى طريق تكامل قوى النفس الانسانية حتى بلغ الغاية فى ذلك بمزج قيـم الدين بمواضعات الدنيا كما تمثلت فى رسالة الله الخاتمة التى بعث الله بها محمدا صلى الله عليه وسلم لمواجهة تحديات هذه المرحلة الخاتمة من تطور البشر التى نعيش فيها • واذا كانت التجربة الغربية انحرافا عن هذا المسار والتواء به عن غايته فانه لزام علينا نحن حملةهذهالرسالة الخاتمة والذين كرمنا الله سبحانه وتعالى بان جعلنا خير امة اخرجت للناس ، تامر بالمعروف وننهى عن المنكر ونؤمن بالله ، ان نعود بالانسانية الى حيث انتهى بها المطاف قبل ان تدهمها هذه الهجمة الغربية الرعناء التى انتكست بالمسيرة ووقفت فى سبيل بلوغ الغاية التى اختطها الله جلت قدرته للانسان بان يكون خليفة للـه فـى الارض • ■■

الخرطوم ــ د • عون الشريف

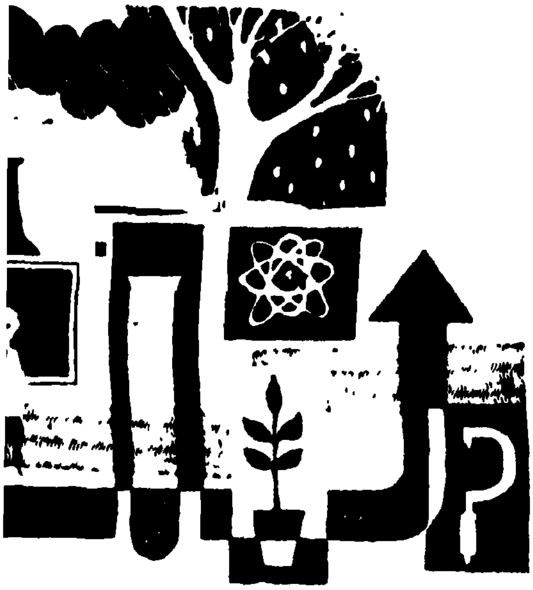
قالوا •••

■ الفتنة هو ذلك الجزء من الشخصية الذى نملكه دون آن نعرفه •
اليستر كوك •

■ الضمير هو ذلك الشىء الذى يؤلمنا عندما نشعر بالسعادة •
أ•ف ــ هـ

■ *حركة المجمعات السكانية هى عمل يهدف الى نزع الجدران التى تفصل بين الناس وانشاء جسور فيما بينهم •*
ب • لوجيد

انماء العالم الثالث وتقدمه



بين النموذج المضاد والنموذج المقلد

بقلم : الدكتور حسن صعب

« الجديد في النصف الاخير من القرن العشرين هو العالم الثالث متحركا من جديد على مسرح التاريخ البشرى » .

■ ان انماء العالم الثالث وتقدمه هو مشروع تطوير حضارى كلى . ان وصفه الشائع بانه مشروع نمو اقتصادى هو وصف خاطىء . ونعت قاصر . فالنمو الاقتصادى هو تقدم كمى . والتغيير المنشود في العالم الثالث هو تغير نوعى بمقدار ما هو تغير كمى . ورؤية انماء العالم الثالث في الغد في صورة انماء العالم المتقدم اليوم تفترض مثالية انماء العالم المتقدم ، وتتجاهل ان انماء العالم المتقدم هو في حالة تغير ان لم نقل في حالة ازمة تدهور او تطور ستجعله في الغد غير ما هو عليه اليوم . ولذلك فان الاولى بنا ان لا نبنى نموذجا مستقبليا لانماء العالم الثالث لتقليد اى نموذج من نماذج العالم المتقدم بل ان نستطلع « النموذج المضاد » لجميع النماذج القائمة . ومراجعة التاريخ الانمائى الانسانى تدلنا على ان نماذج التقدم كانت النماذج المضادة لا النماذج المحاكية . ولذلك يتوجب على الدول النامية كما يقول الباحث الفرنسى اجناسى ساش ... ان تفتح طرقها الخاصة للتقدم وان تتفادى التقليد الذى يستهويها بدون ان يؤدى بها الى تحقيق ما تنشد من تقدم .

ويملى علينا هذا التصور التصحيحى لحقيقة مشكلة التقدم والانماء في العالم الثالث ان ننظر الى «النمذجة»، وان نطبق منهجيتها العلمية الدقيقة تطبيقا ابداعيا يتلاءم مع اختلاف الاحوال والازمان والاهداف والوسائل في العالمين المتقدم والثالث.

ان العالم المتقدم ، في جزءيه الليبرالى والماركسى ، يتصور نفسه المعجزة الانمائية الاسوة للعالم الثالث . وبالرغم من اهتزاز الصورة تحت وطأة الازمات ، فانها ما تزال الصورة



الغالبة.وهى غالبة الى حد تحمل اكثر السياسيين والمفكرين فى العالم المتقدم ، وفى طليعتهم المستشرق الفرنسى ماكسيم رودنسون ، على ان يتحدوا العالم الثالث باختيارين او نموذجين انمائيين غربيين لا ثالث لهما : الاختيار الليبرالى او الاختيار الماركسى • وما تزال الاختيارات الغربية الاخرى التى تقترح،كالاختيار الديمقراطى الاشتراكى مثلا ، هامشا للاختيارين المحورين او مرحلة من مراحل تطورهما • ولذلك فان قواعد الانماء واصوله واجراءات النمذجة المستقبلية تستمد من تجارب واختبارات التطور الانمائى الغربى الليبرالى او الماركسى ، وتكرس قواعد واصولا لعلم الانماء او لمراحل النمو الانسانى كما هو الشان فيما فعله الاقتصادى الاميركى روستو • وما تزال مواقف الرفض لهذه الحتمية الثنائية او الاحدية من قبل مفكرين ليبراليين او ماركسيين صرخات للاحتجاج اكثر مما هى سياسات او خطط للتطبيق،وابرزها صرخات الرفض الليبرالى فى كتاب «التحرير الوطنى» الذى جمعه ميلر وصرخات الرفض الماركسى لجارودى وماركيوز •

العالم الثالث متحركا

ان التقدم هو «الجديد » الحضارى التاريخى للعالم الغربى فى العصر الحديث • والعالم الغربى هو الاقلية الجنس البشرى • والجديد فى النصف الاخير من القرن العشرين هو العالم الثالث متحركا من جديد على مسرح التاريخ البشرى وفى مجرى التطور الحضارى• والعالم الثالث هو اكثرية الجنس البشرى المتخلفة ، التى استطاعت ان تبرز الى الوجود السياسى متحدية ارادة الاقلية المتقدمة • ولذلك فانها ماتزال حتى الان« الجديد الكمى »فاذا اهتدينا بقانون تحول التغير الكمى الى تغير نوعى فان «جديد اليوم الكمى» سيكون «جديد الغد النوعى»• ويعنى هذا ان النمذجة العلمية المستقبلية الدقيقة لتطور العالم الثالث يجب ان توضع فى السياق الحركى التجددى للمستقبل لا فى السياق السكونى الركودى للماضى• «الموت للماضى والحياة للمستقبل» قول يبدو فى ظاهرة شعريا ويثبت فى حقيقته علميا، اذا استقرأنا حركة التطور الحضارى الانسانى استقراء شاملا • ولا يستقيم هذا الاستقراء الا اذا ميزنا مفهوم الماضى ومفهوم التاريخ • ان المفهومين التبسا فى ذهننا حتى الان التباسا يجعلنا نتصور ان التاريخ هو الماضى وحده • ولذلك فان البحث التاريخى هو استعادة لصورة الماضى ، ولكن الحقيقة هى اننا ما لم نتوقع وقف حركة الزمان، فان التاريخ هو المستقبل بمقدار ما هو الماضى • والماضى هو تاريخ انتهى والمستقبل هو تاريخ يبدأ • وما يبدأ هو اولى باهتمامنا مما انتهى • فالحى افضل من الميت • ان الانسان هو كائن تاريخى • والاعتراف بهذه الحقيقة شىء ووصف الانسان بانه « كائن ماض » شىء آخر • أن ماندعوه تاريخا بالمعنى الكلاسيكى الشائع هو غالبا تصورنا المصطنع او المختلق للماضى • انه ايديولوجية نخترعها لنتمكن بها كما يقول ملو فى كتابه «موت الماضى » «•••من السيطرة على الافراد وتحريك الجماعات واثارة الطبقات• وقلما عرفنا تشويها اقبح من الذى اعترى صور الماضى • ومستقبل التاريخ والمؤرخين هو فى تحرير قصة الانسانية من الرؤى المضللة التى اشيعت لتسخير الماضى لغايات معينة»

قرن العالم الثالث ؟

كان القرن التاسع عشر قرن تقدم اوروبا • واصبح القرن العشرون قرن التقدم الاميركى والسوفياتى واليابانى • وسيصبح القرن الواحد والعشرون قرن تقدم العالم الثالث • ان الباحث اليونانى انجلو بولس يعلن لنا ، ان البلاد ،التى

نطلق عليها اسم العالم الثالث ستبدأ في نهاية القرن « ٠٠٠ بالتحول الى قوة اقتصادية وسياسية عظيمة ، ٠٠٠ سيكون دورها حاسما ، وليس مسيطرا ، في المسرح الدولي خلال القرن الواحد والعشرين ٠ان اوروبا فيجملتها وامريكا الشمالية التي في عام ١٩٧٠ كانت تنتج (٧٨٪) من الانتاج العالمي لن تنتج اكثر من (٥٧٪) في عام الفين و (٤٤٪) في عام ٢٠٢٥ ان باقي الدخل اي (٥٦٪) سيقدم من قبل البلاد الاسيوية ،بما فيها اليابان ،وافريقيا ، وامريكا اللاتينية ،التي لاتنتج حاليا سوى (١٥٪) من الدخل العالمي٠ سيتوصل هكذا بالتدرج الى تنسيق لتوزيع الثروات بشكل تابع للتوزيع العددي للسكان في مختلف مناطق العالم ٠ وسيعني هذا تحدي العالم الثالث للبلاد المصنعة التي تسيطر حاليا على السوق الاقتصادية والمسرح السياسي على المستوى الكوكبي ٠

ان الانماء هو تحدي التخلف ٠وهو في وضعنا التاريخي الراهن تحدي المتخلفين للمتقدمين ٠ ان المتقدمين متخلفون في احتكار التقدم ٠ والمتخلفون متقدمون في تحديهم هذا الاحتكار ٠ الم تكن الولايات المتحدة متخلفة حتى منتصف القرن التاسع عشر ؟ والروس الم يكن الاوروبيون يتصورونهم فلاحين وعبيدا للارض لن يكونوا ابدا الا « موجيك » اوروبا ؟ واليابانيون الم يحتقرهم الاوروبيون لصفرتهم قبل ان يفاجئوا بتصنعهم ؟ وكما يذكرنا انجلو المبشر لا توجد تنمية بدون تحد ٠ ان الرقي هو معركة كما ان الحياة هي نضال » ٠

ان علم الاقتصاد هو في وضعه الراهن اقرب الى علم الاسطورة منه الى علم الحقيقة ٠وضع علم الاقتصاد بفرعيه الليبرالي والماركسي قبل ان يبرز العالم الثالث الى حيز الوجود ٠فمختبره مختبرا ابتر٠انهمختبرلثلث الانسانية القائم على تجاهل للثيها ٠ يقول العالم الاجتماعي الفرنسي ليفي ستروس « لاشيء يشبه الاسطورة السياسية كالايديولوجية السياسية ٠ولعل الاولى حلت محل الثانية في مجتمعاتنا المعاصرة ٠ » وليست النظرية الاقتصادية احسن حالا من الايديولوجية السياسية٠ انها نظرية لتبرير الفكر السياسي الليبرالي يغلف الايديولوجية الاقتصادية كما يغلف الاسطورة السياسية ٠ ان علم الاقتصاد المعاصر هو اقرب الى ميثولوجياتمنه الى حقائق ٠ولولا ذلك لما وقع في هذا العجزالفاضحعن معالجة الازماتالاقتصادية العاصفة ٠ انها ميثولوجيات توالت منذ قرنين لتبرير الوضع الاقتصادي الاوروبي ووضعت كما يقول النقادة الفرنسي اتابي ،لحفظ «توازن القوى لحساب العالم المتقدم على حساب العالم المتخلف » ٠

اننا نقرا ارقاما مرعبة عن الهوة الانمائية بين العالم المتقدم والعالم المتخلف ٠ ونبشر بان متوسط دخل الفرد لن يتجاوز عام ٢٠٠٠ الثلاثماية دولار في العالم الثالث بينما سيبلغ الخمسة عشر الف دولار في العالم المتقدم ٠ سيكون عالمنا نحن عالم الجوع بينما سيكون عالمهم عالم التخمة ٠ونحن الاغنى في المورد الانساني والمورد الانساني هو الراسمال الاكبر للانماء ٠ وهذه التقديرات تفترض ان موردنا الانساني سيتكاثر ولكنه لن يتطور ٠ وهذه نظرة سكونية للتاريخ ٠بل انها اكثر من ذلك ٠ انهااستعمارية جديدة ينادى بها باسم دول العالم الثالثمستقلة اسما ومستعمرة فعلا ٠ ويقول الباحث الاقتصادي الفرنسي بوشير « ان الاستعمارية الجديدة هي السياسة المطبقة منذ الاستقلال من قبل الدول المتقدمة لاستبقاء الدول النامية تحت سيطرتها»٠

المجهول أكثر من المعلوم

ان باحثي العالم المتقدم والمتخلف يخطئون وهم يطبقون مناهج بحث اقتصاديات العالم المتقدم في دراسة العالم الثالث ٠ فالمجهول في العالم الثالث ما يزال اكثر من المعلوم ٠ وقد اخطا الاقتصاديون واشباه الاقتصاديين ، الذين تعج بهم الادارات الوطنية العليا والادارات الدولية ، خطا فاحشا باضفائهم مناهج واساليب نمو العالم المتقدم على العالمالمختلف٠ انهم يتصورون مستقبل العالم المتخلف حاضر العالم المتقدم اوماضيهمتناسينكل التناسي حركية

التاريخ ومتجاهلين قدرة الانسان على الابداع، ومتغافلين عن افضل ما اخترعه العقل الحديث ، كما ذكرنا بذلك هوايتهاد ، فيلسوف جامعةهارفارد، اعنى منهج الاختراع نفسه • ان بوسع العالم الثالث ان يخترع ويبدع طرقا للانماء لم يعرفها العالم المتقدم • والذى يعمينا عن هذه الحقيقة هو توقفنا لدى الحسابات الاقتصادية لوحدها •

واما اذا اخذنا بعين الاعتبار العوامل غير الاقتصادية التى تؤثر فى سلسلة القرارات التى تؤدى الى تغير المجموعات الاقتصادية المعقدة ،فان النظرية الاقتصادية تتكفل بتذكيرنا بحدودها كاداة للتنبؤ المستقبلي•ان العنصر غيرالاقتصادى يفصح عن قدرة الانسان على خلق التاريخ وعن اهليته للابداع •ويقضى هذا على التنبؤالاقتصادى بان ينحصر فىحدود الافاقالتىيستطيعان يستطلعها والتى يمكنها ان تتسع بانفساح الحيز الزمانى•

ان الرائد الانمائى فى العالم الثالث هو مجدد فى صياغة المنهج ومبدع فى صناعة التاريخ •ان المناهج والنماذج الغربية ليبرالية وماركسية هادية له ولكنها ليست طاغية عليه • فعلية ان يتوسل النمذجة المستقبلية كما يصطنع غيرها من مناهج البحث • وان عليه أن يستدل بنماذج الانماء الغربى كما يستدل بغيرها من نماذج التاريخ •انه يهتدى بالمناهج ولا يحاكيها ويستدل بالنماذج ولا يقلدها •والمناهج والنماذجالشائعة هى الان موضع نقد من قبل المفكرين الجديدينتحت وطأة الازمات المتلاحقة من ازمة التضخم الىازمة التلوث • ان الوضع الراهن فى العالمين المتقدم والمتخلف هو وضع فاسد • وان كل باحث علمى لا ينطلق من رفض هذا الوضع هو ايضا باحث فاسد •ويقول ماركيوز ،فيلسوف ثورة الطلاب فى العالم ، «ان كل فكر لايبدأ بوعى الزيف الصارخ لاحوال الحياة السائدة هو فكر زائفوليس متجاهل هذا الزيف آنما فحسب : انه مخطىء • »

بحثا عن تنظيم اجتماعى

ووعى زيف الحاضر يجعل مهمة الذى يتصدى للنمذجة مهمة عسرة جدا • انه لا يستطيع ان ينطلق من فراغ •ان انطلاقه هو بالضرورة من الحاضر والماضى • فهو مؤرخ قبل ان يصبحمتنبئا• ولكنه المؤرخ المدعو للتمييز بين التاريخ وبين الحاضر او الماضى • فالتاريخ كما سبق انذكرنا، هو ايضا المستقبل • والمؤرخ العلمى الحقيقى ليس الباحث المأخوذ باستطلاع حتميات متكررة بل المستشرف لاحتمالات متجددة او مستجدة • ان المأخوذ بالتكراريات يستهوينا او يستفزنا باكتشافه الحتميات المعادة • •

ولكن الاختراع ، كما يقول رولان بارث•••هو الفعل الثورى لا الاستفزاز ،والاختراع هو الان ضرورة حتمية لاتنتج عن اختلاف احوال عالم اليوم والامس عن احوال الغد فحسب ولكنهاتصدر ايضا عن الانتقادات التى توجه الان لنماذج اليوم• وعلماء السياسة والاقتصاد الفرنسيون من امثال اتابى وجيوم يذكروننا بانه «••لايوجد الانمشروع سياسى فى الدول المتقدمة •واكثر النماذج السائدة فيها هى الى حد بعيد متهالكة •وليس لديها تنظيم اجتماعى يستثير الحماس ••وهى تعانى صعوبات التطور الاقتصادى والناسينشدون فيها التحرر من اللعبة الاجتماعية ويحاولون خرق الحواجز ويسعون لتغيير الحياة ويتطلعون للسعادة كضالة منشودة •• » واذا شاء علم الاقتصاد ان يتجاوب مع هذه التطلعات ومع مطامح ابناء الدول النامية فعليه ان يتكون تكونا جديدا ليصبح اقتصاد «الاوتوبيا » •

ان نموذج العالم المتقدم بذروتيه الاميركية والسوفياتية هوالان بنوويتهنموذج الافناء لانموذج الانماء الانسانى • والنموذج الغربيهو باسرافيته، كما صوره نادى روما المؤلف من نخبة من اهل الانماء من العلماء ورجال الاعمال ، هو نموذج الافلاس لا الانماء الاقتصادى فى مدى لا يتجاوز المئة عام • والنموذجان يزيدان باحتكاريتهما الاغنياء غنى والفقراء فقرا • فوضع اى نموذج لتقدم العالمالثالث لتقليد اى من هذينالنموذجين يبتعد بنا عن نمذجة الانماء الى نمذجة الافناء او الافلاس • وان من العبث التذرع بالعلمية لتاكيد حتمية الالتزام باحد النموذجين • ان الاقتصاديين المأخوذين بالتكمية والايديولوجين المفتونين بالتزكية

هم الذين يغعون في هذا الخطا المميت • انهم يقيسون أو يبشرون متغافلين عن السياق القيمي لقياساتهم الخادعة ولدعواتهم الساحرة ، ولذلك تتعالى الاصوات الليبرالية بالدعوة « لتخضير » الاقتصاديات ، بينما ترتفع الاصوات الماركسية بالدعوة لتجديد الايديولوجيات • وكان من أقوى هذه الاصوات تلك التي أطلقها علماء الاقتصاد الامريكيون الشباب في نيويورك في ديسمبر عام ١٩٦٩ في المؤتمر السنوي لجمعية الاقتصاديين الامريكيين يتهمون فيها شيوخهم الاقتصاديين بأنهم رواد « ••• اللامساواة والاستلاب وافساد البيئة والاستعمارية والعرقية واستعباد النساء » • وينساب بين أصفى هذه الاصوات صوت الفيلسوف المطرود من الحزب الشيوعي الفرنسي جارودي ، وهو يعلن ان الماركسية تستحيل الآن من نظريات علمية الى كلمات دعائية • وينهب البعض الى التساؤل عن معنى الانماء وعما اذا كان مفهوما اخترعته الراسمالية الغربية لفرض سيطرتها الاقتصادية على العالم الثالث ، بعد أن اضطرت لرفع سيطرتها السياسية عنه •

دور الرأسمالية

ان المفكر الماركسي الفرنسي بوستير يصف الانماء والتخلف بانهما من مواليد الاستعمارية ، ويتهم الامبريالية أو الاستعمارية بانها هي التي تتحكم بالانماء والتخلف ••• ولئن ظهر هذا الانتقاد ذا مسحة ماركسية الا أن انتقاد العلماء الليبراليين الواعين لتخلف الرأسمالية هو أشد من انتقاد الكتاب الماركسيين • ان الرأسمالية تؤدي الى استفحال التفاوت في الدخل والى استنزاف الموارد والى افساد المحيط بل أنها تجرد الانسان من أعز حرياته : حرية تقرير مصيره • وهذا ما يؤكده العالم الاقتصادي الامريكي جلبريت ، وهو يفتتح لقاء دوليا من لقاءات وزارة المالية والاقتصاد في فرنسا • ويضيف الى ذلك « دعوني اقل لكم أن سلطة المنشآت الخاصة متضافرة مع المؤسسات العامة تمكننا من متابعة أهداف ليست أهدافنا • فتوحي بالشعور الذي يساور الكثيرين منا باننا لم نعد صانعي قدرنا • بل اننا لم نعد بسبب التسابق في التسلح أسياد حياتنا ••• »

وتكمن الازمة في تصورنا الانماء نموا اقتصاديا ومقاربتنا الانماء والنمو خارج سياقهما التاريخي والحضاري بل وخارج سياقهما العلمي الحقيقي • والسياق الانمائي العلمي الحقيقي يتجاوز النمو الاقتصادي الى النمو الانساني الطبيعي والثقافي• والثورة العلمية الحديثة تجزم بان التطور عام وكوني في ميدان الطبيعيات ، ولكن النظرية الاقتصادية صامتة حول هذا الموضوع • ويعني هذا ان الاقتصاديات تغفل حتى تطور العمليات الاقتصادية، وتتجاهل تعاقب الاطوار الاقتصادية ، وتتغاضى عن الاطوار المستقبلية للتقدم الاقتصادي • ان أطوار الغد للتقدم الاقتصادي هي غير أطوار اليوم والامس • وهذه حقيقة يؤدي تجاهلها الى زيف النظريات الاقتصادية والنماذج الانمائية • ان المستحدثات العلمية والمبتكرات التكنولوجية تتأثر بالنمو الاقتصادي وتؤثر فيه • وهي مستحدثات ومبتكرات مطردة الاعجاز • وهي تثير التساؤل حول تكوين نظرية اقتصادية اجتماعية تصمد امام حركة الزمن •

عبء على الجميع

ويبدو تخلف العالم الثالث الآن عبء الدول النامية والمتقدمة معا • فالدول النامية مدينة للدول المتقدمة بما يقارب المئتي مليار دولار • ويزداد هذا المبلغ عاما بعد الآخر • وتتضاءل النسبة التي تقدمها الدول المتقدمة من دخلها الوطني العام لمساعدة الدول النامية • ونسبة التبادل التجاري بين الدول المتقدمة تتزايد بينما تتناقص نسبة تبادلها مع الدول النامية الا اذا استثنينا الوضع الخاص للدول المنتجة للبترول المدعوة بالعالم الغني ، الذي يتزايد تبادل عائداته البترولية مع تكنولوجية العالم المتقدم • وتتداخل هذه الوجوه السلبية بعض النتائج الايجابية لعشرية الامم المتحدة الاولى للانماء (١٩٦٠ ـ ١٩٧٠) ، فقد ازدادت انتاجية دول العالم الثالث وارتفع معدل نموها ، واصبحت اقدر على الادخار والتثمير ، وازدهرت صادراتها ، ولكن هذا حدث بنسب متفاوتة بين اقليم وآخر وبين دولة وأخرى• وظل أكثرها بطيء التحرك في اتجاه التقدم

الانمائي النوعي ، أي في الاتجاه الانمائي الحقيقي الذي يستدعي ويؤدي الى تغيرات عامة في بنياتها الاقتصادية والاجتماعية •

ان كل هذه الحسابات والمؤشرات والمعايير تقصر عن المعايير والمؤشرات المنشودة لانماء العالم الثالث• ان انماء العالم الثالث ينطلق كمشروع تطوير حضاري من « قانون التقدم المؤخر » • وهو قانون لصالح المتخلفين لا لصالح المتقدمين • وبفعل فعله في فترات الانتقال والازمات • فالتكيف في هـــذه الفترات أصعب على المتقدمين منه على المتخلفين • وهذه الصعوبة تعرض الدول المتقدمة لفقدان قيادتها التاريخية • والمؤسسات الحضارية التي تباهي بها هي التي « تتروتن » ، Routine وتصبح عوائق لتكيفها مع الظروف المستجدة •

ولدينا مثلنا التاريخي في القرون الوسطى ، حين استطاع العرب الذين لم تكن لهم دولة قبـل الاسلام أن ينتصروا بالاسلام على دولتين من أعرق دول العالم : فارس وبيزنطة • وتتكرر التجربـة في مطلع العصر الحديث في انتصار دول أوروبا على السلطنة العثمانية أحسن دول العالم تنظيما في القرنين السادس عشر والسابع عشر • فالتخلف عبء اليوم ورأسمال الغد ،اذا ما وعاه المجتمع المتخلف ليتحرك •وتجتاز الانسانية الان فترة انتقالية •وكانت القيم والمؤسسات المفضلة في القرنين الماضيين هي التي تؤدي الى تراكم الاقصى للرأسمال والى تحقيق الحد الاقصى من النمو التكنولوجي • ولكن الاسبقية تتغير الان • انها تتحول من التراكم الى الاستخدام العقلاني والانساني الافضل للتراكم ••• فقانون التقدم المؤخر يفعل فعله الايجابي الان لصالح الصين والعالم الثالث ضد الغرب المتقدم والكتلة السوفاتية •

نماذج التقدم الغربي

اننا نحـاول ان نمهج النظرة الانمائيـة للعالم الثالث منهجة مستقبلية جديدة • ونحن نقدر كل التقدير ان العالم الثالث ليس عالما واحدا •فاحواله المناخيـة والثقافيـة والاجتماعيـة والاقتصاديـة والسياسية مختلفة كل الاختلاف من قارة لاخرى ومن اقليم لاخر ومن قطر لاخر • ولكن الانمائيين يطبقون عليه معايير واحدة مستقاة من المقارنة بين اقطاره من ناحية وبينها وبين اقطار العالم المتقدم من ناحية اخرى • ولكن هذه المقارنة هي سكونية اكثر مما هي حركية • ولذلك فانها شبه علمية اكثر مما هي علمية •والخطر علينا هو في اعتمادنا هذه المقارنات منهجا علميا مسلما به شاننا في ذلك شان الاضعف مع الاقوى • وكان مفكرنا العبقري ابن خلدون بين اوائل من انذرنا في مقدمته بالعواقب المميتة لهذا الخطر • فالنفس الانسانية كما يراها « ••• تعتقد الكمال فيمن غلبها وانقادت اليه اما لنظرة بالكمال بما وقر عندها من تعظيمه ، او لما تغالط به من ان انقيادها ليس لسبب طبيعي انما هو لكمال الغالب ، فاذا غالطت بذلك واتصل لها حصل اعتقادا فانتحلت جميع مذاهب الغالب وتشبهت به ، وذلك هو الاقتداء لما تراه ، والله اعلم من ان غلب الغالب لها ليس بعصبية ولا قوة باس ، وانما بما انتحلته من الفوائد والمذاهب تغالط ايضا بذلك عن الغلب ••• »

ان الغرب الليبرالي او الماركسي هو الغالب الان • ولذلك فان نماذجه هي الغالبة ايضا • وغلبتها قلب لنظرية بيكن ، الفيلسوف البريطاني رائد الثورة المنهجية العصرية ، التي انطلقت منها المنهجية العلمية التجريبية الحديثة • اعلن بيكن المعرفة قدرة • ونحن نعلن القدرة معرفة • ان الاميريكيين والسوفيات يتسنمون الان ذورة القدرة، ويعتلون قمة المعرفة العلمية والتكنولوجية ، ولكنهم هل بلغوا حقا اوج الحكمة الانسانية ؟ هذا ما يشك فيه الباحث الفرنسي جندرم في كتابه «فقر الامم» لان « كل تحليلاتنا تشير الى التدهور الثلاثي لنسق الحياة الصناعي : تدهور الطبيعة ، وتدهور الروح الاجتماعية ، وتدهور الانسان نفسه متمثلا في النمو الاقتصادي والتخلف الثقافي • » ولن يصحح هذا الاختلال الا بثورة ثقافيـة انسانيـة شاملة • ان نمذجة الانماء والتقدم لا تستقيم الا اذا وضعت في سياقها الحضاري الصحيح • ان لنا ان نضع نماذج جزئية قطاعية محدودة • واما اذا اردنا النمذجة الكلية للتطور الانمائي او للتطور العلمي والتكنولوجي فانها تظل مبتورة اي خاطئة اذا لم تستوعب المتغيرات الحضارية القيمية والثقافية قبل الاقتصادية • ان العلم والتكنولوجيا

والاقتصاد جابهونا حتى الان بقوانين تضخمها الذاتي غير المتكافيء بين عالم وعالم وانسان وانسان • فكان الانسان هو للعلم والتكنولوجيا والاقتصاد وليس العلم والتكنولوجيا والاقتصاد للانسان • ان البحث العلمي كما سبق ان وصفناه ، في كتابنا علم السياسة ، هو بحث معضلة تترجم في موضوع • ومعضلة التقدم الانمائي والعلمي والتكنولوجي هي قبل كل شيء وبعد كل شيء معضلة انسانية • انها معضلة انماء الانسان كل الانسان وكل انسان • ولذلك فاننا لا نحتاج للتخلي عن المنهج العلمي لتحديد المعضلة • ولكن علينا ان لا نلاع عمليات عمياء تتحكم في تقدم العلم • ان علينا ان نصل بين سعينا للسيطرة على الطبيعة وبين اماني الانسان العميقة • ان علينا ان نصل ما بين ما نستطيع ان نفعله وما نريد ان نفعله •

ان نماذج التقدم الغربي تعقد مشاكل الانسان اكثر مما تحلها • انها تضع في سلم اولوياتها انماء العنف فوق انماء العقل ، وترفع تعزيز القدرة فوق تعميق الحرية ، وتعلي قوة الاقلية فوق حقوق الاكثرية ، وتحل حق الاقوى محل حق الانسان في التقدم ، فهل تستحق نماذج كهذه ان تمنهج وتقلد وتعمم ؟ انها نماذج التبرير المادي لا نماذج التحضر الانساني • وكل نموذج يوضع للتقدم في العالم الثالث يجب ان يكون مشروع تطور حضاري جديد • وهو تطور مفتوح • فمستقبل الانسان اعظم من ماضيه • وتاريخ الانسان بعد اليوم هو تاريخ مستقبله لا تاريخ ماضيه • ان على العالم الثالث ان « يؤنسن » التقدم • ولذلك فان نموذج التقدم المطلوب منه هو « النموذج المضاد » للنماذج السائدة لا النموذج المقلد لها • ان النمذجة تتجاوز على هذا الصعيد العملية الرياضية او الدراسية او البنيوية لتقترب من فلسفة مستقبلية للتاريخ • ان المصير الانساني كله يتوقف على تطور العالم الثالث الذي يؤلف ثلثي الجنس البشري • فكل نموذج عنه هو نموذج صيروري • وان اقدر المستقبليين اظهروا ان النمذجة الرياضية وحدها لا تكفي لاستطلاع او تقرير المصير الانساني •

ولتدارك هذا التقصير اخترع عصرنا طرقا مقاربة جديدة للمستقبل كبديلة لفلسفات التاريخ • ولكن النظرية او النمذجة الانمائية هي فلسفة تاريخية • وتذكرنا بان التفلسف التاريخي لن يموت ما دام تفلسفا ابداعيا • ■■

بيروت ـ د • حسن صعب

ق ••• قيا ••• قوا

● روى ان أبا حاتم السجستاني البصري دخل احد مساجد بغداد ، فساله بعض الحاضرين عن قوله تعالى «قوا انفسكم» مايقال للواحد ؟ فقال «ق» • فقيل له : « فما تقول في الاثنين ؟ » قال : « قيا » فقيل له : « وما تقول في الجمع » قال : « قوا » ثم قال ابو حاتم السجستاني لاصحابه : « اجمعوا لي الثلاثة فقالوا » ق ••• قيا ••• قوا »

وكان في ناصية المسجد رجل جالس ، وبيده بعض الملابس ، فقال لاحد اصحابه : « احتفظ بهذه الثياب حتى اجيء » ، ثم مضى الى صاحب الشرطة وقال « اني ظفرت بقوم من الزنادقة يقرأون القرآن على صياح الديكة » ، فما كان الاسويعة حتى هجم بعض رجال الشرطة واعوانهم على المسجد ، واخذوا تلك المجموعة من النحاة ، واستاذهم السجستاني ، وساقوهم الى مجلس صاحب الشرطة • فسال صاحب الشرطة السجستاني عن الخبر فاعلمه ، وفي تلك الاثناء اجتمع خلق كثير ينتظرون ما يكون من امر هؤلاء النحاة وهم يتصايحون «ق ، قيا ، قوا» ولكن صاحب الشرطة عنفهم ، وعذل أبا حاتم السجستاني وقال له : «امثلك يطلق لسانه عند العامة بهذا ؟ الا تعد الى مثل هذا امام العامة » •

الوجدان اليهودى

فى مواجهـــة الذات الالهيـــة

بقلم : حسين ذو الفقار صبرى

لولا التوراة لما كان هناك يهود ، هو كتابهم المقدس صهرهم بشخصيتهم تلك المنفردة ... انه قصة عهد ابدى بـين الله وبين شعبه المختار ، يتأيد مرة بعد اخرى منذ كان ابراهيم عليه السلام .

■ اله اسرائيل لايتجلى فحسب من خلال ما اشتملت عليه اسفار الشريعة من وصايا واحكام، ثم روادع ومحاذير ،وانما يترسب فى الوجدان اليهودى وكان قد ارتبط ارتباطا عضويا بالتطور التاريخى لشعب بنى اسرائيل ، فلا مغزى للذات الالهية الا من خلال حياة اسرائيل ، او على الاقل من حيث التجاوب الحى بين اسرائيل وبين احكام الشريعـة ، فلو ان تلاشى الوجـود الاسرائيلى تهاوت الذات الالهية الى عدم !

وليس ادل على هذه العلاقة العجيبة بين اليهود وبين الذات الالهية من القصة الاسطورية التى تفسر لنا اصل اسم « اسرائيل » ومغزاه تكوين ٣٢ ى ٢٥- ٣٠) .

فما يكاد يعقوب يجـيز عائلته عبـر مخاضـة « يبوق » حتى يبرز له رجل ،يتصدى له ويصارعه، صراع رهيب دام حتى مطلع الفجر ، يصاب خلاله يعقوب بعاهة تلازمه طيلة حياته - اذ ينخلع مفصل فخذه - ولكنه يتشبث بغريمه فلا يتركه ... الا ان يباركه ، فيستجيب ويطلق عليه اسم اسرائيل.. لانك صارعت الوهيم (الاله) ، كما مع البشر ، وانتصرت »

فمن ذاك الذى برز ليعقوب عند مخاضة يبوق؟ اجنى مريد ؟ فان هذه القصة ، كغيرها مما يرتبط بسيرة الاباء الاولين ، مستقاة ولاشك من مأثورة قديمة ، حين كانت شعوب المنطقة - عربا كانوا ام عبريين ام كنعانيين - فى اسار المعتقدات الخرافية.. اساطير التوراة نفسها وهى تحاول تبرير قدسية اماكن بعينها : بيت ايل (تكوين ٢٨ ى ١٢) او محنائيم (تكوين ٣٢ ى ٢ ، ٣) - على سبيـل المثال لا الحصر تكشف بوضوح عن ايمان راسخ بعالم يموج بالجن ، وان حورت الصور فكانهم رسل من ملائكة .

معتقدات عميقة الجذور تترسب لها آثار حتى في اسفار متاخرة (كما في اشعيا ٣٤ ى ١٤) : « هناك تستقر للث وتجد لنفسها محلا • »

وحذار من ان تخدعنا بعض نصوص ، حيث حورت كلمة «للث» الى الفاظ تطمس على مدلولها الاصلي ، كما في الترجمة العربية ، التي هي اكثرها تداولا في بلادنا ، اذ تقول : « هناك يستقر الليل ••• »

في حين ان النص الانجليزي يكاد يقترب من دلالتها الحقيقية ، فيقول : « وهناك ايضا تستقر البومة الناعقة ••• »

وشتان بين الروايتين ! فاين « الليل » من « البومة الناعقة » ؟

انما « للث » في حقيقتها اسم جنية ، لها مكانتها في القصص الشعبي اليهودي القديم ، شبقة الى مجامعة الانس من الذكور ، قبل ان كانت تتشكل احيانا في صورة بومة ذات قرون، ولذا فاننا نجد ان النص العربي ، المتداول بين طوائف الكاثوليك ، لا يبعد عن جوهر المدلول ، اذ يقول : « وهناك تقر الغول ••• »

★ ★ ★

ام هل كان ذاك «الرجل» الغامض، الذي صارعه يعقوب ، «ملاكا ارسله الرب فيخبر عوده قبل ان يصطفيه نبيا ؟ كما يحاول ان يوحي بذلك جمهرة من كتاب ومفكرين يهود ، اعتمادا على بعض مصادر ، ابرزها ماجاء في سفر هوشع ؟

ولكن اين هوشع من اساطير الاولين ؟ بل انه يبدو مترددا ، عازفا عن ان يقطع برأى ، حائرا لا يدرى اكان غريم يعقوب ملاكا مرسلا ام الذات الالهية بعينها ••• فانه يقول : « وبقوته صارع الله ، صارع الملاك ، وغلب • » (هوشع ١٢ ى ٤ ـ ٥) •

فمن اذن ذاك الذي صارعه يعقوب ؟

هناك جمهرة من دارسين يرون في تلك القصة ملامح اسطورية قديمة ، في ضوء ما كان سائدا في تلك الايام الخوالي ، من معتقدات بين شعوب المنطقة ••• ما من مكان متميز الا وقد استقرت به قوى خارقة تكفل له الحماية ••• المرتفعات والاشجار الباسقة والكهوف وعيون الماء ، جميعها « مسكونة » ، مقر لآلهة او جن او ارواح ، وان يعقوب لم يصارع كما كان يمضي العرف بتقديم القرابين الى آله المخاضة ـ اى الروح التي « تسكنها » حفيظة عليها ـ وانما تحداه ، اعتمادا على قوته البدنية ، فيتغلب عليه وينتزع منه البركة انتزاعا !

ولكن مارتن بوبر ـ فيلسوف الصهيونية في العصر الحديث ـ الذي يقيد نفسه بحرفية نصوص التوراة ، فانه ليعترف بان كلمة «رجل» كماتاتى في السياق ، انما تعنى الذات الالهية دون شك، وانه كان على يعقوب ، حتى يجوز التجربة في تلك الليلة الليلاء ، ان يتصدى لشخص الاله فينتزع منه البركة ، ومن لم يصبح اهلا لان يصطفى نبيا !

ليس البركة فحسب ، وانما كان عليه ايضا ـ ومصدرنا هو بوبر نفسه، مرة اخرى ـ ان يتخلص من سبة ذلك الاسم الذى يحمله ، توافق القدم على اطلاقه على قطاع الطرق ، « يتعقبون » فريستهم ، متحينين الفرص •••

وفي هذا يقول عيسو (تكوين ٢٧ ى ٣٦) ، منددا باخيه : « سمى يعقوب ، فقد تعقبنى مرتين اخذ بكوريتى ، وهذا به الان ياخذ بركتى• »

ومن هنا ، فان اسم اسرائيل ـ « يسراايل » اى الذى يصارع الله ـ لا يمكن ان يفسر كما يدعى البعض ان معناه « الله » او ان « الله جاهد » ، او ماشابه ذلك ، فانما هو اعتساف لمعنى لا تحتمله ما درجت عليه اللغة العبرية في اصولها القديمة من قوالب او تراكيب

ذاك هو مكنون العقيدة اليهودية ، حاول مارتن بوبر ان يطمس عليها في بعض كتاباته ، فيدعى بان لفظ « اسرائيل » انما يعنى : « الله يتملك » ، ولكنها مكابرة ومداورة توقعه في تناقض صريح مع ما سبق له ان قرر ـ كما اشرنا اعلاه ـ من ان الموقف كان يحتم على يعقوب التصدى لشخص الاله !

ولماذا هذا الحتم ؟ ذلك لان العقيدة الاسرائيلية في بواكيرها ـ كما يقرر بوبر نفسه ـ لم تكن تعترف بوجود ابليس ، فاى قوة تتعرض لانسان تهاجمه ساعية الى ايذاء ، انما يهوه ذاته يحركها او يدفع بها ، مستدلا على مايقول بما جاء على لسان اشعيا (ص ٤٥ ى ٧) : «صانع وخالق الشر ، انا يهوه صانع هذا كله • »

ذلك هو لب العقيدة الصهيونية ... على اسرائيل ان تفرض وجودها بالتصدى لما تعتقد انه يتهدد كيانها ، ولو كان الرب نفسه هو مصدر هذا التهديد ! ومن هو الرب الا تلك القوة الغفية التى انتزع منها يعقوب اسمه المميز « اسرائيل » ، ثم البركة التى هى أس العهد الموثق !

وفى هذا ، يفلت لسان المفكر الصهيونى « نبهر » ، رغم تحايله ، فيود لو امكنه اقناع نفسه ثم غيره ، بان غريم يعقوب انما كان ملاكا مرسلا ليس الا ،ولكنه يعود فيقول : بان ما من يهودى ضليع القلب ، الا ويعلم ، منذ ان كان يعقوب، ان « الذات المجهولة » تترصده ، وان عليه ان يصارعها حتى الفجر ... ان يغوض تلك المعركة غير المتكافئة ، غير مامونة العواقب ، قاتلة كانت ام ظافرة ، او ربما ممتدة الأمد ، لا تحسمها قط نتيجة ... فليكن ما يكون ! ولكن على اليهودى ان يقاتل ذلك الغريم الشرس ، الذى ينقض عليه فجأة فى ظلمة الليل ، فانه ليعلم فى قرارة نفسه بانما هو طيف تذكيه باشعاعاتها الذات الالهية المطلقة !

وان القلم الذى يخط هذا الكلام بمداد من تجبر سافر انما لرجل باتع الصيت من حيث ايغال الى تلافيف التوراة وطلاسم التلمود !

★ ★ ★

« ذات خفية » دثرت بالمحاذير ، ورغم ذلك فعلى اسرائيل أن تفرض وجودها بالتصدى لها !

بل أبعد من هذا ! ايمان عميق بان زوال اسرائيل ، ومن ثم ضياع مغزى العهد الذى بينها وبين الاله ، انما يعنى زوال الوجود الالهى ذاته ، او رفضه على الأقل كان قد انتفت عنه اية قيمة او اعتبار !

ويحضرنى فى هذا الصدد تلك القصة ، اوردها المؤرخ اليهودى المشهور يوسف بن متى ـ المعروف «لاتينيا» باسم فلافيوس يوسفس ـ لن تجدها الا فى النسخ القديمة ، التى لم يلحق بها حذف او تحوير ، من كتابه عن «حروب اليهود» حين سقطت اورشليم ، وارتفعت صيحات النصر تزار بها حناجر جند الرومان يحيطون بالمعبد وقد اندلعت فيه النيران فيعتلى العاخام الاكبر الشرفة العليا ، بالهيكل ويقذف بمفاتيح « قدس الاقداس » الى اعلى صائحا : « ايها الرب ! حكمت بان لسنا اهلا فتكل الينا ادارة بيتك ! هاذى مفاتيحه اذن ـ اى يهوه! ـ ردت اليك !»

عقيدة تثير العجب ! ولا شك ان جمهرة اليهود سوف يكابرون، محتدين ، منكرين ان لها عارضا.. بل نفحة من صحة ... وربما كانوا على صدق، من حيث اننا امام مضامين طمر بها الى اغوار اللاشعور ، عسير جد عسير ان تطفو الى وعى ، ولكنها دالة على كل حال ، فانها لمترسبة فى اغوار الوجدان .

ولقد صدق من قال ان التوراة فى مجموعها انما هى تحليل دقيق لنفسية اليهود ، لتاريخهم ، لهذا التناقض العجيب ، شدا وجذبا ، فى علاقتهم بالاله ، فهم معه وعليه فى آن واحد !

حسين ذو الفقار صبرى

فطور الكلب

● ابلغت ابنتى وهى مساعدة طبيب بيطرى امراة على الهاتف بان تحضر كلبها المريض الى العيادة فى الساعة الحادية عشرة من اليوم التالى . وقالت وهى تحذرها « بالتكيد بدون فطور » وفى الموعد المحدد حضرت المراة الى العيادة وبرفقتها كلبها ، وبعد اتخاذ اللازم قالت وهى تتنهد : « اننى سعيدة لان كل شىء انتهى ، اننى اتضور جوعا » .

ايرنست بير .

لكى يتقدم العلم كان لابد من تحدى السلطة القديمة

جاليليو : الحقيقة والرمز

بقلم : الدكتور عبدالعظيم انيس

■ كتب المؤلف المسرحى الكبير بريغت ثلاثة نصوص مسرحية مختلفة عن حياة جاليليو فى مسرحيته المعروفة باسم « حياه جاليليو » ٠والنص الاول لهذه المسرحية انتهى منه بريغت فىالدنمرك عام ١٩٣٨ ـ١٩٣٩ عندما ذهب اليها مهاجرا بعد ان استتب النظام النازى فى المانيا ٠ وهذا النص يعكس بشكل ما وقائع حياة جاليليو كما تشير اليها الكتب والروايات ، وان امتاز باتجاه واضح فى معاداة الكنيسة الكاثوليكية كما انه كان قليل الاحتفال بالنواحى السياسية فى حياة جاليليو ٠

وعندما استقر بريغت فى الولايات المتحدة عام ١٩٤٠ اعاد ـ تحت تاثير الممثل تشالز لوتون ـ كتابة المسرحيــة بحيث بـدا العالـم الرياضى والفيزيائى العظيم فى صورة الانتهازى الجبان٠ وفى هذه الصياغة الثانية للمسرحية نجد منظرا يثير الاشمئزاز وفيه يتعاون جاليليو مع بعض القوى السياسية الايطالية الرجعية ويملى فيه خطابا يناقش كيف يمكن استخدام نصوص الانجيل لكبت ثورات فقراء الفلاحين !

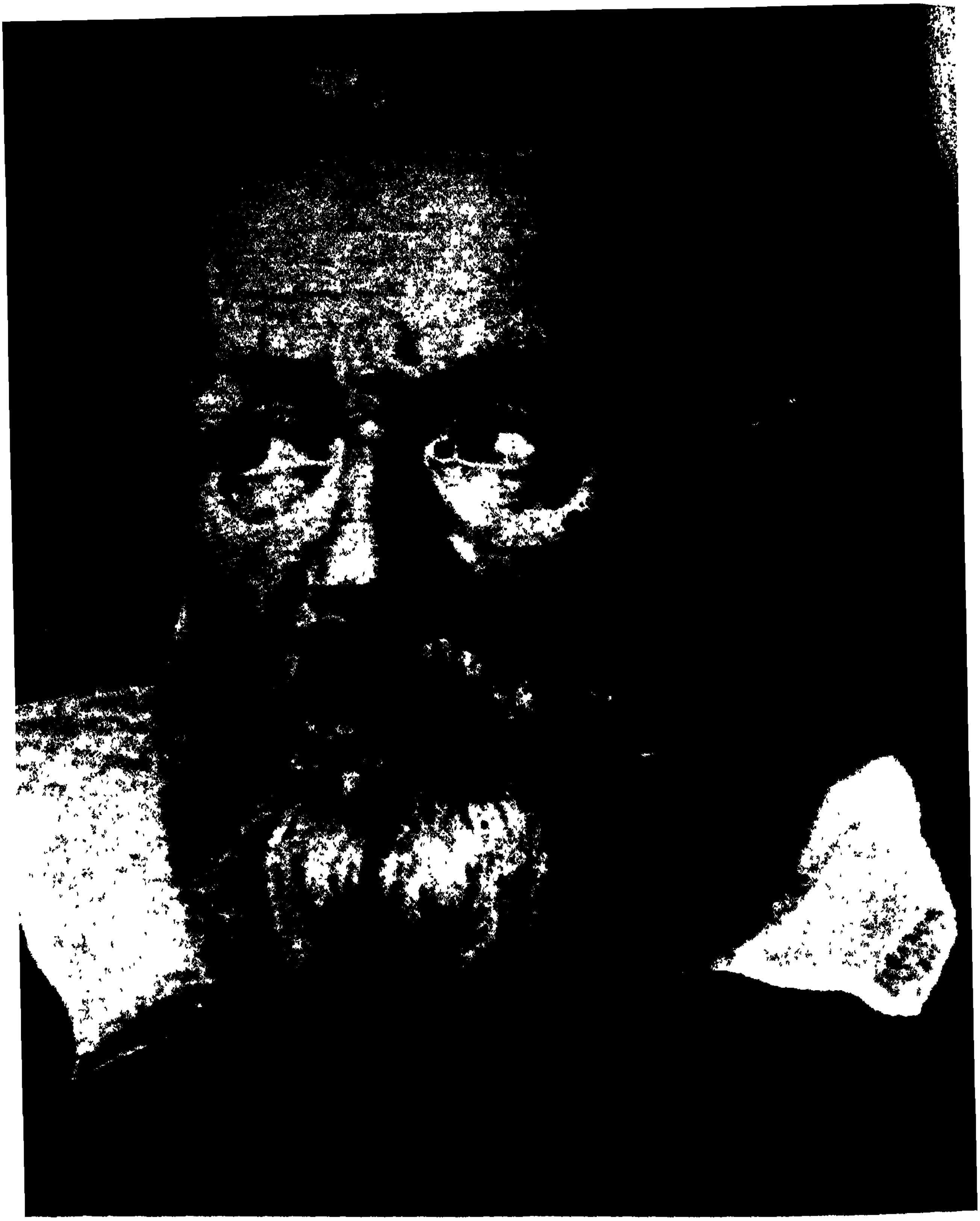
غير انه خلال اعادة كتابة المسرحية وقع حادث عالمى كان له دوى شنيع ٠٠٠ فقد القيت اول قنبلة ذرية على هيروشيما ومات فى الدقائق الاولى لسقوطها نحو ربع مليون من البشر ٠٠٠ وهذ القنبلة صنعها علماء كبار ٠٠٠٠ رياضيون وفيزيائيون لايقلون اكاديميا فى عصرهم عنمستوى جاليليو فى عصره ، رجال طيبون لم يكونوا يوما من الايام مرتاحى الضمير الى صنع هذا السلاح الرهيب ، ولكنهم تهيبوا التمرد على السلطة واستسلموا فى آخر الامر لها ، واستطاعوا بشكل او آخر ان يبرروا هذا الاستسلام امام ضمائرهم٠ وفى لحظة خاطفة من لحظات التامل بدا جاليليو ـ فى عيون بريغت ـ ممثلا لكل هؤلاء العلماء ٠

كتب بريغت يقول :

«ان العصر الذرى قد فرض نفسه علينا خلال عملنا (كتابة المسرحية) ، وفى ليلة واحدةاصبح لتاريخ حياة مؤسس النظام الجديد للفيزياء معنى مختلف » ٠

وهكذا نجد انه فى الصيغة الثالثة والاخيرة لمسرحية بريغت « حياة جاليليو » يتحولجاليليو من مناضلفى سبيلالتقدم الىتابع ، ويبدو ممثلالعالم الفيزياء الذرى الحديث ٠٠٠ رجلا عالى الكفاءة من الناحية العلمية ولكنه لا يجب ان يكونشهيدا فى هذا العالم ، وهو يفضل انقاذ حياته وعلمه بالتكيف مع ماتطلبه السلطة وبالخضوع ! ان جاليليو الذى قدمه بريغت فى الصيغة الثالثة والاخيرة (وهى الصيغة التى قدمت على مسرح بريغت فى برلين الشرقية) لاتنفى عنه صفــة البطولة فحسب بل تقدمه كمجرم اجتماعى فـى قضايا عصره ، وبريغت يعتبر ان استسلام جاليليو (١٥٦٤ ـ ١٦٤٢) امام الكنيسة الكاثوليكية فى نهاية الامر هو الخطيئة الاولى فى حياة هذا العالم الكبير ٠

اى هذه النصوص الثلاثة اقرب الى الحقيقة التاريخية ؟ والى اى حد كان بريغت صادقا فى



تصوير حياة جاليليو جاليلى ؟ أكان بريخت مغاليا فى تحميل هذا العالم الكبير مسئوليات فوقماتتطلبه ظروف عصره ؟

اسئلة هامة .... وان كان ليس من السهل الوصول الى اجابات شافية لها قبل استعراض مفصل لحياة جاليليو وابعاد الصراع والمواجهة بينه وبين الكنيسة الكاثوليكية آنذاك .

وليس يختلف اثنان اليوم حول المضمون الكبير لصراع جاليليو مع الكنيسة ، وهو صراع لايزال يحمل فى طياته مغزى هاما لنا فى الربع الاخير من القرن العشرين ،فى العالم المسيحى والعالم الاسلامى على السواء ، لانه صراع بين الذين يريدون ان يفرضوا ـ بسلطتهم الدينية ـ على الدين ان يكون اداة باطشة فى يد السلطة

الحاكمة والطغيان ، لمصلحة الاغنياء وضد الفقراء، وان يكون اداة ضد التقدم ، ضد العلم ومكتشفاته التجريبية ..... وبين هؤلاء الذين ينزهون الدين عن اداء هذه المهمة ويفسرون النصوص الدينية فى رحابة صدر واتساع افق بحيث يواكب مقتضيات التقدم ويرتفع فوق مستوى خلافات العلماء .

من المؤكد ان جاليليو كان مسيحيا صادقا ، بل انه لم يكن بطبيعته معاديا لكنيسة روما ، ولكن ماساة حياة جاليليو ، وماساة خلافه مع الكنيسة كان مصدرها فى الاصل خلافه هو مع افكار وآراء ارسطو فى علم الفيزياء والفلك .

ولما كانت الكنيسة ـ منذ عهد توماس الاكوينى ـ قد تبنت كل آراء ارسطو كجز لا يتجزأ من الفكر المسيحى واعتبرته بمثابة ترشيد للمسيحية ، اصبح العداء لارسطو فى نظر الكنيسة عداء ايضا للمسيحية ، وعلى هذا الاساس حوكم جاليليو وادين وصودرت كتبه وظل معتقلا فى منزله بفلورنسا حتى مات !

ارسطو وعالم الفيزياء

ولكى نفهم اذن طبيعة الصراع الفكرى لا بد من ان نتعرض ـ بشىء من التوسع ـ لفيزياء ارسطو هذا المفكر الكبير الذى عاش ومات قبيل المسيحية ولكن آراءه ونظرياته قد اصبحت بعد ذلك جزءا لا يتجزأ من الفكر الكنسى المسيحى !

ان من الممكن استخلاص وجهة نظر ارسطو فى الفيزياء من كتابيه « الفيزياء » ، و « حول السماوات » . وهذان الكتابان يرتبطان بشكل وثيق ، ويؤكد برتراند رسل فى كتابه « تاريخ الفلسفة الغربية » ان هذين الكتابين كان لهما تاثير شديد . لقد سيطر كل منهما على روح العلم حتى عصر جاليليو . وما تزال كثير من الكلمات مثل « عالم ما تحت القمر » وغيرها من المصطلحات مشتقة من النظريات المذكورة فى هذين الكتابين . ولذا فلا بد من تلخيص الافكار الاساسية لهذين الكتابين ، على الرغم من انه يصعب اليوم قبول اى فكرة من افكار هذين الكتابين على ضوء نتائج ابحاث العلم الحديث .

وغنى من البيان ان جمهرة المفكرين والعلماء المعاصرين لا ينكرون ما لارسطو من فضل فى ميدان علوم المنطق وعلوم الحيوان ، ولكنهم يعتبرون كتابيه فى الفيزياء والفلك ماساة كاملة استطاعت ان توقف نبض البحث العلمى فى الفيزياء نحو الفى عام !

وحتى اليوم يرى الكثيرون ان دم برونو (وقد احرق خلال حياة جاليليو لتمرده على آراء ارسطو) وجاليليو فى عنق ارسطو على وجه التحديد !

وطبقا لما قاله ارسطو تعتبر الفيزياء ليس ما نعنيه اليوم (قوانين حركة المادة غير الحية) ، بل على العكس ففزياء (اى طبيعة) اى كائن هى اتجاه نمو هذا الكائن وكيف يتصرف . وقد يبدو هذا غريبا لنا اليوم ، غير انه من الضرورى ان ندرك ان ارضية ارسطو التصورية تختلف عن ارضية الفكر المعاصر . ونحن اليوم نبدأ بدراسة الميكانيكا التى توحى طبيعة اسمها بالماكينات . والطالب اليوم يالف السيارات والطيارات ، وهو لا يعتمد ـ حتى فى اضيق حيز من تصوره الباطنى ـ ان السيارة تحتوى على حصان بداخلها او ان الطائرة تطير لان بها اجنحة طائر سحرى . والحقيقة ان الحيوانات اليوم فقدت اهميتها فى صورنا التحليلية من هذا العالم الفيزيائى الذى يقف فيه الانسان وحيدا فى بيئة عديمة الحياة اساسا . اما بالنسبة لليونانيين فقد كان من الصعب وهم يحاولون تكوين صورة علمية عن الحركة ، ان تبدو لهم النظرية الميكانيكية البحتة اذا استثنينا رجالا عباقرة مثل ارشميدس .

ولقد بدت لليونانيين اهمية مجموعتين من الظواهر : حركة الحيوانات ، وحركة الاجسام السماوية ، وكان طبيعيا ان يؤالفوا بين الحركات التى لا حياة فيها وبين حركة الحيوانات . ومازال الطفل حتى اليوم يميز الحيوانات عن الاشياء الاخرى بحقيقة انها تتحرك من تلقاء نفسها . وهذه الخاصية هى النظرية العامة للفيزياء عند ارسطو، وقد شجعته على هذا ـ مع الاسف ـ ابحاثه فى علم الحيوان .

ولكن ماذا عن الاجرام السماوية ؟

انها تختلف عن الحيوانات بانتظام حركتها ، وربما كان ذلك نتيجة كمالها الاعلى . ولقد كان كل فيلسوف يونانى يتعلم فى طفولته ان ينظر الى الشمس والقمر كالهين ، ولقد ادين انكسابورس بتهمة الكفر لانه اعتقد ان الاجرام السماوية ليست حية . وعندما ينظر الفيلسوف الى الاجسام السماوية كاجسام مقدسة ، يكون من الطبيعى ان يعتقد انها تتحول بإرادة مقدسة لها ولع بالنظام والبساطة

الهندسية • وهكذا فالمنبع النهائي لكل حركة هو الارادة •••• ارادة الكائنات البشرية والحيوانات على الارض ، وارادة الخالق الاعلى بالتصور اليوناني لهذا الخالق •

ان الفيزياء عند ارسطو هي ما يسميه اليونانيون Phusis وهي كلمة تترجم (الطبيعة) وان كانت هذه الكلمة ليس لها المعنى الذى تعطيه كلمة الطبيعة اليوم • فكلمة Phusis كانت ترتبط بفكرة النمو ، وكان من الممكن ان يقول الانسان انه من طبيعة ثمرة المشمش ان تنمو الى شجرة المشمش ، وفى هذه الحالة يكون الانسان مستخدما للكلمة بالمعنى الارسطالى • ان طبيعة الشيء عند ارسطو هي غايته التي من اجلها وجد• ولذلك فللكلمة معنى غائي • فبعض الاشياء توجد بالطبيعة ، والبعض الاخر من اسباب اخرى • والحيوانات والنباتات والاجسام البسيطة (ونعنى بها العناصر) توجد بالطبيعة • ان لديها مبدأ داخليا للحركة ، والطبيعة هي مصدر الحركة والسكون ، وللاشياء « طبيعة » ان كان لها مبدأ داخلي من هذا النوع •

وعلى الرغم من ان هذا المفهوم الكامل عن الطبيعة يبدو فى الظاهر مناسبا لتفسير نمو الحيوانات والنباتات ، الا انه اصبح فى النهاية عقبة كاداء فى نمو العلم • فاولا ينبغى ان نقول ان وجهة نظر ارسطو هذه تتناقض مع نسبية الحركة بالمعنى الحديث • ونحن نقول اليوم انه عندما تتحرك أ بالنسبة الى ب فان ب تتحرك نسبيا الى أ ولا معنى اذن ان نقول ان احداهما تتحرك بينما الاخرى ساكنة • وعندما يمسك الكلب بعظمة يبدو للذوق الفطرى ان الكلب يتحرك بينما العظمة ساكنة ، وان للحركة هدفا ونعنى تحقيق طبيعة الكلب • غير انه قد اتضح اليوم ان هذه النظرية لا يمكن تطبيقها على المادة الميتة ، وانه لاغراض الفيزياء العلمية فان مفهوم « الغاية » ليس مفيدا ، فضلا عن انه لا يجوز من الناحية العلمية اعتبار اى حركة الا نسبية •

النظرية وصعوباتها

وارسطو عندما يبحث عن تفسير علمي لسقوط حجر مثلا الى الارض ، لا يجد ما يقوله لنا الا : هذه هي طبيعته وهي اجابة لا تخرج فى الواقع عن القول بان هذه هي ارادة السماء ، وان بدت اكثر علمية •

يقول العالم البريطاني برنال فى كتابه « العلم فى التاريخ » : « لقد انشا ارسطو عالمه الفيزيائى فى صورة عالم اجتماعى مثالى يكون فيه الخضوع هو الحالة الطبيعية • وفى هذا العالم عرف كل شيء مكانه ، وفى معظم الاحيان يلتزم به• فالحركة الطبيعية تحدث فقط عندما يكون الشيء فى غير مكانه ويميل الى العودة اليه مرة اخرى ، كالحجر عندما يسقط الى الارض ، او الشرارة عندما تنطلق الى اعلى • وهذا ينطبق فقط على الاشياء التى ليس لها حركة خاصة بها • فمن طبيعة الطير ان يطير فى الهواء ، ومن طبيعة السمكة ان تسبح فى الماء • ان هذا هو فى الواقع ما خلقت الاسماك والطيور من اجله • وفى هذا نرى احد افكاره القائده ، فكرة العلل الغائية ••• وقد اعترف ارسطو باسباب اخرى (مثل العلة المادية والعلة الفعالة اللتين تقدمان الدعامة المادية وتجعلان الاشياء تعمل) ولكنه اعتبرهما اسبابا ادنى من العلل الغائية • ولقد كان هذا المبدأ لعنة على العلم ، اذ انه يقدم وسيلة كاذبة لتفسير اى ظاهرة بالتسليم بوجود غاية مناسبة لها ، دون ان نكلف انفسنا بحث كيف تعمل هذه الظاهرة » •

وغنى عن البيان ان فيزياء ارسطو لا تتسق مع قانون نيوتن الاول عن الحركة الذى كان جاليليو اول من اشار اليه • وينص هذا القانون على ان كل جسم متحرك فى خط مستقيم وبسرعة منتظمة – اذا ترك لنفسه – يستمر فى الحركة وهو ما يعرف بقانون القصور الذاتى • وهكذا فاننا لا نحتاج الى اسباب خارجية فى تفسير الحركة ، وانما من اجل تفسير التغير فى الحركة (التغير اما فى الاتجاه او السرعة) ولذا فالحركة الدائرية التى ظن ارسطو انها طبيعية للاجسام السماوية تتضمن فى الحقيقة تغيرا مستمرا فى اتجاه الحركة ، ولذا لا بد من وجود قوة موجهة الى مركز الدائرة كما هو الحال فى قانون نيوتن للجاذبية •

ولقد قدم ارسطو فى كتابه « حول السماوات » نظرية بسيطة وطريفة فى فهم علم الفلك •فالاشياء اسفل القمر تخضع للتوالد والتحلل • اما ابتداء من القمر فما فوق فكل شيء غير قابل للتوالد او الهدم • والارض فى مركز الكون ، وفيما تحت القمر يتكون كل شيء من اربعة عناصر (الهواء ، الماء ، التراب ، النار) ولكن هناك عنصر خامس تتكون فيه الاجسام السماوية وهو الاثير• والحركة

الطبيعية للعناصر الارضية الاربعة هي خطية ، بينما حركة العنصر الخامس دائرية • والسماوات عند ارسطو كرات كاملة ، والاجزاء العليا اكثر قداسة من الاجزاء السفلى ، وما حركة النجوم والكواكب الا نتيجة حركة كرات ربطت بها هذه الاجرام السماوية •

ولقد قدمت هذه النظرية صعوبات عديدة للاجيال التالية•فالشهب ـ التي عرف انها تتحطم ـ نسبت الى كرة « ما تحت القمر » • ولكن وجد في القرن السابع عشر انها ترسم مسارات حول الشمس ، ونادرا ما تكون قريبة الينا قرب القمر • ومن الصعوبات ايضا انه لما كانت الحركة الطبيعية للاجسام الارضية ـ عند ارسطو ـ هي الحركة الخطية فقد ظن ان القذيفة التي تطلق بشكل افقي تتحرك افقيا لفترة ثم تبدأ فجاة في السقوط راسيا • ولذا كان اكتشاف جاليليو بان القذيفة تتحرك في قطع مكافيء صدمة قاسية للعلماء المؤمنين بارسطو • ولقد كان على كوبرنيكس وكبلر وجاليليو ان يقفوا ضد ارسطو عندما اكدوا ان الارض ليست مركز الكون ، ولكنها تدور حول نفسها مرة كل يوم ، وتدور حول الشمس مرة كل عام •

يقول برتراند رسل في كتابه « تاريخ الفلسفة الغربية » :

« لقد كان من الضروري التخلي عن النظرية القائلة بان الاجسام السماوية خالدة وغير قابلة للفساد • فللشمس والنجوم حياة طويلة ، ولكنها لا تعيش للابد • لقد ولدت من سديم وهي في النهاية اما ان تنفجر او تموت من البرودة•وليس هناك في العالم المنظور شيء معفى من التغير والانحلال • وعقيدة ارسطو المقابلة هي في الحقيقة نتاج العبادة الوثنية للشمس والقمر والكواكب ، على الرغم من انها قبلت من المسيحيين في القرون الوسطى »

ولقد استعان جاليليو في هدم افكار ارسطو باسلوبين : البحث الرياضي الذي اجاده جاليليو وان لم يجده ارسطو ، والتجربة العلمية الفيزيائية التي لم يعرفها ارسطو • فعندما ادعى ارسطو ان الجسم يسقط الى الارض بسرعة تتناسب عكسيا مع وزنه ارتقى جاليليو برج بيزا المائل والقى بجسمين مختلفي الوزن الى الارض فوجد انهما يصلان الى الارض في نفس اللحظة !

ولقد سمع جاليليو عام ١٦٠٩ عن اكتشاف التلسكوب في هولندا ، واستطاع بجهد خارق ان يطوره • وبمساعدة هذا التلسكوب استطاع جاليليو ان يشاهد اربعة اقمار من اقمار المشتري ، وبدت هذه الاقمار وكانهما صورة مصغرة للمجموعة الشمسية ، ومن هنا بدت فكرة دوران الارض حول الشمس تبدو اقرب الى المعقولية • كما اوضحت المشاهدات التلسكوبية ان القمر والشمس ليسا بالاجسام التامة كما يدعي ارسطو • لقد بات من الواضح ان على القمر جبالا وان للشمس بقعا ، وكل هذا يناقض ادعاءات ارسطو •

شبح مصير برونو

جاليليو اذن انتهى الى ان افكار ارسطو في الفيزياء والفلك خاطئة من اولها الى آخرها ، ولكنه كان يعلم ان هدم ارسطو معناه المواجهة مع الفكر الذي تبنته الكنيسة في روما واعتبرت ان اي هجوم عليه يعني الهجوم على الدين المسيحي نفسه •

ان من الضروري ان نشير الى المناخ الذي نشا فيه جاليليو حتى نفهم طبيعة مشكلته مع الكنيسة ... المناخ الاوروبي العام والجو العائلي الخاص•

لقد ولد جاليليو عام ١٥٦٤ في بيزا بايطاليا ، بعد بدء حركة الاصلاح الديني في اوربا باربعين عاما ، وبعد وفاة ميكائيل أنجلو بثلاثة أيام • ولا شك ان جاليليو قد استفاد في شبابه من الاتجاه العقلاني الذي ساد الفلسفة الطبيعية في عصر النهضة ، كما انه نشا في كنف والد من صلب ارستقراطية فلورنسا ، ولكنه كان رجلا شديد الايمان باهمية المناقشة الحرة لكل الموضوعات من اجل الوصول الى الحقيقة ، وكانت مواقف والده في هذا المجال ذات تاثير كبير عليه في شبابه • ولكنه نشا ايضا في ظل نمو تهديد حركة الاصلاح البروتسانتية لسلطة الكنيسة الكاثوليكية ، في ظل الحروب الدينية التي اكتسحت اوربا من الشمال وهددت سلطة الكنيسة كما لم تهدد من قبل •

وعندما وضحت عبقرية جاليليو في الرياضيات عين استاذا لها بجامعة بادو في جمهورية فلورنسا وهو في الثامنة والعشرين من العمر ، وظل استاذا بهذه الجامعة حتى عام ١٦١٠ • في هذه الفترة توصل جاليليو الى معظم اكتشافاته العلمية الفيزيائية الهامة ، وحقق اتصالات ضخمة مع عدد كبير من علماء أوربا ، واصبح في نظرهم ـ كما

هو فى نظر العلماء أول عالم فيزيائى بالمعنى الحديث لهذه الكلمة •

كتب جاليليو عام ١٥٩٧ الى كبلر يقول :

« منذ سنوات وانا مقتنع بنظريه كوبرنيكس التى تفسر لى أسباب كثير من الظواهر الطبيعية التى تبدو لى غير قابلة للتفسير فى ظل الفروض الشائعة • ولاثبات خطا هذه الفروض جمعت عددا كبيرا من الحجج والاسانيد • ولكننى لا اجرؤ على نشرها علنا حتى لا يكون مصيرى هو مصير معلمنا كوبرنيكس ••• هذا الرجل الذى نعتبره خالد الاسم ، وان كان عند أعداد لا نهائية من الناس (هذا هو عدد البلهاء) مصدر التحقير والسخرية» •

ولقد كانت نظرية كوبرنيكس عن الكون ترفض اعتبار الارض مركزا له وتقول بدوران الارض حول الشمس • والعميه أن جاليليو لم يكن يخاف من التحقير والسخرية فحسب ولكنه كان يخاف اكثر من ذلك ان يكون مصيره هو مصير برونو الذى احرق لانه اشار الى احتمال وجود حياة على بعض الكواكب الاخرى ••• الامر الذى اعتبر بمثابة تهجم على الانجيل والتوراة !

ان من المؤكد أن جاليليو لم يكن مستعدا لتفسير نظريه كوبريكس تفسيرا معاديا للمسيحية • بل على العكس فقد كان يعتقد طوال حياته ان مفهوم الشمس الساكنة والارض المتحركة حولها تتفق تماما مع الكتاب المقدس ••• اذا قرىءهذا الكتاب قراءة سليمة •

وقد شجعهعلىهذا الموقف انىنظريات كوبرنيكس لم تعترض عليها الكنيسة عند اول ظهورها • والواقع ان كوبرنيكس اهدى كتابه المتضمنىنظرياته الى البابا بول الثالث ، وكان واثقا من ان كتابه سوف يستقبل استقبالا طيبا • وادى هذا الشعور بجاليليو الى ان اطلع عددا من رجال الدين على تجاربه التلسكوبية حيث شاهدوا بها اقمار المشترى ، وكان ان ايده الجيزويت علانيةواستقبله البابا بول الخامس مؤيدا • ولقد بلغ من ثقة جاليليو فى تاييد الكنيسة لافكاره ان ذهب الى روما وقضى بها ستةاشهر مناقشا ومدافعا ومتابعا!

فى مواجهة الادعياء

ولكن ما اتضح بعد ذلك كان عكس ما قد توقعه جاليليو • فتحت السطح كان هناك تيار كاسح فى الكنيسة تمثله اعداد كبيرة من المنافقين والمضللين وادعياء العلم ومن يسمون انفسهم بالاكاديميين الكنسيين ، وهؤلاء كانوا ينسبون الى انفسهم اكتشافات علمية ليست لهم ، ويعتبرون فكر ارسطو جزءا لا يتجزأ من الفكر المسيحى يعتبر التخلى عنه بمثابة التخلى عن المسيحية ذاتها • واستطاع هؤلاء ان يقنعوا البابا ان آراء جاليليو هى جزء لا يتجزأ من المؤامرة الكبرى على الكنيسة التىبداها ملوك الشمالبالسلاحودعمها كوبرنيكس وجاليليو بالفكر •

وفى ظل هذا الجو المحموم يطفو على السطح سماسرة الدين وأصحاب الاوجه ذات الالف لون ، وتكون الحقيقه هى آخر ما يهم الهمس والنقاش لان المهم هو التصيد لم الادانة حتى تخرس الالسنة وتشل العقول •

وقد تم تصيد جاليليو باحدى رسائله التى تبدو لنا اليوم بكل المقاييس رسالة عاقلة، ولكنها كانت فى نظر الكنيسة رسالة كفر وزندقة !

كتب جاليليو فى هذه الرسالة يقول :

« وعلى ذلك يبدو لى انه لا ينبغى ان نلقى بظلال من الشك على اى عمل من أعمال الطبيعة نتعلمه بخبرة عيوننا او يقوم عليه برهان حاسم •••مستخدمين فى ذلك نصوصا من الكتابالمقدس• فكل نص فى الكتاب لا يخضع لقوانين فى حدة القوانين التى تخضع لها اعمال الطبيعة • ولما كان من المستحيل على حقيقتين ان تختلفا فانواجب المفسر العاقل للكتاب المقدس أن يحاول أن يجد المعنى الحقيقى لنصوصه بما يتفق مع هذه الاستقراءات الضرورية التى تقوم على شواهد محددة او براهين معينة » •

لقد كان جاليليو مقتنعا انه لما كان الله قد منحنا الحواس فانلنا الحقكل الحقفىاستخدامها• ولقد بلغت به براءته ان وافق على توزيع هذه الرسالة على نطاق واسع فوقعت فى يد أعدائه !

كتب احد أعداء جاليليو من رجال الكنيسة يقول : « ان المسئولين عن هذه الرسالة يستهدفون تفسير الكتاب المقدس بطريقتهم الخاصة وضد التفسير المقبول من الآباء المقدسين •••• ولما كنت قد ابلغت ان هؤلاء الرجال يتكلمون بلا احترام عن الآباء المقدسين ، ويدوسون بأقدامهم كل فلسفة ارسطو •••• »

وهكذا اصدر البابا عام ١٦١٦ امرا الى رجال الكهنوت فى مكتبه أن يجتمعوا ليقرروا ما اذا كانت :

(أ) الشمس مركز الكون وبالتالي غير قابلة للحركة .

(ب) الارض ليست مركز الكون ، وانها قابلة للحركة .

وصدر قرار للجنة العليا بان هذين التقريرين خاطئان . وان الاول على وجه الخصوص يناقض الكتاب المقدس . وبعد يومين طلبت الكنيسة من جاليليو الا يتبنى آراء كوبرنيكس الخاطئة ، وصودر كتاب كوبرنيكس الى أن تعاد مراجعته .

لحظة المحاكمة

وظل جاليليو طليقا وان كان مدانا ، ولسبع سنوات لم ينشر جاليليو شيئا . لقد افلحت الكنيسة في اسكاته ، غير انه فى عام ١٦٢٣ بدأ تطور جديد مبشر بتغير لصالح جاليليو ، اذ أصبح صديقه ومؤيده الكاردينال باربريني هو البابا الجديد . ومع انه لم يكن فى استطاعة البابا الجديد أن يلغى القرارات القديمة ضد كوبرنيكس، الا انه لم يمنع مناقشة نظرياته كفرض تخميني . وهكذا دبت الحياة فى جاليليو من جديد ، ونشر فى عام ١٦٣٢ كتابا جديدا يسمى « المحاورات » ويتضمن نقاشا بين انصار ارسطو وانصار كوبرنيكس عن تصور الكون . وبعد أن وافقت الرقابة اولا على الكتاب وصدر ، جمع من المكتبات ، وقيل آنذاك انه لم يكن من الممكن على الكنيسة أن تتجاهل مثل هذا التحدى لسلطتها بينما ملك السويد فى الشمال يقلب الموازين على جيوش الكاثوليك بحيث كانت الكنيسة نفسها فى ميزان القدر ! والحقيقة أن عدد الارسطاطاليين فى مجلس البابا كان ساحقا وكانوا جميعا فى انتظار فرصة تصفية الحساب مع جاليليو !

وهكذا صدر فى نهاية ١٦٣٢ امر من مكتب البابا فى روما الى جاليليو ان يحضر الى روما لمواجهة المحاكمة !

ان موقف جاليليو فى مواجهة المحكمة هو المصدر الاصلى لسخط بريغت عليه . فقد جبن وتراجع وقال فى مواجهة جلاديه « اننى لا أعتبر افكار كوبرنيكس صحيحة ولم أعد مقتنعا بها منذ اللحظة التى طلب منى أن [illegible] عنها » .

ولم يعفه هذا الموقف [illegible] من قرار المحكمة [illegible] عليه ان يركع [illegible] ان الارض تدور ! وبعد شهور قليلة من السجن فى روما اعيد الى فلورنسا حيث ظل معتقلا فى منزله حتى مات عام ١٦٤٢ . ومن الانصاف لتاريخ جاليليو ان نشير الى انه بعد اربعة شهور من سجنه ارسل نسخة من المحاورات الى ستراسبورغ وطلب ان تنشر ترجمة لاتينية له . وبينما حاول فى الظاهر أن يحافظ على ما أعلنه من تخل عن نظرية كوبرنيكس الا انه كان فى الجوهر مخالفا لهذا التعهد عندما أرسل الكتاب الى ستراسبورج . ومن الواضح أن الكنيسة كانت مهتمة بالمظاهر فحسب ، وكانت على استعداد لتجاهل اتصالات جاليليو مع العالم الخارجي .

ويبقى بعد هذا الاستطراد أن نشير الى عدد من الحقائق التاريخية التى تلقى أضواء أكثر على ادانة بريغت لجاليليو . فمن المؤكد تاريخيا أن جاليليو قد انتبه الى اهمية استخدام التلسكوب من الناحية العسكرية ، وانه أهدى اكتشافه هذا الى حكام جمهورية فينسيا لاستخدامه فى الحرب ، وكوفىء على ذلك برفع راتبه وتثبيته فى عمله . كما انه من المعروف أن جاليليو ابن ارستقراطية فلورنسا لم يكن متعاطفا مع الحركات الثورية لفقراء الفلاحين .

أكان بريغت على حق اذن فى ادانة جاليليو فى مسرحيته الثالثة ؟ هل كان جاليليو بطلا أم جبانا رعديدا ؟ أسئلة نتركها للقارىء يصل فيها الى النتيجة التى يراها ، الا اننا سوف نختتم هذا المقال بما كتبه العالم الامريكى دوتيش شروايز فى كتابه « الفيزياء وبعدها الخامس : المجتمع تعليقا على قصة جاليليو :

« لقد كان جاليليو رجل عصره ، بكل العيوب والفضائل . صحيح انه باع علمه التطبيقى لمن دفع الاكثر ، ولكن تلك كانت طريقة الحياة تلك الفترة عندما لم يكن العلم المستقل موجودا وصحيح أنه خنع امام المحكمة والكنيسة أكان هناك اى خيار ! ان الخلاف كان و قابل للتوفيق ، فلكى يتقدم العلم كان تحدى السلطة القديمة . لقد كانت العصر . ومن ناحية اخرى لم يكن مو آنذاك ان تقبل هذا التحدى ، وهكذا بين المطرقة والسندان »

د . عبد

طرح جديد لـ.. مواقف المعارضة

للدكتور محمد احمد خلف الله

● القرآن الكريم هو النص الالهى للدعوة الاسلامية ـ النص الذى نزل من السماء على محمد ابن عبد الله ليحدد من أمره ما يلى : ـ

أولا : انه قد أصبح نبيا رسولا ٠

ثانيا : ان عليه بحكم هذا الموضوع الجديد آن : ـ

أ ـ يتلو على الناس آيات الله ليزكيهم ، ويعلمهم الكتاب والحكمة ، ويعلمهم ما لم يكونوا يعلمون ٠

ب ـ يبين للناس ما نزل اليهم حسب توجيهات القرآن الكريم ، وذلك لكي تكون دعوته الى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة ، وليكون جدله في سبيل الدعوة وحواره مع المعارضة ـ بالتى هى أحسن ٠

ج ـ يضع بتوجيهات من القرآن الكريم والقواعد والقيم والمعايير السلوكية التى يمارس بها المسلمون حياتهم ـ وذلك لكى يتحقق لهم المجتمع السعيد ٠ المجتمع الذى يسعد فيه الناس فى حياتهم الاولى والثانية أو الدنيا والاخرة ٠

وهذا النص القرآني الذى تتحقق معه كل هذه الغايات لم ينزل من السماء دفعة واحدة وانما نزل على دفعات ٠ ولقد استمر هذا النزول مدة ثلاث وعشرين سنة امتدت منذ زمن البدء بالرسالة ونزول وحى السماء الى أن لحق محمد عليه السلام بالرفيق الاعلى ٠

نزول القرآن على دفعات

ونزول النص القرآنى على دفعات كان الباعث للمعارضة على أن تذهب الى ان ذلك مما يدفعهم الى عدم الايمان بمحمد وتقبل دعوته ٠

ولقد سجل القرآن الكريم عليهم هذا الموقف فى أكثر من آية ، وانكر عليهم موقفهم هذا مبينا لنا ولهم الى ان هذه السبيل التى سلكها القرآن الكريم هى السبيل المثلى فى مثل جميع الدعوات الجديدة التى تستهدف تغييرات جذرية فى حياة الناس ٠

سجل القرآن الكريم عليهم انهم قالوا : « لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة » ٠

وسجل عليهم انهم قالوا فى موضع التحدى له : « أو ترقى فى السماء ، ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه ٠٠»

ورد القرآن الكريم على المعارضة قولهـا ، ورفض منها هذا الموقف الخاطيء الذى لا يتفق مع النواميس الاجتماعية والقواعد التشريعية • وقال في ذلك : ـ •

(١) «وقرآنا فرقناه لتقراه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا » •

(٢) « كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا»

ونفهم نحن من هذا الرد القرآني ان حالة الداعي وحالات المدعوين النفسية والذهنية هى التى اتخذت اساسا لهذا الموقف القرآني ، وهى التى كشفت عما فيه من قواعد تشريعية وظاهرات اجتماعيـة يحسن بنا استلهامها كلما عمدنا الى تغييرات جذرية •

ان اية دعـوة الى التغييرات الجذريـة انمـا تستهدف بناء الانسان اولا وقبل كل شيء من حيث ان الانسان هو الهدف من التغيير ، وهو في الوقت ذاته الاداة الى التغيير •

ومن المسلم به أن الانسان لا يمكنه احـداث التغيير في الحياة والاحياء ما لم يتغير هو أولا •

والانسان الداعي الى التغيير ، والذى يتولى امر القيادة في حركات التغيير لا بد وأن يتغير هو اولا ، اى أن بنيانه الداخلي لا بد وأن يتغير قبل أن يبدأ دعوته بالتغيير •

والانسان الداعي حين يتغير أولا يظل في حاجة ماسة الى الاقتناع بانه سوف ينجح فيما يدعو اليه • وهذا الاقتناع لن يتحقـق الا عن طريق الممارسة العملية ـ اى تطبيق ما يدعو اليه نظريا في الحياة العملية •

وهذا التطبيق أو هذه الممارسة تحتـاج الى فسحة من الوقت لتحقق في الداعي هذه القناعـة التى يحتاج اليها •

وهذا هو الذى عناه القرآن الكريم حين قـال لمحمد عليه السلام : « كذلك لنثبت به فؤادك » •

واتخذ القران الكريم من تكرار التلاوة وسيلة الى تحقيق القناعة من حيث أن التكرار وسيلة من وسائل تاكيد المعاني في الاذهان • وهذا هو الذى عناه القرآن الكريم من قوله في ختام الاية المشار اليها آنفا : « ورتلناه ترتيلا »••

هذا ما قصد اليه القرآن الكريم من حـالات الداعي • أما ما قصد اليه من حالات المدعوين فتكشف عنه الاية القرآنية « وقرآنا فرقناه لتقراه على الناس على مكث •• »

فنحن نفهم ان القراءة على مكث ، أى مهلة من الزمن هى التى تيسر عمل الداعي احداث التحولات الداخلية في المدعوين ، من أن هذه التحولات لا تحدث أبدا دفعة واحدة وقت واحد • انها انما تحدث مجزاة وعلى فترا وانه منهنا لا تصلح القوانين في احداث التغ الجذرية في الانسان •

واسلوب القرآن الكريم هذا هو الذى يسـ المحدثون اليوم بالمرحلية في الدعوات •

والاقدمون من رجال الفكر الديني الاسلام اهتدوا الى هذا ، وتحدثوا عن ذلك على أن المبادىء القرآنية • وجعلوا من هذه المبادىء ا النسخ ، وقاعدة التدرج في التشريع •

اول الآيات نزولا وآخرها

والدفعة الاولى من النص القـرآني ـ التى نزلت من السماء لتنبىء محمدا عليه ا انه قد أصبح نبيا رسولا ـ مختلف فيها أربعة أقوال •

والدفعة الاخيرة التى نزلت من السمـاء محمد عليه السلام مختلف فيها على عشرة أقو

ولسنا هنا بصـدد جر القـارىء الى م يتعذر فيها الوصول الى الحقيقة ، والوقوف أول نص نزل من السمـاء ، وآخر نص نز السماء على محمد عليه السلام ، فانما نكت ذلك بما يلى : ـ

(١) ان اظهـر الاقـوال في أول ما نـز القرآن الكريم هو الايات الاولى من سورة ا أو الايات الاولى من سورة المدثر •

والقول الاول أشهر ـ أى أن قوله تعالى « يـ المدثر قم فانذر ، وربك فكبر ، وثيابك فط قد نزلت بعد قوله تعالى « اقرأ باسم ربك خلق• خلق الانسان من علق • اقرأ وربك الا الذى علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلـ

(٢) ان القول بان آية « اليوم اكملت لكم واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام هى آخر ما نزل من القرآن الكريم مردو هذه الاية قد نزلت في حجة الوداع ، وان الحجة كانت قبل وفاة محمد عليه السلام اشهر ، وان الوحى قد نزل ولم يتوقف طوا المدة •

والذين يقولون هذا القـول يذهبـون الى ان المقصود باكمـال الدين هنا هو قواعـد الحـلال والحرام • اما ما يتعلق بالآداب العامـة فلـم يتوقف عن النزول •

ويذهب بعضهم ـ بناء على ذلك الى ان آخر آية نزلت من القرآن الكريم هي قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى فاكتبوه •• » •

ومع الاكتفاء بهذا القدر فيما يخص هذه المشكلة نشير الى امرين هامين :

الاول • ان المنطق البشرى يجيز في سهولة ويسر أن يكون الخلاف في اول ما نزل على أربعة أقوال ـ ولكنه لا يجيز الا في صعوبة وعسر أن يكون الخلاف في آخر ما نزل على عشرة أقوال •

لم يكن عند محمد عليه السلام كتبة للوحي في اول الامر ، ولم يكن الى جانبه من الصحابـة الا النزر اليسير الذى آمن به وصدقه منذ اللحظات الاولى مثل زوجه خديجة ، وصديقه ابى بكر ، وابن عمه على بن أبى طالب •

هذا الى جانب انه هو نفسه قد تريث بعض الشيء قبل أن ينبيء غيره بانه قد أصبح نبيا رسولا ، تريث حتى يتاكد من أمر نفسه ، وان هذا الذى ياتيه هو الوحي حقا •

ان هذا كله مما يجيز هذا الاختلاف الضيق في اقوال اربعة اشهرها فيما ذكرنا قول او قولان •

والامـر في آخـر ما نـزل يختلف عن ذلك كل الاختلاف ، فقد كان للنبي عليه السلام كتبة للوحي ، وكان من حوله الصحابة ـ الامر الذى يدعو الى ان لا يكون هناك خلاف على الاطلاق ، أو يكون في أضيق الحدود بحيث لا يتعدى قولا أو قولين •

الامر الثاني: أن القرآن الكريم يؤكد لنا ان موقف المعارضة لم يكن الا موقف العناد ، وانهم لن يؤمنوا لو أجابهم المولى سبحانه وتعالى الى ما يذهبون اليه من ان الكتب الدينية انما تنزل من السماء دفعة واحدة •

يقول الله تعالى : « ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين » ويذهب ابن عباس الى ان القرآن الكريم قد نزل الى السماء الدنيا دفعة واحدة ، وانه نزل من السماء الدنيا على محمد عليه السلام في دفعات •

لماذا نزل القرآن بالعربية ؟

وهناك مسالة أخرى من مسائل الكيفية التى نزل بها القرآن الكريم من السماء ودفعت المعارضة الى اتخاذ موقف بعينه من النبى عليه السلام ، وتلك هي مسالة نزول القرآن الكريم بلسان عربى مبين •

لقد نزل القرآن الكريم بلغة قريش ، وكانت هذه اللغة قد بلغت من الفصاحة مستوى لم تبلغه لغة اخرى من لغات القبائل العربية ، وذلك بفضل مكانة مكة في الحياة الدينية ، ومنزلة قريش في الحياة الاقتصادية والاجتماعية • وكان الشعراء على اختلاف قبائلهم ينظمون القصيد ويتبارون بالشعر في الاندية والاسواق الادبية بلغة قريش ، مما اكسبها منزلة خاصة بين القبائل العربية كلها •

كان نزول القرآن باللسان العربي المبين مثيرا لحفيظة المعـارضة من حيث انهم كانوا يؤمنـون بذلك القول الذى تذيعه القبائل اليهوديه وتبشر به • وهو ان للدين لغة دينية معينة هي اللغـة السريانية ، وان كتب السماء تنزل بهذه اللغة ، وان سؤال الملكين في القبر سيكون بها ، وكذلك الحساب في اليوم الآخر •

وانكر القرآن الكريم على المعارضة هذا الموقف ، وابرز في انكاره هذا ما وقعت فيه المعارضة من تناقض ، ووضع في رده وانكاره قاعدة عامة يمكن ان نستثمرها افضل استثمار في تقديم حل لهذه المشكلة المعقدة ـ مشكلة ترجمة القرآن •

لقد بعث النبى عليه السلام للعرب ، ونزول كتاب من السماء بلغة غير عربية غير جـائز على الاطـلاق من حيث ان اى كتاب ينـزل من السماء يحتاج الى بيـان وتفصيل ، ولا بـد من أن يكون البيان والتفصيل باللغة العربية حتى يستفيد من كتاب السماء اولئك الذين نزل الكتاب من اجلهم ، وهنا يبرز التناقض القائم على ان النص السماوى بلغة غير عربية وتفصيله وبيانه باللغة العربية •

ان ذلك هو مضمون قوله تعالى : « ولو جعلناه قرآنا اعجميا لقالوا : لولا فصلت آياته • أأعجمى وعربى ••• » •

ولم يقف القرآن الكريم عند ابراز هذا التناقض وانما كشف عن البواعث الحقيقية لمثل هذا القول ، وانها العناد ليس غير • وان القـرآن الكريم لـو نـزل اعجميا على رسول اعجمى لمـا آمنوا به لان

موقفهم هو الرفض في آية صورة من الصور ينزل بها كتاب السماء •

يقول الله تعالى «ولو نزلناه على بعض الاعجمين• فقراه عليهم ما كانوا به مؤمنين •• »

اما القــاعدة التي وضعها القــرآن الكريم في استنكاره لما قالوا فتنص عليها الآية القرآنيــة التاليــة : ـ « وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ، ليبين لهم » •

وتلك انما تعني أن الرسول لا بد وأن يكون من القوم ، وان الدعوة لا بد من ان تكون بلسان القوم حتى لا تكون مسالة اللغــة غريبــة عليهم ـ والا عجزوا عن ادراك مضامين الدعوة الجديدة •

وهذا هو الاساس الثقافي الذى اكده القــرآن في كل موقف من المواقف ليذهب اثر هذه الدعاية الاسرائيلية الذاهبة الى أن هناك لغة دينية •

ان اللغة التي يتحدث بها القوم هي اللغة التي ينزل بها كتاب السماء ، وليس هناك من قاعــدة اخرى غير تلك •

وهذا المعنى هو الذى اكده القرآن الكريم مبينا الاسباب والدواعي •

يقول الله تعالى : « وانه لتنزيل رب العالمين • نزل به الروح الامين • على قلبك لتكــون من المنذرين • بلسان عربي مبين » •

ويقول تعالى : « فانما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوما لدا » •

ويقول : « وكذلك أوحينا اليك قرآنا عربيــا لتنذر أم القرى ومن حولها »

ويقول : « ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتقون • قرآنا عربيــا غير ذى عوج لعلهم يتقون » •

ويقول : «انا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون »

ترجمة القرآن الكريم

وتبقى بعــد ذلك مشكلة المشاكل وهي ترجمة القرآن الكريم •

اما نحن فنجيز هذه الترجمة لسببين قويين اشار اليهما ، ونحن على اساس منهما القرآن الكريم•

اما السبب الاول فهو الآية القرآنية الكريمة : «وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم••»

ان مضمون هذه الآية ان عملية البيان لكتاب السماء لا بــد وان تكون باللغة التي يستثمرها المجتمع في حياته • وهذا انمــا يعني أن الداعي الى الاسلام في أي مجتمع من المجتمعات لا بد من ان يستثمر في دعوته هذه اللغة التي يتكلم بهــا المجتمع الذى يدعى الى الايمان بهذه الدعوة •

واذا كان النص القرآني اساسا للدعوة الاسلامية مهما يكن المجتمع الذى يدعى الى الدخول في الاسلام فان ذلك يحتم على الداعي أن يتلو عليهم نصوص القرآن الكريم باللغة التي يستثمرونها في حياتهم • وليس يخفى أن الترجمة في مثل هــذا الموقف هي الواجب الديني الاجتماعي •

اما السبب الثاني فهو أن القرآن الكريم قــد ترجم الى العربية ما هو غير عربي من النصوص التي أوردها •

فنحن لو تاملنا في هذه القصص التي جاء بها القرآن الكريم ، واعتمد عليها في بيان وتوضيح الاهداف الدينية التي قصد القرآن الكريم الــى تحقيقها لتبين لنا ان بعض هذه الاقاصيص قد ترجم من لغته الاصلية الى اللغة العربية •

فقصص موسى عليه السلام مع فرعون ، وحوار فرعــون مع موسى وهــارون ، وحــوار فرعون مع السحرة ، لم تكن أصلا باللغة العربية وانما كانت باللغة المصرية القديمة •

وقصة يوسف عليه السلام ، وحوار يوسف مع عزيز مصر ومع امراة العزيز ، وحوار يوسف مع الذين دخلوا معه الســجن ، لم يكن ابدا باللغــة العربية وانما هو باللغة المصرية القديمة •

ان هذه السنة التي سنها القرآن الكريم هي التي تجيز لنا ـ القول بجواز ترجمة القرآن الكريم• مع القاعدة التي وضعتها آية : « وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم •• » •

القول بجواز ترجمة القرآن الكريم •

ونستطيع ان نمضي الى ابعد من ذلك ونقول بان ترجمة القرآن الكريم الى لغات مختلفة قــد أصبحت واجبا دينيا ما دمنا نعمد الى نشر الاسلام•

لا بد من الترجمة ليكون البيان قائما على اساس من النص الموجود بين يدي الناس •

ان الانتظار في هذا البيان حتى يتعلم الناس لغة القرآن هو الامر الذى يعارض سنة القرآن الكريم العملية ، ومضمون آياته القرآنية والله يوفقنا جميعا لما يحبه ويرضاه

■■

الله

د • محمد أحمد

أقوال معاصرة

■ من الصعب جدا التخلي عن المحسوبية السياسية في تعيين كبار موظفي الدولة ،فالولاء امر ضروري، ولكنه ولاء للدولة وليس للحزب او الزعيم ٠

ميشيل دوبريه رئيس الوزراء الفرنسي السابق

■ لم اشعر او اعرف ابدا اى تناقض بين مشيئة الله وبين واجبي السياسي ٠

الرئيس الامريكي جيمى كارتر

■ .لقد خاب املى في افريقيا ،ولكن املى خاب في الغرب بنفس المقدار ٠

الرئيس السنجالى ليوبولد سنجور

■ انا صقر فعلا ، ولكنني لست مجنونا ، بل صقر واقعي ٠

شيمون بيريز زعيم المعارضة في اسرائيل

■ عندما تحدثت مع الرئيس ليونيد بريجينيف عن ضرورة السلام مع امريكا ، شعرت كأنني الرئيس الاسود للولايات المتحدة ٠

محمد على كلاى في موسكو

■ ٩ ٪ من الجنود الامريكان باوروبا اصابهم عجز من جراء تعاطيهم المخدرات القوية ٠

لسترولف رئيس لجنة مكافحة المخدرات الامريكية

■ طوال السنوات الخمس الماضية ، كنت اشرب كوبا من «بولى» كل صباح (٢٢٠ جرام تقريبا) ، لان البول هو ماء الحياة، وهو يشفي من السرطان والسل وبعض امراض العيون ٠٠ عليكم بشرب البول فهو مفيد ، ومتوفر بالمجان !

مورارجى داساى رئيس وزراء الهند

■ تنفق دول العالم نصف مليون دولار في سبيل الحرب ، في كل دقيقة من كل يوم من ايام السنة ٠

الدكتورة بيتى ويليامز الحاصلة على جائزة نوبل للسلام

عن المغتربين وأول رئيس عربي ينتخب

كولومبيا

زهرة أوركيد وزمردة وحبة بن سمراء

بقلم : الدكتور شاكر مصطفي

مساء ٦ يونيو (حزيران) الماضي ٠٠٠

على التليفزيون ، في نشرة الاخبار ، مر خبر عابر لعله لم يجذب انتباه اى عربي ٠وكيف يفعل؟ الخبر لم ياخذ سوى دقيقة من الوقت ، وكان عن بلد بعيد بعيد كانما يعيش في عتمة الاحداث والناس ٠ تدور الشمس في فلكها دورة السنة فلا سمع عنه مرة خبرا في سطر ٠ حتى المذيع اخطا في نطق الاسم الذى ورد في الخبر ـ هل تراني كنت الوحيد الذى غاص الخبر في قرارة صدره ، غاص كالنيزك اللامع ، كالاسهم النارية في الليل٠ فاذا سنوات كاملة من الماضي تبعث في جبيني ، تضج ، تحتشد ، تموج حية موارة على فم لحظة ؟

كان الخبر عن كولومبيا ٠٠٠ وغام كل شيء امام عيني المفتوحتين ٠ عدت خمس عشرة سنة الى الوراء ٠٠٠ هل تسمع بكولومبيا ؟

... ...

٠٠٠ زهرة (اوركيد) وحشية (١)
وزمردة كجنون الربيع
وحبة بن سمراء ، سمراء ٠٠٠ وقاسية

■ هذه هي كولومبيا ٠ البلد الوحيد الذى وفى لكرستوف كولومب في العالم الجديد ، فاخذ اسمه بعد ان حملت عدة قرون اسم « غرناطة الجديدة » Noeva Grenada

وان لم تكن من غرناطة الحمراء في شيء ، انها مليون وربع المليون من الكيلومترات المربعة ٠ مائة وعشرون مثل لبنان ، والف مرة من عاباته وصخره المرد وثلجه وشطئانه المتطامنة للموج ٠وقبل ان تلتقي مياه المحيطين الاطلسي والهادى في قناة (باناما) فانها تصفع ، وتداعب ، وتركض ، ثم ترتد على شواطئها في الشمال والغرب ٠



سيمون بوليفار

---

(١) هي الزهرة الارستقراطية المعروفة ٠ ومزارعها الواسعة في كولومبيا تحوى ما يزيد على ٤٠٠ نوع ولون منها ٠ وكولومبيا هي الى ذلك أيضا بلد الزمرد الاولى ، وبلد البن ٠



خوليو سيرار طربية



النيل؟اين النيل من نهرها العظيم (الماغدالينا) ؟ (ومون بلان) ؟ ايـن (مـون بلان) مـن ثلوج (نيفادل رويس) ؟ والغابة الافريقية ؟ اين منها الادغال ؟ الادغال المظلمة التى ما تزال تحتضن الوحش ، والافعى ، والنسر ، وتلاوين الببغاء ، والانسان البدائى الاول ؟ هناك امريكا التى لم تتامرك بعد ... ما يـزال فيهـا الطعم العريف المدهش لعصر ما قبل كولومبوس !

فمن الثمانية عشر مليون كولومبى لا يعيش فى نصف كولومبيا الشرقى سوى عشرة الاف انسان !

هناك اليانوس ، افق ممدود ، اذا استغرقت فيه حسبت ان الله لم يخلق سوى السهل . واذا صعدت فى النصف الغربى وتسلقت جبال الاند ، العمود الفقرى لكولومبيا (وللقارة) ، ولمست الصخور البنفسجية التى ما لمستها قبلك غير الثلوج ، او غرقت فى الغاب البكر ، الذى تضيع فيه حتى اليوم بعثات الاستكشاف بعثة بعد بعثة ــ وقفت كالمشدوه امام شلال الانتحارات (التكنداما)، سهم الفضة الذى ينغرس ١٥٠ مترا فى قلب الصخر ! ثم تهبط من جديد الى سيف البحر لتصبح ضبابا من (عرق) ولهاث قيظ استوائى عنيف ! هنا تجد الوجوه الابنوسية التى لفظتها مراكب النخاسة ، منذ قرون معدودة ، آلات حرث وزرع فى ذلك البر الاوسع .

اما فى قلب الغابة وعلى اطرافها المتصلة بالناس فثمة الهندى القديم ، الهندى الذى « رحب » بكريستوف كولومب واعطاه ذهبه ... وما يزال يعطيه الى اليوم هذا الذهب ! احفاد (الشيبشا) ما يزالون فى العرى والنظرة المتكبرة والفم المنكمش ريبة ودهشة . و (الموتيلونز) ما يزالون الى اليوم على الشجر والسهم الحديد بايديهم ، لا يتصلون بالناس ولا يصل اليهم الناس او يحاولون ! فى طائرة هيلوكوبتر منذ سنوات انتصرت عليهم الحضارة حين مرت الطائرة فوق غابهم ، وبيوتهم من ورق الغاب، تصور ، من عل، دهشتهم وقفزهم القردى نحوها !

ومع ذلك فاذا شق الفاتح الاسبانى الابيض طريقه فى كولومبيا وتوطن فى وادى (الكاوكا) او فى بعض نقاط الساحل ، او بعض الهضاب الجبلية العالية فقد التقى الهندى ، فيما التقى فى جبينه ودمه ، بكل ملامحه . واذا وجدت ١٥٪ من الكولومبيين البيض ، و ١٠ بالمائة من الزنوج و١٠ بالمائة من الهنود الاقحاح الخلص ،ففى كل منعطف من البلاد تقفز الى عينيك الملامح الخليطة من سمرة المتوسط وخدود الهندى المغولية القاتمة.

وتزهر الحضارة فى كولومبيا ، فى عدة نقاط مضيئة ضمن ظلام الغابة . فاذا تجاوزت الساحل ما بين(سانتامارتا) الى (باراتكيا) الى (كارتاهنة)، واستثنيت خط المدينة من وادى (الكاوكا) ما بين (بوبايان) و (كالى) الى (مانيزالس) و (مدين)واذا

اضفت الى هذه المجموعة من المدن : العاصمة (بوغاتا) ثم (بوكارامنغا) و (كوكوتا) فليس ثمة من جو مدني متحضر وراء ذلك ••• بلى ! انك تدخل من (بوغوتا) في جو امريكي وتتمتع فيها بالتلفزيون وبعشرين محطة اذاعية وبانوار النيون وبالفيلات الحديثة والسيارات التي لم يحلم (خمنيزدى كيسارا) باني المدينة بانها سوف تكون •••وتعيش في (مدين)في مدينة لا اروع ولا ابهى ، كلها نشاط ، وجد ، ومصنع نيفة الدخان ، ويروقك الجو التاريخي والبحر المتداخل في البر ، كالبندقية،في مدينة (كارتاهنة) وتعجبك كالي ، الجنة الصغيرة الخصبة ، و (بوكارامنغا) التي تطوقها الوديان • انها مدن للحياة ، وللحضارة الرخية•••ولكن لا تجاوزها ! لا تجاوزها اذا اعجبتك • الى الريف او الى الغابة • ان التناقض ، رغم المنظر الوحشي الفاتن الهائل الفتنة ، كفيل بان يفتح عينيك حتى آخر الافاق •

ابنة البابوية المفضلة

والبلد غني ، منهل الغنى • بترول • اناناس• زمرد • موز • فحم • بلاتين • حديد • جوز هند• ومزارع من قصب السكر ومحيطات من الغابات البكر • وقطعان السوائم بالملايين وسط الاجام البعيدة ، كل ذلك نهب لمن يستثمر او يطيق الاستثمار • اما القهوة ، هذه الحبة السمراء التي تقوم عليها كل الحياة الكولومبية والتي لو هبطت اسعارها في بورصة نيويورك سنتاواحدا لكان في ذلك الخراب ، ولو ارتفعت سنتا لكانت صيف لبنان الخصيب ، هذه الحبة تنمو ، وحشية كريمة ، وتعطي كولومبيا ستة ملايين كيس كل سنة !

والكنيسة هناك دنيا من الدنيا • يد عليا لا تنازع • انها متغلغلة في النخاع الشوكي لكولومبيا• لها الكلمة الاولى في الدولة والتعليم والسياسة ولها الاديرة والكنائس والارض والمال والاحترام وصدر الحفلات ••• حتى العائلية • ما من أسرة الا ومن افرادها قسيس على الاقل في الثياب السود • منذ قرنين كان ثلث السكان على الارجح قسيسين ورهبانا • كولومبيا هي الابنة المفضلة للبابوية في امريكا اللاتينية ولهذا منح اسقفها لقب الكاردينال منذ ١٨ سنة ، وخرج رئيس الجمهورية لاستقباله يوم قلد ، وركع امام الطائرة يقبل يده !

على ان بعض الكهان الصغار ثائرون على الفقر والظلم والاستغلال السياسي والكنسي والاقتصادي• السلطات كلها هناك تصفهم باليسارية والشيوعية وتتهمهم •• ولكنهم يتحدونها بالاعمال الاجتماعية الناجحة•ولا تجرؤ هي بالمقابل على ايقاف نشاطهم الذي يلبس الرداء الاسود •••

كل شيء لبوليفار

وباسم (بوليفار) يبدأ كل شيء في تاريخ البلد وامجاده • اتعرف هذا الاسم (سيمون بوليفار) (٣) ؟ انه حبيب (مانوليتا) الاتعرفها؟ كل عطر في مبادىء كولومبيا انما يبدأ عند اكليل الغار المضفور لبوليفار ، هذا النبيل الاسباني الذي ثار على بلاده ليحرر ،، وهو على المهر ـ في ارض لم تخطط حتى الان مسالكها في الشعاب والصخر ـ ستة بلاد تزيد مساحتها على خمسة ملايين كيلو متر مربع ، تزيد على نصف القارة الاوروبية • بوليفيا اشتقت اسمها من اسمه وبيرو ، والاكوادور ، وباناما وكولومبيا ، هي ضمن الدول البوليفاريانية ، اكراما له • وفنزويلا مسقط راسه ماتزال تدل بانه منها هذا الذي في كل مدينة ، وفي كل قرية ، له تمثال يركع امامه الاحترام ، والحب • لقد ترك في القمة،اصدقاءه الاخرين الذين اعانوه ، ولكن كولومبيا لاتنسى منهم الجنرال (سانتاندر) الذي وضع لبنة القانون الاولى فيها ، كما لاتنسى الاكوادور المارشال (سوكره) •

وتاريخ الحكم والاحزاب ، في هذه البلادجميعا يرقى في السنين الى (بوليفار) ايضا ، والى ايام الامجاد ما بين سنة ١٨١٠ و ١٨٣٠ ايام التحرير •

هل قلت احزاب ؟ مهلا • انهما فقط ، في كولومبيا ، حزبان وحيدان تقليديان ليس غير • منذ عشرين سنة (١٩٥٨) اضيف الى الدستور تعديل يحرم على اى سياسي ان يطل على الناس باسم حزب جديد ! ! كل كولومبي انما هو ازرق او احمر ، محافظ او ليبرالي •• وليس بين اللونين من الوان وسيطة او وراءهما من قوس قزح ••• وان كان الواقع انهما يحويان في اجنحتهما الكثيرة جميع قائمة الالوان من الاحمر القاني حتى الاسود ، ومن الماركسية حتى اليمين القاتم !

وتاريخ الدماء بين الحزبين طويل طويل ٠آخر المعارك بينهما بدات في ٩ نيسان ١٩٤٨ حين قتل الزعيم الليبرالي (غايتان) ، فاستبيحت العاصمة من بعد عدة ايام : حرقا وقتلا ونهبا ! ثم انتشرت العصابات الحزبية على الصخور والغابات ومايزال بعضها الى اليوم ينشر الضحايا ،التي زاد تعدادها على مليون من الناس ٠

ومن لم يمت بالرصاص ، مات (بالماشيت) الموز المعقوفة الحديدة !

وغرابة الخلاف الحزبي هناك لا يعدلها او يفوقها سوى حب الشفاه للجعة ! تسعمائة مليون زجاجة تفرغ منها في الاجواف كل سنة ،والثمانية عشر مليون كولومبي يفرغون لها لشركاتها الجيوب ايضا ٠ ويمشي العامل ظهر السبت باجره الى اول دكان ، فيبدأ الشرب ليعدو مساء الاحد وهو يمشي (لام الف) كما قال النواس ٠ شعب (الروانا) المسكين ، هذه اجمل متعة ٠٠٠ طبعا، بجانب الحب والرقص ! لاتكاد الموسيقى تعزف (الميريكومبه) او (التشاشاشا) حتى تهتز كل الاوساط ٠ اما اذا انتهى الرقص فان قطعة (البطانية) المربعة التي يبرز الراس من شق في وسطها ، والتي يدعونها (الروانا) Ruana تستطيع ان تغطي الحبيبة الى اقرب عتمة لتتناجى الشفاه ٠

واشياء قليلة هي التي بقيت من الاسبان هناك، بجانب اللغة الاسبانية : هي المباني الاثرية من العهد الاستعماري (كولونيال Colonial) والحماسة لمصارعة الثيران ٠٠ واهل مدينة (مديين) الكثيرو الاولاد !! ٠٠ وفيما عدا هذا فان كولومبيا تظل كولومبيا ٠٠ تظل زهرة اوركيد بطبيعتها الوحشية الرائعة ، وزمردة كجنون الربيع بما فيها من غنى وخصب وحبة بن سمراء سمراء بنكهتها الحلوة وبمن فيها من الناس !

هذا هو الخبر

وبعد ٠٠٠ فلم تسالني ما الخبر الذي جاء مساء ٦ يونيو ، ففتح « قمقم » الذكريات واوقد كل هذه الشموع ؟

كان الخبر ان مرشح حزب الاحرار (خوليو سيراز طورباي ايبلا) قد نجح في انتخابات رئاسة الجمهورية الكولومبية ٠ نال مليونين وثلث المليون من الاصوات متخطيا منافسة (بليساريو بينانكو) بمائة الف صوت ٠ والخبر حتى هنا عادي ليس من حقه ان يثير ، في غير كولومبيا ، احدا ٠٠

وحدي قفزت لهنا ٠٠٠ ثلاثة امور جعلته خبري المثير وجعلت له الطعم الخاص والمعنى الخاص : السنيور طورباي ليس صديقي فحسب ولكنه عربي من لبنان (ابوه من اسرة طربية والام ابيلا) ٠ وهو ايضا اول رئيس جمهوررية عربي ينتخب في القارة الامريكية ٠٠ المغتربون العرب في الامريكتين يعيشون في عروقهما ٠ يدورون في نسيج القارة كلها بين شمال وجنوب ٠ منهم رجال المال والصناعة والزراعة والاعمال ومنهم الشعراء والكتاب ٠وكان منهم ، منذ زمن طويل ، النواب الكثيرون في مختلف الدول الامريكية والوزراء العديدون ، وقد وصل بعضهم الرئاسة الثانية رئاسة السلطة التشريعية اما الان فهذه اول مرة يقتعدون ارجوان الرئاسة الاولى ٠٠٠

الولومبيون ، كل الكولومبيين ، سوف يعودون في هذه الايام الى ذكرى قديمة عمرها الان ثلاثون سنة ، بطلها السنيور طورباي الاول ، عم هذا الرئيس الجديد ٠ سيجدون في نجاح خوليو سيزار انتقاما لعمه ! ذلك العم كان سنة ١٩٤٨ نجم حزب الاحرار ٠ كانوا يسمونه النمر ، وكان نمرا في الجراة السياسية وفي سحر الجماهير بالبلاغة النارية ٠٠٠ وقد رشح نفسه للرئاسة ٠ وكان الفوز في جيبه ٠ كان مرشح حزب المحافظين اضعف بكثير منه ٠ وفجاة ، خرج له من قلب حزبه منافس القى في وجهه بالشعار المقيت :

– توركو ٠٠٠ لا ! (٢) ٠ توركو لا Turco,no!

حتى تحت قبة البرلمان دخل مرة فقابله انصار منافسة بهذا الشعار المنغم :

– توركو ٠٠٠ لا ! توركو لا !

واضطر ان يقف متحديا بقوة الواثق من نفسه وبالاهانة المرة

---

(٢) كلمة توركو تطلق على كل عربي في امريكا اللاتينية ٠ وهي من رواسب القرن الماضي ومطالع هذا القرن يوم كانت البلاد العربية تابعة للاتراك العثمانيين وكان المغتربون العرب يحملون الجنسية العثمانية ٠ وتحمل الكلمة معنى الاحتقار والتحدي وفيها كل الرواسب في النفس الغربية ضد العرب والاسلام ٠

ـ بلى ! انا توركو لانى اعرف ابى • ولكن كم فيكم من توركو لا يعرف اباه ! (٣)

على انمنافسه من قلب حزبه لعبتغمة «التوركو» على كل السلالم الموسيقية • وكانت النتيجة ان نجح حزب المحافظين • ولم يكن بينه وبين السنيور طورباى سوى بضعة وخمسين الفا من الاصوات •

ذلك ان منافسطورباى الحزبيكان قد سلبه ربع اصوات الحزب •

وغضب الرجل وترك البلاد الى باريس •وهناك وفى السنة نفسها ١٩٤٨ مات كمدا •••

يومذاككانخوليوسيراز ، الرئيسالمتخبالجديد، مندوبا لكولومبيا فى الامم المتحدة وحضر هناك معركة تقسيم فلسطين ومـاتلاها •• ومنـذ ذلك الوقت اخذ يتسلق الطريق الى القمة على مهل من النيابة ، الى الوزارة ، الى نيابة الرئاسة فـى العزب ثم رئاسة الحزب فالرئاسة الكولومبية •• انه لا يعمل جراة عمه ولكنه قد يعمل بلاغته • وليس له تحديد المتكبر ولكنه يتمتع بالكياسـة الدبلوماسية المناورة ••• يتجلى ذلك فى قصـة زواجه من قريبة ، تجليـة فى المواقف السياسيـة الكبرى • وضمن هذا الجو كان من انجح وزراء الخارجية الذين عرفتهم كولومبيا سنين طويلة • وربما كان من النجاحات التى تسجل له انه تغطى عقدة (التوركو) • لم تستطع هذه العقدة التى قطعت الطريق على عمه ان تقطعه عليه • وليست جماهير « التوركو » فى كولومبيا بالكثيرة لتكون قاعدة انطلاق او مساومة سياسية فيستند اليها • لعلها بالعكس كانت تستند اليه •••

هؤلاء « التوركو »

هل احدثك بعض حديث هـؤلاء « التـوركو » هنـاك ؟ انهم ، حتى لـو بقيت فى الاحـصاء لا يجاوزون الخمسين الى السبعين ايضا • وكلهم من بـلاد الشام : من لبنـان لـم مـــن فلسطـــين لم منسورية•وهم يتوزعون مابينجزيرة سانتواندريه التى قضى على رملها الشاطئية بذبحـة القلب الكاتب القصصى سعيد تقى الدين سنة١٩٦٠ الى بارانيكاوكارتا هذه الى مدينوبوغوتا وكالىالى•• ليتيسيا فى اقصى اقصى الجنوب • على ان هجرة الاوائل منهم قديمة • دروب كولومبيا الجبلية الحادة ، وسهولها الموحلة بالرطوبة والعرق عرفتهم منذ اكثر من مائة سنة على الاقل • ولكن كيف عرفتهم ؟ جاووها يحملون المسابح وبعض الصلبان والتعاويذ ورموز البركة وزهرة الجبل (٤) ••• يحملونها فيما يزعمون من بيت لحم والقدس فى (الكشة = صندوق البضاعة) • انهم الباعة المتجولون « الماسكاته » الذين سجلوا بين من سجل اول ملحمة الاغتراب ••• على انهم سرعان ما كانوا يتاقلمون فى الملبس • يضعون « الروانا » والقبعة المتهدلة • وفى الاسماء ، يتحول احمد الى اماد وعيسى الى خيسوس وابراهيم الـــى ابران وفى اللقب ايضا : فابن اللحام : كارنيزو، وحنا ديب هو خوان لوبو •• وينتهى التنكر اخيرا باصطناع الدين والمذهب ، فالكل على الكاثوليكية!

على ان القلة والغربة والتنكر وعواء (التوركو) كلها لم تمنع هذه الجماعة من التوسل الى احسن العيش بكل وسيلة • فلهم الآن النوادى الفخمة والمتاجروالوكالات والابنية،ومنهم التكاب البارزون والسياسيون ، ومنهم من يعمل بالنقل والصناعة وفى تربية الابقار لا يعرف عددها فى مزارعـــه الشاسعة •• بل لقد زرت بعضهم ممن يعمـــل بالافاعى الضخمة وتجارة القرود والطير الملون •

اليست لهم قمة فى الفكر بلى ! احدى شاعرات امريكا اللاتينية البارزات هى غابرييل ميسترال، شاعرة كولومبيا الاولى ، وما هى الا اولغا شمس العربية ، التى يضج فى شعرها عطر الشـــرق وصوفيته ••

••• وبعد هل كان من حق خبر التلفزيون مساء ٦ حزيران ان يكون عندى الخبر المثير ؟ وهل عرفت معنى وصول واحد من « التوركو » الى رئاسـة الجمهورية الكولومبية ؟ ••

تحية على البعد ايها الصديق خوليو سيزار طورباى • ■■

شاكر مصطفى

---

(٣) الاشارة هنا الى امر مألوف فى كولومبيا • فالاطفال غير الشرعيين ، فى الاحصائيات الرسمية كانوا يصلون فى الستينات الى حوالى ٤٢٪ من المواليد • وتعترف بهم الكنيسة وتنسبهم الـــى امهاتهم • وعدد من رؤساء ورجالات كولومبيانفسها ابناء غير شرعيين •

(٤) زهرة تنقع فى المـاء المغلى ويـزعمون انالسيدة مريم وجدتها فى صحراء سينا وهى فى طريقها مع يسوع الطفل الى مصر •

البـلاغ الأول !

بقلم : فهمي هويـــدى

لابد من المسارعة بالايضاح ، حتى لا يفهم العنوان على غير المقصود منه • خصوصا وان تعبير « البلاغ الاول » قد اختفى من العالم العربى منذ سنوات تبدو بعيدة الآن ، كان ما سمعناه وقتئذ كان فى حقيقته البلاغ الاخير! وليس معروفا بالضبط ما اذا كان ذلك خيرا ام شرا ، وان كانت تلك مسالة اخرى •

ذلك ان البلاغ الأول الذى يعنينا هنا هو ما بدأت به ثورة الاسلام فى الفكر الانسانى • هو عبارة « لا اله الا الله » ، التى كانت شرارة هذه الثورة ، واعلانا لتحرير البشر من سلطان البشر • ثم تحولت الآن ـ بعد ان اجهضت الثورة ـ الى صيحة تتردد فى حلقات وصرعات الذكر ، وبضاعة يستخدمها محترفو السحر والشعوذة ، وقلادة تتدلى فوق الصدور • حتى ان متجر « ماركس آند سبنسر » فى لندن لم يجد غيرها ليطبعه على آخر انتاجه من الملابس النسائية الداخلية ، ارضاء واغراء للمزاج العربى ! ! ●

●

وفى مناقشة الشهر الماضى حول قضيــة « الدين للانسان » ، توقفنا عند سؤال محدد هو : كيف يتفق ذلك مع ماتعنيه الآية الكريمة « وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون » ؟ اذ قد يوحى ظاهر الالفاظ بالتعارض بين ماتعنيه هذه الدعوة ، وبين ما تقرره الآية، وذلك ليس صحيحا على الاطلاق • اذ لا تعارض بين ان يسخر الله الكون للانسان ، ويبعث برسله لهدايتهم ، وينزل الشرائع التى تحقق مصالحهم وسعادتهم فى الدنيا والاخرة • لاتعارض بين أن توضع هذه الوسائل والبدائل امام الانسان، وبين أن يكون الهدف الاكبر هو عبادة الله سبحانه •

لكن ذلك يفرض علينا ان نتفهم جيدا ، وبوضوح شديد لا يحتمل اللبس ، كيف تكون العبادة فى الاسلام • لان العبادة موجهة الى الله سبحانه ، لذلك لم ينفصل بحث « العبودية » عن « الالوهية » فى كل ما كتب عن العقيدة الاسلامية •

وهو بحر عميق لا نهاية له ، خاض فيه المفكرون والفلاسفة طوال القرون الماضية ، كل سبح فيه بقدر ، ولم يبلغ احد شاطئــه الآخر بعد • وهى سباحة لا ادعى لنفسى قدرة على ممارستها ، او منافسة غيرى فيها •

غير انه اذا تعذرت على « السباحة » واستعصت ، فان الأمر يحتمل « السياحة » • ذلك انه اذا كانت السباحة تتطلب نزولا الى البحر ، فان من السياحة ان تقف على الشاطىء وترقب الاخرين • على الاقل تستطيع ان تعرف كيف سبحوا ، وكم قطعوا ، والى اين تقذف بهم الريح !

وهى ليست نزهة بكل تاكيد • ولكنهاتعبير عن الاشفاق على النفس وعلى الاخرين من مشقة الغوص فى هذا البحر الواسع والعميق •

اننا اذا حاولنا تبسيط القضية ، مع وضعها فى اطارها الصحيح ، بغير دخول فى متاهات واغوار علم التوحيد او علم الكلام ،فانناستطيع ان نستعيد ابتداء تعريف الامام الاكبر الشيخ محمود شلتوت ، فى أن الاسلام فى جوهره هو عقيدة وشريعة • وتلك ترجمة مبسطة ايضا للوصف الذى يقترن بالمسلمين فى اغلب سور القرآن الكريم « الذين آمنوا وعملوا الصالحات » •

وبعيدا عن المتاهات ايضا ، نستطيع أن نرصد دعامتين اساسيتين يقوم عليهما الاسلام بشقيه ، العقيدة والشريعة ، فالعقيدة تقوم على التوحيد ، والشريعة تقوم على العدل • التوحيد تعبر عنه شهادة المسلم أن لا اله الا الله – وهى موضوعنا – والعدل له حديث آخر، قادم باذن الله •

لقد انزل القرآن الكريم على مدى ثلاث وعشرين سنة ، منها ثلاثة عشر عاما كاملة – هى الفترة المكية – ظلت آيات القرآن تعالج خلالها قضية واحدة وموضوعا واحدا باساليب مختلفة ، هو العقيدة ، ممثلة فى قاعدتها الرئيسية ، الالوهية والعبودية • ثم كانت السنوات العشر الاخرى – بعد الانتقال من مكة الى المدينة – حيث كان التركيز فى آيات القرآن على الشق الثانى من الاسلام : الشريعة •

●

الالوهية والعبودية هما اذا وجهان لعملة واحدة • وعبارة « لا اله الا الله » فى حقيقتها موقف • موقف من حيث انها تعبير عن نزع كل سلطان للبشر على البشر • اذ لا ركوع ولا سجود ولا خوف الا لله ومن الله وحده • وهى ايضا • موقف من حيث انها تقرر المساواة بين البشر ، فالكل عباد الله ، ولا فضل ولا تميز لانسان على آخر ، لعربى على عجمى ، الا بتقوى الله وخشيته ، والامتثال لاوامره ونواهيه ، وتلك مسالة حسابها فى الآخرة •• اما فى الدنيا فالكل سواء ، ومعيار الحساب يختلف • والتسليم بوحدانية الله يعنى ما هو ابعد • اذ لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق، كما يقول الحديث الشريف •

وفى هذا المعنى يقول الامام الغزالى :فلا حكم ولا أمر الا له (لله سبحانه) اما النبى صلى الله عليه وسلم والسلطان والسيد والاب والزوج ، فاذا امروا واوجبوا لم يجب شىء بايجابهم ، بل بايجاب الله تعالى طاعتهم • ولولا ذلك لكان لكل مخلوق اوجب على غيره شيئا، كان للموجب عليه ان يقلب عليه الايجاب (يرده) ، اذ ليس احدهما اولى من الاخر • اى ان البشر ايا كانوا – من النبى الى السلطان الى الزوج – لا يملكون الزام غيرهم بشىء ، الا اذا كان كلامهم فى حدود طاعة الله وتعاليمه (وهى فى الحقيقة طاعة لله وليست لهم) • وفى غير هذه الحالة فان المخلوق لا يملك ان يفرض شيئا على مخلوق آخر مثله تماما • اذ باى حق يمارس انسان سلطانا على آخر ، بينما التماثل بينهما قائم ؟ أليس هذا السلطان من خصائص وصفات الالوهية ؟

وكما يقول الامام محمد عبده ، فانه بتوحيد الله « اطلقت ارادة الانسان من القيود التى كانت تعقلها بارادة غيره ، سواء كانت ارادة بشرية ظن انها شعبة من الا[...] الالهية كارادة الرؤساء والمسيطرين ، او ارادة موهومة اخترعها الخيال، كما يظن فى القب[...] والاحجار والاشجار والكواكب ونحوها. وافتكت عزيمته من اسر الوسائط والشفعاء ، والمتك[...] العرفاء وزعماء السيطرة على الاسرار ، ومنتحلى حق الولاية على اعمال العبد فيما بي[...] الله الزاعمين انهم واسطة النجاة ، وبايديهم الاشقاء والاسعاد » •

ايضا فان الالوهية لها ثمار اخرى تنعكس على ضمير الانسان واعماقه . ذلك ان المسلم الـــذى لا يخشى الا الله ، يعلـم تماما انه سبحانه « يسمع ويرى » . وانه يراقب سلوكه واداءه ، وانه قد يرتكب فعلا يجوز على سلطان الارض ، ولا ينتبه اليه : لكنه لن يخفى على سلطان السماء . اى انه يصبح على يقين من ان افلاته من عدالة الارض ، لن يجنبه المثول امام عدالة السماء يوما ما .

ان الايمان بالله ، والتسليم بوحدانيته سبحانه ، يترجم هنا الى ضمير حى دائما ، يقظ دائما . الى سلوك ايجابى ، قويم ونظيف.

وهكذا لا تبدو الالوهية فكرة فلسفية اومجردة ولكنها اعتقاد وتسليم له مردوده الواقعى والملموس على حياة الانسان وسلوكه واداته . ويظل الاعتقاد فاقدا معناه وجدواه اذا لم يترجم الى موقف ومنهج .

●

ايضا فان العبودية ، الوجه الاخر للالوهية ، ليست فكرة مجـردة . وكمـا ان الالوهيـة « موقف » ، فالعبودية « منهج » .

وحتى نفهم ما تعنيه العبادة فى الاسلام ، لنستعرض بعض صور تجربة الاسلام الاولى ، التى قد تقرب المعنى وتحدده .

قصة الرجل الذى كان يقضى كل وقته فى المسجد متعبدا ، مصليا ومسبحا .. وتحدث عنه المسلمون امام النبى عليه السلام . فسال النبى : من ينفق عليه ؟ .. قالوا : اخوه . عندئذ كان رد الرسول (ص) : اخوه اعبد منه !

قصة الرجل الذى مر امام الرسول وصحابته ، بينما ممتلىء حيوية ونشاطا ، فقـال بعضهم : لو كان هذا فى سبيل الله (اى لو استغل حيويته وفتوته فى الجهاد الذى كانوا يعتبرونه افضل العبادات) .. فكان تعليق الرسول قوله : « ان كان خرج يسعى على ولده صغارا فهو فى سبيل الله ، وان كان يسعى على ابوين شيخين كبيرين فهو فى سبيل الله، وان كان خرج يسعى على نفسه يعفها فهو فى سبيل الله . وان كان خرج يسعى رياء ومفاخرة فهو فى سبيل الشيطان » .

وما رواه ابن عباس عن رسول الله : امرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صلاة ، وحملك عن الضعيف صلاة . وانحاؤك القذر عن الطريق صلاة ، وكل خطوة الى الصلاة صلاة .

وقصة الذين سالوا بعض زوجات النبى (ص) عن عبادته ، وكانوا يتصورونه راكعا ابدا ، كل ليله قيام وكل ايامه صيام . فلما اخبروا بعبادته ، لم يشبع ذلك فكرتهم عـن العبادة ، فقالوا : اين نحن من رسول الله (ص) وقد غفر الله له ذنوبه . وقال احدهم : اما انا فاصلى الليل ابدا ـ وقال آخر وانا اصوم الدهر ولا افطر ابدا ـ وقال آخر وانا اعتزل النساء فلا اتزوج ابدا .

وعلم الرسول بما قالوا ، فكان تعقيبه : اما والله انى لاخشاكم لله واتقاكم له ، لكنى اصوم وافطر ، واصلى وارقد ، واتزوج النساء .. فمن رغب عن سنتى فليس منى !

ثم حديث رسول الله (ص) لصحابته عن الرجل الذى سقى كلبا ظمآنا فشكر الله له فغفر له . وسئل : هل لنا فى البهائم اجر يا رسول الله . قال : فى كل كبد رطبة (مخلوق حى) أجر .

وقول وهب احد تلاميذ الامام مالك : كنت بين يدى مالك رضى الله عنه ، فوضعت الواحى وقمت اصلى ، فقال : ما الذى قمت اليه بافضل ممـا قمت عنـه (يعنى الدرس والتحصيل) .

وما رواه انس بن مالك من ان الصحابي معاذ بن جبل كان يؤم قوما في الصلاة ، ولحق بهم احد المسلمين ـ حرام بن ملحان ـ بينما كان في طريقه ليسقي نخله • فاطال معاذ في الصلاة ، بصورة لم يحتملها صاحبنا الذي كان يريد ان ينجز مهمته في سقي النخيل • وعندئذ اكمل حرام صلاته وحده ، وانصرف لشانه وبعد الصلاة قيل لمعاذ ذلك ، فكان رده : انه لمنافق ، ايعجل عن الصلاة من اجل سقي نخله؟•• ثم ذهب حرام الى الرسول ومعاذ عنده ، فروى الرجل قصته وما قاله عنه معاذ • عندئذ لم يعاتبه النبي ولم يخطئه ولكنه التفت الى معاذ قائلا : افتان انت ؟ افتان انت •• لاتطول بهم •

اى ان النبي عليه السلام وجه اللوم الى امام القوم ، الفقيه الجليل معاذ بن جبل!

هكذا فهموا العبادة ، اسلوب حياة ، يشمل كل ما يفعله الانسان بنية خالصة ، لا يشوبها هوى او غرض •

●

حتى ما اصطلح على تسميته بالعبادات المباشرة ، الصلاة والصوم مثلا ، تفقد جدواها وقيمتها اذا لم تنعكس على سلوك الانسان ومعاملاته • والآية الكريمة تقول : «ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر » (آية ٤٥ العنكبوت) والحديث الشريف يقول : من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر ، فلا صلاة له •

وعن الصيام يقول الحديث : من لم يدع قول الزور والعمل به ، فليس لله حاجة في ان يدع طعامه وشرابه ـ و •• رب صائم ليس له من صيامه الا الجوع ، ورب قائم ليس له من قيامه الا السهر •

كل ما أمر الله به عباده من الاسباب ، هو عبادة ـ والدين كله داخل في العبادة هكذا يقول ابن تيمية في رسالة« العبودية » •

وابن القيم يلقي ضوءا كاشفا على جانب اساسي في العبادة، اذ يقول في كتابه «مدارج السالكين » ان اصل العبادة محبة الله • بل افراده بالمحبة ، وان يكون الحب كله لله • فلا يحب معه سواه ، وانما يحب لاجله وفيه •

وفي كتابه « العبادة في الاسلام » ، يقول الدكتور يوسف القرضاوي ان العبادة المشروعة لابد لها من امرين : اولا : الالتزام بما شرعه الله ودعا اليه رسله امرا ونهيا ، او تحليلا وتحريما • وهذا هو الذي يمثل عنصر الطاعة والخضوع لله • ذلك ان اساس الخضوع لله الواحد القهار هو الشعور الذاتي بالحاجة الى من يملك الضر والنفع والموت والحياة ، ومن له الخلق والامر (اياك نعبد ، واياك نستعين)

والثاني : ان يصدر هذا الالتزام من قلب يحب الله تعالى •

●

هل نستطيع الآن ان نفهم آية « وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون » ، على وجهها الصحيح ؟

هل نستطيع الآن ان نضيف الى قولنا ان الدين للانسان ، قولا آخر هو ان للالوهية مردودها الذي هو لصالح كرامة الانسان وتحرير ارادته ، وان للعبودية مدلولها الذي يتسع ليشمل كل عمل شريف ، وكل اضافة ايجابية تعود بالخير على الانسان والانسانية ؟

هل نستطيع الآن ان نضيف الى قولنا ان الدين للانسان ، قولا آخر هو ان للالوهية ارجو ذلك •

وكل سنة وانتم طيبون •

قد يحسده الانسان يوما ما :

جبهة لتحرير الحيوان!

الحملة ضد استخدام الحيوانات فى التجارب العلمية

فى العالم الغربى حملة شديدة من جانب حماة الحيوانات تستهدف وقف استخدام الحيوانات فى المعامل والمختبرات ، على اعتبار أنها تلقى هناك معاملة وحشية وغير « انسانية » !

والباحثون فى المختبرات المنتشرة فى طول امريكا وعرضها يعكفون على اجراء المزيد من التجارب على الارانب والقرود والفئران وغيرها سعيا وراء اكتشاف عقاقير جديدة لخدمة الانسان • وهم يقومون بحقن هذه الحيوانات بامراض قديمة وادوية جديدة مضادة ، للوقوف على مدى تأثيرها فى القضاء على هذه الامراض • ويستخدم العلماء ملايين من المخلوقات تتفاوت ما بين الفئران والقرود الهندية الصغيرة قصيرة الذيل •

غير ان جهود العلماء هذه تعرضت لحملة عنيفة من جانب جماعات من محبى الحيوان • • ويلجأ بعض هؤلاء المعارضين الى استخدام العنف للتعبير عن سخطهم لتعذيب الحيوانات فى المختبرات • ففى انجلترا على سبيل المثال اغارت حركة تطلق على نفسها « جبهة تحرير الحيوان » على المختبرات ودمرت الاجهزة والوثائق واطلقت سراح الحيوانات • وقد تطور نشاط هذه الحركة واصبحت تشكل تهديدا خطيرا للابحاث العلمية على الحيوانات • ويقر هؤلاء النقاد بالحاجة الى اجراء بعض هذه الابحاث وبخاصة تلك المتعلقة بالامراض التى تصيب الانسان ، ولكنهم يجادلون بأن الحيوانات تستخدم فى المختبرات اكثر مما ينبغى ويتساءلون فى الوقت نفسه عن الجدوى من وراء الاستمرار فى هذه التجارب •

ويفند علماء طب الاحياء الادعاءات القائلة بأنهم يسيئون معاملة الحيوانات فيقول الدكتور بروس ايوالد من كلية كورنيل الطبية الامريكية :



الارانب داخل جهاز الاختبار المتحرك •

« ان نصف قطط نيويورك لا تلاقي المعاملة الانسانية ذاتها التي نمنحها نحن لحيواناتنا » .

ومهما يكن من أمر فان العلماء بدأوا يعيدون النظر في بعض افتراضاتهم القديمة عن البحث الحيواني . ففي شهر اكتوبر الماضي دعا اتحاد للعلماء الامريكيين يتخذ من واشنطن مقرا له ، دعا الباحثين الى توجيه مزيد من العناية لحيواناتهم الامر الذي حدا ببعضهم الى الاقلاع عن تجاربهم بالرغم من أن اعترافهم بجدوى هذه التجارب . وقال الطبيب النفساني روجز أولريخ من جامعة ميتشجان انه توقف عن اختباراته على الحيوانات لان ذلك يسبب له مرضا ويثير ألما في نفسه . واضاف انه تخلى عن دراساته التي كان يجريها على الفئران حيث دأب على توجيه صعقات الكترونية الى زوجين من الفئران بهدف دفعها الى التقاتل .

وهناك حادث مميز وقع مؤخرا وادى الى وضع الباحثين في موقف دفاعي . ففي شهر ديسمبر الماضي قررت الحكومة الهندية وقف تصدير نوع من القرود الصغيرة قصيرة الذيل الى الولايات المتحدة لاجراء بحوث وتجارب علمية عليها . ويعود السبب في هذا الحظر الى اجراء سلسلة تجارب عسكرية كان يتم خلالها غمر هذه القرود في ماء درجة حرارته ١٩٠ فهرنهيت ، ومن ثم تعريضها لاشعاع شبيه بالاشعاع المنبعث من القنابل النيوترونية . وقال الهنود ان الدراسات والتجارب التي يقوم بها الباحثون الامريكيون على هذه الحيوانات تتعارض مع اتفاقية عام ١٩٥٥ التي نصت على وجوب استخدام هذا النوع من القرود في ابحاث طبية محضة واختبارات تتعلق بلقاح شلل الاطفال .

واذا ما تم وضع هذا الحظر موضع التنفيذ في المستقبل القريب ، فان اختبارات طب الاحياء الامريكية ستمنى بنكسة خطيرة ذلك أن العلماء يستخدمون اثنى عشر الف قرد هندي صغير سنويا في معاملهم .. ويجرون عليها اختبارات اخرى واسعة النطاق تتفاوت ما بين دراسات تطور الجنين الى اختبار منتجات صابون جديدة . وكانت هذه الانواع من القرود تخضع في السابق لتجارب عديدة ومتنوعة من جانب العلماء الامريكيين ، اما اليوم فان الكثير منهم قد اقلع عن هذه التجارب واتجه الى الفئران باعتبارها افضل الحيوانات فهما واكثرها شعبية في المختبرات . ويستخدم الباحثون اكثر من خمسين مليون فار في السنة في تجارب تتعلق بوجه خاص حول معرفة صلاحية انواع جديدة من العقاقير الطبية .

ويفضل الباحثون في مجال الاوعية الدموية والقلب « الكلاب » لانه من السهولة بمكان قياس ضغط دمها . وعلماء النفس استخدموا لفترات طويلة القطط واخضعوها لدراساتهم المتعلقة بالرؤيا والدماغ ، في حين يرغب اطباء الامراض العصبية في التعامل مع « القضل » وهو حيوان من فصيلة الفار لانه يخضع بصورة طبيعية لحالات شبيهة بنوبات الصرع .

ويركز معارضو تشريح الاحياء لاغراض علمية هجومهم على الحالات التي يتم فيها ايذاء الحيوانات جسديا بدون مبرر لذلك ، وخاصة تلك التي يتم تكرار اختبار واحد عدة مرات .

وقد هاجم طبيب بيطري هو ميشيل فوكس عضو احدى الجمعيات الامريكية الخاصة بالرفق بالحيوان، هاجم كليات الطب في الجامعات وقال انه يجري في هذه الكليات تغذية الكلاب بمادة «الاستركنين» السامة وحقن الفئران بالاوبئة ، في حين يراقب الطلاب تاثير هذه المواد السامة والاوبئة عليها . مع العلم ان الاجابة على مثل هذه الامور موجودة في كتبهم المدرسية .

وهناك موضوع رئيسي آخر يركز عليه انصار الحيوان وهو محاربة التجارب التي تستهدف احداث الم بالحيوانات بغير مبرر . وتقوم المختبرات الصناعية باختبار المواد المطهرة « والشامبو » ومستحضرات التجميل التي تسبب تهيجا للعين على الارانب عن طريق حقن هذه المواد في قرنية العين الحساسة للارنب موضع الاختبار .

وبمعزل عن اهمية التجارب الجارية على الحيوان تبرز مشكلة فعالية هذه التجارب . فالعلماء الصناعيون والمستهلكون في شك متزايد من جدوى الدراسات المتعلقة بعلم السموم والتي يتم خلالها اعطاء الحيوانات كميات كبيرة من الغذاء الممزوج بمواد سامة لقياس حجم التهديد الذي تشكله هذه المواد على حياة الانسان . وقد احتلت هذه المسالة عناوين بارزة في الصحافة واجهزة الاعلام الامريكية الاخرى قبل سنة مضت عندما اعلنت ادارة الغذاء والعقار انها تتجه الى حظر تعاطي السكارين ، في اعقاب دراسات كندية كان يتم بموجبها اطعام فئران كميات كبيرة من السكارين وتبين فيما بعد



اختبار حساسية الصابون على جسد قرد هندى صغير قصير الذيل .

انها ادت الى اصابة هذه الفئران بمرض سرطان المثانة . وكان رد الفعل عنيفا جدا لذا سارع الكونجرس الامريكي فى شهر نوفمبر الماضى الى التصويت الى جانب تاجيل الحظر .

ويدافع الباحثون المتخصصون فى علم السموم عن مثل هذهالتجارب ، وهم يقولون ان المركبالذى يسبب السرطان فى الفار والحيوانات الاخرى يسبب هذا المرض ايضا فى بنى الانسان.ويعتقدون بان المادة المحدثة للسرطان قد تتجمع بكميات كبيرة اوصغيرة فى الجسم وبالرغم من ان كثيرا من العلماء مقتنعون بهذا القول الا انه مازال بدون برهان او دليل قطعى على صحته .

ويقول الدكتور ريتشارد جريسمار من المعهد الوطنى للسرطان : « ان البديل الوحيد للتجارب على الحيوان فيما يتعلق بالمادة المسببة للسرطان هو اجراء دراسات على بنى البشر فى مجال علم الاوبئة » ويضيف قائلا : « ان هذا البديل غير مرغوب فيه ، لان الشخص الذى يخضع للدراسة يجب ان يكون مصابا بالسرطان اولا . »

وفى احد المختبرات بنيويورك وضع العلماء ارنبا كبيرا ابيض اللون داخل جهاز اختبار متحرك وادخلوا انبوبا معدنيا فى شريان ساقه الىالشريان الاورطى ومن ثم اداروا الجهاز الى الامام والخلف بسرعة فائقة . وقد سبب الاحتكاك اعطاب الجدار الداخلى للشريان الاورطى معززا بذلك الاحتمال القوى بوجود ترسبات دهنية هناك . ويخضع العلماء الارنب لنظام حمية عالى الكوليستيرول لمدة ستة اشهر ثم يقتلوه وبعد ذلك يخرجون قلبه ويفحصوه لمعرفة ما اذا كان هناك اثر لانسداد الشريان . ويعتبر هذا الاختبار نموذجا ممتازا لتقوية الشريان عند الانسان .

● جبهة لتحرير الحيوان

وفىجامعة ميتشجانوضع العلماء سعداناآسيويا ضخما قصير الذيل فى داخل سيارة مثبتة على مزلجة متحركة وبعد ذلك اداروا المزلجة بسرعة اربعين ميلا فى الساعة ومن ثم اوقفوها فجاة مما ادى الى ارتطام السعدان فى الواجهة الامامية للسيارة . وعلى الفور قتلوه وفحصوه لمعرفة الاصابات الداخلية التى لحقت به . وجرى تحويل نتيجة الفحص الى المهندسين الذى يتولون تصميم سيارات اكثر امنا وسلامة .

ويدافع معظم العلماء عن تجاربهم قائلين ان جميع الاتهامات الموجهة ضدهم من قبل حركة حقوق الحيوان هى اما مبالغ فيها او غير صحيحة على الاطلاق .وهم يؤكدون ان التجارب غير الضرورية نادرة الحدوث لسبب بسيط هو أن تكاليف البحث الحيوانى باهظة (فتكلفه الاختبار الواحد على الارنب تبلغ عشرين دولارا ، والكلب ستين دولارا، والقرد الهندى الصغير اربعمائة دولار .) ويشددون فى الوقت نفسه على ان اعادة الاختبار فيه منفعة كبيرة للباحث والطالب على حد سواء.

ويتساءل الدكتور دينيس سنارك من جامعة روكفلر ما اذا كان بامكان جراح قلب ان يجرى عملية جديدة على شخص مالم يجرها من قبل على حيوان او انسان آخر . ويقول ان الباحث يرغب فى التعامل مع الحيوان بعيدا عن الانسان قدر المستطاع وانه لذلك يبدأ بالفئران والجرذان . ويفضل الرقابة الشديدة فان احداث المللحيوانات يتضاءل باستمرار ، وانه ليس من شك فى ان كثيرا من الباحثين يجرون تجاربهم على الحيوانات متوخين درجة جديدة من الحساسيه . وتقوم عدة مختبرات فى الولايات المتحدة بتوليد سلالاتجديدة من القوارض منفصيلة الجرذانوالسناجيبوغيرها لتحل محل الحيوانات الاخرى باهظة الثمن .

وبوضوح فان المختبرات ستستمر فى استخدام اعداد كبيرة منالحيوانات للدراسةوالبحثالعلمى. ولكن بالرغم من التهديد الثلاثى الذى يواجهونه والمتمثل فى التكاليف المتزايدة والتشريع الواقى والنقد المتجدد فان الباحثين يبذلون عناية فائقة للتاكيد بان دراساتهم شرعية وانسانية . ■■

ترجمة : سمير جيوسي

■ تمتعت بقراءة المقال الذى نشره« العربى » فى عدد يونيو الماضى ، بقلم الطبيب الاديب : الدكتور سعيدعبده ، والذى دعا فيه الى اعادة النظر فى تعليم الطب فى وطننا العربى ،ومراجعة ممارساته مراجعة تمتد الى الجذور •

« لا زال قلب الدكتور سعيد عبدهقلب الثائر الذى خبرت بعض آثاره المنعشة فيما انتجه فى العشرينات حتىالاربعينات من هذا القرن » •

سعيد عبده..

الطبيب والزجال والناقد المسرحى

بقلم : الدكتور على الراعى

وبعضنا يعرف الدكتور سعيد عبده عن طريق الباب الناجح الذى كانت تنشره له صحيفة اخبار اليوم القاهرية بعنوان : « خدعوك فقالوا » ، والذى كان سعيد عبده الطبيب يتولى فيه تفنيد بعض الاوهام التى تعلق بالاذهان حول بعض الامراض وطرق علاجها • وقد ساعد هذا الباب على نشر الوعى الصحى بين عديد من القراء • واستمر يؤدى هذه الخدمة سنوات طويلة •وهكذا كان سعيد عبده طبيبا ممارسا ، وداعية للطب الصحيح منذ تلك السنوات البعيدة •

وبعضنا ـ لا بد ـ قرأ قصص سعيد عبده الادبية • فهو قصاص مرهف الحس ، ومجموعة القصص التى صدرت له منذ سنوات بعنوان : « هياكل فى الريف » تصوره فنانا حساسا ،تغلب عليه النزعة الى السخرية ، واستخدام المفارقات لاظهار ما فى حياة الريف المصرى من نواقص كثيرة • فى البشر والمكان معا •

كذلك كتب سعيد عبده الزجل ، وبرز فى ميدانه •كما كان لفترة غير قصيرة الناقد المسرحى لمجلة مصرية سليطة اللسان اسمها : «الكشكول»، كانت اول ما توسع من مجلاتنا فى استخدام الكاريكاتير ، وما يتبعه من كلام لاذع • وهو جو شاق كثيرا الاديب الشاب سعيد عبده ، فاقبل على عمله فى هذا الميدان وهو فى تمام حماسه العقلى والفنى •

وحول هاتين الناحيتين من نواحى نشاط سعيد عبده ، سيدور حديثى فى هذا المقال •

★ ★ ★

اول ما تعرفت على زجل سعيد عبده كان عن طريق مجلة روز اليوسف ، وهى الاخرى كانت واحدة من اشد المجلات المصرية الاسبوعية لذعا ، وانتقادا ، وتعرية للاوضاع السياسية •

وكان اول زجل قراته للكاتب بعنوان : « فى البحر لم فتكم » ، وفيه سخر سعيد عبده من اسماعيل صدقى باشا ديكتاتور مصر فى اوائل الثلاثينات ، الذى حكم البلاد بالحديد والنار ، *مستندا الى حراب المستعمرين الانجليز ، ووجه ضربات كثيرة الى الحركة الوطنية المصرية ،والى*



الموال منشورا فى روز اليوسف ، قرر ان يغنيه بوصفه موالا غراميا ، وتجاهل الغرض الاساسى الذى كتبه سعيد عبده من اجله !

وفى اوائل الثلاثينات كانت حكومة مصر تستعد لافتتاح المحطة الرسمية للاذاعة ، بعد سنوات من فوضى الاذاعة ايام المحطات الاهلية • وكان هذا الافتتاح الوشيك يثير حفيظة اصحاب المحطات الاهلية ـ وكان بينهم يوسف وهبى،صاحب محطة رمسيس للاذاعة ، بينما يثير فى جماهير المستمعين ترقبا وتشوقا كبيرين • وكان بعض هؤلاء غير مستريح لتدخل الحكومة فى حقل الاذاعة، محتكرة الاثير ، خاصة وان امتياز انشاء وتشغيل الاذاعة الجديدة قد كان من نصيب شركة انجليزية هى شركة ماركونى ، وهذا ، بدوره ، زاد من حجم السخط الذى صاحب بدء الاذاعة المصرية الرسمية •

وكانت حكومة البلاد فى تلك الايام من نصيب السياسى الارستقراطى الرقيق المزاج ، عبدالفتاح باشا يحيى • وكانت وزارته تهتز بوضوح امامه ، وكرسيه هو كان اكثر الوزراء اهتزازا ، ومع ذلك ، فقد كان يطلع على الناس صبحا ومساء برد واحد حول مايوجه اليه من اسئلة عن مركز الوزارة • كان رئيس الوزراء الرقيق يقول : «لم تكن الوزارة فى يوم من الايام اقوى مما هى عليه الان • » وقد ظل يردد هذا القول حتى اصبح نكتة يتندر بها خصومه ثم غرقت سفينتهفىبحر السياسة المتلاطم وغرق هو معها فى بحر النسيان •

فى هذه الظروف ، كان افتتاح الاذاعة المصرية وشيكا ، فتخيل سعيد عبده كيف تكون برامج هذه الاذاعة الحكومية ـ الاذاعة الميرى ـ كما كانت تسمى آنذاك ـ وكتب الزجل التالى ، أورد بعضا منه فقط

المذيع :

الو ، الو ، راديو مصر الميرى بالعافية
سمعتم الان محاضرة فى الطبوغرافيا
وسمعتم ازاى كمان بلا قافية
طبخ محشى الخضار بالملوخية !

الحركة العمالية بالذات ، وصب جام غضبه على حزب الوفد الذى كان يتزعمه مصطفى النحاس باشا . لانه حزب الاغلبية • فعل صدقى باشا هذا كله بدعم من الانجليز وتحريض • فلما انتهى الرجل من اعماله القذرة هذه نبذه الانجليز بوصفه ورقة محروقة ، واستبدلوا به غيره ـ من وزراء الاقلية ، الذين كانوا دائما موضع رعاية الانجليز والقصر الملكى الاقطاعى •

وبالطبع شمت المصريون جميعا فى اسماعيل صدقى ، الذى كان قد اقنع نفسه بانه حاكم لن يستطيع احد ان يستغنى عنه : لا « البلاد » ـ أى بلاده هو ! ولا القصر ، ولا الانجليز•فلما هوى من حالق ، كتب سعيد عبده الموال التالى،فى الشماتة والزراية به ، وليلحظ القارىء ان الخطاب فى هذا الموال موجه من صدقى باشا الى اصدقائه الذين غدروا به من الانجليز :

فى البحر لم فتكم فى البر فتونى
بالتبر لم بعتكم بالتبن بعتونى !
انا كنت وردة فى بستانى قطفتونى
وكنت شمعة جوه البيت طفيتونى
لو عدت دى المره هاتو المر واسقونى

والطريف ان محمد عبدالوهاب ، لما قرا هذا

---

١ ـ كان المذيع فى المحطات الاهلية يستهل كلامه بلفظتى الو الو •

[redacted]

ألو ، ألــو : تسمعون الان : مموتني
أسمر · سمرمر ، وحتى الاهل فوتني
م الحاجة زينب، وممنوع حد يخوتني
من قبل ما تقول كمان:يا حلوة يا ريا
الاولى : ستوتة عبد البارى طالبهــا
قال متعرفش ليه الكهنة (٢) حباهــا
والثانية : طالبهــا عبد المطلب طــه
بدرب عجـــور وبحـــارة المناخليــة

وتخيل سعيد عبده بعد ختام ، « المحاضرات » (٣) السالفة الذكر ، وانتهاء برنامج مايطلبه المستمعون،ان تلتفت المحطة الحكومية الى مصالحها الخاصة ، لتجعل المذيع يقول بعد ذلك ، مرددا شعار رئيس الوزراء :

ألو ،الو ،عمر الوزارة ماكانت يوم فى ماضيها
اقوى واثبت من اليوم فى كراسيها ...
الخ

* * *

اما النقد المسرحي ، فقد كانت لسعيد عبده فيه صولات وجولات · وخاض فى هذا الميدان معارك عنيفة وطريفة ، هذه احداها ·

فى اواخر عام ١٩٢٦ قامت معركة فنية بين سعيد عبده وبين محمود كامل المحامى ، الذى كان آنذاك اديبا شابا ، يسعى الى المشاركة فى الحياة الادبية لبلاده ، عن طريق معرفته بالادب الفرنسي المعاصر كان يترجم هذا الادب ، او يمصره او يتاثر به · خاصة فى قصصه القصيرة ، وفى روايته المعروفة : « حياة الظلام » ·

وكانت مناسبة المعركة التى قامت بين الرجلين مسرحية بعنوان « الوحوش » كتبها محمود كامل ، وقدمتها فرقة رمسيس ، وقام يوسف وهبى بدور بارز · ولم تعجب المسرحية سعيد عبده ، فتناولها بالنقد اللاذع ، وهاجمعبرها فن الميلودراما الذى كان يكتسح خشبة المسرح المصرى فى تلك الايام ، اثر نجاح مسرحيتى انطون يزبك : « عاصفة فى بيت » و « الدباغ » ·

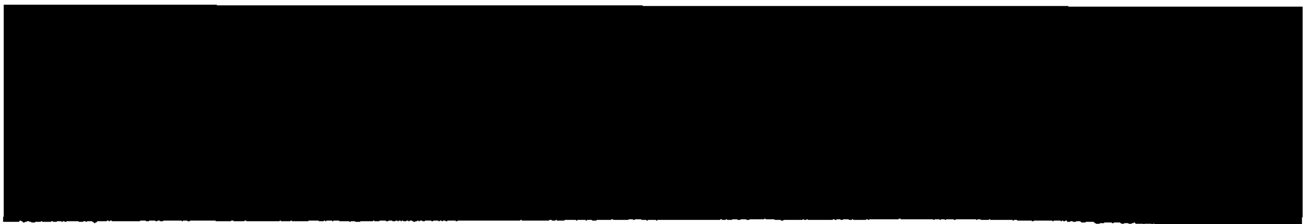
وكان سعيد عبده قد اعمل قلمه الحاد فى جسم الميلودراما فى مناسبة سابقة على هذه وفىمجلة الكشكول ايضا (١٥ اكتوبر ١٩٢٦) ، وذلك حين ذهب يشاهد مسرحية : « الصحراء » من تاليف يوسف وهبى ، فقال وهو يخلط الجد بالفكاهة : « غاب جحا عن اهله اعواما ، ثم عاد وقد برح به الشوق اليهم · فسال اول من طالعه على مدرجة الطريق · قال : اهم جميعا بخير ؟ قال الرجل : نعم ، اللهم الا كلبك الامين · قال : ما خطبه ؟ قال اصابهسعر ، فعض اخاكفقتلوه · قال وما فعل الله باخى ؟ قال : هلك ، فماتت امكحزنا عليه · قال وارحتماه لوالدى المسكين · قال هون على نفسك ، فابوك قد اراحه الله من زمن ، فقد قتله الحزن على اخيه الذى ذبحه اللصوص · ولولا ان جحا المسكين ادرك غراب البين بضربة صرعته ، لزف له مصارع اهله اجمعين »

ثم واصل سعيد عبده نقد الميلودراما على المسرح المصرى ، واظهر ما فيها من مبالغات وفواجع تتراكم الواحدة فوق الاخرى ،وبين ان مؤلفيها مضطرون دائما الى زيادة كم الاثارة فى مسرحياتهم ، لانهم يزايدون على زملائهم وعلى انفسهم ، فى مواجهة رغبة متصلة مــن الجمهور لمزيد مــن الاثــارة · فالميلودراما بهذا الشكل فن زائف ، لا يمثل الحياة بما فيها من دموع وابتســام ، واثرهــا مــؤقت ، وحياتها قصيــره ، فلــو صب الكتاب المسرحيــون مسرحياتهم فى القالب الميلودرامى ، لانتهى المسرح المصرى الوليد قبل ان يولد ·

فى هذا الجو المشحون عرضت مسرحية محمود كامل : « الوحوش » فاستفزت سعيد عبده الى مزيد من التهكم والتعريض والفكاهة الشائكة ، بعد ان وجد فيها تحقيقا لما سبــق ان سجله مــن تكالب المؤلفين على الميلودراما ، جريا وراء النجاح السريع · قال سعيد عبده فى نقد المسرحية بعد ان ضغط حجمها ـ عامدا ـ الى درجة التسخيف :

« ابطال هذه الرواية سبعة · يمــوت احــدهم « الهى » ويموت الثانى خنقا · والرابع يقضى عليه بالموت فى المستشفى والخامس يموت منتحرا والسادس امراة هى ام امين افندى ، وهذه تموت بمرض القلب · وهناك رجل كان عشيقها ، وهذا الرجل مريض بالزهرى ، والطبيب الذى يعالجه

٢ ـ الكهنة ، او الكهينة فى الدارجة المصريــة معناها : المرأة اللعوب ·
٣ ـ كانت الاحاديث الاذاعية تسمى يومذاك : محاضرات ·



لوجه الشيطان قد مات خنقا . وعندنا فى الطب ان الزهرى المزمن مع عدم العلاج يساوى الموت مضافا اليه التشويه والالام .

ثم يعرض الناقد لتكنيك المسرحية ، فيجد انه :
« لا يعدو سلسلة مقالات تلقيها طائفة من الاشخاص تقف على خشبة المسرح . هذا يقول فى اضرار الخمر ، وذلك فى اضرار الكوكائين وثالث فى شكوى الزمان ورابع فى « وقال يمدح » (٤) ، وخامس فى سفالة الاطباء ، وسادس فى نذالة المحامين . ثم يكون جزاء هؤلاء الوعاظ الطيبين من كرم المؤلف ان يسلط عليهم عاملا من عوامل الدمار يؤزهم ازا ، فاذا المسرح قطعة من سهل واترلو ، واذا الستار كفن للخطباء اجمعين .

والتقط محمود كامل القفاز فى العدد التالى من الكشكول فى كلمة كتم فيها غيظه حتى قرب النهاية ، ودافع فيها عن مسرحيته على اساس ان سعيد عبده تعمد المبالغة فى عدد الضحايا ، دون استناد الى احكام القانون ولا واقع المسرحية ذاتها . ثم قال :

« تتهمنى باننى حشوت قصتى بالخطب عن الخمر والكوكائين والاطباء . وماذا افعل وانا انتمى فى ذلك الى مدرسة مسرحية لها انصار يعدون بالملايين فى كل انحاء العالم ؟ الم ياتك خبر المسرح المفيد الذى دعا اليه دوما الصغير ، والذى جعل من شرائطه ان يقدم الكاتب واعظا على المكشوف فوق خشبة المسرح ؟ الم ياتك خبر يوجين بريو ، مؤلف قصة « المسحور » ...والتى لم تكن الا خطبة ...عن كيفية الوقاية من الامراض السرية ؟ ... انا لم اقل فى يوم من الايام اننى ساكتسح امثال برنشتين وباركر ، ولن يصل بى الادعاء الى هذا الحد . كل ما ارجوه ان يفهم النقاد ــ وكان الواجب ان يفهموا جيدا ــ ان برنشتين وباركر اذا جلسا ليكتبا فوراءهما ماض مسرحى مجيد وتطور تاريخى طويل فماذا وراءنا ؟ وراءنا الصحراء المترامية الاطراف» . عليه يعتمدون ومنه يستمدون الوحى . اما نحن

ولم يسكت سعيد عبده طبعا وانما رد الرد ذاته الذى يجمع بين الدعابة والوخز وشىء من الاساس الموضوعى لحملته على الميلودراما . قال : « لتكن يا صديقى تلميذا لدوما الصغير او دوما الكبير او دوما المتوسط . فهذا لا يعنينى . ما دامت رائحة روايتك كريهة فى انفى . هذه الاسماء التى تعبدونها .. كآلهة او انصاف آلهة لم يخلق الله اصحابها من طينة الزير ، وحلفنا نحن من طينة القلل .. انا لا ادين لهم بشىء اكثر مما ادين لك . فلا تحاول ان تستغل الموقف على حساب هؤلاء . ان يكن الف دوما يخطبون على المسرح ، فهناك برنشتين وحده ، يملأ لك المسرح حياة . يعظك من حيث لا تشعر انه يعظك ، لا يترك زمام الحديث فى يد ابطاله اكثر من ثوان ، معدودة ، يرغمك على ان تشهد روايته بشوق ، والا تفارقها ساما فى نهاية الفصل الاول . فان لم يكن بد من تقديس احد ، فتعال معى يا صديقى نقدس هذا الرجل . وننقل فيه وناخذ عنه ما نشاء . اما ان ناخذ عن حسن افندى فائق ، مؤلف (مونولوج) شم الكوكائين ، فمسالة فيها نظر » .

ولم تنشر الكشكول بعد هذا شيئا عن هـذه المعركة الطريفة والمفيدة معا ، مما يحق لنا ان نستنتج معه ان محمود كامل قد بر بوعد كان قد قطعه على نفسه الا يرد على ما يوجه الى مسرحيته من نقد ، خيرا كان ام شرا . وهو الوعد الذى استثنى منه سعيد عبده ، ثقة منه فى جدية الناقد وحسن مقصده .

هذا بعض من نشاط الطبيب والاديب والزجال والمناضل السياسى والناقد سعيد عبده . وانا اكتب هذا المقال وانا بعيد عن مكتبتى فى القاهرة. ولو كانت هذه المكتبة متاحة لى ، لاستطعت ان اقدم تحليلا لقصص سعيد عبده ، ومزيدا من نماذج الزجل الطريف اللاذع الذى كان يكتبه ، مما كان خليقا بان يعطى الرجل بعضا مما يستحق من تقدير ، وعسى ان تسنح لى فرصة افضل كى اقدم سعيد عبده لقراء هذا الزمان ، واتوجه له بالتحية والعرفان نيابة عن كل من قراه ، فافاد علما ، واكتسب مسرة ، وانتصرت فى داخله القيم المتقدمة التى كان يدعو لها سعيد عبده . ■■

د . على الراعى

---

٤ ــ يسخر سعيد عبده هنا سخرية مزدوجة ، من المسرحية اولا ، ومن دروس المحفوظات الشعرية التى كانت تلقن النشء أبياتا من شعر المناسبات.

٣
٩٤٧

صفحة من الذكريات :

احمد الصافى النجفى

هكذا عرفته ..

بقلم الدكتور فيصل دبدوب

عرفت الاستاذ احمد الصافى النجفى فى دمشق فى اوائل الاربعينات بعد التحاقى بكلية الطب فى جامعتها ، ثم تحول التعارف الى علاقة تلميذ باستاذه ، ثم اصبحنا صديقين ٠ وقبل ان أعرفه كنت اشاهد ـ وانا ذاهب الى الجامعة او عائد منها ـ رجلا اسمر اللون ، نحيف البنية ، يختلف فى زيه عن الناس ، يسير الهوينى فى شارع الصالحية او ساحة المرجة ، يضع على رأسه الكوفية والعقال ، وعلى كتفيه العباءة يلتف بها فوق القباء ، وينتعل الخف ، وبيده ، او تحت ابطه الكتاب ، متجها نحو مقهى مالك ، أو هافانا ، او البرازيل ، يمشى الى وجهته دون ان يلتفت يمنة او يسرة ، كانه الرمح السمهرى ، فسالت عنه ، فقالوا : « انه الشاعر احمد الصافى النجفى » ، فتقت الى معرفته وبعد ان عرفته قلت لنفسى : ان هذا الشاعر ، ان تناساه الجيل العربى الحاضر فلسوف تعرف الاجيال العربية المتصاعدة قدره وترفع ذكره ٠



كان جلوسي الى الصافي في المقهى ، وكان يفضل العزلة فيه ، ان لم يجد صديقا يانس بالتحدث اليه ، وهكذا كما كان يفعل عندما ياوي الى غرفته في المدرسة الكاملية قرب الجامع الاموي ، لولا بطة كانت تؤنسه بقوقاتها وبالعطف عليها في عزلته في ماواه . اما ان جلس الى استاذ سمج من الناس ، فسرعان ما يتركه ــ لقضاء حاجة ــ على أن يعود اليه بعد قليل ، فينهب ولا يعود ، وقد يترك المقهى مطلقا اذا ماعاد ذلك الثقيل زيارته ، وقد وصف الزائر الثقيل بقصيدة مطلعها : ــ

لقد بلدت احساسي
فقم يامزعج الناس

ووصف عزلته بقوله :

اقضى حياتيّ مستلذا بعزلة
أمتع فيها النفس بالادب الجم
فلست لشخص بالكلام مقيدا
ولا لكلام شذ منى بمفتتم
فيجرى خيالى كيف شاء منظما
وفى الناس يجرى دون قصد ولا نظم

اما اذا بقى الصافى منفردا بنفسه فسرعان ما يخرج مسبحته من جيبه يداعب حباتها بانامله ويحملها شطرا من همومه .

ومسبحة حملتها الهم مجهدا
فسارت به حباتها وهى لاتدرى
وارهقها العبء الثقيل فمثلت
لعينى أطفالا محدبة الظهر

ولئن ساعدك الحظ وجلست الى الصافى فى مجلس من مجالسه الادبية ــ واطمان اليك ــ اذا لقد جلست الى معين لا ينضب من القريض والملح ، والنكت والمفارقات ، يرسل النكتة فيضحك لها قبل ان يضحك لها الحاضرون ، وان انس منهم تجاوبا ارسل الثانية والثالثة وهكذا ، حتى ليكاد المرء من بينهم ان (ينفزر) من الضحك . وللاستاذ ذوقه العالى فى التنكيت وفى اختيار النكتة وتصيدها .

جلسة المقهى

كثيرا ماكنت اشاهد الاستاذ احمد فى جلسة المقهى وقد استقر فى جلسته ، والتف بعباءته ، وارسل ذؤابتى كوفيته على عاتقيه ، ووضع نظارته على ارنبة انفه ، واصابعه تداعب حبات مسبحته ، فيخاله الناظر اليه انه يتطلع الى المارة ، فى حين انه ساه عن المقهى ومن فيه ، والشارع وما فيه ، فكانه يتطلع الى خارطة للعالم العربى الممزق الاوصال آنذاك ، بنظرات حادقة قلقة تمرق من

نظارته مروق السهم . كما كان يتطلع غاندى الى واقع الهند ، مفكرا فى مصير بلده وقومه ، ولا عجب أن وضعت صورتى الصافى وغاندى فى اطار واحد معا ذلك للتشابه الكائن بينهما فى السيرة والصورة . فغاندى مثل روح الهند وأمانى الهنود، والصافى مثل روح الشاعر العربى الاصيل وأمانى العرب. كلاهما زهد فى الحياة من اجل غاية أسمى من بهارج الحياة هى سعادة الانسان فى وطنه . وسعادة الوطن بوحدته ووحدة أبنائه وحريتهم . وكلاهما فارق الحياة من طلق نارى من الانسان فى وطنه وقومه الذين كرس لهم حياته ، فكانا معا من الشهداء .

صحبت الاستاذ مرة الى حفل اقيم بدمشق لاعانة ميتم(1) ووقف الشاعر الزركلى يلقى قصيدة بالمناسبة استهلها باية من الذكر الحكيم ، فصفق له الحاضرون . وما أن انتهى الشاعر من قصيدته حتى التفت الصافى الى وقال (لا تصدق ، فان التصفيق لم يكن اعجابا بالقصيدة بل بالآيـــة الكريمة . فالتصفيق لله وليس للشاعر) والقى الاستاذ قصيدة مطلعها

أودى الردى بأبيه قبل فطامــه
فحسى المذلـــة فى حليب المرضع

وقد استهلها بقوله : (اليتم من أسباب العظمة، فالرسول كان يتيما وأنا نشأت يتيما وما أزال يتيما) ثم بكى وهو يتطلع الى الايتام الصغار وقد اصطفوا امامه ، وبعد ان انتهى من انشاده قال : وهو يفتح باب التبرع ـ ان اليتيم الكبير يتبرع بكل ما يملك للايتام الصغار وكان ما يملكه الصافى خمس ليرات سورية ، اى ما يعادل نصف دينار عراقى ثم انهالت التبرعات بعده بغزارة . وقد ذكر لى الاستاذ بعدئذ أنه بكى آلامه حين كان صغيرا لما بكى على الايتام . فانهلت العبرات منه بعامل الشعور الانسانى الصادق المنبثق من معين التماثل فى المعاناة ، وقال : « من ذكرياتى عن اليتم انى أجبرت على الاشتغال عاملا فى البناء وانا يافع، فرفضت ثم أجبرت ، ثم فررت من العمل فى منتصف النهار ، ومازال صاحب العمل مدينا لى باجر نصف نهار » . ان الصافى أحسن الى الشعر والادب ، والفرد والمجتمع فى هذا الفرار ، اذ لولا ذلك لكانت خسارتنا لا تعوض .

لقاء كل عصر

كان يتحلق حول الاستاذ الصافى فى مجالسه الادبية نخبة من الادباء والمفكرين، وكانوا يجتمعون عصرا ـ فى غالب الاحيان ـ فى مقهى البرازيل اذ كان يفضله لخلوه من ازعاج البرد وصخب اللاعبين .

ومقهى موجـع بالنـرد راســى
يطـير مدى الحياة لـه نعاســى
تعالـى القرع مـن كل النواحـى
كأنـى منـه فى سوق النحاســى

ومن جلسائه بل من اصفيائه الكاتب الناقد رئيف الخورى ، وقد أبنه شاعرنا بعد موته بقصيدة عصماء تنم عن ما يكنه له من تقدير وحب عظيمين ، وهاك مطلعها :

رئيف نديمى كان طـول حياتـه
تولاه حتـف للطـاف خطـوف
لقد كان للاشعار ألطـف سامـع
فان قلت شعرا قلت: «أين رئيف؟»

ومنهم الدكتور عبدالوهاب حومد والاستاذ عمر أبو ريشة الشاعر كلما أمَّ دمشق من حلب حيث يقيم ، ومنهم كذلك الاستاذ احمد الجندى ـ وله معه مداعبات شعرية طريفة تجدها فى ديوانـــه «أشعة ملونة» والاساتذة فؤاد الشايب ونسيب الاختيار ويوسف العين ـ صاحب جريدة ... آنذاك ـ وعمر الفاخورى الكاتب ... والشاعر خليل مردم بك وكـان ... مع الاستاذ لقاءات اخر ، ظهرا ... ومساء احيانـا ، فـى مطعم ... بداية شارع بغداد قرب البرلمان ... الحاج عبدالغنى ، و كان تناول ... فيه من قبيل التشجيع والمساعدة ... بلغ من الفقر والكبر عتيا .

(1) الايتام .

ومن ذكرياتي اني شاهدت الصافي في احدى الاماسي يطلب من صاحب المطعم ان يضرب له على العود ، فاجابه بانه مقطوع الوتر ، ثم الح عليه فعزف وغنى ، وبعد ان انتهى ارتجل الاستاذقصيدة سمعناها منه انا ورئيف وصاحب المطعم ـ وكان يتذوق الادب ـ ، وهذه بعض ابياتها :

ومغــن بالــغ ســن الكــبر
ترعش الرجــلان منه ان خطــر
قلت اسمعنــا على العــود غنا
قال ان العود مقطــوع الوتــر
قلت غنى فكـــلانـــا مثلـــه
قطعت أوتارنــا كــف القـــدر
فغـــدا ينشــد لى أغنيـــة
قطعت فى عالم اللحــن عمــر

ومن الذكريات التى لن انساها حضور الاستاذ احمد الى مصح ظهر الباشق فى مطلع الخمسينات، والمصح قرب مصيف بيت مرى ، يطل على بيروت والبحر ، ويشرف عليه الجبل الاشم ، وكان حضوره تلبية لدعوة تلقاها من صديقنا الدكتور وجيــه الصباغ لالقاء قصائد ترفيهيةعلى المرضى المصدورين، وكان أن جلسنا على مائدة الغداء الاستاذ النجفى والدكتور الصباغ والانسة «ليديا» مديرة المصح ومحامية من بيروت وانا ، وكانت الآنسة ليديا شابة فى مقتبل العمر ، ذات ثقافة فرنسية عالية وجمال انثـوى عــال ، تنظم الشعر بالفرنسية ، وتتذوق الشعرالعربى ، وبعد أن انتهينا من الغناء والحديث ، طلب الاستاذ من الآنسة ان يلقـــى قصيدة فى وصفها ـ فقد شاهدها ذات مرة فـــى بيروت تسوق سيارة جميلة وبيديها أجمل منديلـ فرحبت ، ثم صفقت ، ثم القى الاستاذ قصيدته فاصغت ، ثم بدات بنقلها الى الفرنسية شعرا فاجادت ، وها انا اقتطف منها هذه الابيات •

غانيــة فاقــت علــى جيلهـــا
وحــق قــرآنــى وانجيلهـــا
ساقت أتمبيــلا رفيقــا لهـــا
يجرى رخــاء وفــق مأمور لهـــا
أحبتــه فهــى الروح حلت بــه
بلمــس كفيهـــا ومنـــديلهـــا

تجربة فى الزنزانة

ولما سالها الاستاذ السماح له بالقائها علــى المرضى لايناسهم بها ، والترفيه عنهم معا ،اجابته بالايجاب شريطة انيستل منها هذا البيت

«تعلــق القلب بهـــا ، فاغتدى
يحـــوم كالطيــر لتقبيلهـــا »

ذلك من اجل حصانتهـــا وحصانة المـــرضى منهـــا حسبما ادعــت • والقــى الاستـــاذ قصائـد ترفيهية علـــى المرضى عصـــر ذلك اليــوم ، وقبيل الغـروب خرجنا الى نزهة على ربى لبنان المطلة على البحر ، نرصد الغروب ، الدكتور والاستاذ وانا وبعد ان ودعنا الشمس فى رحلتها ، طلب الاستاذ التوجه الى قرية قرب مصطافبيتمرى ليهنىءعائلةهناكبمناسبةعيدالميلاد وكان ربها قد احسن اليه فى السجن الذى اودع فيه بامر من الاستعمار ـ بعد مشاركته جماهير بيروت المتظاهرة تاييدا للعراق فى ثورته على المستعمر عام « ١٩٤١ م » •

وقد ذكرت ربة البيت بانهم كانوا يتحلقون حول الموقد مصغين الى احداهن تنشد لهن من قصائد الصافى قبيل زيارتنا لهم ، وان رب البيت لم يستمتع بسماع كل القصائد لانه خرج لزيارة أصدقائه ومعايدتهم ، وقالت للاستاذ : « انت ابن عمى رغم اختلافنا فى الدين ، فانا قرشية صحيحة النسب » ، ثم قالت « ان الدم العربى هو الذى كان يدفعها على حث زوجها بالحاح للعنايةبالاستاذ والترفيه عنه فى سجنه » ـ اذ كان مديرا داخـل السجن آنذاك فاجابها الصافى قائلا : « لولا زوجك لكنت فى عداد الموتى ، ذلك لانى اودعت داخل غرفة داخل سجن لا اثاث فيها ولا نوافذ الا ما يدخله الباب الحديدى المشبك من هواء قليل وضوء ضئيل » • وكان الاستاذ حينذاك مصابا بالزحار الاميبى المزمن ، وصاحب هذا الداء بحاجة ماسة الى دورة المياة بين فترة واخرى قصيرة الامد ،لذا لا عجب ان كاد يغمىعليه فىزنزانته منشدةالعناء والقىء وقيود السجن وغلظة السجان ،قالالاستاذ وما ان علم زوجها « مديرالسجن » بشخصيتهواطلع

على ما يعانيه من دائه حتى استدعى له الطبيب فاخرجه من غيهب الزنزانة الى غرفته المضاءة وتنازل له عن سريره الوثير ، فلصاحب السجن فضل بهذا الصنيع على الصافي ، وعلى الشعر الادب في آن معا • ووصف الاستاذ محبسه هذا بقوله :

حبست وضاق الحبس بي حين زج بي
الى غرفة ظلماء محكمة السد

فقلت علام الحبس ؟ لا أنا سارق
ولا آثم عمدا ولا دون ماعمد

الى ان قال:

ولما رأيت الذنب خدمة موطني
حلا السجن حتى خلته جنة الخلد

مسير ام مخير

لئن اتفقت انت والصافي على موعد فيه تلتقيان في مكان ما بدمشق ، فقد ، ياخذك العجب حينما تقرأ في صحيفة او مجلة ان الصافي في بيروت او حلب او حماة ،في نفس التاريخ المتفق عليه، وانه القى قصيدة في حفل اقيم هناك ، ولكن سيزول عنك العجب فيما لو علمت بان الاستاذ كان يؤمن بان الانسان مسير لا مخير في كل الامور او في امر المواعيد على اقل تقدير ، ولا ادري لعل ايمانه هذا كان لتبرير شطحاته في المواعيد •

لو تصفحت دواوين الصافي لوجدت فيها من اللوحات الفنية الشيء الكثير ، صور فيها المجتمع بكل ابعاده من زواياه الخاصة ، بخطوط وظلال ، فكانه الرسام الماهر يحمل الواحه واصباغه فيجلس في أحضان الطبيعة او يقف على قارعة الطريق ، يصور ما استهواه من جمال او قبح في الظاهر او الباطن ، في الناس او البيئة•لقد وفر الصافي لنا ولمن ياتي بعدنا في القابل من الاعصر ،الشيء الكثير من الجهد والعناء في تدوين تاريخنا المعاصر من حيث البيئة والمجتمع والفكر والعمران •

قال الصافي :

كل بشعري واجد نفسه
ففيه أسرار الورى مودعة

وقال كذلك :

فشعري مرآتي ولاتعب به
وهل تتعب المرآةمن عكس اوضاع

اما ان سالتني عن منابع الافكار التي استقى منها شاعرنا فنهل ، لقلت بانه تاثر بالمعري وفلسفته، وبفلسفة الخيام الشبيهة بها ، وقد كان بثورته الفكرية في صغره اقرب الى المعري منه الى الخيام لان من طبيعة الفيلسوف العربي الثائر الزهد ، وهكذا زهد الصافي كما زهد المعري ، وما هكذا الخيام وذلك لاختلاف الارومة على ما ارى وقد اشار الصافي في مقدمته لرباعيات الخيام الى شيء من هذا بقوله :

أخيام قد أرسلت روحك هاديا
لروحي في اتقان هذى التراجم
فاني تلميذ لروحك في الأسى
امارسه من قبل حل التمائم
لئن نلت من بعد التشاؤم لذة
فما نلت من دنياي غير التشاؤم

اما لو سالني سائل عن اسلوب الصافي في شعره لاجبته بانه مرسل مسترسل ، وقد يبدو مهلهلا في بعض من قصائده ، وما ذلك عن تقصير في الحياكة او ضعف في الاحتباك ، وانما لانصرافه الى المعاني واهتمامه بالصور والاخيلة والعواطف والافكار دون السربال ، فابراز معالم الصورة لديه اهم من نسج الارض وجمال الاطار •

الصورة والسيرة

مهما يكن من امر فليس بوسعي ان اقدم للقارىء صورة كاملة المعالم للصافي دون ان ادلف الى عقيدته الدينية فانظر اليها بمنظار دقيق اتتبع فيه مسيرته فيها من الصبا الى الشيخوخة كي اضيف ما اقف عليه من حقائق الى صورته وسيرته ، فالصورة والسيرة تتلازمان متشابكتين معا في حقيقة الامر ذلك عندما نريد ان نجسد شخصية عظيم من العظماء فاستمع الى الاستاذ وهو يحدثني عن عقيدته بايجاز جوابا على سؤال وجهته اليه بهذا الخصوص قال : انا الان موفر عليك الجهد والزمن فاحدثك عن مسيرتي العقائدية بكلمات •آمنت في

صباى مقلدا ثم انقلبت فى شبابى شاكا على حافة الجحود ثم آمنت بعقلى وقلبى فى كهولتى ثم زدت ايمانا كلما دنوت من خريف عمرى الى شتائه وها انا الان ادلف الى شيخوختى بقلب ملؤه الايمان، فمن بعد تيه فى دروب الشك آمنت، والصراط المستقيم اهتديت ، وبالحمد والشكر اتوجه الى رب العالمين فى كل حين ٠

وهاك الشاهد على معالم مسيرته العقائدية من شعره ، قال فى الحيرة :

تعبت فــى مفاوز الشــك نفسى
هل يقين فــى ظلــه تستريــح
مــا ارى هــذه الطبيعـــة الا
أخرســـا كـــل نطقــه تلميح

الى ان قال :

كلمينى ثــم اصعقينى كموسى
انا حسبى منــك البيان الفصيح

وقال فى «المحيط الخادع» :

مافى محيطــى جاذب يقتادنــى
فــاذا مشيت فمشيتى عــن دافع
لى مانع عن ذكــر آرائــى كما
لى مانع عن ذكــر ذاك المانــع
ان كان جبـــار الزمان مصارعى
صارعت جبار الانام وكيف بى

ومن بعد وصوله الى ساحل الايمان ، بعد تيه فى خضم الشك ، قال فى « الله » :

كهولتــى باللـــه قــد آمنت
ضــل شبــابــى ودعـــاواه
فــان تجـــد ذا شيبــة جاحــدا
فقــل الــى المــوت أحلنـــاه
روح (المعرى)فــى قــد آمنت
فــأبصــرت فــى الموت عينـــاه
عاشت بروحى روحــه ترتقــى
فمــذ سمت لاح لهــا اللـــه

الى ان قال :

رسالـــة الغفران لـــم تغتفــر
للشعـــرا كفـــرا بـــه فاهو

وجئت فـــى شعـــرى مستغفرا
عــن (المعــرى) وخطايـــاه

وبعد ٠٠

فقد تعرفت على الاستاذ فى مطلع الاربعينات بدمشق،ثم كتبت عنه عام ١٩٤٧م فى مجلة الجزيرة الموصلية ، ثم زودنــى فى صيف عــام ١٩٧٣م بقصيدتين هما « طفولتى» و « الطفل الشيخ»فى آخر لقاء كان بيننا وكان ببيروت ، وقد ذكر لــى الاستاذ انهما لم تنشرا حتى ذلك التاريخ ، وها انى اقدم احداهما وهى قصيدة طفولتى :

تعود بى الذكرى لمهد طفولتى
فأبصر طفلا فى التلاميذ وادعا
كأنى اراه الآن مــن خلف درجــه
هزيلا حييا خافض الطــرف خاشعا
به وحشة مستغرق فى خياله
اذا انصرفوا للعب شاركهم به
يخال اذا كلمتـــه ليس سامعــا
قليلا وولــى للزويــة قابعـــا
يفكر فــى العابهــم متفرجـــا
ويسرع فــى حقل التفكر راتعا
فأغدو أكاد الان أنكــر مــا ارى
ويبدع ربى مبدعا وبدائـــعا
وأغدو أكــاد الان أنكــر ما أرى
واصبح فى بحر من الشك واقعا
رفاقى فى الكتاب حين يرونــى
يرون عجيبا يصدم النفس رائعا
يقولون:«هذا كيف كان وكيف قد
غدا» فامتلوا غيظا وعضوا الاصابعا
لقد ابصروا بى آيــة لالههـــم
تصير كلا مؤمن النفس طائعــا

فسلام على الصافى يوم ولد ، ويوم مات ،ويوم يبعث حيا ٠ ■■

دمشق — د ٠ فيصل دبدوب

٣ وجوه

« اذا لم تذق نفسك فرح الهزل ٠٠ كربها غم الجد »

ابوحيان التوحيدى: ضاحكا

بقلم: يعقوب افرام منصور

علق ابوحيان التوحيدى على فكاهة مجونية اوردها فى المجلد الاول من كتابه البصائروالذخائر فقال : اياك ان تعافى سماع هذه الاشياء المضروبة بالهزل ، الجارية على السخف ، فانك لو اضربت عنها جملة ، لنقص فهمك وتبلد طبعك ، ولا يفتق العقل شىء كتصفح امور الدنيا ، ومعرفة خيرها وشرها ، وعلانيتها وسرها ٠٠٠ فاجعل الاسترسال بها ذريعة الى احماضك (التخفيف والترفيه عن النفس) والانبساط فيها سلما الى جدك ، فانك متى لم تذق نفسك فرح الهزل ، كربها غم الجد٠٠

كان ابو حيان يشعر جيدا ، بعد انغماسه فى الجد ، ان القارىء بات محتاجا الى الترفيه والنكتة والايناس ، فيورد جملة من النوادر والطرائف والحكايات والنكات المنقولة والمسندة ، ويستقيها من اى مصدر كانت : من الخاصة والمثقفين وذوى الرتب ، او من العامة والصعاليك والطفيليين والحمقى ، اذ المهم انها تخدم الغرض الذى ينشده الا وهو التفريج عن نفس القارىء واضحاكه وادخال المسرة الى نفسه المكدودة بمضايقات الحياة وازماتها ومعاكساتها ٠ وقد يستطرد الى التبرير والتعليل لماما ، كما فعل فى الجزء الثانى من كتابه البصائر والذخائر عند اسهابه فى شرح طائفة كبيرة من الكلمات على وزن فعيل ٠

وتبريرات وتعليلات ابى حيان التوحيدى ، فى موضعها تماما ، اذ ان علماء النفس والاطباء فى هذا القرن ، قد اجمعوا على ان للضحك تاثيرا قويا فى حياة الفرد ، لاعتقادهم ان البشاشة تكسو الوجه اشراقا وجمالا ، وان المرح يؤثر فى طباع الانسان وميوله ، فيغدو انيسا وديعا هادئا لطيف المعشر ، وعلى النقيض من ذلك دائم العبوس : فاخلاقه تتصف بالضيق والانقباض ، ويغلب على نفسه الاكتئاب والنفور ٠ اذ ليس كالضحك والفكاهة ما يبعث على اراحة الاعصاب ، ويحولان دون التشنج والتصلب اللذين يصيبان الاعصاب والشرايين والعضلات والقلب ، فتضطرب وظائف اعضاء البدن، فتغيب البسمة عن المحيا ويبدو العبوس على الوجه، ويشعر بالمتاعب الجسمية والروحية ٠

العلاج بالضحك !

وهذا ما حمل عددا كبيرا من الاطباء فى هذا الزمان على مداواة بعض الامراض والعلل بالوسائل الطبيعية التى تؤدى الى ارتياح النفس وتهدئة الخاطر ، وبالتالى الى الابتسام والضحك ، وهو ما يذكرنى ببلدة ابيداوروس فى بلاد الروم قديما وهى اليوم تدعى ابيدريف حيث شيد مسرح عظيم لاله الطب ، وكان يؤمه كثير من المرضى لمعالجة اسقامهم وعللهم بوساطة اللهو والطرب والضحك ٠

وابوحيان ، بعد كل ذلك صاحب كتابين باذخين فى التراث والفكر العربيين ، وهما : الاشارات الالهية و المقابسات والاخير يمتاز ـ بشكل خاص ـ برصانة الموضوعات ورزانة العلماء والفلاسفة وعمق المسائل وعويص القضايا التى كانت فى الكتب ـ فى اوانها ـ مدار الحوار ومثار الجدال والباعث على السؤال والاستعلام ٠ وجدير بالذكر فى هذا الصدد ، ان المقابسة العادية والسبعين من كتاب « المقابسات » الرفيع الشان ، هى ذات مساس بموضوع المقال ، اذ هى تدور حول حقيقة الضحك ودوافعه ، وهى جديرة بايرادها نصا ليقف القارىء على مدى رصانة الفكر بشان مسالة قصية جدا عن



الرزانة والجد ـ المتسم بهما الكتاب ـ أعنى الضحك الذى هو صنو الفكاهة والهزل :

غم من كان أعقل

سالت ابا سليمان عن الضحك : ماهو ؟ فاملى فقال :

« الضحك قوة ناشئة بين قوتى النطق والحيوانية، وذلك انه حال للنفس باستطراق وارد عليها ، وهذا المعنى متعلق بالنطق من جهة ، وذلك الاستطراق انما هو تعجب ، والتعجب هو طلب السبب والعلة للامر الوارد ، ومن جهة تتبع القوة الحيوانية عندما تنبعث من النفس ، فانها اما ان تتحرك الى داخل ، واما الى خارج . فاما ان يكون دفعة فيحدث منها الغضب ، واما اولا واولا باعتدال فيحدث السرور والفرح . فاما ان تتحرك من خارج الى داخل دفعة فيحدث منها الخوف ، واما اولا فاولا فيحدث منها الاستهزال ، واما ان تتجاذب مرة الى داخل ، ومرة الى خارج ، فيحدث منها احوال احدثها الضحك عند تجاذب القوتين فى طلب السبب فيحكم ، مرة انه كذا ، ومرة انه ليس كذا ، ويسرى فى ذلك الروح حتى ينتهى الى الغضب فتحرك الحركتين المتضادتين ، وتعرض منه القهقهة فى الوجه لكثرة الحواس ، ويعلو الغضب واحدا واحدا منها » .

أما مسائل « الهوامل والشوامل » للتوحيدى ومسكويه ، فهى لم تغل من طائفة تمت الى الموضوع بصلة ، منها المسالة الثامنة والسبعون ، وهى كيف يهون على بعض الناس أن يجعل نفسه ضحكة او مخنثا مغنيا لعابا ، ولعله من بيت ظاهر الشرف ، وربما لم يعد عليه ذلك بنفع مادى ؟ والمسالة السابعة والثمانون ، وهى : ماعلة كثرة غم من كان اعقل . وقلة غم من كان اجهل فى الافراد والاجناس؟ والمسالة الحادية بعد المئة ، وهى : قد نرى من يضحك من عجب يراه ويسمعه ، او يخطر على قلبه ، ثم ينظر اليه ناظر من بعد فيضحك لضحكه من غير ان يكون شركه فيما يضحك من اجله .

والمسالة الثالثة بعد المئة ، وهى : لم قيل لولا الحمقى لخربت الدنيا ، وما فى حياتهم من الفائدة على الدين والدنيا ، وهل الذى قالوه حق؟ والمسالة التاسعة بعد المئة ، وهى : لم صار الناس يضحكون من السخرة والمضحك اذا لم يضحك اكثر من ضحكهم منه اذا ضحك ؟ وهذا عارض موجود فى كل من الهاك ولم يضحك .

مع الامتاع والوانه

وينبغى هنا الاشارة الى كتاب الامتاع والمؤانسة لابى حيان ، المتميز بختام كل محاضرة بملحة . يطلبها الوزير ابو عبد الله بن سعدان الى التوحيدى قبل مبارحته مجلسه ، وقد وجدت فيه ان الليلة الثامنة عشرة قد كرست للهزل والفكاهة ، اذ قال له الوزير: « تعال حتى نجعل ليلتنا هذه مجونية ، وناخذ من الهزل بنصيب وافر ، فان الجد قد كدنا ، ونال من قوانا ، وملانا قبضا وكربا ، هات ماعندك » .

ويسرد ابوحيان طائفة كبيرة من النوادر والحكايات يغلب على معظمها الابتذال والمجون الساقط ، حتى ان المرحوم احمد أمين ـ محقق الكتاب وشارحه ـ قد علق فى الهامش على ذلك قائلا : ويلاحظ ان المؤلف قد أتى فى هذه الليلة ببعض من المجون الساقط والنوادر المبتذلة ، ولولا الامانة العلمية والاخلاص للتاريخ لحذفنا أكثرها ، واكتفينا بما لطف ورق ولم ينب عنه الذوق .

وعلى من اراد أن يضحك ويروح عن نفسه بنوادر وملح التوحيدى ، عليه بالرجوع الى المجلدات الثلاثة من « البصائر والذخائر » .

■■

اعداد : يوســف زعبلاوى

الانتورين يصلح علاجا لامراض القلب

● ليس الغريب أن يكتشف العلماء عقارا جديدا .. ولكن الغريب حقا هـو أن يكتشفوا استعمالا جديدا لعقار قديم لا سيما اذا كان هذا الاستعمال الجديد أبعد أثرا واكبر خطرا من الاستعمال القديم .

وهذا بالضبط هو ما حـدث لعقار الانتورين Anturane الـذى توزعـه شركة سيبا ـ جـايجـى (فـى ساميت فـى نيـو جرسى) وذلك منـذ سنة ١٩٥٩ . فقد درج الاطباء على وصف هذا العقار لمعالجةمرض النقرس والتخلص منأعراضه، فهـو يخفـض نسـبة حـامض اليوريك (الحـامض البولى) فى الدم ، ويحد من الالام التى تصيب الاطراف ، والتى تحدث تبعا لارتفاع تلك النسبة .

وانفق أنلاحظ بعضالاطباء أن الانتورين يفيد فى معالجـة امـراض القـلب ، وتكـررت الملاحظـة فى اماكن مختلفة ، الامر الذى حدا بشركة سيبا ـ جـايجى الى القيـام بابحـاث وتحقيقات واسعة النطاقكلفت باجرائهـا ، ٩٦ طبيبا فى ٢٦ مركزا طبيا فى الولاياتالمتحدة وكندا ، وذلك باشرافالدكتور سول شرى Dr, Solsherry, وقد بلغت تكاليف تلكالتجارب ٣ر٨ مليـــــون دولار ونشرت نتائجها فى تقرير مفصل مجلة نيو انجلند الطبية .. (New England Journal of Medicine) .

وكان قـوام تلك التجـارب ١٤٧٥ من المصـابين بامـراض القلب الـذى تطوعوا لاجـراء التجـــارب عليهم .. واعطـى نصف اولئكالمصابين (بالضبط ٧٣٣ منهم عقار الانتورينبمعدل ٤ مـرات فى اليوم واعطـى نصفهم الاخر (بالضبط ٧٤٢) العقـار المـالوف فى معالجـة امراض القلب وهو البلاسبو ، Placebo وكان المفروض ان تستمر هذهالتجربة سنةكاملة، لا ان النتائج الباهرة ، بـل المذهلة ، التى تكررت ، حملت شركة سيبا ـ جايجىعلىايقاف التجارب بعد مضى ٨ شهور ونصف الشهر علىمباشرتها.. وحسبك ان عـدد الوفيات بين افراد الفئة الثانيـة بلغ ٤٤ فى حين ان عـدد الوفيات بـين افراد الفئة الاولى لم يزد على ٢٤ ويذكر هنا انأسبابالوفاة فى تلك الحالات جميعا كانت امراض القلب ..

وتجدر الاشارة الى انالذين يصـابـون بالسـكتة القلبيـة بشتى صنوفهـا فى الولايـات المتحدة يبلغ عددهم ١ر١ مليون نسمة سنويـا . ويمـوت مـن هؤلاء ٧٠٠ر٠٠٠ نسمة علـى الفور او فى غضون اسبـوع او اسبوعين من الاصابة . اما الباقون (٤٠٠ر٠٠٠) نسمـة فيموت منهم ٤٧٠٠٠ فى غضون سنة .

منهناكانت خطورة الانتورين وقد اثبتت التجارب قدرته على انقاذحياة مايزيدعلى ٣٥٠ر٠٠٠ نسمة ممن كان موتهم محققا..

اللوكيميا واحتمالات شفائها بالوصفات الشعبية

● من العقاقير الشعبيـــة الجديـرة بالاهتمـام عصـارة اليوفوربيا Euphorbia فهذه شجيرة منزلية تنتمى الى اسرة Euphobiacease ولطالما لجا الناس الى هـذه

العصارة فى معالجة الثاليل والاورام الخبيثة ، منذ أيام ابقراط ، كما يقول الدكتور كوبشان Dr S.M Kupchan احد كبار اساتذة جامعة فرجينيا فى الولايات المتحدة •

فقد تحدث هذا العالم عن هذه النباتات بشىء من التفصيل فى مقال نشرته له مجلة سياس Science المعروفة •• وتحدث فيه ايضا عن التجارب والابحاث التى اجراها هووفريق من زملائه العلماء •

واكدت تلك التجارب فاعلية عصارة اليوفوربيا ضد اللوكيميا او سرطان الدم • الا انها وقفت فى ذلك عند الفئران •• اذ لابد من التاكد من خلوها من الآثار الجانبية التى قد تكون خطرة او ضارة بصحة الانسان ، قبل تجربتها عمليا بقصد التاكد من اثرها الفعال فى معالجة لوكيميا الانسان •

ونجح الدكتور كوبشان وصحبه فى عزل المواد الفعالة فى بعض اعضاء الاسرة النباتية التى ذكرنا •• فوجدوا ان المادة الفعالة فى اليوفوربيا اسولا Euphorbia Esula هى Diterpenoid diester وقد ثبتت فاعليتها ضد عدد من امراض السرطان ، التى تصيب الفئران ••

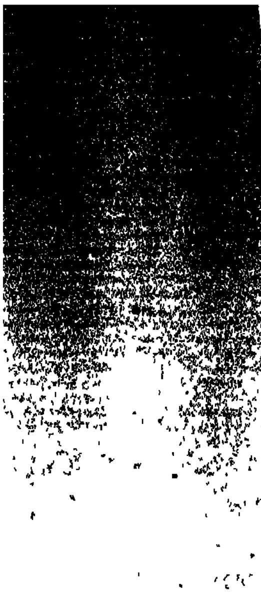


جهاز ناطق ••

يسمع المكفوفين مايريدون قراءته

● كثرت الاجهزة التى ابتكرها العلماء فى المدة الاخيرة لتكون عونا للمكفوفين •• ولعل فى هذا الجهاز الذى اوشك على اجتياز المرحلة التجريبية بنجاح ـ لعل فيه ما يميزه على سائر الاجهزة التى صنعوها لصالح الضرير • ذلك أن مهمة هذا الجهاز هى النطق •• وتحويل الكلمات المكتوبة على صفحة ما الى كلمات مقروءة يسمعها الضرير باذنيه •• فليس على الضرير الا ان يلمس باصبعه ما يريد ان يقرأ ليسمع باذنه صوتا آليا ، يتلو عليه او يقرأ له ما لمسه باصبعه من كلمات والصوت الذى يحدثه الجهاز اى كصوت الرجل الانفى Nasla ، ولكنه واضح •

ولا يعرف كيف يقوم هذا الجهاز بعمله •• وحسبك قدرته على تحويل الحروف المطبوعة المعدة لقراءة المكفوفين ، الى اهتزازات صوتية وكلمات مسموعة •• فهو اذن يشبه من قريب او من بعيد الاجهزة التى تحول الاشارات والرموز البرقية Telepainter Telex الى كلمات مقروءه او مسموعة مكتوبه وقد شاعت هذه الاجهزة وعمت فى المدة الاخيرة • ولو ذكرنا ان الجهاز القارىء هذا يمكن الضرير من القراءة بسرعة ، ٢٠٠ كلمة فى الدقيقة الواحدة ، لادركنا مدى الفائدة التى يستطيع اتاحتها للمكفوفين •• ناهيك بالمتعة • وهكذا يمكن ان تصبح حياة الضرير نعمة وبهجة وقد كانت فى الغالب عبئا ونقمة •



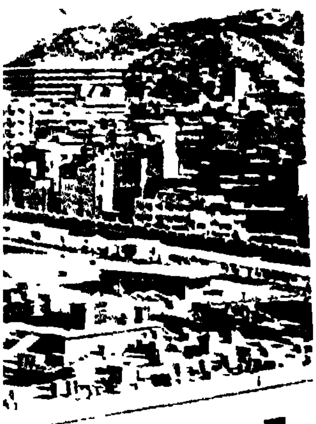
« شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن »

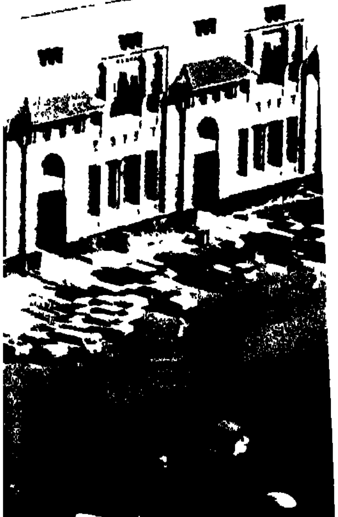
هذه هي مكة : أم القرى وأم المدن !

استطلاع بقلم : مصطفى نبيل تصوير : عبد الناصر شقرة

السعودية ترتبط في أذهان الجميع بالكعبة في الوادي المقدس ، وبالذهب الاسود في حقول النفط . وفي الماضي والحاضر والمستقبل ، سيظل اسم مكة مرتبطا بالكعبة ، التي عندها تلتقي عيون ملايين المسلمين في انحاء الارض ، خمس مرات كل يوم .

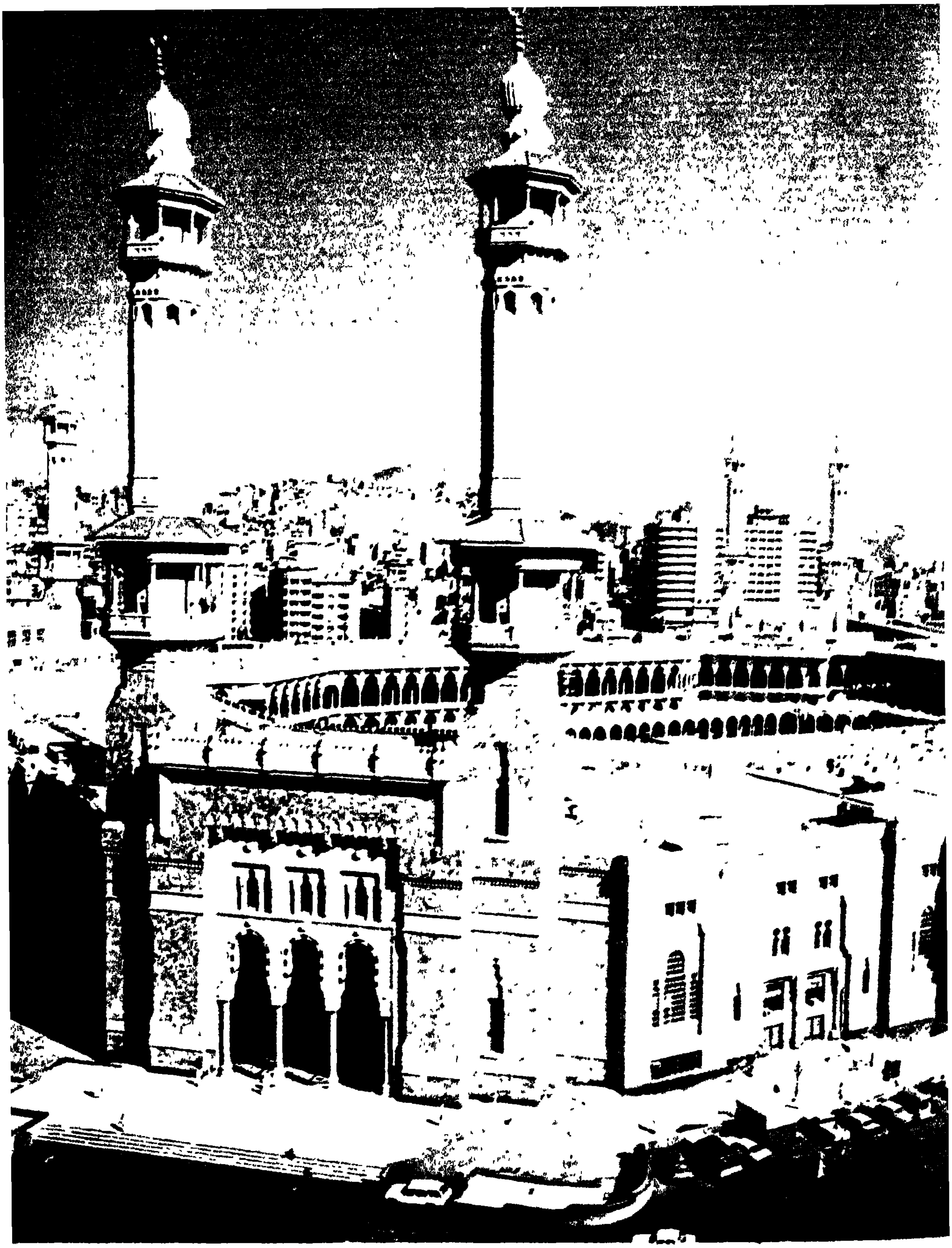
ورغم ان نصيب الحج في مكة اضعاف اضعاف نصيب الصوم في هذا البلد الامين ، لكننا ننسى – بينما عيوننا وقلوبنا مشدودة الى مشهد الحج العظيم – ان القرآن الكريم انزل على النبي محمد عليه السلام في مكة وأن هذا الحدث الهائل تم في شهر رمضان المبارك .







كسوة الكعبة ، خلال نسج
جلاله ، سبحان الله وبحمده
بالذهب ، ويستهلك الحرام
صورة عامة للمسجد الحر
وعمارات لتستوعب الاعداد
(الصورة الى اعلا) .



وطها ، ويتكون ثوب الكعبةمن الحرير الصافي وينقش عليه عبارات : لا اله الا اللهمحمد رسول الله ، إلله جل
حان الله العظيم ، اما الحزام وستارة باب الكعبة فيكتب عليهما آيات قرآنية مغطاة بسلك فضي مطلى
لستارة ١٢٠ كيلو من هذه الاسلاك والحزام يبلغ محيطه ٤٥ مترا وعرضه ٩٥ سم .(الصورة الي اليمين) .
سجد ضخم يصل ارتفاعه الى حوالى ٢٤ مترا ، تحيط به الساحات من كل جانب ،والمباني الشاهقة من فنادق
كبيرة من الحجاج الذين يصرون على أن يكونوا الي جوار المسجد الحرام، والمسجد وما حوله تحيطه الجبال .

■ ترتكز الحياة في العربيـة السعودية على محورين :

الكعبة في الوادى المقدس ، والذهب الاسود في حقول النفط ••

وهذا حديث عن البلد الامين ••

وهو حديث يحتاج الى قدر كبير من الجـرأة ، لانه يدور حول أقدس مكان لدى المسلمين ، فهل يستطيع هـذا الحـديث الوصـول الى مستـوى هذه القداسة ؟ •

البلد الامين رمز يحفه جو مسحون بعطر الاسلام، وعبق التاريخ ، وجهاد المسلمين الاوائل ، ورائحة الاستشهاد •• وأنت في كل درب في مكة وأمـام كل بناية ، وعلى بطاحها وبين شعابها ، تقف أمام قطعة غالية من التاريخ • ونداء مكة دائما غلاب ، ينفذ الى أعماق الوجدان مختلطا باصداء الحـج وصوت الدعوات •

تجولت بين مقدساتها ، وغصت في العديد من الكتب التي روت عنها ، واستمعت الى أهلهـا لاقدم هذا التحقيق • فاهل مكة أدرى بشعابها ••

لكي تصل الى مكة بالطائرة أو الباخرة لا بد أن تمر بميناء جدة ، فمكة وجدة يترابطان كالرأس والجسم ، وتقع جدة عند منتصف ساحل البحـر الاحمر وبينها وبين مكة ٩٠ كيلو مترا ، نمضي على طريق جدة ـ مكة الـذى تقـام في أوله المصانع والمخازن والورش ليعكس حركة البنـاء والتشييد الهـائلة التي تشهـدها السعودية ، ولقـد أقيم الطريق المعبد فوق أودية وكثبان رملية ، تتجاوز المباني وتدخل الى صحراء لا ترى لها نهاية وليس بهـا غصن أخضر ، وعلى الجـانبين رمـال محرقة وحجارة سوداء كأنها بقايا براكين ••

قرب نهاية الطريق تصل الى بلدة « الشميس » أو الحديبية على عهد رسول الله، المكان الذىعقد فيه صلح الحديبية المشهور والذى أكسب المسلمين شرعيتهم بعد معاناة وجهاد طويل ••

وكلمـا اقتربت السيارة من مكة سبقها خيالي يرسم صورة دقيقة لام القرى ، الوانها وظلالهـا ما ترسب في الوجـدان من مطالعـات في التراث العـربي والاسلامي ، لهـذه البقعـة الضيقة من الارض جـلال كبـير ومهـابة ومكـانة خاصـة ، *فالبلد الامين بلا مغالاة هو مستودع التــراث الاسلامي . واتذكر قول الرسول العظيم عندمـا خرج من مكة مهاجرا « انى لاعلم انك احــب* البلاد الى ، وانك احب أرض الله الى الله ، ولولا انني اخرجت منك ما خرجت •» واذكر قول السيدة عائشة •• « لولا الهجرة لسكنت مكة ، فاني لم ار السماء اقرب الى الارض مثل مـكة ، ولم يطمئن قلبي ببلد قط ما اطمان بمكة . ولـم ار القمر بمكان احسن منه بمكة ، كلمات تعكس الشوق الجارف بحب البلدة التي شهدت طفولتها وصباها . وهذا أجمل ما يقال تشوقا للوطن •

وهذه البقعة من الارض هي معقل العروبـة وحطها الاخير . وهذا رسول الله يقول « ان الاسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا كما بدأ . وهو يأرز بين المسجدين ـ المسجد الحرام في مكـة والمسجد النبوى في المدينة ـ كما تأرز الحية في جحرها •• » فهنا مهد الاسلام الاول ، ومعقلـه الاعظم ، وسياجه في جزيرة العرب ، وإذا كان هناك ثمة شبهة خلاف بين العروبة والاسلام فلا وجود لهذه الشبهة هنا ، فنحن هنا امام معقـل العروبة والاسلام معا »

كسوة الكعبة ••

ظلت تلك الصور تتسارع بينما السيارة تقترب من اعلام مكة ـ التي تحدد المنطقة الحرام ـ وعرجت في منطقة التنعيم على مصنع لتعبئة مياه عـين زبيدة في قوارير على اسس علمية ، وبعد الاعلام زرت مصنع كسوة الكعبة الشريفة ، ولان عاصمة الاسلام الاولى تهيمن عليها الكعبة الشريفة ، قام هذا المصنع ليمد الكعبة بالكسوة سنويا ، وهــو تقليد قديم يقوم به المسلمون منذ الفتح الاسلامي، وكان موكب الحج المصرى الى عهد قريب يحمــل الكسوة في موكب مشهود يسمى « المحمل » سنويا، وللمستشرق الاوروبي لـين وصف دقيق لـه •• قال •• ان الموكب المصرى كان يغادر القاهرة في آخر أسبوع من شوال ، فيصل الى مكة في سبعة وثلاثين يوما ، بعد ان يسير على طول السـاحل البحرى ، ويخرج من القاهرة متجها الى الشـمال حتى احد موانيء البحر الاحمر المواجهة لمينــاء جدة ، وهو ذات الطريق الذى سلكه الرحالــة المغربي ابن جبير ، وايضا الطريق الذى وصفـه البتنوني في *مؤلفه الرحلة الحجازية ، وكان وصول المحمل المصرى يعد بمثابة حدث هام بالنسبة لاهالي مكة ، فكانوا يستقبلونه بالعديد من مظاهـــر الترحيب •• »*

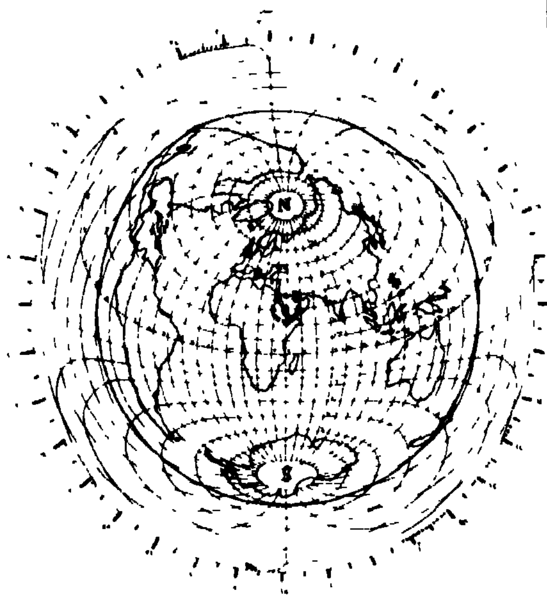
ويصف لين الكسوة بقوله ... انها كــانـت تتألف من نسيج حريرى مشجر ذى لون اسود حيكت فيه الشهادة وعلى ارتفاع الكسوة يدور حــزام مطرز بالذهب المغطى بايات قرآنية وكان أول حاكم مصرى يسعى الى كسوة الكعبة بعد انقضاء دولـة العباسيين هو الظاهر بيبرس ..

اما الان فيقوم هذا المصنع بانتاج الكسوة التى تتجدد سنويا فى احتفال كبير ، يقول عبدالرحيم الامين الخطاط والمدير الفنى لمصنع الكسوة «يتكون ثوب الكعبة من الحرير الصافى ، وينقش عليــه عبارات : لا اله الا الله محمد رسول اللــه ، الله جل جلاله . سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم » . اما الحزام وستارة باب الكعبة فيكتب عليهما آيات قرآنية مغطــاة بسلك فضى مطلـى بالذهب ، ويستهلك الحزام والستارة ١٢٠ كيلو من الاسلاك الفضية المطلية بالذهب ، والحزام يبلغ محيطه ٤٥ مترا وعرضه ٩٥ سم .

واد غير ذى زرع ..

يلوح الوادى المقدس من بعيد .. نحن علـــى مسارف الفردوس الارضى ، نقترب من البلــد الامــين وغــلالة مـــن البهــاء والرونق تلقى بظلها على المكان ، واحساس جارف بالصحــراء بالبساطة التى تدعـو الى التفكير والتامــل ، المسلمون فى كل انحاء الارض تهفو قلوبهم الـــى هذا المكان ، ويهزهم الحنين الى البلد الامين ، تلك البلدة التى يولون وجوههم شطر كعبتهــا فى صلواتهم . ان هذه الرحلة تثير فى النفســس من الاحاسيس والصور الشعرية والفنية ما لا تثيره رحلة اخرى ..

كل هذه المكانة لواد غير ذى زرع ، مجرد مــن كل زخارف الطبيعة ، تكاد تكون أجرد بلدة عرفها البشر . وأقحل بقعة رأتها العين ، ولكنها فردوس العبادة،انه واد تحيط به جبال جرداء صخرية صماء قاتمة اللون ، ليس فى شعابها اشجار ولا انهار ولا مروج تلطف من حرارتها فارتفاعها عن سطح البحر لا يتجاوز المائة متر ، والعماية الطبيعية فى الوادى تجعلها مسورة طبيعيا . وهى كنواة دينية بجذب حولهــا العديد من الوظائــف ، كالتجارة والخدمات وتنتعش بها حرفة الضيافة والفنادق ويتركز النشاط حول حركة الحجاج والمســجد الحرام .. تقود الطرق جميعها الى مركز البلدة



مكة المكرمة فى الاسقاط المساحى المكى هى مركز العالم

دراسة تثبت أن مكة مركز اليابسة

قام الدكتور حسين كمال الدين استاذ المساحة بدراسة اثبت خلالها ان مكة هى مركز الكرة الارضيــة ، وكان هدفه فى البداية الوصول الى وسيلة تساعد أى مسلم فى أى مكان على تحديد مكان القبلة. الا انه توصل اثناء بحثه الى ما يشبه النظــرية الجغرافية بان مكة هى مركــز لدائرة تمر باطراف جميع القارات ، فقد اتجه الى رسم خريطة للكرة الارضية تحدد عليها اتجاهات القبــلة ، فبعد أن رسم خريطة تحسب أبعاد كل الاماكن على القارات الستة وموضعها من مدينة مكة ، ثم أوصل بين خطوط الطــول المتساوية مع بعضهــا ليعرف كيف يكون اسقاط خطوط الطول وخطوط العرض ، فتبين له ان مكــة هى بؤرة هذه الخطــوط ، ثم رسم خطــوط القــارات وسائــر التفــاصيل على هــذه الشبكــة ، واستعــان فى بحثــه بالعقــل الالكترونى لتحديد المسافات والانحرافــات المطلوبة ، ولاحظ انه يستطيع أن يرسم دائرة يكون مركزها مكة وحدودها خارج القارات الارضيــة ، ومحيطهــا يدور مع حدود القــارات الخارجية ، وتوصــل من نظريته الى مغزى الحكمــة الالهيــة فى اختيار مكة مكانا لبيت الله ..

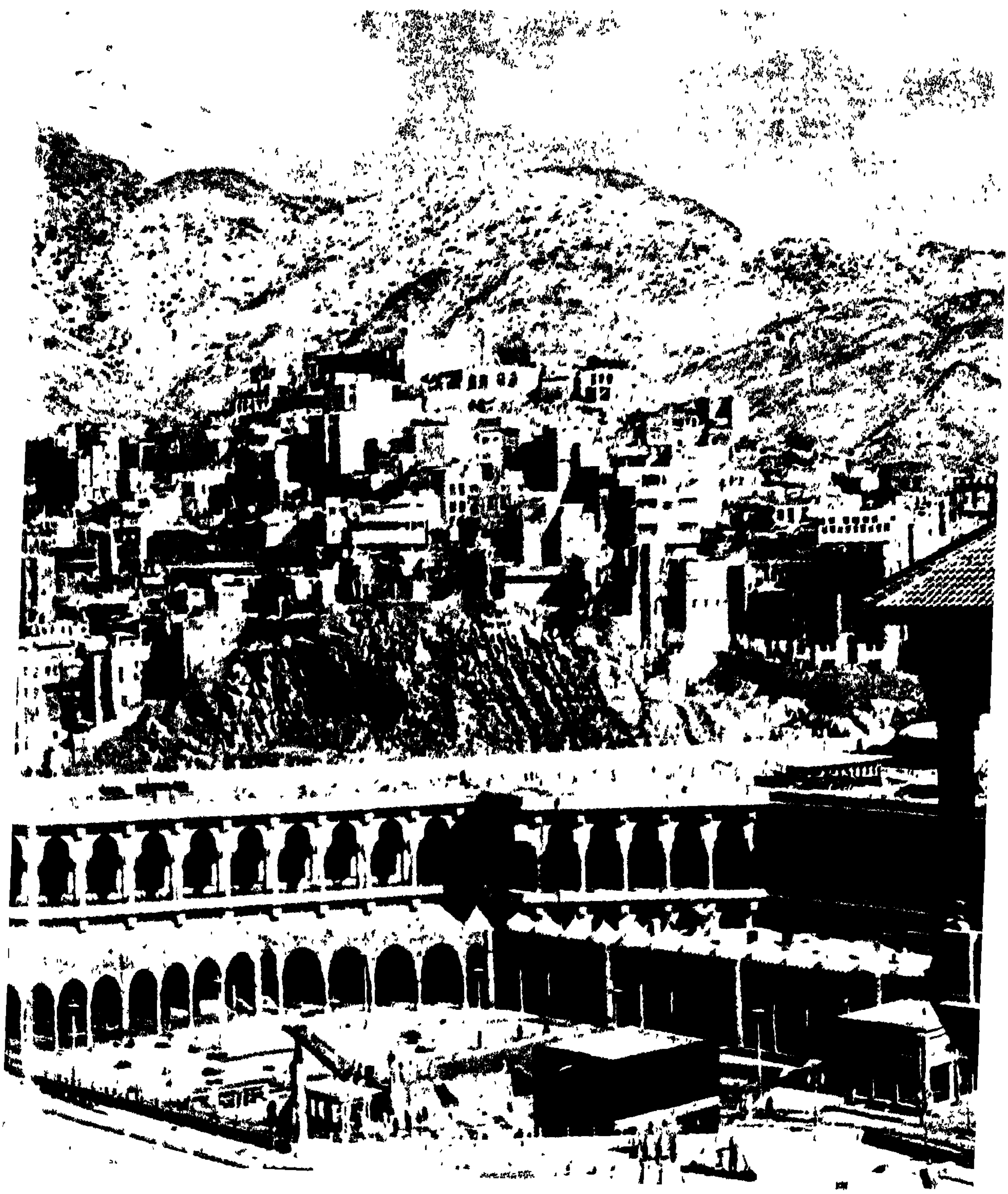
ونواتها ، الى المسجد الحرام ، وكما وصفها احد المهندسين الشبان الوادى والجبال من حوله كوردة من الجبال ، وكما وصفها بيرتون ٠٠ « مكة اشبه بواد متموج متعرج يمتد فوق احدى الهضاب »

المسجد الحرام

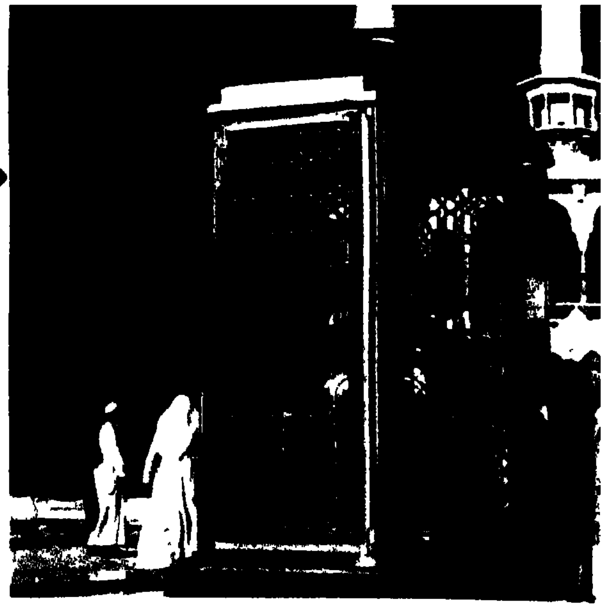
نقف امام المسجد الحرام ٠٠ ، مسجد ضخم شاهق يصل ارتفاعه الى حوالى ٢٤ مترا ، تحيط به الساحات من كل جانب ، ويقع فى قعر الوادى ، فلا تظهر الكعبة المشرفة للواقف خارج المسجد ، اعداد كبيرة من الحمام يلتقط الحب حوله وفى الساحات،تحيطه مبان شاهقة من فنادق وعمارات ، لتستوعب الاعداد الكبيرة من الحجاج الذين يصرون على ان يكونوا الى جواره ويصلون الصلوات الخمس داخله ٠٠

عمارة المسجد الحرامتشبه عمارة مساجد القاهرة ومساجد تركيا ، وواجهته من الرخام المائل الى البياض ٠ تاريخ المسجد الحرام مسجل على مر العصور ، فى صدر الاسلام كانت الكعبة يحيطها

لقطة من داخل المسجد ، ويظهر فيها المبنى القديم والى جواره التوسعة الحديثة٠



مقام ابراهيم المصنوع من الذهب الخالص والقائم فى ساحة المسجد الى جوار الكعبة ·



تنتشر المكتبات فى أم القرى · وتضم العديد من الكتب القديمة وبعض المخطوطات ·



جدار اقل من القامة وغير مسقوف ، وكان الناس يجلسون حوله ، ولم يفكر احد من خلفاء المسلمين في زينته ، ولم يزد « عمر » سوى ضمه الى المسجد بعض المنازل بعد هدمها . واقام جدارا لا يرتفع الى قامة الرجل . ووضع على الجدار مصابيح تضيء المكان للذين يصلون العشاء ..

ولكن بني امية الذين اتصلوا باهل البلاد التي دخلت في الاسلام ، وشاهدوا العناية الفائقة بالعمارة وزينتها أخذوا يعملون على تطوير عمارة المسجد الحرام ، فامر عبدالملك بن مروان عام ٧٥ هـ برفع جدرانه وسقفه بخشب الساج الداكن اللون،وجعل على رأس كل اسطوانة خمسين مثقالا من الذهب . واضاف الوليد بن عبدالملك توسعة جديدة للمسجد الحرام ، وزخرف الساج الذى سقف به وزين جدرانه بالرخام وجعل على رأسها صفائح من النحاس ، وزخرف اعلى ابواب المسجد بالفسيفساء ..

وقام بنو العباس بالسير على نفس النهج فزاد ثاني خلفائهم ابو جعفر المنصور في المسجد الحرام وجعله ضعف ما كان عليه وزينه بالذهب وانواع النقوش ، وبنى له لاول مرة المئذنة ، وكانت الكعبة في جانب من المسجد لان ما اضافه عمر كان يتجه الى الناحية التى لا يخشى انحدار السيل اليها . فاراد ان تكون في وسطه ..

وبعد العباسيين كانت مصر اكثر البلاد الاسلامية حرصا على عمارة الاماكن الاسلامية المقدسة واكثرها سخاء ، ومع ما كان من انتقال الخلافة من مصر الى استانبول الا ان السلطان سليم امر حاكم مصر والمهندس سنان بالقيام بتجديد المسجد الحرام ، فانفقت مصر على هذه العمارة خمسة وخمسين ألفا من الجنيهات مضافا اليها ألف من الذهب الابريز ، وكان ارتفاع المسجد اقل من ارتفاع الكعبة ، وبالتالي كانت الكعبة ظاهرة من اى نقطة في مكة ومع توالي الايام اخذ المسجد يضيق عن استيعاب الاعداد الكبيرة من الحجاج والمعتمرين ، وخاصة بعد ان كثرت المنازل حول الحرم واصبحت ملاصقة له مما جعل الطرق المؤدية اليه ازقة ضيقة ، وكان من الضروري ان يشهد ذلك التوسع الذى بدأ مع نهاية عام ١٩٥٥ ومن ميزاته الحفاظ على عمارة وطراز المسجد القديم ، وجاءت كاضافة وتكملة له ، فكانت ساحة المسجد الحرام ١٢٧ ألف متر فاصبحت ١٨٠ ألف متر ، وغطيت جدرانه واعمدته وارضيته بالرخام والمرمر ، وقد أشرف على العمارة الجديدة المهندس المصرى مصطفى فهمي ، وكان ابرز ما في العمارة الجديدة نظام هندسي متقن لتلقي السيول وصرفها دون تاثير على مبنى المسجد الحرام ..

وخلال عمليات البناء في عمارة المسجد الحرام ظهر في بناء الكعبة الشريفة تصدع في بعض الجدران نتيجة تاكل الاخشاب التى تحمل السقف، والتى كان آخر ترميم لها منذ حوالي ستمائة عام، فجددت الكعبة ورممت ..

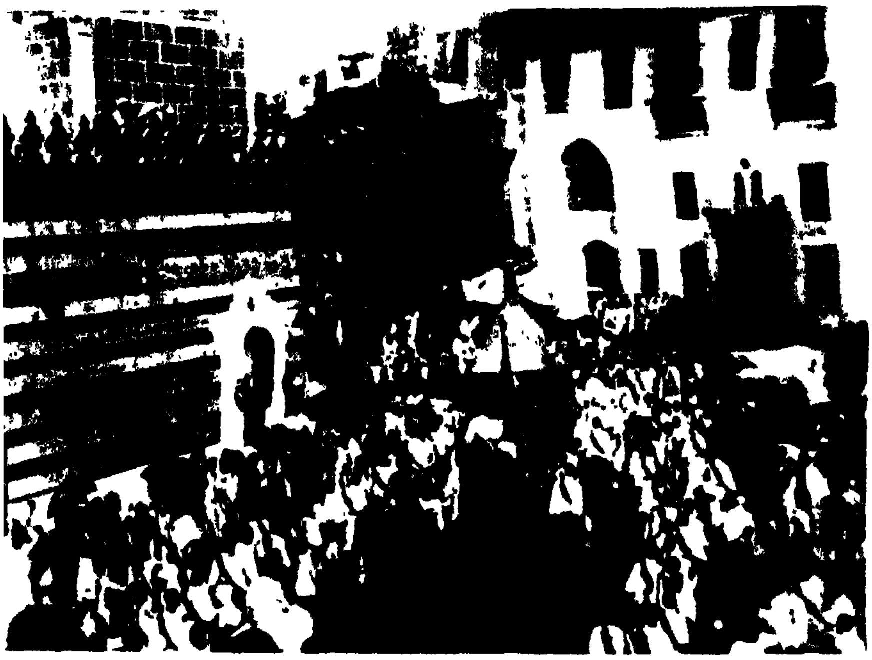
مبنى الكعبة

يتوسط مبنى الكعبة المسجد الحرام ، والصورة التى تراها عليها دائما هى طواف الحجاج والمعتمرين حولها بملابس الاحرام،وفي كل الاوقات يتعلق باستارها الداعون الى الله وطالبو الغفران والرحمة ..

والمبنى على شكل مكعب طوله ٤٠ قدما وعرضه ٣٥ وارتفاعه ٥٠ يتكون من حجر رمادى اللون جلب من الجبال المحيطة بمكة ، وتقوم الكعبة فوق قاعدة من المرمر يبلغ ارتفاعها عشر بوصات ، والخطوط الاربعة التى ترسم من مركز الكعب بامتداد الاركان تصل الى الجهات الاصلية الارب وتتفق كل المصادر التاريخية والدينية ع بأني الكعبة هو ابراهيم الخليل وابنه ا

المخطط الجديد لمكة المكرمة ، ويظهر خلاله الطرق الدائرية الثلاث ، ومركزها الكعبة الشريفة .





منذ القرون الوسطى وحتى بداية هذا القرن كانت قافلة الحج تخرج من القاهرة ودمشق في موكب يسمى بالمحمل ، في احتفال ضخم ، والصورة لاستقبال المحمل قديما في احدى شوارع مكة ٠

وتتفق هذه المصادر ايضا على اعادة بناء قريش للكعبة بعد ان طغى عليها السيل ووهنت جدرانها، فلما بلغ القوم مكان الحجر الاسود اختلفوا وكادت تنشب الحرب بينهم ، واحتكموا الى اول داخل من باب الصفا ، ودخل محمد الامين من هذا الباب وحكم بينهم بأن وضع الحجر على ثوب رفعه ممثلو القبائل المختلفة من اطرافه ، ورفع محمد الحجر ووضعه مكانه من البناء وقد استفادت قريش من اخشاب سفينة افريقية غارقة بالقرب من ساحل جدة كانت في طريقها من مصر الى الحبشة ، وادت مساهمة نجار مصري كان موجودا في مكة الى جعلها اوسع ، وان يشيد بابها بمستوى مرتفع عن الارض لئلا يتسرب اليها مياه السيول ٠٠

وينعكس التاريخ الاسلامي على الكعبة ، فعندما قامت الفتن بعد مقتل عثمان استقل بنو امية بالخلافة وجعلوا دمشق عاصمة لهم ، وتولى الخلافة يزيد بن معاوية وقاومه عبدالله بن الزبير في مكة فجهز يزيد جيشا لاخضاعه ، وعندما لجأ ابن الزبير ورجاله الى الحرم رمىجند يزيد الكعبة بعشرة الاف حجر من المنجنيق ، وعاد الجيش الى الشام بعد علمه بنعي يزيد بن معاوية ٠٠ وبدأ عبدالله بن الزبير في اصلاح البيت الحرام فاعاد بناءه عام٦٥هـ،وقد ظلت على بناء ابن الزبير حتى عام ١٠٤٠ هجرية ١٦٣٠ ميلادية عندما هطلت *السيول الغزيرة بمكة فتصدع بناؤها ، فاعاد بناؤها جماعة من المهندسين المصريين بعد ان اخذوا من مصر جميع ما يلزم لهذه العمارة ،* وانفق عليها ستة عشر الفا من الجنيهات ، هذا البناء هو بناء البيت القائم حتى اليوم ٠٠

السيول في مكة

لاحظنا ان سيول مكة كانت بعدا دائما في تطورات عمارة الكعبة والمسجد الحرام ٠٠ ويرد الى هذه السيول غياب الاثار الاسلامية ، وقد رأيت فداحة هذه السيول في احدى رحلاتي من جده الى مكة حينما اغلق الطريق لقوة السيول التي دفعت عددا من السيارات‌براكبيها ، وتسببت في حوادث‌اليمة٠

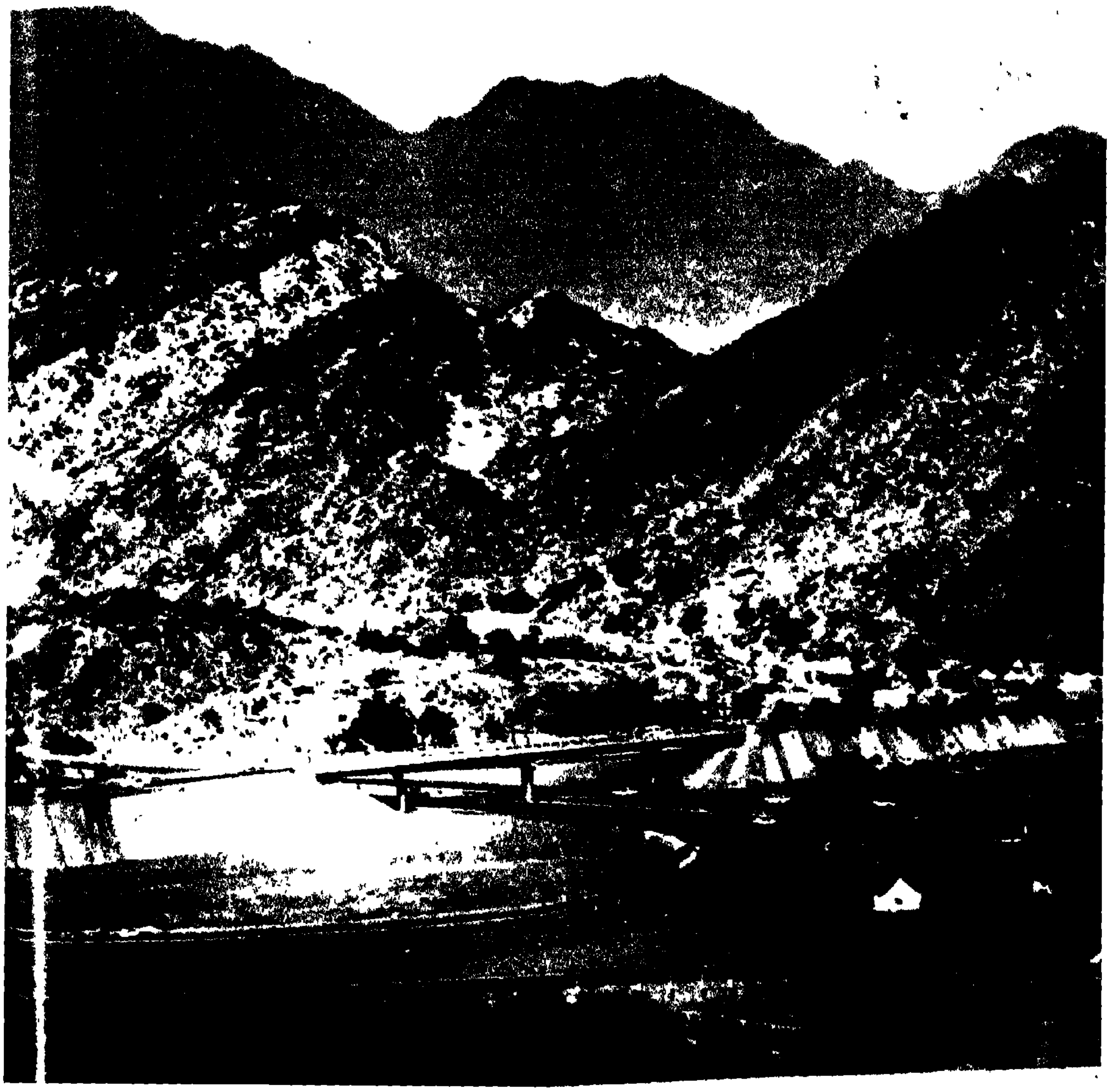
هذا رغم ان الامطار في مكة ما زالت شحيحة ولا تسقط الا على فترات متباعدة ، ولذلك فان فترات الجفاف التام‌كثيرا ما تمتد الى اربع سنوات متتالية ، وتصل الى الحد الذي وصفه‌الامير شكيب ارسلان بقوله ٠٠ اذا مر عليها الانسان يوما من أيام الصيف في هاجرة ظن نفسه يدوس ببلاط فرن ، وان ترك على تلك الصخور لحما كاد يشوى بلا نار ، او ماء كاد يغلي بلا وقود ٠٠

غير ان بعض مواسم الشتاء تغزر فيها الامطار فتصبح سيولا مدمرة تصل الى حد لم يسمع بمثله من العنف والتخريب ، اذ يقوم في شرق مكة جدار جبلي شديد الانحدار ، يتالف من سلسلة من الطبقات الصخرية والقمم ، وفوق هذه القمم وشعابها تتجمع مياه الامطار الغزيرة ٠ وعلى طول هذه المنحدرات تتكون عند سقوط الامطار سيول غزيرة وشلالات متدفقة فتهبط في مجاريها *المختلفة بسرعة وتنقض لا تلوى على شيء ، وقد غرق المسجد الحرام في منتصف عام ١٩٥٠ الى عمق سبعة اقدام ، ثم كانت الاحتياطات الهندسية* للسيطرة على هذه السيول في العمارة الاخيرة للمسجد الحرام ٠



باب لاحد البيوت المكية القديمة ، ويظهر الحفر المتقن على الخشب ويكشف عن اهتمام « قديم » بالزخرفة على الخشب .

الطرق العلوية التي يجرى اقامتها على قدم وساق ، لتسهل حركة الحجاج الى جبل عرفات ومنه الى المسجد الحرام .





▲ جبل عرفات الذى يزدحم الحجاج حوله فى موسم الحج .

محل أحذية فى سوق مكة الذى يوجد به كافة المواد المصنوعة والتى تستورد من كل أنحاء العالم . ▼



العمارة في ام القرى

اذا كانت مكة المكرمة هي المعقل الاخير للعروبة والاسلام ، فان اول ما ينبغي ان يميز هذاالمعقل هو شخصيته الخاصة . والتي تتمثل في طابع عمارته ، وخاصة انها بحق « مصنعالحضارةالعربية الاول» وعليها أن تبقى على الاقل مستودع ما تبقى من حضارة الاسلام او حتى « متحف الحضارة العربية » . ويبرز سؤال ٠٠ الى اى حد حافظت مكة على طابعها العربي والاسلامي . والى اى حد ابقت على شخصيتها بعيدا عن المؤثرات غير الاسلامية والتي كانت من اسباب تحريم دخولها لغير المسلمين ٠ ؟ . انها حقا مؤهلة لان تكون في طرازها المعماري وتخطيطها النموذج الامثل للاصالة العربية متزاوجة مع فن العمارة المعاصر ٠٠

واذا كانت الكعبة الشريفة هي مركز الوادي المقدس . ومكة بدورها هي مركز العالم الاسلامي واهم مدنه علىالاطلاق . فالى اى حد هيمنتالكعبة على حياة البلدة . والى اى حد راعى تخطيط المدينة هذه الهيمنة ٠٠ ؟

هيا نتجول في شوارع مكة وشعابها ٠٠

صورة العمارة في المدينة يمكن وصفها بانها خليط . العمارة العربية القديمة وزحف المباني الحديثة في حركة بناء واسعة ، حتى يكاد يضيع امام هذا الزحف طرازها المميز وشخصيتها العربية بين كتل الخرسانة ومكعبات الالمنيوم التي تفتقر الى الطابع وتحاصر البيوت المكية القديمة ، ففي عصرنا الحاضر تعددت نقط التماس في الاحتكاك الحضاري بين الشرق والغرب في المدن اساسا ، وكان النصر حليف الغرب ، واذا كان هذا يمكن التغاضي عنه في مدن عربية اخرى . فهو بكل المقاييس لا يقبل في ام القرى ، فهي الاختزال البليغ للشخصية العربية ومفتاح لمنطقة حضارية متميزة ٠٠

فبين وقت وآخر ترى مبانيعربيةمتميزةبطرازها، واحياء كاملة مثل حارة جياد وحي الشبيكه لها طعم خاص ، ويميزها عدد من الخصائص فهي من طابقين او ثلاثة ومدخلها باب خشبي منحوت بعناية بالغة على شكل دائري « آرش » ، وذات مشربيات محلاة بالارابيسك ، وغالبا ما تطلى باللونالابيض واحيانا الاصفر ٠٠

كما أن مكة جزء من اربع مناطق ما زالتمحافظة على بقايا طرازها العربي في السعودية . وهذه المناطق هي : جنوب ووسط الحجاز وشرق نجد وعسير والجزء المطل على الخليج العربي ، كما تتميز عمارة مكة والمدينة والطائف وجدة بطراز عربي اسلامي هو مزيج من العناصر المحلية والتاثيرات التي نقلها الحجاج من المناطقالاسلامية المختلفة ، مع تاثير ظاهر للطراز المملوكي والعثماني ٠٠

وايضا البيئة الطبيعية في مكة ومكوناتها من جبال ووديان وصخور ورمال ، ذات معالم قوية واضحة ينبغي مراعاتها عند تخطيطها وعند اقامة اى مبنى جديد . وينبغي ايضا مراعاة وضع الكعبة وان تحاط بمنطقة محرمة ذات مساحة كافية لا يقع احد بصره فيها على ما يتنافر وقدسية الطبيعة ومذاق المكان ٠٠

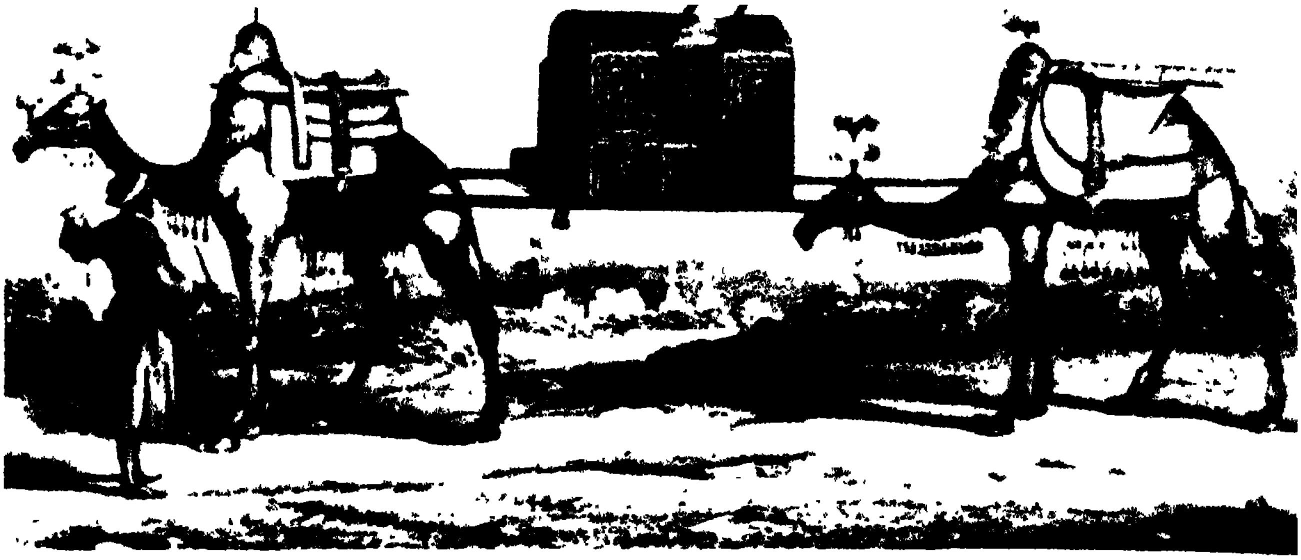
وكان هذا الموضوع هو الشغل الشاغل لعدد من أساتذة العمارة الاسلامية ، كما أعطتها لمانة مكة اهتماما كبيرا في مشروع التخطيط الجديد ٠٠

ويطالب استاذ العمارة المهندس حسن فتحي في دراسة له بان يكون الوادي المقدس شبيها بيوم الحشر فلا يوجد على الارض ولا في الجو ما يخدش البيئة فلا سيارات ولا شاحنات تنفث الغازات السامة ولا هيلوكبتر تحلق فوق الكعبة ٠٠

كما يطالب باقامة المباني خارج المنطقة المحرمة التي تطل عليها من بعيد شريطة ان يكون طراز عمارتها عربية متميزة بالصدق فيالتشكيلالمعماري والزخارف ، فصفة الصدق في العمارة التي

أحد البيوت المكية القديمة ٠





هكذا كانت النساء العربيات يذهبن الى الحج ،وهي صورة رسمها بيرثون في رحلته التي قام بها عام ١٨٤٢م ·

تعرضها قدسية المكان تتطلب ان تتحقق بالنسبة للتصميم المعماري والمواد المستخدمة في البناء ، والابتعاد عن اي اشكال معمارية او زخرفية لا تكون نابعة من البيئة الصحراوية ، كما لا يصح ان يقام في الوادي المقدس اي منشآت ذات طراز زائف كالتي تبنى بالطوب أو الخرسانة ·· »

ويضيف المهندس حسن فتحي ·· « مما لاشك فيه ان كافة الشروط والصفات الواجب توافرها في الوادي المقدس ليست قائمة ، وان اصلاح الامر يتطلب الكثير من الوقت والجهد ، ويمكن تحديد الزمن الذي يمكن بعده التخلص من كافة المباني الزائفة الطراز من واقع العمر الاحصائي المتوسط للمبنى الذي هو ٩٢ عاما بحيث يخطط اليوم ما يعتبر جزءا لايتجزأ من مخطط مرسوم للحالة المثلى الذي يصبح عليها الوادي المقدس ، فالتخطيط لا يقتصر على اليوم بل هو للأجيال القادمة ايضا ··»

مشروع تخطيط الوادي المقدس

ان اعادة تخطيط مكة تجري على قدم وساق·· مواقف للسيارات تحت الارض ، وانفاق تحت الميادين ، وشق طرق دائرية ثلاثة واخرى عرضية، وانشاء طريق يشمل كباري معلقة بين الجبال وانفاقا تحتها ، لسهولة تحرك الحجاج من العقبة الكبرى ومن عرفة الى الحرم راسا ، وسيبلغ طول الطريق اربعة كيلو مترات ··

واقيمت لجنة عليا للتخطيط تضم امير مكة وامين البلدية ورئيس المجلس البلدي وكيل الوزارة لشئون تخطيط المدن ··

وامام اللجنة مشروع تخطيط المدينة المقدسة وضعته شركتان بريطانيتان احداهما لتخطيط مكة وهي شركة روبرت ماثيو ، واخرى للتجميل واقامة الطرق وهي شركة برسون براون ·

والحقائق تقول ان عدد المسلمين في العالم يبلغ اليوم ما يزيد عن ٦٠٠ مليون مسلم فاذا ما اراد واحد في المائة حج بيت الله الحرام لكان عدد الحجاج ٦ ملايين بينما لا يتسع الوادي لما يزيد عن مليون مسلم ، وهناك توصية بوضع حد اعلى لعدد الحجاج لا يجوز تجاوزه ، عن طريق اعطاء الفرصة لاكبر عدد من المستحقين للحج ، وان يفضل من لم يحج مطلقا على من سبق حجه ، كما يفضل الحجاج الذين يحجون سعيا على الاقدام من اواسط افريقيا وغربها ، على من يركب الطائرة ، وستوضع هذه المقترحات امام المراجع الاسلامية ، ومن جانب آخر يراعي المشروع الزيادة المطردة في عدد السكان والتي تفوق كل التوقعات ·

ويوصي المشروع الجديد بعدم تركز الحجاج حول الحرم ، وتيسير الوصول اليه باستخدام الطرق الدائرية والعرضية ، على أن يحظر دخول السيارات في الدائري الاول باكمله والذي يكون مركزه الحرم ، وان تفرغ هذه المنطقة من المباني ، ويصل اليها ثلاثة انفاق ··

ويكمل المهندس عبد القادر كوشك أمين بلدية مكة قائلا : « هناك تعاون وتنسيق علمي بين مركز ابحاث الحج والجامعة للوصول الى أسس ومعايير العمارة المحلية لمكة المكرمة ، والمقاييس

مراحل صناعة الكسوة ، الصناعة الرئيسية في مكة .





المواد الغذائية والخضروات والفواكه لا تنقطع عن مكة ، وتأتي في الثلاجات على مدار العام .



الدقيقة للطراز العربي . حتى تصبح مطالبتنا للمكاتب الهندسية التقيد بالطراز العربي ذات معايير ثابتة » واضاف ٠٠ « لقد وضع مشروع تخطيط مكة باعتبار ان التخطيط عملية مستمرة . لها مرتكزات رئيسيه . وتتحرك في نفس الوقت مع الاحتياجات المتجددة ٠٠ »

واكد التخطيط الجديد على ضرورة الحفاظ على الاماكن الاثرية الاسلامية . وعلى الاماكن ذات القيمة المعمارية الخاصة . ويشمل المشروع اضاءة الجبال المحيطة بمكة ليلا . ويحدد المناطق الاثرية التي سيحافظ عليها ٠٠

ويبدأ المشروع بمداخل مكه المكرمه . فيتحول طريق جده ـ مكة الى طريق علوى (اتوستراد) ويقام مدخل اخر يبعد عن الطريق العلوى بسبعة كيلو مترات . فيكون اقصر من الاول ويدخل الى مكة عن طريق شارع الحفائر . ومدخل اخر : طريق الطائف مكة ٠٠ وسيكون المرتكز الرئيسي الذى عليه المشروع هو هيمنة بيت الله الحرام على البلدة المقدسة .وتكون بحيث لا يزيد ارتفاع المباني المحيطة بالحرم عن اربعة طوابق . والدائرى الثاني ستة طوابق ٠٠ وهكذا ٠٠

وهناك مصاعب في التنفيذ منها وجود مبان شاهقة قائمة بالفعل حول الحرم . واذا تحقق المشروع فسيكون الحرم هو المركز الذى يحيط به الجبال المتدرجة في الارتفاع . ويمكن من أى مكان رؤية المسجد الحرام بجلاله ومهابته ٠٠

وقد اثار احد المهندسين الشبان قضية هامه حول رؤية الكعبة المشرفة ذاتها ، فالتوسعة الاخيرة حجبت رؤية الكعبة، ويبدو أن زيادة عدد الحجاج جعلت من الضرورى أن يكون المسجد الحرام من عدة أدوار !

ويبدى تحفظا اخر حول (حياد) مشروع التخطيط الجديد مما يفقده المذاق المطلوب ، فالتخطيط ليس مجرد خطوط فوق الخريطة ولكنه يرتبط بالبيئة وعادات السكان وطبيعة البلدة المقدسة ، فاذا وضع خطوطه من لا يعرف هذه البيئة وتلك التقاليد ولم يقع بصره عليها فسيصعب تحقيق الهدف من هذا التخطيط .

وضرب مثلا على خطا حياد التخطيط مما يتضمنه المشروع الجديد من اقامة مسجد في كل حي من احياء مكة ، مع ان جميع السكان والحجاج والمعتمرين يحرصون طوال اقامتهم على تادية الصلاة في المسجد الحرام ٠٠ !! »

العمل خلال شاشة التلفزيون ٠٠

وعندما سألت كيف تخطط المدينه ويقوم بالاشراف على التنفيذ من لا يستطيع ان يدخلها من الاجانب ٠٠ علمت ان الشركتين البريطانيتين ترسلان من يصور شمابا الطرق لندرسها وتكون اساسا للتغيرات المقترحة . وخلال تنفيذ مشاريع التخطيط الجديدة تصور بدوائر تلفزيونية يتم من خلالها مراقبة عمليات التشييد من موقع خارج مكة المكرمة »

وقال امين البلدية ٠٠ « انه سيقام مكتب اتصال في بلدة « العمرة » التي تبعد خمسة كيلومترات عن مكة وخارج المنطقة المحرمة على غير المسلمين . وتكون مركزا للخبراء الاجانب الذين يساهمون في العمل .

عالمية مكة

ومكة عالمية السكان . فقديما كان طلاب العلم والباحثون عن الحقيقة يشدون الرحال قاصدين مكة لينهلوا من العلم ويعايشوا المكان الذى شهد مولد الدعوة الاسلامية . ومع حركة الحج وتوالي السنين وتراكم المجاورين الذين اختاروا ان يقيموا ـ في البلدة المقدسة . تفردت مكة بتكوين سكاني خاص بها ، فوجد الى جانب اهل مكة الاصليين عناصر عربية متعددة ، يبرز منها اليمنيون وخاصة الحضارمة المعروفين بنشاطهم وحيويتهم ، ومجموعة اخرى من الدول الاسلامية اكثرهم من الملايو الذين يعرفون باسم جاوة ، قدموا للاقامة الدائمة الى جوار الحرم ، وتضم ايضا المصريين والسوريين والمغاربة والاتراك . واصبح بها مكيون من اصل ايراني وتاتارى وبخارى وكردى وافغاني ٠٠

وبقى أهلها مزيجا من أبناء البلاد الاسلامية ، كما هو ظاهر في سحنة وشكل سكانها .

وفي كل عام يرفع افواج الحجاج عدد سكان البلدة الى ما يزيد عن ثلاثة اضعاف سكانها . وهذا التركيب السكاني ترك اثره على طبيعة اهالي مكة ، فلم أر مثل أهل مكة حبا لبلدهم وتعلقا بمكانتها ، ويكفي ان اغلب البيوت التي

زرتها وجدت فيها الكتب المؤلفة عن مكة توضــع موضع الحفاوة والدراسة •

وزوار مكة معجبون دائما باهل البلد الامين ، كثيرا ما يتحدثون عن فضائلهم ، يقول الرحالــة العربى ابن بطوطة : لاهل مكة الافعال الجميلة ، والمكارم التامة والاخلاق الحسنة ،والايثاء للضعفاء والمنقطعين ، وحسن الجوار للغرباء ، ومن مكارمهم انهم متى صنع احدهم وليمــة يبدأ فيها باطعام الفقراء المنقطعين المجاورين ، ولو كانت لهم خبزة واحدة ، فانه يعطى ثلثها او نصفها ، طيــب النفس من غير ضجر ••

واهل مــكة لهم ظرف ونظــافة فى المــلابس ، واكثر لباسهم البياض ، فترى ثيابهم ابــــدا ناصعة ، ويستعملون الطيب كثيرا ، ويكثــــرون السواك بعيدان الاراك الاخضر ، ونساء مكـــة فائقات الحسن ، بارعات الجمال ، ذوات صــــلاح وعفاف وهن يكثرن التطيب ، حتى ان احداهــــن لتبيت طاوية وتشترى بقوتها طيبا ، وهــن يقصدن الطواف بالبيت فى كل ليلة جمعة ، فياتين فــــى احسن زى ، وتغلب على الحرم رائحة الطيب ، وتذهب المراة منهن فيبقى اثر الطيب بعد ذهابها عبقا »

سوق مكــة

جميع المنتجات متوفرة فى اسواق مكة الشرقية الطايع ، يمكن ان تشترى منها الخنجر اليمنــــى أو طبقا أثريا من خــان الخليلى ، كمــا يمكن ان تشترى أحدث أجهزة التسجيل التلفزيونى «الفيديو كاسيت » فهى تكاد تستورد من كل انحاء العــالم كافة انواع المنتجات ، فمن الطيب والبخور الـــى ارقى الروائح الفرنسية ، كل ذلك معروض فى أسواق شرقية فى معظمها ، وتستطيع ايضــا ان تحصل على تحفة تركية او فارسية او هنديـــة او صينية او افغانية ، كما تجد داخلها الخضروات والفواكه الطازجة التى تنقلها الثلاجات الـــى البلد المقدس •

وينتشر داخل السوق المقاهى المكية المتميــزة ، والمكونة من « دكك عالية » يحتسى روادها الشاهى والزنجبيل •

وقال لى احد كبار التجار فى مكة •• « ان المجلوب الى مكة من اصناف الحبوب والخضروات والفواكه والمحمول اليها من البضائع واللباســ والطيب يفوق ما يجلب الى عشر مدن من امثالها فى عدد السكان •• »

والسوق الحالى يتشابه مع وصف بورخارت فى القرن الماضى تشابها كبيرا ، يقول : بها دكاكين يديرها اتراك من اوروبا واسيا الصغرى يبيعون مختلف الالبسة التركية ، وتباع فى هذه الدكاكين السيوف الجميلة والساعات الانجليزية الممتـــازة ونسخ القرآن المزخرفة كما كان طباخو استانبول يبيعون فيها انواع الماكولات والحلويات قبل الظهر، والكباب وغيره من اللحوم المشوية بعد الظهر ، و « المهلبية » عند الغروب ، ولمسلمى الهند سلعهم الثمينة مثل الموسلين والقلائد والمرجان والصــندل والمصوغات المختلفة فضلا عن سلع الصينى ••

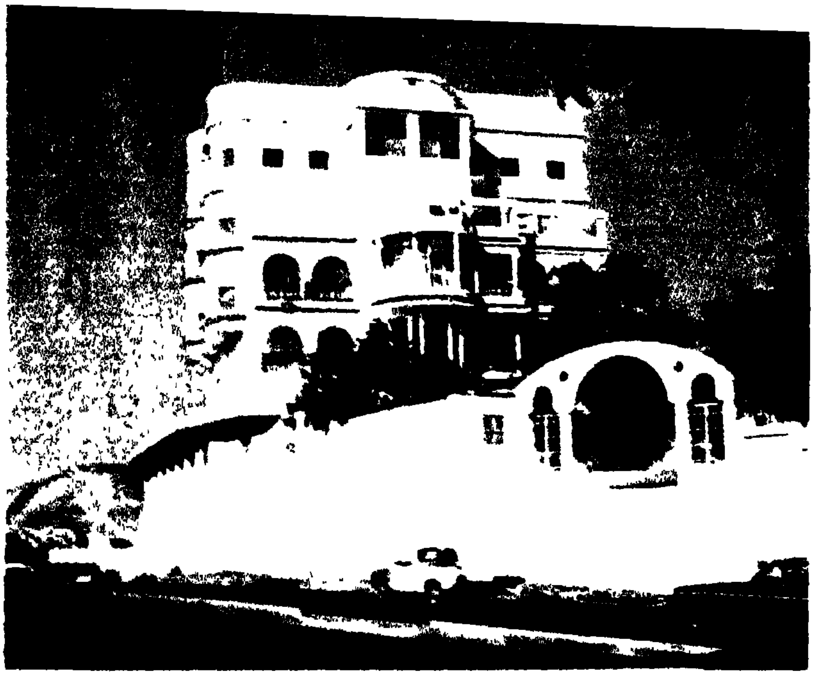
ولكل سوقه:فسوق للمصريين وآخر للشراموابناء الصين والافغان والافريقيين وكل فيه بضائعه ••

البلد الوثيقة ••

نقول ان مكة وثيقة تاريخية مسجلة فى كــل مراحل تاريخها • ويكفى ان نعرف ان مجموع اعمار عواصم العرب القديمة يعادل مجموع اعمار بقية عواصم العالم مجتمعة ، وان كانت انهــار العرب تمثل تاريخا سائلا « فان مدننا الرئيسيه وبالذات مكة تمثل تاريخا محفوظا »

لقد امدتنا سيرة ابراهيم عليه السلام بنقطة البدء لتاريخ مكة ، عندما وصل اليهــا مــع هاجر المصرية وابنها اسماعيل ، واستقروا فى الوادى الاجرد الذى بنيت فيه مكة،وكانت بئر زمزم التى تفجرت تحت اقدامهم اساس قيامها ، فكانت مكــة كالسفينة فى البحر او الصحراء يلزم ان تحمــل ماءها معها ، وحدد موضعها وجــود حجــر مقدس هو الحجر الاسود ، وكانت على طريق حيــوى تسلكه القوافل المتجهة الى موانىء البحر المتوسط، وملتقى طريق القوافل بين الشام واليمن حاملة الطيب والبخور والصمغ والجلود بضائع ذلــك الزمان ••

ثم عادت مكة وخرجت من اشباح الماضى بمولد النبى محمد وظهور الدعوة الاسلامية التى تفجرت فى بطاح مكة ، ووهادها ، واخذ العــالم يدرس أحوالهــا ، ويمحص المؤرخون كل ما يمت اليهــا بصلة ، وكان الازرقى اول من آرخ لمكة فى القرن الاول الهجرى ، واستمر الرحالة والمؤرخونيقدمون وصفا لمكة على توالى العصور ، ويصفون المساجد

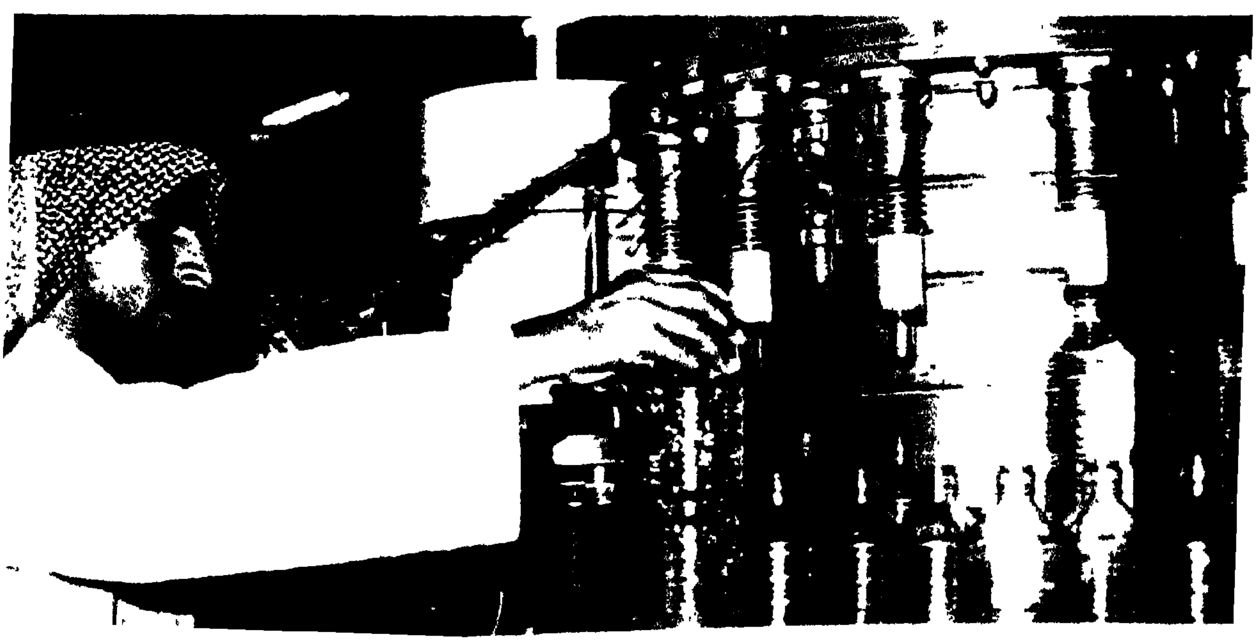


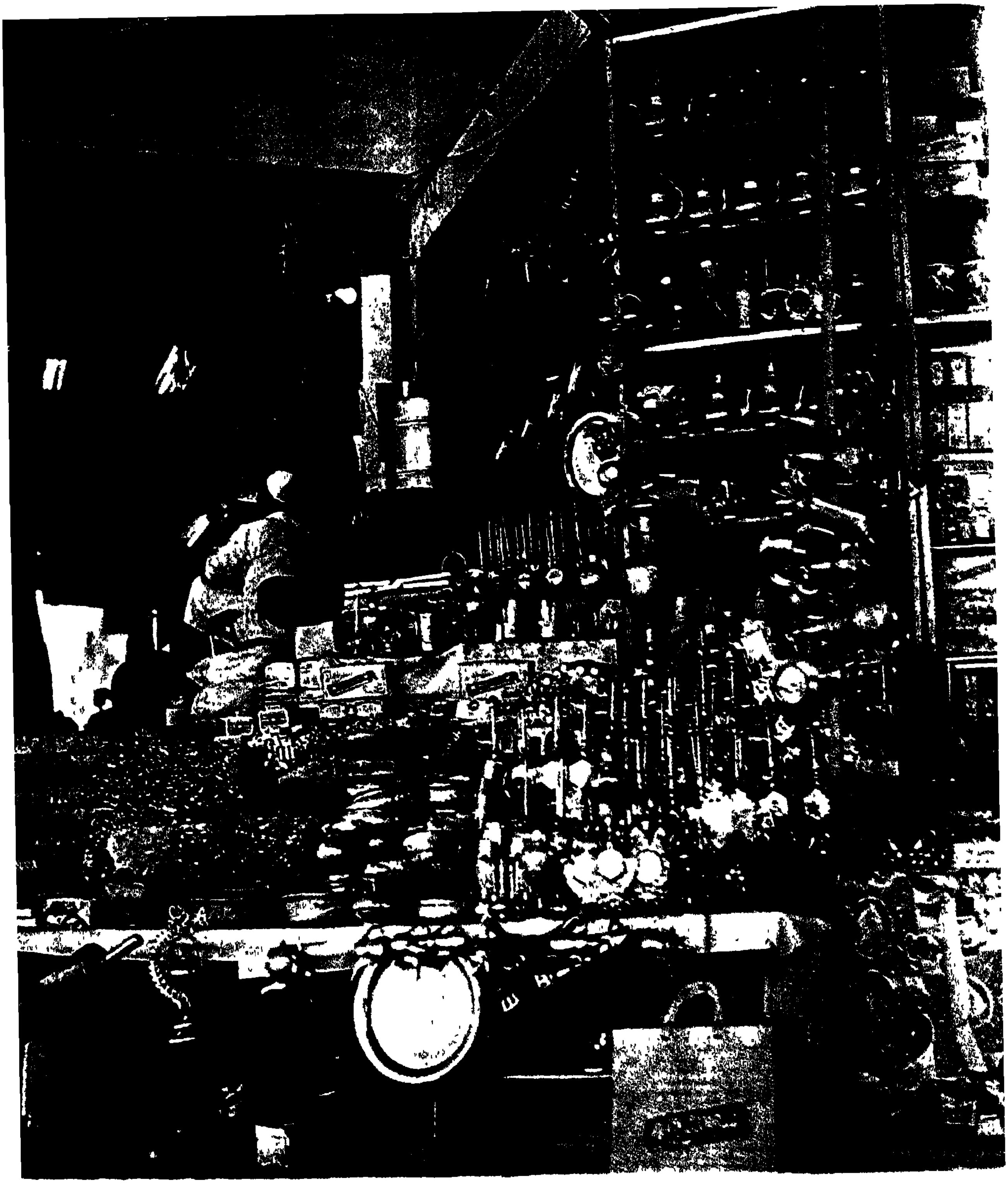
أحد البيوت بطرازه المميز والقائم في مدخل مكة على ربوة عالية .



في حي الشبيكة وجياد تنتشر البيوت المكبة القديمة التي تعود الى الدولة العثمانية .

أحد مصانع تعبئة المياه في منطقة الشميسي لتعبئة عين زبيدة في قوارير .





هاديات وتحف شرقية من كل البلاد الاسلامية في دكاكين مكة ·

والمواكب وترتيب الحج والعمرة ، وترك لنـــا المقدسي في القرن الرابع الهجرى وصفا لمكة قال فيه : « مكةهيمصر هذا الاقليمقد خطتحول الكعبة في شعب واد ، رأيت لها ثلاث نظائر ، عمـــان بالشام واصطخر بفارس وقرية الحمراء بخراسان، بناؤها حجـار سود ملس وبيض أيضـا ويعلوها الاجر ، كثيرة الاجنحة من خشب الساج وهـــي طبقات مبيضة نظيفة ، حارة في الصيف الا ان ليلها طيب ، قد رفع الله عنهم مؤونة الدفـــاع واراحهم من كلف الاصطلاء ، وكل ما نزل عـــن المسجد الحرام يسمونه المسفلة وما ارتفع منـه المعلاة ، وعرضهـا سعة الوادي والمسجد في ثلثي البلد الى المسفلة والكعبة في وسطه وفيه طول باب الكعبة مرتفععن الارضنحو قامة عليهمصراعان

ملبسان بصفائح الفضة طليت بالذهب قبال المشرق ٠٠ » ٠

وقال عنها ابن جبير في القرن السادس الهجري والذي كتب عنها بعاطفة جياشة ٠٠ لاهل هذه الجهات الشرقية سيرة حسنة ٠ ذلك لانا عاينا شوارع مكة وازقتها عشية الليلة التي ارتقب فيها الهلال ، قد امتلات هوادج مشدودة على الابل، مكسوة بانواع كساء الحرير وغيرها من ثياب الكتان الرقيقة بحسب سعة احوال اربابها ووفرهم، كل يتانق ويحتفل بقدر استطاعته ، فاخذوا في الخروج الى التنعيم ، مئات المعتمرين ، فسالت تلك الهوادج في اباطح مكة وشعابها ، والابل قد زينت بانواع التزيين ، واشعرت بغير هدى بقلائد براقة المنظر من الحرير وغيره ، وربما فاضت الاستار التي على الهوادج حتى تسحب اذيالها في الارض ٠٠ »

ويبحث زائر الوادي المقدس والمتنقل بين مكة والمدينة عن الاماكن التي شهدت بعض فصول تاريخ الرسول وصحابته ، عن كل مشهد من مشاهد الدعوة الاسلامية ،يتنقل في المناطق المقدسة باحثا عن كل ما تمثله بخياله وكان حكاياتها قد وقعت بالامس القريب بما تثيره من ذكريات مليئة بالحياة ، وينقب عن ما الت اليه على توالي العصور ٠٠

على افتراض عناية علماء الاثار والتاريخ بكل اثر اسلامي ، وتصورت اني ساجد عند كل موقف من مواقف الرسول التاريخية اثرا يدل عليه ويشهد به ، ولكني لم اوفق الى الاهتداء لعدد كبير من هذه الاثار ، هذا في الوقت الذي لايستطيع احد ان ينافس المسلمين الاوائل بحفظ ادق التفاصيل عن كل حادث في حياة الرسول الكريم ، فقد قام علماؤنا بتسجيل أسماء وادوار نحو ١٣ الفا من الصحابة ، حتى تكاد تعرف كل سكان مكة عند فجر الدعوة الاسلامية في وقت كان فجر نظام التاليف ، وبطريقة دقيقة .لايصل الى مستواها تسجيل حياة اى انسان آخر من قبل ، فمثلا نقلت الاحداث المرتبطة بالاعوام الثلاثة الاخيرة فقط من حياة السيد المسيح عليه السلام التي استمرت ثلاثا وثلاثين سنة ، والتوراة هي المصدر الوحيد للقليل الذي نعرفه عن موسى عليه السلام ٠٠

فعندما يصل زائر مكة يوجه اهتمامه الى آثار الرسول ، يهدف الى أن يسير حيث سار فيجد المشقة التي لعلها ترجع الى بساطة الحياة العربية الاولى ، فاول جامع بني في الاسلام ، واشترك في اقامته الرسول عليه الصلاة والسلام ،اقيم بالطوب النيء واعواد الجريد ، وربما كان ضعف المباني في مكة يعود الى عوامل جغرافية ،فارض مكه رملية سريعا مايتداعى فيها البناء ، كما ان كثرة السيول تضعف اساس هذه المباني ، لذلك فاقدم الاثار الباقية في مكه يصل عمر بنايتها الى بضعة قرون لا تزيد على أربعة ٠٠

وبقي سبب آخر للشقة بين ما يتصوره الزائر للاثار الاسلامية وبين حقيقتها ،وهو هدم القباب والشواهد التي كان لها قيمة فنية واثرية في مطلع هذا القرن بحجة مخالفتها للقواعد الشرعية وخوفا من شبهة الشرك بالله ٠٠ وعندما اثرت هذا مع الشيخ صالح القزاز رئيس الرابطة الاسلامية السابق والمسئول عن التوسعة في المسجد الحرام قال : « ان الحفاظ على الاثار الاسلامية واجب ، ولكن التمسح والتبرك بها هو ما انكره الاسلام ٠٠ » وكان حديث الاثار الصحيحة التي وقفت عندها ذا دلالة بالغة ، فجبل حراء والغار في قمته يثير الانتباه في عزلته وتفرده عما حوله من الجبال ، يتحدى الزمن بهذه الاستقامة المخروطية في انطلاقه الى السماء ، يميزه الحادث الفذ هبوط الوحي على رسوله ، وجبل ثور ومختبا رسول الله وابي بكر بالغار يوم الهجرة ،والطريق الذي سلكه النبي خلال هجرته ، مواقع المعارك الكبرى في الاسلام ، كل منها يحتاج الى حديث طويل بذاته ٠٠٠

في مواجهة الغرب ٠٠

هذه المكانه الخاصة للبلد الامين جذبت اليها عددا من المغامرين والمستشرقين ورجال المخابرات الغربيين ، الذين لجؤوا الى حيل مختلفة للتسلل اليها. وهناك قائمة طويلة خلال مراحل زمنية مختلفة ، تكشف محاولاتهم وما سجلوه حقدا دفينا على المدينة المقدسة وعلى دورها المنفرد ٠٠

واختلطت في كتاباتهم الحقيقة العلمية بالخيال والغرض بالتحامل ٠ ونعرض من التاريخ الطويل لشواهد ثلاثة لكشف الموقف الاوروبي الاستعماري من مكه في مراحل مختلفة :

● ايام الحروب الصليبية ٠

قامت قوة عسكرية بقيادة ريندوى شاتيون الفرنسي تستهدف المدن المقدسة والوصول الى

مكة وهدم الكعبة ونبش قبر الرسول وسرقـة جثمانه ..

يقول الكاتب البريطاني جيرالد ديجورى فـى مؤلفه .. حكام مكة .

« استولى فارس صليبي هو رينودى شاتيون خلال الحرب الصليبية على بلاد شرقي الاردن وقلاع مؤاب والشوبك شرقي البحر الميت ،وسيطر على طريق الحـج الى مكـة ، واستهدف مهاجمة الاسلام في عقر داره ،وتوغل في جزيرة العرب حتى وصل الى تيماء ، وما لبث ان عجز عـن مهاجمة المدينة بطريق البر ، علـى مـا كان يامل من نبش قبر الرسول والاستيـلاء علـى اموال ونفائس منه ، وقرر ان يفعل ذلك عن طريق البحر فاحتل آيله «ايلات »ونقل السفن منموانيء فلسطين على البحر المتوسط الى البحر الاحمر على ظهور الجمال ، واعد خمس سفن حربيـة كبيرة في كل منها ألف جندى ، وشق طريقه الى جده واستولى على جزيرة «جراى» في البحر الاحمر وظلوا يغرقون كل السفـن العربيـة ويهاجمون موانيء الجزيرة العربية ، ومنها رابغ والهوارء في شمال ينبع وجنوبها ،ووصلوا الى بابالمندب وعدن خلال قيامهم بسد المدخل الى البحر ،وسرعان ما تصدى له صلاح الدين واغرق سفنه ، واستولى على قصر رينو وقلعته ،واحبط محاولته للنيل من مكة والمدينة ، حتى انه يقال ان صلاح الدين قتل رينو بيديه ..»

● بعد الحروب الصليبية جاءت المرحلـة الاستعـمارية والانتقال من المرحلة الصريحـة السافرة الـى نفس الموقف لابسا قفازا من حرير ، مرحلة الرحالة والمستكشفين الذين ذهبوا الى مكة مزيفين .

من هؤلاء الرحالة بيرتون الذى زار الحجاز بعد ان اتقن العربية والفارسية والتركية وعمـد الى الاختتان وهو فى الثانية والثلاثين من عمره ، وجرب تاثيرات الصبغات المختلفة على جلده وكان يعمل لشركة الهنـد الشرقيـة ومولتـه الجمعيـة الجغرافية البريطانية .

وبدأ رحلته في ابريل عام ١٨٥٣ بعد ان سمى نفسه الميرزا عبد الله بو شهر بوصفه احد الحجاج الافغان ، وكتب بعد رحلته هذه كلمات لا تنقصها الصراحة ، قال : ان الذى لا يحتاج الى جهد للتنبؤ ان بريطانيا لا بد ان تضطرها الظروف السياسية الى ان تحتـل بالقـوة ينبوع الاسـلام وقبلتـه المقدسة .. !!

ومن قبل بيرتون وصل الى مكة في عام ١٨٠٧ يهودى اسباني اسمه دوفيـكو بـاديا اى ليبيلج بعد ان ارتدى ملابس المسلمين وسمى نفسه على بك العباسي ، وكان مكلفا بمهام خاصة من قبل الحكومة الفرنسية وكتب تفاصيل رحلته ، واصبح كتابه مرجعا للغربيين عن مكة .

وفى نفس الفترة فـى عـام ١٨١٤ زار مكـة جيوفاني فيناتي الايطاليباعتبارهرجلا مسلما يدعى محمدا ، وكان قد عمل عند أحد الباشوات الاتراك ووصل الى القاهـرة وانخـرط فى سلك الحرس الالباني واصبح من حـرس محمد علي باشا ثـم تسلل الى مكة ..

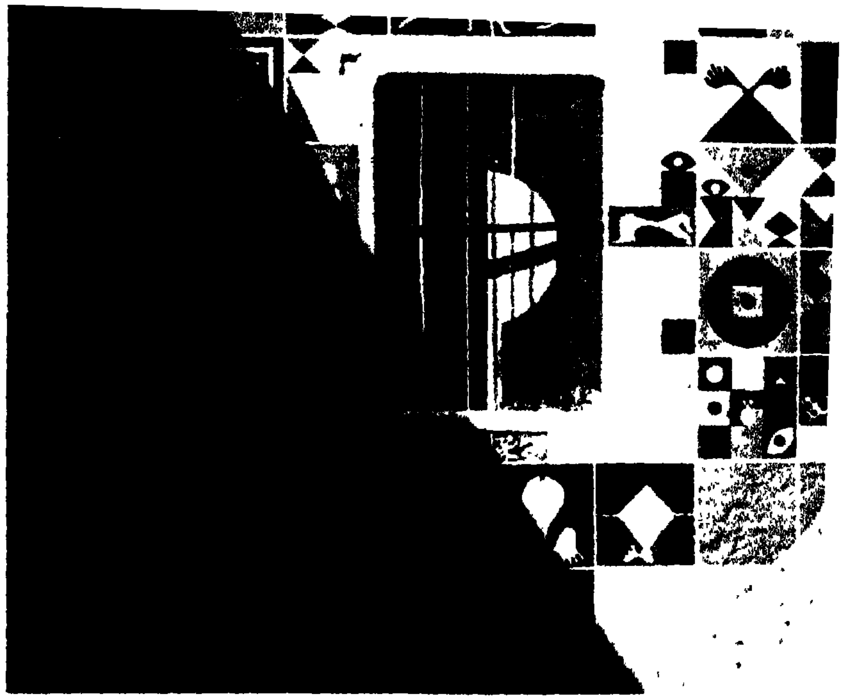
واهم الرحلات ذات القيمة العلمية الرحلة التى قام بها الرحالة السويسرى جون لويس بورخارت عام ١٨١٥ ، وكتب مؤلفا حول رحلاته الى جزيرة العرب ، وسمىنفسه الشيخ ابراهيم ، وكتبناشرة وليم أوسلىان معرفةبورخارتللعربية ساعدتهعلى تقمص دور الرجل المسلم حتى استطاع ان يعيش في مكة وكان بورخات يقدم نفسه على اساس انه من بقايا المماليكالذى قضىعليهم محمد علي باشا في مصر .

● وفى هذه الايام،وفى الربع الاخير من القرن العشرين .. يوجد فى كل بلدة بريطانية محل للهو ولعب القمار وارتكاب جميع المباذل تملكه مؤسسة واحدة ، اختارت اسما لكل هذه المحلات كتبفوقه بالخط العريض وانوار النيوناسم «مكة Mecca » البلد الذى يقدسه المسلمون امعانا في السخرية واستخفافا بمقدساتهم وشاهد على الحقد الدفين.

وتكشف باستمرار الشعور العدائى الذى ظهر سافرا ايام الحروب الصيليبية وعاد يطل براسه من جديد فى ثوب علمى خداع فى كتابات الرحالة وظهر اخيرا مبتذلا رخيصا فاضحا .

وستبقى مكة البلد المقدس ، بها اول الحرمين وثاني القبلتين ، ومهبط الوحى ، خالدة بخلود الاسلام . ■■

مصطفى نبيل



لوحة على جدار احد
المنازل رسمها الميلودي.

من فن النخبة الى فن الشارع

مساحة للعب الاطفال تطهر الصباغة والرسم على الجدار الذى قام به ميلودى . .





سيدة مغربية تقف امام واجهة فرن البلده رسم فريد بلكاهية .وعلى اليمين لوحة رسمها الحميدى.

تشهد مدينة«اصيلة» المغربية تجربة فنيه فريدة توحدخلالها الفنان والمشاهد والبيئة لتقدمالعناصر الثلاثة لوحات فنية جميله على جدران البلده ٠٠

بدات الحكاية عندما وضع المجلس البلدى فى اصيله برنامجا لنظافة البلدة وتجميلها ، وتلقف الفكره عددا من المثقفين المغاربه وحولوا البرنامج الى عملخلاق بعيدا عن الاطر والاساليبالتقليديه، ويستهدف مرمى ابعد ـ وهو التاثير على الانسان والبيئه ، ويزرع القيم الفنية فى انسان اصيله ويثير لديه الرغبه فى المشاركه فى العمل ويخلق احساسا بالانتماء له والحفاظ عليه، ويسعى فى نفس الوقت لاستخراج الجانب الجمالى المتراكم فى البلده على مر التاريخ ٠٠

وجاء اختيار « اصيله » مناسبا ، فهى تقع على المحيط الاطلسى وتبعد ٤٢ كليو مترا جنوبطنجه وهى اصيلة حقا فقد كانت مهدا للثقافة العربية وتمتد فى التاريخ فيصل عمرها الى ٣٦٠٠ سنة، ولعبت دورا تاريخيا هاما كاحد الثغور العربيه وكقلعه فى مواجهة الزحف الاوربى ، تغلب عليها البرتغاليون لمدة قرنين من الزمان ، ورحلوا عنها وبقيت آثارهم : سور المدينة والبرج والقلعة التى كانت تسكنها الملكة اليزابيت البرتغالية والقائمة فوق « القمره » اى تناطح القمر فوق اعلى ربوة فى البلده ٠٠

وانجبت اصيله عددا من المفكرين العرب منهم الامام الاصيلى احد رواة الامام البخارى ،وتتمتع ببيئة ثقافية خاصه ، تتباهى بعدد اطفالها فى المدارس،وعدد المثقفين والفنانين الذين انجبتهم٠٠ محمد المليحى رئيس الجمعيه المغربية التشكيلية الذى جعل رسالته ربط الثقافة بالفن التشكيلى وتقديمها للمواطن العادى ، ومحمد بن عيسى رئيس المجلس البلدى وفى نفس الوقت النائب فى البرلمان المغربى والذى يسعى لتقديم خبرته الى ابناء بلدته ، و «اصيله» دائما مغرمة بالفن، ويمارس السكان صباغة الجدران والرسم عفويا داخل البيوت ولتزيين واجهات المنازل ، فقد تاثر الاهالى بالطبيعة الفنيه من حولهم والتىقامت على التناسق والانسجام والذوق ،امامهم الزرقه الفاروزيه لمياه المحيط وفوقهم السماء الصافيه فى اجمل بقاع افريقيا ، هنا رمز بساطة البيئة وجمالها وعراقة الصرح الحضارى العربى ٠ورمز استمرارية مقومات التراث واصالته ٠٠

هذا هو مسرح تلك التجربة الخلاقة ، وهذاهو المكان الذى حمل اليه الفنان المغربىفرشاتهوادواته قادما من صخب العاصمة ٠

وذات صباح استيقظ الاهالى ليشاهدوا الفنان المغربى وهو يرسم فى الطرقات وعلى جدران البيوت ٠٠

يروى احدهم ٠٠ « فى البداية ظهرت فى عيونهم الدهشة المقرونه بالفضول ، ثم بادروا الى تقديم المقترحات لنا ومساعدتنا وسرعان ما امسك العديد منهم فرشاته واخذ يرسم ونحن بدورنا نساعدهم ونقترح عليهم ٠٠ »

وخلال المشروع اكتشف الفنان المغربى المنجم الفنى الذى يختزنه مواطن « اصيله » ، والذى ظهر فى الاعمال التى قام بها الاطفال وطلاب المدارس وهم يبدعون اعمالا فنية تعبر عنهم ، وانتقل العمل من مرحلة التجميل الى الشعور المشترك بالانتماء الى العمل الفنى ، وبقدر انعكاس هذا العمل الفنى على اهالى اصيله بقدر انعكاسه على الفنان القادم من العاصمه ، والذى خاض لاول مرة تجربه العمل وسط الاهالى ووجها لوجه امام الوجدان الذى عليه ان يعبر عنه بصدق ، وخاض تجربه العمل بعيدا عن مرسمه الصامت البارد غير الموحى واندمج بين الناس ومع الحياة بصخبها وجمالها ، وقام الاتصال بين الرسم والاعمال اليوميه والتى كانت ادواته الزخارف والالوان والبقع التشكيليه ، وعاش الفنان تجربة الاتصال بالذين يرسم من اجلهم خلال العمل ، فلم ينقل لوحاته الى المشاهد فى معرض ، بل نقل ورشته كلها منذ بداية العمل وحتى اكتماله يشاهد كل مراحل عمله فى عيون مشاهديه ، واصبح العمل الفنى مشاعا للجميع ويملكه الكل ، فى عمل تجاوز « التابلوه » الى مساحة رحبة ٠٠

وكانت تجربه خصبة بكل المقاييس ، فلم يسال احد السؤال التقليدى الذى سيتعرضله الفنانفى صالات العرض ومع تجمعات النخبة :

ماذا تعنى بهذا التشكيل ٠٠ ؟ او ماذا تقول هذه الالوان ٠٠ ؟

فالمواطن هنا يستجيب للاحساس الذى تخلفه اللوحة على الجدار ويجذبه التناغم بين الالوان، وبدا له كل شيء مالوفا ومنطلقا بالبساطة



الفنان محمد بن عيسى

والصدق فى اعمال تدور حول خصب الحياة اليومية ..

وادهشت الفنان القادم من العاصمة الاستجابة السريعة الصادقه ، والادراك الفطرى لمدى الصدق فى العمل الفنى ، فانتقل الاهالى الى المساهمة الفعليه والاندماج الكامل ، وتخطى العمل الجماعى مجرد التجاوب الى الممارسة الفعلية . من خلال اعمال غير تقليديه فالموضوعات التى يرسمونها ليست انسانا او حيوانا او منظرا طبيعيا بل اشكالا هندسيه تتسم بالايقاع والتناغم فى اللون والمساحه ، او اعمالا تركيبية تنسجم مع المساحة والبيئة ..

وجملت الرسوم «اصيله» وفتحت انظار سكانها على عالم من الجمال وخلق ردود فعل انطباعيه ، وتسابق العجائز والشباب والاطفال فى العمل ومناقشة الفنان خلال عمله :

« هذه بقعة حمراء صارخة يمكن كسرها باللون الاصفر » ، هكذا يصبح الشيخ معلما قبل ان يكتمل الرسم على الجدار المواجه لبيته ،ويدرك الفنان عمق ملاحظة الشيخ ويقوم بتنفيذها ..

وتحقق الحفاظ على جمال البلده وعدم العبث بها بعد أن تحول الجميع الى حماة لهذه المنجزات الفنية التى ساهموا فى اقامتها ، وبعد ان اصبح العمل الفنى والجمالى جزءا من البيئة التى يعشقونها والتى شبوا فيها ..

وصاحب عمليات الرسم على الجدران ترميم سور المدينه ومبانيها التاريخية ، ولم يعد قصر « روسيني » ماوى لطيور المحيط وانما استقبل عددا من الفنانين التشكيليين الذى اختاروه مكانا لمهرجانهم خلال الاسابيع الخمسة التى تبدأ فى اول يوليو وحتى الاسبوع الثانى من اغسطس ، والذى دعى اليه عشرون فنانا عالميا من كافة انحاء العالم ليساهموا فى عرض اعمالهم على نغمات الموسيقى والرقص الشعبى والقراءة الشعرية ..

فعندما نجحت تجربة الصباغة على الجدران تقرر اقامة مهرجان الفن التشكيلى الى جوار هذه التجربة والتى ستتضمن نشاطات فنية اخرى مثل عرض اعمال مسرحيه فى الاماكن التاريخية.

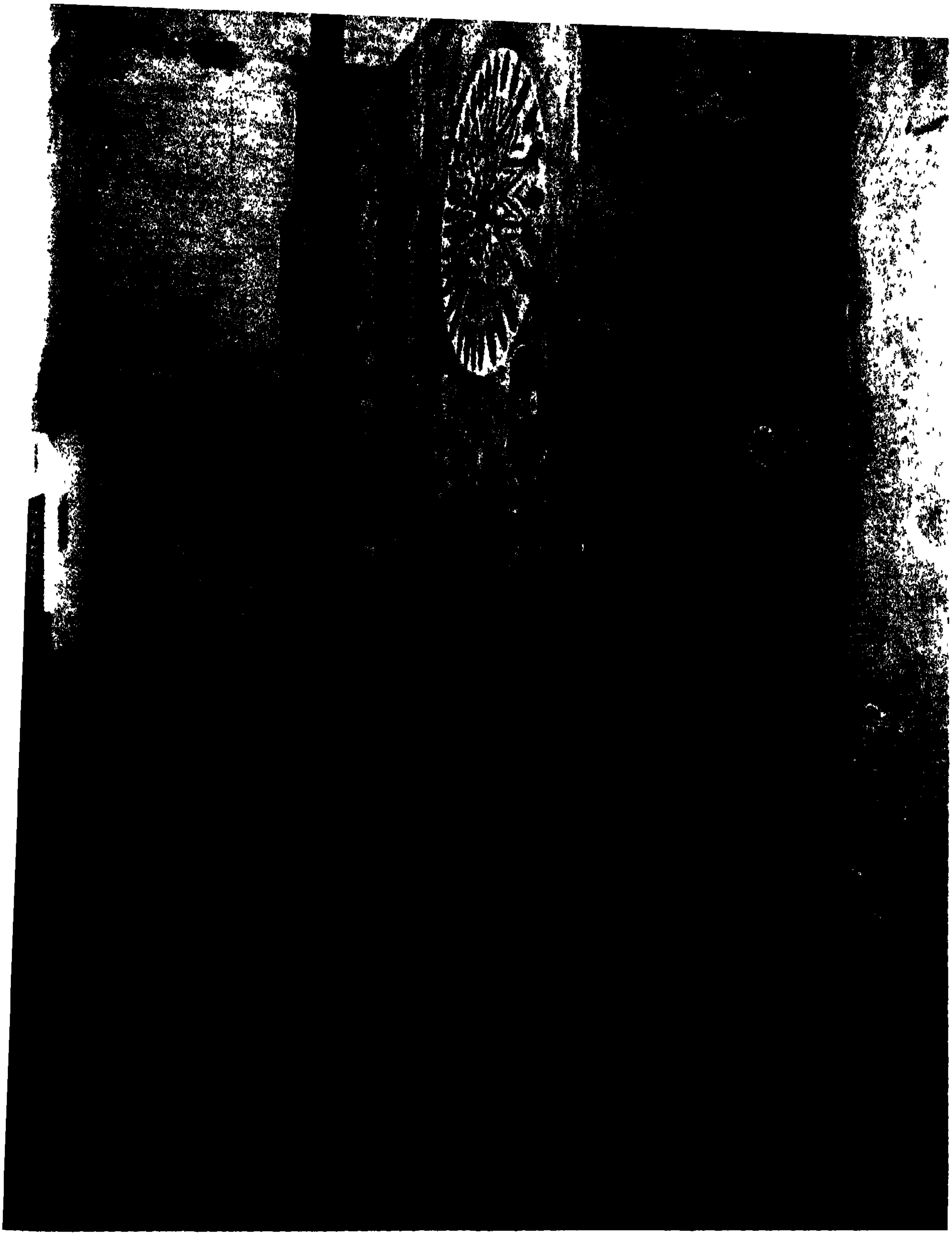
ويقول النائب المغربى محمد بن عيسى .. «كان هدفنا عندما بدأنا هذه التجربة الانسان فى « اصيله » والذى يقوم على اقتناعه وتجاوبه النجاح الحقيقى ، فعندما وصل الفنان من خارج اصيله لتجميلها تطوعا ، وتساءل المواطن : لماذا .. ؟ جاءت الاجابة : حتى تكون مدينتكم جميله ،وهنا شعر الاهالى باهمية البيئة والقيمة الكبيرة لتجميلها والحفاظ عليها ..

وكانت هذه التجربه اول انتفاضه فى المغرب المعاصر خارج عروض النخبة ، وهى اول مناهضة مباشرة للتبعيه الغربيه فى مفهوم التشكيل ومضمونه ، وكشفت التجربة الى اى حد يقترب الشعب من الثقافة ويحتضنها ويحميها ، وقام فى « اصيله » الحوار الصحى بين السكان والفنان المغربى .. »

ويضيف ..

« جاءتنى هذه الفكرة خلال عملى فى بعض البلدان الافريقية فى المدن والقرى شمال نيجيريا والنيجر وفولتا العليا ومالى وموريتانيا والسنغال والكميرون . اثار اهتمامى جانب فياض بالرشاقة والجمال وهو الصباغه على جدران هذه القرى .. »

« واختزنت هذه التجربه وعندما جاءت الفرصه سعيت الى تنفيذها من جمعية الفنانين التشكيليين المغاربه ، وهذه التجربه تظهر وجه المعاصرة فى الممارسة الحضارية للانسان العربى ، فبعد ان عشنا طويلا نتباهى بالتراث ونتفاخر بامجاد

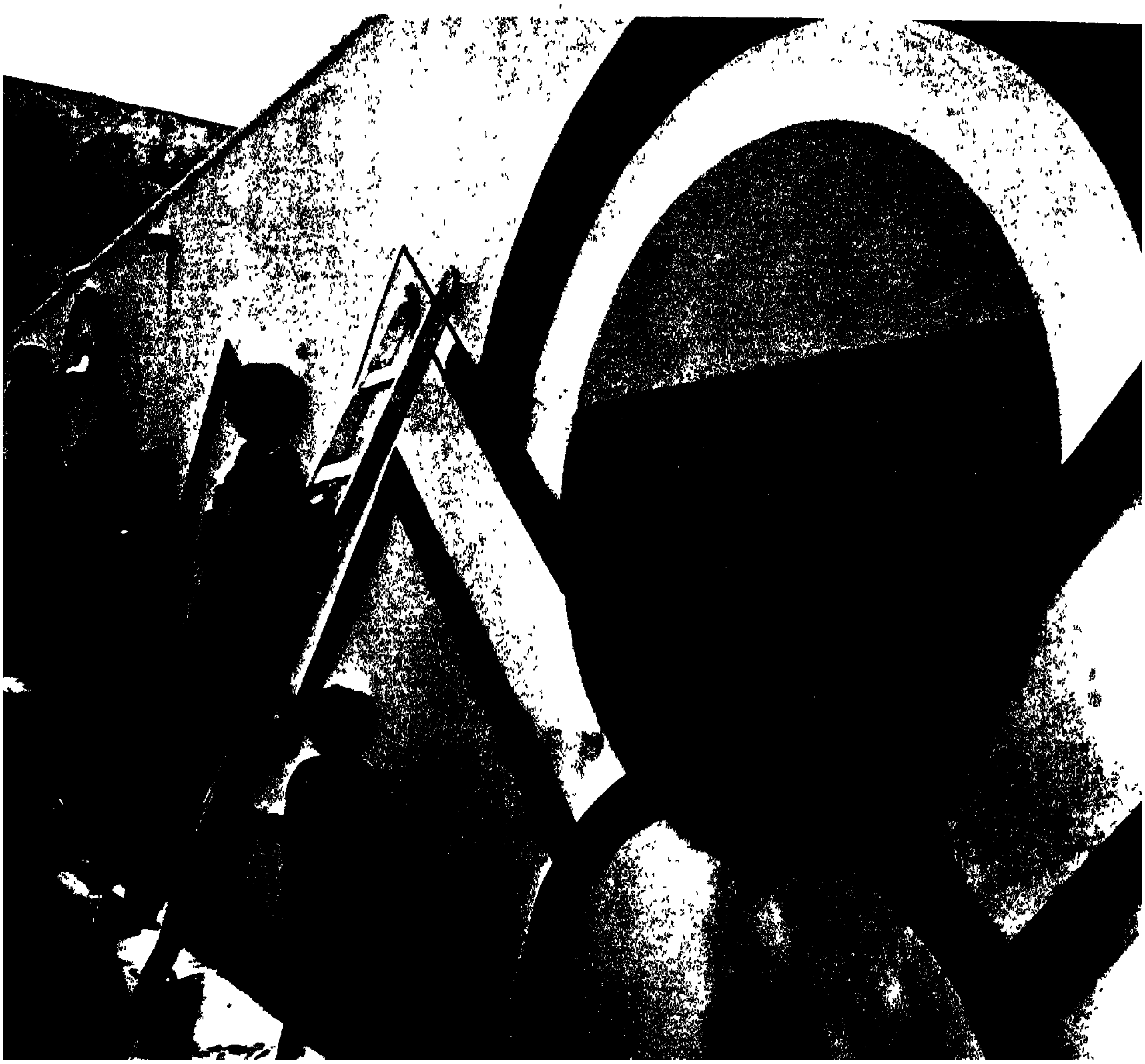


اطفال البلده امام لوحه رسمها رحول (الصورة الى اعلا) رسومات محمد المليحى رئيس الجمعيه المغربية للفنون التشكيلية (الصورة الى اليسار اعلا) تلاميذ المدارس في «اصيله» يقومون بالمساهمة فى تحميل مدينتهم (الصورة الى اليسار)

الماضى ، ينبغى ان ينتقل ذلك الى اعمال خلاقه وممارسات معاصرة فلم يعد اسلوب اشعال الشموع امام الشموس مجديا •• »

واضاف •• « نحن نطمع ان تكون هذه التجربة نقطة لقاء وحوار بين المفكرين والفنانين العرب ، ونتطلع الى وقت يساهم فيه الفنان التشكيلى العربى فى عمل مشترك يكشف عمق واصالـة الحضارة العربية » •





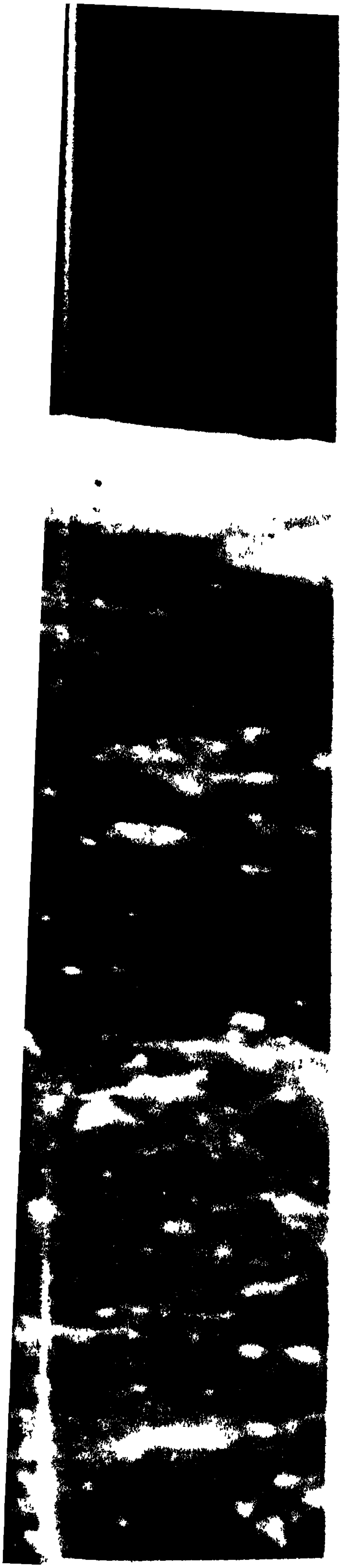


بريشة جمعة

أول يوم فى رمضان




اللهم إني صائم!
اللهم إني صائم
اللهم إني صائم



سؤال كل عام :

نعتمد الرؤية

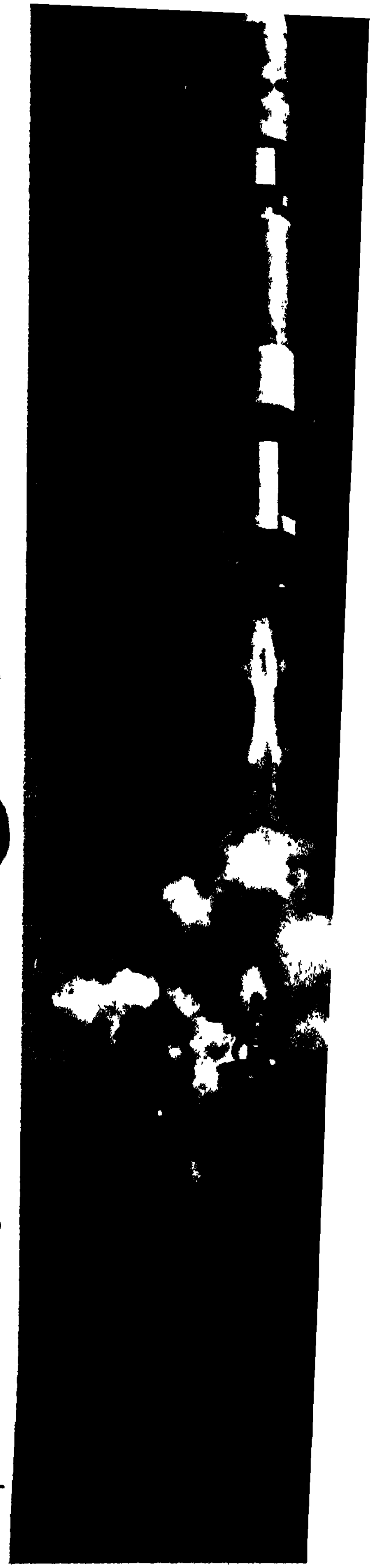
ام الحساب الفلكى ؟

لماذا الخلاف فى صيامنا واعيادنا ؟

والعلم قادر على قياس الزمن لجزء من بليون من الثانية ؟!

بقلم

دكتور عبدالمحسن صالح





غريبة احيانا امور أئمة المسلمين! •

ووجه الغرابة انهم يعتقدون فـي صحة الاسس العلمية تارة ، فيرتكنون اليها فى صلاتهم وامساكهم وافطارهم، او أى شان من شئون دنياهم ، ثم اذ بهم يعودون فيكفرون بها تارة اخرى •• فكلما انقضى شعبان ، وحل رمضان ، او جاء عيد من الاعياد ، تراهم يرسلون رسلا منهم ، ليستطلعوا هلال رمضان ، فيعلنوا ما رأوا فى البلاد ، وكثيرا ما يضعون الناس فى حيص بيص ، خاصة عندما تتضـارب اقوالهـم ، وتتناقض فتاواهم ، فلا يكاد المسلمون ـ لفترة ـ يعرفون رؤوسهم من أرجلهم •• لا فى صيامهم ولا أعيادهم !

ومن حق أئمة المسلمين ان يختلفوا فى تفسير او فتوى او تشريع ، لكـن ان يتفلسفوا ويتعالوا فى امر من أمور هذا الكون العظيم ، فهذا مالا يقره منطق ولا عقل ولا دين !

فالكون ـ بلا شك ، وكما نعرفه من خلال علومنا الحديثة ـ بمثابة ساعة كونية دقيقة غاية الدقة ، ومتقنة اعظم الاتقان ، لانها من صنع الله الذى قدر فسوى ، وعلى هذه الساعة المضبوطة نعتمد ، ونحن مطمئنو الفؤاد ، مرتاحو البال •

صحيح اننا لا نستطيع ان نرى هذه الساعـة الكونية كما نرى ساعاتنا التى نضعها حول معاصمنا أو فى سترتنا ، لكن العالمين ببواطن الامور ، والذين ينظرون الى الكون نظـرة أعمـق واشمل واعم ، ليدركون ان حركة الارض والقمر والشمس والكواكب والنجوم والمجرات والمذنبات تضع امام اعيننا ، وفى عقولنـا ، نظما لا ياتيها الباطل ، او يحـل بهـا الخلل !

فالعلماء الذين يتعاملون مع قوانين الكون ، ونواميس الوجود ، هم وحدهم الذين يعلمون انهم أمام افلاك متقنة ، وازمنة محددة ، ودورات مقننة، وهم بتطلعهم الطويل الى الأجرام السماوية ، واستعانتهم بأجهزة ومعدات ومناظير فلكيـة متطورة ـ قد استطاعوا صياغة كل هذا الابداع فى معادلات وقوانين توضح لنا ـ بجلاء ـ ما يغم على عيوننا القاصرة ، وعقولنا المحدودة ، فاذ بالكون العظيم يتجلى لنا بصورة اروع وابدع واوقع من كل ما رآه الأقدمون ، او ما يراه رجال الدين !

الزمن •• حركة !

والذى قد لا يعرفه بعض أئمة الدين أن الزمن حركة ، أو أن الحركة زمن !

ثم ان التقويم الزمنى الذى يعتمدون عليه فى نتائج الحائط او الجيب او المنشور عن طريق وسائل الاعلام لا ياتى من لا شىء ، ولا ينبع من فراغ بل جاء اساسا من حركة الكون المضبوطة •

واذا كان أئمة المسلمين فى شك مما نقول ، فعليهم ان يعودوا الى القرآن الكريم ليستلهموا منه فصل الخطاب •• هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ،ما خلق الله ذلك الا بالحق، يفصل الايات لقوم يعلمون •• وجعلنا الليل والنهار آيتين، فمحونا آية الليل، وجعلنا آية النهار مبصرة، لتبتغوا فضلا من ربكم، ولتعلموا عدد السنين والحساب ، وكل شىء فصلناه تفصيلا •• فالق الاصباح وجعل الليل سكنا، والشمس والقمر حسبانا ، ذلك تقدير العزيـز العليم ••• والشمس تجرى لمستقر لها ، ذلك تقدير العزيز العليم ، لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ، ولا الليل سابق النهار ، وكل فى فلك يسبحون ••• وسخر الشمس والقمر كـل يجرى لأجل مسمى ••• والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم ••• الخ ••• الخ •

كل هذه الآيات وغيرها تشير بوضوح ، أو من طرف خفى ، الى ان الزمن الفلكى او الكونى أو الأرضى ، انما هو انعكاس حقيقى لحركة الكون وما حوى ،والفضاء وما طوى • وطبيعى ان رجل الدين لا يستطيع ان يرى الاتقان فى التقدير ، والدقة فى التسخير ، والابداع فى التسيير ، والانضباط فى الافلاك ، الا اذا درس القوانين الصامدة ، والمعادلات الأصلية التى تحكم هذه الأكوان المحيطة، فاذ بها تريه ، مالا يستطيع هو الاجتهاد فيه ، او الاعتراض على ما تطويه !

ان رجل العلم الحقيقى يضع نصب عينيه دائمـا



« اذن » أرضية ضخمة تتوجه الى السماوات ، وتلتقط أنباءها · انها الراديو تليسكوب ، أو المنظار الفلكى الموجى ، وهذه « الاذن » تستطيع ان « تسمع » همسا موجيا يبعد عن أرضنا الاف الملايين من السنوات الضوئية (السنة الضوئية تساوى حوالى ٢٦ مليون مليون ميل) انظر الغلف

حقيقة لا مفر منها ، فهو يطوع عقله لفهم قوانين الكون ،ونواميس الوجود ، لا ان يخضع الكون لبصره او عقله او ادراكه المحدود ، ولو فعل لأخطا وغوى، ولما أدرك من الاسرار العميقة شيئا مذكورا !

اذن فالحركة والتسخير والمنازل والافلاك التى تسبح فيها هذه الاجرام ، انما هى دليلنا الى علم السنين والحساب والارقام ·· او هى ـ كما يراها رجل العلم التجريبى ـ حركة تؤدى الى زمن ·· الى ارقام تنبع من معادلات ·· او العكس !

ساعتنا وليدة ساعة كونية !

فلولا دوران الأرض حول نفسها لما عرفنا شيئا اسمه زمن ، ولا كان هناك ليل او نهار ، ولا شروق ولا عصر ولا غروب ولا صيام ولا اعياد ولا فصول ، ولعشنا فى ليل سرمدى ، او نهار سرمدى، وعندئذ لن يكون لوجودنا معنى ، ولا لحياتنا مغزى !

ولقد اقتبسنا من حركة الأرض او زمنها حركة أودعناها فى تروس وعقارب لتتحرك بدورها حركات ايقاعية تفصلها وحدات زمنية نعرفها فى حياتنا بالثانية والدقيقة والساعة واليوم والشهر، وعندئذ تشعرنا بمرور الزمن اذا غم علينا سريان هذا الزمن فى ليل او نهار !

وكما تعتمد تروس الساعة على بعضها ، وتؤثر فى ميكانيكيتها ، كذلك تكون الاجرام السماوية·· فكيانها ووجودها وزمنها تعتمد على حركات ودورات وجذب وطرد وغير ذلك من قوى تحمل كل ما فى الارض والسماء موزونا وقائما بغير عمد ترونها ، وعلى أساس هذا التعادل أو التوازن المتقن ،جرت معادلات العلماء وحساباتهم ، لتوضح لنا ان كل شىء فى الكون يسرى بحساب ، ويجرى بمقدار ،وهو سبحانه « يفصل الآيات لقوم يعلمون » !

والذين يعلمون يدركون تماما لماذا استمرت السماوات والأرض بلايين فوق بلايين من السنين ، ليس هذا فحسب ، فهم يستطيعون ـ من خلال معادلاتهم التى نبعت أساسا من النظم الكونية ، المتقنة ـ أن يقدروا ما يمكن ان يكون عليه الكون العظيم لبلايين اخرى من السنوات القادمة ، ومن اجل هذا صمد الكون ويصمد وسيصمد بفضل

الدقة المتناهية في حركته وزمنه ، ولولا ذلك لحلت الفوضى في اطنابه من زمن ، لكننا لم نر الا كل ما هو منظم وبديع واصيل ، وان الفوضى التي نعيش فيها احيانا ، انما تنبع حقا منعقولنا، وتنبثق ـ على غير هدى ـ من انماط تفكيرنا !

فالقمر جرم سماوي تابع لكوكب الأرض ، وله حول نفسه دورة ، وللدورة زمنها،والارض بدورها جرم سماوي ، ولها حول نفسها دوره ، ولها ايضا زمنها ، وللأرض والقمر حول الشمس دورة ،ولهذه الدورة زمنها ، والشمس والأرض وكواكبها الاخرى الثمانية وما يتبعها من اقمار دورة كبرى في المجرة ، ولهذه الدورة زمن ، وللمجرة دورة وزمن ... الخ ... الخ .

انها دورات وازمنة وحركات موقوتة ومسيرة الى قدر معلوم ، « كل يجري لأجل مسمى»..ولكن « اكثر الناس لا يعلمون » !

لجزء من بليون من الثانية !

وطبيعي أن كل هذه العلوم العصرية المشتقة

عين علمية جبارة (المنظار الفلكي الضوئي) ترقب الاجرام السماوية ، وترى فيها « ما لا عين رأت » .. اذ هي أقوى من العين البشرية بعشرات الالوف من المرات !

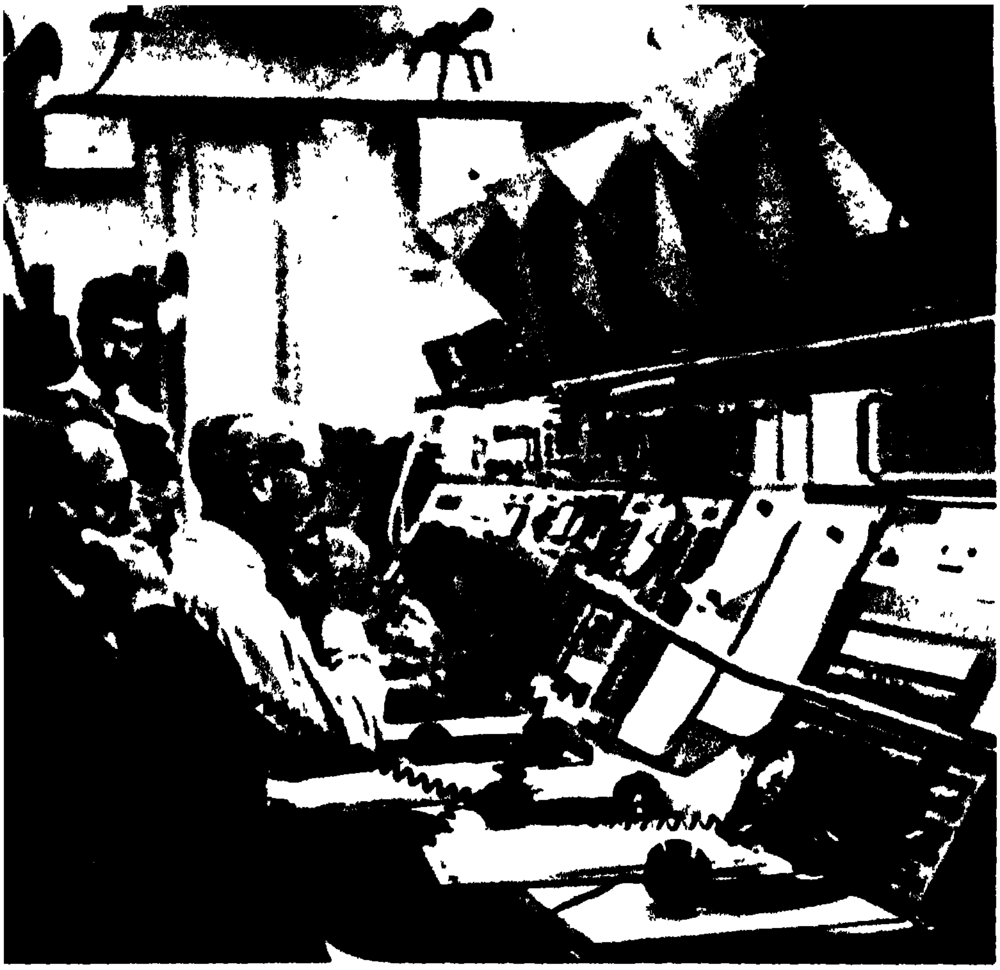


اساسا من النظم الكونية ، لاتجد هوى ولا تقبلامن بعض ائمة المسلمين ، بدليل انهم يهجرونها كلما اقبل رمضان ، أو جاء عيد ولابد ان يختلفوا ، لان مواقعهم على الارض ، او في دول متفرقة ، تمنع من توحيد الراى والزمن ، لأن نظرتهم الحالية لازالت تستند على نظرة قديمة ومحدودة باقليم جغرافي محدد ومحدود ، وطبيعي اننا نعرف في زماننا هذا ان لكل دولة زمنها ، او حتى لكل بلد في الدولة ذاتها زمنها ، ولقد جاء الاختلاف بين زمن قطر وقطر ، من التقدم العلمي فيكل المجالات، والذى انعكس في النهاية على أدوات تقيس الزمن لجزء من الف مليون جزء من الثانية ، أو ربما مليون بليون جزء من الثانية ، أو أقل من ذلك بكثير (كما هو واقع فعلا في بعض الاحداث الذرية التي تتم في جزء واحد من مليون بليون بليون جزء من الثانية !!) .

لا علينا من كل ذلك ، فلا شيء يدوم ، ولا حركة الى خلود ، ذلك أن هذه الساعة الكونية التي تنبع من حركة الأجرام السماوية تتاثر بقوى ومقاومات كامنة في طبيعة تلك النظم ، فتتداخل في حركاتها وسرعة دورانها ، وقد تجعلها تبطيء أو تسرع ، كل ذلك يتوقف على الظروف السائدة ، ومع ذلك فنحن لا نحس بزيادةالسرعةأو ابطائها ، لانذلكيتم بمعدلات بطيئة للغاية ، وبحيث لا تصبح محسوسة الا بمرور ملايين السنين !

لكن العلماء حسبوها وقدروها ، فمن العوامل الكثيرة التي تتسلط على ارضنا الآن وتبطيء سرعة دورانها حول نفسها (ومنهذهالعواملنذكرالجاذبية بينها وبين القمر ، والاحتكاك الكائن بين غلاف الهواء والأرض ، والمد والجزر ... الخ) ،يتبين ان هذا الابطاء في الحركة ينعكس على ابطاء في زمننا الأرضي ، وبحيث يؤدى ذلك الى جعل يومنا هذا اقصر من غدنا بحوالى ٢٥ر٠٠٠ر٠٠٠ر٠ثانية (أى ٢٥ جزءا من الفمليون جزء من الثانية) ،أو أن اليوم الآن سيكون اقصر من اليوم الذى سياتي في عام ٢٠٧٨ بجزئين من انف جزء من الثانية ، وانه بعد خمسة آلاف مليون عام من الآن ستبطيء الأرض في حركتها الى الدرجة التي يصبح فيها اليوم ٣٦ ساعة من ساعاتنا الحالية !

ويقدر العلماء ايضا ان الابطاء في سرعة دوران الارض، سوف يؤدىالى ضعف في« قبضة » الارض



ى العلوم الملكية لحديثة لم يعد الانسان عتمد على حواسه فى ستكشاف ما فى العصاء من عطم ، بل يعتمد عى أحهرة اليكترونية حساسة تنقل اليه طوفانا من المعلومات التى تمسك شفراتها عقول أو حاسبات اليكترونية حاصة .. هذه الصورة توضح جزءا صغيرا من محطة أرضية تتصل بالبحوث الكونية .

على القمر . ومن اجل هذا يبدأ فى الهروب بعيدا فى الفضاء ، ولكنه هروب بطىء للغاية ، اذ أن القمر يبتعد عن الارض الان بمقدار قدم واحدة فى كل فترة زمنية تقدر بثلاثين عاما ، أو بمعدل سنتيمتر واحد فى كل عام ، وطبيعى ان هذه المسافات جد ضئيلة بالنسبة للمسافات الكونية الشاسعة ، فالمسافة بيننا وبين القمر مثلا تقع فى حدود ٤٠٠ ألف كيلو متر ، أو ٤٠٫٠٠٠٫٠٠٠٫٠٠٠ سنتيمتر !

ومع ضآلة هذه التقديرات ، ومع عدم احساسنا بها على الاطلاق ، الا انك لو اعطيت هذه العملية عمرا مديدا ــ عمرا يقدر بآلاف الملايين من السنوات ، عندئذ تعطيك ازمنة ومسافات وتغيرات فى هندسة الكون لا يعلم مداها ــ فى النهاية ــ الا الله .. « وسخر الشمس والقمر كل يجرى لاجل مسمى » .

ذكرنا أن الارض ستبطىء بحيث يصبح طول نهارها وليلها حوالى ٣٦ ساعة بعد خمسة الاف مليون عام ، وسيبتعد القمر عن الارض مسافة تقدر بحوالى خمسين الف كيلومتر زيادة عن مسافته الحالية ، ولهذا سيبدو أبعد وأضعف وأشحب نورا وضياء ، وعندئذ تتدخل الشمس وتتمدد ، وتعطى للارض دفعة ، فتزيد سرعتها رويدا رويدا ، فتتمدد جاذبيتها او قبضتها على قمرها ، فتشده اليها ، وتعيده الى حظيرته ، بل وستدفعه دفعا ليكون أقرب اليها من وضعه الحالى ، فيؤثر بجاذبيته فى بحارها ومحيطاتها وطريقة دورانها ... الخ ... الخ .

هذه ــ اذن ــ بعض قشور علمية ذكرناها هنا ليتبين لنا أن الذين يحسبونها بجزء من بليون جزء من الثانية ، ويقدرون المسافات الكونية بالمتر والسنتيمتر ، لن يعييهم أن يحسبوا بدقة تامة منازل القمر ، او شروق الشمس وغروبها فى اية بقعة من العالم .. وطبيعى أنه كلما تقدم بنا الزمن ، كانت الحسابات أدق ، والمعرفة أتقن ، والتحصيل من العلوم الكونية اشمل وأعظم .

دلائل كثيرة

وقد يقول قائل : وما يدرينا أن شيئا من ذلك سيحدث ؟ .. أو أن هذه الحسابات صحيحة ؟

الواقع أن الحديث فى ذلك سوف يتفرع ويتشعب ويطول ، وليس له هنا مجال ، لكن يكفينا ان نذكر ذكرا عابرا انه ما كان ليتيسر للانسان ان يستكشف الفضاء بصواريخه واقماره ، وان يدفعها لتدور حول الارض تارة وحول القمر تارة أخرى أو يبعث بها الى المريخ والزهرة وعطارد

والمشترى وزحل لتقطع فى الفضاء الواسع عشرات ومئات والاف الملايين من الاميال٠٠ماكان ليتيسر له ذلك الا بمعرفة دقيقة لمواقع هذه الاجرام ، وسرعة دورانها ، وقوى جاذبيتها بالنسبة لاى جسم كبر شانه او صغر ، ثم ان اى خطأ ـ حتـــى ولو كان طفيفا للغاية ـ خاصة فى مثل هـــذه المسائل الكونية المعقدة ، كفيل بتحطيم امال العلماء وفشلهم فى غزو الفضاء ، لكن معظم الشواهـد تدل على نجاح لا فشل !

اضف الى ذلك ان العقول البشرية لا تستطيـع ان تجرى الحسابات المعقدة والدقيقة والسريعـة التى يتطلبها عصر الفضاء ، ولولا العقـــول الاليكترونية التى تستطيع ان تنجز فى ثوان ما ينجزه الانسان فى سنوات ـ لولا ذلك لما حـط قمر صناعى على القمر الطبيعى ، ولا انطلقت اقمار اخرى الى اى كوكب من كواكب المجموعـة الشمسية ٠

ثم انه من « ميكانيكا » الاجرام السماوية المتقنة يمكن حساب عدد مرات الكسوف والخسوف التـى ستحدث مقدما للشمس والقمر فى كل سنة ،وتقدر ايضا موعد هذا الكسوف فى السنة والشهر واليوم والساعة والدقيقة والثانية ، بل وتحدد مكـــان حدوثه ، وتوضح طول فتره هذا أو ذاك ٠٠٠الخ، فعلى سبيل المثال لا الحصر ،يقدر علماء الفلـك ان عام ١٩٨٢ سيشهد اكبر عدد من مرات الكسوف والخسوف ، اذ ستنكسف الشمس فيه اربع مرات، وينخسف القمر ثلاثة ، ومن الممكن طبعا حســاب موعد الكسوف او الخسوف لمئات السنوات القادمة، ففى موقع محدد بجنوب الاطلنطى مثلا سوف يسجل العلماء أطول كسوف لم يحدث لمئات السنوات ، اذ ستنكسف الشمس لمدة سبع دقائق ، ٢٨ ثانية فى يوم ١٦ يوليو عام ٢١٨٦ م٠ اى بعد مرور ٢٠٨ عاما من الان !

وحتى المذنبات التى تقترب من الارض كل عشرات او مئات او الاف السنوات لها حساباتها وتقديراتها ٠٠ فهناك مثلا اكثر من مليونى مذنب ، تختلف سرعتها ما بين ١١٢٥ كيلومترا فى الساعة اذا سبحت فى فضاء المجموعة الشمسية وبعيدا عـن الشمس ، ثم تزيد السرعة كلما اقتربت منا ومن الشمس ، وبحيث تصل الى حوالى مليونى كيلومتر فى الساعة الواحدة٠٠ ثم أن مذنب «هالى» المعروف سيظهر مثلا فى تمام الساعة التاسعة والنصـف



ما كان بالامكان اطلاق هذه الصـــواريخ الى الفضاء الا من خلال حسابات ومعادلات توضح الحركة والرس والمدارات والافلاك والجاذبية ٠٠ الخ ٠٠ الخ ، ولقد نجح العلماء فعلا ، وهذا دليل دامغ على صحة حساباتهم الفلكية المشتقة أساسا من النظم الكونية ٠٠ فلا شيء يأتى من لا شيء ٠

من مساء ٩ فبراير ١٩٨٦ ، والمعروف ان دورة هذا المذنب حول الشمس تقع فى حدود ٨١ و ٧٥ عاما ، اى يظهر ثم يغيب كل ٧٦ عاما بالتقريب ، فى حين ان المذنب المعروف باسم ١٩١٠ « أ » لن يعود الينا الا بعد مرور اكثر من اربعة ملايين عام ٠٠ اطال الله فى اعماركم !

الدين يدعو الى العلم

والى هنا ـ ورغم تقدم العلوم الفلكية تقدما عظيما ـ نرى الذين لا يعلمون عن امور هـــذا التقويم الكونى المضبوط شيئا ، لا يستفتـــون ... يقدرون ويحسبون ويعلمون عدد السنـــين والحساب ٠٠ ارضيا وقمريا وشمسيا ونجميا او ما شاءوا من مواقيت ، ولهذا يركبون رؤوسهم

وينهبون لتسجيل رؤية هلال رمضان او شوال ، و أى شهر من الشهور القمرية التى لهم فيهـــا مارب ، وهم - فى هذا التسجيل - يعتمدون غالبا على عيونهم ، ولا يعرفون ان العين أحيانا ما تخدع ، او هى قاصرة جدا بالنسبة لاجهـزة الرصد الحديثة ، وحتى هذه الاجهزة المتطورة غير ذات موضوع فيما يريد ائمة المسلمين الاختلاف فيه ، او الاتفاق عليه ، لان منازل القمر ودورته وزمنـه محسوبة جميعا بدقـة متناهيه ، والذيـن حسبوا وقدروا قد تموع نفوسهم من انماط تفكير الذين يتدحلون فيما لا يعرفون .

ففى الاية الكريمة : «قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » .. وفى الاثر : اطلبوا العلم ولو فى الصين .. والعلم الان بين أيدينا ، بل ونستفيد به فى كل صغيرة وكبيرة فى حياتنا، ونرتكن اليه فى تقاويمنـا ، فنصلـى الفروض بهديها ، او نمسك لنفطر ونحن مطمئنون لحساباتها، ودون ان نلجا الى الخروج للخلاء ، لنستطلـع الخيط الابيض من الاسود ، او نسجل غـروب الشمس وشروقها ، أو نلقى بالا لبزوغ الهـلال فى الشهور الاخرى التى ليست للمسلمين فيهـا مناسبات تذكر ، لان الحسابات الفلكية هنـا لا غبار عليها ، انما يظهر الغبار فجاة ، فيؤذى العقول التى تستنكر هذه الردة الفكرية فـى انمـاط التفكير ، وكانمـا بعـض ائمتنا يقفون بافكارهم عند فترات زمنية قديمة ، ولـو لـم يسارعوا بالاخذ باسباب العصر وعلومه ، فـان الزمن لا يرحم ، وسوف تنطلق قافلة العلـم بسرعة الصاروخ ، وهم فى اماكنهم جامدون ، وبافكارهم لا يتطورون .. والتجمد ضد الزمن ، لان الزمن كالسهم المارق الذى لا يتوقف لاحد ابدا !

« أنتم أعلم بأمور دنياكم » !

وقد يقول قائل : ان كل هذا الكـلام مردود عليه بآية صريحة ، وبحديث شريف .. فالآيـة تقول « فمن شهد منكم الشهر فليصمه » .. والحديث « صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته » .

وبدون الدخول فى التفاصيل والتفانات نقول ان رؤية الهلال قد لاتثبت فى كل الاقطـار ، كما انه لايمكن توحيد مواعيد الصلاة او الافطار أو الامساك فى جميع البـلاد ، فرب صائم ينوى الافطار فى قطر ، اذ بآخر يمسك عـن الطعام فى قطر آخر ، او ان احدهم قد يصوم تماني عشرة ساعة ، فى حـين ان الاخـر قـد يصـوم ١٢ او ١٥ ساعة فى الوقت ذاته .. اى انه لابد من الاختلاف هنا ، ولا يمكن توحيد مـواقيت صـلاة او صوم او حتى اعياد ، ولهذا لم تعمم الاية فتقول « فمن شهد منكم الشهر فلتصوموه » بل قالت « فليصمه » .. اى ان الذى يرى يصوم ، فاذا غم عليه، فلياتمر بما أمرته به شريعته ، اما اذا يسر العلم أموره ، فلياخذ باسباب العلم، لانه قائم اساسا على النظم الكونية التى تجرى كساعة مضبوطة !

ولو كان الرسول صلوات الله عليه يمتلك مانمتلك الان ، لما رفضه ، فهو عقلانى فى المقام الاول ، ولاتفوتنا هنا ان نذكر مسالة النخيل التى قال عنها يوما ان لها ربا يرعاها ، ولما تـرك الناس النخيل دون ان يلقحوه بالطلع ، نقص المحصول بشكل واضح ، وعندما أشتكوا اليه ،قال لهم « أنتم أعلم بامور دنياكم » ... كما ان ائمة المسلمين يعرفون جيدا كيف أن احد أصحابه أشار على الرسول أن يعسكر بجوار بئر ، فغير الرسول رايه عندما رأى أن صاحبه كان على حق فيما قال!

ونحن الان اعلـم بامور دنيانا ، فالظواهـر الكونية ،والاجرام السماوية ،والمعادلات الرياضية، والحسابات الفلكية ، والعلوم الضخمة التـى تنطلق الان كتيار جارف .. كلها من امور دنيانا ..والدين يسر لا عسر ،والعلم ايضا يسر لا عسر، فلقد يسر للناس فى الوقت الحاضر ما لم تيسره الوسائل القديمة، وزمننا خير شاهد على ما نقول!

والقول الفصل الان : اما ان نثق فى نظـم الكون التى جاءت من عند الله ، ونثق فى العلم الذى لم ينشا من فراغ ، بل هو اظهار لعظمة الله وابداعه فى كل ما خلق فسوى فاتقن فتجلى ،فسار كل شىء وفق نواميس لا خلل فيها ولافوضى .. واما ان نركب رؤوسنا ،وتتجمد افكارنا ،ولانساير الزمن ، ومن تجمد فى فكره ، او عاش بزمن غير زمنه ، فقد ركد .. والركود جمـود ، والجمـود موت .. والعياذ بالله من جمود لاناقة لنا فيه ولا جمل .

و « اطلبوا العلم ولو فى الصين » حتى لانكون اضحوكة العالمين .

الاسكندرية - دكتور عبدالمحسن صالح

شعراء معروفون مجهولون

بقلم : عبد الرزاق البصير

■ تعتبر عينية ابن زريق من القصائدالمشهورة التي سارت كثير من ابياتها على السنة الناس مسرى الامثال ، لانها عبرت عن ما يحصل لكثير من الناس في ظروف كثيرة مثل قوله :

أستودع الله في بغداد لي قمرا
بالكرخ من فلك الازرار مطلعه
ودعته وبودّي لو يودعني
صفو الحياة واني لا أودعه
وكم تشفع بي أن لا أفارقه
وللضرورات حال لا تشفعه
وكم تشبث بي يوم الرحيل ضحى
وأدمعي مستهلات وأدمعه

ومثل هذه الحالة المؤلمة تصادف كثيرا من الناس تاتي عليه ظروف تضطره الى مفارقة من امتلات نفسه بحبه ، مما يجعله يتمنى مفارقة الحياة لانها اهون عليه من مفارقة الاثير الى نفسه •

وقد وفق الشاعر في التعبير عن هذه الناحية الانسانية ، كذلك وفق الشاعر حيث يقول :

أعطيت ملكا فلم أحسن سياسته
كذاك من لا يسوس الملك يخلعه
ومن غدا لابسا ثوب النعيم بلا
شكر الاله فعنه الله ينزعه

لان كل انسان لا يشكر النعمة التي يرزقه الله اياها فانه لا بد وان تزول عنه تلك النعمة •

ولقد احسن الشاعر حيث جعل النعمة ثيابا ترتاح نفس الانسان من لباسها ، لما لها من زينة ظاهرة تجعل مظهره لائقا أمام الناس • ثم صور



ذلك بصورة أخرى ، فقد شبه النعمة بالملك يؤتى من لا يقدره حق قدره فانه كما ينتزع منه ثوب النعيم حين لا يشكر الله عليه . كذلك يذهب عنه ما يملك ولا يبقى له الا الذكر السيىء ٠ ولعل هذه الابيات التي رويناها هي التي جعلت هذه القصيدة تشتهر بين الناس ، وقد أحببت أن أقف على ترجمة ناظم هذه القصيدة فان من طبيعة الانسان اذا وقف على عمل فني رائع يود لو عرف مبدعه لتكون الصورة في ذهنه متكاملة ٠ ولكنني لم أستطع أن أظفر بما احببت ، بالرغم من انى رجعت الى كثير من الكتب التي اعتقدت انني ساجد فيها ترجمة الشاعر فدهشت من ذلك ، اذ ان ناظم مثل هذه القصيدة العامرة لا بد أن تتسابق كتب التراجم الى تاريخ حياته ٠ وبقيت مدة طويلة أبحث عنه دون جدوى وقد خطر لى أن أقف على مادة زرق في كتاب تاج العروس فوجدته يقول :

الزريقي شاعر معروف ، وهو صاحب العينية التي مطلعها :

لا تعذليه فان العذل يولعه
قد قلت حقا ولكن ليس يسمعه

ومن المعلوم ان صاحب التاج عالم محقق لا يطلق أى كلمة الا بعد بحث وتمحيص ، غير أنى وجدت الثعالبي ، صاحب كتاب يتيمة الدهر ، وهو الكاتب الموثوق بروايته يذهب بان الابيات الاربعة التي أولها : (استودع الله في بغداد لى قمرا) هي من نظم ابى الفرج محمد بن احمد الدمشقي الملقب بالواواء ٠ وهذا مما يزيد في حيرة الباحث عن ترجمة (ابن زريق) ، ووجدت السمعاني يروى في كتاب الانساب عن (ابن ماكولا) أحد المؤرخين المعروفين قوله : ان الزريقي شاعر شامي مشهور بهذه الابيات :

وكم تشفع بى أن لا أفارقه
وللضرورة حال لا تشفعه

وان مستهل قصيدته هذه قوله :

لا تعذليه فان العذل يولعه
قد قلت حقا ولكن ليس يسمعه

فهل الزريقي شاعر غير محمد بن زريق ؟ ام أن الامر اختلط على صاحب التاج والسمعاني؟ ٠

ولست أستبعد أن تكون رواية هذين العالمين غير دقيقة ٠ لهذا أعتقد بان الاستاذ نعمان ماهر الكنعاني محق حينما قال في كتابه (شعراء الواحدة) ابن زريق البغدادى ، أو محمد بن زريق البغدادى ، شاعر عنقائي الوجود لامع الاسم ، وهيهات أن ياتى باحث بترجمة لحياة هذا الشاعر تقطع دابر الشك في وجوده ٠ ويقال عن هذا الشاعر بانه هام بفتاة وأراد الزواج منها فحال فقره دون ذلك فسافر الى المغرب ٠ وقد وجدت عينيته هذه تحت وسادته ٠

وليس ابن زريق هو الشاعر الوحيد الذى نجهل حياته ٠٠ فهناك كثيرون مجيدون من الشعراء لا نعرف من أمرهم شيئا ، بالرغم من أن لهم قصائد تشهد بان لهم أفئدة تنبض بالشاعرية المبدعة ٠ ومن يدرى فقد ياتى يوم يعثر فيه الباحثون على هؤلاء الشعراء فترتوى غلة من يبحث عن مثل هؤلاء الشعراء المظلومين ٠٠

وهل توجد ظلامة أكبر من أن يبرز شاعر موهوب فتنتشر بعض آثاره بين الناس وتحرك النفوس ومع ذلك كله ينغمس هذا الشاعر في غياهب ظلمات الضياع ، فان من المعروف في عالم الفكر والادب أن الخلود من أهم العوامل التي تدفع الفنانين بصورة عامة أن يفنوا حياتهم في ابراز آثارهم ولو كلفهم ذلك ما كلفهم من التضحيات وقد يكون من الخير ان أورد مثالا آخر مشابها لما أشرت اليه من ضياع شاعر يستحق أن يكون مصدر اشعاع بين الناس ، وهو الشاعر الذى يقول :

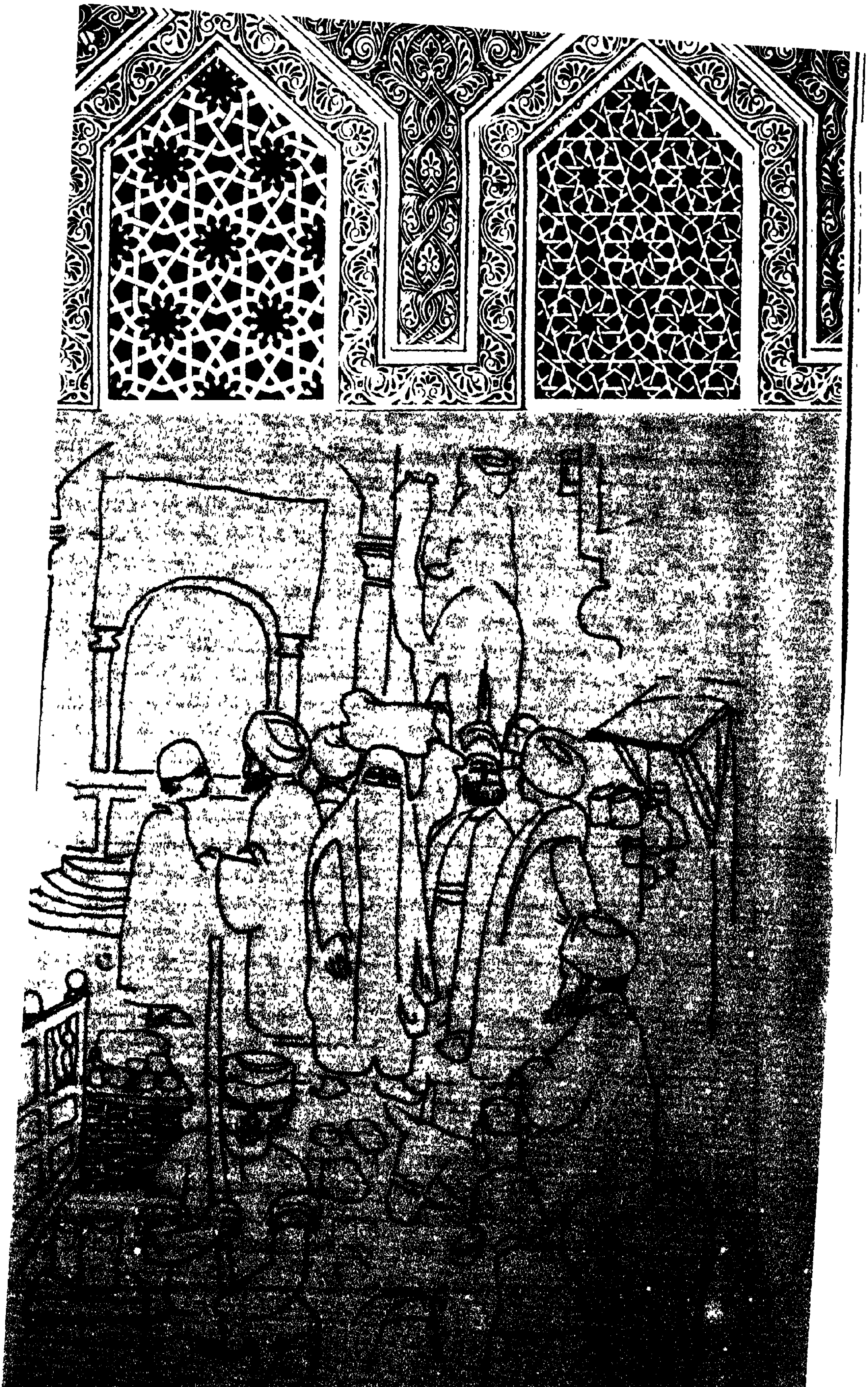
صاح فى العاشقين : «يا لكنانه»
رشأ فى القلوب منه كنانه
بدوى بدت طلائع لحظيه
فكانت فتاكة فتانه

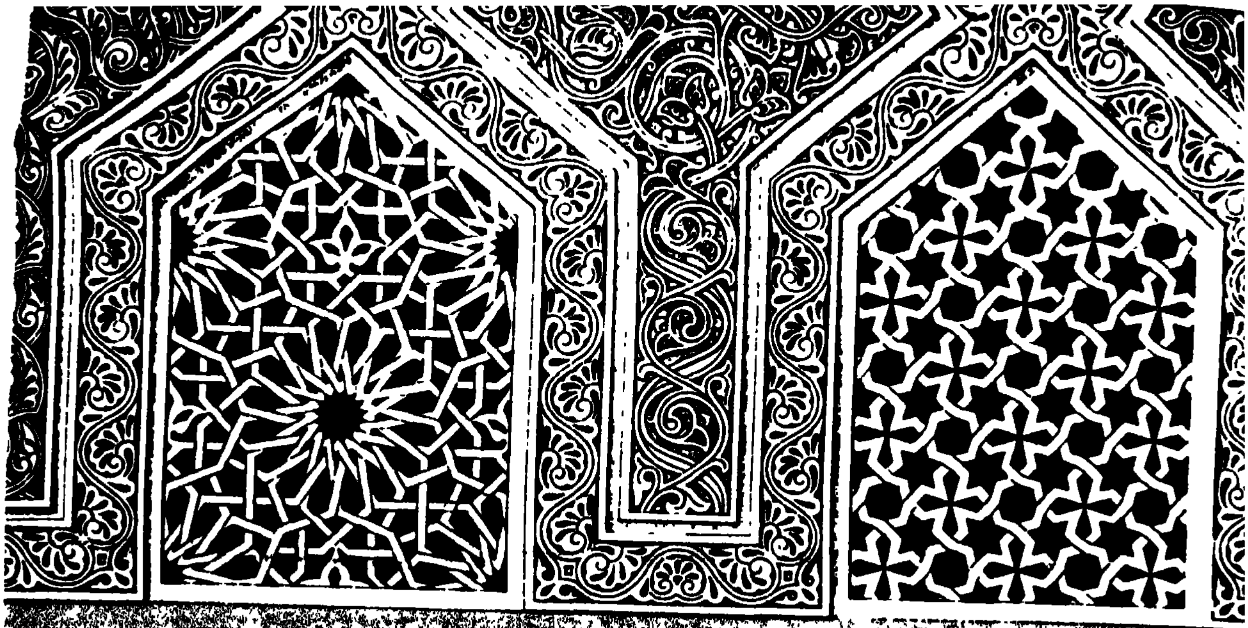
فقد روى أن سبعين شاعرا ادعوا نظم هذه القصيدة :

كذلك يقال عن شاعر اليتيمة التي مطلعها :

هل بالطلول لسائل ردّ
أم هل لها بتكلم عهد
لهفى على دعد وما خلقت
الا لحر تلهفى دعد

والمطلعون على هذه القصيدة يرون ان فيها صورا تعد من أبدع الصور الجمالية ، ولكننا مع ذلك نجهل قائلها وقائل المقطوعة الاولى جهلا تاما كما نجهل كثيرا من الشعراء المبدعين ٠ ■■





[أ]سواق القاهرة العربية

للسوق العربية هندسة ونظام خفي، وتستتر خلفها رؤية للحياة وللتجارة، وللعلاقات بين البشر، وفيها تتشابك المصائر، وحتى زماننا هذا تحتفظ القاهرة بأسواق صمدت أمام [illegible] العتيقة، أو زحف الخرسانة، بل ان الفلسفة الفنية انتقلت الى الأسواق العصرية التي تغرق في بحر من النيون الصناعي.

بقلم: جمال الغيطاني

[illegible] تموج الظلال، والروائح، ومنحنيات [illegible] ومطامح الانتظار، والرغبة، تماما كما [illegible] المطامح البشرية، في الأسواق العربية [illegible] القاهرة، القديمة، والنعرانى [illegible] [illegible]

او الجزائر او عمان، او [illegible] باختلاف كبير، انما [illegible] المختلفة.

[illegible]

تصطف متجاورة ، تبيع لحم الضان والماعز ،وكان القصابون يلفون اللحم في ورق الموز ، ومكان هذا السوق اليوم العديد من التجار الذين اختصوا ببيع الليمون والزيتون الاخضر ، ويعرف حاليا باسم سوق الليمون ، وهنا نلاحظ السمة الاولى للاسواق العربية ، انها التقسيم النوعي ، فكل سلعة تجدها في مكان معين ، فرع باكلمه يتخصص في بضاعه معينه ، وتتجاور الحوانيت ، كل منها يعرض نفس السلعة ، والتنافس قائم ، لكن تكمن وراءه ما يمكن ان نسميه فلسفة يومية مستمدةمن الدين الاسلامي « الارزاق على الله » ، فلكل تاجر رزقه وزبائنه ، ولايزال هذا التقسيم قائما حتى يومنا هذا ، فنجد اسواقا متخصصة ، الحمزاوي الذي يعرض التوابل والعطارة ، والفحامين الذي تتجاوز فيه متاجر الاحذية ، والتمبكشية (تجار الدخان والتمباك) ، والغرنفش (تجار الغيش والكهنة القديمة) وتحت الربع (الادوات المنزلية) والموسكي (الثياب والادوات المنزلية) والدرب الجديد (الحقائب والمصنوعات الجلدية) وسوق الرويعي (ماكينات الخياطة ولوازم الحياكة) وسور الازبكية (الكتب القديمة) والصنادقية (الكتب الازهرية) ، والصاغة (الذهب والمجوهرات) والنحاسين (النحاس والالمنيوم ، وادوات المقاهي من نرجيلات واكواب ، وفناجين) ، ودرب سعادة (الاخشاب) والخردة والمنسوجات الشعبية (وكالة البلح) ، والتحف والهدايا (خان الخليلي) . بل ان السلع غير المشروعة تجد مناطق متخصصة في بيعها مع ان الحكومة تحاربها وتطارد المتجرين فيها ، وهذا يبدو في منطقة الباطنية التي تتركز فيها تجارة المخدرات ، واذا ما انتقلنا الى المدينة العصرية جدا ، او وسط البلد كما يسمونه اليوم، فنجد ان الحوانيت المتشابهة ايضا تتجاور ،عشرات المتاجر التي تبيع الاحذية في شارع قصر النيل متجاورة ، او الملابس الحديثة ، او الآلات العصرية، ان وحدة المكان الذي تعرض فيه السلعة ،ظاهرة فريدة في الاسواق العربية ، انه ليس انعكاسا لقانون تجاري خفي ، بقدر ماهو تجسيد لاسلوب في الحياة ورؤية ، ان هذا يسهل على المشتري قضاء حاجته . كما انه يشبه معرضا مستمرا لسلعة بعينها ، يمكن للمشتري ان يقارن ، وان ينتقي ، وان يختار ، ثم يشتري ..

ونعود الى القاهرة التي وصفها المقريزي .

الاسواق القديمة

بعد سوق القصابين يجيء سوق المرحلين ، ويختص بلوازم الجمال عند الرحيل ، كان يقصد من سائر انحاء مصر خصوصا في مواسم الحج ، فلو اراد الانسان تجهيز مائة جمل في يوم لما شق عليه وجود ما يطلبه ، وقد بدأ خراب هذا السوق في زمن السلطان برقوق ، ولم يبق له اثر الان ، ومكانه الان شارع السيارج ، اما سوق حارة برجوان فكان يعرف فيايام الخلفاء الفاطميين بسوق امير الجيوش ، كان معمور الجانبين بعدة وافرة من باعة اللحم ، والزياتين ، والجبانين ، والخبازين ، والعطارين ، وقد خرب هذا السوق بعد سنة ٦٠١ هـ ، وهذا السوق الان موضعهتجار القمشة . واذا ما تقدمنا حتى مسجد الاقمر سنجد سوق الشماعين ، حيث تباع الشموع الضخمة التي تحمل في المواكب ، وكانت حوانيته تظل مفتوحه حتى منتصف الليل ، ويجلس بها بغايا يقال لهن زعيرات الشماعين ، لهن زي خاص ، وكانت تعلق بهذا السوق الفوانيس في المواسم فتصير رؤيته في الليل من انزه الاشياء ، وكان به شمع يصل وزن الواحدة منه الى قنطار كامل ، وشموع تحمل على عجلات ، وفي زماننا انتقلت دكاكين بيع الشموع الى الامام فنجد عددا منها يقع بالقرب من الغورية وشارع الازهر،وتباع فيها الان الشموع التي تحمل في حفلات الزفاف ، والشموع التي تضيء فوانيس رمضان ، وتباع ايضا قلل السبوع التي تضيئها الشموع عند الاحتفال بمرور اسبوع على ميلاد البنات ، و «الاباريق» اذا كان المولود ذكرا ، على اية حال فقدت الشموع موقعها وتراجعت امام الكهرباء .

وكان سوق الدجاجين يلي سوق الشماعين ،وفيه الدجاج والاوز والطيور المتنوعة،وكانتباع فيهعصافير محبوسة يشتريها الاغنياء ليعتقوها ، وموقع هذا السوق اليوم مجموعة مبان متهالكة ، وموقع لبعض الباعة الذين يحولون الزيتون الاخضر الى اسود . اما عن اعتاق الطيور الحبيسة فعادةتوارت، ويجهلها الزمن الحالي الذي كثر فيه اغتيال العصافير ، وذبح الاسراب المهاجرة بمجرد تلامس صدورها الساخنة بر الانسان ، وكان بين القصرين من اعمر مناطق القاهرة ، وفي الدولة الايوبية صار هذا الموقع سوقا ، وفقد



الباعة باصناف الماكولات من اللحوم المتنوعة ،ثم صار متنزها تمر فيه اعيان الناس لرؤية ماتشتهى الانفس ، ثم اصبح هنا سوق السلاح ، وقد نقل فيما بعد الى موضع يقع بالقرب من القلعة ولا يزال الاسم عالقا بالمكان حتى اليوم ، وبجواره نجد بعض الحرفيين يجلسون الى تخوت صغيرة وامامهم اقفاص صغار من حديد مزخرف تحتوى على الخواتم والفصوص والاساور ، ثم سوق الحلوى ، وسوق المهاميز ، ثم سوق السروجيين ، ثم تجار المنسوجات المستوردة من الصين وفارس والهند ، وبجوار الازهر كان سوق الشرابشيين ، ويباع فيه الخلع التى يلبسها السلطان للامراء والوزراء والقضاة وغيرهم ، ومثل الكلوتات اليلبغاوية ، والكلوتات الزركش ، وسمى سوق الشرابشيين نسبة الى الشرابيش . واحدها شربوش ، وهو يشبه التاج كانه شكل مثلث على الراس بدون عمامة ، وقد

بطل في عصر الدولة الجركسية،كما ان هذا السوق لا يوجد له اثر الان ، وفوق بعض اجزائه تقع منشات السلطان الغوري ٠

ثم سوق الحلاويين ، وكان يمتد الى سوق الشواثيين ، وكان معدا لبيع منتجات الحلوى من تماثيل تسمى علاليق ، واحدها علاقة ، وكان بعضها يزن من عشرة ارطال ، الى ربع رطل ، وربما كان هذا السوق اصل الاسم الذى اطلق فيما بعد على حارة السكرية التى تدور فيها احداث ثلاثية اديبنا الكبير نجيب محفوظ ٠

وفي سوق مجاور تتصاعد انغام موسيقية من آلات لا تزال تحت التجربة ، انها حوانيت صناعة العود والقيثارة ، وكانت هذه الحوانيت ملتقى ايضا لمن يهوون الفن والموسيقى او ارباب المجون والخلاعة بلغه عصرهم ، ولا يزال حتى الان بعض الحوانيت التى تصنع الالات الموسيقية تقع بالقرب من هذا المكان المجاور لشارع محمد على المعروف بانه مقر الفرق الفنية التى تحيي الافراح ٠

بجوار باب النصر ، في القرن الرابع عشر ، كان يوجد سوق العبيد الذى نقل فيما بعد الى خان الخليلي ، هنا كان يعرض الرجال والنساء للبيع ، كان البشر يعرضون عراة فيما عدا قطعا رقيقة من القماش تستر عوراتهم ، ويتقدم المشترون لفحص اعضاء الاجسام ، ونجد هذا المشهد في «الف ليلة وليلة » ، حيث ينادى تاجر الرقيق ٠٠

يا سيد ، ليس كل ما استدار جوزة ، ولا كل ما استطال موزة ،

ولا كل ما احمر لحمة ، ولا كل سمراء تمرة ٠

ثم يبدأ المزاد على الالام البشرية ،

يذكر المقريزى ثمانية وثلاثين سوقا كانت موزعة على قصبة القاهرة ، بعض هذه الاسواق زال واندثر بكل ما حفل به من ضجيج ، ومرور بشر ،ونظرات متلاقية في اناة ، واخرى في حذر ، بكل ما مر به من رجال تتبعوا نساء جميلات ، او بصاصين تعقبوا بشرا من هنا او هناك ، مثل سوق المرحلين، والشماعين ، والدجاجين ، والقفيصات ، وباب الزهومة ، والخوخيين ، والحريريين ، والخليعيين ، وغيرهم ٠

وبعض الاسواق الاخرى انتقل مع حركة الزمن في المكان،فابتعد من موقعه ولم يعد يحمل الا الاسم، كسوق السلاح ، وثمة اسواق اخرى لا تزال في مواقعها تقاوم عناصر البلى ، والعدم ، كسوق الصاغة ، وفي القاهرة الان اسواق لا تزال محتفظة بالشكل القديم ، مثل سوق الخيامية المسقوف من خشب ، ويكثر به صناع الخيام التى تنصب منها السرادقات ، وان كان عددهم قد تناقص الان الى اقل من ثلاثين صانعا ، وبالطبع هنا خان الخليلي والحمزاوى ، والتربيعة ،

كيف كانت تبدو هذه الاسواق في العصور الغوالي للرحالة او الاجانب المقيمين والزائرين ؟

الحوانيت

هذه الاسواق كانت تتكون من الدكاكين المتجاورة، يصفها المستشرق الانجليزى ادوارد لين :

يتكون الدكان من كوة مربعة الشكل ، او حجرة صغيره ارتفاعها ستة اقدام او سبعة تقريبا ، وعرضها ثلاثة اقدام او اربعة ، وقد يتالف الدكان من حجرتين تتقدم الواحدة الاخرى وتستعمل الاخيرة مخزنا ويقام امام الدكان مصطبة بالحجر او الآجر يستوى سطحها بارضية الدكان ، وترتفع المصطبة عادة حوالى قدمين ونصف او ثلاثة اقدام ويكون عرضها كارتفاعها ، وتجهز واجهة الدكان بمصاريع ثلاثة سهلة الطى يعلو بعضها بعضا فيثنى اعلاها الى فوق ، ويطوى الاخران الى اسفل فوق المصطبة فتكون مقعدا مستويا يفرش بالحصر او البسط او بالوسائد احيانا ، وتستبدل بعض الدكاكين بالمصاريع السابق ذكرها ابوابا منثنية ويجلس التاجر غالبا على المصطبة ، مالم يضطر الى الانسحاب قليلا داخل الدكان ليخلى المكان لمن يصعد ليه من حرفائه الذين يخلعون احذيتهم قبل ان يطاوا الحصيرة او البساط باقدامهم ، ويقدم التاجر الشبك الى حرفائه الدائمين ، او من يشترى بضاعة كثيرة ، الا اذا كان هؤلاء يحملون شبكهم ، ثم يرسل الى اقرب مقهى فى طلب القهوة التى تقدم في فناجين صغيرة من الخزف الصيني داخل ظرف من النحاس الاحمر (١)

بعض الدكاكين في الاسواق القديمة لا تزال على حالها ، لم يغير منها الزمن ، ربما كانت بعض العادات قد تغيرت ، فلم يعد ممكنا ان يترك التاجر دكانه مفتوحا في وقت ذهابه للصلاة او الغذاء لان الامان ليس هو الامان الذى كان في عصر ادوارد لين ، ولا تزال الاسواق العربية في

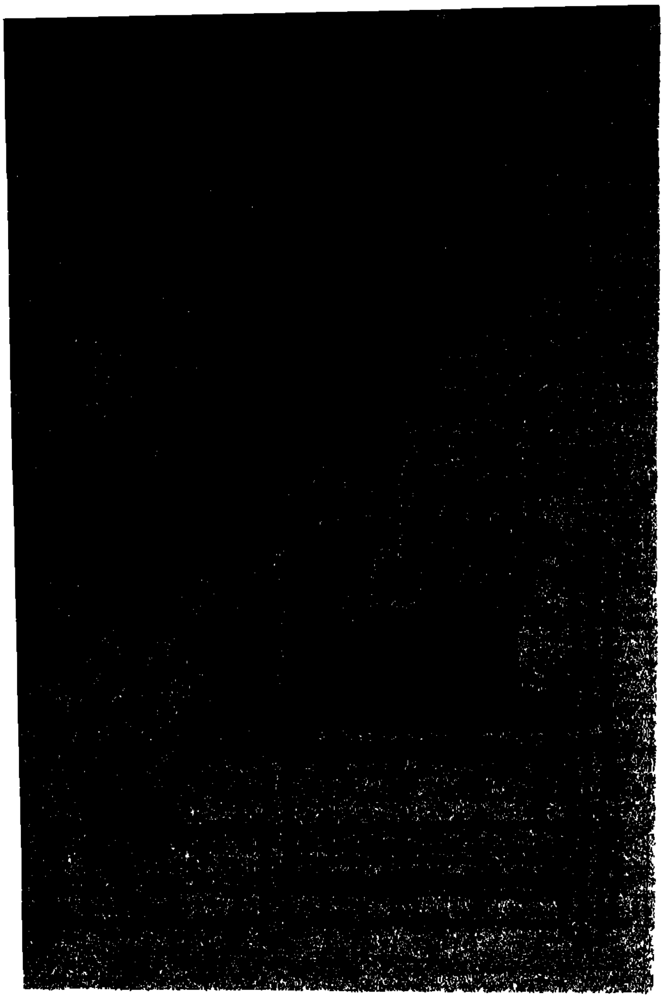
(١) المصريون المحدثون ص ٢٢٧ ، ٢٧٨ : ترجمة عدلي طاهر نور

غداد والبصرة والموصل تحتفظ بهذه الدكاكين مفتوحة ، وعندما يمضى التاجر لقضاء حاجة يمد قطعة من القماش تعلن عدم وجوده ، مع الزمن ، وتوالى الايام ، وانعدام الثقة ، وكثرة الخلق ، لم يعد ممنوحا ، انما حالت الفاترينه المعلمه التى يعرض فيها التاجر بضاعته ، والحاجز الخشبى بينه وبين الزبائن •

غير ان الحياة الجماعية للسوق ربما لا تزال تحتفظ بخصائص قديمة ، فالتجار يرسلون وقت الغذاء الى مطاعم منتشرة فى الاسواق يحضرون منها غذاءهم ، كما يوجد عدد من المقاهى الكبيرة او باعة الشاى يجولون بعد وقت الغداء وعلى امتداد النهار • اما باعة الحلوى فيجيئون ايضا فى الميعاد المناسب ، وفى وسط السوق يـــروح ويجىء الباعه المتجولون الذين لا يملكون دكاكين ثابتة لبضاعتهم ، وهؤلاء ينادون على بضاعتهم •

فيصيح بائع الترمس «مدد ،مدد يا امبابى» ويعنى بهذا القول اما الاستعانة بالشيخ الامبابى وهــو ولى مشهور ، واما الاشارة الى ان ترمس امبابة لذيذ الطعم • ويصيح بائع الليمون « الله يهونها يا ليمون» وكثيرا ما ينادى على اللب،«لب عبد اللاوى يابطيخ ،«يامسلى الغلبان يالب»، او «اللب المحمص» اما بائع الجميز فيقول « جميز يا عنب »، ويستعمل بائع الورد نداء فريدا « الورد كله شوك من عرق النبى فتح » •

وكانت الاسواق تخضع لمراقبة المحتسب ، وكان يجوس من حين الى آخر خلال المدينة يتقدمه عامل يحمل الميزان والصنج ، وخلفه الجلادون والخدم ، وهو يمر على الدكاكين والاسواق واحدا بعد الاخر يفحص الموازين والمكاييل ، ويستفسر عن ثمــن الماكولات ، ويتاكد من نظافتها ، واذا اكتشــف مخالفة ينزل العقاب بمرتكبها،وتذكر كتب التاريخ عقوبات فريدة انزلها المحتسب بالغشاشين ، كهذا الرجل الذى كان يبيع الكنافة ناقصة الوزن ، فامر المحتسب بجلوسه عارى المؤخرة فوق صينية الكنافة الساخنة ، واحيانا كان المحتسب يقطع جزءا مــن الاذن او الانف ، وكان هناك فى بداية القرن التاسع عشر محتسب اسمه مصطفى الكاشف مشهورا بقسوته،وفى مرة قابل رجلا مسنا يقود حمارا محملا بالبطيخ ، فاشار الى واحدة من اكبرها حجمــا وسال عن ثمنها ، فامسك العجوز بشحمة اذنــه وقال : اقطعها يا سيدى ، فاعاد عليه المحتسب السؤال مرة بعد مرة ، وكان الجواب واحدا ،



فاغتاظ المحتسب ، لكنه لم يتمالك ان ضحك وقال، هل انت مجنون ام اصم ؟ فقال العجوز : لا ،لست مجنونا ولا اصم لكننى اعرف اننى ان قلت ثمن البطيخة عشرة فضة فستقول ، اقطع اذنه ، واذا قلت خمسة فضة او فضة واحــدة فستقول اقطع اذنــه لذلك اختصرت الامر • ونجا الرجل لتهكمه ••

لكن هل كان ذلك يعنى ان العدالة مطلقة ؟يقال انه كان يسعى بين ايدى بعض المحتسبين رجل يحمل ميزانا اكبر حجما من الميزان المستعمل ، ويقــال ان قب الميزان كان انبوبة مجوفة بها زئبق ، فكان حامل الميزان يستطيع اذا عرف الذين رشوا سيده ان يرجح احدى الكفتين بسهولة •

صورة شاملة

واذا كان ادوارد لين قد قدم لنا صورة مفصلة للاسواق فى القرن التاسع عشر ، فان الرحالــة ابو الحسن الوزان الفاسى ، المعروف باســـم ليون الافريقى ، والذى زار مصر فى القـــرن السادس عشر يقدم لنا صورة شاملة :

« تمتلىء المدينة (القاهرة) بالصناع والتجار، ويكثرون بصفة خاصة فى شارع يمتد بين بابى النصر ، وباب زويلة ، فهنا يقيم اكثر نبلاء

القاهرة ،ويوجد فى هذا الطريق عدد من المدارس التى تثير الاعجاب بسبب حجمها وزخرفتها ،ويضم احد الاحياء ، وهو الذى يسمى بين القصرين محلات تبيع اللحم المطهو ، ويبلغ عددها ستين محلا ، مزودة باطباق من الصفيح ، وفى محلات اخرى يباع ماء الزهر ،وماءالورد ،وهو يحفظ فى قنان من الزجاج او فى علب من الصفيح مزينة برسوم فنية ، وهناك حوانيت اخرى تختص ببيع انواع ممتازة من الحلوى تختلف عن تلك التى تباع عادة فى اوروبا • وهناك نوعان من هذه الحلوى ، نوع يصنع من العسل وآخر يصنع من السكر ، ويأتى بعد ذلك تجار الفاكهة الذين يبيعون الفواكه السورية التى لاتنمو فى مصر ، مثل الكمثرى ، والسفرجل ،والرمان ويتخلل هذه الحوانيت محال اخرى تبيع المقليات من البيض والجبن ،وعلى مقربة منها منطقة يشغلها بعض اصحاب الحرف الرفيعة ، وبعد ذلك توجد المدرسة الجديدة التى بناها السلطان الغورى ، وبعد المدرسة توجد «فنادق»(٢) المنسوجات (اى اسواقها) وكل فندق يشتمل على عدد كبير من الحوانيت ، ففى الفندق الاول ،تباع الاقمشة الاجنبية من احسن الانواع ،مثل تلك التى تاتى من بعلبك، وهى نسيج قطن رفيع ، والمنسوجات التى تاتى من الموصل ، وهى التى حازت اعجاب الناس بسبب رقتها ومتانتها ويستخدمها علية القوم ورؤساؤهم لقمصانهم وبعد ذلك تاتى الفنادق التى تباع فيها أجمل الاقمشة الايطالية مثل الحرير الدمقس والمخمل والتفتاه والبروكار • واؤكد لك باننى لم ار مثيلا لها فى ايطاليا حيث صنعت » •

ويقول متعجبا عند حديثه عن تجار الروائح العطرية ان هذه المنتجات كانت متوافرة بحيث اذا اراد الزبون ان يشترى درهم مسك عرض عليه التاجر مائة رطل لينتقى ويختار ،وكثيرا ماكانت تلك الاسواق تشهد مناسبات غريبة ، فاذا ماحدث وانتج احد الصناع عملا جميلا ، كان يرتدى رداء من الحرير ويطاف به بين الحوانيت يصحبه الموسيقيون فيما يشبه موكب النصر ،وقد شهد ليو الافريقى موكبا لرجل صنع سلسلة لبرغوث احتفظ به مقيدا على قطعة من الورق • كما راى احد اعمال القوة العظيمة التى قام بها احد السقائين الذين يسيرون فى الشوارع حاملين قربا من الجلد تتدلى من اعناقهم ،فقد تراهن مع شخص آخر ان يحمل قربة عجل مملوءة بالماء تشد اليه بسلسلة من الحديد ،وفعلا استمر هذا الرجل طيلة سبع ايام متتابعة من الصباح الى المساء يحمل هذه القربة التى علقت بسلسلة على على كتفه العارى ،ففاز بالرهان ، وحاز شرف موكب نصر عظيم تصحبه الموسيقى وجميع السقائين فى القاهرة الذين بلغ عددهم ثلاثة آلاف سقاء•

الوكالات

الوكالة وحدة تعتبر سوقا فى حد ذاتها ، ويمكن ان نعتبرها فندقا ايضا ، فالوكالة عبارة عن بناء كبير مربع الشكل فى معظم الاحيان او مستطيل، يتكون من عدة طوابق ،الطابق الاسفل يتكون من مخازن متجاورة تستعمل كدكاكين لعرض البضاعة ايضا ، وفوق الحوانيت حجرات صغيرة تستخدم كمساكن للتجار الغرباء الذين قطعوا ساعات طويلة عبر بلاد متعددة لعرض بضاعتهم فى القاهرة ولعل اشهر وكالة بقيت حتى الان هى وكالة الغورى التى اعيد ترميمها وتتبع وزارة الثقافة حاليا، ويقيم بها عدد من الفنانين الذين يستخدمون حجراتها كمراسم ، كما توجد بها بعض الاقسام العينيه التى نرعى العدد القليل المتبقى من الصناعات المنقرضة ، كصناعة خشب الخرط ، وتعشيق الزجاج بالجبس ،والتطعيم ،وفى بداية القرن التاسع عشر كان يوجد فى مصر اكثر من مائتى وكالة ، معظمها ازيل الان ، ولكن هناك وكالات قديمة جاء ذكرها فى خطط المقريزى ،مثل وكالة الصابون المجاورة لباب النصر ، والتى ذكرها تحت اسم خان قوصون ، ووكالة بازرعة بالجمالية ، ووكالة القطن ،وكل وكالة لها باب واحد يقفل ليلا ويحرسه بواب •

لقد ولت اسواق القاهرة القديمة والتى كانت تعكس فى تصميمها اوسلوب حياتها فيما وعادات لم تعد موجودة الان ، واذا كانت الاصالة لاتزال تتشبث ببعض اركان المدينة القديمة ، فاننا نجد فيها بقايا عتيقة تحاول الثبات فى وجه رياح التغيير والنيون والبوتيكات ،وذلك الطوفان النابع من كل ارجاء الدنيا

القاهرة ـ جمال الغيطانى

(٢) عد الوكالات •

قاضى

شعر : عيسى عصفور

المستشار بوزارة العدل ـ دمشق

طاوى الجناحين لارى ولا شبع ... قاض ، ويقضى عليه البؤس والهلع
فى بردة نسجها زهد ومأثرة ... يزينها الخالدان : الطهر والورع
يشكو الصغار له عريا ومسغبة ... والناس من حوله صم فما سمعوا
تمر من حوله اللذات سادرة ... وأين من عيشه اللذات والمتع ؟
وأول الشهر يلفى مثل آخره ... وتستوى عنده الآحاد والجمع
يفنى الليالى ايثارا ومكرمة ... لا الجد اجدى ولا اصحابه شفعوا
تخاله من صفاء الروح فى دعة ... وفى الملفات من أنفاسه قطع
ان كنت عفا فقد ضاقت مسالكها ... او كنت ذا حظوة فالامر متسع
كم طالعين بلا علم ولا خلق ... لولا النفاق الذى عاشوه ما طلعوا
حطم بكفيك قيثارا لهوت به ... فأنت فى جوقة العزاف مستمع
ورب دهر يموت الحق من سفه ... فيه ، وينتصر التضليل والخدع
اين الثلاثون من اعوامك اندثرت ... تبارك الفقر ، لا اثم ولا طمع
يستصغرونك تصنيفا ومرتبة ... وفى فؤادك للعلياء منتجع
ويحسبونك فى تعدادهم رقما ... كأنما الفكر فى أسواقهم سلع
ويمنعونك اذ تعطى ، فلا أسف ... فى حسبة الله ما تعطى وما منعوا
كم جولة لك فى ساح الجهاد روت ... انباء روعتها ارض ، ومجتمع
أليس فيك لدى الجلى وكربتها ... بقية من شفار السيف تلتمع
لا كنت من يعرب ان لم تعد لها ... قلب الكريم وعزما ليس ينصدع



لقمان وأمثالنا العربية

نشرت مجلة العربي في عددها ٢٢٨ مقالا لي بعنوان « هكذا تكلمت الحيوانات » وقد ارسل الاستاذ احسان جعفر من اللاذقية ثلاث ملاحظات على هذا المقال جاء في احداها ان لقمان الحكيم لم يكن عبدا حبشيا وان في التراث اكثر من لقمان ، فهناك لقمان عاد (القبيلة اليمنية البائدة)، وهو غير لقمان الحكيم المذكور في القرآن الكريم • اما «أمثال لقمان» المطبوعة في كتاب، فليست للقمان عاد ولا للقمان الحكيم وانما هي محض تلفيق منسوج ، وسارد في هذا المقال على هذه الملاحظة أما الملاحظتان الاخريان فسنرجيء الحديث عنهما الان •

بقلم : يوسف الشاروني

■ لعل لقمان اشهر حكيم من حكماء الامثال عرفه العرب قديما • وقد قام الدكتور عبد المجيد عابدين بدراسة هذه الشخصية الادبية في كتاب الامثال فوجد ان تطورها يساير الى حد كبير تطور المثل العربي في مراحله الثلاث : المرحلة الجاهلية والامثال فيها في صورتها المضطربة البسيطة ، المرسلة على السجية ، النابعة من صميم البيئة • وترسم هذه المرحلة خطا واضحا في الاستعمال العام في تاريخ الادب العربي الى ان ضعف النفوذ العربي في اواخر القرن الاول الهجري • ثم المرحلة الكتابية ، وفيها دخل التانق على الامثال وهذبتها الصنعة ، وظهرت عليها آثار التامل البعيد ، اي ان اسلوبها كتابي تظهر فيه صفة التركيب ، ورؤية الكاتب ، وتامل المفكر ، وهو يمثل خطا واضحا تبدا بواكيره في الجاهلية ، ثم يزدهر بظهور الاسلام ونزول القرآن الكريم ، وعناية المسلمين بالحكمة والتعليم الديني والدنيوي • ويشق هذا الاتجاه طريقه خلال العصور • واخيرا المرحلة المولدة وتبدا حيث يضعف النفوذ العربي وتطغى موجات اجنبية ، لا سيما ارامية على العالم الاسلامي ، فتغير من اساليب الحياة والتفكير والتعبير جميعا ، ويأخذ المثل العربي القديم في الانحلال ، ويحل محله امثال مولدة ، وذلك منذ القرن الثاني للهجرة •

وآثار لقمان في كل مرحلة من هذه المراحل تتميز عن الاخرى في وضوح وجلاء ، الامر الذي حدا بالمفسرين الى اعتبار لقمان الجاهلي غير لقمان الحكيم المذكور في القرآن • وجعل بعض الفرنجة يعدون لقمان علما على شخصين او ثلاثة• وقد رأى برنارد هيللر في مقالته القيمة في دائرة المعارف الاسلامية ان قصة لقمان مرت بثلاث خطوات رئيسية : اولاها لقمان في الجاهلية ، تليها لقمان القرآني ، وتنتهي بلقمان صانع الخرافة ، وهو الذي ظهر بعد عصر القرآن •

لقمان الجاهلي

اما لقمان الجاهلي فقد اختلف النسابون في نسبه ، فقيل هو لقمان بن عاد وابنه لميم وا[illegible] صعر وزوجته براقش • ويبدو ان هذا هو

ما انتهى الينا من نسب لقمان ، اما ما ذكر من انساب اخرى فلعلها جاءت متاخرة وكانت محاولات للتوفيق بين لقمان وشخصيات اخرى وردت فى الكتب والاخبار القديمة .

ولقمان الجاهلى يمثل فيما يروى عنه البطل الاسطورى ، فهو عملاق هائل له جسم ضخم ورأس عظيم يضرب به المثل . وهو شديد البنية يضرب بشدتها المثل فيقال : اشد من لقمان العادى وله بصر حاد خارق للعادة حتى انهم جعلوا زرقاء اليمامة من بناته . وهو فوق ذلك يجيد الرماية بالسهام والنبال الى حد خارق للعادة . ثم هو اكول يتغذى بجزور (ما يصلح لان يذبح من الابل). ويدور عدد من قصصه حول الطعام واكله ، حتى قيل فى المثل : «آكل من لقمان». ويفترض الدكتور عبد المجيد عابدين ان هناك صلة بين اصل تسمية لقمان وما نسب اليه من كثرة الاكل ، بمعنى ان لقمان قد يكون مشتقا من لقم يلقم : اذا اسرع فى الاكل . فلقمان معناها السريع فى الاكل . ثم هو طويل العمر جدا ، يبلغ خمسمائة وستين سنة، وهو فى الدرجة الثانية من المعمرين بعد الخضر كما يقول السجستانى فى « كتاب المعمرين من العرب » ، ثم زاد هذا الرقم فى قصص مختلفة فبلغ الف سنة . وثلاثة الاف سنة وثلاثة الاف وخمسمائة سنة . وهو ميال الى البناء وانشاء المدن، وفى اخبار لقمان انه بنى سد مارب .

واذا نظرنا فى قصص لقمان لاحظنا ترديدا ملحا للعلاقة بين الرجل والمراة ، وهذه القصص فى مجموعها تدلنا على ان المراة فى نظره لاتخلص لرجلها . وهو فى هذه القصص حريص على هذه العلاقة ، يعاقب من يقطعها بالخيانة اشد العقاب. تزوج عدة نساء كلهن خنه فى انفسهن ، فلما قتل اخراهن ونزل من الجبل كان اول من تلقاه صحر ابنته ، فوثب عليها وقتلها قائلا : وانت ايضا امراة . وكانت له اخت محمقة اى تلد الحمقى ، وكان لقمان منجبا اى يلد النجباء ، فاحتالت حتى وقعها دون ان يعلم (مثلما فعلت بنات لوط فى سفر التكوين بالتوراة) . فحبلت بلقيم فهو ابنه وابن اخته .

فلقمان هو صاحب المثل : « ويل للشجى من خلى » . وحكاية ذلك المثل ان لقمان كان قد نزل بقبيلة ، فراى امراة قد انتبذت من بيوت الحى ، فانبرى لها رجل ، فمضيا جميعا حتى انفردا ، وذلك بحيث يرى لقمان ويسمع . فقالت المراة للرجل : انى اتماوت على اهلى ناذا وضعونى فى قبرى جئت انت فاخرجتنى ، وتنكرت فلا يعرفنى احد . فقال الرجل : افعلى . وكان الزوج اسمه « الشجى » والخليل اسمه الخلى فقال لقمان : « ويل للشجى من الخلى» ، اى ويل للزوج من العشيق ، فذهبت مثلا .

ومن قصص لقمان التى ذهبت فيها كلماته امثالا ، تلك القصة التى توضح موقفه من الخيانة الزوجية :

بينما كان لقمان يسير ذات يوم اذ اصابه عطش ، فهجم على مظلة فى فنائها امراة تداعب رجلا ، فاستسقى لقمان ، فقالت المراة :

- اللبن تبغى أم الماء .
- ايهما كان ولا عداء . (فذهبت مثلا)
- اما اللبن فخلفك ، واما الماء فامامك .
- المنع كان اوجز . (فذهبت مثلا)

فبينما هو كذلك اذ نظر الى صبى فى البيت يبكى فلا يكترث له ، ويستسقى فلا يسقى ، فقال:

- ان لم يكن لكم فى هذا الصبى حاجة دفعتموه الى فكفلته .
- ذاك الى هانىء زوجى .
- وهانىء من العدد ؟ (فذهبت مثلا)
- ومن هذا الشاب الى جنبك ؟ فقد علمته ليس ببعلك .
- هذا اخى .
- رب اخ لك لم تلده امك (فذهبت مثلا)

ثم نظر الى اثر زوجها فى فتل شعر الخيمة ، فعرف انه اعسر فقال :

ثكلت الاعيسر امه ، لو يعلم العلم لطال غمه .
فذعرت المراة من قوله ذعرا شديدا ، فعرضت عليه الطعام والشراب فابى وقال :

- المبيت على الطوى حتى تنال به كريم المثوى ، خير من اتيان ما لا تهوى . (فذهبت مثلا)
ثم مضى ، حتى اذا كان مع العشاء اذا هو برجل يسوق ابله وهو يرتجز ويقول :

روحى الى الحى فان نفسى
رهينـة فيهم بخيـر عـرس
حسانـة المقلـة ذات أنس
لا يشترى اليوم لها بأمس

فعرف لقمان صوته ، ولم يره ، فهتف به :

ـ يا هانىء • يا هانىء •

ـ ما بالك ؟

قال :

يا ذا البجاد الحلكة
والزوجة المشتركة
عش رويدا ابلكه
لست لمن ليست لكه

ـ نور نور ، لله ابوك •

ـ على التنوير ، وعليك التغيير ، ان كان عندك نكير ، كل امرىء فى بيته أمير (فذهبت مثلا) انى مررت وبى أوام ، فدفعت الى بيت • فاذا أنا بامراتك تغازل رجلا فسالتها عنه ، فزعمتـه أخاها ، ولو كان اخاها لجلى عن نفسه ، وكفاها مؤونة الكلام •

ـ وكيف علمت ان المنزل منزلي والمراه امرأتى؟

ـ عرفت عقائق هذه النؤق فى البناء بوحـدة الغلية فى الفناء ، وسمب هذه الناب واثـر يدك فى الاطناب •

ـ صدقتنى فداك أبى وأمى • وكذبتنى نفسى فما الراى ؟

ـ هل لك علم ؟

ـ نعم ، بشانى •

ـ كل امرىء بشانه عليم • (فذهبت مثلا)

ـ هل بقيت بعد هذه ؟

ـ نعم •

ـ وما هو ؟

ـ تحمى نفسك وتحفظ عرسك •

ـ افعل •

ـ من يفعل الخير يجد الخير • (فذهبت مثلا)• والراى ان تقلب الظهر بطنا والبطن ظهرا ، حتى يستبين لك الامر أمرا •

ـ أفلا اعالجها بكية ، توردها المنية •

ـ آخر الدواء الكى • (فارسلها مثلا) •

ثم انطلق الرجل حتى أتى امراته فقص عليها القصة ولم يزل يضربها حتى بردت •

ونشاة مثل هذه الشخصية فى مثل هذا الزمن السحيق ، والتفاف القوميات المختلفة حول هذه الشخصية على مر العصور ، والاعتماد على الرواية الشفوية فى كثير من الاحيان ـ كل ذلك عرض هذه الشخصية لكثير من التطور العميق ، فقبل الاسلام كان اليهود يسعون الى خلق قومية حميرية مصبوغة بصبغتهم ، وكان منهم جماعات أقاموا فى موطن عاد القديم من الاحقاف • وكانت حمير قد تهودت على يد ذى نواس ويبدو ان شخصيـة لقمان كانت من ذلك التراث الذى تناولوه بالتغيير حرصا على ضمه اليهم ، وتغذيته بعناصر كتابية ، كقصة الاستسقاء ، وقصة النسور السبعة •

فحين ارتكبت عاد الخطيئة باهانتها لنبيها هود ـ حين دعاهم الى الله فحمل عليه رجل من سفهائهم بحجر فادمى كعبه ـ دعا عليهم ان يبتليهم الله بالقحط ، ويحبس عنهم المطر ثلاث سنوات ، فاستجاب الله له ، فحبس عنهم المطر وابتلاهم بالقحط حتى ارهقهم ذلك ، فاجمعوا على ايفاد وفد الى بيت الله الحرام بمكة يستفى الغيث ، واعدوا من عظمائهم واشرفهم سبعين رجلا ، ثم وضعوا على السبعين « قيل بن عنز » ـ وهو راسهم وصاحب امرهم ـ ولقمان بن عاد وآخرين وكان اهل مكة اذ ذاك من العماليق ، وسيدهم معاوية بن بكر ، وكان قد تزوج امراة من عاد • فلما نزلوا مكة اقاموا عنده شهرا وهو يكرمهم ، تغنيهم قينتان له يقال لهما : الجرادتان ، فنسوا انفسهم ، ومعاوية محرج ان ينبههم الى ما جاءوا من اجله حيث انهم ضيوف عليه ، حتى احتال على ذلك بغناء ووضعـه على لسان جاريتيـه • فلما تذكروا مهمتهم قام فيهم أبو سعيد المؤمن (لاحظ لقبه) يـدعوهم الى الايمان بنبيهم هود عليه السلام وبربهم ، فكرهوا قوله وردوا النصيحة • وحين هم الوفد بالسير الى الكعبة سالوا مضيفهم ان يحبس ابا سعيد فاستجاب لهم ، وامتنع لقمان ابن عاد معه• اما بقية الوفد فلاذوا بالكعبة يستسقون لقومهم ، فارسل الله ثلاث سحابات اختار زعيمهم أحدها ، غير أن السحابة ما وصلت عاد حتى أمطرت وابلا خرب البلاد ، ولم تترك منهم احدا الا هزيلة بنت هزال العملقية وبنيها ـ وهى امراة ابى سعيد المؤمن ـ فان الله نجاهم من العذاب بايمان اصحابهم، وامر الله سبحانه وتعالى الريح فحملتهم برفق ـ هى وولدها ـ لم تؤذهم حتى اتت بهم مكة فالقتهم فى منزل معاوية بن بكر الذى فيه وفد عاد واصحابه• ومنها علموا ما أنزل الله بقومهم من العذاب •

فاقاموا بالحرم سبع سنين ، ثم تذكروا الاوطان ، فعادوا الى ارضهم بالاحقاف • ورأوا ما نزل بقومهم ، فدعوا الله عز وجل ، *وقالوا : « اللهم*

العقنا بقومنا وانزل بنا ما انزلت بهم » . فاماتهم الله بصاعقة من السماء فدمرتهم .

أما ابو سعيد المؤمن ولقمان فكانا قد انطلقا لى البيت العتيق بعد عودة وفدهما من هناك الى حيث ينزلون ضيوفا على معاوية بن بكر . فتقدم أبو سعيد المومن ولاذ بالكعبة حيث طلب ابو سعيد البر والتقوى فاجيب اليهما . اما لقمان بن عاد فدعا وتضرع وقال : « اللهم انى لم آتك وافدا الا لنفسى فاعطنى سؤلى » . فسمع مناديا من السماء يقول«يالقمان بنعاد يالقمان بنعاد.ماجئت تطلب،و،اتريد فاسال تعطه.قالجئت اطلب العمر. فنودى: اخترعمرسبعةانسرحين تنفلق عن الفرخ البيضة، فاذا هلك نسر أعقب نسر آخر . او تبقى سبع بقرات سمر ، من سنوات عفر ، فى جبل وعر ، لا يمسها قطر » . فاختار لقمان عمر سبعة انسر. فنودى « قد أوتيت سؤلك ، ولا سبيل الى الخلود،. فانصرف لقمان وابوسعيد الىالوفد فىمنزل معاوية وابنه بمكه ، واقاموا معا حتى اتاهم نبا هلاك عاد . وعاش لقمان عمر سبعة انسر ، فكان ياخذ فرخ النسرالذكرفيجعله فى الجبل الذى هو أصله (اى بيئته) ، فيعيش فيها ما عاش . فاذامات أخذ آخر حتى آخرها لبد ، وكان اطول عمرا . فقيل : « طال الابد على لبد . » .

وقد حكىعبيد بنشرية فى كتابه «اخبار ملوك اليمن » شعرا على لسان لقمان يقوله عند موت كل نسر من النسور السبعة التى وعده الله أن يعيش عمرها جميعا فعبيد يقف عند كل نسر منها يذكر كيف عثر عليه لقمان ، ثم كيف عاش مع لقمان ، ثم كيف مات النسر ، وما قاله فيه لقمان من شعر . وانت تحس فى هذه القطع الشعرية تدرجا نحو الياس والمرارة والخوف يزداد شدة من قطعة الى قطعة ، حتى اذا ما وصلنا الى القطعة السابعة وجدنا نغمة الياس والمرارة تصل الى قمتها . بل تكاد القطعة الاخيرة التى يرثى بها النسر السابع ونفسه تكونصرخة عميقةالجذور تحمل كل معانى الاسى والياس بل والحنق المليء بالمرارة . وهذه القطع التى يوردها عبيد على لسان لقمان تحكى احساس رجل يموت سبع مرات ، عند موت كل نسر يحس انه يقترب من الموت خطوة ، ويوقظه موت النسر لحظات ينتزعه فيها من الحياة ليريه النهاية المحتومة المقدرة .

لقمان الكتابى

وقبيل الاسلام اشتهر لقمان بالحكمة الكتابية . بعد ان كان صانع أمثال شعبية ، تكاد تكون خالية من النغمة الكتابية الظاهرة . ولم يكد يظهر الاسلام فى شبه الجزيرة حتى كان عرب اليمن الذين سكنوا فى الحجاز واتصلوا بالجانبالغربى من شبه الجزيرة قد مهدوا لظهور لقمان الجديد. لقمان القرآنى .

فنرى كعب الاحبار ووهب بن منبه ، وهما من اليهود الذين اسلموا . يذيعان عددا من اخبار لقمان .

وزعم الرواة ان عرب الجاهلية كانت عندهم «مجلة لقمان » وفيها الحكم والعلم والامثلة ، وان جماعة منهم قد قرأوها وامتلكوها ، وذكروا من جملتهم « سويد بن الصامت » الذى رووا انه كان يقراها وانه اخبر الرسول بها لما قدم عليه .

وقد فرق الجاحظ بين لقمان بن عاد ولقمان القرآنى اذ قال : « وكانت العرب تعظم شان لقمان ابنعاد .... ، ولقيم بن لقمان فىالنباهةوالقدر، وفى العلم والحكم ، وفى اللسان وفى الحلم . وهذان غير لقمان الحكيم المذكور فى القرآن على ما يقوله المفسرون » .

قال تعالى « ولقد آتينا لقمان الحكمة ان اشكر الله ، ومن يشكر فانما يشكر لنفسه ، ومن كفر فان الله غنى حميد » (سورة لقمان آية ٢٣) وفى الايات التى تلتهذه الاية ، حكى القرآن عنلقمان اقوالا دالة على التقوى ، وحاثة على الايمان بالله وحب الوالدين ، واقامة الصلاة والامر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، والتمسك بالصبر والتواضع . وفى هذا كله روح اسلامى ظاهر يدلنا على ان لقمان فى القرآن الكريم ، وان كان سمى لقمان الجاهلى فهو شخصية اخرى ليس بينها وبين لقمان الجاهلى شبه ما . وينبه الدكتور عبدالمجيد عابدين الى اننا لا نعرف شيئا محققا عن مدى الصلة بين حكمة لقمان التىوردت فى القرآن وما احتوته مجلة لقمان التى عرضها سويد بن الصامت على الرسول صلىالله عليه وسلم فى مكةحوالى عام ٦١٦ م . كما سبق ان ذكرنا ...

كل ما يمكن ان يقال عن هذه المجلة انها ربما احتوت عناصر كتابية ، ويسوقنا الىهذا الافتراض

ان سويد كان ممن عرفوا الكتب وانه كان من اهل المدينة • بينما يربط بعض الباحثين بين لقمان القرآني واحيقار ــ أو حيقار كما يسمى احيانا في العربية ــ وزير سنحريب ملك اشور ، وكان مشهورا بحكمته • وتتلخص قصته في انه كان غنيا وحكيما ، وكان قد حرم من انجاب الولد فغشيه الهم والحزن ، ودعا الالهة وصلى لهم ، فلم ينفع ذلك شيئا ، وتزوج ستين امراة لعله ينجب ولدا يرث حكمة ابيه وثروته وسلطانه ، لكنه لم يرزق الولد • وكان له ابن أخت يسمى « نادان » او « تاداب » ، فوضع فيه آماله ، وبالغ في تربيته وتعليمه الحكمة حتى يكون خلفا له فـي خدمـة سنحريب • واسدى اليه احيقار عددا كبيرا من الوصايا والحكم (٦٦ حكمه في النسخة العربية)• فلما اتم تعليمه سلم اليه ثروته وبيعته ، ولكن نادان حين وجد ان امره بيده ، وثروة خاله في قبضته ، تمرد عليه ، وهزىء بشيخوخته وبدد ماله ، فامره الملك بالتخلي عن ثروة خاله ، وعاود احيقار عليه النصيحة (٣٦ حكمة في النسخة العربية) وعاتبه على ما صنع ، فتاثر نادان هذه المرة تاثرا شديدا ، وسرت العلة في بدنه ، فانتفخ جسمه ، وانشق بطنه ومات ، فصارت آخرته الهلاك ومضى الى جهنم •

ويرى رندل هاريس ان هناك تشابها بين لقمان واحيقار من حيث ان كلا منهما يحمل لقب الحكيم ويعظ ابنه مستخدما لفظ يا بني • كما ان بعض المفسرين امثال الثعلبي عن وهب بن منبه قالوا *ان لقمان هو ابن اخت ايوب ، وهو يقابل وصف نادان بالقياس الى احيقار ، كما ان هناك بعض التشابه الواضح في كل من القصتين بالرغم من اختلاف موضوعات العظة • ومن الواضح ان هذه الادلة غير كافية لاثبات الصلة* بين « احيقار » « ولقمان القرآني » ، فاستخدام لفظ « يابني » ليس مقصورا على حكمة لقمان واحيقار بل هو امـر شائع في الحكمة الكتابية ، اما تشابه احـدى العبارات فليس دليلا على ان الصلة بـين الشخصيتين صلة تاريخية • والظاهر ان العرب القدماء قد ربطوا بين الشخصيتين وان لم يذكروا اسم احيقار صريحا • والا فكيف نفهم هذا التحول الفجائي الذي صنعته مصادر ابن قتيبة والسهيلي في تسمية ابن لقمان ناران او ثاران بدلا مـن الاسم القديم « لقيم » • ويعلل الدكتور عبدالمجيد عابدين هذا التحول بانهم وجدوا شيئا من التشابه بين قصة احيقار وابن اخته ناران ــ او بين قصة أخذت منها ــ وبين ما حكاه القران الكريم عـن لقمان • فجعلوا ابنه ثاران او ناران ــ ولعلـه نادان ــ ليكون لقمان هو احيقار تبعا لذلك • وقد عرف العرب القدماء احيقار باسمه من مصادر كتابية • فقد ذكره عدي بن زيد شاعر الحيرة المسيحي •

ويستطرد الدكتور عبد المجيد عابدين قائـلا ان العلماء القدماء لم يقتصروا على ربط لقمان باحيقار ، بل اوجدوا الصلة بينه وبين شخصية اخرى هي بلعام • فيروى القرطبي عن محمد بن اسحاق انه هو لقمان بن باعواره بن ناحور بن تارح • وعن وهب بن منبه انه كان ابن اخت أيوب عليه السلام • ويقول ابن قتيبه انه كان في زمن داود عليه السلام ، واسم ابنه ناران ولم يكن نبيا في قول اكثر الناس • وهذا تحويل آخـر لنسب لقمان بجانب ما حدث من تحويل في اسم ابنه • فجعلوا نسب لقمان بن باعدر لانه نسب بلعام المعروف في التوراة هو بلعام بن يعور • وكانهم ارادوا ان يوحوا الى الناس بان لقمان في لفظه هو ترجمة لبلعام ، لان بلع ولقم كليهما بمعنى واحد ، حتى ان بعض الاجانب القدامى نقله عن العرب اذ قال : ان بلعام الذي يسمـى بالعربية لقمان قال كذا ••• وهذا ايضا ارتباط مصطنع ، *فبلعام لم يكن كلقمان رجلا موقرا ورعا تقيا • كما ان لا صلة بين اقوال بلعام وحكمـة لقمان • وبرجوعنا الى التوراة نجد ان بلعام كان عرافا في زمن موسى ، (سفر يشوع،آية ١٣)وليس* في زمن داود كما يقول ابن قتيبة،وقد جاءت قصته في التوراة من الاصحاح الثاني والعشرين حتى الاصحاح الرابع والعشرين من سفر العدد • ذلك ان بالاق ابن صفور ملك موآب لما راى جموع بني اسرائيل قد اقتربوا من مملكته فزع خوفا من يقضوا على الاخضر واليابس ، وطلب من بلعام ان يلعن له الشعب المغير ، فامره الرب الا يسمع كلام بالاق ، لكنه ركب اتانه وسار في طريقه الى ملك موآب ، فوقف ملاك الرب امام اتانه بحيث تستطع مواصلة سيرها مما اضطر بلعام الى يضربها ثلاث مرات ، وحينئذ كشف له ملاك الر

عن نفسه وأمره ان يواصل سيره شريطة الا يتكلم الا بما يوحى له فقط • وفعلا واصل طريقه ولم يتنبأ الا بانتصار اسرائيل على موآب • وربما كانت هده القصة هي التي جعلت المفسرين يربطون بين بلعام وبين قوله تعالى : « واتل عليهم نبأ الذى اتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين • سورة الاعراف اية ١٧٥ •

على أية حال فان هذه الروابط التي اصطنعها المفسرون والاخباريون بين لقمان وشخصيات الكتب السابقة ، كان لها تاثير في شرحهم لحكمة لقمان وتفسيرهم لشخصيته القرآنية ، فصاروا كلما وجدوا في الكتب القديمة شيئا عن احيقار وغيره نسبوه الى لقمان • وهكذا لا نلبث ان نجد فيما نسبوه الى لقمان آثارا اسرائيلية ،فجعلوه يزهد في الحكم لان الحاكم ظالم ، ويفضل الذل على الشرف«ومن سكن في الدنيا ذليلا فذلك خير من ان يكون شريفا • ومن يختر الدنيا على الاخرة نفته الدنيا ولا يصيب الاخرة» ، ثم نودى على داود فقبل الخلافة فهوى في الخطيئة غير مرة ، كل ذلك ويعفو الله عنه • وكان لقمان يؤازره بحكمته • فقال له داود : طوبى لك يا نعمان • اعطيت الحكمة وصرف عنك البلاء ، واعطى داود الخلافة وابتلى بالبلاء والفتنة•وواضح انتفضيل الذل على الشرف واعتزال الحياة ، والاشارة الى تعاصر داود ولقمان ، كل ذلك يدل على تغلغل نزعات غير عربية في شخصية لقمان •

فلقمان القرآني مختلف تماما عن أحيقار وبلعام ، اختلافه عن لقمان الجاهلي وليست هناك ضرورة للتعسف في اخضاع الروابط على هذا النحو •

لقمان المولد

اما لقمان المولد فهو صورة جديدة من لقمان لم تعرف من قبل ، فلقمان هذه المرة ليس بطلا اسطوريا كما كان في الجاهلية ، وليس وزيرا ولا نبيا ولا قاضيا من قضاة بنى اسرائيل ، لكنه الان عبد حبشى كان لرجل ببنى اسرائيل كما يقول الثعلبى ، أو كما يقول السهيلى مغربى من اهل ايلة – وتقع على راس خليج العقبة وكانت قديما من المدن الارامية ، او من سودان مصر له مشافر

أى عظيم الشفتين كما يقول سعيد بن المسيب • قال لقمان لرجل ينظر اليه : ان كنت ترانى غليظ الشفتين فانه يخرج من بينهما كلام رقيق ، وان كنت ترانى اسود فقلبى ابيض • بينما يزعم المسعودى انه كان مغربيا ، وانه كان مولى للقين ابن جسر ، ولد على عشر سنين من ملك داود ، وكان عبدا صالحا من الله عليه بالحكمة ، ولم يزل باقيا على الارض مظهرا للحكمة في هذا العالم ايام يونس بن متى حين ارسل الى ارض نينوى في بلاد الموصل • وقد اعتقه سيده واعطاه ماله • اما حرفته فكان خياطا او نجارا او راعيا• وتنسب كثير من هذه الروايات الى سعيد بن المسيب المخزومى ، المتوفى عام ٩٣ هـ وهو من التابعين •

في هذا الدور تنسب الى لقمان طائفه من الخرافات . فيطلع الناس – لاول مرة في الادب العربى – على كتاب لامثال لقمان يرجع تاريخ تدوينه الى نهاية القرن السابع الهجرى ٦٩٩ هـ – ١٢٩٩ م • ظهرت منه نسخة خطية في باريس وطبعت عدة مرات اقدمها طبعة نيدن عام ١٦١٥ ، ولقيت عناية من الباحثين الغربيين •

والكتاب في صيغته ومادته غريب عن المثل العربى القديم ، ولم يشر الى شىء مما يتصل بمضمونه احد من العرب السابقين • وقد لاحظ برنارد هلر ان الحيوان الذى كان يستوطن بلاد العرب ويكثر فيها كالنعامة والضبع والثعلب والجمل لا وجود لها في هذه الخرافات ، كما نبه الى ركاكة الاسلوب وكثرة الاخطاء النحوية والصرفية • مثال ذلك قصة أسد وثعلب •

اسد مرة ، اشتد عليه حر الشمس ، فدخل الى بعض المغائر يتظلل بها ، فلما ربض أتى اليه جرذ يمشى على ظهره ، فوثب قائما ، فنظر يمينا ويسارا وهو خائف مرعوب ، فنظره الثعلب فضحك عليه ، فقال له الاسد : ليس من الجرذ خوفى وانما كبر على احتقارى •

هذا معناه ان الهوان على العاقل اشد من الموت •

وركاكة الاسلوب واضحة كاول كلمتين فيها ، وكلمة تضحك •

وهناك من يرى ان هذه الخرافات المنسوبة الى

لقمان هي مجموعة من خرافات ايسوب نقلت الى العربية . ولكن القرائن تدل على ان هذه الامثال الخرافية وان نسبت الى ايسوب ، لم ترد الينا عن طريق اليونان . ولكن عن طريق الاراميين • فلقمان المولد صورة معرفة من ايسوب ، ولقمان هنا عبد حبشي ، كذلك كان ايسوب عبدا لرجلين من اهل ساموس اعتقه احدهما مكافاة له على ذكائه •• وامثال لقمان المطبوعة احدى واربعون خرافة معظمها حيواني له نظائر في خرافات ايوب المنقولة الى السريانية •

ومع ذلك فقد وجدت قصص على لسان لقمان قبل تاريخ هذه المخطوطة اما ماخوذه من قصص ايسوب او هما معا من مصدر آخر واحد ، مثال ذلك ما جا في تفسير القرطبي المتوفى عام ٦٧١هـ• اى ان وفاته كانت قبل تاريخ تدوين المخطوطة بحوالي ثلاثين عاما ، وهو يسند القصة الى خالد الربعي الذي يقول ان لقمان كان نجارا ، فقال له سيده : اذبح لي شاة وائتني باطيبها مضغتين فاتاه باللسان والقلب . فقال له : ما كان فيها شيء أطيب من هذين ؟ فسكت • ثم امره بذبح شاة اخرى ثم قال له : ألق اخبثها مضغتين ، فالقى باللسان والقلب • فقال له : أمرتك ان تاتيني باطيب مضغتين فاتيتني باللسان والقلب ، وامرتك ان تلقي اخبثها فالقيت اللسان والقلب ؟ فقال له : انه ليس شي أطيب منهما اذا طابا ولا أخبث منهما اذا خبثا • ثم يورد القرطبي حديثا جاء فيه « الا وان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله الا وهي القلب» •

وهذه القصة شبيهة بقصة ايوب حين اعتزم سيده اقامة حفل كبير لاصدقائه . وطلب من عبده ان يشتري اجود ما في السوق ، فلم يبتع الا صنفا واحدا هو الالسنة : لسان الضان . ولسان الثور. ولسان الخنزير ، ولسان العصفور • فلما غضب منه سيده أجابه : وماذا هناك افضل من اللسان • يمكن أن يكون ايضا اسوأ ما في الانسان •

■■

يوسف الشاروني

آب (أغسطس) ماذا يعني ؟

هو الشهر الحادي عشر من اشهر السنة الاسرائيلية المدنية ، والسادس من السنة القديمة عند الرومان التي تبدأ في أول شهر آذار .والثامن من السنة المتبعة الآن ، واسمه في اللغة الفرنسية Aout وبالانكليزية Augus. وقد سمي كذلك نسبة لاغسطس قيصر الذي جاء بعد يوليوس قيصر . فسمي هذا الشهر باسمه . وكان اسمه في الاصل سكستيلس Sextilis اي السادس • لانه كان السادس من سنتهم كما تقدم،وسبب اختيار أغسطس قيصر لهذا الشهر انه تقلد فيه منصب قنصليته الاولى او رئاسة الحكومة الرومانية ، واقام فيه ثلاثة احتفالات لانه فاز فيه بانقياد الجنود اليه وباخضاع البلاد المصرية،واخمدنيران حرب اهلية .ووافقه مجلس الشيوخ الروماني على تغيير اسم هذا الشهر واطلاق اسمه عليه رغبة في ارضائه •

كانت ايام هذا الشهر على عهد يوليوس قيصرثلاثين يوما، الا انه عندما جاء أغسطس قيصر وسماه باسمه ، زاد عليه يوما واحدا فاصبح عدد ايامه واحدا وثلاثين يوما ، وقصده من ذلك ان لا ينقص شهره في شيء عن الشهر الذي كان لسلفه يوليوس قيصر •

ولفظة آب سريانية ، استعملها النصارى لقبا للاقنوم الاول للتمييز بينه وبين الاب في اللغة العربية الذي يطلق على كل اب غير الاقنوم الاول• ومعنى كلمة آب بالفارسية الماء ، وسماه الجرمان القدماء شهر عصر الخمور ، ويرمز اليه عند الميثولوجيين بصورة رجل عريان ذي شعر منتثر بدون ترتيب وفي يديه اناء صغير كالقرن يشرب منه ، وبجانبه راس طاووس واناء كبير للشرب ، وهو في بلادنا شهر العنب ، وقد قيل فيه « آب اللهّاب فيه تقطف الاعناب » •

• حل مسابقة العدد ٢٣٤ •

	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢	١٣	١٤	١٥
١	ب	ا	ب	د	م	ش	ق	■	ا	ت	ا	ت	و	ر	ك
٢	ل	ى	ب	ى	ر	ى	ا	■	ل	ع	ن	■	ا	ن	ت
٣	ا	ن	■	ن	ق	■	ن	■	ب	د	ا	ن	ه	■	ب
٤	د	ش	م	ه	■	ا	و	ا	ن	ى	■	ا	ى	ن	■
٥	و	ت	ر	■	ا	ل	ن	س	ا	ن	ى	س	■	ع	ش
٦	ن	ى	ا	ج	ر	ا	■	ح	ن	■	ه	ر	ا	و	ه
٧	ا	ن	ف	■	ت	ل	ى	ق	■	ت	ب	■	ل	د	ى
٨	■	■	ع	م	ر	ب	ن	ا	ل	خ	ط	ا	ب	■	■
٩	ا	ل	ه	د	ى	■	س	ل	ى	م	ا	ل	ا	و	ل
١٠	ل	ت	■	ب	ا	ر	و	م	ت	ر	■	ق	ب	■	ث
١١	ج	ر	ى	ر	■	ص	ن	و	■	■	م	ا	ل	ا	ه
١٢	ى	■	ى	ه	د	ا	■	ص	ق	ر	ق	ر	ى	ش	■
١٣	ن	ا	س	■	ا	ص	ط	ل	ا	ح	■	س	و	ر	ى
١٤	ا	ل	ر	ا	س	■	ف	ى	ت	ا	م	ى	ن	ا	ت
١٥	ت	ا	ن	ه	و	ز	ر	■	م	ه	ج	ه	■	ق	م

عمر بن الخطاب

•

اسحاق الموصلي

اثنتـــان في واحدة :

(٨) افقيا : عمر بن الخطاب ، من الخلفاء الراشدين • اول من لقب بامير المؤمنـين • وثاني الخلفاء الراشدين ، يضرب بعدله المثل، في عهده تم فتح الامبراطورية الساسانيـة والبيزنطية • اغتاله مولى فارسى •

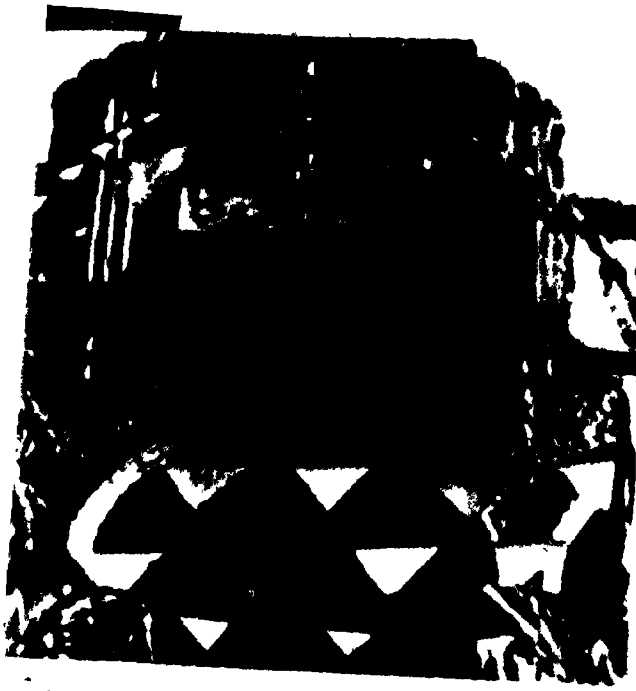
(٨) راسيا : اسحق الموصلي ، موسيقـي عربي قديم • من أشهر المغنين فـي العصر العباسى الاول • تعلم الحديث والقرآن والادب والغناء ، وكان منقطعا الى الرشيد والبرامكة• لم يسبقه أحد في فن الغناء والعزف علـى العود •

الفائزون بالجوائز

* الجائزة الاولى وقيمتها ٣٠ دينارا فاز بها . سيد حسن مرتضى الحسيني ـ الكويت
* الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارا فاز بها . عثمان باروتجي ـ حلب / سوريا
* الجائزة الثالثة وقيمتها ١٠ دنانير فاز بها : سعد عبدالله سعد عبدالله ـ المحرق/البحرين

٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا كلمنها خمسة دنانير فاز بها كل من :

١ ـ حسن محمد عليان هندى ـ عمان / الاردن
٢ ـ محمود عبدالرحمن على بلال ـ الخرطوم/ السودان
٣ ـ خليل ابراهيم جابر محمد ـ سكاكا ـ السعودية
٤ ـ عائدة محمد سعيد قدار ـ عدن / اليمن الديمقراطى
٥ ـ رضاب عبدالستار ابراهيم امين ـ الكاظمية/ العراق
٦ ـ نبيل محمد ابوبكر ـ الاسكندرية / مصر
٧ ـ مصطفى امين الايوبى ـ طرابلس / لبنان
٨ ـ العروصى محمد ـ مكناس / المغرب •



« المستشفى الاميرى القديم » يوم افتتاحه منذ اكثر من خمسة وثلاثين عاما .



جانب من المستشفى القديم الذى ذهب ، لقد كان قيامه حدثا فى حياة شعب الكويت والخليج .

استطلاع الكويت

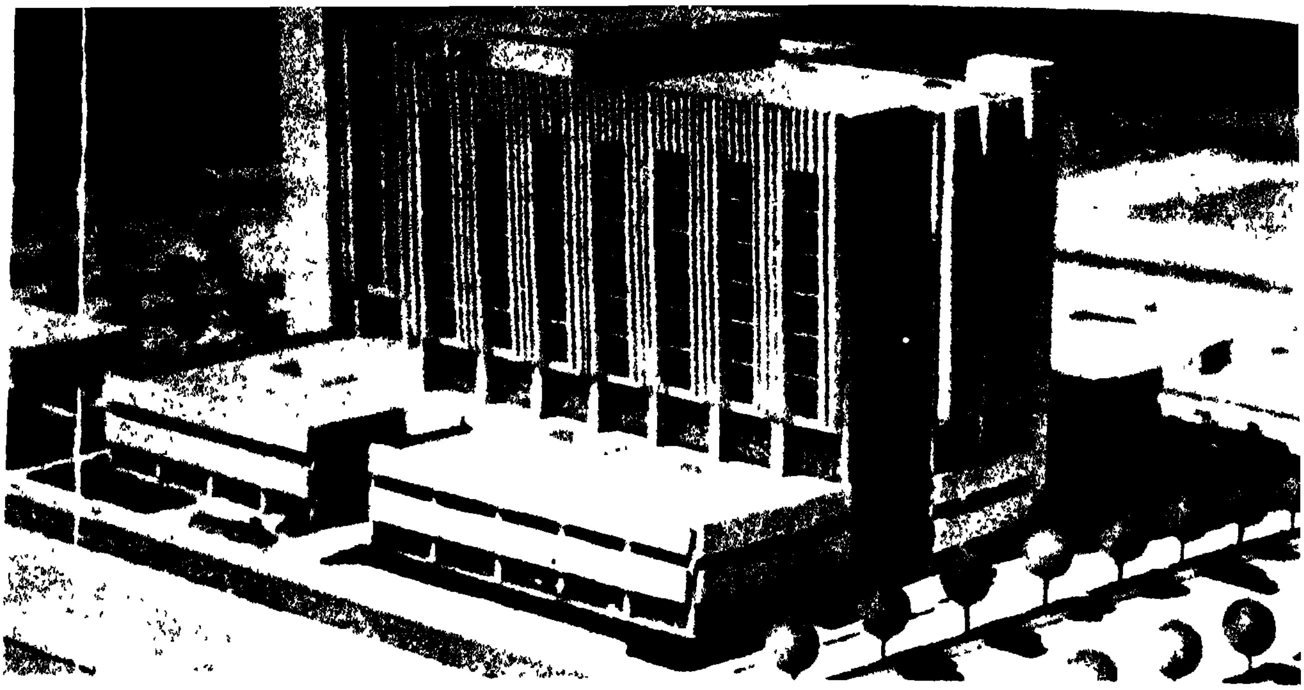
المستشفى الأميرى بين عهدين وحضارتين

بقلم : منير نصيف

■ تعب الجواد الاصيل ، انهكته الشيخوخة ، وهو الذى كان بالامس يصول ويجول . ولكنه يقاوم ولا يستسلم .. كان منظر صغاره وهى تنطلق امامه ومن حوله فى حيوية الشباب يضاعف من قدرته على الصمود فيرتفع صهيله خافتا ولكن فى زهو وكبرياء .. كان الجواد العجوز سعيدا بما صنع ، وبما قدم لصاحبه .. لقد ادى دوره ، وبقى يقاوم المرض ، ويحاول ان يصد عن جسده الضعيف آثار السنين ، ولكن الزمن يغلبه .

وكان صاحبه يرى ما صار اليه جواده فتدمع عيناه الما .. لقد كان رفيقه وصديقه ومؤنس وحدته .. ويلجا اخيرا الى القرار الصعب .. لابد ان يستريح .. ويسرع الى بندقيته ويصوبها الى راس الجواد المتعب العجوز فيذهب فى راحة ابدية!

ما اشبه قصة هذا الجواد وصاحبه ، بالبناء الكبير القديم الذى كان يشرف على مياه الخليج العربى بالامس القريب .. لقد شهد مولد دولة الكويت الحديثة منذ البداية .. وذهب المبنى ولكن الشاطئ مازال باقيا يشهد كل يوم معالم تلك الحضارة التى تزحف بسرعة الى هذه البقعة من



نموذج « المستشفى الاميرى » الجديد يجرى بناؤه فى نفس موقع المستشفى القديم على شاطىء الخليج العربى . وهو من أحدث المستشفيات فى المنطقة العربية كلها .

الارض العربية التى تنبض بالحياة والرفاه والخير .. انه المستشفى الاميرى .. اول واكبر مستشفى قام فى الكويت والخليج العربى منذ اكثر من خمسة وثلاثين عاما ..

ففى الشهور الاخيرة مع اقتراب نهاية العام الذى انقضى عام ١٩٧٧ ، صدر القرار الصعب ، بعد تردد طويل : « لا بد ان يزال المستشفى القديم العجوز بعد ان شاخت مبانيه وتداعت جدرانه ولم تفلح المحاولات التى بذلت لاعادة الحياة اليه ، وهو الذى اعاد الحياة لمئات الالوف من المرضى الذين لجأوا اليه يطلبون الشفاء » . وما كادت اعمال الهدم وازالة اكوام الطوب والحجارة تنتهى ، حتى بدأ العمل بالفعل فى بناء واحد من اكبر واحدث المستشفيات فى منطقتنا العربية .. فى نفس المكان فى نفس الموقع الذى قام فيه المستشفى العجوز وكان قيامه يومها بداية لنهضة صحية لم تعرف لها المنطقة مثيلا من قبل .. فقد كان هو المستشفى الأم « الذى تفرعت منه كل مستشفيات الكويت الحديثة اليوم » .

مع وزير الصحة

قال لنا وزير الصحة الكويتى الدكتور عبدالرحمن العوضى : « اليست هذه هى الحياة .. القديم ذهب ويندثر ليفسح مكانه لكل حديث جديد .. لقد كان المؤرخ الفيلسوف الانجليزى الكبير ارنولد تونبى يبكى ، كلما وقف يشهد الحضارات الحديثة وهى تقوم فوق انقاض الحضارات القديمة التى سادت ثم بادت .. ولقد احسسنا بالألم ونحن نرى المستشفى الاميرى احد مظاهر حضارة الامس القريب يذهب ليفسح لنا المكان لبناء مستشفى احدث واكبر منه .. لقد ذهب المستشفى القديم ، ولكن ذكرياته مع كل الذين عملوا فيه وعولجوا بين غرفه واجنحته ستبقى حية ابدا .. لقد كنا نتمنى لو اننا استطعنا ان نحتفظ به .. ولكن العلاج استعصى لهذا المبنى القديم الذى دخله اكثر من مليون مواطن على مدى هذه السنوات التى انقضت منذ انشائه ، واقاموا فى غرفه ، وخرجوا منه بعد ان من الله عليهم بالشفاء .. (ولا يدخل فى هذا العدد مئات الالوف من الحالات البسيطة التى عولجت فى العيادات الخارجية) .

ثم يقول الوزير : « ونحن نقوم ببناء احدث مستشفى فى الكويت .. مكان المستشفى القديم .. وسينتهى العمل فيه خلال ثلاث سنوات تقريبا .. ولكننا لن ننسى ابدا مستشفانا القديم .. ولن ننسى الدور الذى قام به مع مولد الخدمات الصحية التى كانت تقدمها الدولة لابنائها ولكل المقيمين وحتى لغير المقيمين فيها .. لقد كان هو الاصل .. وكل ما ترونه من مستشفيات ومن نهضة فى المجال الصحى فى البلاد اليوم هى فروع للمستشفى الاميرى الذى حمل اسم الامارة فى بداية ظهورها ونهضتها .. من اجل هذا سوف يضم المستشفى الجديد الذى يجرى بناؤه الآن ، وفى أبرز مكان من القاعة الكبيرة

فى الداخل ، نموذجا مجسما للمستشفى القديم الذى ذهب بعد ان ادى دوره ، وسيكون المجسم ظاهرا واضحا لا تخطئه العين ٠٠ على كل من يجيء الى المستشفى الجديد طالبا العلاج والدواء » ٠٠ ان المستشفى الجديد سيحمل نفس اسم المستشفى القديم ٠

الوفاء للماضى

وفاء للقديم ٠٠ وما أكثر ما تجد من مشاعر الوفاء عند الناس لكل ما هو قديم ، ولكل ما يمت للماضى بصلة من قريب او من بعيد ٠٠ الحاضر وحده لا يكفى ٠٠ ثم اليس هو امتدادا للماضى واستمرارا له !

يقول الحاج عبدالله عبدالرحمن العسعوسى وهو من أبناء الماضى الذين امتد بهم العمر فرأوا صورة الحياة الجديدة فوق ارض الكويت ٠٠ وقد كان الحاج العسعوسى مديرا لدائرة الصحة فى عهد المغفور له الشيخ أحمد الجابر الصباح ، حاكم الكويت ، قبل أن يجيء الشيخ صباح السالم الصباح امير الكويت الراحل رئيسا للصحة فيما بعد ٠٠ ماذا يقول ؟ انه يعود بذهنه الحاضروذاكرته التى لا تخطىء رغم بلوغه العام الثامن والثمانين ، يعود الى اليوم الذى شهد النواة الاولى لبناء المستشفى الاميرى ، يقول وكانه يقرأ من كتاب مفتوح : « بدأت الفكرة فكرة اقامة بناء مستشفى كويتى فى أوائل الاربعينات ان لم تخنى الذاكرة ٠ فقد كان المستشفى الوحيد القائم فى ذلك الوقت ، هو مستشفى الارسالية الامريكية، وقد كان له دور فى علاج الكثير من الحالاتولكنه لم يكن قادرا وحدهعلىاستقبالوعلاجكل الحالات٠٠ فلم يكن فى المستشفى سوى طبيب امريكى واحد !

وبدانا فى بيت صغير فيه مجموعة من الأسرة٠٠ وكانت بداية بسيطة متواضعة ولكنها كانت تعبر بصدق عن اهتمام المسئولين بصحة أبناء هذا البلد ورفاهيتهم ٠٠ وهى الروح التى بقيت تلازمالقائمين على الكويت فى مسيرتها نحو الغد وفى نهضتها وتقدمها الحضارى ٠٠ المواطن اولا ٠٠ وكل شيء من اجل المواطن وتوفير سبل الحياة الكريمة له ٠

فى الحرب الثانية

ثم قال : « ولكن سرعان ما اكتشفنا ونحن نعمل فى مستشفانا الصغير ، انه لم يعد مناسبا بحال من الاحوال لاستقبال وعلاج المرضى ٠٠ وعلى الفور بدانا التفكير جديا فى اقامة اول واكبر مستشفى فى المنطقة ٠٠ وتم اختيار الموقع ، وبدأت عملية تنفيذ البناء على الفور فى ظروف صعبة للغاية، فقد كانت الحرب العالمية الثانيه يشتعل اوراها ، والامكانيات كلها فى الدول المتحاربة موجهة الى المجهود العسكرى ٠٠ومع هذا مضينا فى مشروعنا ورحنا نسير به ، ينطلق احيانا ويتعثر احيانا حتى اكتمل فى النهاية بعد خمس او ست سنوات من بدء العمل فى بنائه ٠٠ ومن الرسوم الجمركيةالتى كانتتحصلها الكويت عن البضائع والسلعالمستوردة، تمت تغطية نفقات بناء المستشفى وتزويده بالاجهزة والمعدات الطبية فلم تكن الارض قد جادت بعد بما فى جوفها من خير ٠٠ لقد بلغت التكاليف

الدكتور يحيى الحديدى وسط ماتبقى من المستشفى القديم قبل ازالته تماما ٠٠ ورحلة اربعين عاما معه وفيه ٠

تصوير : أوسكار مترى





الدكتور عبد الرحمن العوضي
وزير الصحة .. اليست هذه
هى الحياة: القديم يذهب ليفسح
مكانه لكل حديث وجديد .



الحاج العسعوسى ..
ووفاء للقديم ..

وقتها ٥٢ الف روبية (خمسة آلاف دينار كويتى) ويبتسم الحاج العسعوسى وهو يذكر هذا الرقم ثم يقول : « لقد كانت الدنيا بخير .. وكانت الحياة رخيصة .. وكان للمال قيمة .. اى قيمة .. اين اليوم من الامس ! »

مع الرواد الاوائل

وفى المستشفى الجديد الذى مازال الكويتيون وغير الكويتيين من العرب الذين ترددوا عليه وعرفوه وعولجوا فيه، يحملون له فى قلوبهم الوفاء والعرفان بالجميل .. فى هذا المستشفى عملت اول ممرضة كويتية ، وكان اسمها مريم وثلاثة او اربعة من الاطباء العرب من مصر وسوريا ، وكان فى مقدمتهم طبيب سورى شاب جاء الى الكويت قادما من الشام قاطعا المسافة بالسيارة حينا وبالقطار احيانا فوصلها بعد ستة ايام !

وبحثنا عنه .. فوجدناه مازال بيننا يؤدى واجبه الذى بداه منذ اكثر من ثمانية وثلاثين عاما .. انه الدكتور يحيى الحديدى الذى يتولى اليوم منصب مدير مستشفى الامراض السارية ..

ولقيناه فى مكتبه بالمستشفى الذى يعطيه كل وقته وجهده ، وتصورنا انه سيجلس بيننا ويحدثنا عن ذكرياته وتجربته الطويلة فى وطنه الثانى الكويت .. ولكننا فوجئنا به يدعونا الى الذهاب معه فى رحلة قصيرة بسيارته .. وانطلقت بنا السيارة، ثم مالبث ان توقفت فجاة ودعانا الى النزول .. ثم قال : « انتم تريدوننى ان احدثكم عن المستشفى الذى عشت فيه اجمل سنى عمرى .. من اجل هذا جئت بكم اليه .. او الى المكان الذى كان يقوم عليه قبل ان ترتفع معاول الهدم لتزيل هذا المبنى القديم بكل ما حمله ويحمله بين جدرانه من ذكريات حلوة ستعيش طويلا من بعده .. فانا لم اكف عن المجئ الى هذا المكان منذ صدر قرار ازالة المستشفى القديم، وبناء مستشفى حديث فى مكانه .. ومع كل زيارة اقف طويلا واتامل هذا الذى يحدث امامى وفى العين دمعة .. نعم كنت اشعر ان صفحة مضيئة من تاريخ الكويت قد طويت .. حقيقة لقد جاء ويجئ بعدها صفحات وصفحات اكثر بريقا ولمعانا .. ولكن هذا لن ينسينا ابدا الاشعاع الرائد الذى نفذ بقوة فى ظلمة الصحراء !

جئت اؤدى الرسالة ..

ومضى الدكتور يحيى الحديدى يحكى ويحكى ، قال : « جئت الى الكويت لاؤدى الرسالة الانسانية التى بداتها فى وطنى الاول الشام .. جئت فى عام ١٩٤٠ وليس فى راسى شئ غير ممارسة المهنة التى تعلمتها ، وتقديم يد العون لاشقاء لى فى الانسانية والعروبة .. وكان البلد صغيرا جميلا فى بساطته .. كان سور الكويت مازال هناك يحرسها ويحمى اهلها من غزوات الطامعين .. وكان سكانها اسرة واحدة تعيش فى احضان هذا السور ولا شئ اكثر من هذا .. رزقهم فى البحر وعلى ما فى مياهه يعيشون .. يصطادون السمك ويغوصون فى الاعماق بحثا عن اللؤلؤ .. ويبحرون بمراكبهم الشراعية التى يصنعونها بايديهم على الشاطئ ،

عاملين تجارتهم من التمور التي كانوا يجلبونها من العراق الى الهند وافريقيا ، ويعودون محملين بكل ماهم في حاجة اليه ٠٠ وعشت بينهم وسكنت بيوتهم واكلت طعامهم من الارز والسمك ، ولم تنقض فترة طويلة حتى احسست بانتمائي اليهم٠٠ فانا منهم وهم مني ٠٠ تلك كانت صورة الحياة٠٠ وتلك كانت تجربتي عندما جئت الى هذا البلد العربي الشقيق ٠٠

« وكان مرض الجدري اكثر الامراض انتشارا في هذه الاونة وكانت هناك امراض اخرى موسمية واخرى سارية ، ولم يكن هناك مستشفى كويتي واحد او حتى مستوصف لاستقبال المرضى وعلاجهم باستثناء مبنى صغير اطلق عليه اسم المستوصف مجازا ٠٠ ومستشفى الارسالية الامريكية ، الذي كان يسهر على علاج المرضى فيه طبيب واحد بينما كان سكان الكويت يبلغون في ذلك الوقت حوالي ثلاثين الف نسمة !

ثم يقول الدكتور الحديدي : « وعشت بين اهل الكويت اسابيع وشهورا طويلة ، وكانت الحياة الجديدة التي اخترتها لنفسي بينهم تزيدني التصاقا بهم ٠٠ وكيف يمكن ان افصل نفسي عنها وانا اعيشها بكل ماتحمله ٠٠ وكانت الرعاية الطبية شغلي الشاغل ٠٠ كيف نوفرها ٠٠ كيف نطورها ؟ واخيرا عكفت على كتابة تقرير عن حاجة البلد الى التوسع في المرافق الصحية ، وعرض التقرير على مجلس الشورى ، وكان يتضمن اقتراحا بانشاء مستشفى عام ومستوصفين، احدهما للرجال والاخر للنساء٠٠ووافق المجلس على الاقتراح، واحسست بان اهم جانب من جوانب رسالتي كطبيب ـ قد تحقق ٠

وبدأ تنفيذ المشروع

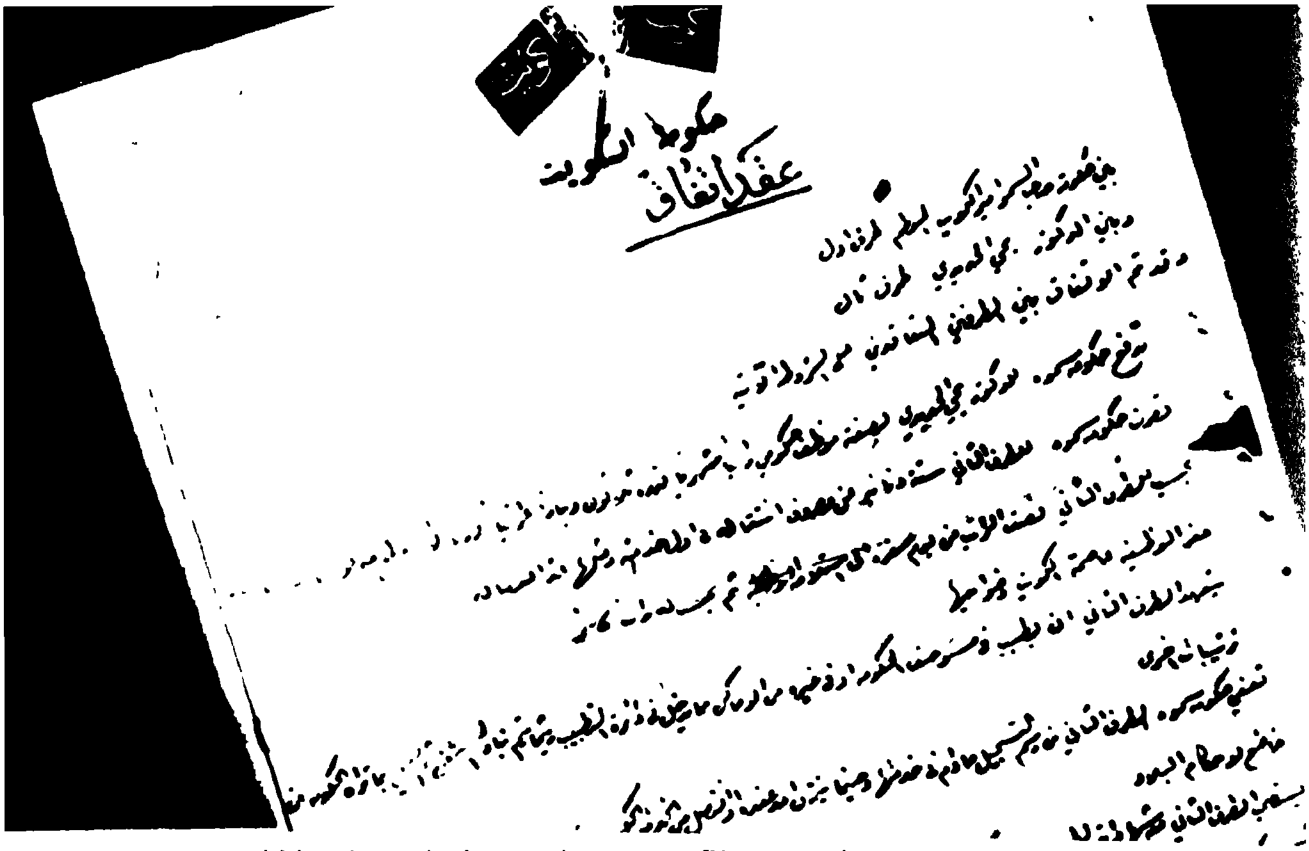
« وعلى الفور بدات عملية التنفيذ في اوائل عام ١٩٤١ وكانت المشكلة هي توفير مواد البناء ٠٠ وتوفرت بفضل الجهد الذي بذله الاخ الكريم عبد الله السبحان الذي كان مديرا لوزارة الاشغال في ذلك الوقت ٠٠ ولقد كان لنا عونا في اخراج هذا المشروع الحيوي الى حيز التنفيذ ٠٠ فهو لم يبخل بالمال للحصول على المواد اللازمة لاتمام عملية البناء مهما كان الثمن ٠٠ وكنا ننتظر شهورا طويلة في بعض الاحيان ، فقد كانت ظروف الحرب التي ابتلى بها العالم تصرف الاذهان عن البناء في ذلك الوقت الذي كان الخراب والدمار يشكلان صورة الحياة في اوروبا وآسيا كلها ٠٠!

ويجول الدكتور الحديدي بعينيه بين البقايا الاخيرة للمستشفى الذي كان ، ثم يمضي في سرد قصته ورنة اسى تشوب صوته الهادىء : « لقد واجهتنا صعاب كثيرة ونحن نمضي في تادية رسالتنا عندما اكتمل بناء المستشفى بعد ست او سبع سنوات من بدء العمل فيه ٠٠ كنا نفتقر الى المياه العذبة التي كانت تصلنا في قوارب شراعية من شط العرب في العراق ٠٠ ولم يكن هناك كهرباء ٠٠ ولكن ما كاد العمل يبدا في المستشفى حتى كانت المولدات الكهربائية التي استوردت خصيصا قد بدات تعمل وتنشر الضوء ، لا الى المستشفى

٥ر٨ مليون دينار تكاليف بناء المستشفى الجديد

يقول السيد بدر العبدالرزاق وكيل وزارة الاشغال بدولة الكويت ان بناء المستشفى الجديد سوف يتكلف ثمانية ملايين ونصف مليون دينار ٠ وهذا الرقم لا يشمل بطبيعة الحال قيمة الاجهزة والمعدات الطبية التي سيزود بها المستشفى ، وهي احدث ماتوصل اليه العلم ٠٠ ويقدر ثمنها باضعاف تكاليف المبنى وقد وقع عقد البناء في ١٥ اكتوبر عام ١٩٧٧ وسوف تستغرق اعمال البناء ٩٠٠ يوم ٠٠ كما يشمل العقد الاشراف على صيانة المبنى بعد اكتماله لمدة عامين كاملين ٠

ويتالف المستشفى الجديد من تسعة طوابق ويضم ٤٠٠ سرير ٠٠ وبحسبة بسيطة يتضح أن السرير الواحد سوف يتكلف حوالى ٢١ الف دينار ٠


حكومة الكويت
عقد اتفاق

اول عقد بين صاحب السمو امير الكويت ، وموظف فى الدولة ـ عام ١٩٤٠ ٠

ومعداته فحسب ، بل والى مساكن المواطنين ايضا »٠

وهكذا قام فى الكويت اول مستشفى من نوعه فى منطقة الخليج كلها منذ اكثر من خمسة وثلاثين عاما ٠٠ وهكذا ذهب ٠

احداث لا تنسى !

احداث لاينساها الدكتور الحديدى ، وما زالت تعيش معه فى ذاكراته ومذكراته التى يحرص على تسجيلها عن تلك الحقبة من الزمن التى قضاها بين اشقاء واخوة له ٠٠ يوم وجد نفسه يشارك فى تصميم مبنى المستشفى ، وهو الذى لاتربطه بالهندسة المعمارية رابطة من بعيد او من قريب٠٠

ويوم جاء الشيخ احمد الجابر امير الكويت الراحل ليفتتح المستشفى الكبير ومعه حاكم البحرين الشيخ سليمان بن حمد بن عيسى والشيخ عبدالله السالم امير الكويت الراحل فى حفل كان ومازال حديث الكثيرين من ابناء الكويت حتى اليوم ٠

واخيرا يوم عاد الى بلده فى الشام بعد عامين من مجيئه الى الكويت ليكمل نصف دينه بالزواج، ثم عاد يحمل عروسه « ام صباح » التى شاركته سنوات كفاحه وعمله فى البلد الشقيق وانجبت ثلاث فتيات كلهن زوجات وامهات اليوم ، وولدين حملان ارقى الشهادات العلمية ٠٠ فى الطب مثل والدهما ٠

ويختتم الدكتور الحديدى حديثه باول تجربة له مع اول مريض فى مستوصف الكويت٠٠ ويبتسم وهو يلقى نظرة اخيرة ويتقدمنا مبتعدا عن المكان الذى جئنا اليه منذ ساعتين او اكثر ، وهو ماض فى سرد ذكرياته ، وكانها شريط سينمائى لاينتهى : « لم يكن بشرا ٠٠ ولكنه كان حيوانا ٠٠ نعم لقد كان جوادا اصيلا جاء به كويتى كريم يجره وراءه جرا ٠٠ وكان الجواد ينزف دما من جرح بالغ فى فخذه ٠٠ لقد صدمته سيارة فى ساحة الصفاة ! وكان صاحبه يبكى !

« ولم اتردد ٠٠ قمت على الفور افحص الجرح، واضمده واطهره ، وأؤدى كل ما يجب على ان اؤديه ٠٠ وخرج الرجل ولسانه يلهج بالثناء ودعواته تنطلق من قلبه ان يعوضنى الله خيرا عما صنعت ٠٠ وشفى الجواد وترك الحادث اطيب الاثر فى نفس صاحبه ، وفى قلوب الاهالى الذين سمعوا القصة وعرفوا بها ! » ٠

سيقوم مستشفى حديث جديد ٠٠ولكن الذكريات مع المستشفى القديم الذى ذهب ستبقى حية فى نفوس وقلوب اهل الكويت دائما ابدا ٠٠

منير نصيف



طبيب الأسرة

يجيب على هذه الاسئلة نخبة من الاطباء

الصرع

● ولدي مصاب بنوبات صرع بين فترة واخرى — فهل يؤثر هذا على ذكائه ؟

— الصرع انواع ، فهناك صرع تسببه اعراض مثل التهابات أو أورام فى المخ ، ويتاثر ذكاء المصاب بها تبعا للمرض الاصلى الذى اصاب المخ ، وعما اذا كان شره قد ادى الى تآكل خلايا المخ او تاثر الاوعية الدموية التى تغذيه .

اما الصرع الذى يفقد فيه الشخص وعيه لثوان بسبب اصابته بنوبات صرع صغرى فهو لايؤثر على الذكاء او المخ .

وكذلك فان نوبات الصرع الكبرى التى تتميز بوجود تيبس وتشنجات عضلية شديدة تعترى الجسم كله مع فقدان للوعى ، لاتؤثر فى ذكاء المريض المصاب الا اذا ترك لفترة طويلة ولعدة سنوات دون علاج ، اما اذا عولج المريض مبكرا واوقفت النوبات بالعقاقير اللازمة تحت مراقبة الطبيب فلا خوف على ذكاء المصاب ولا على قواه العقلية .

والمرضى بتخلف عقلى او مرض خلقى بالمخ قد يصابون بنوبات كبرى تزيد من تخلفهم العقلى ، لذا كان من الواجب رغم اصابة المريض بمرض فى المخ أن يعالج من نوبات الصرع حتى لا تزيد هذه النوبات من تخلفه العقلى وتجعله اكثر تخلفا مما كان عليه .

البهاق

● قال لى الطبيب أن هذا الذى أصابنى هو البهاق .. فما هو البهاق وما سببه وهل هناك امل فى الشفاء منه ؟

— ان مرض البهاق عادة ينتشر فى بعض العائلات وهو فعلا يتميز بظهور هذه البقع البيضاء على البشرة وعادة تكون ناصعة البياض وتختلف فى الحجم والشكل والعدد من شخص لاخر كما انها تصيب الذكور والاناث على حد سواء،

وسبب هذا التلوث الابيض هو فقدان البشرة فى هذه الاجزاء لصبغة الميلانين الملونة للجلد ولذلك يكون اشد وضوحا فى فصل الصيف وبعد التعرض للشمس نتيجة اسمرار البشرة الطبيعية بالمقارنة لمناطق البهاق الخالية من الميلانين .

وبالنسبة للوقت ففى الحقيقة لا يمكن التاكد او التحكم فى سير المرض وفترة بقائه ، كما انه كثيرا ما يشفى فى بعض الاجزاء ولكنه قد يعود ثانية ، وقد يظل ثابتا لمدة سنوات ثم يخف تدريجيا وربما تتسع البقع وتلتحم سويا مؤدية الى رقعات كبيرة ، الا انه بالمثابرة والمداومة على العلاج مع تفادى العوامل المسببة فان الامل كبير فى الشفاء .

والسبب المباشر غير معروف ولكن هناك عوامل كثيرة تساعد على حدوث البهاق منها :

١ — الاجهاد الفكرى أو الاضطرابات النفسية وهى من اهم العوامل التى تؤدى الى حدوث اكثر ٦٠٪ من الحالات وهذه تحدث كذلك فى الاطفال نتيجة التفرقة فى المعاملة او حدوث اى مشاكل سواء كانت فى البيت او المدرسة .

٢ ـ وجود اى بؤرة صديدية مزمنة بالجسم مثل التهاب اللوز او تسوس الاسنان او الجيوب الانفية .

٣ ـ قد يحدث نتيجة امراض عامةمثل امراض الغدة الدرقية، فقر الدم الخبيث ، الزهرى .

٤ ـ بعض الامراض الجلدية تؤدى الى انفتاح لون البشرة بما يشبه البهاق مثل مرض الثعلبة ، الصدفية وبعض الفطريات .

ولذلك فانه فى العلاج يجب الانتباه الى هذه العوامل ومراعاة الصحة النفسية للشخص وتحسين الصحة العامة بالتغذية الصحيحة وتناول عناصر فيتامين ب المركب ، كذلك استعمال الاشعة البنفسجية او الاشعة السوداء التى تساعد على تنشيط تكوين صبغة البشرة كما ان استعمال حبوب ودهان الميلادنين او السورالين يؤدى الى نتائج مشجعة الا ان كل هذه العلاجات يجب ان تكون تحت اشراف الطبيب المختص .

المغص الكلوى وأسبابه

● ما اسباب المغص الكلوى؟

ـ يحدث المغص الكلوى ـ وهو الالم الشديد الذى يعانى منه المريض فى بعض الحالات ـ من (الخاصرة) ثم يتجه نحو الجزء الاوسط من البطن ثم الى اعلى العانة نحو المثانة . وفى بعض الحالات يتجه نحو الخصية اليمنى او اليسرى حسب نوع المغص اذا كان فى الجهة اليسرى او اليمنى . وهذا يحدث نتيجة حصى فى مجرى البول سواء كان صغيرا أو متوسطا، او نتيجة لمرور كتل من (القيح) بسبب التهاب او كتل دموية بسبب نزيف فى الكلى او الحالب . ويمكن معرفة هذه الاسباب ، بعد فحص البول فحصا مخبريا ثم زرعه لمعرفة ما اذا كان هناك ميكروب يسبب الالتهاب ، او لوجود كرات دموية حمراء كثيرا ، او وجود ترسبات من املاح مختلفة مكونة للحصى البولى .

وكذلك لا بد من فحص المريض فحصا شعاعيا ، فاذا لم تظهر الحصوة فليس معنى ذلك أنه لا يوجد حصى فى مجرى البول ، اذ ان ١٠٪ فقط من الحصى تظهر بالاشعة العادية ، لذا كان من الواجب حسب رأى الطبيب أن تعمل للمريض الاشعة الملونة لمجرى البول للتوصل الى التشخيص الصحيح . ولا بد من عمل هذه الاشعة الملونة اذا تكرر حدوث المغص الكلوى ولم تظهر الاشعة العادية سبب المغص .

ومن الملاحظ أن المغص الكلوى يحدث كثيرا أيام الصيف لان الجسم يفقد كمية كثيرة من الماء فيتركز البول تبعا لذلك وبالتالى تتولد الحصى الصغيرة والكبيرة فى مجرى البول ، لذا كان من الواجب على المريض أن يشرب بكميات كبيرة أيام الصيف ليحافظ على قوى دفع البول . وكذلك وجد أن نسبة المغص الكلوى تزداد عند العوامل وذلك لضغط الجنين على مجرى البول فيسبب بطئا شديدا فى جريان البول مما يجعل فرص تكون الحصى أو الالتهابات أكثر وبالتالى يكون المغص الكلوى .

وكذلك اذا تكرر المغص الكلوى مع وجود آلام بالمفاصل فلا بد من فحص الدم لحامض البوريك ، لان وجود هذا الحامض بنسبة عالية فى الدم يسبب مغصا كلويا .

والمغص الكلوى ظاهرة مفيدة، ولو أنها تؤلم المريض ، ولكن معنى ذلك أن الحصى يتحرك من موضعه فى طريقه الى الخروج والتخلص منه . أما الحصى الكبير فانه لا يتحرك ولا يسبب مغصا وبالتالى يتجمع البول من ورائه مسببا تضخما بالكلية ثم تتآكل انسجتها وبمرور الوقت تفقد وظيفتها .



بين الوراثة

بقلم : الدكتور نبيه غبره

ماهو الذكاء ؟

ان مدلول الذكاء عند العامة وعند الخاصة واحد تقريبا • فعامة الناس يقولون ان الطفل ذكي ان تكلم باكرا ،او كان سلوكه الاجتماعي متميزا يدل على النباهة ، او انه كان متفوقا في الاعمال التي تحتاج الى المهارة والدقة .ويصفون تلميذ المدرسة بالذكاء ان كان من الاوائل في التحصيل والدراسة•كما يصفون الرجل الكهل بالذكاء ان حاز على اعلى الشهادات الدراسية ، او كان ناجحا في مهنته ، او كان محدثا بارعا وعنده من كل علم خبر، او قادرا على حل المشكلات والخصومات بين الناس بحكمه وفطنة • ففي كل هذه الاحوال نرى أن الذكاء في مفهوم العامة كان يقترن مع التفوق في الامور التي تحتاج الى المقدرة الذهنية والفكرية •

واذا ما أردنا أن نعرف الذكاء بالتعبير العلمي الدقيق نوعا ما قلنا انالذكاءهو القدرة علىالتعلم واكتساب المعارف والخبرات • وهو المقدرة على الحفظ والتذكر • وهو القدرة على الاستفادة من التجارب والظروف السابقة في مواجهة المواقف المستجدة وحسن التكيف معها • وهذا كله يحتاج الى عمليات ذهنية معقدة من ادراك وتفكير وتعليل وقدرة على التفكير المجرد ، وقوة في الذاكرة الحواسية السمعية والبصرية وقدرة على التعبير اللغوي والى غير ذلك من القدرات العقلية المعقدة• وتعاريف الذكاء عند علماء النفس كثيرة ويمكننا ان نعرفه باخصر عبارة بانه القدرة على التعلم والتكيف •

كيف تتفتح القدرات العقلية ؟

ان الانسان يرث عن ابويه ولاشك درجة معينة من الذكاء ـ كما يرث صفاته الجسمية والنفسية الاخرى ـ تكون بشكل قدرة كامنة خفية • ولكنه بتفاعله مع البيئة المحيطة به ، وبما يتلقاه من تنبيهات وتاثيرات ومعلومات ، بواسطة حواسه واجهزته العصبية تزداد معلوماته ومعارفهوامكاناته شيئا فشيئا ويوما بعد يوم • فمن امعان نظر الى تبسم الى مناغاة الى نطق ابتدائي يتحسن مع توالي الايام ليصبح كلمات واضحة فجملا فحديثا• ومن حركات عشوائية فوضوية كبيرة الى حركات مركزة هادفة تبدأ بتناول خشخيشة أو لعبة لتصبح

القدر على مواجهة الظروف الجديدة وعلى حل المشكلات التي تعترض سبيله والقدر من غيره على الابداع والاكتشاف •

وكيف تؤثر البيئة في تنمية الذكاء

ان البيئة ونعني بها المنزل والمدرسة والمجتمع تؤثر في تنميةذكاء الانسانباعتبارها مصدرالتعليم والتنبيه والاثارة • فهناك فرق بين غني بيئة منعزلة امية جاهلة وبين متحضرة مثقفة متمدينة • والبيئة تؤثر من جهة اخرى من خلال تكييفها لشخصية الانسان وطباعه واخلاقه وسلوكه وعاداته • وحب التعلم واكتساب المعارف والاستزادة منها يرتبط ارتباطا وثيقا بشخصية المرء ، فهناك فرق كبير بين نمو اطفال العائلة السعيدة المحبة المتفهمة وبين اطفال العائلة المتفككة الاواصر والتي يسودها الشحناء والبغضاء • وهذا ما جعلالدكتور داتسون الانجليزي زعيم المدرسة السلوكية يقول : اعطني اثنى عشر طفلا وانا كفيل ان اجعل منهم ـ بلا تعيينأو انتقاء ـ واحدا طبيبا وآخر مهندسا وثالثا محاميا ورابعا موسيقيا او ان شئت اجعل لك منهم لصا او متشردا او قاطع طريق ••• فهو لا يعترف على وراثة المواهب او الطبع او الصفات ويؤمن بان للبيئة اكبر الاثر في تطوير ذكاء الطفل وشخصيته وسلوكه •

والبيت والمدرسة

حركات دقيقة متقنة • ومن محاولات ابتدائية في التقصي والاختبار الى دراسات معقدة وهكذا في مئات الاشياء والمجالات ان لم نقل آلافها •

والانسان الاذكى هو الاسرع في التعلم وهو الذي يحسن ويتقن ما يتعلمه وهو الذي يملك من القدراتالعقليةالمذكورةآنفا اكثر منغيره مايجعله

ماهو هدف الانسان من الذكاء ؟

ان غايةالانسان ـ بلا شك ـ ان يستفيدمنذكائه وان يستثمره فيما فيه خيره وسعادته وخير وسعادة مجتمعه • لذا كا لابد ان يسير التعليم وتنمية قدرات الذكاء جنبا الى جنب مع التربية الخلقية

تفعل ذلك بهدف تعويد ابنها على النظام اولتتفرغ الى اعمالها لا يحق لها ان تتوقع من ابنها التفوق والنباهة فى كبره .

ويجب ان يعطى الطفل الفرصة وان يفسح له المجال لتعلمكل شيء جديد أبدى استعداده لتعلمه . فعندما يبدى الرغبة لحمل زجاجة الحليب ليرضع نفسه او كاس الشراب ليشرب بنفسه فلابد من السماح له بذلك وان كبر واصبح فى منتصف السنه الثانية واراد ان يمسك بالملعقة ليطعمنفسه فلابد من مساعدته وان اصبح قادرا بعد ذلك على القيام بشؤون نفسه من لبس ثياب او حذاء او تنظيف . الى غير ذلك من الاشياء الكثيرة لابد من فسح المجال له ومساعدته بل وتشجيعه مهما كان انجازه سيئا او رديئا او بطيئا فهذا شيء طبيعي ، فهذه الاعمال الصغيرة بالنسبة لنا هي اعمال كبيرة بالنسبة للطفل ، انها جديدة عليه وتحتاج الى مهارة . وان الطفل لم يحاول القيام بها الا بعد ان وصلت اجهزته العصبية وقدراته العقلية الى درجة معينة من الكفاءة فلابد من المحاولات الفاشلة والتنفيذ السيء فى البدء . فالام الذكية تعرف ان هذا شيء طبيعي ويجب احترامه والام غير الذكية هى التى تمنع ابنها من ممارسة مايجب ان يتعلم بزعم انه صغير ولا يحسن شيئا بعد ، وان الافضل القيام بخدمته . وما تدرى الام انها بذلك تحرم ابنها الحبيب لذة التعلم وهي لذة كبيرة واساسية فى بناء شخصيته وفى نماء قدراته .

لنلعب معهم

وهناك نظريات حديثة مبنية على تجارب كثيرة لدى الحيوان وعلى ملاحظات وتجارب عند الانسان تقول بوجود فترات معينة فى الطفولة يكون تعليم اشياء معينة فيها سريعا وسهلا ويصعب تعليم هذه الاشياء فيما بعد ، بل هناك فتراتحرجة لا يمكن تعلم بعض الاشياء بعدها نهائيا . وهذا يتضح بتعلم الرؤية فالعين التى لا تتلقى النور او المهملة لبضع سنوات بسبب مرضى لا تعود قادرة على الابصار ، والطفل الاصم ان تاخر علاجه الى مابعد السنة الثالثة من العمر لايحسن التكلم الابصعوبة شديدة وأما ان تاخر علاجه الى مابعد السنة السابعة فيصبح تعلمه للتكلم مستحيلا . وكذلك الامر ان تاخر اصلاح عيوب جهاز النطق ـ كما هو الحال فى شق قبة الحنك الولادى ـ استمر النطق المعيب طيلةالعمر.

والانسان يتعلم لغة كاملة او لغتين فى وقت واحد فى السنين الاولى من عمره باللهجة الاصلية اما ان تاخر فى تعلم اللغة فقد يكون منالمستحيل عليه تعلم اللهجة الصحيحة . بل قد يقلد الطفل احد ابويه فى لثغة ما فيشت عليها ولا يستطيع منها فكاكا ولايستطيع تعلم لفظ الحرف بشكل صحيح .

ويحاول ارباب هذه النظريات ان يضعوا جداول تبين مايحسن تعلمه فى كل فترة زمنية ولاشك انه سيكون فى ذلك فائدة تعليمية كبيرة .

وما يجب التاكيد عليه فى الوقت الحاضر هو ان علينا ان نساعد ابننا فى تعلم ما يجب ان يتعلمه وان احسن وقت لتعليمه شيئا ما هو الوقت الذى يبدى فيه الرغبة فى تعلمه .

ويجب علينا ان نشارك ابناءنا فى لعبهم لبعض الوقت وان نقرا لهم بعض الاحيان لا ان نهملهم طيلة الوقت .وهناك كتب خاصه بالاطفال الصغار متدرجة فى صعوبتها يمكن استعمالها بدءا من عمر السنة .

ويجب علينا ان نهتم باسئلتهم والرد عليها بحكمة وبشرح كاف بحيث يفهم المقصود او ان يقتصر على شرح موجز لنترك لهم ايجاد بقية الجواب .

ويجب ان نسمح لابنائنا بحضور مجالس الكبار والضيوف ليتعلموا وليستمتعوا بمناقشاتهم وحديثهم لاان نمنعهم او نبعدهم عنها كما يفعل معظمنا .

حب الفضول مرغوب

ويجب ان يعلم الطفل عندما يكبر لدرجة كافية العلاقات ما بين الاشياء والافكار وما فيها منتشابه او اختلاف . وان نعلمه السبب وما يحدثه منأثر وان نعلمه طرق التفكير السليمة بان يفكر فى الموضوع من جميع اطرافه وان ينظر فى الآراء او التفسيرات الاخرى ، وان نعلمه التفتيش عن الدليل فيما يسمع او يقرا . وان يشجع على السؤال بحرية عن صدق مايقال له . وان يعلم النقاش وآدابه لاان يقال له عندما يلح فى السؤال او النقاش : كفى ولا كلمة .

ويحتاج الطفل الى تعلم الثبات والصبر والدقة

والاتقان وان يساعد ان احوج الامر حتى يضمن له النجاح فالنجاح هو اكبر مساعد على النجاح واكبر مشجع للانسان واما الفشل فهو مثبط للهمة ويؤهب للفشل فى المرات التالية •

ويجب ان يعلم الطفل حب الفضول والاستطلاع والابداع وان يعطى الحرية فى البحث والتنقيب وفى اتخاذ القرارات •

ولا يجوز بحال من الاحوال تبكيت الطفل عند حصوله على نتائج سيئة او ان يستهزأ به والا فالعاقبة وخيمة فقد يؤدى ذلك الى الشعور بالنقص ـ مركب النقص ـ والفشل الدائم •

ولابد من الاهتمام بالمدرسة والقائمين عليها ومدرسيها والابقاء على الصلة الدائمة معهم وتامين الجو الدراسى المناسب فى المنزل ويستحسن جعل غرفة مستقلة للدراسة والمطالعة •

واما ان يطلب من الطفل التفوق فى الدراسة او الحصول على علامات جيدة وهو لايجد فى منزله للدراسة الا غرفة الجلوس التى يجلس فيها كل افراد العائلة والتى قد يكون فيها المذياع او التلفاز فهذا ضرب من التعجيز •

واذا كان الطفل متفوقا فلا بد من معاملته معاملة خاصة والطريقة المثلى هى تدريس المتفوقين على حدة كى لا يشعروا بالملل والضيق من المناهج العادية الموضوعة فى الاصل لمتوسطى الذكاء والتى قد تجعلهم يؤثرون اللهو واللعب مما يؤدى الى الفشل فى الدراسة وقد كان كثير من مشاهير العلماء والنابغين متخلفين فى مدارسهم بنظر مدرسيهم •

ولابد من الاشارة فى هذا المجال الى انمستوى المدرسة ومدرسيها يلعب دورا هاما فىدرجةتحصيل الطفل وحبه للدراسة والتعليم• فقد وجد اندرجة التحصيل وحب التعلم يختلفان كثيرا حسب نوعية المدرسة • وقد وجد انهما رديئان فى مدارس الاحياء الفقيرة حيث وجد ان الاهلانفسهم لايتوقعونالتفوق والنبوغمن ابنائهم وكذا الاساتذة الذين قد تكون طريقتهم فى التعليم سيئة والذين غالبا مايكونون شديدى الصرامة فى معاملتهم للتلاميذ مع كثير من الترفع والاستهزاء والتهديد والاحتقار •

وختاما، ان ما قصدت اليه من هذه المقالة هو تنبيه الاباء وكل مسؤول عن التربية الى واهمية المسئولية الملقاة على عاتقهم فى سبيل تربية الاجيال الناشئة • اذ ان عليهم رعاية الابناء من جميع النواحى الجسمية والنفسية والعاطفية والخلقية ثم الحرص على تنمية قدراتهم ومواهبهم العقلية الكامنة بايجاد الاجواء المناسبة والرعاية الباكرة الواعية •وخاصة اننا امة العلم والفقه والفهم ونحن فى زمان اشد مانكون فيه الىالحياة الهادفة الجادة والى انشاء جيل قوى فى شخصيته وسليم فى تفكيره • ■■

د • نبيه غبره

فى العجلة الندامة

● الرجل الذى يعدو مسرعا لا بد وان يتعثر فى خطاه •

توم باتيوك

دفتر الشيكات

● سال صحفى جورج بيرناردشو : « من اى كتاب حصلت على الفائدة القصوى ؟ »

فاجاب شو : « من دفتر الشيكات الخاص بى ! »

صفحة لغويــة

بقلم : محمد خليفة التونسى

■ فى الصفحة اللغوية السابقة (العدد / ٢٣٥) اشرنا الى ان الحال تاتى من المبتدأ ، ومن الخبر . وضربنا لكل منهما امثلة ، ووعدنا فى ختام الصفحة باننا سنذكر امثلة لما اصله مبتدأ ، او خبر ، ونحن هنا نفى بالوعد ٠

الجملة الاسمية ونواسخها

من المعروف ـ نحويا ـ ان للجملة الاســمية ركنين ، هما : « المبتدأ ، والخبر » ، مثل : «العقاد اديب » وكلاهما مرفوع (او فى محل رفع اذا لم يكونا اسمين ظاهرين) . فاذا نظرنا الى العلاقة بينهما وجدنا انها « الاسناد » فاحدهما مسند اليه او مخبر عنه وهو الاصل او الاساس او الاول ، ولهذا سموه « مبتدأ » وثانيهما مسند،او مخبر به ولهذا سموه « الخبر » ٠ وتبقى هذه العلاقةبينهما قائمة ، ســواء كانت الجملة مجردة من النواسخ مثل « العقاد اديب » او دخل عليها اى ناسخ ٠

والنواسخ التى تدخل على الجملة الاسمية ثلاثة انواع :

١ ـ كان واخواتها : ويبقى الركن الاول معها مرفوعا ، وينصب الثانى ، مثل « كــان العقاد اديبا » (او يكون الثانى فى محل نصب ، اذاكان مبنيا)

٢ ـ ان واخواتها : وينصب الركن الاول منهما، ويبقى الثانى مرفوعا مثل : « ان العقاد اديب » (او يكون فى محل رفع) ٠

٣ ـ ظن واخواتها : وينصب معها الركنان ، مثل: « وجدت العقاد اديبا » (او يكون الثانى فى محل نصب)

والنحاة لا يعربون الجملة الاسمية مبتدأ وخبرا بعد دخول النواسخ عليهما ، بل يسمون كلا منهما اسما آخر ، ويغيرون اعراب احدهما او كليهما (كما هو ظاهر فى الامثلة السابقة هنا) ولكن العلاقة بينهما تبقى ، واذا حذفنا الناسخ ظهرت بينهما هذه العلاقة اوضح ، وعاد كلاهما الـى صله : « مبتدأ ، وخبرا » ٠

وكان يكفينا بعد ايراد الشواهد على مجىء الحال من المبتدأ ، ومن الخبر ، ان نشير الى ان الحال تاتى من كليهما بعد دخول اى ناسخ عليهما، لان المعروف ان هذه النواسخ تدخل على كل جملة اسمية ، فتبقى الحال من كليهما بعد دخولالناسخ كما كانت حالا قبل دخوله دون اختلاف

مثال ذلك اننا نقول « العنب ناضجا خير منه فجا » فكلمة « ناضجا » حال من المبتدأ « العنب »

وهكذا يبقى الامر بعد دخول اى ناسخ على هذه الجملة ابا كان عمله فيها ، فنقول : « كانالعنب ناضجا خيرا منه فجا » و « ان العنب ناضجا خير منه فجا » « ووجدت العنب ناضجا خيرا منه فجا » فكلمة « ناضجا » فى هذه الجمل الثلاث الاخيرة حال من « العنب » الذى اصله مبتدأ ، مهما يتغير اعرابه او اسمه الاعرابى عند النحاة ٠

ومثال آخر لمجىء الحال من الخبر : « الدين النصيحة خالصة » فكلمة « خالصة » حال منالخبر «النصيحة» فاذا ادخلنا ناسخا على الجملة الاسمية قلنا « مازال الدين النصيحة خالصة » و « ان الدين النصيحة خالصة » و « وجدت الدين النصيحة خالصة » فكلمة « خالصة » « حال » من «النصيحة» بعد دخول هذه النواسخ المختلفة العمل ، كماكانت حالا من « النصيحة » قبل دخول اى ناسخ ٠

كان يكفينا ذلك ،ولكننا نضيف شواهد جديدة على مجى الحال مما اصله مبتدأ او خبر ٠

الحال مما اصله مبتدأ

وهذه بعض الشواهد التى جمعناها لمجيء الحال مما اصله مبتدأ ، وقد وضعنا كل « حال » بين قوسين :

١ ـ لامرىء القيس فى وصف ما جمعته عقاب من قلوب الطيور فى وكرها :

كأن قلوب الطير (رطبا ويابسا)
لدى وكرها العناب والحشف البالى

فالكلمتان « رطبا » و « يابسا » حالان مفردتان من « قلوب » التى هى اسم كان ، واصلها « مبتدأ » .

٢ ـ لشاعر جاهلى :

وانى (على مافى من عنجهية
ولوثة اعرابية) لاديب

فشبه الجملة هنا (على ما فى من عنجهية...)حال من اسم ان ، وهو ياء المتكلم التى اصلها مبتدأ .

٣ ـ ومثله قول المتنبى :

وانى (على ما فى من شغف بها)
لأعف عما فى سرابيلاتها

٤ ـ وقول المعرى :

وانى (وان كنت الاخير زمانه)
لآت بما لم تستطعه الأوائل

٥ ـ ما رواه المبرد عن ابى عبيدة لشاعر نزل على اعرابية فاكرمته ، فخيرها بين ان يكافئها بمال او بشعر . فآثرت الشعر ، فكان مما قاله فيها :

من ام مثوى كريم قد نزلت بها
ان الكريم (على علاته) يسع

فشبه الجملة « على علاته » حال من « الكريم »

٦ ـ من حديث سطيح احد الكهنة فى الجاهلية ، او احد العذريين ، فى وصف حال الميت :

يبكى عليه غريب ليس يعرفه
وذو قرابته فى الحى مسرور
حتى كأن لم يكن الا تذكره
فان ذا الدهر (اطوارا) دهارير

فكلمة « اطوارا » حال من اسم ان .

٧ ـ قول بشار فى صاحبته « حبى » :

كأنها لذة الفتيان (موفية)
وسكرة الموت (ان لم يوف موعود)

٨ ـ وقوله

كأن مثار النقع (فوق رؤوسنا)
واسيافنا ليل تهاوى كواكبة

٩ ـ ويروى المبرد لشاعر قديم قوله :

لعمر ابيك الخير ، انى لخادم
لضيفى، وانى (ان ركبت)لفارس

١٠ ـ وقال انيف بن جبلة الضبى فى وصف فرس، وكان من اوصف الناس للخيل :

واذا اعترضت له استوت اقتاره
فكأنه (مستدبرا) متصوب

١١ ـ ومن احاديث ابن دريد ان اعرابيا كان يطوف بالكعبة حاملا امه العجوز الفانية ، وهو يرتجز :

انى لها (راحلة) ذلولا
موطأ التمس السهولا
أدعمها بالكف ان تميلا
ارجو بذاك نائلا جزيلا

وقد لاحظت ان الشواهد على ذلك تكثر بعد « ان » و « كان » ، ومعظمها جمل فعلية ، او اسمية .

وما ينطبق هنا على نوع من النواسخ ينطبق على النوعين الاخرين فنقول مثلا : « كان السفر (مع طوله) سهلا » و « وجدت القصة (وان قصرت) قيمة » .

الحال مما اصله خبر

وحسبنا من الشواهد على ذلك :

١ ـ الآية القرآنية « واذ قال عيسى ابن مريم : يابنى اسرائيل ، انى رسول الله اليكم ، مصدقا لما بين يدى من التوراة والانجيل ، ومبشرا برسوله ياتى من بعدى ، اسمه احمد »

فكلمة « مصدقا » حال من « رسول الله » التى هى خبر « ان » واصلها خبر لمبتدأ (انا رسول الله) ، وكذلك « مبشرا » بالعطف على «مصدقا»

٢ ـ والاية « اننى انا الله ، لا اله الا انا » فجملة « لا اله الا انا » حال من لفظ الجلالة « الله » التى اصلها خبر لمبتدا ، ولو جعلناها حالا مفردة لكانت العبارة « اننى انا الله واحدا».

٣ ـ قوله عبد يغوث الحارثى (الجاهلى) :

وقد علمت عرسى مليكة اننى
انا الليث معديا عليه وعاديا

فكلمة « معديا » حال من « الليث » ، ومثلها « عاديا » بالعطف .

محمد خليفة التونسى

● قصة قصيرة ●



بقلم مجيد طوبيا

● ارتعشت ساقاه ، أحس بجسده يزداد ثقلا ! ‏‏٠٠ لم يشعر بمثل هذا من قبل ، حتى وهو تحت الخطر واحتمال الرحيل المفاجىء ! ٠٠ ارتمى على مقعد بالمقهى الصغير، جلس شاردا ، بارد الاطراف، زائغ العينين لا يكاد يرى ٠٠ ملأته رائحة الشارع: مزيجا من روائح القهوة والطبيخ والرطوبة ـ ورائحة ورنيش قريبة ـ والشيشة والشاى والخبز ٠٠ورائحة الورنيش ثم ساله ماسح الاحذية :

ـ تمسح ؟

نظر الى الصبى دون تركيز ، جميل الوجه رغم شحوبه ، وفى عينيه نضج مبكر ، جلس دونانتظار جوابه ، رافعا اليه نظرة ، مبتسما فى رجاء ، واثقا من موافقته ٠٠ فمد له قدمه ، ثم حاول شغل نفسه بتامل الشارع ٠٠

اتسعت عيناه ، هنا عاش سمير ، شب ونما ـ دوار خفيف ـ وهذا شارعه ، يراه ، يسمعه ، ويشمه ٠٠ بيوت متلاصقة ، شرفات متقاربة ، بائعة خضراوات ممتلئة ، ترزى القمصان ، كرة صغيرة يتقاذفها الاطفال ، وفرن العطفة ٠٠ بعده بيت سمير ، لا يعرف رقمه ، فوق بابه تمساح محنط لجلب الحظ ٠٠ وهناك أمه بوجهها الطيب ونظراتها الحنون ٠٠

دق الصداع راسه ، وسمع الماسح يقول :

ـ ثلاثة من شارعنا هذا معك ٠

ـ معى أين ؟

ـ فى الجيش ، هل تعرفهم ؟

ـ الجيش كبير جدا ٠

ـ واحد منهم يسكن هناك ، طويل وله شارب سميك الا تعرفه ؟

ـ اسكت وانجز شغلك ٠٠

تزاحمت اصوات الشارع فى اذنيه ، ماكينة الخياط ، ترانزستور بائعة الخضراوات ، مواء قطة المقهى ، صياح صبية الكرة، وصوت الصبى يساله:

ـ هل أنت مسيحى ؟

ـ لماذا تسال ؟!

ـ لان الثانى مسيحى ، يسكن بالبيت الذى تقف امامه « أمسالم » ٠٠ هلتعرفه؟ ٠٠ أنت بالجيش ؟

ـ من أم سالم ؟

ـ بائعة الخضراوات

ـ لماذا لا تنتهى من المسح ؟

ـ حالا ٠٠

فكر أن ينهض منصرفا ، لكنه شعر ببعض النظرات تحتويه فى ود ، هل يعرفون أنه صديق سمير وزميله فى ذات الموقع ؟ ٠٠ أم لانه ما زال بملابس الميدان وغبار الجبهة، وبالعرق تحتابطيه؟ ٠٠ قبل أن يذهب الى بيته جاء بالحزن ، بعبء الخبر ، بعد تبادله مع سمير : اذا أصيب أحدهما تولى الاخر ابلاغ أهله !!

صاح ماسح الاحذية :

ـ الثالث هو الاستاذ سمير ، الا تعرفه أيضا ؟!

ـ أسرع ولا تثرثر

صمت الصبى حينا ٠٠ ثم عاد يقول :

ـ أمه طيبة جدا ٠

ـ من ؟

ـ الاستاذ سمير ، أشترى لها الخبز كل صباح ٠٠ويوم الثلاثاء الماضى تغديت معها ، أرز وسبانخ ولحمة ثم شاى ٠٠ قبل أن أجلس الى السفرة جعلتنى اغسل يدى ٠٠ طبيخها لذيذ جدا ، وانا احبها ٠٠ وغسلت يدى بعد الاكل أيضا ٠٠ الا تعرف ابنها سمير ؟!

★ ★ ★

من تحت التمساح المحنط دخل البيت ، درجات قليلة وكان يلهث منفعلا !! ٠٠ وقف يتمالك

نفسه ، لن يدخل الشقة ، سيلقى بالخبر من على
الباب ويهرول هابطا ..

شد طوله، وعاد يصعد الدرج.. أمام باب الشقة
تهدل كل شيء ، عاوده الدوار الخفيف .. نظر
الى ضاغط الجرس ، بدا يرفع اصبعه نحوه ،
انهارت يده ، حاول ثانية وفشل ، ثم لمسه وسمع
رنينه فى الداخل .. انحسرت الدماء من وجهه
انصت مترقبا لها : « البقية فى حياتك ، ابنك
مات » ثم يهرول هابطا.. انهكه الترقب .. الاكثر
رقة ان يقول : « ابنك استشهد » ثم يهرول هابطا
.. كلمة الموت كلمة قاسية !!

سمع خطواتها تقترب، زاغت عيناه، قرر الانصراف
والهرولة هابطا .. لكنه راى الابتسامة وشم
رائحة الطبيخ ، .. انشق الباب عن لهفة الام ،
عن بسمة طيبة .. اتسع على خيبة امل لحظية ،
على دهشة عين متوجسة ! .. ثم عادت البسمة ،
وامتد كفها مرحبا :
ـ اهلا يا ابنى .. اهلا وسهلا .. تفضل



سحبته ليدخل فانقاد الى مقعد الصالة،مستسلما ‥ اغلقت الباب سعيدة به :

ـ في البداية ظننتك « سمير » ، عكس الزجاج المصفر لون ملابسك فطار قلبي فرحا ، كنت افكر فيه لحظة رنين الجرس ‥

ظل خفيض العين ‥ جلست قريبا منه :

ـ تحمل رسالة منه ، اليس كذلك ؟؟ ‥ لماذا لم يات معك ؟!

تداخلت نقوش السجادة القديمة ‥ نظرت اليه مليا :

ـ اختلفت اجازتكما ، اليس كذلك ؟؟

ـ نعم اختلفت

رمقته فاحصة :

ـ لست كعادتك هذه المرة !! ‥ اهو الارهاق؟؟

ـ نعم نعم ‥ صداع !!

ـ عندى بن بالتحويجة ‥

ـ لابد انك جائع ‥ كيف لم افطن الى هذا ؟!

ـ لا ، وشكرا ‥

ـ لست جائعا

ـ بل جائع وشاحب وصوتك هفتان ‥ حتلك السماء ، كدت انتهى من اعداد الطعام ‥

ـ شكرا شكرا ، الوقت ضيق

ـلن تنزل قبل ان تذوق طعامى ‥ لكن لون وجهك لا يعجبنى ، لعلك لم تنم جيدا ؟!

ـ فعلا ‥ لم انم الليل كله !!

ـ هكذا اذن ‥ طعامى صحة وعافية ، بالسمن البلدى اطهيه

نهضت :

ـ قلبى معكم يا اولادى ، صباحا ومساء ادعو لكم بطول العمر والسلامة ، من اجل اهاليكم يا حبيبى !

رأى حركة قدميها ، رآها تدخل المطبخ ، أراد ان يهتف عاليا :

ـ من فضلك لا أريد ، سارحل فورا

لكن صوته خرج مرعوشا ‥ وسمع خطوها بالمطبخ ، وغطاء الوعاء يرفع ثم يعود الى مكانه ، وسمع اصطكاك بعض الاطباق ‥ وسمع ايضا صوتها واضحا :

ـ كيف حال سمير ؟؟

لم يجد ما يقوله ‥ لام نفسه لانه دخل !! ‥ كيف يتصرف ؟! ‥ احتارت نظراته بين السجادة وباب المطبخ ، ثم استقرت منكسة ، تداخلت نقوش السجادة ، قديمة ومتماسكة ، مؤكد انها من عمر الاسرة ، وان سميرا حبا عليها وهى جديدة ، ثم وطاها مئات المرات وهو يكبر ‥ مؤكد انه سار عليها عند خروجه لاخر مرة ، وانها كانت الى جواره تودعه !! ‥

شعر بغصة ، رفع راسه يمنع الدموع ، رأى صورته تتموج ، على الحائط داخل الاطار ‥ ضغط جفونه يطرد الدموع ، مد يده يخرج المنديل، وصورة والده الراحل ، مات وسمير صغيرا ، فربته امه واخوه الاكبر ، تزوج الاكبر فعاشت لسمير ، والان لمن ؟!

غلبته الدموع ، سارع بالمنديل الى عينيه ، سمعها قادمة ، رأى طبق الارز يوضع امامه ‥ لمحت منديله ، ضربت على صدرها :

ـ اكنت تبكى ؟!

ـلا طبعا ‥لا

ـ اراك مضطربا ؟؟ ‥ لماذا ؟ ‥ قل ‥

ـ كنت امسح غبار الطريق ‥ وعرقه ‥ طبعا ‥

جمدت برهة ثم توتر صوتها :

ـ منديلكمتسخ جدا ، كيف تمسح به عينيك !!

كاد يجهش صارخا ، تمنى لو وقف وانصرف وهرول هابطا ‥ لكنه عجز عن النهوض ، وشعر بالمنديل ينجذب منه :

ـ ساغسله لك

ـ لا شكرا ‥ لا ‥

ـ افعل هذا لسمير ، وانت مثله ‥

ـ ساغسله مع ملابسى فى البيت •

ـ احب ان افعل هذا

ـ ارجعيه ‥ شكرا شكرا •

سارت الى المطبخ :

ـ قبل ان تنتهى من اكلك اكون قد غسلته ، وسيجف بسرعة وانت تشرب الشاى ، الشمس حامية ‥

سمع الماء فى المطبخ ، سمعها ايضا تسال :

ـ كيف حال سمير ؟؟

حملق الى الارز أمامه.. جاءت بطبق الخضراوات .. قال :

ـ المنديل من فضلك

ـ نقعته في الماء والصابون .. لماذا لا تاكل ؟!

.. البيت بيتك .. كيف حال سمير ؟؟ .. ماذا جرى لي ؟؟ نسيت كوب الماء !!

نهضت تحضره .. تامل خطوها البطيء .. لماذا ؟! لماذا يخبرها اليوم ؟! .. لن يخبرها .. لماذا يعجل بحزنها ؟! .. ابلاغ الجيش لن يصلها قبل عده أيام ، فلـتعش هذه الايام دون بكاء .. كان عهدا غبيا عهده مع سمير !! .. لن يبلغها ، وسيتظاهر بانه ياكل ، وسيرد على سؤالها بان سمير في خير ويبلغها التحية والشوق ..

هدأ قليلا شاهقا .. ثم عاد يرتجف مع ظهورها .. وضعت الكوب امامه ، وجلست تتفحصه :

ـ شيء ما يشغلك !! .. قلبي يحدثني .

ـ أنا ؟! .. لا شيء !!

ـ يقلقني ما اراه في وجهك ! .. كيف حال سمير ؟؟

ـ كنا في سيرتك منذ يومين ، نعم منذ يومين ... صحا من النوم هاتفا : « حلمت بامي » ..

ـ حبيبي ياولدي .. لماذا لم يات معك ؟؟

ـ اطمئني .. هو بخير ..

ـ سالتك لماذا لم يات معك ؟؟

بلله العرق ، مد يده يبحث عن منديله..لاحظت تباكه ، رأت رعشة انامله .. ارتجف قلبها ، احساس مبهم يقبضها !! .. لكنها نهضت :

ـ سانشر منديلك حالا

توجهت صوب المطبخ ثم غيرت سيرها صوب غرفة النوم ، احضرت منديلا مكويا :

ـ استعمل هذا الى أن يجف منديلك ..

مؤكد منديل سمير ، مؤكد .. وكادت دموعه تطفر .. ولكن لا ، يجب أن لا تراه يبكي ، الجندي لا يبكي ، لا يبكي لانه يرى الموت كثيرا!!

ارتعش الكوب في يده ، شرب يبتلع غصته .. لا يجب ان تراه يبكي ، وسيبتسم ، بتماسكه يمنحها اياما دون بكاء ...

بقي ناظرا الى باب المطبخ ، الى ان خرجت بائسة النظرة ، في يدها المنديل المغسول ، رآها تنظر للاطباق الممتلئة .. التقط الملعقة ياكل ، لكن وجهها كان قد تكدر وقد عاودها الاحساس المبهم ، اقتربت تستجوبه :

ـ لست جائعا اذن ؟؟

ـ بل جائع جدا

ـ لماذا لم تاكل ؟!

ـ كان ساخنا

ثم بدا ياكل .. بقيت ترقبه وفي راسها فكرة تنبت !! .. تجنب النظر اليها :

ـ لذيذ جدا

الضباب يتسل تفكيرها ، لم تتحرك .. افتعل ابتسامة :

ـ لذيذ جدا جدا

سمعها تتحرك .. تتجه الى الشرفة .. لا يمكن ان ينتظر جفاف المنديل ، لن يحتمل ، سينصرف على وعد بزيارة أخرى .. يقول لها : « سوف امر قبل عودتي الى الجبهة » .. ويقول لها : « يقينا سوف امر ، آخذ المنديل وآخذ رسالة الى سمير » .. ويتركها تعيش ساعات اخرى بلا دموع ..

★ ★ ★

... في الشرفة وهي تعيد عصر منديله ، وهي ترى القطرات تتساقط ، عذبتها الهواجس ، ليس طبيعيا صاحب سمير ، يخفي خبرا سيئا !! .. فردت المنديل ، بل هي تتوهم بسبب شدة قلقها ، ليس طبيعيا لانـه مرهق منهك .. مالت تنشر المنديل ، فجاةتفجرالاحساس المبهم !! ..استرجعت حاله منذ جاء ، قلقه ، عـذاب وجهـه ، هروب نظراته .. ليس طبيعيا هذه المرة .. عرقت ، غام الشارع في عينيها ، استعادت صوته المنكسر ، نبراته المهتزة ، كلماته المبتورة .. تذكرت لمعة عينيـه ، ودموعـه ، فتجلت الفكـرة ، وتاكد الاحساس ، وانقضت على الفور داخلة :

ـ ماذا حدث لولدي ؟؟

بوغت بالسؤال ، فوجيءبها امامه !! ..نظراتها ترجوه تكذيبا ، وجهها يستجديه انكارا .. ظل صامتا لا ينطق !! .. وراته يجمد دامع العينين ، محملقا مصعوقا ، ودموعه تنسال غزيرة !! .. شهق .. ترنح ، فسارعت تاخذ راسه فيصدرها ، تستند عليه ، وجميع جسديهما يبكي .

مجيد طوبيا

النبى محمد رجل القومية العربية

● مقالة الامام الجزائرى المرحوم عبد الحميد بن باديس حول النبى محمد صلى الله عليه وسلم ، ومفهوم الامة العربية ، والتى نشرت فى العدد ٢٣٣ من مجلة العربى ، تعتبر آية فى نفاذ الرؤية ، لانها عادت الى المنابع ، الى حديث الرسول الكريم ،حسبما رواه ابن عساكر فى تاريخ بغداد بسنده ٠من هذه الزاوية اكتسب مفهوم الامةبعدا تراثيا وانسانيا وحضاريا ، متسما بالاصالة والانفتاح ٠ وبذلك فالامة العربية ليست كيانا عنصريا فى مواجهة كيانات اخرى ، وانما هى شمولية نورانية ، الاسلام قنديلها ، والعربية لغتها ، والقرآن كتابها ، وابن آدم بذرتها ٠
صفحتان فقط ، بقلم الامام ابن باديس ، خير من عشرات المجلدات التى تعبرها الاقلام منذ القرن الماضى ، لا لشىء الا للالتفاف على نورانية التعريف الذىتضمنه الحديث الشريف ، الذى يفسر التكوين التاريخى ، الجغرافى، البشرى ، الفكرى ، للأمة العربية الاسلامية تفسيرا يبلغ حد الاعجاز ٠

فردوس المجتهد
اللاذقية

عن المسلمين فى يوغوسلافيا

● لى عدةملاحظات اضيفهاالى استطلاع المسلمين فى يوغوسلافيا الذى نشرتهالعربىفى عددها رقم ٢٣٣ بتاريخ الاسلام فى البلقان يستحقاهتماما اكبر،لان البعض يربطبينه وبين الفتح العثمانى ، حتى انياقوت الحموى لقىبعضمسلمى المجر فى اوائل القرن السابعوكانوا على مذهب ابى حنيفة ٠٠ بل ان ابا حامد الغرناطىالمتوفى سنة ١١٦٩ م ـ وهو عالم مسلم ورحالة عاش فىالمجر وتولى مشيخة الاسلام فيها ـ تحدث فى كتابه « تحفةالالباب ونخبة الآداب » عن المسلمين هناك قبلياقوتبحوالىقرن من الزمان ٠ وهكذا فان العثمانيين عندما دخلوايوغوسلافيا، وجدوا تربةصالحة لنشر الاسلام بدون اكراه ٠ولا سيما فى منطقة البوسنة والهرسك ٠

● هناك تنظيمات اسلاميةفى يوغوسلافيا تستحقالاشارة، مثل الادارة المركزية فىسراييفو برئاسة رئيس علماء مسلمى يوغوسلافيا (وهو الانالشيخ نعيم الحاج عبديتش)، وهو المفتى الاكبر ، والىجانبهمجلس من كبار العلماء يتولى الاشراف علىالمساجد والمدارسالدينية والبعثات وادارة الاوقاف ٠ وفى كل جمهوريةمنجمهوريات يوغوسلافيا الست رئيس علماء يدير شؤونمسلميها ، ومثل ذلك فى اقليم (كوسوفو) الذى يتمتعبالحكمالذاتى ، والذى تقطنه اغلبية من الالبان ٠ وهذا الوضعيجعل مسلمى يوغوسلافيا اعظم جماعة اسلاميةمنظمة فىاوروبا،ولذلك فهى اصبحقاعدةاسلامية لنشر الدعوة الاسلامية فىاوربا بالنظر لتنظيمها وموقعها الجغرافى ٠

● اغفل الاستطلاع التعليمالدينى فى يوغوسلافيا ، فلم يحدثنا عن مدرسة الغازىخسروبك فى سراييفو ، التى حلت محلها « كلية الدراساتالاسلامية » ، الجديدة ، كما لم يتناول المدارس الثانويةالدينية الموجودة فىبعضالمراكز

المهمة مثل سراييفو وبرشتينه،وهي التي تخرج الائمةوالخطباء، ومن بين خريجها يرسل المبعوثون للدراسات العليافي الخارج٠هذا علاوة على الكتاتيب في المساجد،وهي التي يذهب اليها الاطفال في صبيحة كل يوم احد ،بينمايذهب اليها البالغون في امسيات اليوم المذكور لتعلم القرآن الكريم واللغة العربيةوالفروض الدينية ٠ ومن ذلك مثلا انه كان في سنة ١٩٧٤ وفي منطقة واحدة ٤٢ مسجدا لتحفيظ القرآن الكريم و ٢٥ مدرسة لتعليم العلوم الدينية ، وهي تضم حوالي اربعة الاف تلميذ٠

● للدول العربية جهديستحق التسجيل في رعايةمسلمي يوغوسلافيا فالعراق مثلا قدم ثلاثين منحة للطلبة المسلمين لدراسة الشريعة الاسلامية في بغداد ، مع سبع منح للبنات المسلمات ، وهذا – في ظني –حدث لعله يقع لاول مرة في تاريخ مسلمي اوربا ، اذ تتصدى سبع بنات لدراسة الشريعة ! الول وهذه غير المنح التي تقدمها العراق للطلبة اليوغسلاف عموما على اساس اتفاقيات التعاون الثقافي بين البلدين، وهي مفتوحة للطلبة المسلمين وغير المسلمين على السواء ٠ ثم ان الجامعة الاسلامية الليبية كانت تقدم ايضا منحا سخية للطلبة المسلمين بالذات ٠ كما قدمت الحكومة السعودية عام ١٩٧٤ مبلغ ربع مليون دولار مساهمة منها في انشاء مبنى كلية الدراسات الاسلامية في سراييفو ، كما تبرعت حكومة الكويت بخمسين الف دولار ،وحكومة ليبيا بعشرين الف دينار ليبي ، وحكومة السودان بعشرة الاف جنيه استرليني للمشروع نفسه ٠

اخيرا ، فانني اشارك كاتب الاستطلاع رأيه في ان من واجب الدول العربية ايداء اهتمام اكبر باخواننا المسلمين في يوغوسلافيا ومدهم بالعون المادي والادبي ، ولا سيما بالكتب والمجلات على اختلاف انواعها لابقاء الصلة الروحية حية بيننا وبينهم ٠

الدكتور سامي الصقار
سفير العراق في يوغوسلافيا
سابقا
ومن اساتذة التاريخ الاسلامي
بجامعة الرياض (كلية الاداب)

مواجهة اسرائيل

● نحن العرب ، ازدادت ثروات بلادنا بعد اكتشاف النفط وشرعنا ببناء شتى المدن والشوارع التي تقر لها العيون ٠ ولكن مع تقدمنا الظاهري فان عقلياتنا وطريقة تفكيرنا لم تتطور وتتقدم حتى تجاري هذا القرن وهذا التقدم الظاهري والمادي ٠

ولا يمكننا الحفاظ على شخصيتنا ووطننا الا بادراك هذه الحقائق وعندها فقط نستطيع ان نواجه صلف اسرائيل وفجورها ٠

عربي متغرب
كالامازوا – ولاية ميشغن
الولايات المتحدة الامريكية

شجر الدر وليس شجرة الدر

● في استطلاع البحث عن مواقع التاريخ تحت رمال الجزيرة العربية (العدد ٢٣٤ ايار ١٩٧٨) ، وفي الصفحة ٨٠ منه ، نشرتم صورة قبة شجرة الدر (كذا) وصوابها شجر الدر وهي ارملة الملك الصالح نجم الدين ايوب ملك مصر والشام وكانت بعد وفاته قد تولت العرش رسميا في عام ٦٤٨ هـ ثم تنازلت عن اللقب لزوجها الجديد عزالدين أيبك ولكنها ظلت محتفظة بالسلطة حتى وفاتها في ٦٥٥هـ٠ ان تغيير اسم هذه الملكة من شجر الدر الى شجرة الدر خطا شائع يجب التنبيه اليه ٠

المحامي صالح الشالجي– بغداد

الصحابى صهيب اصله عربى

● ورد ذكر الصحابى صهيب فى سياق الموضوع الذى نشره العربى عن « النبى محمد رجل القومية العربية » للامام الجزائرى عبدالحميد بن باديس وذلك فى عدد ابريل ١٩٧٨ ٠

واتماما للفائدة فقد ذكرت معظم المصادر ان صهيبا لم يكن روميا ولكنه كان عربيا فهو صهيب بن سنان بن مالك، من بنى النمر بن قاسط ، صحابى من ارمى العرب سهما، وله باس وهو احد السابقين الى الاسلام ٠ كان ابوه من اشراف الجاهليين ٠ ولاه كسرى على الابله (البصرة) وكانت منازل قومه فى ارض الموصل ، على شط الفرات مما يلى الجزيرة٠ والموصل (اى المنطقة المحصورة بين نهر الفرات ونهر دجلة وتسمى الجزيرة) « علما بان الموصل مدينة تقع على نهر دجلة » وبالجزيرة ولد صهيب ٠ فاغارت الروم على ناحيتهم فسبوا صهيبا فنشا بينهم ، فكان الكن (اى فى لسانه عثرة) وقد اشتراه منهم احد بنى كلب وقدم به مكة ٠ فابتاعه عبد الله بن جدعان التيمى ٠ ثم اعتقه فاقام بمكة يحترف التجارة الى ان ظهر الاسلام فاسلم (ولم يتقدمه غير بضعة وثلاثين رجلا)

فلما ازمع المسلمون الهجرة الى المدينة ٠ كان صهيب قد ربح مالا وفيرا من تجارته ، فمنعه مشركو قريش ٠ وقالوا جئتنا صعلوكا حقيرا فلما كثر مالك هممت بالرحيل ؟ فقال صهيب ارايتم ان تركت مالى لكم سوف تخلون سبيلى؟ قالوا نعم فجعل لهم ماله اجمع. فبلغ النبى الكريم محمد صلى الله عليه وسلم ذلك ٠٠ فقال النبى « ربح صهيب ٠ ربح صهيب » ٠

سعيد علوان النحل
المقدادية ــ العراق

فقه المذاهب والعصر الذى نعيشه

● المقال الذى نشره العربى فى عدد ابريل ٧٨ للعلامة اليوغسلافى حسين جوزو عن فقه الصحابة وحاجة عصرنا يبرز غيرة الكاتب على الاسلام والمسلمين ٠

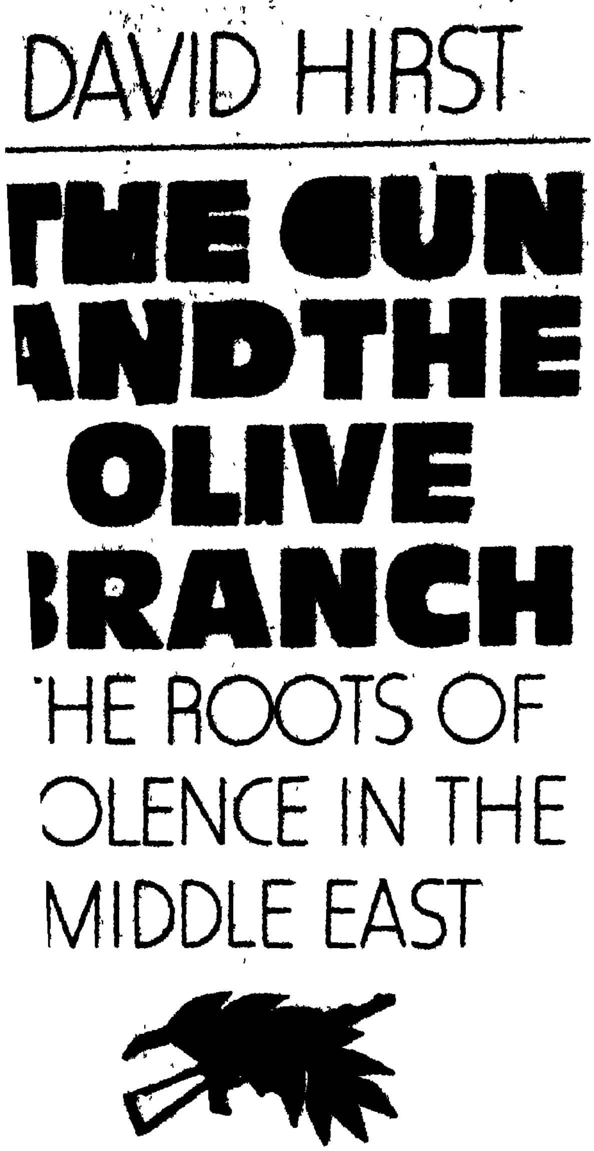
ولاشك ان علماء السلف الصالح اصحاب المذاهب اجتهدوا فى فهم النصوص لحل مشكلات عصرهم وبيئتهم وفقا لشرع الله ولم يصرفوا الناس عن النبع (القران والسنة) ولقد اتفقوا جميعا على انه اذا خالف رايهم القران او السنة ان يضرب بكلامهم عرض الحائط ٠ وافضل مثال على ذلك رفض الامام مالك راى الخليفة المنصور حمل الناس على اتباع ماجاء فى «الموطا»٠

ان قرائح علماء الاسلام لم تنضب وباب الاجتهاد لم يغلق والمطلوب هو الاقدام لفهم النصوص واستيعاب مشاكل العصر بما يتفق وشريعة الله٠

حلمى احمد العطار
منوفية ــ مصر

مشكلة البترول

[illegible]



كتاب الشهر

البندقية وغصن الزيتون

« ان غصن الزيتون لن يحل ابدا مكان البندقية ، حتى ينقذ العالم الخارجى اسرائيل من نفسها»

دافيد هيرست — روزماى صايغ

ان اصالة هذا الكتاب تكمن فى فكرة المؤلف بعرض النزاع فى الشرق الاوسط على انه يتفاعل تفاعلا متسلسلا ، ومتزايدا بين الصهاينة والعرب • واهداف مؤلفه دافيد هيرست تصحيحية بالدرجة الاولى • وغالبا ما حلل الرأى العام الغربى العنف فى الشرق الاوسط على انه

نتاج لتصلب العرب او تعصبهم بدون ان يكلف نفسه مشقة تتبع النزاع الى اصوله التاريخية القديمة•وعداء المسيحية للاسلام عميق الجذور غذى هذه الاراء واعطى الحملة الدعائيه الصهيونية اساسا للبناء عليه •وبحث هيرست بدقة سجل مكر الصهيونية ،كاشفا النقاب عن هذا المكر الذى استخدم عمليا ضد ضحاياه العرب ،ومسلطا الضوء عليه من خلال اقتباسات من ادب الصهيونية وصحافتها •

وكتاب «البندقية وغصن الزيتون» ليس فقط جديدا في اسلوب عرضه للنزاع العربي الاسرائيلي على انه تفاعل ، ولكنه ايضا منظم تنظيما جيدا ومثيرا ومستوحى من الشعور العاطفي والادراك العقلي معا • والكثير من الكتب التي تطرقت لهذا النزاع المستعصي حله كانت تقليدية وتكرارية او تزمتية،بينما هذا الكتاب لم يفقد ابدا عاطفته لبني الانسان خلف القضايا الصعبة • فهناك لمسة خفيفة من التعبير المأساوي اللاذع في طريقة بدء الكتاب ونهايته : فالكلمات الاولى قد اخذت من رسالة ليوسف ضياء الخالدى رئيس بلدية القدس الى كبير حاخامات اليهود في فرنسا في عام ١٨٩٩ :«بسم الله، اترك فلسطين في سلام» واختار كذلك بصورة متساوية فقرة مقتبسة ينتهى بها الفصل الاخير هي مقال لافرايم كيشون في صحيفة« جيروزالم بوست» يحث فيه على استخدام الاسلحة الذرية ضد العرب •

وحتى بالنسبة للقراء العرب فان هذا الكتاب يحتوى على الكثير من الامور غير المألوفة•وهيرست ـ وهو مراسل صحيفة الجارديان البريطانية المحنك والعارف بشئون العالم العربي خلال الاربع عشرة سنة الاخيرة ـ ،يجمع بين مهارات الصحفي والباحث• وهو من خلال احتكاكه بمصادر عربية واسرائيلية وانجليزية قد اكسب كتابه « البندقية وغصن الزيتون » الصلابة التي لا توجد في «انا كنت هناك» وهو اسلوب يتبعه الصحفيون في كتابة مقالاتهم• وفي الوقت نفسه فقد اكسبه وجوده في الشرق الاوسط لسنوات عديدة وسهولة اتصاله بالعرب والاسرائيليين ـ فهما لدوافعهم وشخصياتهم قلما يوجد في كتب بحث اخرى •

وعلاوة على ذلك فان الكتاب منجم ذهب لكشفه النقاب عن اقتباسات وثيقة الصلة بالموضوع ينشر الكثير منها للمرة الاولى • والاقتباس التالي لم ينشر في اى مكان آخر غير هذا الكتاب وهو ماخوذ من نشرة لوزارة التعليم الاسرائيلية موجهة الى المدرسين :

« من الاهمية بمكان ان يعرف شبابنا انه عندما عدنا الى هذه البلاد لم نجد هنا اية امة اخرى ، وانه بالتاكيد لم تقطن امة في هذه البلاد لمئات من السنين • والعرب الذين وجدناهم هنا والذين وصلوا قبلنا بسنوات عديدة فقط في الفترة ما بين ١٨٣٠ و ١٨٤٠ هم لاجئون فروا من اضطهاد محمد علي في مصر » (صفحة ٢٦٥) •

جذور العنف الاسرائيلي

والصهيونية منذ بدايتها كانت قادرة على الاستفادة من قصة ذبح الشعب اليهودى المعروفة ودعوى عدم نزوعه الى القتال وتشريده ، لكسب التاييد لثورة كانت موجهة بصورة رئيسية ضد اللاعنفية اليهودية اى معارضة الحرب او العنف او حمل السلاح لاسباب اخلاقية او دينية • وكان الصهاينة عن طريق التاكيد باستمرار على اهدافهم السلمية في فلسطين قادرين على ان يخفوا عن الاخرين ان لم يكن عن انفسهم بان اهدافهم لا يمكن تحقيقها الا عن طريق العنف فقط • ويعلق هيرست بقوله :

«كان العنف متاصلا في الصهيونية منذ البداية• ويعتقد داعية الصهيونية هيرتزل بان الاكراه والقوة المادية هما امران لا مفر منهما • ولم يكن في حاجة ماسة لممارسة ضغط قوى متواصل على اتباعه لترسيخ هذا الاعتقاد في نفوسهم •

ويقول هيرتزل في يومياته التي لم تنشر الا بعد ست وعشرين سنة على وفاته في عام ١٩٠٤ والتي كان يحرص على عدم التفوه بها في خطبه وتصريحاته العلنية يقول : ان القوة العسكرية كانت عنصرا اساسيا في استراتيجيته • ومثاليا

ان الصهاينة ـ يجب ان يحصلوا على الارض التي يختارون بالانتزاع المسلح.» •

وكتب هيرتزل في مكان آخر : « ان الهجرة امر غير ذي جدوى ان لم تكن مرتكزة على السيادة المؤكدة » ووجهات النظر الواضحة هذه تتناقض بشكل ملحوظ مع تاكيدات صدرت عنه في الكثير من المناسبات بعدم الاعتداء سواء بالنسبة للفلسطينيين او الحكومات التي طلب تاييدها • مثال ذلك كتب يقول في رسالته الى رئيس بلدية القدس الخالدي « ليس لليهود دولة محاربة تقف خلفهم ، كما انهم ليسوا ذوي طبيعة حربية •انهم عنصر مسالم تماما وانهم قانعون جدا اذا ما تركوا في سلام » •

وسواء اختاروا العنف بصورة متعمدة ام لا فانه كان متاصلا في رفض الصهيونية الاعتراف بحقوق السكان العرب في فلسطين او حتى بوجودهم كشعب • وكان المستوطنون الذين تدفقوا اولا على فلسطين بحاجة ماسة الى السلم ، واقامة علاقات اقتصادية طبيعية مع المزارعين حول مستعمراتهم ، ولكن حتى مع قدوم المستوطنين الاوائل كانت هناك اشتباكات ، فيما واجه المزارعون الفلسطينيون وضعا جديدا لم يعهدوه من قبل الا وهو الطرد ونزع الملكية • ولم تعترف الحكومة العثمانية رسميا بان للحركة الصهيونية حقوقا في فلسطين ، ولكن مسؤوليها المحليين لم يكونوا متحمسين بشكل زائد لمنع مبيعات الاراضي الى المهاجرين اليهود •

وكان مفهوم القادمين الجدد «للملكية» يختلف اختلافا تاما عن مفهوم المزارعين الاصليين « للحقوق » • وعندما اقام المهاجرون اسلاكا شائكة حول ارضهم المكتسبة حديثا فانهم بذلك اعتدوا على الحقوق التقليدية للمزارعين بالانتقال بحرية وزرع الارض • وكان على المهاجرين أن يبادروا الى اخبار السكان الوطنيين بانهم حراس فقط للارض ، وليسوا مالكيها الشرعيين •

سياسة انتزاع العمل

واصبحت ردود فعل المزارعين الغريزية ضد المستوطنين الجدد اكثر وضوحا ، ولها ما يبررها خاصة بقدوم الفوج الثاني من المستوطنين (١٩٠٤ ـ ١٩٠٧) الذين كان من بينهم بن غوريون وغيره من مؤسسي الصهيونية المحاربة في فلسطين•وكانوا هم الذين قرروا سياسة « انتزاع العمل » والذي يعني من ناحية عملية مقاطعة الايدي العاملة العربية • وعارضت هذه السياسة التي كانت مغلفة بالاشتراكية الكاذبة في تشغيل العمال العرب ولكنها ادت في الحقيقة الى ايجاد تفرقة عنصرية بين اليهود • ويشدد هيرست على عواقب هذا الاختبار المميت ويقول :

منذ انشاء دولة اسرائيل وهي تحاول كسر العزلة الاقتصادية والسياسية الصارمة التي يفرضها العالم العربي باسره عليها • وبالطبع فان رد الفعل لهذه العزلة كان مختلفا • ويرجع السبب في فرض الحصار العربي الى الطرد الاول لعامل عربي من مزرعة يهودية •

والقى الصهاينة في ضوء الادراك لافتقارهم الى قاعدة صلبة لتكوين دولة كبيرة(على خلاف جميع الدول الاستعمارية الاخرى) القوا بكل شيء في سبيل استجداء الدعم من كل حكومة يعتمدون بانها تقدم مساعدات لهم • وبدأ نجاحهم في الميدان الدبلوماسي فور انتهاء اربعمائة سنه من حكم تركي لم يتعايش العرب سياسيا معه ، كما دفع هذا الوضع الصهيونية الى المضي قدما في التاثير على الرأي العام العالمي الامر الذي اغضب العرب ربما اكثر من الخسائر البشرية والمادية التي تكبدوها على ايدي اليهود • وحتى الان فان معظم العرب على الارجح لم يفهموا المدى الذي وصلت اليه قوة اسرائيل في تفوقها في اساليب العنف أكثر من التاييد الذي حصلت عليه من جانب الولايات المتحدة •

ويتتبع هيرست هذا النقض الصهيوني للاعنفية اليهودية من بدايته في مثالية الابطال القدامى امثال«باركوكبا» الى تاسيس الة الحرب الصهيونية• ففي عام ١٩٠٧ انشئت «هاشومير» لحراسة الممتلكات اليهودية ، وبعد عامين تم تاسيس اول قوة عسكرية سرية اسرائيلية • وفي العام ذاته أنشيء حرس يهودي في مقاطعة طبريا •

وخلال الحرب العالمية الاولى اسس ثلاثة من المحاربين الاوائل هم «ترامبيلدور»،و«جابوتنكسي» و«آرونسون» فيلق «زيون ميول Zion mule»والفيلق اليهودي(وكلاهما حاربمع الجيش البريطاني)وشبكة المخابرات الاولى المعروفة باسم «نيلي» • وبالرغم من أن هؤلاء الرجال كانوا غير اعضاء في الحركة الصهيونية الا انه كان لهم تاثير قوي على المهاجرين

من اليهود الشبان • وقد اعلنوا عن نماذج من نوع جديد من اليهود :

«نحن بحاجة الى رجال مستعدين لعمل كل شيء• يجب علينا ان نخلق جيلا من الرجال ليست لهم مصالح او رغبات ، وان نحصل على المعدن الذى نستطيع ان نصوغ منه الاشكال التى نحتاجها لآلة الحرب الوطنية » • (ترامبلدور) (ص ٣٥)

لغة القوة وحدها

وبينما واصل الاحرار واليساريون الاوروبيون تاييدهم للصهيونية بوصفها حركة تحرير حقيقية ، كانت الحركة الصهيونية فى فلسطين تنشىء جيلا من المقاتلين والمتخصصين فى العنف • واصبحت الصهيونية المسلحة فى النهاية الاداة لاكراه شعب فلسطين على ترك منازله فى عام ١٩٤٨ ، ضمن مخطط منظم تنظيما جيدا من الارهاب والهجوم العسكرى المباشر والحرب النفسية • ولم يكن الفلسطينيون هم الضحايا الوحيدين للعنف الصهيونى، فقد اغتيل وسيط الامم المتحدة «برنادوت» لدفاعه عن عودة الفلسطينيين الى ديارهم • وتدفق اليهود العراقيون على فلسطين فى اعقاب عمليات ارهاب دبرتها الصهيونية • وقتل مواطنون فى القاهرة من جراء انفجار قنابل استهدفت خلق توتر بين الحكومة المصرية والولايات المتحدة،ولكن الفلسطينيين ظلوا الهدف الرئيسى للعدوان الصهيونى •

واصبح الاعتداء عند الصهاينة عادة وطريقة اتوماتيكية تم تبريرها (عندما كان التبرير ضروريا) بواسطة النظرية القائلة ان الشيء الوحيد الذى يفهمه العرب هو القوة •

ويضيف هيرست فيما يتعلق بالعنف الصهيونى الاسرائيلى قائلا:«ان العنف هو احدى خصائص حركة انبثقت من المقاومة للظلم والاضطهاد ، بحيث يجب ان تكون عديمة الحساسية بالمرة للمقاومة نفسها التى تولدت فى آخرين » •

وللان فان الدهشة غير واردة على الارجح ، لان الحركة الصهيونية التى فتكت بضحاياها من العرب قد قامت منذ البداية على القوة ، وانها ستستمر فى وجودها على القوة ، والقوة فقط • وطبعا نستطيع ان نتاكد بان الاسرائيليين اذا ما تخلوا عن العنف فان ذلك لن يكون لاسباب خلقية ولكن فقط لانهم لم يعودوا يستطيعون مواجهة انظمة الحكم العربية التى لم تستطع حماية شعوبها •

ماذا كانت عليه ردود الفعل الفلسطينية ازاء العنف الصهيونى ؟

وفى معرض وصفه لتعاظم الحركة المناوئة للصهيونية فى فلسطين قبل بدء الانتداب البريطانى سال هيرست السؤال نفسه :

«كيف ينبغى على الزعماء الفلسطينيين وغيرهم ان يتصرفوا ؟ ولم تستغرق اجابة السؤال وقتا طويلا لادراك ان الصهاينة كانوا هم الاعداء،كما ان الأمر لم يحتج اى وقت طويل لكى يدرك الزعماء الفلسطينيون ان الطريق الوحيد لقتال العدو هو التعلم منه » •

وفى تاكيده لتماثل ردود الفعل الفلسطينية ازاء الصهيونية (العنف ضد العنف) اشار هيرست الى الخلافات الظاهرة بين الجاليتين فالمهاجرون الصهاينه كانوا رجالا جددا يتركون ثقافتهم اليهودية وتقاليدهم خلف ظهورهم فى احياء اليهود بروسيا واوربا الشرقية ، ولكن الفلسطينيين دخلوا عهد الانتداب المحصن ببناء اجتماعى وثقافى جعل من الصعوبة البالغة تحقيق نضال منظم • ويلاحظ هيرست انه بالرغم من انه كانت هناك اعمال عنف عفوية من جانب القرويين ضد المستوطنين اليهود «الا ان الزعماء الفلسطينيين كانوا اصحاب نزعة طبيعية ايديولوجية اقل تطورا ازاء استخدام القوة من الزعماء الصهاينة » • ولم يعط هيرست مزيدا من التفصيلات باستثناء الاشارة الى زوال العقبات والعوائق داخل المجتمع الفلسطينى لصالح تطوير النضال الوطنى •

طريق المقاومة الشعبية

وكان الاسلوب السياسى الطبيعى للشخصيات الفلسطينية البارزة شرعيا وديبلوماسيا • فقد ارسلوا وفودا الى استنبول للاحتجاج ضد بيع أراضى الدولة الى مهاجرين صهاينة ، ولكن لا يوجد سجل يدل على مساعدتهم للمزارعين فى مقاومة عمليات نزع الملكية والطرد • ومن بداية الاحتلال البريطانى فى عام ١٩١٨ استمرت الشخصيات الفلسطينية فى الاحتجاج : ضد وعد بلفور ، وضد الفصل الرسمى لفلسطين عن سوريا ، وضد تعيين يهودى صهيونى كاول مفوض سام ، وضد الرفض البريطانى بالسماح بانشاء المؤسسات التمثيلية النيابية ، ولكن هذه الاحتجاجات لم تترجم فيما بعد الى افعال •

وعندما وصل هيربرت صموئيل الى فلسطين فى عام ١٩٢١ راجت شائعات لا اساس لها من

ناجحة من عملية اغتيالمدبرة له · وبعد تهديدات المقاطعة حضر جميع الزعماء الفلسطينيين بصعوبة اجتماعات دعا اليها المفوض العام · وخلال المؤتمر العربي الرابع الذى عقد فى عام ١٩٢١ قـرر المجتمعون رسميا وجوب تبنى الوسائل السلمية لا العنيفة (ويشير هيرست هنا الى نفوذ السياسيين البريطانيين المؤيدين للعرب) ·

وفى مراحل عديدة وعندما لاح خطـر انـدلاع اعمال عنف واسعة النطاق استخدمت الشخصيات الفلسطينية البارزة نفوذها لصالح الاعتدال ،مما ادى الى ان بعضا من هذه الشخصيات حصل على اوسمة بريطانية ·

ويشير هيرست ايضا الى انه عندما قتل عز الدين القسام وهو اول زعيم ينظم مقاومة مسلحة لم يحضر جنازته احد من الزعماء الفلسطينيين · لقد كان هناك منذ البداية انقسام بين الجناح السياسى والجناح العسـكرى للحركة الوطنيـة الفلسطينية ادى الى عرقلة ظهور مقاومة فعالة·

وعلاوة على ذلك فمـع ان الـوعى الـوطنى الفلسطينى بدا انه يتطور بسرعة الا انه اخفق فى سحق زمرة السماسرة والمشتركين معهم الذين اوجدتهم السلطة البريطانية :

« بالرغم من ان بائعى الاراضى والسماسرة هم الذين يجب ان يوجه اليهم اللوم الفعلـى الا انهم نادرا ما تعرضوا لمثل هذا الموقف ، كما ان المجتمع لم ينبذهم نبذا حقيقيا · والاشخاص القلائل الذين يجب ان يدانوا (فى بيع الاراضى) نادرا ما كانوا هم اولئك الذين انغمسوا كبيرا فى عمليات البيع هذه ·

واولئك الذينتحملوا عب هذا التسامح المجتمعى لمبيعاتالارضكانوا بالطبع هم الجماهيرالفلسطينية وبخاصة فئة المزارعين·والاصول الاجتماعية لثورة ١٩٣٦ التى استمرت ثلاث سنوات (وهى اطول نضال مسلح ضد الاستعمار فى المنطقة حتى حرب الاستقلال الجزائرية) لم تبحث بعناية كما فعل هذا الناقد ، ولكن هناك اتفاق عام على انه لا الاضراب العام الذى استمر ستة اشهر ولا الثورة قد خطط لهما من قبل الزعامة الوطنية · لقد كان على الاصح وليد مقاومة جماهيرية عفوية وحرب مزارعين نموذجية ، وان احدا من الشخصيات البارزة لم يشترك فى القتال،مع ان بعض الزعماء المحليين كانوا من رجال المفتى ·

واظهر الفدائيون (المجاهدون) من القرويين شجاعة وحماسا اشاد بهما خصومهم البريطانيون· وبالرغم من اسلحتهم القـديمـة جـدا وتدريبهم البدائى الا انهم نجحوا فىذروة الثورة فىالسيطرة على منطقة الجبال الوسطى والعديد من المدن :

« لقد كان فتحا للمدن من جانب القرويينابناء الريف · وقدم الثوار هذه المرة من التلال الى السهول لقد تحركوا من اقطاعياتهم المحلية لتامين سيطرة اوسع ، وتمكنوا من بسط نفوذهم ليس فقط على القرى التى كانت متعاطفة معهم منذ البداية ، وانما ايضا على بعض المدن الرئيسية فى فلسطين · وقاموا باستبدال الطربوش المزين بشرابة والذى يرتديه ابناء المدن على رؤوسهم بالكوفية وهى لباس الراس لابناء الريف ·

وتم تعبئة ثورة القرويين هذه ابان اوجهـا بخمسة عشر الفا من المحاربين فى المدن والقرى واجبرت البريطانيين على رفع جيش احتلالهم الى فرقتين اى حوالى عشرين الف جندى ، ولكن مع حلول خريف عام ١٩٣٨ بدا مد الحرب فى التحول· فقد تم ابادة المجموعات الفدائية فى التلال من جراء القصف الجوى ، وتم تخويف انصارهم فى القرى بوسائل « العقوبة الجماعية » كنسف قرى بكاملها الامر الذى حدا بهم الى الاحجام عـن تقديم الدعم للثوار ·

وجـرى تـشديد عمليات القـمع والاضـطهاد والاخضاع عن طريق السجن والاعدام والاحكام الصارمة لكل من يحمل اسلحة ، وتم ابعاد معظم الزعماء الوطنيين كما لجا البعض منهم الى دول عربية ·

وفى ضوء القسوة المتناهية لهذا القمعلم تسترد الحركة الوطنية الفلسطينية قوتها،كما انه لم يتم تحويل الدروس المستفادة من الثورة الى مكاسب تنظيمية · وبدلا من ذلك فقد تم قبول التنازلات الظاهرة للكتاب الابيض البريطانى فى عام ١٩٣٩، مع ان كل تجربة مع حكومة الانتداب يجب ان تكون قد علمت الفلسطينيين بان الوعود التى قطعت فى فلسطين سيجرى انكارها تحت وطاة الضغط على الحكومة البريطانية (وايت هول Wnite Holl) وهكذا عندما حان موعد الاختبار الحقيقى للقوة وكان الى جانب الصهاينة فى عام ١٩٤٨ وجـد السكان الذين لعبوا دورا بارزا فى ثورة ١٩٣٦ انفسهم معتمدينعلىالوعود العربيةبتقديمالمساعدة

لهم • وفي الحقيقة ان بريطانيا مهدت الطريق للاستيلاء الصهيوني على فلسطين بأبخس ثمن •

اخطاء حركة المقاومة

وفي الفصلين الاخيرين من كتابه « البندقية وغصن الزيتون » يتناول هيرست بالتفصيل ظهور حركة المقاومة الفلسطينية مظهرا تعاطفا كبيرا وفهما لاهدافها ولكنه في الوقت نفسه يوجه النقد لها لاخطائها • فهو لا يعارض المبادىء الاخلاقية البورجوازية لتبني اساليب العنف وانما هوبالاحرى يتحدث عن « المرض الداخلي » التنظيمي والسياسي والعسكري الذي يقف في طريق فعالية الثورة ، فجوهر المتكلة كما يرى هيرست هو الغلاف وعدم الوحدة • ومع ان النزاع العربي انعكس بصورة جزئية على الصفوف الفلسطينية ومهما كانت اسبابه فان عدم الوحدة هو الذي جرد المقاومة من التاييد الشعبي الذي كان كفيلا وحده لان يحميها من مناورات انظمة الحكم • ولم يقترف هيرست غلطة فصل الثورة الفلسطينية عن بيئتها العربية عن طريق القول بان ذلك سيكون بمثابة نوع من الانحراف او بمثابة مصباح قوي قد خفت نوره • فهو على العكس يقرر بان جناحي المقاومة قد سقطا في الشرك « فتح » بمذهبها العملي الظاهري (مزيد من السلاح للشعب) والمنظمات اليسارية القائمة على الراديكالية الظاهرية • فالشرك نفسه وطريق السقوط فيه هما الجزء المكمل للواقع العربي الحالي •

فبينما لمع نجم الفلسطينيين في المسرح الدولي اخذت قاعدتهم في العالم العربي تتضاءل باستمرار • وبالطبع هناك الانقسام الاساسي بين جبهه القبول وجبهة الرفض ، وتهديده باندلاع حرب اهلية ، ولكن ليس بالقدر الذي كانت عليه الخسارة العامة للارادة والهدف العربيين اللذين يشدد عليهما هيرست في الصفحات النهائية من كتابه • وهو هنا يرسم صورة موجزة للانهيار المادي والسياسي العربي والسقوط في فوضى مميتة من شانها ان تسبب ازعاجا لبعض الوطنيين العرب مع انكثيرين قد يتفقون على ذلك رغم مرارته :

« عزا الرئيس جمال عبدالناصر والثوريون من جيله الكارثة الى فساد الطبقة القديمة : الملكيات، انظمة حكم البكوات والباشوات ،اصحاب الاراضي الشاسعة والاقطاعيون ، الانانيون ، الرجعيون ، والتابعون لمؤسسي اسرائيل الغربيين • مهمتهم الرئيسية الظاهرية على الاقل م الهزيمة • وعلى اية حال فقد برهنت الطبقة التي افرزتها الكارثة على اخفاقها وذلك من خلا مشاريع • والعالم العربي لا يتمتع بوحدة او او اشتراكية • وبالنسبة لفلسطين وبعيدا تحريرها فقد فقد الثوريون مزيدا منها اكتوبر عام ١٩٧٣ استعاد العرب جزئيا قو وهذا يعني انهم نجحوا في النهاية في تحقيق تعبئة للمجهود الضخم لدولهم: الموقع الاسترا والقوة البشرية ، والثورة الهائلة التي م اياها

وبينما يترك هيرست بصيصا من الامل استعادة العرب لقوتهم « فان العرب لن يظلو فوضى الى الأبد ، فستظهر طبقة جديدة في ال تكون اكثر مقدرة وأكثر تصميما على تعبئ المجهود الضخم ليكون تحت تصرفهـ ومن الواضح انه يتصور حربا نوو بوصفها الامر الاكثر احتمالا • وبهـ دعم حجته هذه فقد انهى كتابه باقتباس طويل مقال لافراييم كيشون نشر في صحيفة جيروز بوست في ابريل ١٩٧٦ دعا فيه الى انهاء التدد المخيف لمتروات الاسلحة التي لا تقف عند حد ولكن ليس بصنع السلام ، بل بوسيلة اسرع وا ملاءمة وهي القنبلة الذرية الفتاكة فاسرا ليس لها حليف جيد •

واذا كان الشرق الاوسط قد اصبح سو لاحلام منتجي الاسلحة ، ومسرحا لاختبار ت الاسلحة على حساب التكلفة البالغة غير العاد التي تتمثل في المعاناة الانسانية ، الا ان ذل يمكن رده الى نجاح الصهيونية في تحقيق التلاء بين الهدف الاستيطاني (الاستيلاء على فلسطين وشاط وتعصب شعب مضطهد • والتهديد الاسرائيلي بالقيام بانتحار ذري يحتاج الى اخذه على محم الجد : اولا من جانب الحكومات العربية التي تتحمل واجب الدفاع عن شعوبها ، وثانيا الحكومات الغربية التي انشات اسرائيل وانتت على عملياتها العسكرية :

ان غصن الزيتون لن يحل ابدا مكان البندقية حتى ينقذ العالم الخارجي اسرائيل من نفسها •

■■

بيروت ـ روزماي صايغ

نزهة العقل الذكي بجوائز

مسابقة العدد

■ مسابقة هذا العدد هي « الكلمات المتقاطعة » .. والمطلوب ايجاد الاجابات الصحيحة لها وارسالها الينا .. ويمكنك اعادة رسم مربعات الكلمات المتقاطعة على ورقة مستقلة ، حتى لا تشوه صفحة العدد بقطعها منه .. أما الكوبون المنشور في أسفل الصفحة المقابلة ، فمن الضروري أن يرفق بالاجابة حتى تفوز بواحدة من الجوائز التي مجموعها ١٠٠ دينار تمنح على الوجه الآتي :

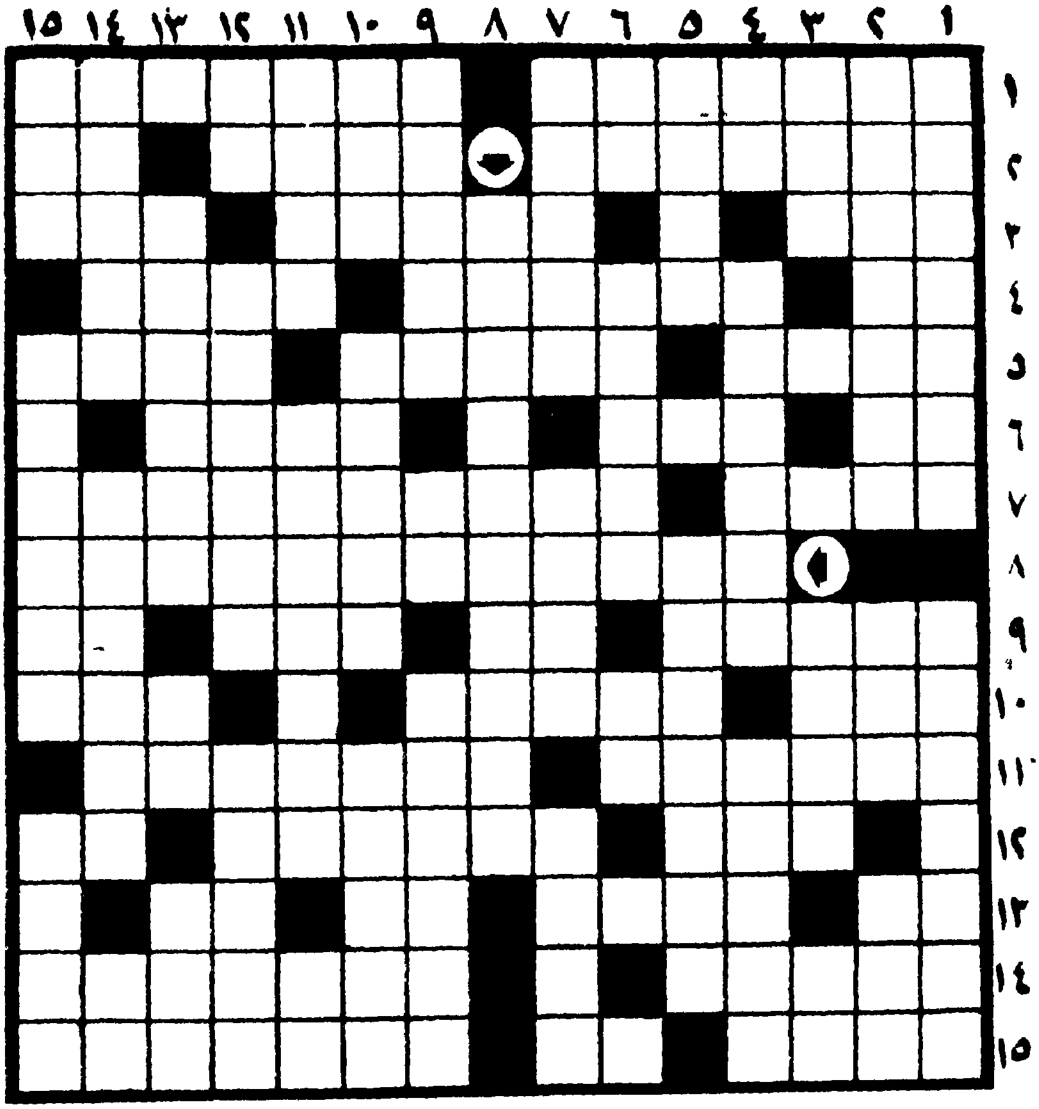
الجائزة الاولى ٣٠ دينارا ـ الجائزة الثانية ٢٠ دينارا الجائزة الثالثة ١٠ دنانير و٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا كل منها ٥ دنانير . ترسل الاجابات على العنوان التالي : مجلة العربي صندوق بريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد ٢٣٧ » وآخر موعد لوصول الاجابة الينا هو أول اكتوبر (تشرين أول) ١٩٧٨ .

اثنتان في واحدة

الكلمات الافقية :

(١) حاملات عناصر الوراثة في الخلية ـ جهاز لقياس الضغط .
(٢) من أكبر المعارك البحرية في التاريخ بين الاتراك والاوربيين ـ رغب ـ طقس .
(٣) أرض خلاء بلا ماء او نبات ـ معجم فرنسي شهير ـ قمة .
(٤) حرفان متشابهان ـ من شخصيات الثورة الفرنسية ـ يفرض .
(٥) عبقرية ـ من الحرفين ـ نسكن .
(٦) نصف كلمة (يوسف) ـ أحث ـ ينسف .
(٧) من أوجه القمر ـ كتاب شهير لشارلز دارون .
(٨) طبيب عربي ومؤرخ علوم .
(٩) من أنحاء البيت ـ حرف جر ـ حيوانات ـ حرف عطف .
(١٠) نصف يوم ـ رسم جغرافي ـ عمد .
(١١) مصيف سوري ـ الافضال .
(١٢) حروف متشابهة ـ سلطان مملوكي حكم مصر ـ عبودية .
(١٣) رمز جبري ـ من القارات ـ حرفان متشابهان ـ مقام موسيقي .
(١٤) تقريع ـ عاصمة سيلان .
(١٥) يهتم ـ للتعريف ـ يستوحيه .

كوبون مسابقة



الكلمات الرأسية :

(١) فى العين ـ لقب شاعر عربى معاصر .

(٢) مدينة بريطانية معروفة ـ فى غيبة الشمس ـ من سور القرآن الكريم .

(٣) من العلوم الرياضية ـ من انواع الزجاج ـ رمز كيميائى .

(٤) للنداء ـ مبالغة ـ خبرة .

(٥) نعتزم ـ عاصمة اوربية .

(٦) قادم ـ شهر هجرى ـ دق .

(٧) تكفل به ـ رائق ـ عاصمة حامورابى .

(٨) امام النباتيين العرب .

(٩) من المفرقعات ـ للتفسير ـ عاصمة اوربية .

(١٠) من الاشجار ـ جزيرة شهيرة فى المحيط الهندى ـ من الاخشاب .

(١١) عمودى ـ من الغضروات ـ نصف كلمة (قالت) .

(١٢) رغب ـ سلاح حربى قديم ـ شهر شمسى .

(١٣) الفرار ـ قوام ـ من القاربه .

(١٤) تحسين ـ عواطف شديدة ـ حر استفهام .

(١٥) أشاع ـ المواثيق ـ مثال يحتذى .

• النجمة والسهم •

من رواد المسرح العربى

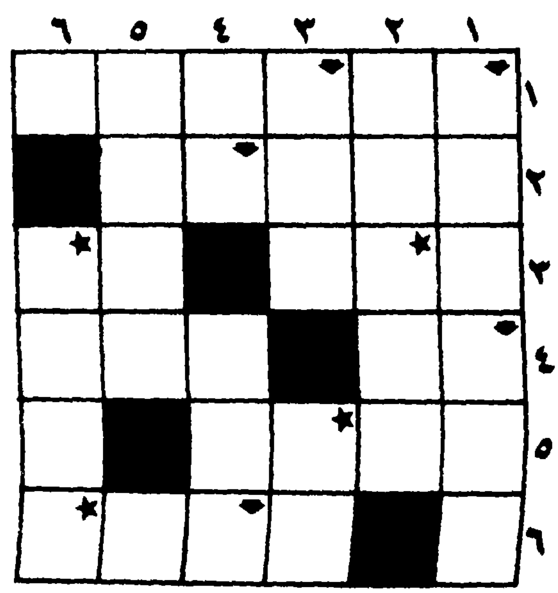
ابدأ أولا بحل مسابقة الكلمات المتقاطعة، بعد ذلك انقل الحروف التى فى المربعات التى بها الاسهم ، ورتبها بحيث تصنع الاسم الاول لرائد من رواد المسرح العربى • ثم انقل الحروف التى فى المربعات التى بها النجوم ، ورتبها بحيث تصنع لقبه •

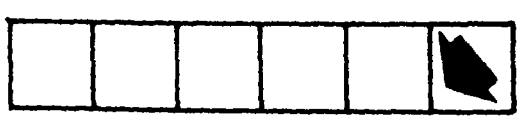
الكلمات الافقية :

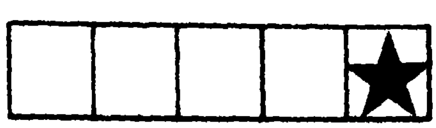
(١) من الغازات •
(٢) الاسم الشائع لاستيارات الصوديوم •
(٣) ضمير ـ نصف كلمة (تنصح) •
(٤) حرفان متشابهان ـ سقط •
(٥) تنتسب الى قطر عربى •
(٦) رفضت •

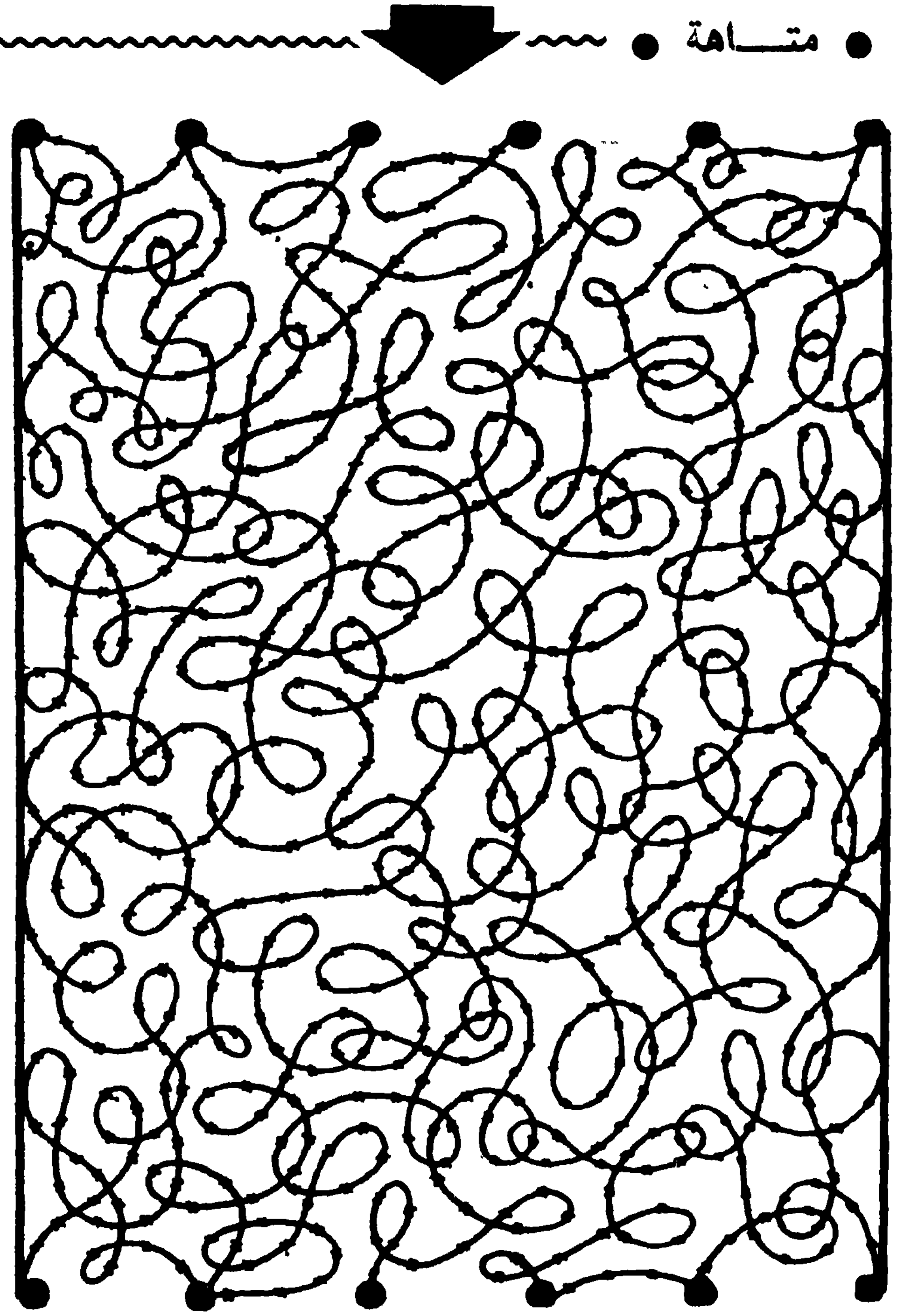
الكلمات الرأسية :

(١) فى الكف •
(٢) عاصمة استراليا •
(٣) من أيام الاسبوع ـ من الاقارب •
(٤) طقس ـ زمن •
(٥) يختار •
(٦) نالف •









طريـق الاســلاك الشائكة

ظل الاسير لشهور طويلة يفكر فى الهرب ،غير أن عوائق الاسلاك الشائكـة كانت تقضى على أمله فى الهرب •• وذات يوم عثر على« قصافة » للاسلاك الشائكة مدفونة فى الرمال، وفى حالة سيئة نتيجة ما أصابها من صدأ ••وأخذ يحاول صقلها مستخدما قطعة من الحجر•• فاصبحت لا تصلح للاستعمال أكثر من ستمرات •

وقد استطاع الاسير الذكى ان يحسن اختيارطريقه وسط الاسلاك الشائكة بحيث لا يحتاج الى استخدام « القصافة » أكثر من هذه المراتالست • فهل تستطيع أن تعرف الطريق الذى سلكه، من الجانب الذى يشير اليه السهم ؟ ••

• بالعقل فقط •   استاذ نبيه يسأل

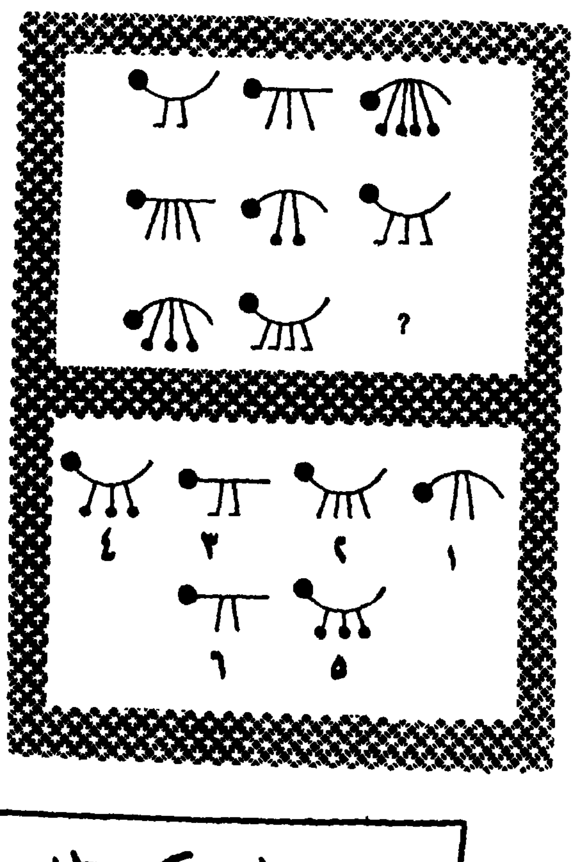
أيــن العشرة قروش ؟ ••

في السوق ، كان احد الباعة يبيع ما لديهمن برتقال ، كل ثلاث برتقالات بعشرة قروش• والى جواره ، كان زميله يبيع كل برتقالتينبعشرة قروش • وذات يوم نشأ ما يدعوهمـا الى العودة الى بيتهما في منتصف اليـوم ،فتركا ما بقي لديهما من برتقال لزميل ثالث لهما ، حتى يتولى بيعه •

اراد هذا الزميل تبسيط عملية البيـع ،فخلط البرتقال كله ، وباع كل خمس برتقالات بعشرين قرشا •• فاذا علمنا ان ما كان متبقيامن البرتقال عند كل من البائعين ، ٣٠ برتقالة لكل منهما •• نعرف من ذلك ان زميلهما باع لبرتقال كله بمبلغ ٢٤٠ قرشا •

عندما ذهب اليهما آخر النهار ، وسلمهماالنقود ، قالا ان المبلغ ينقص عشرة قروش •• هل تعرف لماذا ؟ ••

الشكل المطلوب



من دراسة العلاقـة بين الاشكال التي في الصفين العلويين ، حاول ان تعرف أي الاشكال ذات الارقام يحل محل علامة الاستفهام •

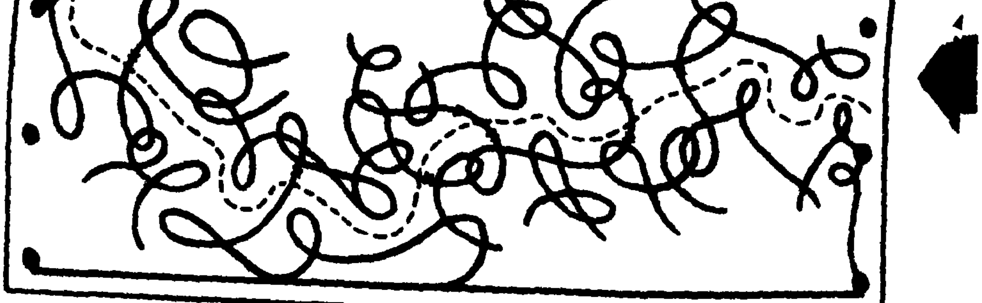
الحلول

النجمة والسهم : يعقوب صنوع •

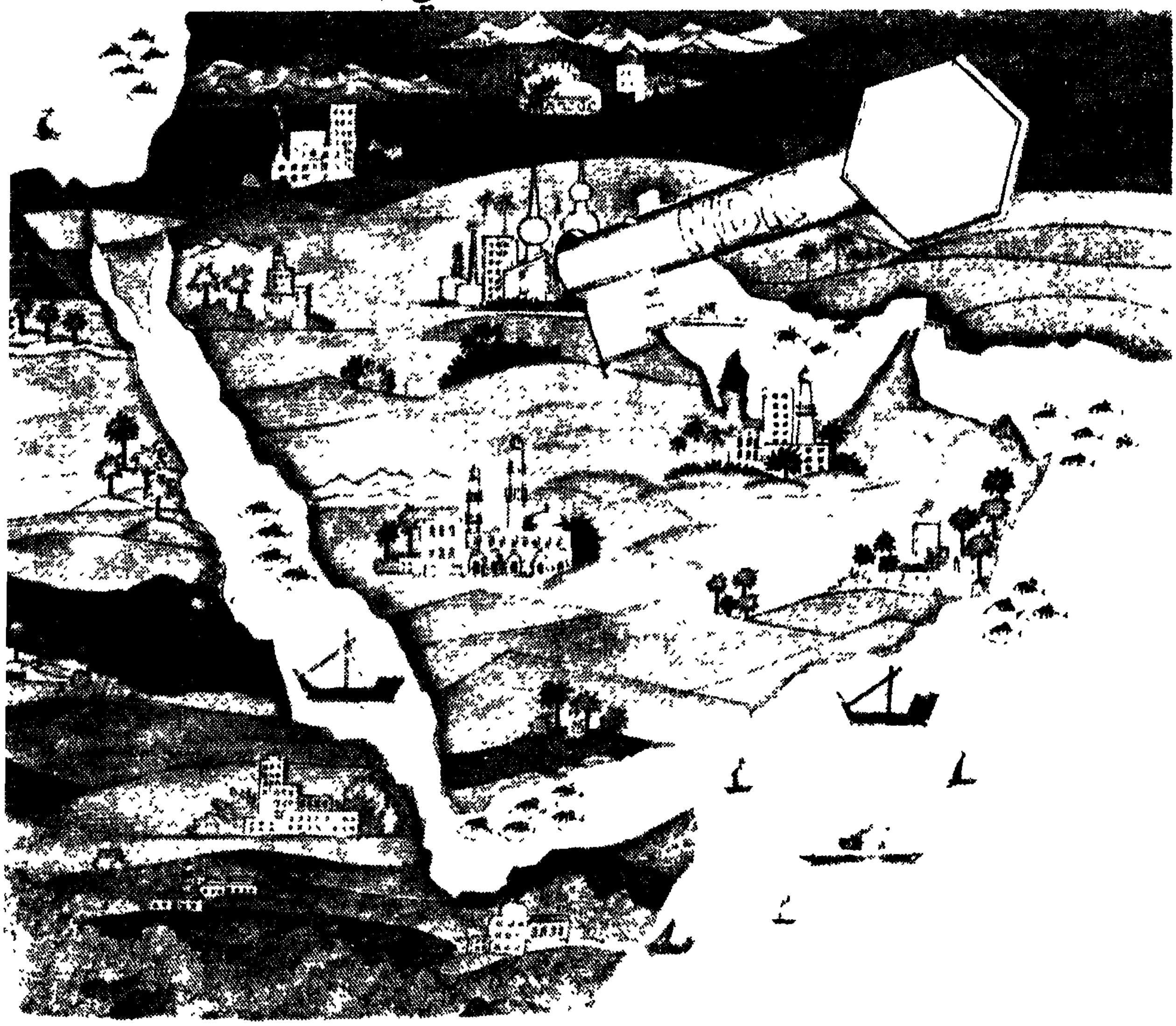
الشكل المطلوب : رقم ٦ •

استاذ نبيه يسأل :

اذا كان الرجل قد باع كل ٣ برتقالات من النوع الصغير ، مع برتقالتين من النوع الكبير بمبلغ ٢٠ قرشا ، ما كان واجه النقص في النقود •• ولكن هذا يقتضي ان يكون عـدد البرتقال الصغير ٣٦ و الكبير ٢٤ • ومعنى هذا انه باع بعض البرتقال الكبير بسعر الصغير •• ومن هذا جاء النقص •



طريق الاسلاك الشائكة : كما في الرسم .



سلسلة ثقافية
تصدرها في مطلع كل شهر

أول أغسطس ١٩٧٨

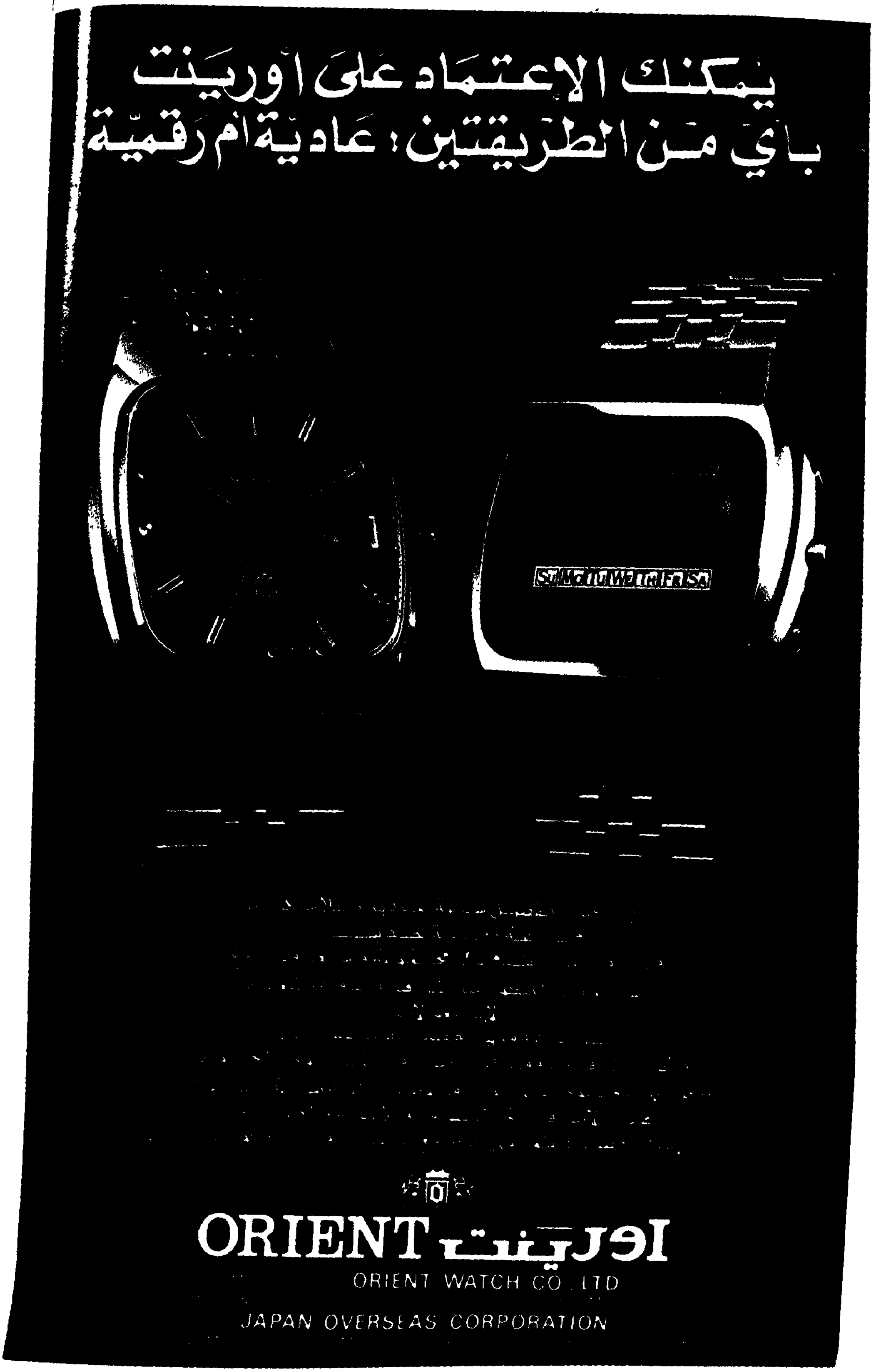
١٠٧

بينما تسطع الشمس
المرهون

تأليف : تيرانس راتيجان
ترجمة وتقديم : محمد كامل كمالى
مراجعة : د. احمد السيد النادى




٢٣٨ رمضان ١٣٩٨ سبتمبر (أيلول) ١٩٧٨ م
افغانستان
بلاد الاسلام المعلق!



يمكنك الإعتماد على أوريَنت
بأي من الطريقتين: عادية أم رقمية
ORIENT اوريَنت
ORIENT WATCH CO. LTD
JAPAN OVERSEAS CORPORATION

عزيزى القارئ

كل عام وانت بخير ••

نودع هذه الايام شهر رمضان الكريم بما حمله الينا من ريح عطرة عبقت حياة المسلمين فى كل مكان بمشاعر التجرد والتسامح والتكافل والايمان ، ونستقبل عيد الفطر المبارك بما يحمله الينا من صور وذكريات تملأ النفس غبطة وبهاء ، وبهجة واملا ، وما احوجنا الى الامل الذى علينا ان نشق طريقه بايدينا ، فهو ضرورة ملحة للحياة ، حتى يكاد يستحيل التقدم والبناء بدونه ••

والعيد وقفه مناسبة يتلفت فيها الانسان الى ايامه الماضية ، ويتطلع الى المستقبل ، يراجع ما حققه وما يستهدفه لوطنه ولامته ••

وتحاول مجلة العربى مع كل عدد ان تقترب من هدفها ، وان تواكب العصر الذى تعيشه ، وان تبشر بالقيم والمثل ايمانا منها بأن العروبة هى سبيل الخلاص ،وتسعى فى مسيرتها الى احياء الامل.وزرع البهجة ونشر الاستنارة وحب الوطن ، وان تبقى منارة للثقافة ، ودليلا على رحابة الفكر وسعة الافق ، وان تحطم جدران العزلة بين الاقطار العربية ، وبين الفكر المعاصر والتراث ، وان تظل الحياة الفكرية للامة العربية متجددة ومتواصلة ••

وسنمضى معا على الطريق ••

المحرر

العربي

رئيس التحرير : أحمد بهاء الدين

القسم العام :

■ حديث الشهر : البوهيميون أو صعاليك الفكر ، المفكر ـ دائما ـ خاضع للنبلاء ، ثم للناشرين ، ثم للحزب ، ثم .. ! ـ أحمد بهاء الدين ٦

اسلاميات :

■ شيء عن الموقف الجمالي في الاسلام ـ د . عماد الدين خليل ٣٠

■ للمناقشة : الى من يهمه الامر : العدل هو القضية ـ فهمي هويدي ٣٥

شخصيات :

■ بين شوقي وطه حسين ـ د . سعيد عبده ١٨

■ في ذكرى مرور مائتي عام على رحيل روسو : حامل الشعلة ظهر صدفة ومات تعسا مجنونا ! ـ منير نصيف ١٠٢

عروبة :

■ خطة استقلال تونس في مشروع للامير شكيب ارسلان ـ د . عبد العظيم رمضان ... ٤٤

■ الطباعة العربية في اليابان ـ عمر طه ١٢٤

قضايا حيوية :

■ المراهقة الفكرية والنقد التاريخي ! ـ د . أحمد عبد الرحيم مصطفى ٥٠

■ قيل وقال لا تصلح غذاء للجيل المسلم . ـ حسين جوزو ٥٤

■ ماذا حقق العالم الثالث من تنمية ؟ ـ د . محمد سلطان أبو علي ٥٦

■ أسماء الاعلام والمصطلحات العلمية الاجنبية بين النقل الملتزم والتعريب ـ د. محمد محمد السلاموني ٥٩

استطلاعات :

■ افغانستان .. بلاد الاسلام المعلق ـ فهمي هويدي ٦٨

طب وعلوم :

■ تصوير العالم العربي من الفضاء ـ م . سعد شعبان ٧٤

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

تصدرها وزارة الاعلام بحكومة الكويت

والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABI — No. 238 September 1978 — P. O. Box 748 KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٤٢٧١٤١ تلغرافيا « العربي »

الاعـــــلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات

المراســـلات : تكون باسم رئيس التحرير

المجلة غير ملتزمة باعادة أي مادة تتلقاها للنشر



صورة الغلاف :

■ افغانستان هى احدى قلاع الاسلام التاريخية ، وهى بلاد الاسلام المعلق كما يقول علماء الجغرافيا السياسية،وهى « موازييك » الاجناس والاشكال ،والبلد الذى مر به اشهر الغزاة فى التاريخ ، وعلى ارضه يعيش الشعب الوحيد الذى هزم جيش الامبراطورية البريطانية ٠٠ وهو موضوع استطلاع هذا الشهر ٠

■ أعداء الشمس من الحيوان والبشر ـ د ٠ عبد المحسن صالح ٩٦
■ حتى تتجنب أمراض القلب ، نم مبكرا وانهض مع العصافير ـ د ٠ صبيحة الدباغ ١٠٨
■ أنباء الطب والعلم : عربة امريكية متعددة القابليات ـ آذان مصنوعة تحل محل الآذان الطبيعية ـ حذار من ارتفاع ضغط الدم ـكمبيوتر السيارات ـ يوسف رعلاوى ... ١١٧
■ طبيب الاسرة : الطفيليات ـ أمراض الزمن الحاضر ـ الماء الازرق والماء الابيض فى العين ١٢٩

أدب وشعر :

■ حوار (قصيدة) ـ صلاح عبد الصبور ١٦
■ الكراسى الموسيقية (قصة) ـ يوسف الشاروني ٦٣
■ جاردينيا (قصيدة) ـ د ٠ عبده بدوى ١٠٧
■ الازرار المقطوعة (قصة) ـ فاضل السباعى ١٣٢

تاريخ :

■ المدن الحديثة لا تغلما أبدا ـ سمير جيوسى ٣٩

علم نفس :

■ أحسن الفعال ـ وخير الكلام ما جاء فى محله ٠٠ وموعده ـ د ٠ فخرى الدباغ ... ١١٤

فنون :

■ نجحوا بالاقتدار ٠٠ الجيل الصاعد من فنانى الكويت ـ د ٠ على الراعى ٨٨
■ تنويعات على الكرة الارضية (كاريكاتير) بهجت عثمان ١١٢
■ السينما فى عالم متغير ـ الفاروق عبد العزيز ١٢٠

متنوعات :

■ عزيزى القارىء ٣
■ حل مسابقة العدد ٢٣٥ ... ... ٩٥
■ مسابقة العدد ١٤٧
■ أقوال معاصرة ٢٩
■ حوار القراء ١٣٧
■ نزهة العقل الذكى ١٤٧
■ طرائف عربية ١٥٢

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس ، الخليج العربى ريالان قطريان ، البحرين ٢٠٠ فلس بحرينى ، العراق ١٢٠ فلسا ٠ سوريا ١٠٠ قرش ، لبنان ١٠٠ قرش ٠ الاردن ١٠٠ فلس ٠ السعودية ريالان سعوديان ٠ السودان ١٠ قروش ٠ ج٠م٠ع ١٠ قروش ٠ تونس ٢٥٠ مليما ٠ الجزائر ٢٫٥ دينار ٠ المغرب ٢٫٥ درهم ٠ اليمن ٢٫٥ ريال ٠ ليبيا ١٥٠ درهما ٠ جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ٢٠٠ فلس ٠

الاشتراكات : يراجع طالب الاشتراك :
١ ـ الشركة العربية للتوزيع وعنوانها : ص ٠ ب (٤٢٢٨) بيروت/لبنان ٠
٢ ـ مؤسسة توزيع الأخبار وعنوانها : ٧ شارع الصحافة/القاهرة/مصر ٠
« للمشتركين فى جمهورية مصر العربية »

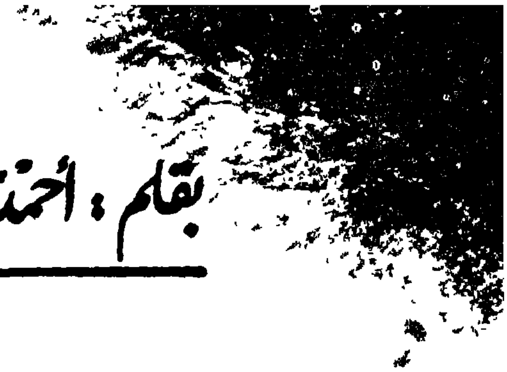


او صعاليك فكر

مطبوعا فى امريكا عنوانه
« ... وحياتهم انعكاس لعصرهم ·
والكتاب ... على ... وجدت انه ربما كان من الطريف
ومن ال... عصر ان اترجم هذ الفصل عن حياة المفكرين
والفلاسفـ... » ·· او « الصعاليك » ان شئنا ترجمة عربية
قريبة، عاشو... عصر اضطراب ما قبل النهضـة الاوربية الحديثة فى فرنسـا
بالذات ، فى القرن التاسع عشر وان كانت اعمالهم ـ التى احترقوا بها ـ
اثرت فى اقامة حضارة القرن العشرين ··

وهده هى الترحمة بما لها وماعليها مع بعص التلخيص ·
فهى رياضة فكر ، وقراءة صيف ·

المفكر دائماً خاضع للنبلاء،



بقلم : أحمد بهاء الدين

● من هم اولئك المثقفون الذين
كمت افكارهم فى القرن العشرين ؟
ف كانوا يعيشون ؟وماذا كانت علاقاتهم
لجو الاكاديمى ؟ هل كانوا معتزلين ام
حركون فى العالم بحرية ؟ . انه لمن
هم دائما بالنسبة لاى عصر ان نعرف
عوامل النفسية التى اثرت فى حياة
نكريه .. ذلك اننا حين نعيد تكوين
تفاصيل التافهة لحياة رجل مثل «سان
يمون » (١) فاننا ندرك اكثر اى طراز
ن الناس كان يمثل ، وكيف ان هذا
طراز كان ظاهرة هامة فى الحياة الفكرية
وروبا .

فى العصور الوسطى لم تكن هناك
مشكلة مثقفين » بالمعنى الذى نعرفه .
انت كل المناقشات النظرية تدور داخل
طار الكنيسة ، وبالتالى فقد كان ذلك
قطاع الضئيل من النخبة الاقطاعية ـ
جال القانون ـ لايشغلون انفسهم بأكثر
ن مطالب السلطة الدينية .ولكن مع
نح الاديرة فى عصر النهضة ، تنسم كثير
ن رجال الدين ذوى العقل الفلسفى
وائح الاستقلال ، ومع ذلك ، فقد كانت
ماسة « بترارك» (٢) لتلك الحياة
لدائرة خارج الاسوار ، حماسة قصيرة
لاجل . ذلك ان مشكلة طلب الرزق كانت
رغم كثيرين من المثقفين الجدد على
لعمل فى خدمة الامراء ، الذين كانوا
مستعدين لرعاية الشعراء والمفكرين مقابل استسلامهم الفكرى . كان الفلاسفة يستأجرون كرجال دعاية ، وضعهم يستمد من وضع مستخدميهم النبلاء .

●

كان الدير « العلمانى » يمثل ملجأ ومهربا من مطالب الامراء الذين اصبحت الحياة الفكرية معهم مستحيلة . لقد وجد المثقفون ـ كالسفسطائيين ايام اليونان ـ انهم لكى يعيشوا ، يضطرون للاعتماد على قدرتهم على العمل كمستشارين لاصحاب السلطة، وذلك على حساب نزاهتهم الفكرية. رجل واحد افلت من مازق المثقفين هذا ، هو « ايرازموس » (٣) وذلك بسبب وضع خاص به ، ـ هو المساعدة التى كان يتلقاها من ناشريه .

ان الحلف بين «المؤلف » و « صاحب المطبعة » فى القرن السادس عشر ، حين كان يصدر كلاهما عن قناعات اجتماعية ودينية واخلاقية ، مشتركة بينهما هذا الحلف جعل استقلال الفيلسوف ممكنا . ففى سويسرا كان الناشران الليبراليان العظيمان « فروبن » و « امورباخ » يؤمنان بافكار « ايرازموس » عن تطوير الكنيسة وبالتالى كانا مستعدين لتأييده ودفع اجر له ، بل وجعله شريكا لهما فى مؤسستهما ، طالما بقى فى «بازل» بسويسرا . ولكن وضع «ايرازموس » كان فريدا .

---

١ ـ سان سيمون : (١٧٦٠ ـ ١٨٢٥) فرنسى،أول من دعا للاشتراكية الخيالية .
٢ ـ بترارك (١٣٠٤ ـ ١٣٤٧) شاعر ايطالى
٣ ـ ايرازموس (١٤٦٦ ـ ١٥٣٦) ولد فى روتردام ، كان من اكبر فلاسفة عصره ومن رواد الاصلاح الدينى ، تاثر به مارتن لوثركيج .

م للناشرين . ثم للحزب . ثم . . !

اذ جاء سابقا على تحول النشر الى مهنة مربحة تخضع لاقتصاديات السوق ومدى شراء الجمهور للكتب .

ومع تحول النشر الى هذه الوجهة الاقتصادية ، صار المثقف الذى ليس له مورد خاص ، تحت رحمة رجال الاعمال. كان فى مقدور المؤلفين الوجهاء - مونتانى، لورد شافتسبرى ، مونتيسكيو - ان يكونوا فلاسفة . اما المؤلف العادى فلم يكن يجد سبيلا الى اى عمل فكرى جاد . بالعكس ، لقد اصبحت مطالب القارىء غير المتعلم اعلى صوتا واكثر الحاحا . وخلقت بالتالى مؤلفى التسلية، والجنس ، وقصص الرعب. هؤلاء الكتاب ، بعزلتهم عن اى ثقافة حقيقية وعيشهم على مواهبهم الفطرية وحدها ، صاروا مع بداية القرن الثامن عشر يفضلون صحبة بعضهم البعض ، على الاتصال بالعالم المعادى لهم . خلقوا اسلوب حياتهم الخاص بهم ، واصبحوا نوعا من «المثقفين ذوى الياقات البيضاء» الذين يعيشون من تلبية طلبات ناشريهم . واذا كان ممكنا تقسيم الادباء الى فئات ، فان هذا النوع من المثقفين كانوا يشكلون فئة اجتماعية جديدة ، ليس مركزها القصور ، ولا الكنيسة ، ولكن المقهى .

وقد اكتشف «مونتيسكيو» الوظيفة الاجتماعية للمقهى ، كبيت للمثقف الذى لابيت له ، فكتب يقول :

« الناس فى باريس يشربون القهوة بكثرة . وهناك بيوت كثيرة تتقن صنعها. فى بعضها يلتقى الناس لتبادل الحكايات، ويلتقون فى بعضها الاخر للعب الشطرنج. وهناك بيت تصنع فيه القهوة بطريقة تجعل من يشربونها اذكياء ! : على الاقل، لايوجد واحد يمكن ان يترك هذا المقهى، الا وهو يشعر أنه اكثر ذكاء وفطنة اربع مرات عما كان عليه حين دخله ! » .

« ولكن اشد ما يصدمنى فى هؤلاء الموهوبين هو عدم فائدتهم تماما بالنسبة لوطنهم ، وهم يبددون مواهبهم فى الهواء! وصلت باريس مرة ، فوجدتهم يتجادلون حول اتفه ما يمكن تصوره . كان جدلهم حول شاعر اغريقي ،لم يعرف احد قط اين ولد ولا متى مات منذ الفى سنة . كان اطراف المنافشة متفقين على انه كان شاعرا ممتازا . اما خلافهم فكان على درجة امتيازه. كل منهم يحاول ان يضعه فى مستوى معين. ولكن كان بين هؤلاء المتجادلين حول هذه القضية من هم اكثر وزنا من الآخرين . وهنا كان محور الصراع كله. كان شجارا حادا . ذلك ان كل فريق كان يوجه للفريق الاخر شتى انواع الاهانات بحماسة جعلتنى اتلذذ بالمشاجرة نفسها اكثر من تلذذى بالموضوع !» .

وفى البدء ، كان مثقفو المقاهى من البوهيميين - ذلك النوع من الرجال المتعلمين الذين لا يخضعون لقواعد العمل ولا لمهن معينة يتوقعها منهم المجتمع، وهم فى نفس الوقت قوم لا تهمهم مصادر رزقهم على الاطلاق ، متزوجين او غير متزوجين، فهذه مسئوليات لا تهمهم ، ولاكان يهمهم ان يسلكوا المسالك المطروقة نحو التقدم الادبى والاكاديمى . ان سحر المقهى يكمن فى ان المرء يمكن ان يجلس فيه طول النهار والليل ، يحيط به شعراء ، وفلكيون ، وخبراء ، وثوريون ، لاعبو ورق ، وعلماء لغة ، دون أن يمسه من هذا كله شىء : ذلك ان المقهى يوفر لك ضمانا اكيدا ضد الواقع ! انه المكان الوحيد الذى يمكن ان تكون فيه الكلمات هى الحقيقة ! وحيث يستطيع المرء ان يتصور مشروعات ضخمة واحلاما خيالية ومؤامرات فوضوية ، يتصورها وكأنها قد حدثت بالفعل دون أن يبرح مقعده .

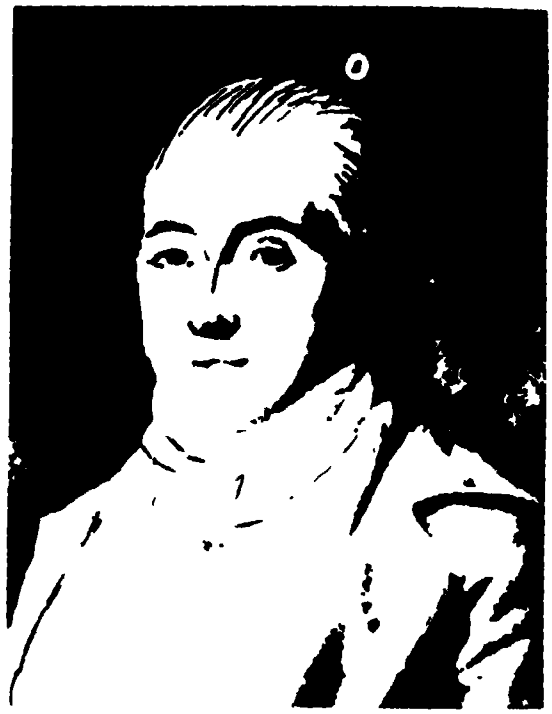
يجب أن نستدرج قائلين ان هناك

ثورات اعلنت بالفعل فى المقاهى ، ففى سنة ١٩١٦ التقى اميل ليدرر مع رودى هلترونج وآخرين فى احد مقاهى فيينا واخذوا يناقشون احتمالات الثورة فى روسيا وكان ليدرر واثقا من قرب نشوب الثورة فرد عليه هلفرونج ساخرا : ومن سيشعل الثورة ؟ مستر تروتسكى ، مثلا ، الجالس فى مقهى السنترال ؟ » • ولكن مستر تروتسكى غادر المقهى فعلا من سنة تقريبا وقام بالثورة ! •

ان المقهى للبوهيميين ، هو صالون المفكرين والشعراء والعلماء الذين لابيت لهم ، وغرفة مكتب المؤلف الضئيل الاجر، ووسيلتهم للهرب من الظروف المادية البائسة التى يعيشون فيها • كان الفقر هو الصفة الاولى للبوهيمى ، والشبح الذى يهرب منه الى دفء المقاهى النسبى • وكان لابد ان يجلب الفقر معه اشكالا من «اللدفاع» التى اصبحت ، منذ القرن التاسع عشر ، هى السلوك السائد للمتمردين: الفوضوية ازاء آداب السلوك المتعارف عليها ورفض كل ما تفترضه العادات • حقا ، كان هناك دائما اولئك المثقفون الذين قدموا نماذج حقيقة للاستقلال الفكرى من خلال اطار الموافقة • «جوته» (٤) مثلا، عرف أن الحرية الحقيقية هى أن تكون لك القدرة والمرونة على المواءمة مع الفئة الاجتماعية التى يطمح اليها الانسان • ومع ذلك، فان روتين القواعد الاجتماعية قد دفع رجالا مثل الشاعر بودلير للهرب الى البوهيمية•

●

وقد كان مونتيسكيو شديد الاحساس بعدم صلابة الموقف البوهيمى ، وهامشية ذاته، الذى سيظل غريبا الى الابد . ففى تفكير





سان سيمون

مونتيسكيو

---

٤ ــ جوته (١٧٤٩ ــ ١٨٣٢) فيلسوف وشاعر وعالم المانى ، اهم مؤلفاته كتاب « فاوست » •

مونتسكيو نجد عمق احساسه بالازدواجية في الظاهرة البوهيمية ، وانها تشتمل على وظيفتين معا : احداهما سلبية والاخرى ايجابية • الايجابي فيها ، انها تختار الابتعاد عن المجتمع من اجل اقامة قيم جديدة، وسلبية في انها تنسحب من المسئولية الاجتماعية لاسباب انانية • ولو كان البوهيمي وحده هو الذي يعرف ماهو المطلوب لاقامة عالم عادل ، لوجب على كل المفكرين ان يكونوا على بعد كاف من بلادهم ، وشعوبهم ، وثقافتهم • واذا كانت مهمة المثقف الدائمة هي ان يقدم للعالم الفرق بين الواقع والمثال ، اذن فعلى المثقف ان يكون دائما خارج الواقع ذاته •

وهناك حالات في تاريخ الادب والفلسفة تقدم لنا اكثر من نموذج مثالي للبوهيمي • ان حياة واعمال « ديدرو »(٥) مثلا تقدم لنا نموذجا حيا للتناقض البوهيمي • لقد هرب من مهنتي اللاهوت والقانون ليكرس نفسه لحياة المفكر والاخلاقي الحر • وككاتب مستقل ، عاش فترة من الوقت على هامش البوهيمية ، مدينا للبقال ، وعلى علاقة غامضة برهبان كانوا يزودونه بالمال على امل ان ينضم اليهم ذات يوم • وكان يكتب المواعظ للقساوسة الكسالى وغير الاكفاء بمقابل ! ، ويكسب مالا من الاشراف على دراسات لايفقه فيها ! اما حياته الباريسية فكانت موزعة بين صحبة الممثلين في مقهى بروكوب المواجه للكوميدى فرانسيز وصحبة لاعبى الشطرنج في مقهى ريجنس • وفي حدائق الباليه رويال كان يقضي اوقاتا طويلة محاطا بالصحفيين، والادباء العاطلين الذين يخترعون الاشاعات ويروجونها ، وبهلونات الثقافة الحرة الذين يسخرون من كل شيء • وكانت حدود الحياة البوهيمية تنتهي به عند دكاكين الكتب على ضفاف السين ، حيث كان رفاقه عادة من الكتاب غير المسئولين الذين يعيشون من مهاراتهم الادبية ، واستخفافهم بكل شيء وفقدانهم لاى مبدأ اخلاقي •

ولكن اسلوب «ديدرو» في الحياة لم يمنعه من العمل • وان المرء يعجب لتلك القدرة على التركيز التي جعلته ينتج احدى اعظم انجازات الفكر العلمي، الانسيكلوبيديا التي انجزها بعد عشرين عاما من الصراع الحر مع السلطات الكنسية والسياسية • بل لعل نوع حياته ساعده على انجاز هذا العمل • فلا الزواج التعس ولا اعباء الصداقات افلحت في كسر عاداته في العمل، وربما كان وضع البوهيمي الاجتماعي الخاص هو الذي يخلق ذلك الاطار الذي يتمكن من خلاله وحده بعض المثقفين ، من اداء دورهم •

كان «ديدرو »احد مبتكري تلك الحياة البوهيمية التي ظهرت في مرحلة الثورة الشاملة ، تلك المرحلة ، المناسبة تماما للمثقفين • وسان سيمون ، الذي ولد سنة ١٧٦٠ في عهد لويس الخامس عشر ، ظهرت عليه اول ملامح الاتجاه ضد المجتمع وهو مازال في الثالثة عشرة من عمره ،حين رفض تناول أول قربان له ، وارسل الى السجن • ثم لم يلبث ان هرب منه • وظن اهله المحترمون ان خير علاج له هو التعليم المتشدد ، فسلموا هذا الولد الصعب المراس الى دالمبير ، المؤلف الآخر للانسيكلوبيديا • ثم حاول سان سيمون ان يبذل مجهودا من اجل الوفاق مع تقاليد اسرته بالالتحاق بالجيش كجندى • ثم تطوع في الثورة الامريكية واخذ اسيرا • وبعد اطلاق سراحه ، عاد الى فرنسا ، التي كانت على وشك ان تبدأ ثورتها • ودفعته حماسته

٥ ــ ديدرو (١٧١٣ ــ ١٧٨٤) فيلسوف وناقد ادبي وفني فرنسي •

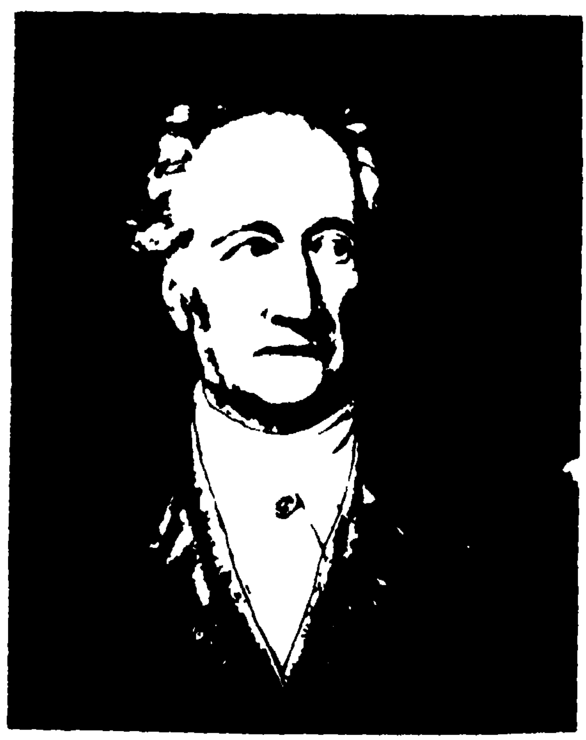
وانجرافه وراء الافكار الجديدة الـــى الاعتقاد بان ابناء الارستقراطية القديمة، مثله ، لا يجوز لهـم ، ولا يسـتطيعون ، المساهمة في الصراع المقبل ٠ وهكذا قرر ان يشن حربه الغاصة : وذلك بان ينشط في الثورة ولكن كمنتفع! وهو قرار حكيم! وحقق ثروة من المضاربة في الثورة، بالبيع والشراء ، في «البضائع الوطنية» ! ولما انتهت الثورة فجاة كان قد اصبح سيـدا كبيرا ! ومن خلال الثرف الذى حققه ، كرس حياته لخدمة الثقافة والعلم ٠ احاط نفسه باعظم اساتذة العصر ، واخذ يستمع الى مناقشاتهم في شغف ، ويسجل مـــا يسمعه منهم في مذكرات ٠

●

ـ وكان سان سيمون ابعد ما يكون عن التلميذ الاناني ٠ فقد ساهم بنشاط كبير في خدمة علماء المستقبل في الرياضيات والعلوم والتكنولوجيا وقد كانت مناقشات هؤلاء العلماء العظام هي التي غرست فيه اعمق قناعاته وهي : ان العلم هو منقـذ المجتمع ٠ وفي سنة ١٨٠٥ انتهت حياته كراع لهؤلاء فجاة . فقد نفدت ثروته ٠ ولمدة عشرين سنة تالية ، كـان عليـه ان يعيش على العمل من وظيفة في مكتب ، وعلى حافة الفقر باستمرار . كان على هذا القريب البعيد للدوق سان سيمون ، وابن اسرة من اكبر عائلات فرنسا ، ان يعمل سنوات ككاتب في متجر لقاء الف فرنك في السنة،اما كتاباته كلها فكان يعمل فيها ليلا ٠ بل كان عليه ان يعيش فترة على كرم رجل كان يعمل ساقيا ، اخـذ يزوده بالمال اللازم لكي ينجز اول اعماله العظيمة « مقدمة الى الاعمال العلمية في القرن التاسع عشر »٠ ومن سوء الحظ . ان هذا الصديق مات قبل ان يتمكن سـان سيمون من ان يبدا في تاليف عمل اخر !
وكانت اسرته قد تعبت من سوء تدبير



ايرازموس



جوته

هذا الابن الشاذ . فقرروا له فى سنة ١٨١٤ راتبا متواضعا عاش عليه عددا اخر من السنين . واحاط نفسه بالمهندسين والرياضيين ونخبة مدرسة « النورمال » و « البوليتكنيك »، واعضاء عدد لا يحصى من الجماعات الصغيرة التى خاب املها فى الثورة ، وبعض شباب البنوك والصناعات. وكان اوجستين تيرى ، المؤرخ العظيم ، سكرتيرا له لبعض الوقت . ولفترة ما ، لفت نظر بعض افراد الارستقراطية القديمة الذين كانوا لايقلون فى نقدهم للنخبة البورجوازية الجديدة عن الطبقات التى كانت تستغلها هذه الفئة . ولكن راديكالية سان سيمون كانت اعنف مما يطيقون، فلم يلبثوا ان سحبوا تاييدهم له . ولما كانت اسرته قد عادت فقطعت المرتب عنه . فقد وجد نفسه مرة اخرى ملقى بلا حماية فى هذه الحياة . وفى نوبة من اليأس ،حاول ان ينتحر . ولكن تلاميذه المتحمسين ، اولئك الذين اعتبروه فيلسوفا للتاريخ فى العالم ، قاموا بتدبير اموره له فى السنتين الاخيرتين من حياته ، من عام ١٨٢٣ الى ١٨٢٥ . لقد كانوا ، اكثر من ذلك ، ينظرون اليه كقديس . فاذا كان مثل هذا التقدير يجلب السعادة فيمكن ان نقول ان سان سيمون مات سعيدا . ولابد ان محبيه هؤلاء قد تجمعوا حوله وهو على فراش الموت، يستمعون الى كلماته الاخيرة التى نقلها اقرب تلاميذه« الذين لا يمكن ان يختفى . ولكن يمكن تطويره فقط . لا تنس هذا يارودريجيز وتذكر دائما ان المرء اذا اراد ان ينجز عملا عظيما فعليه ان يعطيه كل قلبه وكل طاقته » .

واذا كانت حياة سان سيمون صورة لحياة المثقف البوهيمى ، فان حياة اوجست كونت (٦) تكاد تكون اقرب الى الخيال . ففى حياة كونت يتضح لنا أكثر وأكثر انهم فقط الرجال المقطوعو الجدور ، والذين لا تربطهم اى عاطفة بعصرهم، هم الذين يمكن أن يؤمنوا بانهم الطريق الى انهاء كل فوضى التاريخ. ربما لم يكن ممكنا الا لرجل يتمتع بتلك الفوضى الشخصية مثل «كونت» ان يتوصل الى اقامة بناء فكرى هو اكثر ماعرفه الفكر الاوروبى الغربى نظاما وشمولية فى نفس الوقت .

لقد كانت حياة كونت قمة تطور سلوك المثقف البوهيمى . كان فى بيته طفلا مدللا محبوبا ولكنه مع ذلك كان يشعر دائما بالغربة نحو اسرته . وكان استاذا فى الرياضيات ، ولكنه مع ذلك كان يفشل دائما فى هذا الحقل بسبب مزاجه الرهيب. كان ممكنا ان يترقى حتى النهاية فى مدرسة البوليتكنيك لو لم يكن يبدد كل فرصة تتاح له بانتظام . كان ببساطة لا يستطيع أن يخضع للقواعد التى لابد منها لكى تعمل مجموعة من الناس عملا مشتركا . وبعزلته هذه عن الحياة الاكاديمية المتنظمة، كان عليه ان يعتمد على اى رب عمل يرسل له مجموعة من التلاميذ او يكسب دخلا ضئيلا من الاشراف على دراسات الدارسين .

●

وكان هناك فرق هام بين بوهيمية سان سيمون وبوهيمية كونت . كان الاول لاتهمه النساء كثيرا بعكس الاخر . اكثر من ذلك . كان هذا الرجل ذو العقل العلمى الفذ ، الذى ينصت اليه فى احترام : الفلاسفة،ورجال الدولة وعلماء اللاهوت، ورجال الأعمال ، كان يستعرض عادات جنسية بعيدة جدا عن المألوف . وهناك علامات على انه فى مطلع حياته كانت له علاقة مع سيدة متزوجة انجبت منه طفلا ، ثم اختفت من حياته ، ثم تلا ذلك علاقتان

---

٦ ـ أوجست كونت (١٧٩٨ ـ ١٨٥٧) فيلسوف فرنسى وهو مؤسس الفلسفة الوضعية .

اخريان • الاولى عشيقة كانت مومسا عاديه اسمها مسجل في دفاتر البوليس ، ومع ذلك فقد تزوجها فجاة ذات يوم ،الامر الذى يعد حتى فى ايامنا هذه جنونا • كان من ناحية يعتقد انه عديم الجاذبية لدرجة لايمكن معها لاى امراةمحترمة انتتزوجه، وبالتالى فعليه ان يكتفى بما يتاح له • ومن ناحية اخرى كان يعتبر انه كريم لدرجة تجعله قادرا على أن يرفع أى امرأة ساقطة بالزواج منها!والسبب الاخر لقراره كان شعوره ان مركزه ازاء مشجعيه يملى عليه ان يظهر امامهم كرجل متزوج • وبالطبع كان زواجه هذا من « كارولين ماسين»فشلا ذريعا•فشلازاد منتعقيدهظهور عشيق سابق لها في بيت اوجست كونت بل ومساهمته احيانا فىنفقات البيت•واحيانا حين كانت حالة البيت المالية تزداد سوءا، كانت مدام كونت تعود الى مهنتها • ولعل هذا الموقف ساهم فيما أصاب كونت من انهيار عصبى ، مازال علماء النفس مختلفين فى تحديد نوعه الى الان •وفى الفترة بين ١٨٢٦ و ١٨٢٨ حاول الانتحار مرتين • ومع ذلك فقد تمكن سنة ١٨٤٢، رغم سلسلة منالانفصال والعودة بينه وبين كارولين • من نشر آخر جزء من كتابه « الفلسفة الايجابية » •

ومع ذلك فقد ظلت مشكلة المال قائمة • واضطر الى ان يعطى دروسا فى الفلك لكى يعيش ، ثم عاش فترة على هبات من جون ستيوارت ميل واصحابه • ولكنها حياة لم تكن لتزوده باى سعادة داخلية • لقد اساء أصدقاؤه الانجليز فهم اتجاهاته الفلسفية تماما ، ولم يكن له لا اصدقاء ولا تلاميذ • وفى سنه ١٨٤٤ قابل المرأة التى اقامت معه اغرب علاقة على الاطلاق : مدام كلوتيلد دى فو ،التى كانت مريضة بالسل • كانت كلوتيلد متزوجة من رجل اضطر للهرب من باريس الى بروكسل بسبب ارتباكات مالية وقع فيها ، ولكنها بقيت فى شقتها الباريسية تكتب شعرا رديا وقصصا قصيرة لاقيمة لها • وكان كونت اكبر منها فى العمر بخمسة عشر سنة ، ولكنها جن غراما بها•

ان علاقة كلوتيلد باوجست كونت يصعب تصنيفها فى بند العلاقة الجنسية• لقد رفضت ان ينال منها شيئا ، وهكذا سارت علاقتهما على مستوى روحى محض، وكلاهما شاعر انه بذلك ارقى من تلك العلاقات العادية التى تدور حولهم فى المجتمع العادى • وفى الحقيقة ، منالممكن ان نقول ان علاقة كونت بتلك المراة التى كانت تقترب من الموت ، تركت اثرا عميقا فى تكوينه لفكرته عن دين الانسانية • فلعله اقتنع من لقائه بهذه المراةان الحب يمكن قيامه على اساس غيرجسدى ،ومثالى محض • وبعد وفاة كلوتيلد ،كرسكونت حياته لتطوير فكرته عن هذا الموضوع •

ومع ان «كونت » و « ديدرو » ، كان كلاهما بوهيميا ، الا أن ديدرو استخدم وضعه البوهيمى فى تطوير افكاره المثالية طبقا لتقاليد الفلاسفة العقلانيين• فكجمهورية افلاطون الفاضلة ، كانت مدينة ديدرو الالهية «فى لامكان»•كان«وجودها» اذا جاز استخدام التعبير ، فى اطار التصورات النظرية المحضة . وخارج حدود الزمن الانسانى • ولكن الثورة الفرنسية ادتالىتغيير جوهرىفىالفلسفة السياسية• فقد اخذ المفكرون من المسيحية فكرة اقامة مملكة الله على الارض ، معاضافةاساسية هى ان هذا يمكن تحقيقه فى اجل تاريخى محدد • فعين كان سان سيمون يحاول ادراك المغزى الجوهرى للتاريخ ، كان يفكر فى اطار زمني محدد •كان يرى فى نفسه رسول عصر قادم ، وليس مهندس مدن مثالية خيالية •

وكانت هذه الافكار هى التى تميزه

عن سابقية فى القرن الثامن عشر .

●

كان المثقفون الذين قفزوا الـــى المسرح فى سنوات مابعد الثورةالفرنسيه يختلفون تماما عن اولئك الدين سبقوهم. وقد ساهم حادثان تاريخيان فى انضاج هذا النموذج الجديد . الحادث الاول هوالتقدم الضخم الذى حدث فى العلوم بين سنتى ١٧٩٣ و ١٧٩٩ . لقد نشر « لاجرانج » و «مرنج» و «لابلاس» و «كارنو» كتبهـم عن العلم والطب والميكانيكا والعلــوم الرياضية .

والحدث التاريخى الثانى كان ظهور عبادة العقل . فلقد تحدى الثوريون العقل وتوجوه الها . ثم جاء التحالف بين هده العلمانية وبزوغ العلم لكى يوجد طــرازا اخر من المثقفين فاول علماء الاجتماع بشروا بان الحياة لها بعد تاريخى لان عقل الانسان كان يتفتح مع مرور الزمن . ونتيجة ذلك ان الماضى التاريخى كان جماعيا . وان التاريخ فى نفس الوقت له غاية محددة . ولعل فكرة هذا الهدف المحدد هى التــى اعطت عقلانية القرن الثامن عشر المزيج من العقل والخيال . وقد جاء اندماج هذين العنصرين ـ اللذين كانا منفصلين دائما فى التاريخ الغربى ـ لكى يعطى المثقفين الفرصة لكى يكونوا علماء ومبشرين فى وقت واحد .

وقد اعطى هذا كلــه للمثقف دورا جديدا لكى يلعبه . فالقيادة الجديدة للفكر كانت تتطلب رجالا يدركون كنه التاريخ، ويملكون القدرة على اكتشاف السبل لجعله يحقق هذا الكنه .

رجال يجمعون بين الحماسة الاخلاقية وحب الفلسفة،وقادرون على تحمل مسئولية توجيه اقدار العصور المقبلة . مثل هؤلاء الرجال يمكن ان يظهروا من بين صفوف اى طبقــة ـ وليس فقط مــن صفــوف البروليتاريا او البورجوازية الصغيرة . وقد رحب المفكرون الفرنسيون بفكرة ان الفلاسفة يمكن ان يظهروا من اى طبقة، غير مقيدين بحس طبقى زائف . كان كل السان سيمونيين فى الواقع من البورجوازيين ولكن هـــده الصفة الطبقية لم تكن ذات وزن هام . ان اى شخص كان مؤهلا لان يكون تلميذا لهذا الرسول . رسول العالم الصناعى ، طالما كان مؤمنا باطــار جديـد للعلاقات السياسيه الاجتماعية . كان « تيــرجو » و « كوندرسيه » مثلا . اللذان يدين لهما الاجتماعيون بالكثير من طبقة النبلاء . الذين اعطوا المثل لغيرهــم مــن المثقفين الذين يريدون خدمة حقيقة التقدم عــن طريق طرح انتماءاتهم الطبقية . وهى ظاهرة نراها دائما فى تلك الفترات المضطربة التى تسود فيها التحليلات الراديكاليـــة للعلاقات الاجتماعية الاساسية . كذلــك فان لويس دى بونالد ،الذى كان له تأثير كبير بعد ذلك على سانت سيمون . هاجر كمخرج من الثورة ،وانضم الى جيشــ الامير كونديه ، ثم استقر فى المانيا حيث كتب «نظرية السلطة» . التــى ادانهــا الفاموسى سنـــة ١٧٩٦ . وبعض علمــاء الاجتماع الامريكيين .فى اعتقادهم الساذج ان اى تفكير اجتماعى لا ينشأ الا فى اطار من الديمقراطية والليبرالية . قد يصدمهم ان يعرفوا ان مصدر اعجاب سان سيمــون ببونالد كان سمعة هذا الرجل كأحد ابرز فلاسفة الثورة المضادة ،ودعاة الاستقرار والنظام .

كان سان سيمون سعيدا ان يجد مفكرا « رجعيا » يرفض كل النظم التقليدية ويعترف بان كل النزاعات القديمة قد اندثرت، وان على الانسانية ان تبدأ من جديد وكأنها فى بدء الوجــود الانسانى . لقــد علـم بونالد ، الارستقراطى ،سان سيمون درسا عظيما : ان التقليديين انفسهم لم يعودوا قادرين على

اقناع الناس، وان الفلاسفة عليهم ان يكتشفوا حقائق جديدة يمكن على اساسها اعادة اقامة نظام ، وسلطة ، ودرجات • هنا لم يعد هاما ان يكون المثقف من هذه الطبقة او تلك • واختلط التقدميون بالرجعيين حين صار الهدف هو المزج بين التقدم والنظام •

ان حياة هؤلاء المثقفين تعطينا مفتاحا هاما لعلم الاجتماع ذاته ، في نفس الوقت الذى تزودنا فيه بفكرة عن الاسلوب الذى يستطيع به المثقفون ان يكونوا النخبة في عالم يموج بالمتغيرات •

ان الرساله البوهيمية كانت رمزا على رؤيا التغير الشاملة : انها اسلوب في الحياة غير مسبوق في السياق العام للتجربه الثقافية الاوربية . بحيث يضيء لنا جوانب اكثر عن الطبيعة الثورية للفلسفة الكامنة وراءها • كان هؤلاء الاجتماعيون «دنيويين» من حيث رأيهم في ان مستقبل الانسان حتمى • هذا الطراز من الثقافة « ذات الرسالة » التى ولدت في اعقاب الثورة الفرنسية . لم تلبث ان اصبحت ظاهرة عامة في عالم صار ينشد الاستقرار والنظام •

●

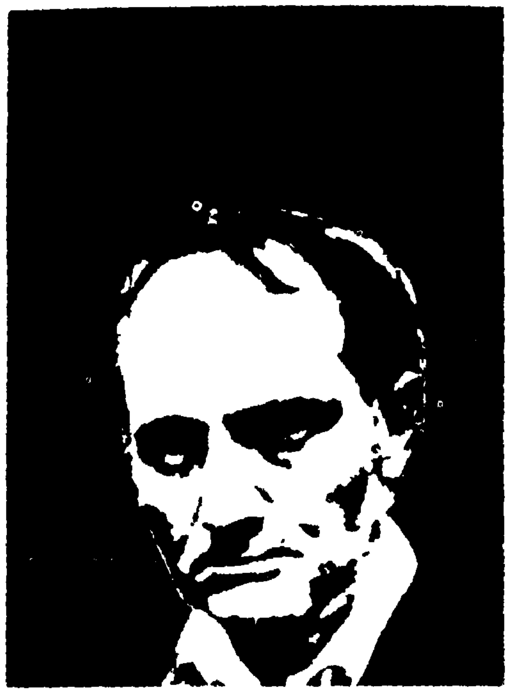
انتهت الترجمة •• او الصورة الطريفة

فهل صحيح المفكر ولد ليكون اسيرا •• للنبلاء ، ثم لاصحاب المطابع ، ثم للناشرين . ثم للاحزاب في العصر الحديث ؟

وهل صحيح أن المفكر ، ازاء ذلك لا بد له أن يكون «صعلوكا» ، بيته الشارع ، وصالونه المقهى ، وان يكون «منفصلا» عن المجتمع بالمعنى الشخصى . ليكون «متصلا» به بالمعنى العقلى ، حتى يستطيع أن يفكر لمجتمعه بحرية •• وبفائدة ؟

اسئلة •• اظن انها ابدية ! ■■

احمد بهاء الدين



بودلير



اوجست كونت

حوار

للشاعر
صلاح عبد الصبور

■ « أأنتَ من سكان هذه المدينه » ؟
أوقفني منتزعا خُطاي من مدارها
مُدلّيا عيونه العريقة الذكناء من عمارها
مستعجلاً كأنما يخاف ان تخطفني . تخطفه
الرياحُ والشموسُ في إسارها
من قبل أن اجيب كرّرَ السؤال
أأنت من سكان هذه المدينه ؟
نزلتها منذ سنين طالبا للانس والمثوبه
منحدرا مع الطريقِ المتربِ النحيل .
والترعة اللابسةِ الحدادْ
مآزراً من نبتها الذاوي . وطرحةَ النخيل
منتقلا من قريةٍ حزينه
لقريةٍ حزينة
وصلتُها في وسط الصيف . بيوتُها التلالُ
موصدةٌ . لتتقي الاغرابَ والسخونه
وصوتُها تحت سياطِ الشمسِ والرمالْ
يئنْ . . . يئنْ . . . يئنْ
تحطئه مسامعُ الارصاد والرجال
تسمعه كلابُها الضالةُ . محتضرُيها .
بعضُ المجانين بها . . .
والشاعرُ الذى رمت به سفينةُ الحديدِ والصدأ
على تخومِ رملِها في ساعةِ الزوال

وكرّرَ السؤال . . . :
ـ « أأنت من سكان هذه المدينه ؟ »
ألفتُها منذ سنين عدة . غدوتُ قطعةً مفيده
من قطعِ المشهد في عروضها اليوميه
حين تقدم المآسيَ الشجيه
أو المساخرَ السعيده
نُصبتُ مرةً على مفارقِ الطرقْ
محدودبا أمِرتُ أن أَلتفتَ .

أخذتْ شكل حجرته . . .
فليلةً ليستريحَ ظهرُه لظهرِها مسافرٌ مرهق
وليلةً ليرْكُنَ المحاربُ المزهو في مدى الافق
على عظامِيَ المكورَه
آيتَه المنتصره
ومرةً غدوتُ تحفَه
مُفزعاً أُمرتُ أنْ أقفُ
ومرةً علقتُ مرآةً على جدارِ حُجرته
ومرة نُجرتُ مقعدا
ومرة سُبكتُ مصعدا
ومرةً مكبراً للصوتْ
وكرر السؤال :
ــ أأنت . .
ــ أأنت . .
ــ أأنت من سكان هذه المدينة ؟
لكنني أحببتُها
(ما أضيق الفراغَ بين الحبِّ والاشفاقِ والضغينه
أحببتُ أن أعيش بين لحمها وجلدها
لكي أحسَّ نبضَها العليلَ في عروقِها الدفينه
أحببتُ أن أسوحَ جنب نهرها
إذ تلتوى بشرته الكابيةُ الحزينه
بين الذراعين العليلتين والتراثِب الموهونه
وتنطفي على سريرِ دائه المقيم
مصابيحُ الشطئانِ . والنجوم
ولم يكررِ السؤال
نظرت لم أجده .
لا في بَهرةِ الشمسِ ولا في غسقِ الظلال
متى مضى ؟
وهل سمعتُه حقيقة . . ؟
وهل هو الخيالُ .... ؟


صلاح عبد الصبور



●● كان المغفور له الدكتور محمد حسين هيكل (باشا) رئيس تحرير جريدة «السياسة» الناطقة باسم « حزب الاحرار الدستوريين » المصرى فى العشرينيات ٠٠ كان يقرأ المقال الذى أعطيته اياه ، وأسارير وجهه تنفرج عن ابتسامة بين الحين والحين ، فلا أدرى ان كانت ابتسامة سخرية مما يقرأ ، أو ابتسامة رضى واستحسان ٠

وحين انتهى من قراءة المقال طواه ، ووضعه على يسار مكتبه، وهو الجانب القريب من المقعد الذى كنت أجلس عليه ، وقال لى ضاحكا : « هل تحسب أنى أستطيع نشر هذا المقال ؟ »

قلت ، بعد سقوط الالقاب : « كان يهمنى أولا أن أعرف رأيك فى المقال ؟ »

بين شوقى و.. طه حسين

بقلم : الدكتور سعيد عبده

قال : « ان المقال بديع ، ولكن هل تحسبنى أستطيع نشره؟»

قلت : « لا أظن شيئا يحول بينك وبين نشره وأنت رئيس التحرير ٠ »

قال مبتسما : « ان رئيس التحرير ليس حاكما بأمره على الدوام ٠ »

قلت : « ان ثمة ظلما قد ارتكب فى حق « شوقى » أمير الشعراء فى « حديث الاربعاء » الماضى للدكتور طه حسين ، وأعتقد أن من حق كل محب لشوقى ، أن يحاول رفع هذا الظلم ، لا سيما و « السياسة »



قلت : « ولكنى لا انقد الدكتور طه حسين ،وقد وضعته فى مقالى موضع الاستاذ ـ كما هو اهل لذلك ـ ووضعت نفسى منه موضع التلميذ » •

قال : « يكفى ان تكون قد أشرت فى مقالك الى بعض عثراته ، ولو بمنتهى الادب ، حتى يثور •• واذا ثار طه لشىء نشر عنه بالسياسة ، فالحساب بيننا وبينه يطول ! »

قلت : « اذن فقد كنت مخطئا ـ طوال عدة سنين ـ فى النظر الى الدكتور طه حسين ، والى صحيفة الاحرار الدستوريين ، التى اصبحت اظن ان الحرية تحتاج فيها الى مصباح ! •• ترى •• اكان كل ما تكتبون عن حرية الرأى ، وحرية الكلمة مجرد هباء تذروه الرياح ؟ »

لم يضق هيكل باشا ـ او لعله كان يومئذ هيكل بك ـ بشىء مما قلت ، فقد كان الرجل واسع الافق ، رحب الصدر الى حد كبير ، وقد ادرك ما يعتلج فى نفسى من ضيق ، وأجابنى والابتسامة لا تفارق شفتيه : « ان من العجيب ان يكون هذا رأيك فى الدكتور طه ، وقد كان يحدثنى بشأنك منذ بضعة ايام ، وبامكان نقلك من كلية الطب الى كلية الاداب ، مع تعهده بتعليمك فيها بالمجان » (وكانت الجامعة فى ذلك الوقت تتقاضى من طلابها نفقة التعليم ، التى لم تكن قليلة بحساب النقد فى تلك الايام • وكان الدكتور طه حسين استاذ الادب العربى بكلية الاداب) •

ولا اخفى انى شعرت بشىء من الزهو لهذه التحية ، وقد كنت كتبت فى السياسة منذ حين عدة قصص ومقالا نقديا عن كتاب الفه « احمد محمد حسنين باشا » عن رحلة له فى الصحراء ، وعددت هذه التحية موجهة لكل كلمة كتبتها فى السياسة •• بيد ان الزهو ـ وان كان تطلب منى كلمة شكر رقيقة ـ الا انى لاسباب خاصة لم ارحب بالاقتراح ، وآثرت الاستمرار فى دراسة الطب حتى النهاية ، رغم ما صادفنى فيها من عقبات بسبب مرض مزمن مؤلم عنيف كان ينتابنى منذ عدة اعوام ••

من تلميذ الى استاذ

وعدت بعد شكر الدكتور طه وهيكل باشا على نياتهما الطيبة نحوى •• عدت الى نقد الدكتور طه ـ فى حديث الاربعاء الذى كان يكتبه للسياسة كل اسبوع ـ لقصيدة كانت نشرت لشوقى قبيل ذلك بقليل ، وكان يحيى فيها الاستاذ احمد لطفى السيد على ترجمته لكتاب ارسطو عن الاخلاق •• والى قسوته فى ذلك النقد قسوة تخطت كل حدود النقد غير المغرض ، كما تخطت كل اصول العدل والانصاف ، مما اوقع الدكتور طه فى كثير من الاخطاء لم يكن مثله من يقع فيها لو كان يجرى على سنن النقد الموضوعى الهادىء الرصين •

وكان ردى على الدكتور طه مصوغا فى شكل اسئلة يوجهها تلميذ ناشىء الى استاذ عظيم ، يرجوه أن ينير له فيها سبيل الرشاد ، بين ما ورد فى قواميس اللغة وكتب الادب والبلاغة ، وبين ما اخذه الدكتور طه على شوقى من اخطاء • وحرصت أشد الحرص على الا اثير ثائرته بكلمة يمكن ان يحس لها مرارة ، فقد كنت أكبره ، واحب القراءة له ، واتمنى فعلا لو بسط لى وجه الرأى فيما كنت اسائله فيه ، دون حاجة الى ان يغضب أو يثور •

ورغم هذا كله فقد رفض الدكتور هيكل نشر المقال ، بلطف اولا ، ثم بشىء كالزجر لما بدا منى من الحاح •• بل انه رفض مجرد عرض المقال على الدكتور طه ، حماية لى من غضبه ، على ما له فى من رأى جميل •

واخذت مقالى حزينا وانصرفت ، وانا أرثى للسنوات التى اضعتها فى الايمان بما كان يكتبه هؤلاء الناس عن الحرية عامة ، وعن حرية الرأى ، وحرية الكلمة بوجه خاص •• بل انى رثيت اكثر للجهود التى طالما بذلتها للحصول على جريدة السياسة من باعة الصحف ـ ولم يكن يحملها منهم غير القليل ـ وجبن باعتها عن بيعها علنا للقراء ، بعد ان سماها سعد زغلول « جريدة التعاسة ! » وكان سعد قد بلغ الاوج فى قلوب المصريين ، وكانت مزية جريدة السياسة ، انها كانت تضم

نخبة من اكابر الكتاب والصحفيين ، على راسهم هيكل وطه حسين ومحمود عزمى ، وتوفيق دياب ، وعبد العزيز البشرى ، الى من كانت تستكتبهم من كبار محامى الاحرار الدستوريين ، امثال ابراهيم الهلباوى ، وعلوبة ، وتوفيق دوس ، ووهيب دوس .. يضاف الى هذه المزية بكاؤها الدائم بدموع حرى ، على الحرية المغلوبة على امرها ، فى وسط هذا البحر اللجى من الوفديين ، الذى كانت امواجه تتقاذف زورق الاحرار الدستوريين المسكين !..

لقد كنت اخرج انا والمهندس احمد الشرباصى ـ وزير الاشغال السابق ، ونائب رئيس الجمهورية العربية المتحدة الاسبق ، وكان يومئذ طالبا بكلية الهندسة ـ كنا نخرج للبحث عن السياسة كل صباح ، وكنا نجدها بعد لاى ، مع بائع او آخر ، يبيعنا اياها خفية عن الاعين ، وفى ركن قصى من اركان الطريق ، كانه يبيعنا قطعة من الافيون !

لقاء مع شوقى

وقابلت شوقى بعد يومين فى مكتبه ، وكان المكتب غاصا ببعض اصدقاء الشاعر الدائمين ، واشار بعضهم عرضا الى مقال الدكتور طه حسين ، وبالغوا فى النيل منه ومن كاتبه ، تملقا وزلفى الى امير الشعراء ، وان كان شوقى نفسه لم يشترك بكلمة فى الحديث ، وظل يمسح على جبينه باصابعه .وكانت عادة له فى مثل هذه الظروف ..

وقال احدهم : انه ارسل ردا الى جريدة السياسة فلم تنشره حتى الان .

فقلت له : « اطمئن ، فان شيئا ما ـ لك او لسواك ـ لن ينشر فى هذا الموضوع .. » ورددت كلمة الدكتور هيكل : ان اشد الناس ضيقا بالنقد هم النقاد ! »

وسالنى شوقى : ومن اين لك كل هذا التاكيد ؟

قلت : لقد ذهبت برد الى جريدة السياسة ، فادركت هناك ان ذات الدكتور طه حسين لا تمس ، مثل ذات الملك فؤاد (فؤاد الاول ملك مصر فى ذلك الحين) كما جاء فى الدستور .

ووجدت مقلتى شوقى فجاة ترتعشان ، كما كان العهد بهما عند اى انفعال ...

وقام من مجلسه فخرج الى غرفة اخرى ، ثم دعانى اليه ، وسالنى فى لهفة ، ان كان معى ما كتبت فى الموضوع ؟ قلت : « لقد تركته فى البيت» ، وحمدت الله على انى لم اكن مزقت المقال وكانت نفسى فى غمرة القهر راودتنى ان افعل ، ووصفت لسائق سيارته عنوان البيت فى حى المنيرة ، وعلى مقربة من دار السياسة ، وكانت فى شارع المبتديان ، واتيت له بالمقال ، فقراه فى السيارة ونحن فى طريق عودتنا الى المكتب ، ولم يكد يفرغ منه حتى رايت وجهه مغمورا بالبشر والبشاشة ، ومقلتاه ترتعشان ، وامر السائق ان يعود من حيث اتى الى دار السياسة .

ودخلنا على الدكتور هيكل فقام مرحبا بضيفه الذى لم يسلم ، والذى امتلأ وجهه بالوجوم ، ودون ان يلبى الدعوة الى الجلوس ، قال للدكتور هيكل فى هدوء وهما واقفان : « احسبك اطلعت على هذا المقال ؟ .. انه اذا لم ينشر فى نفس المكان الذى نشر فيه مقال طه حسين فى الاسبوع الماضى فسيكون هذا فراق ما بينى وبين السياسة الى الابد» .

وهنا احب ان اصف مقدار الثقل الذى انطوى عليه هذا التهديد .

ان قصائد شوقى ، حين كان يختص صحيفة بنشر واحدة منها ـ حتى لو كانت السياسة ـ كانت الصحيفة تعلن عن ذلك قبل نشر القصيدة بيوم او يومين ، اذا اتسع لها الوقت (ولم يكن شوقى يتقاضى اجرا عن نشر قصائده ، كما لم يكن اى كاتب يتقاضى اجرا عن اى مقال) وكانت قصيدة شوقى تنشر فى صدر الصحيفة ، بحروف مشكولة ، واكبر حجما من الشكل المالوف ، وكان توزيع الصحيفة يرتفع الى اربعة او خمسة امثال توزيعها فى سائر الايام (وفى حالة جريدة السياسة كان التوزيع يرتفع على الاقل الى عشرة امثال !) وكانت السياسة تباع علنا فى مثل هذه الايام ، وينادى عليها الباعة لا باسمها ولكن باسم قصيدة شوقى ، وكانت السياسة تنتهز مثل هذه الفرصة ، وتقول كل ما لديها عن الوفد ، والحرية المضطهدة ، وسعد زغلول ...

لم يكن لدى الناس ما يملؤون به فراغ اوقاتهم

الا القراءة ، اذ لم تكن هناك اذاعة،ولا تليفزيون، وحتى السينما كانت لم تبلغ اشدها بعد ، وكانت قصيدة من قصائد شوقي أو حافظ ابراهيم كفيلة أن تبسط ظلها على الناس بضعة أيام ، أو ربما بضعة أسابيع •

ألقى شوقي بهذه القذيفة ، وترك المقال على مكتب الدكتور هيكل ، وخرج وخرجت معه ، دون أن يلقى على الدكتور هيكل حتى تحية وداع •

تحية ذات حدين

وهنا أحب أن أواجه الله بشهادة ، وأنا أقرب ما أكون الى رحابه ••• ان شوقي لم يكن لهأدنى علم سابق بهذا المقال ، ولا كان حدثني عن نقد الدكتور طه حسين لقصيدته ، أو أشار لي مجرد اشارة الى الرد عليه ، فقد كان يعلم أنني لا أكتب الا ما يعن لي أن أكتب فيه•وقد كنت كتبت عدة مقالات عن شعر شوقي قبل أن نتعارف ، وكانت هذه المقالات هي السبب المباشر في هذا التعارف • وبعد أن عرفته واتصلت به ظللت أكثر من ثلاثة أعوام لا أكتب عنه رغم أنه كان يسميني « محاميه » . وقد صرح بذلك في حديث له مع مجلة المعرض البيروتية ـ ان لم تكن خانتني الذاكرة ـ في أعقاب حادث سيارة وقع له في بيروت . وكاد يودي بحياته وحياة الاستاذ محمد عبد الوهاب ، وكانا يصطافان بلبنان . وأقيم له حفل تكريم وابتهاج بنجاته ، وسئل يومئذ من مجلة المعرض ، ولا أدري ان كانت لا تزال تصدر في بيروت ••• سئل كيف يكتب شعره ، فأجاب اني أكتبه أبياتا متفرقة ، وأسلمه الى صديقي وتلميذي ومحامي سعيد أفندي عبده ، فيضعها في الاطار الذي تظهر فيه •••

وكانت هذه التحية ذات حدين ، حد لارضائي ، وحد للتنصل من التهمة التي كان الاستاذ عباس محمود العقاد قد اتهمه بها في كتابه الذي أصدره عنه ، قبل ذلك بثلاث أو أربع سنوات ، بعنوان « الديوان » ••• وكان الديوان مفروضا أن يكون من عشرة أجزاء ، يشترك في تاليفها العقاد ، وابراهيم عبد القادر المازني ، كما كان المفروض أن تخصص بعض أجزاء الديوان لهدم « أصنام الشعر والادب » كما كان المؤلفان يصفان شوقي وحافظ ابراهيم ومصطفى لطفي المنفلوطي ، ثم تخصص الاجزاء الباقية لاعطاء قراء العربية نماذج لما ينبغي أن يكون عليه الشعر الحديث والادب الحديث ، وظهر جزءان للهدم لم يهدما صنما من الاصنام ! وكان العقاد قد اتهم شوقي في الجزء الاول من الديوان بانه شاعر البيت الواحد والبيتين ، وان وحدة القصيدة منعدمة في شعره تماما حتى لتستطيع أن تخلط أبياتها بعضها ببعض فتحصل على قصيدة جديدة من نفس الابيات!

ولئن كان الجزءان الاولان من الديوان ـ للهدم ـ قد ظهرا ، الا أن جزءا واحدا من أجزاء البناء الباقية ، لم يقدر له الظهور !

ولعل شوقي كان يريد بهذه التحية الموجهة الي ان يتنصل من التهمة التي اتهمه بها العقاد ،ويلقيها على كاهلي ••• والله يعلم انني منذ عرفت شوقي ، وبعد ظهور الديوان بفترة طويلة ، ومنذ كان يسلم لي شعره متفرقا كما قال . كانت وحدة القصيدة قد اخذت تبدو اكثر وضوحا في شعره ، سواء في قصائد المناسبات او في مسرحيتي « مصرع كيليوبطره » و « مجنون ليلى » وكنت اشبه بالقابلة التي استولدته هاتين المسرحيتين !

واعود الى صلب الموضوع •••

ففي اليوم التالي لمقابلة شوقي والدكتور هيكل . وكان يوم اثنين . ظهرت في نهاية عمود من اعمدة احدى صفحات السياسة كلمة تحت عنوان « حديث الاربعاء » جا فيها « ان الجريدة ستنشر في حديث الاربعاء القادم ردا من الادبب سعيد افندي عبده . على مقال الدكتور طه حسين حول قصيدة امير الشعراء الاخيرة . وتعليقا على هذا الرد من الدكتور طه حسين » •

وظهر حديث الاربعاء في موعده ، ونشرت كلمتي كما هي ، وبدات اقرا تعليق الدكتور طه حسين ، ويا له من تعليق !

لقد نسي الدكتور طه او تناسى الموضوع بأسره ، ونسي ارسطاليس وكتابه ، ونسي احمد لطفي السيد وترجمته ، واقتصر في التعليق على

التنديد بالشبان « الذين يتخذهم الشعراء دريئة (او لنقل بالعامية الفصحى براقانا يستترون وراءه !) ... هذا في الجزء الاول من التعليق ، اما في الجزء الثاني ، فهو انه عرف الادبوالصرف والنحو والبلاغة قبل ان اولد » اما الاسئلة التي وجهتها اليه ، فلا رد على واحد منها ، ولا اشارة اليها ولا مجرد تصحيح لي ان كنت قد تنكبت في اى منها سواء السبيل .

رد لم ينشر

وغضبت في البداية ، وفي سورة غضبي كتبت ردا قاسيا على تعليق الدكتور طه ، لم ابال فيه مكانته في الادب قدر ما راعيت قدره الضئيل من الاستاذية في هذا التعليق العجيب .

وذهبت بالرد الى الدكتور هيكل، فقرأه متندرا، والضحكات تتردد من فمه بين الحين والحين ... ثم انثنى الى يسالني :

- هل تظنني قادرا على نشر هذا المقال ؟

- قلت كلا ... انما اردت فقط ان يقرأه الدكتور طه ، وانك لتحسن الى كثيرا ، نمكنتني على الاقل أن اقول له بصراحة بان سلاطة اللسان في استطاعة اى مخلوق يحسن التعامل مع الاوراق والاقلام !

قال اذن فمر على في المساء وساخبرك عن مصير هذا المقال .

ومررت عليه في المساء ، وكان معه الدكتور طه حسين ، وكانا على ما يبدو يتحدثان بصوت عال في الموضوع ، وقدمني الدكتور هيكل اليه ، فقام من مجلسهوصافحني ، ثم وجه الخطاب اليالدكتور هيكل قائلا :

- اعتبرني مستقيلا من السياسة اذا نشر حرف اخر في هذا الموضوع !

ثم برح الغرفة في صحبة سكرتيره الخاص .

وقال لي الدكتور هيكل بعد لحظة سكوت : « أرأيت ؟ »

قلت : « نعم ويا سوء ما رأيت ! »

قال : « وستذهب الى شوقي من جديد ؟ »

قلت : انك تظلمني .. فانا لم اذهب الى شوقي في المرة الماضية ، حتى اذهب اليه في هذه المرة ، وما كانت الا مصادفة معرفته بالمقال ... ثم اخذت مقالي الجديد من امامه ، ومزقته والقيته في سلة المهملات قائلا : « حسبي ان يكون الدكتور طه حسين عرف رأيي فيه ، وما يهمني بعد ذلك ان ينشر أولا ينشر المقال . »

ولعل الدكتور طه حسين كان على حق في ظنه بان شوقي هو الذى حرضني على كتابة المقال دفاعا عنه ، وربما يكونقد اجبرني عليه ، اذ يبدو ان هذه الشنشنة كانت معروفة عن الشعراء في ذلك الحين ، ان يوعز شاعر الى كاتب بالدفاع عنه لقاء اجر معلوم . !

فقد قابلني بعد يومين من نشر المقال في حديث الاربعاء ، احد قدامى الصحفيين ، وكان يصدر صحيفة تسمى « الصاعقة » وكانت مفتوحة لمثل هذه الحملات المأجورة على الشعراء والكتاب ، بل لعل مثل هذا التراشق بالحملات والردود عليها كان صلب ما يكتب في هذه الصحف وكانت تسمى « الوريقات الصفراء » ..

وسالني احمد فؤاد وكان في اواخر ايام حياته: « كم اعطاك شوقي عن هذا المقال ؟ »

قلت : « خمن ! »

قال : « مائة جنيه ؟ »

قلت : « اقل ! »

قال : « خمسين ؟ »

قلت : « لا ، بل اقل ! »

فتاججت في عينيه الباهتتين نظرة غضبواحتقار شديد . وقال : « اذن فخمسة وعشرين ؟ »

قلت : « انه لم يعطني شيئا وان كنت تناولت على مائدته وجبه غداء ! »

وتفجر وجه احمد فؤاد بالدم ، ورفع يده يحاول ان يصفعني . ولكنني زغت منها ، وراحت صفعته هباء . وانفجر قائلا :« خيبة الله عليكم يا كلاب .. لقد افسدتم علينا السوق !! ».

وادركت حينئذ لماذا قال الدكتور طه حسينعني ما قال ، فقد كان اخبر مني بهؤلاء الكتاب ... ورحم الله الجميع . ■■

د . سعيد عبده

تصوير العالم العربي من الفضاء

بقلم المهندس / سعد شعبان

- كنوز الارض المعدنية تكتشف من الفضاء •
- آبار البترول والمياه الجوفية توضحها صور الفضاء •
- العالم أمام ثورة فى وسائل التكنولوجيا •
- التنبؤ بالزلازل والانذار بالاعاصير بواسطة الاقمار الصناعية •

لكي يكتشف العالم العربي كنوزه ،لابد ان يستفيد من تلك الثورة التى شهدها حقل الاستكشاف من الفضاء •

■ بدأ التصوير بواسطة الاقمار الصناعية يتخذ ابعادا جديدة منذ اوائل الستينات ، عندما استخدمت الاقمار الصناعية للتنبؤات الجوية فى التقاط الصور للسحب المنتشرة حول الكرة الارضية • وبدأ فن التنبؤ الجوى يتطور بسرعة مذهلة نحو اصدار تنبؤات جوية تتسم بالدقة والبعد عن الاحتمالات والترجيحات ، والجزم بظواهر الطقس التى ستحدث خلال عدة ايام مقبلة • واستطاع المتنبئون الجويون ان يصدروا النشرات الجوية حتى اسبوع مقبل ، بمطابقة الصور الفضائية على خرائط الطقس التى يستخدمونها •

وتستقبل الصور الفضائية من الاقمار الصناعية على ترددات خاصة وبوسائل فنية مستحدثة تكشف عن كل ما يحيط بالكرة الارضية من انواع السحب •



اعصار فى الفضاء



مسالك الجليد الذائب

التصوير فى سواد الليل

لذلك زودت الاقمار الصناعية بكاميرات تصوير خاصة تسمح لها بالتقاط الصور .

وتنوعت عدسات هذه الكاميرات بين عدسات بانورامية تسمح بالتقاط رقعة كبيرة من الارض، وبين عدسات تليفزيونية ، واخرى ذات مرشحات تسمح بالتقاط الصور الملونة . واصبح التصوير فى الليل ميسورا بفضل كاميرات تستقبل الاشعة تحت الحمراء الصادرة من الارض تحت جنح الظلام الدامس . وجد العلماء ان الاقمار الصناعية وهى تطل على الارض من مداراتها العالية فى الفضاء ، تستطيع ان تلتقط الصور لنصف الارض المضيء بضوء الشمس ، بواسطة كاميرات ذات عدسات عادية . اما نصف الارض الذى يتلفع باستار الظلام ، فلا سبيل الى الافصاح عما تحته الا بتكنولوجيا جديدة . وقد وجدوا غايتهم فى التقاط ما يصدر عن الارض من اشعاعات غير مرئية من تموجات الاشعة تحت الحمراء . وكل ما على الارض من جماد ونبات واحياء يختزن حرارة كافية من اشعة الشمس اثناء النهار ، يشعها على هيئة اشعاعات تحت حمراء اثناء الليل .

وبذلك تطورت صناعة الكاميرات والعدسات ، وتطور معها فن تفسير الصور .

الاستشعار من بعد

اتخذت الصور الفضائية الملتقطة للارض بالاشعة تحت الحمراء ، ابعادا جديدة فى التطبيقات ، تجاوزت حدود استخدامها للتنبؤات الجوية . وسرعان ما فرضت نفسها على كثير من مجالات التكنولوجيا ، تحت اسم « الاستشعار من بعد » .

فقد استطاعت عدسات التقاط الاشعة تحت الحمراء التى فى سفن الفضاء والاقمار الصناعية ان تنفذ من خلال السحب وتصور كل ما على قارات الارض ، رغم سواد الليل البهيم . ووجد العسكريون والاستراتيجيون انفسهم امام وسائل جديدة للاستطلاع من الفضاء ، تستطيع ان تفضح كل ما على الارض . واتجه تفكيرهم الى كيفية اخفاء قواعد الصواريخ ، والمطارات والمنشئات

الحيوية ،وتحركات الجيوش عن عدسات الاستطلاع من الفضاء • فقد اطاحت تكنولوجيا الاستشعار من بعد بكل فنون الاخفاء والتمويه ، واصبحت الاقمار الصناعية للتجسس قادرة على تصوير كل ما على الارض ، والافصاح عن تكوينه وحركته • حتى المسامير المعدنية التي تغرس في الواح الخشب يمكن ان توضحها عمليات متوالية من تكبير الصور الفضائية • ومن ثم اتجه تفكير العسكريين الى اخفاء الصواريخ العابرة للقارات والتي يسهل تمييزها في الصور الفضائية في آبار خرسانية تحت الارض • كما صممت انواع منها لتستقر في باطن الغواصات التي تسبح تحت مياه المحيطات والبحار •

واصبح الاعتماد أساسا على توازن القوى وقيام كل من الكتلتين الشرقية والغربية بفضح اسرار ما لدى الجانب الاخر • وذلك باطلاق سلاسل من الاقمار الصناعية من كل جانب تكون مهمتها تصوير ما لدى الجانب الاخر •

كل ذلك قد وضع العالم أمام حياة يصعب فيها اخفاء الاسرار ، واخفاء التحركات والانشاءات الجديدة • وانصرف علماء الفضاء الى استخدامات مدنية مستحدثة لصور الفضاء •

احتمالات بترولية في ولاية تكساس



اقمار الموارد الارضية

بدأ منذ عام ١٩٧٢ اطلاق انواع جديدة من الاقمار الصناعية اطلق عليها اسم اقمار الموارد الارضية (ا•ر•ت•س) E.R.T.S، وهي اختصار للاسم Eearth Resourse Technology Satelfi es زودت بكافة انواع كاميرات التصوير ، سواء من نافذة الضوء المرئي في اشعة الشمس نهارا ، او من نافذة الاشعة تحت الحمراء ، تحت استار الظلام ليلا • كما زودت باجهزة الارسال اللاسلكي التي يمكن أن تحول هذه الصور او تلك الى تموجات ترسل الى الارض ، لتستقبل وتتحول الى صور مرة اخرى ، بعد سلسلة متوالية من اعمال التكبير • ثم تصبح بعد ذلك في ايدي مفسرين يستطيعون استنباط ما يريدون منها ، بواسطة استقراء ما تسجله الحواسب الالكترونية من قياسات معها •

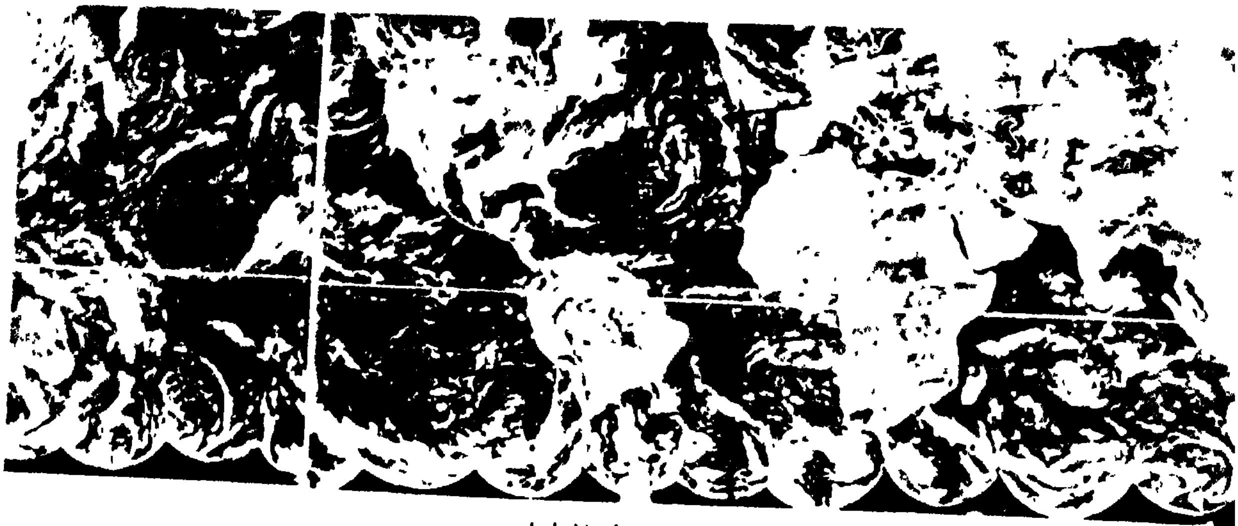
وليس من باب المغالاة القول بان هذه الصور قد وضعت العلماء أمام تحولات جذرية في شتى مجالات التكنولوجيا • وهذا يمكن ان يوصف بانه بادرة لثورة على كافة الوسائل التقليدية والاساليب القديمة • سواء في مجالات الجيولوجيا وأعمال التعدين ، أو التنقيب عن البترول ، او البحث عن المياه الجوفية ، أو الحفر وراء بقايا آثار الحضارات الغابرة • وبدأت تظهر تطبيقات أخرى مستحدثة ذات تنوعات مختلفة ابتداء من اكتشاف مصادر تلوث البيئة ، الى كشف مصادر الثروة السمكية في المحيطات ، الى التنبؤ بالزلازل ، الى متابعة حركة الاعاصير في المحيطات ، الى وضع خرائط مساحية تشمل رقعا واسعة من الارض ، الى تحديد مصادر تلوث البيئة •

ماذا اوضحت صور سكاي لاب

في مايو ١٩٧٣ اطلق معمل الفضاء الامريكي (سكاي لاب) (١) ، واستمر في الفضاء معملا لابحاث ثلاث سفن فضاء امريكية متعاقبة من طراز ابوللو على مدى نحو تسعة شهور • وقد استخدمت في هذا المعمل تكنولوجيا الاستشعار من

(١) انظر العربي ـ ابريل ١٩٧٤

● تصوير العالم العربى من الفضاء



توزع السحب حول القارات

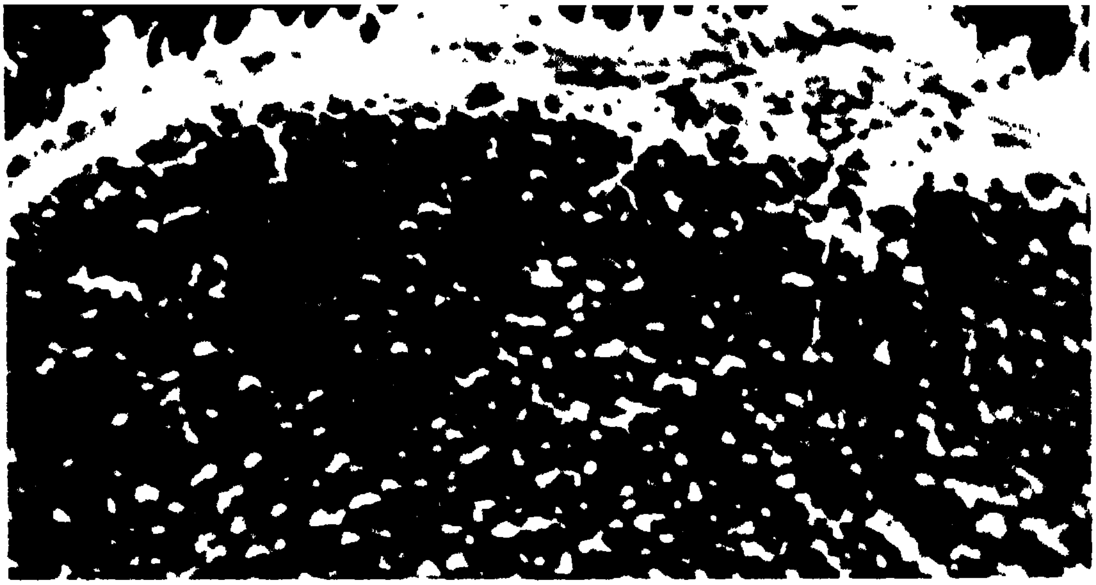
بعد ، لالتقاط الصور لمناطق محدودة فى امريكا الشمالية والجنوبية . ولفت الانظار أن بعض الشركات الامريكية أبدت استعدادها لدفع آلاف الدولارات ثمنا لكل صورة من هذا النوع من الصور . وكان السر وراء ذلك أن صور معمل الفضاء سكاى لاب ، قد كشفت عن كثير من المخبوء من كنوز الارض . اذ لم يعد البحث العلمى من الفضاء مقصورا على ماهو فوق الغلاف الجوى وحده ، بل امتد الى ما تحت سطح الارض وفى باطن تربتها . واول هذه الكنوز هى الرواسب المعدنية . اذ لا شك ان المعادن الدفينة تحت التربة وفى المناطق الجبلية والصحراوية تكتسب حرارة من اشعة الشمس نهارا اكثر من حولها ، ثم تصدر عنها اشعاعات تحت حمراء خلال الليل تظهر بوضوح على الصور الفضائية . واصبح ذلك مؤشرا على وجودها . بل اصبحت الصور الفضائية ، أكثر تغلغلا فى باطن الارض، باجهزة اكثر حساسية لتصل الى تحديد المناطق المحتمل وجود آبار البترول فيها . وان كان ذلك يسير فى خط متواز مع الوسائل التقليدية للبحث عن الذهب الاسود ، فانها بلا شك تغنى عن كثير من العناء وتوفر كثيرا من تكاليف الحفر للتنقيب عنه .

وعلى نفس المنوال أصبح فى امكان علماء الزراعة والمياه الجوفية الوقوف على اكثر الاماكن المحتملة لوجود المياه الجوفية ، اللازمة لتعمير الصحارى ، والمناطق القاحلة . كما وجد علماء الآثار بغيتهم فى تتبع علامات الحضارة القديمة تحت اكداس التراب والرمال . بل لقد امتد استخدام الصور الفضائية الى امكان التمييز بين المناطق الزراعية التى اصابتها الآفات الزراعية ، والمناطق التى لم تمتد اليها هذه الافات ، لان صور هذه المناطق تختلف عن تلك .

واستطاعت الصور الفضائية الملونة ، أن تكشف عن مساحات فى المحيطات تنتشر فيها احياء مائية دقيقة خضراء اللون ، تعرف باسم « البلانكتون » ولدراية علماء الحيوان بان هذه الاحياء أحسن غذاء تسعى اليه الاسماك ، فقد تاكد لهم انها اكثر المناطق نفعا للصيد .

اكتشاف الزلازل والاعاصير

كما استطاعت الصور الفضائية ان تكون وسيلة انذار مبكر لما يحيق بالارض من ظواهر الدمار الطبيعية كالاعاصير المدمرة . فالاعاصير لها شكلها المميز من جو الفضاء ، اذ تظهر سحب موزعة حول نواة لها تماثل العين . ويكون توزيعها على هيئة حلزونية نتيجة ما يصاحب حركتها من دوامات هوائية عاتية . ولقد امكن اكتشاف اعصار هاريكان المدمر الذى كان يدهم شواطىء امريكا ، ويحيق بها الخراب والدمار ، نتيجة لما يصاحبه من رياح شديدة ، وامطار غزيرة . الامر الذى اعطى فرصة لسكان هذه الشواطىء لاتخاذ الحذر قبل ان يحل الاعصار باراضيهم . ولم يعد اكتشاف الزلازل قبل حدوثها امرا مستعصيا على سفن الفضاء . فقد امكن تثبيت قوائم استشعار فى اماكن مختلفة من قارات العالم تتصل باجهزة ارسال



مزروعات اصابتها الآفات الزراعية

حساسة ، ترسل بموجاتها الى سفن الفضاء . وعند حدوث اى هزات ارضية ، تهتز القوائم فتستطيع سفن الفضاء ان تتبين مواقع هذه الاهتزازات ومصادرها بل وتستطيع ان تسجل شدتها . وبذلك اصبحت بوادر اهتزازات القشرة الارضية التى تسبق الزلازل نذيرا يمكن ان ينبىء بحدوثها .

صور العالم العربي

شهد عام ١٩٧٥ حدثا عالميا هاما ، تمخضت عنه سياسة الوفاق العالمية بين الكتلتين الغربية والشرقية فى مجال الفضاء . وتمثل ذلك فى تحقيق التحام سفينة فضاء امريكية من طراز « أبوللو » بسفينة فضاء سوفييتية من طراز سويوز » ولقد قامت سفينة الفضاء «أبوللو»بعد تحقيق الالتحام بالتقاط صور لعدة مناطق فى العالم بعضها بكاميرات عادية ، وبعضها الاخر بظاهرة الاستشعار من بعد .

ولقد كان تصوير بعض المناطق ، بناء على طلب من دولها مثل الهند التى طلبت تصوير جبال الهمالايا . وحقيقة السبب وراء هذا الطلب هو السرعة فى تبين المسالك التى تتخذها المياه فى انحدارها عندما يدوب الجليد فوق بعض قممها فى الصيف ، وتبين ما تحت كتل الجليد من ثروات معدنية .

كما طلبت جمهورية مصر العربية تصوير صحاريها ، تطلعا الى اكتشاف المعادن الدفينة فيها . ولقد لعب الدكتور فاروق الباز العالم المصرى المتخصص فى ابحاث الفضاء دورا فى هذا المضمار . وكان حلقة الوصل بين مصر ، وادارة ابحاث الفضاء الامريكية « الناسا »لتحقيق هذا المطلب . وقد شملت هذه الصور بعضا من الاراضى المصرية ، وما حولها فى دول عربية اخرى .

ولقد شهدت مصر منذ شهور قليلة ، حضور رواد رحلة الفضاء المشتركة الامريكين بصحبة الدكتور الباز ، ولقائهم برئيس جمهورية مصر، لتقديم هذه الصور .

ولا شك ان العالم العربى باسره امام ثروة يمكن ان تفيد منها كثير من دوله ، لو حرصنا على تطبيق تكنولوجيا الفضاء بجد من خلال صور نطلب التزود بها من الدول التى تملك وسائل التصوير من الفضاء . ومن خلال خلق جيل من الباحثين يستطيعون ان يضعوا خبرة تفسير هذه الصور موضع التطبيق ، على نحو ما اوضحنا من قبل .

ان ذلك يمكن أن يكون له دوره فى تعمير الصحارى وما اكثرها فى السودان والجزائر وليبيا والمغرب ومصر والسعودية والكويت . ويمكن ان يكون فاتحة لاكتشاف آبار جديدة للبترول بدلا من الابار التى اوشك بعضها على النضوب كما أعلن اخيرا فى بعض دول الخليج وليبيا . ويمكن ان يكون مقدمة لثورة تعدينية تكشف عن كنوز من المعادن الثمينة ، الدفينة ، والتى لا يستغل العرب الا النزر اليسير منها ، خاصة وأن الصناعة العربية الوليدة فى حاجة اليها . ■■

القاهرة ـ سعد شعبان

عضو لجنة الفضاء باتحاد الطيران الدولى بباريس

أقوال معاصرة



■ « ان كل دعوة الى التدخل في افريقيا تتبعها اخرى الى مواجهة التدخل حتى ان هذا الوجود الاجنبى المسلح قارب على القضاء على قدرتنا على هزيمته ، ويجب ابقاء افريقياخالية من مخاطر التحالف ونزاع الكتل وآفاق النفوذ ٠٠ »

جعفر نميرى

امام مؤتمر القمة الافريقى فى الخرطوم



■ « كل ما علينا ان نفعله هو ان نحصن انفسنا . والمشكلة هى ان ما يخطط فى الخارج ننفذه نحن مع كل اسف . علينا ان نكون عقلاء وان نعى مصالحنا ، وان نعرف كيف نحمى هذه المصالح ، وعلينا ان نسعى حتى لانكون ادوات فى ايد اجنبية ان كان فى المنطقة ككل ، او فى بلدنا بالذات »

الشيخ صباح الاحمد نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية ٠



■ « لا توجد دولة فى العالم اسمها اسرئيل ٠ ان الاسرائيليين اثبتوا للعالم انهم شعب مجرم ٠ » **(عيدى امين رئيس اوغندا)**

■ « يوجد فى السجون الامريكية المئات وربما آلاف من السجناء السياسيين ، وقد حكم على أنا بالذات فى مدينة اتلنتا بالسجن قبل عشر سنوات بتهمة تنظيم عمال القمامة ، وبعد ثلاث سنوات فزت بعضوية مجلس النواب فى جورجيا ٠٠ »

اندرو يونج المندوب الامريكى الدائم فى الامم المتحدة ٠



■ « اكبر خطر يهدد بلادى ، ضعف الغرب . فقد اصابه الانقسام والشلل ٠ اننى ابذل كل مافى وسعى من اجل بلدى ٠ »

شاه ايران

■ انا لست شيوعيا ٠ انا مواطن اسعى لخير بلدى ورفاهيته ٠ اننى اعجب لكل الذين يسارعون بتصنيف الثورات وكأنها لاتجىء الا باذن من اليمين او اليسار ٠

ولد سالك



■ « فقراء الهند يؤيدون انديرا غاندى ، فالخبز عندهم قبل الحرية ٠ » **(بريس انترناشيونال) آسيا**

■ « العرب بحاجة الى خطة جديدة لمواجهة اسرائيل ، والى جبهة واحدة للدعم والقتال ، ان الثورة الفلسطينية مع السلام .لكن ليس على حساب شعبنا ومصالحنا القومية ٠ »

ابو اياد

شيء عن : الموقف الجمالى فى الاسلام

بقلم الدكتور :
عماد الدين خليل

● يحدثنا القرآن الكريم فى عدد من الآيات كيف انه ما من شىء فى الطبيعة والكون الا ويسبح بحمد الله ، وان النجم والشجر ،كظاهرتين احداهما كونية والاخرى طبيعية ، يسجدان لله ، وان كل المكونات التى تقوم عليها بنية الطبيعة ، تداب ليل نهار تقديسا لله وتعظيما ، ابتداء من الذرات الخفية التى تسبح فى عوالم لا تراها العيون ، وحتى السدم الهائلة وهى تتحرك فى افلاكها ، لا تخطىء ولا تند عن ارادة الله وعلمه ... والرسول الكريم صلى الله عليه وسلم يحدثنا عن جبل احد (الذى يحبنا ونحبه) ويقف حانيا على نبتةخضراء فى قلب الصحراء ، فيقبلها قائلا (ليتنى شجرة تعضد) !! وتهزه أبيات من الشعر الجميل فيخلع بردته ويمنحها الشاعر الذى غناه ..

ونقرا فى كتاب الله (ان فى خلق السماوات والارض ، واختلاف الليل والنهار ، والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس ، وما انزل الله من السماء من ماء فاحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة ، وتصريف الرياح ، والسحاب المسخر بين السماء والارض ، لايات لقوم يعقلون) (١) .

ونقرا (ان الله فالق الحب والنوى يخرج الحى من الميت ومخرج الميت من الحى ، ذلكم الله فانى تؤفكون ، فالق الاصباح ، وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ، ذلك تقدير العزيز العليم . وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر ، قد فصلنا الايات لقوم يعلمون . وهو الذى انشاكم

---

(١) سوة البقرة ١٦٤

من نفس واحدة ، فمستقر ومستودع ، قد فصلنا الايات لقوم يفقهون • وهو الذى انزل من السماء ماء فاخرجنا به نبات كل شيء ، فاخرجنا منه خضرا ، نخرج منه حبا متراكبا ، ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من أعناب ، والزيتون والرمان ، مشتبها وغير متشابه ، انظروا الى ثمره ــ اذا أثمر ــ وينعه ، ان فى ذلك لايات لقوم يؤمنون) (٢)

ونقرا ايضا (فلينظر الانسان الى طعامه ، انا صببنا الماء صبا • ثم شققنا الارض شقا • فانبتنا فيها حبا • وعنبا وقضبا •وزيتونا ونخلا• وحدائق غلبا • وفاكهة وابًا) (٣) (فلا اقسم بالخنس الجوارى الكنس • والليل اذا عسعس والصبح اذا تنفس !!) (٤) (فقال لها وللأرض: ائتيا طوعا او كرها ، قالتا : اتينا طائعين) (٥) (ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون) (٦)

هل ثمة موقف (اجمالى) ؟

فهل ثمة موقف (جمالى) فى الاسلام ؟ نعم•• والحديث يطول ، وسنكتفى هنا بمجرد اشارات فلعلنا نرجع اليه مرة اخرى ••

عندما دعا القرآن الكريم الناس الى التامل فى الطبيعة ، لم تكن دعوته هذه تنصب على الجانب التجريبى العملى من اجل استغلال كنوز الطبيعة وامكاناتها فحسب ، وهو ما يهدف العلم اليه ،بل رافق هذه الدعوة توجيه الى الجانب الانفعالى الجمالى من أجل تنمية وتهذيب الاحساس البشرى ورفعه الى الدرجة التى يستحقها الانسان باعتباره مخلوقا متذوقا حساسا ، وهو ما يهدف الفن اليه •• والقرآن الكريم ، فى دعوته المزدوجة هذه تجاه الطبيعة ، التامل العلمى والحدس الجمالى . كان يخاطب الانسان باسلوبه الفنى المعجز الذى يعرف كيف يحرك كل مكونات الانسان ••• ولم يتخل عن هذا (الاسلوب) حتى عندما كان يعرض لاشد النواميس والقوانين والسنن الطبيعية عمقا وعلمية ورياضية ، ان صح التعبير ! ! لانالطبيعة، هذا التشكيل الالهى الفذ ، لا بد ان تقود الانسان السوى الايجابى الفعال ــ عالما كان أو فنانا ــ فى الطريق الى الله ، بهزة الايمان العميق التى تحدثها فى عقول العلماء والفنانين وفى افئدتهم ووجدانهم •• اولئك الذين آلوا على انفسهم ان يتاملوا الطبيعة ، ويتمعنوا فى خفاياها ، وان يدخلوا معها فى حوار خلاق •• عارفين انهم ــ عن هذا الطريق ــ سيستحقون رحمة الله ، ومكانتهم فى العالم كخلفاء له •

العلم الفنان

وليس ابلغ ــ هاهنا ــ مما قاله توفيق الحكيم ، يوما ، وهو يتحدث عن اولئك العلماء الفنانين الذين قادتهم هزة الدهشة والاعجاب •• الى الله •• ولنستمع اليه « ان اقصى العلم الايمان احب ذلك العلم المؤمن الشاعر الذى عرفه ايضا الفلكيون العظام فى القرنين السادس عشر والسابع عشر : كوبرنيك ، غاليليو ، وكبلر ، الى آخر قطرة من ذلك العلم الممزوج بالايمان ! كانوا ينظرون الى الكواكب لا بعين العقل وحده ، بل بعين القلب ايضا ! •• كانت السماء والنجوم فى نظرهم مخلوقات حية ! كانوا يحسون ، فى كتلة النجوم وفى هذا الكون باكمله ، الروح الخالقة ويد المبدع الاعظم •• ما أروع هذه العبارة من كبلر (•• كل الخليقة ليست الا سيمفونية عجيبة فى مجال الروح والافكار ، كما هىفى مجالالاجسام والاحياء •• كل شيء متماسك مرتبط بعرى متبادلة لا تنفصم •• كل شيء يكون كلا متناسقا !ان الله قد خلقنا على صورته وأعطانا الاحساس بالتناسق •• كل ما يوجد حى متحرك •• كل كوكب وكل نجم ان هو الا حيوان ذونفس : ان روح النجوم هى سر حركتها وسبب ذلك النظام الذىتسير عليه الظواهر الطبيعية •• أولئك رجال ساروا فى بيداء العقل، دون ان ينسوا دليل القلب ، أولئك هم العلماء العظام » (٧) •

وهكذا •• فقد شاء الله جلت قدرته أن تكون الطبيعة هى الجامعة الكبرى التى تخرج افواج

(٢) سورة الانعام ٩٥ ــ ٩٩
(٣) سورة عبس ٢٤ ــ ٣١
(٤) سورة التكوير ١٥ ــ ١٦
(٥) سورة فصلت ١١
(٦) سورة النحل ٦
(٧) تحت شمس الفكر / ص ٣٥ ــ ٣٦

العلماء والفنانين في الوقت ذاته : العلماء الذين يتفحصون ويجربون ويكتشفون من أجل رقي العلم الانساني،وادراك السنن والنواميس الطبيعية التي يقام عليها صرح العلوم التطبيقية المختلفة ،، والفنانين الذين يعاينون ويلمسون وينظرون ويسمعون ، فتهزهم المعاينة والنظر والسماع ، وتحيلهم الى قلوب تنبض عشقا وهياما وشعرا وعقول تند عن مراتبها النفعية المادية القريبة ، فتحطم جدران الاشياء وتنطلق اليما وراء الاشياء •• وحدس ينقل احاسيس الانسان ، من سمع وبصر ولمس ، من مراتبها الاولى ، الى أجهزة فذة عجيبة للتعامل مع ما في الكون من قيم وحقائق واشكال ، غابت عن الاسماع والعيون أول مرة ، فجاء (العيان الفني) لكي يمزق عنها الاستار ، ويعيد اليها صفاءها الاول !!

التقابل المحتوم

ان الطبيعة لا تقف عند احداث الهزة الروحية في نفس الانسان فحسب ، ولكنها تدفعه دفعا الى التعبير ، الى تحويل تامله وادراكه وعيانه السلبي، الى فعل وحركة وجهد وابداع • فليس في تصور الفنان المسلم ثنائية أو ازدواج بين فن العيان والحدس السلبي ،أو المشاركة الصوفية في العالم، وبين فن الاداء والعمل والصنعة والابداع •• لان تلك خطوة الى هذه ، وهذه نتيجة محتمة لتلك • فمن ذا يستطيع أن يقول أن هزة الفرح أو الاسى التي تبعثها الطبيعة في نفس الانسان ستظل محتبسة في جوانحه ، وانه سوف لا يحيلها الى غناء وشعر او صور أو تشكيلات منحوتة وعمارات منصوبة ، ابدا •• ان هنالك ارتباطا باطنيا بين التقبل السالب للمؤثرات الطبيعية ، التقبل الذي يجيء عن طريق الحدس الهادىء العميق والاستغراق في الكون •• وبين التعبير الجمالي عن معطيات ذلك التقبل الحدسي الهادىء العميق •

ان في أعماق كل فنان ما يمكن أن نسميه تقابلا منغما بين الهدوء والحركة ، بين السلب والايجاب، بين الاخذ والعطاء ،بين التقبل والتعبير •• ان أعماق الفنان كالبحر الذي يضم في اللحظة الواحدة هدوءا حالما وتمخضا مخيفا••كالسيمفونية التي تحتوي على نغمتين متناقضتين لكنهما في المدى النهائي للحن ، موحدتان •• ان اعماق الفنان او تكوينه الفذ ، هما هكذا •• ومن ثم فان أغلب الذين عاينوا الطبيعة والكون ، وتاملوا فيهما ، وحدسوهما ، وتقبلوا عنهما الكثير من المعطيات•• عادوا فرسموا وغنوا وبنوا ورقصوا •وهنا نلاحظ أن العبادة في الاسلام انما هي حركات تعبيرية عن التامل • ان المعنى العميق للآية (الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ، ويتفكرون في خلق السماوات والارض •••) يبين لنا كيف أن تاملهم في الكون دفعهم ، بعفوية وانسجام ، الى أن يصلوا لله بحركات تعبيرية يفتحون عن طريقها منافذ وأبوابا حركية للتخفيف عن التوتر النفسي الايجابي الذي ولدته تجربة الحدس والتمعن في كيانهم المحدود ، والقلة القلة هم أولئك الذين كبتوا جوانحهم على ما تقبلوه عن عيانهم للطبيعة، وقبعوا ، كمتصوفي الهنود ، حجارة صماء ، بكماء عمياء ، تعاين بصمت ، ولا تحرك أيديها ، لكي تقدم لبني الانسان صور التجربة وابعاد المسالك الكونية التي قادهم اليها التامل والعيان •

مايقوله الغربيون

ان ما يقوله برغسون H.Bergson وشوبنهور A. Schopenhaven رائع وجميل ، لولا وقوفهما عند شطان التقبل السالب للطبيعة والعالم ، والاندماج الصوفي في صورهما وأشكالهما وبحرهما العميق • يقول برجسون : « لو تهيا للنفس الا تتعلق بالفعل باي ادراك حسي من ادراكاتها ،لكنا بازاء نفس فنانة لم يشهد لها العالم نظيرا من قبل •• نفس ترى الاشياء جميعا في صفائها الاصلي ، وتدرك أشكال العالم المادي وألوانه وأصواته كما تدرك أدق حركات الحياة الباطنية » (٨) • وما يقوله ديوي Dewey رائع ومقبول ، لولا الحاحه على ربط معطيات الفن بخبرات الناس العملية (البراغماتية) وبتجاربهم النفعية : (ان الادراك الحسي المتسامي الى درجة النشوة ، أو ان شئت فقل التقدير الجمالي ، لهو في طبيعته كأي تلذذ آخر نتذوق بمقتضاه اي موضوع عادي من موضوعات الحياة

---

(٨) زكريا ابراهيم : برجسون ص ٢٨٤ (دارالمعارف ، القاهرة ـ ١٩٥٦) •

الاستهلاكية ، فهو ثمرة لضرب من المهارة او الذكاء في طريقة تعاملنا مع الاشياء الطبيعية ، بحيث نتمكن من زيادة ضروب الاشباع التي تحققها لنا تلك الاشياء تلقائيا،فنجعلها اشد وانقى واطول.. ان العنصر الجمالي ـ كما يقول ديوى ـ ليس عنصرا دخيلا على التجربة البشرية ، وكانما هو اثرا من آثار الترف او الكسل او اللهو او العدس او المشاركة الصوفية او التسامى الاخلاقى ، بل هو مجرد ترق اظهر واوضح لتلك السمات العادية التي تميز كل خبرة سوية مكتملة) (٩) .

وما يقوله ناقدا الجمال المعاصران : الان Alan وباير R.Bayer منطمى ورصين لولا ان تاكيدهما المطلق على اعتبار الفن عملا وجهدا وتكنيكا وصنعة وصراعا ضد المادة ، واستقلالا (استطيقيا) لدى مشاهدة العمل الفني وتذوقه،دفعهما الى تناسي واهمال الخلفيات التي يقوم عليها بناء العمل الفني ، وتذوقه ، سواء كانت تلك الخلفيات في وجدان الانسان الفنان أم في تركيب الطبيعة الفنانة .. « ان اهتمام الفنان ـ كما يقرر آلان ـ ليس منصرفا في العادة الى انفعالاته وعواطفه ، بل هو منصرف اولا وقبل كل شيء الى (الموضوع) نفسه .. وعلى حين ان المخيلة المتسكعة لا تعرف سوى الامل أو التمني أو الرجاء نجد ان اليد الصانعة هي التي تقدم على (التنفيذ) فتصطدم بعوائق المادة ، وتحاول في الوقت نفسه الانصات الى نداء الموضوع » (١٠) ويمضى آلان الى أبعد من ذلك فيقرر « انه ليس لدى الفنان افكار سابقة محددة وانما تجيئه (الافكار) كلما اوغل في الانتاج والعمل ، ان لم نقل بان هذه الافكار نفسها لا تصبح واضحة محددة الا بعد ان يكون العمل الفني قد اكتمل » (١١) . اما بايرفيرى « .. ان من شان كل حركة يقوم بها الفنان ان تتسجل على شكل تاثير حسي وهذا الاثر هو المظهر الاوحد الذى لا بد لعالم الاستطيقا ان يعمل له الف حساب .. ومهما امعن دعاة الصوفية والسلبية والتعمية في الحديث عن الحدس والاشراق والمشاهدة فان الموضوع الجمالي لا بد من ان يتحقق على شكل اثر فني ، لان الجميل لا يوجد الا متحققا .. وعبثا يحاول بعض الفلاسفة ان يخلطوا بين الفن والتامل الفلسفي ، فان سحر العمل الفني .. لابد من أن يجيء فيكذب دعوى مثل هذه الاستطيقا السلبية الخالصة .. ان مهمة عالم الجمال أن يبين لنا كيف ان (الذات) ليست هي كل شيء في الحكم (الجمالي) وكيف ان شيئا يظل خارجا عن الذات الا وهو مافي الموضوع الجمالي نفسه من توازن في صميم (بنائه الاستطيقي) ... (١٢)

وهكذا ،فاينما ذهبنا باحثين عن مذاهب الغربيين في الفنون ـ أو طرائقهم في الفكر والحياة ـ فاننا لا بد أن نعثر على نوع من الثنائية او التقسيم التعسفي للانسان والعالم .. وكان تجربة آبائهم واجدادهم ازاء الكون والطبيعة والعالم ، الزمتهم بعبارة (اما هذا او ذاك) دون ان يؤمنوا يوما بان هنالك بديلامنطقيا لعبارةكهذه،تلك هي (هذا .. وذلك ..) لان الانسان والطبيعة ، الروح والمادة ، الفكر والوجدان ، التامل والعمل، السكون والحركة ، الانسماج والانفصال ، التقبل والصراع .. هي كلها ـ في المنظور الاسلامي ـ وحدة واحدة تسيرها نواميس واحدة ـ وتشرف عليها من اقطارها الاربعة . ارادة الله الذى اعطى كل شيء خلقه ثم هدى ..

الوحدة والتوافق

ان تصور الفنان (المسلم) للفن وموقفه من العالم ينبثق عن هذه القاعدة الشاملة التي اتيح للانسان والطبيعة أن يتحركا على مسرحها ذى الابعاد اللامرئية .. الوحدة التي تضم كل الجزئيات والتناقضات الظاهرية والقيم المتعارضة في كيان واحد متماسك ، او عالم متناغم جميل ، او لحن يطرب الاسماع ويهز القلوب ويعمق مجالي الفكر والادراك . ان الاديان جميعا جاءت لكي تشير الى أن الانسان عالما كان أم فنانا ، يجب

(٩) د . زكريا ابراهيم : مشكلة الفن ص (٢٢٧)(مكتبة مصر) .
(١٠) د. زكريا ابراهيم : فلسفة الفن في الفكر المعاصر ص ١٣٦ ـ ١٣٧ (مكتبة مصر) .
(١١) المرجع السابق ص ١٣٥ .
(١٢) المرجع السابق ص ٣٥٧ ـ ٣٥٨ .

أن يسعى من اجل هذا المصير العظيم : الوحدة والتوافق بين الانسان والعالم والطبيعة والكون.. الوحدة التى ترفض الذوبان السالب والفناء .. كما ترفض ـ فى الوقت نفسه ـ التمزق والتبعثر والازدواج والعصيان ، ومن ثم يجيء موقف الفنان المسلم من أجل المصير .. ذلك المصير الذى يضم جناحيه على كل القيم والخلائق والنواميس ويحركها جميعا صوب الله ..

ان الطبيعة لم (تشكل) لغرض أن تجيء جماليتها كتحد سلبى للانسان يصده عن الوصول الى الكمال علما وفنا ، أو يثير فيه نزعة عدائية (للتغلب) على الطبيعة أو (التفوق) عليها (وقهرها)، تلك النزعة التى تبرز بوضوح فى تعابير علماء أوربا وفنانيها .. انما هى بمثابة (استثارة) أبدية ايجابية تحرك الانسان صوب مزيد من الكشف والابداع والابتكار .. فهى أشبه بالمنافسة الشريفة العادلة التى لا غالب فيها ولا مغلوب ، لان الطبيعة والانسان كليهما من صنع الله وقدره ، ولان الطبيعة لم تتخذ ، ولن تتخذ (شكلها) النهائى فهى ـ وفق سنن الله تعالى ـ تتغير وتتشكل باستمرار . ثم أن الانسان بدوره مطلوب منه هذه الحركة صوب الامام والى فوق .. هذا الى أن الخلائق جميعا ، فى نظر الفنان المسلم ، تمتاز بنوع من الألفة الميتافيزيقية والتعاطف الوجدانى والتوجه الكلى نحو الخلاق المبدع سبحانه .

دعوة مبكرة الى التجريد

وكثيرون هم أولئك الذين أكدوا على أهمية (التجريد) من فلاسفة الغرب وفنانيه ... التجريد كمعبر ، أو جسر ، أو وسيلة للحوار بين الفنان والعالم. وهم فى هذا انما يقررون ما كان الاسلام قد أكده بتحريمه للنقل المباشر عن الطبيعة. ذلك النقل الساذج الذى يعيد نسخ المخلوقات الحية على سطوح الجدران والمعابد واللوحات .. وأنه وأن كان هذا (التحريم) ينبثق عن فكرة (التحرر الوجدانى) العميقة الشاملة التى اراد بها الاسلام أن ينقل الانسان من عصور الوثنية والتعبد للقريب الملاصق ، الى سماوات التوحيد الخالص والطموح للامتداد النفسى الى ما وراء المنظور والملموس .. فان هذا التحريم يجيء فى الوقت ذاته رفضا فنيا . بشكل من الاشكال ، لنظرية (المحاكاة) التى رفضها عدد من كبار الفنانين والنقاد المعاصرين (بيكاسو وبراك ليجيه، وكاسيرر، ولالو ، وكروتشه ، ومالرو ، وغيرهم) لاسيما وأن تحريما كهذا جاء يحمل فى الوقت ذاته طفرة بالعطاء الفنى التقليدى الى الامام .. الى آفاق التجريد والتعبير غير المباشر عن العلائق المتشابكة بين الفنان والعالم بما ينسجم وتصور الاسلام عن هذه العلائق .. كما جاء اشارة ـ غير مباشرة ـ الى ضرورة امتلاك الفنان القدرة على التعبير والتحوير الامر الذى يقوده الى التجريد.

لوحتان

ونختتم عرضنا الموجز هذا بهاتين اللوحتين اللتين يرسمهما القرآن عن الكفار (أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى ، فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين . مثلهم كمثل الذين استوقد نارا ، فلما أضاءت ما حوله ، ذهب الله بنورهم ، وتركهم فى ظلمات لا يبصرون . صم بكم عمى فهم لايرجعون. أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق ، يجعلون أصابعهم فى آذانهم من الصواعق حذر الموت ، والله محيط بالكافرين. يكاد البرق يخطف ابصارهم كلما اضاء لهم مشوا فيه ، واذا اظلم عليهم قاموا ..) (١٣) ..

(والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء ، حتى اذا جاءه لم يجده شيئا ، ووجد الله عنده فوفاه حسابه ، والله سريع الحساب. أو كظلمات فى بحر لجى يغشاه موج من فوقه موج، من فوقه سحاب ، ظلمات بعضها فوق بعض ، اذا أخرج يده لم يكد يراها ، ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور) (١٤) ..

وصدق الله العظيم . ■■

الموصل د . عماد الدين خليل

---

(١٣) سورة البقرة ١٦ ـ ٢٠ .

(١٤) سورة النور ٣٩ ـ ٤٠

الى مـن يهمـه الأمـر

بقلم : فهمي هويـدى

ليس معروفا بالضبط من هو ذلك « الخبيث »الذى اقترح أن توضع فوق رؤوس القضاة تلك الآية الكريمة التى تقول « ان الله يامر بالعدل »وهو ما قد يوحى بان القضاة هم المعنيون بالخطاب، وان الاخرين معفون من تلقى هذا الامر والعمليه • وانه اذا استقر العدل القضائى ، فقد تحقق المراد من رب العباد •

وترجيح الخبث هنا يستند الى ان التركيز علىالعدل القضائى قد يصرف الاذهان عن جوهر العدل الذى يدعو اليه الاسلام ، والذى تحتل فيه «قضية»العدل الاجتماعى المركز الاول • وهذا العدل ليست ساحته قاعات المحاكم ، ولكنه ذلك الميزان الدقيقالذى يعطى لكل ذى حـق حقـه • هو « القسط » الذى لا ينبغى ان تختل فى ظله اية معادلة والذىتمتد مساحته من حياة الفـرد الخاصة الى حيـاة الامة كلها •

على أننا اذا افترضنا حسن النية فى صاحبهذا الاقتراح ، فينبغى أن نتفق على أنه اذا كان لا بد من الاعلان عن هذه الآية ، فمكانها ليس فىقاعات المحاكم ولا فوق رؤوس القضاة • ولكنه فى ديوان السلطان وفوق راسه هو • ذلك ان القائمينعلى الامر هم القائمون على العدل •

والعدل الذى جاءت به الشريعة هو قيمة كليةلا تقبل التجزئة ولا الترقيع ، تظلل المجتمع باسره، وتضبط كل حركته ، فى نـاموس دقيـق محكم •وقوانين هذا الناموس لا تقبل باى حال ان يسود العـدل فى جانب ، بينما يطـل الظلم براسه منجانب آخر •

●

وفى محاولتنا « قراءة الاسلام باعين مفتوحة »قلنا اننا اذا اعتبرنا ان الاسلام فى جوهره عقيدة وشريعة ، فان التوحيد هو الذى تقوم عليهالعقيدة،والعدل هو الذى تقوم عليه الشريعة • وعقيـدة بغير توحيد ، او حتى توحيد مبتسر ، فهى عقيدةاما منعدمة او فاسدة •• كما ان شريعة بغير عدل فانها تعد شريعة غائبة ومهدرة •

وقلنا ان العقيدة كانت هى موضوع آياتالقرآنالكريم التى نزلت فىالفترة المكية، مرحلة تاسيس البشر ، وان الشريعة كانت شاغل الآيات والسورالتى نزلت بعد الانتقال الى المدينة ،فى مرحلـة تاسيس الدولة •

وقد كنا على موعد مع الشريعة هذه المرة ـ بعدما توقفنا امام قضية العقيدة والتوحيد والالوهية والعبودية ، فى الشهر الماضى •

هل نحن بحـاجة الى ان ندلـل على أن العدلهو جوهر الشريعة وعمادهـا ؟ •• حتى لو كنـا نسلم بهذه القناعة ، دعونا نقرا هذه الآيات منباب التذكرة •••

« وممن خلقنـا امـة يهدون بالحق وبه يعدلون» ـ الاعـراف ـ وقـل آمنت بمـا انزل الله مـن كتاب وامرت لاعدل بينكم » ـ الشورى ـ « كونواقوامـين بالقسـط » ـ النسـاء ـ « ولا يجرمنكم

شنآن قوم (بغضهم) على ألا تعدلوا ·· اعدلـوا هو أقرب للتقوى » ـ المائدة ـ « فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا » ـ النساء · ـ

ثم آية سورة الحديد التى تقول « لقد أرسلنا رسلنا بالبينات ، وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط » ·· أى أن العـدل ليس هدف شريعة الاسلام فقـط ، ولكنـه فى الحقيقة هدف كل الشرائع السماويـة ، بصيـغ وأقـدار مختلفة ·

بـل لا أظننى أتجـاوز كثيرا اذا قلت ان قيـام العدل هو « مبرر » بعث الأنبيـاء وانزال الكتب والشرائع ، وان هداية البشر الى الله هى طريق تحقيق هـذا العـدل على الارض ·· وهـل تتم « عمارة الكون » بغير عدل ؟

ولان العدل هو « بديهية » فى الشريعة ، وهـو الهـدف من وراء كل أحكامها ، فـان الكلمة لـم تذكر صراحة الا ٢٩ مرة فى القرآن الكريم ، فى مواضع مختلفة ، تغطى صيغ العـدل ومجالاته · أما الظلم الذى يعد اهـدارا للشريعة وانتهاكـا لمقاصدها ، فقد حاصره القـرآن بقـدر اكبر من التنبيهات والتحذيرات والاشارات الحمراء ، حتى ذكرت الكلمة بالقرآن فى ٢٩٠ موضعا ·

وهى ملحوظة نسوقها ـ أيضا ـ للتذكرة ··

●

والاشارات الصريحـة الى كلمـة العـدل فى القرآن ـ بمعنى أن يعطى لكل ذى حـق حقـه ـ يمكن تصنيفها فى اتجاهين أساسيين : عدل عام ،هو من مسئولية السلطان وأولى الامر · وعـدل خاص ، ينصرف فيه الخطاب الى جموع البشر ·باعتبـاره قيمة ينبغى أن يتحلى بهـا الانسان ، ويعكسها على واقعه وسلوكه ·

وهذا العدل الخاص ، تتعدد مجالاته من تحرير الديـون (وليكتب بينكم كاتب بالعـدل) الـى التحذير من تعدد الزوجات (فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة) · الى التوفيق بين الزوجين (فان فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا) ·· الى الحض على عدم المجاملة فى التقييم والحساب (واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى) ·· وهكذا ·

أما العدل العام فله أيضا مجالاته العديدة ··

●

وعند هـذا العـدل العـام نسجل ملاحظـة سريعة ، وهى أن الموضوع بحـد ذاته لم يلق فى الكتابات الاسلامية المعاصرة ، عناية تناسب أهميته وخطورته · وأكاد أقول أنه لقى اهمالا متعمدا ، لأسباب بعضها راجع الى الخوف وايثار السلامة ،حتى لا يقال أن هذه الكتابات تتعرض بالتمليح لأوضاع قائمة ، ويرجع بعض هذه الاسباب الى خشية الاتهام بالاقتراب من تيارات الفكر اليسارى· الامر الذى دفع الكثيرين من الكتاب الى عدم اثارة القضية الاجتماعية والاقتصادية ، وبقيت شواغلنا محصورة فى هل نقطع يد السارق ام لا ، وهل صوت المرأة حلال ام حرام ، وما العمل اذا سقطت ذبابة فى كوب شراب ، وانغمس فيه جنـاح واحـد أو « روع » المسلمون بان الذى انغمس فى الشراب هما الجناحان معا ؟!

ورغم أن هذه هى شواغل الساعة كما نقرأ فى الصحف · فارجو أن يؤذن لى فى العودة الى تلك القضية الاقل اهمية !

ذلك ان فكرة العدل العام فى الاسلام تحتاج الى تصحيح · اذ كما أننا نستغرب التركيز على العدل القضائى ، فاننا نستبعد أن يكون قصد الشارع به هو العدل الاجتماعى وحده · ولمزيد من الايضاح اقول انه اذا كان العدل هو عماد الشريعة ،فان العدل الاجتماعى هو المعنى الأول حقا ، لكنه ليس المعنى الاوحد بكل تاكيد ·

فالانسان الذى كرمه الله وجعله خليفة له فى الارض ـ بنصوص القرآن ـ ليس مجموعة من

الغرائز تقف على رأسها غريزة حب الاستمرار والبقاء . هناك روحه وقلبه وعقله ، ومن « العدل » والانصاف ان تشبع هذه الحاجات ايضا،بل ان في غياب تحقيقها ظلما ينبغي رفعه .

يقودنا ذلك الى قضية العدل الفكرى او العدل السياسى بالتعبير الشائع . وهو الذى يتمثل فى ضرورة اتاحة الفرصة للطرف الاخر فى كل خصومة فكرية او سياسية . بحيث تعطى كل الاراء فرصا متعادلة فى التعبير بغير عسف ولا انحياز . وهى صيغة ترفض تماما فكرة الرأى الواحد ، والحزب الواحد .

ولو ان كلاما كهذا قيل منذ ٧٠٠ سنة لاستغرب الناس ، ولسفهه علماء المسلمين ومفكروهم . لان فرقهم ـ بكافة اتجاهاتها ـ كانت تمارس هذه الحرية عملا لا قولا . كانوا يسعون فى الدنيا والاخرة ، بالنظر والفكر والتعبير ، يتفقون ويختلفون حول كل القضايا العامة ، من الامامة الى ذات الله وصفاته . ومع ذلك فلم يلاحقهم احد ، ولم يتهمهم احد ، ولكنهم ظلوا فى نظر المسلمين وفى نظر التاريخ ، مفكرين شجعانا ومشاعل منيرة مازلنا نقتبس من نورها ، ونحتمى بها احيانا !

لم يكن العدل عندهم بطونا جائعة تشبع فقط ،ولكنه كان ايضا عقولا حرة متعطشة لمعرفة الحقيقة، تنطلق فى الآفاق بغير قيود .

وهنا تلتقى قيمتا العدل والحرية . تلتصق كل منهما بالاخرى حتى لا تكاد نميز ايهما الزم للاخرى. فلا يقوم العدل الا تحت ظلال الحرية ، وفى غيبة الحرية لا نجد مكانا للعدل .

●

وموضوع العدل هذا شغل بعض فقهاء المسلمين فى الماضى ، وعلى رأسهم المعتزلة وبعض معارضيهم كالاشاعرة . لكنهم تناولوه من زاوية فلسفية وتجريدية ، على عادة اهل الكلام فى الجدل والتنظير. اذ ناقشوا العدل من حيث انه احدى صفات الله .وقال المعتزلة ان عدل الله لا يكتمل الا اذا كان الناس مخيرين ، على اعتبار انه ليس منطقيا ان يحاسب الانسان على امر مفروض عليه ، ولا خيار له فيه . وتطرقوا من ذلك الى مناقشة قضية « الحسن والقبيح » فى الاعمال ، قائلين انهما ذاتيان بينما عارضهم الاشاعرة بقولهم ان الحسن والقبح تابعان لامر الشرع ونهيه .. وانعكس على المناقشة موقف كل من الطرفين من مسالة الجبر والاختيار ، وهل الانسان مخير ام مسير .. وهو الموضوع الذى طال فيه الجدل .

والذى يعنينا هنا أن المعتزلة كانوا يعرفون بانهم أهل العدل والتوحيد ، لكنهم تناولوا الموضوع من حيث انه عقيدة ، وليس من زاوية التشريع .

وجاء الامام الشاطبى فذكر فى « الموافقات » ان العدل بين الناس هو الغاية المقصودة من الشريعة لكن الامام ابن القيم خطا خطوة ابعد فى « اعلام الموقعين » ، بقوله ان الله ارسل رسله وانزل كتبه ليقوم الناس بالقسط ، وهو العدل الذى قامت به السماوات والارض . فاذا ظهرت امارات الحق ، وقامت ادلة العدل ، واسفر وجهه باى طريق كان ، فثم شرع الله ودينه ورضاه وامره .

واهمية كلام ابن القيم تكمن فى انه يوسع الدائرة الى حد كبير ، بحيث انه يعتبر اى طريق يؤدى الى تحقيق العدل ، بمثابة طريق يؤدى الى الله . بل يعتبره داخلا بشكل تلقائى ضمن شرع الله ودينه .

اما ابن تيمية ، فقد ذهب الى ابعد وابعد ،اذ قال فى احدى فتاواه ، ان الله يقيم الدولة بالعدل ولو على كفر ، ولا يقيمها بالظلم ولو على اسلام .

وهو صاحب القول الشهير الذى نقله عنه الشاطبى فى « الموافقات » ان الكافر العادل افضل من المسلم الجائر ، لان الاول لنا عدله وعليه كفره ،والثانى له اسلامه وعلينا جوره .

الى هذا المدى المدهش استقرت فكرة العدل فى اذهان هؤلاء الفقهاء الاجلاء . وبهذا القدر من التشبث والالحاح كان حرصهم على ترسيخ هذه القيمة والتاكيد عليها .

« ان فى موقف السلطان او ولى الامر وجهين،احدهما متجه الى الله سبحانه ، هو اعرف به ، وهو الذى يثيبه او يعاقبه عليه ، وهو ايمانهوصحة عقيدته • والثانى متجه الى الناس ، من حقهم ان يحاسبوه عليه بمنتهى القسوة والضرورة،وهو عدله والتزامه بالقسط •

ولا اريد ان اقارن بين هذا الفهم وتلكالمعايير ،وبين الذى نسمعه ونرصده ـ واكاد اقول نخجل منه فى هذا الزمان !

●

من هنا احتلت قيمة الامام العادل مكانة بارزةفى الفكر والفقه الاسلامى • فالحديث الشريف يقـول : ان احب النـاس الى الله يـوم القيامةواقربهم منه مجلس امام عادل • وان ابغض الناس الى الله يوم القيامة واشدهم عذابا امام جائر •و •• « ان من اجلال الله اكرام ذى السلطان المقسط •• » •

وعندما تولى ابو بكر خلافة المسلمين بعد وفاة(ص) ، لم يفته ان يؤكد هذه القيمة ، فيما يشبه العهد ، وهو الصديق الموثوق به • فوقفيقول : الضعيف فيكم قوى عندى حتى آخـذ لـه حقه • والقوى فيكم ضعيف عندى حتى آخذ الحقمنه ان شاء الله » •

وكان عمر بن الخطاب يقول للولاة مذكرا ومنبهاانه لم يستعملهم علىالناس « لتنالوا من ابشارهم واعراضهم ، وانما لتعلموهم كتاب الله وسنةرسوله ، ولتقضوا بينهم بالحق ، وتقسموا بينهم بالعدل •

ثم عندما اثيرت قضية الخلافة والامامة ، اعتبرالماوردى فى « الاحكام السلطانية » ان العدالة هى الشرط الاول فى الامام ، بينما اعتبرها ابنخلدونفى مقدمته شرطا تاليا للعلم • وقال الماوردى عن السلطان يخرج به من الامامة شيئان : « احدهماجرح فى عدالته والثانى نقص فى بدنه » وكتب ابن عبد ربه فى « العقد الفريد »انه : مما يجبعلى السلطان العدل فى ظاهر افعاله لاقامة امر سلطانه وفى باطن ضميره لاقامة امر دينه • فاذاافسدت السياسة ذهب السلطان • ومدار السياسة كلها على العدل والانصاف

ولم يكتفقاضى القضاة الحسن البصرىالماوردىبما سجله فى « الاحكام السلطانية » ، فكتب خطابا الى امير المؤمنين يقول فيه : اعلم يا امير المؤمنينان الله جعل الامام العادل قوام كل مائل ، ومصدر كل حائر ، وصلاح كلفاسد • وقوة كل ضعيف ،ونصفة كل مظلوم ، ومفزع كل ملهوف ••

ولا تحكم يا امير المؤمنين فى عباد الله بحكمالجاهلية ، ولا تسلكبهم سبيل الظالمين•ولا تسلط المستكبرين على المستضعفين • فانهم لا يرقبون فىمؤمن الا ولا ذمة • فتبوء باوزارك وباوزار مع اوزارك • وتحمل اثقالك ، واثقالا مع اثقالك ،ولا يغرينك الذين يتنعمون بما فيه بؤسك وياكلون الطيبات باذهاب طيباتك فى آخرتك ••

بهذه الكلمات وجه ابو الحسن البصرى خطابهالى امير المؤمنين ، ناصحا ومذكرا ومنبها ••

بقى ان تعرف بعد ذلك ان « المرسل اليه »هو الخليفة العادل عمر بن العزيز •• شخصيا !

ولا تعليق بعد فالخطاب فيه الكفاية !

●

لا تزال امامنا بقية من قراءة •• فليس يعقلان نمر بهذه السرعة على قضية العدل الاجتماعى كما يطرحها الاسلام • وليس يعقل الا نقف عندموقف الاسلام من الوجهالاخر للقضية ، وهو الظلم والعياذ بالله •

لكن لى كلمة اخيرة فى مناقشة اليوم ، حولالمفاضلة بين المسلم الجائر والكافر العادل ، اردت بها ان أذكر فقط بأن حلمنا ليس هذا او ذاك ، لكنهفى المسلم العادل •

ولأنّها « مناقشة » ، فاننى لا املك الا ان اقولكلمتى •• واظل احلم ! ■■

المدن الحديثة

■ مع أن نصف سكان الكرة الارضية سيعيشون في المدن في موعد أقصاه نهاية القرن الحالي ، الا ان العديد من الاسئلة ما زالت بدون اجوبة حول تأثير نمو المدن وحركة التصنيع على مصادر المياه في العالم . وهذا الاستنتاج كان احدى نتائج بحث قامت به مجموعة عمل تم تشكيلها من قبل منظمة اليونسكو ومنظمة الاغذية والزراعة التابعتين للأمم المتحدة عام ١٩٧١ وبعد اربع سنوات وبالتحديد في عام ١٩٧٥ وافق البرنامج الهيدرولوجي الدولي التابع لمجلس اليونسكو على خمسة مقترحات تم اعدادها بحيث تغطيهما الشكل لمشاكل المياه في المدن .

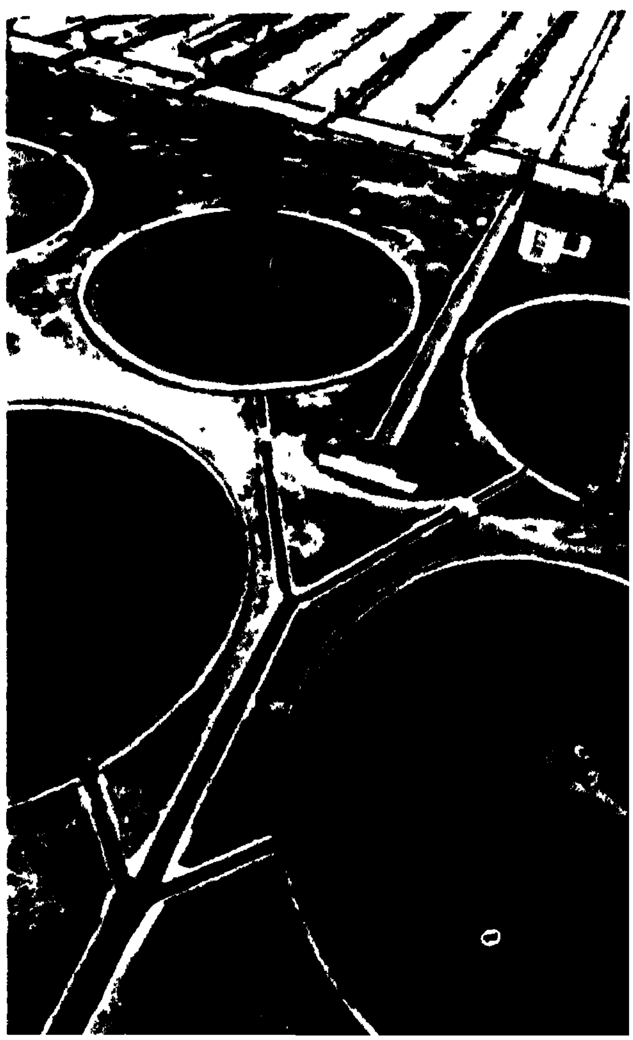
وتشتمل هذه المقترحات على اجراء بحث للاراضي التي تجري منها مياه الامطار الى الانهار وتلوث المياه الجوفية ، وتفاعل العوامل الاقتصادية والاجتماعية والبيئية على مصادر المياه في المدن .

وهذا البحث الذي تبنته المراكز اليونسكو وفي اطار التعاون مع وكالات الامم المتحدة المتخصصة

الاخرى سيجعل من الممكن في عامي ١٩٧٩ و ١٩٨٠ وضع برنامج دولي لادارة مصادر المياه في المدن واستغلالها على نطاق اوسع ٠

وهناك ثلاث مشاكل مائية رئيسية ستواجه أية مدينة حديثة وهي : امدادات الماء للشرب ولاغراض اخرى (وبصورة أساسية لاغراض صناعية) ، والتخلص من مياه المجاري وتجديد الامدادات ٠ فالمدن بحاجة قبل كل شيء وفي المقام الاول لمياه الشرب للاستهلاك المحلي ٠ واحتياجات المدينة التقريبية من هذه المياه في اليوم تتفاوت بصورة كبيرة فهي تتراوح ما بين خمسين لترا وأكثر من اربعمائة لتر ٠ وجاء في احدى الاحصائيات ان السويد تستخدم ما معدله، مائتان وعشرة ليترات من المياه يوميا للاستخدامات الشخصية والمنزلية ٠ وتشكل هذه الاحتياجات المنزلية بطبيعة الحال جزءا من الاحتياجات الكلية ، ولذا فان كمية المياه التي تستخدمها مدينة كبيرة قد تبدو قليلة اذا ما قورنت بالمياه المتدفقة من نهر صغير ٠

لمحاربة التلوث في الجداول والانهار تم انشاء مصانع تنقية بالقرب من المدن الرئيسية ٠ ويمر الماء في عملية معقدة من الترسيب والتصفية والمعالجة البكتريولوجية والكيماوية ٠
مصنع كوريانوفو بالقرب من موسكو والذي يعالج مليونين ونصف المليون من الامتار المكعبة من الماء يوميا ، وهو في الوقت نفسه يبقي على نهر موسكفا نظيفا تماما لكي يسبح فيه سكان العاصمة السوفياتية في فصل الصيف ٠



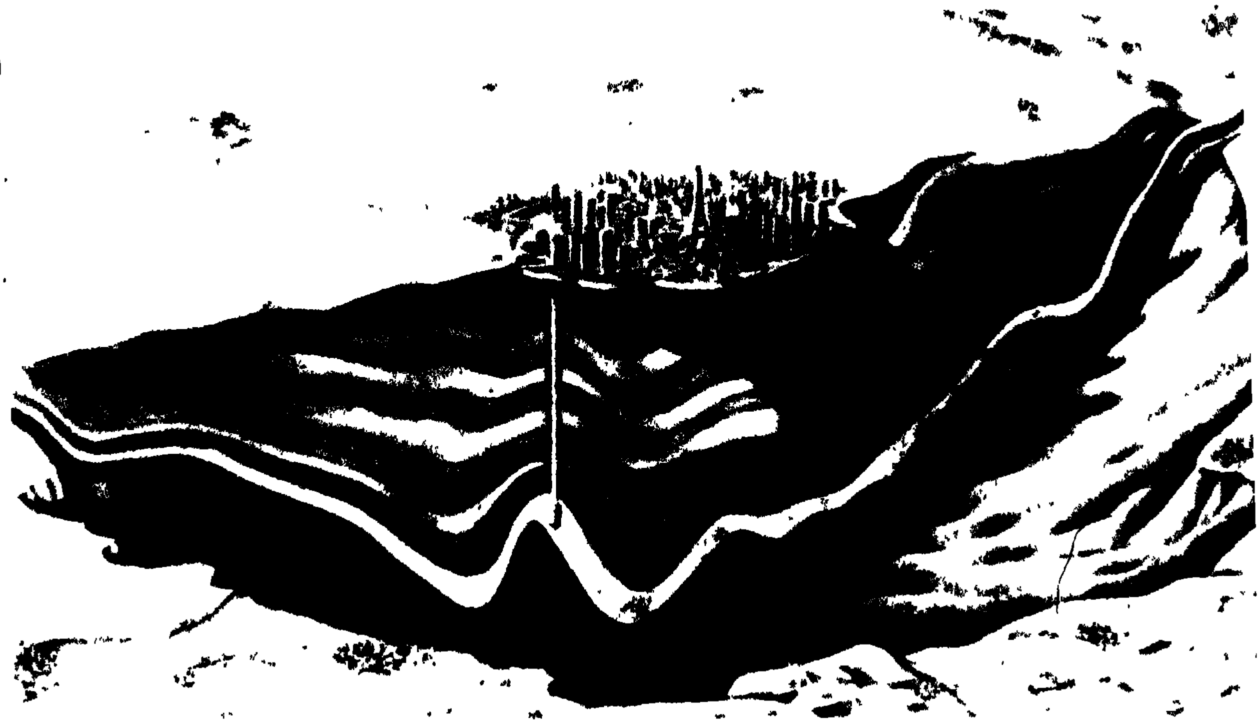
وبالاضافة الى الاستهلاك المحلي للمياه فان على المدن أن تلبي حاجات الصناعة من هذا المصدر الحيوي ، ويشكل تزويد الصناعة بالماء (بمنأى عن ضخ المياه غير المعالجة من الانهار) نسبة عالية من الاستهلاك الكلي ٠

وتستهلك المدن كميات كبيرة من الماء فهي جشعة في هذا وقدرت الاحتياجات الكلية لمدينة في الولايات المتحدة في عام ١٩٦٥ بحوالي الف متر مكعب في الثانية ٠ ومن المحتمل أن يرتفع هذا الرقم الى الف وخمسمائة متر مكعب في الثانية في عام ١٩٨٠ ، والى ثلاثة آلاف متر مكعب في الثانية في عام ٢٠٢٠ وتعادل مثل هذه الكميات تدفق الماء من الانهار الكبيرة ٠

وتجلب بعض المدن احتياجاتها من هذه المادة الهامة من مسافات بعيدة ٠ فمدينة شتوتغارت وضواحيها تتزود بمياه الشرب التي تصلها عبر خطوط انابيب يبلغ طولها ثلاثمائة كيلو متر ٠ وفي السويد تحصل مدن مالمو ولونت وهلسنغبورغ على مياه الشرب بواسطة خطوط انابيب طولها ثلاثمائة وخمسون كيلو مترا ٠

ويشتمل مشروع ضخم في ولاية كاليفورنيا الامريكية انشيء لتزويد مدن الولاية والزراعة بالمياه اللازمة ، على قناة يبلغ طولها الفا ومائة كيلو متر ويتدفق الماء منها بمعدل مائة وسبعة وستين مترا مكعبا في الثانية ٠

وهناك طريقة اخرى لتزويد المدن بالماء وتتم بواسطة استخراج المياه الجوفية ٠ وتسبب هذه الطريقة في بعض الاحيان تغيرات في ميزان الماء الطبيعي ٠ فاستخراج المياه الجوفية بصورة كبيرة يؤدي الى انخفاض مستوى الماء وهذا بدوره يسبب انهيارات ارضية كما حدث في أجزاء متفرقة من الولايات المتحدة واليابان والسويد ٠ وتعتمد المدن السويدية اعتمادا كبيرا على المياه الجوفية اذ ان



١) فى ضوء الضغط القوى لمواكبة الطلب المتزايد على الماء منزليا وصناعيا يتوجب على المدن الحديثة ان تقوم باستثمارات ضخمة بهدف جلب امدادات الماء من مسافات بعيدة وحفر آبار عميقة تحت الارض ويظهر الرسم نموذجا جيولوجيا لحوض باريس مع انبوب يحدر الى طبقة حاملة للماء عند عمق ستمائة متر • ويجرى اتخاذ تدابير من شأنها منع التدمير المفرط لهذا الاحتياطى •

سبعة واربعين بالمائة من استهلاكها للماء تتزود به من باطن الارض • وعملية سحب المياه الجوفية فضلا عن ثقل المبانى سببت عدة انهيارات وبوجه خاص فى استوكهولم حيث تعرضت بعض المبانى لاضرار جسيمة • وفى مدن أخرى ساخت الارض الى عمق تراوح ما بين خمسين سنتيمترا ومتر واحد•

ويجب كذلك ازالة مياه المجارى والامطار من المدن • ويبلغ الطول الكلى لشبكة مياه المجارى الصحية فى الولايات المتحدة أكثر من ثلاثمائة ألف كيلو متر ، اما فى السويد التى يقل عدد سكانها خمسا وعشرين مرة عن عدد سكان الولايات المتحدة فان طول شبكة مياه المجارى الصحية فيها بلغ خمسة وثلاثين الف كيلو متر فى عام ١٩٧١ •

واطوال أنهار النيل والامازون والمسيسيبى ميسورى ـ وهى أطول ثلاثة أنهار فى العالم ـ أطوالها مجتمعة لا تصل الى عشرين ألف كيلومتر•

وتغيرت جغرافية مياه العالم تماما • فالمدن عملت على تغيير مسار المياه • وتوجد قنوات اصطناعية يبلغ طولها حوالى سبعة آلاف كيلومتر تجرى أسفل مدينة نيويورك التى تبلغ مساحتها ثلاثمائة وتسعة وعشرين كيلو مترا مربعا • ويوجد فى مدينة ميلووكى على بحيرة ميشيغن قنوات مائية طبيعية يبلغ طولها ستين كيلو مترا وواجهة مائية طولها ثلاثة عشر كيلو مترا فضلا عن شبكة مياه مجارى صحية طولها ثلاثة آلاف ومائة كيلو متر •

وتاثرت أيضا شبكات المياه الطبيعية من جراء التمدن والحضارة • فقنوات المياه فى المدن تحول غالبا الى شبكة المجارى عبر شبكات اصطناعية • وكان هناك فى عام ١٩١٣ منطقة ريفية بالقرب من واشنطن مساحتها ثمانية وستون كيلو مترا مربعا وتحتوى على قنوات مائية بلغ طولها أنذاك مائة وثلاثة كيلو مترات ، غير أنه فى عام ١٩٦٦ تحولت المنطقة الريفية الى ضواحى المدينة ولم يتبق فيها سوى ثلاثة وعشرين كيلو مترا من القنوات الطبيعية المفتوحة • وادت حركة التمدين كذلك الى تغيير طريقة نزح مياه الامطار • ففى المدن يقل حجم الامطار المتسربة الى جوف الارض ، فى حين تكون هناك زيادة فى كمية الماء المتدفقة فى الجداول

والانهار • والسبب في ذلك هو انه في المدن لا يسقط المطر على ارض طبيعية وانما على منطقة كبيرة من الاسمنت والاسفلت وهي نوع من سطح لا ينفذ اليه الماء والذى اصبح يشكل ظاهرة مالوفة على نحو متزايد في الضواحي •

ويلاحظ في كثير من البلدان بان مياه الامطار في مناطق المدن تجد الآن طريقها مباشرة الى شبكات مصارف المياه وبعد ذلك تتدفق عبر اقصر طريق ممكن الى اقرب نهر • ويترتب على ذلك ان فيضان مثل هذه الانهار يزداد وهي ظاهرة لم تكن موجودة قبل نمو المدن واتساعها •

وفي احد الاودية بالمانيا تسبب هطول الامطار في ارتفاع منسوب مياه هذا الوادى مرتين في احدى السنين •

واظهر بحث اجرى في الولايات المتحدة بان الفيضان بات يحدث بصورة متكررة ويشكل خطرا اكبر على مناطق المدن التى تقع غالبا بالقرب من الانهار •

وتزداد درجة الفيضان بحسب نطاق اتساع المدن وتطورها وحدثت فيضانات خطيرة بالقرب من مرسيليا في فرنسا في منطقة تشهد حركة عمران ضخمة منذ خمسة عشر عاما • وقيل ان الاسمنت كان العامل الرئيسي في هذه الكارثة واصبح من الاهمية بمكان التحكم في فيضان الانهار وذلك عن طريق بناء السدود وخزانات المياه • وبات الزاما تشييد هذه السدود والخزانات الاصطناعية لتؤدى دور الموانع الطبيعية التى تمت ازالتها •

وكما احدثت المدن تغييرا على طريقة نزح مياه الامطار فهي قد احدثت كذلك تاثيرا على خاصية الماء بوسائل عديدة • فمدينة كفيلادليفيا في الولايات المتحدة تنتج الفين وتسعمائة طن من المواد الملوثة يوميا وفي كل سنة يتخلص سكانها البالغ عددهم مليوني نسمة والمنتشرون على رقعة من الارض مساحتها تزيد على الثلاثمائة وثلاثين كيلو مترا مربعا من اكثر من مليون ونصف المليون طن من النفايات والمخلفات الصناعية ، يضاف الى ذلك المخلفات الناتجة عن تعبيد الطرق (٣٠ ـ ٤٠ كيلومتر سنويا) • وتلك الناتجة عن استهلاك اربعة ملايين حذاء واكثر من مليوني اطار سيارة فضلا عن تاكل مباني المدينة وعددها ستمائة



أحد القرويين من السنغال يصطاد في مياه صافية

وخمسون الفا ، وتلوث ارصفة الشوارع الذى يسببه حوالى مائتى الف من الحيوانات الاليفة •

وبالامكان الحصول على ارقام مماثلة في جميع المدن الكبيرة ، وطبيعي فان معظم هذه المخلفات يتم نزحها بواسطة شبكات مصارف المياه وشبكات المجارى وبوجه خاص اثناء هطول الامطار • وحدوث فيضان في مثل هذه المناطق قد يسبب ضررا كبيرا لان الدفقة الاولى من الماء تكون دائما ملوثة بصورة كبيرة جدا • ومعدل كمية المواد الرسوبية التى يحملها النهر يكون عاليا في الوقت الذى تغادر فيه منطقة المدينة ، وهو معدل يفوق كمية المواد الرسوبية في مناطق الريف بحوالى خمس الى عشر مرات •

وجاء في دراسة اجريت في الاتحاد السوفياتي ان ما بين عشرين الى ثلاثين طنا من فضلات جسم الانسان يتم تحليلها وخزنها سنويا بواسطة الامطار على كل كيلو متر مربع من مناطق المدن ، بينما

تكون هذه الفضلات فى مناطق الريف ما بين خمسة الى عشرة اطنان فقط ٠

وفى المملكة المتحدة يجرى فحص شبكات المجارى لمعرفة كمية الفضلات التى تفرزها العمارات ، وقد وجد ان شبكة مجار رئيسية فى برمنغهام تحتوى على مخلفات عمارةتصل الىعمقخمسين سنتيمترا٠

وفى ستوكهولم يتم سنويا ازالةثمانمائةوخمسين الف متر مكعب من الثلوج المتراكمة فى الشوارع والقاؤها فى بحيرة مالرين ٠ وتحتوى المجارىحسب تقديرات عالية على ثلاثين الف كيلو من الرصاص وستة الاف من الزيت ومائة وثلاثين الفا من الملح٠ ولحماية السكان منخطر التلوثيخضع الماءلعمليات تطهير وتنقية مستمرة ٠ فجميع المدن الرئيسية فى العالم لديها الان اكثر من مصنع يقوم بيولوجيا بمعالجة المياه الصالحة للاستعمال والتاكد من خلوها من البكتيريا الضارة ٠ وبعد الانتهاء من عمليات المعالجة المعقدة يتم ضخ المياه الزائدة عن الحاجة ثانية الىالنهر ٠ وفى ضوءالحاجة المتزايدة للماء فى جميع الاوقات فقد اصبح من الضرورة بمكان تحويل مياه الانهار الى مياه صالحة للشرب، ولكن الماء فى الغالب يحتاج الى عملية تنقية وهو فى طريقه الى المدن للاستهلاك المحلى فضلا عن معالجته بيولوجيا فى المصانع ٠ ولذا فان احد المصانع الموجودة فى الضواحى الشرقية من باريس يقوم يوميا بمعالجة ستمائة الف متر مكعب من الماء الماخوذ من نهر مارن وهو احد روافد نهرالسين وتنقيتها بهدف استخدامها لاغراض الشرب٠ وهذه بطبيعة الحال عملية معقدة للغاية ٠ فمياه النهر تخضع اولا لعملية تصفية سريعة لم تتم معالجتها بثاني اكسيد الكلور وبعد ذلك بكلوريد الحديد ثم تخضع لعملية تصفية بطيئة تعقبها عملية ضبط نسبة الحموضة مع الصودا واخيرا يتم معالجتها بالاوزون وهو شكل من اشكال الاوكسجين ٠

ويتبين مما تقدم ان الحصول على ماء نقى ليس بالامر السهل على الاطلاق ٠

والجداول والقنوات المائية المسماة «بالطبيعية» اخذت تفقد صفتها هذه شيئا فشيئا ، غير ان ذلك ليس بالضرورة امرا سيئا طالما ان التغييرات فى الجداول والانهار تكون نتيجة سياسة متعمدة لصيانتها او تحسين حالاتها ٠ فمياه نهر الرور التى تتدفق عبر واحدة من اكبر المناطق الصناعية فى العالم بقيت نقية جدا وذلك بفضل جهود السلطات الالمانية الهادفة الى الحفاظ على النهر للاستهلاك المحلى واغراض الاستحمام ٠ ولمنعخطر تلوث نهر الرور فقد تم تحويل المجارى والمخلفات الاخرى الى رافد آخر لنهر الراين هو امشر الذى يتدفق فى اقصى الشمال ويمر عبر مصنع التنقية٠

وفى منطقة الرور يقوم كل نهر بانجاز مهمته الخاصة به ٠ وتجرى الان دراسة جادة لتطبيق حل مماثل فى مناطق فرنسا الشمالية ٠

وفى هولندا هناك خطط لاستغلال روافد دلتا الراين ٠ وهذا كله يدل على ان الحلول الصناعية التى يضعها الانسان اصبحت تلاقى رواجا اكبر وتنتشر على نطاق واسع ٠

وقريبا فان خرائط شبكات الانهار الموجودة فى كتب الجغرافيا المدرسية ستحتاج على الارجح لاعادة رسمها من جديد ٠ ■■

ترجمة واعداد : سمير جيوسى

وثيقة تاريخية يكشف عنها النقاب لاول مرة

خطة استقلال تونس

فى مشروع شكيب ارسلان

بقلم : الدكتور عبدالعظيم رمضان

■ منذ أن نزلت كارثة الاستعمار الاوربى بالعالم العربى منذ اوائل الثلث الثانى من القرن التاسع عشر ، لم يكف أبناء هذا الوطن الكبير لحظة واحدة عن الكفاح من أجل استرداد حريته واستقلاله • وقد اشتملت جهودهم على نشاطين رئيسيين :

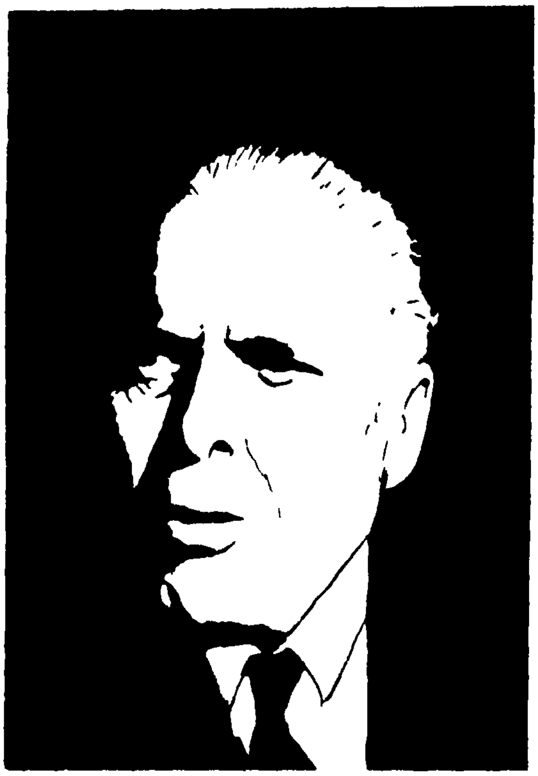
الاول ، داخلى ، ويتمثل فى تعبئة الشعور الوطنى ، وتنظيم الصفوف ، وتوفير المقومات الذاتية للاستقلال ، وتحريك الجماهير ضد الاحتلال •

والثانى ، خارجى ، ويتمثل فى الاستفادة من التناقضات القائمة بين الدول الاستعمارية،واللعب على حبل المصالح المتعارضة بينها ، واستغلال تصارعاتها التى اتخذت شكل حروب محدودة تارة ، وحروب عالمية تارة اخرى •

وقد كان من الطبيعى أن يقسم النشاط الخارجى القوى الوطنية العربية بين قوى الصراع العالمى بالتاييد أو المعارضة ، ولكنها جميعها كانت متحدة فى الهدف ، وهو خدمة المصالح القومية العليا للأوطان العربية المكافحة • هكذا حدث أثناء الحرب العالمية الأولى ، وهكذا حدث أثناء الحرب العالمية الثانية •

ففى أثناء الحرب العالمية الأولى ، انقسمت القوى الوطنية والقومية العربية بين الدولة العثمانية والمانيا وحلفائها ، وبين بريطانياوفرنسا وحلفائهما •وكانت ثورة الشريف حسين فى الحجاز، المعروفة بالثورة العربية الكبرى ، أنموذجا لهذا الانقسام • فبينما كانت تؤيد هذه الثورة غالبية القوى القومية فى المشرق العربى ، كانت هذه الثورة تلقى التنديد من جانب القوى القومية الاخرى ذات النزعة العثمانية فى المغرب والمشرق على السواء • وعلى رأس هذه القوى تلك التى اضطرتها ظروف الجهاد ضد المستعمرين الى الهرب الى الاستانة والاقامة بها ، مثل على باش حمبة وشكيب ارسلان ، وعبد العزيزجاويش، ومحمد فريد ، وسليمان البارونى •

ففى اواخر سنى الحرب ١٩١٧ ـ ١٩١٨ ،كان



الحبيب بورقيبة



الامير شكيب

على باش حمبة يستعد لقيادة فرقة مـن أسرى المغاربة فى المانيا وتركيا ، كمندوب عن الخليفة العثمانى ، لتحرير مسلمى شمال افريقيا مـن « الاستعمار المسيحى » . وفى مصر لقيت ثـورة الشريف حسين الاستهجان الشديد ، وكان الشعور السائد هو أن الشريف حسين قد وقع تحت خديعة الانجليز . وقد عبر الشـاعر الاسـلامى المصرى الكبير محرم عن ذلك فى أبيات مشهورة يقـول فيها :

نبئت مـا زعم الشريف وقومـه
فسمعت ما لـم تسمـع الآذان

خدعوه اذ ضاق السبيل بمكرهم
ورموا بآمـال اليـه حسـان

يا ذا الجـلالة لا سعدت بتاجـه
ملكـا سواك به السيد الهـانى

أنسيتم الآيـات بالغـة فمـا
بصحائف التاريخ من نسيان

انقسام القوى العربية

وفى اثناء الحرب العالمية الثانية وقع نفس الانقسام فى القوى الوطنية والقومية العربية بين المعسـكرين الاستعماريين المتصـارعين : المعسكر الفاشى ، الذى كانت تمثله المانيا وايطاليا . والمعسكر الديموقراطى ، الذى كانت تمثله انجلترا وفرنسا. ففى الوقت الذى ساند فريق من القوى الوطنية المعسكر الديموقراطى، فزعا من ايديولوجية المعسكر الفاشى العنصرية ، ساند الفريق الآخر المعسكر الفاشى ، كراهية وسخطا على الاستعمار الفعلى الجاثم ،ن قبل المعسكر الديموقراطى .

على ان كل فريق كان يساند المعسكر الـذى يراه القدر على تحقيق الاستقلال. فبينما كان الفريق المؤيد للديموقراطيات يرى أن مساعدتها على النصر سوف يسفر عن حصوله على ثمن هذه المساعدة ، وهو الاستقلال ـ كان الفريق الاخر المساند للمعسكر الفاشى يرى أن مساعدة هذا المعسكر اكثر فاعلية فى التحرير والحصول فى النهاية على الاستقلال .

ومع ذلك ، فلم يكن الفريق المساند للمحور بعيدا عن ادراك الصفة الاستعمارية لهذا المعسكر ، والاطماع التي تراوده . لهذاكانت جهود هذا الفريق تتجه في ذلك الحين الى اقناع المانيا وايطاليا بالاعتراف باستقلال البلاد العربية الخاضعة للاستعمار الانجليزي أو الفرنسي ، واعلان ذلك في تصريحات رسمية ، لحفز شعوب هذه المناطق على الانتقاض على المحتلين والتعاون مع المحور من وراء الخطوط .

فقد استطاعت « جمعية مصر الوطنية » في ايطاليا ، التي كان يرأسها الدكتور الطبيب ناصر، وهو طبيب مصري ، استصدار تصريح مشترك من ايطاليا والمانيا في ٣ يوليو ١٩٤٢ ،«بانهماتؤكدان نيتهما « في احترام وضمان استقلال وسيادةوادي النيل » ، وانه « لا تدخل قوات المحور القطر المصري دخولها في أرض معادية ، بل تدخلها بقصد طرد الانجليز منها ومتابعة الأعمال العسكرية ضد انجلترا ، تلك الاعمال التي ستحرر الشرق الأدنى من السيطرة البريطانية » (١) .

وفي العراق ، كان الفريق الموالي للمحور قد أجرى اتصالاته بايطاليا والمانيا ، للحصول على مساعدتهما في التحرر من الاستعمار البريطاني. وتلقى رشيد عالي الكيلاني في ٣ ابريل ١٩٤١ خطابا من وكيل وزارة الخارجية الالمانية يتضمن ان« المانيا ، التي لم تحتل قط ارضا عربية ، لا تستهدف أنتستولي على أي جزء منالبلاد العربية. وهي ترى أن الشعب العربي ، وهو شعب عريق ذو ثقافة قديمة ، وقد برهن على لياقته الادارية وفضائله العسكرية،لجدير بان يحكم بلاده بنفسه. ولهذا فان المانيا تعترف باستقلال البلاد العربية استقلالا تاما ، وبحق البلاد العربية التي لم تستقل حتى الآن في ان تنال استقلالها التام»(٢) وقد كان تحت هذا الوعد بالاستقلال والمساندة أن قامت ثورة رشيد عالي الكيلاني في مايو ١٩٤١ .

بعد معركة العلمين

اما تونس ، فلها قصة أخرى يجدر تناولها بشيء من التفصيل لاتصالها بالوثيقة التي بين أيدينا . فمنذ هزيمة فرنسا على يد المانيا وتوقيع اتفاقية الهدنة في كومبين يوم ٢٢يونيه ١٩٤٠ ، وقعت تونس تحت ادارة حكومة فيشي . وكانت اطماع ايطاليا ، التي قدمتها الى المانيا فيالمقابلة التي جرت بين الكونت شيانو وريبنتروب في ١٩ يونية ١٩٤٠ تتضمن تونس ، الى جانب نيس وكورسيكا والصومال الفرنسي . ولذلك كان من المتوخى ان تكون تونس بعد انتصار المحور من اسلاب ايطاليا .

على أنه بعد معركة العلمين في ٢٣ اكتوبر ١٩٤٢ ، ونزول القوات البريطانية والامريكية في الجزائر والمغرب يوم ٨ نوفمبر ١٩٤٢ ، وانقلاب وضع المحور من الهجوم الى الدفاع – أصبح من الضروري القيام بعمل ما . وكان من الطبيعي أن ينصب الاهتمام على تونس التي لم تنزل بها قوات الحلفاء ، فقررت القيادة الألمانية احتلالها . وتمشيا مع اوامر حكومة فيشي الخاضعة للالمان ، سحب الجنرال جورج باريه ، القائد العام الفرنسي في تونس جيشه صوب الجنوب الغربي . وفي يوم ٩ نوفمبر نزلت الطائرات الألمانية الأولى في تونس،ثم وصلت القوات الايطالية في ١٣نوفمبر . ولكن القيادة العليا كانت للالمان.ولما كانت قاعدة بنزرت البحرية ذات أهمية عسكرية عظيمة ، فقد أمر الفيلد مارشال كسلرنج ، القائد العام للجبهة الجنوبية ، في أواخر نوفمبر ،باتخاذ اجراءات أمن في القاعدة للحيلولة دون انضمام قوات فيشي ووحداتها البحرية المعسكرة هناك الى الحلفاء . وفي ٨ ديسمبر تلقى الجنرال دربان الفرنسي انذارا المانيا بتسليم السفن والمطارات وكل تسهيلات الميناء والعتاد الحربي ، فلم

---

١ – أنظر بحثنا الذي اعطنا فيه اللثام عن نشاطهده الحمية تحت عنوان . « الإتصالات المصرية السرية بدول المحور أثناء الحرب العالمية الثانية » (السياسة الدولية عدد أكتوبر ١٩٧١).

٢ – مذكرات عثمان كمال حداد تحت عنوان : « حركة رشيد عالي الكيلاني سنة ١٩٤١ ص ١٠٦ – ١٠٨ (صيدا : المكتبة العصرية) . وقدثبت وجود هذا الخطاب في الارشيف السياسي لوزارة الخارجية الالمانية – مجلد السكرتيرالثاني للدولة – العراق – الجزء الاول ص ٥ ٢٥٥١٠ – ١٠٦ ، انظر : (د . محمد كمالالدسوقي ثورة رشيد عالي الكيلاني والقومية العربية) (السياسة الدولية عدد يوليو ١٩٧٠) .

ي ... بعيد النحر أعاده الله عليك عمرا طويلا بالخير
... بشرات. وعلى أمة محمد أبد الدهر بالعز والنصر ...
... إننا نعيش في أيام تاريخية لها ما بعدها وستتمخض ...
عن نتائج تعم الشرق والغرب ولكننا واثقون في كرم الله
لا تهولنا الزعازع ولا نبالي بعثار المنازع ولا بد إن شاء ...
من أن ترتقي ونصعد وللعالم الإسلامي من أن ...
وعسى أن تكون الحرب في شمالي أفريقيا خيراً كثيراً على الإسلام
والمسلمين في تلك الديار وسببا يخلقه الله لأجل استرداد
حقوقهم المهضومة واستئناف مجدهم السابق وبهذه
المناسبة أقول إنه إن أرادت دول المحور أن تنال عطف
المسلمين فعلا وجب عليها أن تعمل في تونس ما عملته في مصر
فكما أعلنت إيطاليا وألمانيا اعترافهما باستقلال مصر التام
وكررت هذا الإعلان مدة أشهر واستمالت به عطف جميع
المسلمين وجب أن تعلنا استقلال تونس التام وتظهر
... بين نيتها ونية أعدائهما لأنه لا أمل من مداجاة فرنسا
... ليس من الفرنسيس واحد من الألف يتمنى نجاح دولتي المحور
... فرض أنه لا بد من بعض المداراة فيمكن عقد الاتفاق بين
المحور وباي تونس سرا على شرط الاستقلال التام وعقد تحالف
بين المحور والتونسيين إلى عشرين سنة. يسرني أن أسمع
المسلمين في شمالي أفريقيا جميعا يتمنون انتصار المحور
على أعدائه مما يدل على أنهم عارفون بالدار والدوار. أ بلغنا

الوثيقة أو الرسالة بخط الامير شكيب ارسلان

الاذعان • وبذلك تم احتلال بنزرت •

... خلال المحور لتونس ، جرى التسابق بين
... والوطنيين العرب الموالين للمحور على
... د • فقد سعت روما الى اقامة نظام
... لى ـ المانى فى تونس،كمقدمة لسقوطها
... ليا بعد الحرب•ولذلك طلبت أن ينتزع
... رة بالتدريج لضعضعة مركز فرنسا •
... اخرى كان الوطنيون العرب فى ايطاليا
... يطالبون ايطاليا والمانيا باصدار ما
... ب على مصير بلادهم •

... الحاج أمين الحسينى ، مفتى القدس
... مقيما فى روما أثناء نزول الحلفاء فى
... قيا ، فاجرى اتصالات مع المسئولين
... مكنته من ارسال رسالة ، صيغت فى

حذر شديد ، الى باى تونس . عن طريق مندوب خاص ، عبر فيها عن عطف المحور على العرب ، ووعد بالاعتراف بوضع الباى وحكومته من الناحيتين القانونية والسياسية ، واوضح أن المانيا وايطاليا فهمتا أمانى الأمة التونسية التى ترغب فى الحرية المدنية والدينية والتقدم الاقتصادى • وكانت هذه الرسالة بمثابة وعد بعدم تغيير وضع الحماية الى وضع أسوأ •

ولم يلبث المفتى أن غادر روما الى برلين حيث قدم فى ١٨ نوفمبر مذكرة الى القيادة المسلحة الالمانية ، وصلت الى وزارة الخارجية الالمانية فى اول ديسمبر ١٩٤٢ ، قدم فيها عددا من المطالب السياسية • فقد طالب باصدار تصريح يعترف فيه المحور بحرية واستقلال البلدان العربية فى

شمال افريقيا ، وأن يعقد معاهدات على نمط المعاهدة الانجليزية ـ المصرية ، أو المعاهدة الانجليزية ـ العراقية • أما بالنسبة للايطاليين ، فقد اقترح المفتى اقامة علاقات مع تونس تستند الى نفس المبادىء التي وضعها السير ستافورد كريبس في عام ١٩٤٢ بصدد العلاقات الانجليزية ـ الهندية•وطالب المفتى باحتلال تونس من الفرنسيين، وتشكيل جيش تحرير مغربي من أسرى العرب وعرب المغرب الذين يعملون في فرنسا ،ومن التونسيين وغيرهم ،ودعوة عرب شمال افريقيا العاملين في الجيش الفرنسي وكل عرب المغرب الى الانضمام الى جيش التحرير هذا ، واثارة ثورات القبائل في ظهر الحلفاء • كما طالب باطلاق سراح الوطنين التونسيين في السجون الفرنسية ـ وكان على راسهم الحبيب بورقيبة ـ وابدى المفتى استعداده للتوجه الى تونس للتمهيد لقيام ثورات في شمال افريقيا •

على أن برلين كانت ترى أن مجرد التصريح بتقديم تنازلات للعرب ، قد يؤدى الى قيام مشاكل مع الايطاليين ومع الفرنسيين المتعاونين مع المانيا ، كما كان يناقض رسالة هتلر الى بيتان في هذا الصدد ، وسوف يكون له أثر سلبي في اسبانيا، ورأى الايطاليون من جانبهم أن اصدار تصريح يعد كل شمال افريقيا بالاستقلال ، يكاد يكون امرا مستحيلا • وتذرعوا بالتزامات المحور ازاء بيتان ، وصرحوا بان تونس تتضمن جزءا من مجال ايطاليا الحيوى • وكانت تعليمات موسوليني الخاصة تقضي بعدم وعد تونس بالاستقلال أيا كانت الظروف •

رسالة الامير شكيب

في تلك الأثناء ، كان الزعماء التونسيون في السجون التونسية قد اطلق سراحهم على أيدى الألمان في أوائل ديسمبر سنة ١٩٤٢ ، مما أثار حماسة شديدة لدى التونسيين ، دعت المبعوث الألماني في شمال افريقيا ، رودلف ران ، الى الاصرار على اطلاق سراح الوطنيين المسجونين في فرنسا في الحال • وكانت القوات الألمانية قد دخلت الجزء المحتل من فرنسا في نوفمبر سنة ١٩٤٢ ، فتمت الموافقة على هذا الطلب وتوجه الزعماء التونسيون الى ايطاليا ، ليستقبلوا استقبالا رسميا • ولكن الحبيب بورقيبة اشترط في مباحثاته مع الايطاليين ، أن تنتقل السلطة الى الباى على أن تعاونه حكومة وطنية • ففشلت المباحثات ، ورفض الحبيب بورقيبة التعاون مع المحور الا اذا نفذت شروطه السياسية ، وطالب بارجاعه الى تونس • وكان لابد أن يؤثر سكوت بورقيبة على الموقف ، فبدأ أتباعه يبدون تحفظا ازاء المحور ، وأحست السلطات الالمانية والايطالية بان عدم عودة الزعماء التونسيين الى تونس سوف يحرم المحور من عطف السكان التونسيين فبدأ ،منذ ٢٦ فبراير ١٩٤٣ نقل هؤلاء الزعماء الى تونس• وفي يوم ٩ ابريل عاد الحبيب بورقيبة ذاته ، واستبعدت فكرة عودة المفتى مع بورقيبة الى تونس نظرا للمغزى السياسي من الزاوية القومية لمثل هذه الزيارة ، واحتمال أن تؤدى الى توجيه هجوم شديد الى الادارة الفرنسية ـ وتهديد الأمن العام ، وهو ماكان الالمان شديدى الحرص على تجنبه • وحين تم طرد قوات المحور من تونس ،أعلن حزب الدستور الجديد ، بايعاز من بورقيبة ، انضمامه الى الحلفاء •

في هذا الضوء من الجهود القومية الوطنية والاتصالات بدول المحور لاستقلال تونس وتحريرها أثناء الحرب العالمية الثانية يمكننا فهم هذه الوثيقة الخطية الهامة التى نكشف الستار عنها لأول مرة ، والتي تتمثل في رسالة شخصية من الامير شكيب رسلان ، السياسي العربي الوطني والقومي الطائر الصيت،وداعية العروبة والاسلام، الذي كان يقيم في سويسرا أثناء الحرب العالمية الثانيةومؤيدا للمحور ـ الى الدكتور الطبيب ناصر، رئيس جمعية مصر الوطنية في ايطاليا • وهي مؤرخة في ٢١ ديسمبر ١٩٤٢ • وقد حصلت على هذه الرسالة بنفسي من المرحوم الدكتور الطبيب ناصر قبيل وفاته مع بعض الأوراق • وفي هذه الرسالة يقدم الامير شكيب أرسلان مشروعا بخصوص استقلال تونس ، يقوم على أن تعلن دولتا المحور استقلال تونس التام ، وفي مقابل ذلك يعقد اتفاق بين المحور وباى تونس سرا على شرط الاستقلال التام ، وعقد تحالف بين المحور والتونسيين لـ عشرين سنة •

والرسالة مؤشر في اعلاها بالقلم الا ... ما ترجمة الجزء الخاص منها ، وار... ى د

● خطة استقلال تونس

لية على النحو الآتى : « ترجم
سل الى رئيس غرفة وزير الخارجية
س استقلال تونس فى ١٩٤٢/١/١٤
نهايتها بقلم حبر أسود بالآتى :
ل الوطنى زين العابدين السانوسى
ة الخاصة بتاريخ ١٩٤٣/١/١٦ ٠
ة من ورقتين وثلاث صفحات ٠
ا اختلاف خط التوقيع عن خط الرسالة،
ها مملاة ٠ وربما كان السبب فى
ة الامير ، لان التوقيع به رعشة
أشار بنفسه فى الخطاب الى انه
ملا بوصايا الطبيب ـ وان كان
ن الصحة درجة لم يكن يحلم بها٠
، أرسلان بعد هذه الرسالة باربع
فقد لحق بربه فى بيروت فى ٩
٠

سالة فهو على النحو الآتى :
٢١ ديسمبر ١٩٤٢

الأديب الفاضل الشهم الناهض
الناصر حفظه الله وأدام توفيقه
خير طريقه آمين ٠

نذ بضعة أيام لاغير ، وذكرت لك
ں كتبى عنك هذه المدة كان غيابى
ر بين زوريخ وبرن ولوزان ترويحا
وصايا الطبيب الدكتور بيكل، الذى
لوته أبلغنى من الصحة درجة لم
والحمد لله اللطيف الخبير ٠ ثم
ك المؤرخ فى ١٢ الجارى وفهمت
نبارى ، فلا عجب فانت بمقام ولدى
حب اباه ويدافع عنه فى كل موقف،
ب أبناءه أكثر مما يحب نفسه ،
ا أحسن منه ٠ فاما من أرسلت
للهم يذكرونك بخير : فعرمى ،
سليم بك الحجازى ، وعسل بك
لنور ، وسفير الحجاز ،واخوانك
سيد الجاحر فى جنيف يهدونك
ويدعون لك ولرفاقك فى روما
كرك على التهنئة بعيد النحر ،
عمرا طويلا بالخيرات والمسرات
أبد الدهر بالعز والنصر٠ولاشك

أننا نعيش فى ايام تاريخية لها ما بعدها ، وستضع حملها عن نتائج تعم الشرق والغرب ٠ ولكننا واثقون فى كرم الله ، لا تهولنا الزعازع ، ولا نبالى بعناد المنازع ، ولا بد للأمة العربية من أن ترقى وتصعد ، وللعالم الأسلامى من أن ينجح ويسعد ، وعسى أن تكون الحرب فى شمالى افريقيا خيرا كثيرا على الاسلام والمسلمين فى تلك الديار، وسببا يخلقه الله لاجل استردادهم حقوقهم المهضومة ، واستئنافهم مجدهم السابق ٠ وبهذه المناسبة ، أقول انه ان أرادت دول المحور أن تنال عضد المسلمين فعلا ، وجب عليها أن تعمل فى تونس ما عملته فى مصر ٠ فكما أعلنت ايطاليا والمانيا اعترافهما باستقلال مصر التام ،وكررتا هذا الاعلان مدة اشهر ، واستمالتا به عطف جميع المسلمين ، وجب أن تعلنا استقلال تونس التام ، وتظهرا الفرق بين نيتهما ونية أعدائهما ، لانه لا أمل من مداجاة فرنسا ، وليس من الفرنسيين واحد من الألف يتمنى نجاح دولتى المحور ٠ وعلى فرض أنه لا بد من بعض المداراة ، فيمكن عقد الاتفاق بين المحور وباى تونس سرا على شرط الاستقلال التام وعقد تحالف بين المحور والتونسيين الى عشرين سنة ٠يسرنى أن أسمع كون المسلمين فى شمال افريقيا جميعا يتمنون انتصار المحور وقهر اعدائه مما يدل على أنهم عارفون بالداء والدواء ٠ أبلغنا الله جميعا آمالنا وسدد أعمالنا وعلى الله فليتوكل المؤمنون ٠ ياولدى ليس عندى من « حاضر العالم الاسلامى » سوى نسخة واحدة لا يمكننى الاستغناء عنها ونفس المفتى الاكبر الحاج أمين الحسينى كان قد طلب منى نسخة وهو فى برلين فاخبرته بالواقع واحلته على البارون اوبنهايم الذى فى خزانة كتبه نسخة من الكتاب ، فاعاره اياها ٠ وكذلك طلب آخرون نسخا فاخبرتهم بالواقع ٠ والمشكل أنهم لا يقدرون أن يرسلوا الى مصر ليبعثوا اليهم من هناك بنسخ من هذا الكتاب ولولا عذرى هذا ما تاخرت طرفة عين عن ارسال نسخة اليكم ٠ وأهدوا سلامى الى رفاقكم جمعية مصر فى روما والى الشهم الوطنى الناهض الدكتور أبى غنيمة ٠ والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

المخلص
شكيب أرسلان

قضايا حيوية

هذه مجموعة من الاراء والملاحظات والتساؤلات تعالــج بعض القضايا الحيوية،وتعبر عن وجهات نظر اصحابها فى هذه القضايا ٠٠ وعملا بحرية النشر ، فاننا نفسـح المجال لهذه الاراء كما تلقيناها ، بغير حذف او تعديل ٠

المراهقة الفكرية والنقد التاريخى

بقلم :
د ٠ احمد عبدالرحيم مصطفى

● ان العصر الذى نعيش فيه هوعصر التخصص الدقيق ـ فازاء ازدياد كم المعرفة وتنوعها بازدياد اعداد الباحثين والكتاب نتيجة لاتساع قاعــدة التعليم وتنوع وسائل الاعلام ، لا يستطيع باحث ايا كان ان يدعى الالمام باطراف المعرفة التىكانت منذ قرون قليلة مدرجة فى بضع مئات من الكتب ٠ ونتيجة لكل ذلك وجب توفر الباحثين والكتاب كل على جانب من جوانب المعرفة ، على ان يلم ، فى نفس الوقت ، من كل شيء بطرف حتى لا يكون التخصص مردافا للانغلاق ٠

والذى يدقق النظر الى حقل التاريخ فى الوطن العربى يجد انه لم يتخلص بعد من رواسب الماضى حين كان منيتصدون له لا يفرقون بينه وبينالقصص والنوادر والطرائف ، لا علما له مناهجه ومقاييسه واخلاقياته ، مع عدم التورع فى نفس الوقت عـن النقل عن السابقين دون تمحيص او الجرى وراء الاهواء فى الحكم على الاشخاص والاحداث ممـا جعل معاصرى المؤرخ المصرى عبدالرحمن الجبرتى الذى ظهر فى اواخر القرن الثامن عشر واوائل التاسع عشر ـ يعتبرون التاريخ « من شغـل البطالين ٠٠٠ واساطير الاولين » فلقد تغير مفهوم التاريخ فى القرنين الاخيرين : فلم يعد يقتصر على « البنية الفوقية » للمجتمعات ، بل تعداها الى الاهتمام بالجماهير العريضة والطبقات الاجتماعية والمؤسسات الجماهيرية ، كما تطرقت الى تفسيره نظريات اجتماعية وسياسية واقتصادية ـ وبالتالى ظهرت مدارس تاريخية عدة ، وكل منها له مزاياه واوجه قصوره ٠٠٠ اذ لا يمكن لنظرية واحدة ان تفسر حركة التاريخ فى مده وجزره ٠ وبالاضافة الى ذلك فان التاريخ يختلف عن القصص والفنون التعبيرية الاخرى من حيث ان كاتبه لابد ان يلتزم بمنهج صارم فى تحقيق المعلومات وضبطها و[illegible] وراء الحقيقةبقدر الامكان معتمدا على المادة [illegible] من مخطوطات ومذكرات ووثائق ودوريات [illegible] ذلك ، بالاضافة الى جهد من سبقوه من [illegible]

فى نفس العقل • فلا غرابة اذن ان يتكشف التاريخ باستمرار عن حقائق وتفسيرات جديدة ، شانه فى ذلك شان غيره من العلوم • والمؤرخ بطبيعته جزء لا يتجزأ من مجتمعه ، يتاثر باتجاهاته سلبا وايجابا وقد يؤثر فيها ، لهذا لا يمكن عزل المؤرخ العربى عن الاوضاع العامة التى تحيط بالوطن الكبير ، مما يستحسن معه التوقف قليلا لتاصيل الشوط الذى قطعناه منذ ان اخذ التاريخ يحتل مكانه فى اطار الثقافة العربية العامة التى كانت الى عهد قريب موسوعية الطابع •

عبادة الابطال القوميين !

فالتطورات العاصفة التى شهدتها المنطقة العربية خلال القرن العشرين بوجه خاص قد انعكست اثارها فى شتى نواحى الحياة فهناك النضال ضد السيطرة الاجنبية بابعادها السياسية والثقافية والاقتصادية •وهناك ايضا ملامح التحول الاجتماعى الذى زعزع الاوضاع التقليدية الموروثة ـ هذا الى تنوع الاحزاب والفئات العقائدية وغير العقائدية، وما شهده الوطن العربى من تغيرات درامية فى مراكز السلطة• وكل ذلك كان مثارا للبلبلة والغلط والتطرف فى ابداء الاحكام وتوجيه الاتهامات، خاصة وان افقنا الثقافى لم يشهد بعد قيام مؤسسات وهيئات نظامية بامكانها ان تفتح المجال للنقاش الحر والمنضبط معا ، وان نظمنا التعليمية لم تتعد الجانب التلقينى ولم تهتم الا فى القليل النادر بانماء الفكر وصقل المواهب • وهكذا اصيب كثير من الكتاب ومدعى النقد ـ صغارهم وكبارهم ـ بتضخم الشخصية وانغلاقها بحيث تحول كل منهم الى جزيرة منعزلة ، او ان شئت الى طاغية لا يتصور الا نفسه فى مرآة نارسيس ! واهم من هذا كله ان الكثيرين قد تصوروا ان التاريخ دابة ذلول يمكن توجيهها الى هذا الاتجاه او ذاك ـ وهذا معناه الطمس والتزييف الصريحان ايا كانت الغاية التى يسعى الكاتب ومن وراءه الى تحقيقها اذ الغاية الشريفة لا يصح التوصل اليها الا بوسيلة شريفة •• وهى قد تبرر الوسيلة فى مجالات السياسة العامة، ولكنها لا تبررها على الاطلاق فى مجال العلم•

ويتصل بذلك ان انطلاقة القومية العربية فى نصف القرن الاخير قد نقلت روح النضال الى مجال الفكر والبحث التاريخى • وهذا امر طبيعى اذا ماكان الهدف هو تعديل مسار التاريخ بدحض كثير من الافتراءات التى الصقت بالعرب والمسلمين•

الا ان الشطط فى هذا الاتجاه من شانه ان يخرج بالتاريخ عن اصوله وطبيعته ويجعل منه شيئا آخر ، وان يفضى بصاحبه الى الشوفينية البغيضة • وان يطمس الحقائق بضباب التهويمات والتعميمات خاصة اذا ما اقتحم المجال الدخلاء على الثقافة وانصاف المتعلمين الذين لا يخاطبون العقل ، بل يستثيرون النوازع السطحية التى لا تبنى شيئا • ومن امثلة ما نحن بصدده ازدياد الاهتمام بالابطال القوميين الذين لا شك لهم فضلهم ، والارتفاع بهم الى مستوى المقدسات التى لا تمس ولا تناقش ـ ومن ثم تتعالى الصيحات ضد كل مجتهد يبغى الحقيقة والموضوعية والنزاهة حين تتكشف له جوانب لا تتمشى مع الصورة العامة التى ترسبت فى الاذهان عن هؤلاء الزعماء •

فحين نشرت بعض المعلومات عن الشيخ محمد عبده تناولت بعض جوانب حياته الشخصية وعلاقته باللورد كرومر وتردده على صالون الاميرة نازلى فاضل ،طالب عباس العقاد بايداع الكاتب مستشفى المجاذيب • وحين كتب الدكتور محمد أنيس عن علاقة الزعيم المصرى محمد فريد بمدام دى رو شبرون ـ معتمدا على مذكرات هذه السيدة الفرنسية ـ تصدى له الكثيرون منكرين هذه العلاقة التى هى حقيقة ثابتة ومتهمين الكاتب بالتامر على تاريخ مصر ! وحين نشر الدكتور عبدالخالق لاشين دراسته عن سعد زغلول ، معتمدا على مذكرات الزعيم المصرى وغيرها من الوثائق ، تعالت الصيحات والاتهامات بل والشتائم احيانا ، مما ادى الى سحب الدراسة من الاسواق فى وقت ما •

التاريخ والطبيعة البشرية

ومن هذه الامثلة القليلة يتضح لنا ان الكثيرين

قضايا حيوية

يفترضون في الزعماء العصمة المطلقة متناسين ان الانسان لا يولد عظيما منذ اليوم الاول وان الزعماء ليسوا فصيلة خاصة من البشر ، ولكنهم من قوة البنيان النفسي وحسن الادراك بحيث يتميزون على من عداهم ويتقدمون الصفوف .فالتخلف الفكرى الذى اورثنا اياه طول عصور الركود والجمود قد جعل الكثيرين منا يغفلون التطورات الاجتماعية التى تشترك فيها اعرض الجماهير ويربطون كل شيء بالزعيم الفرد ، حيا كان او ميتا ، ويفترضون انه هو المرجع الاول والاخير لما يحدث فى ايامه ، دون كبير التفات الى القوى العالمية والمحلية التى تفعل فعلها .

والذى نؤكد عليه اننا بحاجة الى النظرة النقدية التى تعرض للتاريخ فى اطار الطبيعة البشرية ، لا فى اطار الخوارق والمعجزات . وما احوجنا ايضا الى التخلص من النرجسية القومية التى اورثنا اياها طول الظلم والطغيان ... ولنفتح صدرنا لكل جديد حتى ولو كان لا يتفق مع مالوفنا - فاذا لم نرض عنه فعلينا ان نتقبل الحقائق كما هى عليه ، او نثبت العكس بالتوفر على الدراسة الجادة لا بالصياح العصبى الذى لن يفيدنا فى شيء .

ومنذ شهور قليلة تكررت ظاهرة المراهقة الفكرية هذه ازاء محاولة قام بها مؤرخ ناشيء لتقويم المؤرخين المصريين وابحاثهم الخاصة بمصر المعاصرة(*) .ولقد اصاب هذا المؤرخ الناشيء حين اشار الى الحاجة الى مراجعة ما كتب بالنقد والتقويم ، والى تخوف البعض من ان النقد غالبا ما يؤخذ على انه نقد شخصى للكاتب . الا ان الكثيرين ممن تصدى لتقويم اعمالهم استشاطوا غضبا وهاجموه هجوما غير متوازن - مما يدعونا هنا الى التنبيه الى ان النقد هو ذاته له اصول - فلا يفترض لمن يتصدى له ان يهاجم بلا حدود او يلتقط الهفوات ، بل لا بد له ان يبرز الايجابيات قبل السلبيات ، وان يكون متخصصا فى المجال الذى يتصدى لتقويمه ... لا ان يكون متفرغا للنقد لا اكثر ، وهو امر لا يكاد يوجد الا فى حقل الثقافة العربية المعاصرة ! فالذى نلمسه فى البلدان المتقدمة ان يعهد بالبحث او الكتاب المرجو تقويمه الى باحث له باعه فى هذا المجال بالذات ، بحيث يكون بامكانه ان يلمس مدى الاضافة او القصور فى البحث الجديد .اما احتراف النقد او « الارتزاق » به فهذا امر لم تعرفه الثقافة الا فى الاوقات التى يبرز فيها الادعياء والمتكسبون ! والحق ان بروز هؤلاء مرتبط بندرة الحلقات الدراسية المتخصصة ، مما فوت على الافق العلمى فرصة تبادل المعلومات ووجهات النظر وظهور النقد البناء الذى يفتح الباب امام مزيد من البحث والدراسة . كما ان ندرة النقد والتقويم الموضوعيين ، وغلبة ما يسمى « بعرض الكتب » ، وهو فى اكثره مجرد تلخيص للعمل المرجو تقديمه ، قد لا يخلو من التحامل او المجاملة وتلوين كل شيء اما باللون الابيض او الاسود بحسب الظروف ، قد جعل الكتاب لا يتقبلون المناقشة العلمية التى من شانها ان تفتح المجال لمزيد من البحث وتؤدى الى صقل المعلومات وضبطها .

اما الجرى وراء النوازع والاهواء وتحكيم العلاقات الشخصية فيما تخلع عليه اعتباطا صفة « النقد » فانه لا يوصل شيئا ، بل من شانه ان يؤدى الى مزيد من الخلط والبلبلة والمعارك الشخصية ، لا المحاورات المنهجية التى توفر مؤشرات هامة الى مواضع جديدة للبحث والدراسة .

مسئولية الجمعيات العلمية

والحل لدينا يرتبط بقيام وفعالية الجمعيات العلمية المتخصصة التى من واجبها ان تقيم حلقات الدراسة المنتظمة وان تصدر المجلات المتصلة بحقل دراساتها ، وان تفرد فيها ابوابا مستقلة لاستعراض وتقويم الانتاج الجديد . حقيقة ان شيئا من هذا القبيل يوجد هنا او هناك ، الا ان الصورة العامة لاتزال بحاجة الى تقويم موضوعى

(*) عاصم الدسوقى : مصر المعاصرة فى دراسات المؤرخين - دراسة فى الحكم والتكيف - (دار الحرية - القاهرة ١٩٧٦)

شامل واعادة تنظيم ـ ومن الامور غير المستعبة ان تناقش عمليات النقد العلمى فى الصحف السيارة، حيث ان قراءها على الاغلب لا تتوفر لديهم الخلفيات اللازمة للحكم السليم على الاشياء .فهم قد يهتمون بقصة او تمثيلية او بقصيدة شعرية أو بغير ما يتصف بالاثارة ، ولكن مسائل مثل العلوم الاجتماعية ، ومنها التاريخ ، لا تهم الا قطاعات ضيقة نسبيا من القراء ، اللهم الا اذا لجأت الصحيفة الى نوع من الاثارة بترتيب معارك مختلفة لها اسلحتها واساليبها الخاصة • واذا كان الجانب القصصى فى عملية السرد التاريخى مما يجتذب كثيرا من القراء ، فان التاريخ بمفهومه العلمى لا ينسجم مع هذه الزاوية • فهو وغيره من العلوم الاجتماعية يستهدف فى مداه البعيد رصد مدى تطور المجتمع ووضع الخطط لتوجيه مساره •

ان مفهوم التاريخ قد تعدى وصف المعارك الحربية والصلات الدبلوماسية ومؤتمرات الصلح الى رصد القوى الاجتماعية والتفاعلات الخفية الى التطور • ولكنه لا يستند الى الحدس او الاستنباط العشوائى ، لا المؤرخ الحق ـ عند العلامة ساطع الحصرى ـ هو الذى يكتب • كتابة عالم باحث • يوجه كل جهوده الى • تحرى الحقيقة مجردا من كل غاية ومنفعة • وغير متقيد بأية فكرة سابقة • وما عدا ذلك لا يعتبر • كتابة عالم مؤرخ • يحصر كل جهوده فى البحث عن [illegible]

[illegible]

الحقائق • وعلى المؤرخ ان يتحلى بالنزاهة والصدق ، اذ عمله يتضمن مسئولية ضخمة يحاسب عليها فى حياته وقد يحاسب عليها بعد رحيله عن عالم الاحياء •

ولكى يجرى المؤرخ وراء الحقيقة عليه ان يتسلح بالادوات التى تعينه على تحقيق هدفه • هناك الوثائق والمخطوطات ـ مثلا ـ وهى مصدر رئيسى لايشكك جاهل فى انه الركيزة الاساسية للحكم التاريخى • والا فهل ثمة وحى ينزل على المؤرخ ويقص عليه اخبار المؤامرات والدسائس ونصوص القراءات التى تتمخض عن الحدث التاريخى ؟ والى جانب هذه الادوات هناك عقلية المؤرخ الذى يحلل ويربط • وليس معنى التحليل الجرى وراء انماط من التهويمات والغيبيات •• بل التفكير المنطقى الذى يربط الاحداث بعضها ببعض ويعيد تركيب تسلسلها وفوق حدوثه بالفعل والربط بين السبب والنتيجة فى اطار التسلسل الزمنى للاحداث الذى يميز التاريخ عن غيره من العلوم•

ويتصل بهذا كله ان النقد والتقويم التاريخيين لا يصح ان يتصدى لهما الا مؤرخ له انتاجه المعروف ••• فلا يدرك الشيء الا من يكابده • ولا بد من تحرير التاريخ مما علق بأذهان الكثيرين من انه نوع من القصص ـ اذ انه يتطلب ـ الى جانب الموهبة ـ خبرات واطلاعات وادراكا عميقا لهذا التخصص المتشعب ومعايشة فى مجالاته العديدة والمعاصرة • ولا يقوم الانتاج ويقيمه الا [illegible] ملتزم بقيام [illegible] ـ كما هو شأن التاريخ ذاته وسائر العلوم ـ البحث عن الحقيقة ذاتها • وهنا وهنا نستفيد من التاريخ فى فهم مسار تطورنا وتوجيهه [illegible] [illegible] مسار المستقبل [illegible] البناء هو مصباح ديوجينيس ••• [illegible] • ولكننا على استعداد [illegible] ليسأل عن حريته ؟

د • احمد عبد الرحيم مصطفى

"قال وقيل"

لاتصلح غذاء للجيل المسلم

بقلم العلامة اليوجوسلافي
حسين جوزو

● هذه الكلمات المشئومة تعبر عن فترة من اسوأ فترات في تاريخ الاسلام وهي فترة الانحطاط والجمود والاستكانة والركود ، تحجرت فيهـا عقلية العلمـاء وتجمـد تفكيرهم وساد التقليـد الاعمى وانعدم الابداع والابتكار •

ولا غرابة في ذلك ، فلكل أمة في تاريخ تطور حياتها لحظات المد والجز ولحظات التقدم والتاخر، وانما الغرابة ان تمتد حالة الركود والجمود قرونا عديدة ، كما هو الشان في حياة المسلمين الدينية وفي تطور الشريعة • ولايزال هناك علماء مع الاسف الشديد يسمعون الحديث عن تطوير الشريعة ويقولون : الشريعة الاسلامية كاملة فهي ليست في حاجة الى التطوير ،وانما يتطور الناقص • وهذا ـ كما يقول الامام العلامة ابو المعالي محمود شكري الالوسي (غاية الاماني في الرد علـى النبهاني)ـ قول بعكس الحق تماما • فان كمال الشريعة انما هو في كونهـا جسما حيـا ناميـا متطورا يواكب تطوره الحياة الحية النامية المتطورة، وفي كونها تحمل في طياتها كل ما يحتاج اليـه الانسان في زمانه ومكانه وظروف حياته •وليس على الانسان الا بذل الجهد للحصول عليه وتقييم حاجاته ومشاكلـه وقضاياه التـي يجب ان يبحث عن حلولها في القرآن •

والظـاهر ان الخـلاف بين القـائلين بضرورة تطوير الشريعة وبين المخالفين به هو في فهم معنى التطوير • يبدو ان المخالفين يزعمون ان التطوير يعني تغيير الاسلام وتحريف مبادئه وقواعده الكلية وهذا غير جائز بالاتفاق • فان الاحكام الشرعية التي اشتمل عليها القرآن هي صالحة لكل انسان، وقد استوت فيها العصور والازمـان ، وليس للقرآن معان خاصة باهل العصور السابقة ومعان اخرى باهل العصـور اللاحقة • وامـا الاذواق والمشارب فهي ان كانت موافقة للشرع فمطلوبها يـوجد فـي القرآن ، وان كانت مخالفة فكيف يمكن ان يفسر القرآن بمعان توافق هذه الاذواق الفاسدة والمشارب الكاسدة •

والتطوير في نظر القائلين بـه ليـس معنـاه تحريف كلمة اللـه ولاتغيير تعاليم القرآن ،وانما معناه تصحيح مفاهيم الناس وارائهم وافكارهم : اعني مافهموه واستخرجوه من القرآن مما لم يعد صالحا واصبح غير مساير ومناسب وموافق لزماننا •

ان التطوير على هذا المفهوم يقصد منـه تغيير صورة للاسلام تعيش في اذهان المسلمين وقد تكونت قبل الف سنة حسب مقدرة الناس وظروف ومشاكل ذلك العصر ، ثم تسللت فيها ما تسللت خلال العصور من خرافات وبدع وضلالات ومفاهيم نشات مضامينها في عهد الانحطاط وتميزت بعناصر الجمود والتاخر • ومن المؤكد ان هذه الصورة لايقبلها الجيل المسلم المعاصر ولايتحمس لها ، لان هذا الجيل لايرى في هذه الصورة مايمكنه من مواجهة ما يسود في عصرنا من نظم وفلسفات وافكار•

ومن هنا تتعين وتتضح ضرورة ملحة للقيام بمهمة تكوين صورة جديدة وتطور حديث للفكر الاسلامي ، ذلك التطور الذى يتفق مع الحاجات الحقيقية للانسان ويلائم تطور حياته ·وبعبارة اخرى يتعين علينا ان نقوم باعداد الجيل الجديد المسلم · ولتكن قضية اعداد الجيل المسلم ـ كما قال الاستاذ فهمى هويدى شاغلنا اذا كنا جادين فى الدعوة الى اقامة المجتمع الاسلامى ، وهى رحلة طويلةوشاقة،ولكنهاالسبيل‌الامثل‌لبلوغ‌هذا الهدف·

ولكن كيف نبلغ ونصل الى هذا الهدف ، ومن اين نبدا فى عملية اعداد الجيل المسلم ؟

يجب ان نتاكد ونتيقن قبل كل شيء بانه لايجوز بحال من الاحوال اعداد الجيل الجديد على اساس قيل وقال ، اى على اساس الصورة المحرفــة والتـصوير المخـطىء للاســلام وهــذا العمل ليس بيسير · هو فى الواقع رحلة طويلة وشاقة · هناك صعوبات ومشقات · منها بــل اعظمها كون المعاهد والجامعات الاسلامية لاتزال تلقن طلابها باسلام كتب الفقه وكتب التفسيــر واذكر بهذه المناسبة بانى درست فى الازهر فى مادة الفقه بابا خاصا باحكام الرق ، ومن خلال هذه الدراسة وكيفية تناول كتب الفقه للـرق كنت اتصور ان الرق لا يزال موجودا وان الاسلام يقر به ·

واما كتب التفسير المتداولة بين الايدى اليوم فلا تعطى لنا صورة صحيحة عن الاسلام ·« ومن طالعها وجدها اعظم مانع من‌الوقوف على مراد الله بكتابه‌الكريم » (العلامة محمود شكرى الالوسى)·

ربما يقال بان هناك محاولات تتخذ وجهودا تبذل فى سبيل تفسير القرآن تفسيرا عصريا صحيحا يعطى لنا صورة جديدة للفكر الاسلامى بما فيه من مميزاته وخصائصه مما يستطيع ان يملأالفراغ الموجود فى الحياة المعاصرة ·

نعم ، هناك مفسرون جدد مثل الشيخ محمد عبده والشيخ رضــا (تفسير المنــار) والاستاذ سيـد قطــب (فى ظــلال القــرآن) وغيرهــم ، ولكـن يجــب ان لا نـنـسى بــان هنــاك عصــا الشيخ عليش تحول دون دراسة وتدريس مثــل هذه المؤلفات فى الجامعات الاسلامية · اتذكر عندما كنت طالبا فى الازهر حضرت محاضرة للشيخ رشيد رضا فى التصوف وكنت ساكنا فى رواق الاتراك ـ تكية محمد بك ابــو الــذهب وتاخرت فى العودة الى التكية ، فاستدعانى شيخ الرواق للتحقيق معى فى التاخر ، فلما اخبرته عن حضورى محاضرة الشيخ رشيد رضا قال لى العذر اقبح من نفس التاخر ، واضاف ان‌الشيخ رضا ينشر الافكار الباطلة وهو تلميذ للشيخ محمد عبده ، فمن الواجب مقاومة آرائه وافكاره·

تلك صعوبات نستطيع ان نطلق عليهــا اسم الصعوبات الداخلية التى تنبثق من داخل المجتمع الاسلامى · وعلى جانب هذا النوع من الصعوبات توجد صعوبات اخرى ليست اقل شانا من الاولى يمكن ان نسميها الصعوبات الخارجية · وذلك ان المجتمع الاسلامى ليس بمعزل عن المجتمع العالمى الذى تسود فيه فلسفات ونظم وافكار ، وتؤثر على‌المجتمع الاسلامى،ولا سيما على‌النشء الجديد ·

ومن حيث ان الجيل المسلم الجديد يواجه‌مشاكل فكرية وعقائدية واجتماعية واخلاقية ولايجد فى صورة الاسلام الحالية حلولا لها ، فان افرادهذا الجيل يتجهون اتجاهات مختلفة بحثا عن تلك الحلول ولا ذنب لهم فى ذلك ، لانهم مضطرون الى مسايرة العصر والى لحاق الركب العام · وانما الذنب لغيرهم من المسئولين فى المجتمع‌الاسلامى·

ان الجيل المسلم الجديد لايرضى ان يعيش‌عالة على« قيل وقال » ، وانما يريد ان يقول كلمته فى كل امر يتعلق بحياته ، وله فى ذلك كل الحق· « تلك امة قد خلت‌لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون · ولكل جيل دور كان يجب عليه ان يقوم به ويؤديه · وقد تــوالت اجيال عديدة لم تقم بدورها وعاشت عالة على جيل السلف الصالح ·

وقد حان الوقت ان ننهى هذه الفترة وان‌نخلق جيلا بناء خلاقا يعتمد على نفسه وعلى طاقته ولا يقلد غيره ولا نكون مصابا بعقدة النقص·■■

سيراييفو ـ حسين جوزو

ماذا حقق العالم الثالث من تنمية ؟

بقلم :
الدكتور محمد سلطان ابو على*

■ يتكون العالم الثالث – او الدول النامية من اكثر من ١٠٠ دولة يبلغ مجموع سكانها اكثر من ثلثي سكان العالم • وتقع هذه الدول – كما هو معروف – في افريقيا واسيا وامريكا اللاتينية •
وبالرغم من وضع هذه الدول في مجموعة واحدة الا انها تختلف اختلافا بينا من دولة لاخرى • فمن حيث عدد السكان نجد ان الهند يقرب عدد سكانها من ٦٠٠ مليون نسمة في حين ان سكان جامبيا لا يزيد عددهم على ٣٥٠ الف نسمة • كما ان الكثافة السكانية في مالطة تبلغ ٢٦٠٠ نسمة للميل المربع في حين انها تعادل ٣ اشخاص في موريتانيا •
كما تتفاوت هذه الدول من حيث درجة ثرائها بالموارد الطبيعية المعروفة فالجابون والكونغو غنيتان بالموارد المعدنية في حين تكاد تخلو تشاد منها • وكذلك الحال بالنسبة للتصنيع • فتصنع البرازيل كافة السلع الاستهلاكية والانتاجية تقريبا في حين

لا توجد صناعات تذكر في عديد من البلدان
نيبال •
وبالرغم من هذا التباين فتوجد سمات
مشتركة • واحدى هذه المميزات انخفاض مس
المعيشة بالمقارنة لنظيره في الدول المتقدمة •
اجل هذا دعت الامم المتحدة الى تسمية سنو
الستينات باسم عقد التنمية الاول • وو
خططا اخرى في هذا العقد اطلق عليها إسم
التنمية الثاني • وقد صنفت الامم المتحدة
وعشرين دولة من بين الدول النامية على انها
الدول تقدما • وهذه الدول هي :
في افريقيا : بوتسوانا ، وبوروندي ، تش
بنين (داهومى سابقا) اثيوبيا ، غينيا ، ليسو
ملاوي، مالي ، النيجر ، راوندا ، اوغندا ، تنز
وفولتا العليا ، السودان ، والصومال •
في اسيا والمحيط : افغانستان ، بوتان ، لا
ماالديف ، نيبال ، سيكيم وغرب ساموا ، واليم
وفي امريكا اللاتينية : هايتي •
فماذا حققت دول العالم الثالث من تنم
وما هو وضعها النسبي بين دول العالم •

الفرد والدخل القومي :

حققت بعض الدول معدل نمو سنوي في متو
نصيب الفرد من الدخل القومي يفوق ٧٪
الستينات نذكر منها في افريقيا : جابون ، ...
العاج، ليبيا، ملاوي، موريتانيا، واسيا ...
ايران ، والعراق ، الاردن ، ... ماليز
باكستان ، السعودية ، سوريا ، تايلاند ، ...
وفي امريكا اللاتينية : بوليفيا وشيلي ...

* استاذ الاقتصاد بجامعة الزقازيق ، ومستشار اقتصادي بالصندوق الكويتي للتنمية الاقتصادية العربية •

المكسيك ، والبرازيل اما بعض الدول الاخرى فلم تحقق ذات القدر من النجاح حيث لم يزد متوسط دخل الفرد فيها على الاطلاق ، بل هبط بعض الشيء عما كان عليه في اول الفترة ومن هذه الدول اندونيسيا وغانا واروجواى •

وتشير الارقام الى ان هناك ٤٦ دولة من مجموع قدره ١٤٢ دولة قد يبلغ متوسط دخل الفرد فيها ٢٠٠ دولار او اقل • كما ان ٢١ دولة منها اى ٤٦ ٪ من الدول التى يبلغ متوسط نصيب دخل دخل الفرد فيها ٢٠٠ دولار فاقل لم يصل معدل نمو دخل الفرد فيها الى ١٪ ، فى حين ان هذه النسبة تبلغ ٩٪ من الدول التى يزيد متوسط دخل الفرد فيها على ٧٠٠ دولار • وفى مجموعة الدول ذات الدخل الذى يزيد على ٧٠٠ دولار حقق ٧٠٪ منها معدل نمو يصل الى ٤٪ او اكثر ، فى حين ان نظيرتها من الدول ذات الدخل الذى يقل عن ٢٠٠ دولار للفرد كانت ٢١٪ • وهذا يظهر الاعتقاد الشائع باتساع الفجوة بين الدول الغنية والدول الفقيرة •

كذلك من المسلم به بين الاقتصاديين ان عدم عدالة توزيع الدخل داخل الدول النامية اكبر من تلك الموجودة فى الدول الغنية • وهناك تشير الارقام الى ان افقر ٢٠٪ من سكان الدول ذات دخـــل متوسط يقل عن ١٠٠ دولار فى السنة يحصلون على ٧٪ فقط من الدخل القومى لهذه الدول فى حين ان اثرى ٢٠٪ يحصلون على ٥ر٥٠٪ من اجمالى الدخل • اى ان ذات نسبه السكان على قمة مستوى الدخل تحصل على اكثر من سبعة اضعاف الدخل الذى تحصل عليه نفس النسبة فى اسفل سلم الدخل • كما يلاحظ ان اغنى ٥٪ من سكان الدول الفقيرة يحصلون على نسبة اكبر من الدخل عـــن نظيرها فى الدول الغنية •

ويستدل على درجة العدالة باستخدام نسبة التركيز • وتتراوح قيمة هذه النسبة بين ١ وصفر وكلما اقتربت من الواحد الصحيح فمعنى ذلك ان شخصا واحدا فقط يحصل على الدخل القومى ولا يحصل بقية السكان على شيء • اما اذا ساوت هذه النسبة الصفر فيكون هناك عدالة تامة اى ان ١٠٪ من السكان يحصلون على ١٠٪ من الدخل ، ٥٠٪ من السكان يحصلون على ٥٠٪ من الدخل وهكذا • واذا كانت نسبـة التركيز فـى الدول الفقيرة اكبر منها فى الدول الغنية ، فلا يجب ان يستنبط من ذلك ان ارتفاع مستوى دخل الفرد فى الدولة يؤدى بالضرورة الى عدالة التوزيع ، ولكن تحقيق هذا الهدف يتطلب سياسة اجتاعية ترمى الى ذلك •

بعض نسب الصادرات

تتركز صادرات الدول النامية فى السلـــع الاولية • وتختلف نسبة حصتها فى هذه الصادرات من سلعة لاخرى • فاذا اخذنا مجموع الدول التى يقل متوسط دخل الفرد فيها عن ٢٠٠ دولار سنويا لوجدنا ان صادراتها من الشاى تمثل ٧ر٧٣٪ من صادرات العالم ، ٤ر٦٨٪ من الجوت ، ١ر٦٣٪ من الكاكاو ، ٤ر٥٥٪ من الفول السودانى ، ٢ر٣٦٪ من المطاط ، ٦ر١٨٪ من القطن الخام • وعن طريق هذه الصادرات تحصل هذه الدول على نسبة ملموسة من دخلها • ولوحظ ان اسعار هذه السلع تتذبذب بدرجة كبيرة ومعها يتقلب الدخل الذى تحصل عليه هذه البلدان •

ومن ناحية اخرى ، فانه من بين المؤشرات التى تظهر مدى تحسن الظروف المعيشية فى الدول متوسط توقع عدد سنوات الحياة عند الولادة • وكلما زاد هذا المتوسط زاد اسهـام الفرد فى بناء المجتمع • اما اذا نقص متوسط عمر الانسان فان المجتمع يحرم من خدماته فى سن مبكرة كان من الممكن ان يثريه بما اكتسب من علم وخبرة •

وقد ثبت ان العمر المتوقع للفرد عند الولادة فى البلدان النامية قد زاد من ٣٢ سنة فى الفترة من ٣٥ / ١٩٣٩ الى ٤٩ سنة فى الفترة من ٦٥ / ١٩٧٠ • وكذلك ارتفع هذا العمر بالنسبة للدول المتقدمة من ٥٦ سنة الى ٤ر٧٠ سنة بين الفترتين • ويدل اختلاف طول العمر المتوقع للفرد بين مجموعتى الدول على استفادة الدول الصناعية من سكانها

بدرجة اكبر من نظيرها فى الدول النامية ٠

نظرة الى المستقبل

مما سبق يتبين ان التنمية التى حققها العالم الثالث بصورة عامة تقصر عما تصبو اليه شعوبها٠ وان الطريق امامها ما زال طويلا ٠ وتوجد امامها عقبات اساسية تتشكل فى ارتفاع اسعار السلع المصنعة وكذلك المواد الغذائية التى تستوردها ، وتقلب اسعار السلع التى تصدرها بما يقلل من قدرتها على تحقيق التوازن فى موازين مدفوعاتها، كما تقل فيها الكفاءات والعناصر المدربة ورؤوس الاموال الكافية لاحتياجاتها ، بالاضافة الى العقبات التى تضعها الدول الصناعية والتى تحول دون حصول الدول النامية على نصيبها العادل ٠

وتتطلب هذه الظروف جهودا منسقة من الدول النامية لكى تسرع بتنمية اقتصادها خاصة وان العصر الذى نعيش فيه يتسم بالتكتلات الاقتصادية الكبيرة وعلى راسها السوق الاوروبية المشتركة ٠ وابرز مجالات هذا التعاون :

المواد الخام : حيث ان الدول النامية تنتج نسبة كبيرة من المواد الخام ، فلاشك انها ستحصل على شروط افضل فى تسويق هذه المنتجات بطريقة متسقة٠ ويمكن ان تشكل فيما بينها اتحاد منتجين يرعى مصالحهما شانها فى ذلك شان الاوبك ويمكن ان يمتد التعاون بينها الى مجال تصنيع هذه المواد وليس تسويقها فحسب ٠ وميزة هذا التصنيع انه يزيد من ايرادات الدول النامية ويقلل من ذبذبات الاسعار التى تتعرض لها بالاضافة الى خلق فرص عمالة جديدة ٠

التعاون المالى :

مع ارتفاع اسعار البترول عملت الدول المصدرة للبترول على مساعدة الدول النامية عن طريق انشاء الصندوق الخاص للاسهام فى تمويل المشروعات الانمائية برأسمال مبدئى ٨٠٠ مليون دولار ثم اضافت اليه فى نهاية العام الماضى ٨٠٠ مليون دولار اخرى ٠

كما انشات معظم الدول المصدرة للبترول ــ وخاصة العربية منها ــ صناديق قومية لتمويل التنمية فى الدول النامية ٠ نذكر منها الصندوق الكويتى ، وصندوق التنمية السعودى ، وصندوق التنمية العراقى ، وصندوق ابو ظبى ٠ كما انشاء المصرف العربى للتنمية الاقتصادية فى افريقيا ٠ وتقوم هذه المؤسسات بتقديم معونات بشروط ميسرة تتمثل فى اسعار فائدة منخفضة وفترات سداد طويلة متضمنة فترة امهال ٠

وبالاضافة الى ذلك دعمت الدول المصدرة للبترول مؤسسات التنمية الدولية (مثل البنك الدولى للانشاء والتعمير وصندوق النقد الدولى) حتى تستطيع تقديم مساعدات مالية اكبر لدول العالم الثالث ٠ ولعبت دورا فعالا فى انشاء النافذة الثالثة للبنك الدولى والذى يقدم بمقتضاها قروضا جديدة بشروط ايسر من الشروط المعتادة للبنك ٠

وفى مجال الاستثمار المباشر انشات العديد من المشاريع المشتركة الا ان هناك مجالا اكبر لزيادة هذا النوع من الاستثمار وخاصة فى مجال تنمية الزراعة وزيادة انتاج الثروة الحيوانية ٠

الغذاء : بالرغم من وجود مساحات شاسعة لم تستغل بعد فى الدول النامية فاننا نجد انها تستورد كميات كبيرة من السلع الغذائية ٠ ولذلك فان هناك مجالا واسعا للتعاون فيما بينها لزيادة انتاج السلع الغذائية ورفع الانتاجية الزراعية ٠

التصنيع : تبينا مقدار التشابه فى الهيكل الاقتصادى للدول النامية ، ومن ثم فانها تتنافس مع بعضها البعض اذا عملت باستقلال وعزلة ، ولكن عن طريق تنسيق جهودها التصنيعية تستطيع دخول هذا المجال بسرعة ، خاصة وان الصناعات الحديثة اصبحت تتسم بالكبر مما يستلزم وجود سوق كبيرة لاستيعاب منتجاتها ٠ وتوجد عدة عقبات امام هذا التنسيق لعل اهمها الاتفاق على نوع الصناعات المختارة وكيفية توزيع المكاسب الناتجة عن التنسيق بين الاطراف المختلفة ٠ ويوجب حجم المزايا المتوقعة من هذا العمل المنسق الاتفاق على قبول لهذه المسائل ٠

واخيرا فان الاحوال المعيشية لاكثر من الف

نسمة فى دول اسيا وافريقيا ، والتى تتسم
ى مستويات الدخول ، وتدنى الرعايـــة
، ومستويات التغذية ، لتتطلب المزيد من
والجهود حتى تستطيع توفير معيشة كريمة
جموع • ولقد سعت الدول النامية للحصول
قوقها واتخذت خطوات مبدئية لتحقيق ذلك
ارا الامم المتحدة فى دورتها الخاصة السادسة
ن بالاعلان باقامة نظام اقتصادى دولى جديد ،
ج العمل الخاص باقامة نظام اقتصادى دولى

جديد ، وكذلك مؤتمرات القمة مثل مؤتمر القمة العربى الافريقى الذى عقد بالقاهرة فى شهر فبراير ١٩٧٧ • والمؤتمر الذى اطلق عليه اسم مؤتمر الشمال والجنوب والذى عقد فى باريس فى عام ١٩٧٦ • ولا جدال فى ان الطريق طويل لتحقق الدول النامية ما تصبو اليه من رفاهية اقتصادية • وييسر التعاون اللصيق بينها الامل فى بلوغ هذه الغاية فى فترة زمنية اقصر • ■■

د • محمد سلطان ابوعلى

اسماء الاعلام والمصطلحات العلمية والاجنبية

بين النقل الملتزم والتعريب

كتور محمد محمد السلامونى

لقد اسعدنى أيما سعادة اطلاعى على مقال الدكتور احسان حقى بعنوان « دعوة لاعادة فى الحروف العربيـــة » (مجلــة العربى ، ٢٣١) وعلى تعليق الاستاذ احسان جعفر هــذا المقــال بعنوان « المطلوب قواعد ملزمة ف الاعلام الاجنبية » (مجلة العربى ، العدد) • اما مرد هذه السعادة فهو اهتمامى الخاص وع نقل الاسماء الاجنبية او تعريبها وكذلك هذا الموضوع للسادة الباحثين والمترجمين ، وحاجتهم الى الالتزام باسلوب محدد متفق عليه• كان النقل او التعريب هو لب القضية التى هذان السيدان ، فساحاول بادىء ذى بـدء راض وجهتى نظرهما فى المفاضلة بين النقل ريب ومناقشتهما خصوصا وانهما يمثلان مدرستين قديمتــين تعـرض اولاهما على النقــل وتطالب الاخرى بالتعريب ، وهكذا فان الفرصة متاحة الان لمناقشة هذه القضية مناقشة جدية حرة ارجو ان تثير اهتمام المختصين فيسهموا بارائهم وتجربتهم بما يحقق الفائدة المرجــوة التى طــال انتظارنا لها •

النقل الملتزم

فالنقل الملتزم ، اى نقل أسماء الاعلام الاجنبية وكذلك المصطلحات ، ايا كانت اللغة المكتوبة بهـا بحروف عربية تؤدى اصوات حروف اللغة المنقول عنها خير اداء هو ما اثاره السيد الدكتور احسان حقى حيث يطالب بنقل صحيح للالفاظ الاعجمية الى اللغة العربية يساعد على التلفظ بها على الوجه السليم كما يلفظها اهلها (مجلة العربى ، العدد ٢٣١ ، ص ــ ٩٥) • واما التعريب ، فقد انبرى للمنــاداة به الاستاذ احسان جعفر ، حيث يقول معتمدا على الاستاذ احمد شاكر « ان الاعلام

الاجنبية تنقل الى العربية مغيرة فى الحروف والاوزان الى حروف العرب وحدها والى اوزان كلمهم او ما يقاربها وانها لا تنقل ابدا كما ينطقها اهلها » ثم يضيف سيادته » ما الفائدة المرجوة من نقل الاعلام الاجنبية كما ينطقها اهلها دون تزيد او نقصان ، وهل يفعل اصحاب اللغات الاخرى ذلك على الاغلب عندما ينقلون اسم علم من لغتنا ؟» (مجلةالعربي،العدد ٢٢٤ص، ١٤٣)٠

واحاول الان مناقشة وجهتي النظر هاتين وابدا بالنقل الذى يمثل محاولة الناقلين العرب القدامى الاولى منذ فجر الترجمة فى مستهل العصر العباسى وما بعده ، واذا تساءلنا عن فائدة النقل الملتزم ، فمما لا ريب فيه انه يساعد الباحث او المترجم العربي على الاسترشاد بهذا النقل الدقيق بالرجوع الى مظان اسم العلم المنقول فى المعاجم ودوائر المعارف الاجنبية المتخصصة التي لا يزال المثقفون العرب يرجعون اليها لندرة ما لدينا من المراجع العربية . كي يحصل على المعلومات التى قد يحتاجها للتعرف على صاحب هذا الاسم ، فاذا فرضنا ان الباحث او المترجم العربى يرغب فى التعرف على شخصية فيثاغورس ، احد الحكماء الاغريق الاوائل ، كما نقله القدامى ، فانه لا يستطيع الاهتداء اليه الا بمشقة كبيرة ، وبالعكس فانه لو بحث عنه منقولا نقلا سليما يمثل اصوات حروف هذا الاسم ولغته اليونانية القديمة ، فلا ريب انه يصل الى هدفه فى يسر ٠ ولما كان رسم هذا الاسم الاصلي هو « Pythagoras » (منقولا بحروف لاتينية) ، فالنقل التقريبى له بحروف عربية هو بيثاغوراس وليس فيثاغورس ٠ اما ان هذا النقل تقريبى فيحتاج الى تفسير ،اذ لا تضم الابجدية العربية حرف الباء الثقيل الذى يقابل الباء المثلثة فى الابجدية الفارسية ، وهذا ما دعا الناقلين القدامى الى استخدام الفاء السريانية نقلا لحرف الباء الثقيل اليونانى ،وهذا غير جائز ، لان اصحاب اللغة اليونانية لم يلفظوه فاء وافضل عليه ابتداع رمز يدل عليه ، ويلاحظ ان الناقل القديم قداغفل فى نقله الحرف A فى نهاية هذا الاسم ، وهو طويل بطبيعته ويجب ان يحتفظ بصوته ٠ اما صوت الغين نقلا للحرف جاما اليونانى فلا غبار عليه ، لان صوت هذا الحرف اصبح على ايام المترجمين العرب الاوائل يمثل صوت الحرف غين العربى ، وعلى هذا يساعد نقل هذا الاسم على اساس صوتى دقيق الباحث او المترجم العربى وكذلك المستشرق على التعرف عليه ٠ واذا كان هذا النقل يقتضى منا ابتداع رموز صوتية جديدة فلا باس من ذلك ، وهذا ما سوف أشير الى تحقيقه فى ختام هذا المقال ٠ ولمة اسم علم آخر ورد فى مقال الدكتور احسان حقي ارغب ان اقف عنده وقفة قصيرة وإن القى عليه نظرة فاحصة وهو جرجل نقلا لاسم العلم الانجليزى (Churchill) ويقوم هذا النقل على استخدام الجيم المثلثة الفارسية لتادية الصوت الانجليزى « Ch » (مجلة العربى ، العدد ٢٣١ ، ص ـ ٩٥) ٠ اما ملاحظتي المبدئية على هذا النقل فهى عدم دقته صوتيا ، اذ اغفل الناقل الحرفين اللينين « U » ، « I » فلم ياخذهما فى الاعتبار عند النقل ولو عن طريق التشكيل ، ولهذا فان القارىء لهذا الاسم المنقول لا يستطيع التلفظ به صحيحا ، ومن ثم لا يستطيع الاستدلال عليه ٠ اما الملاحظة الثانية ، وهى من الاهمية بمكان ، فهى استخدام الناقل للجيم المثلثة فى نقل هذا الاسم ولا أرى ما يدعو الى الاستعانة بهذا الصوت الفارسى ، ذلك أن الصوت « Ch » الانجليزى يقابل فى الابجدية العربية التاء والشين ، الحرفين الجامدين والقاعدة العربية المعروفة تقضي بتحرك الحرفين الجامدين فى اول الاسم المنقول بالف الوصل فيكون النقل التقريبى على أساس هذه القاعدة هو اتشرتشل لا جرجل ، ولا حاجة بنا اذا لاستخدام صوت فارسى ما دام فى استطاعتنا نقله بحروف عربية ٠ بقى ان اقول ان النقل الدقيق لهذا الاسم موكول اولا واخيرا لمتخصص فى أصوات حروف الابجدية الانجليزية ، وارجو ان يكون واضحا

اني لست ضد استعمال الرموز الصوتية الفارسية، فهي والحق يقال ، قادرة على اداء اصوات الحروف الاجنبية التي ليس لها نظير في الابجدية العربية بالاضافة الى ان لها اشكالا شبيهة بالحروف العربية ، واذا كان لي اية ملاحظة ابديها عن الرموز الصوتية الفارسية ، فهي انها ليست شائعة الاستعمال ولا يعرفها الا القليل والآن فان وقوفي عند اسمي العلم (Churchill Pythagoras) هذه الوقفة كان الغرض منها توجيه النظر الى ان النقل لا يزال غير دقيق والى ان الحاجة ماسة الى تطويره جماعيا لا فرديا او محليا على اسس صوتية سليمة ميسرة •

التعريب والنقل

واذا انتقلنا الان للتحدث عن التعريب الذى يدعو اليه الاستاذ احسان جعفر ، فاقل ما يؤخذ عليه انه لا يؤدى اصوات حروف اسم العلم المنقول بل يخضعها لاصوات حروف الابجدية العربية في شيء من الافتعال والتعسف ، هذه الظاهرة التي تبعد الاسم المعرب عن صورته الاصلية في لغته ، وهذا يدعو الى تساؤل الباحث او المترجم العربي وحيرته اذا ما اراد ان يتعرف على اسم العلم في لغته ، وهنا ترجح كفة النقل على كفة التعريب • اما الاتجاه الى التعريب فهو في حقيقة الامر دعوة الى الانعزالية ، اى انعزال الثقافة العربية عن سائر الثقافات ، غربية وشرقية ، وهذه الدعوة قد فشلت في الماضي ، فكيف نحييها بالمطالبة بالتعريب الآن ؟ ان الاتصال الادبي والفكرى والعلمي بين العرب وغير العرب يمثل ظاهرة طبيعية صحية مثمرة، ومجمل القول فان التعريب يقف حجر عثرة في طريق الباحثين او المترجمين العرب ، وهم وحدهم من افكر فيهم وانا افاضل بين النقل والتعريب ، اما القارىء فلا يدخل في حسابي الا من حيث انه ينبغي ان يفيد في يسر من جهود هؤلاء الباحثين او المترجمين العرب ، وهم حلقة الاتصال بيننا نحن العرب وبين سائر الامم المتقدمة • اقول هذا من منطلق اني عربي غيور ولست داعية ينحاز لغير العرب بحال من الاحوال اما قول الاستاذ احسان جعفر الذى اشرت اليه في صدر هذا المقال ومع ذلك اذكره مرة اخرى لمناقشته وهو « ما الفائدة المرجوة من نقل الاعلام الاجنبية كما ينطقها اهلها دون تزيد او نقصان ، وهل يفعل اصحاب اللغات الاخرى ذلك على الاغلب عندما ينقلون اسم علم من لغتنا ؟ » اما الشق الاول من هذا القول فقد اجبت عليه ، وتبقى الاجابة على الشق الثاني وهى ليست باليسيرة ، فنحن نعلم جيدا ان المستشرقين الذين يعنون بنقل التراث العربي لا يخضعون اصوات حروف اسماء الاعلام العربية المنقولة لاصوات حروف لغتهم لقصورها عن تادية بعض الاصوات العربية ، ولذلك ابتدعوا رموزا لاصوات عربية لا تضمها ابجدياتهم سعيا الى نقل هذه الاسماء كما ينطقها العرب ، ومن هذه الرموز الصوتية كما هو معروف حروف الجاء والخاء والذال والصاد والضاد والطاء والعين والغين والقاف وحسنا فعلوا كما اشار الى ذلك الدكتور احسان حقي لانه اصبح من الميسور على المثقف العربي ، باحثا ومترجما ، التعرف على الاسم العربي باصوات عربية سليمة بالرغم من تاديتها برموز اجنبية • وليسمح لي الاستاذ احسان جعفر ان اوجه له السؤال التالي : ما هي القواعد الصوتية التي التزمها المعربون القدامى والمحدثون في تعريب اسماء الاعلام الاجنبية ؟ وهل هي جماعية او اجتهادات فردية ؟ واطلب اليه كذلك ان يدلني على الاسلوب الصوتي الذى اتبع في تعريب بعض الاسماء العبرية الواردة في مقاله مثل السموءل تعريبا لشموئل وايوب تعريبا لايوب واني في الانتظار وخلاصة القول فان تعريب اسم علم اجنبي هو في حقيقة الامر اعطاء صورة عربية له تختلف عن صورته الاصلية في لغته ، وهو بذلك نوع من النقل غير الملتزم وبعبارة اخرى هو نقل محرف ثم انه ليس من التجني القول بان التقنين الصوتي للتعريب مسالة صعبة والاتفاق

قضايا حيوية

الجماعي عليها اصعب والجهد الذي يصرف في هذا غير مجد وبالعكس فان النقل على أسس جديدة ايسر وهو يحقق في نفس الوقت هدفا اكبر.

والان اذا آثرنا النقل على التعريب ، فارى أن اصوات حروف الابجدية العربية لا يعوزها في نقلها للاعلام الاجنبية الا القليل من الاصوات التي يستطاع تزويدها بها . وقد اتضح لي هذا من تجربة سابقة لي . فلقد تناولت موضوع النقل في اطار تخصصي في اللغتين اليونانية القديمة واللاتينية في بحث بعنوان « دراسة تفصيلية في كتابة الاعلام الاغريقية واللاتينية بحروف عربية (مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، الجزء ٢٩، مارس ١٩٧٢ ، صفحات ٩٧ ـ ١٤٦) ، وكان بحثي هذا تعليقا ونقدا لبعض ما كان قد قرره مجمع فؤاد الاول للغة العربية (مجلة مجمع فؤاد الاول للغة العربية ، الجزء الرابع ، ١٩٣٩) . وقد وصلت في هذا البحث الى ان اضافة القليل من الاصوات على هيئة رموز صوتية يمكن أن يسد النقص في اصوات الحروف العربية ، فاذا توسعنا في دراستنا لاصوات حروف الابجديات الاخرى قديمة وحديثة وحاولنا اضافة اصوات جديدة ، بناء على هذه الدراسة ، الى الابجدية العربية ، استطعنا النقل في يسر كبير ، على ان يكون القيام بهذا العمل الكبير جماعيا وليس فرديا او محليا ، ذلك ان العمل الفردي او المحلي يجعلنا ندور في دائرة مفرغة لا يرجى منها اية فائدة ، وهو ما حدث بالفعل فقد تعددت هذه الجهود ولم نجن اية ثمرة منها .

الحاجة ماسة اذا الى محاولة أسلوب في النقل دقيق وملزم في نفس الوقت ، وهذا ما جعلني افكر في خطة يسرني ان اتقدم بها سعيا الى الوصول الى هذا الهدف ، وافصل هذه الخطة في الآتي :

تتبنى هيئة عامة في اي قطر من اقطار عالمنا العربي والاسلامي ـ ولتكن على سبيل المثال وزارة ثقافة أو مؤسسة معنية بالدراسات اللغوية العربية ـ موضوع نقل الاعلام والمصطلحات الاجنبية ، فتدعو ، عن طريق وسائل الاعلام ، العلماء العرب المتخصصين في سائر لغات الامم المتقدمة القديمة والحديثة ، الشرقية والغربية ليوافوا هذه الهيئة المقترحة بابحاث في أصوات حروف الابجدية التي تخصص فيها كل منهم ، مثل الابجدية العربية والعبرية والفارسية واليونانية القديمة واللاتينية والاردية والسريانية والانجليزية والفرنسية والايطالية والالمانية وغيرها على أن يسهم علماء الاصوات العربية بعامة وعلماء الاصوات العربية في العراق وسوريا والمغرب العربي بخاصة، لان لهذه الاقطار طرقها الخاصة في نطق ورسم بعض الحروف العربية ، بابحاث يضمنونها أسلوبهم وتجاربهم الصوتية في تادية أصوات حروف اللغات التي ينقلون عنها ، وعندما تتجمع هذه الابحاث تحاول الهيئة المقترحة دعوة من استجاب الى دعوتها ـ وهي دعوة قومية يجب ان يلبيها كل متخصص عربي ـ حيث تناقش الدراسات المختلفة وتنسق اصوات حروف الابجديات المختلفة وتحدد الاصوات التي تقصر الابجدية العربية عن ادائها والاتفاق على رموز صوتية جديدة تمكن الابجدية العربية من النقل الدقيق السليم واقترح ان يطلق على هذه الرموز « الرموز الصوتية العربية » ثم تذاع هذه الرموز الصوتية في كافة انحاء العالم العربي والاسلامي في كتيب يكون في متناول الباحث والمترجم ، وبهذا نقضي على مهزلة النقل العشوائي الفردي بكل اشكاله . وبغير هذا سندور ، للاسف الشديد ، في نفس الدائرة المفرغة على غير طائل.

وغني عن البيان ان هذه الابجدية الصوتية سيكون لها كيانها الخاص المستقل بوصفها مرشدا للباحث او المترجم العربي ، ولن يترتب على ذلك اي مساس بابجديتنا العربية التي يجب ان تبقى على حالها الذي ورثناه وعرفناه ، كتراث قومي غير خاضع للتغيير والتبديل . ■■

د/محمد محمود السلاموني
أستاذ الدراسات اليونانية واللاتينية المتفرغ
كلية الآداب ، جامعة الاسكندرية

بقلم : يوسف الشاروني

■ دق جرس المحطة منذرا بتحرك القطار السريع المكيف العربات بعد خمس دقائق ، فى طريقه من القاهرة الى الاسكندرية ، حين اكتشفت السيدتان انهما تجلسان على مقعدين متجاورين .

كان من الواضح انهما فى عمرين متقاربين ولما لم يكن من الممكن ان تعرف عمر المرأة على نحو دقيق ، فان من يراها قد يحدد لهما عمرا يقع بين الخامسة والثلاثين والاربعين وان كانت



العقيقة ربما اكثر من ذلك قليلا • وكانت السيدة ص التى تجلس بجوار نافذة القطار اكثر امتلاء واناقة ورفاهة وهدوء اعصاب من جارتها س • التى تبدو اقرب الى النحافة والعصبية وان كانت لاتخلو من مسحة جمال . كما كان يميزها عـن جارتها ذلك الشيب الذى بدا يتسلل الى شعرها مما اكسبها شيئا من مهابة ووقار اكثر واكبر من عمرها الحقيقى •

تبادلت السيدتان تحية مقتضبة بهزة من الراس وتمتمة من الشفتين لاتكاد تسمع • ثم وقفت السيدة س • وسحبت حقيبة سفرها المتوسطة الحجم والتى كانت قد وضعتهـا فـوق رف العربـة ، واسندتها على ركبتها . وفتحتها . وسحبت منها كتابا . ثم عادت فاغلقتها ، ووقفت لتعيدها الى مكانها ، ثم جلست • وكان يبدو انها سبق ان قرات فصولا من الكتاب لانها فتحته عند علامة معينة فى وسط الصفحات وراحت تستانف ماانقطع من قراءتها السابقة •

ومع ان السيدة ص • لم يكن لديها مانع من الثرثرة مع جارتها ـ فلم يكن لديها شىء جدى تفعله اثناء هذه الرحلـة التى تمتـد اكثر من ساعتين ، كما انها لم تكن سعيدة ان تجتر ماحدث ليلة امس مما دفعها الى التعجيل للقيام بهذه الرحلة ـ الا انها حين لاحظت تحركات جارتها ادركت انه لا مجال لتحقيق ما تاهبت له ، فى الفترة الاولى من الرحلة على الاقل ، لولا ان شد انتباهها امر لم تكن تتوقعه • فالكتاب الذى فتحته جارتها لم يكن كتابا غريبا عنها مع انه لم يتح لها ان تقرا عنوانه . الا ان لون غلافه وحجمه وحجم حروف طباعته ثم عنوان الفصل الـــذى استطاعت ان تختلس قراءته عندما ثار فيها حب الاستطلاع للتاكد من ظنونها ••• كل ذلك جعلها تتعرف على هذا الكتاب المالوف لديها لسبب بسيط :انه اخر رواية الفها زوجها ! وتساءلت السيدة ص • هل ترى جارتى فى هذه الرحلة احدى قارئاته المعجبات اللاتى لاتعرف عددهن ولا مدى حدود هذا الاعجاب ، أم ان اهتمامها بالرواية مصدره ما نالها من دعاية بسبب تحويلها الى فيلم سينمائى ناجح ، يعرض الآن فى اكثر من دار عرض سينمائية فى وقت واحد فى كل من القاهرة والاسكندرية ! وعجبت ان يظل يطاردها حتى هنا فى هذه العربة المغلقة وهى فى رحله هدفهـــا الظاهرى قضاء فصل الصيف فى مسكنها ـ او مسكنهما ـ الصيفى بالاسكندرية ، وهدفها الحقيقى البعد عنه حتى تخف حد هذا التوتر المستمر الذى يعيشان فيه ••• كانت تعرف عبث الشكوى منه لان له وجهين : وجه الروائى الشعبى المحبوب الذى يظهر دائما على شاشة التليفزيون وعلى شفتيه ابتسامة لاتفارقه ، ووجه الزوج المتوتر العصبى الذى تحاول ـ ولا تعرف ـ كيف ترضيه • ومـــن الغريب انه من هذا الزوج يولد ذلك الفنان •• ذلك المغرور الذى يتلقى عشرات الرسائل شهريا من معجبين ومعجبات برواياته ومسلسلاته التليفزيونية والاذاعية وافلامه •••

••• يوم جاءها خاطبا كان مايزال ذلــك الشاب المتـردد الخجول فى دنيـا الحب والتاليف معا ، وعندما حدثها عن هوايته ـ وكانت مجرد هواية ـ وما يزدحم به فكره من قصص وروايات يرجو أن تتاح له فرصة كتابتها فى ظل حنانها ورعايتها ، احسست أنه يوقظ الانثى الكامنة فيها بكلماته الدافئة وصوته الهامس الخشن ، يزدحم فيه تحمس الرجولة وتطلعاتها • وفى لحظة انفعال مشبوبة باحت له انها كانت تضع شروطا للرجل الذى سيشاركها رحلة الحياة على رأسها أن يكون طموحا ، وانها سعيدة لان القدر استجاب لرغبتها • ولعل تلك الرغبة ـ هكذا كانت تحلل وتعلل رغباتها ـ كانت رد فعل لشخصية والدها الذى لم يكن يتحمس لشىء ولا ينفعل بشىء كانما شعاره الكل باطل وقبض الريح ولامنفعة تحت الشمس •• واليوم ـ وبعد اكثر من عشرين عاما من حياتهما معا ـ لا تتمنى شيئا اكثر من أن تكون زوجة رجل عادى . كما كان المرحوم والدها. بلا انفعالات ولا تقلبات . ولا مطامح ولا مطامع. فقد سئمت الحياة العاصفة التى تحياها يوميا مع هذا الذى يصفه المعجبون به بانه عبقرية ،وهى مستعدة للتنازل عن كل ما وفرته تلك العقبرية اجتماعية ترضى غرورها ويسعدها للحظات ان

من حياة رغدة مرفهة وما تتيحه لها من مكانة تنعم بها، لكنها تحس انها في مقابل ذلك تدفع الثمن غاليا من اعصابها ومن لحظات حياتها التي تذهب ولا تعود • ولقد اكتشفت في الشهر الاول من زواجهما ـ شهر العسل المزعوم ـ ان طموحه الذي بهرها معناه انشغاله عنها بقصصه وتسجيلاته الاذاعية والتليفزيونية وفيما بعد بعقوده السينمائية ومعجباته وضرائبه ،حتى أصبح خروجه معها حتى لمجرد النادي مرة في الشهر او لزيارة قريب أو صديق معناه ضياع وقته ومجده ومورد دخل جديد • وكانت لحظات الترفيه الوحيدة التي يشتركان فيها معا حين يصطحبها معه ـ وعلى فترات متباعدة ـ لحضور العرض الاول لاحدى المسرحيات او الافلام تلبية لاحد اصدقائه في الوسط الفني مؤلفا كان او منتجا او ممثلا •• كما كانت تتحايل عليه ان يكون ذهابها الى النادي ساعة الغداء حتى لايحس ان وقته قد ضاع ، اما ابناهما فقد ترك لها مهمة تنشئتهما لا يكاد يعلم عنهما شيئا ولا وقت لديه لسماع شكواها منهما • ولعل كل مايعرفه عنهما الآن ان الولد ـ وهو الاكبر ـ في الجامعة ، وان البنت في مرحلة الدراسة الثانوية، لكنه على الارجح لا يدري في أية سنة دراسية على وجه التحديد •اما نزواته العاطفية ، فقد هددت رباطهما الزوجي اكثر من مرة ، وهو يحاول انكارها حينا وتبريرها حينا بانها ضرورية للفنان ضرورة الشراب والطعام ، وهي ترقب تطور تلك النزوات في صمت احيانا ، واحيانا اخرى تشبعه تقريعا وتدفيها اوقع وافعل من الانفجار والثورة، يعينها على ذلك برودة اعصاب ورثتها عن والدها وان لم ترث عنه ما صاحب ذلك من لا مبالاة •

دق جرس المحطة للمرة الثانية والاخيرة وبدا القطار تحركه حين لاحظت السيدة ص • ان جارتها س • قد عدلت فيما يبدو ـ ولو مؤقتا ـ عما؟ همت به ، فقد ضغطت على زرار المسند فا



الى الوراء قليلا لتصبح في وضع اكثر استرخاء كانما تريد ان تستانف بخيالها ما اوحت لــها به احداث الرواية وشخصياتها ...

وكانت السيدة س . في الواقع قد استرخت لانها كانت كعادتها ـ كلما قرات لهذا الكاتب ـ تبحث عن نفسها في رواياته . وكان يحزنها ان تلاحظ ان شخصيتها قد اخذت تشحب وتتوارى من رواياته الاخيرة بعد ان كانت تلح عليه عقب فراقهما الذى احتفلت بذكراه الخامسة والعشرين منذ اسبوع .

كانت طالبة بالسنة النهائية ـ بكلية الفنون الجميلة حين دعتها صديقتها لحضور حفل زفافها . هناك التقت به ، زميـل العريس في الدراسـة والتخرج . لم تكن قضية زواجها تؤرقها ، فهي تعلم ان اباها وعمها قد ارتبطا معا انها بمجرد تخرجها ستتزوج ابن عمها . ولم يكن ابن العم هذا شخصا كريها ، ولكنه لم يكن شخصية مثيرة كذلك . كانت عواطفها تجاهه حيادية . وكلـما التقت به احست انها تبحث فيه عن شيء ، تفتقده شيء لم تدرك كنهه الا حين التقت به في تلـك الليلة التي كانت عرسا لقلبها كما كانت عرسا لصديقها . جذبتها فيه شخصيته القوية المتميزة ، طاقته الهائلة ، ثقافته حتى في فنها الذى تخصصت في دراسته .. حتى وجدت نفسها تعمل ـ مدفوعة بقوة اكبر منها ـ على جذب انتباهه اليها ـ وحين نجحت دار بينهما حوار طويل انتهى بان دعا نفسه الى زيارة مرسمها الذى تشارك فيه بعض زميلاتها ، وهو ما لم يفكر فيه ابن عمها يوما ما .. وجعلت تقارن بين هذا اللقاء المشحون الذى احست بعده كانما هو صديق تعرفه منذ سنوات ، وبين علاقتها الهادئة الرتيبة بابن عمها .. وتعددت لقاءاتهما وهو يحدثها عما تزدحم به راسه من مشروعات روايات وتمثيليات وافلام سينمائية ، مماجعلها بدورها تحدثه عن مشروعات فنية لم تكن قد فكرت فيها من قبل . وقد حدثت اول ازمة بينهما يوم تاخرت عن لقائه لان ابن عمها كان في زيارتهم ، فاكتشفت فيه يومها تلك الشخصيـة العصبيـة القلقة المنيفة مما جعلها تعيد النظر في اندفاعها نحوه ، ووجدت نفسها مرغمة على المقارنة بينه وبين ابن عمها الذى لم يعاملها ـ حقا ـ بهذه القسوة يوما ما ، لكنه ايضا لم يكن ليقلق عليها هذا القلق العاصف ، يزورها في البيت فلا يابه ان وجدها او لم يجدها ، ينتظرها هادىء الاعصاب حتى تعود فيحييها دون مجرد التساؤل عما اخرها . لا يذهب لمشاهدة معرض تشارك فيه ـ بعد تخرجها ـ الا بناء على دعوة منها ، وكانما لمجرد تجنب الحرج فلا ميل له للفن او الفنانين . لم يتحرك الا يوم ان علم ان هناك منافسا له ، وكان صاحبها قد تقدم لوالدها يخطبها ، فاعتذر له برفق ـ ولكن بحسم ـ موضحا انها مرتبطة بابن عمها . عندئذ خشي ابن عمها ان يلـج هـذا الغريب فتفلت منـه ، فاسرع في اتمام الاجراءات الرسمية . وهكذا ارغمت على قطع علاقتها به . وكانت اضعف من ان تقاوم ، وبعدها بشهور ظهرت اولى رواياته « امراة رجل آخر » قرات اعلانا عنها في احدى الصحف بمجرد الصدفة ، وكانت قد عملت مدرسة بوزارة التربية ، فاشترت الرواية لتقراها في وقت فراغها . ثم تلقت بالبريد المسجل ـ على عنوان والدها ـ نسخة لاشك انها مرسلة منه وان لم يكتب عليها اهداء مطبوعا كما تمنـت وخشيت ، ولا حتى بخط يده . وطمانت نفسها بانه لابد قد تحرج من زوجها . وعندما لمحـت احدى زميلاتها الآنسات عنوان الرواية قهقهت صائحة : تقرائين رواية غرامية وانت عروس ؟ اتركي هذه المهمة للأوانس والعوانس امثالنا . فاحمر وجهها كانما تعرت امام زميلتها واسرعت تخفي الغلاف بغلاف . وقد شدتها الرواية اساسا لسبب شخصي كانت تبحث عنه في لهفة حتى تحققت منه ، كانت هي بطلة القصة وان ادخلـت عليها تعديلات كثيرة لاخفاء مصدرها ، وكان هو بطل القصة بعد تعديلات مشابهة ، وكانت مشاعر البطل نحوها مزيجا من الحب والشفقة والتفهم لموقفها حينا والقسوة عليها حينا آخر ، ولكنه قسا كذلك على نفسه قسوة لا تعرفها عنه طــوال علاقتهما ، وكان هذا هو القناع الذى يخفي خلفه شخصيته ، وقد اثارت لديها قراءتها هذه الرواية وقتئذ مشاعر الفرحة الحزينة ، فها هو ذا مايزال يذكرها ولكن شتان بين الذكرى والحصول .

ولقد حدث ماتوقعته . اكتشف زوجها سرها الصغير . وظلت قلقة تنتظر رد الفعل • لكنه لم يعلق بشيء • وبعدها بشهور قليلة فوجئت به يحضر مجموعة قصصية ويقدمها لها قائلا : أنت تعبين ان تقرأى له • كم كان هذا التصرف جميلا ووديا للغاية من جانبه . كانت تود أن تعبه . أن تستحيل هذه الألفة أو الصداقة التى بينهما الى عشق ملتهب • ولكنها عبثا حاولت ، كانت تحس انه شخص طيب حصل كل منهما على الآخر بحكم قرابته . دون أن يبذل احدهما — لا هو ولا هى — أى مجهود فى سبيل ذلك • وعلى الفور عقدت تلك المقارنة المألوفة بينه وبين ذلك الشاب الذى تحمس لها . تحمس لجمالها وتغزل فيه كما تحمس لفنها . وتحمست هى لطموحه وحبه للمغامرة بل عشقت فيه قلقه لأنه أقنعها أن القلق دلالة الانسانية، والحيوانات الدنيا هى وحدها التى لاتعرف القلق• كان كل منهما يحاول أن يحصل على الآخر فلا يفلت منه ، حتى فجع فيها حين تخلت عنه بمثل هذه البساطه واذعنت لمشيئة غيرها ليتحكموا فى أخص شئون حياتها • وماذا عساها تستطيع ان تفعل . لا تجرؤ على الهرب فضلا عن الانتحار • كانوا فى داخلها قبل أن يكونوا خارجها ومن حولها ••(تلك جمل من روايته كانت تختلط بافكارها الان) لكن بينما اطمانوا الى استسلامها لهم . فقد اكتشفت انه مجرد استسلام ظاهرى •• مع انها لم تره منذ اخر لقاء لهما ••

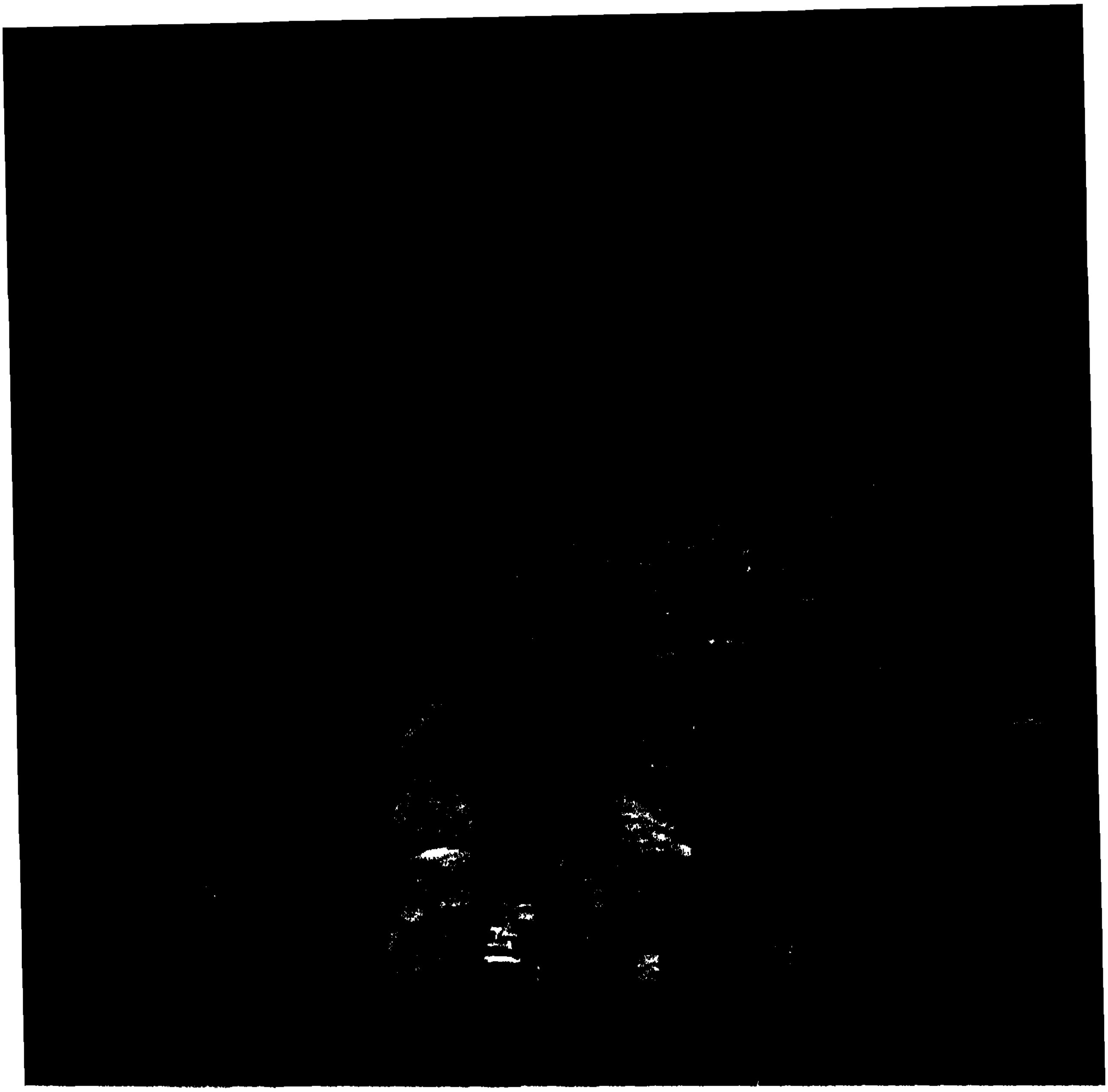
وكان ذلك فى يوم مطير . كان قد خرج لتوه من المستشفى بعد اجراء جراحة الزائدة الدودية •وظلا يسيران غير عابئين بالمطر الذى كان يتساقط رذاذا حينا وينهمر مدرارا حينا اخر • وظلا يهيمان فى شوارع القاهرة ساعات حتى خشيت عليه من انفتاح الجرح الملتئم حديثا . فودعها الى لقاء قريب وودعته الى غير عودة •••••

الا انها ظلت معه تتابعه فيما ينشر من كتب أو مقالات فى صحف تقع تحت يدها أو تشتريها لها زوجها خصيصا ••• وتتابع ما ينشر عنه من انباء محاضرة له او سفر او عودة ، او رواية تترجمله. . ثم فيما يذاع او يعرض له من تمثيليات وافلام • وكانت فى كل هذا تبحث عن نفسها ، هل ما يزال هو أيضا معها ؟ كانت تعرف أنه تزوج بل وانجب (أما هى فلم تنجب ربما احتجاجا على مثل هذا الزواج) وقد بدأ القلق ينتابها حين أخذت تدرك أن شخصيتها تتوه منها وسط أحداث رواياته ، اما شخصيته هو فقد كانت سافرة فى روايات مبكرة . فلما تمرس بفنه نجح فى اخفائها تماما خلف أقنعة متعددة بحيث يصعب التعرف عليه• وكانت هى فى تلك الاثناء تترقى فى عملها بالتدريس حتى أصبحت موجهة للتربية الفنية وها هى ذى الآن فى طريقها الى مديرة طنطا التعليمية فى احدى مهامها وبقدر ما أعجبت ببلوغه قمة النضج الفنى من حيث التشويق ورسم الشخصيات وتطور الاحداث والاسلوب الذى يترقرق شاعرية حينا ويعنف الى درجة الصخب حينا آخر ، بقدر ما أحزنها انها لم تعد تجد أثرا من آثارها متسللا الى احدى شخصيات الرواية حتى لو كانت شخصية ثانوية • وتساءلت فى قلق : هل يمكن أن يكون هذا دلالة على اختفائها من حياته تماما • أما هو فلم يختف من حياتها . ولعل ذلك مرجعه انه حاضر فيها دائما بما حققه لنفسه من شهرة وانتشار ، وبما تقرأه وتسمعه وتشاهده له • أما هى فلعله لا يعرف عنها الآن باى أرض تعيش • فلا عجب أن تنزوى فى سراديب النسيان • وتنهدت متسائلة هل تراه فراقهما الثانى والاخير ؟ عندئذ تراءى اليها صوت جارتها تسألها :

تعجبك هذه الرواية ؟ وعجبت السيدة س •ان يكون لجارتها من حب الاستطلاع ما يجعلها تدرك أنها تقرأ رواية وليس أى نوع اخر من انواع الكتب •

أجابتها على الفور : يبدو أنه سبق لك قراءتها•
— مؤلفها زوجى يامدام !
— زوجك ؟
ومضت السيدتان تثرثران • ■■

يوسف الشارونى



افغانستان

أحد مقاطع مضيق كابول الشهير ، « والشودرى » الذى تمرد عليه الجيل الجديد ، ووجه افغانى ناطق القسمات •



بقلم :
فهمى هويــــدى

تصوير :
اوسكار مترى



(لو لم يبق للاسلام فيالدنياعرق ينبض ، لرأيت عرقه بين سكان جبال الحملايا (الهملايا)والهندوكش نابضا ، وعزمه هناك ناهضا ــ الامير شكيبأرسلان) •

تخدعك الوجوه ، وتخدعك الطبيعةفي افغانستان • تعطيك انطباعا كاذبا بأول وهلة ، بل تلقنك درسا في كيفية الحكم على الاشخاص والاشياء •

ولن يستغرق الامر معك وقتا طويلااذا كنت من « عربستان » • عندئذ ستتحول من ضيف ثقيل الى صاحببيت ، وستطوى في لحظة زمن الاف الاميال . وتقفز فوق كل الحدودوالحواجز ، وترتفع فوق أشجار الانساب والاعراق والاجناس ، وتنفتح عيناك على الحقيقة •

اذا عرفت كلمة السر ، وقلتها ،معتزا بانك « عربى » مستغربا لهؤلاء الناس الذين لم ينخفض بعد سعرالعروبة في أسواقهم ، مندهشا من أن العروبه « فيمه » هنا وليست شبهةينبغى دفعها والتخلص منها ، كما يفعل البعض في بلادنا •• بعد أن تفيق منهذه الدهشة ، وتتامل ما حولك جيدا عن قرب، سوف تكتشف ان وجوهالبشر ليست منحوتة من صخور من جبال هندوكش ، كما ان جبال هندوكشليست فقط صخرا وحجارة ، وقمما ثلجية باردة !

واذا ثبت انك من عربستان فعلا ، وحبذا لو كنت تحفظ بعض ايات القرآن الكريم ، فعندئذ سوف تختفى على الفور شلالاتالسكالتى تتساقط و عيون الافغانيين عندما يرون الغريب . وسوف تنفرج اسارير معقودة معلنة الخصام والجهامة ، وتتحول الشقوق الغائرة في الوجوه الى بسمات تتراقص من الابتسام والفرحة ، وتنبسط لك الايدى وتتفتح الاذرع •

. السلام عليكم » •• يبادرك الافغانى على الفور ، بينما عيونه مسبلة ، وكفه ممدودة على موضع قلبه • تهم بالرد ، فيجذبك من يدك برفق لتجلس زمنا الى جواره • وقبل أنتلتقط انفاسك يقدم اليك قطعة من الحلوى لتحتفظ بها في فمك، وتشرب عليها الشاى الاخضر . بدلا من السكر الذى يتناثر فتاته ويحتاج الى وعاء وملعقة ووجع راس • تشرب مرة واثنتين وثلاثا • فالشاى هو مشروب الضيافة الحلال ، اذ السجائر عندهم مكروهة ، وهو يوسع الشرايين وفاتح للشهية قبل الاكل ، ومهضم بعد الاكل ، كما يقولون ، وعند أغلبية الشعب الافغانى ، فالشاى مع الخبز واللبن المضروب هو الاكل ذاته !

يسالك الافغانى قبل أن ترفع الكوب الزجاجى الى فمك : من السعودية ؟ •• وما أن تشرع فى الرد حتى يروى لك ما جرى فى حجته الثانيـة ، وانه فى الحجه الخامسه كان فى ضيافه جماعة من الشرق ، استراح بينهم ولله الحمد • أما فى الحجة الخامسة فقد ماتت أمه العجوز التى أصرت على أن تزور البيت الحرام • رغم أنها كانت قعيدة ، واضطر أن يحملها الرجل فوق ظهره طول الوقت •

يثير انتباهك هذا التعلق الغريب بالاراضى المقدسة عند الافغان • وتعرف فيما بعد أن أكبر نسبة من الحجاج (بالمقارنة بعدد السكان) يجيئون الى السعودية من بلاد الافغان • وأن الافغانى فقيرا كان أم غنيا ، شيخا كان أم شابا ، لا بد أن يكون قد مر بمكة فى رحلة حياته ، وان الذى لم يؤد فريضة الحج يعانى من شعور بالذنب

والاحساس ينقص فى دينه . وانه عازم على ذلك - يعزم لك - فى العام القادم باذن الله .

وحتى لو كانت الترجمة غير دقيقة ، فانك تحس بعلاقه ود عميقة تربط بينك وبين الافغانى ، وان الرجل كان يفتقدك طوال سنوات غيابك ، وانك أخيرا عدت بشعور المتردد والغريب .. رغم انك عائد الى بيتك واهلك .. ألست مسلما من عربستان (لاحظ أنهم يعتبرون كل عربى مسلما ، وأن غير المسلم فى بلاد العرب اما أن يكون أجنبيا أو مرتدا ، وهى الفكرة السائدة فى أطراف العالم الاسلامى) ..

تكاد تخجل ، وتندم - مثلى - على لحظة ظلمت فيها هؤلاء الناس . ورأيتهم فقط من خلال الدية الفارسية الكبيرة ، التى يحتفظ كل منهم بها فى جيبه . وتدرك كم كانت خاطئة وكاذبة تلك النظرة الاولى !

سقف العالم

مع الطبيعة تمر بنفس التجربة ..

أمام الجبال الهائلة التى تكاد تناطح سحب السماء ، والصخور الداكنة المكشرة الانياب ، والصحراء الواسعه التى تتردد فى ارجائها اغان للرعاة لا تفهم معناها ، وانما تنفذ نغمة الحزن فيها الى اعماقك ، محمولة على سهم يقطر دمعا.. أمام هذا كله تحس بالاكتئاب والضيق .

واذا كنت تستطيع أن تتعرف على الانسان الافغانى وانت قاعد فى حلقات الشاى التى لا تنفض أبدا ، الا أن التعرف على الطبيعة الافغانية ورؤية الحقيقة فيها ، لا بد له من أن تركب الصعب . والصعب الذى أعنيه له أسماء متعددة.

سيارة جيب . نقل . باص . جمل . بغل . (بسبب تضاريس المنطقة فشلت محاولة اقامة شبكة للسكك الحديدية فى أفغانستان) ذلك أنك خلال تجوالك تكاد تقتنع فى بعض الاحيان بانه لا فرق بين الجيب والجمل ، أو الباص والبغل . فالكل يمضى بسرعةواحدة ، وله مشقة واحدة.فلا أنت محمى من الشمس الساخنة، ولا ضلوعك سالمة من الكدمات والرضوض ، ولا رأسك ثابت فوق جسمك ، ولا كوب ماء يرطب حلقك المشقوق !

و .. تتعدد الاسباب ، و « الكرب » واحد !

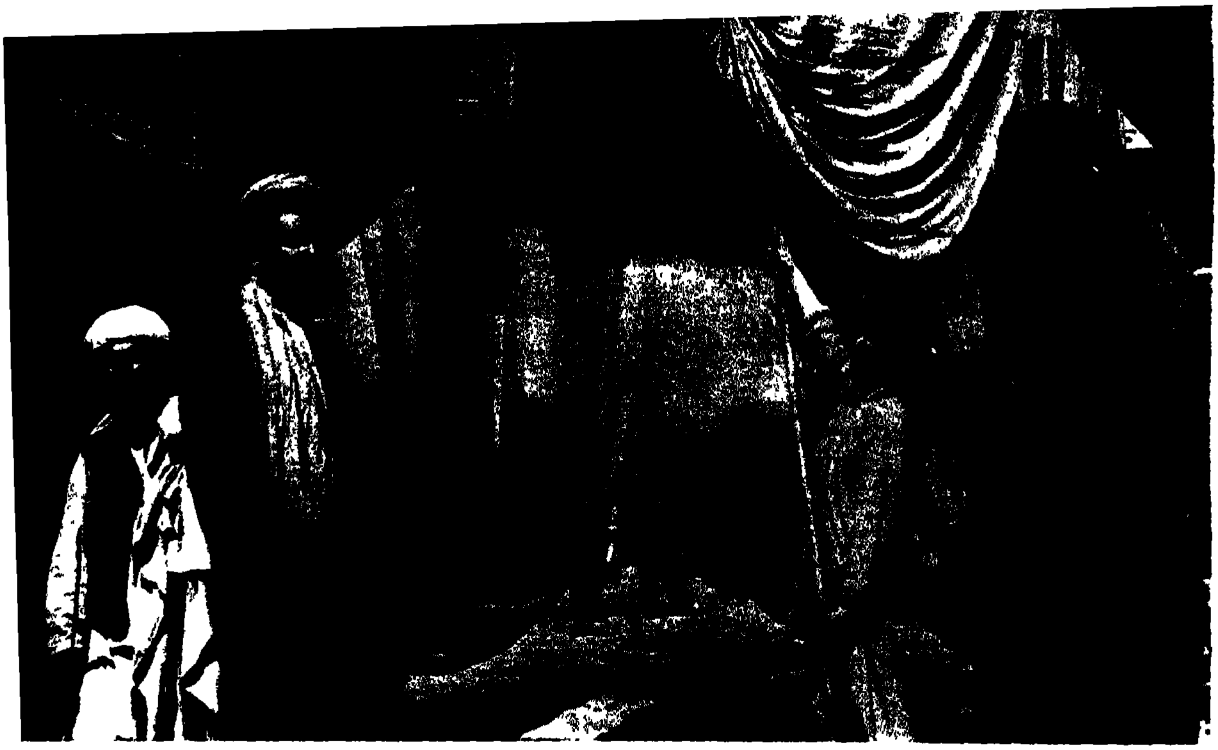
فافغانستان بلد منحوت فى الصخر . الناس هناكزرعوا دولة فوق «تشكيل جيولوجى من الدور الثالث » كما تقول الموسوعة العربية - الذى هو عبارة عن أحجار رملية وجيرية » .. وهى « جزء من سلسلة مفصلة من الاحواض الهضبية المرتفعة، المغلقة حلقاتها ، التى تمتد منالبلقانفالاناضول، فايران الطبيعية حتى مشارف السند » .. وهى الحيثيات التى استند اليها الدكتور حمدان استاذ الجغرافيا السياسية فى اعتبارها بلاد « الاسلام المعلق الذى يعتلى ظهور هذه القلاع الطبيعية الشماء » .

وقبل أن تكون هناك جيولوجيا وأحواضهضبية، وحتى قبل أن تكون هناك أفغانستان ذاتها - عندما كانت خراسان - زارها الرحالة والجغرافى العربى ابن حوقل (القرن العاشر الميلادى) ، وانبهر بما راه ، فكتب فى « صورة الارض » يقول : وأما خراسان فتشتمل على كور عظام وأعمال جسام !

والرجل كان على حق . فالانسان يقف بشعور يختلط فيه الذهول بالعجز أمام سلسلة الجبال الشامخة التى تتفرع عن هضبة « البامير » التى تطل من عل قرب زاوية التقاء الحدود السوفيتية الايرانية ، حيث تتوزع الجبال من « البامير » فى ارتفاعات متفاوتة تتراوح بين ٣٠٠٠ و ٣٦٠٠متر. ولا نكاد نرى قممها فى مناطق أخرى داخل افغانستان ، اذ يصل ارتفاعها الى ٦٠٥٩ مترا . وتستحق عن جدارة وصف « سقف العالم » ، الذى يطلقها عليها الجغرافيون .

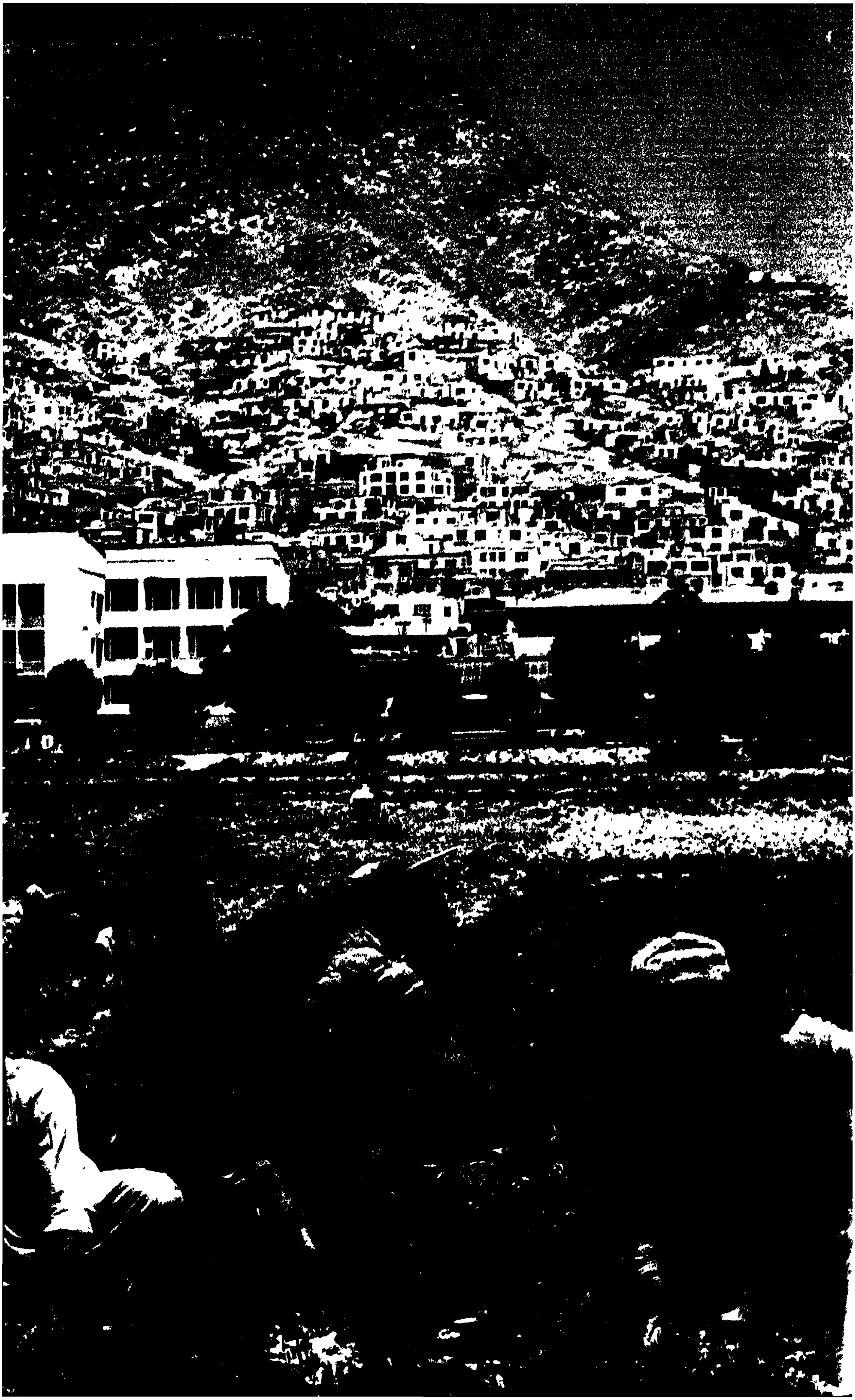
جبال شاهقة فى كل مكان ، تتولد عنها جبال وجبال ، وكلها مكسوة بعمائم ثلجية بيضاء على مدار العام تقريبا . والانهار ابنة شرعية لتلك الطبيعة الجغرافية الصعبة . اذ عندما يذوبالثلج ينشق مجرى النهر .

هكذا يبدو وجه الطبيعة الافغانية ، لاول وهلة - ومثل الافغانى تماما - لا ترى فيها سوى تلك القسمات التى تنطق بالجهامة والقسوة .. لكنك بعد أن تقترب منها أكثر .. و « تركب الصعب » وتفعل ما فعلناه تكتشف أن لافغانستان الطبيعة وجها آخر ، بل وجوها بالغة التشويق والاثارة ، لا ترى فيها قسمات الجبل ، وان كنت تلمح بصماته وتشم رائحته دائما .



سوق الدباغين ، حيث يصبغ الشودرى الذىترتديهاغلب نساء افغانستان ، (فوق)٠٠ ثم الوجه المشرق لحى الاصمعى ، الذى تندس بيوته وسط الصخور(تحت) ٠ والى اليسار جبل سليمان الذى يطوق كابول العاصمة ، بينما الناس يعيشون عنـــدسفوحه وتحت اقدامه يبنون ويزرعون ويحاربون اليوم كله ٠





بصمات الجبل

ذلك أنك ترى الجبل في قراءة تاريخ افغانستان. وتراه في سلوك الناس وعاداتهم وجدهم ولهوهم .. تماما كما نصطدم به في عيون البتر وخطوط وجوههم الجامدة ..

باختصار . فان المفاتيح والمغاليق في افغانستان معقودة على الجبل .

لهذا السبب كانت افغانستان وما زالت ، قلعة استعصت على الغزاة عبر التاريخ . وظل الافغاني اساسا صعب المراس لا يلين ولا يهزم .

اشهر الغزاة في التاريخ مروا بها ، ولكن أحدا منهم لم يهنا على أرضها ولم يستقر .. الاسكندر الاكبر . وجنكيز خان . وتيمور لنك (نابليون بونابرت ارسل مبعوثا الى كابول ليمهد لفتح الهند لكنه لم ينجح في سعيه) وجيوش القياصرة : قياصرة الروس والامبراطورية البريطانية . جميعا مرت جحافلهم فوق صخور افغانستان ..

الاسلام وحده استمر بها في منتصف القرن الثاني الهجري .. ربما لان المسلمين لم يكونوا غزاة . بل كانوا فاتحين ومبشرين .

والافغاني هو من اكثر المقاتلين جرأة واقتحاما. وشجاعته ـ خصوصا قبائل نورستان والطاجيك ـ هي مضرب الامثال دائما . واشهر اغانيه القديمة تلك التي تقول : « خير لك ان تعود الى بيتك مخضب الدماء ، على ان تحيا حياة الجبناء » وربما كان شعب افغانستان هو البلد المتخلف الوحيد الذي صنع البندقية والمسدس بامكانياته المبكرة منذ زمن بعيد . بل وتفنن في تجميل كل منهما الى حد تطعيم مقبض السلاح بالزخارف والاصداف . وفي اسواق كابول القديمة تعرض كميات هائلة من هذه البنادق والمسدسات القديمة . والخنجر والمدية لا يزالان يباعان على الارصفة بكميات غير عادية .

وعندما اتيح لنا ان نشهد احدى مباريات رياضتهم الشهيرة « بوزكاشي » ، اكتشفنا اننا دعينا الى ساحة قتال . رغم اننا كنا في استاد كابول ، والارض مكسوة بالحشائش الخضراء . اذ يصطف الفرسان فرسانا متقابلين ومتباعدين . وعلى الارض ـ في دائرة تتوسط الفريقين ـ يضعون ماشية مذبوحة ومقطوعة الراس ـ خروف او عجل صغير ـ ثم تعطى اشارة البدء . فينطلق الفرسان يسابقون الريح من اجل التقاط الماشية المذبوحة. تتلاحم الخيول وتتصادم الاجسام التي تتصبب عرقا ، ويقع من يقع تحت سنابك الخيول ، حتى يمرق احدهم كالسهم من وسط الجميع . بينما الجماهير تصيح « واردار .. واردار » (أي التقطها) ـ وببراعة غير عادية يميل الفارس بجواده المندفع . ويلتقط الجثمان الملقى على الارض ، ويواصل الجري بينما رفاقه حوله ، وفرسان الفريق الاخر يستخدمون كل قواهم من اجل انتزاع الذبيحة .. وهكذا يتسابقون . وينظم « دوري » لهذه المباريات ، ويمنح الفريق الفائز «كاسا» في التصفية النهائية التي تقام في عيد « النوروز » من كل عام .

وفي الماضي كانت تستخدم السلاسل الحديدية والخناجر في هذه «المباريات» ، لكنها منعت الآن. وهم يقولون ان هذه الرياضة من بقايا عصر الاسكندر الاكبر (عام ٢٢٠ قبل الميلاد) ، بينما يرى الاخرون انها من عهد جنكيزخان في القرن الثالث عشر الميلادي . واصلها أن الغزاة الاوائل كانوا يهاجمون معسكرات اعدائهم قبل الفجر ، ويقومون بفك الخيام التي ينامون فيها ، ثم يطلقون لجيادهم العنان ، فتنهار الخيام على قاطنيها .. وبعد ذلك ينقض عليهم الغزاة ويبيدونهم .. تماما كما ينقض الفرسان على الذبيحة الآن من فوق الارض ..

وحتى اذا لم يكونوا مقاتلين احفاد مقاتلين ، وحتى اذا لم تعلمهم الطبيعة القاسية روح التحدي والنضال . فان «الزمن» كان سيجبرهم على ذلك !

أي انه اذا لم يكن الافغاني «بطلا» بطبيعته . فهو «مكره» على ذلك !

ذلك ان طبيعة موقع افغانستان لها خصوصية نادرة. جعلت هذا البلد (٧٢٠ الف كيلومتر مربع) الذي لا يزيد في مساحته عن ولاية تكساس الامريكية، مفتاح وسط اسيا ، جسرا يؤدي الى اكبر دول القارة المحيطة بها . الاتحاد السوفيتي والصين وايران وشبه القارة الهندية . لذلك كان الجميع يطمعون فيها اذ ان السيطرة عليها من قبل أي قوة ذات شان ـ عسكرية او غير عسكرية ـ يعني على الفور الوصول الى ابواب بقية الجيران .

وفي العصر الحديث . فان روسيا القيصرية طالما سعت الى السيطرة على اجزائها الشمالية،

بينما كان الاستعمار البريطاني المتربص فى الهند، يبذل جهدا موازيا اوصله الى كابول العاصمة اكثر من مرة • ولما فشلت كل منهما فى فرض قبضتها على افغانستان ـ كان الاتفاق الضمنى على حيادها ، الذى استمر بعد ذلك ، حتى عندما ورثت امريكا نفوذ بريطانيا فى آسيا ، بعد الحرب العالمية الثانية •

والقوة الوحيدة التى استقرت فى افغانستان ـ الاسلام ـ استطاعت من هذا الموقع الخطير أن تبسط نفوذها الفكرى والسياسى على شبه القارة الهندية وغرب الصين،والجزء الجنوبى من الاتحاد السوفيتى الان (سجستان وتركستان فى الماضى)•

وثمة رأى يقول ان هذا الزحف الاسلامى الذى انطلق من افغانستان منذ القرنين السابع والثامن الميلاديين ، كان سببا فى قدوم طلائع الاستعمار الغربى الى اسيا • وهذا الرأى يتبناه بقوة ـ مع مؤرخين اخرين ـ الكاتب السياسى الهندى ك•م• بانيكار ، فى كتابه «اسيا والنفوذ الغربى » • اذ يصف هذه الطلائع التى قدمت الى القارة فى القرن الخامس عشر بانها كانت بمثابة « حرب صليبية جردها الغرب لوقف المد الاسلامى الى اسيا » ، الذى انطلق من قلعته الحصينة فى خراسان • (لم يسقط المؤلف اسباب الغزوالاخرى، وفى مقدمتها طمع المغامرين الاوروبيين فى ثروات اسيا ، من الشاى والبن الى التوابل والحرير) •

ويقول بانيكار « ان هذا هو ما يفسر اهتمام البابا برحلة فاسكودىجاما الى اسيا عام ١٤٩٨، وارساله بعض رجال التبشير معه ، واسباغه على هذا الاتفاق البرتغالى بركات الكنيسة ودعوات القسس » •

وبسبب من ظروف الطبيعة فى افغانستان ، وطباع الافغان انفسهم ، الموروثة والمكتسبة وهى ظروف توافقت معها توازنات القوى الكبرى على مر العصور ، بسبب من هذا كله،بقيت افغانستان بلدا لم يستعمر فى تاريخه ، وان كان قد رأى الوجه القبيح للاستعمار فى بعض صفحات هذا التاريخ •

وعندما صار العالم الاسلامى كله بعد الحرب العالمية الثانية تحت سيطرة ونفوذ الاستعمار الغربى ، شذت عن القاعدة بلدان فقط هما : المملكة السعودية وافغانستان •

بل ان المرة الوحيدة التى افنى فيها جيش لبريطانيا من جانب دولةصغرى،والامبراطورية فى اوج جبروتها وهيلمانها (القرن التاسع عشر) ، هذه «الواقعة » حدثت فى افغانستان ، وعلىأيدى فرسانها البواسل والاشداء !

مقبرة الغــزاة

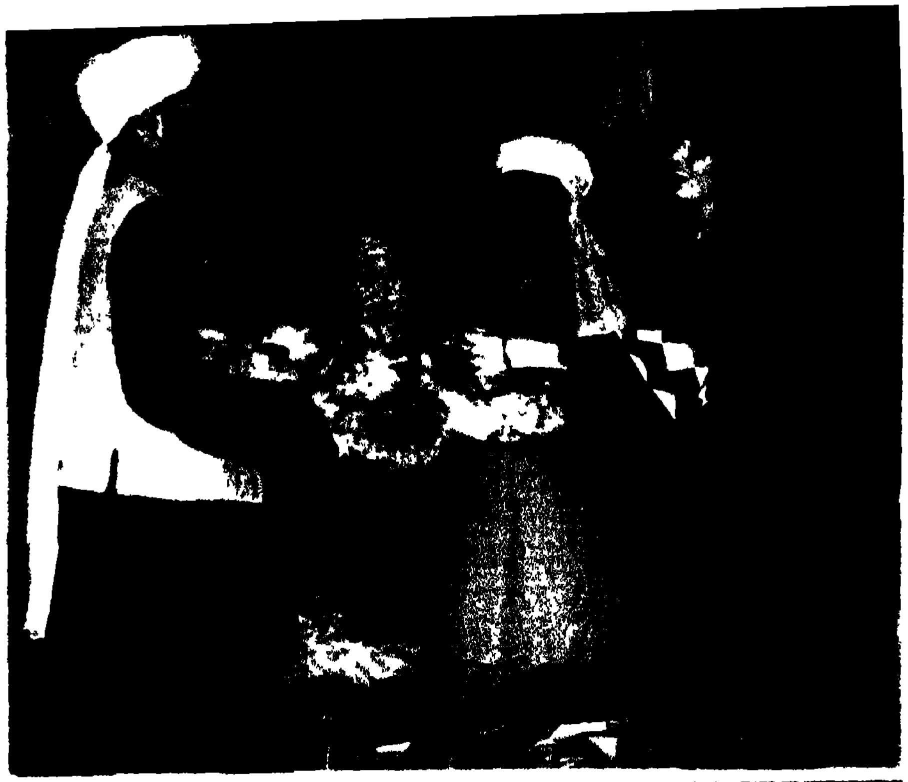
كابول جورج ، او مضيق كابول •• هو اسم المسرح الذىشهد «تراجيديا» جيش الامبراطورية ويبدو ان هذا الاسم محفور فى الذاكرة الانجليزية بحروف من دم • لاننى قرأت كتابا لرحالة انجليزى هو اندروويلسون، يسجل فيه انطباعاته ومشاهداته فى افغانستان.ولمينس ان يشير الى انه قرأ وهو طفل قصة ابادة الجيش البريطانى فى الصحف الانجليزية ، ولا يزال يذكر اسم الطبيب الضابط « برايدون » ، وهو الوحيد الذى نجا واستطاع الهرب الى بلدة «جلال اباد» ويحمل نبأ الفجيعة الى الحامية الانجليزية القائمة فيها •

وقعت الواقعة فى عام ١٨٤٢ ، ولا يزال الكاتب الانجليزى يذكر تفاصيلها ـ او هكذا قال على الاقل ـ وهو يعد كتابه فى ثلاثينات هذا القرن !

وكما يفعل البعض ، يبدأون زياراتهم للبلدان الاخرى بالذهاب الى قبر الجندى المجهول ، فربما ان نفعل نحن نفس الشىء •• أن نذهب الى حيث الجيش البريطانى المقتول !

وهكذا ، كان هدفنا فى يومنا الاول هو كابول جورج ••

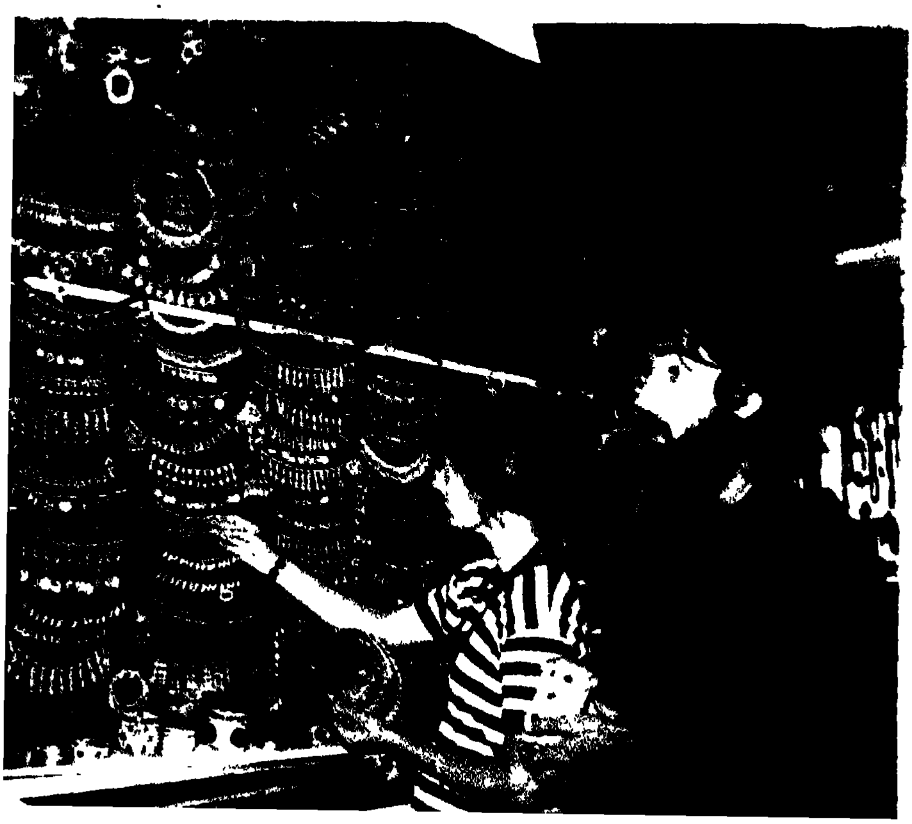
خيل الينا فى لحظة اننا صاعدون الى السماء• فلا تكاد السيارة تبلغ قمة جبل حتى تفاجأ بأن السائق» حميد الدين «قد استدار صاعدا الى قمة اخرى ، بمنتهى البرود ، كأنه صعد الدرج فى بيته • والطريق ضيق ، من ذلك الطراز الذى نراه فى الافلام الامريكية • ذلك الشريط المخيف الذى تلمحه على حافة جبل شاهق ، ويسقط قلبك بين قدميك عندما تتصور تلك السيارة المنطلقة على الحافة ، وقد هوت بركابها فوق صخورالوادى السحيق • ويظل المخرج يتلاعب باعصابك ،فتنحرف السيارة تارة ، ويعترضها حيوان شارد تارةاخرى، ثم تكاد تصطدم بشاحنة قادمة فى الاتجاه المعاكس•• وهكذا •



الجلود والفرو من تركستان
وهى من اكثر السلع رواجـ
بين السياح •
فى الشوارع يعرض ابنا
الشمال بضاعتهم الشهيرة
السجاد الفاخر و « الكليم
الشعبى •







البوزكاشى ، رياضتهم الشهيرة ، التى تشبه البولو عند الامريكان.. وهى فى حقيقتها قتال عنيف وشاق الحلى التى تصنعها نساء نورستان والتركمان ، تبهر الاجانب لرقتها وطابعها العتيق .

لكننا لم نكن متفرجين على المشهد ، بل كنا ابطالا له رغم أنوفنا . أو بتعبير أدق . كنا ضحاياه ! وهذا الذى يتفنن فيه المخرج ليدغدغ أعصاب المشاهدين . ساقه الينا العدر حدثا بعد الاحر ، وعشناه ـ أى متناه ! ـ لحظه بلحظة ٠٠ وتلك قصه أخرى على كل حال . من ذلك النوع المضحك المبكى !

وكانت العصة مسجلة فى كل كتاب يتحدث عن افغانستان او يروى تاريخ الاستعمار فى اسيا ٠ وتبدأ بخلاف بين شميمين على الملك ، احدهما « شجاع الملك » الذى فر الى البنند للاحتماء بالانجليز . والثانى « دوست محمد خان » الذى اسروى على السلطه وتحالف مع الروس ٠ ليواجه المخطر الذى قد تتهدده من أخيه ٠ وكان ذلك كافيا لخروج حمله انجليزيه من الهند الى افغانستان (عام ١٨٣٩) ، وووجهت برفض الاهالى وثورتهم، وادت الى قتل المعتمد البريطانى فى كابول ، وبعد ثلاث سنوات حافله بالمتاعب ، لم يجد الانجليزمفرا من الانسحاب وسط صقيع الشتاء ، وكان عددهم بين ١٦ و ١٧ ألف شخص ، بينهم ٤٥٠٠ مقاتل علىما تقول الروايات.والباقون من المدنيين ،الانجليز والهنود ٠ خرج الموكب من كابول ، ليفاجا بكمين منصوب له عند المضيق ، واستطاع الافغان أن يبيدوا الركب عن آخره ، حتى استحق المضيق عن جدارة وصف « مقبرة العزاء » ٠ (كلفت هذه العمليه شعب افغانستان الكثير ، اذ دمرت كابول العاصمه على من فيها تقريبا) ٠

لكن هذا الصراع على النفوذ (الروسى البريطانى) هو الذى أشعل حربا ثانية بعد ذلك بسنوات قليلة (عام ١٨٧٨) فى افغانستان ضد بريطانيا ، كبدتها خسائر فادحه،وانتهت بانتصار للانجليز لم يهنأوا به ، بسبب ثورات الافغان التى لم تتوقف ، حتى اضطروا الى اعلان استقلال افغانستان عام ١٩٢١ ٠

ومنذ ذلك التاريخ توقفت الغارات الخارجية على افغانستان ، لكن التصفيات الداخلية ظلت مستمرة ٠

وظلت موقعةمضيقكابول رمزا لانتصارالافغانى، الذى خاضها راكبا الجبل !

التمطنا انفاسنا ، ووقفنا فوق قمة الجبل نطل على الوادى البعيد ، ولم نكن بحاجة الى منيشرح لنا كيف توفرت للمكان كل المقومات التى تهيئه ليكون مسرحا لمذبحة !

استرجعت وقفتنا فى العام الماضى على مشارف « خندق الدم » الذى دفن فيه الاف من مسلمى جبال « البترات » فى الاندلس ، بعدما سقطت غرناطه ، وثاروا على قرارات تنصيرهم التى اصدرتها الحكومةالاسبانيه فى بدايةالقرنالسادس عشر . فحصدتهم المدافع والقيت جثثهم فى واد عميق ، لا يزال يحمل اسم « خندق الدم » حتى الان فى مناطق البترات ٠

تحركت فى مشاعر القبيلة ، وقلت : واحدة بواحده !

وعدنا الى كابول ، واجهةافغانستانالزجاجية٠٠

كابول « قرية الاعاجم »

واذا كانت العاصمة فى البلاد النامية تكتسب خطورة مستمدة من تواجد السلطة بها ، حيث السلطه هى كل شىء وان قالت غير ذلك تواضعا، فانها فىافغانستان اشد خطوره٠٠لان حضور السلطة فى كابول ليس الا احد عناصر أهميتها ، بينما الاهم من ذلك انها تعكس الواقع الافغانى كله ، السياسى والاقتصادى والاجتماعى ٠ وكما أن زياره اى « متحف » تنقلك الى عوالم عديدة عبر القرون ، بينما أنت تتسكع متثائبا بين أركانقاعة او اثنتين ، فان زيارة كابول تعطى نفس الانطباع هى « متحف حى » اذا صح التعبير ٠ والجوله فى شوارعها لا تعرفك بالعاصمه فقط ، ولكنها تنقلك ـ ايضا ـ الى كل بقعة فى ارجاء افغانستان ، من اقصاها الى اقصاها ٠

والواقع أن كابول«الموضع» ، أى المكان ، قديم قدم بلاد الافغان ذاتها ٠ ويقال أن « افغان » هو حفيد بنيامينبنيعقوب عليه السلام ،الذى سافر مع ابنائه الاربعين عندما حلت الكارثة ببنى اسرائيل، واتجه الى هذه المنطقة الواقعة شرقى بلاد فارس ، واقاموا فيها ٠

وعندما زارها ابن بطوطة فى القرن الرابع عشر الميلادى . كتب يقول : ثم سافرنا الى كابل ٠ وكانت فيما سلف مدينة عظيمة ، وبها الان قرية يسكنها طائفة من الاعاجم يقال لها الافغان ، ولهم

جبال وشعاب . وشوكة قوية ، واكثرهم قطاع الطريق !

اما كابول « الموضع » ، الخصائص والدور ، اى الفيمه غير المنظورة ، والتقسيم للدكتور جمال حمدان ـ فهى حديثه العهد نسبيا ، وهى مرتبطة بمولد افغانستان الدولة في القرن الثامن عشر • قبل ذلك لم تكن الخريطه السياسيه لوسط اسيا تعرف دوله بهذا الاسم ، كانت هناك مقاطعات وممالك متناثرة وقبائل راحله وراء العشب والمطر• وكانت الممالك القائمه وقتذاك هي خراسان وسجستان وتركستان . والهند •

وقبل دخول الاسلام كانت هناك الهندوكية ثم البوذيه. ويقال انهما ظهرتا لاول مرة في هذه المناطق ثم زحفتا الى بقيه دول اسيا • وحتى بعد الاسلام، لم تقم الدوله الواحدة . بل قامت دول عديدة تعتمد على العصبيات والاسس العرقية ، وانفرط عقد خراسان وسجستان وتركستان ، وعرف تاريخ المنطقه سجلا طويلا من الدويلات الصغيرة ، الطاهرية والصفاريه والسامانيه والغزنويه ، والسلاجقه ، والخوارزميه ، والمغول والاوزبك •• الى اخر القائمة •

وكلما ازداد التدهور في بناء الدوله الاسلاميه، تصاعد دور العصبيات . وازداد توالد الدول والدويلات واطلت الصراعات والنزاعات بوجهها الكريه •

وقد لعب « الجبل » دورا محسوسا في هذه التقلبات السياسية • اذ كانت الطبيعة الجغرافية ممثلة في الجبال الشاهقة هي الجدران التي قسمت بها القبائل «البيت الكبير» ، واحتمت بها لتنمي بذور العصبية . وتقيم من تلك العصبيات «دولا» هزيلة •

اى ان تضاريس المنطقة كانت بمثابة الحدود السياسية لتلك الدول والممالك الصغيرة•وبذلك صنعت جغرافية المكان خريطة جغرافية الزمان ايضا !

« موزاييك » أفغانستان

ترقد كابول تحت اقدام جبل سليمان ، الذى تقول الاسطورة ان سيدنا سليمان عليه السلام صعد فوقه والقى نظره الى الهند ، لم رجع ولم يدخلها . فسمى الجبل باسمه !

يقف الجبل حارسا للمدينة ومحتضنا لها ، ولا تختفى الثلوج من فوق قممه البعيدة ، وتظل طوال العام تمد يدها لنصف المليون من البشر الذين يسكنون العاصمة • اذ تنساب المياه من الجبل ، حتى تصل الى مداخل المدينة ، وتنتظم فى قنوات رفيعه موزعه على ابرز الشوارع ، ومنها يغتسلون ويتوضاون •

ونهر كابول بجسوره الستة يروى قصة المدينه القديمة، وعلى جوانبه تمتد محلات السجاد والباعه ينشرون بضاعتهم فوق الارصفة ، وقد استندوا بظهورهم الى جدران البيوت ذات الطراز العتيق ، بينما المدينه الجديدة لا ترى النهر ولا تتعامل معه ، فهى طرف اخر . ولها طراز اخر ، وعالم مختلف نسبيا •

ولانها تعكس الواقع الافغانى ، فثمة مناطق فى كابول تنتمى الى القرن العشرين ، واخرى تتراجع قرونا الى الوراء ، واذا ذهبت الى حى «الاصمعى» الذى تطل بيوته المبنية من الطين من فوق سفوح جبل سليمان ، فانك ستنتقل تلقائيا الى قلب القرن التاسع عشر •

بعض البيوت اقرب الى الكهوف،صغيرة وضيقة وبغير اثاث • بل ان اكثر بيوت فقراء الافغان لا تعرف الاثاث ، والسجاد هو كل متاعهم •وعندما صنعت قبائل نورستان المقاعد الخشبية ، اعتبر ذلك حدثا هاما ومثيرا • اما متوسطو الحال فاثاثهم هو السرير المصنوع من جذوع الشجر والحبال ، وهو ما يطلقون عليه «جاربائى» •

ومنظر «السقاء» مالوف فى العاصمة • اذ هناك بيوت لا تدخلها المياه ولا الكهرباء • ولضيق طرقاتها فان البشر وحدهم هم الذين يدخلونها بالكاد •

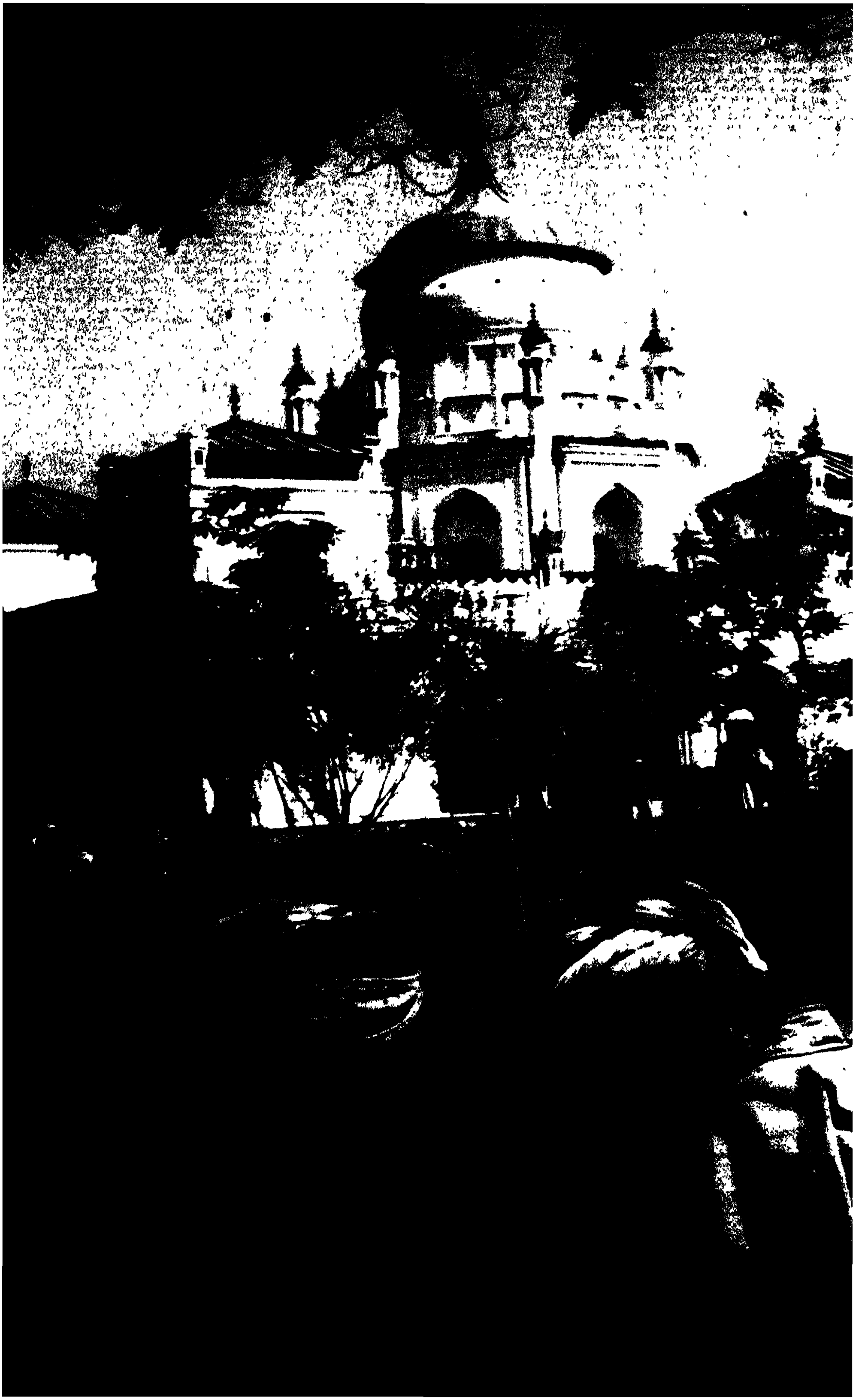
وكما فى تصميم مدننا الشرقية . لكل حرفة سوق •• النجارون والحدادون والصفارون(باعة النحاس) واللحامون والخبازون والصباغون والعطارون ••• وهكذا •

وللسياح سوق بل أسواق فى قلب المدينة مخصصة لهم • حتى «شارع الدواجن»الذى كان سوقا للحضراوات والطيور انقلب الى سوق كبيرة للسياح، ولا يزال محتفظا باسمه القديم • اذ ينصب هناك انتاج كل القبائل والمقاطعات الافغانية • السجاد



المصلون فى مسجد بلوخشتى اكبر مساجد كابـول(فوق) ، وأبناء الاوزبك بعمائمهم الـــكبيرة
وثيابهم المخططة الزاهية الالوان ، يطوفون بشوارع كابول (تحت) •
وضريح الامير عبد الرحمن الذى بنى فى القرن الماضى ، ويبدو فيه تزاوج المعمار الهندى بالعربى،
وهو من ابرز معالم العاصمة •







تمثال بوذا فـــي باميان ..

الذى صنعته ايدى بنات التركمان ومروى، والجلود والفرو والعقيق من مناطق الطاجيك ، الصدارى المطرزه من غازنى . الحلى والاساور الفضيـة من بلاد التركمان ونورستان ، البنادق والمسدسات المشغوله بالعاج من مناطق الهزارة ..

« تشكيل » البشر فى الشوارع يرسم لوحـة تعبر عن طابع «الموازييك» الذى يميز افغانستان. الأجناس المتعددة المختلفة المشارب والاشكال، والتى تتداخل كلها فى نسيج واحد .

فهولاء هم أبناء الطاجيك والباشتون بمصابهم الطويد- والبنطلونات المصاصة، والعمائم الكبيرة التى يبلغ طول قماشها ٤ امتار فى المتوسط ، تلتف كلها حول الرأس ، ويتدلى منها نصف متر فقط على الصدر .

وهؤلاء هم التركمان والأوزبك باحذيتهم العالية وثيابهم المخططه ذات الالوان الزاهية ، والى جانب هؤلاء، وهولاء تلمح نساء الافغان اللاتى يرتديـن « الشودرى » ، ذلك الرداء الملون الذى يغطى الجسم كله . من قمة الرأس الى اخمص القدم ، وتتخلله ثقوب صغيرة أمام العينين فقط .

وبقدر اختلاف الثياب تختلف الوجوه والاجسام، الافغان بقاماتهم المديدة ولحاهم السوداء الكثة ، والمغول والتركمان بعيونهم الضيقة ، وأنـوف الاول مفلطحة وأجسامهم تميل الى القصر ، بينما أنوف التركمان صغيرة ودقيقة ويميلون الـــى النحافة . وذوو الاصول الفارسية بعيونهم الواسعة ووجوههم المستديرة وسـكان هندوكش الآريـون ببشرتهم ذات اللون الاشقر ، التى يصعب اكتشاف طابعها الآسيوى .

وهؤلاء لا يتكلمون لغة واحدة لان لغات أفغانستان يصل عددها الى ٢٠ لغة محلية تقريبا، وان كان «المعتمد» لغتين فقط « الباشتو » التى هى خليط من الاردية والانجليزيـة والعربيـة ، و « الدارى » وهـى خليط من الفارسية والعربية والصحف تصـدر باللغتين ، ونشرات الاذاعة تقرأ بهما . الخبـر الواحد يقدمه مذيع الباشتو ، يتلوه على الفور مذيع لغة الدارى .

كل تلك الاشكال والالوان والاجناس تمر امام عينيك فى شوارع كابول ، حتى لا تكاد تصدق انهم ينتمون الى بلد واحد ، ويحملون جنسية واحدة.



ى الصخر بارتفاع٥٥ مترا ..

وراء الغيبوبة الارخص

على ان ماسير الانتباه فعلا فى سوارع كابول• هو جماعات «الهيبز» التى تبدو وكانها قوافل بغير نهاية ، موزعه حلقاتها على مختلف الارصفـــة والسوارع والازقة •

سألت مرافقى ، فضحك وقال : ليسوا سياحا ولا فضوليين.ولكنهم – همس فى اذنى بالانجليزية – مخدرون !

ولم استطع ان افهم القصه الا بعد سوال خمسه اسعاص على الاقل.لان كل واحد منهم كان يروى مقطعا ، ثم يلتزم الصمت •

واعترف اننى كنت أجهل ان اسعار المخدرات فى هذه المنطقة من اسيا مغرية الى حد كبير •وان بعض جماعات الهيبز يجذبهم هذا الاغراء..فيجيئون من اوروبا فى سيارات عبر تركيا وايران.ليقيموا فى فنادق شديدة الرخص بكابول •

اجر الحجرة فيها يصل احيانا الى دولار واحد فى الليله •

يستمتعون برؤية هذا البلد البكر . ويتنذذون طوال الوقت بالمخدر ، الحشيش الاخضر الذى يعرف باسم «ناسوار» ثم يعودون ! وقد قال لى العارفون فى جلال أباد أن «الحشيش»هنا أرخص فى سعره من كابول ، الأمر الذى يدفع هذه القوافل الشاردة الى النزوح فى اتجاه جلال أباد ، سعيا وراء الغيبوبة الأرخص !

ويقول العارفون أيضا أن الحديث عن افغانستان من خلال حزام الاحواض الهضبية الذى يربطها بغيرها ،يعبر عن جزء من الحقيقه فقط•ذلك ان هناك حزاما آخر غير مشروع لمزارع الحشيش يمتد من تركيا الى ايران وافغانستان والتبت • وأن حرب الافيون التى شنتها بريطانيا ضد الصين فى القرن الماضى ، اتخذت من هضاب افغانستان ركيزة لها، كانت تنطلق منها وحدات شركة الهند الشرقية (الانجليزية) • حاملة المخدر الى الصين !

عدت اسأل مرافقى أليس غريبا أن تتواجد تجارة المخدرات فى مجتمع شديد التدين والمحافظة ؟

فكان رده ان التجارة موجودة فى بعض المـــدن فقط وهى التى يطرقها السياح • ومع ذلك فهناك من يبررها ، بقوله ان الغرب صدر الى افغانستان فى الماضى شرورا كثيرة ، فلماذا لا نرد له بعض ما فعله فينا ، والبادى اظلم !

اردنا الخروج من كابول فواجهتنا مشكلة • اذ لا بد من تصريح واذن مسبق.واذا كانت«عربستان» هى جواز المرور الذى استخدمناه فى تعاملنا مع الناس ، فان السلطة لا تفـــرق بـــين عربستـــان و « كافرستان » • ومعذرة لاستخدام الكلمة فقد صكها اهالى افغانستان عبر العصور•ذلك ان العرب عندهم مسلمون كما قلنا . وغير المسلمين كفار • وهو تطبيق محرف لفكرة معرفه ، تبناها بعض الفقهاء . فى الماضى اذ قسموا العالم الى دار الاسلام ودار الحرب . التى هى فى رأيهم دار الكفر . وكان اول تطبيق لهذه الفكرة فى افغانستان ذاتها . اذ عرفت على حدودها الشرقية مجموعة من القبائل البدوية ذكرت فى كل كتب الجغرافيين القدامى بأنها «كافرستان» . لكنها دخلت الاسلام على يد الامير عبدالرحمن فى اخر القرن الماضى (١٨٩٥) ، فصار اسمها – ولا يزال نورستان!

اجتزنا المشكلة وركبنا « الصعب » الى قندهار، تكررت بعض مشاهد مسلسل الرعب اللعين الذى شهدناه فى الطريق الى مضيق كابول – مع اضافة





عروس افغانية ،بثياب
الزفاف الخضراء،والحناء
تخضب اليد اليمنى ،
والزوج تراه فى المرآة،
حيث يتلون معا بعض
آيات القرآن الكريم •

نموذج للصدارى التىتصنعها نساء بلدة غاونى
ويتجملن بها ••

افغانستان بين جيلين ••من الشودرى الى الجينز !





بعض المقاطع التاريخية . اذ كانت صور الطريق تعود بنا بين الحين والاخر الى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر • البيوت المبنية من الطين ، والملاح القديمة وسط الصحراء . والناس الذين يفزعهم بوق السيارة . ويتفرسون بفضول في عيون ركابها بينما الغبار يكسو وجوههم . ولعا الرجال طويلة وكثة . وايديهم خشنة مليئة بالشقوق . وارجلهم لم يعد يؤثر فيها الحصى كانهم خارجون لتوهم من بطن التاريخ !

وتكاد تشم من بعد رائحة الاتربة التي خلفها موكب السلطان . كانه مر في لحظات تتبعه الخاتون ـ زوجته ـ والغزاون • وتفرط احساساً بالتاريخ . تكاد تسمع صوت حوافر الخيول المطهمة . وقعقعة سيوف الجنود . وتصيح المنادي معلن قدوم السلطان اعزه الله •

في الطريق الى قندهار مدينة احتلت موقعا بارزا في تاريخ شبه القارة الهندية.هي «غازني»• وقد جار عليها الزمان فبعد ان ارتبط اسمها بالفتوحات والبطولات . صارت الان سوقا كبيرة يستمتع السياح بالطواف بين ارجائها الضيقة وتأمل وجوه البشر واسعار ما تحتويه من الثياب المشغولة بالالوان الزاهية •

كثيرون كانوا من غزنة وسلطانها الشهير محمود الغزنوي . لكن الامير شكيب ارسلان كان اكرمهم احتفالا بها . ود كتب يقول في حاضر العالم الاسلامي . ومن تلك الجبال انحدر ذلك المجاهد الكبير اسكندر الاسلام . وجاس المعارف في عصره السلطان محمود . [illegible] التركي الغزنوي . في اوائل القرن الحادي عشر للميلاد .

[illegible]

وبسط فيها جيوش السلطان [illegible] الفتح الذي [illegible]

[illegible] وبعد [illegible] .

قندهار . المجد الغابر

[illegible] غازني عندما [illegible] افغانستان [illegible] تركز

الضوء على كابول . وبقيت قندهار في الظل ، قانعة بلقب العاصمة الثانية •

ومع ذلك . لا تزال بعض اثار المجد الغابر باقية . فالمدينة تنافس كابول في جمالها شكلا وموضوعا • العمارة القديمة تشي بماض عريق ، تبدو بصماته اكثر وضوحا في طراز المساجد وقصور اسرة الدوراني • واسواقها عامرة بالبضائع والمشترين ـ واغلبهم من السياح • بينما اكثر التجار من الهنود •

الان هي مقر المؤسسات الغربية التي تنفذ مشروعات الطرق والكهرباء في الجزء الجنوبي من افغانستان . عدا ان قممها التاريخية تجذب الكثيرين اليها •

ذلك ان مؤسسها الحقيقي هو الاسكندر الاكبر ، الذي جاء بجحافله في القرن الرابع قبل الميلاد ، حيث استمر حكم اليونان قرنين من الزمان . وكما بنى اسكندرية مصر والبحر المتوسط . اراد ان يخلد اسمه في وسط اسيا . وبنى اسكندرية « اراخوسيا » . كما كانت تسمى قبل الميلاد ، وحملت فيما بعد اسم قندهار •

ولا يثير هذه الصفحة اهتمام الافغانيين . لان الذي يستأثر باهتمامهم هو ذلك « المزار » الذي يقال انه يحتوي على عباءة النبي محمد عليه الصلاة والسلام • وهم يفرقون بين المكان وفيه العباءة ، فيطلقون على الاثنين اسم « الخرقة الشريفة »•• والخرقة . هي الثياب القديمة عند بعض العرب •

وتقول الرواية ان الملك احمد خان هو الذي احضر العباءة الى عاصمة مملكه . [illegible] وتبركا • لكن احدا لم يتحقق من صحة هذه الرواية . التي [illegible] في انحاء [illegible] حول حقائقها [illegible] والاسطورة فيها .

لكن الذي حدث ان الملك احمد خان استطاع بعمله هذا ان يحتل مكانة رفيعة في قلوب الافغان ، عندما مات الرجل بنوا له ضريحا عظيما . جدرانه مغطاة بالغرف والفسيفساء وقبة محلاة بصفائح ذهب !

موعودون بالدمار

وطريق قندهار البري . يقود الى هراة ••

وكنمة يقود هده تعادل في الارقام ٦٠٠ كيلو متر . ويعني في برنامج الرحلة ان نعود الى ركوب العمل طوال يوم كامل ، من فجره الى غروبه • وهو استمرار لركوب الصعب ، مصحوب بحلقة جديدة من مسلسل الرعب الذي كتب علمنا ان نشارك في بطولته رغما عنا •• وهي مصادفة غير سعيدة بكل تاكيد . تلك التي حددت اغلب مسارنا قرب قمم جبال افغانستان العالية . وشدت ابصارنا دائما الى صخور السفوح بأفواهها المفتوحة !

ظللنا نحسد الرعاة الذين كانت بجمعات خيامهم المصنوعة من جلد الماعز تتناثر على مسارف الوديان، وتمنينا أن نجلس في المقاهي المزروعة على مسافات متباعدة من الطريق ، لكنا كنا أشد حرصا على الا نضيع دقائق تقربنا من هراة ، ونختم هده الحلقة من المسلسل بأسرع وقت ممكن•

وفي افغانستان كلها ، اذا سمعت صوت الموسيقى ينبعث من مكان ولا نتوقف ، فانت اما على مسارف هراة . او مقبل على جماعة من اهل هراة •• وقد كنا من الفريق الاول •

على البعد يرى القادم منارات ستا ، كانت تحيط بالجامع الكبير الذى بنته احدى ملكات هراة في القرن الرابع عشر ، الذى يعتبر العصر الذهبي للدولة التيمورية التي قامت آنذاك • وهو العصر الذى انجب اعظم الشعراء ، مولانا نور الدين جامع ، وأعظم الفنانين ، بهزاد •

في تلك المرحلة ، زار ابن بطوطة هراة ، ثم كتب يقول : ومدينة هراة كبيرة عظيمة ، كثيرة العمارة ولاهلها صلاح وعفاف وديانة ، وبلادهم طاهرة من الفساد •

لكن تاريخ هراة فيه أكثر واخطر مما قاله ابن بطوطة • فهده المدينة الناعمة الشهيرة بالموسيقى والسجاد ، ترقد على صفحات مثيرة من التاريخ ، بعضها غارق في الدم •• وبعضها غارق في الدمع، وأهلها نابض بالحياة !

فقد دمرها الاسكندر الاكبر ، وبناها من جديد ، ولا يزال أحد الحصون التي شيدت في عهده قائما الى الان في قلب المدينة ، يستظل به باعة الفاكهة والخضراوات الذين يفترشون الارض ، الدواب من القيظ !

ثم خربها السلجوقيون في حربهم مع وبعدهم – في القرن الثالث عشر – ج المغول غازية . وباشر الامارة فيها « ت جنكيز خان . ولكن الناس ثاروا عليه وما كان من جنكيز خان الا ان زحف وما رجل . ظلوا يدمرون ويذبحون في المدين اشهر – كما تقول كتب التاريخ – ح من اهلها سوى اربعين شخصا !

ثم دمرتهر اةفي مرة ثالثةعندما جاءها في القرن الرابع عشر . ولكن ابنـ عمرها . حتى شهدت – اخيرا – مرحلة والاستمرار !

استغرقنا التاريخ في هراة . وهي منذ في اكثر المناطق التي زرناها . اذ ان شواهد التاريخ لا يزال بعضها قائما ، ان صفحات التاريخ مليئة بعناصر الاد ان الواقع الافغاني بحد ذاته ، يكاد الماضي . باكثر من انتمائه الى الحاضر

ما العمل مثلا • عندما نمر في طر الى كابول ببلدة باميان،حيث نحت الرهبان باقتدار غريب مثالا لبوذا في جبال الصخر بحيث تمتد قامته الى ارتفاع ٥٥ مترا ، البوذية هي الديانة السائدة ، قبل قدا في القرن الثاني الهجري •

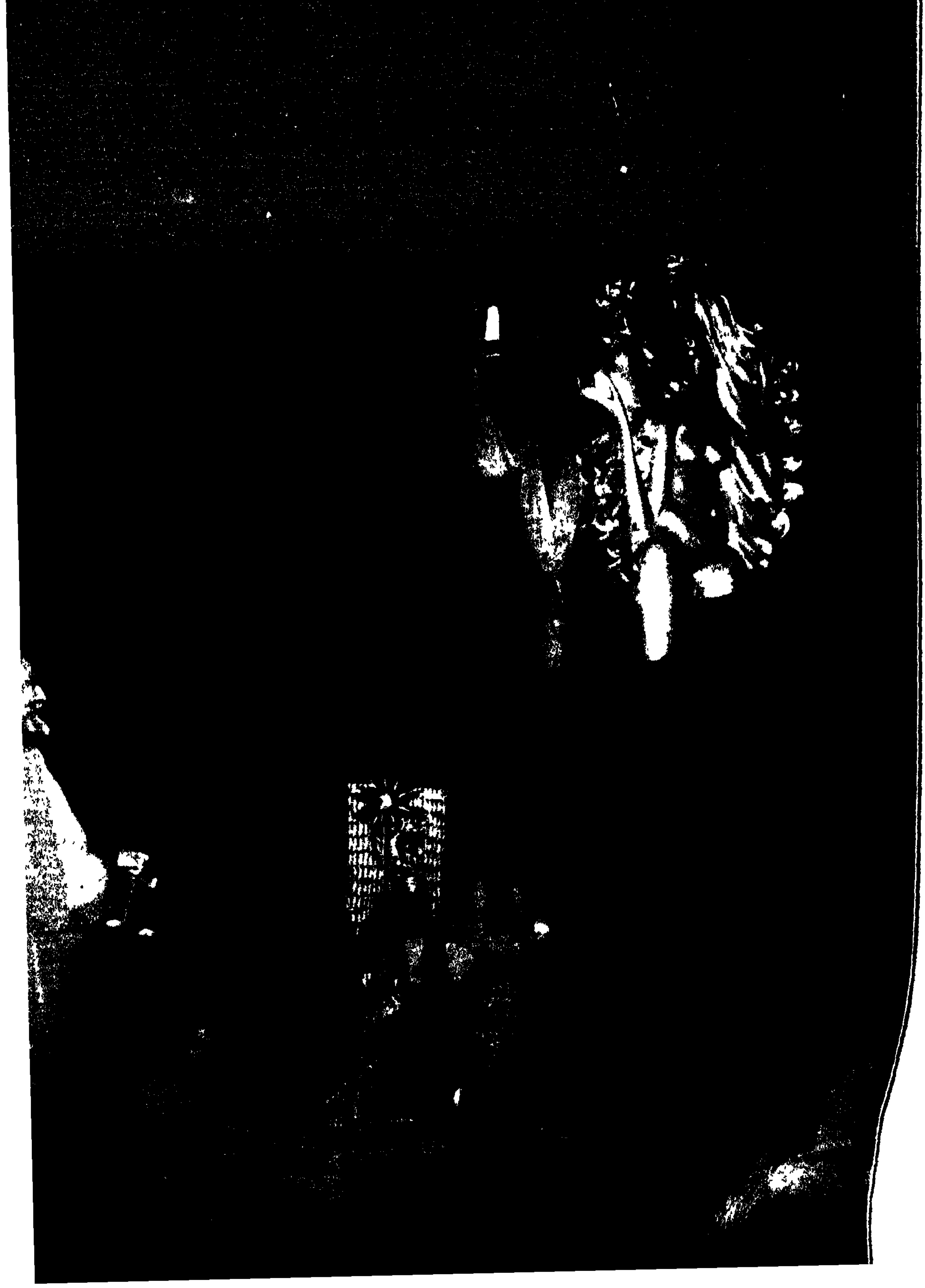
يخطف الابصار هذا التمثال الهائل تستطيع ان ترى تفاصيله عن قريب الا فوق سلالم خلفية تتلوى وراء ظهر ا تنقطع انفاسك ولا تبلغ الرأس • و التشوهات التي أحدثها بعض عامة المسلـ فقد كانوا يرون فيه « صنما » ينبغي تحـ

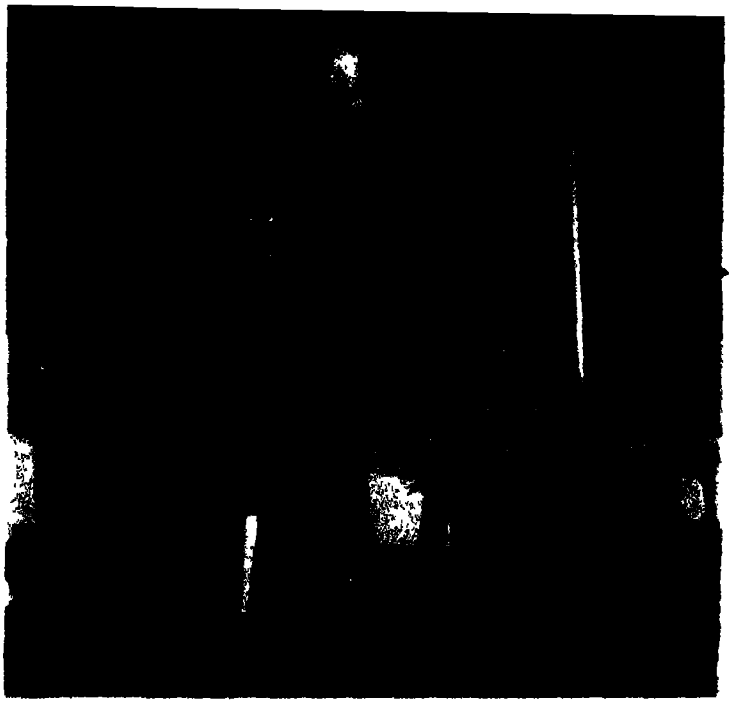
أمام تمثال بوذا ، لا بد ان تستذ الصفحة الوثنية في تاريخ افغانستان . و الرهبان الدين كانوا يعيشون تحت اقدا كانت هناك تماثيل أخرى آثارها باقية .

(البقية ص ١٤١)

نجحوا باقتدار ...

الجيل الجديد من فناني الكويت





الروجة تكتشف السر . .وجها [illegible] المدكور في [illegible] الى عالم السجون .

معطيات الملك ، لا يحد في فتنتهن ما يدا عنه السأم ويشميه من القسوة .



■ في مايو ويونيو من هذا العام،قدم طلبة البكالوريوس في المعهد العالي للفنون المسرحية بالكويتمسرحيتين عميقتين ، مركبتين ، في الشكل والمحتوى معا ، وهما : «القصة المزدوجة للدكتور بالمي»، كتبها الكاتب المسرحي الانساني انطونيو بوبروبابيغو ،وهو واحد من المع كتاب المسرح في اسبانيا • ولعل مسرحيته هذه ،انتكون أول عمل يقدم على اية خشبة عربية على الاطلاق •

اما المسرحية الثانية فهي للكاتب المسرحي المصرى صلاح عبد الصبور ، وهي أخر مسرحية فيسلسلة مسرحياته الشعرية التى بدأت بمسرحية : «مأساة الحلاج » وانتهت بالمسرحية الحالية :« عندما يموت الملك » •

* * *

تعالج المسرحية الاسبانية موضوعا وقد كان خطيرا دائما على مر العصور ، غير انه ازداد خطورة وفتكا في عصرنا الحديث ، الا وهو التعذيب السياسي ـ : الظاهرة التى اقلقتضمائر كثير من الاحرار وانصار الانسانية ، والتى وجدت الرمز القوى على الاحتجاج عليها حين قامت محكمة نورمبورج ، في اعقاب الحرب العالمية الثانية ، واخذت تحاكم متهميها لاقترافهم جريمة التعذيب الذى اعتبرته المحكمة جريمة في حق الانسانية كلها وليس في حق الافراد المعذبين وحسب •

وقصة المسرحية بسيطة ونفاذة في وقت واحد • فهذه السيدة ماري بارنيس ، وزوجها دانييل بارنيس ، وطفلها الرضيع دانييلتو ، وجدته من ناحية الاب ـ يعيش الاربعة عيشة هنية تحتسقف واحد •

ولعل اسعد شخصية في هؤلاء الاربعة هيالزوجة مارى ، فقد تعرفت الى زوجها دانييل وتزوجته بعد ان كانتت قد يئست من الحصول على الزوج• خطبها الرجل الذى تعرفت اليه قبله ، وخطبها الى نفسه ، قتل في الحرب فظلت المسكينة سنوات تعيش مع والدها وتعمل بالتدريس ، الى ان مات الاب ، فاصبحت وحيدة تماما في دنيا واسعة ، قاسية القلب ، لا ترحم •

وانجبت مارى من زوجها الطفل دانييل ، وظنت ان الدنيا ستبتسم لها على الدوام • غير ان هذا الامرلا يحدثلاحد ابدا،فلماذا يحدثلمارى ؟ كل الذى تعرفه مارى عن زوجها دانييل انه يعمل موظفا عاما ، وربما عرفت ايضا انه يعمل بالمخابرات • ولكنها لم تتحر المزيد • وهو من جانبه لم يخبرها بتفاصيل عمله •

ويحدث ان تتصل بالزوجة تلميذة قديمة لها اسمها لوثيلا ، وتطلب ان تزورها • فلما تاتى تقول للزوجة والدموع تجرى على خدها مدرارا ، ان زوجها ـ زوج لوثيلا ـ معتقل ، وانه يجرى الان تعذيبه في ادارة المخابرات • ولوثيلا ترجو لو استطاعت مارى ان تستخدم نفوذها لدى زوجها كي يكفوا عن تعذيب زوجها ، او يقدموه للمحاكمة كما هو حق كل من يقبض عليه متهما بجريمة ما •

ولا تصدق مارى ان المخابرات تعذب الناس • وتصف المتهمين المقبوض عليهم بانهم ارهابيون • ولكن الحقيقة الرهيبة تاخذ تطاردها • فتعلم من لوثيلا ان معاملة المخابرات للمتهمين لا تقتصر على الصفع ، أو الركل او التوتير الجسمى •بل هناك التيار الكهربائى ، ومحاولة الاغراق في البانيو ، المرة بعد المرة •

ولا تصدق مارى هذا ، فان في البلد قوانين ومحاكم ، ولو كان ما تقول لوثيلا صحيحا لعرفه كل الناس • فترد عليها لوثيلا : ان الناس لا يعرفون لان هناك من يحرصون على اخفاء انباء التعذيب ،وهناك من يتجاهلون هذه الاعمال ،وهناك من لا يريدون ان يعرفوا ، مثل الزوجة مارى !ثم تضيف : انرجال المخابرات لم يعذبوا زوجهاوحسب، بل لقد احضروها هي واعتدوا عليها امام زوجها!

وتزداد الحقيقة ظهورا امام مارى • تعرف من بعد ان التعذيب يتم فعلا وان ما قالته لوثيلا صحيح • ولكنها تطمئن شيئا ما ، حينما تعلم ان زوجها لم يقم بتعذيب زوج تلميذتها القديمة•

غير ان مارى لاتترك وشانها • يصلها كتاب من جهة ما عنوانه : « تاريخ موجز للتعذيب السياسى»

لمؤلف اجنبى يحوى كثيرا من الصور والوثائق : تاريخ كامل لدرجة البشاعة ! فتقروه الزوجة ، وتزداد اضطرابا وسخطا • ولكنها لاتزال تعزى نفسها بان زوجها لم يشترك ولا يمكن ان يشترك فى مثال هذه الجرائم • وترى مارى تسرد على زوجها محتويات الكتاب : بشاعة فى بشاعة ، وشر من اجل الشر • غير ان زوجها يقول لها فى هدوء قد كان التعذيب موجودا دائما ، واحيانا كان المجتمع باسره يشترك فيه • وترد الزوجة بان التعذيب – ايضا – قد وجد دائما من ادانه ، ومن حاول تفاديه جهد الطاقه ، مثلك يادانييل، فانت متواطىء على الرغم منك ، ومثلى انا ، متواطئة عن جهل • ولكن :عليك ان تنهى حالا علاقتك مع المخابرات ، وان تبحث عن طريقة اخرى لكسب العيش •

ويحاول دانييل بالفعل أن يتخلص من اسار وظيفه البشعة فيجد هذا أمرا عسيرا وخطيرا معا • يهدده رئيسه بان التخلى عن العمل هو تعاطف مع المتهمين • وان رجل البوليس ليس فوق الشبهات ابدا • بل هو دائما موضع رقابه مستمرة • (وبالفعل يوضع دانييل تحت المراقبة !)

وفى خلال الحوار بين دانييل ورئيسه ، يقول الرئيس : ان التعذيب كان موجودا فى العالم قبل ان تولد انت وانا • وانه من الطبيعى ان يوجد • فالعالم الذى نعيش فيه عالم همجى • والخيار فيه امام الفرد هو : اما ان يصبح جلادا ، أو ضحية• وقد اختار الرئيس أن يكون جلادا • ومع ذلك : هبنا اوقفنا التعذيب فهل ينتهى تعذيب السرطان لمرضاه ؟ هل تكف الناقلات الضخمة عن طحن من يعبرون الشوارع ؟ هل تمتنع الوحوش عن اصطياد الناس وأكلهم ؟

ويرد دانييل ، بان ثمة تقدما قد حدث فى حقل التعذيب ، فالناس اليوم يحتجون عليه ويحاربونه، ويفضحون المتسببين فيه • لهذا يجرى التعذيب الان وراء ابواب محكمة الاغلاق، ويتحدث عنه المسئولون بالصوت الخفيض •

ويفضح دانبيل ما يصيب من يقومون بالتعذيب، من بلايا • هو نفسه فقد قدرته الجنسية ، حين قام باعدام هذه القدرة لدى واحد من المعتقلين • وزملاؤه مابين ضحية للكوابيس ، يقوم صارخا منها فى عز الليل او مصابا بقرحة فى المعدة ، او حيوانا فقد ادميته تماما ، فاصبح كالوحش سواء بسواء !

غير أن دانييل يعجز عن الخروج من سجن المخابرات ، وتسوء حال زوجته العصبيه فتمرر أن ابنها منه هو ابنها هى فقط ، وانها لابد ان تحميه حتى لا يشب ويصبح جلادا آخر • ويجادلها الزوج ، مذكرا بحبها له ، وحبه لها ، ولكن الزوجة تفقد اعصابها تماما ، فتطلق النار على زوجها ،فيسقط جثه هامدة !

هذا هو الخط الرئيسى فى هذه المسرحية الانسانية المؤثرة • وقد اخرجها للمعهد المخرج العربى المرموق احمد عبد الحليم ، فاستطاع ان يحقق ما وعدنا به فى كراسة التقديم من تحقيق التواصل الذهنى والوجدانى مع الجمهور ، وتقديم عمل يقوم على الدرس والمعاناة بحيث يبدو وكانه شىء عفوى تلقائى •

اشترك من بين الممثلين : سوزان محمد على فى دور مارى ، ومريم الصالح فى دور الجدة – وهو دور صعب ، لان الكلام فيه قليل ، وأجاد حسن ابراهيم فى دور دانييل وسعد محمد فى دور بادلاس ، الرئيس • وكان الديكور جزءا عضويا فى المسرحيه ، فقد اعتمد على الشبكات السلكية ذات الاطارات المعدنية ، مما اعطى انطباعا قويا بجو الارهاب والسجون،واوحى بان جميع شخصيات المسرحيه هم سجناء : سواء فى هذا المسجونون ، أو المعتقلون أو السجانون !

وقد اختار المخرج الفنان سعد اردش نصا شعريا ، ليقدمه طلبته واحسست – لدى علمى بهذا الاختيار – بان سعدا ربما يكون قد حمل على طلبته عبئا ثقيلا • فمنذ سنوات ، كان ممثلو الكويت المحترفون يجدون صعوبة فى النطق بالفصحى، فما بال التلاميذ يطالبون بالتمثيل بالشعر ؟

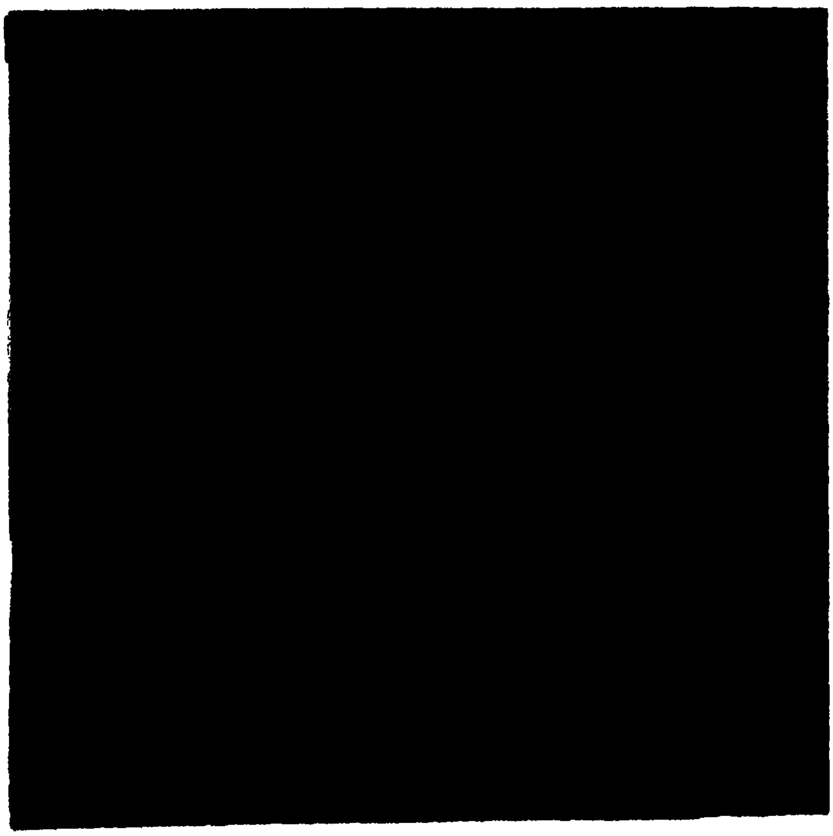
غير ان قدرات سعد اردش الواضحة على التدريب ، والتنقيب عن المواهب الكامنة ، قد بررت اختياره وزيادة •

ومسرحية : « عندما يموت الملك » تحكى عن ملك مستبد ، قاسى الفؤاد يعامل رعيته وبلاطه بمزاج من القسوة والتعالى والسخرية • وهو ملك مدلل ، متخم بالنعيم ، ولهذا لا يكاد شىء مما يعجبه ، ولا يفتا يشكو الضجر القاتل •

وحين تبدا المسرحية يكون الملك وسط رجالات دولته ، ومحظياته ، وشاعره الخاص • الـــكل



الـروح والزوجـة والام والحميد ، اقطاب اربعـة تدور من خلالها الاحداث الهامة فى المسرحية

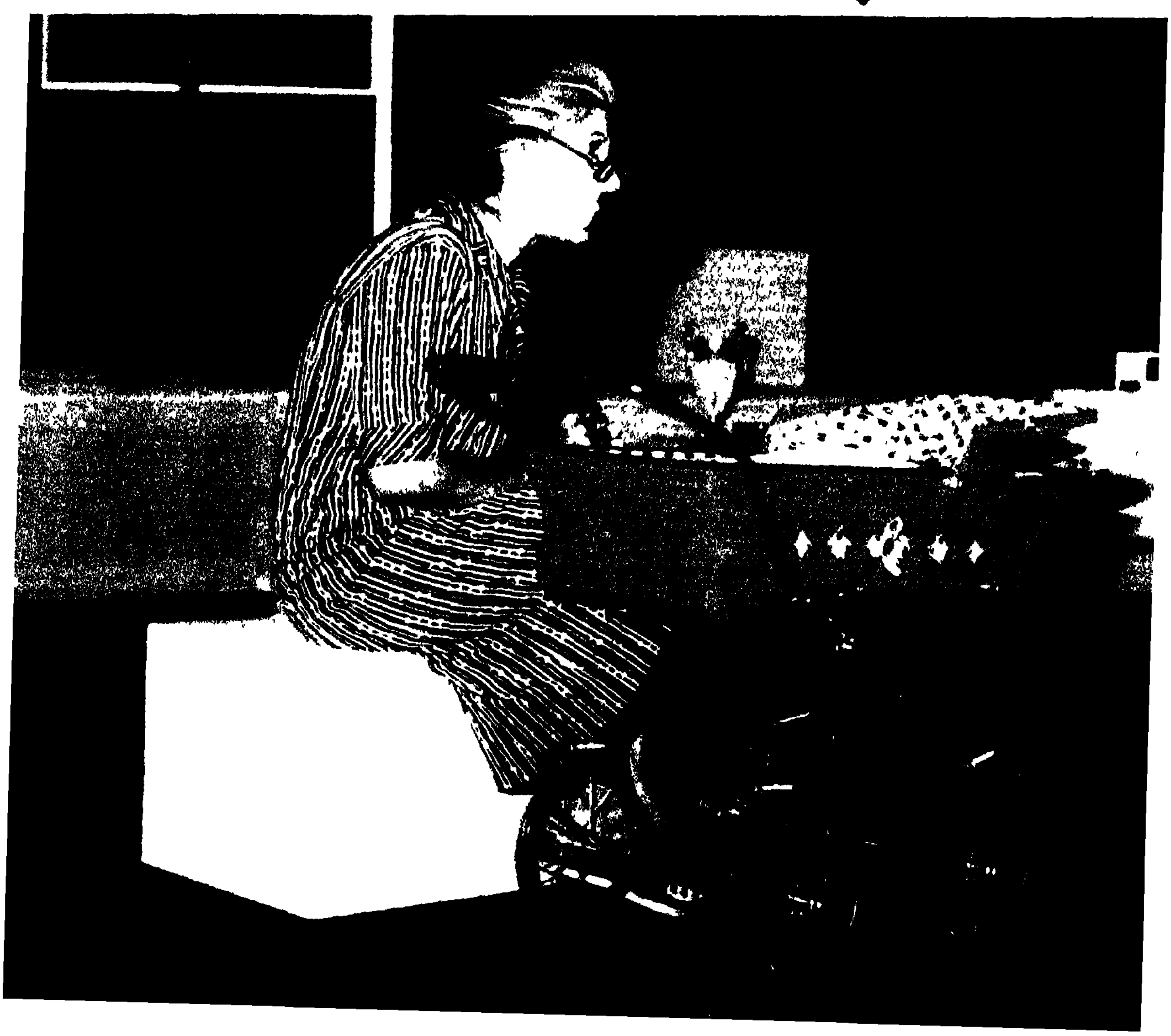


بعد ان يموت الملك تعرض الملكة نفسهـا على مـن يستطيع ان يولدها طفلا • يـرفض الجميـع ويقبـل الشاعر ٠٠ انه يحبها ، ولهذا سوف يتزوجهـا ، ويمنحها حبه الطفل الذى ترى فيه سعادتها •



فى مخدع الملكة ، **تنهار** سعادتها القائمة على الوهم ، وهم ان **الملكة** انجبت طفلا ظلت ترعاه فى الخيال .

الجدة تهدهد الطفل الذى رفضت الام ان يكبر فى ظل ابيه فيصبح جلادا اخر .



عبد له • رجالات الدوله لا ينطقون الا بما يحلو له • والشاعر قد باع روحه في سبيل لقمة ،ومكان ياوي اليه اذا جن الليل •

وبعد ان يهرأ الملك من معطياته . ويسخر من السخريه من عبوديه شاعره . وبعد ان يأمر بقتل الخياط الذي جاءه بمطعه نادره من المخمل ، ثم جرؤ على ان يعين بنفسه الثمن ، مطالبا بان يكون ذهبا ـ بعد ان يامر بقتل الخياط، ثم يستجيب لضراعاته . فيقرر تخفيف الحكم الى قطع اللسان، حتى لا يتكلم الخياط بعد هذا ابدا ـ بعد هذا كله ياوي الملك الى مخدع ملكته •

وفي المخدع نجد الملكه تهدهد طفلها . وتناغيه، وتصب في اذنيه الرقيقتين عذب الكلام • ويفعل الملك الشيء ذاته • ثم : فجاة، تهب الملكة من سريرها وتصرخ في وجه الملك قائله : تعلم ان طفلنا هذا وهمي . واننا عشنا على وهم وجوده سنين طويلة، فانا منذ الان لن اعيش هذا الوهم • اعطني طفلا • لن تعطيني انت اياه . فانك عاجز ،واذن، فامنعني من يملأ بطني . واني لاعدك بان لا انظر اليه في الاثناء او من بعد •

ويوافق الملك مرها . ويقول : سامنعك هذا ، ولكن سوف اقتل الرجل • وما ان ينتهي الملك من قوله حتى يسقط ميتا •

ومن بعد موت الملك . تصبح الملكة حرة ،وتاخذ تطالب رجال الحاشيه بان يملأ واحد منهم بطنها فيستنكروا : الواحد بعد الاخر،ولا يبقى الا الشاعر الذي يوافق بعد تردد •

ومن ثم تخرج الملكة والشاعر الى الخلاء • الى جوار النهر ، الذي راها كل من الملك والشاعر تستحم فيه ثم تخرج ناشرة شعرها : تمثالا حيا للجمال والفتنة • يقع الشاعر في اسره ، ويمد الملك يده ليستولي عليه • وهكذا يصبح كل من الملكة والشاعر عبدين من عبيد ذلك الطاغية •

كان هذا من سنوات ، اما الان ، فبعد ان مات الملك ، يتحرر الشاعر من اسره ، ويروح يبث الملكة نجواه ويعبر لها عن غرامه المتقد ـ الذي كان دائما مشبوب الاوار •

وتعلق الحاشية لغياب الملكة فترسل جلاد الملك ليعيدها الى القصر ، خاصة وان الملك الميت قد سمع وهو يقول في موته : اريد الملكة الى جواري غير ان الملكة ترفض ان تنصاع للامر ، وتحث الشاعر على ان يقاتل الجلاد القوى ، الحاد السيف • ويفعل الشاعر بعد تردد ، فيخرج ، ولكنه يصيب الجلاد في مقتل ، ليس بالسيف ، وانما بالقلم

وبهذا تنتهي المسرحية في واحدة من نهاياتها، ذلك ان صلاح عبدالصبور قد جعل للمسرحيه ثلاث نهايات هذه احداها •

ولا يعنينا شان النهايتين التاليتين ، فان الكاتب يتوسل بهما الى الحصول على ذلك التواصل بين الخشبه والقاعه الذي تطالب به بعض اشكال الدراما الحديثة ، الا وهي : دراما المشاركة • اي مشاركة الجمهور مع الممثلين في تقديم العرض •

كانت مريم صالح ممتازه في دور الملكه ، فقد ادته باقتدار ، وحملت العبء الشعري حملا جميلا ومقنعا • وامتاز ايضا : قحطان عبدالله القحطان في دور الملك وادى الباقون ادوارهم بكل ما فيهم من قدرات،وكان على راسهم احمد مساعد الجزاف في دور الشاعر • وادى سيار دهام الكواري دور الجلاد ، ومحمد احمد المسلماني دور القاضي ، وحسن ابراهيم حسن دور الوزير ، وجميعها ادوار نمطية ، ادوها على خير ما يمكن ان تؤدى هذه الادوار ، ذلك انها بطبيعها محدودة • ليس فيها ابعاد كبيرة للحركة • لاستثني من هؤلاء الا كنعان احمد بو عركي في دور الخياط ، فقد اضفى عليه حيوية كبيرة ، وساعده في هذا سابق عمله كممثل كوميدي معروف ، التحق بالمعهد لصقل موهبته وتجربته ، كما ساعده ايضا ان في الدور مفارقة كبرى بين الخياط الكثير الكلام والخياط المقطوع اللسان • وقد اوصل كنعان لنا الدورين كاملين•

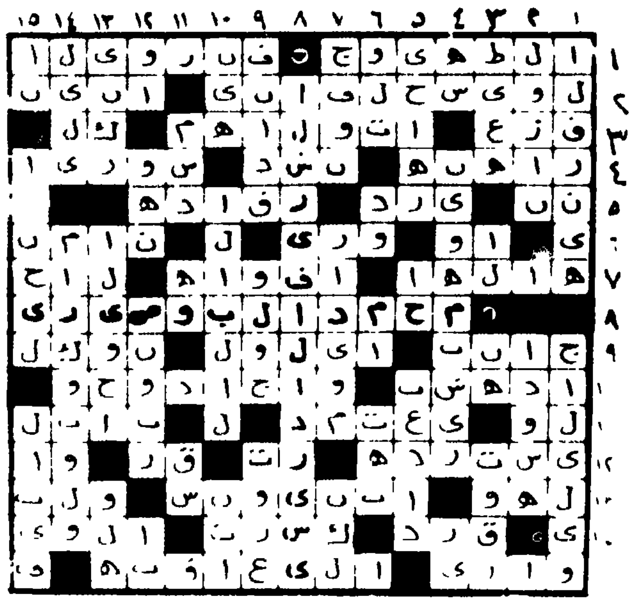
كان الديكور بسيطا ، وموحيا ، وملخصا عن طريق التمثال النصفي لجسد المراة الذي كان مدلا من اعلى طول الوقت،شاهدا على ان النضال يدور بين الجمال والقبح ـ جمال الجسد وجمال القول ـ وقبح الجسد وقبح الفعل •

وكلمة اخيرة:احسست وانا اشاهد المسرحيتين، واعلم ان ممثليها تتوزعهم اقطار متباينة فمنهم الى جوار الكويتي،القطري والبحريني والسعودي، ان فن التمثيل سوف ينطلق عن طريقهم الى بلادهم العربية الممتدة في منطقة الخليج •

وبهذا يؤدي المعهد العالي للتمثيل في الكويت دورا طليعيا ورائدا في هذه المنطقة الجميلة• ■■

الدكتور علي الراعي

● حل مسابقة العدد ٢٣٥ ●



محمّد البوصيري

●

الشريف الادريسي

اثنتان في واحدة :

(٨) أفقيا محمد البوصيرى ، **الامام محمد ابن سعيد البوصيرى ، ولد فى بوصير ، من أصل بربرى ، محدث وخطاط ماهر ، وهو صاحب قصيدة « البردة » ، التى سار على نهجها الكثير من الشعراء من بعده •**

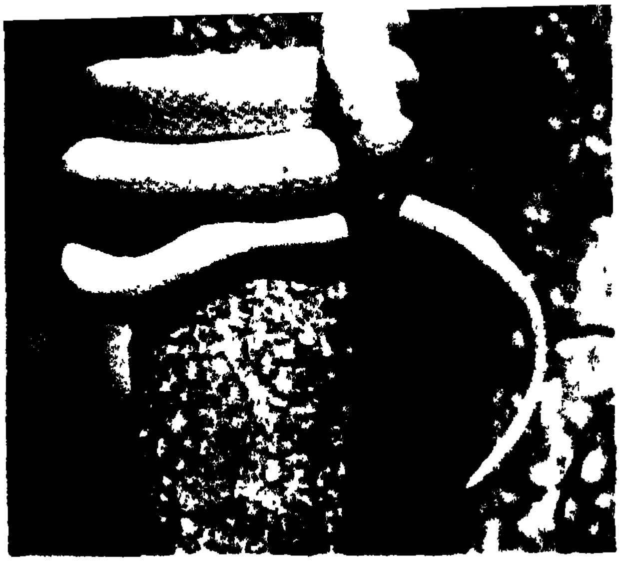
(٨) رأسيا الشريف الادريسى ، **ولد بمدينة سبتة المغربيـة ، وعاش فى القـرن السادس الهجرى ، استدعاه الملك النورماندى روجر الثانى الى صقلية ، ليكتب مرجعـه الجغرافى السامل « نزهة المشتاق » ، كما قام برسم خريطة العالم على كرة فضة كـ[illegible] •**

الفائزون بالجوائز

* الجائزة الاولى وقيمتها ٣ [illegible] دينارا فاز بها [illegible] ـ الكويت
* الجائزة الثانية وقيمتها ٢ [illegible] دينار فاز بها [illegible]
* الجائزة الثالثة وقيمتها ١ [illegible] دينار فاز بها ناصره يوسف ـ [illegible] ـ [illegible]

* جوائز مالية قيمتها [illegible] . دينارا كل منها خمسة [illegible] فاز [illegible]

١ ـ عبدالكريم محمد حمدى ـ [illegible] ٥ ـ عطيات سعد [illegible] محمد [illegible]
٢ ـ ولاء محمد [illegible] ـ العيسى ـ السادسة الكويت ٦ ـ نواف يوسف السمان [illegible]
٣ ـ على ابراهيم الخليل ـ الخرطوم ، السودان ٧ ـ محمد على محسن الظاهرى ـ [illegible]
٤ ـ محمد حسين العيمانى ـ [illegible] ـ سوريا ٨ ـ سليم مفتاح سليم ـ [illegible]

أعداء الشمس من الحيوان والبشر !

بقلم : دكتور عبد المحسن صالح

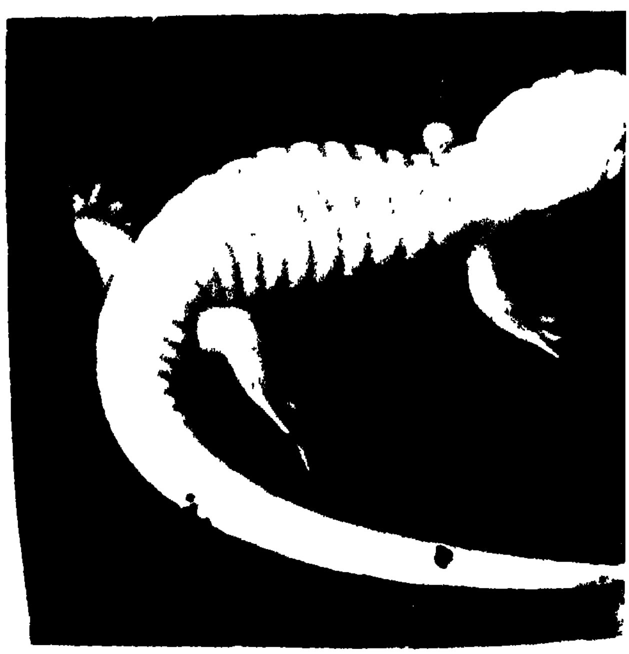






تسعةانواع من الحيوانات المختلفة التى جـــاءت مهقاء (اى بلون صبغة
تهطيها لون البشرة والعين والشعر التقليدى) ٠٠ فهناك غراب ابيض او
امهق، وجمل امهق، وقرد امهق ، وسلحفاة وسمكة وحية مهقاء الخ





● مسكين حقـا ذلك الغـراب .. فلقد حمل المأساة وجاء بها الى الحياة !

وانه لمن سربه الغربان لمنبوذ ومطرود ، اذ كلما اقترب منها ، واراد ان ينضم اليها ، طاردوه وضربوه ، وكانما هو قد جاء شيئا نكرا !

ان هذا الغراب ـ فى اعين الغربان الاخرى ـ قد يكون اى شيء آخر الا ان يكون غرابا ، رغم انه غراب ابن غراب !

لكن يبدو ان الغربان تطبق فى مجتمعاتها بدعة التمييز العنصرى التى ما زالتالبشرية تعانى منها حتى الان .. اذ ممنوع على الغراب الابيض ان يخاطب اسراب السود ، وهو شعار مناقض لشعار دعاة التمييز العنصرى بين البشر ، فشعار هؤلاء الناس : ممنوععلى السود او الملونين انيختلطوا بالبيض !

لكن .. ماذا يعنى ذلك بحق السماء ؟ .. وهل هناك تمييز عنصرى بين الغربان ؟ .. اى هلفيها الاسود والابيض ، ونحن نعرف ان الغربان جميعا قد جاءت بريش اسود ، وكانما هى قد لبست ثوب الحداد ، لدرجة ان الناس يتشاءمون من منظرها وصيحاتها ؟!

نعم .. فالواقع ان مأساة الغراب هنا ، كمأساة الانسان ، مع فرق جوهرى وهام ، ذلك ان الانسان يدرك ما يفعل ، ولا يدرك ذلك الغراب !

ومن بين ما يدركه الانسان ان الواننا لا دخل لنا فيها ، ثم انها لم تنتشر فى عالم الانسان والحيوان الا من خلال « فرمان » وراثى ، وان هذا الفرمان او الامر او النظام قد جاء فينا ليكيف جلودنا [illegible] لون [illegible] تتمشى مع [illegible] التى نعيش فيها [illegible] الآن ، ولنعود الى غرابنا [illegible]

ابيض ، وريش ابيض ، وهو بتلك الصفة الجديدة قد خسر ولم يكسب شيئا !

ولكنفىهذهالصفة بالذات تتساوى بشرة الغراب مع بشرة الانسان مع بشرة القرد والجمل والسمكة والسلحفاة والضفدع والثعبان .. الخ ..الخ.

فكما جاء الغراب بغير لونه المميز ، كذلك قد يجيء الانسان ، ومعه ايضا الكثير مـن انـواع الحيوان ... فنحـن نعـرف فى حياتنـا الانسان الامهق ، اى الذى خلت بشرته وشعره ورموشه وجفونه وعيونه من اية صبغة حامية من اشعة الشمس ، ومن اجلهذا لا يستطيعان يعرض جسمه لها مباشرة ، ولا ان يستقبل ضوءها فى عينيه ، لانها قد تؤذيه ، ومن هنا اطلق عامة الناس على هذه الحالات اسم « عدو الشمس » .. اذ ليس بينهوبين اشعتها استلطاف او جاذبية ، بل عداوة ونفور !

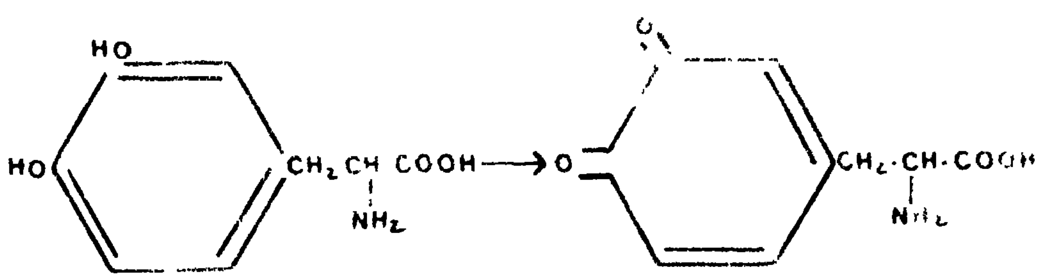
كذلك قد يجيء الغراب الامهق او الغراب « عدو الشمس » ايضا ، او السلحفاة عدوة الشمس ، او المهقاء ، او النسناس عدو الشمس ... الخ ... الخ ، فنحن نشترك مع كل هذه الحيوانات فى « الفرمان » الوراثى الذى يحدد لها الوانها . فماذا يعنى هذا « الفرمان » ؟

★ ★ ★

عن الفتنة النائمة !

الواقع ان الذى يهبنا الحماية من اشعة الشمس ـ او بالتحديد من اشعتها فوق البنفسجية الحارقة ـ مادة كيميائية محددة اسمها « ميلانين » . وعلى حسب انتشار هذه المادة فى خلايا بشرتنا او جلودنا ، نكتسب الواننا .

فسمكة [illegible] على الشاطئ الرملى ، لتكتسب بشرتها لونا [illegible] وتصبح فى اعين الناس فتنة





سيدة زنجية مع ابنها الابيض الذى جاء
بدون صبغة الميلانين فاصبح للشمس كارها !

نائمة ، عندئذ قد لا يجول بخاطرنا ما يجول بخاطر الناس ، بل يبرز فى العقل تحول كيميائى تعدله الاشعة ، ويتراقص امام العين هكذا :

ومعذرة لهذه الطلاسم التى نتغلها نحن معشر العلماء لننظر بها الى الامور نظرة تختلف عن نظرة الناس لها ، ولقد كان من الافضل ان نقدم صورة معبرة للفتنة النائمة ، لنرى النتيجة الواضحة على بشرتها الناعمة، بدلا من هذه الذرات والجزيئات التى تتراص فى هندسة كيميائية لا لا يدركها الا اربابها ، لكن صورة الفتنة النائمة قد لا تجد هوى عند المشرفين على اخراج هذه المجلة الوقورة ، او قد ينشرونها .. لسنا ندرى ، اذ لا حياء فى العلم ، كما لا حياء فى الدين !

لا علينا من ذلك ، فالمهم هو الجوهر لا المظهر ، فمادة الميلانين ليست الا اكسدة كيميائية لواحد من الاحماض الامينية التى تدخل فى تكوين البروتينات، (اسمه تيروسين) ، وهذا التحول لا يتم الا بوجود انزيم او خميرة ، والخميرة بمثابة (مفتاح) كيميائى جد دقيق ، ليحور فى هندسة الجزىء ، فيحذف منه ذرات ، او قد يضيف اخرى ، فتسرى عمليات الحياة الكيميائية حسب خطة محددة ، ونظام مقدر !

لكن الخطة او « الفرمان » موجود فى المورثات او الجينات التى تتراص فى جهاز المخلوق الوراثى الكامن فى نوى الخلايا ، فاذا اشتغلت الخطة ، ظهر الميلانين فى شعورنا وعيوننا وجلودنا ، واذا لم تشتغل ، جاء المخلوق امهق ، اى محروما من الميلانين .. وهذا المركب الكيميائى او الصبغة المميزة بمثابة عملة كيميائية موحدة بين المخلوقات .. لا يختلف فى ذلك الانسان من القرد عن الجمل عن الحشرة والدودة .. الخ .. الخ ، وهذا يدلك على وحدة الخلق فى الكائنات .

ثم أن الاثر النـاتج عن غيـاب هـذه الصبغة الطبيعية الحيوية متشابهة ايضـا في الكائنات ، فشعورها وريشها وجلودها بيضاء،وعيونها حمراء، وتجنبها لاشعة الشمس واضح ، والضرر الناتج من التعرض للاشعة لا يختلف بين انسان وحيوان !

والواقع ان صبغة الميلانين في البشرة أو الجلد تختلف من نوع الى نوع ، أو من سلالة الىسلالة، ومن منطقة جغرافية الى اخرى ، او حتى من منطقة على الجسم ذاته الى منطقة مجاورة (كما في حلمة الثدي أو تحت الجفون عند بعض الناس) .

فلون جلد من يسكنون المناطق البـاردة ذات الاشعة الشمسية الضعيفة اخف في الصبغة من الذين يسكنون المناطق المعتدلة ، فاذا وصلنا الى المنطقة الاستوائية ، حيث اشعة الشمس شديدة ، نرى التركيز يبلغ أشده ، فينعكس ذلك على بشرة سوداء فاحمة (الزنوج ومن في حكمهم) . فتكون سلاحهم ضد أشعتهم !

وطبيعي ان تركيز الميلانين بين سلالة واخرى دن سلالات البشر ، اصبح صفة وراثية سائدة ، لانها تكيفت بظروف البيئة منذزمن سحيق،فالاشقر والشقراء لا تخلفهما الا ذرية شقراء ، وكذلك الاسمر والسمراء ، او الزنجي والزنجية .. فلم نسمع مثلا أن الزنوج يمكن ان يخلفوا ذرية بيضاء او شـقراء او حتى ذرية سمراء .. لكـن هنـاك استثناء ، فمن الممكن ان يظهر بين الزنوج مولود امهق .. اي بجلد ابيض مشوب بالحمرة ، وشعر ابيض كستنائي ، وعيـون حمـراء .. ومع ذلك فالتقاطيع زنجية ، والشعر – بتجعده الواضح – شعر زنوج ، لكن هذا المولود قد لا يمتد به العمر طويلا كاترابه ، فظـروف البيئة قاسية واشـعة الشمس حارقة ، ، وقد لا تتحمل بشرته الحساسة ما يتحمله الآخرون ، فلهم من سواد جلودهم حماية كبرى .

وظهور الامهق في ذرية الزنوج او الصفر او السمر او البيض يرجع الى خطأ وراثي ، والخطأ يؤدي الى عـدم تكوين الغـدة التي تشرف على تجهيز الميلانين ، الذي يؤدي الى حماية المخلوقات من الاشعة الحارقة !

واحد بين كل ٧٠

الذين درسوا احتمال ظهور حالات الامهق بين البشر يقولون : أن اى انسانمنا قد يحمل فيتكوينه الوراثي الجينة أو الجينات الضامرة أو المتنحية المسئوله عن انتاج وليد امهق ، اذ يوجد واحد بين كل سبعين شخصا يحمل هذا العامل الوراثي دون ان يبدو عليهاى اثر لهذه الظاهرة ، والسبب أن لديه مجموعة أخرىسائدة قد ورثها مناحد والديه، وأن هذه المجموعه من المورثات تقوم بانتاج الصبغة التى فشلت فيها المجموعة الوراثية الاخرى المتنحية (لان المورثات تاتي أزواجا ازواجا .. من الام ومن الاب) .

واحتمال تزاوج ذكر – يحمل هذه الصفة غير الواضحه – من السبعين ذكرا العاديين ، مع أنثى تحمل هذه الصفة من بين السبعين انثى العاديات هو احتمال وحيد بين كل ٤٩٠٠ حالة زواج (واحد على سبعين مضروبه في واحد على سبعين) ، ولو تم هذا الزواج . وجاءت للوالدين العاملينلصفات الامهق ذرية (دون أن تظهر عليهما – اى على الوالدين – أعراضها) فان ربع هذهالذرية – على حسب قوانين الوارثة – تظهر مهقاء ، في حين أن الربع الاخر يظهر نقيا منها ، والنصف الباقي يحملها دون أن تظهر عليه أعراضها .. وهذايعني بعملية حسابية بسيطـة أن من بـين كل حـوالي ١٩٦٠٠ مولود ، تظهر حالة واحدة نسميها عدو الشمس أو الامهق .. والحساب يتمشى مع الواقع فعلا ، اذ أنه يوجد بالفعل أمهق واحد (ذكر أو أنثى) بين كل عشرين الفا من البشر ، ومن كل الملل والنحل ، وبين كل سلالات البشر .. البيض منهم والسود . والسمر منهم والحمر !

وقد يتساءل متسائل : وماذا لو تزوج امهـق بمهقاء ؟

عندئذ – ونزولا على قوانين الوراثة – سوف تاتي الذرية كلها محرومة من لون البشرة ، لكن مثل هذا الزواج محرم في بعضالدول ، لانهسيزيد من عدد الوالدين على هذا الكوكب باخطاء وراثية غير مرغوب فيها ، أو ان ما تفعله الدول المتقدمة الان . هو ماأوصى به رسول الاسلام حين نصحوقال « تخيروا لنطفكم ، فان العرق دساس » .. اى تاتي المواليد حاملة لصفات والديها ، ان خيرا فخير ، وان شرا فشر .

والموضوع بعد ذلك طويل .. لكن يكفي ما قدمنا فاوجزنا .

● اعداء الشمس من الحيوان والبشر !

نصيحة للمصيفين

ولتوزيع صبغة الميلانين فى اجسام الكائنات الحية نظم تتوافق وحماية هذه المخلوقات مما قد تتعرض له من عوامل قد تبيدها ، فنرى بعض الكائنات مثل أم الحبر او السبيط تتخذها كسلاح تختفي به من اعين الاعداء ، وفكرتها فى ذلك ان تطلق خلفها ساترا من صبغة سوداء داكنة تشبه الحبر (ولهذا تسمى أم الحبر) فلا يستطيع الكائن المهاجم ان يحدد مكانها ، وهذه الفكرة ذاتها قد تبناها الانسان حديثا ، واستبدلها بفكرة قنابل الدخان والقنابل المسيلة للدموع ، لكن السبيط كان اسبق فى ذلك بعشرات الملايين من السنين ، ومن خلال فكرة طبيعية لا صناعية !

كما ان انتشار صبغة الميلانين فى بشرة بعض الانواع قد يتم فى لحظات فيكسبها لونا قريبا من البيئة المحيطة بها ، ولهذا يصعب اكتشافها ، او تنسحب الصبغة من البشرة بسرعة ايضا ، وتتركز فى نمط جد صغيرة ، بحيث يصعب على العين اكتشافها ، وانتشار الميلانين بسرعة من نقطه المركزة فى خلال الادمة (تحت البشرة) ، ثم تجمعها فى النمط ذاتها بنفس السرعة ، فتتغير الوانها من سواد الى بياض ، او من بياض الى سـواد فى التـو واللحظه ، كل هذا يتم بتحكم هرمونى عصبى سريع المفعول ، ليساير ظروف الحياة التى لا تقبل التلكؤ او التواكل !

وطبيعى ان ذلك لا يحدث فى الانسان ، ولا فى غيره من سائر انواع الحيوانات المعروفة ، فلـم نشهد انسانا ابيض قد تحول الى اسود ، ولا اسود تحول الى ابيض لاى سبب من الاسباب ، حتى ولو كان ذلك هروبا او تخفيا من بدعة التمييز العنصرى الذى يتبناه بعض ضعاف العقول من البشر ، انما الذى يحدث فقط ان انتشار صبغة الميلانين على جلودنا يتم ببطء شديد ، ثم ينحسر أيضا ببطء اكثر ، ثم ان انتشار الصبغة ، واكتساب البشرة لونا برونزيا او اسمر ، انما يتاثر بتركيز الاشعة فوق البنفسجية ، فتستجيب لها الخلايا الصانعة للميلانين ، وتفرز منها المزيد ، فتشتت تلك الاشعة الضارة ، فلا تحدث مزيدا من التدمير .

والى الذين يستلقون على شواطىء البحار صيفا بلباس البحر بغية الحصول على حمام شمسى نسوق نصيحة هامة حتى لا تضار جلودهم وتحترق، اذ من الانسب ان تتعرض بشرتهم فى اليوم الاول لاشعة الشمس ما بين ربع ونصف ساعة ، ثم تزيد فى اليوم التالى ما بين نصف ساعة وساعة ، وفى اليوم الثالث ضعف هذه المدة ، وهكذا .. فذلك كفيل باعطاء الفرصة لصبغة الميلانين بالاستجابة للاشعة رويدا رويدا ، فتعطى البشرة لونها المضاد لهذه الاشعة المدمرة .

وكلما كانت بشرة الانسان بيضاء او فاتحة ، كان اثر الشمس اشد ، والتفاعل اعظم ، ولهذا فان الاسود او الزنجى لا يتاثر بذلك كثيرا ، فلقد اكتسبت بشرته من البداية ما يصد عنه غائلة هذه الاشعة، وبحيث اصبحت فيه هذه الميكانيكية الدفاعية متوارثة وسائدة ومكتسبة .

وطبيعى ان الامهق لا يستطيع ان يعرض جسمه على شاطىء البحر ، او لاشعة الشمس عموما كما يفعل البشر العاديون ، والا لاصابة بلاء عظيم، وقد يؤدى ذلك الى مضاعفات خطيرة لا يحمد عقباها ، اذ ليس لديه اى رصيد من مادة الميلانين لتصد عنه غائلة الاشعة واثارها المدمرة !

اذن فلقد جاءت صبغة الكائنات اساسا لكى تكون وسيلة من وسائل الحماية ضد نوع خاص من اشعة غير منظورة ، او لتستخدمها كائنات اخرى لتختفى بها عن اعين اعدائها ، لا لان يستخدمها ضعاف العقول من دعاة التمييز اللونى او العنصرى وسيلة من وسائل التفرقة بين بشر وبشر .. فالكل سواسية امام قوانين الحياة ، ولا فضل لاحد على احد فيما خلق الله .. « ومن آياته خلق السماوات والارض واختلاف السنتكم والوانكم ، ان فى ذلك لايات للعالمين » .

والذين درسوا وعلموا وعرفوا ، قد ادركوا ان أيا من الكائنات لم يخلق هكذا عبثا ، بل جاءت الامور فيها بحساب ومقدار، لتسير الحياة بمخلوقاتها كطوفان متجدد دافق ، ولكن اكثر الناس عن عظمة الخلق غافلون ! ■■

الاسكندرية ـ د . عبد المحسن صالح

فى ذكرى مرور مائتى عام على رحيل روسو

حامل الشعلة ظهر صدفة.. مات تعسا مجنونا .!

بقلم : منير نصيف

(واخيرا اكتشف نفسه !)

وفجاة اكتشف الرجل الذى كان قد بلغ منتصف العمر او كاد انه ليس موسيقارا .. فقد كان القدر يعده لكى يضع بذور اعظم ثورة فى الفكر فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر ، فى قلب المدينة التى كانت تعيش فى ظل ارهاب وظلم وظلام ! ثم اصبحت فيما بعد مدينة النور !

انه جان جاك روسو « ابو الثورة الفرنسية ».. ابن فرنسا . العبقرى الذى اكتشفته «ديجون» (Dijon) تلك المدينة الصغيرة الواقعة على الطريق .. نفس الطريق الذى طالما سار فيه بين باريس وجنيف . وهو يحاول ان يتلمس خطاه لسنوات وسنوات ..

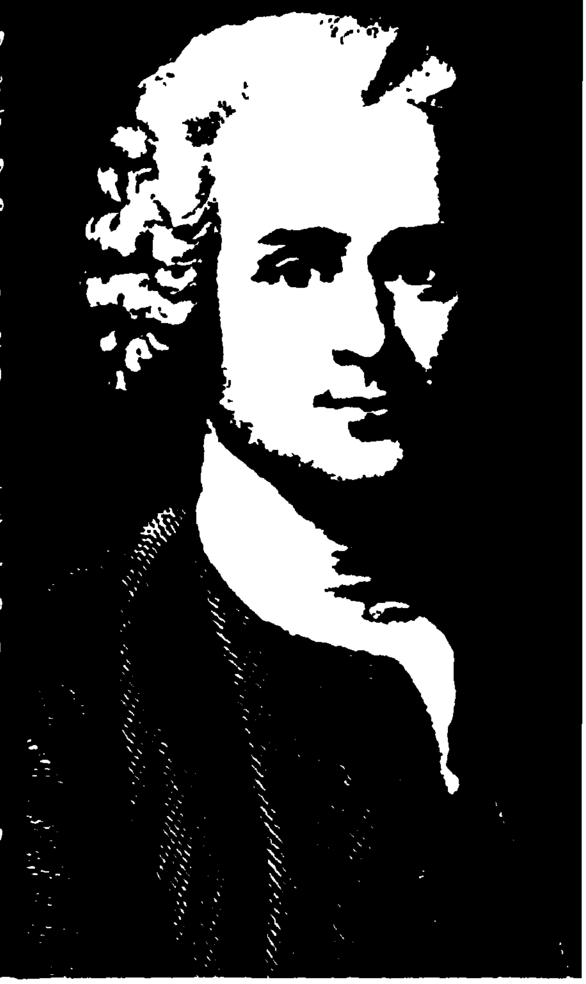
كان يعيش فى ذلك الوقت مع زوجته الصغيرة تيريز فى حى متواضع فى باريس ، عندما التقطت عيناه فجاة اعلانا لاكاديمية العلوم والفنون والاداب فى ديجون ، لقد خصصت الاكاديمية جائزة لصاحب احسن مقال عن « آثار التقدم الحضارى على الاخلاقيات ! »

وجلس روسو يكتب ويكتب ... ولم يكن هو نفسه اقل دهشة من اعضاء لجنة التحكيم التى قررت منح هذا « الغريب » الجائزة التى وعدته بها ..

■ كان ينظر وراءه فى كل مرة يعزم فيها امره ويستعد للرحيل ٠٠ فقد كان يترك بينما يترك فى هذا البلد ذكريات طفولة لم تكن دائما سعيدة ، واحلام شباب ضائع وتجارب « حب » مع اكثر من امراة عرفها ٠٠ كان يرى فى بعضهن صورة امه التى ماتت بعد ان انجبته الى الدنيا ٠٠ كان قلقا حائرا لا يعرف ماذا يريد.ولا ماذا هو صانع بنفسه وهو يقطع هذا الطريق الطويل بين جنيف . المدينة التى ولدته فيها امه ورحلت بعد ايام قصيرة من وصوله هو الى هذا العالم الغريب من حوله ٠٠ وبين باريس التى تنتمى اليها اسرته الفرنسية ، والتى سعى اليها ومضى يسعى ويسعى باحثا عن مكان وسط ظلماتها ، لهذه الروح التائهة والموهبة المدفونة فى اعماقه ٠٠

كل ما كان يعرفه عن نفسه ، وكل ما اكتشفه هو فيها انه يعشق الموسيقى ويكتبها ويعزفها ٠ وانه قد يستطيع ان يكسب عيشه ورزقه من هذه الهواية التى اضاع فى صقلها نصف عمره او اكثر ٠٠ ونجح . ولكن الى حين ! وكتب يصف مشاعره فى تلك الفترة من حياته ، قال : « انا سعيد ٠٠ فلاول مرة احس باننى افعل ما اريد ان افعله ٠٠ واشعر اننى اصبحت الرجل الذى اردت ان اكون ! ٠ لقد اصبحت استاذا فى الموسيقى ! »

وكان يعدو دائما الى جنيف ٠ والى المراة التى احبها ٠ وكان يدعوها « امى » فقد كانت فى مثل سن أمه ! وكان يضع بين يديها فى كل مرة يلقاها مبلغا من المال ، يسدد به الدين الذى طوق عنقه عندما كانت ترعاه شابا !



فقد كانت كل كلمة،كل سطر حواه المقال يحمل معه ثورة فى الفكر ٠

وعندما طبعت الاكاديمية مقال روسو ونشرته على الناس ، بدأ الفرنسيون يتجهون بعيونهم وآذانهم الى هذا « الاديب » الثائر ، والى الشعلة التى رفعها لتضىء لهم الطريق بعد ذلك باعوام قصيرة ، عندما راح يحدثهم عن حرية الانسان٠٠ « الانسان يولد حرا ٠٠ ولكنه يعيش فى اغلال فى كل مكان فى الدنيا ! » ثم يحدثهم عن حقوق الفقراء وعن الحرية والاخاء والمساواة فى كتابه « العقد الاجتماعى » الذى اصبحت كلماته شعارا للثورة الاجتماعية فيما بعد،وقد طبعه فى مدينة امستردام بهولندا فى عام ١٩٦٢ بعيدا عن الرقابة الفرنسية!

هذا الرجل الذى عاش ومات دون ان يرى ثمرة هذا الفكر الذى امتلأت به عقول وصدور الملايين من البشر ماذا قال التاريخ عنه ؟ لقد رحل روسو عن هذا العالم الذى قال فيه ما قال ، فى شهر يوليو من عام ١٧٧٨ ، قبل بداية نشوب الثورة التى اشعل فتيلها باحد عشر عاما !

وقد اختلف المؤرخون ، وما اكثر ما يختلفون فى تقدير فكر هذا الرجل واصالته ٠٠ قال البعض ان روسو لم يكن مفكرا صاحب مجموعة متماسكة من الافكار ، كما لم يكن واضح الفكر تماما ٠٠

وقال البعض ان افكار روسو لم تكن جديدة ، وانه لم يكتشف جديدا ، وانما هو اضفى تعبيرا جديدا مليئا بالانفعال والعاطفة والبلاغة لافكار غيره من الرجال .. كان اشبه بمن يضع نبيذا جديدا في وعاء قديم .. والنبيذ عند الفرنسيين كالماء عندنا سواء بسواء !

هكذا تنقل دائرة المعارف البريطانية بعض ما قيل فيه وعنه .. ولكن الذين انكروا على روسو اصالته بنوا حكمهم على اساس من سوء الفهم لطبيعة النظرية السياسية والاجتماعية .. ذلك ان معظم الافكار التي يستخدمها واضعو النظريات السياسية والاجتماعية لها تاريخ طويل ، ولكنها ـ اي هذه الافكار .. لا تبقى بطبيعة الحال متشابهة دائما.فهي تتغير تدريجيا نتيجة للمناقشات والمجادلات المستمرة .. فالاصالة اذن هي في اعطاء سمات جديدة للافكار التي بدأ الناس يتداولونها بالفعل اكثر منها في اختراع افكار جديدة .

والرجل الذي يتمتع بموهبة ترتيب الافكار اكثر قدرة على رؤية التعبيرات الجديدة التي تحتاج اليها هذه الافكار حتى لا يحدث ارتباك بين اساليب التفكير القديمة والحديثة ، ولو ان الانفراد بهذه الموهبة وحدها ليس كافيا لاضفاء صفة الاصالة على صاحبها .. فالافكار الجديدة لاتسمى باسمائها المميزة قبل مرور فترة من الزمن على بدء تداولها على السنة الناس .. وكذا جديتها ، فاننا نجد في العادة ان احدا لا يلحظها حتى الذين تاثروا بها ..

(فكر روسو)

ولم يبتكر روسو تعبيرات جديدة ، حتى حديثه عن « ارادة الشعب » لم يكن جديدا فقد استخدمه ديديدو من قبله ، ولكن هذا لا يعني مرة اخرى اننا نستطيع أن ننفي صفة الاصالة عن هذا المفكر الثائر . بل على العكس فقد كان روسو ينفرد بهذه الصفة بقدر اكبر مما يبدو للكثير من هؤلاء الذين حاولوا تقييم افكاره واثرها على المجتمع .

وعندما قال روسو ان الانسان بطبعه طيب ، لم يكن يعني ان الانسان البدائي افضل من الانسان المتحضر ،لقد اراد فقط ان يقول انه اذا كان الانسان المتحضر اليوم ضعيفا قلقا غير سعيد فليس سبب ذلك ان هناك شرا متوارثا في داخله،ولكن السبب يكمن في ان البيئة الاجتماعية التي يعيش فيها لا تناسب طبيعته .

لقد اكد روسو على ان الانسان لا يولد شريرا ولا يولد خيرا ، ولكنه يولد بامكانيات معينة يدافع من اجل تحقيقها ، فاذا واجه مقاومة ، وجدناه اكتسب طموحات واحتياجات جديدة ، قلما أرضته اما لانها غير مشبعة في حد ذاتها أو لانها قد جرته الى صراع مع غيره من الناس .

لقد كان روسو يجد دائما علاقة وثيقة بين تركيب المجتمع وبين الحالة النفسية والاخلاقية للفرد ، وكان يبدو له ان المجتمع في ايامه .. في عصر الظلم والظلام ، كان يقتضي بالضرورة وقوف الناس بعضهم ضد بعض .. وكان المجتمع بعد هذا مخيبا للامال ، محيرا لاصحابها ، مما ادى الى الحيلولة دون اكتساب معرفة الذات ، وضبط النفس ، وهما العاملان اللذان يستطيعان وحدهما ان يجلبا السعادة والتالف الاجتماعي .

(سعادة الانسان)

وكان يؤمن بعد هذا بان الخلافات والارتباكات الاجتماعيه هي النتائج الحتمية لعدم المساواة المفرط في الثروة وفي حجم التعقيدات القائمة في المجتمع المتحضر .. فالانسان في رايه لا يستطيع ان يكون سعيدا ولا يستطيع ان يكون حرا ، ولا ان يكون راضيا عن نفسه وعن جيرانه ، الا اذا وجد في مجتمع من البساطة بحيث لا يصعب عليه فهمه ، ومن الصغر بحيث يمكنه ان يقوم فيه بدور كامل ومتساو مع غيره من الناس في توجيهه وادارته .

اما المجتمعات الكبيرة في راي روسو ، فهي تلك التي تعيش في ظل اقتصاد معقد ، بحكم وجود طبقة مميزة في الحكم وبناء عليه يكون هناك عدم مساواة ، فالغالبية العظمى من المواطنين السلبيين العاجزين يعيشون تحت سيطرة واستغلال القلة الفعالة .

(الحرية عند روسو)

ويؤكد روسو على ان المجتمع .. اي مجتمع لا يمكن ان يكون متحدا وقويا ، الا اذا اشترك

افراده فى الولاء له وفى الايمان بمعتقدات اساسية معينة ، ولا يمكن للانسان ان يكون حرا حقيقة الا اذا احس بامن عاطفى ، وهذا لا يتحقق الا فى مجتمع تسوده المساواة ، ولا يعتمد الفرد فيه على نزوات او حماية غيره له ، سواء كان هذا الغير رجلا او مجموعة من الرجال الذين هم اقوى منه او اكثر ثراء .. وانما يعتمد فيه على نظام قائم على القوانين التى تطبق على الجميع ، ويشترك فى وضعها افراد المجتمع كله :

لقد علم روسو الناس التفكير فى المجتمع ، وفى الفرد باساليب اخرى .. علمهم كيف يوجهون اسئلة جديدة .. وكانت هذه التعاليم اكبر بكثير من الحلول التى عرضها .. من هنا تظهر اصالة هذا المفكر وبعد نظره .. ولعل فى تجربته هو مع الحياة ، اعظم دليل على اصالته وعبقريته ..

يرى بعض مؤرخى الثورة التى مهد لها روسو وزرعها فى قلوب مواطنيه ان اقوى عود ثقاب القى به فوق الزيت الساخن الراكد ، هو قوله بان « الانسان ولد حرا ، ولكنه يعيش مربوطا بالسلاسل والاغلال فى كل مكان ! »

ولكى يشرح معنى هذا التناقض نراه يعود الى اجدادنا والى مجتمعاتهم البدائية الاولى ، لم يتصور هؤلاء الاجداد البدائيين وقد جلسوا يسجلون فيما بينهم شيئا يشبه « العقد الاجتماعى » الذى يقضى بان ينضم كل فرد الى المجموعة ، ويجمعوا صفوفهم ويوحدوا قواهم تحت « الادارة العليا للارادة الشعبية » . وقد حملت هذه الكلمات « الجرثومية » التى مالبثت ان انتشرت بين الناس واسفرت عن « حصاد مخيف » ما لبث ان تبلور فى عبارة واحدة هى « سيادة الشعب » .

(اعترافات)

ولم يكن جان جاك روسو يقف وحده ، وهو يفكر ويكتب ، فقد سانده الكثيرون من الرجال والنساء « الاثرياء » الذين آمنوا به حتى قبل ان يفكر ثم اقتنعوا بفكره بعد ان صار عملاقا . وقدموا له المال والسكن فى الريف الهادىء بعيدا عن ضوضاء المدينة واخطارها .. ومن بين هؤلاء مدام دويديتو التى وصف مشاعره نحوها فى كتابه الكبير « اعترافات » بقوله : « كانت المرأة الاولى والوحيدة التى احببتها فى حياتى » .

وما اكثر ما امتلأت اعترافاته بالحديث عن السنوات الضائعة من عمره ، قبل ان يرى علامات الطريق .. وقد حدثنا عن « الخطايا » التى ارتكبها ايام فقره وعوزه .. بعضها كان عبثا ، وبعضها كان اكبر من الخطيئة نفسها !

روى ما حدث له فى مدينة تورين ، عندما كان يهيم على وجهه ، فاشفق عليه الفقراء امثاله ، وافلح بعضهم فى ان يجد له عملا كخادم فى بيت مدام دى فرسيليس .. ولكن السيدة ماتت بعد مجيئه بثلاثة اشهر .. وراح الورثة يجردون « ممتلكاتها الخاصة » ، فاكتشفوا اختفاء قطعة من الشريط الجميل الذى يستخدم فى تزيين شعور النساء ! لقد سرقها جان جاك روسو الصغير ، لانه لم يستطع مقاومة جمال لونها .. وتخيلها وهى تعانق شعر صديقته فاخذها ..

ولما وجدوها فى حوزته ، ذاب خجلا ، ولكنه لم يتردد فى اطلاق كذبة كبيرة .. قال : « لقد اعطتها لى ماريون » وقد كانت ماريون خادمة مثله فى بيت سيدته ! وعندما واجهوها ، لم تحاول ان تنفى التهمة ، ولكنها طلبت ان تقابل روسو وعندما جاءوا اليها به وهم يدفعونه امامهم دفعا .. وقفت فى وسط القاعة الكبيرة شامخة الانف ، وحدقته بنظرة اشمئزاز ولم تتكلم . ثم اتجهت الى الجمع من حولها وقالت : « وماذا تنوون ان تفعلوا بى ؟ »

– لا شىء اكثر من ان تعزمى ملابسك وتتركى البيت فورا ! وانت كذلك يا جان !

ولم تستطع الاعوام الطويلة التى عاشها روسو بعد ذلك ان تنسيه نظرة الاحتقار فى عين « ماريون » البريئة التى القى عليها تهمة السرقة !

(الخطيئة الكبرى)

وحدثنا روسو فى « اعترافاته » عن علاقاته بالنساء اللواتى ساقهن القدر فى طريقه .. ولم تكن كلها علاقات بريئة ، فى مراهقته وشبابه ورجولته ، حتى عندما اراد ان يتزوج ويستقر ،

نراه قد أخطأ الهدف ، فلم يكن يحب زوجته الريفية البسيطة ، وبالرغم من هذا انجب منها خمسة اطفال •• فقد اعطته تيريز كل شيء •• أعطته نفسها وحبها وملأت معدته بالاطعمة الشهية التي كان يحبها !

لقد عاش روسو لحظات تردد طويلة ، وهو يعترف في كتابه الذي وضع فيه كل شيء وكان كلما اقترب من الاعتراف باحدى « خطاياه » ، قال : سوف اكف عن اتمام هذا الكتاب الا اذا اكتشفت شيئا جديدا !

اين ذهب اطفاله الخمسة ؟ لا احد يدري ، ولا حتى روسو نفسه !! ولقد كانت هذه هي الخطيئة الكبرى التي عاشت معه طوال ايام حياته •• اما حكايته معهم فقد كانت تنتهي دائما عند باب مستشفى الحضانة في الحقيبة الصغيرة المعلقة على الباب لاستقبال الاطفال حديثي الولادة الذين لا يريدهم آباؤهم ! لم يحاول مرة واحدة أن يستبقي واحدا منهم •• فقد كان يسرع دائما الى الحقيبة ويضع فيها طفله بعد ان يطلق صرخته الاولى وهو يستقبل الدنيا •• الاطفال الخمسة اختفوا كلهم داخل جدران دار الحضانة في رعاية الدولة!! كتب يقول مبررا ما صنعه بهم : «لقد كنت حريصا على ان يشبوا فلاحين وعمالا صالحين •• من يدري ماذا كان القدر سيصنع بهم لو انهم بقوا معنا •• الم يكن من الممكن ان يصبحوا مغامرين وصائدي ثروة؟»

ولم يكن روسو يجد في بداية الامر اي خطأ في مسلكه ، كان يعتبر نفسه ، رغم ما صنع ، مواطنا صالحا ، وربما لا ينتمي الى المجتمع الذي يعيش فيه ، ولكنه قطعا أحد ابناء جمهورية أفلاطون !!

(وبقيت الشعلة)

وعاشت هذه الصفحة السوداء معه في اعترافاته وخاصة لانه كان يعلم ان المال لن يعوزه ، وانه قادر على تربية اطفاله والانفاق عليهم ، ان لم يكن من عنده ، فمن جيوب اصدقائه الذين كانوا يفتحون محافظهم له ليأخذ منها ما يشاء •

ويضطرب روسو وهو في القمة •• ويستيقظ ضميره فجأة فينطلق باحثا عن اطفاله في كل مكان، ولكن اين ؟ ويمزقه الحنين اليهم والحاجة لاذرعهم الشابة القوية وهو يقترب من نهاية العمر••ويصدر امر باعتقاله فيهرب ، ويهيم على وجهه في شيخوخته من جديد من بلد الى بلد حتى يستقر به المطاف في انجلترا ••

ثم يعود الى باريس والى زوجته تيريز مرة أخرى ،وتمضي الاعوام، وفكر روسو يملأ جو فرنسا الخانق المظلم ولكنه يعيش في شقاء وألم نفسي مع صور أطفاله الخمسة الذين اضاعهم في زحام باريس •• ويعرض عليه احد اصدقائه الاثرياء كوخه الصغير في مقاطعة ايمانو نفيل •• فيحمل نفسه اليه ، ولكنه كان قد اصبح عندئذ حطاما للرجل الذي كان ، •• ويموت روسو في عام ١٧٧٨ ••وقيل انه انتحر ، وقيل انه أصيب بالجنون •• وتنتهي صفحة من تاريخ فرنسا •• لتبدأ صفحة أخرى بعد احد عشر عاما •• فتبقى الصفحة الثانية مفتوحة الى يومنا هذا •• في عام ١٧٨٩ نشبت الثورة الفرنسية •• وحملت فرنسا كلها الشعلة التي أضاءها روسو • ■■

منير نصيف

قبل الهدية فحرم عمله

● بلغ انو شروان ان بعض عماله قد قبل هدية من بعض العامة، فاحضر أنوشروان عامله فلما مثل بين يديه قال له : « هل قبلت الهدية » ؟ قال : : نعم فقال : ان قبلتها ـ لتستكفيه شيئا ، لم تكن تستكفيه لولاها ـ انك لخائن ،وان قبلتها ـ ولم تكافئه ـ انك للئيم ، وان كافأته بسطت لسان رعيتك عليك ذما • فمن أتى صنيعا لا يخلو من هذه الثلاثة رغبنا عنه » ، ثم ان انو شروان امر بعزل ذلك العامل •

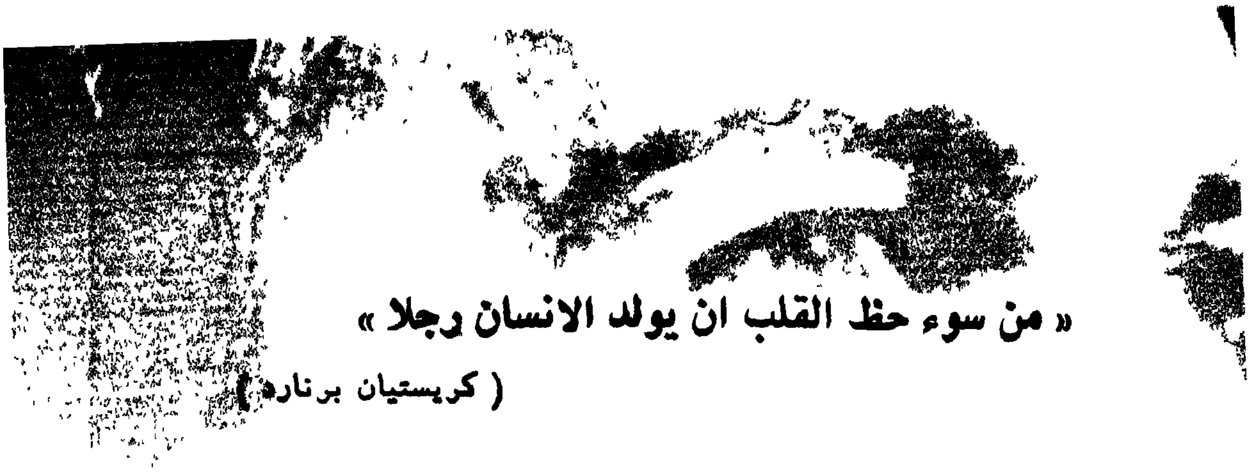
جاردينيا

للدكتور عبده بدوى

■ لن أنسى نظرتها الفرحى ... والهدب يجوب الافاقا
كانت كالزهرة ناضرة ... والنجمة تلمع اشراقا
.. ما كانت تختلس الدنيا ... وتموء ، وتدمن اطراقا
او تدفع صدرا فى افق ... ليفرد ان مدت ساقا
بل كانت عصفور ربيع ... يجتاح الساحة مشتاقا
تتحدث فى صدق عذب ... فتشد اليها الاعناقا
وتقول الرأى بلا خوف ... فتفجر نبعا رقراقا
والضحكة ترسلها القا ... من بستانين قد اشتاقا !
وتسير فتخضر الدنيا ... وتضىء ، وتنبت اوراقا !

★ ★ ★

قد قال صديقى فى ثقة : ... ـ والليل يثير الاشواقا ـ
من أين اهز مشاعرها ... واثير سعارا مهراقا ؟
ومضى فى خبث يسألها ... عن عقد ! عن ثوب ضاقا !
عن قطعة موسيقى عزفت ... والخصلة تشكو اغراقا !
فتجيب : قرأت فلاسفة ... وعرفت الشعر السباقا
ويقدم كأسا مرتجفا ... فتقدم فكرا خلاقا
.. فيعود لجلستنا يشكو ... جيلا ثرثارا . براقا
ونراه عصفورا غنى ... زمنا ، وترامى ارهاقا
بينا نلقاها فى مرح ... شلال جموح قد راقا
وقصيدة جاردينا .. كبرت ... عن أن يقطفها من لاقى !! ■



« من سوء حظ القلب ان يولد الانسان رجلا »

(كريستيان برنارد)

حتى تتجنب امراض القلب

كريستيان برنارد اول من زرع القلب فى العالم

يسجل تجربته فى كتاب مثير

بقلم : الدكتورة صبيحة الدباغ

وهو يعتبر ان العوامل الوراثية هى من اهم الاسباب المؤدية الى الاصابة بامراض القلب • كما انها قد تنشا عند التقدم فى السن ، او الحياة فى بعض المجتمعات الغربية • وارتفاع الضغط وزيادة مستوى الكوليسترول فى الدم ، والاصابة بداء السكر • ايضا ، فانه يقرر ان الرجال اكثر اصابة بالنوبة القلبية من النساء •

اما الاسباب الاخرى التى تذكر فى معرض تعليل امراض القلب ، فان زارع القلوب الشهير يعتبرها اسبابا غير واضحة ، اى انه لم يثبت على سبيل اليقين ان هناك علاقة تربط بينهـا وبين تلك الامراض • ومن هذه الاسباب التدخين والسم وقلة التمارين الرياضية والاجهاد •

وعلى حد تعبيره فانه لا يمكن بطبيعة ال

● هذه بعض الافكار التي قدمها الطبيب الجراح كريستيان برنارد ، اول من اجرى عملية زرع القلب في العالم ، وطرح فيها ملاحظاته وخلاصة تجربته في كتاب بعنوان : ليس من الضروري ان تموت بالنوبة القلبية .

والكتاب يمتزج فيه الادب بالعلم ، واستطرادات الجاحظ بخبرة الجراح الماهر ، الامر الذي ادى الى بعض الخلط والتجاوز في عرضه لعدد من الحقائق العلمية .

ومع ذلك ، يعد الكتاب بمثابة ثورة على الاراء الطبية الشائعة . فالقلب في نظر الدكتور برنارد لم يعد ذلك العضو الغامض الضعيف ، المعرض للكسر والعطب بسهولة . بل على العكس ، فهو من اقوى اعضاء الجسم البشري ، رغم الهالة الشعرية الغامضة المحيطة به .

نم مبكرا وانهض مع العصافير

معالجة العوامل الوراثية او قضية التقدم في السن ، او كون الشخص رجلا واكثر عرضة للاصابة من المرأة . اما بقية العوامل ، فهي خاضعة للعلاج .

ثم يقول برنارد : ولكنني في شك من ذلك كله . وحتى حكاية الكوليسترول والشحوم الحيوانية في الدم ، التي تؤيدها الدراسات والاحصاءات ، لا تزال بحاجة الى المزيد من الاثبات والبراهين .

نصيحة برنارد

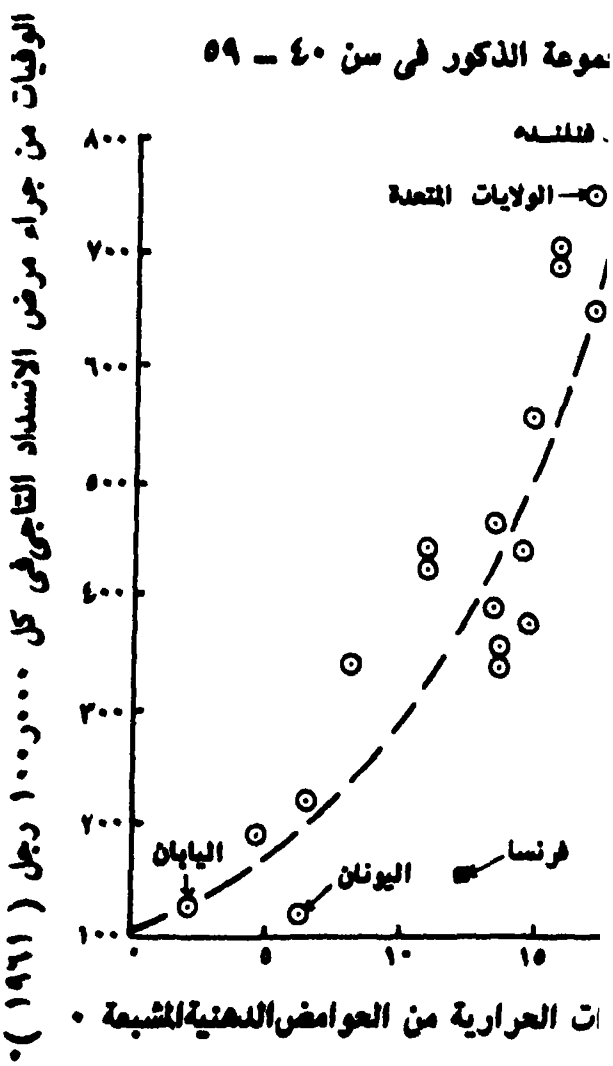
ويحاول برنارد ان يلخص تجربته في قوله : لو جاءني احدهم يسالني عن افضل النصائح لتجنب النوبة القلبية لتوقع مني ان اقول له : « اذهب للنوم مبكرا ، وانهض مع العصافير ، ولا تقم باعمال رياضية مجهدة ، وتجنب الارهاق العصبي ، واحذر ان تتناول الزبد او البيض او القشدة او اللحم ، وانه من سوء حظ القلب ان يولد الانسان رجلا . هذا ما دلت عليه البراهين بوضوح »

وفي كتابه الذي صدر بلغة جنوب افريقيا « الافريكانز » ، التي هي مزيج من الهولندية والانجليزية ثم ترجم بعد ذلك الى الانجليزية ، ركز الدكتور برنارد معظم ما كتب على اختباراته الشخصية ، وقد اشار الى ان الانسان هو الحيوان الوحيد الذي يصاب بتصلب الشرايين . ثم يسخر من الربط بين السمنة ومرض القلب بمجرد المظهر قائلا انه قد يبدو المرء بدينا لكبر عظامه او كونه عضليا لا لزيادة الشحوم في بدنه ، وافضل طريقة عنده لقياس السمنة هي طريقة قياس طيات الجلد في مناطق معينة من الجسم ، وذلك برفع طية من الجلد وما تحته من شحم بآلة قياس سمك الاشياء المصنوعة خصيصا لهذا الغرض .

ويقول : اما فيما يتعلق بداء السكر فهو اليوم نسبيا من الامراض التي يمكن السيطرة عليها للحيلولة دون خلق مضاعفات في اضطرابات الدورة الدموية .

لم يدحض برنارد النظرية القائلة بان النوبة القلبية مرتبطة ارتباطا خاصا بمجموعتي الدم (أ) و (ب) ، فقد اخفق اثباتها في بعض البلاد القائمة بهذا البحث .

بيد ان الدكتور برنارد يناقض نفسه بنفسه في اكثر من موضع فيما يتعلق بوراثة النوبة القلبية من طريق (الجينات) اذ يعود ليقول : « ربما لا نرث النوبات القلبية ، وانما الاستعداد المتزايد لها » ، وتنهار نظرية (الجينات) وعلاقة النوبات القلبية باجناس بشرية معينة اكثر من غيرها ، عندما يذكر برنارد ازدياد اصابة اليابانيين بالنوبة القلبية عندما يهاجرون الى الولايات المتحدة او اليهود اليمانيين بعد ان يتركوا اليمن .



لات مرض الانسداد التاجي بقدر ارتباطها
بة السعرات الحرارية في الغذاء المستهلك
ون مشبعة في مختلف اقطار العالم .

ورغم ان الدكتور انسل كيز اعظم اختصاصي في التغذية في زماننا هذا قد برهن على العلاقة الكائنة بين الشحوم المشبعة والنوبات القلبية ، وانه وجد الكوليسترول والمواد الدهنية الاخرى بين المواد المكونة لتصلبات الشرايين ، اقول رغم ذلك كله فان الدكتور كريستيان برنارد يشكك في القضية بايراده قبيلة «الماساي» في كينيا شاهدا على ندرة النوبات القلبية فيها بالرغم من استهلاكها لمقادير هائلة من الشحوم والدهون المشبعة ، اذ يقول برنارد وهو في حيرة من امره : « ان هذا الاستثناء الخاص لا يفسد بالضرورة القاعدة العامة . انه يذكرنا بتعقد المشكلة » .

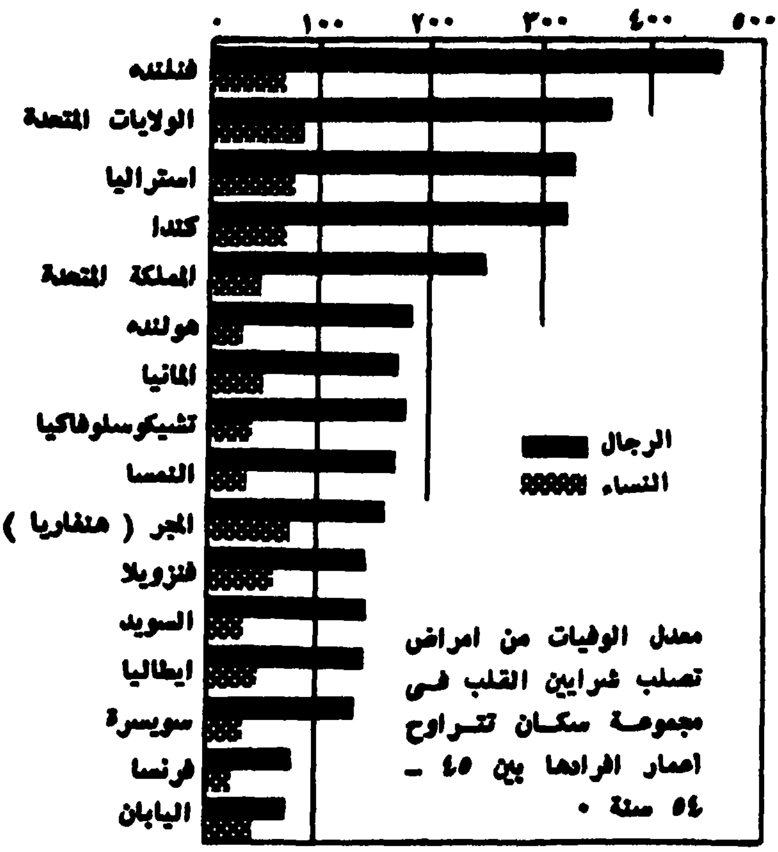
ونحن نقول : « ليس في المشكلة تعقيد ، انما من الخطا ان ننسب النوبة القلبية الى عامل واحد ، في حين انها نتيجة تضافر عدة عوامل ، فما ادرانا بالعوامل المضادة الاخرى المحيطة بالقبيلة الكينية التي تقل من تاثير المواد الدهنية التي تتناولها ، ولعل لها تكوينا خاصا يساعدها على استهلاك الشحوم والدهون دون ان يتراكم ذلك على جدران شرايينها ، كما في بعض الحيوانات اللبونة التي لا تصاب بتصلب الشرايين .

تجربة قبيلة البانتو

ويغالط برنارد حين يستشهد بالفنلنديين الذين يحيون حياة عنيفة فيصابون بالنوبة القلبية ، وينسى ان الفنلنديين يستهلكون بالاضافة الى ذلك كميات هائلة من الشحوم والدهون (راجع جدول معدل الوفيات والخط البياني) ويعود الى عبارته التقليدية ليقول : « ان هذه النتائج المتضاربة صعبة التفسير ، وانما تذكرنا بان اليقين في الطب يصعب التوصل اليه » .

وموقفه من التدخين كموقفه من الرياضة ، اذ يقول : « ان البرهان على ان التدخين يحدث مرض

معدل الوفيات فى كل ١٠٠٠٠٠ نسمة •



النوبةالقلبية هو كعدمممارسةالرياضةالبدنية،امر غير مؤكد » • ويعزو القضية الى ان المدخنين ياكلون من البيض واللحم اكثر من غير المدخنين ، ويستشهد بحالة خاصة هى قبيلة « البانتو » فى جنوبى افريقيا التى تفرط فى التدخين وتنـدر فيها النوبات القلبية•ومع ان اليابانيين والفنلنديين يدخنون ، فان نسبة النوبات القلبية فى اليابان اقل بكثير مما هى عليه فى فنلندة ، كما ان الدكتور كيز لم يجد علاقة بين التدخين والنوبة القلبية رغم وجود علاقة وثيقة بين التدخين وامراض اخرى ، وينسى الدكتور برنارد ان استهلاك اليابانيين للارز والمنتجات النباتية له علاقة فى هذا التفاوت!

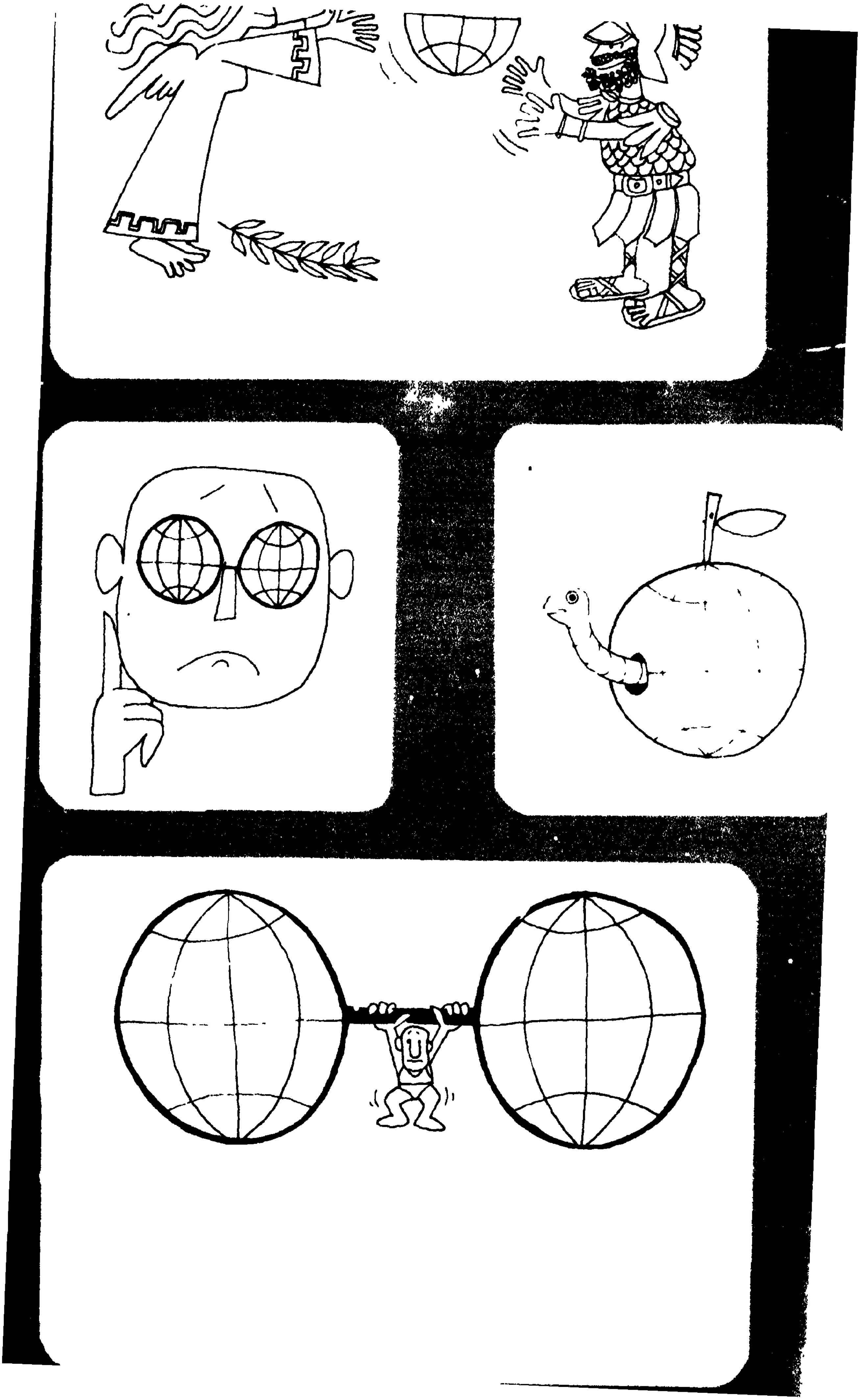
وعلى العموم فان الدكتور كريستيان برنارد قد كشف عن نفسه فى كتابه (النوبةالقلبية) فيلسوفا واديبا ، فضلا عن كونه طبيبا وجراحا ، فكتابه هذا كتب باسلوب ممتع تلذ مطالعته للاطباء وغير المختصين بالطب معا ، وقد احسن الاستهلال والختام، فهو يفتتح كتابه بقوله : « اذكر النوبة القلبية او الجلطة امام الشخص الاعتيادى وسيتخيل فى العالم فكرة الموت ! » ثم يمضى برنارد ليدحض هذه المقولة المشئومة ، حتى اذا ما بلغ الختام قال : « للفرنسيين بما عرفوا به من نفاذ البصيرة الانيقة فى الحياة وصفاتها ، ذلك النفاذ الذى لا يحاكى ، قول مالور هو ان الموت هو الذى يدوم ! » وبعد ان يفسر برنارد المعنى الخفى وراء هذا القول المتناقض ظاهريا يختم كلامه نهائيا بقوله : « من هنا انطلاقة روح التقدم الحقيقية »

وقد الحق المؤلف بالكتاب خمس صفحات شرحا للتعابير العلمية الصعبة التى استعملها فى بحثه وهى تضم نحوا من خمسين تعبيرا سبق له ان فسرها فى بحثه ، الا انه عاد فجمعها فى صعيد واحد تسهيلا للمراجعة •

اننى لا اكتم اعجابى بالكتاب ، لكنى اقول صراحة ان لكل جراح ماهر بارع اصابع ذهبية ، ولكن قد يصعب اقناعه بصحة بعض الحقائق الطبية ! ■■

اكسفورد : د • صبيحة الدباغ


تنويعات على
الكرة الأرضية
بريشة
بهجت



أحسن الكلام..
وخير الفعال..
ما جاء في محله.. وموضعه

بقلم « الدكتور فخري الدباغ

ـ لا تؤجل عمل اليوم الى غد ...
ـ خير البر عاجله ...
ـ في التاني السلامة ...
ـ القناعة كنز لا يفنى ...
ـ المركب التي فيها ربانان لا تسير ...

اقوال حكيمة واحاديث شريفة .. وامثال شعبية راسخة لم تات اعتباطا ... ولم ترسخ وتحيا الا بحكم واقعيتها وصحتها ونجاحها على مر الزمن ....

وجميعها صحيحة ...
وجميعها خاطئة ايضا ...

هي صحيحة وناجحة فيظروفها وتوقيتها المناسب .. وهي خاطئة وفاشلة في غير ظروفها وموعدها المناسب ... ، فعامل الزمن .. وحساب الظروف هي الضوابط التي تقرر ذلك . وقابلية المراوغة والتبرير أو خداع الذات هي التي تؤدي ببعض الناس الى اساءة استعمالها والى الاتكال عليها والاحتماء بها لتبرير السلوك والعمل والفكر .. « فلا تؤجل عمل اليوم الى الغد » عندما تكون موظفا في دائرة ومسؤولا تجاه معاملات المواطنين المراجعين الذين يتوافدون على مشاكلهم وتمشية امورهم ...

ولا تؤجل عملك وانت عامل او فني او فنان عندما تكون مطالبا بانجازه في فترة معينة وتتمكن من انجازه فعلا ..

ولا تؤجل عملك وانت استاذ وممتحن وباحث وطالب اذا كان المفروض فيك اكمال متطلبات محاضرة او تقديم اسئلة الى مدير مدرسة أو تطوير البحث او مراجعة درس معين والبحث عن قاموس او مرجع ...

ولا تؤجل منحة ومكرمة واحسانا عزمت عليه وباستطاعتك اداءه وتقديمه لان التاجيل الى غد لا تحمد عقباه ولا يعرف مصيره .. لانه لو حدث لك خطب او حدث او مرض مفاجيء .. فستفوتك فرصة الاحسان والثواب .

ولكن عليك ان تؤجل بعض الاشياء لان في العجلة الندامة .. اي ان تتروى وتتريث .. ، وفي التريث حكمة ومنفعة وعدل .. فلا تستعجل الحكم على الناس من مظهر او بادرة منفردة ...، ولا تستعجل العقوبة على مرؤوسيك وانت غير مستوف جوانب التحقيق وظروف المخالفة والتقصير ..

ولا تستعجل في الحب .. وفي الزواج .. وتريث وتردد كثيرا اذا اقدمت على طلاق او فصال او خصام ...

ولا تستعجل وتستبق الحوادث وتبن عليها المشاريع العاجلة السريعة ، بل دعها في ذهنك جاهزة هادئة لتنضج الحلول معها ..

ولا تستعجل في الادانة والاهانة والعراك ..

- « والقناعة كنز لا يفنى » ... ، ولكنها احيانا لا هي بالكنز ولا هي بالباقية .. القناعة واجبة في الازمات .. وفي المحن .. ، وعندما يمر الوطن والناس في ظروف عصيبة من كوارث طبيعية او موجة جفاف وسنوات عجاف واقتصاد مبرمج مقنن .

والقناعة واجبة أمام حكم الله والاقدار والامراض والمصائب ، عندها يدرك الانسان ان السعادة ليست احتكارا لاناس ومحرمة علىآخرين .. وان البشر جميعا معرضون للمرض والمصائب واقسى الحوادث والمحن ..

والقناعة مفتاح الصبر .. والصبر مفتاحالفرج .. فهي اذن دليل الصلابة والصمود والانتظار والتاهب للمعركة والكفاح ..

أما القناعة الذليلة فهي خسارةوليست بكنز..، القناعة التي تخدر الانسان .. وتجعله آلة بشرية جامدة ترضى بكل شيء ولا تتطلع الىالعملوالتقدم وتحسين الاحوال هي مرض اجتماعي وعلة خبيثة تشل الانسان وتجمده ...

القناعة التي تعني الاتكالية والكسل هي خلاف ما جاء به الاسلام من حث على العمل لكسب العيش .. ، فالعمل شرف ..

القناعة التي تقتل روح النقاشوالنقد والنصح هي الغرس الفكري الذي يعيق الحضارة ويعرقل المجتمع ...

والقناعة بالحاضر لن تطور المستقبل .. ، والقناعة بما وصلت اليه العلوم لن يدفعها الى الاستزادة من معرفة الكون واسرار خلق الله واستكشاف المجاهيل ...

و « السفينة التي فيها قبطانان لا تسير » لان بعض المواقع والمواقفتتطلب قرارا من شخص واحد وادارة من مصدر مركزيهو المدبر والمدير والمنظم.

ولكن « سفينة الاسرة » لا يمكن ان تسير بادارة شخص واحد .. وبقرار تعسفي . اما الزوجة الآمرة الناهية المسيطرة .. او الزوج الطاغية الاناني اللذان يريد كل منهما أن يقود العائلة وتربية الاطفال وادارة شؤون البيت حسب اهوائه ومزاجيته فكلاهما خاسر .. ، والسفينة ستقف أو تعطب أو تتعثر في ابحارها ... فادارة العائلة يجب أن تتكون بالمشاركة والديمقراطية والاعتراف بحقوق الآخرين .. ديمقراطية الابوين وتفاهمهما هما رمز الاسرة الناضجة .. واتفاق رئيسين او ثلاثة في البيت هو الضمان لسير العجلة ...

ويقول الامام علي بن ابي طالب :

« من شاور الرجال .. شاركها في عقولها ..»

... وهناك مئات من الاقوال والاحاديثوالحكم ينطبق عليها نفس التحليل ولها نفس الازدواجية والتناقض الظرفي وليس التناقض الداخلي ...

فالقول الصائب هو الذي ينطبق على الظرف الصائب .. ، والفعل الجيد هو الذي يتم في الوقت المناسب ..

والتناقض الظاهري (الظرفي) بين مجموعة من الافعال والحكم المتناظرة - المتقابلة هو في من يستخدمها وليس في حد ذاتها ...

سلاح ذو حدين

لماذا اذن هذا التناقض ؟ .. ولماذا نحتار في أيهما اصح وادق ؟ ... السبب واضح جدا .. لان هناك صنفين من الناس : -

الصنف الاول : هو الذي يريد أن يضحك على الآخرين ويدير عقولهم فيستخدم الامثال والحكم في اقناعهم وتسييرهم وفق مشيئته وهو يدرك بمكر وذكاء ان الحقيقة خلاف ذلك .

وتنطلي هذه الحيلة الحياتية على السذج والبسطاء والتابعين .

والصنف الثاني : لا يخدع غيره بقدر ما يخدع نفسه من خلال آلية عقلية لا شعورية هي آلية التبرير (Rationalisation) فعندما يجد

الانسان نفسه امام عقبة او معضلة لا يستطيع النفاذ فيها او حلها او التغلب عليها فانه يتراجع ويتخذ سلوكا آخر .. ولكنه يبرر هذا الفشل بعذر مقبول لديه ولدى الآخرين وبذلك « يحفظ ماء وجهه » ... فاذا لم يدخل في مغامرة او صفقة تجارية مربحة .. قال ان « القناعة كنز لا يفنى » .. واذا قيل له ، كان الحل الفلاني امامك للقضاء على المسالة الفلانية اجاب «الرتق كبير.. والرقعة صغيرة .. » . واذا وجد نفسه متاخرا في عمل ما قال « في العجلة الندامة » .. واذا انهال عليه اللوم لتعجله الامور ، ولم يتحل بصبر وروية اجاب « لا تؤجل عمل اليوم الى غد » .. ، مثل الثعلب الذي لم يستطع ان يصل عنقود العنب الناضج لياكله ... فنكص على عقبيه خائبا وهو يقول انه عنب حامض نيء (حصرم) ...

أدب القران ، والفقه براهين مضيئة

... وفي الآيات القرآنية دلائل دامغة على اهمية زمان ومكان الكلام ... فقوله تعالى : « .. ولا تقربوا الصلاة وانتم سكارى .. » كان امرا مرحليا يناسب نفسية وعقلية وتطور الدعوة النبوية . ولا يصح أن نستشهد به بعد مرحلته لشرب الخمر في غير وقت الصلاة لانه اصبح من المحرمات بعد ذلك بزمن قصير .. كذلك لا يصح الاخذ بجزء من آية قرآنية ونتجاهل تتمتها ومناسبتها ومعناها وابعادها ... ولكن من الناس (ومن الصنفين اللذين ذكرناهما آنفا) من يكتفي بالجزء الاول او الثاني او الاخير من آية ليجعلها ملائمة لاهوائه .. ، كان يستشهد بالجزء الاول من الآية الكريمة : كقوله تعالى « ويل للمصلين .. / الذين هم عن صلاتهم ساهون .. » فياخذ بالجزء الاول « ويل للمصلين .. » .

او يستشهد بالجزء الاول من الآية الكريمة :

قوله تعالى .. « ان الله لا يستحي / أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها .. »
فياخذ بالجزء الاول .. ولا يستحي هو أن يجاهر بذلك كالحمقى تماما ..

واخيرا .. ، فان في فلسفة الامثال الشعبية والحكم ، والاحاديث النبوية الشريفة من الكنوز ما يفي باغراض حياتنا المعاصرة من جميع جوانبها .. فهي حلي فكرية نزين بها عقولنا وسلوكنا .. ولكن الحلية يجب ان توضع في مكانها .. وأن تاخذ حجمها ولونها المتناسق مع الانسان ذاته .. بشخصه وعمره وملبسه وموقعه ومركزه وزمانه ومكانه ... وكل ذلك يحتاج الى حاسة خاصة .. يدعوها البعض « بالحاسة العامة »

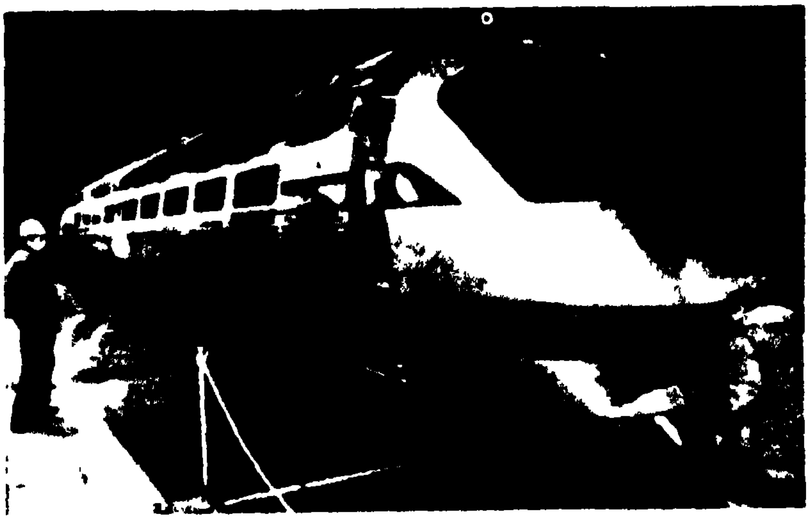
وربما نعود في مقال آخر الى مدى صحة وجود هذه الحاسة ... ■■

دكتور فخري الدباغ
جامعة الموصل ـ كلية الطب

موعظة

● قال الحكيم الفارسي بزرجمهر : « نصحني الفصحاء ،ووعظني الوعاظ شفقة ونصيحة وتاديبا ، فلم يعظني مثل شيبي ، ولا نصحني مثل فكري ، وعاداني الاعداء فلم أر أعدى لي من نفسي اذا جهلت . واكلت الطيب ،وشربت السكر ، فلم اجد شيئا ألذ من العافية ، واكلت الصبر وشربت المر فلم ار أمر من الفقر ،ونقلت الصخر ،وعالجت الحديد ، فلم أر حملا أثقل من الدين ، وطلبت احسن الاشياء عند الناس فلم أر شيئا افضل من الخلق الكريم .

اعداد : يوسف زعبلاوى



عربة امريكية متعددة القابليات

● عرف عن التكنولوجيا الامريكية تقدمها فى مختلف المجالات .. باستثناء مجال واحد على الاقل .. هو ميدان صناعة القطارات .فهذا ميدان تفوقت فيه التكنولوجيا الاوربية والفرنسية منها بالذات .. وبلغت الذروة فيه تكنولوجيا اليابان .. ولعل ظهور العربة الامريكية الجديدة كفيل بتقدم صناعة القطارات فى الولايات المتحدة على نحو لم يسبق له مثيل .

فهى عربة متعددة القابليات .. يمكن ضمها الى عربات القطار العادية التى تسير على سكك حديدية وتجرها القاطرات .. ويمكن تسييرها على انفراد ، بمعزل عن القاطرات والعربات ، وذلك بقوة الكهرباء ، تستمدها من القضبان التى تسير عليها ، او بقوة محرك الديزل الذى صنعوه خصيصا لها والذى يسهل تركيبه فى مقدمتها .

على ان هذه العربة لاتزيد سرعتها فى اى حال على ٢٠٠ كيلومتر فى الساعة ولاتتسع لاكثر من ١٠٩ من الركاب

آذان مصنوعة .. تحل محل الآذان الطبيعية

● تقدمت جراحة التجميل فى شتى دول الغرب وبلغت مستوى رفيعا فى بعضها .. ويصدق هذا بخاصة على الولايات المتحدة وعلى ولاية كاليفورنيا بالذات ..

وينسب الفضل فى ذلك الى طبيب جراح يعمل فى المركز الطبى التابع لجامعة ستانفورد .. هو الدكتور برت برنت Dr.Burt Brent . فقد اتقن الدكتور برنت هذا (٣٩ سنة) جراحة التجميل حتى بدا فى نظر الكثيرين فنانا نعاتا بقدر ماهو طبيب جراح .. على ان جراحة الاذان هى المجال الذى تخصص فيه الدكتور برنت والذى شهد اكثر منجزاته الباهرة فى ميدان الجراحة التجميلية او البلاستيكية.. كما يسميها الكثيرون .

ونخص بالذكر من تلك المنجزات .. العملية التى اجراها للطفل لانس شرفونى.. احد ابناء مدينة سان خوسى.. فقد ولد هذا الطفل باذن مشوهة (انظر الصورة) .. وما ان بلغ الخامسة من العمر حتى اجرى له الدكتور برنت العملية الجراحية التى مست حاجته اليها وحالت سنه المبكرة دون اجرائها قبل ذلك ... وكانت النتيجة ان اختفى التشويه وحلت محله اذن سليمة وطبيعية (انظر الصورة الاخرى).

وقوام جراحة التجميل هذه هو الغضروف الذى ينتزعه الدكتور برنت منجسم المريض نفسه .. ومن الغضاريف التى تكسو اضلاع صدره بالذات.. فهو اذن يشق الصدر .. ويقطع غضروفا بطول ١٠ – ١٢ سنتيمترا وفيما يمضى الدكتور برنت بعد ذلك فى نحت الاذن المطلوبة من ذلك الغضروف يعمد معاونه الى خيط جرح العملية . ثم يحدث الطبيب الجراح التجويف المناسب فى المكان المناسب ويضع الاذن المنحوتة حيث ينبغى ان تكون . ولا تلبث هذه الاذن ان تلتحم وتصبح كالاذن الطبيعية .

ويقوم الدكتور برنت بعد ذلك بعمليات صقل ثانوية استكمالا لمقومات الاذن الجمالية، وهو يقول فى ذلك : « الاذن الجديدة لايمكن ان تضاهى الاذن الطبيعية تماما .. الا انها مرضية وسارة وتساعد صاحبها على تخطى المضاعفات النفسية التى كثيرا ما تسببها له اذنه المشوهة » ..

ويؤكد الدكتور برنت ان انتزاع الغضروف من اضلاع الصدر لايسبب ضررا للمريض على الاطلاق .

حذار من ارتفاع ضغط الدم

● تدل آخر الاحصاءات على ان عدد الذين يصابون بارتفاع ضغط الدم التوترى Hypertention فى الولايات المتحدة الامريكية يبلغ نحو ٢٥ مليون نسمة سنويا ، وان الذين يموتون منهم بسبب هذا المرض لايقل عددهم عن مليون نسمة فى السنة الواحدة ايضا . ذلك ان المرض لاينذر صاحبه بل ياخذه على حين غرة، ويفاجئه بتلف خطير يحدثه فى دماغه او قلبه او كليتيه . ولو تسنى للمرء اكتشاف ارتفاع ضغطه مبكرا لامكنه معالجة العلة على نحو فعال وذلك بالعقاقير او تخفيف الوزن او بالحد من تناول ملح الطعام .

لذلك كانت الحملة الواسعة التى عمت الولايات المتحدة منذ حوالى ٥ سنوات والتى شملت حوالى ١٠ ملايين من سكانها . ولاتستهدف هذه الحملة سوى الحث على قياس ضغط الدم واكتشاف ارتفاعه قبل فوات الاوان . وقد انتشرت بسببها اجهزة قياس الضغط وخاصة الاجهزة الحديثة الالكترونية التى تقيس ضغط الدم بصورة فورية واتوماتيكية .. والتى شاع وجودها فى البقاليات والجمعيات التعاونية والمخازن الكبرى .. فانت بغير حاجة الى اكثر من ان تضع ذراعك فى المكان المخصص لها من هذا الجهاز الالكترونى وتسقط ٥٠ سنتا فى ثقب النقود ، ثم تضغط على زر فتقرأ ضغط دمك بحديه الاعلى والادنى !

فضغط الدم يقاس ، كما هو معلوم ، برقمين .. اعلى

كمبيوتر السيارات

● قد لا يمضى وقت طويل حتى تظهر السيارة التى تسير بدون سائق .. وقد كنا نحسبها فى الامس القريب ضربا من ضروب الخيال العلمى ..

ذلك ان الكمبيوترات التى تجلت منجزاتها فى سفن الفضاء والاقمار الصناعية وكذلك فى الطائرات قد بدأت تغزو فى المدة الاخيرة صناعة السيارات. وهكذا اصبح فى الامكان شراء سيارة مزودة بجهاز كمبيوتر يتيح لسائقها التمتع بمزايا



وادنى اما الرقم الاعلى فانقباضى Systolic يمثل ضغط الدم حين يكون القلب فى حالة انقباض • واماالرقم الادنى Diastolic فانبساطى ويمثل ضغط الدم فيما بين بين نبضة واخرى ، حين يكون القلب فى حالة انبساط •

وضغط الدم السليم ، كما هو معلوم ايضا ، هو ٩٠/١٤٠، او دون ذلك قليلا •• ويعتبر المرء مصابا بمرض ارتفاع ضغط الدم اذا بلغ الرقمان ٩٥/١٦٠ او يزيد • وارتفاع كهذا خطر بدليل ان الذى يبلغ ضغطه ٩٠/١٥٠ فحسب، وهو فى الخامسة والثلاثين من عمره ، لامفر من ان يلاقى حتفه قبل قرينه البالغ مثل عمره ، والذى لا يجاوز ضغط دمه ٩٠/١٤٠ • والمرجع ان يسبق الاول الثانى الى القبر بنحو ست عشرة سنة ،كما يؤكد الاطباء العلماء، وتجدر الاشارة الى ان ضغط الدم ضرورى للدورة الدموية ، ولكن بقدر• فارتفاعه يعنى مزيدا من ضغط تتعرض له جدران الشرايين Vessels ، وقد يؤدى الى تلف الاوعية Arteries فى مختلف الاعضاء •• فيسبب السكتات Strokes ، ويؤدى الى امراض الكلى وتضخم القلب • ويعتقد الكثيرون ان ارتفاع ضغط الدم يساعد على تجمع الرواسب الدهنية فى شرايين القلب•• الامر الذى قد يؤدى الى انسداد تاجى ••

بقى ان نذكر ان الوفيات المترتبة على التوتر وارتفاع ضغط الدم فى الولايات المتحدة قد هبطت بنسبة ١٩٪ فى الفترة التى نشطت فيها حملة قياس ضغط الدم ومكافحة التوتر •

عديدة ، نذكر منها على سبيل المثال :

* انه يستطيع تحديد مقدار ماتبقى من بنزين فى سيارته لدى الضغط على زر من ازرار الكمبيوتر ••

* ويستطيع ايضا تحديد المسافة التى يمكن ان يقطعها بتلك الكمية من البنزين ••

* ويستطيع سائق سيارة الكمبيوتر كذلك الوقوف على متوسط ما تستهلكه السيارة من بنزين •

* والكمبيوتر قادر على تحديد المسافة الباقية للوصول الى جهة السفر المقررة بالكيلومترات •• وتحديد ساعة الوصول اليها ايضا ••

ولو ذكرنا ان الكثير من سفن الفضاء والطائرات تنطلق الى اهدافها لم تعود الى قواعدها دون حاجة الى من يقودها وذلك بالاعتماد على الاجهزة الالكترونية الدقيقة لادركنا ان السيارة التى تسير بدون سائق هى فى متناول صناعة السيارات فى الوقت الحاضر •• من ناحية تكنولوجية••وان العائق الوحيد انما هو التكاليف الباهظة ، وهى اساسية بالنسبة الى السيارات نظرا لانها سلع تباع وتشرى فى الاسواق ، بخلاف سفن الفضاء والاقمار الصناعية وحتى الطائرات •• ويذكر هنا ان الكمبيوتر الذى ذكرنا يرفع ثمن السيارة التى يركب فيها بمقدار (١٠٠٠) دولار تقريبا•





السينما في عالم متغير

● في عالم متغير كعالمنا تتعاظم اهميــة السينما كوسيلة مــن وســائل الثقافة الشعبية • والا فما هو الفن ـ التعبـير الثقــافي ـ الاكثر ـ انتشارا واهمية بالتالى الذى يمكن اعتبــاره الراصد الاكبر لاتجاهات الحركــة فى هذا العالم المتغير ؟ قد يكون عالمنا عالما جديدا شجاعا • وقــد لا يكون • قــد يكون فردوســا او جحيما او مطهرا • وقد لا يكون • ولكن السينما فى كل الاحــوال تعتقــد أن مهمتها بالدرجــة الاولى تتمثل فى تقديس لحظة التغير التاريخية حاضرة كانت ام ماضية •• او فى السعى الى تابين هذه اللحظــة عبر مرثية حزينةللايام القديمةالطيبة، او توجس قلق من الايام المجهولة القادمة• ولكن أى سينما ؟

بقلم : الفاروق عبدالعزيز

فى عالم السينما اليوم ثمة انواع ثلاثة :

ـ السينما الاولى : وهى نوع من الاصطلاح الذى اطلقه بعض النقاد على السينما الهوليودية • وهى السينما التى كونت ما يسمى « بصنع الاحلام » منذ اختراع السينما الى اليوم • وهى سينما قوية ومسيطرة سواء بقدرتها الانتاجيــة الهائلــة او بشبكتها التوميمية الجبارة فى كل اركان المعمورة• ويسمونها احيانا السينما الامريكية او السينما المتامركة اى تلك التى تتبع الاسلوب الامريكى فى الانتاج بغض النظر عن جنسيتها •

ـ السينما الثانية : وهى سينما مصدرها اوروبى فى الاساس وتسمى احيانا بسينما المؤلف • وهى سينما تتسع لهموم الفرد وعلاقاته بهذا العالم المتغير فى اضيق نطاق بالطبع • وهى سينما تشبه القصيدة او الرواية حيث يكتبهما مؤلف واحد ويعبر من خلالهما عن رؤية شديدة الذاتية •

ـ السينما الثالثة : وتسمى احيانا بسينما التحرر الوطنى • وهى السينما التى تطرح رؤية مختلفة للعالم كلية عن سابقتيها • وهى رؤية تنبع

[illegible]موم الجموع فى بلدان العا[illegible]لث. [illegible]مضادة للهموم الفردية باعتبا[illegible]ييرا [illegible] نظرة احادية الجانب استهلكت[illegible]روف [illegible] كما استهلكتها معاناة البط[illegible]لفرد [illegible]تلم والتى لا تعنى شيئا ام[illegible]هموم [illegible]لاتها المصيرية فى عالم متخلف.

هموم العرب فى عالم متغير

من افلام هذه السينما الثالثة شاهدت مؤخرا بمهرجان كان السينمائى الدولى العادى والثلاثين فيلمين عربيين احدهما من المشرق والاخر من المغرب اما الاول وهو من اخراج اللبنانية رندة الشهال واسمه « خطوة خطوة » فيتطرق [illegible] مأساة اخرى من ماسى الحياة العربية [illegible] « الحرب اللبنانية » [illegible] البداية [illegible] من خلفيات الصراع فى لبنان [illegible] ١٩٦٣ الذى حمل [illegible] – فى رايها – بذور الازمة اللبنانية الحالية كما تلتقى المخرجة بممثلين وشعبيين لمختلف أطراف النزاع • ولكن هذا العرض لا يخلو من الغرض• فوجود العرض الموضوعى الكامل خرافة لا وجود لها • من هنا كان عمل المخرجة نوعا من الاقتراب التفسيرى لواقع كانت قد اصدرت حكمها عليه من قبل • وقد سبق ان شاهدت – فى مناسبات اخرى – افلاما عن الحرب اللبنانية وكنت احتكم عند تقييم العمل الى مدى الصلابة الفكرية التى يطرح من خلالها صانع العمل رؤيته لهذه الازمة العربية سواء اتفقت معه فيما يذهب اليه ام لم اتفق •

واعتقد ان هذا احد اهم الادوار التى يجب ان تقوم بها السينما العربية تجاه مشكلات عالمنا المتغير هذا : ان تسهم فى تنوير الحقيقة ووضع الراى العام العربى امامها دون اعتساف او قسر • ولكن من يشاهد هذه الافلام ؟ ربما جمهور بعض الاندية والجمعيات وجمهور بعض التليفزيونات الاوروبية• انها تظل سينما هامشية تبحث عن وجود •فالسينما الاولى تحتل الارض كلها ولا مجال – حتى الان – للهموم العربية فيها •

من هذه السينما ايضا شاهدت فيلما مغربيا عنوانه « الايام •• الايام » لمخرجه احمد والعنوان – وربما الفيلم كله – يطلق نفثة مصدور فى وجه هم آخر من همومنا العربية فى المغرب • لماذا تهاجر الايدى العاملة المغربية الى الشمال •• الى فرنسا؟ لماذا يفتن العامل المغربى الزراعى الصناعى ببريق ليس له وجود واحلام ليس لها كيان ؟

فيلم المعنونى وثيقة اساسية من وثائق السينما المباشرة • (وهى السينما التى تعتمد تسجيل الواقع المباشر على الطبيعة صوتا وصورة ولا تستخدم الممثلين اوالديكورات ولا تسعى الى تزييف الواقع او الايهام به)•فنحن نتابع من خلال تفاصيل دقيقة مشاهد من الحياة اليومية لعامل زراعى مغربى يقرر ان يهجر قريته سعيا وراء الحل الاخير الرابض خلف جبال البرانس • هكذا كانوا يقولون له عن الجنة الموعودة التى تنتظره هناك • ولكن شيئا آخر كان ينتظره • الحياة صعبة والالفة مفقودة والغلاء يلتهم كل شىء وذاتية ضائعة •• فى حواره مع امه وجده كنت تلمس حنينا دافقا الى الارض والتراث اللذين صارا يطالبانه الان بان يبقى ليحميهما • ويشير الفيلم الى ان الهجرة وبريقها حل لا يستطيع الفرد مقاومته • وهذه المشكلة العربية تتطلب حلا جماعيا يضمن استثمار الايدى العاملة العربية فى تنمية بلادها •

مشكلة الفن تتوهج

هذا فيلم ينتمى كلية الى السينما الثانية فيلم المؤلف والهموم الذاتية • ولكنه يعيد الى اذهاننا مجد الفن ووهجه فى ازمنة الكلاسيكيات العظيمة• فيلم جول داسان الاخير « صرخة امراة » والذى تقوم فيه الممثلة اليونانية النائبة فى البرلمان ميلينا ميركورى بدور يقترب من حياتها الحقيقية – هو عودة الى الكاثارسيس (التطهير) الذى كانت تمنحه المأساة اليونانية القديمة لمشاهديها ولكن مع ايقاع معاصر تماما • فالممثلة اليونانية العائدة حديثا الى اليونان بحكم آرائها السياسية تجرى تدريباتها للقيام بدور ميديا فى مسرحية يوربيدس وهى لا تستطيع لعوامل مختلفة الاندماج فى دورها• امراة اعماها الانتقام من جاسون – زوجها الذى خانها مع امراة اخرى فتذبح اطفالها الثلاثة وتلقيهم اليه اشلاء « حتى لا يروا ابا كهذا » • وذات يوم



متراس فى شارع الثورة فى فيلم « خطوة خطوة »

يتناهى الى الممثلة خبر القبض على امراة امريكية بحت اطفالها الثلاثة بعد خيانةزوجها لها وزواجه ن اخرى • وتلتقى بها الممثلة • وهنا يبدأ الخط الفاصل بين الفن والحياة ذوبانه • بين التراجيديا واضواء الحياة اليومية تسقط ظلال كثيرة • وعلى هذين المستويين : الفن والواقع ومن خلال الصراع والاخذ والعطاء المتبادل بينهما يحتوينا شعور تطهيرى كاسح • فى اتون هذا الصراع تكتشف الممثلة ذاتها فتنطلق ـ كما انطلق مارلون براندو فى « التانجو الاخير فى باريس » لتروى لنا فى تداع للافكار موقفها هى من الفن والحياة بتفاصيلهما المختلطة • وينتهى الفيلم بتعارض كامل بينهما : فالفن ـ الممثلة تجيد دورها بعد ان عاشته بتفاصيله مع ميديا المعاصرة والحياة ـ المرأة الحقيقية تحيا لتعانى منضربات الندم الموجعة الابدية•ولكننا نعى شيئا آخر مع الخفوت التدريجى لانوار المسرح : ان الذى قدم لنا هذا الالتحام والتعارض عمل فنى وساهم بدوره فى تحقيق شعورنا التطهيرى • فكان ماساة معاصرة تعرض لنا نقطة تماس حميمة بين ماساة قديمة واخرى حية معاشة •

الخوف من عودة الفاشية ؟

ربما كان هو الخوف الاساسى الذى يسيطر على اوروبا اليوم بعد مرور اكثر من ثلاثين عاما على دحر الفاشية فيها • لم يعد هناك مخرجون اوروبيون عظام يستطيعون معالجة هذا الخوف فى افلامهم • ففرسان الواقعية الايطالية قد ماتوا : دى سيكا و فسكونتى وحتى بازولينى وروسيللينى ورجال السينما الحرة البريطانية توقفوا او هاجروا الى الولايات المتحدة سعيا وراء الرزق : تونى ريتشارد سون وليند ساى اندروسون والان باركر وكاريل رايس • افلست السينما البريطانية • ابطال الموجه الجديدة الفرنسية استهلكوا انفسهم فتوقفوا او هاجروا ايضا الى هوليود الجديدة : جودار وتروفو وشابرول ولوى مالسا وغيرهم •

من المانيا الغربية ظهر مخرجون شديدو الاوروبية ـ وبشكل ادق ـ المانيون حقا تؤرقهم الفاشية وكوابيس الماضى القريب • ابرزهم هو رنير فاسبندر الذى شاهدت له مؤخرا فيلمه « ياس » بطله هو هيرمان هيرمان صاحب مصنع للشيكولاته فى المانيا فى زمن صعود النازية • يصاب بالشيزوفرينيا (انفصام الشخصية) فيتخيل نفسه عاملا فقيرا ويقرر انتحال شخصيته فيتقنه• ولكنه يقع فى قبضه الشرطة فى النهاية • ليس المهم هنا هو الحبكة القصصيه ولكنه ذلك الجو الرهيب المثقل الذى يحتويك فى كل مشهد من مشاهد الفيلم•فليس هنا سبب ظاهر لخوف هيرمان ولا لياسه • فكل شىء متوفر لديه وهو انسان غير مسيس ولكن اغلاق باب يفزعه ومرآة فى بيته تعكس له ذاتا اخرى تسكن ذاته والشوارع خاوية الا من لابسى شارات الصليب المعقوف والايام طويلة باردة وعندما ينجح فنان ما فى توصيل « جو خاص » اليك بمثل هذا القدر من التكثيف دون احداث او نوازل متعاقبة فلا شك انك بازاء عمل فنى حقيقى • هذا فيلم عن مشاعر الخوف والياس من مقاومة المد الفاشى فى الماضى القريب ولكن الجو الثقيل يجعلك تتحسس نذر العودة الى الفاشية التى تهدد الانسان الاوروبى اليوم • قد لا تكون كفاشية الامس ولكنه الخوف الذى يقول باستمرار الفاشية ولكن بوسائل اخرى •

صحوة الضمير

هذا فيلم من افلام السينما الاولى تقهله اذواق



ميلينا ميرلورى فى صرخة امرأة

ن فى كل مكان • ولكنه برغم ذلك يكاد
احد افلام السينما الثالثة فى جانب واحد
؛ يمثل صحوة الضمير فى المجتمع الامريكى
ب فيتنام باثارها المدمرة على كيانه • بل
م فيلم عن هذه الحرب حتى الان •

« العودة الى الوطن » حول زوجة ضابط
يذهب الى فيتنام للاشتراك فى القتال
قصة اشفاقها ومعاملتها الخاصة لرقيب
اد مقعدا بشلل دائم فى الجسد والشعور
• وعندما يعود الزوج الى الوطن تزوده
، الامريكية باشرطة تسجيل تحتوى على
علاقةزوجتهبالرقيب • لماذا اهتمت المخابرات
ا ؟ لان الرقيب توجه ذات مساء الى اكبر
لتجنيد واغلق البوابة الحديدية الضخمة
نسه بها واعلن احتجاجه عبر قنوات
ن على هذه الحرب وجدواها للشباب
الذى يعود فى الغالب مقعدا مثله •
زوج ـ الذى عاد سليما ـ انه أيضا
أعصاب والروح • وبينما كان الرقيب
نرة لمجموعة من الشباب عن اهوال الحرب
هة كان الزوج يسبح عاريا تماما ـ بعد
ل نياشينه وبزته العسكرية ـ فى مياه
المحيط الهادى باتجاه الافق •

ـ يحشد هذا العمل ـ الذى قامت ببطولته الممثلة المناضلة القديمة ضد حرب فيتنام جين فوندا ـ مشاعر المشاهد عبر عشرات من التفاصيل اليومية الصغيرة ضد الحرب التى تفتقر الى المشروعية لانها تتحول حينئذ الى قتل لمجرد القتل • وهو الامر الذى يسبب امراضا نفسية كتلك التى اصابت الزوج العائد الى الوطن فى الوقت الذى تباعد فيه بين الفرد وبين الشعور بالبطولة •

★ ★ ★

هذه بعض هموم عالمنا المتغير التى تعرضت لها السينما بانواعها الثلاثة كما شاهدتها فى مهرجان كان السينمائى الدولى الحادى والثلاثين • والسينما الجادة ـ من اى نوع كانت ـ هى اسهام فعال فى تنوير المشاهد بالحقائق التى تصنع هذه الهموم وبمدى قوة التغير فيها • وقد تقترح هذه السينما او تلك حلولا او قد تكتفى بالايحاء بها • ولكن محاولتها فى الاقتراب ـ ايا كان المدخل ـ تظل دائما جزءا حيويا من دور السينما فى هذا العالم المتغير • ■■

الفاروق عبد العزيز

رسالة من طوكيو :

الطباعة العربية فى اليابان

درس فى تفوق الدقة على المعرفة

بقلم : عمر طه

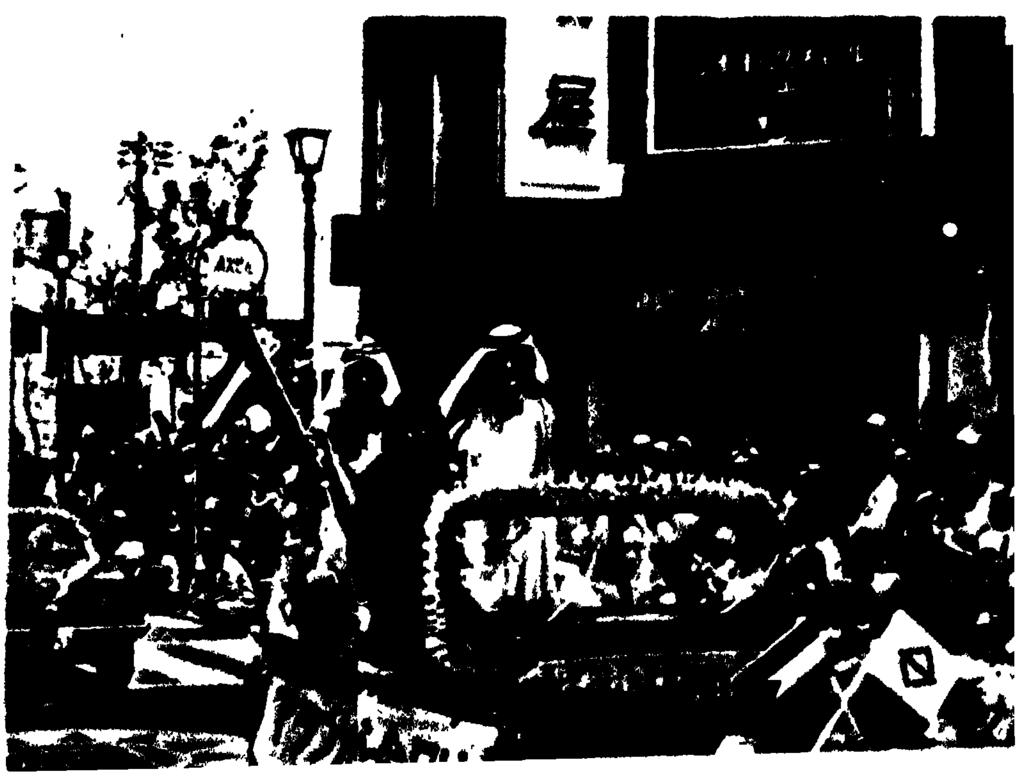
قصة الطباعة باللغة العربية فى اليابان هى واحدة من عدة قصص تروى الكثير من الاعجاز الذى يبعث على الدهشة ويستحق الاعجاب •

فهـذا شعب قـادر على كل شىء ، مـن بعض اسراره هذه الانامـل الرقيقـة التى تصنع ادق اجهزة الترانزيستور واصغر العقول الالكترونية وكذلك عدسة التصوير الصغيرة التى تدخل الى معدة الانسان وتلتقط عشرات الصُور • ثم هذه الايدى القديرة التى تصنع اضخم ناقلة للبترول فى العالم ، واسرع قطارات العالم ، ومن اسراره ايضا صدق اليابانى ونظافته واجتهاده وايمانه بقوميته ، ودقته وانضباطه الى غير حدود •وهناك اشياء كثيرة عن الانسان اليابانى الذى تتحدث روائع السلع عما يقوم به ، وتحكى فنونه قصص الاقتباس والابداع والابتكار المميزة للشعبالشرقى روحاوتقليدا ، لكلما يقدمهالغرب، فكرا وصناعة•



ولة فى اليابان

محافظة كاناجاوا
تمد يد الصداقة للعر



نظام بحكم التفنن

فاول ظاهرة مميزة لليابان هى هذا النظام ، فى كل ناحية من نواحى الحياة ، وهو نظام قائم بحكم التفنن ، فالنظام فى اليابان هو بمنزلــة القداسة ، والنظام هو دستور بكل ما يحمل معنى الدستور من اتقان وعلم وعمل وتطبيق بكثير من الجد ، وبقليل من الاسراف • ويدخل كل شيء فى هذا النظام من مواظبة وسدى حثيث وصبر واناة ، هى جميعا جزء من الواجب •

فمن اول الواجبات فى بـلد تستـقيم اموره التزام الطاعة ، واذا بحثنا هنا نجد ان الفتاة تطيع والدها وبعد والدها تطيع زوجها واخيرا تطيع ابنها • وعلى غرار ذلك العامل فى المصنع والموظف فى احدى الادارات ، والسائق لقطار او سيارة اجرة •

وبعد الطاعة تاتى سنة التواضع ، فيقوم الواحد او الواحدة من هذا الشعب بما نعتبره نحن معجزة، ولكنهم يتواضعون • لا يستخدمون فعل التفضيل الذى استملكناه نحن العرب ، فلا يقولون احسن سلعة ولا اسرع قطار ، ولا فعلت كذا وكذا •• بل يتحدث اليابانى باعتباره جزءا من كل وقطعة لا تنفصم عن نسيج اليابان القومى •

فبهذه المجموعة من الفضائل يستطيع اى يابانى ان يصنع لك كل ما تريد وكل ما تحتاج اليه من الابرة الى الناقلة العملاقة ، وكل ما يطلبه منك هو مواصفات دقيقة ، ثم امهاله بعض الوقت •

يلى ذلك دور التخطيط الذى يشترك فيه كل عضو بالاسرة،من مدير القسم الى اصغر عامل•فكل شيء يحسب حسابه وكل شاردة وواردة لها شان، وياتى بعد ذلك حساب الربح والخسارة وحساب المزاحمة وحساب النقل وكل مايدخل فى نطاق العمل •

وبعد هذا ياتى دور التنفيذ ، بعد بحث مستفيض ودراسات علمية وتطبيق لادق التفاصيل من البداية حتى النهاية ، واخيرا تصدر الاوامر بالعمل وتوكل الى كل عامل مهمة خاصة به •

وياخذ دولاب العمل مجراه ومساره الطبيعى فى كل موقع ، بحيث تتحول اليابان باسرها الى جيش سلمى ، تصدر اليـه الاوامر ويبدأ كـل جندى وضابط تنفيذ ما يطلب منه ويكلف به •

رفض شعور الهزيمة

لقد مضى على اصدار الاوامر مائة سنة ، وذلك حين فتح الامبراطور العظيم « ميجى ابواب اليابان الواسعة ، فاوفد مئات الطلبة الى اوروبا ، وعاد كل منهم يحتل مكانه فى المعمل وفى المدرسة ويلقى التشجيع من كل فرد ، واخذت اليابان تنتج السلع الصغيرة ثم المتوسطة واخيرا الكبيرة • فقد بدأ تصنيع هذا البلد بمصـانع النسيج واقلام الـرصاص والابـرة ، وتطورت الى اشياء اخرى اكبر واهم لحياة الشعب واقتصاده وزراعته وصناعته التى تضاهى مثيلاتها فى العالم اليوم •

وهكذا لم تمر ٤٠ سنة حتى باتت اليابان قوة يحسب لها حساب فى السلم وفى الحرب • واليوم مقابل جحافل الجيـوش والاساطيـل والطيـران الانتحارى نرى منتجات يابانية فى كل سوق من اسواق العالم • ونرى الخبراء اليابانيين فى الرياضة والصناعة والزراعة هنا وهناك ، ونرى بين كل ثلاثة مسافرين يابانيا واحدا عبر العالم •

فلم يدع اليابانى شعور الهزيمة يشل حياته وتفكيره ، بل وجد من الهزيمة فى الحرب والقنبلة الذرية حافزا للتضحية والعطاء فى زمن السلام ، فنهض الشعب من كبوة الحرب والهزيمة عملاقا يخرج عن نطاق الجزر الصغيرة وينفلت من القمقم الى آفاق واسعة ومجالات جديدة •

حقا ان تجارب اليابان فريدة يصلح الكثير منها

لنا نحن العرب في سعينا الحثيث من اجل التصنيع ودفع عجلة التنمية قدما ، وهي تجارب رائدة في الشرق خاصة وفي العالم اجمع • كيف استطاع الياباني تطويع كل شيء وترويض كل اداة وتسخير كل فكر خلاق ؟ كيف استطاع الياباني ان يكون رياضيا وان يدخل كل منافسة وينطلق في كل ميدان حضاري ؟ كيف استطاع ان يحرز قصب السبق ويبز الغرب ؟ كيف احال كل شبر الى ارض خضراء واقام في كل منعطف مصنعا ؟ كيف ينفرد دون شعوب الشرق بملكة الابداع والانتاج والتنمية ؟

الطباعة باللغة العربية

ان الاجابة على هذه الاسئلة تحتاج الى مجلدات ، ولذا اعود الى موضوع الطباعة باللغة العربية فاقول ، ان ما نكتبه بلغتنا نحيله الى قسم تنضيد الحروف مع تعليمات تتصل بالموضوع من حجم ونوع الخط المطلوب لهذا المقال وذلك الموضوع • ويقوم اليابانيون ـ بما فطروا عليه من دقة واتقان وانامل رقيقة ـ بصف الحروف حرفا حرفا وكلمة كلمة ، ويعود الموضوع الينا لتصحيحه مرة او مرتين • ثم يعاد للتصوير وللتكبير او للتصغير حسب الحاجة •

ويتم كل شيء بموجب نظام دقيق باحدثما وصل اليه فن الطباعة من تصميم وعقل الكتروني ، يتحكم بالفاصلة والنقطة والمسافة بين الكلمة والأخرى ، بموجب توجيهات وتعليمات يلقيها رئيس قسم التصميم وهو لا يعرف حتى الفباء العربية ، وكذلك هو الحال مع جميع معاونيه من نساء ورجال •

بعد عمل سنوات اصبح المشتغلون في قسم تنضيد الحروف هنا يفرقون بين الالف والياء ، فكل ما نمليه عليهم وما نكتبه من كلام يخرجعلى الاشرطة مكتوبا ، ثم تصدر الاوامر الى رئيس قسم صف الحروفكي يصحح او يزيد او يحذف بما يتفق وحاجتنا الى التعديل والتكييف ، حسب المخطط الموضوع •

ويعرض علينا كل مصمم وكل منضد حروف نتيجة عمله او عملها ، وبذا نحكم على مقدرة كل منهم ومدى تقدمه او عدم ذلك • ولا يقتصر الامر على تنضيد الحروف وتصويرها ، بل هناك فصل الالوان والتصوير والتلوين وما شابه من عمليات فنية ، يدخل فيها الخط العربي والعناوين التي يصممها يابانيون لا يحسنون حتى الابجدية العربية •

بداية متواضعة

بدات الطباعة باللغة العربية في اليابان بداية متواضعة ، فقد امكن صنع حروف عربية ، ثم تطويرها الى الة كاتبة يدوية ، ومن الالة الكاتبة تطورت المبرقة باللغة العربية (التلكس) ، وابراق الرسم البياني من بلد الى اخر لتسهيل البحوث الصناعية والعسكرية وسواها ، مثل الحاسبة الالكترونية واخيرا وليس آخرا الساعة باحرف عربية •

ومن طباعة النشرات الاعلامية ومطبوعات الشركات اليابانيه انتقلنا الى طباعه الكتب والمجلات ثم تقارير شركات الطيرانالسنوية وطباعة الخرائط ، وعما قريب ياتي دور المعاجم ، ومطالب المتاحف وما شابه من اعمال بالغة التعقيد •

ولعل ما يثير الانتباه ان كتاب « تعلم اللغة العربية » لليابانيين هو من اروج مطبوعاتنا اذ يباع منه بمتوسط مائة كتاب في الشهر الواحد •

ثم ان احد الفنادق قد رغب بشراء مائة الف نسخه من كتيب « اليابان » السياحي السنوي ، كي يعرضه في فروعه بطوكيو •

وتتسابق كبريات الشركات اليابانية الى حجز صفحات للاعلان في مطبوعات دار النشر المتخصصة بالطباعة باللغة العربية •

ولدينا تسهيلات لتدريب رجال الطباعة العرب على احدث ما وصلت اليه فنون الطباعةوالتصوير والتصميم في دورات تستغرق كل منها ستة اسابيع او ثمانية ، حسب الحاجة • وهذا قليل من كثير مما تقوم به شركة صغيرة تخرج عنها باطباع كبير بحيث اخذت بعض وزارات الاعلام العربية تهتم بنا وتشجعنا • وهذا ما يبشر بخير في مجال تعزيز الصلات العربية اليابانية ، هذه الصلات التي تزدهر اكثر من اي وقت مضى بحيث تتجاوز قيمة التجارة العربية اليابانية سبعة عشر بليونا من الدولارات •

تحول للجانب العربي

وقد تميزت الاشهر القلائل الماضية بتحول ياباني تاريخي لصالح القضايا العربية وتشهد

الساحة اليابانية حملة اعلامية موفقة لم تكن تذكر قبل وصول ممثلي مكتب الجامعة ومنظمة التحرير الفلسطينية الى طوكيو .

فقد باتت اليابان تؤيد الحق العربي وتفتح ابوابها الواسعة للاعلام العربي وخاصة اذا كان ذكيا ، فقد رحبت اليابان بفتح مكتب المنظمة حيث يلقى مديره كل تعاون واهتمام من الاوساط الرسمية والشعبية .

ويصح القول ان الاعلاميين العرب اخذوا يحققون النجاح وباتوا ينفذون الى اعماق الفكر والضمير الياباني ، وقد استغرب الصحفيون اليابانيون الذين حضروا المؤتمر الصحفي الاول بمناسبة افتتاح مكتب فلسطيني في طوكيو لانهم لم يروا اثرا للمدافع الرشاشة بل شاهدوا لوحات فنية فلسطينية واستمعوا الى اغان فلسطينية ، واعجبوا بالمطبوعات الفلسطينية باللغة اليابانية ، ووجدوا في استقبالهم شابات عربيات فلسطينيات يرتدين الزي الوطني التقليدي ...

وهكذا لا يقف الامر عند حد ادخال الطباعة العربية لليابان بل يتعداه الى مجالات اوسع منها الدعوة ونقل الثقافة ، ونجد اليابانيين يتفاعلون سريعا مع الثقافات الرفيعة واللغات الحية ، ويتعاطفون مع حركات النضال الوطني دون الاكتفاء بالتفرج والاعجاب .

فسرعان ما يتحول التفهم والاعجاب الى تاييد للحق والتطوع الى دعمه واخراجه يابانيا على شكل اغنية وقصة وكتاب يشق طريقه بسرعة الى المكتبات والبيوت وينفذ الى العقول والافكار .

تحرك الشعب الحي

يصح القول ان الشعب الياباني باعتباره شعبا كثير الحيوية يتحرك سريعا وبمقدار كبير من الطاقة والعمل الايجابي بحيث ان الانتاج الادبي العربي الرفيع قديمه وحديثه قد ترجم الى اللغة اليابانية، وكذلك يحدث بالنسبة للتراث الثقافي العربي ، فكلمة « انت » وكلمة « شاي » وكلمة « قهوة » واسم « حمادة » مشتركة بيننا وبين اليابانيين ، وحين يبدي الياباني اعجابه بشيء يقول متعجبا (الله !) ثم يقولون « انها مكة السياح » او « انها مكة الابداع » .

ونظرة الى وزارة الخارجية اليابانية نجد انها تضم أكثر من عشرين دبلوماسيا خبراء باللغة العربية . وليس هناك حصر لعدد الملمين باللغة العربية في الشركات اليابانية ، بينما تلقن اللغة العربية وتدرس رسميا في عشر جامعات ومعاهد يابانية ، عدا عن اليابانيين الذين يتعلمون في الجامعات العربية .

ولكي يستوعب اليابانيون ثقافات وحضارات عديدة استعملوا خمسين حرفا لكل ما هو اجنبي ، يطلق عليها « كاتاكانا » ، يقابل هذه خمسون حرفا من الابجدية اليابانية الاصيلة بينما استعانوا برموز صينية لا يعرف حد لها ولا يسع احدا حصرها .

وحتى لا يكون الياباني اميا يفترض فيه تعلم حوالي ١٨٠٠ من الرموز الصينية بينما يحتاج الياباني الذي يكتب ادبا او علما ان يحفظ اكثر من عشرين الف رمز من الرموز الصينية ، اضافة الى الحروف الخمسين اليابانية والحروف الخمسين الخاصة بالاسماء والاشياء الاجنبية .

يتعلمون العمر بطوله

يبدأ الياباني تعليمه في روضة أطفال من سن الثالثة ، ويواظب على التعلم مدى الحياة . فان لي معرفة بسيدة في الخامسة والثمانين من عمرها ، وما زرت بيتها مرة الا وهي مكبة على المطالعة وتعلم فن الخط الصيني ، اضافة الى مطالعة الصحف والمجلات ومتابعة الاحداث والبرامج على شاشة التلفزيون والاذاعات . وفي كل مرة ازور هذه السيدة تصر على مناقشة آخر التطورات في المنطقة العربية ، ومعرفة رايي فيما ينشر ويذاع من انباء وتعليقات .

لهذه الاسباب لا اجد سببا للاستغراب اذا ما طبع اليابانيون باللغة العربية سواء على الآلة الكاتبة او عن طريق العقل الالكتروني دون ان يعرف او تعرف لغتنا .. فان اشعة « ليزر » التي استعان بها ذراع مركبة أبولو وسواها على سطح القمر والمريخ لاغتراف التربة والصخور هي من صنع ياباني ، ومع ذلك فلائل هم الذين يعرفون الحقيقة .

يقوم اليابانيون لدينا تلقائيا بطباعة اللغة العربية ، وهم يفعلون ذلك كوسيلة لكسب الرزق،

وتدفع لهم ولهن جميعا مرتبات عالية ، بالمقارنة مع المرتبات لدى شركات اخرى • وهم يقولون ان اللغة العربية من أصعب اللغات تعلما وايسرها طباعة •

عيد للثقافة

وقد نضيف الى العوامل السالفة أن الياباني يعتز بالثقافة ويحتفل بعيد رسمي وشعبي لها في الثالث من نوفمبر (تشرين الثاني) من كل عام • وفي هذه المناسبة تمنح الدولة اوسمة لليابانيين الذين أدوا خدمات جليلة للمجتمع الياباني . وتفعل مثل ذلك الصحف اليابانية ذات المكانة الرفيعة ، مثل اساهي (الشمس المشرقة) •

وهذا يؤكد مقدار اهتمام حوالي خمسة آلاف محطة تلفزيون وتسعمائة محطة اذاعة ومائة وثلاثين صحيفة يابانية بنشر نبأ ادخال اللغة العربية كلغة رسمية في مؤسسة اليونيسكو ، قبل أعوام قليلة •

ولا يخفى أن اليابانيين يستعملون ما نسميه اليوم بالارقام الافرنجية ، ويعرفونها بالارقام العربية • واعرف يابانيا ما زال يعكف على ترجمة مقدمة ابن خلدون، بينما يعلم الاساتذة اليابانيون لغتنا العربية في جامعاتهم ومعاهدهم •

أسموه بالغزو العربي

قبل حوالي عامين نشرت صحيفة « نيويورك تايمز » الامريكية تحقيقا عن عملية الطباعة باللغة العربية ، ومثلها فعلت صحف يابانية اقتصادية وعلمية ، فالاولى قالت انه غزو حضاري عربي ، وقالت الثانية ان الطباعة باللغة العربية تبعث على الاهتمام • وقد سال مندوب مجلة امريكية وهي تسجل حديثا مع المسئول عن المشروع : هل تعرف اللغة العربية ؟ فاجاب بالنفي ، ولكنه ابرز بطاقة تحمل اسمه باللغتين العربية من جهة واليابانية من جهة أخرى ••

واذا سمح لي القول ان قلب اليابان كبير يتسع للكثير والفريد من الحضارات ، ومقابل مواقف اليابان الحضارية يجدر بنا دراسة أوضاع اليابان عن كثب وتعلم ما تستطيع اليابان تقديمه لنا وفي الوقت ذاته يتحتم علينا مقابلة هذا الشعب في منتصف الطريق وتفهم مواقفه، خاصة وانه يتعرض لضغوط اقتصادية وسياسية وفكرية من مختلف الاتجاهات ، كما يتعين علينا ابقاء شعلة الصداقة العربية اليابانية متقدة باشعاع ونفط عربيين •

■■

طوكيو ـ عمر طه

محاورة بليغة

● خطب الحجاج فشكا سوءطاعة أهل العراق فقال لهجامعالمحاربي : « أما انهملو أحبوك لاطاعوك ، فدع ما يباعدهممنك الى ما يقربهم اليك ،والتمس العافية فيمن دونك نعطها ممن فوقك » • فقال الحجاج : « والله ما لهمعندي الا السيف » • فقال أيها الامير : « ان السيف اذا لاقى السيف ذهب الخيار » قال الحجاج : « الخيار يومئذ لله» قال : « أجل ، ولكنك لا تدري من يجعله الله » فقال الحجاج:« والله لقد هممت أن اخلع لسانك فاضرب به وجهك »فقال المحاربي : يا حجاج :« ان صدقناك أغضبناك وان كذبناك أغضبنا الله ، فغضب الامير أهون علينا من غضب الله » •

« بضربتان ولكمتان ! »

● حكى الاصمعي قال :مررت بالسوق فاذا أنا بنحوي يتقعر في لغته ، فاقترب من أحد باعة الفاكهة فقال النحوي:« بكم تانك البطيختان اللتان بجنبهما السفرجلتان ودونهما الرمانتان ؟ » فقال الفاكهي :« بضربتان وصفعتان ولكمتان،فبأي آلاء ربكما تكذبان » •



الطفيليات

● هذه الامراض التيتنتج عن الطفيليات هل لي ان أعرف شيئا عنها ؟ وكيفتتم الاصابة بها ؟

— الطفيليات هي كائنات حية تعيش على كائنات حية اخرى تسمى بالعائلالذيبؤمن لها الماوى والغذاء • وهي تصيب الحيوان والنبات • وليس كل كائن حي يعيش مع الآخريطلق عليه لفظ الطفيلي فهناك بعض الكائنات التي تعيش حياة المشاركة مع بعض ويستفيد احدها او قد يستفيد الكائنان معا من هذهالمشاركة• ولكن الطفيليات تنحصر بالكائنات التي تعيش على الكائنات الاخرى وتاخذ غذاءها وتنمو على حسابها وفي اغلب الاحيان لا تقضي عليها لان ذلك ليس من مصلحتها • بل مصلحتها ان يستمر العائل حيا لتاخذ هي ما تحتاج اليه بيسر وسهولة فتنمو وتكبر وتتزاوج وتتكاثر •

والطفيليات انواع منها من يعيش لفترة ما على العائل ثم يتركه • ومنها من يتمكن من العيش معتمدا على نفسه فان وجد العائل عاش عليه وان لم يجده عاش كاي كائن حي آخر•

ومنها من لا يستطيع الا ان يعيش طفيليا وهذه انواع كثيرة ايضا كبعض الحشرات التي تزور العائلفقط لتتناول غذاءها كالبعوضة • ومنها الذي يعيش معظم اطوار حياته على العائل كالديدان • ومنها من يعيش على عائل معينولكنه ان وجد عائلا آخر ليس من نفس النوع عاش ايضا عليه• ومنها من يعتمد على نوعواحد فان لم يجده قضي عليه ومات •

والامراض التي تنجم عن الطفيلياتقليلا ما تحدث نتيجة طفيلي واحد او عدد قليل منه بل يجب ان تكون الاصابة باعداد كبيرة حتى تعطياعراض المرض • وانكانهناك استثناء لهذه القاعدة العامة كحدوث انسداد القناة المرارية بدودة اسكارس واحدة

ولان معظم الطفيليات تقضي بعضاطوار حياتها خارجالعائل فهي بحاجة الى جو ملائم لها ولهذا نجدها تكثر في الاماكن الرطبة والحارة نوعا •

وتكون العدوى اما بالبيض او بالبيض المتكيس Cysts أ باليرقة او بالطفيلي الكامـ النمو •

ووسائل العدوى كثيـ كتلوث الغذاء والشراب كـ يحدث بالاميبا او عن طر الجلد والغشاء المبطنللفم كـ يحدث في البلهارسيا ، او ع طريق الحشرات بامتصاصها د العائل وادخال الطفيلياليهكـ يحدث في الملاريا •

ويؤثر الطفيلي على عائا ويؤذيه بطرقعدةكان يمتص مـ غذاءه او بضغطه على بعض اجزائه الهامة والحيوية كخلا الدماغ والكبد مثلا ، او ا يقفل ويسد بعض قنواته كقنا المرارةاو اوعيةالجهازاللمفاو بالجسم ، او ان يفرز موا سامة او يساعد وجوده علم دخول الميكروبات والفيروسا الضارة ويتسبب بنمو خلا خبيثة (سرطانية) بانسجـ جسمه •

والاعراض متنوعة وتختلف كثيرا حسب نوع الطفيلـ والمكان الذي يختارهمسكنا لـ وحالة العائل وقوة مقاومته •

ويمكن تشخيص وجودهبطرق متعددة نذكر منها الفحص المجهري للدم والبول والبراز والبصاق او باجراء بعض

الفحوصات التي تعتمد على وجود مناعة بجسم العائل تولدت نتيجة لاستضافته غير المرغوبة للطفيلي والمفروضة عليه ، او ببعض الفحوصات التي تعتمد على التفاعلات الجلدية نتيجة لوجود افرازات خاصةيفرزها الطفيلي كالسموم مثلا وتنتقل بواسطةالدمللجلد ويمكنناالكشفعنها اوباستعمال اشعة اكس .

اما بخصوص العلاج فذلك يعتمد على نوع الطفيلي ولكل حالة علاجها الخاص بها وقد يكون يسيرا كما هو في معظم الحالاتوقد يصعباحياناويضطر الطبيب للتدخل الجراحيوخاصة اذا ظهرت المضاعفات .



امراض الزمن الحاضر

● كيف يمرض قلب الانسان؟

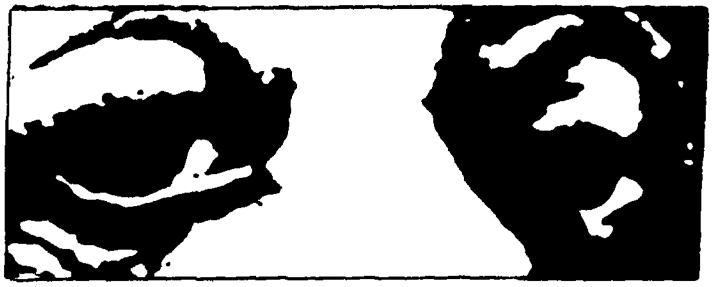
ـ قلب الانسان يزن حوالي ٣٠٠ جم ويقعفيحواليمنتصف الصدر ثلث في الجهة اليمنى وثلثان في الجهة اليسرى، يغذى من شريانين ، الشريان الايمن والشريان الايسر وكل شريان يتفرع كالشجرةالى عدة شريانات صغيرة تغذى عضلات القلب . واعصابالقلبالسليم تنظم دقاته في الهدوء ببطء وعند العمل الرياضي بسرعة ، اما القلب المريض فانه يظهر عجزه في حالات كثيرة مثلا بعد تناولوجبة كبيرةاو عند الاقامة في مرتفعات تقل فيها كمية الاكسجين او عند المشي بسرعة او عند الغضب .واعراضعجز القلب هي الالم في الصدر والشعور بقلة الهواء ، واذا كان ضيق الاوعية الدموية قليلا فان الالم لا يحدثالا عند العمل الشاق ، وفي الحالات الاخرى يحدث الالم حتى اثناء الراحة التامة.وامراض القلب عديدة واهمها هنا ضيق شريان القلب ، الامر الذى يؤدى الى نوبات الم حادة في القلب مصحوبة بضيق الصدر وقلة النفس والشعور احيانا بقرب النهاية ، وفي الحالات الخطرة قدتحدث الجلطة الدموية نتيجة اغلاق احد شرايين القلب الصغيرة او الكبيرة بما في ذلك تلف بعض عضلات القلب وعدم قدرة هذا الجزء على المساهمة في نشاط القلب ، وتاثر عمل القلب يعتمد على حجم الجزء التالف فاذا كان هذا صغيرا فيمكن التعافي منه بلا اثر ملحوظ ، اما اذا كان ضرر القلب كبيرا فقد يترك ضعفا عاما للقلب يجب علاجه مدى الحياة بالادوية واحيانا باجراء عملية جراحية يقومبها اطباء متخصصون في جراحة القلب وهم مع الاسف قليلون في العالم ، والقسم الغربي من برلين الذى يزيد سكانهعن المليونين نسمة يوجد به طبيب واحد ومساعدان لجراحةالقلب وكثير من المدن الكبيرة في اوروبا لا يوجد فيها اى طبيب تخصصي في هذا المجال .

وهناك طريقة حديثة لتوسعة الاوعية الدموية بواسطة اجهزة انبوبية تستعمل دونعملية وقد اثبتت نجاحها في توسعةشرايين الارجل التي كانمصيرها القطع بدون علاج ، وتستعمل هذه الطريقة الان من طبيب واحد فيالعالملتوسعة شرايينالقلب.

وهناك عوامل كثيرة تؤدى الى ضيق اواغلاق اوعيةالقلب الدمويةوبالتالي الىمضاعفاتها الناتجة عن عدم تزويد عضلة القلب بحاجتها من الاكسجين والمواد الغذائية الضرورية . وبما انالقلب يعمل فيالدقيقة بين ٦٠ و ١٠٠ مرة ليلا ونهارا فانه يحتاج الى كمية كبيرة من الغذاء والاكسجين .

وهناك عوامل يمكن للانسان تجنبها لوقاية نفسه منامراض اخرى يجب علاجها قبل تضرر القلب . ومن العوامل الثابتة التي تؤدى الى ضيق الشرايين هي ، التدخين ، السمنة ، قلة الحركة ، ارتفاع ضغط الدم ومرض السكر . ولتجنب مرض القلب على الانسان يجب اولا تجنب العوامل المؤدية اليه مثل التدخين والحفاظ على الوزن الطبيعي والاكثار من الاعمال الرياضية وبانتظام وعلاج دائم ضدارتفاعضغط الدموالسكر.





الماء الازرق والماء الابيض في العين

● كثيرا ما نسمع عن الماءالازرق والماء الابيض الذى يصيب العين فهل هو مرض واحد ؟ أم مرضان مختلفان ؟ وهل لى أن أعرف بعض الشىء منهما ؟

ـ الحقيقة بان الماء الازرق يطلق على اعراض زيادة شك التوتر بالعين « الجلوكوما » Glucoma وهو يختلف اختلافا كليا عن الماء الابيض الذى يطلق على عتامة فى عدسة العين ـ الكتراكت ـ Cataract ونسميه أيضا « ساد العين »

ففى الحالة الاولى يزداد ضغط السائل الموجود داخل العين والذى عادة ما يكون ما بين ٢٠ ـ ٢٥ مم زئبق ويقاس بجهاز يوضع على قرنية العين يسمى جهاز « شويتس » Schoits واسباب الزيادة تنتج اما من :

اولا : زيادة ضغط السوائل فى الشعيرات الدموية المغذية للعين ٠

ثانيا : زيادة المواد الزلالية فى سائل العين بين القرنية والقزحية ٠

ثالثا : انسداد فى الدورة الطبيعية التى يمر بها سائل العين من مكان تكوينه وافرازه الى مكان امتصاصه ليتجدد باستمرار ويبقى بضغط ثابت داخل العين ٠

والاعراض التى تظهر على المريض تختلف من حالة الى اخرى فقد يشعر بزغللة او بهالات من الضوء امام عينه تكون مصحوبة بصداع بسيط يستمر لفترة من الزمن لم تزول دون ان تحدث اى تغيير بمظهر العين الخارجى ٠

او ان تكون الاعراض من الشدةبحيث يشعر الانسانبالم شديد جدا بالعين مصحوبا بصداع مع غثيانوقىء وسرعة بالنبض وارتفاع درجةالحرارة معضعفقوةالابصار وتكونالعين فى هذه الحالة محمرة من شدة الاحتقان ، والحدقة بيضاوية واسعةبعضالشىء وتظهرالاوردة بارزةكماتظهر عتامةبالقرنيةمما يعطى الحدقة اللون الاخضر القريب من الزرقة ومن هنا جاء الاسم « الماء الازرق » ٠

وعلاج هذه الحالة يختلف باختلاف السبب فاما ان يكون بالعقاقير او ان يكون بالتدخل الجراحى حسب ما يراه الاخصائى المعالج ٠

اما الحالة الثانية « الماء الابيض » او ساد العين Cataract فهى تصيب عدسة العين فتصبح مظلمة وتظهر كستارة تحجب الرؤية السليمة ٠

تنتج هذه الحالة من تغيرات بداخل العدسة نفسها فيزداد السائل الذى بين انسجتها وخلاياها فتتقطع وتظهر بها اجسام كرويةدقيقة نطلقعليها اسم « كريات مورجاجنيان » Morgagnian Globules

واسبابها كثيرة نذكر منها :

ساد العين الذى يظهر مع تقدم السنوالكبر وهو اكثرها انتشارا Senile Cataract وذلك الذى يظهر اثناء النمو وقد ينتج من عامل وراثى او من سوء فى التغذية او من التهاب اثر على انسجة العدسة وغير محتوياتها ٠ كذلك الذى ينجم من تعرض العين لاصابة كجرح انسجة العدسة ٠ او نتيجة تعرضها لاشعاعات كاشعة اكس X-ray- او التغيرات الناتجة من مرض بالعين او مرض بالجسم كسكرى البول او بعضالسموم الضارة ٠

ومن اعراضها ظهور بقع سوداء ثابتة امام العين او رؤية الاجسام مزدوجة او تغيير رؤية بعض الالوان كبهتان الالوان الاصفر والازرق ٠ ثم تضعف قوة الابصار تدريجيا حتى تصل الى حد انعدام الرؤية تقريبا ٠

وعلاج ساد العينيعتمد على السبب وبما ان معظم الحالات تنتج من الكبر فالعلاج هنا يكون بازالة العدسة واستبدالها بعدسة خارجية « النظارات الطبية » ويعود البصر الى ماكان عليه ويعود المريض ليرى كل شىء ٠ ■■

رهان الازرار المقطوعة

بقلم : فاضل السباعي

■ كانت زوجتي قد فكرت ، بيابة عني ، بما يمكن ان يسالني من الحرج اذا ما انقطع زر من ازرار ملابسي . وانا لا اهل لي في باريس .وهكذا قالت لي يوم السفر . وهي تساعدني في اعداد حقيبتي :

« هي ذي علبة » فيها خيطان بيض وسود وملونة ايضا . مع ثلاث ابر وكشتبان . من اجل ان تخيط زرا قد ينقطع وانت في بلاد الغربة » (ووضعتها في ركن من الحقيبة) لا تنس انها هنا ، يا عزيزي .

والواقع . انني ما نسيت موضع العلبة . بما تضم من خيطان وابر وكشتبان ولكن الذي وقع لي ان كثيرا من ازراري اخذ يتقطع وانا في باريس ... لا ادري كيف ! حتى لقد فطن من يسمع مني هذا . انني اقضي ايامي في « زحام المترو » !

اول ما انقطع كان زرا من ازرار معطفي « الشامواه » هذا الذي قدم لي ، اول ما وصلت فرنسا . هدية من احباب . وهو على كل حال من « شامواه » « الصباغ » . ولو كان من جلود الغزلان او ما شابهها لما حظيت به هدية ولا شراء .

لقد سبب لي هذا المعطف « المزيف » مشكلة صغيرة . او هو كشف حاجتي الى من يخيط لي ازراري ، فقد انحل زر فيه . فاهملته ، فسقط وضاع ، فرميته في غرفتي . وعدت البس معطفي الصوفي القديم ، الذي اتيت به من دمشق . املا في ان اشترى « ممطرا » يقيني من البلل ، في بلد تباع فيه احسن المماطر مادام شتاؤه كله مطرا .

اهملت لبس معطف الشامواه ، ولكن ظلت عيني فيه . مما جعلني اتشجع ذات يوم ، وادخل متجرا فاشترى طقما من الازرار الفاخرة التي لا يليق بها الا معطف من الشامواه الاصلي ! ثم خلوت الى غرفتي في « المجمع » واخذت اخيط الازرار الاربعة دفعة واحدة ، حتى نشفت عيناي .ولما لبست المعطف ، وهو ذو مظهر لا باس به على كل حال ، وصرت اتنقل ما بين مدخل المجمع والمطعم والمكتبة، قبل ان اخرج به الى الطريق ، خيل الى ان الابصار تتجه نحوي . فما عرفت السر : اهو شخصي المتواضع ؟ ام المعطف المزيف ؟ ام الازرار المعدنية المزركشة ؟ ام انها جودة خياطتها ، بالعدة التي حملتني اياها زوجتي ؟!

ولكن فرحتي لم تدم طويلا ... فقد اكتشفت ، بعد يومين ، ان احد الازرار ، ذلك العلوي الذي اعول عليه في الزر . قد انحل خيطه ! فلما عاينت الازرار الاخرى . وجدتها على وشك . فعرضت امري على زميلة لي في « الدورة » ، تشيكوسلوفاكية، فنصحتني بان اشترى ازرا صغيرة واضع واحدا منها خلف كل زر كبير ففعلت ، وبذلت من الوقت والجهد اضعاف ما بذلت في المرة الاولى ، فقد كان يتعذر على أن احكم ادخال الابرة في ثقب في احد الزرين لتخرج من ثقب الزر الاخر ... وهل لي انامل خياط او خياطة ، مع ان لدى « عدتهم » من خيط وابرة وكشتبان ؟ على انني فرغت من هذه المهمة الصعبة آخر الامر ، ولبست المعطف ، وسرت به في شوارع باريس . وكنت اعاين الازرار في كل منعطف ، فرحا انى وثقتها هذه المرة جيدا .. ثم اكتشفت في عودتي ما ملأ قلبي غما : الازرار ... قد انحلت من جديد !

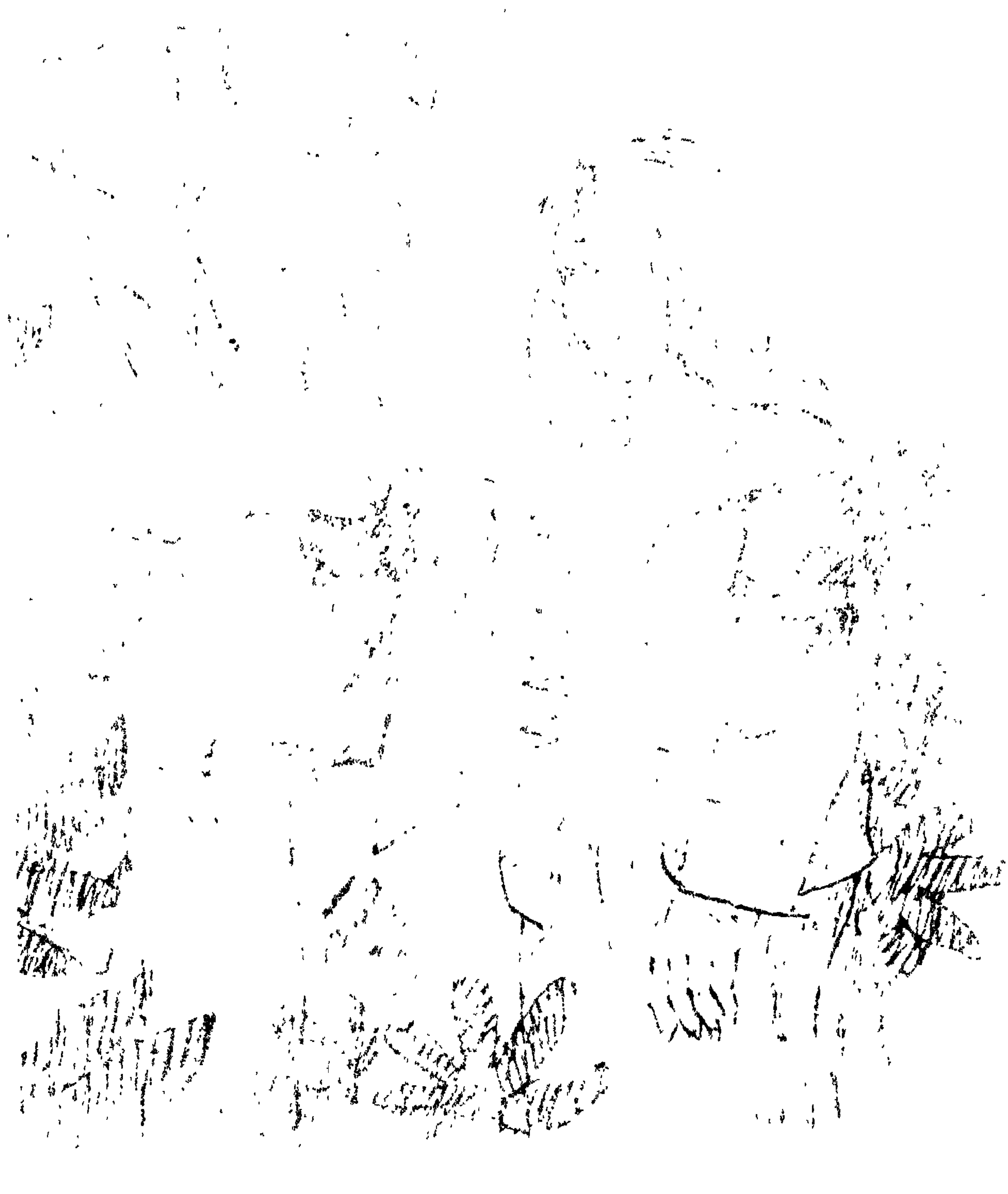
وفي ذلك كتبت الى زوجتي شارحا لها امري... وختمت رسالتي مداعبا : « وهكذا ، يازوجتي العزيزة، ما نفعتني علبتك مع هذا المعطف في شيء ... فما العمل ؟ ! فكتبت الى مستجيبة لدعابتي (وهي خفيفة الظل كزوجها) : « بعد المحاولات المضنية التي بذلتها ، لم يبق الا حلان : ان ترسل الى المعطف ، او اطير انا اليك .. » .

يئست من توثيق ازرار الشامواه . فبادرت الى شراء الممطر الموعود . قالوا ان احسن المماطر هي الانكليزية . فاشتريته من محلات «سي اند اي» في مونبارناس . لاحظ البائع الشاب اني اقلب الممطر بين يدي معاينا كل زر فيه . تمدا وحدبا وبطرا .. فكان من حقه ان تلوح امارات الاستغراب على وجهه . مادام لايعرف حكايتي مع الازرار المطوعه !

في النهارات المشرقة كنت البس معطفي الصوفي القديم . وفي غيرها من الايام البس الممطر الذي يقيني من البلل . ولكني ماكنت لانسى الشامواه الذي اعيتني ازراره !

في مجمعنا السكني الواقع جنوبي باريس . كانت لي صديقتان عربيتان من جنسيتين مختلفتين. احداهما دون الثلاثين من عمرها . تحضر اطروحة في علم الاثار . والحرف الاول من اسمها «ز» . والاخرى في نحو الاربعين . تتدرب في مجـــال التوثيق والحرف الاول من اسمها «ج» . كنا نلتقي على موائد الطعام في «كافيتريا» المجمع . و في الامسيات الفنية والثقافية . او نتبادل الزيارات في غرفنا . شأن جميع العرب والاجانب المقيمين في هذا المجمع . الذي يضم في غرفه مئات من الموفدين من بلادهم للدراسه او التدرب .

كانت «زاي» و «جيم» ـ هذا ما ساطلقه عليهما



بدءا من اللحظة ـ فتاتين لطيفتين جدا • الا ان بينهما ، هما الصديقتان المتجاورتان ، مابين بنات الجنس اللطيف احيانا ، من تنافس خفي وغيره مكتومة • ولكن مالنا ، نحن اخوانهما العرب ؟ كنا اذا مازار احدنا احداهما فيغرفتها ـ وغرفةكلمنا هيبمثابة« بيته » ـ احتفتبهوابدتله من حمل الخصال ولطف الشمائل والكرم « العربي » الاصيل ، ما يجعله يعزم على تكرار الزياره في اول فرصة مواتية •

قالت « زاي » ، وهي تراني ادخل المجمعبممطري الجديد .

« الله الله ! ماهذا الممطر ؟ مبروك » •

وقالت « عين » :

«هذا ثالث معطف نراك ترتديه • مقتنياتك من المعاطف تدل على •• نعمة »

احتججت متضاحكا :

« مهلا •• ان لكل من معاطفي الثلاثة قصة • الصوفي القديم ، سارميه في باريس قبل ان اغادرها عائدا الى دمشق •والشامواه ، التقليد ، قدم لي هدية من احباب ، واقولها هازلا : لولا ان فيه « عدرا » لما السوني اياه ! والثالث هو هذا الجديد ، الذى اشتريته امس من «سي اند اي» •

ثم قصصت عليهما بالتفصيل مشكلة خياطة الازرار في الشامواه ••• وبعد ان اصغتا الي ، تطوعت « زاي » قائلة :

« هاته لي ، وانا اوثق لك ازراره ! »

هتفت غير مصدق ، وانا اتطلع في عينيها الزرقاوين الصافيتين :

« بربك ؟ ! » •

هنا ، التفتت «عين» ، وهي حنطية الشعر كستنائية العينين ، تحدث صديقتها حديثالعارف:

« لافائدة من بذل الجهد : ستعود الازرار الى سابقها • ان خياطة ازار الشامواه لا يتقنها الا الاسكافي • كذلك وقع لي يوم كنت في بلدي»•

ردت «زاي» واثقة :

« اني احسن خياطتها » •

ـ ولكنها تحتاج الى خيطان من نوع خاص !

ـ عندي منها •

ـ والى ابرة •••

ـ وعندي منها ايضا •

تراجعت « عين » ، موردة الوجنتين :

« اذا كان الامر كذلك ، فهذا شيء آخر » •

وفي المساء، وسماءباريس تمطر، حملتالشامواه الى غرفة « زاي » • وكم كانت فرحتي عظيمة ، وانا اراها تفك الازرار ، ثم تعيد تركيبها زرا زرا ، مستخدمة في ذلك ابرة معقوفة وخيطا من نايلون !

احدث احادبها اطراف الحديث ، ولساني عاجز عن شكرها :

اسمعيهذهالنكتة .يا «زاي» : تلميذتيالفرنسية السيدة مارتين التي يعمل زوجها خبيرا بالخطوط في المحاكم ، روت لي ، امس ، ان اثنين منمعارف زوجها ، وهما عاملان جزائريان يعملان فيباريس، لا يتقنان الفرنسية ولا العربيه ، جاءاه يسألانه : الست تعمل خبيرا بالخطوط ، ياسيو فيدو ؟قال: بلى : قالا : فاكتب لنا ، من فضلك ، رسالة الى اقاربنا في الجزائر ! ضحك مسيو فيدو ، وهو رجل لطيف جدا ، وقال : اكتبها لكم لاسكم اصحابي ، ولكن هذا ليس من اختصاص الخبير بالخطوط ، بل هو من عمل «العرضحالجي» ! » •

سألتني « زاي » ، وما ضحكت للنكتة الا قليلا:

هل تتقاضى من تلميذتك مارتين اجرا على تعلمك لها العربية ؟

ـ لا • اني اعلمها قليلا من العربية ، ولكني احادثها بالفرنسيه كثيرا ، وهذا ما احتاج اليهكما تعرفين • ثم انها جرت على ان تعتبرني من اهل البيت فتدعوني يوم الدرس ـ لاتبتسمي ! ـ الى الغداء • واضيف : انها هي وزوجها يحبان العرب ، وقد قاما .قبلاعوام بزيارة لبنانوسورية، ولتعلمي ، أيتها « الآثارية » ، تلميذتي معجبة بآثار « تدمر » اعجابا لا مزيد عليه •

ثمكان شكريالعظيم ل «زاي»لا يضارعه الا كريم ترحيبها بمساعدتي • فقد قالت لي وهي تودعني :

« اذا صار عندك اشياء اخرى تحتاج الى خياطة ، فاني على استعداد • عدني هنا مثل اختك الصغرى »

★ ★ ★

ابدت « زاي » كريم ترحيبها بي ••• فكانها قالت ، في ذلك المساء ، لازراري : تقطعي ! ولكن ، هل قالب لها تكسري ؟ !

الممطر الجديد ، ذو الازرار المتينة ، وقع له حادث • هناك ، الى جوار باب الغرفة منالداخل، المشجب الذى نعلق عليه ثيابنا • كنت ، ذلك الصباح ، قد فتحت النافذة لتغيير الهواء ، فلما فتحت الباب ، ما احسسته الا وهو ينصفق بشدة

بفعل تيار الهواء العنيف • وفي انصفاقه كانت الريح قد احدث معها جانبا من المعطف ، فانغلق الباب عليه . وجاء زر ما بين الباب واطاره.فتفتت الزر شظايا تناثرت ، ولم يبق عالقا منه فــي المعطف الا قلبه . قلب الزر . الذي مازال مشدودا اليه بخيط بدا انه متين جدا •

الزر . انا موعود من « زاى » بان تخيطه••ولكن اين الزر ؟

حدثت «زاى» وكانت «عين» حاضرة . بحديث الزر المفتت •• وانتهيت الى ان اعلن انى مضطر، الان،الى شراء طقم ازرار من شكل ولون موحدين، كما فقدت يوم فقدت زرا من معطف التشامواه •

فطلبت منى « زاى » ان احضر لها المعطف •ثم قلبته ، ونظرت الى حيث زر برز من الداخل ، وقالت « ننقل هذا من هنا ، ونخيط اى زر فى موضعه » •

واسعفتنى الذاكرة :

« عندى ازرار التشامواه القديمة » •

وقد تسللت « عين » . وهى ترى الى صديقتها تقتطع الزر الداخلى . قبل ان تخيط الاثنين :

« استاذ •• كم تتقطع ازرارك ! » •

اجبتها ببراءة :

« حقا • انا نفسى مستغرب • ولكن الامر كما تريان » •

« استعظمت « عين » تلك الليلة ، كسر زر فى المعطف ، ومــن قبلــه تراخى ازرار الشامــواه • وها هو ذا زر فى معطفى القديم ينقطع ! دخلت ، عصر ذلك اليوم ، محطة مترو « علاسبيير »•ووقفت امام جهاز المراقبة •• هكذا جرى الامر بتفاصيله الدقيقه • مددت يدى الى جيبى الداخلى ، قصد ان اخرج ما يسمى بال « كارت اورانج » (البطاقة البرتقاليه اللون التى تخولنى ركوب الحافلات مقابل اشتراك ادفعه اول كل شهر) ••• وقبل ان تقبض يدى على البطاقة ، اقترب منى فتى فرنسى غض العود ، وقدم لى ••• زرا !

ــ ماهذا ؟ !

ــ لقد سقط منك الان ، ياسيدى !

شغلنى عن واجب شكر الفتى اللطيف ، بالغ دهشتى من سقوط الزر ! ولكن ، من اين سقط ، وكيف ؟ حتى هذا المعطف ! ثم تبينت انى لحظة فككت الزر العلوى لادس يدى فى جيبى الداخلى، انقطع الزر ــ وقد كان مرتبطا بموضعه مجرد ارتباط : ــ ونفر الى الارض ••• على مرأى من الفتى ••

لم اجد « زاى » فى وصولى الى المجمع ، فــى غرفتها • تراءى لى ان اسهر عند « عين » •وكان لابد من ان احكى لها هذه « الواقعه » الطريفه ، واريها الزر المقطــوع • وكانت عندها زميلتنـــا الكنديه ــ الكوبيكيه . التى كم ضحكت ، ونحن ــ «عين» وانا ــ نتداول قصص ازرارى . ماانقطع منها وما تراخى وما انكسر !

ثم لست ادرى اى همه قعساء جعلتنى اسال «عين» . ان تعطينى ابرة وخيطا وكستبانا •• لاخيط هذا الزر المقطوع ؟ فرايتها ــ كما اذكر جيدا ــ ترحب ، ولكنها تعتذر بان ليس عندها كستبان •

ــ دون كستبان ، ياستى ، فما انا بالخياط المتهن ، ولاقماش المعطف بالماسى •• ان هو الا جوخ !

ولكن «عين» لم تعطنى الخيط والابرة • لقد احتفظت بهما . اخذت منى المعطف والزر !

ــ عفوا •• انا اخيطه !

قالت فى ود . والوجه الحنطى قد تورد :

«دعنى اخيطه لك ، فانت فى بيتى » •

★ ★ ★

ذات يوم ، لاحظت ان زر بدلتى الكحلية قــد تراخى ، فاقتطعته خوفا عليه من الضياع • ولما حدثت « زاى » بامره •• و « عين » فى زيارتها ــ اعلنت ، وهى تضحك ، بصراحة لا تصدق :

«لن اخيط لك زرا •• منذ الان ! »

اعترف بانى اخذت على غرة •

ــ اف ! ولِمَ ؟

قلت ذلك ، وانا اتحول بناظرى نحو « عين » ، التى خاطت لى زرى الاخير مشدودة ، وكاننى اطلب وساطتها ! فاذا الاخرى توجه الى سؤالا لا يخلو من مكر :

« استاذ ! اريد ان اسالك : ازرارك ، هل تتساقط من تلقاء نفسها ؟ ام انك تقطعها متعمدا كى نخيطها لك ؟ !! »

ثم انفجرتا معا بضحك عريض •

ــ انتما الاثنتان ؟ ان فى الامر مكيدة !

شكتنى «عين» :

« تصورى ! ياتينى بالامس ، وعندى جارتى الكوبيكية ، ليخيط زره ! »

دافعت :

« ولكنك انت التي حرصت على ان تخيطيه !»

ـ طبعا • كنت تستدرجني امام الجارة ، فما خيبت ظنك :

ـ استدرجتك ؟ يالـلنساء ! لقد امضينا الليلة، ونحن نضحك من حديث الازرار المقطوعة • قالت التي افسدت مابيني وبين صديقتك حتى •• امتنعت !

اعلنت الاستاذ :

« لا ازرار بعد اليوم : »

كنت قد ادركت ان السياط قد تم سحبه من تحت قدمي •

ـ انها بدلتي الكحلية ، وعندي غدا دعـــوة لحضور افتتاح معرض « الحكم الجمهوري في مئة عام » • انلطفكما السابع انسابي معرفتي المتواضعة بخياطة الازرار !!

قالت « زاي » :

استاذ ، تلك الثلاثة كام ؟ »

ـ واحد •

ـ والله واحد (رفعت سبابة يمناها) • نحن العربيـــتان قد حطنا لك ، في بـــاريس ، ازرار معاطفك الثلاثة (ورفعت ثلاثة أصابع) !

تولت «عين» الحديث ، فكانهما في ما تصدران من « قرارات » على اتفاق :

« بربك ، هل سمعت ان فرنسية خاطت لفرنسي زرا واحدا ؟ »

قمرت : فرنسية ؟ زر ! •••

استعادت « زاي » الحديث :

« اتراك تستطيع ان تقنع تلميذتك مارتين بان تخيط هذا الزر المقطوع ؟ ••• »

مارتين ! •• واشرقت فيذهني فكرة : استدرجها كما ظنت « عين » اني فعلت !

ـ واذا افلحت ؟

ـ هذا في المنام •

ـ واذاتحقق في اليقظة ؟

ـ نخيط بعدها كل ما ينقطع لك من ازرار !

★ ★ ★

قبل ان امضي الىبيتتمليذتي مارتين ، اخذتمن « العلبة » ابرة ، شككتها في وريقة ، لففتحولها خيطا اسود • وجعلت الوريقة والزر المقطوع في جيبي •

بعد ان تناولتالغداء مع مارتين وزوجها ،وفيما هي تحدثني بعربيتها ذات اللكنة فتقول : زوجي دخل الاجرة ليامل » ، وانا اصحح لها نطقها فاقول: « دخل الحجرة ليعمل » ، ذلك ان مكتب عمل الزوج كان في البيت •• اقول : فيما هي تحاول التحدث بالعربيه ، اخرجت من جيبي ، بحركه تستلفت الانتباه ، الزر المقطوع ، ووضعته على الطاولة • بعدها اخرجت الوريقه •• وعينا مارتين تشهدان! كرت الخيط ، واخذت الابرة محاولا ان اضع الخيط فيها !

سألتني مارتين مدهوشة :

« ماذا تفعل ؟ »

ـ اريد •• ان اخيط هذا الزر الذي انقطع •• فاني حريص على ان احضر حفلة الافتتاح •• كامل الهندام !

ابتسمتتلميذتي البارة،وهي تبسط نحوييدها••

« هات اخيطه انا » •

ـ لا لا ، مارتين •• لا يجوز !

اخذت مني الابرة والخيط •

ـ عندما لا يعرف الرجل كيف يضع الخيط في الابره ، فهذا دليل على انه لا يحسن خياطه زر •

ورحت اقص عليها ، بصراحة متناهيه ، تفاصيل حكايتي مع الصديقتين العربيتين اللتين تمردتا ، يوم امس علىخياطه أزراري ، وتحدتانيانا ستطيع اقناع تلميذتي الفرنسية مارتين بان تخيط لي هذا الزر المقطوع !

قالت مارتين ضاحكة :

« ولكنني اخيطه لك ، كما ترى » •

ـ وقد كان بيننا ••• رهان •

ـ ما هو ؟

ـ ان كسبت ، وعدتا بان تخيطا كل ما ينقطع من ازراري ، ما اقمت في باريس •

ـ ولو كنت لم تستطع اقناعي ؟

ـ لا غرم علي ، فالرهان كان تحديا •

قدمت لي السترة :

ـ هانئذا ضمنت ، اليوم ، ان تقوم عربيتان بخياطة أزرارك • وتستطيع ان تضيف اليهما •• مارتين •

اطرف ما في الامر ، ان ازراري، منذ ذلك اليوم، قد كفت عن ان تنقطع ••

اذلك لان ما كان من الازرار رخوا ، قد انقطع وتجددت خياطته ؟ ام اني كنت اتعمد تقطيعها وانا لا ادري ؟! ■■

باريس ـ فاضل السباعي

ولكم في القصاص حياة

● بعنوان (عقوبة الموت ما جدواها اليوم) نشرت مجلة العربي في عددها الصادر في مارس١٩٧٨ مقالا استهل بقول ماثور للمفكر الفرنسي فولتير « حيث تفشل المحبة تطغى قسوة القانون » والمقال يدور حول عقوبة الاعدام الغاء وابقاء والكاتب وهو الدكتور الدوري يبدو انه في مقاله يتجه الى ترجيح كفة الابقاء على هذه العقوبة الأنه التزم سرد اراء أنصار العقوبة وخصومها .

ولا شك ان الابقاء على عقوبة الاعدام ليس اساسه العاطفة ولا الهوى بل العكس هو الصحيح، فالقران الكريم الذي هو شريعة الله جلت قدرته وهو الدستور الهادي الى ما فيه خير البشريه قد نص على هذه العقوبة في قوله تعالى (ولكم في القصاص حياة يا أولي الالباب) .

والمجتمعات التي الغيت فيها عقوبة الاعدام لم تنعدم فيها الجريمة بسبب هذا الالغاء . فالعضو الفاسد في الجسد لا بد من بتره كي نبقى على الجسد .

عبد الحميد عبدالغني ابراهيم
محكمة استئناف الحكم الذاتي
العراق

اعادة النظر في الحروف العربية

● في العدد ٢٣١ كتب الدكتور احسان حقي في ركن قضايا حيوية وتحت عنوان، اعادة النظر في الحروف العربية » مقالا فيما تصدى فيه لاولئك الذين يريدون اتخاذ الحروف اللاتينية عوضا عن الحروف العربية اقتداء برائد النهضة التركية الحديثة كمال اتاتورك .

واذا كان الدكتور ينكر على هؤلاء هذا الاقتراح نظرا للخطر الذي يهدد لغتنا نتيجة هذه المبادرة فانه اقترح بدوره ادخال تحسينات على بعض الحروف العربية او اضافة حروف اليها لاداء الفاظ اجنبيه اداء صحيحا وسليما . وقد اعتنانا بامسله في هذا الموضوع .

بيد انى اود ان ابدى رأيي في الموضوع واقول ان التجارب اثبتت ان اللسان العربي لسان مرن يتكيف مع جميع لغات العالم . فكم من عربي يتقن اللغات الاجنبية ويتحدث بها دون ان يشعر السامع انه امام عربي . في حين تجد ان بعض المستشرقين الغربيين وغيرهم ممن هم اجانب عن العربية رغم اتقانهم للغة فسرعان مايعرف السامع انه امام شخص اجنبي عن اللغة التي يتفوه بها .

اضف الى هذا ان الدول الغربية التي وصلت الى ماوصلت اليه من تقدم في شتى المجالات نجد لغة احداها خالية من بعض الحروف الاتية : خ، د، ث، هـ، ي ، ع ، ق . ونجد لغة دولة أخرى خاليه من ، ج ، ز ، هـ ، ف ، ع ، غ ، ح .

ولكن رغم هذا فما شككنا ابدا من نقصان لغتهما ، اذن السؤال هو لماذا هذا التحسين او الاضافه الى اللغة التي هي ام اللغات في العالم اجمع ؟ ابهذا يمكن ان نشق طريقنا الى الهدف المنشود ؟

بن احمد محمد
الحسية ــ المغرب

احد اسرار قوة اسرائيل

القادة الصهاينة لا هم لهم ـ بعد قهر العرب ـ لا العمل على احضار كل يهودى الى اسرائيل. فى سبيل ذلك يضعون امامه كل الاغراءات .. قدمون له البيت والنقود وفرص العمل .. الخ يتساوى اليهودى الوافد عام ١٩٧٨ مع اليهودى لذى جاء الى فلسطين ايام الانتداب وقبل قيام ولة اسرائيل ، والذى اشترك فى القتال ضد لعرب وضحى بابنائه فى سبيل تحقيق الحلم لذى اصبح حقيقة .

اما نحن العرب .. فما ان يخرج العربى من لده الى بلد عربى آخر حتى يسمع كل صباح لعزوفة النشاز .. التى تقول له : انت اجنبى رجع الى بلدك .. لاتزاحم ابن البلد على خيرات لده بالاضافة الى احساس الغربة الذى نزرعه به كلما اجتاز حدود بلده الى بلد عربى آخر..

العربى يطلب شراكة العربى فى الهم والغم ـ ولكن تمتنع هذه الشراكة فى النعم والخير .. فالعربى الآتى من سوريا مثلا لا يجوز له ان يشارك عربيا فرحته بغير به حباه الله . الغير وقف عليه لايجوز ان يشاركه فيه عربى آخر .

دساتير الدول العربية جلها بل كلها تقــول فى اول موادها ان البلد الفلانى جزء من الامة العربية ، جميعا يتحدثون عن الوحدة العربية وضرورتها ..

والآن هل عرفتم احد اسرار قوة اسرآئيل وضعف العرب !

فمتى تربى الشعوب العربية على مفهوم الوحدة العربية فعلا لا قولا .. متى ؟ !

عمان ـ الاردن

محسن حسن محسن

مثقفو فرنسا .. كتاب عرائض

● الاستاذاحمد بهاء الدين ـر خلـف لخيـر سلف .. لتتاحيات كلها ، فيها دروس بر .. فى عدد حزيران ، ـنا درسا صغيرا عن جان ى روسو وفولتير ـ بمناسبة ـفال فرنسا ، طوال هـذا ام ، بمرور ـ مئتى عام على تهما ـ والعبرة فيما قال ، ى لسان ديغول : « لقد تعود ـثقفون ان يلعبوا اكبر دور تقدم فرنسا . بـدءا هـذا لتيروانتهى بفيكتور هيجو، ومنذ ذلك الوقت ، تحول المثقفون الى كتاب عرائض »

واذا كان الحال كذلك فى ام الحضـارة ، فكيف الحـال عندنا ؟

واستغفر المثقفين العـرب جميعا فلسنا سوى ماسحى احذية ؟

مصطفى الحسن

مصياف ـ سوريا

نورى الشعلان

● جاء فى العدد ٢٣٤ فى مقال (البحث عن مواقع التاريخ تحت رمال الجزيرة العربية) والى جانب صورة منظر لقلعة وقصر شيخ قبيلة الرولا خطا لعلـه مطـبعى لاسـم نــورى الشعلان ، فقد ذكر اسمــه (نورى بن شالان) ويبدو ان الاسم مترجم عن مرجع اجنبى. ونورى الشعلان لعب دورا هاما فى الثورة العربية الاولى اذ انحاز الى جانب الجيش العثمانى عندما تحقق له فوز الحلفاء . وقد كان داهية عرب باديــة الشام ، وبنى له فى زمــن الانتداب الفرنسى على سوريا دارا واسعة فى دمشق الشام فى حى سمى باسمه ومات فى دمشق رحمه الله .

الدكتور محمد مأمون المهاينى

وزارة الصحة العامة ـ الكويت

اطول كلمة

في اللغة الانجليزية

● قرات في العدد (٢٣٣) عن اطول كلمة في اللغة الانجليزية وبين يدى كتاب اسمه GuinnessBood ol Records وهو كتاب يسجل اغرب الاشياء في العالم مدعمة بالادلة وقد اورد الكلمات التالية على انها اطول الكلمات في مختلف اللغات ويذكر ان الكلمات الست الاولى فقط يمكن العثور عليها في المعاجم :

اطول كلمة :

١ ـ في الفرنسية تتكون من ٢٥ حرفا :

Anticonstitutionneilement

ومعناها مضاد للعرف الدستورى .

٢ ـ في الكرواتية تتكون من٢٦ حرفا :

Prigestolenaslijeduikovice

ومعنـــاها زوجـــة ذى حق لا ينازعفي ورالعرش اولقب.

٣ ـ في الايطالية تتكون من ٢٦ حرفا :

Precipitevolissimevoimente

ومعناها باسرع ما يمكن .

٤ ـ في الروسية تتكون من ٢٧ حرفا سلافيا (تترجم الى ٣٦ حرفا انجليزيا) Pyeryeosvidyetyels,tvovayushyegosva.

ومعناها اعادة الفحص الطبى .

٥ ـ في اليابانية تتكون من ٣٦ حرفا :

Ryagu-no-otohime-no-motoyui-no-kirihazushi

وهي اسم لنوع من الطحالب البحرية .

٦ ـ وفي المجرية تتكون من ٣٩ حرفا :

Engedelmeskedhetetiense,geskeue,seitekert

ومعناها استمرارك على عدم الطاعة .

٧ ـ في الهولندية تتكون من ٤١ حرفا :

Rijksluchtvaartdienstweerenepenpersoneel

ومعناها مستخدمو سفينة رصد مديرية الملاحة الجوية الحكومية.

٨ ـ في الالمانية تتكون من ٨١ حرفا :

Donaudamfschiffahrlselectricitaetenna uptbetriebswerk - baunterbaunterbeamtengesellchaft

وهو اسم ناد كان في فيينـــا قبل الحـرب ومعناها : نـــادى صغار موظفى المكتب الرئيسى لادارة الخدمات الكهربية لسفن الدانوب البخارية .

٩ ـ في السويدية تتكون من ٩٤ حرفا :

Sparragnsaktiebelagsskensmuissxjuiareiackforeninsp - ersonaibelkladnadsmagasinsforvaltarcn

ومعناها مدير مخزن تجهيز البدلات النظامية لمنتسبى نقابة منظفى خطوط شركة الترام .

هموم الشيخوخــة تحاصر البندقية

● جاء فـي العـدد ٢٣٤ (مايو) في مقال د . ثروت عكاشـة تحت عنوان : همـوم الشيخوخة تحاصر البندقية ان تركيا حاولت ضرب البندقية ولكن خاب مسعاها وردت على اعقابهـا تجر اذيال الهزيمـة الخ .. وكان حرى بصاحب المقال انيتجنبذكر هذاالتجريح الذى لا مبرر لهلانتركيا كانت تمثل الخلافة الاسلاميةولم تكن تركيا كما سماها المؤلفوكانت تدافع عن بلاد العرب والمسلمين كما ان البندقية كانت منجملة مراكز انطلاقالحروبالصليبية. ودعوة غريبة نادى بها صاحب المقـال لاعـادة تعمير وترميم البندقية وتناسى المدن والقرى المدمرة في جنوب لبنـان وتـل الزعتـر والقنيطـرة .. كان المفروض به ان يحول جهدهفيما يخص مـدننا المدمـرة نتيجـة العدوان الاسرائيلى .

مالك عبد الرزاق

المملكة العربية السعودية .

البانيو يوغسلافيا

● البانيويوغوسلافيا الذين اشار اليهم الاستطلاع المنشور في العدد ٢٣٣ هم شعب اقليم (كوسوفا) كانوا الـى عـام (١٩١٢) يشكلون جزءا من البانيا الام.وفيذلكالعامسقط هذا الاقليم بيدقواتيوغوسلافيا علـى اثـر حـرب نشبت بـين الدولتـين . وحـين تاسسـت

عصبة الامم) اعترفت بالاقليم
...ا من يوغوسلافيا ، وتلمانيا
...ترفت (هيئة الامم المتحدة)
...خارطة الجديدة ويضمنها
...ليم كوسوفا وهكذا اصبح
...قليم جزءا من يوغوسلافيا
...عديته • ولغة الاقليم الرسمية
... اللغة الالبانية كما يتمتع
...قليم بالاستقلال الذاتي ضمن
...ان فدرالي يعرف بجمهورية
...غوسلافيا الاتحادية الفدرالية •

محمود الارناؤوط

دمشق ـ سوريا

المسلمون في العالم

● اطلعت على مقدمة العدد ٢١ لشهر جمادى الاولى ...١٣هـ والذى اشرتم فيه الى ...ربعين مليون مسلم الذين ...يشون في الصين الشيوعية ...لى وجوب تفقد احوالهم عن ...يق سفارة احدى الدول ...سلامية . وانا اضم صوتي الى ...انكم راجيا كل الدول الاسلامية ...ى لها سفارات سواء في ...صين او في روسيا او اى ...ة اخرى ان تقوم برعاية ...اليات الاسلامية فيها ، وان ...ن همزة وصل بين المسلمين ...ك والدول الاسلامية الاخرى

ارجو من مجلة العربي ...سيط الاضواء على واقع ...لمين سواء في الدول ...شتراكية او الدول الاوربية ... البوذية او في الهند •

...دالله عبدالعزيز المقيطيب

الرياض ـ السعودية

كلمة ونص
مع قراء العربي

* مجيد عبدالثامر ـ العراق : قراءاتك عن الصوم تدل على شغفك بالامور الدينية • جزاك الله خيرا فيما ارسلت •

* محمد عبد الوالي السعودي ـ الاردن . اقتراحك بتقديم زاوية الاخطاء الشائعة اقتراح جيد •

* صلاح جرار ـ الجامعة الاردنية . نأسف للخطأ المطبعي لترجمة كلمة الهلوسة والكهف التى نشرت في عدد يونيو الماضي • وشكرا على اهتمامك •

* مصطفى عمرو ـ سمنود مصر . تقول انك مؤلف قصصي واغان للاطفال ، حول طلبك للبرامج التربوية والتعليمية في تلفزيون الكويت •

* عبد الله سليمان ـ الاسكندرية رسالتك حول مقال الصحة هي المريض الاول في الوطن العربي للدكتور سعيد عبده ، ودعوتك الى المسئولين في اجهزة الطب بالوطن العربي لتغيير الطريقة الكلاسيكية التى يتعلمها طالب الطب خلال سنوات التعليم تستحق عليها الشكر •

* ايبيا حوشابا ـ الموصل بالعراق نشرنا عدة استطلاعات عن العراق واخرها « الاهوار » نشر بعدد يوليو الماضي •

* دهين احمد ـ المغرب منهواة التعارف وجمع الطوابع البريدية يطلب مراسلته على العنوان التالي : ٤٢ شارع علال بن عبد الله ـ وزان / المغرب •

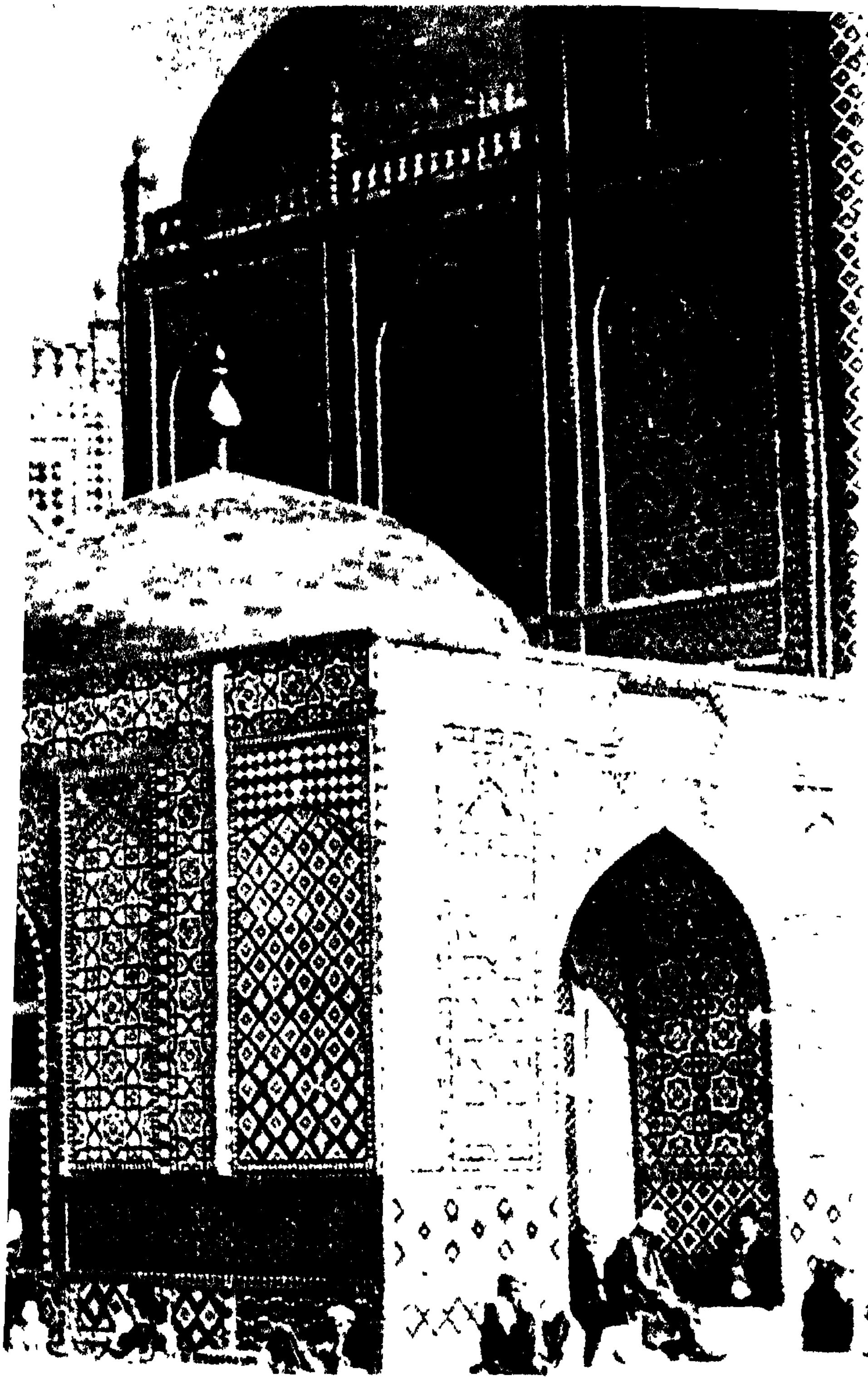
* د • حسني محمود ـ جامعة اليرموك . اقتراحك بعمل تحقيق مصور عن بيت الشاعر الفلسطيني « حسن البحيري » بدمشق في محله • وشكرا على رسالتك •

* حامد الماحي ـ السودان له تعليق على مقال « ولنيون ايضا » للزميل فهمي هويدى بان فرض الصلوات الخمس وليد العصر المكي لانها فرضت ليلة الاسراء قبل الهجرة بسنة ولبست العصر المدني كما جاء بالمقال •

* على عوان ـ السعودية معلوماتك تدل على اطلاعك العلمي •• وشكرا على الاهتمام بتزويد العربي بمجموعة اخبار علمية قديما وحديثا •

* حاريش حسنين ـ السودان يسأل عن معاني بعض الكلمات السياسية التي درجت الصحف على نشرها مثل الاتحاد الفيدرالي ، واليمين ، اليسار ، المتطرفون ، ونصيحة حاول الاطلاع على الكتب في السياسة الدولية •• ستجد الاجابة على اسئلتك •

بقية
افغانستان
بلاد الاسلام
المعلق



جانب من الضريح الكبير في مزار شريف ..

الرهبان الذين «يحجون» الى المكان الان ، بارديتهم الصفراء ورؤوسهم المحلوقة واللامعة .. يفدون من بورما وسيلان وتايلاند وبقية دول آسيا .

تنسى مثلا ، هذا الوجه الاخضر الذي تطل به باميان ، تلك المساحات الواسعة التي تمتلىء بكل انواع الخضرة والفاكهة . وتتجاهل قطعان الثيران التي تنتشر عند السفوح والرزق تحت حوافرها لا ينضب .. وتنسى البشر الرحل والمقيمين ، من ابناء قبائل الهزارة ذوي الاصل المغولي .

في مزار شريف

وعبر العصور ، كانت هذه المنطقة احد معاقل الفكر السني ، التي انجبت فقهاء وعلماء لا تزال اسماؤهم تحتل مكانة رفيعة في عالم الاسلام . فقد نشأ هنا الامام البخاري ، والترمزي ، وابو حامد الغزالي والسرخسي والبيهقي والنيسابوري .. وغيرهم كثيرون .

وحتى الان ، فان التعليم والثقافة الدينية

...عصبة الامم) اعترفت بالاقليم
...ءا من يوغوسلافيا ، وتلمانيا
...ترفت (هيئة الامم المتحدة)
...خارطة الجديدة ويضمنها
...يم كوسوفا وهكذا اصبح
...لليم جزءا من يوغوسلافيا
...دينه • ولغة الاقليم الرسمية
... اللغة الالبانية كما يتمتع
...لليم بالاستقلال الذاتي ضمن
...اد فدرالي يعرف بجمهورية
...غسلافيا الاتحادية الفدرالية•

محمود الارناؤوط

دمشق — سوريا

المسلمون في العالم

● اطلعت على مقدمة العدد
...٢ لشهر جمادى الاولى
...١٣هـ والذى اشرتم فيه الى
...ربعين مليون مسلم الذين
...شون في الصين الشيوعية
...ى وجوب تفقد احوالهم عن
...يق سفارة احدى الدول
...سلامية ، وانا اضم صوتي الى
...نكم راجيا كل الدول الاسلامية
...ى لها سفارات سواء في
...ين او في روسيا او اى
...ة اخرى ان تقوم برعاية
...اليات الاسلامية فيها ، وان
...ن همزة وصل بين المسلمين
...ك والدول الاسلامية الاخرى
... ارجو من مجلة العربي
...سيط الاضواء على واقع
...لمسلمين سواء في الدول
...شتراكية او الدول الاوربية
... البوذية او في الهند •

...دالله عبدالعزيز المقيطيب

الرياض — السعودية

كلمة ونص مع قراء العربى

✻ مجيد عبدالشامي — العراق : قراءاتك عن الصوم تدل على شغفك بالامور الدينية • جزاك الله خيرا فيما ارسلت•

✻ محمد عبد الوالي السعودى — الاردن • اقتراحك بتقديم زاوية الاخطاء الشائعة اقتراح جيد •

✻ صلاح جرار — الجامعة الاردنية . ناسف للخطا المطبعي لترجمة كلمة الهلوسة والكهف التي نشرت في عدد يونيو الماضي • وشكرا على اهتمامك •

✻ مصطفى عمرو — سمنود مصر تقول انك مؤلف قصصي واغان للاطفال . حول طلبك للبرامج التربوية والتعليمية في تلفزيون الكويت •

✻ عبد الله سليمان — الاسكندرية رسالتك حول مقال الصحة هي المريض الاول في الوطن العربي للدكتور سعيد عبده ، ودعوتك الى المسئولين في اجهزة الطب بالوطن العربي لتغيير الطريقة الكلاسيكية التي يتعلمها طالب الطب خلال سنوات التعليم تستحق عليها الشكر •

✻ ايميا حوشابا — الموصل بالعراق نشرنا عدة استطلاعات عن العراق واخرها « الاهوار » نشر بعدد يوليو الماضي •

✻ دهبي احمد — المغرب منهواة التعارف وجمع الطوابع البريدية يطلب مراسلته على العنوان التالي : ٤٢ شارع علال بن عبد الله — وزان / المغرب •

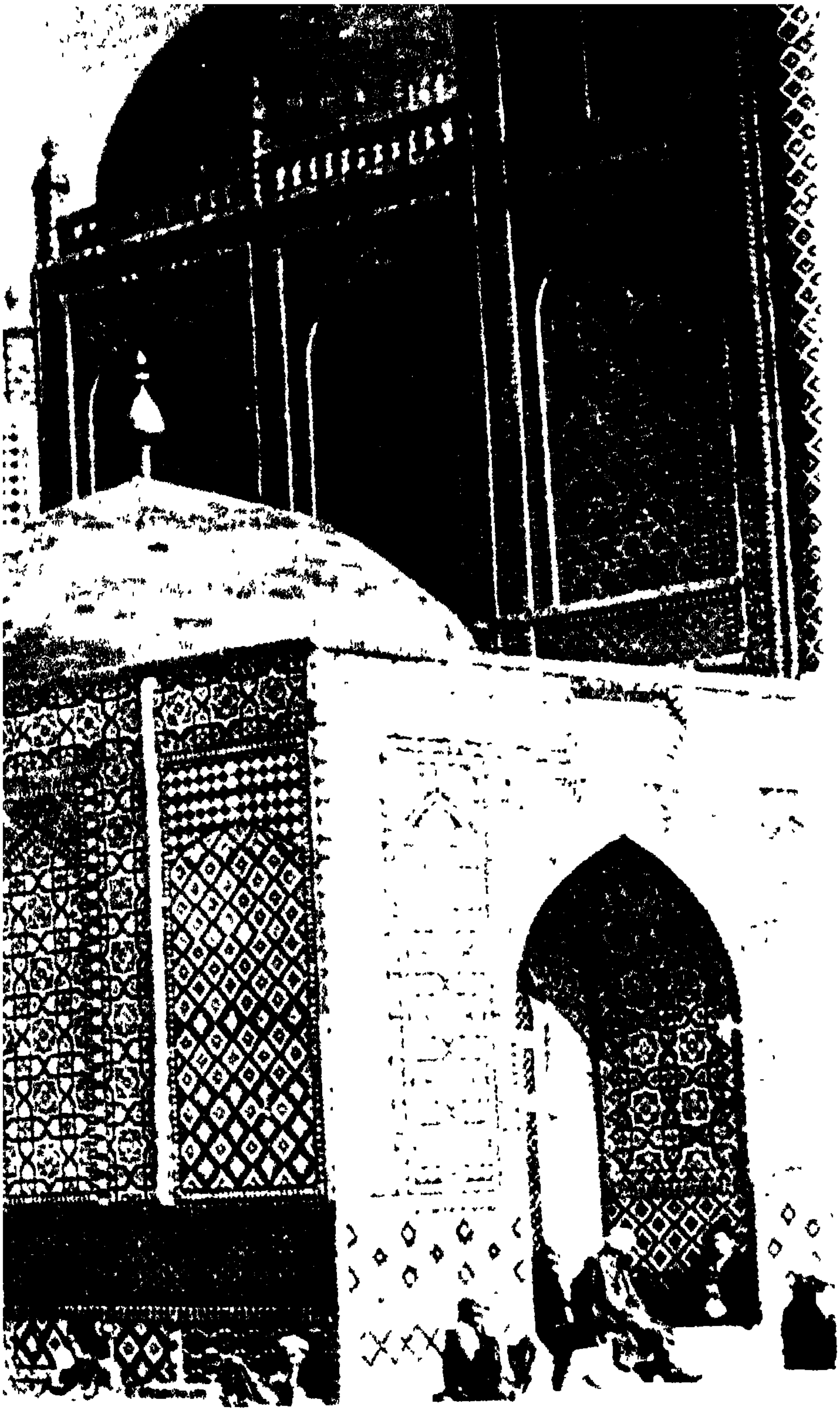
✻ د • حسني محمود — جامعة اليرموك اقتراحك بعمل تحقيق مصور عن بيت الشاعر الفلسطيني « حسن البحيرى » بدمشق في محله • وشكرا على رسالتك •

✻ حامد الماحي — السودان له تعليق على مقال « ولنيون ايضا » للزميل فهمي هويدى بان فرض الصلوات الخمس وليد العصر المكي لانها فرضت ليلة الاسراء قبل الهجرة بسنة وليست العصر المدني كما جاء بالمقال •

✻ عمي عسوان — السعودية معلوماتك تدل على اطلاعك العلمي •• وشكرا على الاهتمام بتزويد العربي بمجموعة اخبار علمية قديما وحديثا •

✻ حاريش حسنين — السودان يسال عن معاني بعض الكلمات السياسية التي درجت الصحف على نشرها مثل الاتحاد الفيدرالي ، واليمين ، اليسار ، المتطرفون ، ونصيحة حاول الاطلاع على الكتب في السياسة الدولية •• ستجد الاجابة على اسئلتك •

بقية
افغانستان
بلاد الاسلام
المعلق



جانب من الضريح الكبير في مزار شريف ..

الرهبان الذين «يحجون» الى المكان الان ، بارديتهم الصفراء ورؤوسهم المحلوقة واللامعة .. يفدون من بورما وسيلان وتايلاند وبقية دول آسيا .

تنسى مثلا ، هذا الوجه الاخضر الذى تطل بـه باميان ، تلك المساحات الواسعة التى تمتلىء بكل انواع الخضرة والفاكهة . وتتجاهل قطعان الثيران التى تنتشر عند السفوح والرزق تحت حوافرها لا ينضب .. وتنسى البشر الرحل والمقيمين ، من أبناء قبائل الهزارة ذوى الاصل المغولى .

فى مزار شريف

وعبر العصور ، كانت هذه المنطقة احد معاقل الفكر السنى ، التى انجبت فقهاء وعلماء لا تزال اسماؤهم تحتل مكانة رفيعة فى عالم الاسلام . فقد نشأ هنا الامام البخارى ، والترمزى ، وابو حامد الغزالى والسرخسى والبيهقى والنيسابورى .. وغيرهم كثيرون .

وحتى الان ، فان التعليم والثقافة الدينية

شكل قيمة لم تهتز في افغانستان، كما حدث في ول اسلامية اخرى كثيرة • فالكتاتيب والمدارس والمدرسة بنطقها العربي تطلق على معاهد التعليم لديني فقط ، خارج العالم العربي) ، تنتشر في ل القرى والمدن •

ورجال الدين درجتان « الملا » ، وهو الذي تلقى مليما دينيا متوسطا ، وهو من الشباب غالبا • م « المولوى » وهي المرتبة الاعلى ، التي لا بلغها الا المتمرسون من كبار السن، أو الحاصلون لى شهادات عليا من المعاهد الدينية في مصر السعودية ، او كلية الشريعة في جامعة كابول ، لتي يلتحق بها السنة فقط ، ولا يدخلها الشيعة•

وخارج المدارس والكتاتيب ، فكتب الفقه هي راث مقدس تقتنيه العائلات وتتوارثه ومنها ينهل لكبار لتلقين الصغار وفي كل البيوت تقريبا ـ الاسرة هناك ما زالت على عهدها القديم ، الجد الابناء وزوجاتهم واحفادهم في دار واحدة ـ باشر الاجداد هذه المهمة •• بعد صلاة الفجر ، لتي تحرص عليها الاسرة الافغانية ، يجلس الجميع بول الجد الذي يؤدي دور المعلم والعريف ، ويظل لجميع يتلون القرآن ثم كتب الفقه ، ويحفظون لما أمكن •

واكثر التقاليد مرتبطة بالدين ، فالزواج مثلا مكس هذا الارتباط الوثيق بالدين • فبعد أن تولى الملا اجراء العقد تتم طقوس الزفاف التي كاد تكون حفلا مليئا بالرموز الدينية • فثياب لعروس ذات لون اخضر • التي يقال حتى عندنا نها ثياب اهل الجنة ، ولا بد ان تخضب كفها لايمن هي والعريس باللون الاخضر ، ليكونا من أهل اليمين » •• ويجلس الاثنان على مقعدين تجاورين ، ويقترب الراسان ويغطيا بقطعة من لقماش ، ثم يدخلون عليهما مرآة متوسطة الحجم يرى كل منهما وجه الاخر فيها ، اذ تفترض لتقاليد المحافظة ان العريس يرى وجه عروسه بول مرة اثناء الزفاف •• وبعد « ثبوت الرؤية »، وضع مصحف شريف فوق المرآة ، حيث يفتح على ي صفحة ، ويقرآن معا ، رمزا للارتباط امام لله ، ثم ينكشف الغطاء ، وسط تهليل وتصفيق لجميع •• وبعد ذلك يبدأ الغناء الذى هو في الاساس مدائح نبوية وقصائد دينية • (بالمناسبة فان المهور عند الافغان عالية جدا • اذ يطالب الشخص العادى بدفع ما يعادل الفى دولار مهرا•)

لكن المشكلة ان الفكر الديني في افغانستان يتعامل مع مستوى من الاجتهاد والثقافة الدينية ، مر عليه قرون • وان الرؤى المستنيرة في التفكير الاسلامي لم تعرف طريقها الى تلك البلاد في العصور الحديثة ، لسبب أو آخر •

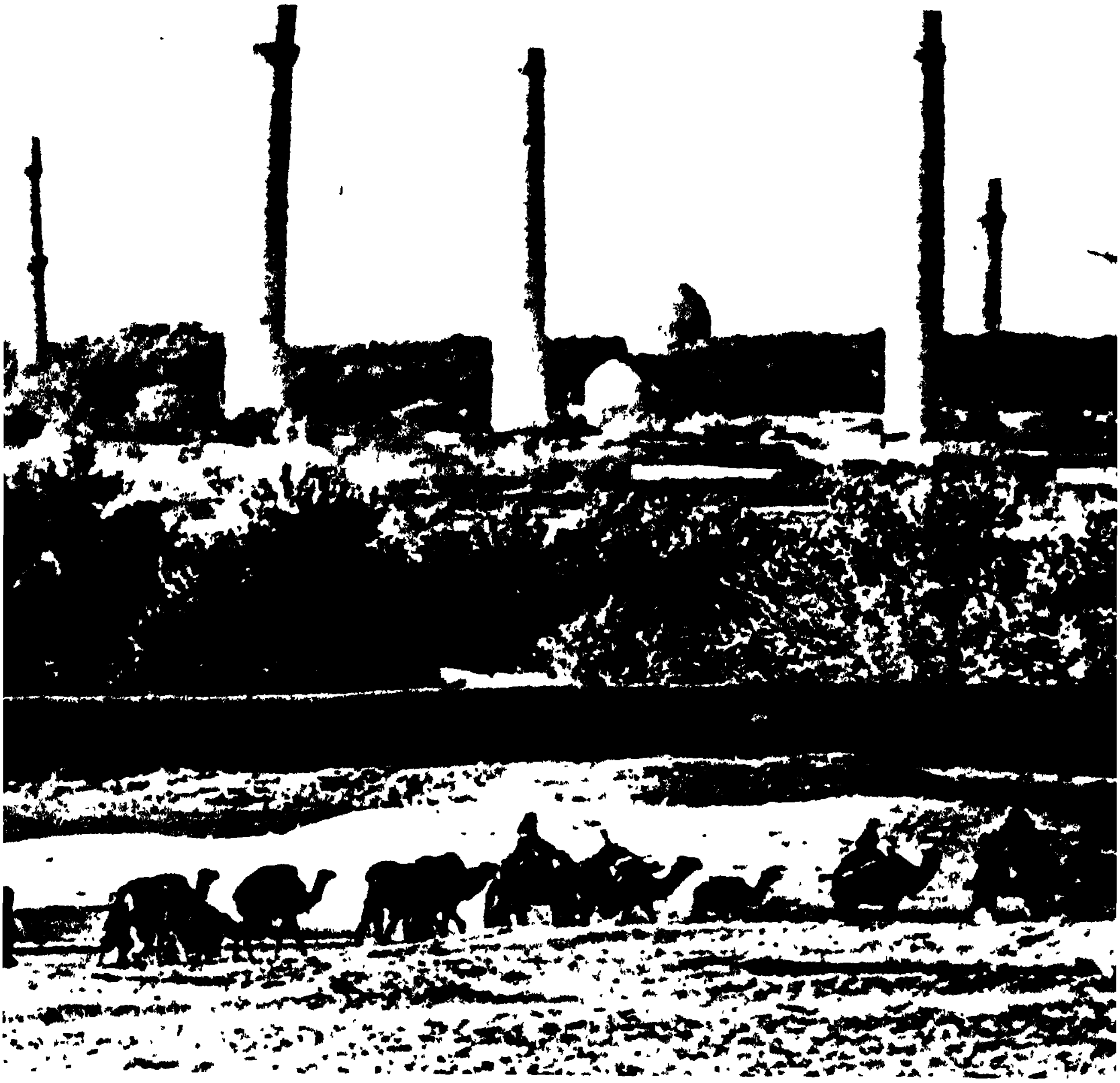
وكانت نتيجة ذلك أن خلافات السنة والشيعة اخذت طابعا حادا في القرى البعيدة ، وهو أمر طبيعي في مجتمع تصل نسبة الامية فيه الى ٩٠٪، وتصل نسبة التعلق بالدين كما يراه المذهب الى الف في المائة ! وهي ذاتها الخلافات التي كان يدور حولها الجدل في العصر الاموى ، وتتركز في مسائل الاعياد وصلاة الجمعة والاذان وزواج المتعة ولكنها تزداد عمقا بين الاميين ، ومن بعضهم تكونت جماعة « الغالى » ، التي تستحل دم ومال السنى ، أخذا بثار أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، اليسوا هم قتلته ، كما يقولون ؟ وبسبب مثل هذه التناقضات، صدر قانون كان مستمرا حتى عهد الرئيس السابق محمد داود ، يحظر تولى المناصب العامة على اتباع المذهب الشيعي •

ورغم أن هناك تيارات اسلامية متحركة عند الجيران ، باكستان والهند على الاخص ، الا أن هذه التيارات لم يمتد تاثيرها الى افغانستان ، بسبب العزلة السياسية والطبيعية التي عاشت في ظلها (الجبل مرة اخرى) !

وفي النهاية ، فقد اصبح الشرع هو ما يقوله الملا ، وهي اعتبار يضرب في عشرة ، اذا كان القائل هو المولوى •

وقد قال لي بعض اساتذة كلية الشريعة في جامعة كابول انهم يلاقون صعوبات شديدة من جراء هذا الفهم • وعلى حد تعبير أحدهم فانه « اذا قلت لهم قال الله وقال الرسول ، فان البعض يرد ، ولكن الملا قال » ؟ !

واذا اقتنع الواحد من هؤلاء بما يقوله الاستاذ، فانه يعقب صراحة بانه لا يستطيع أن يجهر برأى ما لم يعلنه الملا ، وانه سيكتم الراى في نفسه ، حتى ياذن الله ، وياذن الملا !



منارات هراة الست .. علامة هامة فى طريق شرق افغانستان

واذا أضفنا الى هذا العنصر الفكرى ذلك العنصر النفسى الذى يؤرق مسلمى هذه المناطق البعيدة ، وأعنى به « الخوف » من الذوبان فى البحر الأسيوى الواسع والمتلاطم الامواج ، حيث تنتصب أفغانستان فى وسط دول كبرى غير مسلمة، مثل الاتحاد السوفيتى والصين والهند ، خصوصا تجربة المسلمين « السوفييت » الذين يعيشون فى المناطق اللصيقة بحدودهم (مسلمو جمهوريات أوزبكستان وكازاخستان وتركمانستان وغيرها) . أقول اذا أضفنا هذا العامل النفسى، فاننا نستطيع أن نفهم تشدد مسلمى افغانستان فى التعلق بالاحكام الدينية ، والمبالغة فى تنفيذها .

وتجسد قضية المرأة هذا الموقف . فقد كانت ممنوعة من الخروج الى العمل حتى عام ٥٩ ، عندما كسرت الدولة هذا الحظر مستخدمة سلاح القانون . ثم أن الحجاب (الشودرى) الذى لا يكشف من المرأة حتى الوجه والكفين ، هو الزى السائد فى كل القرى الافغانية ، رغم ان قرارات تشغيل المرأة سمحت لها فى الوقت ذاته بالتحلل من الحجاب .

وقد كلفت هذه القضية الملك أمان الله خان عرشه . اذ كان الرجل شديد الاعجاب فيما يبدو بكمال اتاتورك ، فقرر انه لا سبيل الى تقدم افغانستان الا التشبه بالغرب . وليته أخذ من الغرب بعض فكره المتقدم ، ولكنه بدأ بالزى ، أى بالشكل ، وهذا هو الأسهل . فبدأ بنفسه واسرته ، وسافر الى رحلة خارجية فى عام ١٩٢٨، بدأها بزيارة مصر ، حيث ظهرت زوجته « ثريا » سافرة لاول مرة ، وخرج هو على الناس لابسا قبعة !

لكن الادهى من ذلك انه ذهب الى الجامع الازهر ليلتقي بعلمائه والقبعة فوق رأسه . ويعلق على هذه الواقعة راويها الامير شكيب ارسلان ، قائلا ، فبعد ان كان العلماء قد اجتمعوا هناك اعظاما بمقدومه ، عندما شاهدوه آتيا بالقبعة انصرفوا مستمرين .

وصلت انباء وصور امان خان وزوجته الى كابول ، مما كان سببا في ثورة العلماء والقبائل عليه بعد عودته . الامر الذي دفعه الى الهرب من العاصمة للاحتماء بأسرته في قندهار . ثم « فر » بالطيارة الى الهند بتعبير الامير شكيب . ومنها الى روما . ولم تسمح الظروف كل ما قدمه من اعمال حسنة للبلاد . من قوة باستقلالها . الى استمرار داخلي واصلاحات كبيرة .

وتذكرنا ذلك بما رواه ابن بطوطة عن زيارته لهراة . اذ قيل له ان اهل المدينة عرفوا ان بدار الملك حسين ـ مليكهم ـ منكرا . فاجتمعوا بعددهم . وتحصن منهم داخل داره . فاجتمعوا على الباب في ٦ الاف رجل . فخاف منهم . فاستحضر الفقيه وكبار البلد . وكان قد شرب الخمر . فاقاموا عليه الحد بداخل قصره . وانصرفوا عنه .

اي انهم حدوا الملك ثمانين جلدة او اربعين على احسن الفروض . اخذا برأي الشافعية :

وبهذه الغيرة الشديدة على الاسلام ومقدساته . لم يتردد اهل قندهار في قتل جندي انجليزي دخل الى صحن مسجدهم الكبير بحذائه . الامر الذي ادى الى ابادة ٤٠٠ من الافغان . في حملة انتقامية وحشية حركتها قادة الجيش البريطاني على المدينة .

فرسان تروتهن الماعز

لكننا نكاد نظلم الحقيقة اذا اعتبرنا « مزار شريف » هي وجه الاسلام في افغانستان ، او حتى رمز له ، ويصبح اكثر انصافا اذا اعتبرنا المدينة والمزار مجرد « مناسبة » لطرق هذا الموضوع .

ينطبق ذلك ايضا على « نورستان » ، التي كانت « كفرستان » ، وكان تغيير الاسم هو اعلان عن الانتقال من البوذية الى الاسلام كما قلت .

لكن الوصول الى نورستان بمثابة مغامرة جديدة ، اذ لا يكفي ان تقطع السيارة ٣٥٠ كيلومترا في اتجاه الشمال الشرقي لكابول . وفوق طرق يعتبر شقها وسط الغابات والجبال الصخرية من قبيل المعجزة بل لا بد من ركوب البغال بعد بلوغ مدينة غزمر الرئيسية هناك . اذ انها مع الجياد تعد وسيلة المواصلات الوحيدة التي يمكن ان تتعامل مع الارض الوعرة المليئة بالاحجار والمزالق . خصوصا وان قبائل نورستان تعيش في خمسة اودية ولها خمس لهجات محلية مختلفة .

وربما كانت العزلة التي فرضت على هذه القبائل ، طوال قرون اعتناقهم للبوذية ، واعتبارهم كفارا من جانب جيرانهم المسلمين .. هذه العزلة خلقت انماطا متميزة للمجتمع النورستاني فهم الوحيدون في افغانستان ـ مثلا ـ الذين يسكنون في بيوت من الخشب ، بينما بيوت الآخرين من الطين . وهم الذين برعوا بصناعة الاثاث ، المقاعد والارائك بوجه خاص . وموسيقاهم تنفرد بذوق مختلف تماما عن بقية المقاطعات . ثم ان نساء النوريين ينفردن بان زيهم الاساسي ليس السودري ، بل ثياب سوداء مستطيلة ، وعصابات تحيط بالرأس . وينفردن بتلك الظلال الحمراء اللاتي يصنعنها فوق الجفون والكحل في العيون .

ولانهم من انشد المقاتلين مراسا منذ الزمن القديم ، فقد ضم الاسكندر المقدوني اعدادا منهم الى جيشه .

وقد قيل لنا ان انخراط اجداد النوريين في جيش الاسكندر ، تجاوز مسألة الحرب الى حالات تزاوج بين الطرفين افرزت في بعض الاسر سلالة ذات « مواصفات » مختلفة . ورأينا « عينات » من هذه السلالة في شوارع بلدة « كامديش » ، اذ كانت حلمات الشاي تضم وجوها ملفتة للانظار ، من ذوي الشعر الاشقر والعيون الخضراء .

وكان ملاحظا في القرية أن الرجال يسترخون في حلمات الشاي هذه ، بينما النساء منتشرات على السفوح وفي الحدائق . كل امرأة تحمل فوق ظهرها سلة من القماش او الخوص ، تجمع فيها العنب والبرقوق .

وجاء الرد ـ عندما تساءلت عن الظاهرة ـ أن رجال النوريين وظيفتهم الاساسية هي الصيد

والقتال ، والانطلاق بالجياد وسط اشجار البلوط الكثيفة فى الغاباتهو هوايتهموصنعتهمالوحيدة .

غير أن هذا المجتمع الذى يعشق القتال والصيد ويعتبرهما الوظيفه الوحيدهالتىتليقبتجاعهومعام الرجل ، يعتبر الماعز ثروه ماليه صحمه . ومركز الرجل الاجتماعي يقدر بعدد رووس الماعز التى يمتلكها .. بل ان مهر العروس او ثمن البيت وحتى البندقيه ما زال يقيم بالماشيه !

أكبر نسبة من الرحل

وأيا كان الاتجاه فى الشمال ، فان العين لا تستطيع بأى حال ان تحصىء جبال هندوكش ـ اذ كيف تحطها والراحل الى الشمال اما ان يكون راكبا لبعض قمم هذه الجبال ، أو مخترقا سفوحها ووديانها ، او متسودا الى تلك العمائم الثلجيه البيضاء التى تتربع فوق القمم العاليه والبعيدة ، ويقال أن هندوكش معناها « قاتل الهنود » ويقال ايضا ان ماركو بولو مر بهذه المناطق فى رحلته الشهيرة الى الصين فى القرنالثالثعشر .

واذا اعتبرت جبال هندوكش رمزا لقسوةالطبيعة وتجهمها ، الا ان هذه الجبال لها وجه آخر ،يسمح لها ، ويبدىبعضا منجهامها . فبينها تتمدد اوديه عديده ، مليئهبالخضرةوالفاكهة التى تعطىمساحات شاسعه منالارض ، فى الشتاء تحمىالجبالزراعات هذه الوديان من الرياح الثلجيه العاتيه ، وفى الصيف تزدهر الحياه وتتفتح ازاهير الاشجار ، وتزحف جماعات الرعاة .

ومن الحقائق التى تلفت النظر فى افغانستان ان حوالى ٥٣٪ من السكان يشتغلون بالزراعة ، و ١٨٪ يشتغلون بالاعمال اليدوية ، و ٢٠٪ من البدو الرحل ، والباقون موزعون على قطاعات الخدمات . وهذه التقديرات التى يسجلها تقرير البنك الدولى الذى صدر هذا العام تعنى أن فى افغانستان أعلى نسبة من البدو الرحل فى العالم كله . اذ لم يعد هناك بلد يظل خمس سكانه فى ترحال دائم طوال العام ، هربا من الثلوج مرة ، وبحثا عن العشب مرة اخرى وتجنبا للامطار فى مرة ثالثة !

وفى الربيع لا تجد تلك القبائلالراحلة مستقرا لها افضل من وديان جبال هندوكش ، اذ تجد قطعان ماشيتها كل ما تشتهيه ، ويجد البشر كل ما يعوضهم عن معاناه الشتاء ، وبسبب كثرة المراعي، فان افغانستان من اوفر البلاد فى الماشية ، اذ تقدر ثروتها من الابقار باكثر من ثلاثة ملايين رأس ومن الماعز عددا مماثلا ،ومن الاغنام حوالى مليون رأس .. وذلك يؤدى الى وفره من نوع آخر فى الجلود وكافة انواع الفراء ، وهى سلع تجد سوقا رائجه فى المدن التى يطرقها السياح ، وكابول فى مقدمتها .

على ان الاهم من هذا كله ان اقتصاد افغانستان الزراعى يقوم اساسا على نتاج تلكالوديانالممتدة بمحاذاة سلاسل جبالها الشاهقه ، والقمح على رأس محاصيل هذه الاراضى بعده تجىء الذرة والارز والشعير ، بينما يحتل انتاج الفاكهة والخضراواتموقعا ممتازا ، يغطى احتياجاتالسكان ويفيض .

وطريق الشمال يؤدى الى مدينتين لكل منهما معالمها البارزة . واحدة تطل على المستقبل ، والاخرى لها ماض ! وبالمناسبة . فان هذا الطريق بناه السوفييت ، كما ان الامريكان هم بناة طريق الجنوب ، وكلما اقتربتمنالشمال اقنعتك الشواهد بانك تتجه الى الحدود السوفييتيه .. السيارات السوفيتيه بكافه طرزها على الطريق ، والجرارات السوفيتية فى المزارع ، والبضائع السوفيتية فى المحال التجاريه .. حتى العارفون باللغة الروسية يتزايدون .

ومدينة المستقبل هى « بول خمرى » ، التى تتركز فيها صناعة النسيج ، وتعد مع الاسمنت الصناعتين الوحيدتين فى افغانستان . وحولها ظهر الغاز الطبيعى ، كما ان هناك تنقيبا عن البترول حولها ، ويقال أن الامل كبير فى التوصل الى نتائج ايجابيه ، على اعتبار ان تلك المنطقة امتداد جيولوجىلمناطق البترول فىجنوبالاتحاد السوفيتى.
اما مدينه الماضى فهى « بلخ » ..

بلد له ماض

وكان اسمها باكتريا فى الزمن القديم ، عندما وفد عليها الاريون (والارى هو النبيل) منسهول تركستان واسسوا دولة لهمباسم اريانا ، استقرت

وازدهرت ، وخرجت منها جماعات الآريين التي اتجهت الى فارس وشمال العراق واوربا .

وعندما جاء الاسكندر الاكبر اتخذ منها مقرا له.. وعندما صارت عاصمة لدولة خراسان ، كان اسمها « بلخ » حتى خربها « تنكيز اللعين – يقول ابن بطوطه – وهدم في مسجدها نحو الثلث ، بسبب كنز ذكر له انه تحت سارية من سواريه ، وهو من أحسن مساجد الدنيا وافسحها »

وبعد غارة تنكيز اللعين ، لم تقم للمدينة قائمه .

وفي ظل ازدهار الحكم الاسلامي بخراسان ، كانت بلخ وسمرقند وقندهار ودهلي – كما كان ينطقها العرب القدامى – مدنا تنافس بغداد ودمشق والقاهرة .. وفي تلك الفترة . انجبت واحدة من اشهر الشاعرات هي رابعة البلخي . وابرز شعراء الصوفيه جلال الدين الرومي .

لكننا نقع في خطأ كبير . اذا شغلنا الاثر عن البشر في مناطق الشمال..فهذه بلاد قبائل الطاجيك والتركمان اكثر الناس ديناميكية وانتاجا . ذلك ان ثروة وسمعة افغانستان في السجاد – مثلا – خرجت من هذه المناطق . واذا كانت بنات التركمان الروميات – قد عرفن في بعض مراحل التعثر في التاريخ الاسلامي بانهن « العصر الرشيق » ، كما ذكر ابن حوقل ، الا ان لهؤلاء الفتيات قيمه اخرى الان . . اذ ان ارق واجمل انواع السجاد الافغاني تخرج من مناطق التركمان . وبنات هذه الناس ينسجن داخل بيوتهن كميات كبيرة من السجاد التي يتخاطفها السياح والاثرياء ، وتباع باسعار عالية.

غير ان ملاحة بنات التركمان ما زالت لها أصداؤها . فأغنياء الأفغان القادرون على مواجهه اعباء الزواج والدين ننتشر بينهم تعدد الزوجات ، يحرصون على ان يقتني الواحد منهم بين زوجاته واحدة « رومية »

ومع ذلك لا تكاد تدخل محلا تجاريا في كابول او قندهار الا وتجد فيه قطعة من بلاد الطاجيك والتركمان ، من السجاد الى الجلود والفرو الى الحلي وادوات الزينة الى العقيق والاحجار الكريمة.

على انه بقدر عطاء هذه المناطق ، فان « الاخذ » الذي تجنيه محدود للغاية . وبعدها عن قلب افغانستان جعلها اكثر تخلفا ، وبالتالي ، اكثر اقترابا من عوالم القرنين التاسع عشر والثامن عشر .

وكل ما قلناه عن تخلف حياة البشر في الجنوب نستطيع أن نكرره حرفيا ، ونضيف اليه الكثير في الحديث عن الشمال . فالامية منتشرة بنفس النسبة ، ومنظر حلقات « الكتاب » في مزار شريف التي يلتف فيها رجال القبائل حول الجالسين بالأقلام والاوراق ، يملون عليهم الرسائل الى الاهل والخلان . هي ذاتها التي رأيناها في كابول وقندهار وهراة . ومشكلات تخلف التفكير الديني طبق الاصل مما لمسناه في الجنوب .. وأمراض الملاريا التي تقتل الكثيرين من الاطفال – ويعزون اليها سبب النمو البطيء في عدد سكان افغانستان نتيجة لان الوفيات اكثر من المواليد – مع حصى الكلى الذي هو محنة الكبار .. هذه الامراض لا تخلو منها قبيلة أو قرية .

والمرافق الفقيرة للغاية ، التي تكاد تنحصر في شبكات المياه والانارة التي تغطي المدن وبعض القرى القريبة منها ، هذه القاعدة لم يشذ عنها سوى الطرق ، التي تم شق ما هو اساسي منها ، ربما لاسباب عسكرية واقتصادية اساسا ..

هنا ، وقف الجبل عاجزا عن التاثير والحيلولة دون تماثل هذه الاوضاع ، فلم يؤد دوره التقليدي كجدار عازل . لان التخلف ملة واحدة !

وامام هذا كله ، يكاد الواحد منا يشعر بالخجل ، لان مشقة الطريق ومشاهد الرعب التي مررنا بها ، اصابتنا بالضجر احيانا ، والاستياء احيانا اخرى وبينما كانت هذه المشاعر تستغرقنا وتستولي علينا ، نسينا ان هذا الذي نكاد نمتعض له في رحلة ايام معدودة ، هو نمط حياة يومية لملايين من البشر . وجميعا يحتملون قسوة الظروف الطبيعية والمعيشية ، ويتعايشون معها برضا وربما بحب . وكما النمل ، من امكانات معدمة ، وبصبر ودأب شديدين ، ينحتون في الصخر بلادهم .. ويغسلون همومهم في حلقات الناي ، وحلبات « البوزكاشي » !

معذرة اذا كنت قد أخطأت في حقهم مرة ثانية .

وأرجو أن يشفع لي أنني أتكلم من داخل البيت وليس خارجه ..

ألست من عربستان ؟؟

■■

فهمي هويدي

نزهة العقل الذكي

مسابقة العدد

■ مسابقة هذا العدد هي « الكلمات المتقاطعة » ٠٠ والمطلوب ايجاد الاجابات الصحيحة لها وارسالها الينا ٠٠ ويمكنك اعادة رسم مربعات الكلمات المتقاطعة على ورقة مستقلة ، حتى لا تشوه صفحة العدد بقطعها منه ٠. أما الكوبون المنشور في أسفل الصفحة المقابلة ، فمن الضروري أن يرفق بالاجابة حتى تفوز بواحدة من الجوائز التي مجموعها ١٠٠ دينار تمنح على الوجه الآتي :

الجائزة الاولى ٣٠ دينارا ـ الجائزة الثانية ٢٠ دينارا الجائزة الثالثة ١٠ دنانير و ٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا كل منها ٥ دنانير ٠

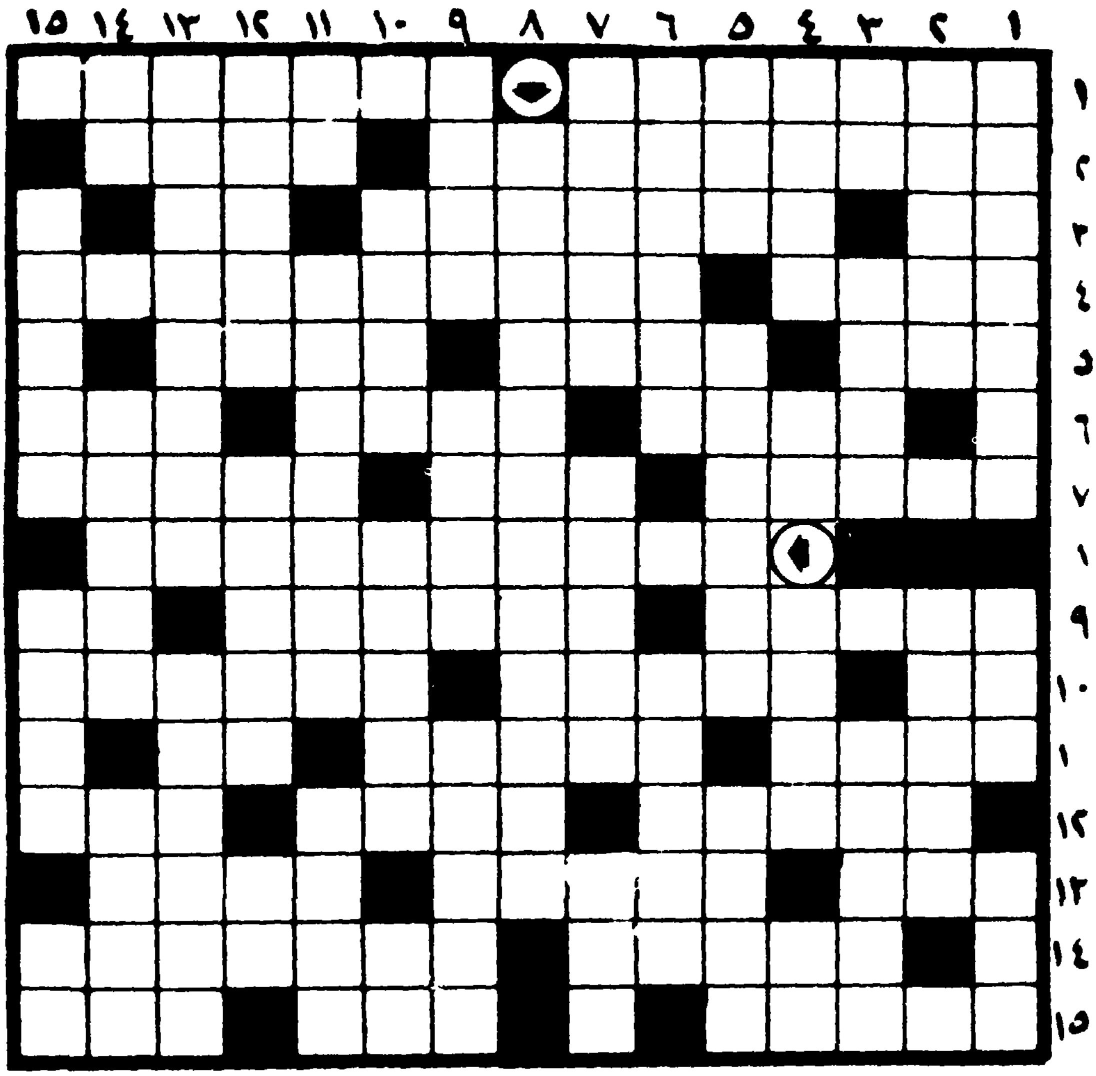
ترسل الاجابات على العنوان التالي : مجلة العربي صندوق بريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد ٢٣٨ » وآخر موعد لوصول الاجابة الينا هو أول نوفمبر (تشرين ثاني) ١٩٧٨ ٠

اثنتان في واحدة

اذا استطعت حل مسابقة الكلمات المتقاطعة ، ستجد في (٨) أفقيا اسم فاتح الاندلس ، كما ستجد في (٨) رأسيا اسم جحا التركي ٠

كلمات أفقية :

(١) من اللغات القديمة ـ قديسة أورليانز ٠
(٢) شاعر عربي معاصر معروف ـ دولة افريقية ٠
(٣) طقس ـ استقبلوا الرسول عند هجرته ـ نصف كلمة (نبيل) ٠
(٤) في الصلاة ـ شاعر انجليزي معروف حارب مع اليونانيين ضد الاتراك ٠
(٥) خشي ـ لاذا ـ يلعب ٠
(٦) يذيع ـ في فريق الكرة ـ طل ٠
(٧) سلاح حربي قديم ـ تجمعات سكانية ـ قصار القامة ٠
(٨) فاتح الاندلس ٠
(٩) قطر عربي ـ أغاني ـ للنداء ٠
(١٠) نصف كلمة (باند) ـ ولد الطائر ـ أهدافه ٠
(١١) الكثيف ـ فظائع ـ اصلح ٠
(١٢) في الجهاز الهضمي ـ من اجزاء الراس ـ ظبي ٠
(١٣) عنف ـ ينافق ـ تلعب بها الصغيرات ٠
(١٤) من أماكن الترفيه ـ قرصان انجليزي مشهور ٠
(١٥) من الامراض ـ طرق ـ اغراض ٠



كلمات رأسية :

(١) جزر على البنكرياس تفرز الانسولين ـ من سور القرآن الكريم ـ تـلا •

(٢) الملك الهندى الذى تكفل بنشر البوذية ـ صاحب نظرية للتطور عاصر دارون •

(٣) نصف كلمة (تارة) ـ ثقيل ـ قوله •

(٤) قلم ـ نصف كلمة (عائم) ـ يخطىء ـ حرف نفى •

(٥) تغيير الموضع ـ حزب بريطانى ـ عملة عربية •

(٦) يهتمون ـ منفعة •

(٧) عاصمـة آسيويـة ـ فلكـه ـ حـرف استفهام •

(٨) جحا التركى •

(٩) حيوانات ـ اخبر ـ من الاشجار •

(١٠) من الفصول ـ نملاه ـ جوهر •

(١١) كشف ـ دولة اوربية ـ صوت الحمام •

(١٢) فى متناول اليد ـ من المعادن ـ حرفان متشابهان •

(١٣) عصر يقع قبل الميلاد بالفى سنة ـ من القارات •

(١٤) مقام موسيقى ـ اخفيت ـ معروف •

(١٥) قراءة المستقبل عن طريق النجوم ـ أسكن ـ حيوان قطبى •

كوبون مسابقة

مكتشف النشـــاط الاشـــعاعى للراديوم

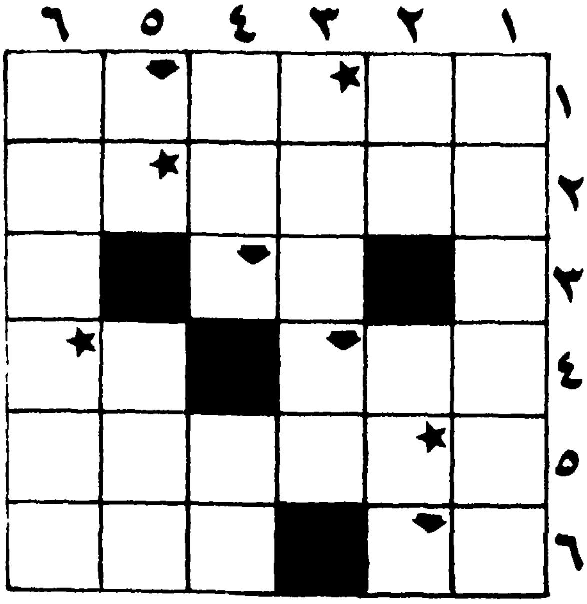
ابـدأ أولا بحـل مسابقة الكلمـات المتقاطعة ، بعد ذلك انقـل الحـروف التى فى المربعــات التى بهــا الاسم ،ورتـبها بحيث تصنع الاسم الاول للعالم الـــدى اكتشف الـشــاط الاشعـــاعى للراديوم · ثم انقل الحروف التى فى المربعات التى بها النجوم ، ورتبها بحيث تصنع لقبه ·

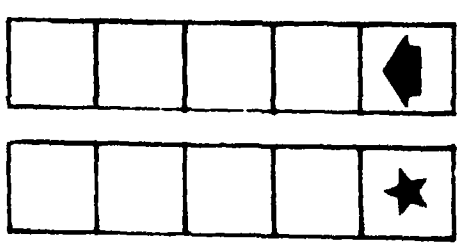
الكلمات الافقية :

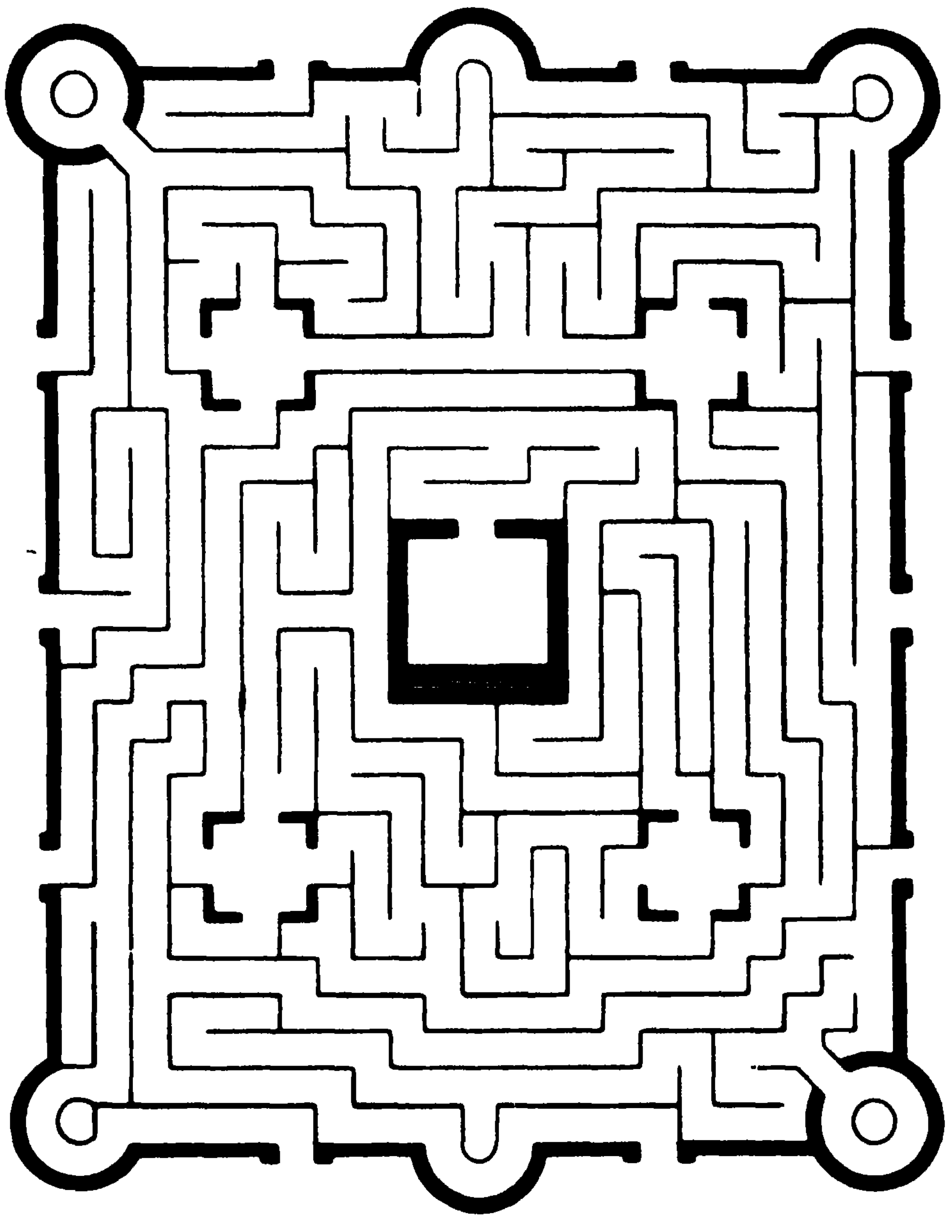
(١) قطر عربى ·
(٢) جسيم موجب الشحنة فى الدرة ·
(٣) حرفان متسابهان ·
(٤) موت ـ من وسائـل العـلاج الشعبى القديم ·
(٥) فى الجهاز الدورى ·
(٦) حيوان قطبى ـ صفح ·

الكلمات الرأسية :

(١) من اشهر فلاسفة العرب بالاندلس ·
(٢) نصف كلمة (هتلر) ـ طريق ·
(٣) دولة آسيوية ·
(٤) فى العود ـ نصف كلمة (منيع) ·
(٥) نصف كلمة (يوسف) ـ للاستفهام ·
(٦) تنقذنا ·







السجين الهارب

كان السجين محبوسا فى الحجرة الوسطى من هذا المبنى الغريب .. ولم يعمد الحراس الى اغلاق باب حجرته ، او اى باب آخر فى المبنى .. فهم يعرفون انه لن يستطيع ان يخرج من هذه المتاهة ، الا اذا عرف ممرات هذا المبنى .

وذات يوم بينما كان السجين يتخبط فى سيره بين هذه الممرات المعقدة ، وجد نفسه بالقرب من احدى حجرات الحراس ، وسمع احدهم يلقن الحارس الجديد سر الخروج من المبنى ، ثم قال له « قد لا تكون هذه هى اقصر الطرق الى الخارج لكنها اقربها الى الذاكرة » .

فهل تستطيع ان تعرف هذا السر ، الذى اعطى السجين حريته ؟

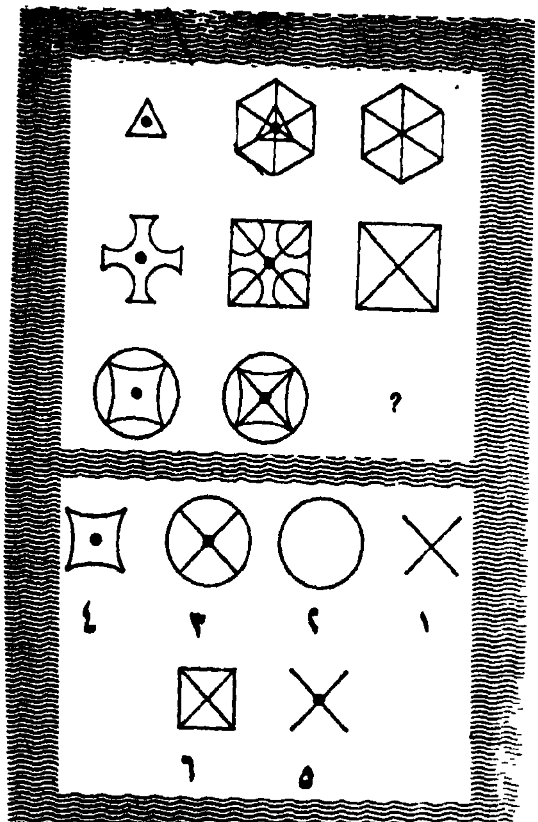
● بالعقل فقط ●

● استاذ نبيه يسال ●

هل تعرف عملة جوز الهند ؟

كنت ازور قبيلة من قبائل الشاطىء الافريقي، عندما التقيت بابناء قبيلة ويجى • وقد تعجبت للطريقة التي يتعاملون بها ، ورحت اراقبهم لاعرف سر هذه الطريقة وجدتهم يعتبرون ثمن الرمحين موازيا لثمن ثلاث سنارات لصيد السمك وسكين • كما وجدتهم يقدمون ٢٥ ثمرة جوز هند للحصول على ثلاثة رماح وسكينين وسنارة صيد واحدة •

فهل تستطيع ان تعرف كم ثمرة من جوز الهند يساوى كل من الرمح وسنارة الصيد والسكين؟•



الشكل المطلوب

من دراسة العلاقة بين الاشكال التى فى الصفين العلويين ، حاول أن تعرف أى الاشكال ذات الارقام يمكن أن يحل محل علامة الاستفهام••

الحلول

النجمة والسهم :

بيير كورى

★ ★ ★

متاهة :

السر هو أن تدور مرتين متتابعتين الى اليسار ، ثم مرة الى اليمين ، وتكرر هذا حتى تصل الى الباب الايمن فى الحائط العلوى • والقاعدة تنطبق فقط عندما يكون هناك خيار بين أكثر من طريق •

★ ★ ★

استاذ نبيه يسال :

سنارة الصيد = ثمرة جوز هند ، السكين = ٤ ثمرات ، الرمح = ٥ ثمرات •

★ ★ ★

الشكل المطلوب :

رقم ١ •



سبعة اسباب

● قال ابـن عبـاس رضى الله عنه قال رسول اللهصلى الله عليـه وسلـم : سبعـة اسباب يكتب للعبد ثوابها بعد وفاته : رجل غرس نخلا او حفر بئـرا ، او اجـرى نهرا او بنى مسجدا او كتب مصحفا ، او ورث علما ،او خلف ولدا صالحا يستغفر له بعد وفاته •

★ ★ ★

الناس والخير

● الناس فى الخير اربعة اقسام : منهم من يفعله ابتداء، ومنهم من يفعله اقتداء،ومنهم من يتركه حرمانا ، ومنهم من يتركه استحسانا • فمن فعله ابتداء فهو كريم ومن فعله اقتداء فهو حكيم ، ومن تركه حرمانا فهو شقى ، ومن تركه استحسانا فهو ولى •

علمه ليسوّده

● قال الشعبى : « دخلت على الحجاج حين دخل العراق فسالنى عن اسمى فاخبرته ، ثم قال : « يا شعبى ، كيـف علمك بكتاب الله الكريم ؟» قلت : «عنى يؤخذ » قال : «كيف علمك بالفرائض ؟ قلت : « الى المنتهى فيها » • قال : « كيف علمك بانساب الناس ؟» قلت : « انا الفيصل فيها » قال « علمك بالشعر ؟ » قلت : « انا ديوانه » ، فقال: الحجاج « لله ابوك ياشعبى»• ثم انه فرض لى اموالا ، وسودنى على قومى فدخلـت عليه وانا صعلوك منصعاليك همدان وخرجت وانا سيدهم•»

★ ★ ★

لو أكثرت من النساء

● قيل للاسكندر الاكبر : لو اكثرت من النساء حتىيكثر نسلك ويحيا اسمك ؟ فقال: انمـا يحيى الذكـر الافعـال الجميلـة والسيـرة الحميـدة ولا يحسن بمن يغلب الرجال ان تغلبه النساء •

كيف تستدل على عقل الرجل

●يستدل على عقل الرجلبامور متعددة منها ميله الـى محاسن الاخلاق واعراضه عنرذائل الاعمال ورغبته فـى اسداء صنائع المعروف وتجنبهما يكسبه عارا ويورثه سوء السمعة •

وقد قيـل لاحـد الحكمـاء« كيف يعرف عقل الرجل ؟ »

فقال : «بقلة سقطه فـىالكلام ، وكثرة اصابته فيه » فقيل له «فان كان غائبا ؟ قال : باحدى ثلاث: امابرسوله واما بكتابه ، واما بهديته ،فان رسوله قائم مقام نفسه ، وكتابه يصف نطق لسـانه ،وهديته عنوان همته، فبقـدر ما يكون فيها من نقص يحكم به على صاحبها •



ابتكرنا Mothercare خصيصاً لطفلك ...

ولك... ولهم.





Mothercare®-by-Po تقدم
ل شيء.

Motherca تتخصص على نطاق عالمي
ما تحتاج إليه الأم الحامل ورضيعها
ها حتى سن العاشرة

٣٢٠ محلا في ١٠ أقطار في شتى أنحاء
والولايات المتحدة الأمريكية والأمهات في
وفي ١٣٠ قطرا
يتعاملـــن مـــع
Motherc
ريق الكتالوج



تحتاجين إليه
ستعيدي من
Motherc
تسوق من
Mothercare-by-
لكوبون أدناه وأرسليه فورا

رسل إليك مجانا كتالوجنا الملون الذي يقع
٢ صفحة ، مع استمارة الطلب ونشرة

تفسيرية باللغة العربية. وعندما تتصفحين الكتالوج ، ستعرفين مدى ما يمكننا أن نقدمه لك ملابس الحاملات لوازم الحضانة وتنظيف الأطفال ملابس الرضعاء والأطفال ولعبهم عربات الأطفال فرش أسرة. مجموعة كبيرة من مستلزمات الأمان التي تظهر حرص Mothercare الدائم على الأمان ودقة التصميم

أسعار معقولة للغاية وإذا كان هناك ما لا يحظى برضائك ، فسنعيد اليك نقودك بسرور

بادري بطلب نسختك المجانية من الكتالوج.

ستكتشفين مئات الأفكار من Mothercare التي تجعل الحياة أسهل وأكثر مرحا لك ولأطفالك حتى سن العاشرة

مجانـــا

Mothercare Limited,
P.O. Box 145,
Watford, England.

إلى :

الاسم

العنوان

القطر

(الرجاء كتابة البيانات بحروف منفصلة باللغة الانجليزية)

RC

Mothercare®-by-Post


وست اند
WEST END WATCH Co
W
SWISS
ساعات العصر الحديث
WED
الوكيل العام
يعقوب يوسف بهبهاني
ساحة الصفاة - دولة الكويت
ص ب: ٣٣٤ - تلفون: ٤٣٣٥٨٥



في جميع انحاء الشرق الأوسط

شركة المسيلة للتجارة
ص ب ٢٧٠٢
صفاة. كويت
تلفون ٤٢٣٢٣١
تلكس ALMULLA 107496

عبد الرحمن الزياني واولاده
ص ب ٣٢. البحرين
تلفون ٥٢٦٠٧
تلكس GJ8305 A A ZAYANI

الشركة الاقتصادية. ش م
١٨(ب) شارع ٢٦ يوليو. القاهرة
تلفون ٤٦٠٥٥
برقيا رايداواجون القاهره

الشركة التجاريه الاردنية المحدودة
ص ب ١٢٩
عمان الأردن
تلفون ٥١٣٣١
تلكس JO 1311 AMMAN





ـدد ۲۳۹
ال ۱۳۹۸
اکتوبر
شرين ۱)
۱۹۷۸

عزيزي القارئ

عاد احد اساتذة الجامعات العرب من الولايات المتحدة الامريكية اخيرا ، مذهولا من سياسة تصدير الشباب العربى الى امريكا ، بغير حساب ، وبلا ضابط او رابط • شباب من كل الاعمار ، او صبية فى بعض الحالات ، يوفدون الى امريكا مبعوثين من حكوماتهم ، ليتعلموا اى شىء •• بدءا باللغة وانتهاء بشهادات الدكتوراه •

والنتيجة تتمثل فى مسلسل المآسى والانحرافات والصدمات النفسية الذى لاينتهى ، ثم فى تصاعد عمليات ابتزاز المال العربى الذى يصل — مثلا — الى حد مطالبة المبعوث العربى دون غيره بدفع رسوم خاصة لدخول مكتبة المعهد أو الكلية ، وأحيانا رسوم لدخول المقصف الذى يفترض ان ابوابه مفتوحة للجميع •• ذلك فضلا عن مضاعفة رسوم الدراسة الى عشرة اضعاف او يزيد ، للطالب العربى وحده •

يروى الاستاذ العربى ان احدى الدول العربية لها الان فى امريكا ٢٨ الف طالب ، وتدفع لكل واحد منهم الفى دولار سنويا • اى انها تكلف هؤلاء المبعوثين واغلبهم من صغار السن ٥٦ مليون دولار سنويا• وهذا نموذج واحد ، من دولة واحدة •

ترى ، لو ان عملية تصدير الشباب هذه خضعت لحد ادنى من المنطق ومن المصلحة • الا تنشىء ملايين العام الواحد جامعة عربية تستوعب الجانب الاكبر من هؤلاء الموفدين بغير مبرر • واذا كان هناك — ايضا — حد ادنى من المنطق والمصلحة ، الا تغطى ملايين العام الواحد احتياجات اكثر من جامعة عربية مقامة فعلا ، لتتمكن من تادية دور اكثر فعالية فى خدمة هذه الأمة سيئة الحظ •

أم اننا اخترنا ان لانرهن اموالنا فقط فى امريكا واوروبا ، بل نرهن شبابنا ايضا ؟ ؟ ! •

المحرر

العربي

رئيس التحرير : أحمد بهاء الدين

القسم العام :

■ .. ويسالونك عن « الافكار المستوردة » ـ د . فؤاد زكريا ٦
■ للمناقشة كلام في العدل : مال من هذا ؟؟ ـ فهمي هويدى ٣٩

اسلاميات :

■ دراسة خاصة للعربي الشريعة الاسلامية في صيغة معاصرة ـ محمد فتحي عثمان ... ١٣
■ صفحة من التاريخ الاسلامي : المرأة والسياسة في اول ازمة واجهت المجتمع الاسلامي ـ د . أحمد عبيد الكبيسي ٢٩
■ الدين والمسألة الدينية في اليابانيا ـ د . محمد موهاكو ١٢٩

شخصيات :

■ بوريس فيون : الطريق من الجاز الى الرواية ـ د . سامية أحمد أسعد ١٠٠
■ بين وليم هارفي وابن النفيس ـ د . صبيحة الدباغ ١١٠

قضايا حيوية :

■ مسلمو جنوب افريقيا ينقصهم الرجال قبل المال ـ د . رغلول النجار ٤٨
■ نحن في حاجة الى ثورة تعليمية ـ د . علي عبد المنعم ٥١
■ محنة التكامل الاقتصادي الزراعي في الوطن العربي ـ د . سعد نصار ٥٣
■ التزييف والخداع التاريخي . للفيلسوف الفرنسي روجيه جارودي ٥٧

طب وعلوم :

■ بعد طفل الانبوب هذه التجارب المثيرة لتجميد حياة المخلوقات وتعطيلها ـ د . عبد المحسن صالح ١٩
■ عن السيبيرنية والحواسب الالكترونية ـ د . مصطفى حاموس ٤٣
■ انباء الطب والعلم الدولوبيد هل يستطيع أن يحل محل الاسبرين ـ دب قطبي يعزز أواصر الوفاق ـ كرسي جديد يبشر بالقضاء على الانزلاق الغضروفي ـ خيال المآتة بطراز القرن العشرين ـ يوسف زعلاوى ٦٥
■ قبل أن تفقد السيطرة على أطراف جسمك ـ د . محمد محمد أبو الشوك ١٠٧
■ أسرار طائر الوقواق ١١٨
■ طبيب الاسرة : دودة المدينة ـ ارتفاع ضغط الدم ـ الجرب ـ كثرة افرازات العرق ١٢٦

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

تصدرها وزارة الاعلام بحكومة الكويت

والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABI — No. 239 October 1978 — P. O. Box 748 KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٤٢٧١٤١ تلغرافيا « العربي »

الاعــــلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات

المراســــلات : تكون باسم رئيس التحرير

المجلة غير ملتزمة باعادة اى مادة تتلقاها للنشر



صورة الغلاف :

● باقية ـ ما زالت قسمات الشخصية الفلسطينية رغممحاولات التعتيم والطمس والتشويه . لا يزال الوجـه الفلسطيني باقيـا . والتراث الشعبي الفني هو أحد هذه القسمات المحفورة في الاعماق الفلسطينية المطبوعـة في الحياة اليومية للقرى والمخيمات العزيزة . ان المعامية عبير طوقان تعـرض نماذج من فنون التطرير الفلسطينية . (التفاصيل ص ٨٨)

استطلاعـــات :

■ واد جديد .. جديد على شاطىء البحر الاحمر في مصر ـ سير نصيف ٦٨
■ في الكويت : صناعات وحرف تقاوم الاندثار ـ صـــادق يلي ٩٢

علـم نفس :

■ العبقرية في الاصالة والابداع ـ د . عبد الرحمن عيسوى ٢٦
■ ماذا يعبر النائم في طريقة نومه التي نشا عليها ـ حمعر العليلى ١٢٢

ادب :

■ اجمال القصة ـ صلاح عبد الصبور ١٢
■ عن الاعمار وانها بيد الله ـ عبد الوهاب احمد الافندى ٣٥
■ قصة من الجزائر خطيبتي ـ عبد الحميد بن هدوقة ٦٠
■ كبر الصغار ـ ابراهيم أحمد الشنطى ١١٣
■ شاعر الشام خليل مردم بك ـ عبد الغني العطرى ١١٤
■ المسافرون الستة ـ للكاتب الاسكتلندى . اندرولانج . ـ ترجمة صبح الله ابراهيم ١٣٤

كتـــب :

■ كتاب الشهر دمروا قرطاجة .. سكرات الموت لثقافة قديمة ـ تاليف ألن لويد ـ
تقديم ـ د . صفاء حلوصى ١٤١

فنــون :

■ صفحة موسيقية ـ كاريكاتير بريشة بهجت عثمان ٥٨
■ شيء باق من فلسطين ٨٨

متنوعـــات :

■ عزيزى القــارىء ٣
■ طرائف عربيـــة ٦٤
■ حوار القراء ١٣٨
■ نزهه العقل الذكى ١٤٨
■ أقوال معــاصرة ١٠٢
■ حل مسابقة العدد (٢٣٦) ... ١٠٦
■ مسابقة العدد ١٤٨

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس . الخليج العربى ريالان قطريان ، البحرين ٢٠٠ فلس بحريني . العراق ١٢٠ فلسا . سوريا ١٠٠ قرش ، لبنان ١٠٠ قرش . الاردن ١٠٠ فلس . السعودية ريالان سعوديان . السودان ١٠ قروش . ج.م.ع ١٠ قروش . تونس ٢٥٠ مليما . الجزائر ٢٫٥ دينار . المغرب ٢٫٥ درهم . اليمن ٢٫٥ ريال . ليبيا ١٥٠ درهما . جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ٢٠٠ فلس .

الاشتراكات : يراجع طالب الاشتراك :

١ ـ الشركة العربية للتوزيع وعنوانها ص . ب (٤٢٢٨) بيروت لبنان .
٢ ـ مؤسسة توزيع الاخبار وعنوانها ٧ شارع الصحافة القاهرة مصر .
. للمشتركين في جمهورية مصر العربية .

استأذن القارىء في اخلاء « حديث الشهر » هذا العدد لهذا الموضوع الهام ، الذى يضيع علينا نحن العرب ـ كما سنرى في المقال ـ وقتا ثمينا نحن أحوج ما نكون اليه ٠

احمد بهاء الدين

ويسألونك عن.. الأفكار المستوردة!

بقلم : الدكتور فؤاد زكريا

منذ ان اصبحت الدعاية علما له اصول وقواعد مدروسة ، اخذت فنون الاقناع الحديثة تتبع أساليب متشابهة ، ترمي في نهاية الامر الى تشكيل العقول بطريقة تصبح فيها اكثر قابلية لتصديق مايلقى على مسامعها ، واقل قدرة على اختبار مايقال لها واخضاعه لموازين النقد٠ومن اشهر هذه الاساليب واكثرها شيوعا ، تكرار التعبير الواحد عددا هائلا من المرات ، مع ربطه بالشحنة الانفعالية المطلوبة ، من استحسان او استهجان ، بحيث تقبله العقول آخر الامر مقرونا بالانفعال المطلوب ، دون اى فحص او اختبار منطقى ٠

ومن اشهر التعبيرات التي اصبحت في الاونة الأخيرة تلقى على مسامعنا

ليل نهار، تعبير «الافكار المستوردة» وقد افلحت أساليب الدعاية المنظمة في ربط هذا التعبير بشحنة قوية من الاستهجان، ونجحت في ان تجعل الكثيرين يرددونه دون ان يفكروا في معناه، ويستخدمونه كما لو كان شيئا منفرا بطبيعته . كالكوليرا ، او شيئا يدعو بطبيعته الى الاستنكار ، كالاحتلال الاسرائيلي .

على انى ادعو القارىء ، فى هذا المقال . الى ان يشارك معى فى فهم وتحليل هادىء لهذا التعبير . املا ان ننتهى منه سويا الى ان الافكار المستوردة ليست ، على الاقل ، فى بشاعة الكوليرا او فظاعة الاحتلال الاسرائيلى .

ان «المستورد» فى الاصل صفه تتعلق بميدان التجارة . والتجارة الخارجية بالذات . تقال عن السلع التى لاتنتج فى بلد معين . فيجلبها من بلاد اخرى . فالمستورد فى حقيقته شيء مادى نستجلبه مقابل اموال او سلع بديلة . والاستيراد يمارس يوميا فى ميدان الاقتصاد . بحيث لايمكن القول ان مجتمعا من المجتمعات يستطيع الاستمرار بدونه . فليس هناك مجتمع مكتف بنفسه كل الاكتفاء . وكل بلد فى العالم يصدر الى الاخرين ويستورد منهم . ويتمكن بذلك من ان يضمن لنفسه حياة معقولة . ففى عالم الاقتصاد اذن . اى فى المجال الاصلى الذى تستخدم فيه الكلمة، لايعد المستورد شيئا قبيحا او مرذولا . بل هو ضرورة من ضرورات الحياة .

والنتيجة التى نخلص اليها من هذه المقدمه هى ان تعبير « الافكار المستوردة » تعبير مجازى . ينقل الى ميدان الفكر لفظا ينتمى فى الاصل الى ميدان الاقتصاد والتبادل التجارى . وليس تعبيرا اصيلا يدل على صفة حقيقية فى الافكار ذاتها . ولو امعنا النظر قليلا لوجدنا ان هذا التعبير يجمع بين ميدانين متباعدين . اذ يطبق على الافكار . وهى بطبيعتها شيء معنوى . صفة تقال فى الاصل على اشياء ماديه . وامثال هذه المجازات التى تجمع بين اشياء تنتمى الى ميادين متباعدة كثيرا ما تكون مضللة. ومن الغلط الكبير ان يتخذها المرء اساسا لموقف فكرى ثابت . لان من اسهل الامور ان يعترض المرء عليها ابتداء بقوله : من ادرانا ان كلمة « الاستيراد » يمكن ان تنقل . بطريقة مشروعة . من ميدانها الاصلى الى ميدان الافكار ؟

على اننا حين نمضى فى التحليل خطوة أبعد . سنكتشف حقيقة اخرى بسيطة . ولكنها هامه. فقد ذكرنا من قبل ان «المستورد» ليس شيئا سيئا فى مجال الاقتصاد . وانما هو ضرورة حيوية . على ان هناك مجتمعات تفتح ابواب الاستيراد . فى الميدان الاقتصادى . على مصراعيها . فتستجلب الضروريات والكماليات . واخرى تضع للاستيراد ضوابط دقيقة فلا تجلب الا ما هو ضرورى . وما يستحيل صناعة بديل له فى الداخل . ومن المنطقى ان تكون الدول التى تتبع النظام الاول . اعنى نظام «الابواب المفتوحة» والاستيراد غير المقيد هى التى ترحب ايضا باستيراد الافكار . على حين ان الدول التى تفرض قيودا على استيراد السلع

هي ايضا تلك التي تفرض قيودا على استيراد الافكار .

ولكن المنطق شيء ، والواقع ـ في عالمنا العربي بالذات ـ شيء آخر . ذلك لان اشد الناس هجوما على ما يسمى « بالافكار المستوردة » ، هم انفسهم الذين يطالبون بان نستورد من الخارج كل شيء ، من الابرة الى الصاروخ . كما يقول التعبير الذي اصبح مشهورا . وهنا ايضا نجد امامنا صورة متناقضة الى حد بعيد : فلماذا يسمح بالاستيراد في كل شيء ، حتى في العقول والخبرات ولا يسمح به في مجال « الافكار » ؟ واذا كان من الضروري ان نكتفي بما ينبع من ارضنا ، فلماذا لا نفعل ذلك في جميع المجالات . ولماذا نفتح الابواب على مصراعيها لسيل الكماليات التافهة التي تربي في النفوس اسوأ العادات الاستهلاكية ، ونغلقها في وجه فكرة ما اتت من عقل ينتمي الى مجتمع آخر ؟

★ ★ ★

انني ، حتى الان ، لم انفذ بعد الى صميم الموضوع ، وانما حاولت ان اكشف التناقض الداخلي في الدعوة الى محاربة « الافكار المستوردة » ، بحيث ان كل ما يمكننا استنتاجه ، حتى الان ، هو انه ليس من حق اي مجتمع ان يحارب هذه الافكار اذا كان يستورد كل شيء ، حتى العقول . ولكن ربما كان من حقه اتخاذ هذا الموقف اذا كان متسقا مع ذاته في جميع تصرفاته ، اي اذا كان قد قرر ان يغلق ابوابه على نفسه ويعتمد على جهوده الخاصة ، ماديا ومعنويا ، في تسيير كافة شئونه . اي انني لم اصدر بعد حكما على الافكار المستوردة ذاتها . وهل هي خير أم شر ، وانما حاولت ان اكشف عن التناقض في اسلوب محاربة بعض الدعاة له ...

ولكن مهمتنا الاساسية ، في هذا المقال ، هي ان نخوض المشكلة في صميمها ، وان نواجه الموضوع مواجهة مباشرة فنتساءل : هل صحيح ان الافكار المستوردة شيء ضار ينبغي تجنبه ؟ واذا كانت في بعض جوانبها تجلب الضرر . فما هي هذه الجوانب ؟

ان الدعوة الى محاربة الفكر المستورد ، في عالمنا العربي ، تبرر بالحرص على التراث الاصيل ، ومنع الافكار الاتية من الخارج لان فكرنا ينبغي ان ينبع من داخلنا ، ومن تاريخنا ، ومن ماضينا وتراثنا . ومثل هذا الحرص يمثل هدفا نبيلا لا يستطيع اي مفكر يعمل لصالح مجتمعه الا ان يحني رأسه اجلالا له . ولكن السؤال الذي لا يكف عن الالحاح علينا في هذا الصدد هو : هل صحيح ان تراثنا وتاريخنا وماضينا كان حصيلة تفاعل داخلي بحت ، وانه خلا خلوا تاما من كل عنصر « مستورد » ؟

ان الامة العربية ، بالذات ، هي آخر امة على سطح هذه الارض تستطيع ان تجيب عن هذا السؤال بالايجاب . صحيح انها من اقدر امم الدنيا على الاحتفاظ باصالتها وتراثها . ولكن هذه الاصالة وهذا التراث قد بنيا ، الى حد بعيد على ادماج عناصر « مستوردة » في النواة الاصيلة للعروبة وكان هذا عنوانا لنضجها وثقتها في نفسها فمنذ السنوات الاولى للحضارة الاسلامية ، سنوات الفتح الذي اذهل العالم واكتسح امبراطوريات قديمة عاتية ، بنى العرب دولتهم الكبرى على اساس اقتباس ما يصلح لهم من انظمة الدول التي خضعت للفتح العربي وكان من الطبيعي ان يكون نطاق هذا الاقتباس واسعا لان طبيعة الفاتحين العرب ، وحياتهم البدوية البسيطة ، لم تكن تسمح بتأسيس « دولة » بالمعنى الواسع والمعقد لهذه الكلمة . وبعبارة اخرى فان الدعائم الاولى للدولة الاسلامية المترامية الاطراف كانت ـ في قدر غير قليل من جوانبها ـ افكارا ونظما مستوردة . ولو كان العرب الاوائل قد أخذوا بمبدأ محاربة الافكار المستوردة بنفس الضراوة التي يحاربها بعضهم بها ، لما استطاعوا ان ينتقلوا ، في عشرات قليلة من السنين ، من حياة البداوة الى حياة الحضارة . ولما تمكنوا من اعمال عقولهم في اختبار النظم الوافدة ، واقتباس الصالح منها دون حساسية او تعقيدات او خوف على اصالتهم .

وحين توطدت دعائم هذه الدولة الاسلامية الكبرى ، التي كانت تضم شعوبا واجناسا متباينة انصهرت كلها في بوتقة واحدة ، واخذت تتطلع الى ميادين العلم والثقافة ، بعد ان ادت رسالتها في ميادين العقيدة والجهاد والسياسة ،

كانت أبرز السمات المميزة لها هي الشجاعة في تقبل «الافكار المستوردة» دون خوف على اصالتها.

ولسنا نود هنا ان نكرر حديثا معادا ، يعرفه اغلب القراء ، عن حركة الترجمة الواسعة النطاق في ميادين العلوم والفلسفة ، ولكن الذى نود ان نشير اليه ، لان له دلالة خاصة في حديثنا الحالي ، هو ان الدول التى ترجم عنها المسلمون كانت في معظم الاحيان دولا راسخة الاقدام في ميادين الثقافة المختلفة . ومن ثم فقد كن لدى هؤلاء المسلمين مبرر للخوف من طغيان ذلك الفكر المستورد الذى يقتحم ارضا بكرا لم تمر بتجربة الفكر الفلسفي والعلمي الا حديثا . ومع ذلك فان شيئا من هذا لم يحدث . على الاقل في عصور المد الفكرى والتوسع الثقافي ، ولم يشعر العرب الاوائل باية رهبة ازاء «الافكار المستوردة » ، بل ركزوا جهودهم على اختبارها واستخلاص ما يصلح منها للادماج في تراثهم .

وبفضل هذه الشجاعة في قبول «الفكر المستورد» ظهرت في العالم الاسلامي مجموعة متالقة من الفلاسفة والعلماء والمؤرخين والمفكرين الاجتماعيين كانت منارة للعالم كله خلال العصور الوسطى المظلمة . وكانت هذه الاسماء اللامعة هي التى قدمت ، فيما بعد ، اشعاعها العلمي والفكري الى اوروبا ، واسهمت بدور يتزايد الاعتراف به ، في انهاض العلم والفكر الاوروبيين ونقلهما الى عصر جديد . وهنا قام الفكر الاسلامي بدور عظيم بوصفه « فكرا مصدرا » ، وكان استيراد اوروبا لهذا الفكر أهم عوامل نهضتها الحديثة.

هذه حقائق معروفة ، ولكن الذى ننساه احيانا هو ان الفخر الذى نحس به ازاء الدور الذى قمنا به في « تصدير » فكرنا وعلمنا الى اوروبا ، معناه أننا نعترف باهمية استيراد الفكر . لان التصدير والاستيراد عمليتان متلازمتان ، بل هما وجهان لعملة واحدة . ومع ذلك ، فانك تجد الكاتب الواحد يحارب «الافكار المستوردة » بلا هوادة ، ويشيد في الوقت ذاته بدور العرب العظيم فيتنوير الاوروبيين ، ويعطى اوروبا ــ في نهاية العصر الوسيط ــ كل الحق في ان تستورد من العرب ما شاءت من الافكار ، ولا يكف عنالتباهي بهذه الحقيقة ، كل ذلك دون ان يدرك فداحة التناقض الذى يقع فيه حين ينكر مبدأ استيراد الفكر من جانب ، ويزهو به من جانب آخر .

واذن ، فمن أصعب الامور ان يقوم المرء بعملية تنقية وتصفية للتراث كيما يستخرج منه بلورة الاصالة صافية غير مختلطة ، لان الاتصال والتبادل والاخذ والعطاء قديم قدم الحياة الانسانية .وحين نقول ان الفكر المستورد يمكن ان يقضى على اصالتنا ، فلا بد ان نعي جيدا ان قدرا غيرقليل من هذه «الاصالة » ذاتها كان في الاصل فكرا مستوردا لم يمكن استيعابه . والامر هنا ، في حالة الامم والحضارات لايختلف كثيرا عنه في حالة الافراد : فهل يستطيع احد أن يحدد ــ في اى عمل أدبى مشهور ــ نصيب العوامل الذاتية النابعة من عمل الكاتب وحده ، ونصيب الثقافة التى تلقاها من المصادر الخارجية ؟ وحتى لو شهد الكاتب ذاته بان عقله الخاص كان منبعه الرئيسي ، أليس من المرجح ان يكون هذا العقل ذاته حصيلة تفاعلات لا اول لها ولا آخر مع مصادر تاثر بها هذا الكاتب في مختلف مراحل حياته . وان هذا المنبع لايبدو له ــ ولنا ــ اصيلا الا لان الكاتب عرف كيف يهضم هذه المؤثرات الخارجية ويحولها الى عناصر اصيلة فيه ؟ ان مسالة وضع الحد الفاصل بين الاصيل والمستورد مسالة معقدة غاية التعقيد ، ومن ثم فان الوقوف في وجه التفاعل الثقافي بحجة الحرص على اصالتنا هو موقف ينطوى على اغفال للعناصر العديدة و لمكونات الشديدة التباين، التى اسهمت كلها في تكوين مانطلق عليه نحن اسم «الاصالة » .

★ ★ ★

ولكن ، هل يعنى هذا النقد الذى نوجهه الى الحملة الضارية التى تشن في هذه الايام ، في في العالم العربي بالذات ، على ما يسمى « بالفكر المستورد » ــ هل يعني ان كل فكر ياتى من الخارج يستحق ان نرحب به ونفتح له ابوابنا على مصراعيها ؟

الواقع ان الامر ليس كذلك على الاطلاق .

فهناك بالفعلانواع من « الفكر المستورد »ينبغى ان نقف منها موقف الحذر الشديد ، هى تلك التى تتسرب الى العقول خلسة ، بطرق ملتوية غير

مباشرة ، وتؤدي في نهاية الامر الى تكوين اتجاهات ضارة لدى من يتلقاها ، وخاصة اذا كان حدثا ذا خبرة محدودة . ويتمثل هذا الخطر بوجه خاص فيما تنقله الوسائط الاعلامية الشعبية من اعمال يفترض انها فنية . ولكنها مليئة بالافكار والاتجاهات الضارة .التي يراد منها تحقيق اغراض مرسومة مقدما .

وقد تنبهت كثير من الدول المتقدمة ، بل الهيئات الدولية . الى اخطار وسائل الاعلام الجماهيرية التي تنقل اعمالا فنية جذابة مشوقة . كالافلام والمسلسلات التلفزيونية . ولكن حصيلتها النهائية هي تكوين اتجاهات الى العنف الدموي ،او فقدان الاحساس بالتعاطف الانساني ،او الاعجاب بانواع زائفة من البطولات . او التفنن في أساليب ارتكاب الجرائم . او الميل المفرط الى الاستهلاك المقصود لذاته . والذي لايخدم اي هدف معقول .

هذه الاعمال الاعلامية ذات القشرة الفنيـــة الهشة . التي تتغلغل في كل بيت وتثبت قيمـــا غريبة غير مقبولة حتى بالنسبة الى كثير مــــن المجتمعات الصناعية المتقدمة . والتي يحذر مــن اخطارها المفكرون حتى في بلادها المنتجة ذاتها ، هي التي تشكل بالفعل فكرا مستوردا ينبغي أن نقف منه موقف الحذر الشديد • ومع ذلك فان من عجائب المفارقات في بلادنا العربية ان الدول التي تحارب الفكر المستورد بضراوة ، هي ذاتها التي تفتح ابوابها على مصراعيها لهذا النوع من الاعلام المغرض ، ولا تبذل اي جهد لحماية مجتمعها مـن التأثير الهدام لهذه الاعمال الفنية ذات الجاذبية السطحية الرخيصة • وهكذا ففي كثير من المجتمعات التي كانت تقوم على التكافل والتساند . بـدأت تظهر قيم الانانية والتزاحم وحب الظهور والرغبة في التسلق على أكتاف الاخرين ، واخذت الاجيال القديمة في هذه المجتمعات تتساءل يوميا عما حدث لتراثها المعنوي الذي يزداد اختفاء يوما بعد يوم. وتترحم على اخلاق الاجداد وقيمهم الانسانية ـ دون ان تبذل اي جهد في محاربة هـذا النـوع البالغ الضرر من الفكر المستورد .

وهكذا تنقلب الاية بصورة تدعو الى السخرية والرثاء في آن معا : فالدول الصناعية المتقدمة التي هي صاحبة المصلحة الحقيقية في محـــاربة كثير من أنواع الفكر الذي نصفه نحن بأنه مستورد، تقف ازاء هذا الفكر ـ مهما تطرف ـ موقفا ينطوي على قدر كبير من التسامح واتساع الافق والتعامل معـه بمقارعتـه بالمنطق والحجـة • ولـو ظهـرت دعوة الى محاربة هـذا الفكر في مجلـة انجليزيـة او كتـاب فرنسـي او صحيفـة امريكيـة لكانت تلك الدعوة اضحوكة الموسم •

ومـن جهـة اخرى فـان التيـارات الضـارة التـي تاتي بهـا اجهـزة الاعـلام الجماهيريـة تجـد مـن يتصـدى لهــا بقـوة وحسم فـي نفس البلاد التي انتجتها ، على حين اننا نتلقاها بالاحضان ونفتح لها بيوتنا لكي تعيش مع عائلاتنا وتمارس تاثيرها الفتاك في عقول ابنائنا ، وكان هذه التيارات ليست من الفكر المستورد في شيء •

★ ★ ★

وبعد فلست أود . ايها القارىء . ان اختم مقالي هذا دون ان ابوح لك بشعور كان يعتمل في نفسي طوال كتابتي هذا المقال • فمن الجائز أنك قد اقتنعت بالحجج التـي أتيت بها فـي مقالي . وادركت بعد قراءته ان كثيرا من التعبيرات التي اصبحت وسائل الاعلام تصبها على رؤوسنا ليل نهار ـ وعلى رأسها تعبير الافكار المستوردة التي يطلب الينا ان نرفضها حتى قبل ان نعـــرف ماهي ـ لا ينبغي ان تقبل على علاتها •

أجل ، سوف أتفاءل واتصور أنك قد اقتنعت بهذا كله ، ايها القارىء العزيز ، وربما اعتقدت ان كاتب المقال قد احرز انتصارا حاسما علــى اولئك الذين يعتمدون علـى أساليب دعـائية لا ترتكز على عقل ولا منطق •

ومع ذلك فلتكن واثقا ان النصر . مع هذا كله معقود لاعـداء الفكـر المستورد ، وان هـؤلاء هم الرابحون ، حتى لو كانت كل كلمة في هذا المقال معولا يهدم الارض التي يرتكزون عليها •

ان هؤلاء . في نهاية الامر . هم المنتصرون لانهم *هم الذين يحددون ميدان المعركة ، ويفرضون علينا ان نناضل في سبيل أهداف عفا عليها الزمان •• فمهما كانت قيمة الكلام الذي قرأته في هذا المقال*

القارئ العزيز ، فانك ستعذر لو فكرت قليلا انه ليس الا دفاعا عن شيء ماكان ليحتاج - في الظروف الطبيعية - الى جدل والى اضاعة وقت كاتب او قارىء . ذلك لان كل ما فعله كاتب هذه السطور هو انه دافع عن بديهية بسيطة ، هي ان التفاعل الثقافي ضروري ، وان التأثير المتبادل بين خبرات المجتمعات المختلفة أمر لا غناء عنه . هذا هو المستوى الذي يجد الكاتب نفسه مضطرا الى الهبوط اليه عندما ينحدر مستوى الجدل الثقافي ذاته . وهذا المستوى الهابط هو في ذاته نجاح باهر ولائك الذين يفرضون علينا معارك مفتعلة حول موضوعات لا معنى لها ، كموضوع الفكر المستورد .

ان قدرا كبيرا من الطاقات الذهنية لمفكري الامة العربية الحريصين على مستقبلها . يضيع هباء في أمور كان ينبغي ان نكون قد تجاوزناها منذ أمد بعيد . فكم من كتابات جاده وملتزمة اصبحت تخصص اليوم لمجرد اثبات ان العقل ضروري للامة العربية ، وللرد مثلا على أولئك الذين لايكفون عن الحط من شان العقل والتشكيك في قيمة العلم . وقد يظن القارىء ان انصار العقل ، الذين يملكون دائما حججا اقوى ، قد انتصروا ، ولكن حقيقة الامر هي ان خصومهم هم المنتصرون ، لانهم افلحوا في الانحدار بالجدل الثقافي الى مستوى مناقشة اسئلة اولية مثل : هل نستخدم العقل أو لا نستخدمه ؟ وبدلا من أن نتجادل حول أحدث النظريات التي يتوصل اليها هذا العقل ، في بحثه للطبيعة والانسان ، ونساير العصر في آخر تطوراته الفكرية ، نجد انفسنا مضطرين الى بذل الجهد المضني لاثبات المبدأ الاول الذي كان مفروضا ان نكون قد سلمنا به منذ امد بعيد .

وبالمثل تهدر طاقاتنا العقلية في اثبات أهمية الاتصال الفكري وتبادل الخبرات والتجارب بين الشعوب . لان اعداء الفكر المستورد فرضوا علينا هذا الموضوع ميدانا للمعركة ، التي لا تشرف الخاسر ولا الرابح .

وهكذا فقد يبدو لاول وهلة ان المدافعين عن العقل ، وعن الاتصال الفكري بين المجتمعات ، هم الجديرون بتصفيق جماهير المثقفين ، ولكن حقيقة الامر انهم مهزومون حتى لو انتصروا ، لان خصومهم نجحوا في ايقاف تيار التقدم ، والرجوع بمستوى المناقشة الى الوراء ، واختاروا ميدانا للمعركة تلك الاوليات والاساسيات التي كان ينبغي علينا تجاوزها منذ عهد بعيد .

وانه لامر يدعو الى الاسى العميق ان يجد المثقف العربي نفسه في أواخر القرن العشرين مضطرا الى ان يخوض معركة كاد المفكرون العرب في أواخر القرن التاسع عشر ان يحسموها نهائيا لصالح العقل والتقدم .. فهل هناك دليل على انتصار خصوم العقل ، واعداء التبادل الفكري الخصب ، أبلغ من نجاحهم في العودة بمستوى الجدل الثقافي قرنا من الزمان ، بالنسبة الى العرب انفسهم ، وخمسة قرون على الاقل بالنسبة الى المجتمعات المتقدمة ؟

الست معي ، ايها القارىء ، في ان خصوم الافكار المستوردة جديرون بالتهنئة ؟ ! ■■

د . فؤاد زكريا

كفاءة عالية !

* أقام مدير احدى الشركات الهولندية في أمستردام حفلا وداعيا بمناسبة استقالة سكرتيره الشخصي الذي عمل معه طوال اثني عشر عاما . ولقد اصيب بالذهول عندما ظهر في الحفل سكرتيران . واعترف التوأم اللذان يشبهان بعضهما كثيرا انهما تقاسما الوظيفة نفسها طيلة تلك الفترة وان كلا منهما كان يعمل نصف اسبوع فقط وانهما كانا يتقاسمان الراتب !



اجمال القصة

صلاح عبد الصبور

■ كانتْ تدعونى بالرجلِ الرملى

وأناديها بالسيدةِ الخضراءْ

وتلاقينا في زَمَنِي الشَّفَقـي

وتنادينا في مَرحٍ طِفلـــي

وتعارفنا في استحياءْ

وتحسَّس كل منا مبهورا لونَ الآخرْ

وتقاسمنا الأسماء

وتفرقنا . . .

لا تسألني . ماذا يحدث للأشياءْ

إذْ تتصدع ؟

أو للأصداءْ

إذ تهوى في الصمتِ المفزع ؟

لكنى أذكر أنا ذات مساءْ . .

كنا قد خادَعْنا مِنْجَلَ حصّادِ الموتْ

غافلنا صيحةَ ديكِ الوقتْ

وطبعنا فوقَ جدار الليلْ

تخطيطاً يشبه ظلينا . لونينِ مزيجين

مسكوبينَ على طرْفِ وساد متَجعّدْ

منهارينَ على مسنَدِ مقعدْ

ها أنتَ ترانى

أتملى هذى اللوحةَ في أيامِي الجرداءْ

وأنادمُها حينَ يغيبُ النُّدَماء

●

أفرغْ للوحةِ كأساً . . أرجوكْ

هذا . . إجمالُ القصةْ ■■

الشريعة الاسلامية في صيغة معاصرة

بقلم : محمد فتحي عثمان

● التجربة لا يمكن ان تتم في عزلة عما انتهت اليه صناعة التقنين الان .

● المطلوب فقه اسلامي خالص لا مجرد محاكاة للقوانين الغربية .

● يجب أن نفرق بين شريعة هي أمر الله واحكام فقهية من صنع البشر

● متى يجوز لغير المسلم ان ينتقد الاسلام ؟ ومتى يعد المسلم مرتدا ؟

هذه الدراسة التي كتبها للعربي المفكر الاسلامي الاستاذ محمد فتحى عثمان الاستاذ بجامعة الرياض . تطرق موضوع تقنين الشريعة الاسلامية فى صيغة عصرية ، تلتزم بحدود وضوابط الاسلام ، ولا تنفصل عن العصر الذى نعيشه . وهي من قسمين ، الاول يعرض للمنهج ، مع وقفة امام قضية الردة التي اثيرت اخيرا . والثانى يذهب الى ابعد في التطبيق ، ضاربا المثل بموضوع « الحرابة » اى الذين يحاربون الاسلام ثم جرائم الراى وموقف الفقه الاسلامي منها .

انقضية ، على دقتها وصعوبتها ، جديرة بان نستوعبها جيدا ، قبل ان نقع فى المحظور ، وننسب الى الاسلام ما قد يسىء اليه .

ان مدونات الفقه الاسلامى تحوى فى كثير من احكامها التى تضمنتها جهدا انسانيا وصناعة عقليه تستحق الدراسه والتحليل. وفى ذلك يقول فقيهنا الجليل الدكتور عبد الرزاق السنهورى فى احد بحوثه : ـ « الفقه الاسلامي هو فقه محض ، لاتقل عراقته فى ذلك عن عراقة القانون الرومانى (المقصود بالطبع هنا الصناعة الفقهية الاجتهاديه البشرية كما لا يخفى) ، وهو لا يقل عنه فى دقة المنطق ومتانة الصياغه وفى القابليه للتطور . وهو مثل صالح لان يكون قانونا عالميا ، بل كان بالفعل قانونا عالميا يوم امتدت دولة الاسلام من اقاصي البلاد الاسيويه الى ضفاف المحيط الاطلسى . وكما ابعث القانون الروماني ـ بعد ان احييت دراسته فى العصور الوسطى ـ القوانين اللاتينيه والقوانين الجرمانيه

الحديثة وهي القوانين التي تعيش أوربا اليوم في ظلها ، كذلك الفقه الاسلامي اذا احييت دراسته وانفتح فيه باب الاجتهاد فمن ان ينبت قانونا حديثا لايقل في الجدة ومسايرة العصر عن القوانين اللاتينية والجرمانية ، ويكون هذا القانون مشتقا من الفقه الاسلامي اشتقاق هذه القوانين الحديثة من القانون الروماني العريق ... ويقال عادة : ان مصادر الفقه الاسلامي هي الكتاب والسنة والاجماع . اما الكتاب والسنة فهما المصادر العليا للفقه الاسلامي ، وقد قصدت بالمصادر العليا ان اقول انها مصادر تنطوي في كثير من الحالات على مبادىء عامة ترسم للفقه اتجاهاته ولكنها ليست هي الفقه ذاته . فالفقه الاسلامي هو من عمل الفقهاء ، صنعوه كما صنع فقهاء الرومان وقضاتهم القانون المدني . وقد صنعوه فقها صحيحا : الصياغة الفقهية واساليب التفكير القانوني واضحه وظاهرة (وضرب الفقيه مثلا بكتب ظاهر الرواية لمحمد بن الحسن) ... فانت تقف على الصياغة الفقهية في اروع مظاهرها وفي ادق صورها ، ثم يقول هؤلاء الفقهاء الاجلاء في كثير من التواضع ان هذا هو الاجماع او القياس أو الاستحسان أو الاستصحاب او ماشئت من المصادر (الاجتهادية) التي ابتدعوها. وان الاصل في كل هذا يرجع الى الكتاب والسنه ، والواقع من الامر انهم صنعوا فقها خالصا هو صفحة خالدة في سجل الفقه العالمي .

وهنا نرسم في ايجاز المنهج الذي نقترحه في دراسة الفقه الاسلامي لاحيائه وللنهوض به نهضة علمية صحيحه في ضوء القانون المقارن . يعنى في هذه الدراسه بامرين جوهريين : اولهما أن تدرس نشأة الفقه الاسلامي دراسة دقيقة ، فيبحث كيف تكون وكيف تطور. وبخاصة في العصور التي سبقت عصر المذاهب الاربعة . وثانيهما أن تدرس مذاهب الفقه الاسلامي السني والشيعي والخارجي والظاهري وغيرها دراسة مقارنة لتستخلص منها وجوه النظر المختلفة ، ولتتركز هذه الوجوه في تيارات من التفكير القانوني ثم تتبلور في اتجاهات عامة وتستكشف من وراء كل هذا قواعد الصناعة الفقهية الاسلامية ، ثم تقارن بصناعة الفقه الغربي الحديث حتى يتضح ما بينهما من فروق ووجوه الشبه ، وحتى نرى أين وقف الفقه الاسلامي ـ لا في قواعده الاساسية ومبادئه بل في احكامه التفريعية ، فتمتد يد التطور الى هذه التفصيلات على أسس تقوم على ذات الفقه الاسلامي وطرق صياغته وأساليب منطقه . وحيث يحتاج الفقه الاسلامي الى التطور يتطور ، وحيث يستطيع أن يجاري مدنيه العصر يبقى على حاله دون تغيير ، وهو في الحالين فقه اسلامي خالص لم تداخله عوامل اجنبية فتخرجه عن اصله .

واحب أن اشير الى أن القانون الحديث الذي يشتق من الفقه الاسلامي يجب أن يكون في منطقه وفي صياغته وفي أسلوبه فقها اسلاميا خالصا لا مجرد محاكاة للقوانين الغربيه .. ذلك انني لاحظت أن بعض المشتغلين بهذه المسالة يقتصرون على ايراد نصوص من القوانين الغربية،ثم يحاولون ان يخرجوا هذه النصوص على أحكام الفقه الاسلامي دون أن يراعوا في ذلك اصول الصياغة في هذا الفقه ، ثم ينتهون من هذا البحث السطحي الى أن نصوص القوانين الغربيةهي الشريعة ذاتها! مثل هذا العمل لايحمل طابع البحث العلمي الصحيح وليس من ورائه كسب يذكر لا للفقه الاسلامي ولا للقوانين الغربية » (١)

والفقيه الكبير تغمده الله بواسع رحمته يشير الى وجوب التعرف الدقيق على طرق الصياغة الفقهية في تراثنا الاسلامي ، والى اهمية تحديد الفروق بدقة بين تلك الصياغة وبين الصياغة القانونية المعاصرة ، ثم بعد ذلك تاتي مهمة الصياغة المعاصرة للفقه الاسلامي على اساس من الدراسة المنهجية المتعمقة .

بدون هذه الدراسة المنهجية نرتكب اخطاء في التقويم (أي تقدير القيمة الحقيقية) بالنسبة لبعض ما في تراثنا ،وبالنسبة لبعض ما عند غيرنا، وفي تحديد ما ينبغي علينا أن نعمله .

ومنذ اكثر من ربع قرن نبه الباحث النمسوي المهتدي للاسلام محمد أسد(ليوبولدفايس)في بحثه الموجز رصين الى تلك الحقيقة الاساسية حين قال « وقد جرى العرف بين كثير من العلماء في القرون المتأخرة الا يفرقوا بين أحكام الشريعة الاسلامية ذاتها وبين مايصل اليه علماء المسلمين باجتهادهم وفقههم من احكام ، والشريعة هي امر الله الى الناس أما الاحكام الفقهية فهي أحكام من صنع

---

(١) عبد الرزاق السنهوري : ـ « القانون المدني العربي » بحث في «العالم العربي : مقالاتوبحوث» ج٢،ص٥ ـ ٢٩ ، الادارة الثقافية بالامانه العامة لجامعة الدول العربية ، القاهرة سنة ١٩٥٣ .

البشر وصلوا اليها عن طريق الفقه والاجتهاد .. بل ان المسلمين ظنوا كذلك ان الاجتهاد لايخرج عما وصل اليه عصر بعينه ، وما اتصف به أهل العصر من فهم وما جروا عليه من طرق في التفكير » (٢)

وكلمة محمد أسد قد صدرت عن نفس الشكاة التي صدرت عنها منذ قرون طوال كلمات الامام ابن القيم (المتوفى سنة ٧٥١ هـ) في كتابه «اغاثة اللهفان» حين قال « الاحكام نوعان : نوع لا يتغير عن حالة واحدة هو عليها لا بحسب الازمنة والامكنة ولا اجتهاد الائمة - كوجوب الواجبات وتحريم المحرمات والحدود المقدرة بالشرع على الجرائم ونحو ذلك فهذا لايتطرق اليه تغيير ولا اجتهاد مخالف لما وضع عليه ، والنوع الثاني مايتغير بحسب اقتضاء المصلحة له زمانا ومكانا وحالا - كمقادير التعزيرات وصفاتها ... وهذا باب واسع اشتبه فيه على كثير من الناس الاحكام الثابتة التي لاتتغير بالتعزيرات التابعة للمصالح وجودا وعدما ».ومثل التعزيرات سائر الاحكام الاجتهادية الفرعية في المعاملات وغيرها.

والى ان نحث الخطى في الدراسة المنهجية التي اقترحها الفقيه الجليل الدكتور السنهوري رحمه الله لنتعرف على تراثنا الفقهي من ناحية التطور التاريخي للجانب الاجتهادي فيه وتتابع الصناعة الفقهية عندنا الى ما انتهت اليه منذ قرون ونتوصل اتجاهاتها العامة وخصائصها ، ثم نقارنها بالصناعة القانونية الغربية ، حتى نكون من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ،ونكون مع المؤمنين الذين يعتبرون الحكمة ضالتهم يلتمسونها بكل سبيل واني وجدوها فهم احق الناس بها..الى أن نحقق هذا كله فنحن مضطرون الى الافادة المباشرة من منجزات صناعة التقنين المعاصرة على ما انتهت اليه في الدول الغربية المتقدمة عندما نحاول تقنين الشريعة الاسلامية لمجتمعاتنا المعاصرة .

ولا يجوز أن نمضي مع تراثنا الفقهي حتى فيما نكون به من ثغرات في الصناعة الفقهية التي يلحقها دائما قصور الاجتهاد الانساني ، مدعين أننا بمتابعة تراثنا في الثغرات الاجتهادية انما نحافظ على اصالته وخصائصه الفكرية والتعبيرية ؛ ولعل « الشكل » بوجه خاص هو من المواضع التي لاحرج من الاجتهاد والاقتباس فيها،ونحن احوج مانكون الى الافادة من المبادىء الحديثة في التقنين عند تقنين احكام الشريعة الاسلامية .

تقنين احكام جريمة الردة

واعد اقر مجلس الدولة في مصر مثلا - على ما نشرت صحف القاهرة خلال اغسطس ١٩٧٧ - مشروع قانون سوف تتقدم به الحكومة الى مجلس الشعب لتقنين احكام جريمة الردة وعقوبتها وفقا للشريعة الاسلامية . ونغض النظر الان عما اذا كان من الترتيب الطبيعي للاولويات أن يأتي هذا المشروع على رأس محاولات التقنين ام لا، كما نغض النظر عن مدى السلامة المنهجية في معالجة الاحكام الشرعية أجزاء وتفاريق ، وعدم جمعها في تقنين شامل تحكمه اتجاهات ومبادىء عامة تصدر متكاملا منسجما في أوانه المناسب بعد اتمام البحث والنظر على ان يغطي كل المجالات القانونية أو تصدر التقنين الذي يغطي مجالا معينا جملة اذا تعذر انجاز التقنين في مختلف المجالات في وقت متقارب مع ترتيب الاولويات ترتيبا مناسبا بحيث يؤخر اصدار التقنين الذي تم انجازه اذا كان من الطبيعي أن تسبقه تقنين اخر بحكم ترتيب الموضوعات بعضها على بعض وترابطها الصحيح .

نغض النظر الآن عن هذا كله ، ونكتفي بمعالجة ما لوحظ في المشروع من متابعة لتراثنا الفقهي في تعريف الجريمة موضع العقاب وتحديدها ، اذ تضمنت نصوصه أن مما تكون جريمة الارتداد عن الاسلام « انكارا لمعلوم من الدين بالضرورة ». ان هذه العبارة وردت حقا في كتابات الفقهاء ، لكنها في نص تشريعي سوقف النظر وتثير التساؤل لان ما تعبير « معلوما من الدين بالضرورة » الذي يورده نص تجريم يتضمن عقابا هو الموت ، يحتاج وفقا للمبادىء الدستورية والتشريعية الحديثة الى تحديد صريح قاطع ... والغريب أن مجلس الدولة وهو الحارس الامين على « فن الصياغة » وصناعة التقنين بحكم وظيفته ، لم يتوقف عند هذا النص سالف الذكر ، وقد نعلل ذلك بمحاولة تجنب المأزق التي يوقع فيها الايضاح والتحديد ..

---

(٢) محمد أسد : بحث «الدولة المسلمة» ترجمة جمال الدين عطية ، وانظر لمحمد أسد كتابه منهاج الحكم في الاسلام - بيروت .

ان « المعلوم من الدين بالضرورة » ليس مما تتفق فيه انظار علماء العقيدة والشريعة قديما او حديثا ، حتى بين اهل السنه وحدهم ، فما بالك بما يكون من اختلافات بين الفرق المتعددة .

وثمة مسلمون معاصرون يحكمون بردة كثير من اخوانهم المسلمين ان لم يكن بردة اكثرهم او جمهورهم .. وكثيرا ما قد يسوق بحث احدى القضايا موضوعيا الى ما يعده البعض خروجا على المسلمات والاصول ، مهما كان الباحث حسن النية مخلصا في طلب الحقيقة متحريا للقواعد المنهجية السليمة

ولأجل الخروج من الاختلاف المحقق في تحديد ما يعد « حقائق اساسية قاطعة » لا يتم اسلام المسلم الا باقرارها ويعتبر منكرها مرتدا ـ غير الانكار الصريح لمضمون الشهادتين ـ صاغ الفقهاء تلك العبارة المرنة لتجريم من اقر بالشهادتين لكنه نقض مؤداهما وانكر ما يعد من اسس هذا الدين بصورة ضرورية ملزمة ... ومعنى هذا أن تعاليم الاسلام التي يعتبر منكرها مرتدا هي ما يعلم ضرورة انها من اصوله التي لا تنفك عنه . وهذه الصياغه الفقهيه تحيل في صدد التجريم والعقاب على ما تختلف الانظار في تحديده ويصعب ضبطه وقياسه ، وهو ما لا يجوز قط في مجال التشريع وبخاصة التشريع الجنائي ، فكيف اذا كانت عقوبة الجريمة في حالة ثبوتها هي الاعدام .. ؟ ؟

نصوص محدودة

ان ما ورد في الارتداد عن الدين في القرآن محدود محصور . يقول تعالى « ومن يرتد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم في الدنيا والاخرة واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون .. البقرة ٢٧ » « يأيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه اذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومه لائم .. المائده / ٥٤ » وقد عرض القرآن للارتداد عن الزحف في قوله تعالى « ان الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سوّل لهم وأملى لهم ـ محمد/ ٢٥ .. »

ومن هنا ذهب مثلا الشيخ عبد العزيز جاويش رحمه الله الى القول بأن « القرآن ليس فيه نص قاطع على ان المرتد بالمعنى الذي يريده الفقهاء يقتل . والنفر من « عكل » الذين ارتدوا فقتلوا (في وقائع السيرة النبوية) كانوا من الخائنين المحاربين اذ سرقوا وقتلوا ... اما غير المحاربين من المرتدين فللعلماء كلام طويل في جزائهم، فالجمهور يقولون بقتل المرتد والمرتدة عملا بعموم الحديث « من بدل دينه فاقتلوه » ،وخصه الحنفية بالذكور وتمسكوا بنهي الرسول عن قتل الاناث ، واما جميع ما ورد من الاحاديث في قتل الرسول لبعض النساء المرتدات فأسانيدها ضعيفة وقال ابن الطلاع في الاحكام انه لم ينقل عن الرسول قتل مرتدة . وجمهور الفقهاء وان قالوا بقتل المرتد اختلفوا في أمر توبته قبل القتل... وخلاصة رأينا ان القرآن لم ينص في آية ما على قتل المرتدين عن الاسلام الى دين آخر (اى دون تحول لصفوف المحاربين) ..ثم ان لبدء ظهور الاسلام في الاحكام ما ليس لغيره لانهم كانوا اذذاك يلحقون باقوامهم ويحاربون المسلمين في صفوفهم أو يظهرونهم على عوراتهم (اقول : تامل الآية . ماكان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الارض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة ... الانفال / ٦٧) ، فلم يكن الارتداد لمجرد الخروج من الدين . والمستقريء لاحاديث الكتاب لا يكاد يجدها تخرج عما قلنا .. وان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد علمنا كيف نتصرف في الحوادث وفق مقتضيات الاحوال ... لقد قال النخعي بأن المرتد يستتاب أبدا ولا يقتل ، ولو كان حديث من بدل دينه فاقتلوه ـ الذى رواه البخاري وغيره على نصيّته (أى بمعناه الحرفي الظاهر في اطلاق وتعميم) غير مخصص بزمان ولا معقود بمقتضيات غير مطرده ، ما وسع النخعي ولا غيره مخالفته...والذين لم يرتدوا عن تأييد الاسلام ولم يخرجوا عليه ولم ينضموا الى صفوف أعدائه ولم يخونوه في شيء ولكن اضلتهم الشبهات التي لم يستطيعوا لها ردا فان سبيلهم الا يعتبروا كالمرتدين ما لم يهتدوا الى الصواب ... والله احكم واعدل من ان يكلف الناس ما ليس في طاقتهم » (٣)

---

(٣) عبد العزيز جاويش ـ اثر القرآن في تحرير الفكر البشرى ، بحث مع « الاسلام دين الفطرة » وغيره في كتاب واحد ـ نشره ناصر جاويش ـ القاهرة ص ١٢٩ .

والكفر الاصلى شانه شان الكفر الطارىء بالردة عن الاسلام لابد أن يقترن بالهوى وظلم النفس والكذب على انفسهم وعلى الناس حتى ينال صاحبه التأثيم الحق . فالله تعالى يحدد وصف الكافرين فيقول « .. فانهم لا يكذبونك ، ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون ـ الانعام / ٣٣ » « يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها واكثرهم الكافرون ـ النحل / ٨٣ » « الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون ـ النحل / ٨٨ » .

فالكفر لغة هو الستر والتغطية واستعمل في الدين لانه ستر للحق ، ومقتضى ذلك ان ستر الحق فيحجبه الكافر عمدا ويغطيه ويستره عن نفسه وعن الناس . يقول الشيخ محمد مصطفى المراغى رحمه الله في تفسير قوله تعالى « واذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا كأن لم يسمعها ، كأن في اذنيه وقرا فبشره بعذاب اليم ـ لقمان/ ٧ » : هناك طوائف لم تبلغها الدعوه ، ومن هذه الطوائف من سمع برسالة محمد ولم يطلع على كتابه ولم يدعه احد الى كتابه ـ هؤلاء لا تنطبق الآية عليهم ... وهناك اناس بلغتهم الدعوة وبلغهم الكتاب . واخذوا في النظر والاعتبار ولم يصلوا الى شىء بعد الجهد والانصاف هؤلاء امرهم الى الله ـ والرأى عندى أنه أرحم من أن يعذبهم » .

وفي هذا الضوء ينبغى تحديد الفعل محل التجريم في الردة بدقة ، وعلينا ان نستهدى بما انارت لنا دراسات القانون الجنائى المعاصر من سبل .. فهل الردة تعتبر السلوك الاجرامى هو محاربة « الدولة » الاسلامية ممثلة في سلطتها الحاكمة ومحاولة قلب نظام حكمها بالقوه او استعمال العنف ضدها بصورة من الصور ؟ .. وبذلك تقترب الرده من « الحرابة أو البغى » ويكون الفارق في الباعث،ويكون العقاب مقصورا على المرتد المحارب كما يرى الشيخ جاويش وكما يظهر ضمنا في اقوال الحنفية . ام ترى تعتبر الردة من جرائم الرأى ؟ ؟ وهنا تثور اسئلة لتحديد محل التجريم : هل يكون هو الرأى الفردى المقصور على صاحبه ـ اى مجرد التحول عن اعتناق الدين ، ام يقتضى الامر نشاطا ايجابيا موجها للغير بالدعوة والترويج والنشر لاشاعة الردة بين الناس وحضهم عليها . ؟ ؟ وهل يستوى أن يكون التحول عن الاسلام الى دين كتابى مثلا مع التحول لانكار الدين جملة وللالحاد ؟ ؟ وهل كل ما يروج ضد الاسلام يكون محل المؤاخذة الجنائية ام يكون ذلك مقصورا على ما اتبع فيه التهجم والتجريم والافتراء ولم يسلك طريق البحث الموضوعى بمنهجه واصوله وآدابه ؟ ؟ . هذا عن الجريمة ، ويثور التساؤل كذلك عما اذا كانت العقوبة المقررة للردة في الحديث هى من باب الحدود او من باب التعزيرات « التى تتغير مقاديرها وصفاتها بحسب اقتضاء المصلحة زمانا ومكانا .. وهى تابعة للمصالح وجودا وعدما » كما قال ابن القيم في « اغاثة اللهفان » . لقد روى الماوردى مثلا ـ في الاحكام السلطانية ـ أن ابا شجره بن عبد العزى كان من أهل الردة الذين هزمهم ابو بكر رضى الله عنه وقد وفد الى عمر يشكو الحاجة ، فلما عرفه قال له : اى عدو الله الست القائل :

وروّيت رمحى من كتيبة خالد
وانى لارجو بعدها أن اعمرا

وهو في ذلك يفخر بما احدثه من قتل في جيش المسلمين الذى قاده خالد بن الوليد لحرب المرتدين . وقد رجع الرجل من عند عمر بغير قضاء حاجته وانما اصابت راسه خفقات من درة عمر تأديبا ، وقد قال في ذلك شعر . ويذكر الماوردى بالنسبة لما فعله عمر : فلم يعرض له سوى التعزير لاستطالته بعد الاسلام» .

ان كل ما تقدم من تساؤلات يحتاج الى مناقشه عميقة دقيقة ، فان الامر كما اشرنا مرارا تتناول جريمة رأى واعتقاد عقوبتها الموت . والحق أن استثناء النساء من القتل عموما واخذ الحنفيه بذلك في شان عقوبة الردة امر له دلالته ، فالنساء هن الجنس غير المقاتل عادة في واقع الامر ، فمن الطبيعى أن يعجزن عن المحاربة أو مقاومة نظام الحكم بالقوة واستعمال العنف ، ويدل هذا على اعتبار ذلك محل التجريم والعقاب في الرده عند الاحناف ، ولو كانت الردة جريمة رأى لاستوى في شان اقترافها والمؤاخذة عليها الرجال والنساء .

واقوال الحنفية في ابرز مدوناتهم الفقهيه تقرر ذلك احيانا صراحة لا ضمنا ، فقد ورد في

« المبسوط » : « وبالاصرار على الكفر تكون (المرتد) محاربا للمسلمين فيقتل لدفع المحاربه، الا ان الله تعالى نص على العله في بعض المواضع فقال : « فان قاتلوكم فاقتلوهم » وعلى السبب الداعي الى العله في بعض المواضع وهو الشرك فاذا ثبت ان القتل باعتبار المحاربة وليس للمرأه بنية صالحه للمحاربه فلا تقتل في الكفر الاصلي ولا في الكفر الطارىء » (٤) ومن هنا اتفق أبو حنيفه وصاحباه أبو يوسف ومحمد بن الحسن على ان مال المرتده الذى اكتسبته حال اسلامها او بعد ردتها حتى وفاتها تكون ارثا لورثتها المسلمين وقت وفاتها خلافا للحكم بالنسبة لحال المرتد من الرجال « لان المراه بردتها لا تصير حربا على المسلمين ، فلا تزول عصمتها في نفسها » (٥) .

عن نقد الاسلام

وقد تكون من المفيد ان نسائل برأى داعيه معاصر من دعاه الاسلام في مبحث آخر لدلالته في موضوعنا ، فقد كتب الاستاذ ابو الاعلى المودودى مؤسس الجماعة الاسلاميه في باكستان والهند بشأن حقوق أهل الذمة في معرض بيانه لمقترحاته من اجل الدستور الباكستاني ،فكان مما ارتآه أن ينصّ في الدستور على السماح لاهل الذمه « بان يدعوا غير المسلمين الى دينهم ، وأن يبينوا محاسن اديانهم ، وان ينتقدوا الاسلام في حدود القانون . والمراد بذلك انه مما يسمح به لكل فرد منهم ان يبقى متمسكا بديانته وان يبين من الاسباب والوجوه ما يعوقه عن قبول الاسلام ، فمما يستلزم كل ذلك ان يذكر في بيانه من امور الاسلام ما لا ينشرح معه خاطره لقبوله ، وكذلك يجوز له ان يظهر من الشبهات والشكوك في عقائد الاسلام وشعائره ما لا يكون افتراء وطعنا » (٦) وما جاز لغير المسلم من حقوق بيان الراى في الاسلام بغير تجن ، قد يكون الاولى ان يتمتع به (المولود) على الاسلام الذى ثارت في نفسه شكوك وفي عقله شبهات اذا ما عبر عن ذلك باسلوب مشروع . .والقول بغير ذلك يردنا الى مثل ما روى عن الخوارج من انهم كانوا يعطون من الحقوق « للمشرك المستجير » الذى يلزم بنص القرآن جواره حتى يسمع كلام الله وابلاغه مأمنه ، ما لا يسمحون به للمؤمن المخالف الذى عدوه مرتدا مهدر الدم واجب القتل . .

ان الاسلام يثق في قوه أسسه واحكام تعاليمه واستقامة منهجه وسلامه حجته ، وهو انما يخشى الفتن والمؤامرات واضطراب الامن ونشر الخوف ومقاومة السلطة واستعمال العنف ، لكنه لايخشى بحال الرأى المخالف الذى يعلن في النور - ومن ثم فان الاسلام يؤمن حرية الاعتقاد وحرية الكلمة في حدود ما يقبله اى قانون عادل يرعى حق الفرد ولا يحيف بمصالح الجماعه في الوقت نفسه . ومن امارات تأمين حرية الاعتقاد المسالم ان شريعة الاسلام اجازت التعايش تحت سقف واحد بين مسلم وكتابية يجمعهما ميثاق الزوجيه الغليظ ، ولم تسغ شريعتنا قط استغلال سلطان الزوجيه أو سلطان الدوله في اجبار زوجة المسلم اذا كانت غير مسلمة على اعتناق الاسلام في أى وقت من الاوقات عند عقد الزواج أو بعده ، كما لم تسغ آراء فقهائنا في الاحكام الفرعيه استغلال سلطان الابوة أو سلطان الدوله في اجبار الولد من مثل هذا الزواج على الاسلام اذا بلغ الرشد « فالاولاد الذين يولدون من زوجة كتابية لمسلم يعتبرون مسلمين تبعا لابيهم حتى يبلغ الولد عاقلا ، فاذا بلغ عاقلا انقطعت التبعية » (٧) . ■■

محمد فتحي عثمان
الرياض

---

(٤) السرخسى : المبسوط ، وهو شرح لكتب محمد بن الحسن - نشر محمد ساسى المغربى - القاهرة - جـ ١٠ ص ١١٠ - وانظر للتفصيل كتاب صاحب المقال « الفكر الاسلامى والتطور »

(٥) عمر عبد الله - احكام المواريث والشريعة الاسلامية - دار المعارف - القاهرة - ص ٨٩ .

(٦) المودودى - مقترحات الدستور الاسلامى للباكستان - بالعربية - بيروت .

(٧) عمر عبد الله : احكام المواريث في الشريعة الاسلامية ص ٨٦ - ٨٧ .

بعد طفل

الانبوب



حيوان « التارديجريد » Tardigrade او بطيء الخطوة مكبرا هنا حوالى ٨٠ مرة وهو من الحيوانات التى قد تفقد ٩٧٪ من ماء جسمها وتعيش بعدها فى ظاهرة الحياة الخفية

(راجع المقال)

هذه التجارب المثيرة لـ ..

تجميد حياة المخلوقات وتعطيلها

بقلم : الدكتور عبد المحسن صالح

بادىء ذى بدء : ماذا نعنى حقا بتجميد الحياة أو تعطيلها ؟

ان ما نعنيه ببساطة ، هو : ان نوقف الحياة ، ثم نبعثها فى زمن غير زمانها !

أو بمعنى آخر : أن نعطل زمن الكائن ونجمده ، لينام نومة طويلة ، حتى لتحسبه قد مات ، ثم يقوم من رقاده ، ليعيش فى جيل غير جيله ، او ليجد نفسه وقد ظهرت ــ من بعد نومه ــ عشرات أو مئات أو آلاف الاجيال التى تعاقبت وماتت ! ٠

اى كانما نحن نعيد قصة اهل الكهف فى زماننا هذا ، ولكن بطريقة اخرى ، فلقد « لبثوا فى كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعا » ـ على حد قول القرآن الكريم ، وبافتراض ان متوسط الفترة الزمنية التى تفصل بين كل جيل وجيل من اجيال البشر تقع فى حدود ٢٥ عاما ، فان ذلك يدعونا الى القول بان اهل الكهف قد ظلوا غائبين عن هذا العالم لاكثر من اثنى عشر جيلا ، ولهذا وجدوا ـ عند بعثهم من رقادهم ـ ان كل شيء قد تغير ، ومن هنا تمنوا الموت على الحياة ، فكان لهم ما ارادوا !

على ان قصة اهل الكهف لا يمكن ان تدخل فى مجال العلوم التجريبية ، ولا هى واردة فيها ، اذ انه من الاسس القوية التى يقوم عليها العلم هو تحرى الاسباب لتفسير او معرفة اية ظاهرة من الظواهر ،وظاهرةاهل الكهف ـ كما يصفها الناس ـ معجزة ، ولا شان لنا او للعلم بالمعجزات ، لان العلم يقوم اساسا على القوانين الصامدة ، والنواميس الراسخة ، والمعجزة تخرقها ، وتنال من اصالتها ، ومن هنا يعز على العقلية العلمية ان تحنى راسها لهذه المعجزات او الخوارق التى تخرق العقول ، ولا شان لها بخرق قوانين الطبيعة الأصيلة !

من أهل الكهف ٠٠ الى أهل العلم !

ومع ذلك ، فالعلماء يقومون بتجميد الحياة وحفظها لاجيال قد تطول ، فلى ـ فى معملى ـ كائنات ما زالت « نائمة » او « متوقفة » عنالحياة سنين طويلة ، ولو بعثتها الآن من رقادها ، واستطاعت ان تدرك ما جرى ، لوجدت أنه قد مر عليها ـ فى رقادها ـ اكثر من ١٥٠ الف جيل من اجيالها ، ولو حذا اهل الكهف حذوها ، لكان من المفروض الا يستيقظوا الا بعد ثلاثة ملايين وسبعمائة وخمسين الف عام !

ولا شك ان سؤالا هاما قد يطرأ الآن على الاذهان : لماذا لا يستطيع العلم هضم مسالة « توقف » الزمن فى حالة اهل الكهف (بالنسبة لهم طبعا ـ لان الزمن يسرى ولا يتوقف لاحد) ، وها هو يحققها فى معامله ، ومع كائناته ؟

الواقع ان ما تجمد حياته هو من نوع الكائنات الحيوانية والنباتية البسيطة ، وهى ـ لبساطتها ـ يمكن ان تتكيف بالظروف القاسية التى نضعها فيها ، فكائناتى ـ التى احتفظ بها فى معملى ـ معزولة عن ظروف عالمها عزلا تاما ٠٠ فلا رطوبة ، ولا اوكسجين ، ولا غذاء ، ولا حرارة ، بل تسكن داخل كبسولات زجاجية صغيرة على هيئة مسحوق تارة ، او مادة متصلبة تارة اخرى ، وبحيث يصعب عليك ان تصدق ان ما تراه ، يمكن ان تبعث فيه بعد ذلك حياة !

هذه الكائنات « النائمة » فى كبسولات هى من نوع البكتيريا ، والبكتيريا معروفة بسرعة التكاثر. فاذا ما توفرت لها ظروف الحياة الرغدة ، لكان بمقدورها ان تعطى أجيالها المتعاقبة كل ساعة او نصف ساعة ، او حتى كل ثلث او ربع ساعة ، وهذا يعنى انك تستطيع ان تحصل فى الساعة الواحدة على جيلين او ثلاثة او اربعة أجيال متعاقبة ، او ربما مائة جيل فى اليوم الواحد ، وكائناتنا التى ترقد « متجمدة » فى كبسولاتها منذ خمسة عشر عاما او ربما اكثر ، كان من الممكن أن تتسلسل فى مئات الالوف من أجيالها ، هذا لو انها عاشت كما يعيش أترابها فى الطبيعة من حولها !

لكن « تجميد » الزمن أو توقفه بالنسبة لهذه الكائنات البسيطة ، او الانسجة ، او الدماء ، او الخلايا البشرية المعزولة ، له أصول ، ويتبع « تكنيكا » محددا ، ومن هنا نشات « بنوك » الدم والانسجة والخلايا والاعضاء ، وما شابه ذلك ، ولا شك أن العلماء فى شغل لتطوير هذا الفن او التكنيك ، لاهمية ذلك فى زراعة الاعضاء ، ومحاربة الامراض ، ومعرفة المزيد منأسرار الحياة ٠٠ فرب خلايا فى معهد طبى ، أو نسيج فى مركز بحوث ، أو عضو محفوظ بطريقة خاصة ٠٠٠ الخ، ربما كان هذا أو غيره قد « تجمد » زمنه ، فى حين أن الانسان أو الحيوان الذى عزل منه هذا النسيج ، أو ذاك العضو ، قد مات وتولى من زمن !

وموضوع حفظ الخلايا والانسجة والميكروبات ـ بعد ذلك ـ موضوع متشعب ومثير وطويل ، ولن نتعرض لتفاصيله هنا ، بل سنعرج على موضوع آخر له صلة وثيقة بموضوعنا الاساسى ، وان كان لا يزال فى العلم بدعة ، أو ضلالا وخدعة ٠



على امل بعث جديد على الارض ترقد هذه الجثة في كبسولة محكمة · وتحاط بدرجة حرارة تصل الى ١٩٦ درجة مئوية تحت الصفر فتحفظها بعيدة من التحلل لمئات السنوات فربما يتقدم العلم ، فيعيد اليها الحياة ·

مومياءات القرن العشرين !

فمن فكرة تجميد حياة الميكروبات والخلايا والانسجة والاعضاء ، انبثقت فكرة غريبة تحاول تجميد جميع خلايا وانسجة الجسم البشرى ككل ، وتحفظ الجثة ـ بعد لفظ أنفاسها الاخيرة مباشرة ـ في « مقبرة » خاصة ، أو كبسولة كبيرة محاطة بالنيتروجين السائل ، وبحيث تصل درجة الحرارة داخلها الى ما يقرب من ١٩٦! درجة مئوية تحت الصفر ، وبهذا يتجمد بشدة كل شيء فيها ، وتستمر على حالها مئات السنوات دون تغير ،رغم ان كل شيء حولها يتغير ويتبدل !

لكن ·· ما فائدة ذلك حقا ؟

الواقع ان فكرة بعث الحياة من جديد قد تتحقق هذه المرة على الارض ·· لا في السماء !

الفكرة لا شك فجة ، أو هي لا تتمشى مع منطق او عقل او دين،ومع ذلك،فكانما التاريخ يعيد نفسه، ولكن بنغمة اخرى مختلفة·· فحيث قام الفراعنة ـ منذ الاف السنين ـ بتحنيط الجثث وحفظها من الرطوبة والميكروبات (بتجفيفها باملاح ومركبات كيميائية حافظة) ، لتبقى على حالها ، وتصبح صالحة لعودة الروح اليها يوم البعث ، فتدخل فيها ، وتبعثها من قبورها ، كذلك ظن بعض أهل هذا الزمان ان تجميد حياة الخلايا والانسجة المختلفة في الجسم الانساني قبيل أو بعد موته مباشرة ، كفيل بتحويله الى « مومياء » عصرية ، وانه من الممكن ـ من وجهة نظر من يعتقدون في ذلك ـ بعث من مات الى الحياة من جديد ، وبعد مئات من السنين !

ففي اريزونا بالولايات المتحدة الامريكية ترقد اكثر من ١٥ جثة لرجال ونساء في كبسولات خاصة تحت درجة التجمد ، ولقد توفي هؤلاء بامراض مختلفة ، الا أن الطب الحالي لم يستطع ان ينقذهم مما حل باجسامهم ، ومع ذلك فان الامل لم يفارقهم في امكان الشفاء من امراضهم ـ ليس الان ،ولكن بعد أن يتقدم الطب في غضون مئات السنوات القادمة، وعندئذ يستطيع اطباء المستقبل البعيد ان يخرجوهم من كبسولاتهم الشديدة البرودة ، وان يدفئوهم شيئا شيئا ، ويحقنوهم بمواد خاصة تساعد خلاياهم على العودة الى الحياة من جديد ، وعندما يبعثون من رقادهم الطويل ، يبدأ اطباء المستقبل في علاجهم من امراضهم التي عجز عنها طب القرن العشرين !

صحيح ان الفكرة خيالية ·· لكن لا دخان بدون نار ، فلقد تاسست امال هؤلاء الاموات المجمدين على بعض حقائق علمية ، فعلم تبريد الخلايا والانسجة (او علم Cryogenics) يشير الى امكان حفظها من التحلل والشيخوخة والموت ، اذ أن جميع العمليات الحيوية التي تسرى فيها تتوقف ، وبهذا تبقى على ما هي عليه ولا تتغير ، أي أن زمنها يتوقف بالنسبة لما يجرى حولها ، فمن علامات مرور الزمن ان يتغير كل شيء ويبلى، وما دام التغير ليس في الخلايا ساريا ، وما دامت

حياتها قد تجمدت في عصر معين ، فان ذلك يعني ببساطة توقف زمنها ، الى ان ياتي من يخرجها من سباتها ، ويعيد اليها الظروف الطبيعية التي تهواها ، فتشتغل من جديد !

يضاف الى ذلك ان بعض الذين اوصوا بحفظ اجسامهم كاملة في كبسولة عند درجة ١٩٦ مئوية تحت الصفر ، كانوا من المشتغلين في علم التبريد، ومن هؤلاء ايضا استاذ جامعي مرموق ، لكن يبدو أن المرض قد افقده عقله ، أو أن حب الحيـاة الشديد قد ملك عليه لبه ، فكان أن اوصى بتجميد جسده •

لكن امل عودة هؤلاء الى الحياة ، كامل ابليس في دخول الجنة ـ على حد قول المثل الشائع •• صحيح انه يمكن تجميـد زمن الانسجة الحيـة ، وبقاؤها اجيالا من وراء اجيال ، دون ان تتعرض لادنى تغير ، الا ان ذلك يستلزم معاملات خاصة يطول شرحها ، وطبيعي أن هذه المعاملات لا تنفع مع انسان ولا فار ولا ثعبان ـ فالتبريد السريع والشديد في المخلوق المتكامل يؤدى الى تكـوين بلورات من الثـلج الدقيق الذى يمزق الخـلايا تمزيقا ، وما دامت الخلية قد تمزقت ، فلا تنتظر خيرا •• لا في نسيج ، ولا مخلوق ، ويوم يتوصل العلم الى استنباط وسيلة فعالة لتجنب التدمير من خلال التبريد الفجائي الشديد ، فان الامل في البعث على الارض قد يصبح واردا في التفكير العلمي !

الطبيعة تعيد قصة اهل الكهف !

ومع ذلك ، فهناك كائنـات كثيرة في مملكتي النبات والحيوان تجمد زمنها ، وتبقى على حالة اقرب الى الموت منها الى الحياة ، وهي تفعل ذلك دون ان نتدخل في شئونها ، وكانما هي امتلكت لعبة مثيرة ، او سرا غامضا لا يزال يحير العلماء الان أعظم حيرة ، ولهذا أطلقوا على هذه الحالة اسم ظـاهرة الحياة الخفية او الغامضـة ، Cryptobiosis ، وفي تلك الظاهرة لا نستطيع ان نميز الحدود الحقيقية بين الموت والحياة •

ولقد كان أول من شاهد هذا الامر رجل هولندى يدعى انتونى ليفنهوك ، وهو ايضا أول من صنع الميكروسكوب الضوئي ليكبر به الاشياء ، ويتعرف على تفاصيلهـا ، ومن هذه الظـاهرة كتب الى الجمعية الملكية في لندن عام ١٧٠٢ ليذكر لها انه تعرف على حيوانـات صغيرة تسكن فـي بعـض الرسوبيات العضوية الرطبة الموجودة على أسقف المنازل ، وان هذه الحيوانات تجف وتفقد ماءها اذا ما جفت المواد العضوية التي تعيش عليها ، بل واكثر من ذلك « اراها تفقد شكلها وقسماتها وتتحول الى كرة صغيرة ليست فيها اية علامة تدل على الحياة » • وقد تستمر على ذلك شهـورا طويلة ، دون ان يعتريها تغير أو تبـدل ، فاذا أمددتها بقطرة من الماء ، اهتزت وتمددت وعادت الى شكلها الذى كانت عليه قبل جفافها ، ثم تبدأ في الحركة والبحث عن الطعام والتهامه بشراهة بالغة !

على أن احدا لا يستطيع أن يحدد الوقت الذى قد تستمر فيه هذه الكائنات وهي في حالة جفاف وتصلب وسكون •• لكن هناك دلائل تشير الى انها قد تستمر في حياتها الخفية لعشرات السنين ونعني بالخفية هنا أن العلماء لا يستطيعون التوصل الى أسرار ما يجرى في الخفاء ـ واثنـاء الجفاف ـ من عمليات حيوية جد بطيئة ، وبحيث تنتقل بهذه الكائنات عبر الزمان، ودون أن تظهر عليها علامات الشيخوخة •• وهذا ما يحلم به الانسان ويامل فيه ، لكن الحياة قد منحت هذا الحق لبعض أنواع من الديدان الشعرية (نيماتودا Nematoda) ، ولبعـض أنواع من الحيوانات الهدبيـة الدوارة (روتيفر Rotifers) ، وللحيـوانات المائيـة الصغيرة ذات الارجل المفصلية • والمعروفة علميا باسم بطيئات الخطوة تارديجريد Tardigrade •• الخ •• الخ •

اعمارنا واعمارها

ففي واحدة من التجارب التي تمت بالصدفة ، اخذ احد العلماء عينة جافة من النباتات الدنيـا التي تعيش في الاراضي الرطبة ، وبللها في الماء، فاذا بالحياة الخفية تظهر وتعود بعد أن ظلت في « كهفها » أو جفافها وتوقفها عن الحياة ما يقرب من مائة وعشرين عامـا ، وهو نفس عمر تلك النباتات التي جمعت وحفظت في متحف من متاحف التاريخ الطبيعي بحالة جافة كل هذه السنين !

لكن الكائنات السـاكنـة على العينة النباتيـة الجافة لم تعد كلها الى الحياة ، بل عاد بعضها ، ثم تحرك بطيئا ، واستمر في حركته دقائق عدة ،

وبعدها ودع حياته . وكأنما هو أيضا لا يستطيع أن يعيش فى زمان غير زمانه . أو كأنما هو بعيد لنا قصة أهل الكهف . ولكن بصورة أخرى . وكأنما أجهزته وأنسجته وخلاياه قد أصابها الوهن من شدة المعاناة . وبهذا لم تستطع أن تتحمل الحياة . فانتقلت بدورها الى رحمة الله !

على أن هذه الكائنات المعروفة ببطيئات الخطوة يمكن أن يمتد بها العمر الى أكثر من ستين مرة قدر عمرها الحقيقى . اذ يشير دكتور أرنست ماركوس من جامعة ساوباولو الى أن متوسط عمر الحيوان الذى يعيش فى رغد من العيش . ودون أن تضطره الظروف الى تجميد حياته تحت وطأة الجفاف . لا يعمر الا اقل من عام واحد . فى حين ان الذى « يعانى » او تضطره الظروف الى دخول حالة « الحياة الخفية » مرات عدة . قد يعمر لأكثر من ستين عاما . ولو امتلك الانسان هذه المقدرة . واستطاع ان يستنبط وسائل هذه المخلوقات . ويطبقها على نفسه . و « يتقوقع » داخل جلده . دون احساس بما يجرى فى هذا العالم . لتجمد زمنه . ولعاش قرونا عدة. اذ لو فرضنا انمتوسط العمر هنا سبعون عاما . وأننا بدخول ظاهرة « الحياة الخفية » نطيل هذا العمر ستين مرة . فان متوسط العمر قد يصل الى أكثر من أربعة الاف ومائتى عام . وللانسان بعد ذلك أن يختار متى يقوم . وكم سنة يريد ان يعيش فى عالم غير عالمه . وزمن غير زمنه . ثم يدخل مرحلة الحياة الخفية ليقضى فيها عشرات أو مئات الاعوام . ثم يبعث . ويختفى . وتتكرر الدورات ٠٠ هذا لو عرفنا سر هذه الكائنات التى قد نحسبها من كوكب اخر . رغم أنها تعيش معنا على أرضنا . ولا يزال العلم فيها حائرا !

هل هو بعث من بعد موت ؟ !

ولقد احتدم الجدل والنقاش بين العلماء فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر وجزءا منالقرن العشرين حول طبيعة تلك الظاهرة التى يمكن أن تمر بها بعض الكائنات الحية التى ذكرناها والتى ـ نذكرها .

ففى القرن الثامن عشر تزعم العالم الشهير سبالانزانى فكرة البعث بعد الموت ٠٠ بمعنى أن هذه الانواع تمر بحالات لا تختلف فى قليل أو كثير عن حالة الموت التى تمر بها كل الكائنات . فهى لا تتكاثر ولا تتنفس ولا تتحرك ولا تتغذى . بل تنطوى على نفسها وتنكمش الى حدود يصعب تصديقها . اذ هى تفقد ماء جسمها . فلا يبقى منه الا أقل من ٣٪ فقط . فى حين أن نسبة الماء فيها وهى تنعم بحياتها العادية تصل الى ٨٥٪ من وزن جسمها . والانسان لا يمكن أن يمر بمثل هذه الحالة . اذ ان الحد الفاصل بين الموت والحياة يتمثل لنا فى عدة أكواب من الماء . لكن أن يفقد الانسان معظم مائه . فلا يبقى منه الا ٣٪ فقط . فهذا يعنى ان الانسان البالغ وزنه ٧٠ كيلوجراما. والذى يحتوى جسمه منها على ٤٢ كيلوجراما من الماء (هذا ومن المعروف ان ٦٠٪ من وزن احسامنا ماء) . سوف ينكمش الى ٣٠ كيلوجراما ٠٠ أى يصبح مجففا كالمومياء . ولكى تعيد اليه حياته . فلا بد ان تنقعه فى برميل به ماء . ليمتص ماءه . وكأنما هو قطعة من الاسفنج . وعندئذ تدب فيه الحياة ٠٠ وطبيعى أن احدا لا يستطيع أن يبلع هذه الحقيقة المرة . ولا يمكن للانسان أن يمر بها . ولو مر بها لمات فى التو واللحظة . لكن الامر يختلف مع هذه الكائنات التى ملكت ما لا نمتلك . وجعلت العلماء لا يكادون يصدقون ما يحدث فى حياتها « الخفية » !

ومع ذلك يظهر بعض المعارضين لسبالانزانى ومؤيديه . فهم لا يستطيعون هضم هذه الفكرة الجريئة . فالموت عملية لا يمكن عكسها الى حياة . اذ ما دام المخلوق قد مات . فمن المستحيل ارجاعه الى دنياه ٠٠ لا بماء ولا طعام ولا صلوات وابتهالات ودعوات !

ولقد احتدم الجدل أيضا فى القرن التاسع عشر بين كل من العالمين دوير وبوشيه ٠٠ فتزعم الاول فكرة البعث أو النشور . وتزعم الثانى الفكرة النقيضة ٠٠ ومن هذا الصراع الفكرى انطلق الخيال العلمى . فكان أن كتب أدموند ابوت قصة « الرجل ذو الاذن المقطوعة » . وفيها تصور المؤلف أن كولونيلا فرنسيا كان على حافة الموت . فوضعوه فى حالة جفاف . فتجمدت فيه عمليات الحياة . وسار المؤلف فى تخيلاته على ان ما ينفع فى الكائنات البسيطة . قد ينفع مع الكائنات الراقية . وانه من الممكن ان تبقى ساكنة سكون الموتى لاجيال طويلة. ثم قد تعود الى الحياة

اذا امدوها بالماء فيعود الى الانسجة الجافة مرونتها ونضارتها .. او يقوم الكولونيل او غيره من تصلبه وجفافه . ليعيش في زمان غير زمانه !

حقائق غريبة

ويجيء القرن العشرون . او بالتحديد يبدأ العلماء دراسة حياة هذه الكائنات دراسة عميقة في بداية النصف الثاني من القرن العشرين ، فيكتشفون امورا قد لا تطرأ لنا على بال .

فهذه الكائنات الحيوانية تستطيع أن تواصل الحياة حتى ولو عرضناها لمدة دقائق عدة لدرجات حرارة تصل الى ١٥١ درجة مئوية . أى أعلى بكثير من درجة غليان الماء .. كما أنها تقاوم الصقيع الشديد جدا . حتى ولو انخفضت الحرارة الى حدود قريبة جدا من الصفر المطلق (أى ٢٧٣ درجة مئوية تحت الصفر !) .

يضاف الى ذلك أن تلك الكائنات تتحمل الاشعاعات بدرجات رهيبة . فلو أن مجموعة من الناس قد تعرضت لجرعات من اشعة اكس تصل قوتها ٥٠٠ رونتجن (وهي وحدة اشعاع خاصة) ، فان الموت يحل بنصفهم. لكن كائناتنا التى ذكرناها لا تفقد حياتها بنفس النسبة الا اذا تعرضت لجرعات من ذات الاشعة قوتها ٥٧٠ الف رونتجن !

والغريب ايضا ان هذه المخلوقات تتحمل درجات من التفريغ الهوائى يصل فقط الى خمسة مليمترات من الزئبق (الضغط الجوى العادى ٧٦٠ مليمترا) ولمدة يومين ، كما ان بعضها يقاوم التفريغ الذى يصل الى جزء من مليون جزء من المليمتر الزئبقى لفترات قصيرة . وهذا وغيره قد يجعل الاجسام البشرية تنفجر وتموت في لحظة خاطفة . لكن هذه الكائنات شيء اخر مختلف !

ويجيء س . الينبى من جامعة نيوكاسل ليجفف هذه الكائنات تجفيفا تاما . لدرجة انها خلت من اى ماء حر أو مقيد . ومع ذلك فقد امكن ان تعود الى الحياة لو اننا غمسناها في الماء . وهذه الحقيقة ايضا من الصعب تقبلها . لكن يبدو ان الحياة احيانا ما تطيح بمنطقنا . وتسخر من افكارنا !

وطبيعى ان هذه الامور وغيرها قد اوقعتنا في « حيص بيص » . اذ من المعروف ان تجفيف الكائنات الحية العادية (في مملكتى النبات والحيوان) يؤدى حتما الى هدم النظم الجزيئية التى تتوقف عليها حياتها . وطبيعى ان عودة الحياة الى مثل هذه المجموعة من الكائنات المجففة يشير الينا من طرف خفى انها امتلكت ميكانيكية حيوية او فيزيائية او كيميائية (او كل هذه مجتمعة) ، وبها تستطيع ان تتحدى الزمن وتتحدانا . لكن ما هى هذه الميكانيكية الخفية او الغامضة . فعلمها لا يزال عند الله حتى هذه الساعة !

كانما هذه الكائنات الغريبة تدفعنا دفعا الى اعادة النظر في تقييمنا للموت والحياة . فالموت هو نتيجة حتمية لخلل في اى نظام حى قائم ، وبقدر معضلات هذا الخلل . بقدر ما يزحف الموت على الكائن الحى . فلو ارتفعت حرارة الانسان مثلا الى ٤٣ او ٤٤ او ٤٥ درجة مئوية . فان الخلل الناتج قد لا يعود الى نظامه .وكلما ارتفعت الحرارة اكثر . او استمرت على ارتفاعها زمنا اطول . كان الخلل اعظم . والموت اسرع .

لكن ان ترتفع حرارة هذه الكائنات الى ١٥٠ درجة مئوية . وتنخفض الى ٢٧٠ درجة مئوية تحت الصفر (اى معضلة حرارية فرقها ٤٢٠ درجة ، وهى كافية لصهر بعض المعادن مثل القصدير الذى ينصهر عند ٢٣٢ درجة مئوية ، والرصاص الذى ينصهر عند ٣٢٧٫٤ درجة مئوية) ، ثم لا يحل بها الخلل في نظامها . فشيء يستحق دراسات ودراسات . فربما يقودنا ذلك لوضع ايدينا على اسرار مثيرة .وبها نبطيء زمن الكائنات الحية أو نجمدها. فتطول اعمارها بالنسبة لما حولها ، وقد يستفيد من ذلك الذين يتزعمون فكرة تبريد الاجسام الادمية في كبسولات . او ربما تجفيفها في افران اسوة بما يحدث فيما قدمنا من كائنات . فيبعثون في زمان غير زمانهم مرات ومرات . او قد لا يتحقق ذلك على الاطلاق . وبهذا يبقى ما لله لله . وما لقيصر لقيصر . فلمعارفنا حدود . وعلى عقولنا قيود . اذ اننا لن نتوصل للحقيقة المطلقة ابدا .. لا في ذرة .. ولا خلية .. ولا مخلوق .. ولا سماوات .. اذ « وفوق كل ذى علم عليم» . « وما أوتيتم من العلم الا قليلا » . ■■

الاسكندرية ـ دكتور عبد المحسن صالح

أقوال معاصرة


شاه ايران


دوبريه


البابا بولس


الحص

- أنا الشخص الوحيد الذى يملك القوة والسلطة لتحقيق الديمقراطية ·

الامبراطور محمد رضا بهلوى شاه ايران

- المستوطنات جزء من حطة السلام الاسرائيلية ·

مناحيم بيجين رئيس وزراء اسرائيل

- لو كنت محل الرئيس كارتر لأمرت بتدمير هوليود لانها وطن اللا انسان ·

الممثلة الانجليزية فانيسا ريد جريف
بطلة فيلم الفلسطينى ·

- النفوذ كحساب التوفير ، كلماقل استعمالك له جيت ربحا أكثر !

اندرو يانج
المندوب الامريكى لدى الامم المتحدة

- ان المنطق الاسرائيلى هو الذى يلغى الوجود الاسرائيلى باشتراطه حضوره بغياب الفلسطينيين ·

الشاعر محمود درويش ·

- التشاؤم ترف لا يمكن لرجال السياسة أن يتمسكوا به ، لان التشاؤم لدى الناس الذين يحاولون صياغة الاحداث يمكن أن يتحول الى نبوءات ·

زبيجنيو بريزنسكى
مستشار الرئيس الامريكى للامن القومى

- تظاهر بعض الصحفيين عند النصب التذكارى لمؤسس باكستان محمد على جناح ، فأحيلوا الى التحقيق فى تهمة امتهان حرمة الموتى !

وكالات الانباء ·

- شجعتنا أمريكا على ارسال الجيش الى الجنوب وتلقينا ضمانات منها ، وعندما حان وقت التنفيذ ، خذلنا الامريكان ·

دكتور سليم الحص ـ رئيس الوزارة اللبنانية ·

- اننى سأبذل جهدى لاكتشاف الوسيلة الكفيلة باقناع الفرنسيين بأن فرنسا على وشك الغرق ·

الوزير الفرنسى السابق ميشيل دوبريه

- ان فجرالامل يبزغ على العالمرغم الكراهية والحرب التىتهدد باخماد نور هذا الفجر ·

البابا بولس فى اول خطاب له بعد انتخابه ·

العبقرية في الاصالة والابداع

بقلم : الدكتور عبدالرحمن عيسوى

كانت الفكرة السائدة قديما عن العباقرة انهم يحرزون انتصاراتهم دون بذل مجهود كبير . وللعبقرية تاريخ طويل ، ففي بلاد اليونان كان يعتقد ان الشخص اذا اظهر قدرة فائقة وغير عادية ولم يكن هناك تفسير لذلك في وراثته من ابويه او تفسير من خبراته ، كان ينظر لقدرته هذه على انها هبة من الالهة . وحتى في استخداماتنا المعاصرة ما يشير الى ذلك عندما نقول ان العبقرية « هبة » واذا كانت هبة فلابد ان يكون هناك من وهبها فالفكرة القديمة ان العبقرية هبة خارقة .

ان العباقرة يصلون الى نتائجهم واكتشافاتهم دون بذل كثير من الجهد . فنحن نظن ان اسحاق نيوتن كان يجلس في حديقة منزله ثم شاهد تفاحة تهبط من فوق الشجرة على الارض فقال لنفسه « وجدتها .. انها هى .. » ثم قام لتوه وكتب قانون الجاذبية . هذه الفكرة الاسطورية لها صداها في اللغة فعبقر يقال انه مكان في البادية تنسب اليه طائفة من الجن ومن ثم نسب اليه كل عمل جليل دقيق الصنعة . واذا ما حللنا مضمون العبقرية لوجدناها تتضمن الاصالة والابداع . وبالطبع الشيء الاصيل هو الذى لم يحدث من قبل او الذى لم يكتشف من قبل . ولكن الاجدر بنا ان نقول ان حدثا معينا أصيل اذا لم يكن قد لوحظ من قبل ومعنى هذا انه قد يكون موجودا ولكننا لم نلاحظه ويمكن النظر للعبقرية على انها قدرة عالية جدا او انها قدرة

على الخلق والابداع والابتكار ، فالعبقريه قدره خلاقه مبدعه ، وتمثل اعلى مستوى من القدره العقليه في الانسان .

والحقيقه ان اعمال العباقره انما تاتي عن طريق العمليات العاديه ـ كذلك فان الاصاله او الميزه لا تعني بالضروره انها ناتجه عن العبقريه . ويبدو العبقريه في قدره الفرد البارزه في اختيار الاشياء والمواقف اختيارا مناسبا ، ذلك الاختيار هو الذي يؤدي الى النجاح في تحقيق بعض الاهداف . وبالطبع لا يمكن للفرد ان يحسن الاختيار الا اذا استطاع الحصول على المعلومات الصحيحه عن موضوع بحثه . وكلما زاد الهدف صعوبه زاد مقدار الجهد المطلوب لتحقيقه والوصول اليه ويعني ذلك ان العباقره كانوا من المجدين في اعمالهم . ويؤكد هذه الحقيقه تتبع سير حياتهم فالعبقريه لا تاتي عشوائيا او تلقائيا وانما هي نتيجه جهد شاق .

وبالطبع لا يعتمد العباقره في سعيهم للوصول لاهدافهم على منهج المحاوله والخطأ في حل المشكلات التي واجهتهم ولا شك انهم كانوا يستخدمون مناهج افضل من مجرد المحاوله والخطأ وهنا يفرض علينا ان نتساءل ما هي تلك الطرق التي يستخدمها العباقره ؟

من الامور البديهيه ان تحدد المفكر تحديدا دقيقا وواضحا ما ينبغي الوصول اليه ومعنى ذلك انه عليه ان يتحاشى الاهداف الغامضه ، وبعد تحديد هذه الاهداف يصبح عليه ان يحسن التعامل مع المشكلة بحيث يحصل على اكثر قدر ممكن من المعلومات . ويمكن للتربيه ان تسهم في نمو العبقريه وازدهارها بين تلاميذها وذلك عن طريق تحديد الاهداف المنشوده ثم تشجيع الاطفال وهم في مرحله مبكره من عمرهم على التركيز بالتفكير في بعض الموضوعات والسماح لهم بالتفكير فيها لفترات طويله سعيا وراء الوصول الى حلولها .

ومهما يكن من دور العوامل البيئيه المكتسبه في نشأه العبقريه فاننا لا نستطيع ان ننكر دور العوامل الوراثيه .

والمعروف ان العوامل الوراثيه تؤثر تاثيرا كبيرا في مقدار ما يتمتع به الفرد من ذكاء وتمتاز العباقره بالتمتع ببعض السمات الخارقه من ذلك الدائره البارزه المعروفه ومن بين هؤلاء كولروج وشيلي وجوت وفرويد . ولقد لاحظ جالتون ان العباقرة لديهم امتيازات وراثيه عن غيرهم من الناس ، حيث تظهر الموهبه في دائره اسر معينه ، فعلى سبيل المثال كانت اسره باخ موهوبه في الموسيقى بصفه خاصه وظل هذا التفوق سائدا عبر سبعه اجيال كامله من هذه الاسره وان كنا حتى في هذه الحالة لا ننكر اثر التقليد وغيره من المواقف المشابهه . ويبدو ان العباقره لا يرثون فقط الاساس العضوي لمواهبهم بل انهم يرثون ايضا الطرق او الاساليب التي يواجهون بها مشكلاتهم .

ويبقى على العلم الحديث ان يحدد كيفيه انتقال هذه السمات او تلك الطرائق والاساليب من الاباء والاجداد الى الابناء ، وكيف تبقى في الجهاز العصبي . ولكن فرض الوراثه هذا لا يصح في حالات مثل حاله اسحاق نيوتن ومايكل انجلو .

وفي كل حال لا بد للعبقري من التمتع بقدر كبير من الذكاء اذ لا يكفي ان ينبغ الفرد في اداء بعض الاعمال بصوره خارقه كما هو الحال عند بعض ضعاف العقول الذين يستطيع الواحد منهم عمليه حسابيه بسيطه يجريها في ذهنه او يحدد لك مثلا اسم اليوم الذي يوافق تاريخه الخامس من يناير منذ مائه عام مضت . وفيما يلي نعرض لنسب الذكاء لبعض مشاهير العلم والفكر والتاريخ وهي نسب مرتفعه اذا علمنا ان الشخص العادي المتوسط تتراوح نسبه ذكائه ما بين ٩٠ ـ ١١٠ .

سير فرانسيس جالتون	٢٠٠
جون ستيوارت مل	١٩٠
فولتير	١٧٠
موزارت	١٥٠
فكتور هيجو	١٥٠
فرانسيس بيكون	١٤٥
نابليون	١٣٥
شارلز داروين	١٣٥

بين الاسرة والمدرسة

وهنا يجدر بنا ان نتساءل : هل يمتاز الشخص العبقرى بسمات تميزه عن غيره من الناس ؟ لقد لوحظ ان الشخص العبقرى يمتاز بشدة الحساسيه للمشكلات والقدرة على انتاج اكثر من الافكار حول اى موضوع نطرحه عليه كما يستطيع الاتيان بكثير من الحلول الجديدة للمشكلات التى تعرض عليه ويتصف بالمرونة فى اتجاهه نحو موضوعات بحثه ، كما يتمتع بالقدرة على التحليل والتركيب والنقد والمقارنه والتطبيق والتعميم والتمييز والتصور والتخيل والادراك وهنا نستطيع ان نسأل الشخص : كيف كانت تبدو الحياه فى مصر او لم يوجد نهر النيل . او كيف يمكن ان تكون صورة العالم لو لم تكتشف الامريكتان ؟

ومن الناحيه الشخصيه فان الشخص العبقرى تكون اقل شعورا بالقلق واكثر استعدادا للاعتراف باخطائه ، ومعظم العباقره منطوون وغير مقلدين ولهم اهتمامات واسعة ويميلون الى الشعور بالاستقلال والثقه بالذات والكفاءه الذاتيه ولقد وجد تيرمان فى دراسته على الاطفال الموهوبين انهم كانوا اكثر طولا واثقل وزنا واكثر تفوقا فى الدراسة. وواضح ان للاسرة والمدرسة دورا هاما فى تنمية قدرات الطفل العقلية وصقلها وتوجيهها الوجهة السليمة نحو المجالات الايجابية عن طريق التدريب على التفكير العلمى المنظم واتباع المنطق والموضوعيه ودقة الملاحظة وطرق جمع الحقائق العلمية ، وتنمية عادات حب القراءة والبحث والاطلاع والاكتشاف وارتياد الاماكن وتوفير جو الحب والعطف والدفء والحنان للطفل واشباع حاجاته نحو استطلاع المجهول .

اننا فى حاجة الى خلق جيل عربى قوى قادر على امتلاك ناصية العلم وتطويعه لخدمة الاهداف العراض لامتنا العربيه فى حاضرها ومستقبلها . ■■

عبد الرحمن عيسوى

رئيس قسم علم النفس بكلية الاداب
بجامعة الاسكندرية

عبقرية السائق

* يروى أن الدكتور البرت اينشتاين كان يجوب الجامعات فى سيارة يقودها سائقه الخاص ويلقى محاضرات عن نظريته فى الكون التى تقوم على المبدأ القائل بأن مقاييس المكان والزمان نسبية .

وفى احدى الجولات قال السائق مخاطبا الدكتور اينشتاين لقد سمعت المحاضرة حوالى ثلاثين مرة لدرجة أننى حفظتها عن ظهر قلب والان لى رجاء بأن ألقى المحاضرة بدلا منك فرد اينشتاين قائلا : « حسنا سأعطيك الفرصة ، فهم لا يعرفوننى فى الجامعة التى سنزورها فى المرة القادمة ، وعندما نصل الى هناك سأرتدى زيك فى حين تقدم نفسك على أنك أنا وتلقى المحاضرة . وبالفعل وفى الموعد المحدد القى السائق محاضرة اينشتاين بجدارة ، ولما هم بالخروج استوقفه أحد أساتذة الجامعة وسأله سؤالا معقدا تضمن معادلات رياضية صعبة للغاية وعلى الفور تدارك السائق الموقف وقال انحل هذا السؤال بسيط جدا واننى دهشت لتوجيهك لى مثل هذا السؤال ، ولابين لك مدى سهولة الاجابة عليه ، سأقوم باحضار سائقى ليجيبك عليه !

صفحة من التاريخ الاسلامى

المرأة والسياسة

فى أول أزمة واجهت المجتمع الاسلامى

بقلم : الدكتور أحمد عبيد الكبيسي

هذه صفحة من التاريخ الاسلامى ،تشرف المراة، وتبدد الكثير من الضباب والغيوم التى يحاول البعض ان يحجب بها حقيقة الدور الذى قامت به المراة فى الاسلام .

هنا تلعب المراة دورا سياسيا بارزا،تشارك بالاحداث وتؤثر فيها ، بوعى ونضج نادرين .



هنا تتقدم المرأة الصفوف ، تدافع عن القيمة والمبدأ ، وتصد الظلم وتحارب الظالمين ٠

كيف كان موقف المرأة خلال اول أزمة سياسية خطيرة هزت المجتمع الاسلامي ، وهي الازمة التي بدأت بمقتل خليفة المسلمين عثمان بن عفان، وانتهت باستيلاء معاوية على السلطة وما كان خلال ذلك وبعده من صراع في الرأي والسيف ، وجدال بالدليل والحجة واسهام بالنصيحة والمشورة ٠٠

سأتجاوز دور عائشة الصديقة أم المؤمنين التي ليس دورها في هذه الازمة خافيا على خاص أو عام ـ حين شاركت في تلك الاحداث القاسية برأيها وجهادها ٠ وضربت المثل لما يمكن ان تقوم به المرأة : حين تسلك عن علم ، وتصدر عن حق ، وتسعى عن بصيرة ٠ ولا غرابة ان قال فيها رسول الله (ص) « خذوا ثلثي دينكم عن الحميراء » ٠

واذ اتجاوز دور عائشة رضي الله عنها ، فاني اشير الى دور هند بنت امية « أم سلمة زوجة رسول الله (ص) وأم المؤمنين » ٠ تلك المرأة الجليلة ذات العقل والرأي والكمال والتي هاجرت مع الرواد الاوائل الى الحبشة ثم المدينة ٠

فقد عرفت أم سلمة بالرؤيا السياسية الواضحة والاراء الصائبة التي تدل على خبرة وحنكة وبصر بالامور ٠ ولقد روى لنا التاريخ بعضا من ذلك ، فلقد أشارت على النبي (ص) يوم الحديبية ، وذلك أن النبي (ص) لما صالح اهل مكة ، وكتب كتاب الصلح بينه وبينهم وفرغ من قضية الكتاب الذي كان ينص على ألا يدخل المسلمون مكة هذا العام ، قال رسول الله (ص) لاصحابه : قوموا انحروا ثم احلقوا ، فلم يقم منهم رجل ، بعد ان كرر ذلك عليهم ثلاث مرات ٠

فقام رسول الله (ص) فدخل على أم سلمة، فذكر لها مالقي من الناس فقالت له أم سلمة:« يانبي الله اتحب ذلك ؟ اخرج ثم لاتكلم احدا منهم كلمة حتى تنحر بدنتك وتدعو حالقك فيحلقك ٠ فقام رسول الله (ص) فخرج فلم يكلم احدا منهم كلمة ، فنحر بدنته ودعا حالقه فحلقه ٠

فلما رأى المسلمون ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضا حتى كاد يقتل بعضهم بعضا ٠

وهكذا برهنت هذه المرأة على معرفتها بسياسة الرجال وبصيرتها بالاوقات الحرجة ٠

ولقد كان لام سلمة نصيب من التوجيه والنصح للخليفة عثمان بن عفان حين اعتورته الخطوب ، وتزاحمت حوله الاحداث وازدحم على بابه المناوئون اذ ذهبت اليه يوما فقالت له يابني ، مالي أرى رعيتك عنك نافرين وعن جناحك ناقرين ، يابني لا تعف طريقا كان رسول الله يحبها ، ولاتقتدح بزند كان قد اكباه ، وتوخ حيث توخى صاحباك ابو بكر وعمر ، فانهما ثكما الامر ثكما (التزما بالحق) ولم يظلما ٠ هذا حق امومتي قضيته اليك ، وان عليك حق الطاعة ٠

وبهذه الكلمات تكون أم سلمة قد شخصت اسباب ما يعانيه عثمان ، ووصفت له مايسد الثغرة ، ويعالج الداء ٠

وقد عرف لها عثمان فضل ذلك حين قال لها : « اما بعد فقد قلت فوعيت ، واوصيت فقبلت ، وان لي عليك حق النصيحة » ٠

نائلة زوجة عثمان

والكلام في الوعي السياسي عند المرأة من حول عثمان يفرض علينا التأمل مليا بدور زوجته نائلة بنت الفرافصة بن الاحوص الكلبية » التي كانت كما يذكر التاريخ من ربات الرأي والعقل والفصاحة والجمال ـ كانت تشهد مع زوجها عثمان مجالس الرأي ومواقف الحزم ، وندوات التدبير ٠

ومن ذلك : ان عثمان بن عفان خطب الخطبة التي نزع فيها ـ واعطى الناس من نفسه التوبة، فرق الناس له يومئذ ـ وبكى من بكى منهم ٠

ثم لما عاد وجد في منزله مروان ونفرا من بني امية ـ ولم يكونوا قد شهدوا الخطبة فلما جلس، قال له مروان : اتكلم أم اصمت ؟ فقالت له نائلة: لا بل اصمت ، فانهم والله قاتلوه ومؤثموه ، انه قد قال مقالة لا ينبغي له ان ينزع عنها » وفي هذا دليل على انها شاهدت خطبته وتشاهد تبادل الرأي في مجلسه مشاهدة العارف البصير ، الذي يحترم رأيه وتؤخذ مشورته ويحسب حسابه ، وجاء علي ابن ابي طالب يوما على عثمان، ودخل عليه مغضبا *فقال له اما رضيت من مروان ولا رضي منك الا بتعريفك عن عقلك ، والله ما مروان*

بذى راى فى دينه ولانفسه ، وايم الله انى لاراه سيورده ثم لايصدره ، وما انا بعائد بعد مقامى هذا لمتابعتك • فلما خرج دخلت عليه نائلة فقالت : أتاذن لى بالكلام ؟ فقال : تكلمى ،فقالت: قد سمعت قول على ، وانه ليس يعاودك ، وقد اطعت مروان يقودك حيث يشاء •

فقال : فما أصنع ؟

قالت : « تتقى الله وحده لاشريك له ، وتتبع سنة صاحبيك من قبلك ، فانك متى اطعت مروان قتلك ، ومروان ليس له عند الناس قدر ولا هيبة ولا محبة ، وانما تركك الناس لمكان مروان ، فارسل الى على فاستصلحه ، فان له قرابة منك وهو لا يعصى » فاخذ عثمان برايها وفعل ما اشارت به • ولقد حاول مروان ان ينال منها عند عثمان بعد ان سمع مقالتها فيه ، غير ان عثمان صده وانتهره ، وصرح بانها أصدق من مروان وادرى ، وبقيت نائلة تساهم فى العمل السياسى بالراى والجهد والتعرض للاخطار حتى الساعات الاخيرة من حياة زوجها ، حين تسلل البعض بالسيوف الى دار عثمان • فلما رات نائلة ذلك منهم نشرت شعرها لكى يولوا حرمة ذلك • فقال لها عثمان : خذى خمارك فلعمرى لدخولهم على اعظم من حرمة شعرك • اى انهم اذ لم يرعوا حرمة ذاك فلن يرعوا حرمة هذا • ثم أهوى رجل الى عثمان بالسيف فانكبت عليه واتقت السيف بيدها فقطع اناملها ، فنادت غلاما لعثمان اسمه « رباح » معه سيف : يا رباح اعن عنى هذا فضربه رباح فقتله ، ثم دخل آخر معه سيف ، فقال : افرجوا لى ، فوضع ذباب السيف فى بطن عثمان ، فامسكت نائلة السيف فحز اصابعها ومضى السيف فى بطن عثمان حتى قتله •

وهكذا كانت نهاية ذى النورين ومجهز جيش العسرة الذى كانت تستحى منه الملائكة واحد العشرة المبشرين بالجنة •

ولم تتوقف نائلة بنت الفرافصة عند هذه النقطة بل واصلت العمل السياسى فى اطار نكبة عثمان رضى الله عنه •

ذلك انها خرجت ومعها نسوة من قومها الى مسجد رسول الله (ص) فاستقبلت القبلة بوجهها ، ووجهت احدى النسوة تستنهض الناس لها ، فتجمعوا حولها ، وقد اسدلت ثوبها على وجهها والقت كمها فى راسها ، وتوجهت الى الناس بالخطاب ، فحمدت الله واثنت عليه ، وصلت على النبى ثم قالت : (أيها الناس ان عثمان ذا النورين قتل مظلوما بينكم بعد الاعتذار وان اعطاكم العتبى ، معاشر المؤمنين وأهل الملة ، لا تستنكروا مقامى ولا تستكثروا كلامى فانى رزئت جليلا وتذوقت ثكلا من عثمان ، ثالث الاركان من أصحاب رسول الله (ص) فى الفضل عند تراجع الناس فى الشورى يوم الارشاد • فكان الطبيب المرتضى، المختار حتى لم يتقدمه متقدم ولم يشك فى فضله متالم القوا اليه الازمة وخلوه والامة : حين عرفوا له حقه وحمدوا مذاهبه وصدقه • فكان واحدا غير مدافع وخيرتهم غير منازع لا ينكر له حسن الغناء ، ولا عنه سماح النعماء ، اذ وصل اجنحة المسلمين حين نهضوا الى رؤوس ائمة الكفر ، حيث ركضوا فقلدوه الامور اذ لم يكن له فيهم نظير ، فسلك بهم سبيل الهدى وبالنبى وصاحبيه اقتدى •

« امتد له الدين ، واتصل به السبيل المستقيم، ولحق الكفر بالاطراف واقام يمدكم بالراى ويمنعكم بالادنى ، يصفح عن مسيئكم فى اساءته ، ويقبل من محسنكم باحسانه ، ويكافيكم بماله ، ضعيف الانتصار منكم قوى المعونة لكم فاستلنتم عريكته حين منحكم محبته آمنا جراتكم وعدوانكم ، فرأكم بعين الحق اخوانا ورايتموه بعين الباطل شيطانا فى اعقاب سيرة عمر بن الخطاب الذى رايتموه فظا وعددتموه غليظا ، اخذكم بالشدة وتعونكم بالضرب، وكان والله أعلم بادابكم ومصالحكم ، (فلله هو) كان قد نظر فى ضماتركم وعرف اعلانكم وسرائركم• فحين فقدتم سطوته وامنتم بطشه ورايتم ان الطرق قد انشعبت لكم والسبل قد اتصلت بكم ظننتم ان الله يصلح عمل المفسدين • فعدوتم عدوة الاعداء وشددتم شدة السفهاء على التقى النقى الخفيف بكتاب الله لسانا ، الثقيل عند الله ميزانا ، فسفكتم دمه ، وانتهكتم حرمه واستحللتم منه الحرم الاربع ، حرمة الاسلام وحرمة الخلافة وحرمة الشهر الحرام ، وحرمة البلد الحرام • فليعلمن الذين سعوا فى امره ودبوا فى قتله ومنعونا عن دفنه : ان بئس للظالمين بدلا ، وانهم شر مكانا واضعف جندا ، لتتعبدنكم الشبهات ولتتفرقن بكم الطرقات ولتذكرن بعدها عثمان ولا عثمان •

عيون الباطل وأهله

ثم قالت : انكم فى فتنة عمياء صماء ، ممتدة الحيران شوهاء الميان فى لبس من الامر لهوات الشر

فاغرة ، وآيات التقوى كاشرة ، وعيون الباطل خزر ، واهله شزر • نكرتم امر عثمان وبشمتم الدغة لتنكرن غير ذلك في غيره حين لا ينفعكم عقاب، ولا يسمع منكم استعتاب ثم اقبلت بوجهها على قبر النبي فقالت : -

أيا قبر النبي وصاحبيه
عذيري ان شكوت ضياع ثوبي
فأني لا سبيل فتنفعوني
ولا أيديكم في منع حوبي

ثم انصرفت وهي تبكي وتردد انا لله وانا اليه راجعون » •

هذا بعض ما جاء في خطبة نائلة في مسجد رسول الله (ص) بعد مقتل عثمان •

ولم تتوقف نائلة بعد ذلك عن العمل السياسي في هذا المجال ، فكتبت الى معاوية بن ابي سفيان تصف دخول القوم على عثمان ، وارسلت بقميصه مضرجا بالدم ممزقا ، وبالخصلة التي نتفها محمد ابن ابي بكر من لحيته ، وباصبعين من اصابعها المقطوعة مع شيء من الكف ، ثم دعت « النعمان بن بشير الانصاري » فسلمته ذلك وبعثت به الى معاوية•

اما نص الكتاب ، فقد كان آية في الفصاحة والبلاغة ، ودليلا على العمق السياسي وقوة التصوير ، يحلل الحوادث ، ويقترح الحلول ، ويشخص الاخطاء ،فكان بحق من التقارير السياسية النادرة في التاريخ •

ولقد كان لهذا الكتاب اثر كبير في الحوادث التي تلت ذلك ، فلقد قرأه معاوية على الناس في المسجد ، فحلف رجال من اهل الشام أن لا يطأوا النساء حتى يقتلوا قتلة عثمان او تذهب ارواحهم ثم كان ما كان مما هو معروف •

ولقد بلغ من حسن وفائها لعثمان (رضي) مايلي :- كانت من أجمل نساء العرب ثغرا ، فكان يضرب المثل بحسن فمها واسنانها ،فلما قتل عثمان اخذت فهرا - اى حجرا صلدا - فدقت به اسنانها فسال الدم وتناثرت اسنانها على صدرها فبكى النسوة من حولها وقلن لها : ماذا صنعت بنفسك ؟ فقالت : اني رايت الحزن يبلى كما يبلى الثوب ، وأني خفت أن يبلى حزني على عثمان فيطلع مني رجل على ما اطلع عثمان ، وذلك ما لا يكون ، والله لا قعد مني رجل مقعد عثمان ابدا •

ولقد خطبها معاوية بعد ذلك فرفضت وقالت تخاطب نفسها :-

أبى الله الا أن تكوني غريبة
بيثرب لا تلقين أما ولا أبا

وهي تشير بذلك الى غربتها في المدينة حيث كان اهلها من بادية السماوة بالعراق ولزواجها من عثمان قصة طريفة تذكرها كتب التاريخ •

في مواجهة معاوية

وتشتد حركة الزمن ، وتسرع الاحداث بالاحداث، ويحتدم الصراع بين علي ومعاوية ويتعين على الناس تحديد المواقف والمواقع ، وينقسم انحياز المسلمين بين هذا وذاك : واذا بالوعي السياسي عند المرأة يبرز في اجلى صوره واصدق مواقفه ، وتبرز المرأة المسلمة خطها السياسي في ميدان الرأي بالمشاركة الفعالة في ميدان الحرب ، ويمتلىء جوف التاريخ بالعجيب المعجب من اخبار النساء المجاهدات « كالزرقاء بنت عدي » التي كانت تركب الجمل الاحمر وتقف بين الصفوف في معركة صفين تناصر الامام علي وتحث المقاتلين على الصبر وتقول « ايها الناس ، ان الحق كان يطلب ضالته فوجدها فصبرا معاشر المهاجرين على الغصص ، وامضوا الى القتال غير ناكسين ولا متشاكسين • »

ولقد استقدمها معاوية بعد ان استتبت له الامور فقال لها : يازرقاء لقد شركت عليا في كل دم سفكه •

فارادت منعه من الاسترسال في ذلك فقالت له مؤنبة : « يا امير المؤمنين مثلك من بشر بخير وسر جليسه » فسكت عنها •

ودخلت « عكرشة بنت الاطرش » على معاوية بعد توليه الخلافة فدار بينه وبينها هذا الحوار الذي يدل على قوة شخصيتها وشدة شجاعتها وعمق ثباتها على رأيها•وهي صفات يفتقر اليها السياسي اليوم ولا يصلح أمره بدونها •

قالت : السلام عليكم يا امير المؤمنين •

قال : الان صرت عندك أمير المؤمنين ؟

قالت : نعم اذ لا عليٌّ حي •

قال : اولست المتقلدة حمائل السيف وانت واقفة بين الصفين بصفين تحرضين الناس عليَّ ، والله لقد كدت يومئذ لتفلين جيش الشام لولا قدر الله ، فما الذي حملك على ذلك ؟

قالت : ياأمير المؤمنين ، ان الله سبحانه يقول « يا ايها الذين آمنوا لا تسالوا عن اشياء ان تبد

لكم تسؤكم » وان اللبيب اذا كره شيئا كره اعادته •

قال :صدقت ، وسكت عنها •

فلقد بلغ تاثير هذه المرأة السياسي ان اوشكت ان تثني اهل الشام عن رأيهم ، وتدفعهم الى التخلي عن نصرة معاوية لولا قدر الله كما يعترف معاوية بذلك • وهذه مهمة ليستبالسهلة ، فعندما يصل السياسي الى حد تغيير الاتجاهات في مثل هذه المواقف الحرجة ، والساعات الحاسمة ، فلأنه يتمتع بقدرات عالية ، وكفاءة ممتازة ، وشجاعة نادرة • وهذا ما كانت تتمتع به عكرشة بنت الاطرش حين اوشكت ان تحقق ذلك لولا تدخل القدر كما يقول معاوية •

وما قامت بـه عكرشـة يذكرنا بما قامت بـه « سودة بنت عمارة بن الاشتر » التي وفدت على معاوية بعد مقتل علي ، فكانت بينهما المحاورة التالية ، التي اظهرت ملامح الوعي السياسي لهذه المرأة المتميز بالجرأة الشديدة ، والثبات على الرأي •

قال : كيف انت يا ابنة الاشتر ؟

قالت : بخير يا امير المؤمنين •

قال : الست القائلة لاخيك

شمر كفعل أبيك يا ابن عمـارة
يوم الطعـان وملتقى الابـدان
وانصر عليا والحسـين ورهطه
واضمر لهنـد وابنها بهـوان

قالت : يا امير المؤمنين ، قطع الراس وبتر الذنب ، فدع عنك تذكار ما قد نسي •

قال : هيهات ليس لمقام اخيك نسي •

قالت : صدقت والله ما كان اخي خفي المقام ولا ذليل المكان ، ولكنه كان كما قالت الخنساء :

وان صخرا لتـأتم الهـداة بـه
كأنـه علـم فـي رأسـه نـار

وبالله اسالك يا امير المؤمنين الا اعفيتني مما استعفيت ، فسكت عنها •

المفاوض العنيد

ولقد كانت سودة بنت عمارة ثاقبة الرأي في السياسة ، ونافذة البصيرة في الزعامة ، تمثل قومها في الخطوب ، وتنوب عنهم في المحافل • على الرغم مما عرف عن قومها « بني همدان » من نبل في السلوك ، وباس عند اللقاء ، وكلمةعشية التدبير ، حتى بلغت مكانتهم عند علي بن ابي طالب ان قال فيهم :

ولو كنت بوابـا على باب جنـة
لقلت لهمـدان ادخلـوا بسـلام

ولقد نابت عن قومها في رفع الشكوى الىمعاوية عما لحق بهم من ظلم عماله عليهم ، فكانت بينهما المناوشة الكلامية التالية التي اظهرت ما لهذهالمرأة من بلاغة في القول ، ورباطة في الجاش ، واصرار على الحق ، يعزز ذلك ادراك كامل للهدف ، ومعرفة بالحدود والاحكام •

قالت : يا امير المؤمنين ، انت اليوم للناس سيد ، ولامورهم مقلد ، والله سائلك عما افترض عليك من حقوقنا ، ولا تزال تقدم علينا من ينهض بعزك ويبسط سلطانك ، فيحصدنا حصد السنبل، ويدوسنـا دياس البقـر ، ويسـالنا الخسيسة ، ويسومنا الجليلة ، وهذا « ابن ارطاة » قدم بلادي فقتل رجالي واخذ مالي ، ولولا الطاعة لكان فينا عز ومنعة ، فاما عزلته فشكرناك واما لا فعرفناك•

فغضب معاوية من جراتها عليه وتهديدها له ، وقال : ويحك اياي تهددينني بقومك ، والله لقد هممت ان اردك اليه على قتب اشرس حتى ينفذ فيك حكمه ، ثم سكت •

وسادت بينهما برهـة مـن الصمت المتوتـر ، قطعتها سودة حين اخذت تتمثل بابيات من الشعر فتقول :

صلى الالـه على روح تضمنه
قبر فأصبح فيه العدل مدفونا

فقال معاوية : ومن ذاك ؟

قالت : علي بن ابي طالب •

قال : ولكني لا ارى عليك منه اثرا •

قالت : « بلى والله ، اتيته في رجل كان قد ولاه صدقاتنا ، فكان بيننا وبينه ما بين الغث والسمين ، فوجدته قائما يصلي، فانفتل عنالصلاة، وقال برقـة وتلطف : الك حاجـة ؟ فاخبرته خبر الرجل ، فبكى ، ثم رفع يديه الى السماء ، وقال: اللهم اني لم آمرهم بظلم خلقك ولا بترك حقك ، ثم اخرج من جيبه قطعة من جراب ، فكتب عليها : « بسم الله الرحمنالرحيم ، ولا تبخسوا الناس أشياءهم ، ولا تعثـوا في الارض مفسـدين • اذا جاءك كتابي هذا فاحتفظ بما بين يديك حتى ياتي من يقبضه منك والسلام • » فعزله •

فقال معاوية : اقضوا لها حاجتها •

فقالت : الي خاصة أم لقومي عامة ؟

فقال : وما انت وغيرك ؟

فقالت : اذن هي والله الفحشاء واللؤم ، ان يكن عدلا فليكن شاملا ، والا يسعني ما يسع قومي .

فقالت « هيهات لمظلم ابن ابي طالب الجراة ، الضوا لها ولقومها حوائجهم» .

واذا كان لا بد لي من كلمات قليلة اعقب بها على موقف هذه المراة ، فاني لا أزيد على القول : بانها تتمتع بكل ما يجب ان يتمتع به المفاوض السياسي من قوة الحجة على الدعوى ، وعمق الاحساس بالقضية ، وطول النفس مع الخصم ، مع قدر كاف من حسن التعبير ، ودقة التصوير ، وتكرار المحاولة حتى يصل الى ما يريد .

ومن الملامح الاساسية للوعي السياسي عند المراة في صدر الاسلام هو ذلك الصمود الذى لا تفلله الغلبة ، ونوع من الثبات الذى لا تزعزعه الهزيمة ، ورصيد من صبر لا ينفد عند استبطاء النصر .

وبتلك الملامح للوعي السياسي للمراةفي صدر الاسلام تتهاوى تلك النظرية التي يؤمن بها علماء السياسة اليوم ، والتي تقول : ان المراة لا تصبر على النضال ولا تصمد له اذا تاخر النصر .

آمنة في السجن

ونستشهد لذلك بالموقف السياسي البطولي الذى وقفته آمنة بنت عمرو بن الشريد « فبعد ان قتل علي أرسل معاوية في طلب زوجها « عمر بن الحمق الخزاعي » الذى كان من المناصرين لعلي فيحربه. غير ان عمر استطاع ان يزوغ منه ، فارسل معاوية في طلب زوجته آمنة فحبسها في سجن دمشق سنتين ، أملا في ان تنهار وترسل في طلب زوجها ، غير انها كانت اشد صلابة مما كان يظن .

ثم ان عبد الرحمن بن الحكم ظفر بعمر زوجها فقتله ، وبعث براسه الى معاوية ، وهو اول راس حمل في الاسلام ، فلما اتى الرسول معاويةبالراس بعث به الى زوجته آمنة في السجن ،وقاللحرسي *اطرح الراس في حجرها ، ثم احفظ ما تتكلم به حتى تؤديه الي ، ففعل هذا ، فارتاعت له ساعة ، ثم وضعت يدها على راسها وقالت : واحزناه* لصغره في دار هوان وضيق ، نفيتموه عني طو واهديتموه اليقتيلا ، فاهلا وسهلا بمن كنت له قالية ، وانا له اليوم غير ناسية ، ارجع به ايه الرسول الى معاوية ، فقل له ـ ولا تطوه دونه ايم الله ولدك ، واوحش منك اهلك ، ولا غ ذنبك .

فرجع الرسول الى معاوية فاخبره بما قالت فارسل اليها ، فاتته وعنده نفر من الناس ، فق لها : اانت يا عدوة الله صاحبةالكلام الذىبلغنم قالت : نعم غير نازعة عنه ، ولا معتذرة منه ، و منكرة له . فاعرض عنها معاوية ، ثم قال لها اذهبي عني ثم لا اسمع بك في شيء من الشام ثم اشار اليها ببنانه : ان اخرجي .

فخرجت وهي تقول : واعجبي لمعاوية ، يكف عن لسانه ، ويشير الي بالخروج ببنانه . أما والل لاعارضنه بكلام مؤيد شديد ، اوجع من نواف الحديد ، او ما انا بابنة الشريد .

فخرجت وتلقاها الاسود الهلالي ، وكان رجـ أصلع اسلع ، فسمعها وهي تقول ما قالت .فقال لمن تعنى هذه ؟ الامير المؤمنين تعنى .. عليه لعنة الله ؟

فالتفتت اليه ، فلما راته قالت : خزيا لل وجدعا ، اتلعنني واللعنة بين جنبيك ، وما بـ قرنيك الى قدميك . اخسا يا هامة الصعل ووج الجعل ، اذل الله بك نصيرا ، واقل بك ظهيرا

فبهت الهلالي وهو ينظر اليها ، ثم سال عنه فاخبر ، فاقبل اليها معتذرا .

فقالت : قبلت عذرك ، وان تعد اعد ، ثم ا استقيل ولا اراقب فيك . ثم ان معاوية سخر م الهلالي لتغاذله امام هذه المراة ، فقال له الهلالي اني والله يا امير المؤمنين لم اكن ارى شيئا م النساء يبلغ من معاضيل الكلام ما بلغته هذهالمراة جالستها ، فاذا هي تحمل قلبا شديدا . ولسا حديدا ، وجوابا عتيدا ، وهالتني رعبا واوسعتني سبا .

فخرجت آمنة تريد الجزيرة ، فمرت بحمص فقتلها الطاعون .

أبو ظبي ـ د . أحمد عبيد الكبي

رئيس قسم الدراسات الاسلامية بجا الامارات العربية

كيف تطول الحياة؟
وكيف تنتهي؟
هذا هو السؤال!

بقلم : عبدالوهاب احمد الافندى

● وضعت القلم جانبا وغبت فى التحديق فى جليسى ، تمثالا من الدهشة .

كان الشاب الذى اقتحم على مكتبى فى الصحيفة يتحدث بهدوء ،كمالو الامر يتعلق بامكانية وجود الحياة على المريخ .

اوقفته .

ـ هل تقول انك تقتل الناس بالموسيقى؟ !

ـ انا لم اقل ذلك . فقط اخبرتك ان هذا ممكن .

حسنا لنتوقف قليلا .اعد على شرح وجهة نظرك منذ البداية .

« كما قلت لك ـ ان الاعمار هى اولا واخيرا شعور داخلى . حياتك هى ما تحس انك عشته. وللموسيقى المقدرة على تشكيل هذا الشعور. من الممكن ان تسمع لحنا لمدة عشردقائق،ولكنك تحس بانه استمر لعشر سنوات . وبعبارة اخرى يمكنك ان تكثف حياة عشرة اعوام فى عشر دقائق،شعوريا. فلو كان مستمعك فى الاربعين ،وكان من المفروض ان تنتهى حياته فى الخمسين ، فان استماعه لهذا اللحن سيجعل حياته تنتهى فور انتهاء اللحن، اذ انه سيكون بلغ الخمسين عندها ! »

استمر الحوار وقتا ليس بالقصير . وبالطبع لم انشر منه شيئا ، واختفى الشاب

بعد عامين التقيته . عرفنى على الفور . وعادت الى ذهنى مسالة الحياة والموت . لم نتحدث كثيرا . مر عامان آخران . ثم عدت الى لقاء صديقى . هذه المرة سالته :«هل مازلت تذكر ماقلت لى عن الموسيقى والموت ؟ »

اجاب :« نعم . وقد استعنت بباحثين فى علم الموسيقى ايدت آراؤهم وجهة نظرى .»

لا ادرى لماذا اصبحت افكر كثيرا بهذه المسالة. (لقد حدثنى صديقى ايضا عن مقدرة بعض اصدقائه على التاثير النفسى بدون اتصال مباشر على الاحياء والاموات معا !)

★ ★ ★

لقد حيرت مسالة الزمن اذهان الفلاسفة زمنا طويلا حتى حسمها اينشتين لصالح صديقى سالف الذكر .

لقد اثبتت النسبية اثباتا قاطعا خرافية الزمن العام . فالزمن بالنسبة لاى مكان او حادثة

مختلف عن زمان جميع ما عداها . فقط هناك اسباب عملية تجعل من الممكن اعتبار الزمن بالنسبة للاشياء التي تتحرك بسرعة لها تقارب سرعة الضوء عاما .

على ان هذا لا يمنع كون تقديراتنا لاعمار الكائنات الاخرى غير دقيق . قد نحس بان شخصا ما عاش مائة من السنين ،في حين انه يكون،عاش منها الافا او عشرا ، خاصة وان مانعرفه عن العمليات العضوية والسيكولوجية لا يمنع،امكانية مثل هذه العادلة ، اذ ان معلوماتنا عن طبيعة ادراك الزمن وعلاقة ذلك بالعمليات الحيوية ما زالت في طفولتها .

هناك نقطة اخرى . فقد اثبتت تجارب كثيرة ان طول الفترة التي يعيشها الكائن العضوى متصلة اتصالا وثيقا بما يصرفه من طاقة خلال هذه الفترة .

من ذلك انه امكن اطالة عمر الفئران بقصر طعامها على المأكولات التي تجعلها تصرف اقل قدر من الطاقة . وقد ثبت ايضا ان الكائنات التي تذهب في حالة بيات شتوى او يومى تعيش اكثر من الكائنات المماثلة لها وزنا ، وهــــذه تخفض منصرفاتها من الطاقة في نومتها الشتوية الى عشرة بالمائة فقط من منصرفاتها العادية .

★ ★ ★

على الرغم من كثرة الحديث عن المعمرين ، فان اطول البشر عمرا في السجلات حتى الان، هو المدعو «بيير جوبير » المولود في ١٥ يوليو عام ١٧٠١ م والمتوفى في ١٦ نوفمبر من عام ١٨١٤ عن مائة وثلاثة عشر عاما و ١٢٤ يوما .

وهناك ايضا حالة الاسكندنافي « كريستيان جاكوبسن دراكنبيرج» المولود في ١٨ نوفمبر من عام ١٦٢٦ والمتوفى في ٩ اكتوبر عام ١٧٧٢ عن مائة وخمسة واربعين عاما و ٣٢٥ يوما .

ولكن العادلة الاخيرة مشكوك في صحتها ،ويزيد هذا الشك كون الفرق بينها واكبر عمر مؤكد يقارب الثلاثين عاما .

ومثل هذا القول ينسحب على مزاعم المعمرين التي لاتدعمها اى سجلات وعليه فقد قدرالمختصون ان اقصى عمر للنوع البشرى يجب الا يقل عن ١١٤ عاما .

العوامل التي تحكم اقصى عمر للكائن الحى هى في الاساس وراثية .

الوراثة تحدد العادات التكاثرية للكائن ، وهذه بدورها تحكم طول حياته .

وقد وجد ان نهاية حياة معظم الكائنات الحية، اشبه بعملية مبرمجة على اساس عاداتهاالتكاثرية وتتحكم في ذلك الانزيمات .

وينسحب هذا على كل الكائنات من« ذبابةمايو» التي لاتتعدى حياتها اليوم الواحد ، الى تلك الاشجار الضخمة في كاليفورنيا التي يحسبعمرها بآلاف السنين. (اكبر شجرة قطعت حتى الان عمرها ستة آلاف سنة !)

ونوضح ذلك بمثال نوعين من الحشرات ، او فئتين منها .

هنالك الحشرات التي لا تملك دفاعا عــن نفسها ضد الكائنات التي تتغذى عليها ، وهــذه نجدها تموت بعد الانجاب مباشرة ، وتكون فـي الغالب خافية يصعب تمييزها من بيئتها .وتتحكم في انهاء حياتها الانزيمات التــي تجعلها تطـير كثيرا ،وبالتالى تصرف كثيرا من الطاقة وتموت بسرعة .

ومن ناحية اخرى نجد الحشرات السامة تكون براقة ليسهل تمييزها وتموت متاخرة بعدالانجاب وذلك حتى يعرفها اعداؤها فيتجنبوها .وهى تطيل حياتها بواسطة انزيمات تجعلها تطير اقل وتقلل منصرفاتها من الطاقة .

وفي عالم النباتات نجد النباتات الحوليةكالقمح تقضى نحبها بعد الاثمار مباشرة ،في حين ان السنديان وغيره من الاشجار الضخمة تطول اعمارها آلافا ، وهى لاتبدأ في الاثمار الا بعد ثلاثين او اربعين سنة من نموها .

والكائنات عموما تنقسم قسمين ،تلك التــي تنجب مرة واحدة في العمر ، مثل الحشرات ، والنباتات الحولية وثنائية الحول ، وهذه تموت بعد الانجاب ، وفور اتمامه في الغالب .

ثم تلك التي تنجب في العمر اكثر من مرة ،خلال فترة خصوبة تغطى معظم عمرها ، ومن الاخيرة الانسان .

وقـــد وجـد الباحثون ان عمر النـــوع من ذوات الثدى ، اى اقصى ما يمكن ان يعيشه الكائن من ذلك النوع يمكن حسابه بالمعادلـة التالية :

$$ع = ٥ر٥ \times د^{٥٤ر} \times ج^{-٣٤ر} \times ك^{-٤٢ر}$$

حيث ع = اقصى عمر للكائن (بالشهور)

د = وزن الدماغ بالجرامات

ج = وزن الجسم بالجرامات

ك = النشاط الكيماوى بالسعر الحرارى لكـل جرام فى الساعة •

ويلاحظ ان العمريتناسب طرديا مع وزن الدماغ، وعكسيا مع وزن الجسم والنشاط الكيماوى فـى الجسم •

ومع ذلك فـان بعض الـكائنات الضخمـة الاجسام تعيش اطول بكثير من اخرى صغيرةالجسم، وقد عزى ذلك الى زيادة فى وزن ادمغتها علـى الاخيرة •

وقد اوضحنا فيما سبق اهمية النشاط الكيماوى فى تحديد طول الحياة •

وفى الانسان نجد ان متوسط منصرفاته مـــن الطاقة تعادل حوالى (٠٠٠/٢٠٠ر١ سعر لكـل جرام من وزن انسجة الجسم خلال كل فترةالحياة، مقابل (٠٠٠/٤٠٠) سعر للجرام طوال فترة حياة الحيوانات الاليفة (القطط والكلاب) •

ومـع ذلك يصعب تحديد فترة اقـصى لحيـاة الانسان ، وذلك لان الوراثة التى تحكم هـــذه الحقيقة تطغى عليها عناصر كثـيرة اجتماعيـة واقتصادية تقلل من اهميتها •

وقد ثبت من تجارب اجريت على الفئران ان نسبة تاثير الوراثة على الاعمار تتراوح بين ٢٠٪ للذكور ، و٣٠ ٪ للاناث ، وهى نسبة مقاربـــه لوراثة بعض الصفات البيولوجية الاخرى ،مثل انتاج البيض فى الدواجن ، واللبن فى الماشية•

وبالطبع فاناجراء مثل هذه التجارب علىالبشر غاية فى الصعوبة للعوامل التى ذكرنا • الا ان الدراسات التى تجريها شركات التامين علـى الحياة ، قد لفتت النظر الى ان المؤمن الـذى يكون كلا والديه احياء يعيش اطول من الذى يكون قد فقد احدهما او كلاهما • وهذه اشارة واضحة الى تاثير الوراثة •

الا ان فترة الحياة لا تكون فى الغالب معتمدة على العوامل الداخلية فقط ، بل هناك ثـلاثة عوامل رئيسية تحكمها هى اولا الحوادث ـ وهذا عامل رئيسى فى انهاء حياة معظم الحيوانات علـى الطبيعة ، اذ انها تتعرض للافتراس ، ويندر ان تقضى اى منهما كل فترة حياتـها الطبيـعية • والانسان عامل مهم فى هذا الجانب ، اذ انــه يقضى على كثير من الكائنات كالاسماك ، ولا يدع الا القليل منها لتعيش عمرها •

ثم هناك التكيف على البيئة ، وهذا يتحكم فى حياة معظم الكائنات فى طفولتها ونموها ، اذ يتحتم على الحيوانات ان تتكيف على البيئة والمناخ ، وهذا يودى بكلما يعجز منها عن التكيف• ومن الامثلة الصارخة على ذلك سمك «الماكاريل» فى المحيط الاطلنطى ، والذى تبلغ نسبة الوفاة بين افراده ٩٩٩٦ر٩٩٪ فى التسعين يوما الاولى مـن حياته ! هناك ايضا الضفادع التىتمربفترةتحولات كثيـرة • مـن البيضة الى حيـوان مائى ، ثـم برمائى ، وفى كل فترة تحول يزيد تعرضها للموت بسبب العجز عن التكيف على التحول •

واخيرا هناك الموت « بالاستهلاك » وهو موت الحيوانات فى الاسر والتى لا تتعرض الـــى حوادث او لتكيف • وهذه تموت ببساطة كما تموت الالات ، اى انها تستهلك وتشيخ •

وقليل جدا من الانواع تعتمد حياتها علىعامل واحد ، بل على الثلاثة مجتمعة ، ولكن بعضا منها يكون مسيطرا عليه احدها •

★ ★ ★

ومن الاحياء ما يرى العلماء انه عمليا خالد • من ذلك بعض الحيوانات وحيدة الخلية التـــى تتكاثر بالانقسام فان المستعمرات التى تنشئها هذه الكائنات لا تشيخ ابدا ، ولا تموت ، بل يمكن ان تستمر فى الانقســـام الى ما لا نهاية•

وقد وجد ان هذه الخاصية قد توجد فى الانسجة الماخوذة من كائنات كالانسان ، ومزروعة صناعيا• الا ان هذه الظاهرة اعتبرت كنتيجة لخلل ، هو فقدان العوامل المتحكمة فى الانقسام • وعليه فان المرجع اعتبار انسجة هذه الكنئنات قابلة للانقسام

فقط لحد معين • وزاد الترجيح ان قابليـــة الانسجـة للانقسام تقل بزيـادة عمـر الشخص الماخوذة منه •

الانقسام غير المتناهى هو ايضا من خواص الخلايا السرطانية •

بعض الزواحف ايضا قابلة للخلود • ذلك انه وجد انها تستطيع النمو بدون حدود اذا ما تركت وشانها •

الاشجار ايضا تستطيع ان تعيش طويلا ، ذلك ان الخلايـا الجنينيـة ، تلك القابلة للانقسـام والتخصص تظل نشيطة الى نهاية عمرها ، فى حين انها تفتقد فى الحيوانات فى وقت مبكر من نموها•

★ ★ ★

الى اى حد ياترى يمكن التحكم فى العوامل التى تحدد طول العمر الاقصى ؟

اسلفنا ذكر التجارب على غذاء الفئران •

هناك من وجد ان بعض العقاقير التى تقوى الاغشية قد اطالت اعمار ذبابة الفاكهة • وذلك ان الاغشية تقوم بعزل العمليات الكيميائية المتضادة فى الجسم ، كما تحمى بعض انسجة الجسم من بعض المواد الكيميائية القادرة على التهامها ، والموجودة فى الخلايا •

وقد كان من راى البعض ان الموت سببه انطلاق هذه الكيماويات وسقوط الحواجز المتمثلة فـى الاغشية •

وراى اخرون ان خطا فـى تركيب حـامض الـ (D. N. A.) الهام يؤدى الى الموت •

وقال غيرهم : ان طول العمر يعتمد على مادة فى الجسم يزيد استهلاكها كل ما زادت الحرارة• وكان من نتيجة البحث فى هذا الصدد ، ان اكتشف كون استهلاك الطاقة يكون ادنى ما يكون عند درجة حرارة متوسطة فى النطاق الذى اعتادت عليـه وتكيفت •

وقال اخرون : ينتهى العمر بسبب افسـاد الحرارة للبروتينات •

وعلى الرغم من عدم آى استحالة نظرية لان يعمر انسان ما عمر نوح ، او يعيش الى الابد ، فان هذا الامر ما زال حلما بعيد المنال ، ومازالت الاعمار تنقضى ، سواء اكان ذلك بالموسيقى ، بـالقنابل ، او بالشيخوخة ، ومـا زال الناس قادرين على انهاء الحياة فى اى وقت شاءوا ،دون مقدرة منهم على اطالتها ، وربما لانهم لم يلتفتوا الى الامر الثانى الا مؤخرا ! ■■

الخرطوم ـ عبدالوهاب احمد الافندى

الاستاذ بجامعة الخرطوم

ضغط دم عائلى !

✻ قام طبيب بفحص أحد المرضى ووجد عنده ضغط دم عاليا ، ولما سأله عن السبب قال انه يعودلعامل وراثى عائلى • فاستوضـح الطبيب عما اذا كان هذا العامل الوراثى من جهـة الام أو من جهـة الاب • فرد المريض قائلا كلا ، انه من جهة عائلة زوجتى ، فاستغرب الطبيب لهذا الرد وقال له كيف يمكن أن تصاب بضغط دم عـال من جانب عائلة زوجتك فأجاب المريض « ينبغى عليك يا دكتور أن تجتمع بالعائلة لبعض الوقت لتعرف الحقيقة بنفسك » !

كلام فى العدل

بقلم : فهمى هويدى

حقا ، هذا المال لمن ؟ ..

ان اى حديث عن العدل الاجتماعى ـ والعدل عماد التشريع كما قلنا ـ قد يخطىء الهدف ويتفرع الى غير ما حدود ، اذا لم نمسك بالخيط الاساسى فى الموضوع . أعنى، اذا لم نعرف على وجه الدقة ، لمن هذا المال الذى به ينضبط ميزان العدل او يختل .

فى المعسكر الرأسمالى تتمثل اجابة السؤال فى ملكية الافراد والمؤسسات والشركات التى نما اخطبوطها وتضخم ، حتى صار عابر القارات والمحيطات . وفى المعسكر الاشتراكى تتمثل الاجابة فى ملكية الدولة لوسائل الانتاج كما تقول الصياغات ، او ملكية الحزب كما يقول الواقع .

اين الاسلام من هذا وذاك ؟

هنا يطرح الاسلام صيغة جديدة وفكرة مختلفة تماما ، هو مال الله سبحانه وترجمتها فى الفكر الاسلامى وتطبيقات الذين فهموا الدين على وجهه الصحيح . أنه مال كل المسلمين ، بل مال كل الذين يعيشون فى « دار الاسلام » ويستظلون برايته . مسلمين وغير مسلمين . ورغم أنه يعترف بالملكية الفردية ويصونها ، لكنه يعتبرها ملكية انتفاع وتصرف ، ومعلقة على شرط !

وهذه الصيغة جزء من تصور اسلامى عام . ورؤية شاملة للكون والحياة . بل هى نتيجة لبناء فكرى وعقيدى ، رصت لبناته فى اعماق المسلم واحدة فوق واحدة ، حتى بلغت هذا المدى السامق .

هو مال الله وحده . ليس مال احد من البشر . وان تفاوتت بينهم قسمة الارزاق . ليس مال مؤسسة اقتصادية او سياسية ، اياكان حجمها ، او دعواها فى الانابة عن الناس وتمثيل طبقاتها العاملة .

وكما ان التوحيد فى العقيدة يعنى نزع سلطان البشر من على البشر . الا فى حدود طاعة الله . فان فكرة « مال الله » تعنى نزع ملكية البشر لاقوات البشر وارزاقهم .

ولانه كذلك ، مال الله ، فلكل مسلم فيه حق اصيل ، ينبغى ان ينتزعه بغير تردد اذا اقتضى الامر ، وان مات دون ذلك فهو شهيد . واذا جاع المسلم ترتج الارض والسماء ، وتحل اللعنة بالقادرين . بينما الفقر قرين الكفر ، والترف جريمة تدمر المؤمنين والذين حولهم .

★ ★ ★

هنا ينبغى أن نتمهل ، ان نقف امام النصوص التى تعزز هذه الرؤية ، ونقرأها بامعان شديد . لنتابع مراحل اقامة البناء ، لبنة لبنة .

* ذلك ان « لله ملك السموات والارض ـ الشورى ٤٩ » ـ و ـ « لله ما فى السموات وما فى الارض البقرة ٢٨٤ » .

كل ما فى السماوات والارض ملك لله لا ينازعه فيه احد . « وليست لهذه الملكية نتائج حقوقيـة ، وانمـا هـى لتحقيق غرضين اساسيين : الاول نفى الغرور عن قلوب الناس حين يحوزون الاموال ويسعون وراء الثروة فاذا تذكر المؤمن ان الله وحده هو مالك الملك . تواضعت نفسه وقل غروره ـ والثانى ان يلزم الناس بالتقيد بقوانين الشريعة فى التملك ، طبقا لما يريده صاحب الملك ، وهو الله عزوجـــل » * .

* وهـذا الكـون الكبير سخر لمصلحـة الانسان وسعادته وخدمته ..

« وسخر لكـم الفلك لتجـرى فى البحر بامـره . وسخر لكـم الانهار . وسخـر لكـم الشمس والقمر دائبين . وسخر لكم الليل والنهار ـ ابراهيم ٣٢ و ٣٣ » .

« الم تروا ان الله سخر لكم ما فى السماوات وما فى الارض ، واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ـ لقمان ٢٠ »

وذلك يعنى : انه ليس فى الكون شىء يصعب على الانسان تناوله ، اذا اعمل عقله وعلمه . وما عليه بعد ان ذلل له الكون الان يجتهد فى الانتفاع منه واستثمار خيراته.

* ثم ان الناس جميعا متساوون امام الله ..

« يا ايها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة ـ النساء ١ »

« يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا . ان اكرمكم عند الله اتقاكم ـ الحجرات ١٣ »

« يا ايها الناس : ان ربكم واحد ، وان اباكم واحد ، كلكم لادم وآدم من تـراب ـ حديث رواه البزار » .

هنا يتوجه الخطاب للناس ، للانسان ، وليس للمسلمين وحدهم ، ولا لقريش او العرب وحدهم . وليس لاحد ان يدعى حقا لنفسه اكثر من غيره . بعملـه الخير يتميز فى الدنيـا ، وبتقواه يتميز فى الاخرة . وهؤلاء هم الفائزون: « ان الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم اجر غير ممنون ـ فصلت ٨ » « ومن احسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا » ـ فصلت ٣٣.

هذه مرحلة « التاسيس » فى البناء اذا صح التعبير ، او مجموعة القواعد الاساسية التى تنبنى عليهـا المـواقف والسياسات فى الاتجاهات المختلفة ، فى قضايا المال والحكم والسلوك الاجتماعى .

لكن وقفتنا ستظل عند المال ، عصب القضية الاجتماعية ومحورها .

★ ★ ★

* هو مال الله . النصوص امامنا تؤكد ذلك .

« وآتوهم من مال الله الذى اتاكم ـ النور ٧ »

« امنوا بالله ورسوله ، وانفقوا ممـا جعلكم مستخلفين فيه ـ الحديد ٧ »

« قل لعبادى الذين امنوا يقيموا الصلاة ، وينفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية ـ ابراهيم ٣١ »

ليس لاحد ان يدعى ملكية مطلقة للمال . فهو مال الله . والبشر مستخلفون فيه . اى انهم فى ادارة المال خلفاء لا اصلاء . والجماعة هى التى تباشر شئون الاستخلاف هذه .

---

* الدكتور مصطفى السباعى ـ اشتراكيـة الاسلام .

وللتذكرة يضيف القرآن الكريم : « والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق ، فما الذين فضلوا برادى رزقهم على ما ملكت ايمانهم • فهم فيه سواء افبنعمة الله يجحدون ـ النحل ٧١ » •• اى ان ما يعطيه الذين فضلوا فى الرزق لغيرهم ، ليس ردا لقسط من مال اولئك الاغنياء الى هؤلاء الفقراء • كلا ، انما هو حق الفقراء فيما يعطون • ثم هذا السؤال الاستنكارى : افبنعمة الله يجحدون ؟ •• الذى يذكر بان هذا المال نعمة من الله سبحانه ، لا ملكهم الاصيل *

* هى اذن ملكية انتفاع وتصرف ، وليست ملكية مطلقة بغير قيود ولا شرط •اذ ان شرط استمرارها ان تنفق فيما هو خير • وفى كل اضافة ايجابية لتسهم فى سعادة الفرد والمجتمع• فاذا سقط الشرط سقط الحق ، وجاز للجماعة ان تتدخل لتعيد الامور الى نصابها • او تسترد هذا المال الذى ينفق على النقيض مما هو مخصص له والجماعة تمارس هذا الحق بمقتضى الخلافة الموكولة اليها : « ولا تؤتوا السفهاء اموالكم التى جعل الله لكم قياما ـ النساء ٥ » ـ (يؤيد هذا المبدا ان الامام هو وريث من لا وريث له باتفاق الفقهاء • على اعتبار ان مال الجماعة وظف فيه فرد ، فلما انقطع خلفه ، عاد الى مصدره)

وصيغة هذه الاية تنسجم تماما مع التصور الذى نحن بصدده • اذ ان اموال السفهاء مضافة فيها الى المجتمع « اموالكم » • كما انها تعتبر المجتمع قيما على هذه الاموال « التى جعل الله لكم » وفى ذلك تاكيد على ان الملكية الفردية فى التصور الاسلامى « وظيفة اجتماعية » بالدرجة الاولى •

* فى هذا الاطار ، فان للمسلم ان يستمتع بماله ، ويمارس كافة صور الانتفاع والتصرف ، ب « الطيبات من الرزق » ، كما يقول القرآن الكريم • و •• « كل ما شئت والبس ما شئت ، ما خطئتك اثنتان : سرف او مخيلة (اسراف او تعال وغرور) ـ رواه البخارى » • و •• « نعم المال الصالح للرجل الصالح ـ رواه البخارى » فقط ، ينبه القرآن الكريم الى محظور واحد هو : أن يحبس المال بين أيدى فئة قليلة (كى لا يكون دولة « حكرا » بين الاغنياء منكم ـ الحشر ٧) • ان يختل الميزان فيكون الاستمتاع « بالطيبات من الرزق » مقصورا على فريق دون فريق • ان يتمرغ البعض فى النعم ، ويعانى الآخرون من الفاقة •

هنا يحدث التصادم بين الواقع والتصور الاسلامى لقضيه المال من أساسه • ويصبح هذا الواقع منتميا الى اى شىء الا هذا التصور الاسلامى • فموقف كهذا يرفضه الاسلام وينكره ، ويعتبر حدوثه جريمة تنتهك قداسة العدل المقصود من الشريعة • (لاحظ اننا نتحدث عن حالة قد يختل فيها الميزان فقط ، ولم يصل الامر بفقراء المسلمين الى حد الجوع ، فتلك حالة اخرى لها حساب مختلف تماما) •

★ ★ ★

وحتى لا يختل الميزان ، فثمة « توجيه » اسلامى الى كل من يعنيه الامر من القادرين : « وانفقوا مما جعلناكم مستخلفين فيه ـ الحديد ٧ » • اى لا تحبسوا مال الله ولا تكدسوه • كيف ؟ « يسالونك ماذا ينفقون ؟ •• قل : العفو ـ البقرة ٢١٩ » • والعفو هو كل ما زاد عن الحاجة •

هنا يقرر القرآن مبدا غاية فى الاهمية : هو: خذ حاجتك وكفايتك من المال ، ثم ادفع بما يزيد الى سبل الخير والنماء • رده الى الله تعالى مرة اخرى •

يؤكد ذلك الحديث الشريف : « من كان معه فضل ظهر (دابة زائدة مثلا) فليعد به على

---

* العدالة الاجتماعية فى الاسلام ـ سيد قطب •

من لا ظهر له . ومن كان له فضل زاد فليعذبه به على من لا زاد له» ـ ويقول شهود العيان : ان رسول الله (ص) ذكر من اصناف المال ماذكر ،حتى رأينا انه لاحق لاحد منا فى الفضل » .

« وفى اموالهم حق معلوم للسائل والمحروم » .

وفى قول عمر بن الخطاب : لو استقبلت من امرى ما استدبرت . لاخذت فضول الاغنياء فرددتها على الفقراء

وفى قول على بن ابى طالب : ان الله فرض على الاغنياء فى اموالهم بقدر يكفى فقراءهم ، فان جاعوا او عروا وجهدوا ،فيمنع من الاغنياء .

وليست هذه دعوة للمغامرة .«فالتوجيه» يدعو ان يؤمن المسلم نفسه واسرته . بأن يحتجز نفقات او قوت عام . زيادة فى الاحتياط والامان .

وفى السيرة ان الرسول عليه السلام سن هذه السنة . وادخر لاهله قوت سنة .

وقد افتى الامام جعفر الصادق بانه لايحق للمسلم ان يدخر اكثر من قوت عام ، اذا كان فى الامة صاحب حاجة . وعندما طلب جرير الشاعر من الخليفة عمر بن العزيز هبة اعتاد خلفاء بنى امية منحها اياه ، كان رد الخليفه : اننى لا ارى لك فى مال الله حقا . ولكن انتظر حتى يخرج عطائى ،فانظر ما يكفى عيالى سنة منه . فادخره لهم . وان بقى فضل صرفناه لك .

وعند المالكية والحنابلة وفقهاء اخرين ان الزكاة التى تعطى لفقراء المسلمين ينبغى ان تغطى كفاية المسلم واسرته لمدة سنة كاملة .

★ ★ ★

ولنعترف ان تعبير « مال الله » ، يمكن ان يساء استخدامه ، كما اسىء استخدام تعبير خلافة الله ، وهذه كلمات الخليفة العباسى ابو جعفر المنصور . تجسد هذا الاستغلال فى اسوا صوره . فقد وقف امام جموع المسلمين يقول : انما انا سلطان الله فى ارضه . اسوسه بتوفيقه وتاييده . وحارسه على ماله . اعمل فيه بمشيئته وارادته ،واعطيه باذنه ! ! .

ذلك انه اذا مال الهوى . وصارت الدنيا هدفا . فليس ايسر من ان يزعم الزاعمون انهم يمثلون المشيئة الالهية ،وان لهم حقا فوق حقوق البشر .

اين هذا مما يقوله النبى عليه السلام :انى والله لا اعطى احدا ، ولا امنع احدا ، انما انا قاسم اضع حيث امرت : وهو ما استند اليه الامام ابن تيمية فى « السياسة الشرعية »، فى قوله انه ليس لولاة الاموال ان يقسموها بحسب اهوائهم ، كما يقسم المالك ملكه ..

وجاء عمر بن عبد العزيز مبعوث لاحد الولاة عندما هم بالنوم ، فاذن له واشعل شمعة غليظة «اجعب نارا » ، وظل يساله عن احوال المسلمين ،وعندما فرغ ، شرع المبعوث يساله عن احواله وشئون اسرته . وعندئذ اطفأ امير المؤمنين الشمعة ، ودعا بسراج لاتكاد فتيلته تضىء . فتعجب المبعوث ، وساله لماذا فعل ذلك .فكان رده : ان الشمعة التى رأيتنى اطفأتها انما هى من مال الله ومال المسلمين،وكنت اسالك عن حوائجهم وامرهم ، فكانت الشمعة تقد بين يدى فيما يصلحهم وهى لهم.فلما صرت لشانى وامر عيالى ونفسى ،اطفأت نار المسلمين .

هكذا استوعبوا فكرة «مال الله » وهكذا تعاملوا مع مال المسلمين ..

وهكذا امسكوا بمفاتيح العدل والمجد..

لكننا مازلنا فى بداية الطريق ، وامامنا الكثير مما ينبغى ان يقال .. ■■

هكذا كسر احتكار العقل البشري

بقلم الدكتور مصطفى جاموس

■ كل ما قيل حول هذا العلم الفتي قريب جدا من الحقيقة . ذلك ان العبقرية البشرية التي لا تعرف الحدود تمكنت بجهود خيرة أبنائها وعلمائها من حل مشكلات غاية في التعقيد في ميادين الالكترونيات والميكانيكا والتحكم في الانظمة التقنية وربطها ومقارنتها مع الانظمة البيولوجية لدى الكائن الحي . مما ادى في نهاية المطاف الى وضع نماذج لآلات ومعدات جديدة ومختلفة نوعيا عن سابقاتها امكن بواسطتها كسر احتكار المخ البشري لتنفيذ الوظائف المنطقية والسيكولوجية ومشاركته آليا بها ٠

ما هي السيبيرنية وكيف ظهرت ومتى اخترعت العقول الالكترونية وما هي اهم خصائصها ؟

ان كلمة سيبيرنية لفظ معرب عن معظم اللغات الاوربية فهي في الانكليزية (Cybernetics) وفي الروسية (Zubephetuka) وهي في الاصل مشتقة من الكلمة اليونانية (Kubernêtikè) وتعني فن ادارة سفينة او بلد ٠

ولقد استخدم افلاطون هذا اللفظ للدلالة على المعنى السابق . كما استخدمه الفيزيائي الشهير اندريه امبير في عام ١٨٣٤ للدلالة على التحكم في المجتمع البشري ، واما في الوقت الحاضر فقد اخذت هذه الكلمة مدلولا جديدا ٠

ان السيبيرنية كميدان علمي حديث ينفذ بجذوره الى اعماق التاريخ وهو محصلة جهود علماء من مختلف العصور والبلدان ، فلقد تبين انه حتى اليونانيين والمصريين القدماء وعلماء العصور الوسطى تنبهوا الى ضرورة ايجاد آلات تحل محل الانسان في تنفيذ الكثير من الاعمال الصعبة والمعقدة ، كما ان مؤلفي الروايات الخيالية طالما صوروا لنا مجتمعاتهم المثالية على انها كاملة الآلية ، وان دور الانسان يقتصر فيها على ضغط مجموعة من الازرار تتحكم بكل ما حوله ٠

ان القفزة الرئيسية فيتكوين هذا العلم الجديد تمت في النصف الاول من هذا القرن وذلك نتيجة دراسة عميقة وشاملة للتشابه بين عمليات التحكم في الانظمة التكنيكية والبيولوجية وللتقدم الكبير فيعلوم الرياضيات والالكترونيات والفيسيولوجيا٠

المرجع الاساسي

ويعتبر الرياضي الامريكي الشهير نوربيرت فينر (١٨٩٣ ـ ١٩٦٤) المعروف بابحاثه العديدة في مجالاتالتحليل الرياضي ونظريةالاحتمالات ابا لهذا العلم الجديد ، فقد وضع في سنة ١٩٤٨ كتابا اسماه « السيبيرنتيك » يعد مرجعا اساسيا في هذا الميدان ٠ اذ جمع فينر في كتابه هذا شتات العديد من افكار سابقيه ولخص ابحاث مجموعة من الم علماء عصره وارسى بذلك قواعد هذا العلم الوليد ٠

والسيبيرنية بذلك تعتبر علما لدراسة الآلات والاجسام الحية معا والتعرف علىخواصها المشتركة من حيث مقدرتها على استيعاب معلومات معينة وحفظها في الذاكرة وارسالها باقنية الاتصال وتحويلها الى اشارات للتحكم والقيادة ، وهو يهدف الى اختراع وانتشار تقنيات متطورة ومتخصصة بتدقيق وحفظ وارسال المعلومات مناجل المراقبة والتوجيه والارشاد والتحكم التام ٠

والسيبيرنية بمفهومها السابق تقوم على ثلاث ركائز رئيسية هي :

اولا ـ نظرية المعلومات التي تدرس مسائل ارسال المعلومات بقنوات الوصل المختلفة ومن ضمنها الجملة العصبية للكائنات الحية وكذلك تدقيق المعلومات الملتقطة في الضوابط ٠

ثانيا ـ نظريةالتحكم الآليوالضبط الاوتوماتيكي ونظريةالاتصال العكسي للآلات والاجسام الحية معا٠

ثالثا ـ نظرية الضوابط من حيث مقدرتها على تنفيد وظائف منطقية معينة، وتعتبر الحاسبات الالكترونية ابرز مثال على الضوابط التي يمكن مقارنة وظائفها مع وظائف الجملة العصبية في الاجسام الحية ٠ ما هي هذه الحواسب الالكترونية (العقل الالكتروني) وكيف ظهرت ؟

تترجم كلمة (Computer) الانكليزية بعدة مترادفات عربية هي الحاسب الالكتروني والعقل الالكتروني والمخ الالكتروني ٠٠ ولعل الكلمة الاولى (حاسب) هي اكثر تلك المترادفات صحة من الناحية اللفظية ، ذلك ان فعل (Compute) المشتقة منه الكلمة في اللغة الانكليزية يعني حسب واحصى ، وسنلتزم بهذه الترجمة لاحقا ٠

تقسم الحواسب الالكترونية بحسب طريقة عملها الى مجموعتين رئيسيتين :

الاولى ـ الحواسب التناظرية التي تعمل بطريقة مستمرة وتعتبر المسطرة الحاسبة مثالا كلاسيكيا وبدائيا لهذا النوع من الحواسب ، وهي تبين العلاقات الحسابية بواسطة حواصل طولية تدل على علاقات عددية معينة،تتميزهذه المجموعة منالحواسب بسرعتها الكبيرة في العمل الا ان عيبها الرئيسي يكمن في ان دقتها الحسابية محدودة كما انهـا متخصصة بمعنى انها ليست عمومية ٠

الثانية ـ الحواسب الرقمية العددية التي تعمل بطريقة غير متواصلة وتقوم بتنفيذ الاعمالالحسابية المختلفة عن طريق تحويل الاعداد المقدمة لها الى

مجموعة من النبضات الميكانيكية او الكهربائية تقوم بعد ذلك اجهزة الحاسب الرئيسية بتسجيل هذه النبضات وتحليلها وحسابها ٠

واغلب الحواسب الالكترونية المنتشرة فى العالم الآن هى من هذا النوع الاخير ٠

قصة التاريخ والنشوء

لقد قيل قديما بان الحاجة أم الاختراع ولعل ذلك ينطبق تمام الانطباق على اختراع وتطوير الحاسبات الالكترونية فالانسان منذ فجر التاريخ يتطلع الى تطوير ادوات الانتاج التى يمكنها ان تخفف عنه اعباء العمل الجسمي بل والفكرى ايضا٠

ولقد مر تاريخ صنع الآلات الحاسبة الالكترونية بسلسلة متلاحقة من التطورات والتحسينات بدءا من ابتكار اول آلة فى التاريخ للجمع والطرح تعطى النتائج آليا التى اخترعها باسكال فى سنة ١٦٤٢ ٠ وجاء من بعد باسكال جو تفريدف لايبنتز ليقدم آلة اكثر استكمالا يمكنها اجراء العمليات الحسابية الاربعة علاوة على استخراج الجذور ٠ وفى سنة ١٧٣٠ تمكن الميكانيكى فالكون مبتكر نول الجاكار من تصور امكانية استخدام البطاقات المثقوبة لتشغيل اجزاء الآلات بطريقة آلية ، وبعد ذلك بقرن كامل صمم الانكليزى «تشارلز بابدج» استاذ الرياضيات فى جامعة كمبردج آلة تحليلية تتكون من عدة وحدات للتغذية والتخزين واستخراج النتائج ولكنه لم يتمكن من اخراجها للوجود نظرا لعدم توفر المال اللازم لذلك وللامكانيات الفنية المتواضعة فى حينه ٠ ويعتبر بابدج بحق المصمم الاول للآلة الحاسبة بمفهومها المتطور فلقد سبق عصره فى هذا المجال باكثر من مئة عام ٠

الا أن القفزة الرئيسية فى صناعة الآلات قد تمت فى اواخر القرن الماضى وبالتحديد فى عام ١٨٨٧ وذلك للحاجة الملحة لآلات سريعة ذات اغراض متعددة تفى بمطالب التعداد الامريكية التى اجرت تعدادا عاما للسكان فى سنة ١٨٨٠ وسخرت كل اجهزتها وامكانياتها لاخراج هذا التعداد بالسرعة المطلوبة الا انها لم تتمكن من ذلك رغم مرور عدة سنوات على انتهاء عملية التعداد فضلا عن الاخطاء الكثيرة التى لم يمكن تلافيها ابدا ، ووجدت المصلحة نفسها شبه عاجزة عن اعلان نتائج هذا التعداد السكانى وقدرت بانه ستمر السنوات العشر التالية وسياتى موعد التعداد التالى والنتائج لم تزل فى ادراج الموظفين ٠

فى هذا الوقت بالذات وجدت فكرة بابدج السابقة الاهتمام الكافى وتبناها الاحصائى الامريكى هيرمان هولريث وطورها بحيث امكن تمثيل حجم كبير من المعلومات على شرائح ورقية على شكل ثقوب مجاورة تمرر هذه الشرائح بعد تثقيبها على آلة خاصة لها امكانية الاحساس بالثقوب وفهم معانيها ومعالجتها وسميت « الآلة الاحصائية » وتمكن مكتب الاحصاء الامريكى بمساعدة هذه الطريقة من اتمام الفرز واستخراج نتائج الاحصاء السكانى لعام ١٨٩٠ خلال ثلاث سنوات فقط ٠

هكذا ظهرت البطاقات

لم كون هذا الاحصائى الامريكى فى سنة ١٨٩٦ شركة خاصة له من اجل تنفيذ وتسويق اختراعه لاغراض تجارية وتوسعت هذه الشركة فيما بعد عن طريق دمجها بعدة شركات اخرى وظهرت بذلك اعرق مؤسسة فى ميدان صناعة العقول الالكترونية (I.B.M.H)

وخلال سنوات تالية تطورت هذه الآلة الاحصائية والشريحة الورقية وتحسنت طريقة تثقيب البيانات ومعالجتها واستخراج النتائج النهائية بمساعدة مجموعة من الآلات صممت خصيصا لذلك وهى : آلة تثقيب البطاقات التى كانت فى اول عهدها يدوية ثم اصبحت ميكانيكية ٠ آلة مراجعة وتدقيق البطاقات المثقبة ٠ آلة فرز وتصنيف البطاقات ، آلة تبويب البيانات والنتائج النهائية ٠

هذا بالاضافة الى مجموعة من الآلات المساعدة الاخرى كآلة المطابقة وآلة النسخ وآلة الترجمة وغيرها ٠

وهكذا ظهرت للوجود البطاقة المعروفه حاليا وانظمة معالجة البيانات اوتوماتيكيا التى استمر العمل بهما فى اوروبا وامريكا مع بعض التحسينات الطفيفة حتى عام ١٩٣٧ حيث عكف البروفيسور « هاوارد أيكن » من جامعة هارفارد مع مهندس من شركة (I.B.M) على اختراع حاسبة عددية نصف الكترونية عرفت باسم هارك ١» وقد تم لهم ذلك فعلا فى سنة ١٩٤٤ ، اما اول حاسب

الكتروني على المستوى العالمي فقد صمم في وقت الحرب العالمية الثانية وبقي سرا طيلة مدة الحرب بفذهطريق من العلماء الامريكيين فيجامعة بنسلفانيا برئاسة « جون موكلي » وظهر في سنة ١٩٤٥ تحت اسم « انياك » •

وقد صمم هذا الحاسب ليقوم بحساب محرك القنابل والقذائف ، وكان ضخما جدا فقد حوى على ١٨٠٠٠ صمام و ١٥٠٠ حاكمة ميكانيكية ، ووصلت سرعة الجمع والطرح به الى ٥٠٠٠ عدد في الثانية ، ومنذ ذلك التاريخ دخلت صناعة الحاسبات الالكترونية سباقا مع الزمن •

وقد تمكنت الشركة الامريكية العريقة (I B M) من بناء اول حاسبة عمومية في العالم من طراز (I B M 701) تحتوي على ٤٠٠٠ صمام وتشغل مساحة ١٠٠م٢ وتتطلب استطاعة ٨٠ كيلوواط لتشغيلها و ٦٠ كيلوواط لتبريدها اثناء العمل •

وانتجت نفس الشركة آلة معدلة عن سابقتها تتميز بسرعتها وقلة وزنها من اجل حساب الهوائيات ودليلات الامواج والتأثير الشعاعي الذي تحدثه التفجيرات الذرية وكذلك نشاطات الطائرات والصواريخ الموجهة وتصل طاقة هذه الالة الى ٤٠٠٠٠ عملية جمع وطرح في الثانية وقد استخدمت هذه الحاسبة لاجراء الحسابات المطلوبة لاختبار الصاروخ الامريكي « ثورن » في سنة ١٩٥٨ ، ولاغراض اقتصادية قامت شركة (I.B.M) ببناء حاسبة اخرى صنعت باكملها من عناصر نصف ناقلة وتستطيع القيام بـ ١٦٦٠٠ عملية جمع وطرح في الثانية وبنفس هذا الزمن تنفذ ٨٦٠ عملية ضرب و ٣٢٠ عملية قسمة •

واما في الاتحاد السوفياتي فقد بدا عهد استخدام الحواسب الالكترونية في عام ١٩٥٠ حيث تم صنع اول حاسبة الكترونية من طراز (M.A S M) في معهد الرياضيات التابع لاكاديمية العلوم الاوكرانية لاستخدامها لنقل الطاقة الكهربائية بين مدينتي كويبيشيف و. ـو •

وبعد ذلك بقليل تم في موسكو صنع اسرع حاسبة الكترونية في اوروبا في ذلك الوقت /١٩٥٣/ وقد صممت هذه الآلة لحل المسائل الحسابية في مختلف المجالات العلمية والتكنيكية • والخاصة المميزة لها هي عموميتها الكبيرة فقد امكن بواسطتها الترجمة من لغة الى اخرى واللعب في الشطرنج وحل اعقد المسائل الرياضية واجراء كافة العمليات الحسابية •

ومنذ ذلك التاريخ دخلت ميدان السباق الالكتروني دول اوربية عديدة اضافة لليابان التي اخذت شركاتها تنافس اعرق الشركات الامريكية في هذا الميدان •

أهم منجزات العصر

ويحق لنا الان ان نعتبر الحاسب الالكتروني من اهم منجزات عصرنا الحاضر واكثر هذه المنجزات تحكما بغيرها وتشابكا معها ، ولو حاولنا وضع تعريف مقتضب لهذا الابداع البشري الفذ لقلنا بانه الاداة التي زادت من تحكم الانسان في البيئة المحيطة به والوسيلة التي وضعت في ايدي العلماء مفاتيح الاختراعات العظيمة والانجازات العلمية الكبرى التي يزخر بها قرننا العشرون •

ان التقدير العلمي الرفيع لدور الحاسب الالكتروني في حياتنا المعاصرة يعود بشكل رئيسي لمساهمته العلمية والعملية في حل كثير من مشاكل العصر المعقدة والشائكة بصورة متميزة وسريعة • وذلك نابع من خواص الحاسب نفسه ، والتي من اهمها :

١ ــ السرعة الفائقة في الاداء والتي قد تصل الى اكثر من مليون عملية حسابية في الثانية الواحدة • واذا ما قورن ذلك مع امكانية الحاسبات العادية والآلات المشابهة للآلة الكاتبة التقليدية لظهر لنا بوضوح اهمية الحواسب الالكترونية ومدى القفزة النوعية التي حققتها في ميدان آلية الحساب اضافة الى تنوع وتعقيد المسائل التي يجرى حلها بواسطة الحاسب الالكتروني •

لقد استطاعت الآلة السوفياتية رازدان حل مجموعة من المعادلات الجبرية تحوي (٨٠٠) من المجاهيل خلال اقل من (٤٨) ساعة ، ولو اعطيت هذه المعادلات لرياضي بمفرده لتطلب حلها منه بالطرق العادية حوالي (٣٠٠) سنة عمل متواصلة •

٢ ــ الدقة المتناهية في استخراج النتائج وهي ميزة تنفرد بها الحاسبات العددية •

٣ ــ امكانية حل مشاكل متعددة في ميادين ع

متنوعة بواسطة حاسبة واحدة • وهذه الميزة على جانب كبير من الاهمية لانه لو تطلب الامر وجود آلات حاسبة بنفس عدد المسائل المطروحة للحل لما لاقت الحواسب الالكترونية مثل هذا الانتشار الواسع •

٤ ـ ذاكرة ذات مقدرة هائلة على التخزين اضافة لقابليتها للتوسع دائما •

٥ ـ امكانية تشغيل ومعالجة بيانات لزبائن تفصلهم عن مكان وجود الحاسب مسافات بعيدة •

اما ميادين ومجالات استخدام هذا النوع من الالات الالكترونية فاكثر من ان تعد اذ يندر ان تجد حقلا من حقول العلم والمعرفة لم تسد له هذه الالات الالكترونية مساهمة معينة في تطوير نظريته او تطبيقاته العملية • وهل يمكن لعاقل ان يتصور امكانية تحقيق الانتصارات الفضائية المتلاحقة وتحكم العلماء بانزال مركباتهم الكونية على سطح الكواكب البعيدة واعادتها الى الارض ثانية لولا الخدمات الجليلة والمتنوعة التي قدمتها الحواسب الالكترونية في هذا المجال•لا بل أن هذه الحواسب قد استعملت في مجالات لم يكن يخطر ببال احد قبل عدة سنوات فقط ان تكون مثل هذه المجالات ميدانا لاستخدام الحاسبات الالكترونية فيها مثل : انتقاء المحلفين في المحاكم الامريكية ، وممارسة لعبة الشطرنج ، وتشخيص الامراض •• الخ •

ويجدر بنا في سياق هذا الموضوع ان نتعرض سريعا لما يسمى ب «بنوك المعلومات» التي هي عبارة عن مراكز الكترونية كبيرة مزودة باحتياطي ضخم من المعلومات والبيانات في حقل من حقول العلم مصنفة ومبوبة باساليب رياضية واحصائية معدة مسبقا ومودعة في ذاكرة الحاسب ذاته اضافة الى توفر كافة الوسائل الكفيلة باستخراج اي بيان حين الطلب وبسرعة متناهية •

والمثال الحي على بنوك المعلومات هذه تقدمه شركة ويسترن يونيون (Western Union) حيث قامت هذه الشركة بتصنيف وتبويب كافة قرارات المحكمة الاتحادية الامريكية وادخلتها حسب برنامج خاص لذاكرة حاسب الكتروني ضخم بشكل يتمكن معه اي محام من الحصول على جواب شاف على كافة الاستفسارات القانونية بشكل سريع •

كما نظمت نفس الشركة السابقة بنك معلومات التشغيل • اذ يتمكن طالب العمل في اي مكان من الولايات المتحدة ان يتصل تليفونيا بالمشغل رقم (٧٧) في الشركة • ويطلب منه استمارة خاصة اعدتها الشركة مسبقا لاملائها من قبله واعادتها ثانية للشركة التي تقوم بدورها بادخال هذه الاستمارة في وحدة التشغيل المركزية لاحد الحواسب الالكترونية.وبمساعدة برنامج خاص يعالج الحاسب بيانات الاستمارة ويقابلها مع حاجة مختلف الشركات الامريكية المعلنة عن وجود فرص عمل لديها ، وعند اكتشاف تطابق بين المواصفات المثبتة في استمارة اي مواطن امريكي وحاجة شركة ما يقوم الحاسب اوتوماتيكيا باعداد اشعار لطالب العمل وآخر للشركة التي وقع عليها الاختيار وتنتهي المهمة بغاية السرعة والدقة ! فهل يبشر المستقبل ببنوك معلومات عربية ؟ ! • ■■

دمشق ـ د • مصطفى جاموس

حلاقة !

✱ في احدى الليالي نصبنا خيمتنا في موقع كشفي مزدحم • وعندما استيقظت في صباح اليوم التالي مبكرا جلست خارج الخيمة احلق ذقني بواسطة ماكينة حلاقة تعمل بالبطارية • ولم اتبين مدى الصوت العالي الذي تحدثه حتى صاح احد الاشخاص في خيمة مجاورة قائلا: « الا تستطيع الانتظار حتى الظهر لتقوم بعملية جز العشب آليا » •

روبرت تولند

قضايا حيوية

هذه مجموعة من الاراء والملاحظات والتساؤلات تعالج بعض القضايا الحيوية،وتعبر عن وجهات نظر اصحابها فى هذه القضايا .. وعملا بحرية النشر ، فاننا نفسح المجال لهذه الاراء كما تلقيناها ، بغير حذف أو تعديل .

عائد من برتيوريا

مسلمو جنوب افريقيا ينقصهم الرجال قبل المال

تعيش فى أقصى الطرف الجنوبي من القارة الافريقية جالية مسلمة يبلغ تعدادها المعلن حوالى نصف مليون نسمة استطاعت أن تحتفظ بهويتها الاسلامية تحت حكم يعتبر من أكثر صور الحكم على ظهر الارض تجبرا وتعنتا وظلما .

بقلم : زغلول النجار *

ففى جمهورية جنوب افريقيا يحكم حوالى أربعة ملايين من الاوروبيين البيض قرابة الثلاثة والعشرين مليونا من الافارقة وبعض المواطنين من أصول آسيوية حكما بالحديد والنار ، يعطى للرجل الابيض كل شيء ويحرم غيره من المواطنين من كل شيء .

وقد دخل الاسلام الى جنوب افريقيا سنة ٦٠٥هـ الموافق ١٢٠٨م عن طريق بعض التجار المسلمين القادمين من شبه الجزيرة العربية والذين يعيش أحفادهم اليوم فى مدينة الكاب ، بينما لم يصل الاوروبيون اليها الا فى أواخر القرن الخامس عشر الميلادى ، ولم يستوطنوها الا فى منتصف

● زار الدكتور زغلول النجار الاستاذ بجامعة الكويت جنوب أفريقيا بدعوة من الجماعة الاسلامية هناك .

القرن السابع عشر الميلادى (١٦٥٢م) وكانوا من الهولنديين الذين ما لبثوا أن انضم اليهم عدد من البلجيكيين والفرنسيين والالمان ، وفي سنة ١٧٩٥م تمكن الانجليز من النزول الى منطقة الكاب (رأس الرجاء الصالح) واحتلوها في سنة ١٨١٦م طاردين الهولنديين وغيرهم من الاوروبيين (غير البريطانيين) الى الشمال ليدخلوا في معارك طاحنة مع أهل البلاد الاصليين عرفت باسم « حروب الزولو » وانتهت بهزيمة المواطنين وتاسيس ثلاث جمهوريات الى الشمال من مقاطعة الكاب هي : جمهوريات « ناتال » « والترانسفال » « وأورانج الحرة » .

جاءوا نفيا !

تم نفي الى جنوب أفريقيا أعداد من المسلمين من جنوب شرقي آسيا خاصة من اندونيسيا وماليزيا والفلبين . احضروا اليها كمعتقلين سياسيين لمقاومتهم للحكم الهولندى المستعمر في بلادهم الاصلية ، وهؤلاء يشكلون غالبية الجالية المسلمة في مقاطعة الكاب .

اما المسلمون في المقاطعات الثلاث الاخرى فاغلبهم من التجار والزراع والصناع الهنود الذين استوطنوا الساحل الشرقي أثناء سيطرة الحكم البريطاني على اتحاد جنوب أفريقيا ثم انتشروا الى داخل البلاد ، وقد كان للمسلمين في بادئ الامر تمثيل في الحكم وفي المجالس التشريعية حتى أعلنت الجمهورية على أساس عنصرى في سنة ١٩٦١م . فاعتبر المواطنون من الافارقة والآسيويين والملونين مواطنين من الدرجة الثانية لا يحق لهم الانتخاب أو شغل أية مناصب رئيسية في الدولة ، واستباح الاوروبيون أرواحهم وأملاكهم وكل حقوقهم .

وفي ظل هذا الظلم .. استطاعت تلك الجالية الاسلامية الصغيرة أن تبني قرابة الثلاثمائة مسجد من أجمل مساجد الدنيا مظهرا وأداء للرسالة ، فالمسجد هنالك ليس مجرد مكان للصلاة بل هو مركز لتحفيظ القرآن الكريم ومدرسة لتعليم اللغة العربية والدراسات الاسلامية ومنتدى لمناقشة مشاكل الجالية المسلمة وللاحتفال بمختلف مناسباتها الخاصة والعامة ، ومقر للكتاب الاسلامي في مكتبة تتفاوت حجما باختلاف حجم الجالية .

مساجد ومدارس وصحف

كما استطاعت تلك الجالية أن تبني عشرات المدارس والمعاهد الاسلامية ، وأن تنشىء قسما للغة العربية والدراسات الاسلامية في « جامعة دربان وستثميل » وأن تنتزع من الحكومة الطاغية حق تدريس الدين الاسلامي لابنائها الذين يتعلمون في المدارس الحكومية ، وأن تحتضن من لا تتاح لهم تلك الفرص في مدارس مسائية لتعليم الاسلام واللغة العربية .

ولقد هزني أن أرى في احدى تلك المدارس الاسلامية وبعد حوالي ١٢ ميلا عن العاصمة بريتوريا أكثر من مائة طالب بين الحادية عشرة والثامنة عشرة يحفظون القرآن الكريم حفظا كاملا، ويتلونه تلاوة جيدة ، والمدرسة مقامة على مزرعة كبيرة أوقفها أحد الصالحين على العمل الاسلامي، وهي مدرسة داخلية يقيم فيها الطلاب والمدرسون والاداريون . ويحيون حياة اسلامية كاملة ، والمدرسة مهيئة بجدارة لان تكون نواة لجامعة اسلامية تضم الاف المجلدات ، ولها من الامكانيات ما يجعلها مركز اشعاع اسلامي بالمنطقة .

وقد استطاعت تلك الجالية أن تؤسس ما يزيد على المائة والثلاثين من الجمعيات الاسلامية المتخصصة وغير المتخصصة ، ينتظمها المجلس الاسلامي لجنوب أفريقيا ، ومقره مدينة « دربان » على الساحل الشرقي ، ومن أنشط هذه الجمعيات « حركة الشبيبة المسلمة » و « جمعية الطلبة

قضايا حيوية

هذه مجموعة من الاراء والملاحظات والتساؤلات تعالـــج بعض القضايا الحيوية،وتعبر عن وجهات نظر أصحابها فى هذه القضايا ‥ وعملا بحرية النشر ، فاننا نفســح المجال لهذه الاراء كما تلقيناها ، بغير حذف او تعديل ٠

عائد من برتيوريا

مسلمو جنوب افريقيا ينقصهم الرجال قبل المال

تعيش فى أقصى الطرف الجنــوبى من القــارة الافريقية جالية مسلمــة يبلــغ تعــدادها المعلن حــوالى نصف مليون نسمــة استطاعت أن تحتفــظ بهويتها الاسلامية تحت حكم يعتبر من أكثر صور الحكم على ظهــر الارض تجبرا وتعنتا وظلما ٠

بقلم : زغلول النجار *

ففي جمهورية جنوب افريقيا يحكم حوالى اربعة ...ين من الاوروبيين البيض قرابة الثلاثة والعشرين ...يونا من الافارقة وبعض المواطنين من اصــول ...سيوية حكما بالعــديد والنار ، يعطى للرجــل ...ابيض كل شيء ويحرم غيره من المواطنين من كل ...ء ٠

وقد دخل الاسلام الى جنوب أفريقيا سنة ٦٠٥هـ الموافق ١٢٠٨م عن طريق بعض التجار المسلمين القادمين من شبه الجزيرة العربية والذين يعيش أحفادهم اليوم فى مدينة الكاب ، بينما لم يصل الاوروبيون اليها الا فى اواخــر القــرن الخامس عشر الميلادى ، ولم يستوطنوهــا الا فى منتصف

● زار الدكتور زغلول النجار الاستاذ بجامعة الكويت جنوب أفريقيا بدعوة من الجماعة الاسلامية هناك ٠

فالمسجد هنالك ليس مجرد مكان للصلاة بل هو مركز لتحفيظ القرآن الكريم ومدرسة لتعليم اللغة العربية والدراسات الاسلامية ومنتدى لمناقشة مشاكل الجالية المسلمة وللاحتفال بمختلف مناسباتها الخاصة والعامة ، ومقر للكتاب الاسلامي في مكتبة تتفاوت حجما باختلاف حجم الجالية .

مساجد ومدارس وصحف

كما استطاعت تلك الجالية أن تبني عشرات المدارس والمعاهد الاسلامية ، وأن تنشيء قسما للغة العربية والدراسات الاسلامية في « جامعة دربان وستنميل » وأن تنتزع من الحكومة الطاغية حق تدريس الدين الاسلامي لابنائها الذين يتعلمون في المدارس الحكومية ، وأن تحتضن من لا تتاح لهم تلك الفرص في مدارس مسائية لتعليم الاسلام واللغة العربية .

ولقد هزني أن أرى في احدى تلك المدارس الاسلامية وبعد حوالي ١٢ ميلا عن العاصمة بريتوريا أكثر من مائة طالب بين الحادية عشرة والثامنة عشرة يحفظون القرآن الكريم حفظا كاملا، ويتلونه تلاوة جيدة ، والمدرسة مقامة على مزرعة كبيرة أوقفها أحد الصالحين على العمل الاسلامي، وهي مدرسة داخلية يقيم فيها الطلاب والمدرسون والاداريون . ويحيون حياة اسلامية كاملة ، والمدرسة مهيئة بجدارة لأن تكون نواة لجامعة اسلامية تضم آلاف المجلدات ، ولها من الامكانيات ما يجعلها مركز اشعاع اسلامي بالمنطقة .

وقد استطاعت تلك الجالية أن تؤسس ما يزيد على المائة والثلاثين من الجمعيات الاسلامية المتخصصة وغير المتخصصة . ينتظمها المجلس الاسلامي لجنوب أفريقيا ، ومقره مدينة « دربان » على الساحل الشرقي . ومن أنشط هذه الجمعيات « حركة الشبيبة المسلمة » و « جمعية الطلبة

لسابع عشر الميلادي (١٦٥٢م) وكانوا ...ندين الذين ما لبثوا أن انضم اليهم عدد ...بيكيين والفرنسيين والالمان ، وفي سنة ...مكن الانجليز من النزول الى منطقة الكاب ... الرجاء الصالح) واحتلوها في سنة ... طاردين الهولنديين وغيرهم من الاوروبيين ...لبريطانيين) الى الشمال ليدخلوا في ...ناحنة مع أهل البلاد الاصليين عرفت باسم ...ب الزولو » وانتهت بهزيمة المواطنين ... ثلاث جمهوريات الى الشمال من مقاطعة ...ي : جمهوريات « ناتال » « والترانسفال » ...يج الحرة » .

جاءوا نفيا !

...ي الى جنوب أفريقيا أعداد من المسلمين ... شرقي آسيا خاصة من أندونيسيا وماليزيا ...ن . احضروا اليها كمعتقلين سياسيين ... للحكم الهولندي المستعمر في بلادهم ... . وهؤلاء يشكلون غالبية الجالية المسلمة ...ة الكاب .

...لمسلمون في المقاطعات الثلاث الاخرى ... من التجار والزراع والصناع الهنود الذين ...ا الساحل الشرقي أثناء سيطرة الحكم ...ي على اتحاد جنوب أفريقيا ثم انتشروا ...ل البلاد . وقد كان للمسلمين في بادئ ...شيل في الحكم وفي المجالس التشريعية ...لنت الجمهورية على أساس عنصري في ...١٩٦ م ، فاعتبر المواطنون من الافارقة ...ين والملونين مواطنين من الدرجة الثانية ...لهم الانتخاب أو شغل أية مناصب رئيسية ...لة ، واستباح الاوروبيون أرواحهم ... وكل حقوقهم .

...ظل هذا الظلم .. استطاعت تلك الجالية ...ة الصغيرة أن تبني قرابة الثلاثمائة مسجد ...ي مساجد الدنيا مظهرا وأداء للرسالة ،

قضايا حيوية

المسلمين » و « جمعية الجهاد » . « (الامانة الاسلاميه المركزية) مركز الكتاب الاسلامي . مجلس التنسيق الاسلامي . مركز الدعوة الاسلامية . وجمعيه العلماء » ٠

كما استطاعت تلك الجاليه الاسلامية اصدار عدد من الصحف والمجلات والنشرات الاسلاميه منها « مسلم نيوز » . « مسلم دايجست » . « الجهاد» . « اليمطه » . « انصلات » . وغيرها كما قامت بترجمه العديد من الكتب الاسلامية الى اللغه الانجليزيه والى بعض اللغات المحلية ٠

القابضون على الجمر

هذه الجاليه التي تبذل اقصى ما تستطيع في سبيل الغرس بالاسلام في دقائق حياتهم افرادا وجماعات . وتربيه ابنائهم على هذا الدين القيم، وحمل نوره الى الملايين الضاله من البشر حوالهم، ومقاومه الظلم الذي يتعرضون له ٠ هذه الجاليه التي فرضت عليها عزلة قهريه عن بقيه العالم الاسلامي ٠٠٠ لا تحتاج الى الدعم المادي بقدر حاجتها الى دعم الرجال ٠٠٠ فهم في حاجه الى اعداد من الدعاة يذهبون اليهم بين فترة واخرى . والى مدرسين لتدريس اللغه العربيه والثقافه الاسلامية . وربما كان في وضع تلك البلاد في النصف الجنوبي من الكره الارضية حيث يكون صيفنا شتاءهم ٠٠ ما ييسر عمليه سفر بعض المدرسين من الدعاة الى تلك البلاد خلال العطلة الصيفيه ٠ كما أنهم في امس الحاجة الى الكتاب الاسلامي – خاصه ما هو منه باللغة الانجليزية والى نسخ من ترجمة معانى القران الكريم باللغة الانجليزية ولغة الزولو . والى عدد من المنح الدراسية لمتابعه الدراسة في بعض المعاهد الاسلامية خاصة للطلاب الافارقة الذين يعتنقون الاسلام باعداد كبيرة في كل يوم ٠٠٠ حيث لا يوجد مكان على وجه الارض مهيأ لتقبل الدعوة الاسلامية مثل تلك البلاد التي لا يكاد يدرك أبناؤها معنى الاخوة في الاسلام الذي لا يفرق بين ابيض واسود، حتى يقبلوا على ذلك الدين بعاطفة صادقة وايمان ثابت . وهذا مجال يتنافس فيه المتنافسون ٠

الذين يناقضون أنفسهم

واذكر انه عقب محاضرة واحدة عن الاسلام القيتها في احدى القرى الافريقية القريبة من العاصمه بريتوريا وتعرف باسم « لانيتيا » أسلم قسيس القريه ومدير مدرستها الثانويه وعشرات من الطلاب . وقد علق القسيس معقبا على المحاضرة بقوله انى ارجوكم ايها الاخوة المسلمون ان تعبروا الحواجز القائمه بيننا لتسمعونا نور الاسلام ٠٠٠ فان اهل البلد الاصليين من الافارقة قد سمعوا دعوات الدين يتحدثون باسم السيد المسيح في نفس الوقت الذي يمارسون فيه التفرقة العنصريه البغيضه . وهذا في نظري يمثل قمة النفاق . انهم يقدمون لنا الانجيل بيد ويصمدوننا في الاغلال باليد الاخرى . انهم يقدمون لنا الانجيل بيد . وزجاجة الخمر باليد الاخرى حتى يحطموا اجساد وعقول وارواح الرجل الاسود ٠ اننا نريد الاسلام فهو الدين الذي يناسب فطرتنا ٠٠ الدين الذي يؤسس الاخوة الانسانية على غير لون أو جنس ٠٠ ويحرم الخمر ليحفظ للانسان عقله ٠٠ اغلى نعمه انعم الله بها عليه ٠٠٠ »

واقف عند حديث هذا الاخ الكريم الذي عرف الاسلام بفطرته السوية . على الرغم من التدريب الطويل الذي تعرض له في كل من جنوب أفريقيا وبريطانيا ليكون أحد المبشرين وفي حديثه ما يكفي لتحريك كل مسلم يهتز قلبه بدين الله ٠٠ اللهم قد بلغت ٠٠ اللهم فاشهد ٠٠

واخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ٠ ■■

زغلول النجار

استاذ الجيولوجيا – جامعة الكويت

نحن بحاجة الى..

ثورة تعليمية

بقلم : د . على عبد المنعم

سى الفلسفة التربوية ومناهجها فى وطننا
مى من الازدواجية فى المصدر والروح .
ستقى من مصدرين :

ل : الثقافة الموروثة ، وهى ثقافة اسلامية
س لكن تعاقبت عليها القرون ، واختلطتفيها
ب والاراء ، وتشعبت بها الطرق ، حتى غدت
من تعاليم الكتاب الكريم والسنة النبوية .
لرائق المتكلمين على اختلاف منازعهم ، و ن
، الفقهاء ، ومن تصوف المتصوفين ، وما شاب
لك من فلسفة اليونان وغيرهم .

صيغت هذه الثقافة فى قوالب جمدت ،
ـ ، ووضعت على طرائق قديمة ، رثت
عظامها ، يتوه المتعلم بين سطورها ، ويظل
ق فى دروبها .

مدر الثانى : الثقافة المستوردة ، ونعنى بها
ن فى المدارس التى انشاتها الحكومات على
المدارس الاوروبية ، وهى تحتوى على مواد
كالرياضيات والطبيعيات ، وعلى مفهومات
ـ وفلسفات فى التاريخ والاجتماع ، وعلى
ب وطرائق للبحث ، نتيجة لاختبارات وتجارب
.

ه الثقافة يسيطر عليها تفكير غير اسلامى
رح الغرب الذى نقلناه منه ، وتشيع فيها

النزعة الالحادية بمختلف اتجاهاتها : طبيعية كانت او مادية جدلية ، او عقلية ، او وجودية حتى فى العلوم التجريبية والرياضية تشيع فيها تعبيرات عقائدية ليست فى نطاق العلم المحض ، وشحنت بافكار لا علاقة بينها وبين اختصاص هذه العلوم ، حتى اصبح هناك اقتران بين هذه العلوم وبين المذاهب والفلسفات الالحادية التى عاشت معها ، وعاصرتها فى اوربا .

ذلك انها نشات وتكونت على اسس تعارض التصور الدينى فى جملته ، وتشكل صراعا بين الدين والعلم او بين الدين والعقل ، ذلك الصراع الذى كان نتيجة لتشوه الدين وانحرافه الى وثنية جامدة ، وتقاليد غريبة ، ومناصرة رجاله لاهل الظلم والاستبداد قبل النهضة الاوروبية ، وفى بدايتها ، ومعاكسته للفطرة التى فطر الله الناس عليها .

ولا حاجة بنا الى التذكير بتاريخ الحضارة الاوربية الحديثة ، وما يشهد به من محاربة رجال الكنيسة للعلم وحرية الفكر ، حتى كانوا حجر عثرة فى سبيل التقدم والرقى ، وحتى كان العلماء يخشون ابداء آرائهم العلمية خوفا من بطش الكنيسة وتعذيبها لهم ، وتحريقها ابحاثهم ، فجاء علمهم ثورة على الكنيسة وما تمثله من دين .

هذه الثقافة المقتبسة من بلاد وحضارة تختلف

قضايا حيوية

عن بلاد الاسلام وحضارته في عقائدها وافكارها ومفهوماتها ونظام حياتها بقيت هي الاساس الاهم لمناهج التعليم في البلاد الاسلامية ، ولكنها ظلت طلاء سطحيا لم يستطع ان يتغلغل في اعماق نفوس المتعلمين ، ولم يرتبط بمثلنا العليا المتاصلة فينا على مدى القرون، ولم تنجح في توجيه نهضتنا لانها لم تمدها بالاساس الروحي اللازم لكل نهضة او ثورة منتجة . وبالتالي لم تستطع ان تحل محل الثقافة الموروثة التي تتحكم الى حد ما في توجيه حياتنا .

ولكنها ـ على الرغم من ذلك ـ ولدت في المتعلمين عقلية مشابهة للعقلية الاوروبية في النظر الى الحياة . فنتج عن ذلك صراع بين عقليتين : العقلية ذات التكوين الثقافي الموروث . والعقلية ذات التكوين الثقافي المستورد .

وما نشاهده في حياتنا السياسيه والاجتماعية والاقتصادية من قلق واضطراب سببه هذا الصراع بين الثقافتين ، او هو مظهر لما يصح ان نسميه ازمة الثقافة .

خلاصة القول : ان سر بلاء المناهج التعليمية في الوطن الاسلامي وعدم قدرتها على بناء النهضة وتوجيهها في اطاره يكمن في هذه الازدواجية،التي تسيطر عليها في المصدر الذي تستقي منه ، والروح التي تشيع بين ثناياها ، فاذا شئنا اعادة البناء فلعل اول ما يجب ان نبدأ به هو :

القضاء على هذه الازدواجية في نظامنا الثقافي، وذلك بان يبنى التعليم في جميع درجاته وانواعه وفروعه على اساس واحد ، وتنظمه فكرة واحدة مشتركة بين اقسامه ، هي العقيدة الاسلامية ، بحيث تكون الصبغة العامة للثقافة هي الصبغة الاسلامية « صبغة الله ، ومن احسن من الله صبغة ؟ » ، ولا يكتفى . . بتعليم الدين على انه مادة دراسية تضاف الى المواد الاخرى ، وانما يجب صياغة جميع المواد صياغة اسلامية ، بما في ذلك العلوم التجريبية والرياضية . فاذا كانت البلاد الشيوعية ـ مثلا ـ تبنى هذه العلوم على المنطق الجدلي والفلسفة الجدلية ، وتجعلها تطبيقا لقانون تصارع الاضداد الذي تعتقد الماركسية انه قانون الحياة العام ، فما اولانا ـ وقد كنا اصحاب سبق في هذه الميادين العلمية مما لاحاجة بنا الى ترديده ـ ان نعيد صياغتها على انها تحقيق للاتجاه القرآني في النظر الى الكون ، واكتشاف ما فيه من قوانين ، ومظهر من مظاهر قدرة الله ووحدته .

ويستدعي هذا ـ بالضرورة ـ صياغة الثقافة الاسلامية صياغة جديدة ، تنبثق من النبع الاوحد لها ، وهو القرآن الكريم ـ فما السنة النبوية الا تفسير له وتاويل ـ ، وتبعد عن التفريعات المذهبية التي لم تنتج الا تعصبا ضيق الافق ، وتحجرا عقليا مقيتا ، والتعبير عنها بما يلائم سن المتعلم ، وادراكه العقلي ، ويسد حاجاته الفكرية والوجدانية ، بحيث يجد فيها جوابا عن القضايا التي تعترضه في واقعه المحلي والعالمي في هذا الوقت الذي تتلاطم فيه امواج الفكر ، وتواجه الفلسفات الالحادية الدين الاسلامي ، متعمدة زلزلة بنائه في نفوس معتنقيه ، وتمييع المقومات الاساسية للمجتمع المسلم .

ويستتبع هذين المبدأين (اقامة نظامي تعليمي موحد المصدر ، متعدد الاختصاصات ، وصبغه بالصبغة الاسلامية) احداث وعي اسلامي عام بحيث يكون هذا الوعي ـ النفسي والعقلي ـ وعيا لمبادىء الاسلام وقضاياه الكبرى في العصر الحاضر، ووعيا لوحدة العالم الاسلامي وما يجابهه من اخطار .

انه لمن الغفلة ان نعتمد على مناهج الفكر الغربي في دراساتنا الاسلامية والانسانية ، اما العلوم البحتة ـ التي لا بد لنا ـ في موقفنا العاضر من تلقيها من المصادر الغربية فتجب الحيطة في دراستها وذلك بتنقيتها من اية ظلال معادية في اساسها للتصور الديني في جملته ، وللتصور الاسلامي بصفة خاصة ، ذلك ان قدرا منها كاف لتسميم الينبوع الاسلامي الصافي . ■■

طرابلس الغرب   د . علي عبد المنعم

محنة

كامل الاقتصادى الزراعى

فى العالم العربى

بقلم : الدكتور سعد نصار *

لا جدال فى ان الزراعة ما زالت وستبقى غير قصيرة تمثل احد القطاعات الرئيسية فى ات الاقتصادية لعديد من الاقطار العربية شانها فى ذلك شان غيرها من كثير من النامية التى لا تزال حديثة عهد بالتصنيع. ذلك اذا ما تفحصنا مساهمة الزراعة فى ل القومى وما يخصها من اجمالى السكان الى القوى البشرية العاملة فى الاقتصاد ى والاهمية النسبية للصادرات الزراعية من ى الصادرات ونصيب الزراعة من اجمالى ين الراسمالى الثابت فى الاقتصاد القومى همة الزراعة فى توفير الغذاء للسكان والمواد اللازمة للصناعة المحلية واخيرا اذا ما تفحصنا الزراعة كسوق منشط للتوسع الصناعى .

لى ذلك فان تنمية الزراعة بطريقة متوازنة قية القطاعات الاقتصادية القومية تعتبر ا اساسيا لتحقيق التنمية الشاملة فى الاقطار العربية وتساعد فى نفس الوقت ـ على حل الكثير من المشاكل والعقبات التى تواجه تلك التنمية وتؤكد الاستقرار فى التنمية الاقتصادية بصفة عامة ، حيث اثبتت الخبرة التاريخية للدول المتقدمة انه من الصعب احداث تنمية صناعية بدون تنمية زراعية .

واذا ما نظرنا الى الموارد الاقتصادية الزراعية العربية نجد ان اجمالى سكان الوطن العربى يبلغ حوالى ١٥٠ مليون نسمة موزعين على الاقطار العربية بنسب متفاوتة وتختلف نسبة السكان من قطر الى آخر ، الا انها تزيد عن ٥٠٪ فى المتوسط فى الوطن العربى ككل . وتمثل القوة البشرية العاملة فى الزراعة فى الوطن العربى حوالى ٢٥٪ فى المتوسط من اجمالى عدد السكان الزراعيين بمعنى ان نسبة الاعالة ١ : ٤ وهى نسبة مرتفعة اذا ما قورنت بمثيلاتها فى الدول المتقدمة .

---

*خبير بالمعهد العربى للتخطيط ـ الكويت

قضايا حيوية

تخلف مع الثروة !

وبخصوص الموارد الارضية الزراعية فى الوطن العربى نجد أن المساحة الكلية للاقطار العربية تبلغ حوالى ١١٩٧ مليون هكتار موزعة على الاقطار العربية بنسب متفاوتة • ويبلغ اجمالى مساحة الاراضى العربية القابلة للزراعة حوالى ٣٨٢ مليون هكتار (يقع ما يقرب من نصفها فى السودان وحده) يستغل منها لزراعة محاصيل الحقل والخضر والفاكهة حوالى ٥١ مليون هكتار فقط (يروى منها بمياه الانهار حوالى ٨ مليون هكتار فقط والباقى يعتمد على مياه الامطار) والباقى عبارة عن غابات واحراش (حوالى ١٠٤ مليون هكتار يقع معظمها فى السودان والمغرب والجزائر)

ومراع (حوالى ١٦٨ مليون هكتار يقع معظمها فى السعوديه والجزائر والسودان) واراض متروكة (حوالى ٥٩ مليون هكتار) •

ويتميز العالم العربى بطول سواحله التى تطل على محيطين (الاطلنطى والهندى) وبحرين (الابيض والاحمر) من اكبر بحار العالم ويبلغ طول هذه السواحل حوالى ٢٠ الف كيلو متر •

هذا بالاضافة الى توفر الموارد المالية فى الوطن العربى وتوفر الموارد الطبيعية اللازمة لانتاج المبيدات الحشرية والاسمدة الكيماوية والخام فى عدد من الاقطار العربية •

ورغم ذلك اى رغم توفر الموارد البشرية والارضية الزراعية والمائية والسمكية والمالية وغيرها فى الوطن العربى نلاحظ ظاهرة تخلف الانتاج الزراعى العربى وضعف معدلات نموه والتى تصل بالكاد الى حوالى ٢٪ سنويا وعجزه عن مواجهة الطلب المحلى عليه والذى يزداد بمعدلات كبيرة (حوالى ٥٪ سنويا) لاسباب عديدة اهمها النمو السكانى بمعدلات عالية نسبيا وكذلك زيادة الدخول الفردية وعدم تخطيط الاستهلاك •

ونتج عن ذلك أن العالم العربى الذى كان حتى اواخر الستينات مصدرا صافيا للسلع الزراعية اى تزيد قيم صادراته منها عن قيم وارداته ، أصبح الان مستوردا صافيا للسلع الزراعية أى تزيد قيم وارداته منها عن قيم صادراته نتيجة تزايد كميات وارداته أساسا من السلع الغذائية وتزايد أسعارها •

وتستورد الاقطار العربية حاليا ـ مع تواضع مستوى التغذية بها عموما ـ حوالى ٥٠٪ من استهلاكها من الغذاء من الخارج • وأظهرت الدراسات أيضا ان هذا العجز سوف يزداد فى المستقبل ما لم تتخذ خطوات جادة لزيادة انتاج الغذاء فى الوطن العربى فبيما بلغ العجز بين الطلب والانتاج بالنسبة للقمح فى الوطن العربى حوالى ٥ آلاف طن فى متوسط الفترة ٧٠ ـ ١٩٧١ فان التوقعات تشير الى أن هذا العجز سيبلغ حوالى ٩ الاف طن فى عام ١٩٨٠ و ١٢ الف طن فى عام ١٩٨٥ •

وجدير بالذكر أن الاعتماد الكبير للعالم العربى على استيراد الغذاء من الخارج ـ والذى هو سلعة اساسية واستراتيجية والذى يمكن زيادة انتاجه محليا ـ يمثل خطرا اقتصاديا وسياسيا عليه سواء من ناحية احتمالات الخطر (وغنى عن القول أن الاموال ليست بديلة عن الغذاء) أو من ناحية رفع أسعار المواد الغذائية المصدرة الى العالم العربى كما حدث بالنسبة لاسعار القمح والسكر فى أوائل السبعينات • هذا بالاضافة الى العاجة الماسة لبعض الدول العربية الى العملة الصعبة التى تدفعها فى استيراد الغذاء لاستيراد المعدات والسلع الرأسمالية اللازمة للتنمية •

وما زالت الدول العربية تتعامل مع دول العالم الاخرى من ناحية تصدير واستيراد السلع الغذائية والزراعية الاخرى بمعدل أعلى بكثير مما تتعامل به مع بعضها البعض • فالدول العربية تصدر

عضها البعض حوالى ١٣٪ فقط من اجمالى قيمة تصدره من السلع الزراعيه وتصدر الى الدول الافريقية غير العربية حوالى ١٪ فقط من اجمالى مة تلك الصادرات بينما تصدر الباقى (حوالى ٨٪) الى دول العالم الاخرى • وكذلك تستورد دول العربيه من بعضها البعض حوالى ١٧٪ فقط اجمالى قيمة ما تستورده من السلع الزراعية ستورد من الدول الافريقيه حوالى ٣٪ فقط من مالى قيمه تلك الواردات بينما تستورد الباقى حوالى ٨٠٪) من دول العالم الاخرى •

عقبات تصادف التجارة

وهناك أسباب عديدة تعيق التجارة بين الدول عربية اهمها • ـ

- تماثل أو تشابه الانتاج فى الدول العربية شتراكها فى تصدير مواد أولية (كالنفط القطن) الى الدول الصناعية واستيراد سلع انية وصناعية فى المقابل ووجود ارتباطات تفاقيات تجارية مع الدول الاجنبية •

- ضعف الاتفاقات الجماعية والثنائية التى جع التجارة بين الدول العربية عن طريق ازالة قيود الادارية والنقدية والكمية أمام حركة تبادل بضائع والمنتجات بينها واعفائها من الرسوم جمركية وحل مشاكل النقل والمواصلات وتوفير تسهيلات المصرفية والتسويقية الاخرى ورسم ياسات سعرية مناسبة •

ويكفى مثالا على ذلك أن اتفاقية الوحدة اقتصادية العربية التى أصبحت نافذة المفعول ذ عام ١٩٦٤ والتى تهدف الى تحقيق حرية تقال الاشخاص ورؤوس الاموال وحرية تبادل بضائع والمنتجات الوطنية والاجنبية وحرية الاقامة لعمل والاستخدام وممارسة النشاط الاقتصادى . وحرية النقل والترانزيت واستعمال وسائل النقل والموانىء والمطارات المدنية والمساواة فى حقوق التملك والايصاء والارث ـ لا تضم الان سوى ١٤ دولة عربية فقط • ليس هذا فحسب بل ان اتفاقيه السوق العربية المشتركه والتى نفذت عام ١٩٦٥ والمفروض أن يتم بواسطتها تحقيق أهداف اتفاقية الوحدة الاقتصادية العربية لا تضم حتى الان سوى خمس دول عربية فقط • ومن الجدير بالذكر ان السوق العربية المشتركة ما زالت فى بداية مرحلتها الاولى والتى تتمثل فى انشاء منطقة تجارة حرة • ومن المعروف أن هناك مراحل أخرى يجب أن تتلو ذلك هى مرحلة انشاء اتحاد جمركى ثم مرحلة انشاء السوق العربية المشتركة ثم المرحلة الرابعة والاخيرة وهى مرحلة الاندماج الاقتصادى الكامل •

- الحاجة الماسه لبعض الدول العربية الى العملات الصعبة ومن ثم قيامها بالتصدير الى الدول العربية •

- انماط الاستهلاك فى العالم العربى والتى تميل الى تفضيل السلع الاجنبية •

- أسباب سياسية ، حيث تتذبذب العلاقات الاقتصادية الانتاجية والتجارية العربية (الجماعية والثنائية) صعودا أو هبوطا بتطورات المناخ السياسى •

- ضعف دور الحكومة والقطاع العام فى التجارة الخارجية فى بعض الدول العربية •

- صغر حجم التسهيلات الائتمانية والقروض المعقودة بين الدول العربية مما يجعل البعض منها يلجأ فى الاستيراد الى الدول الاجنبية •

أسباب العجز

وان عجز الانتاج الزراعى عن مواجهة الطلب

قضايا حيوية

المحلى عليه يرجع الى عاملين :

● اولا : عدم كفاءة استراتيجيات وسياسات وخطط التنمية الزراعية داخل كل قطر عربي على حدة مثل نمط الانتاج السائد باثاره المتعددة والتكنولوجيا المرتبطة به ، الاستثمارات الزراعية، التسويق الرراعي والاسعار الزراعية ، التصنيع الريفي ، مستوى معيشة غالبية السكان الريفيين ، الاطر المؤسسية التي تتم من خلالها التنمية الزراعية بطرق شعبية وديمقراطية . الاقراض الزراعي . طرق تحديد واعداد وتقييم وتنفيذ ومتابعة مشروعات التنمية الزراعية . والارشاد الزراعي ٠

● ثانيا : ضعف التنسيق او التعاون أو التكامل الانتاجي الزراعي العربي ٠ فالموارد الاقتصاديه الزراعية عير متوازنه داخل كل بلد عربي على حدة (مثال على ذلك عدم التوازن بين القوة البشرية العاملة الزراعية والاراضي المنزرعة داخل كل بلد عربي على حدة) ٠ وهدا يؤدى الى ضعف كفاءة استخدام الموارد (ويكفى مثالا على دلك ما سبق ذكره من أن مساحة الاراضي العربية القابلة للزراعة تبلغ حوالى ٣٨٢ مليون هكتار يستغل منها لزراعة محاصيل الحقل والخضر والفاكهة حوالى ٥١ مليون هكتار فقط والباقى عبارة عن غابات وأحراش ومراع وأراض متروكة وان ما يروى منها بمياه الانهار هو حوالى ٨ مليون هكتار فقط أما الباقي فيعتمد على مياه الامطار مما يجعل الانتاج منها خاضعا للتغيرات الطبيعية ٠ *هذا بالاضافة الى أن الانتاجية الزراعية العربية سواء فى مجال الانتاج النباتي أو في مجال الانتاج الحيواني تعتبر بصفة عامة منخفضة نسبيا اذا ما قورنت بمثيلاتها في الدول المتقدمة أو بالمتوسطات العالمية*) ٠ بينما نجد أن الموارد الاقتصادية الزراعية متوازنة اذا أخذنا الوطن العربي كوحدة واحدة حيث تتوفر الموارد البشرية والارضية الزراعية والحيوانية والمائية والسمكية والمالية وموارد أخرى ٠ وبالتالى فان مزيدا من التنسيق والتعاون والتكامل الانتاجي الزراعي العربي وتنسيق خطط التنمية الزراعية بما يحقق التخصص وفقا لمبدأ الميزة النسبية وتنفيذ البرامج والمشروعات الانتاجية الزراعية العربية المشتركة المعدة من قبل المنظمات العربية المتخصصة يؤدى الى استخدام تلك الموارد بكفاءة أكبر ٠ ولن تقتصر الفائدة من ذلك على دولة معينة أو مجموعة من الدول وانما ستستفيد كافة الدول العربية ٠ ان الوطن العربي يستطيع اذا أحسن استخدام موارده الاقتصادية الزراعية المتاحة أن يصبح ليس فقط مكتفيا ذاتيا من الغذاء ومحققا للامن الغذائي العربي وانما يصبح كذلك مصدرا صافيا للسلع الغذائية والزراعية الاخرى ٠ ان حل المشاكل الزراعية فى الوطن العربي بطريقة جذرية ، لا يمكن أن يتم على أساس قطرى ، ومن هنا تبرز أهمية العمل العربي المشترك والاعتماد الجماعي العربي على النفس لتحقيق الثورة الخضراء والتنمية الزراعية العربية بشقيها الرأسى والافقى وبالتالى تحقيق الاكتفاء الذاتي من الغذاء٠ وان البرنامج الاساسى للتنمية الزراعية بالسودان (٧٦ ـ ١٩٨٥) والذى يقدر حجم الاستثمارات اللازمة لتنفيذه بـ ٢٢٨٧ مليون جنيه سوداني (باسعار ١٩٧٥) والذى اسست الهيئة العربية للاستثمار والانماء الزراعي (بمشاركة عدة دول عربية) برأس مال قدره ١٥٠ *مليون دينار كويتي لتعمل في المقام الاول على تنفيذه* ـ لخطوة جادة على هذا الطريق ٠ ■■

الكويت ـ د ٠ سعد نصار

هذا التزييف والخداع التاريخي

للفيلسوف الفرنسي روجر جارودي

● رئيس الوزراء الاسرائيلي ـ مناحيم بيغن ـ يقاتل في سبيل ما اسماه «باسرائيل الكبرى التي تضم جميع المناطق التي كانت واقعة قبل ثلاثة آلاف سنة تحت سيطرة الملك داود والملك سليمان . وهذا الادعاء بان لليهود حقوقا تاريخية في فلسطين هو ادعاء مبني على التزييف والخداع التاريخي .فالبلاد التي تدعوها التوراة بارض كنعان والتي اصبحت منذ عهد الرومان تدعى فلسطين اي (بلاد الفلستينيين) هي جزء من الهلال الخصيب الذي يمتد من الفرات الى النيل ـ منطقة عبور تاريخية ادت الى امتزاج شعوب لا حد لها ولا حصر ـ ولما انتقلت قبائل ابراهيم من اور في بلاد النهرين في القرن الثاني عشر قبل الميلاد لتستقر في كنعان لم تكن البلاد صحراء قفرا ولم يكونوا هم اول المستوطنين فيها . فالعموريون وصلوا هناك قبل ٨٠٠ عام من وصولهم، والاراميون وصلوا في القرن الثاني عشر قبل الميلاد ،وبعد فترة وجيزة استقر الفلستينيون في الساحل .وفي سنة الف قبل الميلاد تمكن داود بقوة السلاح من اضعاف الفلستينين والاراميين.

وقد اصبحت البلاد ولاية آشورية في القرن الثامن قبل الميلاد وبعدئذ اصبحت ولاية رومانية ثم فارسية واخيرا ولاية عثمانية قبيل انتقالها الى يد الاستعمار البريطاني .

وباي نوع من انواع التزييف التاريخي يجعلنا نتذكر فقط بعض احداث هذا التاريخ الطويل فنتذكر مثلا هجرة ابراهيم فقط من بين كثير من الهجرات ونتذكر مملكة داود فقط من بين كثير من الممالك ونتذكر ثورة المكابيين فقط من بين كثير من الثورات ؟

هذا الاحتكار لايستند الى اساس كما لو ان البريتون وهم من اصل صلطي وقد سكنوا المنطقة المعروفة بفرنسا اليوم (في نفس وقت هجرة ابراهيم لارض كنعان) اخذوا يدعون بان فرنسا هي لهم وحدهم بحسب حقهم التاريخي .

وهذه الخرافة التاريخية هي التي يغرسونها في اذهان الشبيبة الاسرائيلية منذ اول التحاقهم بالمدرسة ... وفي كتب التاريخ الاسرائيلية لا اهمية الا للحوادث التي تتعلق باليهود في تاريخ البلاد.وعملية التعليم التي يتعرض لها هؤلاء الاطفال تجعلهم يعتقدون ان الحوادث في فلسطين محصورة فقط في ثورة بركوكبا في القرن الاول للميلاد ودمار الهيكل ثم ظهور هيرزل وميلاد الصهيونية . ولايذكرون انتشار الاسلام ولا الفترة الصليبية ولا الغزو المغولي ولا ثورة العرب ضد السيطرة العثمانية على اي جزء من تاريخ البلاد. وتتميز الروح الصهيونية بالرفض لوجود اي شيء ليس يهوديا (في فلسطين) هذا هو مبداها الاساسي .

وعندما سال انشتاين وايزمن عما سيحل بالعرب اذا اعطيت فلسطين لليهود اجابه (متسائلا) « اي عرب ؟ انهم لااهمية ولا وزن لهم بتاتا » .

● استاذ الادارة المالية في معهد وست فرجينيا التكنولوجي ـ الولايات المتحدة الامريكية .



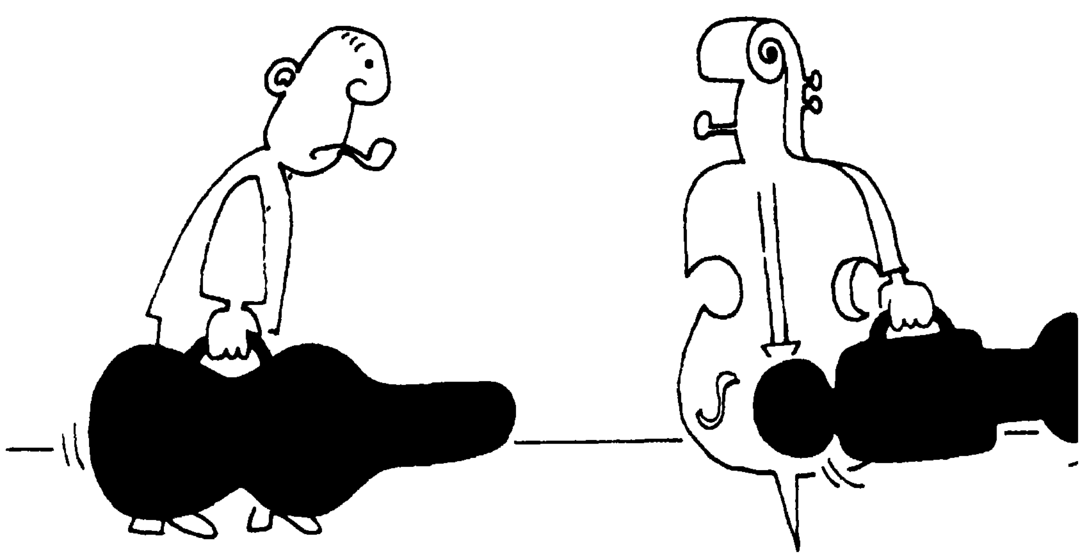
بدون تعليق



سرقات موسيقية



الفن والحياة



بدون تعليق

● قصة من الجزائر ●

خطيبتي

بقلم : عبد الحميد بن هدوقة

● كانت فى السابعة عشرة من العمر ، لم اكن اعرفها ولم اكن احبها ، ولست ادرى انكانت تعرفنى او تحبنى ؟ رضيت بالزواج منها استجابة لرغبة والدى ورضيت بالزواج بى رضوخا لقضاء والديها .

كانت تحدثنى امى عنها بالكثير . ولكن امى لو حدثتنى عن كل من خلق الله فى هذه الارض من فتيات لكانت الصورة واحدة .

كانت تحدثنى عنها حديثها عن خطيبات اخوانى الكبار قبلى :« فتاة جميلة ، حيية ، صامتة صالحة » . ولهذه الصفات عند امى معان مضبوطة لا تتعداها . فالجمال يعنى ان خطيبتى ليست مريضة وليس بها عيب من العيوب الجسمية ، والحياء معناه الطاعة ، والصمت كونها لا تنقل اخبار حياتنا الداخلية الى الجيران . اما الطبخ والنسج وغسل الثياب فتلك هى الشؤون المنزلية الاساسية التى بدونها لا تكون الفتاة فى ريفنا فتاة صالحة .

لم يتح لى ان اراها قبل خطبتها ولو مرة واحدة . كانت من قرية اخرى تبعد عن قريتنا بنحو عشرة كيلومترات ولهذه المسافة فى الارياف الجزائرية معناها الهام فليست هناك طرق معبدة ، ولا وسائل مواصلات غير وسائل الانسان الاول..

لم ارها الا مرة واحدة فى حياتها اما فى حياتى فسارافقها الى الابد ...

كان ذلك فى ليلة عيد الاضحى حيث دعتها امى لقضاء ايام العيد بيننا ...

★ ★ ★

لدارنا فناء واسع الارجاء ، به نجلس ايام الصيف . لم اكن بالبيت عندما جاءت خطيبتى كنت بالبستان اسقى بعض المغروسات وعدت قبل ان اتم السقى ، لست ادرى لماذا ؟ نسيت الآن. واذ فتحت الباب الخارجى رأيت فتاة لم اوها قبل. كانت تشبه الفتيات الاسبانيات ، صورة وهنداما. حاجبان مقوسان ،عينان سوداوان ، شعر حالك طويل . صدر ممتلىء جسم نحيف منسجم الاعضاء مستقيم القوام . اثواب فضفاضة حريرية زاهية . تلك هى الصورة الاولى التى ارتسمت فى نفسى لخطيبتى وانا اراها واقفة فى فناء الدار ، وهى ايضا الصورة التى بقيت فى ذاكرتى الآن :صورة فتاة هيفاء قررت فى نفسى ان اخرق العادة واصافحها ... كانت وقتها طائرة من نوع(ب٢٦) تحلق فوقنا كانها تبحث عن منزل . وهكذا اقترنت صورة خطيبتى وتصافحنا الاول بطائرة الب ٢٦ !

خرجنا فى ذلك المساء وحدنا خفية عن امى . نتجول حول الدار دارنا الجميلة المطوقة بكروم الدوالى وشجر الصفصاف والرمان . كانت الشمس تلفظ آخر اشعتها على جبال «اولاد ثائر (١)» وكانت السماء صافية كمرآة العذراء . وكان الفصل صيفا ولكن الجو كان شتاء .وكانت الليلة ليلة عيد ولكن البيوت كانت خالية من آثاره ، خاوية من افراحه . كان نوع من الاطمئنان الحزين يسود القرية ولكن فى قلب ذلك الاطمئنان كانت الثورة ثائرة ،فقد قرر سكان القرية ان يكون يوم العيد يوم اضراب . لا عن شغل او اكل او احتفال بالعيد ولكن عن شيء آخر عرفه سكان قريتنا وحدهم ... كانت السلطة العسكرية الفرنسية فرضت فى صيف تلك السنة الثانية للثورة على

(١) قرية قرب برج بوعريرج بالجزائر .



القرية ان يذهب يوميا جميع السكان الى قرية اخرى حيث المركز العسكري لمبايعة المعلم الفرنسي: اعرابا عن ولائهم ... وضج الاهالي من هذا الولاء المفروض فقرروا ان يكون يوم العيد نهاية الولاء الاجباري وبدء العصيان الحر .

كانت القرية صامتة صمت المآسي ، ساكنة سكون الخراب ، مطمئنة اطمئنان السجون حزينة حزن اللاجئين ، ومن عادتها في غير هذه السنوات ان تكون في اماسي الصيف كخلايـا النحـل فهناك اغاني الرعاة العذبة المتجاوبة هنا وهناك فوق الربى والتلال ، وهناك صهيل الخيل ونهيق الحمير المتصاعد من الحقول والمروج ، وهنا عواء الكلاب الذي لاينتهي ...

ومن عادتها في ليالي العيد ان لاتنام فيكثر الذهاب والاياب والتزاور والتنادي ويعلو من كل بيت ازيز المهاريس التي تهرس حناء العيد ويرتفع في كل جهة ثغاء جميل حزين .. ثغاء الاكباش والخراف التي لاتنام ليلة العيد ..

ولكن هذا المساء كان صامتا لاثغاء خـراف ولا عواء كلاب ولا نداء ..ولم النداء ؟ فالجميع متفقون على ان لايذهبوا في الغد لمبايعة العلم، والجميع يعرفون ان عيدهم الحقيقي مايزال حلما في رؤوس الجبال .

كنت وخطيبتي نمشي قرب جدول . كان ماؤه صافيا كدموع اليتامى. وكنا صامتين . وفجأة سألتني:

ـ امسافر انت حقيقة ؟

ـ نعم مسافر .

ـ الى اين تذهب ؟

ـ لست ادري .

ـ كيف لاتدري ؟ هل هناك مسافر لايعرف الى اين هو مسافر ؟

ـ نعم ، هو انا .

ـ وانا ؟

ـ انت ساعود اليك متى عدت ؟

سكتت لحظة . كانت شديدة الحذر في حديثها. وتوهمت ان مايجري في نفسها لايكون الا هـذا السؤال :«وان لم تعد ؟ » ولكنها قالت بأسى :

ـ اخشى ان لاتجدني عندما تعود .

ـ لماذا ؟

لم تجبني حالا ، ولم استطع فهم مرماها ؟ لم قالت باعجاب :

ـ كم هي كبيرة هذه الكرمة !

وكنا وصلنا الى مكان به شجرة رمان وكرمة تين كثيفة الاوراق عالية الاغصان . هي اكـبر كرومنا سنا وثمرا . كنا نسميها «كرمة الساقية» لانها تقع على الساقية المارة من هناك ووقفنا امامها وكانت خطيبتي معجبة بضخامة الكرمة اى اعجاب. وقالت :

ـ لكانها تصلي !

ـ انها تحلم .

ـ بماذا ؟

ـ باغنية الساقية .

ـ هل الساقية تغني ؟

ـ نعم تغني .

ـ وماذا تقول ؟

ـ تقول مادام الماء يملأ احشائي فلن ادع الظما يمضغ القلوب .

ـ قلوب من ؟

ـ كل شيء .

ـ هل شربت من ماء هذه الساقية ؟

ـ لا .

ـ لماذا ؟ الا تحب ماء السواقي ؟

ـ لااحبه شرابا مادمت استطيع الشرب من المنبع ، ولكني احبه اغنية .

فابتسمت وقالت في لهجة تشبه لهجة الاطفال اذا فهموا سؤال المعلم :

ـ اذن انت كالكرمة !

ـ ربما انا مثلها ، ولكن في الاحلام فقط ، فكلانا يحلم .

ـ هي تحلم باغنية الساقية ، وانت بايـة اغنية ؟

ـ باغنية الجبال ...

فسألتني ببراءة وسذاجة :

ـ هل الجبال تغني ايضا ؟

ـ نعم تغني .

ـ وماذا تقول ؟

ـ تقول مادمت في ارض لن يطغى عليها البحر.

وسكتنا . وكنا في أعماق ذلك الهدوء نستمع الى ما يجري في قلب الطبيعة من شجون وشؤون : كان خرير الجدول يشبه في نغمه واسترساله ترتيل المتبتل في محرابه . وكان حفيف الاوراق يشبه في وشوشته وهمسه قصـة غراميـة مليئة بالاحـلام والالام . وكانت زهور الرمان تسقط على الارض

رادى ومثنى وثلاث ، يحكى سقوطها نهـاية زمن نهاية حياة • ورات خطيبتى زهرة سقطت بالقرب نها فرفعتها واخذت تنظر اليهـا بامعـان وقالت نبرة حزينة :

ـ مسكينة هذه الزهرة! لماذا يسقط زهر الرمان كذا ؟

ـ ليثمر الباقى ••• نوع من التضحية تعرفه لطبيعة ولا نعرفه •

ـ ولماذا لا يثمر الجميع ؟

ـ لأن الريح قاسية •

ـ هل صحيح أن أرواح المحبين تتلاقى بعد الموت؟

لم أفهم معنى هـذا السؤال الغريب ولا فهمت لداعى اليه ولكننى احببت ان اجيبها على كـل ال فقلت :

ـ ذلك اقل ما ينبغى ان يكون •

عادت الى الصمت من جـديد والى التامل فى هرة الرمان التى رفعتها من الارض منذ حين وبدت ى حزينة • لست ادرى لماذا ؟ ولكنى كنت اشعر ئىء ما يضطرم فى فؤادها ••• بشىء يؤلمها ولم ستطع البوح به • ومن ذلك الحزن احسست بحنان موها يملأ نفسى ويغمر كل كيانى وشعرت برغبة لحة فى ان اراها تنظر الى ولكنها كانت تنظـر لى زهرة الرمان فى يدها •

لقد عرفتها ••• عرفت خطيبتى منذ ان رايتهـا تامل الزهرة الذابلة • وكدت اصرخ الى الليل لذى حجب عنى نور عينيها ، والى الفضاء الـذى متضن صوتها العذب والى الكرمة الخاشعة الحالمة لتى سمعت حديثنا ، والـى اشجار الصفصاف لصامتة التى تطوق الدار ، والى ازهار الرمان لتساقطة التى احزنتها ، كنت اصرخ قائلا « انى تالم مما يؤلم خطيبتى ••• انى اتالم من الالم » لكن صرختى لم تخرج من حلقى بل تفجرت فـى وحى ، وسمعت صداها وحدى يجوب ابعاد وجودى لداخلى ••• هل كنت احبها ؟ لست ادرى كل ما دريه هو انى كنت اشعر بدموعى تملأ مآقى وانا راها تتامل الزهرة الذابلة ثم رمت الزهرة بحركة نم عن غضب حزين مكبوت فى نفسها والتفتت لى وسالتنى قائلة :

ـ هل تخاف ؟

وقلت :

ـ مماذا ؟

وقالت :

ـ من الموت ؟

فقلت :

ـ لست ادرى •

كنا شابين وحدنا فى مكان كل ما فيه يدعو الى تبادل عبارات الغرام وتساقى الهوى وكان ذلك اللقاء الاول بيننا • وبدل ان نرشف من جداول الحب النابعة من قلبينا ولو رشفة ونطفىء ذلك اللهب المتـاجج فى نفوسنا اذا بنـا نتحـدث من عن الموت • « هل اخاف من الموت ؟ » وهب اننى لا اخاف ـ فانى لا احبه على كل حال •

وعادت الى السؤال فقالت :

ـ اذن انت مسافر ؟

فقلت :

ـ لا شك فى ذلك •

ولم اتمم جملتى حتى دوى فى السمـاء ازيـز رهيب اسود يائس يملأ النفوس ذعرا • وهممنـا بالعودة الى البيت مسرعين • ولكن ذلك الازيز كان قد اقترب حتى لنكـاد نتخيله يئـز فى قلوبنـا ، ويعصف بكل ما كـان فيها من احـلام ومن ياس ايضا • وزلزلت الطائرات زلزالها واطلقت اثقالها على القرية المطمئنة • واخذ لهب القنابل المحرقة يرتفع من الدور والشجر عاليا الى السماء ، معلنا ان اهل القرية ايقاظ • واضاءت نيران القنـابل والرصاص القرية من جميع اقطارها وانمحى الليل منها ، وانمحى الصمت ايضا ، وانمحى الظل فى النهاية •••

ثم غصت فى غيبوبة تشبه العدم •

★ ★ ★

وفى الغد وجدت نفسى فى مكان كثيف الاشجار لا يبعد كثيرا عن القرية • وكانت ممرضة تابعـة لجيش التحرير بصدد تضميد جروحى • لم اكن افكر فى جـروحى ، كنت افكر فى خطيبتى ، فى القريـة واضاربها وفى عيـد الاضحى • وكانت وقتئذ سحابة من الغربان تغطى سماء القرية •••

اخذت تلك الممرضة الحنون تهون على المصاب وتبذل لى من عذب العبارات وباسم الامال ما استطاعت •••

لقد ماتت خطيبتى !

جاءت لترانى قبل السفر ، وقد انمحت من الارض دارنا وقريتنا ، فلم اعد فى حاجة الى السفر •• اصبحت مسافرا فى كل مكان • ■■

عبد الحميد بن هدوقـة

طرائف عربية

الصبر والرزق الحلال

● دخل الامام على بن ابيطالب رضى الله عنه مسجد الكوفة يوما ، وقال لرجل كانواقفا على باب المسجد «امسك على بغلتي» . فاخذ الرجل لجام البغلة وتركها ، فخرج الامام على وفى يده درهمان ،ليكافيء بهما الرجل على امساكه بغلته ، فوجد البغلةواقفة بغير لجام ، فركبها ومضى ، ثم دفع لغلامه قنبرالدرهمين ليشترى بهما لجاما جديدا للبغلة . فلما ذهبقنبر الى السوق وجد اللجام فى السوق وقد باعه السارقبدرهمين ، فقال الامام على رضى الله عنه : « ان العبدليحرمنفسهالرزق الحلال بترك الصبر . »

دعوتهم فلبوك

● كان لاحد الفقهاء مناهل المدينة ابن يخالط سفهاءها ، فغضب عليه ابوه ،واخرجه الى خيبر ، ولكنالابن لم يرتدع عن مجونه ، بل جمعاليه مجموعة من المجان فى زى المشايخ ، واتفق ان خرجالفقيهالى ماله بخيبر ، فلما رآهم قال لابنه : « مثل هؤلاء كنتاريدك ان تعاشر ، ولعمرى لقد احسنت الاختيار ، وسترىيابنى ما تحب ! » فاقبل الابن على اصدقائه قائلا : « انىاخاف ان يخرج ابى من خيبر ولم يعرفكم على حقيقتكم »فقالوا له : « الساعة يعرفنا»! وحضرت صلاة المغرب فتقدمالفقيه فصلى بهم ، فلما قرا « قل يا أيها الكافرون »قالوا :« لبيك لبيك ! » فلما قرا : « لا اعبد ما تعبدون ، ولا انتمعابدون ما اعبد » قالوا : صدقت صدقت جعلنا اللهفداكفلما انصرف قال لابنه : « ما هؤلاء عليك وعليهم لعنةالله ، فما رايت مثلهم قط . قال : « وما انكرت منهم ؟ لقددعوتهم فلبوك وخبرتهم فصدقوك » .

لاتنتقصه

● روى ان ابنا لعامر بن عبد الله بن الزبير كان جالسا فى مجلس والده ، فجاء ذكر الخليفة على بن ابى طالب ، فاخذ الولد ينتقصه ،فقال له ابوه ، وكان من البررة الصالحين : « يا بنى لاتنتقصه فان بنى مروان ما زالوا يشتمون عليا على اعواد المنابر ستين سنة فلم يزده الله الا رفعة وسموا ، وان الدين لم يبن شيئا فهدمته الدنيا ، وان الدنيا لم تبن شيئا الا عادت على ما بنت فهدمته » .

● ● ●

قالوا فى العلم

● قال الاحنف بن قيس : « كاد العلماء انيكونوا اربابا، وكل عز لم يكسب بعلم فالى ذل ما يصير » .

وقال ابن المقفع : « اذا اكرمك الناس لمال او سلطان فلا يعجبنك ذلك ، فان زوال الكرامة بزوالهما . ولكن ليعجبك ان اكرموك لدين او ادب » .

وقال يونس بن حبيب : « علمك من روحك ، ومالك من بدنك » .

وقال أبو الاسود : « الملوك حكام على الناس ، والعلماء حكام على الملوك » .

أنباء الطب والعلم

اعداد : يوسف زعبلاوى

الدولوبيد .. هل يستطيع أن يحل محل الاسبرين ؟

● يحتل الاسبرين ،وشقيقه
سبرو ، مكانة فريدة بين
ناقير .. فقد كان منذ
وره في المانيا سنة ١٨٩٠
كن او مزيل الالام الاول ،
لم نقل الوحيد في العالم
، . وشاع استعماله حتى
بح يباع في بعض الاقطار
ى البقاليات فضلا عن
سيدليات .. وراج حتى بلغ
تهلاكه ارقاما قياسية ،
حو ٢٠٠٠ طن سنويا في
طانيا وحدها ..

على ان هذه السيادة لم
مطلقة وقد باتت على
بدو ، مهددة . فقد اعلنوا
نرا (في مطلع شهر ابريل
نى) عن ظهور مسكن جديد
ل يفوق الاسبرين من حيث
اثره ، وطول امده ،ويمتاز
ه لقلة مايتسبب به من
طرابات معوية .. آفة
سبرين المعروفة ..

والمسكن الجديد الديفلونيزال Difluni او الدولوبيد Dolol ، ان شئت الاسم
جارى ، ليس جديدا بالمعنى
دقيق . فقد نجحت في تخليقه
ختبرات مرك شارب
Merck Sharp & Doh
Research da في الولايات

المتحدة وذلك قبل ١٤ سنة ،
كان العقار اثناءها موضع
ابحاث وتجارب واسعة النطاق
..على ان صناعته ستكون وقفا
على بريطانيا حيث العمل قائم
على قدم وساق لانشاء مصنع
الدولوبيد الذى تقدر تكاليفه
بحوالى ١٥ مليون جنيه والذى
سيبدأ الانتاج في مطلع السنة
القادمة ..ولاندرى لم اختاروا
بريطانيا مركزا لصناعة هذا
المسكن وتوزيعه في الاسواق
العالمية .

وحسبنا الوقوف عند تجربة
واحدة فقط من التجارب
العديدة التى اجروها للتحقق
من فاعلية الدولوبيد وآثاره .
فقد اختاروا ٩٠٠ رجل قسموهم
الى فئتين متساويتين ، فئة

اعطيت الاسبرين اربع مرات في
اليوم الواحد والفئة الاخرى
اعطيت الدولوبيد مرتين .
والبتت الفحوص ان الدولوبيد
كان اقوى اثرا بالرغم من انه
اعطى بنصف جرعات الاسبرين..
وتبين ان عدد الذين اصيبوا
بنزيف معوى
Intestynal bleeding
بسبب الدولوبيد بلغ نصف عدد
الذين اصيبوا به بسبب الاسبرين.

واثر الدولوبيد طويل الامد
..يدوم حوالى ساعة وقوته
تبلغ ٤ اضعاف قوة الاسبرين،
كما دلت التجارب السالفة
الذكر . اما الثمن الذى قرروه
له فيبلغ ٣٠ ضعف ثمن
الاسبرين !

دب قطبي يعزز أواصر الوفاق

هذا الدب القطبي الابيض
الذى ترى في الصورة كاد ان
يثير مشكلة دبلوماسية بين
الدولتين العظميين .. انه من
الدببة .. التى اختارها علماء
البيئة في الولايات المتحدة
لتكون موضع بحثهم ودراستهم،



لا سيما فيما يتصل بهجرة الدببة .. فهو اذن ذو هوية ، ورقمه ١٧٩٥ .. وهو يحمل في رقبته جهازا الكترونيا ..جاز ان يثير شكوك السلطات السوفياتية .. وقد ضل هذا الدب السبيل فاجتاز الحدود من الاسكا الى سيبريا .

وما اسرع ما افتقد الامريكيون دبهم ، و اذا بوزارة خارجيتهم تبرق الى نظيرتها في موسكو كما يلي :

« رجاء ، اعيدوا الينا دبنا .. »

والظاهر ان العلماء في الدولتين العظميين اقرب الى التفاهم والوفاق من الساسة والعسكريين ... فقد ابدى السوفيات استعدادهم لاعادة الدب ، بل البحث عنه ايضا ، متى سمحت الاحوال الجوية بذلك .. بانتهاء فصل الشتاء ، وهو مظلم في القطب الشمالي طيلة ساعات اليوم الاربعة والعشرين ..

واطمأن العلماء الامريكيون الى ان زملاءهم لن يسيئوا فهم الدب فيحسبوه جاسوسا ويعاملوه معاملة سيئة ..ولكنهم مازالوا قلقين . فدبهم ، بل دبتهم ، حامل وقد اقترب ميعاد وضعها ...

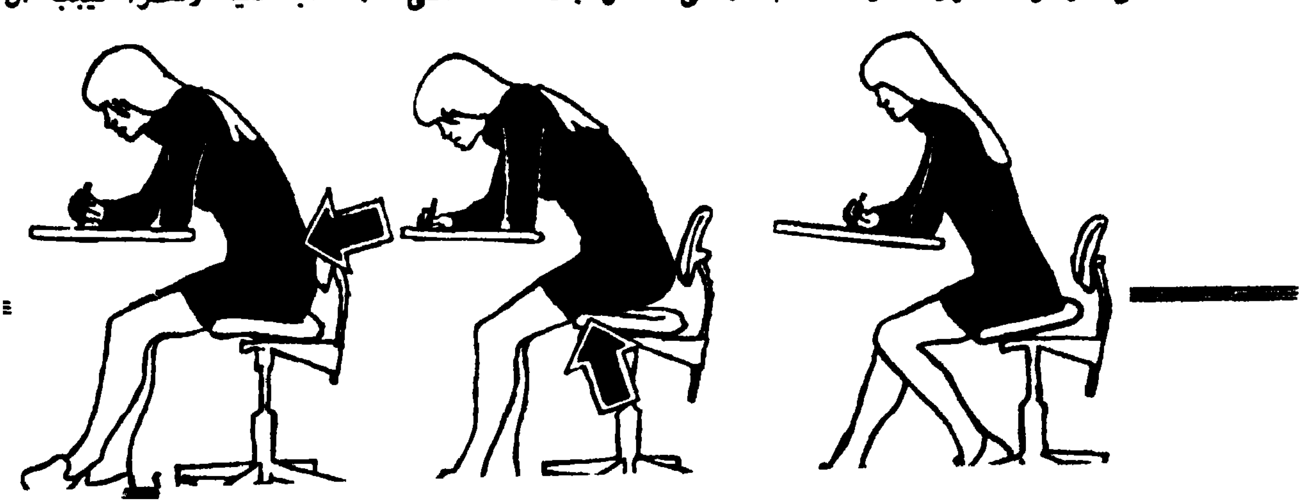
كرسي جديد ...
يبشر بالقضاء على الانزلاق الغضروفي

● انتشرت آفة الم الظهر في المدة الاخيرة حتى بلغت الخسائر التي ينزلها في الاقتصاد البريطاني - على سبيل المثال - وتبعا لانقطاع المصابين به عن مزاولة اعمالهم - حوالي ٢٠٠ مليون جنيه استرليني سنويا .. وقد اكد ذلك الجراح الاخصائي الدانمركي الدكتور أ . س . مندال Dr. A.C. Mandal في المؤتمر السنوي الذي عقدته في ادنبره مؤخرا احدى الجمعيات التي تعنى بالآفة المذكورة .

وذهب الدكتور مندال الى ان الاثاث الحديث الذي نشتريه من الاسواق هو المسئول الاول عن انتشار الم الظهر .وركز على كراسي المكاتب بخاصة .. فالطريقة التي تسمح هذه الكراسي بالجلوس عليها هي بالذات الطريقة التي طالما حث الاطباء على تجنبها .. والتي تتمثل بالانحناء الى الامام على نحو ما يفعل المرء عند التقاط شيء ما عن الارض .. والخطأ في الحالتين انما هو في تحميل العمود الفقري ضغطا لاقبل له به .

ولم يقف الجراح الدانمركي عند شرح الآفة نظريا ، بل عمد الى تحديد الاجراءات الكفيلة بتفاديها عمليا ... وكان كرسي المكاتب محور اكثر هذه الاجراءات ..ولا عجب.. فهو في نظره السبب في الكثرة الكبرى من الاصابات بالم الظهر .

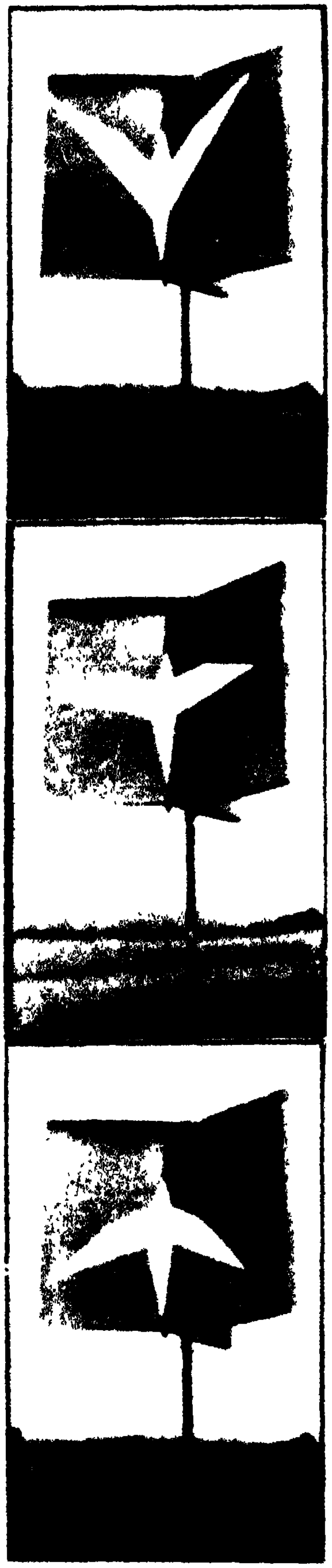
ودعا الدكتور مندال الى تعديلات جذرية اساسية تطبقها مصانع الاثاث في صنع كراسي المكاتب .فقد درجت اكثر هذه المصانع على جعل المسند هو الجزء المتحرك من الكرسي.. ولكن دور المسند محدود في هذا الصدد ، لاسيما وان استعماله قليل بل معدوم اثناء الكتابة .. وهو اقل كثيرا ، على كل حال ، من استعمال المقعد وهو الجزء الذي نجلس عليه . فهذا هو الذي يجب ان يكون متحركا بحيث يسمح بالانحراف الى الامام بزاوية قدرها ١٥ درجة .. ويسمح ايضا بالانحراف الى الخلف ولكن بزاوية لاتزيد على ٥ درجات .. اما المكتب الذي نكتب عليه ونقرأ فيجب ان



كون منحرفا قليلا على نحو ا ترى فى الصورة (١) ٠ لعل الصورتين الاخريين (٢) (٣) فى غير حاجة الى تعليق ، هما تبينان موطن الخطأ فى وضاع الجلوس على كراسى لمكاتب العادية المألوفة ٠

ومن طريف مايذكر ان الدكتور ندال كان من المصابين بالم لظهر طيلة سنوات عديدة ٠ قد اكتشف المواصفات التى دعو الى التقيد بها صدفة هو يقول فى ذلك : « كان لك ايام كنت اعانى من الم لظهر المبرح ٠٠ وايام حل ى الياس من الشفاء منه الطرق الطبية المعروفة ،وقد جات اليها كلها ،على مدى لسنين ، ولكن بلا جدوى ٠٠ قد كنت جالسا على احد كراسى المكاتب العادية ٠٠ اتفق ان انحرفت بهذا الكرسى لى الامام بحيث ارتفعت رجلاه لخلفيتان ، فوقف على رجليه لاماميتين ٠٠ ولدهشتى شعرت تحسن مفاجىء فى الم ظهرى ٠٠شعرت به فى تلك اللحظة لتى انحرفت فيها بالذات٠٠» انطلق الدكتور مندال منهذه البداية ٠٠ وواصل ابحاثه وتجاربه حتى انتهى بهالمطاف لى تصميم كرسى المكاتب لمناسب ٠٠على نحو ماسلفنا٠

والجدير بالذكر انمصانع سيمنس الالمانية لصناعة الاثاث الطبى قد باشرت فى تسويق كراسى المكاتب التى صنعتها وفق مواصفات الدكتورمندال٠



خيال « المآتة » بطراز القرن العشرين

● الجديد فىخيال «المآتة» الحديث انما هو فى الانطباعات التى يحدثها ٠ فانت تشعر وانت تنظر اليه كان طيرا كبيرا يرفرف بجناحيهعلىمقربة منك ٠٠ وان لم تشعر انت بهذا ، فالعصافير تشعر به ، فلا تلبث ان تولى الادبار ، دون ان تتسبب لمزروعات الحقل باضرار ٠

والسر فى فزع الطيور الجديد انما هو فى الواجهات الثلاث التى تلف وتدور على راس القضيب الذى يحملها٠٠ لقد رسموا على هذه الواجهات طيرا كبيرا فى اوضاع ثلاثة مختلفة ٠٠ فاذا دارتالواجهات وتلاحقت الاوضاع بدا الرسم وكانه طير حى يهم بالطيران٠٠ كما تبين الصور الثلاث ، وهى صور لجهاز واحد بواجهاته الثلاث ٠٠

اضف الى ذلك انهم رسموا الطير بمادة بيضاء عاكسة (كالفسفور) بحيث لابد للرفرفة من ان تتغير وتتبدل تبعا لحدة ضوء الشمس والزاوية التى تسقط بها اشعتها على خيال المآتة ٠٠ وبذلك تصبح الصورة اكبر شبها بالحقيقة فتفزع العصافير وتغادر الحقل قبل فوات الاوان ٠ ■■



الفندق العائم فى البحر الاحمر .. احد المشاريع السياحية الناجحة فى هذه المنطقة الغنية بمناظرها الطبيعية الرائعة .

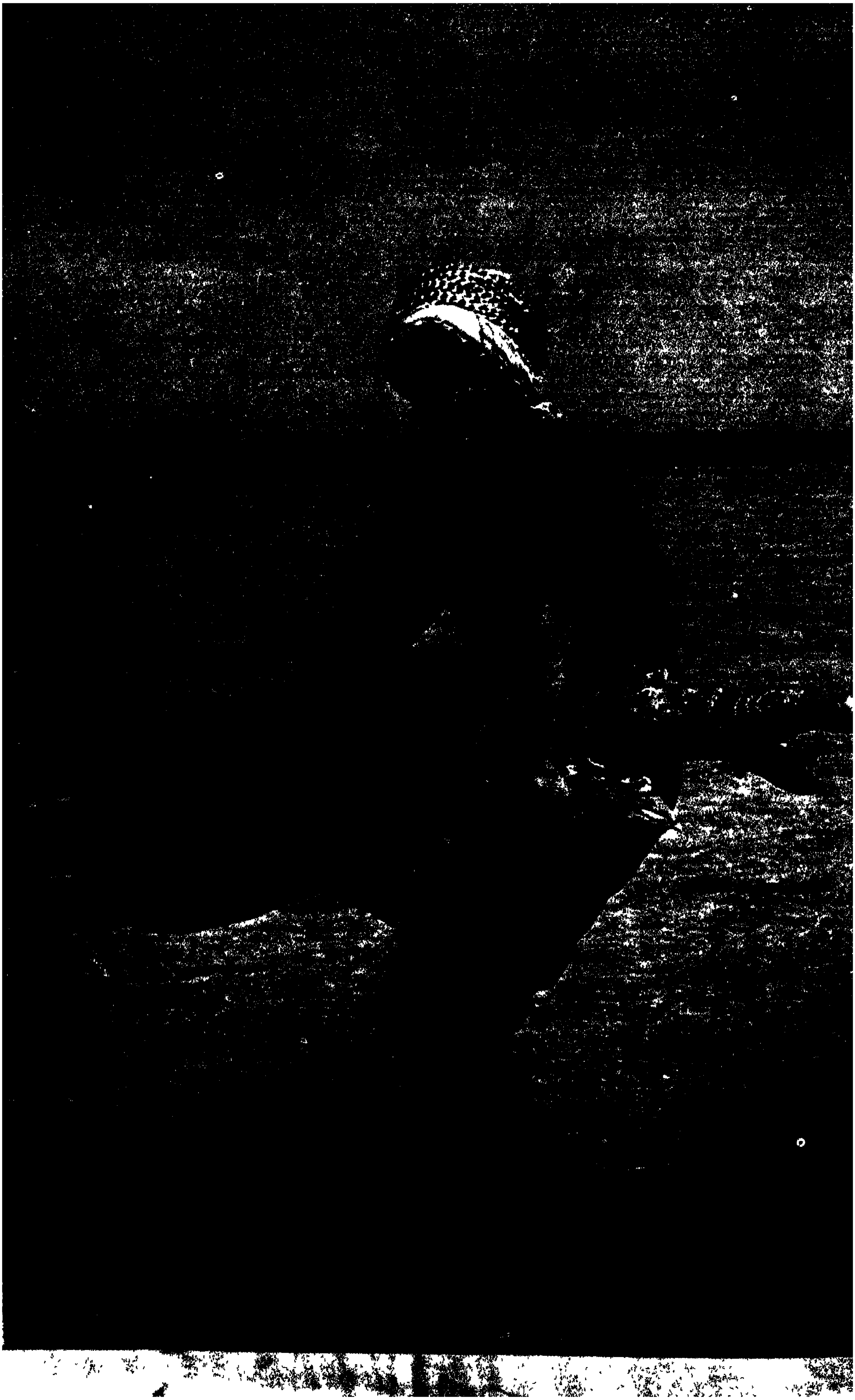
واد جديد..
جديد على شاطئ البحر الاحمر فى مصر

استطلاع بقلم : سمير نصيف

تصوير : صلاح ادم

الربان محمد برعى مع ضيوفه من السائحين الذين يأتون الى البحر الاحمر ليغوصوا فى مياهه ويسجلوا بعدساتهم ما تحويه من صور غريبة للحياة فى أعماقها .. (الصورة الى أسفل) وسلحفاة بحرية يحملها ابن البحر الذى يعيش فيه أكثر من ألف نوع من الاسماك النادرة . (الصورة الى اليسار)





في أكتوبر من عام ١٩٧٣ كان العبورمن أجل تحرير الارض في منطقة القناة وسيناء والبحر الاحمر .. واليوم تشهدهذه المنطقة معركة أخرى كبيرة .. معركة من أجل العبور الى الرخاء .. الى الغد .. وفي مثل هذا اليوم من كل عام نتجه الى هذه البقعة من الارض العربية لنسجلخطواتنا على الطريق . هنا العناق الابدى بين البحر والارض .. بين الانسانوالطبيعة .. بين الارادة والبناء .. من أجل مستقبل أكثر اشراقا .

★ ★ ★

■ صراع مع الارض ، على سطحها وفي جوفها .. وصراع مع البحر .. وصراع مع الجبل هذه هي الصورة التي ترى ملامحها اليوم في تلك المساحة الشاسعة من الارض التي كانوا يسمونها الى عهد قريب « الصحراء الشرقية » في جمهورية مصر العربية .

ارض هائلةتمتد بمحاذاة البحر الاحمر منمنطقة ابو الدرج شمالا عند الكيلو ١١٠ جنوبي ميناء السويس حتى الحدود المصرية السودانية جنوبا عند خط عرض ٢٢ درجة شمالا ، ومن ساحل البحر الاحمر شرقا حتى حدود محافظات وادى النيل غربا .. فهي تمتد طويلا لمسافة ١٠٨٠ كيلومترا وتضيق وتتسع عرضا لمسافة تتراوح بين ١٥٠ و ١٨٠ كيلو مترا والى هذه الارض العربية التي بقيت بعيدة نائية مجهولة لسنوات وسنوات طويلة ، قصدنا لنرى ما الذى يجرى فيها اليومبعد ان اصبحت واحدة من محافظات مصر ، بل اكبر محافظاتها اطلاقا ، فهي تشكل ربع مساحة الاراضي المصرية او اقل قليلا(ربعمليونكيلو مترمربع)..

والصراع « الجديد » الذى شاهدنا ملامحه ، بدأ في محافظة البحر الاحمر مع بداية تطبيق نظام الادارة المحلية عام ١٩٦١ ، عندما تقرر فتحها للجماهير ، بعد ان كانت قبل ذلك ارضا تمثل حدودا استراتيجية ، فهي منطقة عسكرية غير مصرح بالدخول اليها بدون تصريح ولاشيء اكثر من هذا !

وقفة مع التاريخ

وقبل ان نمضي في رسم صورة لهذه الملامح ، نتوقف هنا قليلا لنعرف ماذا كانت عليه هذه المنطقة في كتب التاريخ ؟ لقد قال مارك توين : « انت تائه ، اذا لم تعد الى التاريخ.. فالتاريخ حياة .. ولكل حياة بداية ، ولن تجدها الا في الكتب التي تنقل لك القصة من بدايتها ! »

وقد تهنا بفكرنا ، والسيارة تنطلق بنا على هذا الطريق الساحلي الممهد الذى يسير بمحاذاة مياه البحر ! ما هذا الذى نراه من حولنا ؟ هذه الجبال الشامخة .. هذه المياه الزرقاء الصافية التي تستطيع العين ان تنفذ الى اعماقها وترى كل شيء فيها .. هذه الرمال الناعمة التي تغطي الشاطىء الجميل .. مناظر طبيعية ساحرة لمتمتد اليها يد انسان بعد ، او ربما امتدت اليها ، ولكنها لم تبق معها طويلا .. فما لبثت ان عادت الى طبيعتها الاولى ..

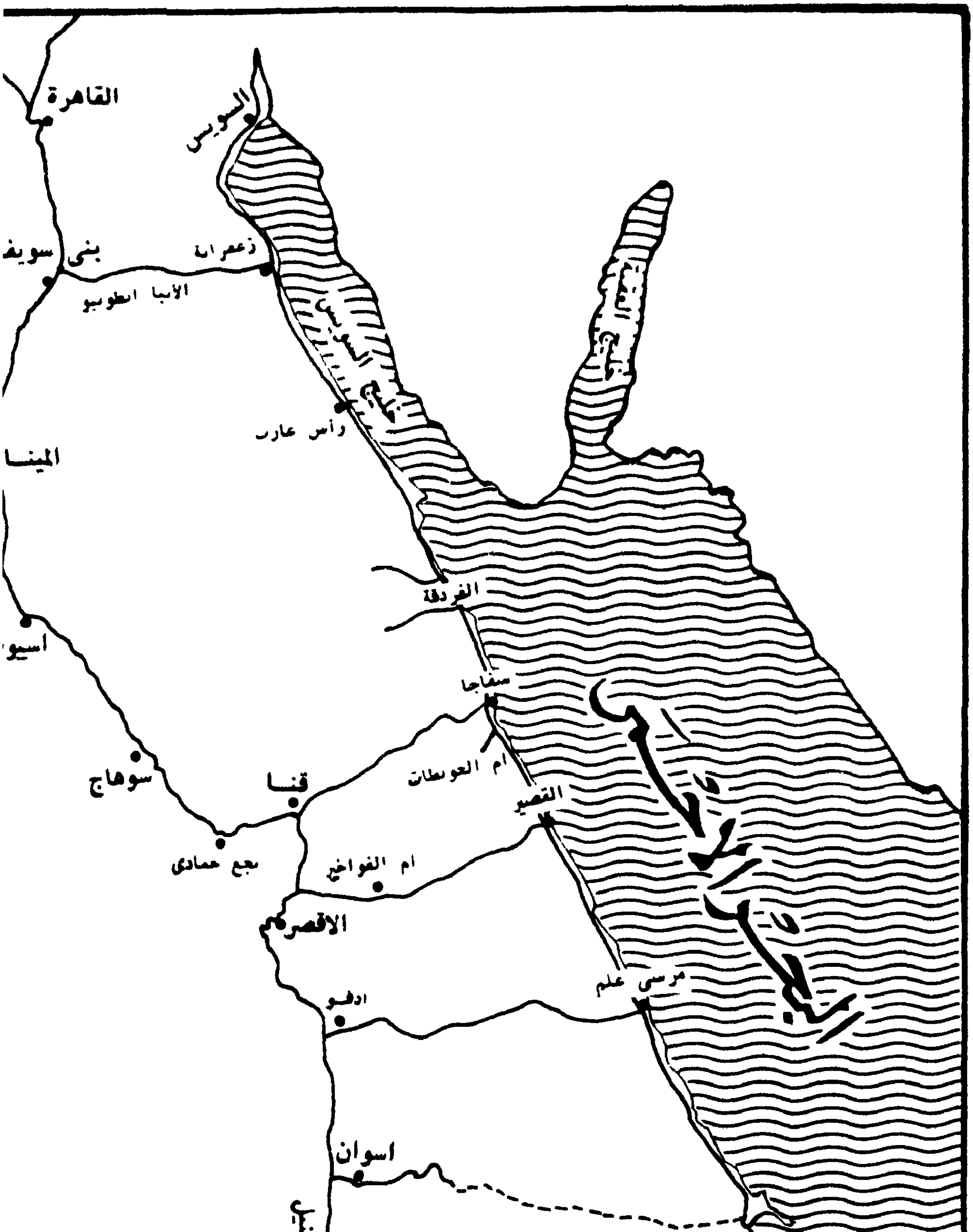
البحر والجبل .. اكثر مايشدك ويثير اهتمامك .. ولكن الوصول الى الجبل اسهل .. وامام الجبل لا بد وان تجد نفسك تقف وتتامل تلك الاحجار التي صمدت كما لا يصمد شيء على الارض ..كلهم مروا من امامه ، او تسلقوااحجاره عندما وجدوها تعترض الطريق الذى اختاروه لمسيرتهم .. وكلهم ذهبوا بعد ذلك ، وبقيت ..بقيت الجبال واحجارها شامخة شاهدة على ما دار معها وفوقها وبين وديانها ! ما اقصر عمر الانسان امامها !

مهد للحضارة قديما

هكذا يقول التاريخ .. لقد كانت هذه المنطقة مهدا للحضارة ، منذ ان عرفت مصر الحضارة في تاريخها القديم ، ثم بعد ان فتحها المسلمون ودخلوها ، وحتى قبل الفتح الاسلامي عندما دخل الرومان الوثنيون مصر وراحوا يطاردون المسيحيين الذين لم يجدوا ملجا ياوون اليه ويختبئون فيه بعيدا عن بطشهم ، سوى تلك المنطقة النائية من الصحراء الشرقية ، فهربوا اليها وراحوا يبنون معابدهم واديرتهم في احضان الجبل الذى كان لهم حصنا وحامية منذ قرون طويلة خلت .

لم ماذا ؟

المصريون القدامى اكتشفوا الطريق من « قفط » في صعيد مصر الى القصير على البحر الاحمر .. ومن قفط جاء المهندسون والرسامون والنحاتون..



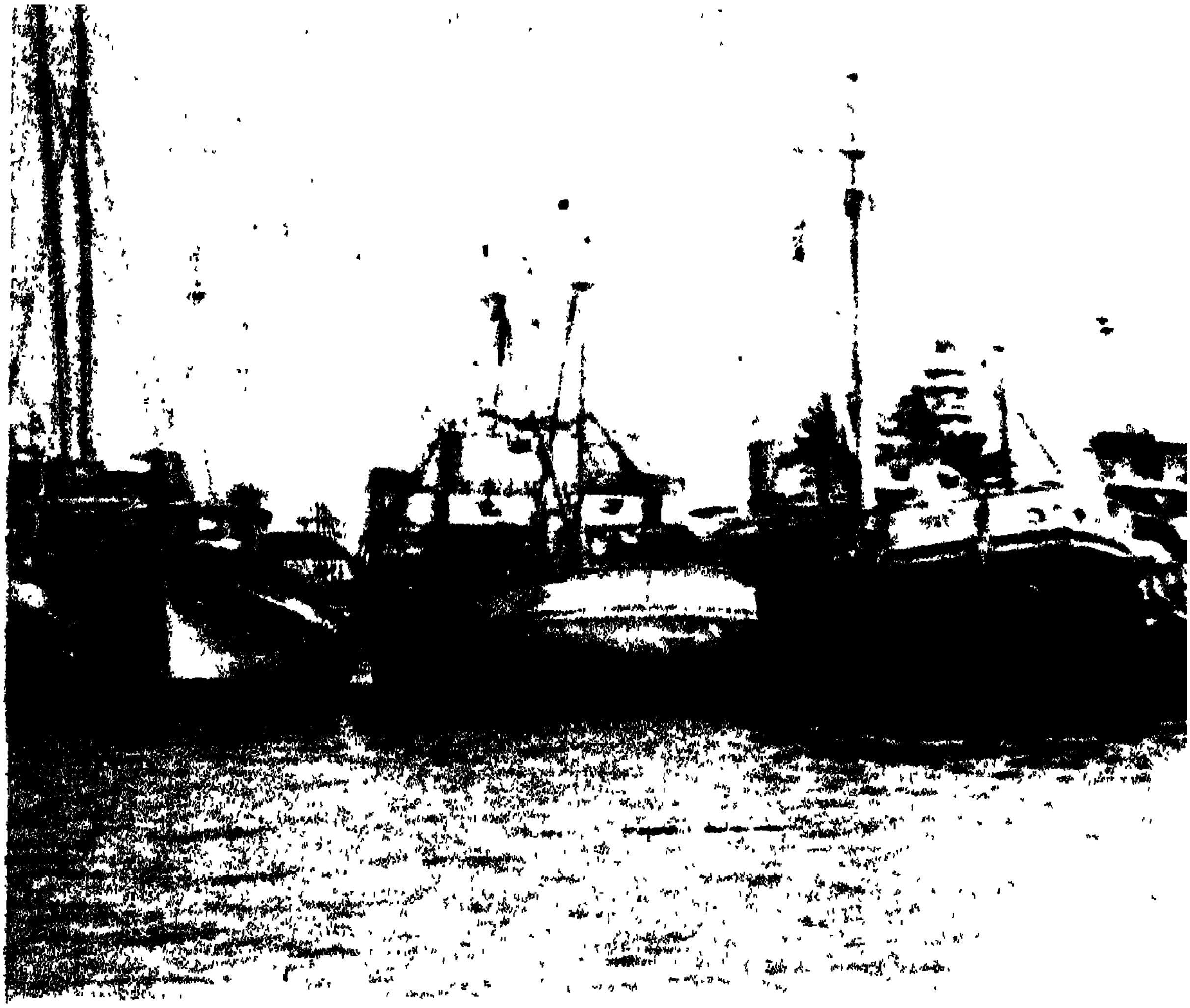
واد جديد جديد

خريطة لمحافظة البحر الاحمر .. ارض شاسعة تشكل ربع مساحة الاراضى المصرية ..



ت من اسطول الصيد على الشاطىء •• لقد ارتبطت حياة أهل المنطقة بالبحر •• وانضم اليهم
ـروة هائلة من الاسماك ينقلها الصيادون يوميا فى ثلاجات ضخمة الى مختلف انحاء مصر •• ان حياة
يرقصونها بملابس الصيد التقليدية •• ومن قبلها رقصوا لشدوان وبطولة





اخوانهم الذين جاءوا منمختلفأنحاء مصر٠٠بعضهميصطاد السمك لحسابه وبعضهم يعمل لحساب الدولة
الصيد فى البحر لا بد وان توحى لابناء المحافظة باشياءكثيرة٠٠وهكذا جاءت رقصة الصيادين وهم
رجالها الصيادين ايضا فى معركتهم مع العدوالاسرائيلى ام ١٩٧٠ ٠



واقاموا في هذه المنطقة الغنية ، ولم يتركوها قبل ان يسجلوا على احجارها بعضا من آثارهم التى تحمل طابعهم حتى اليوم وينقلوا البعض الاخر بعرباتهم التى تجرها الثيران •• وبهذه الاحجار التى كانت تصل اليهم في الصعيد بعد رحلة شاقة تستغرق خمسة ايام كاملة ، شيدوا معبد امون في طيبة •

واكتشف المصريون القدامى بين ما اكتشفوا ايضا معدن الذهب في بطن سلسلة جبال البحر الاحمر•• وكانت كميات الذهب المستخرج من هذه المناجم موردا اساسيا من موارد الدولة المصرية القديمة ••

والرومان اهتموا بالصحراء الشرقية حيث كانوا يحصلون منها على الاحجار التي يستخدمونها في بناء معابدهم •• ومن اشهر هذه المحاجر التى تتحدث عنها كتب التاريخ ، محجر وادى ابو خريف او « مونس كلاوديانوس » ومحاجر جبل الدخان « موس بروفريتس » .وكانوا ينحتونها ويصقلونها قبل شحنها الى روما • ولا تزال بعض هذه الاحجار ملقاة بجوار جبل ابو خريف حتى اليوم •• لقد ذهب الرومان ، وبقيت هي تحكي قصتهم معها •• كما بقيت الاديرة التى بناها المسيحيون ليتعبدوا فيها بعيدا عن بطش الرومان ، واشهرها دير الانبا انطونيوس •• ودير الانبا بولا •• وهي اديرة مسكونة بالمتعبدين الزاهدين في متع الحياة •

في العصر الاسلامي

ثم جاء المسلمون كما ذكرت ودخلوا مصر ووصلوا الى صحاريها •• واصبحت « الصحراء الشرقية » في العصر الاسلامي معبرا للقبائل العربية التى هاجرت من شبه الجزيرة العربية الى السودان وغيرها من الدول التى انتشر فيها الاسلام .ويقول المؤرخ « ماك مايكل » ان عدد القبائل العربية التى استقرت في الصحراء الشرقية او مرت بها اكثر من ٢٢٠ قبيلة •

وعندما تعرضت دلتا وادى النيل في عهد الخليفة المستنصر بالله الفاطمي الى هوة اقتصادية ، تحول طريق قوافل الحج والتجارة في عام ٤٦٠ هـ (١٠٧٦ م) الى طريق النيل من قفط وادفو واسوان الى عيذاب على شاطىء البحر الاحمر عبر « الصحراء الشرقية » ، حيث كان الحجاج يركبون السفن منها الى جدة •

وكان ميناء القصير احد موانىء البحر الاحمر حاليا ، واقدمها يزدحم بالسفن المحملة بالتجارة القادمة من شرق افريقيا وآسيا .وقد بقي حتى وقت ليس ببعيد ميناء الحج الرئيسي .قبل ان يحتل ميناء السويس هذا المركز بعد حفر القناة السويس •• هذا الشريان الحيوى الذى احدث ثورة في حركة الملاحة البحرية ، فقد تحول البحر الاحمر بعد شقها من بحر مسدود تدور فيه السفن حول نفسها الى واحد من اهم بحار العالم التى تربط ما بين شرقي وغربي العالم الفسيح ••

ومن بين العوامل الاساسية التى ساعدت على ازدهار موانىء البحر الاحمر الجنوبية في «الصحراء الشرقية » ، نشوب الحروب الصليبية بين العرب والفرنجة حول الاراضى المقدسة ،مما ادى الى تحول الانتظار عن الموانىء الشمالية مثل ميناء السويس ، وقد ظل الحال كذلك ، الى ان قام بيبرس باسترداد العقبة من الصليبيين عام ١٢٦٧م بعد ان انزل بهم الهزيمة وشتت جيوشهم فتحول طريق الحج مرة اخرى الى السويس والعقبة •

غير ان موانىء البحر الاحمر المصرية مالبثت ان تاثرت بتحول طريق التجارة العالمية الى راس الرجاء الصالح شانها في ذلك شان معظم المدن المصرية التى كانت تقوم على هذه التجارة •

القبائل العربية

كان لهذه المنطقة اذن حضارة قديمة ،قبل ان يعود اليها ابناؤها مرة اخرى منذ خمسة عشر عاما او اكثر ، حاملين معهم ذكريات تاريخ طويل••

محافظ البحر الاحمر اللواء على أحمد عثمان •• « ان ما يحدث الان في هذه البقعة من الارض العربية ، هى نقاط مضيئة على الطريق •• طريق البناء والرخاء • »





جانب من ميناء سفاجة .. ثانى اكبر موانىءمصر بعد ميناء الاسكندرية .. ان العمل يجرىالان لبناء ارصفة جديدة لرسو المزيد من سفن الشحنالكبيرة .. وفى سفاجة تفرغ البواخر حمولاتها من الحبوب بانواعها ، وتنقل البواخر نفسهاالنوسفات الذى يستخرجمن مناجمالقصير وسفاجة والحمراوين وابو طرطور .. واخيرا يبحر منهالحجاج الى بيت الله الحرام ويعودون اليه .. ان سفاجة هى المنفذ والمتنفس لمحافظة مصر العليامن اسوان حتى اسيوط .

ولكن هل معنى هذا ان هذه المنطقة الشاسعةبقيت مهجورة بلا حياة على مدى هذه القرون منذ الفتح الاسلامى حتى اليوم ؟

والجواب بالنفى ! فصحراء البحر الاحمر ان جاز لنا ان نسميها صحراء ينتشر فيها سكانها الاصليون ،وغالبيتهم من قبائل العبابدةوالبشارية وقد استقرت جماعات منهم فى داخل الوادى وشرق النيل وغربه فيما يسمى بالحواجر ، مثل حاجر قنا والاقصر واسنا وحاجر دارو وادفووغيرها ولاتزال هناك مجموعات من هذه القبائل تعيشحول الابار الجوفية .. وقد كانت هذه الابار محطات التموين الرئيسية للقوافل خلال رحلاتها بين السودان والصحراء وبين وادىالنيل وشواطىء البحر الاحمر فى فجر الاسلام ،وبعد انتشاره .

منطقة البحر الاحمر لم تكن ابدا صحراء .. فلا يمكن ان نطلق هذه الصفة على ارض لاتبعد عن مسيرة الانهار بمياهها الحلوة العذبة لمسافة تزيد قليلا على المائة كيلو متر ، كما لايمكن اننسميها صحراء ، وفى جوفها مياه حلوة لاتحتاج فىسبيل الوصول اليها واخراجها الى السطح لاكثر من ازالة جزء يسير من القشرة الارضية التى تسير فيها ومن خلالها .. هكذا تقول دائرة المعارففى تعريفها للمناطق الصحراوية ! لقدذهب بعض الخبراء الى ابعد من هذا فقالوا ان هناك نهرا فى باطن الارض يمتلىء بالمياه الحلوة .

واذن فسوف نسقط هذه الصفة عن منطقة البحر الاحمر الواسعة الشاسعة التى بدات تشهد اليوم علامات مضيئة على الطريق لكى تصبح منفذ مصر ومتنفسهاواملها فىمستقبل افضل.. انها الوادى الثالث بعد وادى النيل والوادى الجديد فى الصحراء الغربية .

فقد جاء ابناء الوادى .. وادى النيل الى المحافظة الجديدة ليبداوا معها حياة جديدة بعد الذى سمعوه عن هذه البقعة من الارض المليئة

بعض انواع الاسماك التى تعيش فى مياه البحر الاحمر.. أسماك غريبة من كل لون وحجم .



اطفال الزوجات العاملات فى روضة الاطفال .. هنا مستقبل بلادهم فى محافظة البحر الاحمر . (الى اليسار)

سيارات الشحن الكبيرة محملة بخام الالمنيوم الذى يصل الى ميناء سفاجه من الخارج ، وينقل الى مجمع حمادى لتصنيعه ثم تصديره للخارج مرة اخرى . (الصورة الى اسفل) .









مستشفى الغردقة .. وبعض سيارات الاسعاف الحديثة التى زود بها .. يقول المسؤولون فيه « اننا نقوم باجراء كل العمليات الجراحية الكبرى هنا . لم نعد ننقل مرضانا الى المستشفيات الاخرى منذ افتتاح هذا المستشفى الحديث قبل حرب اكتوبر باشهر قليلة » .

بالغير ، وبعد الذى راوه يجرى فيها ومن حولها من عمل يبشر بمستقبل مشرق !

نقطة البداية

ما الذى راوه ورايناه معهم فى محافظة البحر الاحمر !

رجال الاقتصاد والتخطيط يقولون : « هناك اسس ثابتة لابد من ارساء قواعدها ، اذا كنا نريد ان نبنى مجتمعا جديدا او ننهض به .. واول هذه الاسس الاهتمام والمزيد من الاهتمام بمشاريع الخدمات العامة وبناء المرافق! »

وقد كانت هذه هى نقطة البداية ، كما قال لنا اللواء بحرى على احمد عثمان محافظ البحر الاحمر .. ماذا قال : « لاول مرة فى تاريخ المحافظة تعتمد الدولة مبلغ ٤٠ مليون جنيه اضافية للنهوض بهذه المشروعات ، الى جانب الميزانية المقررة لها فى الحكم المحلى .. وهى ضعف هذا المبلغ » .

« فليس من المعقول ان ندعو العاملين الى المجىء والاقامة دون ان نوفر لهم سبل العيش الكريم فى هذه المنطقة التى نريد لها ان تستوعب تلك الاعداد الكبيرة من البشر التى ضاق بها الوادى الاخضر الصغير على جانبى النيل ، وكأنه لم يعد فى مصر غير هذا الشريط الذى لا يشكل فى مساحته اكثر من اربعة فى المائة من مساحة مصر كلها .. »

حديث الارقام

ويمضى المحافظ يتحدث بالارقام فيقول: «من بين هذه الاعتمادات خصصنا ستة ملايين جنيه للاسكان ، وتشمل المشروعات السكنية حاليا اتمام بناء ١٠٩ وحدات وانشاء ١١٠ وحدات سكنية جديدة ، كما خصصنا ايضا مبلغ ستة ملايين ونصف مليون جنيه لمشروعات مياه الشرب، لتركيب ثلاثة مكثفات للمياه ومد خط جديد للمياه العذبة من قنا على النيل حتى سفاجة ، الى جانب الخط الموجود حاليا . ثم بقية الاعتمادات ومن بينها :

● ١٢ مليون جنيه للكهرباء ، من بينها عشرة ملايين لانشاء محطتين جديدتين للكهرباء فى مدينتى الغردقة وسفاجة قوة كل منهما ١٠ ميجاوات (عشرة الاف كيلو وات فى الساعة)

وسينتهى العمل فى هذه المحطة خلال العام الحالى ، ثم يبدأ العمل فى بناء المحطة الثانية ، وباقى المبلغ وقدره مليون ونصف مليون جنيه سوف يستخدم فى تدعيم شبكات نقل الكهرباء وصيانة المحطات الاخرى بالمحافظة .

● اربعة ملايين جنيه لمشروع فوسفات الحمروااوين وسوف يبلغ انتاجه ٦٠٠ الف طن سنويا ، قيمتها ٢٥ مليون جنيه .

● ثلاثة ملايين من الجنيهات لانشاء كابلات



● واد جديد على شاطىء البحر الاحمر

معورية للتليفونات تصل ما بين القصير ومرسى علم وبرتيس ، وتربطها جميعا بمحافظات الوجه القبلى (او صعيد مصر) ٠

● ٣٠٠ الف جنيه لصيانة الطريق بين ميناء السويس والغردقة ومائة الف جنيه لانشاء فصول دراسية جديدة و ١٠٠ الف جنيه اخرى للمدرسة الثانوية الصناعية التى اقيمت بفضل جهود الاهالى الذاتية فى راس غارب و ١٥٠ الف جنيه لانشاء مجمعين صحيين ، احدهما بالغردقة والثانى براس غارب ، واخيرا مائة الف جنيه لانشاء سوق لتجارة الجملة ٠

صورة الحاضر

ولكن الارقام وحدها لا تستطيع دائما ان تتكلم ٠٠ ربما تكون قادرة على ان ترسم صورة تقريبية للقارىء من البعد فيصبح فى موقف يسمح له بتصور حجم العمل الذى يجرى او المقرر له ان يجرى ويكتمل فى المدى القريب والبعيد ٠٠

من أجل هذا كان لا بد لنا أن نحاول بقدر الامكان أن نرسم صورة للحاضر ، ثم تصورنا لما يمكن أن يكون عليه مستقبل هذه المنطقة الحيوية ٠٠

ماذا يحدث الان فى البحر الاحمر ! لقد بدأ رجال القبائل الرحل يستقرون فى الارض ويتعلقون بها ، بعد أن استصلحوا التربة وزرعوها وتحول البدو الى مزارعين ٠٠ وكانت التجربة الرائدة فى مجال الزراعة عندما قامت المحافظة بتوزيع مساحة الف فدان على المزارعين الجدد ٠٠ لقد نجحت التجربة وعلى الفور بدأ الخبراء فى المحافظة باجراء عدة بحوث اجتماعية تقرر على اثرها تخصيص مساحة اخرى تقدر بحوالى ١٣ الف فدان لاستصلاحها وتوطين مزيد من البدو فيها ٠ وتم اختيار مائة أسرة فى المرحلة الاولى ، وزعت عليها ٢٥٠ فدانا ، وقد بدأت الارض الجديدة المستصلحة تؤتى ثمارها بالفعل من الشعير وقصب السكر والبقول ٠

لقد بدأ الصراع أول ما بدأ مع الارض ٠٠ فالعالم كله يتجه بقوة الان الى الارض ٠٠ والى الماء ٠٠ أصل الحياة ٠٠ لان الطلب على الغذاء يتضاعف ٠٠ ورقعة الارض المزروعة تنكمش وتنكمش ٠٠ حتى بات الانسان يتساءل كما قال تقرير منظمة الاغذية والزراعة :

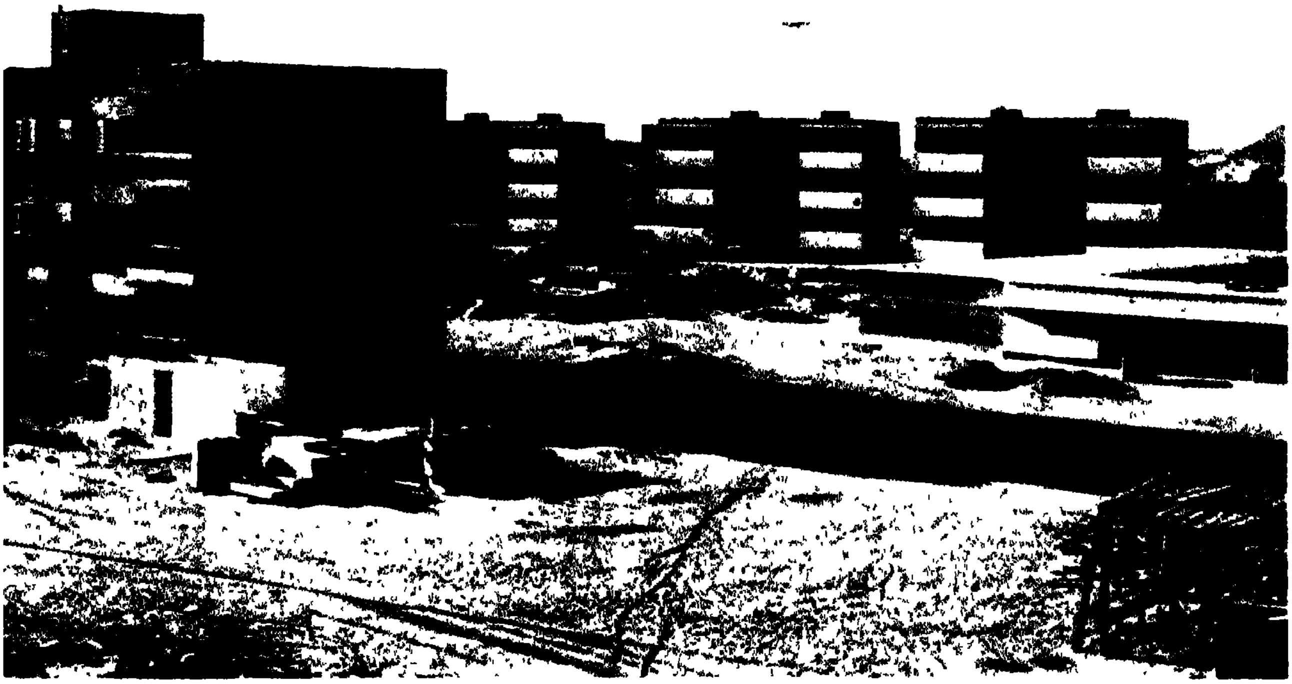
« هل يجىء غد بلا خبز ؟ » ولقد جاء هذا الغد فعلا للملايين من البشر الذين يعانون من المجاعة فى بقاع كثيرة من الارض !

وفى الارض الشاسعة من حولنا ٠٠ وهنا فى الارض العربية بصفة خاصة شرقها وغربها مازالت هناك مساحات شاسعة لم تستغل بعد ٠٠ فى مصر والسودان والعراق وتونس وكل بلد عربى ٠٠ الارض من حولنا مليئة بالخير ٠٠

الصراع مع البحر

ثم كان الصراع مع البحر ٠٠ وقصة غزو اعماق البحار قديمة ، قدم التاريخ ٠٠ ولكنها طورت بفضل الوسائل الحديثة التى تمكن الباحثين من البقاء فى قاعه ساعات طويلة ، ماذا هناك ٠٠ ما هى الثروات التى تسبح وتستقر فى اعماقه ٠٠ ما مدى الفائدة التى ستعود على الانسان من استخراجها ٠٠

والبحر الاحمر ٠٠ بحر فريد فى نوعه وفى خصائصه وفى الثروات الكامنة فى مياهه واعماقه ٠٠ وقد كان لنا وقفة ونحن نتامل جمال شواطئه ، ولون مياهه الغريب الذى يجمع بين اللونين التركوازى والازرق الغامق وكان محدثنا على ظهر الفندق السياحى العائم ، رجل قضى نصف عمره فى البحر الاحمر يدرس ويبحث وينقب مع افواج الباحثين والدارسين ٠٠ انه الربان محمد محمود البرعى ،



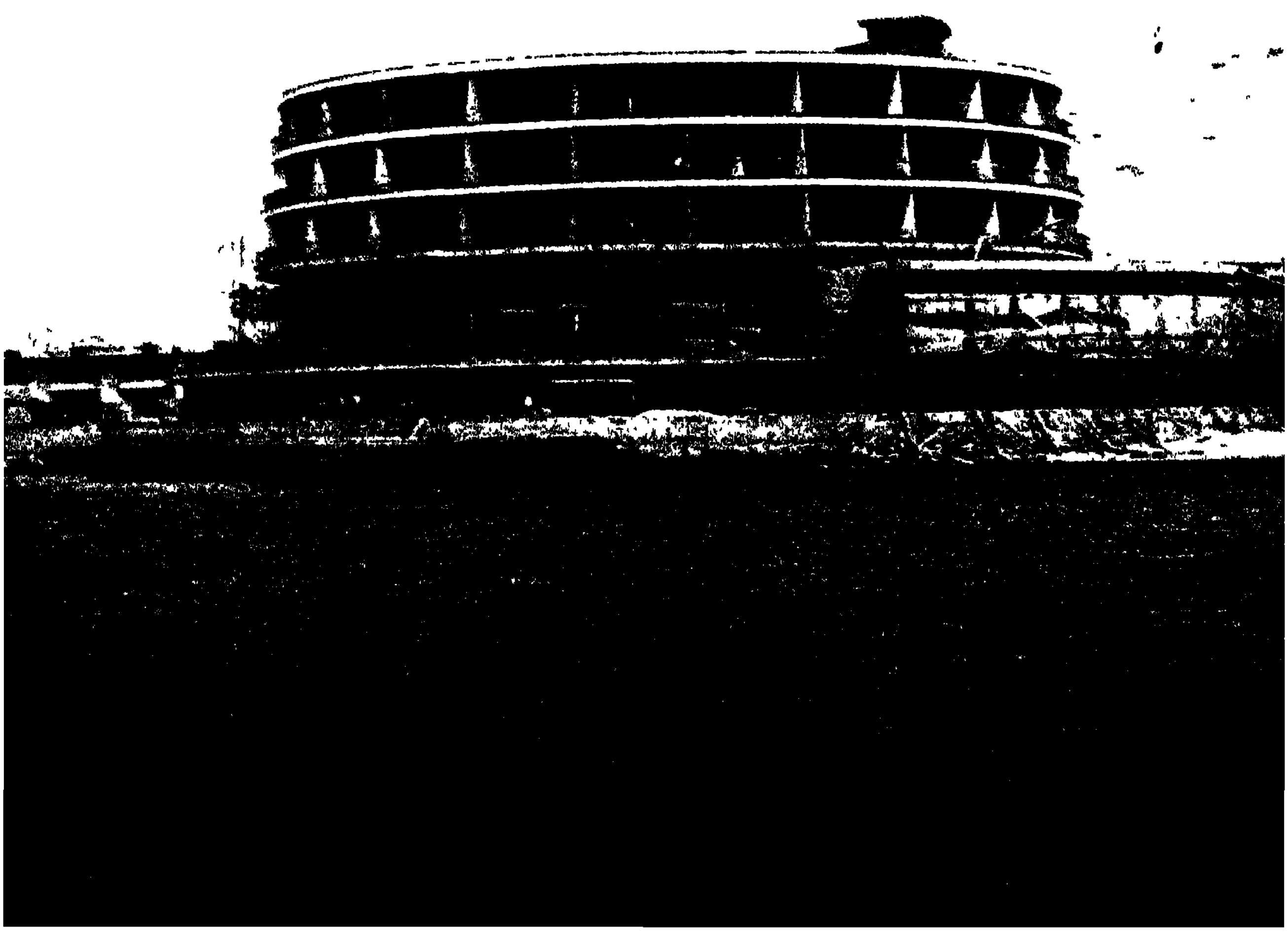
العمارات السكنية الجديدة التى قامت فى قلبمدينة الغردقة لابناء المحافظة والعاملين فيها ..
(الى اعلا) وسائحتان من امريكا جاءتا لقضاءبضعة ايام مع مياه البحر والشمس الدائمة امام
الشاليهات الملحقة بفندق شيراتون الجديد .(الىاسفل)



ابراج الحمام في الغردقة عاصمة محافظة البحر الاحمر .. والحمام والعصافير تعيش وتعشش هناك باعداد كبيرة .. وعلى الطريق الساحلي الممهد تراها تتجمع امامك وانت منطلق بسيارتك ، باحثة عن حبات القمح التي قدتتساقط من السيارات المحملة بالحبوب الى مدن الوجه القبلي او صعيد مصر .



العمل يجرى على قدم وساق للانتهاء من بناء فندق شيراتون الذى ينتظر ان يفتتح في نهاية هذا العام او في اوائل العام المقبل .. وهو يشرف على مياه البحر مباشرة .



قبطان السفينة التي تزدحم دائما بالسائحين الذين يجيئون من اجل الغوص في اعماق البحر .. « ل الربان البرعي : « انه بحر عجيب في كل شيء .. لعله الوحيد من نوعه في العالم فهو ينفرد بخصائص ومزايا لا تتوافر في البحار الاخرى .. لقد نشأ البحر ، كما تقول الدراسات نتيجة لانشقاق بركاني هائل في القارة الاسيوافريقية ، وصار هذا الاخدود العظيم الذي جرت فيه المياه من المحيط الهندي وسمي فيما بعد بالبحر الاحمر .. لماذا هو احمر ؟ يقول بعض الباحثين ان لون قاع البحر احمر .. وهي ظاهرة راها ومازال يراها الغواصون كلما تعمقوا في مياهه .. ويقول البعض ان انعكاس الشمس على صفحة مياهه عند الشروق وعند الغروب تضفي هذا اللون على مياهه !

الف نوع من الاسماك

هكذا نشأ ، ولهذا السبب او ذاك سمي بالبحر الاحمر ..

ولكن ما هي مزاياه ؟ انه البحر الوحيد في العالم . كما يقول الربان البرعي ، الذي يسير فيه التيار المائي من الجنوب الى الشمال ، بينما الرياح فيه متغيرة ، ولكنها تتجه في الغالب من الشمال الى الجنوب ، اي بعكس اتجاه التيار المائي .

وهو البحر الوحيد الذي ترتفع فيه نسبة الملوحة عن اي نسبة اخرى في بحار العالم ، فنحن لو اخذنا مثلا ميلا مكعبا من مياهه وعرضناها لاشعة الشمس ، استطعنا ان نحصل على كمية من ملح الطعام تصل الى ٣٥ مليون طن بعد اتمام عملية البخر . ولهذا فنحن نجد ان مستوى البحر الاحمر ينخفض بمعدل ١٨٠ سنتيمترا سنويا .. ثم لا يلبث ان يعود الى مستواه الطبيعي بمقتضى نظرية الاواني المستطرقة ، ويعوض البحر ما تبخر من مياهه من مصدرين ، الاول عن طريق مياه الامطار بمعدل ثمانية سنتيمترات سنويا ، والجزء الاكبر من باب المندب عند المحيط الهندي ثم البحر المتوسط ، فتاتي المياه حاملة معها كل ما فيها من كائنات بحرية ابتداء من الحيتان واسماك القرش الى

اسطول سيارات النقل التي تعمل على الخط البرى من سفاجه الى مدن الوجه القبلي ولايزيد طوله على ١٦٠ كيلو مترا .. انها تنقل الحبوب وخام الالمنيوم ، وتعود محملة بالصادرات للخارج . وهناك مشروع لانشاء خط حديدى بين سفاجه وصعيد مصر .





احدى الصوامع التى أقيمت فى ميناء سفاجةلتخزين خام الالمنيوم ، ويجرى العمل الان لاقامة صوامع أخرى لتخزين الغلال والحبوب ، قبل نقلها الى مختلف محافظات الوجه القبلى

شتى انواع الاسماك الاخرى ٠٠ وفى مياه البحر الاحمر اكثر من الف من انواع الاسماك التى تعيش فيه بوفرة ، وتشكل مصدرا رئيسيا لغذاء الانسان٠ولعلهالبحر الوحيد ايضا الذى لا يصبفى مياهه اى نهر من الانهار صغيرا كان ام كبيرا ٠٠ من هنا كانت مياهــه صافية كالزجاج البلـورى الملون ، تستطيع العين المجردة ان تنفذ اليها وترى الاسماك تسبح فيها ، فاذا نزلت مع الغواصين فى مياهه شاهدت عالما هائلا امتلا بالاحياء النامية الثابتة والشعب المرجانية التى اشتهر بها وهوعالم يشد الالوف من هواة الغوص فى قاع البحر على مدار السنة ٠

هذا البحر الذى يبلغ طوله من باب المندب حتى ميناء السويس اكثر من ثلاثة الاف كيلو متر ثلث شواطئه الشرقية او اكثر داخل الاراضى المصرية ٠٠ والباقى فى السودان وارتريا والصومال ٠٠ بينما يمتد الشاطىء الغربى بطول شبه الجزيرة العربية ، والجمهورية العربية اليمنية ، واخيرا جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية فى طرفه الاخير تجاه باب المندب ٠٠ هذا البحر هو بحر عربى مائة فى المائة تسبح فيه اكثر من ٨٠ جزيرة عربية نصفها او اكثر لمصر ، والنصف الباقى للدول المطلة عليه ٠

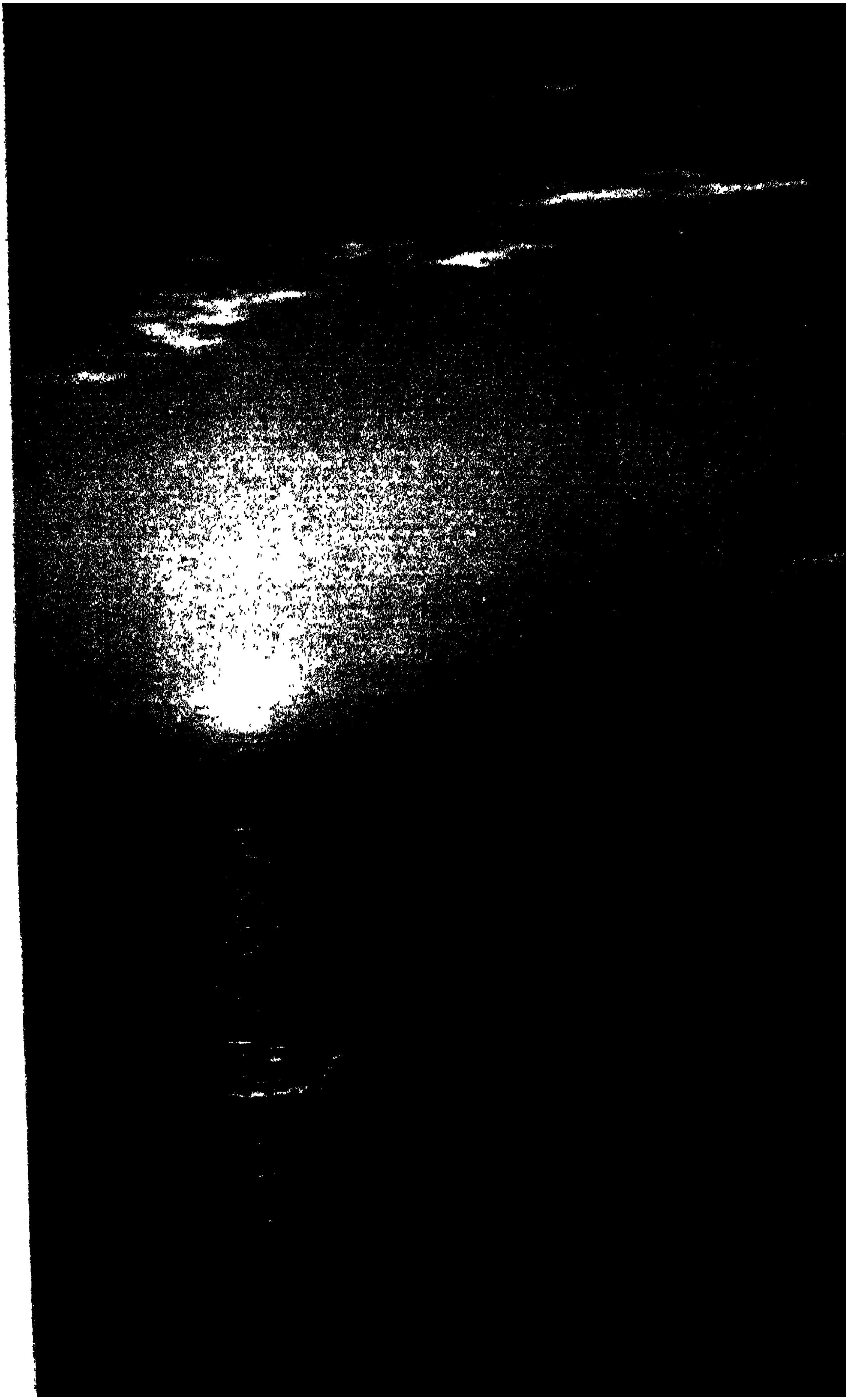
منطقة سياحية جميلة

وعلى شواطئه الجميلة الناعمة تلك التـــى شهدت هذا العناق الابدى بين الماء والارض ٠٠ بدأ العمل فى بناء مجموعة من الفنادق والمدن السياحية الصغيرة ٠٠ وانتهى العمل او كاد من بناء فندق شيــراتون ، فى الغردقــة وانتشـرت الشاليهات من حوله وهى الآن معدة للسكن الـى جانب الباخرة الانيقة التى تحولت الى فنــدق عائم ، وتقوم شركات السياحة العالمية بتنظيم رحلات بالطائرة من القاهرة الى الغردقة لهؤلاء الذين يبحثون عن الهدوء فى عالم اليوم الذى اصبح الصخب والضجيج طابعه ٠٠ واصبح العثور على مقعد فى هذه الطائرات التى تقوم برحلتين اسبوعيا ذهابا وايابا ، وتتسع لاكثر من مائةراكب عملية شاقة تتطلب اعدادا لها قبل مواعيد قيام الطائرات باسابيع ٠ فهى دائما كاملة العدد ٠٠ وهم يجيئون الى البحر الاحمر طوال اشهر السنة للاستمتاع بدفء وجفاف طقس شواطئه شتاء حيث تتراوح درجة الحرارة بين ١٦ و ٢٢ درجة مئوية ٠٠ اما فى الصيف فنسيم البحر ومياهه ورمالــه الناعمــة كفيلـة بان تلطف مــن قيظ الحر ومشاكله ٠٠ قال لنا سائح امريكى جاء مع



جندى المرور مع الاطفال الصغار وهم يعبرون الشارع فى الميدان الرئيسى بالعاصمة ، وفى غرفة العمليات فى مستشفى الغردقة الحديث الذى شيد عام ١٩٧٣ ، التقطت عدسة العربى هذه الصورة لغرفة العمليات اثناء احدى العمليات الجراحية ، وفى المستشفى ٨٠ سريرا ويعمل فيه ١٨ طبيبا فى مختلف التخصصات ٠٠ ثم صياد يلقى بشباكه فى مياه البحر باحثا عن رزقه فى جوف المياه الزرقاء الهادئة ٠





اسرته لقضاء بضعة ايام على الشاطيء الهادئ الجميل : « لم اكن اتصور ان البحر الاحمر بهذا الجمال ٠٠ استطيع ان اقول لكم بدون مجاملة انها منطقة سياحية من الدرجة الاولى ٠٠ انها اجمل من اجمل منطقة عندنا فى امريكا ٠٠ انها اكابولكو العربية » ٠

الرزق فى ماء البحر

وعادوا الى الماء يبحثون فى اعماقه عن الرزق، وجاء الصيادون من مختلف انحاء مصر ٠٠ بعضهم يعمل لحسابه ، والبعض الاخر يعمل لحساب الدولة ٠٠ وبدات المحافظة تهتم بتنمية الثروة السمكية ودعم وحداتها الانتاجية ، وانشاء وحدات جديدة ، وقد تم تدشينها اخيرا ، وبلغت قيمة تكاليفها الاجمالية اكثر من ثلاثة ملايين و ٣٠٠ الف جنيه ، يقدر انتاجها بحوالى ٦ الاف طن سنويا ، كما تم انشاء وحدتى صيد جديدتين تعملان الان فى مياه البحر الاحمر عند الغردقة ، ووزعت المحافظة وحدات انتاجية على الصيادين التابعين للقطاع الخاص ٠ ولم تعد وسائل النقل من المحافظة واليها مشكلة فقد تم انشاء شركة تتولى عمليات نقل المواد الغذائية والحاصلات الزراعية التى يحتاج اليها سكان مدن المحافظه الذين ارتفع تعدادهم الان الى ٩٠ الف نسمة ، من ريف مصر والاسكندرية وقنا والسويس ، واصبح للشركة اسطول نقل ضخم تاتى وحداته محملة ، بتلك الكميات الهائلة من الاسماك ٠

بقى الجبل ٠٠ وهو يشكل احد المعالم الاساسية لهذه المنطقة فهناك سلسلة جبال البحر الاحمر التى تحمل فى جوفها مع حبات الصخور والرمال ثروات هائلة من المعادن والكنوز ولم تعد الجبال مجرد مرتفعات تعلو عن الارض وترسم معالمها ٠٠ انها مناجم غنية بشتى انواع المعادن والذهب ٠٠ الذهب الاسود فى راس غارب والذهب الاصفر الذى عثر عليه الاقدمون فى بطن الصخور ٠

ومن اجل هذا بدا العمل ، وهى ليست بداية جديدة ٠٠ لقد مر عليها عشرات السنين منذ ذلك اليوم الذى اكتشف فيه الفوسفات بكميات هائلة من القصير ثم سفاجة واخيرا الحمراوين ٠٠ ثلاث مناطق بقيت غنية بهذا السماد الكيماوى ، قبل ان يكتشف البترول فى راس غارب ، وجاء معهما وقبلهما الالوف من العاملين الذين يصنعون الحياة الجديدة فى منطقة البحر الاحمر اليوم ٠

ميناء المستقبل

وسفاجة هو ميناء المستقبل على البحر الاحمر ٠٠ تماما كما كان منذ عشرات القرون ٠٠ فقد شهد حضارات سادت ثم بادت حتى كانت بداية هذا القرن العشرين عندما بدات الحياة تعود من جديد الى الميناء الذى عرفه المصريون القدامى والرومان والمسلمون ٠٠ فى عام ١٩٠٩ اكتشف الفوسفات بمنطقة المناجم فى ام الحويطات على بعد ١٨ كيلو مترا فى عمق سلسلة جبال البحر الاحمر ٠٠ وبدا العمل فى بناء الميناء الجديد فى نفس المكان فى نفس تلك البقعة من الشاطيء التى كانت مرسى للقوارب الشراعية ٠٠ وفى عام ١٩١٢ بدا تصدير الفوسفات من الميناء الذى كان صغيرا ثم اجريت عليه عدة توسعات حتى اصبح اليوم قادرا على استقبال البواخر الكبيرة التى لا تزيد حمولتها على ٢٩ الف قدم بغاطس ٣٠ قدما ، وهى تنقل خام الالومنيوم الذى ينقل بدوره الى نجع حمادى فى صعيد مصر ، لتصنيعه واعادة تصديره مرةاخرى ، وكذلك شحنات القمح والحبوب المستوردة ونقلها راسا الى محافظات الوجه القبلى، واخيرا الخامات والمعدات اللازمة لآبار البترول فى راس غارب ٠

وقبل سفاجا كان هناك ميناء القصير حيث اكتشف الفوسفات اول ما اكتشف وبلغ انتاج المناجم فيها حوالى ربع مليون طن فى الخمسينات واخيرا منطقة الحمراوين ، حيث اكتشفت احدث مناجم الفوسفات واغناها فى المنطقة وهى تبعد عن سفاجة بحوالى ستين كيلو مترا ، وعندها شيدوا اكبر مصنع لاستخراج وتجهيز خام الفوسفات، ويقول الخبراء ان العمل يجرى الان لاستخراج هذا السماد الكيماوى من اربعة مناجم ضخمة ، سوف يصل انتاجها السنوى الى اكثر من نصف مليون طن ، يتراوح ثمن الطن الواحد منه فى السوق العالمية بين ١٧ و ٢٠ دولارا ٠

بداية على الطريق الطويل

ثم ماذا ؟ يقول المحافظ : « لقد بدانا ٠٠ وهى بداية طيبة ٠٠ ولكن قبل ان امضى معكم فى تصورى لمستقبل هذه المنطقة الغنية بمواردها ، اود ان اسجل ان الذى رأيتموه فى هذه البقعة من الارض الشاسعة من بناء وتعمير وتحرك سريع نحو مستقبل اكثر اشراقة ، لم يمض على بداية العمل فيه اكثر من شهور معدودة لا تتجاوز العام الواحد • هنا المستقبل ٠٠ اقولها بصدق وايمان وثقة بناء على الدراسات التى جرت وتجرى الان على مختلف المستويات • وليس امامنا ونحن نرى هذا الشريط الاخضر الصغير الذى يسير بمحاذاة نهر النيل ، والذى ضاق بمن فيه وما عليه الا ان نستصلح ونفلح كل بقعة من بقاع الارض الواسعة من حولنا ٠٠ تلك التى بقيت جرداء عارية قرونا طويلة من الزمن ٠٠ لا اتصور ان يعيش ٤٠ مليون نسمة على جانبى وادى النيل الذى لا يشكل اكثر من ٤٪ من مساحة مصر ، بينما هذه الارض الفسيحة من حوله لا تزيد نسبة الكثافة السكانية فيها عن واحد فى كل كيلو مترين مربعين او اكثر ، تعانى من قلة الايدى العاملة فيها •

لقد بدأ العمل ٠٠ ولن يتوقف ٠٠

الجبال مليئة بالكنوز كما ذكرنا فوسفات وحديد ومنجنيز ونحاس واخيرا الذهب ٠٠ الذهب الاصفر، كما اعلن اخيرا وزير صناعة مصر بعد جولته الميدانية فى منطقة البحر الاحمر التى اكد بعدها استنادا الى تقارير الخبراء امكان استغلال هذا المعدن الثمين من المناجم المصرية فى « الصحراء الشرقية » ٠٠ والبترول الذى بدأ يستخرج بكميات تجارية هائلة •

ثم الزراعة ، وتقوم اليوم منظمة الاغذية والزراعة التابعة للامم المتحدة بدراسات توطئة لتنفيذ مشروعات الغذاء ، وانشاء مصنع لتعليب وتجفيف الاسماك ، وتوفير اسطول حديث ضخم لصيد السمك من مياه البحر ٠٠

ثم السياحة ٠٠ ومنطقة البحر الاحمر ليست فى حاجة الى اعلان ٠٠ فهى من اجمل المناطق الواقعة على شواطىء البحار ، والتى تعلن عن نفسها بنفسها ٠٠ المهم هو ان نقدم للسائح الذى يزور هذه المنطقة اسباب الراحة التى تشجعه على المجىء اليها ٠٠

الوادى الجديد ٠٠ الجديد

وبعد اسابيع قليلة من ظهور هذا الكلام ،سوف تفتتح المدينة السياحية على شاطىء البحر فى الغردقة ، وسوف ينتهى العمل فى بناء وتجميل فندق شيراتون فى الغردقة ايضا ، وستضاف بواخر جديدة الى الباخرة التى تستخدم اليوم كفندق عائم فى مياه البحر بين الشاطىء المصرى والشاطىء السعودى ، ولا يزيد عرض البحر الاحمر بينهما على مائتى كيلو متر ٠٠

ان منطقة البحر الاحمر سوف تصبح مركزا للسياحة الداخلية ايضا لابناء محافظات مصر العليا •وقد بدا العمل بالفعل لربط سفاجة ومدينة قنا فى الصعيد بواسطة خط حديدى ، الى جانب الخط البرى الموجود حاليا •

قال لى خبير كبير منذ عدة سنوات بعد زيارتنا للوادى الجديد فى الصحراء « اقرا الاستطلاع عن الوادى الجديد العدد رقم ٩٩ » قال : « هذا هو الوادى الثانى بعد وادى نهر النيل ٠٠ انه اضخم مشروع زراعى لتوفير الامن الغذائى وجذب نسبة هائلة من الكثافة السكانية من ارض الوادى الضيق الصغير ٠٠ انه اضخم واكبر من مشروع بناء السد العالى نفسه ! فاهمية السد كانت سياسية اولا ، ثم اقتصادية فى المرتبة الثانية بطبيعة الحال !

واليوم نصنع واديا جديدا اخر ٠٠ انه الوادى الثالث على شاطىء البحر الاحمر ٠٠ فى الارض التى كانت صحراء عارية حتى سنوات قريبة ، ثم بدات الحياة تعود اليها ٠٠ فوق ارضها الخصبة وفى قلب جبالها وعلى شواطئها ومع مياهها المالحة والعذبة • ■■

منير نصيف

نى ءباق من فلسطين



نماذج من فنون التطرير الفلسطينية ، فى الثوب والوسائد وهى جزء أساسى من متاع هذه المحامية الفلسطينية عبير طوقان ٠





باقية ــ مازالت ــ قسمات الشخصيــةالفلسطينية •

رغم محاولات التعتيم والطمس والتشويه لايزال الوجه الفلسطيني باقيا . ليس في الانسان وحده ، ولكن في كل معالـــــم الحياة الاخرى ، الكبيرة والصغيرة •

والتراث الشعبى الفنى هو احد هــذه القسمات المحفورة في الاعماق الفلسطينية المطبوعــة في الحيــاة اليوميــة للقـــرى والمخيمات العزينة •

فلانزال رقصات الدبكــ والسحجة والسامــر والدحى . تدور حلقاتها فى الامسيات الفلسطينيه•

ولا يزالون فى صفد والناصرة ونابلس والمجدل يسجون على الانوال القطان الرهباني والمبروم والتوبيب والغضارى . وحرائر الهرمز والروزا ، وكتان المطع الاسود •

وزجاج الخليل دو اللون الازرق لا يزال ينتج فى المعمل العتيق . واصلا الرحلة منذ اكتشف الكنعانيون صناعه الزجاج قبل اربعة الاف سنة •

واصداف بيت لحم ذات الطابع الفريد ، تخطت الحدود وصارت تصدر الى العالم الخارجي ، حتى شدت المدينه معها قراها المجاورة مثل بيت جــالا وبيت ساحور •

وفى القدس لا يزالون يصنعون المسابح من خشب الزيتون، تنحتها الانامل الفلسطينيه الرقيقه ليحمل السياح والحجاج معهم ذكرى من فلسطين •

وحلى الفضة ، القلائد وزناق الارواح السبعه (السلاسل السبعة) . والتعيرة والكردان ، واساور المعبر العريضة ذات الحبيبات المتراصة•• هده كلها لم تزل تتصــدر واجهات المحـلات فــى القدس والخليل •

ثلاثة أثواب

اما الازياء الشعبية وتطريزها ، موضوعنا ، فقصته طويلة •

ذلك انه رغم وجــود خصــائص لدى كل بلدة فلسطينية ــ مثل زى بيت لحم ــ الا ان ثمة معالم مشتركة صارت تميز الزى الفلسطيني بوجه عام •

وللمرأة الفلسطنية ثلاثة انواع من الاثواب ، التى تعتبر الجزء الاساسى من الزى الشعبى هى :

ــ ثوب العمل ، وهو من القماش البسيط والرخيص الثمن . ويحتوى على تطرير قليل . وترتديه المرأة اثناء عملها فى الحقل او البيت •

ــ ثوب المناسبات : وهو من القماش عالى الثمن، والتطريز عليه اكثر كثافة ودقة وجمالا ، ويلبس فى مناسبات الافراح والاعياد •

ــ ثوب الجلاية ، ويختلف من مكان لاخر حسب التقاليد المتبعة ، ويعتبر اهم ما فى جهاز العروس، تلبسه منجلية يوم زفافها ــ وهو قصاص بوجه عام، وتنتشر عليه الزخرفة باليد وبالخيوط الحريرية على كل من الصدر والاكمام وجانبى الثوب ،

ومع الثوب حزام من الصوف او القطن ،وقبعة للراس يطلق عليها الوقاة والعمــادة • وهى من القماش القطنى او الكتانى المطرز . وتثبت عليها مجموعة من العملات الفضية المذهبة •

كما ترتدى الفلسطينية غطاء للراس . هــو عبارة عن قطعه مطرزة من القماش القطنى او الكتانى او الحريرى • وتوضع الوقاة تحت هذا الغطاء •

واللون الاكثر شيوعا فى الاثواب الفلسطينية هو الازرق الداكن • الا ان هناك اثوابا من اللون الاسود واخرى من اللون الابيض • وفى بعض المناطق وخاصة فى بلدتى البيــرة ورام اللــه ، يلبس الثوب الازرق الداكن شتاء والابيض صيفا. اما فى الاماكن الاخرى فلون الثوب هو جزء من تقاليد الثوب المحلية •

الانسان والارض

وهناك ثلاثة انواع من التطريز هى :

١ ــ التطريز بالغرزة الفلاحية (الصليبية) •

٢ ــ التطريز بغرزة الرشق والتحريرى •

٣ ــ التطريز بغرزة اللف • هذا بالاضافة الى

ما يسمى بقطبة الحاشية أو الحافة ، اى التى بواسطتها تثبت اطراف الثوب والقطع الحريرية المضافة فوق الثوب باشكال مختلفة •

والغرزة الفلاحية هي السائدة ، والتي لايخلو ثوب منها باستثناء ثوب بيت لحم • والتطريز بهذه الغرز يتم بواسطة الابرة وخيط الحرير الملون بطريقة الغرزة المصلبة • وتاخذ الزخرفة في هذه الحالة اشكالا هندسية •

اما التطريز بغرزة الرشق والتحريرى ، فهي تثبيت خيوط حريرية سميكة ومبرومة او خيوط مقصبة اى من الخيوط المطلية بالذهب او الفضة على القماش • وتتشكل من هذه الخيوط وحدات زخرفية تعتمد الخطوط المنحنية والدائرية المتواصلة المستمدة عناصرها الاساسية من حركة النبات والازهار •

والتطريز بغرزة اللف يتم بواسطة الخيوط الحريرية التى تملأ فراغات معينة بقطبة لفائفية الحركة • وهذا النوع من التطريز يعتبر عنصرا مكملا أكثر منكونهأساسيا فيالتطريز الفلسطيني• ولم تتشكل هذه الغرزة كيانا مستقلا كالغرزتين السابقتين •

ويغلب اللون الاحمر البني على غيره من الالوان فى التطريز بالغرزة الفلاحية . ويطعم بالوان مختلفة منثورة بشكل عفوي خاضع لذوق الفتاة او المرأة ، متشكلا توازنا مريحا وجميلا • اما التطريز بغرزة الرشق والتحريرى . فان اللون الاساسي يكون الذهبي او الفضي يشارك احدهما اوكلاهما اللون الاحمر اضافه الى الالوان الاخرى والتي تكون مكمله•ويعتمد التطريزبغرزة اللف والالوان العديدة الصارخة في فراغات مهيئة بواسطة غرزة الرشق او التحريرى . وغالبا ما يكون ذلك على جانبي الثوب والاكمام •

ان الوحدات الزخرفية الاساسية التى تستعمل في معظم انحاء فلسطين تستمد اشكالها واسماءها من علاقة الانسان الفلسطيني بالارض والحياة • ولهذه الوحدات اسماء شائعة ، وبعضها يختلف اسمها من مكان لاخر• ومن أسماء هذه الوحدات :

السرو ، السبلة ، النخل العالي ، عرق الورد ، عرق التفاح ، عرق البندورة ، قوار الورد ،الحية والعربيد ، العصافير ، الريش ، عين البقر ،قرص العسل ، العلايد ، خيام الباشا ، المخدة ،الفناجين، المشط ، الساعه ، عرق السيوف ، العجاب ، طريق مصر ، النجوم ، الاقمار ، المناجل •

وكما هو واضح من اسماء الوحدات ، فان المرأة الفلسطينية تعبر بذلك عن حبها لما يحيط بهـا وبحيـاتها ، خـاصه عـلاقتها العميـمة بالارض وبالفلاحة . فالسبلة اى السنبلة ، وعرق الورد وعرق التفاح وعرق البندورة والسرو والنخيل والمناجل . ما هى الا أسماء لمحسوسات زراعية تحيط بحياة المرأة الفلسطينية • بل بحياة الانسان الفلسطيني بشكل عام • ويتعامل معها يوميا •

■■

صورة زواج

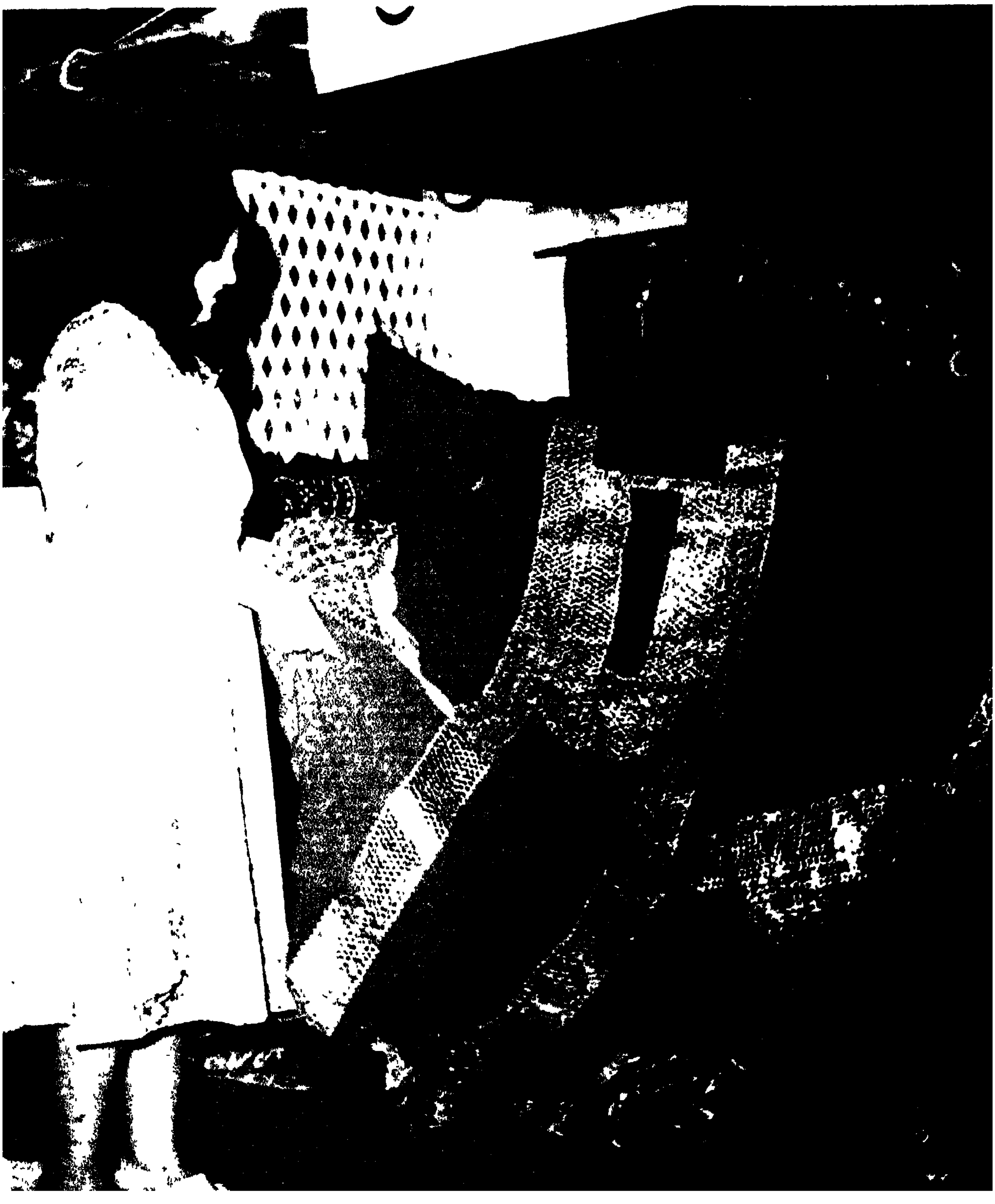
❋ قبل ان اتوجه لزيارة حماتي للمرة الاولى اخبرني زوجي عن عادتها فى عرض صور حفلات زواج ابنائها على الاشخاص والاقارب الذين يقومون بزيارتها • وكان زواجنا هو الثاني لزوجي وقد تم بدون موافقة اهل الطرفين ، ولذا لـــم تلتقط لنا صورةزواج.ولكن حماتي كانت داهية ، واسعة الحيلة . وعندما وصلنا لمنزلها وجدنا صورةمعلقة على الحائط تمثل زوجي واقفا الى جانب زوجته السابقة ولكن رأسها قد قطع واستبدل به رأسي ! •

ماريا برود بريدج

صناعات وحرف تقاوم الاندثار

استطلاع بقلم : صادق يلي   تصوير : حسن الصفار

الثوب الكويتي معلم من معالم الزينة عند المرأة الكويتية في حفلات الاعراس وبعض المناسبات وهو غالي الثمن فقد يصل سعره في بعض الاحيان الى اكثر من ٨٠ دينارا كويتيا .





لحياكة باليد صناعة اشرفت على الاندثار ، لقدكانت مزدهرة في القديم ، ان اجود اصناف
الشوت والملابس الصوفية كانت تخرج من بين ثنايا هذه الالة الخشبية البسيطة .

لخواص تعتمد صناعته على خوص النخيل أو سعف النخيل وهو يقوم بعمل بعض السلال والحصر التى
تفرش بها المنازل وتستخدم فى الحياة اليومية .



فى الكويت محاولة لانقاذ الحرف القديمة قبل الاندثار ، بعدما ظلت تنحسر تدريجا من سطح الحياة اليومية ، منذ زحفت الحياة الحديثة ، واطل وجه النفط •
لقد كانت صناعة السفن مثلا ـ من اشهر الصناعات فى الكويت والخليج كله قبل ظهور النفط •• ومع السفن ازدهرت صناعات اخرى مكملة ، النجارة ونسج الشباك وتفصيل الاشرعة ، وصناعة ادوات الغوص ، ثم تلك اللوازم التى تحتاجها عملية الصيد مثل الشباك والقراقير •

وبالاضافة الى تلك الحرف كانت هناك حرف اخرى يحتاجها الفرد الكويتى لحياته اليومية ، فهناك الخراز الذى يقوم بصنع بعض انواع الاحذية والنعال ، كما يقوم بعمل «القرب» وهى تلك الاوعية المعروفة لحمل مياه الشرب الى بيوت الكويت على ظهور الجمال او الحمير • ثم القفاص الذى تقوم مادة صناعته على جريد النخل ويقوم بصنع الاسرة والقفاص طيور الزينة واسرة الاطفال والركوك ، وهى سلال يوضع فيها البلح والتمر والعنب الذى كان يجلب من مناطق الخليج وغيرها من لوازم البيت الكويتى القديم •

اما الخواص وهو يعتمد فى صناعته على سعف النخيل الذى يكثر وجوده فى هذه المنطقة فينسج الحصر التى تفرش بها المنازل والسلال الكبيرة والصغيرة والقوصرات وهى سلال تعمل لحفظ التمور وبعد كبسها واشياء اخرى مفيدة •

وكان هناك الصفار الذى يقوم بتبييض الاوانى النحاسية مثل القدور ودلال القهوة والصوانى الصغيرة والكبيرة المستعملة فى البادية ، وقد كانت هذه الصناعة تتركز فى الماضى فى سوق الصفارين وتزدهر مبيعات هذه السوق فى شهر رمضان المبارك حيث يقبل الاهالى على شراء قدور الهريس وهى الاكلة الرمضانية الشعبية فى الكويت وكذلك فى ايام عطلة الربيع لشراء القدور لاستعمالها فى نزهات البر ورحلات الصيد والقنص •

ومنذ توطن فى الكويت اهلها عرفت صناعة السفن وكانت لهذه الصناعة اهمية كبرى فى حياة اهل الكويت وذلك بسبب ارتباط الكويت بالبحر، اما الاخشاب التى تصنع منها هذه السفن فتستورد من بلاد شرقى افريقيا والهند ، وصناعة السفن ليست من الصناعات البسيطة فهى تحتاج الى قدر كبير من الفن والتدريب والخبرة والمهارة، وكان سيف الكويت او ساحلها هو المكان المناسب لهذه الصناعة التى اوشكت على الاندثار فقد تحول معظم صناع السفن الى الاعمال والوظائف المدنية مع تطور الحياة فى الكويت • اما الان فهناك فئة قليلة من هؤلاء الصناع يعملون فى نفس المجال فيدربون بعض طلبة المعاهد الخاصة التابعة لوزارة التربية وكذلك وزارة الاعلام لعمل نماذج صغيرة لهذه السفن كى تهدى الى بعض الشخصيات التى تزور الكويت او وضعها تحفا فى بعض الهيئات والمؤسسات الحكومية والاهلية •

صناعة البشوت

كان اهل الكويت يرتدون انواعا مختلفة من العباءات كل حسب وضعه الاجتماعى ويطلق اهل الكويت كلمة (بشت) على عباءة الرجل فقط وهى كلمة فارسية بمعنى الظهر والجمع بشوت، ويعتبر لبس البشت من مكملات هندام الرجل •

والبشوت انواع عديدة ولها اسماء متعددة ومن اهمها «الجبر» وهو ثقيل ويلبس عادة فى الشتاء ،ثم البشت الدورقى ويجلب من مدينة الدورق فى ايران ، والبشت النجفى وهو نوع من البشوت الصيفية الخفيفة ويجلب من مدينة النجف فى العراق كما انه من البشوت الغالية الثمن • وللبدو بشت خاص واسمه بشت عباءة البرقة وهو من البشوت القديمة يلبسونه فى الشتاء ، وهناك

عبد الرحمن المزروعى •• العين لا تمل النظر الى هذه الحرف القريبة الى كل القلوب •





طور من أعواد الغاب لصيد السمك كان يزاولها العديد من الصيادين حيث كان الصيد مورد رزقهم ·

نع من وبر الابل ومن اهمها بشت وبر
هو ثمين لهذا لايرتديه غير الاثرياء ويجلب
اء فى المملكة العربية السعودية ثم بشت
وهو من النوع الثقيل ويحاك فى مدينة
، ايران ثم البشت الدشتى والبهبهانى
الخارجى وهو من النوع الخفيف ويلبس
الصيف · واخيرا بشت المعلمة وهو نوع
، لا يلبسه الا الشيوخ فى بعض المناسبات،
الوان عديدة وحياكتها ونقوشها تكون
·
هذه البشوت غالبا فى الديوانيات او

الطبول والآلات الموسيقية
كانت صناعة رائجة مكسبة··



المعمل او المشغل ويتكون المعمل من غرفة اوغرفتين ومجموعة من العمال على راسهم صاحب المعمل ويطلق عليه اسم (المعزب) والعمال من الكويتيين الذين توارثوا هذه الصنعة ابا عن جد ،والمعروف ان العباءة التى خيطت فى الكويت تمتاز من غيرها بجمالها وحسن زخرفتها وتناسقها فتخالف بذلك غيرها التى تصنع فى المناطق المجاورة ومن اهم الديوانيات التى اشتهرت بصناعة البشوت ديوانية حسن بن على البغلى وديوانية سعود المخايطة ·

الثوب الكويتى

وهو رداء تلبسه المراة الكويتية فوق ملابسها سواء فى الايام العادية او فى الاعياد ومناسبات الزواج وللثوب اسماء عديدة وانواع متميزة ويرجع ذلك الى الزرى وهو خيوط القصب المصنوعة من الفضة المذهبة وقماش الثوب نفسه ·

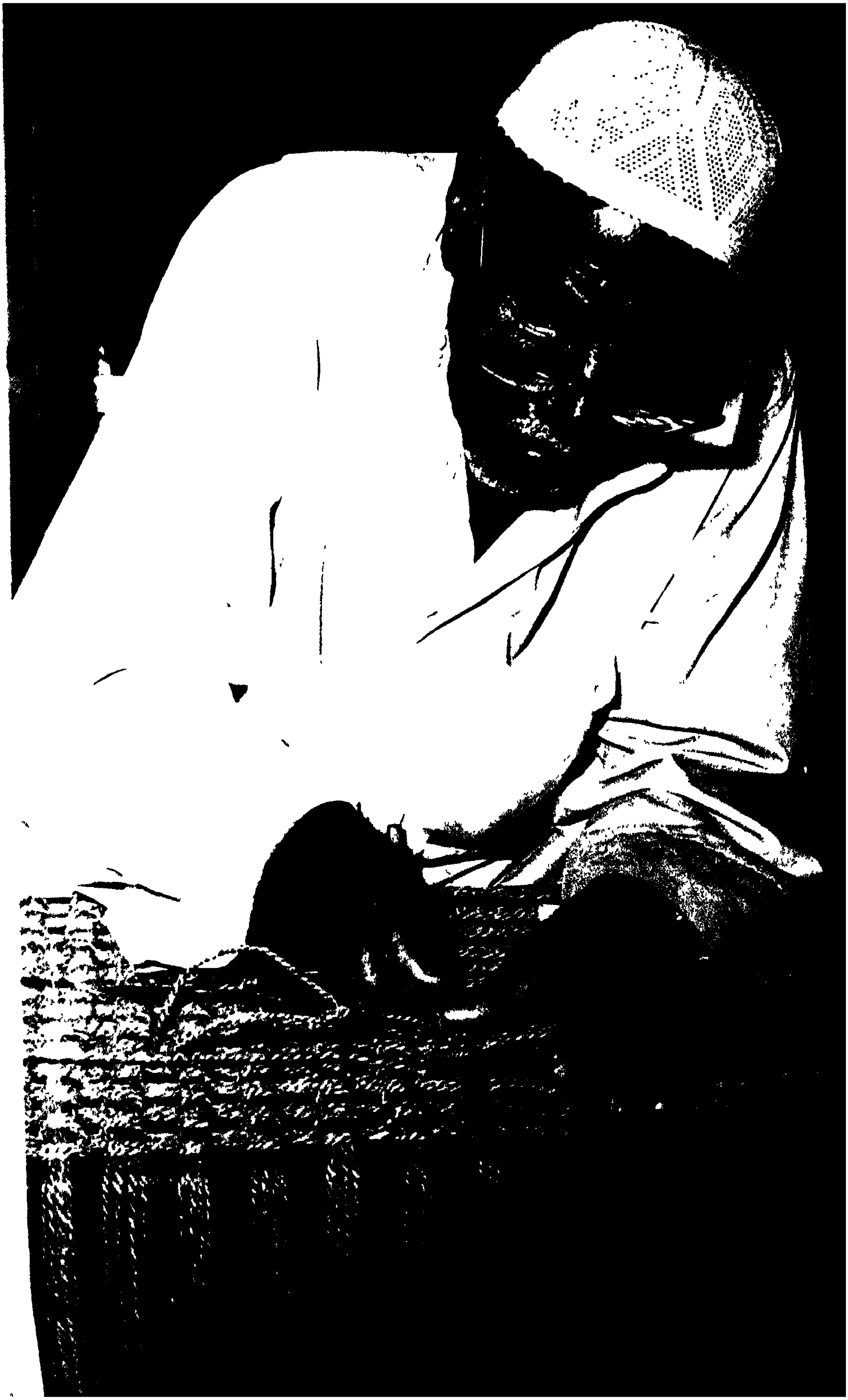
وكان الثوب ملبسا لجميع النساء فى الكويت فى الايام العادية بدون تطريز ، اما فى المناسبات والاعياد فكانت النسوة يلبسن الواب الزرى المطرزة بالقصب والترتر · الذى كان يجلب غالبا من الهند وفرنسا · اما الاقمشة المستعملة لهذه الاثواب فهى قماش الجرجيس والشيفى ·

وكانت المراة المسنة تلبس الثوب الاسود المحلى طرفه بالزرى ، اما الشابة المتزوجة حديثا فتلبس



السفينة الكويتية من اجمل واقوى سفن المنطقة وفي الصورة اثنان من صناع السفن ونموذج لسفينة كويتية · (الى اعلا) السدو حرفة من حرف بدو الصحراء فالسجاجيد والبسط وبيوت الشعر والخروج والمدول من اهم الاشياء التي يصنعها البدو بايديهم ·(الى اسفل) · الصندوق المشك بالجمال يستخدمه البحارة في الاسفار ورحلات الغوص فيضع فيه البحار حاجياته من ملابس ودخان وحلوى · (الى اليسار)





الثوب الذي يحلى بالزرى والترتر الخفيف من اطرافه .ولوب العروس يختلف من واحدة لاخرى فرفيقة الحال مثلا تلبس الثوب المنثور والمطرز بالصدر فقط ، اما الموسرات من النساء فيلبسن الالواب المطرزة والمنثورة حتى الاطراف وهـي اثواب غالية الثمن،ومدة العمل في الثوب الواحد قد تستغرق عشرة ايام حتى اسبوعين .

السـدو

وحياكة الصوف من العرف القديمة والمنتشرة بين البدو ويطلق على عملية الحياكة هذه(السدو) كما تطلق هذه التسمية على «النول» او «المير» وهو اله الحياكة نفسها وينصب السدو عادة داخل بيت الشعر الذي يقيم فيه البدوى او قرب ذلـك البيت وتحته مظله واقية تسمى (العريش)لوقايه المشتغلات من حرارة الشمس .وتتم عملية السدو في فصل الصيف لان البدو في هذا الفصل اكثر استمرارا منهم في فصول السنه الاخرى ، وحتى لايتاثر الصوف برطوبه الجو كما هي الحال فـي بقيه الفصول ولاسيما فصل الشتاء اما الادوات التي تستخدم في عملية الحياكةبالاضافة الى السدو او النول فهي :

أ ـ المدرة وهي (المكوك)وهي قطعة خشبية مدببة الجانبين وتستعمل لتشبيك خيوط الصوف علـى السدو

ب ـ المنشزة : وهي قطعة خشبيةمستطيلة الشكل ذات طرفين حادين وتستعمل لرصف الخيوط على السدو بعد تشبيكها .

اما اهم لوازم البدو المصنوعة من الصوف فهي :

١ ـ بيت الشعر وهو سكن البدوى في الصحراء ينقله اينما حل ويصنع عادة من الصوف ويتكون بيت الشعر من الفلجان وهو الجزء الذي يغطي بيت الشعر من اعلى والسدرة وهي جدار بيت الشعر يتصل احد طرفيها بالفلجان ويثبت الطرف الاخر في الارض ، ويصنع عادة من اللونين البنـي والابيض،ثم القواطع او الرواق ويستخدم كقواطع داخل البيت لتقسيمه الى عدة اماكن .

٢ ـ العدول ومفرده العدل وهو كيس كبير يحفظ فيه الارز والبقول .

٣ ـ المزاود ، مفردها ، مزود ، ويستخدم لحفظ الملابس .

٤ ـ الخروج(الاخراج)مفردها خرج وهي اكياس صغيرة توضع فيها مايحتاج اليه البدوى فـي اسفاره . وتحمل على ظهر الجمل .

٥ ـ المساند مفردها مسند ، وهي وسادة يتكأ عليها عند الجلوس ، وتستخدم مخدات احيانا لوضع الراس عليها عند النوم .

٦ ـ الزوالي والبسط تصنع من صوف كثيف ، وكلا الزولية والبساط يفرش على الارض للجلوس او النوم عليه .

المسئولون يتكلمون

وكان لنا لقاء مع السيد عبدالرحمن المزروعي وكيل وزارة الشئون الاجتماعية المساعد لشئون الشباب ورئيس لجنة الترويح السياحي التي نظمت اسبوع العرف الكويتية قال السيد المزروعي : ان هذه العرف تمثل جزءا من تراثنا الشعبي العديم والمحافظة على هذه العرف ونقلها للابناء عمل من صميم محافظتنا على تراث هذا الوطن ، وانه لن يتاتى ذلك الا بتجسيد هذه الصناعات امام شبابنا تجسيدا حيا حتى لاتندثر .والهدف من احياء هذه العرف ليس مجرد نشاط لمدة اسبوع في كل عام بل يجب ان يتخذ وضعا مستمرا حتى يطلع عليـه المواطنون والزوار الذين ياتون الكويت ، وهذه العرف من تراثنا القديم كانت مصدر رزق الاباء والاجداد بل ان بعض هذه العرف لا تزال مصدر رزق بعض المواطنين ، ثم ان الجيل الحاضر يريد أن يعرف الكثير عن هذه العرف ، والحقيقة أن العين لاتمل النظر من مشاهدة مثل هذه الصناعات بل ان المرء يتوق الى مزاولتها .

واضاف الاستاذ المزروعي قائلا : ان كل دولة تزورها تجدهـا تزخر بتلك الصناعات اليدويـة الوطنية التي تمثل الجانب الحضاري المميز لتلك الدولة والناس الذيـن يزورون الكويت نجدهـم يسعون الى اقتناء بعض هذه المصنوعات مثل سجاجيد البدو او نماذج السفن الكويتية.لقد نظرت وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل هذه المسالة بعين الجد والاعتبار فقامت بادخال الصناعات اليدوية فـي مراكز الشباب المختلفة حيث تقام الان صناعة الجالبوت القديم وهو نموذج لسفينة كويتية وصناعة التناك وهي سفينة تصنع من الساج الخفيف .

اوشكت على الاندثار

اما الاستاذ ابراهيم البغلي مدير ادارة الاثار والمتاحف بوزارة الاعلام وقد ساهم بنصيب كبير

● صناعة وحرف تقاوم الاندثار

فى انجاح اسبوع الحرف الكويتية ، فقد قال : ان هذا الاسبوع كان من انجح الاسابيع التي وفقت فى انجازه اللجنة العليا للترويج السياحى لقد كان الاقبال منقطع النظير فقد قارب زوار المعرض ١٤ الف شخص ، ولن انسى منظر ذلك الاب الكويتي وهو يصطحب معه ابناءه ويشرح لهم بعض عمل هذه المصنوعات بكل فخر واعتزاز فيصغى الابناء فرحين مبتهجين بذلك لان هذه المصنوعات وادواتها معروضة فى بيت كويتى قديم هو مقر المتحف الوطنى ٠

ان بعض هذه الحرف اوشك على الاندثار وبعضها الاخر اندثر بالفعل وذلك بسبب انتقال الناس من مزاولة هذه الحرف الى الوظائف المدنية فى الدولة،ولان معظم هؤلاء الحرفيين قد انتقلوا الى الدار الاخرة فاذا نحن شجعنا هذه الحرف جعلنا اولادنا والهواة يرغبون فى تعلم هذه الحرف ،ولا يعنى ان مفهوم هذه الحرف قد اختلف فقد كانت مصنوعاتها للاستعمال اليومى اما الان فان معظم هذه المصنوعات تستخدم تحفا او قطعا من الزينات تجمل بها مجالسنا وبيوتنا وبذلك ارتفعت قيمتها المادية وبدا عدد من الحرفيين فى تحسين نتاجهم وبدا بعض الهواة فى تعلم هذه الحرف ولاول مرة فى هذا الاسبوع عرض بعض هؤلاء الهواة نتاجهم للبيع ٠

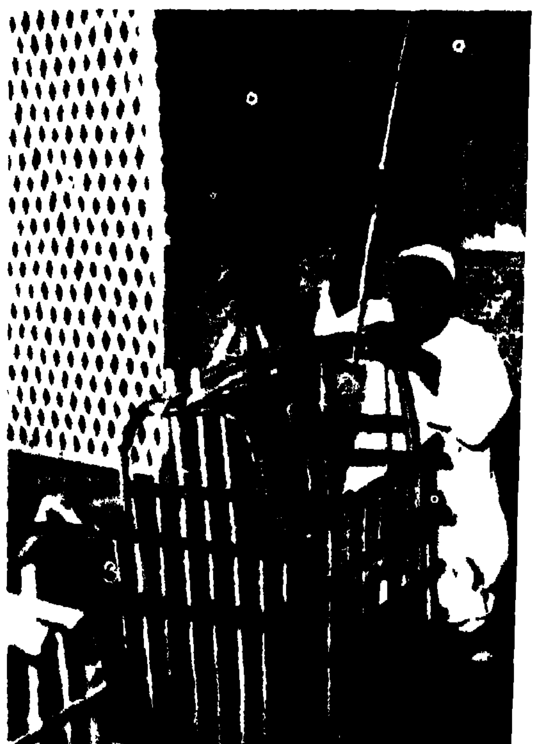
واضاف الاستاذ البعلى قائلا :كنا فى البداية نلاقى صعوبة بمشاركتنا فى هذه الاسابيع اما الان وبعد نجاح هذا الاسبوع فان عددا وافرا قدموا انفسهم للمشاركة فى هذه الاسابيع ٠ ولدينا فكرة انتداب هؤلاء الحرفيين للعمل فى وزارةالاعلام عند افتتاح مبنى المتحف الوطنى وتخصيص اجنحة خاصة لهؤلاء الحرفيين وعندئذ نستطيع هؤلاء التفرغ لمثل هذه الاعمال وتدريب الهواة والابناء على هذه الحرف لاسيما أن العديد من هؤلاء الحرفيين يندثر مما نخشى عليه أن يأتى يوم تموت فيه هذه الحرف فيختفى بذلك جزء من تاريخنا وتراثنا الذى نعتز به ونفتخر ٠

انني اقولها كلمة حق هى أن احياء تاريخنا التراثى القديم واظهار الحرف التى كانت مصدررزق للآباء والاجداد امانة فى ايدى المسئولين بعد ان يهتموا بها ويعملوا جهدهم للمحافظة عليها من الاندثار والضياع ٠ ■■

صادق يلى



العدال او السماك احدى الصناعات اليدوية وهى سفن صغيرة مصنوعة من الصدع ٠



بعض أسرة الاطفال فى القديم واقفاص طيور الزينة كانت من صنع القفاص الذى يعتمد على جريد النخل فى صناعته ٠

« الناس لا يتغيرون، ولكن الاشياء هى التى تتغير »

بوريس فيون : الطريق من الجاز إلى الرواية

بقلم : الدكتورة سامية احمد اسعد

عندما انتشرت موجة الوجودية ، كثر الحديث عن رائدها وفيلسوفها « جان بول سارتر » ورفيقته « سيمون دى بوفوار » ، وآخرين مثل « فرانسواز ساجان » ، وكثر الحديث عن الكهوف وحي « سان جيرمان دى بريه » . وظل طى النسيان وجه من أشهر وجوه تلك الفترة وذلك الحى ونجم من نجومهما : الاديب الفنان بوريس فيون Boris vian الذى توفى عن تسعة وثلاثين عاما .. الى ان رد اليه اعتباره وعادت اليه الشهرة بعد مماته .

■ بوريس فيون واحد من المع كتاب فترة ما بعد الحرب فى فرنسا . ولد فى « فيل دافريه » ، فى ١٠ مارس ١٩٢٠ ، من ابوين فرنسيين . وقضى سنوات حياته الاولى فى وسط بورجوازى ميسور .

وعندما بلغ الثانية عشرة، ظهرت عليه الاعراض الاولى لروماتيزم القلب ـ الذى لازمه وقضى عليه وهو فى شرخ الشباب ـ فما كان من امه الا ان ضاعفت من اهتمامها به ، ورعايتها له . وربما كانت هذه العناية الفائقة مصدر الكره الذى ابداه « فيون » للاباء الذين يفرطون فى رعاية اطفالهم وتدليلهم ، والذى عبر عنه عدة مرات فى مؤلفاته ، خاصة فى « اداة انتزاع القلب » L' Arrache-caur . ففى هذه الرواية الاخيرة صورفيون، اما متسلطة مسيطرة ـ كليمانتين ـ تريد ان تحمى اطفالها نهائيا من المخاطر الحقيقية والوهمية التى يمكن ان يتعرضوا اليها . وينتهى بها الامر الى حبسهم فى ثلاثة اقفاص صغيرة.

صحيح ان والدة فيون لم توح لابنها بشخصية كليمانتين مباشرة ، لكن يحتمل ان تكون قداوحت اليه ببعض من ملامحها لاشعوريا .

ثم كان المرض والدراسة

بعد الطفولة المرحة السعيدة ، كان المرض ، وكانت الدراسة ، دراسة عادية للغاية، دفعت بفيون الى تعليم نفسه بنفسه . فلقد كان يفضل المواد والكتاب الذين يكتشفهم بنفسه على كل ماكان يتقرر عليه فى المدرسة . وبعد حصوله على البكالوريا ، دخل ـ بلا حماس ـ المدرسة العليا للدراسات الهندسية لكن الصداقة والاصدقاء كانوا يشغلونه اكثر مما تشغله الدراسات العليا. وكان اهتمامه ينصب اول ما ينصب على الحفلات الراقصة وحفلات الجاز الذى اولع به واحبه حبا عنيفا .



بوريس فيون

ويحتمل أن تكون حياة فيون الكاتب قد بدأت عام ١٩٤٢ .

لماذا اتجه فيون هذا الاتجاه ؟

ربما دفعه الى ذلك حب الاستطلاع ،والرغبة فى اللهو بالكتابة ... وفى الوقت نفسه ،اصم فيون اذنيه للنصائح التى كان يسديها له المحيطون به ـ بسبب مرضه ـ وعاد الى العزف على البوق، كرد فعل على منع الموسيقى الزنجية . وظل يعزف على البوق فى فرق مختلفة . وعن طريق الجاز اكتشف حى سان جيرمان واصبح واحدا من نجومه البارزة ،فى الوقت الذى كاد هذا الحى يصبح فيه عاصمة داخل عاصمة النور .

وربما اكتملت هذه الخطوط الرئيسية لصورة ب . فيون لو اوردنا الكلمات التى كتبها ريمون كينو R.Queneau كمقدمة « لاداة انتزاع القلب » . قال :

« ب. فيون رجل متعلم مهذب . تخرج من كلية الهندسة . وما هذا بالشىء الهين . لكن هذا ليس كل شىء ...

عزف على البوق كما لم يعزف احد وكان واحدا من الذين جددوا الكهوف فى فرنسا ودافعوا عن «ستيل» نيواورليان . لكن هذا ليس كل شىء ...

مثل امام عدالة البشر لانه كتب« سابصق على قبوركم » تحت اسم مستعار «فرنون سوليفان». لكن هذا ليس كل شىء ...

ترجم كتابات اميركية اصيلة كل الاصالة بل لقى فى ذلك بعض الصعوبات اللعوبة التى لاتصدق. لكن هذا ليس كل شىء ...

كتب ب . فيون مسرحية مثلها ممثلون حقيقيون على مسرح حقيقى . لكن هذا ليس كل شىء...

كتب كتبا جميلة . عريضة . مؤثرة . من بينها «زبد الايام » L'ecume des Jours اقوى قصص العصر المعاصرة . و « النمل » . اغرب قصة قصيرة كتبت عن الحروب . و « الخريف فى بكين » L'automme a pekin . تلك الرواية الصعبة التى لم تلق التقدير الذى تستحقه .

لكن هذا ليس كل شىء .. كل هذا ليس شيئا يذكر . لان ب . فيون سيصبح ب . فيون !!

ليس وجوديا

تحققت النبوءة . واصبح «فيون» كل هذا واكثر منه . كتب الروايات الغنية بالمعانى . والمسرحيات الجريئة . والشعر الاصيل . والاغانى الجيدة . ولايمكن . فى هذا الصدد . ان نقول ان «فيون» كان يفضل هذا اللون او ذاك على ماعداه . لانه احب كل ما اتيحت له فرصة اكتشافه . فلقد احتل الجاز حيزا كبيرا فى اهتماماته ومشاغله، وان ظن البعض انه كان ثانويا بالنسبة لرواياته مثلا .

ومما لاشك فيه ان فيون تاثر تاثرا بالغا بالكاتب « الفريد جارى » الذى كان اول من زعزع عرش اللغة الراسخ فى الادب الحديث . وذلك فى مسرحيته الشهيرة « اوبوملكا » . لكنه لم ينسجم انسجاما عميقا مع السيريالية . بالرغم من ان مؤلفاته تلجا الى اساليب تذكرنا كثيرا بالاساليب السيريالية . وكثيرا ما ربط النقاد بين فيون والحركة الوجودية . نظرا لعلاقته بسارتر . وسيمون



فرانسوا ساجان



سيمون دي بوفوار



سارتر

دى بوفوار . وكتابته بعض المقالات فى مجلة « الازمنة الحديثة » (١) والواقع ان فيون لم ينتم الى الحركة الوجودية ابدا . بينما تأثر بسارتر ، كاتب « الغثيان » و«الجدار » ، واعجب به اعجابا حقيقيا • فى هذا السياق يجب ان توضع المشاهد الخاصة بالفيلسوف الوجودى فى رواية « زبد الايام » • فهى لاتتعرض لفلسفة سارتر اوحتى شخصه ،بل لاسطورة نمتوازدهرت فى عامى ١٩٤٥ و ١٩٤٦ فهو يدين بالاستسلام بلا قيد او شرط للايديولوجيات ، ايا كانت • والحدث الوحيد الماخوذ عن الواقع مباشرة هو المحاضرة الهزلية التى يلقيها «بارتر » فى « زبد الايام » • وهو ماخوذ عن محاضرة كان سارتر قد القاها فى اكتوبر سنة ١٩٤٥ ، واجتذبت حشدا هائلا • وبالرغم من الطابع الكوميدىلهذا المشهد ، فهو لا يعبر عن اى سينة ، لان فيون لايسعى الى انتقاد سارتر الذى طالما اضمر له التقدير والاحترام •

قلنا ان فيون كتب القصيدة،والمسرحية،والرواية الخ •• واجمل القصائد التى كتبها هى تلك التى جمعت بعد وفاته تحت عنوان احداهـا : « لاأريد أن اموت » • هذه المجموعة صرخة حب يطلقها رجل احب الحياة من كل قلبه ، وبكل جوارحه ، ورأى هده الحياة تفلت من بين يديه بينما كان شبح الموت يقترب بخطى حثيثة • وكان من الطبيعى ان يتجه فيون الشاعر والموسيقار الى كتابة الاغانى ، وهنا يستحيل رسم خط واضح بين القصيدة والاغنية ، لاننا نجد فى كل منهما الصفات التى تميز بها فيون : الخيال ،والاحساس باللغة • •• والغريب فى الامر ان النقاد كادوا يتفقون على ان روايات فيون ومسرحياته اكثر شاعرية من قصائده •

بين رواد المسرح الجديد

ومما لاشك فيه ان ب • فيون واحد من رواد المسرح الجديد فى فرنسا • واختلف النقادحول هذا الرأى لان مسرحيته « بناة الامبراطورية »لم تعرض سوى عام ١٩٥٩ • فى حين انه كتب ،منذ عام ١٩٤٧ ، مسرحية مثيرة من نوع« الفارس »

تميزت بايقاعها المجنون ، و « غداء الجنرالات » التى تميل الى الكاريكاتير السياسى ، و«بناة الامبراطورية » التى تاثر فيها بيونسكو تاثرا واضحا • تصور المسرحية الاخيرة خلية اجتماعية نمطية ، مكونة من الاب ، والام والابنة والخادمة• يطارد الاسرة « صوت » يثير القلق ، ويلازمها مخلوق صامت يشبح لا شكل له ، يسميه فيون « الشمورتز » • تنتقل الاسرة على مر الفصول من طابق الى طابق اعلى وتستقر فى مساكن تزداد ضيقا ، بينما تزول اطرافها واحدا واحدا، الى ان ينتحر الاب فى النهاية بعد موت الاخرين• بعجت هذه المسرحية لاعتبارات عدة اهمها اللغة التى كتبت بها ، ودقة البناء الدرامى • بناء مجرد الى اقصى حد ، وقوة الصور وكثرتها ، وخيال المؤلف الذى بلغ الذروة عندما تخيل « الشمورتز » • حاول كل النقاد ان يفسروا هذه الشخصية • وأيا كان تفسيرهم فانه يكفى أن نقول : انها لا تنسى وانها تستحوذ على اهتمام المتفرج • ربما كان « الشمورتز » رمزا للغرائز المسيطرة علينا ، او الشيخوخة او الموت ، او ••• كل ما نعذبه داخل نفوسنا وخارجها ، ولعل فيون قد تذكر عندما تخيله الكلمات الشهيرة التى قالها « ارتو » وطالب فيها «بظهور كائن مصنوع من الخشب والقماش ، يختلق اختلاقا ، لا يلبى اى مطلب ، ومع هذا يثير القلق بطبيعته ، قادر

(١) محررها هو جان بول سارتر •

على ان يعيد الى المسرح نفحة صغيرة من ذلك الغوف الميتافيزيقى الهائل الذى كان اساسا للمسرح القديم كله • » وبالرغم من نجاح هذه المسرحية ظل الكثيرون يفضلون روايات فيون على مسرحه • يقول احد النقاد ، على سبيل المثال : « لا يخيل الينا ان مسرح فيون جديد ، وكامل ، وزاخر بالمعانى ، باختصار ، هو ناجح كرواياته »•

يتفق فيون مع كتاب الرواية المعاصرين له : ج •• جراك ، ومونديارج ، وكلوسوفسكى – فى قدرته على ادخالنا فى عالم « اخر » ، اذا جاز القول ، مستعينا بسحر الكلمات • وغالبا ما يكون هذا العالم عالما مقلقا ، لكن له دائما اغراء لا يقاوم ، يختلف هذا العالم عن عالمنا ، ويكشف عن خباياه ، اى عن الحقيقة • وروايات فيون التى تلقى اليوم نجاحا كبيرا مرت دون ان يلحظها احد عندما كان كاتبها حيا • لان المجد والشهرة كانا من نصيب فرنون سوليفان ، الاسم المستعار الذى نشر تحته اول رواياته واشهرها « سابصق على قبوركم » ، تلك الرواية التى اثارت ضجة كبرى ومثل بسببها امام المحاكم • هكذا حكم الاسم المستعار على صاحبه الحقيقى بالفشل مدى الحياة• ومع هذا ، ظل فيون يكتب رواياته : زبد الايام ١٩٤٧ ، و الغريف فى بكين ١٩٤٧ ، والعشانش العمراء « L'herbe rouge (١٩٥٠) ، و « اداة انتزاع القلب » ١٩٥٣ •

ويبدو ان فيون كان مهتما فى المقام الاول بعمله كموسيقار ، وعمله ككاتب روائى • واذا كانت نبوءة « ريمون كينو » قد تحققت ، كما اسلفنا ، فذلك يرجع اولا وأخيرا الى رواياته ، و « زبد الايام » افضلها بلا شك • ولسوف نقف عندها وقفة طويلة بعد حين • أما « الغريف فى بكين » فاطول رواياته واصعبها واكثرها تعقيدا • ويكاد يكون تلخيصها مستحيلا ، لان ذلك يفقدها اهميتها• ومع هذا ، نجد فيها السمات الخاصة بعالم فيون: الحب ، والسعادة ، والدين ، والعنف ، ولربما اشتملت على اكثر من هذا فى « العشانش العمراء » ، اذ يعود الكاتب الى موضوع ابسط، اقرب ما يكون الى السيرة الذاتية • ويبدو ان فيون يتامل ماضيه ووجودنا عامة من خلال شخصية « وولف » الذى يسبر اغوار ذكرياته الماضية ، مستعينا بالة ترجع الزمان الى الوراء • واغلب الظن أن فيون يرى ان معرفة الذات لا يمكن ان تكون السبيل الى السعادة • واسم « اداة انتزاع القلب » ماخوذ عن الاداة التى جاء ذكرها فى « زبد الايام » ولم تظهر ابدا • يتركز الاهتمام فى هذه الرواية حول نقطتين : قصة جاكور ، الطبيب النفسانى الذى يفضى به فشله الى اتخاذ مكان « لاجلوار » الشخص الذى يدفع له الاخرون ذهبا ليحمل عارهم بدلا منهم ، وقصة التوائم الثلاثة وامهم المتسلطه التى يتخذ منها فيون وسيلة للحديث عن العلاقة بين الاباء والابناء بطريقة كوميدية وقاسية فى ان واحد • ومن المؤكد ان الكاتب حمل هذا النص اكثر من رسالة : عن الدين ، والاسرة ، الخ •• واكثر من معنى ، مما اكسبه اهمية فريده ، بالرغم من قسوته •

★ ★ ★

روايته « زبد الايام »

كتب فيون « زبد الايام » فى باريس ، ومع هذا يقول فى مقدمة الرواية انه كتبها فى الولايات المتحدة مما يجعلنا نتساءل : ايكون حبه للجاز هو الذى دفعه الى ذلك ؟

تدخل بنا الرواية الى عالم خيالى ، شانها شان سائر روايات فيون • لكنها فى الوقت نفسه تتضمن اكثر من اشارة الى تجربة فيون الشخصية• لنذكر على سبيل المثال مرض البطلة «كلوييه»، ذلك الالم الذى انقض على صدرها فى شكل زهرة النيلوفر (عرائس النيل) • وقد يكون هذا المرض نقلا للمرض الذى قاسى منه الكاتب واودى بحياته • كذلك ، ينعكس الضيق المادى الذى عانى منه فيون فى سيطرة العمل ، وضرورة الحصول على المال ، والاكتشافات المريرة التى يقوم بها البطل « كولان » غداة زواجه ، ولنضف الى ذلك ان الاختراعات التكتيكية والتفسيرات العملية الساخرة التى يزخر بها الكتاب تذكرنا بان فيون كان مهندسا مولعا بالقصص العلمى الذى ترجم الكثير منه وكان يقرؤه بحماس بالغ • وبالرغم من ان فيون ترك بصماته بطريقة او باخرى على كل صفحة من صفحات الكتاب ، لايمكننا ان نقول انه سيرة ذاتية •

نلاحظ اول الامر ان « زبد الايام » روايــة

تجمع بين الجد والهزل • ويستحيل على القارىء رسم خط واضح بين ما يمكن ان يكون رواية خيالية ساخرة بالرغم من نهايتها الحزينة ، وما يمكن ان يكون رواية جادة الاصداء يعرض فيها المؤلف بعض القضايا الهامة •

قصة الحب التي تجمع بين كولان وكلوييه هي الخط الرئيسي في الرواية انها قصة بسيطة خالية من الرومانتيكية • ونشعر منذ البداية ان الحب والموت يكونان وحدة لا تنفصم ، ويسيران جنبا الى جنب • ان « زبد الايام » قصة البراءة المضطهدة ، والسعادة المستحيلة ، قصة القلق وكآبة الحياة • مما يذكرنا بقول الشاعر أراجون : « ما من حب سعيد » •

نرى كولان وحيدا في بداية الرواية • لكن وحدته هذه ليست سوى انتظار ، انتظار المرأة التي تتجسد اولا في « اليز » حبيبة صديقه « شيك » • منذ اللحظة التي يلتقي فيها كولان بها ، نشعر انه في حاجة الى الحب ، حب لا يفصل بين الروح والجسد • والصفحات التي يصف فيها الكاتب لقاء كولان بكلوييه نجاح فني رائع • وجدير بالملاحظة ان فيون يربط بين الموسيقى التي طالما احبها ولقاء البطلين • يعيش البطلان لحظات يذوقان فيها طعم السعادة الحقة التي تبلغ ذروتها بزواجهما الذي حوله فيون الى احتفال رائع • لكن ما ان يطلع عليهما الغد حتى تقبل الشمس التي تدخل مسكنهما ، ويتعذر على كلوييه الوقوف على قدميها • ها هي ذي الالة الجهنمية قد بدأت دورانها •

وعندما يبدأ الجزء الثاني من الرواية ، يغزو العالم الخارجي عالمها • فيكتشف الابطال ضرورة السعي الى المال ، والعمل ، وحتمية المرض ، باختصار يكتشفون القلق • وتنفجر المأساة عندما تلازم كلوييه الفراش • لقد ضرب القدر ضربته• وبينما تغيم الظلمة على المسكن نرى هذا الاخير يضيق ، ونستشعر تقدم الموت بخطى بطيئة مثابرة • عندئذ يبدأ سباق كولان مع المرض ، ويصبح كل همه شراء الزهور لكلوييه، لان وجود الزهور هو الذي يبقي على حياتها • ونراه مستعدا لقبول اي شيء في سبيل ذلك حتى العمل الذي سيفرق بينه وبين محبوبته الى الابد •

والصفحات التي يتحدث فيها فيون عن العمل تفضح مرضا آخر : الفرد مسخر في المجتمع اقتصاديا • عالج فيون هذا الموضوع مرات عدة في رواياته • طالما ان كولان يملك المال ويستطيع ان يعيش بدون ان يعمل ـ تسير الامور على مايرام • لكنه يكتشف عذاب السعي الى المال ، وذل العمل ، منذ اللحظة التي يواجه فيها الواقع• فضلا عن ان حياة كلوييه متوقفة على حصوله على المال الذي يمكنه من شراء الزهور لها كما قلنا • مما يضطره الى قبول اعمال مهينة ، لكنها اكبر اجرا • هكذا يرى فيون ان العمل يعني التبعية ان لم تكن العبودية ، وان المال يعني الحرية • ويواصل المؤلف طرح وجهة نظره قائلا : ان العمل لا يغني احدا ، وانه غير مقدس ، بل ان الطبيب الذي يعالج كلوييه يذهب الى حد القول بان « العمل شيء قذر » • باختصار ، يرى فيون ان العمل لا يفضي الى تحرير الانسان ، بل الى اغترابه اغترابا تاما • على سبيل المثال ،المصنع الذي يعمل فيه « شيك » اشبه بالجحيم ، ولايسعنا ازاءه الا ان نذكر عالم « كافكا » ودانتي ـ كل شيء فيه خلق لتعذيب الانسان واستنفاد طاقاته في سبيل العائد منه • والعامل فيه يلقى عداء الالة والبشر معا • فهو مهدد دائما بالاصابة او الطرد • وفي النهاية نراه هو الانسان ، يتحول الى رقم ينعكس على لوحة مضيئة • والتجربة التي يمر بها كولان غاية في البشاعة ، لان العمل الذي يعرض عليه يستهلكه ، وصنع المدافع يقضي على نشاطه وحيويته • ويضيف فيون الى نقده للعمل نقده للحرب وسباق التسلح ، مصورا العمل على انه يساعد على هدم الانسان لا على بنائه •

تحدثنا « زبد الايام » اذن عن قلقنا ومشاكلنا• ومع هذا لا تلمس اي شبه بين عالمها وعالمنا • فالشخصيات الست الرئيسية ـ ونضيف اليها الفار الذي يموت في اللحظة التي تموت فيها البطلة ـ لم تدرس دراسة نفسية عميقة ، لان فيون لم يحاول ان يجعل منها « شخصيات » روائية

بالمعنى التقليدى لهذه الكلمة . وحدودها غير واضحة . فلا ماضى لها ، ولا عائلة ، ومع هذا ، لكل من هذه الشخصيات طابعها الفردى المتميز وهى لا تتطور ، بل تتضاءل ، لان « الناس لا يتغيرون ــ على حد قول كولان ــ بل الاشياء هى التى تتغير . »

ويستحيل ان تعيش شخصيات حقيقية فى عالم غريب تتمرد فيه أربطة العنق وتصفر ، ويصطادون فيه السمك فى الاحواض ، ويتكلم فيه الكلاب والفئران والنبات ــ فالاشجار لا تقتلع بل تقتل ــ ونسمع فيه الجدران والارضية وهى تتنفس ، ويلتقى فيه المتوازيان الى ما لا نهاية وتصبح فيه مقاعد لويس الخامس عشر مقاعد لويس السادس عشر على مر الايام ، وتعود فيه نعال الاحذية والواح الزجاج الى حالتها الاولى ، بعد استهلاكها او كسرها . ..

انه عالم سحرى اذن ! لكنه قاس بعيض ايضا. لان صور العنف ومشاهده تظهر فجاة فى اكثر اللحظات مرحا ، خاصة بعد زواج البطلين . ولا يبدى الابطال اية دهشة ازاء هذه القسوة . وان عانوا منها . فكل شىء يبدو لهم طبيعيا . ان هذا العالم عالمهم . وهو متماسك فى نظرهم ، لان فيون حول كل شىء فيه بتسمية جديدة ومنطق جديد للاشياء .

لماذا لم تترجم رواياته ؟

والشىء الجديد حقا فى هذه الرواية هو استخدام المؤلف للغة وتفجيره اياها . وهذا ايضا معنى من معانيها الهامة . يدعونا فيون الى الشك فى الكلمات وعدم الثقة فيها ، كما فعل من قبله « جارى وكينو » ، وميشو ، وقبل ان يكتب « يونسكو » مسرحيته الشهيرة « المغنية الصلعاء » .

استخدم فيون الكليشيهات والعبارات البالية المستهلكة استخداما حرفيا ، وشوه بعض الكلمات، وخلق كلمات اخرى يصعب تفسيرها احيانا . ولم يفته . بطبيعة الحال . التلاعب بالالفاظ . وهذا الاختيار القاسى الذى تخضع له اللغة هنا يبلغ الذروة لانه يعيد النظر فى العالم ومجموعة القيم المرتبطة باللغة ذاتها . ولا نبالغ اذا قلنا ان كتابة فيون تصل الى حد الثورة ، وان « زبد الايام » علامة هامة على طريق الادب الروائى الحديث .

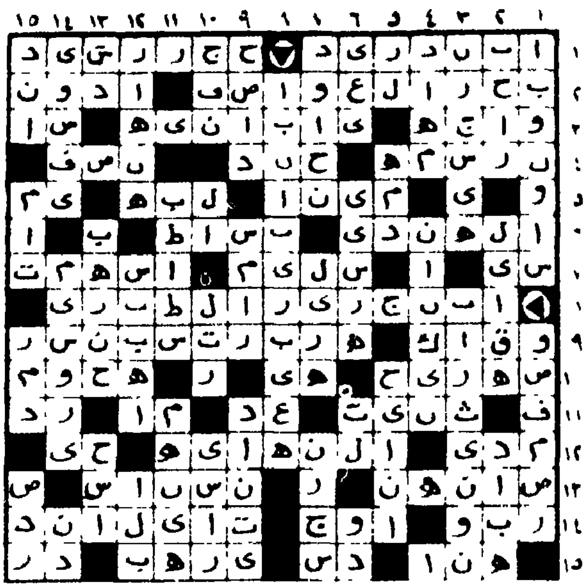
واذا نظرنا الى الزمان فى هذه الرواية . وجدناه لا يخضع لاى تنظيم حقيقى .. ففعل الزمان هنا غير واضح وغير محدد المعالم . تبدأ الرواية يوم سبت فى فصل الشتاء . وعندما يتزوج البطل والبطلة يقترب الشتاء من نهايته. ويعودان من شهر العسل فى الصيف . وسرعان ما تختفى الفصول ،ويحل محلها اختفاء النور والضوء تدريجيا ،كتعبير عن عداء العالم وقسوته. ومعالجة الزمان على هذا النحو ليست عيبا ، لان الكاتب أراد ان نعيش القصة وفقا لايقاع ابطالها الداخلى . ايقاع صبرهم النافد . وافراحهم . ومخاوفهم . وقلقهم .

وتعتبر « زبد الايام » اشهر روايات فيون اليوم . مع انها لم تلق هذا النجاح فى البداية. فعندما تقدم بها كاتبها للحصول على جائزة La Pleiade عام ١٩٤٦ لم يفز بها . وعندما نشرت الرواية عام ١٩٤٧ . لم تلق الا نجاحا محدودا وها هى ذى قد اصبحت الان واحدا من الكتب التى هى اكثر رواجا فى العالم .

وهنا يفرض علينا سؤال فرضا : ما دامت لفيون هذه الاهمية . فلماذا لم يترجم الى العربية حتى الان فى حدود معلوماتنا ؟ ربما كانت الاجابة المباشرة على هذا السؤال هى ان فيون ركز اهتمامه على عنصر اللغة . وان تجديده المفرط فى هذا المجال قد يحول دون نقل النص الى العربية نقلا امينا ومقروءا فى الوقت نفسه.. اللهم الا اذا كان المترجم فى مستوى بودلير ــ عندما ترجم ادجار الان بو ، او الدكتور طه حسين ــ عندما ترجم « انتيجونا » .. ■■

د . سامية أحمد أسعد

● حل مسابقة العدد ٢٣٦ ●



ابن جرير الطبري

●

ابن أبي ربيعة

اثنتان في واحدة :

(٨) افقيا : ابـن جريـر الطبـري ، ولـد فـي طبرستان ، وتنقل ، وتنقل بين ايران وسورية ، والعراق ومصر ، وصنع كتاب « جامع البيان في تاويل القران » ، وكتاب «تاريخ الأمم والملوك» ، و« تهذيب الاثار » •

(٨) راسيا : ابن ابي ربيعة ، من سراة القرشيين ، رقيق الاسلوب لطيف العواطف في غزله ، رجع عما فرط منه في آخر حياتـه وتزهد •

الفائزون بالجوائز

- العائزة الاولى وقيمتها ٣ دنانير فاز بها : صباح ابراهيم محمد • عمان/الاردن •
- العائزة الثانية وقيمتها ٢ دينار فازت بها: بثينة عوض عبد الرحمن • الخرطوم/السودان •
- العائزة الثالثة وقيمتها ١ دينار فازت بها: نوار محمد حسن • بغداد/كاظمية ـ العراق •

٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا كل منها خمسة دنانير فاز بها كل من :

١ ـ انترانيك موميس ـ القامشلي/سوريا •
٢ ـ سعد عبد العزيز الفريح ـ لدسمة/الكويت •
٣ ـ خليل حسن فخر الدين ـ بيروت/لبنان •
٤ ـ عبد الرحيم عمـر السبيعي ـ عـدن/اليمن الديمقراطي •
٥ ـ حسن أحمد ابو حلو ـ دمنهور/مصر •
٦ ـ عبد الله أحمـد محمد العـلي ـ الاحسـاء/السعودية •
٧ ـ احمد محمود محمد عبدالرحيم ـ لواء لطمرة/ابو ظبي •
٨ ـ سالمين نصيب سالمين/البحرين •

من أمراض الأعصاب الطرفية ..

قبل أن تفقد السيطرة على أطراف جسمك !

بقلم : الدكتور محمد محمد ابو شوك

■ الاعصاب الطرفية هى التى تخرج من او تدخل الى النخاع الشوكي لتغذى الراس والذراعين والساقين وسأتناول هنا أمراض الاعصاب الطرفية التي تغذى الذراعين والساقين وهى من الامراض الشائعة التى تنتشر فى مجتمعنا الحديث لانتشار الاسباب المؤدية للاصابة بها •

ذلك أنه بقدر ما اسبغت علينا المدنية الحديثة من ترف ونعيم فاننا نراها من ناحية اخرى تسبب لنا امراضا انتشرت بيننا بعد ما كانت نادرة • والامراض التى تصيب الاعصاب الطرفية عديدة منها الناتج عن ضغط عليها بواسطة مفصل متكلس او غضروف ناتىء ، او ورم ضاغط ، او نتيجة لاصابة بها ، اثر شد عليها ، او ضغط طال امده ، او اصابة سببت شللها او قطعها ، وسوف لا اتعرض لهذا الجانب ، اذ انه من اختصاص جراحة الاعصاب ، وعلاجه يحسمه التدخل الجراحى ان آجلا او عاجلا ولكن الذى يعنينى هنا هو ما يعرف مجازا بالتهاب الاعصاب الطرفية•

لهذا الالتهاب اسباب عدة ، نستطيع ان نرصد من واقع الممارسات العملية اليومية ابرزها فيما يلى :

١ ـ السموم الخارجية التى يتعرض لها الجسم، وهى سموم اما ناتجة عن استعمال المعادن مثل الزرنيخ،والزئبق ، والنحاس والفسفور والبزموت والرصاص • او سموم ترتبط باستخدامات المواد العضوية ، مثل التعرض لاول اكسيد الكربون ، مواد الاصباغ ومركبات الدلفا ، وتاثر الاعصاب بعد تعاطى الامصال الواقية فى بعض الحالات •

٢ ـ الامراض الناتجة عن نقص فى المواد اللازمة للاعصاب او تاثر هذه الاعصاب بامراض تصيب الجسم عامة مثال ذلك نقص فيتامين ب ١ ، او نقص فيتامين ب ٢ كما هو الحال فى البلاجرا ، او نقص فى فيتامين ب ٢ كما هو الحال فى فقر الدم الخبيث،او نقص فى امتصاص هذه الفيتامينات كما هو الحال بعد العمليات على الجهاز الهضمى، او الاسهال المزمن الشديد • والتهاب الاعصاب فى الحمل ، ثم التهاب الاعصاب مع تعاطى المشروبات الروحية والتهاب الاعصاب فى مرض البول السكرى، ونقص افراز الغدة الدرقية ، وزيادة افراز الغدة النخامية •

٣ ـ الالتهابات التى تصيب الاعصاب ويكون ذلك بواسطة فيروسات او ميكروبات ، او ضمن

مضاعفات للحميات المعدية او الامراض التي تصيب الجسم مثل حمى التيفوئيد ، او الملاريا ، الالتهاب السحائي ، والحصبةوالجدري وكذلك مرض الزهري والدرن الرئوي وكذلك تتأثر الاعصاب بواسطة السموم التي تفرزها الميكروبات المسببة لبعض الامراض مثل الدفتريا والتيتانوس (الكازاز) :

٤ ـ في بعض الحالات يلتهب العصب نتيجة للميكروبات التي تسبب مرض الجذام •

بين الاعراض والاسباب

وتختلف الاعراض التي يشكو منها المصـــاب باختلاف الاسباب التي ادت الى تأثر هذه الاعصاب وسأتعرض لاكثر هذه الاسباب شيوعا والاعراض التي تصحبها :

ـ في حالات التسمم بالمشروبات الكحولية :تظهر اعراض التهاب الاعصاب الطرفية في هذه الحالة بعد مرور فترة على تعاطي هذه المشروبات ، ومدى استعداد الشخص لهذا التأثر والكمية التـــي يتعاطاها • ويحس الشخص في بادىء الامر بخدور او تنميل في اليدين والرجلين ، ويتحول هذا في بعض الحالات الى ألم شديد يشعر معه المصاب كان لحمه ينسلخ عن عظامه ويزداد الالم اثناء النوم• والبعض يعاني من تقلصات شديدة فـي العضلاتخصوصا فيعضلاتالساقين (بطة الرجل) تشبه الى حد كبير التقلصاتالتي تحدثللرياضيين اثناء الجري او لعب كرة القدم • وكلما أمعن المدمن فيادمانه ازداد تأثر الاعصاب فتتأثركذلك اعصاب الحركة ، ويتأثر المشي ، ويفقد الشخص توازنه نتيجة لتأثر الاعصاب التي تحمل الاحساس بالحركة ـ ثم ان الشخص يحس وكان جلد اطرافه متورم ، وتزداد حمرة اليدين كما يزدادالعرق •

ويتبع كل هذه الاعراض تأثر الاجهزة الاخرى بما في ذلك المخ ، والكبد والمعدة فكلها تتأثر من الادمان على المشروبات الكحولية •

● فيحالةمرضالبول السكري : تتأثر الاعصاب بعد مرور وقت طويل على المرض ، واهمال المريض في العلاج ولذا فاننا نلاحظ ان الاعراض تظهر جلية عندما يبلغ المريض سن الاربعين وما جاوزها وتتأثر الاطراف السفلية قبل العلوية •• ويشكو المريض من ألم في العضلات التي تكون (سمانة الرجل) كما يشكو من عدم التوازن عند المشي مع الشعور بالسقوط على الارض • ويتبع ذلك تأثر اعصاب العينين مما يسبب ضعف حركة العينين • ويؤدي في بعض الحالات الى الرؤيـة المزدوجـة وفي بعض الحالات يحدث ضمور في عصب الرؤية مما يسبب فقدان البصر •لذا كان من الاهميةان يعالج المريضمبكرا ويواظبعلىالعلاج ، دوناهمال او تخبط فيه،ويراجعطبيبه من آن لآخر عندماتظهر عليه اي مضاعفات •

● في حالات الحمل : عندما يكون هناك نقص في فيتامينات ب واهمها فيتامين ب١ ، ب٢ ويصحب ذلك الم في الاطـراف يكـون في بعض الحـالات مبرحا ، تحس الحامل به عندالضغط علىالعضلات•

● في الصناعات المختلفة : كما هو الحال في التعرض لمادة الزرنيخ والرصاص ولكل اعراضه الخاصة فالاول اي في حالة التسمم بالزرنيـخ الذي يستعمل في قتل الافات الزراعية ، او قاتل الذباب ، او استنشاق الزرنيخ في اوراق الحائط او في الطلاء •

ويشبه التهاب الاعصاب فيحالةالتسمم بالزرنيخ ـ الالتهاب الذي ينجم عن كثرة تعاطي المشروبات الروحية الا انه في هذه الحالة يكون الالمشديدا ويكون ضعفالعضلاتاكثر منهفي الاطرافالسفلية عن العلوية ، ويصحب ذلك اضطراب في القوى العقلية •

اما في حالة تأثر الاعصاب بالرصاص كما هو الحال في عمال الطلاء الذينيستعملونالرصاص في مواد الطلاء ، وكذلك السباكين وصانعيمواسير الرصاص ، فاذا لم يأخذوا حذرهم سببت لهم هذه المادة التهابا بالاعصاب الطرفية ـ فتتأثر اعصاب الحركة • دون ان تتأثر اعصاب الحس مما يؤدي الى ضعف في عضلات اليـدين والقدمين ويتبـع ذلك الضعف ضمور بالعضلات وتظهر علامات اخرى على هؤلاء المصابين منها وجود خطوط زرقاء على اللثة واعراض فقر الدم •

في اوساط المحاربين : يحدث ذلك نتيجةللاصابة

بميروس خاص يصيب الاشخاص مابين سن العشرين والخمسين . وقد انتشر بشكل ملحوظ اثناء الحرب العالمية الاولى والثانية في أوساط المحاربين لانه من الامراض التي تنتشر في التجمعات التي تتعرض للبرد والرطوبه ٠

ومن اعراض المرض انه يلاحظ في كثير من الاحيان انه قبل حدوث التهاب بالاعصاب ترتفع حرارة المريض لعدة ايام ثم تمضي فترة ربما تمتد من عدة ايام الى عدة اسابيع تظهر بعدها اعراض اخرى كالصداع والقيء وارتفاع بسيط في درجة الحرارة والام في الظهر والاطراف . ثم الشعور بتيبس في عضلات الرقبة وبعد ذلك تظهر اعراض الشلل فجأة وتصيب الاطراف الاربعة ولكنها في بعض الحالات تبدأ في الاطراف السفلى وسرعان ما تنتشر وتؤثر على الاطراف العلوية ثم تصاب الوجه بشلل في العضلات ويؤثر ذلك في الجهة اليسرى او اليمنى من الوجه او في كلتيهما معا ٠ وفي بعض الحالات تصاب عضلات البلع مما يسبب عدم المقدرة على البلع وتضعف عضلات العينين وتسبب ازدواج الرؤية ومن الملاحظ ان العضلات التي تصاب تولم عند اللمس . وتضمر بسرعة ٠

وكما هو معروف في جميع الامراض فان « الوقاية خير من العلاج » ٠ والانسان في هذه الحالة اشد حاجة الى الوقاية — خصوصا اذا عرف انه في بعض الحالات اذا ما تاثرت الاعصاب فمن المحتمل جدا ان لا تعود الى حالتها الطبيعية وبالتالي يفقد حركة هو في حاجة ماسة اليها في حياته ٠ فيجب البعد عن الاشياء المسببة لالتهاب الاعصاب والتي سبق ان اوضحتها وفي مقدمتها تعاطي المشروبات الروحية . ثم التقيد بطرق الوقاية عند العمال اذا ما تعرضوا لاشياء تسبب التهاب الاعصاب خصوصا وان الاهمال كثير في استعمال الاقنعة الواقية او القفازات الواقية وغيرها من سبل الوقاية ٠

ثم يجب على مرضى السكر البولي ان يتقيدوا بالعلاج حتى لا يكون سببا في التهاب الاعصاب لان ذلك يحدث بمجرد اهمال المريض للعلاج وترك مرضه دون علاج او بعلاج متقطع يكون سببا في حدوث المضاعفات . ولا شك ان تعاطي الاغذية الصحيه اللازمة وعلى رأسها الفيتامينات يقي الاعصاب من التعرض للمرض في حالة النقص في هذه الفيتامينات ٠ ثم الامتناع عن تعاطي كل ما يضر بالاعصاب من مشروبات او اطعمة او دواء ٠

وكذلك التطعيم ضد الامراض المعديه لكي لا تصاب الاعصاب حينما تحدث مضاعفات هذه الامراض ثم لا بد من البحث عن مصدر او بؤرة للالتهاب في الجسم وعلاجها في الاسنان والجيوب الانفيه والبلعوم وغير ذلك ٠

وفي الايام الاولى للمرض لا بد ان يلزم المريض الفراش لان ذلك يساعد على سرعة شفاء الاعصاب المصابة ثم العمل على حفظ العضلات التي تغذيها الاعصاب المصابة لئلا تفقد حيويتها وذلك بتدليكها عندما يحتمل المريض ذلك بعد زوال الالم الذي يكون في بادئ الامر — ثم تحريك العضو المصاب بعد التدليك ٠ وفي بعض الاحيان يكون الالم شديدا ويحتاج المريض لمسكنات واحسنها واسهلها استعمالا هي مركبات الاسبرين وتحريك العضلات والعضو المصاب بواسطة التيار الكهربائي يفيد في بعض الحالات ويساعد على رجوع الحركه في اسرع وقت ممكن — وبعد ان يعود العصب الى حالته الطبيعية وتكون العضلات في حالة جيدة يمكن للمريض ان يعتمد على نفسه في تحريك العضو المصاب تدريجيا الى ان يرجع الى حالته الطبيعية ٠

واستعمال الفيتامينات خصوصا فيتامين ب ١ و ب ٢ تساعد في بعض الحالات على سرعه عودة العصب المصاب الى حالته الطبيعية ٠

هذه نبذة عن التهاب الاعصاب الطرفية لتوضح لكل قارئ اسباب ما يشعر به من خدر او تنمل في الساقين حتى ياخذ حذره ويستدير طبيبه فلعل ذلك يكون من الاسباب التي اوضحتها فيمكنه ان يعالج عندما يكون المرض في البداية ٠ وهذه خير وسيلة ليتغلب على مرض لو طال لكبده الكثير من العناء٠ ■■

د ٠ محمد محمد أبو شوك



بين وليم هارفى وابن النفيس



بقلم الدكتورة صبيحة الدباغ

● ثمة خيط لا يمكن انكاره يربط بين الطبيب البريطانى الشهير وليم هارفى مكتشف الدورة الدموية الكبرى ، وبين العالم العربى ابن النفيس مكتشف الدورة الدموية الصغرى .. ولكنهم فى الغرب ينكرون !

وهذه الصلة بين العالمين تثار فى مناسبة احتفال بريطانيا بمرور ٤٠٠ عام على ميلاد وليم هارفى ، الذى ولد فى مدينة فوكستون الانجليزية فى اول نيسان (ابريل) سنة ١٥٧٨ ، ثم درس الطب فى جامعتى كمبردج بانجلترا ، وبادوا فى ايطاليا . وصار بعد ذلك طبيبا خاصا للملك جيمس الاول ومن بعده شارل الاول ، ثم عين ناظرا او عميد لكلية ميرتون بجامعة اكسفورد ، وتوفى بلندن عام ١٦٥٧ .

ولكن شهرته ذاعت باكتشافه الدورة الدموية الكبرى التى اوضحها فى محاضراته بكلية الاطباء وجمعها فيمابعد فى كتاب نشر عام ١٦٢٨ . وتقدي

لغدمات هارفى تاسست جمعية باسم (الجمعية الهارفية) عام ١٨٣١ التى احتفلت بذكرى مرور مائة عام على تاسيسها سنة ١٩٣١ ٠

لقد تتلمذ هارفى على فابرشيوس فى جامعة بادوا وصحح ملاحظات من سبقه من اساطين الطب من امثال جالينوس وفيسيليوس وسيرفيتوس وكولمبس وسيسالبينوس وأوضح ان القلب مضخة عضلية ولكنه لم يتوصل الى اكتشاف الاوعية الشعرية لعدم وجود المايكروسكوب فى زمانه(١)٠ ولقد وضع نظرية الدورة الدموية سنة ١٦١٦ ونشرها فى مدينة فرانكفورت بعد ذلك بالثنى عشر عاما تحت عنوان : « رسالة فى التشريح عن نبض القلب وحركة الدم فى الحيوان » ٠ وعرف كذلك بدراساته المستيفضة فى علم الاجنة التى نشرها عام ١٦٥١ فللرجل من غير شك فضل كبير على علم الطب وتطوره ٠

مغالطات تاريخية

أما ان ننسب ـ كما يفعل الاوروبيون ولا سيما الانكليز ـ فضل اكتشاف الدورة الدموية اليه وحده فامر لاتقره الحقائق التاريخية ولا يرتضيه الانصاف العلمى ، اذ ليس من شك فى ان الانسان ـ كما يقول ابن النفيس نفسه ـ كان منذ العصر الحجرى شغوفا بمعرفة ما فى احشاء الحيوانات فتناولها تشريحا وتمزيقا باسنانه واظافره وأدواته البدائية القاطعة ، فعلم التشريح بدأ ببداية الانسان الاول ثم تطور وكانت هناك ارهاصات لمعرفة الدورة الدموية فى كتابات جالينوس وابن سينا ،ولكنها لم تتخذ شكلا واضحا صريحا الا فى ذهن ذلك العبقرى الجبار ابن النفيس الدمشقى(١٢١٠ـ ١٢٨٨ م) الذى نقد جالينوس وابن سينا فجلب على نفسه سخط المعجبين بهاتين الشخصيتين الطبيتين العظيمتين ، فانهال عليه النقد من كل جانب واهمله بعض من ارخ الاطباء والحكماء، وعلى راسهم ابن القفطى ، ولكنه مع ذلك اصبح ابن سينا الثانى بل وهناك اليوم من يفضله على ابن سينا نفسه لبراعة بحوثه المبتكرة الاصيلة وقد غدا فى زمانه شيخ اطباء مصر والطبيب الخاص للسلطان الظاهر بيبرس ، بطل الحروب الصليبية وقاهر المغول ، ٠

وقد صنف هذا الامام فى الطب العديد من الكتب فى ميادين من المعرفة مختلفة ، ولم يكن الطب الا واحدا منها ، وتحتفظ مكتبة البودليان باكسفورد بسبع نسخ من مؤلفاته المخطوطة وعلى راسها (الشامل فى الطب) ، (شرح تشريح القانون) لابن سينا ونقد (كتاب الفصول) لابقراط فى الطب ، وللكتابين الاولين اهمية بالغة لانه ، وصف فيهما الرئة والدورة الدموية وصفا علميا دقيقا ، فكان بذلك اول مكتشف للدورة الصغرى ، مما يعد اعظم ماقدمه العرب للعالم فى علم التشريح ، غير ان الاوربيين للاسف ينسبون هذا الاكتشاف الى مايكل سيرفيتوس الاسبانى الاصل الذى احرق حيا لتبشيره بنظرية ابن النفيس فى الدورة الدموية وامور اخرى عدت الحادا وذلك قبل مولد هارفى بربع قرن ، ما حمل بعض الباحثين المعاصرين على الاعتقاد بان هارفى اخذ فكرة الدورة الدموية منه ومن ريالدو ٠ وينسون او يتناسون ان سيرفيتوس وريالدو تلقيا معلوماتهما عن الدورة الدموية من البيغو احد اساطين عصر النهضة الاوروبية فى الطب والذى امضى ثلاثين سنة فى سوريا باحثا عن المخطوطات الطبية العربية مترجما اياها الى اللاتينية فترجم فيما ترجم

(١) اكتشفها مالبيغى Malpghi عام ١٦٦١ أى بعد وفاة هارفى بأربع سنوات ولكن الجدير بالذكر ان ابن النفف العربى المسلم توصل الى نفس النتائج من دون ميكروسكوب فى ايام ابن النفيس وكان معاصرا له (وقد توفى عام ١٢٨٦م) انظر عبقرية الحضارة العربية : اصل الرينيسانس باشراف وتحرير جون هيز ٠

(شرح تشريح القانون) لابن النفيس ،وفيه نظرية الدورة الدموية الصغرى مفصلة بشكل متقن عجيب.

ومن الغرابة بمكان ان كثيرا من اوصاف وتعابير « هارفي » متشابهة تشابها حرفيا مع اوصاف وتعابير ابن النفيس ، فهل يعقل ان يكون كل هذا من قبيل المصادفة المحضة بعد ان عثرنا على كل حلقات الاتصال صريحة واضحة ، وهي بكل بساطة على الوجه التالي : هارفي عن سرفيتوس وريالدو عن البيغو عن ابن النفيس !

وقد درس هارفي - كما اسلفنا - بجامعة بادوا بايطاليا فليس ثمة ادنى شك في انه اتصل ببعض هذه الزمرة او اتباعها وقرأ المترجمات العربية منقولة الى اللاتينية . وكانت الامانة العلمية تقتضيه أن يعترف بفضل ابن النفيس عليه ،ولو انه المع الماعة خاطفة الى كولومبو(٢) احد المقتبسين والمستفيدين من مؤلفاته ، غير ان المدافعين عن هارفي يقولون : «ان هارفي لايزعم انه اكتشف الدورة الدموية الصغرى ، وانما يكتفي بفخر اكتشاف الدورة الكبرى وانه فعل ذلك تجريبيا وعمليا . لا منطقيا وعقليا كما فعل ابن النفيس » .

بالتجربة وليس بالمنطق

انني اشك في هذه المقولة لان الذي يقرأ المخطوط الذي بين يدي الان وهو (الشامل في الطب) والذي يرجع تاريخه الى سنة ٦٨٧ هجرية اي سنة وفاة ابن النفيس (واكبر الظن ان المخطوط بخطه وهو) يستشف أن الرجل قد قام بتشريح اكثر من جثة بشرية قبل الوصول الى هذه النتائج الدقيقة وما كانت لتعوزه الجثث ، فما اكثر ضحايا سيده السلطان بيبرس من المغول والصليبيين، وقد كان كفيلا بان يزوده بما يشاء من جثث لاغراضه العلمية وحتى لو لم ينسب هارفي فضل اكتشاف الدورة الصغرى الى نفسه فان مجرد اكتشافها قبله اوحى له بالمضي قدما الى اكتشاف الدورة برمتها ، وهناك ما هو امر وادهى وهو ان عنوان كتاب هارفي نفسه يجد صدى عجيبا في الفاظ ابن النفيس في كتابه (الشامل في الطب) .

يقول الانكليز : « ان المحاكاة والتقليد اعظم صور الاعجاب » ولكن هذا لا يكفي حين يعتقد هارفي بنفسه فيسمي الدورة الدموية بالدورة الهارفوية (٣) مما حملنا على ان نتصل بالمجلة الطبية البريطانية ونقترح عليها ابدال التسمية وجعلها (الدورة النفيسية الهارفوية) لان ذلك اقرب الى الواقع العلمي ، فنشرت المجلة الاقتراح مشكورة فعسى أن يؤخذ به بعد الآن في الكتب الطبية في العالم اجمع اعترافا بجهود ابن النفيس الفذ وان هذا كما قال احد الكتاب في المجلة المذكورة اجمل هدية عيد ميلاد يمكن تقديمها لهارفي في عيده المئوي الرابع لان هارفي كان يعشق الحقيقة بكل جوارحه ويبحث عنها في كل مكان .

ولم تكن مجلة الجراحين (لانسيت The Lancet باقل حماسا للخوض في موضوع ابن النفيس وهارفي وفتحه على مصراعيه ، فكلتا المجلتين العالميتين وقفت موقفا مشرفا في هذه المناسبة التاريخية العظيمة التي استطعنا فيها احياء ذكرى ابن النفيس الى جنب ذكرى هارفي الذي لا يمكن ان ينسى فضله على الطب الحديث وتجديد الثورة التي كان قد بداها ابن النفيس قبله باكثر من ثلاثة قرون حين انتقد آراء جالينوس وابن سينا كما ذكرنا وراح يكتب ويؤلف من صميم تجاربه دون ان يجنح الى استنساخ آراء الاقدمين فما اعظم الشبه بين ابن نفيس العرب وابن نفيس الانكليز ولا اقول هارفي العرب وهارفي الانكليز لان الفضل للمتقدم ! ■■

اكسفورد/د . صبيحة الدباغ

الحائزة على دبلوم الطب العالي والماجستير من جامعة لندن

---

(٢) ص ٥٩ من كتاب « رسالة في التشريح »(النص الانكليزي) (٣) نفسه ، ص ١٨٤

كبُرَ الصِّغار

شعر: ابراهيم أحمد الشنطي

■ كَبُرَ الصغارُ ، تفرقوا   ومضَوْا على سَنَنِ الكبار
والدارُ بعدهم غدتْ   كالليل ليس له نهار
وبدتْ كما لو أنها   كهفٌ يظلّله الوقار
لا دميةٌ مطروحةٌ   في الساح أو قربَ الجدار
أو طَوقُ شَعرٍ مهملٌ   أو بعضُ قرطٍ أو سوار

★ ★ ★

كبُر الصغار وغادروا الدارَ التي كانتْ قرارْ
تؤويهمو طولَ النها   ر وفي المساء لهم دثار
لهفي عليهم . كيفَ همْ !؟   شوقٌ يؤرقني ونار
تشوى ضلوعي كلمّا   ذكروا . وليسَ لي اصطبار
هم زينةُ الدنيا ورو   نَقُها البهيّ والافتخار
بسماتُهم زهرُ الريا   ض وهمسُهمْ أحلى حوار
وصراخُهم قيثارةٌ   وشجارُهم نِعْمَ الشجار

★ ★ ★

كبرَ الصغار ولم تعدْ   جيبي لأيديهمْ مزار !
ولَكَمْ على كتفي بَكَوْا   وَغَفَوْا على صدْري مرارْ !
بعدوا وصار بريدُهم   لقيا وأخباراً تُثار !

★ ★ ★

كبرَ الصغارُ تَغَربوا   فهل الحياةُ لهم يسار !؟
أم أنَّ دَرْبَهمُ عصيٌّ   شائكٌ جم العثار !؟
أواه ما أقسى الحيا   ةَ إذا خلا منها الصغار ! ■■



شاعر الشام

خليل مردم بك

■ « شاعر الشام » لقب ساحر ، كان يتنافس عليه قبل نحو اربعين عاما ، اربعة من فحول الشعر في سورية وتطلقه الصحف والكتاب عليهم ، في المناسبات القومية والادبية والسياسية . أما هؤلاء الشعراء ، فهم الاساتذة الكبار : خليل مردم بك ، خير الدين الزركلي ، شفيق جبري ، محمد البزم . ولكل منهم مكانته الرفيعة ، وقدره الجليل . مد الله في عمر استاذنا شفيق جبري ، ورحم الثلاثة الاخرين ، بقدر ما احسنوا لبلادهم ، وادب امتهم .

وسنقتصر كلامنا في هذا البحث على الاستاذ خليل مردم بك ، فهو شاعر شامي اصيل ، نتنشق في جميع اعماله عبير الشام ، وننعم بعطر غوطتها ، وهمسات برداها ، وشموخ قاسيونها .

بقلم : عبدالغنى العطـرى

خص خليل مردم بك الشام بكل عبقريته فى الشعر ، وكل نبوغه فى النثر والبحث العلمى . ان ديوانه الكبير حافل بروائع القصيد جله عن دمشق ، الشام، عن برداها ، عن غوطتها وازهارها، عن جهادهـا وثورتهـا ، عن شهدائهـا ومواقفها الوطنيـة ، عن المستعمر الغـاصب ، الـذى دنس ارضها ، عن دمر والنيربين ، عن شمسها وقمرها ، ولياليها ، وعن سهلها وجبلها ، وعن بعض رجالها الراحلين .

واذا ما تركت الشعر ، ونظرت فى النـــثر ، وجدت « شاعر الشام » الذى احب الشام ، حتى العشق والهيام ، احبها حتى قدسها ، وكـاد ان يعبدها بعد الله ـ وجدته يقدم يوم انتخابه عضوا فى المجمع العلمى العربى ، وهو فى الثلاثين من عمره ، دراسة وافية عن شواعر الشام فى القرن الثالث للهجرة ، تحدث فيها عن اربعة من الشعراء وهم : العتـابى ، وديك الجـن ، وأبو تمـام ، والبحترى . كذلك وضع كتابا شيقا ، صدر مؤخرا بعنوان : « الشعراء الشاميون » ، درس فيه حياة وشعر سبعة من الشعراء الشاميين المغمورين ، وقع اختياره عليهم ، وهم : عدى بن الرقاع ، الوليد ابن يزيد ، والطرماح بن عدى ، أبن حيوس ،ابن الخياط ، ابن عنين ، عبدالملك الحارثى ، وهؤلاء كان معظمهم من المنسيين ، ولـم تحـظ دواوينهم بالطبع ، ولا شعرهم بالدرس حتى العام ١٩٤٤ . ولم يكتف « شاعر الشام » بذلك بل قام بتحقيق دواوين ثلاثة منهم،هم على التوالى : ابن عنين ، ابن الخياط ، ابن حيوس .

عاطفته الشامية

ان الدافع الى ذلك ـ كما يقول الاستاذ عدنان مردم بك ، فى تقديمه لكتاب والده « الشـعراء الشاميون » ، عاطفته الشامية المتاصلة فى حنايا ضلوعه ، « ذلك ان خليل مردم بك انسان شامى ، الى ابعد ما فى هذه الكلمة من حـدود . اغرم بالشام بتاريخها وبتراجم اهلها وسيرهم ، والم بكل شىء شامى ، حتى الجزئيات ، فكـان الشـام لديه قصيدة مختارة من حر الشعر ـ ودمشق بيت القصيد » .

اراد « شاعر الشام » ان يقول شعرا ، فكان مصورا ، وكان مثالا ، تحس بصوره تكاد تنطق ، وتماثيله توشك ان تلمسها اليد ، وتراها العين. واذا كانت عدسة المصور المفتن ، تعجز عن نقل صور دقيقة للشمس ، والبحر ، والبرق ،والرقص والزنبق ، والغوطة ، وبردى ، والطفل والفراشتين وغيرها ، فان شاعرنا المجلى ، لم يعجزه نقل مثل هذه الصور ، ولم يفته ان يسجل دقائقها وخفاياها، وما لا تكاد العين ان تراه من حركاتها ، الا بعد تامل طويل ، وامعان نظر ثاقب .

يصوغ الشعر ارتجالا

وجدير بنا ان نلاحظ ان شاعرنا الخليل ، لم يكن يقـول الشعر ارتجالا . ان كـل قصيـدة من قصائده ، بل كل بيت وكل شطر ، وكل لفظة ، تشهد وتنادى ، بان الشاعر قد صاغها ، وتعب فى اختيار ارق لفظ ، واجمل معنى ، واحسن موضع لها . ان صوره تدل على أنه عميق النظرة الى الاشياء ، شديد التامل لما يحيط به من زهر وعطر، ونهر وطير وربيع . ان الانسـان العـادى يمـر بهذه الاشياء ، فلا يرى فيها ما يراه الشاعر . وشاعرنا الخالد كان يرى فى هذه الاشياء اكثر مما يراه اى شاعر . ولو امعنا النظر ، واطلنا التامل فى صوره ، لراينا ان ابن الشاعر الاستاذ عدنان مردم بك ، لم يكن مغاليا حين قال عن والده:

واذا وصفت أتيت شيئا معجزا
فى الخلق والابداع والاتقـان

صور تكـــاد بسحر ما صورته
لمشــاهد تحـكى بغـير لســان

والصور الشعرية التي يطالعنا بها « شاعر الشام » صور حية . لا نفسية • فقد صور البحر والنهر والغوطة ، والشمس ولم يصور نزعات النفس ، ولا خلجات الضمير • وقد سئل الشاعر عن ذلك فاجاب . « ان صوري الحسية رموز تعبر عن رؤى قلبي ، واحلام نفسي » •

البحر انسان شرس

قلت ان شاعر الشام ، اراد ان يقول شعرا فكان مصورا . وكان مثالا • ودليلي على ذلك ديوانه الكبير . الذي حاوزت صفحاته الاربعمئة ، ولا سيما ما كان منه وصفا خالصا للطبيعةوالفن• ففي هذا القسميحار الناقد في احتيار الدليل على ما ذكرت ، اذ يجد في كل قصيدة صورا والواحا ، يصح ان تكون دليلا ، على ان الشاعر مصور بارع. ومثالي علوى النفخه • ولنلق نظرة تامل على وصفه للبحر حين يقول :

مع مـــا فى صـــدره من سعـــة
شرس الحلق ، أحو حمق حرون
هــل عـــراه طائف من حـــة ؟
ليت شعرى ، أم به مس جنون؟
بينمــا التيــار يعلــو جبـــلا
اذ بــه واد يهــول المبصرين
أتـــرى أمواجــــه أنفــاسه
رددت بـــين شهيــق وأنـــين
لــم تكـــن الا كشعب ثائـــر
شنهـــا حربــا على المستعمرين
جحــفلا يركب منهــا جحــفلا
يتعــــادى كجنــود زاحفـــين
نفحت فى وجهه ريــح الصبـــا
فحــلاه مثــل تغضين الجبين

ارايت كيف شبه البحر بانسان واسع الصدر ، ولكنه متناقض مع نفسه تناقضا غـريبا . لانـه « شرس الخلق ، اخوحمق حرون ، فتياره يعلو ، حتى يحـاكي الجبل ارتفاعا ، ولـكنه يتحول فجاة الى واد يهول المبصرين ، • وبعد ان يصور شاعرنا البحر ثائرا ، ينتقل الى وصفه هادئا ، ساكنا ، وديعا . فيقول ان ريح الصبا نفخت في وجهه . فبات ذلك الوجه ذا غضون ، مثل جبين ، جاوز صاحبه سن الشباب •

•• تصوير شاعر للطفل

واذا ما تركنا البحر هائجا او هادئا ، وانتقلنا الى قصيدة « الطفل » طالعتنا اروع صورة يمكن ان تسجلها ريشة رســام بــارع • لنستمع الــى « شاعر الشام » يقول في وصف الطفل :

هش لمـــا طفلتــه (١) أمـــه
ودنـــا من وجههـــا بالراحتـــين
حـــار مـــا بينهمـــا شوقهمـــا
قبلــة تجزيــه عنهمـــا قبلتـــين
واذا مـــا عبست فـــى وجهــه
عبثـــا ، أو دفعتــه باليـــدين
جمـــع الانف وضـــم الشفتـــين
وزوى اللحظ وبين الحـــاجبين
وحـــرت مـــع نفسيه غنـــة
ولوى الجيــد وهـــز المنكبـــين
وبـــدا الغيظ وهو دافعــه
والحيـــا فى وجهــه ممتزجين

ترى لو اراد رسام او مثال ، مهما سما فنه ، وعلا كعبه فـي الرسم والنحت ـ ان يصـور هذه الانفعالات ، التي تبدو على وجه الطفل في لحظات الانشراح ، وفترات الغضب ، اتراه يستطيع ؟ • انا اجزم بان صورة هذا الطفل بعد ان عبست بوجهه امه ـ دعابة له ولهوا ـ ثم دفعته بعيدا بيديها ـ فجمع انفه ، وضم شفتيه ، وزوى لحظه وحاجبيه ، ثم شهق شهقات صغيرة ، لها غنة خاصة ، ولوى عنقه ، وهز كتفيه ••• انا اجزم بان اخراج هذه الصورة الكاملـة ، فـي قالبها الشعري ، يعجز كل رسام او مثال عن اخراجهـا رسما على الورق ، او نحتا على الحجر . بل يعجز اي كاتب او شاعر عن محاكاتها • ان الصورة كما نرى ، مفرطة الدقة ، بالغة الروعة ، تثبت لنا ان عدسة الشاعر لا تدانيها عدسة مصور او شاعر آخر •

التنديد بالرقص في قصيدة شعرية

واذا طاب لنا ان ننتقل الى لون آخر من الوان

---

(١) طفلته داعبته ورفقت به •

الوصف عند خليل مردم بك ـ والوصف الرائع كما نلاحظ ابرز ميزات شعره ـ . طالعتنا تحفته الرائعة « الرقص » ففي هذه القصيدة صورة كاملة لحفلة راقصة شهدها الشاعر . لم يكرعها راضيا . لان الرقص لهو ولعب ، وكل صعب يهون فيه ، وعسير الامر فيه كاليسير . بدأ الشاعر قصيدته فقال :

سمح الصور فهبوا مسرعين
مثل ما نفرت طيرا بالصفير
وعلى الصهباء كانوا عاكفين
من رأى سرب مها حول غدير .

ولما انتهى من وصف قيام الراقصين والراقصات في الحلبة ، انثنى الى الفتاة الراقصة ، فوصف فتنة مقلتيها واعتدال قدها ، وجيدها التليع ، وسريعة شعرها . ووصف بعد ذلك ثوبها ، الذي ستر من جسدها بقدر ما يفضح ... ثم وصف لفتى الراقص ، فاشاد بحسنه ، وغمز من تخنثه، حتى كاد لا يميزه من النساء ، لولا ثيابه ! .

ويابى شاعر الشام ان يختم قصيدته ، قبل ان ندد بالرقص ، ويتهكم برياضة الرقص ، التي تسهل كل صعب وتنقل الامر من هزل الى جد .

ولو اردنا ان نقف عند كل قصيدة وصفية رائعة من قصائد الخليل ، لطال بنا الوقوف ، وضاق المجال . على انه لابد من الاشارة الى ان قصائد البرق ، والشمس ، والربيع ، والفراشتين ، والورقاء ، وسكران وسكرى ، وبردى ، والغوطة ، ودمشق ، تمتاز عن غيرها ، بصورة بالغة الحسن ، ومعان تكاد تكون جديدة مبتكرة . ولا غنية لنا من اشارة قصيرة الى قصيدة « بردى » التي وصف بها نهر دمشق ، فصوره ، واضفى على صورته هذه الوانا موفورة الجمال ، بالغة الحسن ، حتى اكاد اجزم بان هذا النهر ، لم يوصف ولم يصور من قبل ، كما وصفه وصوره خليل مردم بك .

غوطة دمشق

بقي ان نقف وقفة اخيرة عند غوطة دمشق ... هذه الغوطة التي احبها استاذنا الشاعر ، حبا ملك عليه نفسه . وكانت احب ساعة اليه ، تلك التي يستطيع ان يذهب فيها ، الى الغوطة ، ويمتع ناظره ، بأزهارها المفتحة ، واطيارها المغردة وجداولها المصفقة ، واشجارها المتعانقة ، فيجول بخطوات وئيدة هناك ، يستلهم ابكار المعاني ، وصور الجمال ، ويروي ظماه من الطبيعة الضاحكة المفردة .

وصف شاعرنا الخليل غوطة دمشق بقصيدة بلغت ابياتها اثنين واربعين بيتا . وهي وان كانت موجزة بعض الشيء ، ولكنها تعتبر طرفة خالدة في صورها وتشابيهها . قال بلل الله ثراه في مطلعها :

كم في أزاهير الرياض لناظر
من مقلة وسنى وخد ناضر
ماست أماليد الغصون بوشيها
مخضارة وازينت بجواهر
لله ما صنعت وما جاءت به
في الغوطتين يد الربيع الباكر
بسطت وشير قطيفه فوق الثرى
خضراء فيها كل لون زاهر
من أحمر قان ، وأصفر فاقع
او أزرق زاه ، وأبيض ساحر
وكست وحلت سمحة أشجارها
فحلت عرائسها بوشي فاخر
معقودة الاكليل ، زهراء الحلى
حاليه الاقراط ، ذات أساور
أرخت من الطل الطليل غصونها
طررا وأذيالا وفصل مآزر

ويمضي شاعر الشام بعد ذلك في وصفه فيحلق وتحلق حتى يقف الى جانب البحتري ، ويضاهي ابن الرومي في وصفهما ، وما هو في نظر الناقد المنصف ، باقل منهما شانا ، ولا بادنى منهما كعبا، ولعل اجمل تشابيهه ، وابلغ صوره ، ما قاله في الطبيعة ووصف دمشق ومعالمها ، من نهر وجدول وواد . ومن خلال هذا الشعر ، نستطيع ان نعلن ان شاعرنا كان شاميا متعصبا لشاميته وعروبته ، فقد زار كثيرا من بلدان اوروبا ، واقام في بعضها سنوات ، فلم يهزه جمالها ، ولم يثر قريحته ، ولم يلهمه شيئا يقوله .

★ ★ ★

من اجل هذا نقول ان الفجيعة كانت جليلة بشاعرنا العظيم يوم فقدناه ، في الحادي والعشرين من تموز ١٩٥٩ وستظل كبيرة وفادحة ، الى ان ينهض من دمشق شاعر يملأ مكانه ، ويسد الفراغ الذي تركه . ■■

عبد الغني العطري

مهاجر دائم من أفريقيا الى بريطانيا



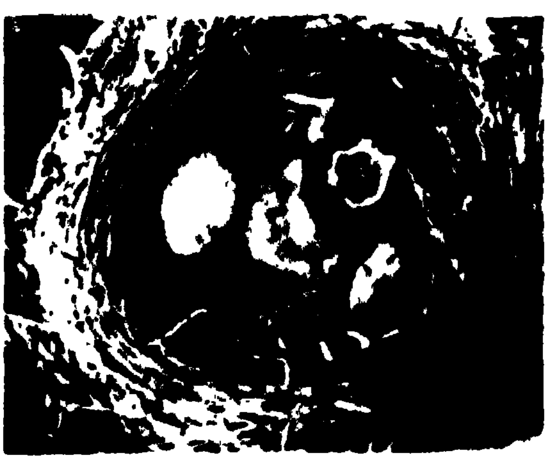
أسرار طائر الوقواق

■ يقوم هذا الطائر الموهوب بمافطر عليه من مهارة فائقة بوضع بيضه بطريقة فريدة في اماكن تواجدهببريطانيا • وعندما تسمع صوت الوقواق الناعم فى فصل الربيع فانكلاتستمع فقط الى رسول الصيف الرومانسى وانما ايضا الى واحد مناكثر المخلوقات غير العادية فىالعالم، الى طائر ذكى وصل ذروة التطوروالنضج •

ويهاجر الوقواق من افريقيا فى اعقاب انتهاء فصل الشتاء فى طريقه الى بريطانيا • ويكون هدفه الوحيد بعد الوصول الذى يتم فى الاسبوع الثاني والاسبوع الثالث من شهر ابريل هو التزاوج ومن ثم تضع الانثى حوالى النتى عشرة بيضة تصبح فيما بعد فراخا • وهذا العدد من الصغار يفوق كثيرا طاقة الانثى على تغذيتها بنفسها • وللتغلب على هذه المشكلة تلجأ الى اسلوب التضليل والخداع وذلك عن طريق وضع بيضها فى اعشاش غيرها من الطيور وبخاصة الاصغر حجما • ولتنفيذ هذه العملية توظف عددا من قدراتها المذهلة بما فى ذلك محاكاة بيض الطيور الاخرى • وبامكان الوقواق ان يضع بيضا ملونا لينسجم مع بيض غيره من الطيور التى تم اختيار اعشاشها مكانا لبيضه • ومن هذه الطيور «العزيزاء» وهو طائر يشبه القبرة ويضع بيضا رمادى اللون فى عش يقع فى ارض خضرة •

ذاكرة لا تصدق

والامر الاكثر غرابة من ذلك كله هو قوةالذاكرة التى لا تصدق لدى طائر الوقواق • وتقوم الانثى فى بحثها عن اعشاش لتضعبيضها فيها فىالمستقبل بمراقبة اعشاش الطيور الاخرى من اماكن مرتفعة



على اشجار مجاورة او من على الصخور الموجودة في المستنقعات او سفوح الجبال ، وتحلق فوق المنطقة عدة مرات لتحفظ عن ظهر قلب موقع وحالة هدفها المختار •

وتميل انثى الوقواق في العادة الى وضع بيضها بعد البيضة الاولى لانثى الطير التي اختارت عشها لتضع البيض فيه ، والا فان الام الحاضنة (البديلة) تقذف بيض الوقواق بعيدا او تهجر العش قبل ان تحضن البيض تمهيدا لتفقسه ، غير ان بامكان انثى الوقواق وضع بيضة واحدة فقط كل يومين•ولتخزين بيضها في اكثر الاعشاش ملاءمة وفي اللحظة المناسبة عليهاأن تمسح بعينيها الاعشاش المنتشرة فوق منطقة تبلغ مساحتها حوالي ثلاثة اميال مربعة •

ومع أن طائر الوقواق الكبير الماكر يبلغ طوله من منقاره الى ذنبه حوالي ثلاث عشرة بوصة الا أنه لا يوجد له عش خاص به وهو غالبا ما يتخفى من الاشخاص الفضوليين الذين لا هم سوى مراقبة الطيور •

وعلى أية حال فقد قام عالم الطيور والمصور ايان وايلي من كامبريدج شاير خلال صيف عام ١٩٧٤ بملاحظة طائر الوقواق عن كتب وسجل الملاحظات التالية : فور مغادرة الطائر المختار عشه للحصول على غذائه قامت أنثى الوقواق بزيارتها المؤقتة المتسمة بالدهاء الى ذلك العش حيث التقطت بمنقارها احدى بيضات هذا الطائر واكلتها ثم وضعت بيضتها الملونة فيمكانها وعادت ادراجها تاركة الام الحاضنة مع عدد البيض نفسه الذي كان موجودا قبل مغادرتها العش • ولم تستغرق هذه المهمة البارعة من انثى الوقواق سوى احدى عشرة ثانية فقط !

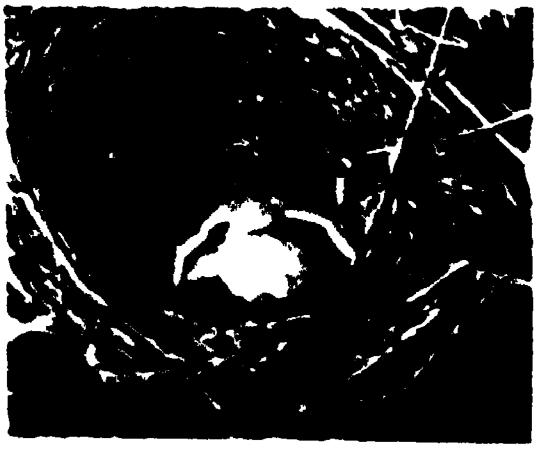
وتقوم نصف أنواع طيور الوقواق الموجودة في العالم وعددها مائة وسبعة وعشرون نوعا بدس بيضها في اعشاش غيرها من الطيور •وطورتعدة أنواع من طيور الوقواق عملية التطفل هذه بصورة افضل بكثير من الطائر العادي المعروف باسم « ككولاس كنوراس » الذي يعيش في جميع انحاء أوروبا وفي معظم افريقيا وآسيا • ولانه الطائر الوحيد من نوعه في بريطانيا فقد عرف عنه انه يستخدم خمسين نوعا علىالاقلمن الطيور الاخرى• ولكنه يفضل بوجه خاص طيور البردي او السمادى والدعرة وهي طائر صغير دو ذنب طويل جدا يرفعه ويخفضه على نحو انتفاضي (وكانه مذعور) وأبو الحناء وهو طائر صغير صدره احمر ضارب الى الصفرة •

في مرحلة الغزل

ويعتقد بان ذكر الوقواق فقط يصدر الصوت الشجي (كوكو) في حين أن انثاه تطلق صوتا موسيقيا عاليا كالبقبقة الناجمة عن خروج الماءمن زجاجة ضيقة الفتحة • ويصدر الذكر والانثى معا أصواتا أثناء الطيران مثل هوهو و هاها •

وخلال مرحلة المغازلة التي غالبا ما تتم على





الارض يصفق الذكر بجناحيه ويقوم بحركة التفاف لطيفة حول الانثى ، ويكون ذنبه الجميل الرمادي ذو البقع البيضاء منتصبا الى اعلى واجنحته الزرقاء الرمادية منخفضة الى اسفل . وتتولى الانثى المسؤولية التامة في اختيار الاعشاش التي ستضع البيض فيها . وتقوم بطرد اناث طيور الوقواق الاخرى اذا ابدت اية محاولة لمزاحمتها على اعشاش الامهات الحاضنات . وغالبا ما تكون هذه الاعشاش في ارض خضرة . ولكي تقوم بحيلتها البارعة في وضع بيضها في عش الام البديلة في اسرع وقت ممكن وفي اللحظة المناسبة تبدأ عملية استكشاف مسبقة لذلك العش فاذا وجدت ان المزارع قد دمره فانها تتحول الى اقرب عش بديل. واحيانا يهاجم الوقواق الشحرور وهو طائر اسود حسن الصوت والقبرة ويطردهما من اعشاشهما .

وفي احدى المرات ، قامت انثى الوقواق بالتحليق فوق عش لطائر « الذعرة » يقع وسط نبات ذي زهر عنقودي في احد البيوت الريفية في « هامشاير » الا انها لم تتمكن من النزول عليه بسبب اشخاص كانوا يلعبون التنس في مكان مجاور . ولشدة اهتياجها ونعرها دخلت من شباك المنزل المفتوح وحطت على كتف ابنة صاحب هذا البيت ووضعت بيضتها هناك لانها لم تتمكن من ان تحبس البيضة وقتا اطول . وبعد ذلك جثمت على راس الفتاة لبضع دقائق ثم طارت بعيدا لتعود بعد اسبوع وتضع بيضة اخرى في عش « الذعرة ». وتفقس صغار الوقواق عادة بعد اثنين وثلاثين يوما من وضع البيض (وقبل ان تفقس صغار الام الحاضنة نفسها) . وبعد ساعات من الفقس تبدأ فراخ الوقواق بالرغم من انها ما زالت عمياء وخالية من الريش وضعيفة ، عملية التخلص من بيض الام الحاضنة عن طريق دحرجته بارجلها باتجاه حافة العش حتى تتمكن في النهاية من قذفه خارج العش الذي تستاثر به لوحدها . ولا تقوم الام الحاضنة باية حركة لوقف هذه العملية بل تبقى بعيدة عن العش لتسهيل عملية الاستبدال . وبعد ذلك تلتهم الام الفرخ الشاذ غير السوي في حين تكون صغارها تصارع الموت على الارض اسفل العش . وتفغر صغار الوقواق افواهها الضخمة الحمراء وتبدأ في اطلاق اصوات عن حاجتها الى الغذاء.

وفي ضوء هذا الالحاح المستمر تقوم الام الحاضنة باطعام هذه الصغار التي لكل منها معدة لا تشبع. وحتى الطيور الصغيرة الاخرى التي تكون في طريقها الى اعشاشها تسقط الحشرات التي تحملها في مناقيرها في افواه فراخ الوقواق المفتوحة باستمرار طمعا في الحصول على مزيد من الطعام .

في مرحلة الاستقلال التام

وينبت ريش فرخ الوقواق بعد اربعة ايام من الفقس ، وبالتدريج يمتلىء التجويف في اسفل جسمه ، ويكون قادرا على التحرك بسهولة داخل العش في حين يبقى جناحاه ملتصقين على جانبي جسمه . وبعد ثلاثة اسابيع يبدأ عملية التحليق الاولى ، وعلى الفور وكسائر الطيور وبحكم الغريزة يجثم فوق العش بصورة خطرة وتتولى الام البديلة اطعامه خلال هذه المرحلة . وبعد ستة اسابيع فقط يصل الوقواق مرحلة الاستقلال التام ويصبح ريشه بني اللون ومخططا كفرخ « الباشق » وهو طائر من الجوارح .

وفي اول فصل شتاء يصادفه في افريقيا يكون نموه قد اكتمل تماما وريشه اصبح رماديا مع بقع بيضاء. وفي غضون ذلك يكون ابوه وامه الحقيقيان اللذان لم يبديا اي اهتمام به بعد وضع البيض في رحلة الهجرة جنوبا في شهر يوليو او اوائل اغسطس . ويبقى طائر الوقواق حديث السن في بريطانيا لمدة ثلاثة اشهر اخرى حتى يشتد عوده تماما . وعندما تهب اول نسمة برد في الجو يبدأ بالهجرة وحده جنوبا مخترقا اوروبا والبحر الابيض المتوسط مستخدما في ذلك غريزته الطبيعية الملاحية المذهلة .

وعلى مدى قرون عديدة كان طائر الوقواق مثار جدل رئيسي . ففي العصور الوسطى اعتقد الناس بان الوقواق لا يهاجر ولكنه يتحول الى طير « الباشق » في اعقاب فصل الصيف. وفي « ساسكس » يروى ان امراة عجوزا سريعة الغضب كانت تحتفظ بطيور الوقواق ثم تطلق سراحها في فصل الربيع تبعا لحالتها النفسية .

وكان احد العلماء الهواة المتخصصين في دراسة

الطيور ويدعى ادغار تشانس من بين العلماء الاوائل الذين اجروا بحثا علميا متقلما عن الوقواق فى العشرينات من هذ القرن • فقد بنى مخبا فى منزله توارى فيه عن الانظار كسنوات عديدة حيث قام بدراسة مستفيضة عن طائر الوقواق • واكد من خلال مراقبته لهذه الطيور بانها تعود كل سنة الى المنطقة ذاتها التى رات النور فيها لاول مرة وان امهاتها تسبقها اليها• واعتقد تشانس بانها تضع بيضها فى اعشاش الطيور ذاتها التى اشرنا أليها من قبل• وقال انه على مدى الاف السنين تطورت انواع طيور الوقواق •ولاحظ ان الانثى لاتضع اكثر من بيضة واحدة كل يومين ويتم ذلك بعد الظهر فى عش كانت قد قررت مسبقا ان يكون المكان المطلوب • واضاف انه شاهد الانثى وهى تحمل البيضة فى منقارها مما عزز النظرية القائلة ان طيور الوقواق تحمل بيضها الذى توشك ان تضعه فى العش المختار •

خدعة ماكرة

وقال تشانش الذى الف كتابا بعنوان « اسرار الوقواق » والذى احدث ضجة كبيرة فى صفوف علماء الطيور ، قال انه شاهد انثى هذا الطائر تجثم على العش • ويستطيع الوقواق ان يجثم فى عش صغير له قبة كاعشاش الطيور الصغيرة جدا وذلك عن طريق التشبث باعلى العش بواسطة اصابعه (اثنان فى المؤخرة واخران فى المقدمة) وتقوم انثاه باسقاط البيضة ذات الغلاف السميك فى مدخل العش •

ويعتقد تشانس بان ذكر الوقواق يقوم بصرف انتباه الاب او الام الحاضنة بينما تكون انثاه منهمكة فى وضع البيضة فى العش • وقال انه لاحظ فى احدى المرات زوجا من طائر العزيزاء يبرزان من عشهما لمقاومة انثى الوقواق التى كانت تحاول التدخل فى شؤونهما الداخلية • وبهدوء قامت الانثى بمناورة ماكرة لايهام العزيزاء بانها ستهجر المكان فى حين انها اختبات فى منطقة قريبة جدا بانتظار خروج العزيزاء من العش للحصول على الطعام • ومن ثم وبسرعة خاطفة قامت بوضع بيضتها فى العش ثم عادت ادراجها من حيث اتت• واضاف انه ذهب بعد ذلك الى العش ليجد بيضتها التى كانت ماتزال حارة بجانب اربع بيضات خاصة بالعزيزاء •

وفى الحقيقة فان طائر الوقواق من اذكى الطيور وهو يقدم خدمات نافعة ضخمة للبشر عن طريق قتل الكثير من الحشرات الضارة فضلا عن التغذى على يرقانة الفراشة التى لاتاكلها الطيور الاخرى • ■ ■

ترجمة : سمير جيوسى •

■ التقدير يشبه بوليصة تأمين ، فهو واجب التجديد الآن وفى وقت لاحق •

ديف ماكلنتاير

■ المآسى الحقيقية فى العالم ليست بسبب النزاع بين حق وباطل ولكن بسبب حقين •

جورج هيجل

■ نستطيع أن نتجنب الريح والعاصفة ولكن لا نستطيع تحاشى شيطان السرعة •

جون باروفس

بماذا يعبر النائم في طريقة نومه التي نشأ عليها ؟

● هناك كتاب صدر من عهد قريب للعالم النفساني الشهير (الدكتور صموئيل دنكل) في اميركا باسم (لغة جسم الانسان في النوم)ولاقى رواجا هائلا ، فقامت احدى الكاتبات باقتباس بعض الحالات التي تطرق اليها الكتاب لمجلة (زن رور)

ونحن هنا نترجم بعض المقال ببعض التصرف معرضين عن طريقة نوم الازواج وما شابه ·

ومن هذا الكتاب الذي بني آراءه في طريقة النـوم على الدراسة والاحصاء متمثلا بالنساء ، اخترنا ثماني حالات منها ، وهي الحالات الاكثر شيوعا في نوم الجميع نساء ورجالا ·

تقول الكاتبة انه جاء في امثال ضروب الحيرة ان سؤالا وجه الى رجل طويل اللحية . اذا أردت أن تـنام في فراشك ، فكيف يكون شانك مع لحيتك ؟ اتجعلها تحت اللحاف ؟ ام تدعها خارج اللحاف ؟

ولم يكن هذا الرجل قد فكر قبل هذا في شيء يخص موضع لحيته عند النوم ، وما اذا كان الافضل ان تكون اللحية خارج اللحاف ام تحت اللحاف ؟ ولكنه منذ ان طرح عليه هذا السؤال بدأ يفكر كل ليلة عندما يستلقي على سريره فيما ينبغي ان يكون عليه موضع اللحية من اللحاف عند النوم ، وظل هذا التفكير ديدنه طول العمر !!

ونحن لا نريد من الرجل او السيدة ان يغيرا طريقة نومهما ، ذلك لانه بتغيير طريقة النوم لن تتغير طبيعـة النائم ، وانمـا المقصود هو ايضاح ما تعني الطريقة التي نشأ عليها النائم منذ ان نام لاول مرة وهو طفل حتى الان . اما تغيير هذه الطريقة الان فلافائدة منه كما يقول علم النفس ، لان هذا التغيير لن يكون طبيعيا ، وعلى النائم أن لا يكون كصاحب اللحية الطويلة الذي ظل يساوره القلق ، وظل يفكر كل ليلة في الطريقة الفضلى للحيته ؟ اذ ليس هناك من طريقة افضل من الاخرى كما يقول علم النفس ، فالانطباعة الحاصلة من كيفية نوم النائم حسب نشأته لن تتغير اذا تغيرت طريقة نومه التي شب عليها كما ارادت له الطبيعة ان يشب ، وليس كما يريد هو الان ·

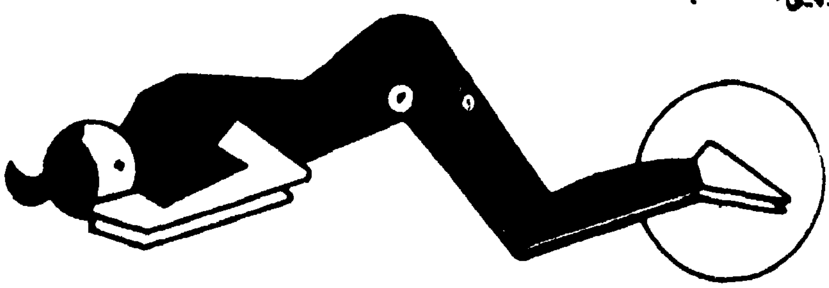
اما هذه الطرق الثماني التي اخترناها فان مفاهيمها كما يقول هذا العالم النفساني في كتابه تتلخص فيما يلي :



١ ـ طريقة نوم الجنين

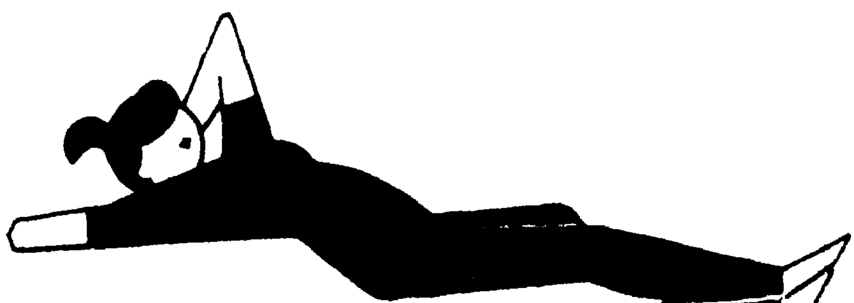
وهذه الطريقة عبارة عن جمع الرجلين وتقريب الركبتين للبطن ، وجمع اليدين وتقريبهما للراس، او تطويق الركبتين باليدين ، او احتضان الغطاء ، او اية طريقة تشبه وضع الجنين في الرحم •

فاذا كانت هذه هي طريقة نوم النائم فينبغي الاستنتاج بان نوما كهذا يدل على ان مزاج النائم غير راكد ، وانه لا يجرؤ على مواجهة اعباء الحياة ، وانه غير قادر على انجاز متطلبات حياتهمن غير الاتكال على الاخرين ، وانه شخص غير اجتماعي بمعنى انه يريد الالتجاء دائما الى معينذى نفوذ نسبي من آل بيته او الاخرين لينفذ له مطالبه ، ويهيىء له حاجاته •



٢ ـ طريقة الشطيرة (السندويتش)

وهي طريقة اطباق الرجل على الرجل واليدعلى اليد في النوم اطباقا يشبه الشطيرة وهي حالة تدل على الراحة النفسية ، والاطمئنان بوجهعام ، والنائم او النائمة على هذه الصورة في نشاتها التي عودتها الطبيعة عليها ، تميل فيعملها الى انتجعل الامور متوازنة متطابقة مقبولة، ويسعى هذا المعتاد ـ على هذه النومة منذنشاته ـالى الابتعاد عن المشكلات ، كما يسعى الى تنظيم حياته ، وكسب محبة الناس ، ونشدان راحة البالعن طريق الصفاء ، والمحبة ، والسلامة •



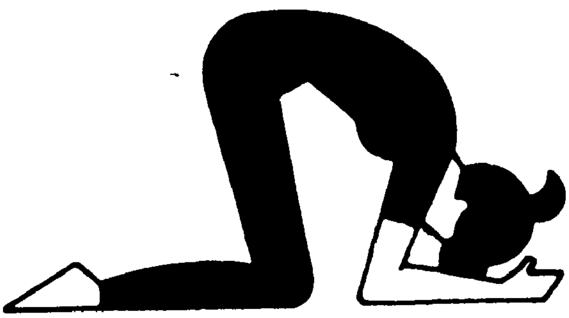
٣ ـ طريقة الاستراحة الكاملة

وهي طريقة التمدد ، وجعل اليدين تحتالراسبحيث يتكىء الرأس على الكفين • وتكون الساق على امتدادها فوق الساق الاخرى ، وهي هيئة تدل على ان هذه النائمة ذات احساس منطقي ، تحس به وتعرف وضع الشيء في محله ، وان كل شيءيتجاوز حدود المنطق والواقع غير مقبول عندها ، وهي أبعد ما تكون عن الاوهام والظنون ، وكذلكالعواطف غير المنطقية ، وفي مفهومها أن الحياة عقل ومنطق ، وما لا يؤمن به العقل لا ينبغي انيكون له وجود في الحياة العملية •



٤ ـ النوم على البطن

صاحب هذه النشاة ، او صاحبة هذه النشاة في النوم ـ وهو النوم على البطن • تحب السيطرة والتصرف في الامور ، والبروز بين الناس ، وفرض سيطرتها على الاخرين ، لذلك فان مثل هذه الشخصية تريد ان تعيش بين المجتمع ، ولا تطيق الابتعاد عن الناس بوجه عام ، وتسعى لان يكون لها شان في الحياة ، وان لها جلدا وقابلية تستطيع بها ان تواجه الشدائد ، ولكنها لا تخلو من الغضب والعصبية ، وعدم السماح للمخطئين ، وهي دقيقة في اعمالها ، كثيرة المحافظة على المواعيد ، وتعتبر حياتها حياة منتظمة ، رفيهة « على رغم كونها سريعة الغضب ، شديدة التاثر •



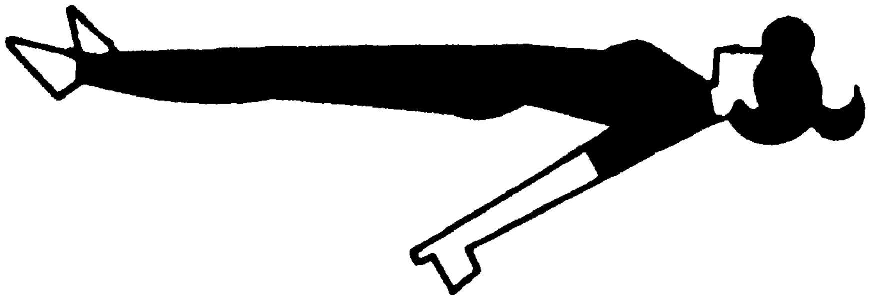
٥ ـ النوم بطريقة السجود

هذه الحالة من النوم كثيرا ما توافق الاطفال ، وهي حالة اشبه ما تكون بالسجود في الصلاة ، ومع ذلك فان الكثير من الكبار تظل ترافقهم منذ الصغر وتصبح جزءا من حياتهم ، وقد دلت الدراسة على ان اصحاب هذه الحالة في النوم هم من الذين يعانون شيئا من المتاعب الروحية او الجسمية في حياتهم ، وهم في مثل حالتهم هذه في النوم كانهم يتحفزون للقيام والقفز ، هربا مما يمكن ان يداهمهم او يلاقيهم من المكاره ، وهؤلاء معروفون بضعف الاعصاب ، وعدم التحمل ، واضطراب النفس ، وهم ممن لا ترتاح النفوس اليهم •



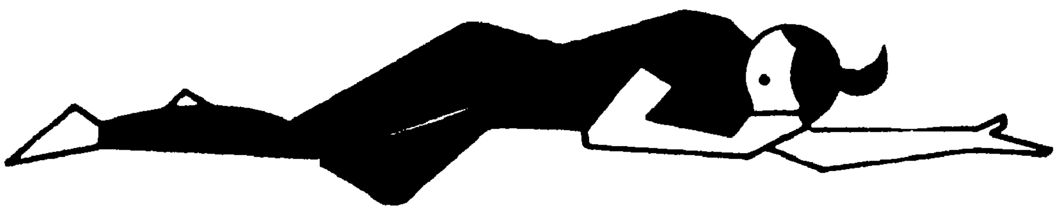
٦ ـ النوم فيما يشبه الصليب الناقص

وهذه الطريقة في النوم من اكثر طرق النوم راحة ، وهي طريقة يوصى بها اطباء العظام المرضى الذين يشكون من زلة الفقرات ووجع الظهر ، لان مثل هذه الطريقة تضمن للنائم استراحة الجسم الكاملة والعجيب ان الذين ينامون على هذه الطريقة قلما يدركون مفاهيمها في اليقظة ، وبعبارة اخرى انهم لا يجدون الراحة النفسية في حياتهم العملية كما يجدون راحة اجسامهم في النوم ، ومن هذا يتضح ان العامل الاكبر في الانسان هو الجبلة ، والروح ، والميول التي تتولى تسييره ، وليست الطرق التي يعنيها ارباب التخصص ، والاطباء •



٧ ـ الطريقة الملكية

وهي النوم على القفا وانفتاح اليدين من الجانبين ، والذين ينامون بمثل هذه الطريقة يتخيلون انفسهم كما لو كانوا اعاظم وملوكا، وان لهم بين الناس المقام المرموق ، ويستطيع الذين يتتبعون سيرتهم في حياتهم ان يروا كل هذا واضحا في سيرتهم ، وطريقة سلوكهم مع الناس ، ومع انفسهم ، والواقع انهم لكذلك فهم محل احترام الاخرين ، وان لهم من القدرة ما يستطيعون به ان يذللوا الصعب ، ولهم من الاستعداد ما يمكنهم ان يقضوا حاجات الناس على قدر الاستطاعة كما انهم لا يبخلون بالتضحية بكل شيء ـ على قدر الامكان كذلك ـ للاخرين •



٨ ـ الطريقة نصف الجنينية

هذه النومة اكثر شيوعا على ما يدل الاحصاء ،وهي النوم على جانب واحد وفتح الركبتين نصف فتحة ووضع احدى اليدين تحت الراس ، وترك اليد الاخرى حرة وممتدة ، وهذه الطريقة ، تضمن راحة الجسم دون ان تسد طريق التنفس فيصل(الاوكسجين)الى الرئة بقدر الحاجة الطبيعية المطلوبة• وهي احسن طريقة صحية للنوم ، ويقول الاحصاء ان اغلب الذين يستعملون اليد اليسرى في العمل هم الذين ينامون على اليد اليسرى ، وبعكسهم الذين يستعملون اليد اليمنى ، فاذا كان الرجل او المراة ينامان على هذه الطريقة فان الدراسة تقول ان للنائم على هذه الطريقة القدرة على التكيف لمختلف ظروف الحياة ، وان موهبة العقل،وحسن التصرف متساويان عنده ، وانه يتقبل ما تاتي به الحياة من المشكلات بكل سهولة ، ويعالجها ويتغلب عليها ومن الصعب ان ينهزم امام الكوارث، كما ان من الصعب ان يفشل في كفاحه •

★ ★ ★

ولقد اشرنا الى ان هناك حالات تتعلق بنوم الازواج في سرير واحد ، صرفنا النظر عن ايرادها هنا على الرغم من اننا لم نر ادنى باس في ايرادها •

ولا حاجة لان نذكر القارىء بان هذه العروض ليست من قبيل القياس والتكهن ، والتخيل ، وانما هي نتيجة دراسات وبحوث بنيت على الاحصاء الذي اجراه هذا العالم النفساني صاحب هذا الكتاب ، ومع ذلك فلكل شيء شواذ ، اذا وجد هناك ما لم يخضع لهذه الدراسة خضوعا كاملا او ناقصا • ■■

بغداد ـ جعفر الخليلي



طبيب الأسرة

يجيب على هذه الأسئلة نخبة من الأطباء

[redacted]

● انا شاب اصبت بساقي اليمنى فذهبت للطبيب الذي قام بعمل اشعة للساق لم يظهر بها كسور . ولكن ظهر بها خيط رفيع ابيض اللون ملتف حول نفسه تحت الجلد . فاخبرني طبيبي بان هذه هي دودة المدينة ميتة ومتكلسة . ولا خوف من وجودها .
فهل لي ان اعرف ما هذه الدودة ؟ وكيف أصبت بها ؟؟

- ان هذه الديدان طفيليات دقيقة ، يصاب بها الانسان ، وقد تصيب بعض الحيوانات كالكلاب ، والخيل ، والماشية ، وهي مستوطنة ومنتشرة في كثير من بلاد العالم كالهند وايران وافغانستان واندونيسيا وغينيا وبعض الاقطار العربية منها السودان واليمن والسعودية حيث تكثر الابار المكشوفة والبرك والمستنقعات .

يبلغ طول الذكر منها ٤سم تقريبا . اما الانثى فهي أطول من ذلك بكثير وقد تصل الى المتر طولا .

ويصاب الانسان بهذه الدودة عن طريق شربه الماء الملوث بيرقاتها الموجودة في حشرات صغيرة نسميها براغيث الماء . Copepods CycloPe فتدخل الى جهازه الهضمي ثم تخرج من الامعاء الى أنسجة الجسم وتاخذ طريقها في معظم الاحيان الى الساقين وتستغرق هذه الرحلة من ٨ - ١٢ شهرا . وعادة لا يراجع المصاب الطبيب طول هذه الفترة لعدم شعوره باية اعراض وقد تموت الدودة وتتكلس ولا تعطي الا بعض الالام العضلية او المفصلية وتكتشف صدفة بالاشعة كما حصل مع الاخ السائل .

وغالبا ما تستقر الدوده بالساقين وتحت الجلد ، فتظهر بقعة حمراء سرعان ما تنتفخ وتشكل دملا وعند ملامسته للماء ينفجر وتقوم الدودة بافراز العديد من يرقاتها تبتلعها براغيث الماء وتصبح مصدرا للعدوى .

وعند ظهور الدمل يحس الانسان بحكة قد تكون بسيطة وقد تكون من الشدة والانتشار بحيث تعطي أعراض الصدمة فيشعر الانسان بالدوخة ، والغثيان والقيء والاسهال وضيق التنفس .

ويعتقد بان ذلك ناجم من افراز بعض السموم في هذه المرحلة . وقد يلتهب الدمل ويتقيح ويشكل خراجا نتيجة لتلوثه بالميكروبات ويصبح مزمنا صعب العلاج ويترك المريض في حالة بؤس وشقاء . وتشخيص الحالة لا يتم الا عند ظهور الدمامل والقرح التي بها الديدان .

اما علاج هذه الحالة فقد اكتشفت بعض العقاقير مؤخرا كالهترزان Hetrazan وبا ٣٢٦٤٤ . Ba 32644 واعطت نتائج مرضية .

غير ان الطرق القديمة مازالت مستعملة حتى الآن . كان يحقن مكان الدمل بمواد قاتلة للدودة كالفينوثيازين Pheno-thiazine . او ان تربط بخيط من الحرير عند ظهورها ويثبت الخيط على عود من الخشب (كعود الثقاب) ويقام يوميا بلفه بحذر شديد قليلا قليلا ، حتى تستخرج بالكامل . وتستغرق هذه العملية من ١٠ - ١٢ يوما . فان تصادف وقطعت من قوة الشد . فانها تفرز مواد سامة تؤثر على الانسجة المجاورة فتحمر وتلتهب .

والوقاية من هذه الحالة تتم

عن طريق عدم شرب الماء الملوث. من الابار وخاصة المكشوفة منها او البرك والمستنقعات الا بعد غليه وتعقيمه والقضاء على براغيث الماء (CopePods) بوضع المواد الكيمائية القاتلة لها . ومنع المريض من النزول الى الماء لتفادى تلوثه .

[redacted]

● ذهبت الى الطبيب أشكو صداعا مزمنا فقام بقياس ضغط دمى فوجده مرتفعا بعض الشىء . فطلب منى عمل فحوصات متعددة قبل صرف العلاج .. استغربت الامر... فما السبب يا ترى ؟

ـ لا شك ان استغرابك هذا سيزول يا عزيزى القارى عندما تعلم بان ارتفاع ضغط الدم له اسباب عدة ولا يمكن للطبيب صرف العلاج قبل ان يتوصل لتشخيص حقيقى لهذا الارتفاع .

فالمعروف علميا ان ضغط الدم يمكن ان ينجم عن اسباب طارئة مثل الاضطراب النفسى والارهاق والتعب وتناول المنبهات وكثرة التدخين ومعظم هذه الحالات تؤثر على الضغط الانقباضى وتزول بزوال السبب .

وارتفاع ضغط الدم ايضا يمكن ان يكون ثانويا او ما يسمى فى بعض الحالات تبعيا نتيجة مرض آخر يؤدى لارتفاعه. او ان يكون اساسيا وهو ما يطلق على النوع الذى لانجد سببا له بعد عمل الفحوصات اللازمة . وهذا النوع هو الشائع بين الناس . ويصيب الذكور والاناث بالتساوى تقريبا وغالبا ما يصيبهم بعد تجاوز سن الاربعين ولا شك ان عامل الوراثة هنا يلعب دورا كبيرا فى حدوثه ، وكثيرا ما نجد أحد الاقارب (الوالد او الوالدة مثلا)مصابا ايضا بارتفاع ضغط الدم اما الامراض التى تؤدى لارتفاع ضغط الدم فهى كثيرة ومتنوعة نذكر منها

اولا :

امراض الجهاز البولى والكليتين كالالتهاب الكلوى الجمعى الحاد او المزمن ـ وضمور الكلية ـ والكلية الكثيرة الاكياس ـ وضيق الشريان الكلوى .

ثانيا :

اضطراب بعض الهرمونات بالجسم . كما يظهر فى حالة زيادة هرمون الغدة الدرقية . وفى بعض الاورام التى تصيب الغدة الفوقكلوية . او بما يسمى باعراض مرض كوشنج وفى بعض حالات البول السكرى.

ثالثا :

امراض الشرايين كضيق الابهر. وكالتهاب ظهارة الشرايين .

رابعا :

امراض الدماغ . كزيادة ضغط السائل بالدماغ . أو وجود نزف او ورم او التهاب .

خامسا :

بعض حالات التسمم مثل تسمم الولادة . او التسمم ببعض الفلزات كالرصاص مثلا .

سادسا :

تعاطى بعض انواع العقاقير ويجب التنبيه هنا بان شراب العرق سوس الشائع كثيرا شعبيا ، كثرة تناوله تسبب ارتفاع ضغط الدم بعكس ما هو معتقد عند اغلبية الناس.

ونحمد الله بان معظم حالات ارتفاع ضغط الدم سهلة العلاج . اذا ما تقيد المريض بنصائح الطبيب واتبع ارشاداته وداوم على اخذ العلاج باستمرار .

[redacted]

● اصيب ولدى بحكة جلدية تزداد فى المساء وبعد عدة ايام اصيب اخوانه بنفس الحكة فهل ذلك هو الجرب ، فان كان كذلك فما هو علاجه ؟

ـ اغلب الاعتقاد ان ذلك هو فعلا الجرب حيث انه مرض معد خاصة وان جميع الاطفال بالبيت قد اصيبوا بهوان الحكة تزداد بالليل عند الذهاب للفراش وسببه طفيل حيوانى

يسمى حشرة الجرب .

ويظهر الجرب على شكل حبوب وانفاق دقيقة في اماكن معينة من الجسم خاصة بين اصابع اليدين ، الرسغ ، الابط ، حول الثدي والسرة والمقعدة والفخذين ، اما في الاطفال الصغار فمن الممكن ان يظهر في معظم اجزاء الجسم بما في ذلك اليدان والقدمان والوجه. والحكة الجلدية تؤدي الى خدش الجلد وبالتالي الى تلوثه بالميكروبات وتقيحه .

اما طرق العدوى عادة فهي :

١ ـ اختلاط المصابين بالاصحاء .

٢ ـ استعمال ملابس المريض او فراشه .

اما الوقاية من هذا المرض فتتم بعزل المرضى وعدم مخالطتهم للاصحاء وتعقيم ملابس المريض او غليها وكيها . ثم تطهير فراش المريض بتعقيم الشراشف والمخدات وعدم استعمالها لمدة اسبوعين حتى تموت حشرة الجرب . كما يجب علاج جميع المرضى او المصابين في البيت الواحد في نفس الوقت حتى يتم شفاؤهم سويا وتطهير البيت .

اما العلاج فسهل وبسيط وقد كانوا يستعملون سابقا مرهم الكبريت للقضاء على المرض وكذلك دهان البنزيل بنزوات اما الان فتوجد كثير من المراهم التي تستطيع ان تقضي على المرض مثل ميتجال وايراكس وغيرهما ويفضل الدهان يوميا لمدة يومين او ثلاثة مع الاستحمام وتطهير الملابس والشراشف .

كثرة افرازات العرق

● اشكو من كثرة العرق خاصة عند القيام باي مجهود، فهل لي ان اعرف ما هو تركيب العرق وما سبب كثرته ؟

ـ العرق عبارة عن افراز الغدد العرقية الموجودة في البشرة وتحت سطح الجلد وهذه الغدد فيها انبوب رفيع يخترق الجلد ليفتح على سطحه وتكثر هذه الغدد في كفوف اليدين والقدمين . وافراز العرق وكميته وتركيبه ودرجة تعادله مهم جدا لحفظ صحة البشرة بل وصحة الجسم كله فيحتوي العرق بجانب الماء على الكثير من املاح حمض اليوريك واليوريا والامونيا ، وكلوريد الصوديوم والبوتاسيوم والاحماض الامينية الا انه يكاد يخلو من السكر . وكثرة العرق او زيادة افرازه تحدث كنتيجة طبيعية لزيادة الحرارة عند القيام باي مجهود نتيجة زيادة نشاط العضلات والحركة ، والانفعالات النفسية ، وشرب المشروبات الكحولية والمشروبات الساخنة وتناول بعض الادوية والاطعمة . ومن الاسباب الاخرى التي تؤدي الى كثرة العرق اضطرابات الجهاز العصبي ، واضطرابات الدورة الدموية ، او الغدد الصماء نتيجة امراض الحساسية او زيادة افراز السموم في الجسم ، كذلك فان بعض الامراض عادة تكون مصحوبة بزيادة العرق مثل فقر الدم ، والسكر والحميات .

ونادرا ما تكون زيادة العرق ناتجة عن اضطرابات الغدة العرقية نفسها نتيجة زيادة نموها . وكثرة العرق تعتبر صفة عامة في الجسم كله خاصة في اليدين والقدمين والابط والجبين والراس . وتكون الزيادة محدودة في مناطق معينة من الجسم خاصة اذا كان الشخص يشكو من وهن عصبي .

واحيانا يكون افراز العرق شديدا لدرجة قد تؤدي الى الاجهاد او انه يصيب نصف الجسم فقط دون النصف الاخر . واذا ترك العرق فترة على الجسم دون اغتسال فانه يتحلل وتتكاثر فيه الميكروبات مسببا رائحة كريهة خاصة في ثنايا الجلد ، اما الاطفال فانه نظرا لرقة بشرتهم فان كثرة العرق تؤدي الى تسلخ الجلد علاوة على تكاثر الميكروبات والفطريات عليه مما يؤدي الى التهابات شديدة .

ومن الطبيعي انه لعلاج هذه الحالة يجب معرفة السبب الرئيسي ويعتمد العلاج على التخلص من السبب والعوامل المؤدية اليه . ■■

الدين والمسالة الدينية فى البانيا

بقلم : محمد موفاكو

استاذ الاستشراق بجامعة برشتنا ـ يوغوسلافيا

■ فى ١٣ تشرين الثانى ١٩٦٧ صدر فى البانيا مرسوم رقم ٤٣٣٧ « حول الغاء بعض المراسيم » ، المؤلف من سبعة اسطر فقط اقتصرت على ذكر ارقام وتواريخ بعض المراسيم التى الغيت. الا ان هذا المرسوم سرعان ما شق طريقه خارج البانيا بكونه مرسوم « الاطاحة بالدين » . وقد انتزع هذا المرسوم حينها من الاهتمام الى حد ان البانيا، التى تبدو بصعوبة على الخارطة، وجدت ما تميز به نفسها من حيث كونها اول دولة ملحدة فى العالم .

وطالما ان هذا المرسوم لا يتضمن اكثر من ارقام مراسيم ماضية ومعدلة . فان الاكتفاء بقراءته لا يمنع المرء اى توضيح عما وكيف جرى تحضير هذه الاحاطة بالطوائف الاربعة المعترف بها. ومن الضرورى اذن تتبع شخوص الدين والطوائف الدينية فى الدستور الالبانى ، والحياة الالبانية، حتى يكون فى امكاننا تناول مرسوم ١٩٦٧ فى اطاره التاريخى .

لقد مر بنا فى اعداد سابقة ، ان استقلال البانيا اعلن ، على قطعة ارض لا تتجاوز ١٠٪ من البانيا ، فى ٢٨ تشرين الثانى ١٩١٣ ، وان هذا الاستقلال بقى معلقا حتى اعترفت به الدول الكبرى فى ١٣ تموز ١٩١٣ . وحينها اخذت الدول الكبرى على عاتقها مسالة تنظيم طابع الدولة الالبانية المقترحة .

وعلى ضوء مشروع الدول الكبرى ، اعلنت الحكومة الالبانية فى ٢٢ تشرين الثانى ١٩١٣ « القانون المؤقت للادارة المدنية فى البانيا » . وفيما يتعلق بمسالة الدين وعلاقة الدولة به ، نص هذا الدستور على ان « الحقوق المدنية ستنفصل عن الشريعة ، كما وستنفصل الهيئة الاسلامية عن ارتباطها بشيخ الاسلام » .

وفى ذات الشهر توصلت اخيرا الدول الكبرى على تنصيب النبيل الالمانى ف . فيد W. Wid اميرا على البانيا المقترحة . وقد جاء اقتراح تنصيب فيد لكونه المانيا وبروتستنتيا ، لكى يبقى على الحياد بين الطوائف الدينية الاربعة فى البانيا . وقد صاغت بعدها اللجنة الدولية للمراقبة ، المؤلفة من ممثلى الدول الكبرى ، ما سمى « الدستور الاساسى » للدولة الالبانية ، الذى تمت الموافقة عليه فى ١٠ نيسان ١٩١٤ . وقد تضمن هذا الدستور عرضا اوضح بالنسبة

للدين وعلاقته بالدولة المقترحة ، اذ نص البند ٣٣ من الفصل الثاني على ان « البانيا ليس لها دين رسمي • وان الحرية والممارسة العلنية لكل العبادات مؤمنة وان الخلاف في الدين لا يقتضي بالضرورة الحد من التمتع بالحقوق المدنية او السياسية ، او الانخراط في الوظائف العامة والمناصب •• »

الا انه مع قيام الحرب العالمية الاولى تناثرت هذه الدولة الفتية الى عدة دول صغيرة على راسها حكومات عميلة للدول المتصارعة • وتحولت الاراضي الالبانية بعدها الى مجرد ورقة تستخدمها دول المعسكرين في استمالة هذه الدولة او تلك الى هذا المعسكر او ذاك • وما يهم موضوعنا هذا هو تقسيم البانيا ، الذي صاغته معاهدة لندن السرية ١٩١٥ بين ايطاليا والحلفاء• وحسب هذه المعاهدة جرى تقسيم لالبانيا قائم على مراعاة دينية لانتماء سكانها ، وبذلك هدفت المعاهدة الى ان تنهي الصيغة الالبانية للتعايش بين الطوائف الدينية، وبحجة حماية هذه الطوائف• وعلى هذا الاساس تضمنت المعاهدة تشكيل « دولة اسلامية البانية » تكون دورس Durres عاصمة لها ، وتشمل فقط اراضي البانيا الوسطى التي يسكنها غالبية من المسلمين • وقد قدمت هذه « الدولة » كهدية الى ايطاليا مقابل انضمامها الى معسكر الحلفاء •

من ناحية اخرى ، بقيت البانيا الشمالية ، ذات الغالبية الكاثوليكية ، من حصة صربيا الاورثوذكسية بالاضافة الى الجبل الاسود ذات الشهرة الاورثوذكسية • الا ان القوات النمسو ـ هنغارية كانت قد هبطت حينها نحو البانيا الشمالية، معلنة للالبانيين هناك انها جاءت لتحريرهم اخيرا، وقد رحب حينها رجال الدين الكاثوليك بهذا « التحرير » الذي طال انتظاره ، واخذت الصحف الموالية تبشر الالبانيين بالخيرات التي تنتظرهم في حالة انضمامهم واندماجهم بالامبراطورية النمسو ـ هنغارية المتعددة القوميات • ومن جهة اخرى بقيت البانيا الجنوبية ، ذات الغالبية الاورثوذكسية ، تحت سيطرة العصابات اليونانية المسلحة من اثينا ، التي لم تعترف يوما بالبانية الاورثوذوكسي الالباني ، اذ ان اثينا اصرت دوما على معاملة الالباني الاورثوذكسي كاورثوذكسي فقط وبالتالي كيوناني •

وقد ازدادت الامور تعقيدا مع انتهاء الحرب ، اذ برزت ثانية مسالة وضع البانيا المقبل وبالتالي مسالة الوصاية الايطالية عليها • فمن ناحية نجد ان ممثلي الكنيسة الكاثوليكية الالبانية ، حتى لحظة انتهاء الحرب ، كانوا مندفعين لاعطاء الامبراطورية النمسو هنغارية دور « الحامي » لالبانيا ، اما الان وبعد هزيمتها ، فقد حولوا هذا « الدور » الى ايطاليا المنتصرة ، التي راوا في مساندتها امكانية لتاثير اكبر لهم ،سياسيا وايديولوجيا ، في بلد « شرقي » كالبانيا ، حيث الكاثوليك ليسوا الا اقلية ، وفقط لدى ايطاليا راوا امكانية وتوسيع الكاثوليكية ، ومن هؤلاء مثلا الاب ج • فيشتا At. Gj Fishta، الذي كتب يقول « لقد رفض ما يسمى الوطنيين الالبانيون صيغة البانيا بمساعدة ايطاليا •• وما يقال في اننا سنشكل البانيا بقوتنا فهذا ليس الا ساما » •

ومن ناحية اخرى كانت اليونان تضغط بكل ثقلها على مؤتمر الصلح في باريس ١٩١٩ ـ ١٩٢٠ للموافقة على تقسيم ديني لالبانيا ،يضمن لليونان « انقاذ » الاورثوذكسيين الالبانيين من الجحيم الالباني • وقد ذهب رئيس الوزراء اليوناني آنذاك فينيزلوس Venizelos ، الى حد التاكيد على ان الشعب الالباني ، المتوزع على عدة طوائف ، ليس له حس قومي ، وفي ان الاورثوذكسيين الالبانيين يحسون انفسهم كيونانيين، وبما ان هؤلاء يشكلون غالبية في البانيا الجنوبيه لذا لا بد من فصل هذا الجزء عن الجزء المسلم الاخر وضمه الى اليونان • الا ان الالبانيين الاورثوذكسيين ، الذين يشعرون بذاتهم كالبانيين اولا واورثوذكسيين ثانيا ، عرفوا كيف يقاومون هذا التسلط اليوناني ،عندما اعلنوا في عام١٩١٩ انفصالهم عن البطريركية وتاسيس الكنيسة الاورثوذكسية الالبانية المستقلة ، تلك التي لم تعترف بها البطريركية الا مرغمة بعد خمس عشرة سنة •

وازاء هذا التربص تمكن الالبانيون اخيرا من ان يستعيدوا المبادرة في دعوتهم الى مؤتمر انقاذ وطني ، ذلك الذي انعقد في لوشني Lushnje في عام ١٩٢٠ ،وفي هذا المؤتمر برزت البانيا ثانية، لكل الالبانيين دون تمييز في الدين او في الطائفة،

ونظرا الى انه لم يكن في الامكان التحديد الفوري لشكل السلطة الالبانية ، لان البانيا اعلنت كامارة في ١٩١٣ ـ ١٩١٤ ، انتخب المؤتمر « مجلسا اعلى » يتسلم مهام رئاسة الدولة • وقد ضم هذا المجلس اربعة اعضاء ، روعي في اختيارهم ان يمثلوا الطوائف الاربعة في البانيا (الطائفة الاسلامية ، البكتاشية ، الكاثوليكية ، الاورثوذكسية) •

وقد بقي هذا التقليد معمولا به الى ان تحدد نظام الدولة الالبانية في اعلان الجمهورية في بداية عام ١٩٢٥ ، وتنصيب أحمد زوغو A Zogo نفسه كاول رئيس للجمهورية • وقد اعقب اعلان الجمهورية صياغة دستور جديد لالبانيا ، ذلك الذي تمت الموافقة عليه في اذار ١٩٢٥ . وقد جاء في هذا الدستور بند خاص لمسالة علاقة الدين بالدولة ، اذ نص البند (٥) من الباب الاول على ان « الجمهورية الالبانية ليس لها دين رسمي •وان جميع الاديان والعقائد محترمة. كما أن حريةالممارسة والعباداتالعلنية مؤمنة.• ويضيف البند (٥) أن « الدين لا يستطيع أن يكون في اى شكل من الاشكال حاجزا حقوقيا • كما أن الاديان لا يجب ان تستغل مطلقا في الاهداف السياسيه » •

ومع أن هذا الدستور قد ضمن حياد النظام تجاه الاديان المعترف بها فيالبانيا، وبالتالي كفل لها حرية النشاط ، الا ان الملاحظة تشير الى أن المسالة الدينية كانت ترتبط ايضا بنفوذ الدول المجاورة ، ومدى تصحم هذا النفوذ في البانيا ، الذي تحول مع مر الايام الى سلطة اخرى داخل البانيا • من هذا مثلا نلاحظ أن معاهدات ١٩٢٦ ـ ١٩٢٧ ، التي اعطت ايطاليا امتيازات اقتصادية وسياسية ضخمة في البانيا ، قد اعقبها تحول ما في موقف النظام من هذه الطائفة او تلك ، وعلى هذا مثلا نرى انه في كانون الاول ١٩٢٧ ارسلت الحكومة الالبانية ممثلا عنهاالى الفاتيكان لتبادل العلاقات بين الجمهورية الالبانيه والفاتيكان • وقد كان الهدف من هذا توطيد النفوذ لايطاليا واستدراج الرضا من سكان الشمال الكاثوليك بعد قهر انتفاضتهم عام ١٩٢٦ •وبعد هذا تمبالفعل تبادل الممثلين وفق اتفاق خاص • وحسب هذا الاتفاق تركت الدولة الالبانية الحرية لنشاط الكنيسة الكاثوليكية في البانيا، ومنحتها الحق باعتبارهاشخصية حقوقية• ووفق هذا ستقوم الحكومة الالبانية بتزويد الكنيسة الكاثوليكية بميزانية سنوية مقدارها ٢٠٠ الف فرنك ذهبي ، كما وستترك للكنيسة فتح المدارس الخاصة الكاثوليكيه • وكل هذا مقابل دعمالكنيسة الكاثوليكية لنظاماحمد زوغو•

في هذا اصبحت ايطاليا حريصة كل الحرص على نظام احمد زوغو ، وعلى استمرار احمد زوغو في نظامه • ولكن طالما أندستور الجمهورية الالبانية ينص على مدة معينة لرئيس الجمهورية ، فقد شجعت ايطاليا احمد زوغو على اعلان الملكية وتنصيب نفسه ملكا على البانيا • وقد تم هذا فعلا في نهايه ١٩٢٨ عندما اعلنت الملكيه واعلن معها دستور جديد لالبانيا • وفيما يتعلقبالموقف من الدين وعلاقته بالدولة ، فان هذا الدستور لم يضف جديدا يذكر بالمقارنة مع الدستور السابق • فقد نص البند (٥) من الباب الاول تحت « مبادىء عامه » ، ما يلي : « الدولة الالبانية ليس لها دين رسمي • وجميع الاديان والعقائد محترمة فيها • كما أن حرية العبادات وممارسة الشعائر العلنية مؤمنة • والدين لا يستطيع أن يكون في اى شكل من الاشكال حاجزا حقوقيا • فالاديان والعقائد لا يجب أن تستثمر في اىشكل من الاشكال فيالاعراض السياسية»•

الا أن الملك ا • زوغو سيدفع فيما بعد ، تحت ضغط المعارضة الداخلية ، الى مراجعة موقفه ازاء ايطاليا • اذ ان ايطاليا كانت قد زادت من نفوذها الى حد انها ارادت أن تبلع البانيا مع ملكها ، وهذا ما دفع الى السطح بازمة ٣٢ ـ ١٩٣٤ ، التي اضطر فيها زوغو ، امام ضغط المعارضة الداخلية، الى اجراءات تحد من نفوذ ايطاليا • ومن هذا اتخذ البرلمان الالباني في نيسان١٩٣٣ قرارا بتغيير بنود الدستور التي تسمح بنشاط المدارس الخاصة والدينيه ،والتي كانت موجهة فعلا ضد المدارس الكاثوليكية الممولة من ايطاليا ، وعلى اثر هذا التعديل تم بالفعل اغلاق هذه المدارس ، الشيء الذي دفع ايطاليا اخيرا على زيارة شواطىء البانيا باسطولها الحربيفيحزيران ١٩٣٤ لاجبار الحكومة الالبانية على التراجع تحت تهديد السلاح • وفعلا تم

تنظيم هذا التراجع في معاهدات ١٩٣٦ ، التي نصت على اعادة فتح المدارس الكاثوليكية الخاصة . وقد تاخر اعلان هذا الاجراء الى ٩ أيار من ذات السنة .

وبعد هذا التراجع من طرف زوغو ، لم يبق لايطاليا الا ان تعد بعض الشكليات قبل ان تحتل البانيا بقوة السلاح . ومن جملة الاعدادات، كان اهتمام ايطاليا متجها نحو تسريب الايديولوجية الفاشية ونشرها بين اوساط الالبانيين . كما وساهمت الكنيسة في تدعيم هذه الدور ، وخاصة بعد التوجيهات التي حملها رئيس الاساقفة . غ . تاتشي G. Thagi ، من روما بعد زيارته للفاتيكان وموسوليني ، وهذه التوجيهات تومىء بادارة دفة الكنيسة الكاثوليكية لتساهم في تسهيل دخول الفاشية الى البانيا . وقد لعب الفاتيكان بدوره دورا بارزا في التهيئة للاحتلال الايطالي لالبانيا . ففي الوقت الذي كان فيه الجنود الايطاليون يقتحمون البانيا ، قام البابا بيو الثاني عشر بمباركة هؤلاء الجنود لرسالتهم « المحررية » .

ومن أولى الاجراءات التي اتخذتها سلطة الاحتلال الفاشي كان تنظيم وضع السلطة في البانيا بعد الحاقها بايطاليا ، ومن هذا كان وضع « دستور اساسي » صيغ على قاعدة الدستور الايطالي ودخل حيز التطبيق في ٤ حزيران ١٩٣٩ . وفيما يتعلق بموضوعنا ، فقد نص البند (٤) من الباب الاول تحت « ميادين عامة » على مايلي : « ان جميع الاديان محترمة . كما أن الممارسة الحرة للشعائر الدينية والعبادات العلنية مؤمنة انسجاما مع القوانين » .

لقد أرادت ايطاليا أن تكسب ود الالبانيين باي شكل ، وخصصت قدرا كبيرا من اهتمامها لكسب رجال الدين ، ويبدو هذا مثلا في « المجلس التشريعي » الذي اقامته ، حيث خصصت فيه ٢٠ مقعدا لرجال الدين ، من اصل ١٥٩ مقعدا . ولكن المسالة التي مايزال يلفها الغموض هي موقف رجال الدين المسلمين ، الذين رحبوا بالسلطة الايطالية وتحالفوا معها . ومن ناحية مقابلة لم تقصر السلطة الايطالية في تكريم رجال الدين المسلمين ، او في تلبية مطالبهم . فمن هذا نجد مثلا أن الحاكم العام الايطالي يمنح مفتي تيرانا وسام اسكندر بك (وهو أعلى الاوسمة) برتبة ضابط اكبر ، اضافة الى أن الحكام الايطاليين كانوا يشاركون تزلفا في الاعياد الاسلامية . كما وان السلطة الايطالية ، تلبية لمطالب رجال الدين المسلمين ، أمرت في تموز ١٩٤٠ وزارة الدفاع بالاعتراف بالاعياد الاسلامية ، وتمكين الجنود المسلمين من الاحتفال بيوم الجمعة . وبشكل عام يستطيع المرء ان يلحظ نشاطا ملحوظا لرجال الدين المسلمين في هذه الفترة . ففي هذه الفترة صدرت مجلة « الثقافة الاسلامية » Kultura Islame كما بدىء من حينها بترجمة القرآن الكريم الى الالبانية ، وصدر من ذلك أربعة أجزاء . وقد كتبت حينها مجلة « الثقافة الاسلامية » في عدد ١٢ آب ١٩٤٢ ، وقد يكون الحق معها في ذلك ، أن « الدين أصبح حرا وحتى انه اكثر من الماضي » .

ولكن من ناحية أخرى ، كان الشعب الالباني قد حرم أمره على مقاومة الاحتلال الايطالي ، وسرعان ما بدأت حركة المقاومة تغطي البانيا . ومن المثير أن الحركة البكتاشية هي الوحيدة التي القت بثقلها في حركة المقاومة . ويبدو هذا في اجتماع بيزا Peza ، أيلول ١٩٤٢ ، الذي انعقد لتنظيم حرب التحرير العومية ضد السلطة الايطالية . ففي هذا الاجتماع شارك البابا فايا P. Faja والبابا فيزا B. Feza وهما من

ذلك ارجى

● قيل أن الشعبي مر بوما بابل قد فشا فيها الجرب فقال لاعرابي كان يحرسها : « أما تداوي ابلك يا أخا العرب ؟ فقال الاعرابي : « ان لنا عجوزا مؤمنة نتكل على دعائها في شفاء هذه الابل » . فقال الشعبي : « لو جعلت مع دعائها شيئا من القطران كان ذلك أرجى لشفائها » .

زعماء الحركة البكتاشية آنذاك ٠وقد اقرت فى هذا الاجتماع ارضية حرب التحرير القومية ، التى تضمنت « تنظيم كل القوى السياسية فى البلاد فى جبهة مشاركة للتحرير القومى ، دون تمييز فى الطبقة او العقيدة السياسية او الدين ٠٠ »

وفى عشية انتصار هذه الحركة ، تحولت لجنة التحرير القومى المناهضة للفاشية K.A.N.C الى « الحكومة الديمقراطية لالبانيا » حيث عقدت اولى جلساتها فى تشرين الاول ١٩٤٤ ٠ ومن القرارات التى اقرت فى هذه الجلسة كان « تصريح حول حقوق المواطنين » ٠ وقد ضمنت هذه الوثيقة للالبانيين ، فى حالة انتصار حركة التحرير القومية ، جملة من الحقوق كـ « الحقوق المتساوية امام القانون ، حرية الاجتماع والكلمة، حرية الدين والضمير ٠٠٠» ٠

ولم تمض ايام الا وتم تحرير البانيا واقامة السلطة الجديدة قبل نهاية ١٩٤٤ ٠ وقد استغرقت التحضيرات لاعداد الدستور الجديد اكثر من سنتين ، حتى اعلن فى مطلع ١٩٤٦ ، والذى اقرته الجمعية التاسيسية فى آذار ١٩٤٦ ٠ وفيما يتعلق بموضوعنا ، فقد افرد البند (١٦) من الباب الاول لصياغة وضع الدين فى ظل السلطة الجديدة ٠ وقد نص هذا البند على « ان حرية المعتقد والدين مكفولة لجميع الرعايا ٠ كما ان الدين منفصل عن الدولة » ٠ ويضيف البند (١٦) ان « للطوائف الدينية ملء الحرية فى المسائل المتعلقة بمذهبها الدينى ، وللممارسة العلنية لذلك المذهب » ٠

وفى فقرة من البند (١٦) نقرا « يمنع استخدام الدين والمؤسسات الدينية لاغراض سياسية ، وكذلك تحظر المنظمات السياسية القائمة على الدين » ٠ وفوق هذا نجد اضافة فى نهاية البند (١٦) ، تلك التى تنص على ما يلى : « ويمكن للدولة ان تساعد ماديا الطوائف الدينية » ٠

وبعد هذا التحديد الاولى لوضع الدين ، جاءت عدة مراسيم اخرى لتحديد اكثر لهذا الوضع ٠ ومن ذلك مرسوم ١٩٤٩ « حول الهيئات الدينية » وتعديلاته اللاحقة ٠ وكذلك تجدر الاشارة الى مراسيم ١٩٥٠ ، التى تمت فيها الموافقة على اوضاع الهيئات الدينية الاربع المعترف بها ٠ واخيرا جاء مرسوم ١٣ تشرين الثانى ١٩٦٧الذى صادر منالهيئات الدينية الحقوق السابقة الممنوحة لها ٠ وفيما يلى صورة اصلية لهذا المرسوم مع الترجمة الحرفية له :

الجريدة الرسمية

لجمهورية البانيا الشعبية

٢٢ تشرين الثانى

سنة ١٩٦٧

عدد ١٢

مرسوم

حول الغاء بعض المراسيم

اعتماد على البند ٥٨ ، النقطة ٦ من الدستور

وباقتراح من الحكومة

رئاسة المجلس الشعبى

لجمهورية البانيا الشعبية

تقرر

بند ١

المرسوم رقم ٧٤٣ تاريخ ٢٦ ـ ١١ ـ ١٩٤٩ « حول الهيئات الدينية ، المعدل بمرسوم رقم ٣٦٦٠ تاريخ ١٠ ـ ٤ ـ ١٩٦٣ ، والمرسوم رقم ١٠٦٤ تاريخ ٤ ـ ٥ ـ ١٩٥٠ » حول الموافقة على دستور الهيئة الاسلامية الالبانية » ، والمرسوم رقم ١٠٦٥ تاريخ ٤ ـ ٥ ـ ١٩٥٠ « حول الموافقة على دستور الكنيسة المستقلة الالبانية » ، والمرسوم رقم ١٠٦٦ تاريخ ٤ ـ ٥ ـ ١٩٥٠ « حول الموافقة على دستور الهيئة البكتاشية الالبانية » والمرسوم رقم ١٣٢٢ تاريخ ٣٠ ـ ٧ ـ ١٩٥١ « حول الموافقة على دستور الكنيسة الكاثوليكية الالبانية » ، تخرج من حيز التنفيذ ٠

بند ٢

هذا المرسوم يدخل فى حيز التطبيق حالا

تيرانا فى ١٣ تشرين الاول ١٩٦٧

رقم المرسوم ٤٣٣٧

عن رئاسة المجلس الشعبى

لجمهورية البانيا الشعبية

الرئيس

حاجى ليشى

السكرتير

بيلبيل كلوس

■■

محمد موفاكو

قصة العدد

المسافرون الستة

للكاتب الاسكتلندى « اندرو لانج »

لا يكاد يوجد كاتب فى العالم لم يجرب كتابة الحدوتة الخيالية للصغار والكبار على حد سواء · ان القائمة طويلة وبها أسماء مثل تولستوى وشارلس ديكنز وأوسكار وايلد ووالتر دى لامار وكيبلنج ومارك توين وانطوان دى سانت أوكزوبرى · والكاتب الذى نقدمه هذا العدد هو « أندرو لانج » الاسكتلندى الذى اشتهر بقصص المغامرات وترك ٢٥ كتابا منها · وقد ظهرت قصته التالية عام ١٨٩٤ ·

● يحكى ان جنديا باسلا ، يتقن مختلف الحرف ، تم تسريحه من الجيش بعد ان وضعت الحرب أوزارها · وقرر ان يطوف بارجاء العالم الفسيح · لكنه لم يكن يملك غير دراهم معدودة هى ما تبقى من اجره · انطلق فى طريقه وهو يردد لنفسه فى غضب : « لسوف أجد وسيلة ارغم بها الملك على ان يعطينى كل كنوز مملكته » ·

بلغ الجندى احدى الغابات ، فرأى رجلا يقتلع احدى الاشجار الضخمة بيديه المجردتين · راقبه حتى انتزع ستا من هذه الاشجار بسهولة تامة كما لو كانت اعوادا من القش · فخاطبه قائلا : «اتقبل ان تكون خادما لى و تسافر فى صحبتى ؟» ·

اجاب الرجل : « اجل · لكنى اود اولا ان احمل هذه الحزمة الصغيرة من العصى الى امى »·وتناول احدى الاشجار فثناها ولف بها الاشجار الخمس الاخرى ثم حمل الحزمة على كتفه وانطلق بها · ولم يلبث ان عاد فمضى مع سيده الجديد ·

وعندما سارا بعض الوقت التقيا بصياد انحنى الى الامام معتمدا على ركبتيه ، واضعا بندقيته على كتفه ، ومنهمكا فى التصويب الى هدف معين · تطلع الجندى حوله لكنه لم يتمكن من رؤية ذلك الهدف فساله : « الا تقل لى ايها الصياد ماذا تريد ان تصيب » ؟

قال الاخر : « على مبعدة ميلين من هنا تجلس ذبابة على فرع شجرة بلوط · وانا ارغب فى اصابة عينها اليسرى » ·

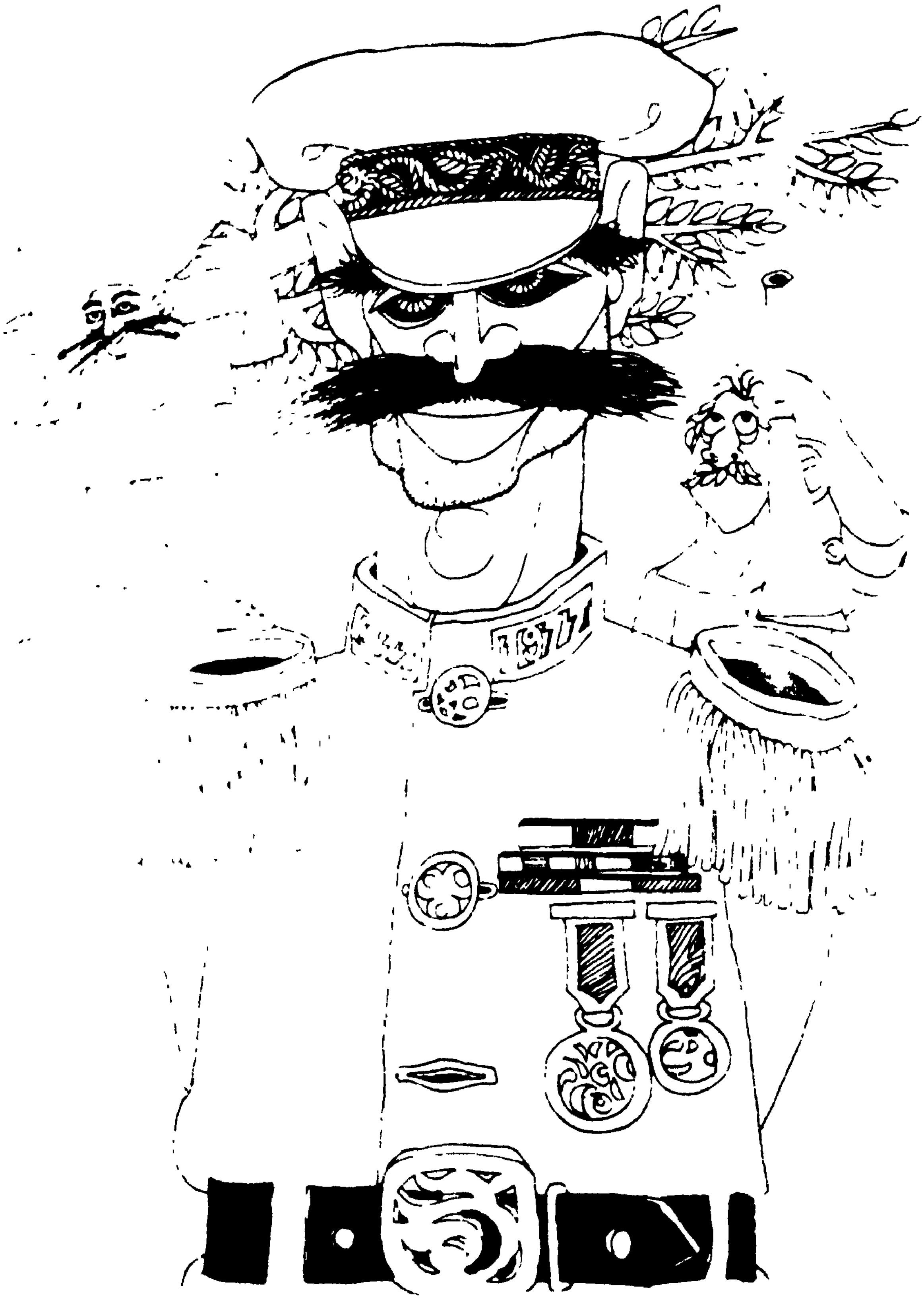
قال الجندى : « انت تاتى معى · فلو اجتمع ثلاثتنا لسهل علينا السفر فى ارجاء العالم الفسيح » ·

وافق الصياد ومضى معهما ، فاشرفوا على سبع طواحين هوائية تدور أشرعتها بسرعة فائقة ، رغم انه لم يكن ثمة اثر لنسمة ريح · عجب الجندى للامر ، وواصلوا السير فاقبلوا بعد ميلين على رجل ارتقى قمة شجرة وغلق احدى فتحتى أنفه ، بينما جعل ينفخ الهواء من الفتحة الثانية ·

ساله الجندى : « ماذا تنفخ ايها الصديق ؟ »

اجاب : « على مبعدة ميلين من هنا توجد سبع طواحين هوائية وانا انفخ لاجعلها تدور · »

قال الجندى : « انت تاتى معى · فلو اجتمع



أربعتنا لسهل علينا السفر فى أرجاء العالم الفسيح • »

هبط النافخ من فوق الشجرة ومضى فى رفقتهم • وبعد قليل رأوا رجلا يقف على ساق واحدة وقد خلع ساقه الثانية وألقاها على الارض بالقرب منه • فقال له الجندى متعجبا : « يا له من وضع مثالى للراحة • »

قال الاخر : « انى عداء • وقد خلعت احدى ساقى كى اخفف من سرعتى.فعندما استخدم الاثنتين جرى أسرع من الطير • »

قال الجندي : « لا بد وان تاتي معي ، فلواجتمع اجتمع خمستنا ، لسهل علينا السفر في ارجاء العالم الفسيح ● »

انطلق الخمسة سويا حتى التقوا برجل يرتدي قبعة صغيرة امالها على جانب راسه بحيث غطت احدى اذنيه ●

قال له الجندي : « اين ذهب الادب والذوق ما الذي جعلك تميل قبعتك هكذا على احدى اذنيك ؟ انك تبدو كالمجنون ● »

قال الرجل : « لست اجرؤ على ان اضعها معتدلة على راسي ، فلو فعلت لتساقط الجليد على الفور بكميات هائلة تجعل الطيور تتجمد في السماء وتقع على الارض ميتة ● »

قال الجندي : « لا بد وان تاتي معنا ● فلو ستتنا ، لسافرنا بسهولة في ارجاء العالم الفسيح ● »

وهكذا بلغ الرجال الستة مدينة ، اعلن فيها الملك عن سباق للعدو تشترك فيه ابنته ، الفائز فيه يتزوجها ، اما الخاسر فيفقد راسه ● وعندما سمع الجندي بنبأ السباق اعلن انه سيشترك فيه ، لكنه سيجعل خادمه يجري بالنيابة عنه ●

قال الملك : « في هذه الحالة نقطع راسيكما انتما الاثنين اذا فازت ابنتي ● »

قبل الجندي هـذا الشرط وقام بتثبيت الساق الثانية للعداء قائلا له : « نحن الان في حاجة الى اقصى سرعتك ● » واتفق الطرفان على ان يكون الفائز من يتمكن من احضار بعض الماء من النهر قبل الاخر ●

حمل العداء ابريقا ، كما حملت ابنة الملك واحدا مماثلا ، وبدأ العدو في آن واحد ، لكن لم تمض لحظة حتى كان العداء قد اختفى تماما عن البصر بينما كانت ابنة الملك ما تزال في البداية ● وبلغ العداء النهر بعد برهة فملأ ابريقه واستدار عائدا ● وعندما بلغ منتصف الطريق شعر فجأة برغبة شديدة في النوم فوضع ابريقه جانبا واستلقى على الارض بعد ان اسند راسه الى جمجمة حصان حتى يكون رقاده غير مريح ويستيقظ سريعا ●

وفي هذه الاثناء كانت ابنة الملك ، التي تجيد العدو ، قد بلغت النهر واسرعت عائدة بابريقها الممتليء بالمياه ● وعندما رأت العداء نائما سرت للغاية وقالت « لقد اوقعت الاقدار عدوي بين يدي ● » فافرغت ابريقه وواصلت العدو ●

واوشك كل شيء ان يضيع لولا ان الصياد صعد بالصدفة فوق برج القلعة فرأى بعينيه العادتين كل ما حدث ●

قال الصياد لنفسه : « لن تنتصر علينا ابنة الملك ● » ورفع بندقيته ثم احكم تصويبها واطلقها على جمجمة الحصان التي اسند العداء راسه اليها ، فاصابها واطارها من تحت راسه دون ان يصيبه هو باذى ●

استيقظ العداء وقفز واقفا فرأى ابريقه فارغا كما تبين ان ابنة الملك سبقته بمسافة كبيرة ● لكنه لم ييأس وجرى عائدا الى النهر فملأ ابريقه بالمياه مرة اخرى ، وانطلق يجري فوصل المدينة قبل ابنة الملك بعشر دقائق ●

وبمجرد وصوله قال للملك : « لم يكن هذا عدوا ● لقد كنت اروض ساقي وحسب ● »

لكن الملك كان غاضبا وكانت ابنته اكثر منه غضبا ، لانها ستصبح زوجة لجندي بسيط من ابناء الشعب ● وتشاورت مع ابيها في الطريقة التي يتخلصان بها على الجندي ورفاقه ●

قال لها الملك : « لا تخافي ● لقد وجدت طريقة تخلصنا منهم جميعا ● » ودعاهم فقال لهم : « يجب ان تحتفلوا الان سوية فتاكلوا وتشربوا ● » وقادهم الى غرفة ذات ارضية من حديد ، ضمت مائدة حافلة بما لذ وطاب من اصناف الطعام ● ودعاهم الملك الى الدخول ثم امر باغلاق الابواب واحكامها ● واستدعى الطباخ فامره باشعال نار هائلة تحت الغرفة حتى تحمر ارضيتها الحديدية ●

صدع الطباخ بالامر ● ولم يلبث الرفاق الستة الجالسون حول المائدة ان شعروا بسخونتها ، فارجعوا هذا الى حالتهم المرحة ● لكن الحرارة كانت في ازديـاد ، فارادوا مغـادرة الغـرفة ، واذا بهم يكتشفون ان الابواب والنوافـذ محكمة الاغلاق ●

وعندئذ ادركوا ان الملك يرمي الى هلاكهم ويحاول خنقهم ٠

هتف صاحب القبعة الصغيرة : « لن ينجح في ايذائنا ٠ سأسقط علينا ثلجا يجعل النار تخجل من نفسها ٠ » وعدل وضع قبعته على راسه فتساقط الثلج في الحال بكميات وفيرة قضت على الحرارة وجعلت الطعام يتجمد في الصحاف ٠

وكان الملك قد اطمئن الى هلاكهم ، فامر بفتح الابواب ودخل الغرفة ففوجيء بهم واقفون ، احياء وفي احسن حال ، يعلنون له انهم مسرورون بان يتاح لهم مغادرة الغرفة لان برودتها لم تعد تحتمل٠ فانطلق الملك غاضبا الى الطباخ وعنفه فقال هذا : « لقد اشعلت نيرانا كافية ٠ انظر بنفسك يا صاحب الجلالة ٠ »

راى الملك نيرانا هائلة مشتعلة اسفل الغرفة الحديدية ، وفهم انه لا يستطيع القضاء على الرفاق الستة بهذه الطريقة ٠ وجعل يفكر في طريقة اخرى للتخلص منهم ٠ فامر الجندي بالمثول امامه وقال له : « اذا اردت ان تاخذ ذهبا مقابل التخلي عن حقك في ابنتي ، اعطيتك ما تشاء ٠ »

قال الجندي : « وانا موافق يا صاحب الجلالة٠ اعطني بقدر ما يستطيع خادمي ان يحمل وانا اتخلى عن ابنتك ٠ »

سر الملك ٠ وقال الجندي « ساحضر لاخذ الذهب بعد اسبوعين ٠ ومضى الى خياطي المملكة فجمعهم وجعلهم يعكفون طوال اسبوعين على حياكة جوال هائل ٠ وعندما انتهوا منه حمله الرجل القوى الذي انتزع الاشجار وذهب مع الجندي الى الملك الذي قال له : « ان رفيقك هذا قوى للغاية ٠ كيف يتحمل هذه الكمية من الكتان التي تبلغ ضخامة منزل ؟ » وشعر بالرعب وفكر : « يا للذهب الذي سيخرجون به ٠ !! »

امر الملك باحضار طن من الذهب حمله ستة عشر من اقوى الرجال ، لكن الرجل القوى تناوله بيد واحدة والقى به في الجوال قائلا : « الى بالمزيد ٠ فهذا القدر لا يكاد يغطي قاع الجوال ٠

وتعين على الملك بعد ذلك ان يرسل اكثر من مرة في احضار كنوزه ، التي دفع بها الرجل القوى الى داخل الجوال ٠ ومع ذلك لم يمتليء الجوال الى اكثر من منتصفه ٠

صاح الرجل القوى : « المزيد ٠ المزيد ٠ فهذه الفتات لا تجدي شيئا ٠ » وهكذا تجمعت سبعة الاف عربة من الذهب افرغها الرجل القوى في الجوال ٠ ثم قال : « بوسعي ان آخذ اى شيء آخر غير الذهب حتى يمتليء الجوال ٠ »

استمرت تعبئة الجوال حتى لم يعد ثمة شيء ذو قيمة لدى الملك وعندئذ اعلن الرجل القوى : « يكفي هذا ، فليس من الضروري ان يمتليء الجوال تماما حتى يسهل اغلاقه ٠ » ثم القى الجوال على ظهره وانطلق مع رفاقه ٠

عندما تبين الملك ان رجلا واحدا يحمل ثروة المملكة كلها ، انتابه غضب شديد ، فامر فرسانه بالانطلاق خلف الرجال الستة والعودة بالرجل القوى وجواله ٠ وسرعان ما لحقت بهم كتيبتان من الجند خاطبهم قائدهم قائلا : « انتم معتقلون ٠ القوا الذهب او نقضي عليكم ٠ »

صاح النافخ : « ماذا ؟ قبل ان يحدث شيء من هذا سترقصون في الهواء ٠ » واغلق احدى فتحتي انفه ٠ ثم نفخ بالاخرى في الجنود فتفرقوا شتتا، وطار بعضهم في الهواء حتى بلغ قمم الجبال ٠ وصاح احد قادتهم طلبا للرحمة ، قائلا انه مصاب بتسعة جراح ، وانه جندي شجاع ولا يستحق هذه المهانة ٠ فتركه النافخ يهبط بسلام ٠ وقال له : « اذهب الى الملك وقل له انه اذا بعث وراءنا فرسانا آخرين نفختهم جميعا ٠ »

وعندما تلقى الملك الرسالة قال لجنوده : « دعوهم وشأنهم فلا شك انهم من السحرة ٠ »

وانطلق الستة بالكنز الى مدينتهم ٠ فاقتسموه فيما بينهم ٠ وعاشوا في سعادة حتى آخر ايامهم٠ ■■

ترجمة : صنع الله ابراهيم

لماذا لم نبدأ ؟

● كتب الدكتور نورالدين حاطوم في « قضايا حيوية » يقول ان العالم قد حاد عن جادة الصواب وعن التفكير العلمي السليم . وانا منذ عرفت القراءة وانا اسمع اننا بحاجة الى مصلحين ورواد يفهمون الدين على حقيقته ويقودون عملية تحرير عقول المسلمين من بقايا الخرافات والفكر الاستعماري.وانا اعيش بمنطقة الخليج واشهد كل يوم على مدى حاجتنا الى عملية « التحرير » هذه .

لماذا لا ننشىء هذا الجيل الواعي الذي نتمناه منذ زمن ؟ .. لماذا لم نبدأ خطوة واحدة في هذا الاتجاه ؟ ماذا ننتظر ؟

ارجو ان نفعل شيئا لانقاذ اجيالنا من الضياع المحقق .

الدكتورة فدوى جميل الجاسر
طبيبة بامارة رأس الخيمة

اعلام العرب

● الا ترى هيئة تحرير العربي انه بحاجة الى ان نعرف عن ابي بكر الصديق وعن عمر ابن الخطاب وعمر بن عبد ، وصلاح الدين الايوبي وغيرهم باكثر من حاجتنا الى قراءة المقالات التي تنشرونها عن الاعلام الغربيين ؟

محمد علي زيدان حمص / سوريا

— المحرر : الا ترى اننا نحاول أن نقدم الاثنين ، واننا نعطي الاولوية للشخصيات الاسلامية والتاريخ الاسلامي ..

تعقيبان

١ ـ قرأت في العدد ٢٣٤ (مايو ١٩٧٨) استطلاعا عنوانه (البحث عن مواقع التاريخ تحت رمال الجزيرة العربية) وفيه كلام عن سوق عكاظ جاء فيه ص ٧٤ :

« ومن اول المحدثين الذين سعوا الى تحقيق موقعها وتاريخها الدكتور عبدالوهاب عزام في مؤلفه عكاظ . ثم ما ذكره محمد حسين هيكل في كتابه (في منزل الوحي) . وتتابعت المحاولات فاصدر النادي الادبي بالطائف مؤلفا عن السوق وتبعهم سعيد الافغاني في كتابه (أسواق العرب) .. »

والذي وقع عكس هذا الترتيب . فقد كان كتابي (اسواق العرب) أول ما صدر ، فطبعته الاولى صدرت في سنة ١٩٣٧م ، واهديت نسخة منها الى كل من محمد حسين هيكل وعبد الوهاب عزام رحمهما الله ، وبعد سنة صدر كتاب محمد حسين هيكل (في منزل الوحي) وكان وحما ان يشير الى كتابي المذكور الذي حاولت فيه تحديد موقع السوق وذكرت آراء المحدثين والقدماء .. كان كتابي اذا هو الرائد قبل كتاب الدكتور هيكل .

وقبل (عكاظ) الدكتور عزام بسنوات اجتهد ابن بليهد رحمه الله في تحديد موقع السوق وكذلك المرحوم خير الدين الزركلي في كتابه (ما رأيت وما سمعت) ثم الشيخ حمد الجاسر .

وصدور كتاب الدكتور هيكل كان بين الطبعة الاولى والطبعة الثانية من كتابي (اسواق العرب) . وكان ما ذهب اليه في تحديد السوق خطأ اشرت اليه في الطبعة الثانية ص (٢٨٦) ببعض تفصيل ، ونصصت على ما انتهى اليه باحثون قبلي هم ابن بليهد ورشدي ملحس والامير فيصل بن عبد العزيز (الملك فيصل الاول فيما بعد رحم الله الجميع) .

اما كتاب شباب النادي الادبي بالطائف الذي أشار اليه الكاتب فقد سمعت به أخيرا ولم أطلع عليه مع الاسف ، وهو على كل حال متأخر عن كل ما تقدم واتوقع ان يكون شافيا في الموضوع . وأشير هنا الى ان آخر ما وصلني عن عكاظ كتاب الدكتور ناصر بن سعد الرشيد (سوق عكاظ في

الجاهلية والاسلام : تاريخه ونشاطاته وموقعه) ـ ١٩٧٧ عن دار الانصار بالقاهرة .

٢ ـ في العدد نفسه من (العربي) مقال عنوانه (عندما تحدث طه حسين عن كتبه) نسب الى صاحبه رواية عن الدكتور الحوفي (ان العميد (طه حسين) لم يرجع عن رايه في هذا الموضوع (الانتحال في الشعر الجاهلي) وهو عكس ما قرأته . فقد جاء في العدد الذي اشار اليه (يناير ١٩٧٧) ص ٨٧ ان *الدكتور الحوفي* « ادى شهادة بان طه حسين رجع عن نظريته في انتحال الشعر الجاهلي » .

ومن حق القراء ـ وقد فهم بعضهم من الجملة عكس ما تفيد ـ ان انقل اليهم كلمات الدكتور الحوفي من محضر الجلسة الرابعة لمؤتمر الدورة الحادية والاربعين المعقودة بتاريخ ١٩٧٥/٢/٢٧ . فقد عقب الدكتور الحوفي على محاضرة الدكتور محمد خلف الله احمد (رحلة طه حسين في الشعر العربي) بما يلي :

« هذا البحث القيم اوحى الى الان ، ولعله اوحى الى كثير منكم بهذا السؤال : (ماذا كان موقف المرحوم الدكتور طه حسين اخيرا من الشعر الجاهلي ؟ لماذا عدل كتابه الاول (في الشعر الجاهلي) الى كتاب اخر هو (في الادب الجاهلي) ؟ ثم لماذا لم يعدل عن رايه في انكار الشعر الجاهلي وجعل يدرسه بعد ذلك فيما سماه مدرسة اوس بن حجر ؟

اشهد امام حضراتكم انني سمعت من المرحوم الاستاذ ابراهيم مصطفى سنة ١٩٥٠ بعد ان قدم له (لطه حسين) مؤلفات تتصل بالحياة العربية من الشعر الجاهلي مصورة للحياة الدينية والاقتصادية وغيرها ، التي يتطلبها الدكتور طه حسين من الشعر الجاهلي ، قال الدكتور طه حسين للاستاذ ابراهيم مصطفى : « ما كنت اعلم هذا كله » فقال له الاستاذ ابراهيم مصطفى : « لماذا لا تعلن رجوعك عن ارائك ؟ » فابتسم وقال له : « لا،لا،لا » ـ محاضر مؤتمر الدورة الحادية والاربعين ١٩٧٦ ص ٢٦١

لقد رجع طه حسين عن رايه ذلك ، لكنه رفض الاعلان عن رجوعه حينئذ ، ولعله كان يامل الاعلان عنه بعد تراخي الزمن ونفاد الطبعة رحمة بالناشر ، فحال الاجل دون الامل .

هذا ما رايت واجبا بيانه تصحيحا للخطا واقرارا للحقيقة ووفاء للتاريخ .

دمشق ـ سعيد الافغاني

أنت تسأل ونحن نجيب

● لماذا اختفت زاوية «انت تسال ونحن نجيب» ، لقد كانت هذه الزاوية هي النافذة التي نستطيع عبرها ان نتعرف على الكثير مما هو مجهول لدينا ؟

عادل صالح عبد الحق ـ
عدن/اليمن الديمقراطية
المصري محمد ـ تازه ـ المغرب .

ـ الزاوية اختفت عندما ادخلت بعض التعديلات على المواد التي تقدمها المجلة ، ورغبتك محل دراسة .

● اريد ان اراسل مسئولا بجامعة الكويت ليبحث رغبتي في الالتحاق بكلية التجارة .

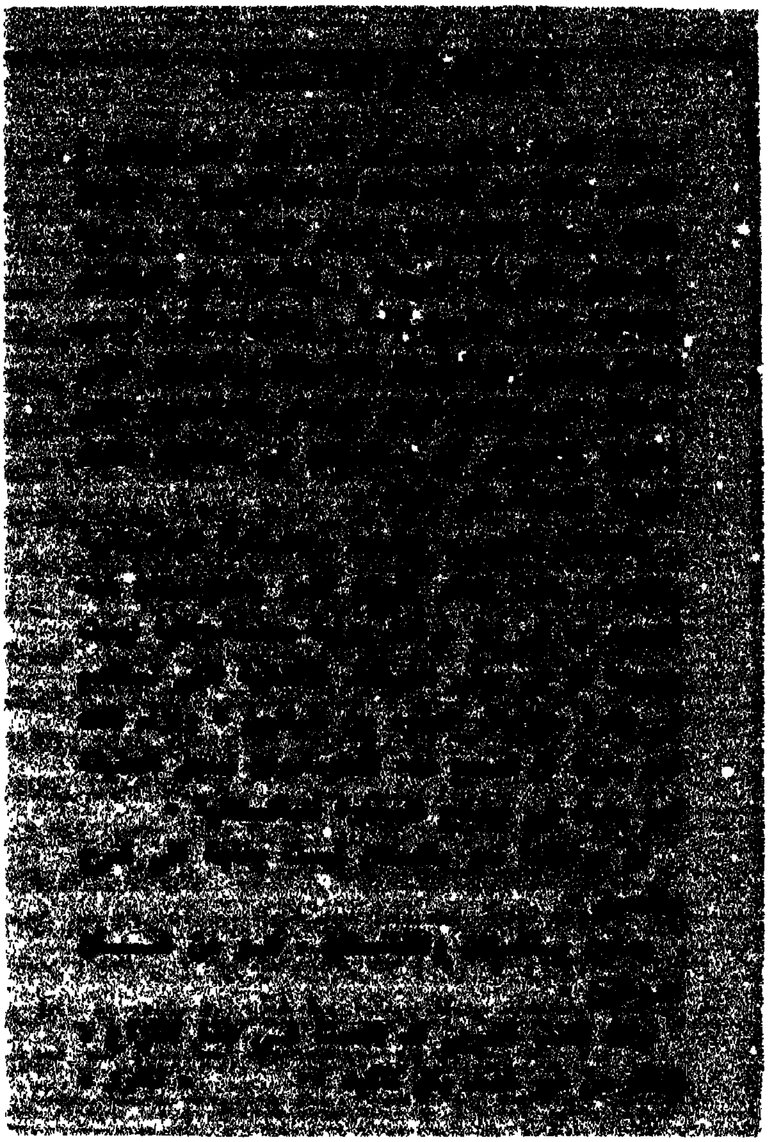
محمد عبد الواحد
الدمام/السعودية

ـ اكتب الى عميد شئون الطلاب بجامعة الكويت مباشرة .

عن العمارة العربية

● اثار انتباهي في العدد ٢٣٦ مقال عن العمارة الاسلامية بعنوان العرب « مبدعون لا مقلدون » ، اعطى تركيزا للعمارة العربية في المشرق والمغرب العربيين ، والاندلس . ولكني اقول ان الدليل الحقيقي على اصالة فن العمارة والزخرفة عند العرب يمكن العثور عليه في اليمن . منشا الحضارات القديمة (سبا وحمير) ، ومنها انتقل هذا الفن الرفيع الى بقية انحاء العالم الاسلامي . واقترح على مجلة العربي ان تستطلع هذه الاثار العريقة في اليمن .

مصطفى عبدالعزيز ثابت
الجامعة الأمريكية ـ بيروت



الواقع العربى هو المسئول

● نشرت مجلة العربي فى العدد ٢٢٣ مقالا للاستاذ نبيل الليثى تحدث فيه عن نقل العلم والتكنولوجيا •• لا شك ان الكاتب حالفه التوفيق فى تصوير واقع الامة العربية •• ولا ينكر مكابر ان العلم والتكنولوجيا ليستا من الطلاسم التى استغلق فهمها على ابناء العرب •• ولكن المعاناة التى يرزح تحتها الوطن العربى وبالتالى المواطن العربى جعلت الامر يبدو على غير حقيقته •

الفرد العربى قادر على الابداع وهضم مختلف العلوم •• واكبر دليل على ذلك ، وجود الاف من ابناء الامة العربية فى مختلف مجالات العلوم فى اوربا وامريكا ••

العقول العربية هاجرت الى الغرب لانها لم تجد الامكانيات التى تستطيع ان تبدع فى ظلها •

العقل العربى بخير ولكن الواقع العربى الممزق هو المسئول الاول

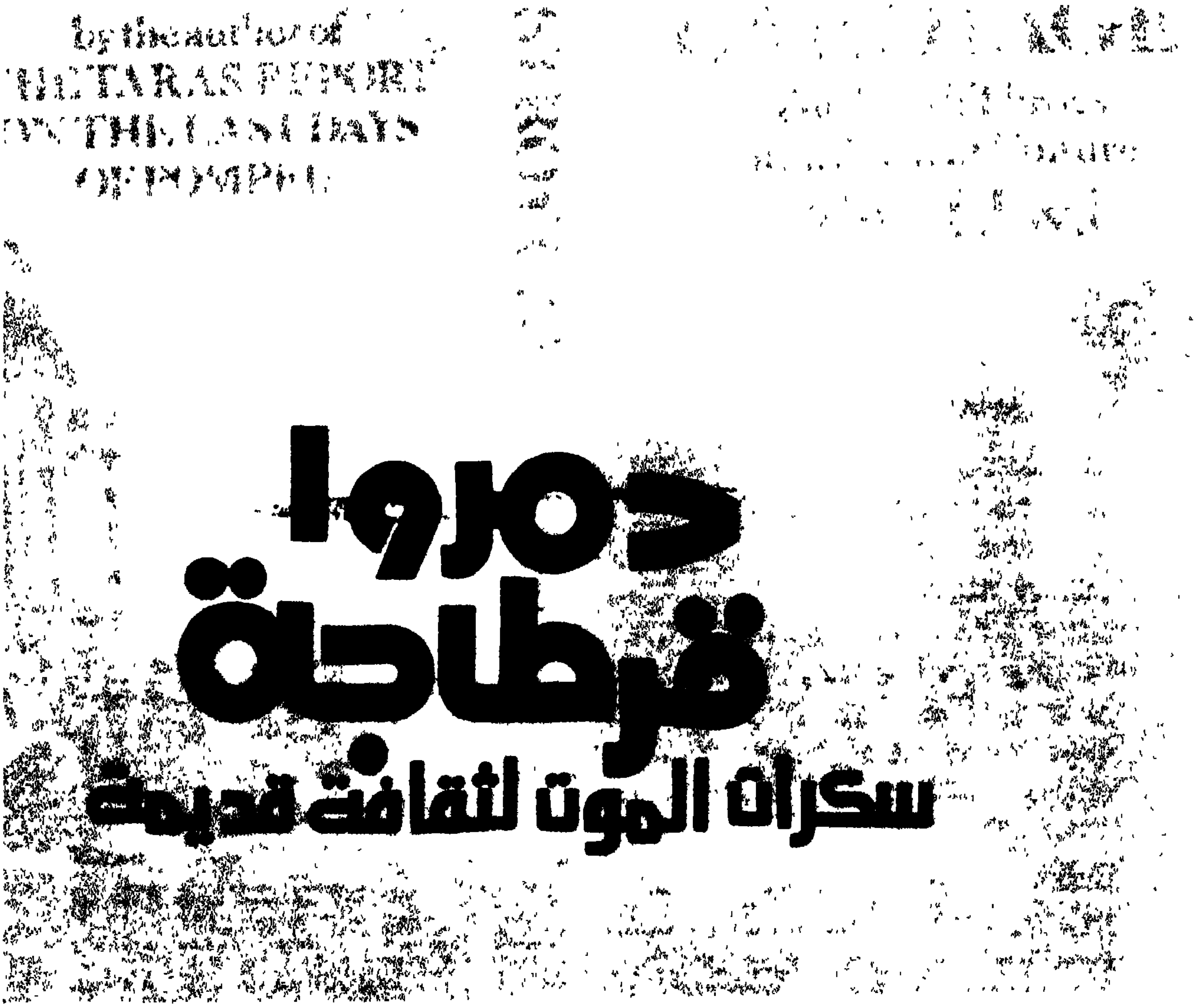
عبد الباسط عمرى
حلب

● ايضا ، قرات فى العدد ٢٣٥ تقرير الاستاذ الفاروق عبدالعزيز عن مهرجان بغداد الدولى الثالث لافلام فلسطين وتساءلت : لماذا لا تعرض هذه الافلام الوثائقية النضالية فى دور السينما العامة حتى يراها الشعب العربى فى كل مكان •

رسالة

ابناء يعرب فى السهول وفى البقاع العامرة
ابناء يعرب فى النجوع وفى البوادى الهاجرة
فوق الجبال على السفوح وفى الكهوف الغائرة
انى لاصرخ فيكم مثل الرعود الزائرة
فلقد منيت بحرقة فى القلب تهزم ثائرة
من هول مادهم البلاد من الخطوب الهادرة

محافظة الدقهلية/جمهورية مصر العربية
حسن على سليمان



تقديم : الدكتور صفاء خلوصي

● هذا الكتاب يهم العربي سليل الحضارات القديمة ، لما فيه من عبر وعظات ، ولأنه يذكره بماضيه العريق المجيد وبما خاضه من معارك في سبيل ثقافة متمايزة عظيمة في الشرق الاوسط · ليعلم بان النكسة او النكسات لا تزيد قوته الحضارية الا حدة وعراما ، فالفينيقيون من شعوب الشرق الاوسط وهم يمتون الى العرق السامي باكثر من نسب وقد كانوا اول من نشر الابجدية في العالم وحفز الانسان القديم على المغامرة في سبيل التوصل الى صلب الحقائق المجهولة،

والكتاب الجديد الذي بين يدي،بفصوله الثمانية (من القطع المتوسط) ،انما يرفع الستار عن آخر فصل عن هذه الدولة الجبارة العظيمة التي وصلت رحلاتها التجارية الى بريطانيا فمنحتها اسم «برتن» Britain او « برالتنك » لكثرة ما كانت تستورد من «التنك» او القصدير من اقليم كورنوول Cornwal ، في جنوب غربي بريطانيا ·

وكان الفينيقيون اول من توصل ـ في بعض

---

(١) تاليف آن لويد لندن (مطبعة سوفينير،١٩٧٧) ــ السعر : ٣ر٩٥ جنيه استرليني ·· والعنوان مقتبس من عبارة مشهورة للخطيب والقائد الروماني كاتو كان يختم بها خطبه عادة ونص العبارة : Delenda Est Carthago (يجب ان تدمر قرطاجة !) ·

الروايات ـ الى اكتشاف القارة الاميركية ،وكانوا الى ذلك معاربين ابطالا ومقاتلين اشداء ، فقد عبروا الالب على الفيلة بقيادة زعيمهم الخالد هانيبال او «حنا بعل » وباغتوا روما على غير ما كانت تتوقع ، ولكن القدر التاريخي الغاشم ابى الا انيفجا هذه الدولة البحرية العظيمةبالفناء التام على يد اعدائها وخصومها التقليديين : « الرومان » ... فقد تسلم الفنيقيون صولجان السيادة العالمية ليسلموه بدورهم الى خلفائهم « الرومان » . ولكن بعد ان تركوا اثرا لايمحى في تاريخ الحضارة العالمية والسيادة البحرية التي لا تجارى ولاتبارى الا في القليل النادر منادوار سلطان الامم التي دوخت الامصـار واكتسحت الاقطار .

قصة خالدة

ويبدو ان القصة الخالدة لهذه الدولة العظيمة لاتتقادم ولاتبلى . فكلما مر عليها عهد تصدى لها مؤرخ جديد ليلبسها ثوبا قشيبا وينظر اليها من زاوية جديدة ، وآخر من قام بهذه المهمـة الشاقة في آن واحد هو الن لويد Alan Lloyd فمن يكون ألن لويد هذا ؟ انه من مواليد لندن وقد تلقـى ثقـافة خاصـة ولكنـه قضى خمسـا وعشرين سنة عاكفا على الدراسات التاريخية ولاسيما السنوات الاثنتى عشرة الاخيرة التينشر خلالها خمسة كتب تاريخية وثلاث تراجم ، فضلا عن بعض الروايات الموضوعة ، وقد وضعت صحيفة « التايمز » اللندنية كتبه بين افضل مؤلفاتالعام المنصرم . وهو اليوم يحيا في حقل من حقـول مقاطعة كينت Kent بجنوب شرقي بريطانيا ، حيث يكتب ويؤلف مطلا على وادي روذر Rother Valley وقرطاجة التي يتحدث عنها دولة .. بل امبراطورية .. بل حضارة عظيمة قامت بالقرب من تونس الحالية بفضل الفينيقيين الذين جاءوا من صور بقيادة ملكتهم دايدو Dido (٢) .

بداية امبراطورية قرطاجة

لقد بدات قرطاجة سنة ٨١٤ ق.م كمستوطنة فينيقية ولكنها سرعان مـا اصبحت مدينة يعمها الثراء والرخاء ذات ابنيـة سامقـة وميناءين يتلقيان تجارة البحر الابيض المتوسط وبلـغعدد سكانها يومذاكالمليون نسمةوهو عدد كبير بمقياس العصور القديمة ، ولقد عدت قرطاجة حوالي سنة ٣٠٠ ق.م مركز امبراطورية عظيمة تشمل الساحل الافريقي للبحر الابيض المتوسط وسواحل اسبانيا ومالطة وكورسيكا وساردينيا وعمت تجارتهـا العالم المتحضر باسره .

ولقد كانت قرطاجة منافسة قوية لروما فكانت النتيجة ان اندلعت نيـران ثـلاث حروب عرفت بالحروب القرطاجية او الفينيقية Punic Wars وكانت الشرارة الاولى التي اشعلتهـا هي حق السيطرة على جزيرة صقلية واستمرت الحرب الاولى من ٢٦٤ الى ٢٤١ ق.م والثانية من ٢١٨ الى ٢٠١ ق.م والثالثة من ١٤٩ الى ١٤٦ ق.م

هانيبال قائد عبقري

وقد دحرت قرطاجة في الحرب الاولى وكذلك في الثانية ولم ينقذها من الدمار العاجل غير عبقرية

(٢) هكذا يلفظها الانكليز وقيل اسمهاديدون Didon ابنة بيلوس ، ملك صور . احبارها في (الابادة) لمرحيل ويقابل الاسم الفنيقـي(دايدو) بالعربية (وديدة) . والاصوب اسقاط «النون » التي اوردها صاحب « المنجد » في معجم الاعلام . ولهذه الملكة اسم ثان هو « اليسا » Eulissa او اليسار Elissar بمعنى « بهيجةأو مرحة » وقـد قيل أن هـذا هو اسمها الاصلي قبل وفاة زوجها وهجرتها الى قبرص ومن ثمالىشمالي افريقيا هربا من ظلم اخيها بيجماليون ، وقد وهمت الموسوعة البريطانية (ط ١٩٤٨ جـ ٤ص ٩٤٥) حين زعمت معنى (دايدو) « الشريدة او اللاحئة » agitive ، وقد ابتاعت « ديدو »قطعـة الارض التي بنت عليها مدينتها الجـديدة (وهذا ما تعنيه « قرطاجة ») من شعب ليبي ـنيبيقي كان يقطن المنطقة . وتزعم الاساطير ان « ديدو » لقيت « اينياس »(وهذا ما ترويه«الالياذة) ـاغرمت به . فلما فارقها بامر الالهة طعنت نفسها بخنجر على محرقة .. مؤثرة الا نتحار على فراقحبيبها !

هانيبال وهو من اعظم القادة وامراء البحر فى العالم وكان مولده عام ٢٤٧ ق٠م ٠ امضى ايام صباه وشبابه فى الخدمة العسكرية فى اسبانيا وتشرب بكره الرومان ذلك الكره الذى ملك عليه حواسه طوال حياته ، وعندما توفى والده هاملكار Hamilcar (٣) سنة ٢٢٩ ق٠م ٠ اعلن ابنه الشاب ، خلفا له وسرعان ما بدات سيرته الرائعة تتفتح امام الدنيا باسرها ، اذ ضم اجزاء شاسعة من اسبانيا الى سلطان قرطاجة واستولى على ساجنتوم Seguntum سنة ٢١٨ق٠م مما اثار حفيظة روما فاعلنت الحرب عليه ٠فسار هانيبال من توه الى ايطاليا ليقارع روما فى عقر دارها قاطعا جبال البيرنة الوعرة(بين اسبانيا وفرنسا) مدمرا جيشا رومانيا باكمله فىغاليسيا وقام بالعبور التاريخى المذهل لجبال الالب ، ذلك العبور الذى حاكاه فيه نابليون بونابرت اكبر المعجبين به بعد قرون ، وقد كلفته المغامرة آلاف الجنود ، وفقد فيها احدى عينيه ، ولكنه احرز اول نصر على الرومان فى تيسينس Ticinus اعقبه بفوز ساحق فى تريبيا Trebia ،واخذ يزحف نحو روما فكاد يفنى جيشا رومانيا عظيما برمته بالقرب من بحيرة تراسيمين Trasimene سنة ٢١٧ ق٠م ٠ ويفنى جيشا فى كانى Cannae سنة ٢١٦ ق٠م ٠

وفى السنة ذاتها امضى شتاء قارصا فى مدينة كابو Capua لينطلق منها بعد ذلك فيحارب لعشر سنوات متواصلة حروبا ضارية ولكنها لم تكن حاسمة ، اذ بدا النصر النهائى مستحيلا وتجنبت براعته الحربية الانحدار جهد المستطاع الى ان حلت الكارثة فى ميتورس Metaurus سنة ٢٠٧ق٠م اذ اقبل شقيقه هاسدروبال Hasdrubal من اسبانيا على راس جيش الى ايطاليا ولكنه قبل ان يستطيع اللحاق باخيه دحر وقتل فى المعركة ، ثم قطع رأسه وقذف به فى مخيم هانيبال ، مع ذلك كله فقد استمر البطل العظيم هانيبال فى القتال لأربع سنوات اخرى قتالا مريرا يائسا ، ولم يرغمه على العودة الى قرطاجة الا انباء غزو الرومان لبلاده وذلك سنة ٢٠٢ ق٠م ٠ وفى موقعة زاما Zama قابل هانيبال عدوه القديم اللدود سكيبيو (٤) Scipio والقى كل منهما نظرة اعجاب صامتة على صاحبه دون ان ينطق بحرف واحد ، فكان مشهدا تاريخيا فذا ولكن هانيبال آله الحرب الخالد كان قد بلغ ذروة مجده واخذ ينحدر بعد ان استنزفت الحروب المتواصلة قواه ، فدارت عليه الدائرة ، وغادر وطنه الى المنفى فى آسيا الصغرى حيث عاش فترة من الزمن ،وعندما طالبت روما بتسليمه اباها آثر الانتحار بالسم عام ١٨٣ ق٠م ٠ على الذله والاستخذاء والمهانة !

نهاية الامبراطورية ونهاية هانيبال

وتكاد تكون قصة حياة هانيبال التى سردناها بايجاز قصة قرطاجة ، ولكن (آلن لويد) لايكترث لها لانها لاتهمه فى قليل او كثير ،ما دام قدكرس كتابه لما بعد موقعة (زاما) ، مما يجعل الكتاب غامضا نوعا ما وعلى الاخص عند اولئك الذين لايلمون بالتاريخ الماما واسعا ٠

لقد عقد سكيبيو Scipio القائد الرومانى المنتصر فى معركة (زاما) معاهدة صلح مع القرطاجيين وكانت لقيلة البنود طالب فيها بتسليم اسرى الحرب والهاربين من الجيش الرومانى والفيلة التى استخدمها القرطاجيون فى حروبهم مع الرومان، وما كان لدى الاخيرين منها شىء (٥) والحق ان

---

(٣) هذا اسمه عند الرومان ، ومعناه فى لغته الفينيقية « حامى القرية » ويلاحظ التقارب فى النطق بين الاسمين(العربى) ٠

(٤) ورد رسم اللفظة فى « المنجد » (سقيبيون الافريقى) (ط ١٩٥٦ بتأثير اللغة الفرنسية/ Scipion E'Africain

ولكن النطق اللاتينى هو سكيبيو وهو النطق الذى اجمع عليه المثقفون البريطانيون والمعاجم الانكليزية خلافا لما ورد فى (المورد)للاستاذ منير البعلبكى (الطبعة الثانية عشرة ، بيروت ، ١٩٧٨ ، ص ٧٨ من معجم الاعلام الملحق به) وجاء رسمه « سيبيو » ٠

(٥) يقال ان الفراعنة سبقوا الفينيقيين فى استخدام الفيلة فى الحروب (راجع الموسوعة البريطانية، مادة قرطاجة) ٠

الفيلة كانت عاملا من عوامل خسارة هانيبال لمعركة زاما ، بقدر ما كانت من عوامل انتصاراته الاولى في ايطاليا ففي (زاما) هاجت الفيلة المجروحة وهاجت في صفوف الخيالة واحدثت فيها الفوضى والاضطراب •

ومن شروط الاستسلام المهينة الاخرى تسليم الاسطول القرطاجني الى روما باستثناء عشر سفن ، وطالب سكيبيو بالمال والحبوب مرتبات وطعاما لجيشه : اما التعويضات وغرامات الحرب فكانت باهظة جدا وتحتم دفعها بالفضة اقساطا على مدى خمسين عاما ، ومع ان المبلغ كان هائلا الا انه لم يكن مدمرا لدولة غنية عظيمة كقرطاجة ، الا ان اسوا ما في بنود الاستسلام التنازل عن مقاطعات تحت سيطرة القرطاجيين والامر بامتناع قرطاجة عن شن الغارات والحروب حتى في افريقيا ، الا باذن من روما ، وكان البند الاخير غامضا بشكل لم يتبين فيه ما اذا كان المنع ساريا كذلك على حروب الدفاع عند مهاجمة قرطاجة من قبل عدو خارجي ، هذا فضلا عما تكبدته قرطاجة من قتلى بلغ عددهم العشرين الفا ونحو هذا العدد من الاسرى الذين باعهم الرومانيون في سوق النخاسة او استخدموهم لاغراض اخرى •

من مصادر الكتاب

لقد قسم المؤلف كتابه كتابين في مجلد واحد وعقده على ثمانية وعشرين فصلا كانت الخمسة عشر الاولى من نصيب الكتاب الاول والثلاثة عشر الباقية للكتاب الثاني مردفا اياهما بسرد للمصادر (ص١٨٤ ـ ١٨٦) ويدعى المؤلف في الملاحظة البيليوغرافية Bibliographical Note التي توج بها سلسلة مصادره انه جعل من بعضها حكما عدلا في القضايا الخلافية التي تضاربت حولها الاراء وعلى رأسها : « تاريخ كمبردج للعصور القديمة Cambridge Ancient History و « روما ضد قرطاجة » (لندن ١٩٧١) من وضع ت• ا • دوري T.A. Dorey و • در • ددلي D.R. Dudley

وهو كتاب موجز ولكنه عصري الاسلوب ممتع و « الحياة اليومية في قرطاجة ايام هانيبال » Daily Life fn Carthage at the تاليف جلبرت بيكارد Gilbert Picard ، الترجمة الانكليزية عن الاصل الفرنسي بقلم اى•اى• فوستر A.E. Foster لندن ١٩٦١) ومن الكتب الممتعة التي اعتمدها المؤلف كتاب مزحف هانيبال Hannibal's March لجافن دي بير Gavin de Beer (لندن ١٩٦٧) وقرطاجة الفينيقيين Carthage of the Phoenicians تاليف م• دور M. Moore (لندن ، ١٩٠٥) و « سكيبيو الافريقي : جنديا وسياسيا »
Scipio Africanus, Soldier And Politician
من وضع هـ • هـ • سكالارد H. H. Scullard (لندن ١٩٧٠) وتراث هانيبال Hannibal's Legacy تاليف المؤرخ العظيم ارنولد توينبي (جـ ١ ، لندن ، ١٩٦٥) وهذه كلها من اصل ثمانية وثلاثين مصدرا رجع اليه الاستاذ الباحث آلن لويد •

مجلس الشيوخ الروماني يأمر بهدم المدينة

وقد تعاطف المؤلف مع موضوعه تعاطفا شديدا فهو ياسف للمصير الذي آلت اليه قرطاجة وحضارتها ، تلك التي اعطت الكثير واخذت القليل بما في ذلك مصيرها المأساوي الذي لا تستحقه ، ويشبه (آلن لويد) نهاية « قرطاجة » بنهاية « هيروشيما » فقد كان افناء قرطاجة افناء ماحقا ولم يكن هذا من راى القائد الروماني المنتصر سكيبيو ،وانما فرض عليه فرضا من قبل مجلس شيوخ روما الذي امر بنقض قرطاجة ودكها دكا ، فقد كان راى سكيبيو دحر اعداء روما والابقاء عليهم وعلى ديارهم في حالة انقياد وخضوع •

ولو سئلت رايي الشخصي في هذا الصراع المصيري لفضلت اندحار الحضارة الرومانية وانتصار منافستها القرطاجنية ، فقد كانت قرطاجة انفع للبشرية واقل قسوة واوسع نشاطا في شتى الميادين •• ولكن للقدر رايا كثيرا ما خالف المنطق وناقض الصالح البشري لامر لاندري كنهه •

يقول المؤلف في الاسطر الختامية لكتابه ماتت عبقرية قرطاجة ـ بموت مدينة قرطاجة التي انبثقت تلك العبقرية منها ، فالدولة التي كانت يوما ما عتلة التقدم التجاري للعالم الغربي بشكل لايبارى قد حلت بها الطامة الكبرى قبل انفجار اول قنبلة ذرية بـ ٢٠٩١ سنة » (ص١٨٣) •

المقاومة الرائعة ونهاية الفاجعة

والفصل الاخير من الكتاب فاجع محزن لا يكاد الانسان يقرأه دون أن تدمع عيناه فقد كان عدد نفوس قرطاجة عند بدء الحصار الذى دام ثلاث سنوات ٧٠٠ر٠٠٠ نسمة بما فيهم العبيد المعتقون ، وقد حمل السلاح من هؤلاء ثلاثون الفا دفاعا عن مدينتهم ، وصونا لحضارتهم ، وقد قتل عدد كبير منهم ، وفتكت المجاعة بعدد اكبر وتزعم الدفاع القائد « هاسدروبال Hasdrubal (٦) وقد احتل الجند الطوابق العليا من المباني العالية التي اصبحت شائعة في قرطاجة ، فقد كانت تبلغ ستة طوابق في كثير من الاحيان ، ودارت رحى المعارك الطاحنة من طابق الى طابق ومن شارع الى آخر وكان القرطاجنيون يسلطون الاضواء الكاشفة على الجنود الرومانيين الذين يهاجمون المدينة ويلقون بالنيران الملتهبة على رؤوسهم في الطرقات ، فقد كانت المقاومة في كل خطوة ،رغم المجاعة والهزال والضعف الذى اصاب الاهلين جميعا ، وارتعب الرومان امام هذه المقاومة الانتحارية ومناظرة البطولة المذهلة ، فكان الجنود كثيرا ما ينكصون على اعقابهم فتبعث القيادة مجموعات اخرى بدلهم فترتد هي الاخرى خائفة مذعورة امام بسالة الجرحى ومقاومتهم العجيبة ، وانسدت الطرقات والشوارع امام الجيوش الغازية باكداس من جثث القتلى فعينت القيادة الرومانية العليا فرقا خاصة لسحب الجثث من الطرقات ليفسح المجال امام الجيش ، ومضى يوم وهل فجر يوم آخر اعقبه فجر ثالث والمقاومة تزداد شدة وضراوة ، واضطر سكيبيو الى ادخال الخيالة الى المدينة وكان هذا اجراء فوق العادة نظرا الى ان المدينة كانت ذات تلول وبقي سكيبيو ساهرا على القيادة لايكاد ينام الليل طوال فترة الهجوم يتناول طعامه على ظهر جواده في اوقات غير منتظمة ، ووازى الغضب القرطاجي الوحشية الرومانية ، فكان الجنود الرومانيون يدخلون البيوت ويقذفون بالنساء والاطفال من اعالي السطح ويملؤون بالجرحى والموتى وحتى بالاحياء الخنادق ليعبر عليهم جنود سكيبيو ساحبين وراءهم معداتهم الحربية ، وامر القائد الطاغية باحراق المدينة ، وفي اليوم السادس من هذا العمل الوحشي النادر المثال في التاريخ ، وقف الوحش المنتصر سكيبيو متعبا مرهقا فوق تل من جثث الابرياء الذين ماتوا من اجل وطنهم ، واستعرض الحضارة العظيمة التي خدمت البشرية قرونا وقد غدت ركاما فدمعت عيناه .. لقد بكى سكيبيو ! أكان ذلك نتيجة تأنيب الضمير ؟ كلا فما للوحش من ضمير يؤنبه .. اذ التفت الى صديقه بوليبيس Polybius ،وهو ممسك بيده وقد آمن بان للدول والامبراطوريات اجالا كما للافراد الاعتياديين ، وقال له : « هذه لحظة رائعة يابوليبيس ، ولكنني خائف مرتعب من ان يوما كهذا اليوم سيدرك بلادي وان مصيرا كهذا المصير التعس سيحيق بروما ! » .

لقد صدقت نبوءة سكيبيو فقد انزل الله عقابه العادل بروما فشربت من الكاس التي سقتها لقرطاجة فاعمل فيها برابرة الهون Huns والقبائل الجرمانية والفاندال قتلا وحرقا وتشريدا ، مما لم يشهد له التاريخ نظيرا الا في قرطاجة « فما ظالم الا سيبلى باظلم ! »

هانيبال وزوجته بعد الهزيمة

لم يسجل التاريخ عدد قتلى الرومان في مجازر قرطاجه ولكن قتال الشوارع الضارى يكلف غاليا ولاسيما امام غلاة متعصبين لوطنيتهم ، فلابد ان روما ضحت بعشرات الالوف من جنودها لكسب هذه المعركة المصيرية .

ولمة مشهد ختامي في هذه المأساة لا يمكن ان ينسى ، فقد صعد سكيبيو وجنده الستين درجة الى معبد قرطاجه العظيم وقد اعتصمت فيه البقية الباقية من الجيش القرطاجي.هناك التقى سكيبيو وجها لوجه مع القائد القرطاجي هاسدروبال وزوجته واولاده ، وكان القائد في آخر مراحل القتال المرير وافق على الاستسلام لانقاذ خمسين

---

(٦) هذا غير (هاسدروبال) شقيق هانيبال الذي جاء على رأس جيش لنجدة أخيه في ايطاليا فلقى هناك مصرعه .

الفا من القرطاجنيين واكثرهم من الشيوخ والعجزة والاطفال الذين لايقوون على القتال، غير ان زوجته رفضت ذلك بكل اباء وشمم ، ولما قابلت سكيبيو قالت له : لا ادرى ايكما اجدر بالتهنئة • انت على وحشيتك الفظيعة ام زوجي على جبنه وخيانته؟ ثم احتضنت اولادها والقت بنفسها معهم وسط النار المضطرمة فى اسفل المعبد ، مفضلة الموت على عار الهزيمة

مسكين هاسدروبال فقد خانته قواه فى لحظاته الاخيرة فاستسلم واقتيد الى روما ليمضى هناك بقية حياته ويقول مؤرخو الرومان : انه لم يعدم، لان روما كانت تحترم الابطال من اعدائها وتبقى عليهم ولو كان ذلك حقا لابقت على اهل قرطاجة جميعا فقد كانوا كلهم ابطالا •

صفاء خلوصي

كتب وثقافة

تاريخ الفرقة الزيدية بين القرنين الثاني والثالث للهجرة

تاليف : الدكتورة فضيلة عبد الامير الشامي
الناشر/مطبعة الاداب ـ النجف الاشرف/العراق •

● دراسة مستفيضة عن فرقة الزيدية وهى فرقة من فرق الشيعة ذات عقائد ومبادىء تتميز بها وقد مرت عليها ظروف قاسية منذ نشاتها فى عهد الامام زيد بن على بن الحسين بن ابى طالب وقد اتخذت اليمن موطنا لها وشهد القرنان الثانى والثالث الهجريان صراعا سياسيا للفرقة خاصة ضد الدولة الاموية والدولة العباسية واستطاعت ان تنشر مذهبها فى سواحل بحر الخزر وبلاد الديلم والرى شرقا وفى الحجاز واليمن، ويوضح الكتاب ما لعبته من دور فى تاريخ العالم الاسلامى كما يمثله صراعها الطويل ضد حكم الامويين والعباسيين الى ان استقر بها المقام فى ارض اليمن وذلك فى بداية القرن الثالث للهجرة •

وقد تناولت المؤلفة البحث فى هذه الفرقة من وجهين : احدهما سياسى ، والاخر عقائدى ، لان اساس وجود هذه الفرقة فى الواقع كان سياسيا كما كان دينيا ،وان ائمتها هم رجال علم وفقه ورجال سياسة وحرب معا •

وتتكون الرسالة من اربعة فصول الاول موضوع الشيعة من حيث نشاتها الدينية واصولها وعقائدها واهم فرقها، ثم جذورها التاريخية وصراعها السياسى ضد الحكومات القائمة • اما الفصل الثانى فيتناول نشوء الحركات الزيدية فى القرن الثانى للجهرة بظهور زيد بن على على المسرح السياسى واعلان الدعوة الزيدية والصراع بينها وبين الدولة الاموية والعباسية مثل حركة محمد النفس الزكية واخيه ابراهيم بن عبد الله ، والفصل الثالث يدرس تطور الحركات الزيدية وتوسعها فى عهد امامها محمد بن ابراهيم ابن طباطبا وخروج دعاته الى الحجاز ومصر واليمن والبصرة ثم وصول الدعوة الى اليمن فى عهد الهادى بن الحسين واستقرارها فيه • اما الفصل الرابع والاخير فيتناول اصول الفرقة الزيدية : عقائدها وطوائفها المختلفة كالجريرية والجارودية والبترية •

اعلام الاصلاح فى الجزائر

تاليف : محمد على دبوز
الناشر : مطبعة البعث ـ قسنطينة ـ الجزائر •

● يقع هذا الكتاب فى جزءين كبيرين ، ويتحدث عن رجال الجزائر واعلامها من المصلحين وحملة نهضة الجزائر الحديثة ، لان تاريخ هؤلاء الاعلام هو تاريخ العلماء

والمصلحين الذين قامت على اكتافهم نهضة الجزائر الحديثة والذين ساروا في طريق الاصلاح بل ان معظم الكتاب ابواب مهمه في تاريخ الجزائر الحديثة لم تنشر قبل في كتاب .

وقد بدا المؤلف كتابه بدراسة وترجمة لحياة الشيخ مبارك الميلي والشيخ العربي التبسي لانهما متشابهان في الشخصيه والنشاة . كما تحدث عن الشيخ البشير الابراهيمي والشيخ توفيق المدني وغيرهم من اعلام الاصلاح في الجزائر في الشمال والجنوب .

ان تاريخ اعلام الاصلاح في الجزائر تاريخ للامه الجزائرية كلها ولا سيما انضموا الى ايديهم وكانت معهم في جهادهم التربوي والاصلاحي والعلمي وغيرها . وقد توسع المؤلف في ذكر العامل التربوي للمصلح الذي درسه لانه يعتقد ان العامل التربوي من اهم ما يجب أن يعتني به المؤرخ فالجهود التربوية علامات بارزة تبرز جوانب جهادهم ومآثرهم المرئية وتوضح كذلك جوانب التربية الاسلامية التي تمسك بها هؤلاء الاعلام . ويذكر المؤلف ان والده كان له تاثير كبير وحافز قوي في دفعه لتاليف هذا الكتاب فقد كان يحدثه عن هؤلاء الاعلام في حب شديد لهم واعجاب كبير بصلاحهم وعلمهم وجهادهم فرسمهم مثلا عليا في نفسه فنشا المؤلف شديد الحب لاعلام الاصلاح عظيم الاعجاب بهم كثير الاهتمام بتاريخهم .

وقد بدا المؤلف بذكر تاريخ بعض الاحياء من اعلام الاصلاح كما درس طائفة اخرى من المصلحين المعروفين امثال الشيخ عبد الحميد بن باديس والشيخ الطيب العقبي والشيخ بيوض والشيخ ابي اليقظان والشيخ سليمان بن الحاج داود وغيرهم .

طه حسين حياته وفكره
في ميزان الاسلام

تاليف : أنور الجندي .

الناشر : دار الاعتصام / القاهرة .

● هذا الكتاب يضم مدخلا الى موضوعه ، ثم ثلاثة ابواب، في كل باب عدة فصول ، ثم خاتمة . والمدخل يبدا بتاريخ الفترة التي لمع فيها الدكتور طه حسين عقب الضجة التي اثارها نشر كتابه « في الشعر الجاهلي » سنة ١٩٢٦ ، حتى ادى الامر الى محاكمته قضائيا ثم تبرئته مع مصادرة كتابه ، وقد اشار المؤلف هنا الى الكتب والبحوث التي ظهرت لنقض هذا الكتاب واسمائها، مع الاشارة الى كتب وبحوث اخرى بعضها تناول فكر الدكتور وآراءه وحياته ، وبعضها في نقض هذه الآراء .

وفي الباب الاول خمسة فصول تتناول مطلع حياة الدكتور ، ورحلته الى اوربا، وآراء المستشرقين التي تبناها، ومتابعته للفكر الغربي في بعض آرائه الادبية ، والاتجاه السياسي الغربي في شئون السياسة .

والباب الثاني يوضح المرحلة التي نضج فيها الدكتور وتالق، وفيه فصلان اولهما عن الدكتور حين كان في الجامعة ، والثاني عنه حين انتقل الى وزارة المعارف (التربية) وقد تناول الفصل علاقة الدكتور بالازهر، ثم سيرته في وزارة المعارف ، ثم صلاته بالصحافة والسياسة الحزبية في مصر ، ثم موقفه من الملك ، ثم سيرته في المجمع والجامعة العربية ، ثم افكاره في محاضراته والمؤتمرات التي شارك فيها .

والباب الثالث في آراء الدكتور وصراعه مع رجال جيله ، وفيه خمسة فصول : اولها في آراء الدكتور ، والثاني في طريقته في البحث، والثالث في ظاهرة التحول والتناقض في بعض سيرته وآرائه ، والرابع في اسلوبه وادائه الفني ، والرابع في استجوابه قضائيا عند اخراجه كتابه في الشعر الجاهلي » .

واخيرا تاتي الخاتمة وفيها يشير المؤلف الى ان كتابه لدراسة حياة الدكتور وادبه، يعتمد على الوثائق ، والمؤلف يقدمه للقارئ الذي لم يعاصر الدكتور فلم يعرف ما وراء مواقفه واتجاهاته الادبية والسياسية والدينية والعلمية من خلفيات مستورة ، والكتاب يحوي كثيرا من هذه الخفايا التي لم يجتمع مثلها في كتاب قبل .

نزهة العقل الذكي

مسابقة العدد

■ مسابقة هذا العدد هي « الكلمات المتقاطعة » .. والمطلوب ايجاد الاجابات الصحيحة لها وارسالها الينا .. ويمكنك اعانة رسم مربعات الكلمات المتقاطعة على ورقة مستقلة ، حتى لا تشوه صفحة العدد بقطعها منه .. أما الكوبون المنشور في أسفل الصفحة المقابلة ، فمن الضروري ان يرفق بالاجابة حتى تفوز بواحدة من الجوائز التي مجموعها ١٠٠ دينار تمنح على الوجه الآتي :

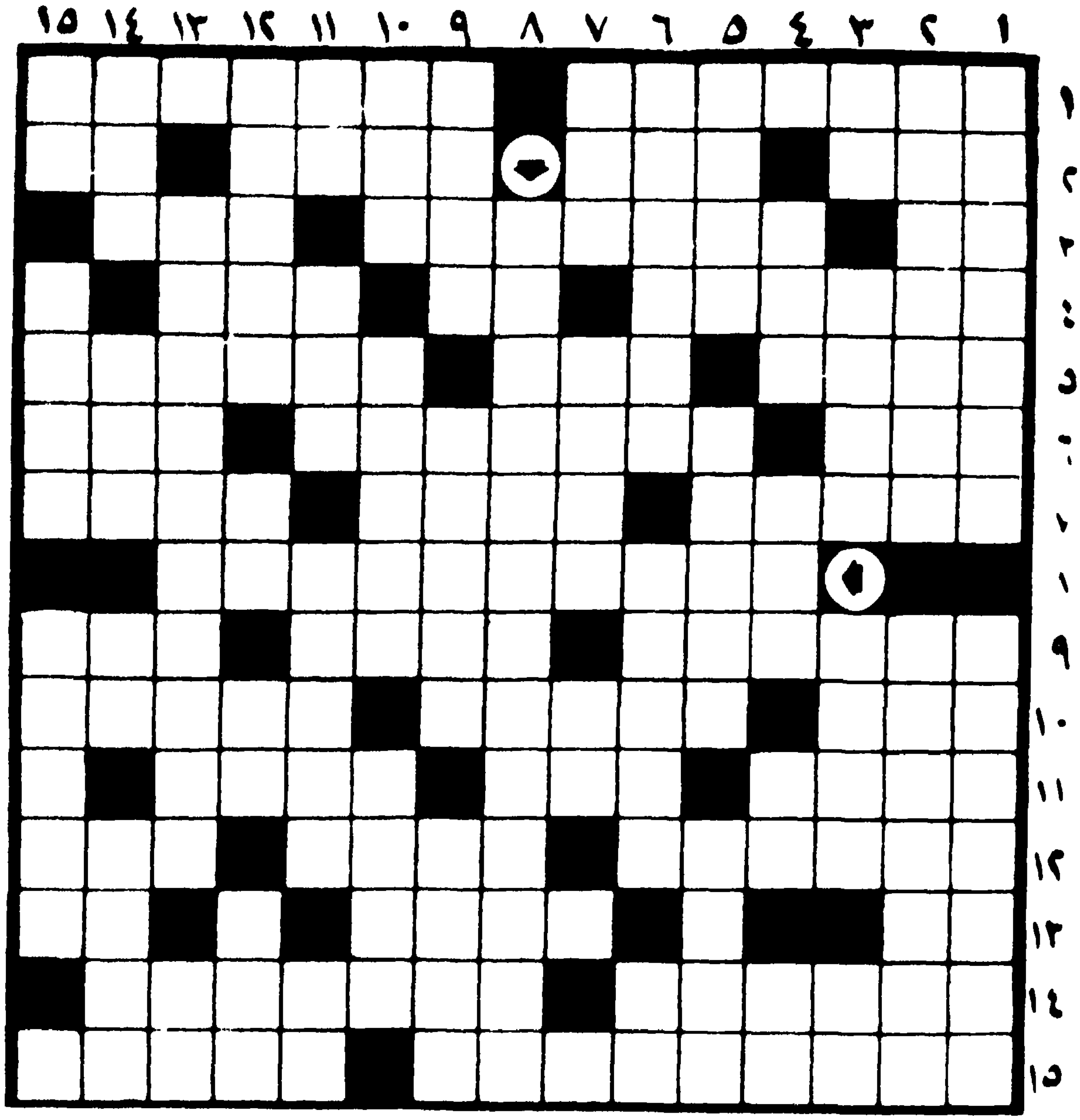
الجائزة الاولى ٣٠ دينارا ـ الجائزة الثانية ٢٠ دينارا الجائزة الثالثة ١٠ دنانير و ٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا كل منها ٥ دنانير .

ترسل الاجابات على العنوان التالي : مجلة العربي صندوق بريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد ٢٣٩ » وآخر موعد لوصول الاجابة الينا هو اول ديسمبر (كانون أول) ١٩٧٨ .

اذا استطعت حل مسابقة الكلمات المتقاطعة ، ستجد في (٨) أفقيا اسم رأس متكلمي المعتزلة ، كما ستجد في (٨) رأسيا اسم شاعر غزل ماجن .

كلمات أفقية :

(١) في العين ـ حيوان منقرض .
(٢) حرف عطف ـ كلام ـ أرخى ـ أحصى .
(٣) حرف جر ـ من جزر الفلبين الكبرى ـ مشى .
(٤) مكانتهم ـ حرفان متشابهان ـ لصناعة النسيج .
(٥) لغة ـ نقص عقلي ـ مولد كهربائي .
(٦) عش ـ عالم ايطالي وضع اسس علم التشريح المجهري ـ كلام خفيض .
(٧) مصدر التشريع ـ الفارق الى الابد ـ غرض .
(٨) راس متكلمي المعتزلة .
(٩) فلسفة ورياضة من الهند ـ في الذرة ـ من الاخشاب .
(١٠) رخو ـ قطر عربي ـ حالية .
(١١) تقطع ـ استشعار الخوف ـ ثمين .
(١٢) مكتشف جغرافي قام باول رحلة بحرية حول العالم ـ حيوان ـ موت .
(١٣) في الفم ـ اظل ـ لفظة الم .
(١٤) اجاوز الحد ـ خيالاتهم .
(١٥) من بين الاحياء المائية ويستخرج منه العطر ـ وحدة قياس مسافات .



كلمات رأسية :

(١) الاسم الرمزى لعملية الغزو البريطانى لأوروبا فى الحرب العالمية الثانية ـ حيوان برمائى •

(٢) من سلالات الدجاج ـ من أكبر المعارك البحرية فىالتاريخ بين الاتراك والأوربيين•

(٣) لقب كاتب ساخر من أصل ايرلندى ـ كسدت ـ يقدم انجازا ـ قضيت •

(٤) ظهر ـ حروف متشابهة ـ نصف كلمة (شارل) ـ حرفان متشابهان •

(٥) من اعضاء الجسم ـ غلايات ـ أغير •

(٦) يكسبها ـ الاسم الشائع لاستيارات الصوديوم ـ نصف كلمة (صقيع) •

(٧) من الانبياء ـ مؤذن الرسول ـ نصف كلمة (نجوع) •

(٨) شاعر غزل ماجن •

(٩) ملك فارسى قديم ـ يفقدون عقولهم ـ طيور جارحة •

(١٠) تجدها فى كلمة (يساوى) ـ شربا ـ هدف •

(١١) نظير ـ اعتزم ـ عاصمة آسيوية ـحرفان متشابهان •

(١٢) السياج ـ حرف استفهام ـ للتعريف ـ رجاء •

(١٣) شاعر مصرى ورئيس ديوان الانشاء فى العصر الأيوبى ـ ضمير •

(١٤) شاق ـ يعبر ـ حرف نصب ـ جارح •

(١٥) اجاب ـ اليق ـ خاتمة •

كوبون مسابقة

فيلسوف وعالم رياضى انجليزى

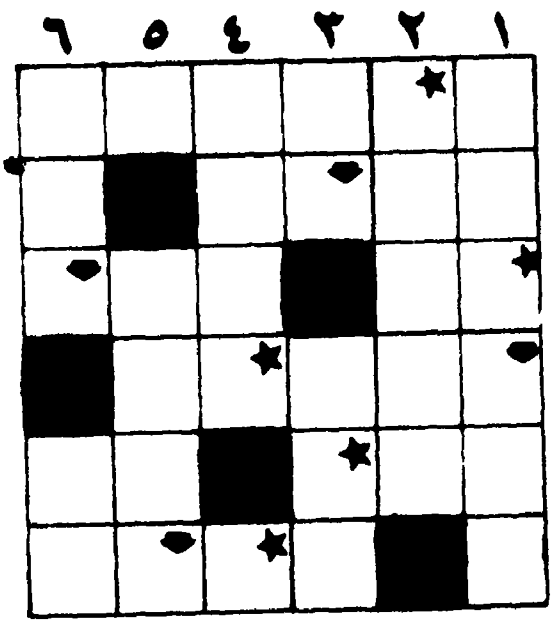
ابدأ أولا بحل مسابقة الكلمات المتقاطعة ، بعد ذلك انقل الحروف التى فى المربعات التى بها الاسهم ، ورتبها بحيث تصنع الاسم الاول لفيلسوف وعالم رياضى وفلكى انجليزى مشهور • ثم انقل الحروف التى فى المربعات التى بها النجوم ، ورتبها بحيث تصنع لقبه •

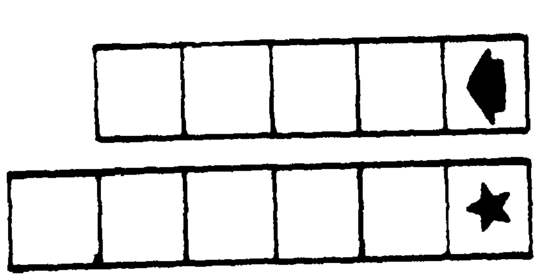
الكلمات الافقية :

(١) مدينة فلسطينية مقدسة •
(٢) اخفض صوت بين النساء •
(٣) نصف كلمة (تابى) ـ فى المدرسة •
(٤) كبثلثى •
(٥) من الاشجار ـ رمز جبرى •
(٦) اتجـــاه •

الكلمات الرأسية :

(١) من المواليــع •
(٢) شهر ميلادى •
(٣) نصف كلمة (تاسر) ـ من الاشجار •
(٤) عاصمة اوربية •
(٥) من عناصر المناخ •
(٦) من الاحجار الكريمة ـ مقام موسيقى •







ذيل الثعبان

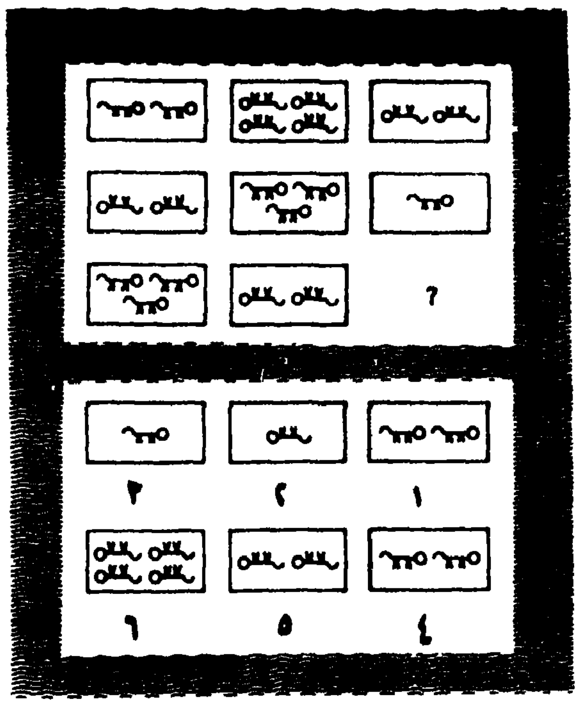
كان الرجل يعيش من بيع الثعابين لحديقة الحيوانات • وذات يوم وجد مجموعة من الثعابين متكومة كما فى الرسم • وكان عليه ان يعرف ذيل الثعبان الذى يظهر رأسه فى وسط الرسم •• فهو يعرف انه لو جذب الذيل الغلط ، فسيطل عليه راس ثعبان مختف لا يراه ويلدغه ••

فهل تستطيع أن تعرف ذيل الثعبان الذى يظهر رأسه ؟••

● استاذ نبيه يسال ●

ماهو عمر زوجتي ...

قال الاستاذ نبيه لصديقه « هل تعلم انعمرى هو نفس عمر زوجتي هذا العام .. » . فظهرت الدهشة على وجه الصديق، وهنا استطرد الاستاذ نبيه قائلا « اعلم سر اندهاشك .. فانت تعرف ان زوجتي اصغر مني، لكن ما اعنيه ان الارقام التى يتكون منها عمرى ، هى نفس الارقام التي يتكون منها عمر زوجتي .. واذا جمعت عمرى الى عمر زوجتي ، فان الناتج سيساوى ١١ مرة الفرق بين عمرينا .. فهل تستطيع ان تعرف عمر زوجتي ... » .



الشكل المطلوب

من دراسة العلاقة بين الاشكال التى فى الصفين العلويين ، حاول ان تعرف اى الاشكال ذات الارقام يمكن ان يحل محل علامة الاستفهام..

النجمة والسهم :

اسحق نيوتن .

★ ★ ★

استاذ نبيه يسال :

عمر الاستاذ نبيه ٥٤ سنة ، وعمر زوجته ٤٥ سنة . وهكذا يكون مجموع العمرين ٩٩ سنة ، ويساوى ١١ مرة الفرق بين العمرين .

★ ★ ★

الشكل المطلوب :

رقـم ٢ .

★ ★ ★

متاهة :

الذيل المطلوب هو الايسر فى اسفل الرسم.

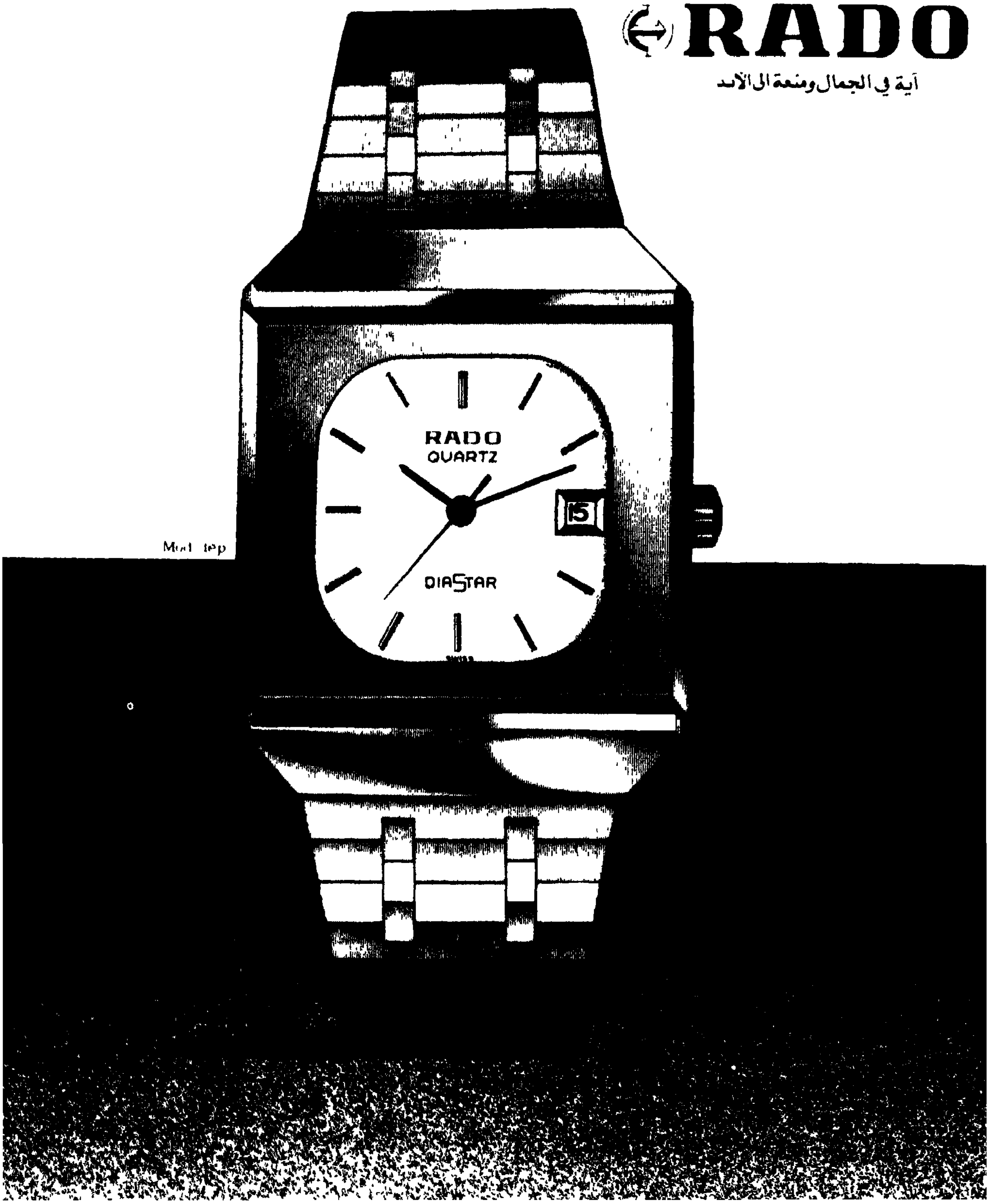


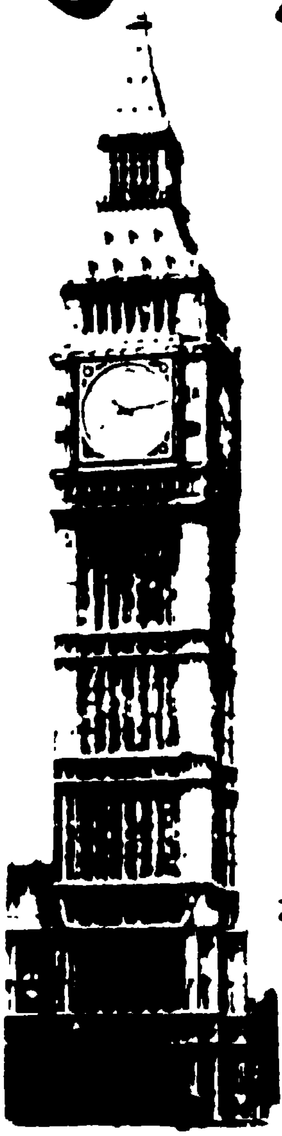
دليل الزمن

هناك أناس يسهمون في تحديد الموضات والميول الشائعة وممن يتصرفون ويتحدون القرارات ولا يقلدون عامة الناس،
أناس في الطليعة . يقررون الأمور المتعلقة بهم وبالآخرين عالماً لمثل هؤلاء . أبدع رادو جيلاً قائماً في حد ذاته
من الساعات المقاومة للخدوش والرقيقة المسطحة جداً طراز لا تجده الا عند رادو . مبدع هذه التصميمات الفردية
التي لا تخضع للمواصفات الشائعة والموجهة الى أصحاب الميول المماثلة

RADO

آية في الجمال ومنعة الى الأبد







فكّـــــر ...

ان سعر الشراء مهم ولكنه ليس كل شيء. فكر بكافة التكاليف التي تغطي طوال عمر الرافعة الالية لكي تستطيع تقرير ما هو الانفع لك. تكاليف التشغيل بما فيها قطع التبديل والتصليح، كلفة ساعات التعطل عن العمل وتأثير العمر في السعر إذا رغبت بيع الآلة.

تتصف رافعات الكاتربلر ببساطة الصيانة مما يسهل تفقدها. فهي مصممة بحيث لا تتضمن إلا الحد الأدنى من نقاط التفحص. وتجمع هذه النقاط سوية كلما أمكن ذلك مما يحقق الوصول السريع اليها كلها. وهذا كله يوفر اموالك على المدى الطويل.

كما انك لا تتعرض للخسارة اثناء انتظار وصول قطع التبديل او نتيجة اضطرارك لتخزين هذه القطع. فموزعو كاتربلر يهدفون الى توفير مخزون من القطع التي قد تحتاج اليها. ويعني ذلك بالنسبة لك استثمار اموال أقل وتخفيض ساعات التوقف عن العمل.

وإلى جانب ذلك فان موزعي كاتربلر يقدمون برامجا خاصا لمنع تعطل الآلة عن طريق اكتشاف المشاكل المحتملة قبل حدوثها. وكل ذلك جزء من خدمات « كاتبلص ». وهي برنامج الدعم الشامل المعد لمساعدتك لتحقيق افضل مردود مما تنفقه من مال في استثمارك للعربات الرافعة.

فكر بالصورة الاجمالية قبل ان تتخذ القرار. الرافعة المناسبة ذات الكلفة الأجمالية المخفضة.

توجد ٤٦ نوعا مختلفا تتراوح قدراتها بين ١٠٠٠ و ٢٧٣٠٠ كغم وهي تعمل على الكهرباء او الديزل او البنزين أو الغاز المعطي المسيل

[illegible]

CAT, CATERPILLAR

تصنع شاحنات ميتسو بيشي كنتر الخفيفة لاحمال الخدمات الشاقة.
انها تختبر وتجرّب لملاءمة أحوال العمل في الشرق الأوسط. مع خدمة ممتازة بعد الشراء يقدمها لكم موزع كرايزلر في منطقتكم.

شاحنات كنتر سهلة القيادة. ذات مقصورة ومعدات شبيهة عما تجدونه في السيارات العادية.

إنها سهلة التحميل. ويوجد أنواع مختلفة من الأجساد يمكنكم الاختيار منها كما يمكن تقديمها على هيئة شاسي ومقصورة فقط.

تتوفر باطارات مفردة أو مزدوجة في الخلف.
وبمحركات بنزين أو ديزل.

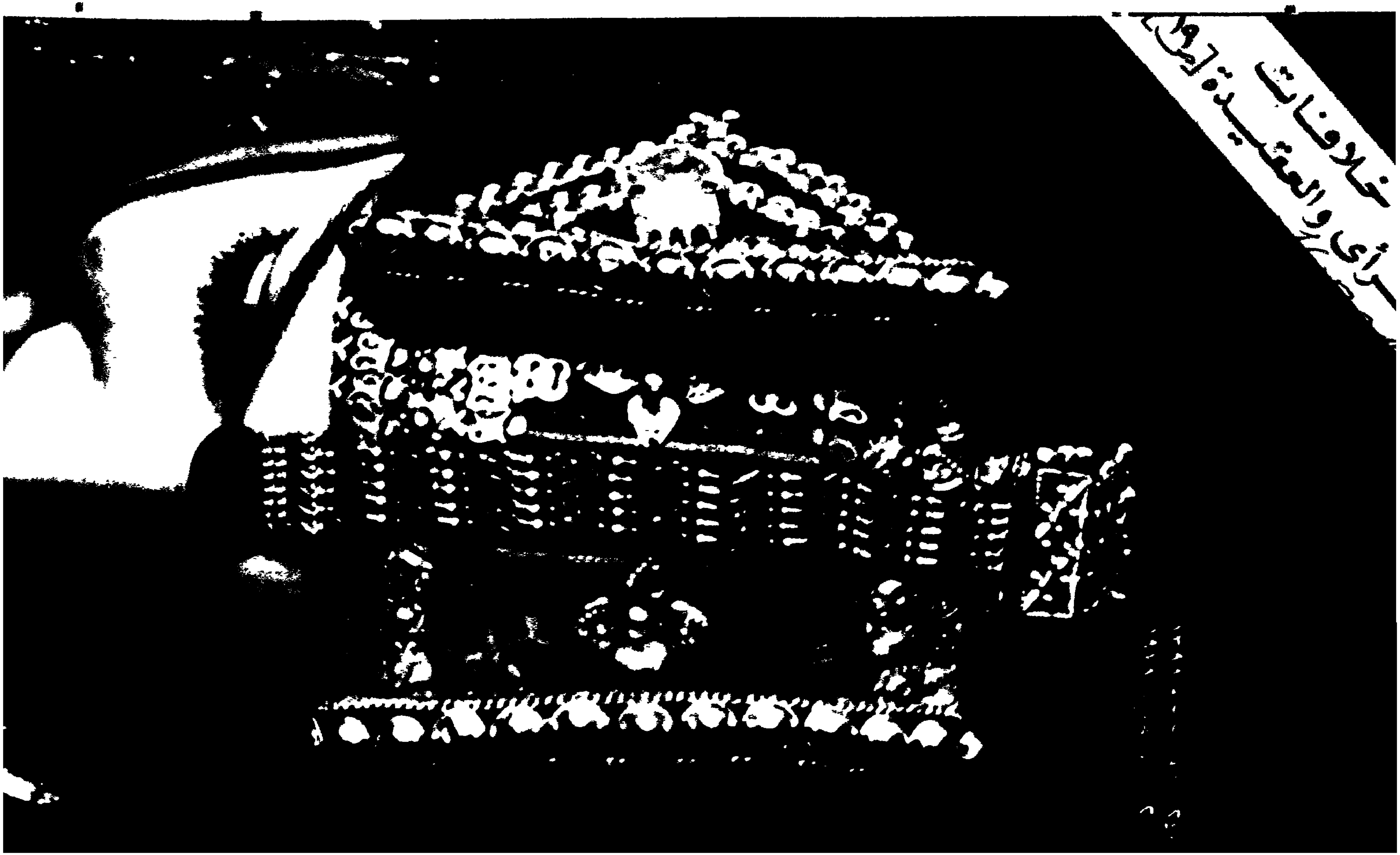
شاهدوا وجربوا مجموعة كنتر في محلات موزعي كرايزلر في جميع أنحاء الشرق الأوسط



كرايزلر
انترناشيونال



باركر ٥٠
مفهوم مثير في تصميم الأقلام. فالقالب الأمامي
والرأس حضرا معاً في قطعة واحدة من الفولاذ
الذي لايصدأ. يتوفر في طرازين جذابين.
الأول من فولاذ ناعم لايصدأ والثاني
طلي بمادة الأيبوكسي الجذابة. كما
صقل مشبك الاثنان بالذهب. ويتوفر
مع الطرازين قلم حبر جاف وقلم خرطوش
باركر ٥٠ يقدم لك الجودة التي
لاتقدمها سوى أقلام باركر.
PARKER
50


خلافات
والعقيدة

عزيزى القارئ

يقبل عيد الاضحى هذا العام ومحنة الامـة العربية بلغت ذروة لم تبلغها منذ هزيمة ١٩٦٧ ، عندما هزت الصدمة كل الاعماق بعنف ، وتارجحت امتنا شهورا طويلة مرة بين الياس والرجاء ، بينما ظلت الاصوات تتنادى بهاتف كالانين : ماالعمل؟

الآن نكرر النداء : مالعمل ؟

عند الانظمة العربية اجابات مختلفة ، وهذا جزء مـن المحنة ، وعند الجماهير العربية ، لا اجابة على الاطلاق ، بـل حيرة قاتلة ، وشعور مماثل يتارجح بين الياس والرجاء ٠

ليست لدينا «اجابة واحدة» اذن ، والاجابات المتوفرة بعضها مرفوض ، وبعضها يمضى فى غير الاتجاه الصحيح ، وبعضها يداعب احلاما ولا يلمس واقعا ٠

ورغم ان القضية ليست من ذلك الطراز الذى يمكن ان تحسمه كلمة او رسالة على صفحة فى مجلة . الا اننا ازاء الظلمة الجاثمة لانملك الا الدعوة الى العودة الى البديهيات والمسلمات٠

واحدى هذه البديهيات ان نبحث عن قيمة واحدة نلتزمبها٠ عن راية واحدة نقف فى ظلها ٠ ونحن مازلنا نعتبر ان رايـة القومية العربية هى مايجب ان نستظل ونحتمى به وندافع عنه ٠

قلناها منقبل، وهانحننقولها مرة ثانية وثالثةوعاشرة: ان الخطر الذى يستهدف كيان الامة العربية لا سبيل الى صده الا بالتمسك بالقومية العربية ٠

اما اذا كانت هذه البديهية محل خلاف . فعندئذ تصبـح المحنة اكبر مما نتصور ٠

ولنفكر معا فهذا مستقبلنا فى مهب الريح ٠٠ ■■

المحرر

العربي

رئيس التحرير : أحمد بهاء الدين

القسم العام :

■ حديث الشهر : حكايات متفرقة : هل بدأت الحرب الثالثة ؟ ـ معنى الازمة عندهم وعندنا ـ وبالمناسبة : لا شيء يحدث في السويد ! ـ بندول الساعة ! والمرأة من الصين .. الى اوروبا ـ أحمد بهاء الدين ٩

■ نحو وجدان جديد ـ د . عون الشريف قاسم ١٢

اسلاميات :

■ الشريعة الاسلامية في صيغة معاصرة « دراسة خاصة للعربي » : خلاف الرأي والعقيدة ليس حربا على الله ورسوله ـ محمد فتحي عثمان ١٨

■ موقعة جزائرية لاكتشاف الذات ـ فهمي هويدي ٣٢

■ للمناقشة : كلام في العدل : عن الفقر والكفر ! ٤٤

■ حجاج منذ الازل : الوثنيون والذين عرفوا الله ـ طه الشيخ الولي ٥٣

استطلاعات :

■ اعرف وطنك أيها العربي : عمان « الطيور المهاجرة » وماذا صنعت بعد عودتها ؟ ـ سليم رسال ٧٢

طب وعلوم :

■ غسيل المخ .. الاسرار والثمار ؟ د . ماهر الهواري ٣٩

■ رحلة قطرة الحليب نموذج لاعجاز القرآن ـ د . محمد مروان السبع ٤٩

■ اسماك تدير مصحات للعلاج في البحار ـ د . عبد المحسن صالح ٦٥

■ أساء الطب والعلم : ملح الطعام وارتفاع ضغط الدم ـ نبات كندي يبشر بالشفاء من الانزلاق الغضروفي ـ شركات التبغ العملاقة ـ سويسرا تسهم في رفع معنويات المقعدين اعداد يوسف زعبلاوي ١٠٥

■ دليل الام في نظافة طفلها الرضيع ـ د . محمد صادق زلزلة ١١٦

■ طبيب الاسرة : اللولب كمانع للحمل ـ نفث الدم من الرئة ـ بولينا الدم ـ ... ١٢٢

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

تصدرها وزارة الاعلام بحكومة الكويت

والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABI — No. 240 November 1978 — P. O. Box 748 KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٤٢٧١٤١ تلغرافيا « العربي »

الاعـــــلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات

المراســـلات : تكون باسم رئيس التحرير

المجلة غير ملتزمة باعادة أي مادة تصلها للنشر





جهازنا الهضمي

فى اليوم الواحد ، ومن شأنها ان تستوفى حل ما بدأ حله فى المعدة او الفم وتحل ما لم يبدأ حله هنا او هناك ٠

من هنا كان الدور الخطير الذى يقوم به المعاء الدقيق فى عملية هضم الطعام٠

اما افرازات الكبد ، وهى ايضا تصب فى المعاء الدقيق فليست أنزيمات ٠٠ انها الصفراء ، تفرزها الكبد بمعدل ٤٠٠ ـ ٨٠٠ سنتيمتر فى اليوم الواحد، وتختزنها الحويصلة الصفراء وتعمل هذه الصفراء فيما تعمل على استحلاب الدهن او اعداده بحيث يسهل على انزيم المعاء الدقيق حله الى جلسرين وحوامض عضوية ويسهل على الجسم بالتالى امتصاصه ٠

على ان المعاء الدقيق لا يقوم فقط بالنصيب الاكبر فى عملية الهضم ولكنه يقوم ايضا بامتصاص الطعام بعد هضمه ٠ ويتم هذا الامتصاص بواسطة الشميرات الموجودة فى جدرانه ويقدر عددها بنحو ٥ ملايين شميرة ٠٠٠

فامتصاص الطعام اذن من اختصاص المعاء الدقيق ٠٠٠ علما بأن الكحول يتم امتصاص بعضها عن طريق المعدة ٠٠٠ والماء يتم امتصاص اكثره عن طريق المعاء الغليظ ٠٠٠

المعاء الغليظ : وهنا ايضا نقول معاء لا امعاء ٠٠ لانه انبوبة واحدة ، يبلغ طولها نحو ٥ اقدام ٠٠ ويسمى ايضا بالقولون وهو ثلاثة اجزاء قولون صاعد وقولون مستعرض وقولون هابط ٠٠

اما المصران الاعور ، وقد سمى كذلك لانه مسدود الاسفل ، فهو جزء من القولون الصاعد ٠٠ أوطا جزء منه ٠٠واما الزائدة الدودية فتوجد بطرف المصران الاعور ٠٠ ويبلغ طولها اربع بوصات ٠٠

ولا يوجد فى المعاء الغليظ أىانزيمات ٠٠ ولكنه يفرز الكثير من المواد المخاطية ليسهلمرور الفضلات الى الاستوخروجها من الجسم ، وذلك بعد ان تقضى فى المعاء الغليظ مدة طويلة قد تصل الى ٢٤ ساعة ٠٠٠

بيلى : اللؤلؤة السوداء نجم كرة القدم الاول

(بقية)

الرياضة وأحرزوا فيها تفوقا مرموقا فى الالعاب الاولمبية شذوا على القاعدة بالنسبة الى لعبة كرة القدم أو كما يسمونها ، لعبة « السوكر » ٠ ويبدو أن بيلى ساعد كثيرا على ترويج هذه اللعبة فى شتى مدن الولايات المتحدة ٠٠٠ وساعد بالتالى على تخلص هذه الدولة الرياضية مما يعتبره البعض وصمة عار فيجبينها٠٠اللامبالاة باللعبة الرياضية الاولى فى العالم أجمع ٠٠ لعبة كرة القدم ٠ التى بلغ اهتمام بعض الدولبها حد الهستريا والتىأحرزت اهتمام الدول كافة باستثناء دولة واحدة هى الولايات المتحدة الامريكية ٠٠

الاشتراكات ... ... للتوزيع وعنوانها ... الصحافة/القاهرة/مصر
١ ـ الشركة العربية للتوزيع وعنوانها ٠ ٧ شارع الصحافة/القاهرة/مصر
٢ ـ مؤسسة توزيع الأخبار وعنوانها ... جمهورية مصر العربية ٠ للمشتركين فى جمهورية مصر العربية ٠

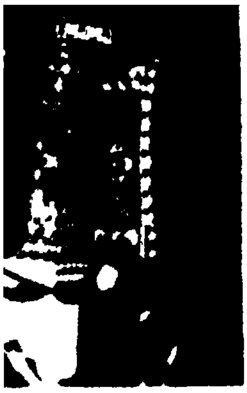
العربي الصغير

اعداد يوسف زعبلاوي

ملحق للعربى بالمجان العدد ٢٢٧ ـ ذو القعدة ١٣٩٨ هـ ـ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٨



الاعـــلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات
المراســـلات : تكون باسم رئيس التحرير
المجلة غير ملتزمة باعادة اى مادة تقدمها للنشر



صورة الغلاف :

■ يعيش المجتمع العماني فترة اخذ وعطاء بين القديم والحديث .. فقد عاد المغتربون العمانيون الى بلادهم حاملين افكارا جديدة لمجتمع عاش منغلقا لفترة ٤٠ عاما .. ومن الاشياء الجميلة التى بدات تختفى ، الزى الوطنى العمانى الذى يتميز بالوانه الزاهية وكمية الذهب الكبيرة التى تضعها المراة على راسها ويديها ..

(انظر استطلاع عمان ابتدا من ص ٧٢)

شخصيات :

■ الذكرى المئوية لفيلسوف لبنان امين الريحانى : قل كلمتك وامش ـ فاروق الجمال ٢٦

■ الوجه الاخر لمؤلف كتاب الامير : ماكيافلى مسرحيا ساخرا ـ على ادهم ٩٩

تاريخ :

■ من البرازيل رجع الذكرى ـ د . شاكر مصطفى ٩٢

قضايا حيوية :

■ ان الله بعث محمد هاديا ولم يبعثه قاضيا ـ عبد الوهاب أحمد الافندى ٥٦

■ تركستان .. وليس سكيانغ) ! ـ عبد القادر طاش ٦٠

■ الفلكور هذه الظاهرة المستوردة ـ تركى على الربيعو ٦٢

أدب ولغة :

■ اللغة العربية تاثرها بلغات الامم وتاثيرها فى هذه اللغات ـ قسطنطين تيودورى .. ١٢٥

■ من قصص الخيال العلمى : عاشق الكهرباء ـ راجى عنايت ١٣٠

فنون :

■ آفاق الفن السينمائى فى الكويت ـ الفاروق عبد العزيز ١٠٨

■ كلام كلام كلام ـ كاريكاتير بريشة بهجت عثمان ١٢٠

دراسة الشهر :

■ رؤية جديدة لالف ليلة وليلة .. حتى لا نقرا قصص الليالى بعيون المستشرقين ـ
يوسف الشاروني ١٣٩

متنوعات :

■ عزيزى القارىء ٣

■ طرائف اجنبية ٩١

■ مقالات فى كلمات ١١٣

■ طرائف عربية ١١٤

■ مسابقة العدد ١٤٧

■ اقوال معاصرة ١٧

■ حل مسابقة العدد ٢٣٧ ... ... ٩٨

■ حوار القراء ١٣٦

■ نزهة العقل الذكى ١٤٧

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس ، الخليج العربى ريالان قطريان ، البحرين ٢٠٠ فلس بحرينى ، العراق ١٢٠ فلسا . سوريا ١٠٠ قرش ، لبنان ١٠٠ قرش . الاردن ١٠٠ فلس . السعودية ريالان سعوديان . السودان ٤٠ قروش . ج.م.ع ١٠ قروش . تونس ٢٥٠ مليما . الجزائر ٢٫٥ دينار . المغرب ٢٫٥ درهم . اليمن ٢٫٥ ريال . ليبيا ١٥٠ درهما . جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ٢٠٠ فلس .

الاشتراكات : يراجع طالب الاشتراك :
١ ـ الشركة العربية للتوزيع وعنوانها . ص . ب (٤٢٢٨) بيروت/لبنان .
٢ ـ مؤسسة توزيع الأخبار وعنوانها : ٧ شارع الصحافة/القاهرة/مصر .
« للمشتركين فى جمهورية مصر العربية »

حكايات

هل بدأت الحرب الثالثة ؟

مناقشة مثيرة ، تتحدث عنها دوائر الدبلوماسية ومعاهد الابحاث الاستراتيجية وبعض ((عواجيز السياسة)) المتمرسين بها فى بلاد كثيرة ...

المهم انها اكثر اهمية بالنسبة لنا نحن العرب ، ولعلنا نتاملها اكثر ...

موضوع المناقشة هو : هل بدات الحرب الثالثة فعلا ، ونحن لا نشعر بذلك ؟

والفكرة بسيطة جدا ، واقول مقدما اننى من انصارها ...

ان الحربين العالميتين ـ الاولى والثانية ـ كان سببهما الاساسي طبعا هو السيطرة على العالم الثالث ، بثرواته وشعوبه ، ولكن الحرب فى الحالتين وقعت اساسا فى اوروبا . فالصراع كان مباشرا بين الدول المؤهلة لاقتسام العالم . وان كانت امتدت اطرافه الى اماكن اخرى فى افريقيا وآسيا ، الا انها كانت ميادين ثانوية .

ولكن ظهور الاسلحة النووية المدمرة ، ثم تعادل القوة بين المعسكرين ، جعل وقوع الحرب الثالثة فى اوروبا مرة اخرى ، امرا مستحيلا . اى ان اوروبا بقسميها وامريكا الشمالية صارت مكانا محرما القتال فيه .

ولكن ، لان عوامل الصراع مازالت قائمة ، فقد انتقلت الساحة الى العالم

متفرقة

بقلم : أحمد بهاء الدين

الثالث ، الى آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية . وقد تطور الصراع من الحرب الباردة الى حرب ساخنة يخوضها العالم المتقدم فى ساحات اخرى وباسلحة تقليدية .

فحرب الهند الصينية كانت فيها الصين وروسيا وامريكا . وحرب الهند وباكستان كانت فيها روسيا وامريكا . وحروب الشرق الاوسط كانت فيها روسيا وامريكا . والمعركة حول كوبا . ثم حروب انجولا والكونغو وبيافرا . والصراع الصومالي الاثيوبى الارتيرى كان قديما ولكنه اكتسب خطورة جديدة حين اجتذب اليه روسيا وامريكا .

اذن فالحرب العالمية الثالثة دائرة . بالانقلابات . بالحروب الصغيرة باشكال شتى ، تتواجه فيها القوى الكبرى بشكل غير مباشر .

وكل دولة صغيرة تحس بخطر من دولة كبرى تستعين اتوماتيكيا بالدولة الكبرى الثانية .

... هذا واقع ، يمكن التدليل عليه بالف دليل ..

ولكن السؤال هو : ما العمل ، لدرء هذا الخطر ؟

هل هناك طريقة يمكن بواسطتها « تحصين » العالم الثالث من صراع الدول الكبرى ؟

هل يمكن تطوير عدم الانحياز مثلا ؟

هل يهب التاريخ هذه البلاد زعامات تحمى استقلالها فى مستوى الزعامات التي حققت ذلك الاستقلال ايام الحرب الباردة ؟

لقد بدا منذ سنوات قليلة ان الصراع ـ بشكل عام ـ سياخذ شكل

المواجهة بين دول الجنوب ودول الشمال ... اى بين العالم الفقير والعالم الغنى ...

ولكن العالم الغنى افلت من هذه المواجهة، واستاثرت بالسنتين الماضيتين احداث تعيد العالم من جديد الى الصراع ـ او الاضطرار ـ الى الاختيار ـ بين مناطق النفوذ ...

كيف لا نضطر ان نختار ؟ .. كيف نبقى احرارا ؟

معنى الأزمة عندهم .. وعندنا

الزائر لاوروبا ، او اى مكان من اماكن العالم المتقدم ، لا يمكن ان تنفد ملاحظاته ، ومقارناته ، خصوصا اذا كان من أهل القلم ، أولئك الذين يحملون هموم بلادهم معهم اينما ذهبوا . فهم لا يسافرون ولكنهم يقرأون الشوارع والاماكن والمطاعم والحدائق . يقرأون الاحداث والاشخاص والقضايا . كل شىء من الجماد الى النبات والحيوان والبشر يتحول فى أعينهم الى سطور يقراونها ويقارنونها بالسطور المنقوشة على صفحات بلادهم ...

وليس من راى كمن سمع . وتلك حكمة السفر ، التى كانت حاسة سادسة للانسان منذ خلق ...

من يقرا الصحف الفرنسية مثلا يتصور ان الازمة آخذة بخناق فرنسا . ويقيسها بمقياس ما نسميه نحن « ازمة » و « مستوى معيشة » فى بلادنا . ولكن فرنسا تترع بالرخاء . والازمة فى فرنسا ان ينقص الفرد كوب نبيذ واحد مما يجب أن يشرب . كما ان الازمة فى انجلترا ان يزداد سعر كاس البيرة بنسا واحداً .

العالم الغربي لم يعرف رخاء فى تاريخه كله كالذى يعرفه الان . ولم يعرف ارتفاعا فى مستوى معيشة كل فئاته كالمستوى الذى يعيشه الآن . واى مرض اقتصادى فى اى دولة فى الغرب تشفى منه فى سنة واحدة بكلمة معناها ايضا مختلف . وهى « تقشف » . التقشف عندنا فى بلاد العالم الثالث معناه حرمان . فوق الحرمان ـ بل الشظف ـ الذى تعيشه الاغلبية . ولكن التقشف هناك معناه التوقف قليلاً عن زيادة الاستهلاك . تاجيل شراء السيارة سنة مثلا . او اطالة عمر الثلاجة سنة أخرى .

وحين نقرأ ارقام البطالة عندهم يجب أن نقراها بمفهوم آخر . ان كذا مليون عاطل فى امريكا مثلاً او فى انجلترا هو رقم يضم أولا الرجال والنساء . ويضم كل شاب أو شابة يسجل اسمه فى سجل طالبي العمل ، كالطلبة والطالبات فى الاجازات او فى غير الاجازات ، ومعناه أن كل متعطل يحصل على معونة اجتماعية لا تقل كثيراً عن مرتبه ، ومعناها ان التقدم الصناعي السريع يستغنى

عن عمال مهن معينة حتى يتدربوا على مهارات جديدة تكفل لهم اعمالا جديدة .
في حين ان بلاد العالم الثالث تنشر ارقام بطالة ولا تفزع من زيادتها كذا الف او تفرح بنقصها كذا الف .
لان في بلاد العالم الثالث الاغلبية الساحقة اما عاطلة بوضوح ، او عاطلة مقنعة ، لانه ليس كل من يشغل وظيفة وياخذ مرتبا يعتبر عاملا . اكثر الوظائف والمرتبات عندنا لا يقابلها انتاج . او انتاج ساعة أو بضع دقائق في اليوم كله . وليس عمل كل الساعات القانونية دون لفتة او لحظة لالتقاط الانفاس . . كالحال هناك .
ان الازمة الوحيدة في العالم المتقدم هي ازمة الانانية . ازمة الطمع والجشع والاستهلاك المدمر ، وعلى حساب العالم باجمعه !
الا ترى العالم كله ـ حتى اصغر صحيفة في ابعد مكان ـ يتحدث عن ازمة الدولار وازمة الاسترليني وازمة الفرنك ... ولا يتحدث عن ازمة الف مليون انسان يعيشون عند مستوى الجوع ؟
الا ترى ان هذا الحال لايمكن ان يستمر ؟
ويل الشجي من الخلي !!

.. وبالمناسبة :
لا شيء يحدث في السويد !

واذا كان التخلف مرضا ، فالظاهر ان التقدم ـ اكثر من اللازم ! ـ مرض!
فالمعروف ان السويد ربما كانت في نظر الكثيرين اقرب دولة الي الوضع المثالي : فهي جمعت حسنات كل النظم السياسية : رخاء ووفرة في كل شيء ديمقراطية وحرية شخصية لاحدود لها وهي اول دول العالم في باب « المساواة » اي ضيق الفجوة بين الغني والفقير ـ او بالاحرى « الاقل غنى » ـ لانه لايوجد فقراء .
وهي لم تدخل حروبا منذ اكثر من مائة سنة . ولم تعرف ازمة اقتصادية او كارثة طبيعية . وهي مع ذلك تصنع بعض احدث انواع الاسلحة . ولكن جملة « لا شيء يحدث في السويد » تكاد تصبح مثلا شائعا من كثرة ترددها . لماذا ؟
يقولون لك نحن على مسافة ساعتين من باريس ، ولكننا بعيدون جدا عن العالم « لانهم بعيدون عن احداثه ومشاكله وتقلباته . لان بعض كتابهم يرون ان عدم اشتراك السويد في الحرب العالمية الثانية ولا الاولى من اسوا ما حدث لها . فشعبها لم يعرف الازمة ولم يعد يقدر قيمة« النعمة » انه الملل ! الملل ! الرتابة الرهيبة ! العمل موجود . البطالة لها اجر العمل تقريبا ! وكثيرون يختارون

« الذين جاءونا بادوات الحضارة الجديدة لم يتيحوا لنا الفرصة لنعاني مرارة التحول »

نحو وجدان جديد

بقلم الدكتور عون الشريف قاسم

من أبرز سمات عصرنا السرعة الفائقة التى تنتقل بها أدوات الحضارة ومنتجاتها الصناعية من مكان الى مكان ، متخطية فى ذلك كل الحواجز المكانية والزمانية والحضارية ، فان الطائرة والسيارة والراديو والتلفون وغيرها من منجزات العلم والصناعة قد ربطت الصحارى والقفار بمراكز التجمع الحضارى في العالم ، بحيث أصبح البدوى الراعى او القروى المزارع لا يحس بفرق كبير بينه وبين الحضرى فى المدينة من ناحية المظهر العام على الاقل في كثير من أقطار العالم .

وبنفس القدر تضاءلت الفروق الشكلية بين العالم المتخلف والعالم المتقدم ، فحيثما ذهبت فى العالم تكاد تجد نفس المظاهر الحضارية ، مما يوحي بالوحدة الشكلية التى نجحت الحضارة الصناعية فى فرضها على كثير من شعوب العالم .

وفى اطار هذه الوحدة الشكلية يستطيع الفرد او الامة ان تنتقل من مجاهل القرون الى الثلث الاخير من القرن العشرين دون كبير عناء ، لان أدوات الحضارة الحديثة كفيلة باجراء اللازم .

ولكن هذه النقلة الحضارية لا تتم بلا ثمن

فان الاستمتاع بنعمة الحضارة كأى استمتاع بنعمة أخرى من نعم الله لابد له من مقابل ، اذ ليس هناك فى الطبيعة ولا فى المجتمع شيء من لا شيء . وهذه الادوات الحضارية التى تلغى الفروق بين الامم وتختصر القرون لتسوى بين الناس من الناحية الشكلية فى الثلث الاخير من هذا القرن لم تأت بلا ثمن ، ولم تنزل على الناس بدون مكابدة ، وانما دفعوا ثمنها القرون الطوال معاناة وتضحية ونقصا فى الانفس والاموال . فان كل انجاز مادى او حضارى وراءه سلسلة طويلة من المعاناة الفكرية والروحية والاجتماعية ، وما الادوات الحضارية الا المظهر الخارجي لهذا التطور الحضارى العام الذى ينظم المجتمع ويحدد سماته المميزة ، فهى من ناحية رمز لحقيقة كبيرة تشمل المكان والزمان والبشر ، ولا تبدو دلالتها على البناء الاجتماعى الذى تعبر عنه الا كما تبدو قمة الكتلة الجليدية فوق سطح البحر .

التطور شبرا شبرا

وقد مرت الشعوب الاوروبية بمراحل عديدة من التحولات الفكرية والاجتماعية حتى وصلت هذا المستوى الذى سيطرت عن طريقه سلطانها على بقية العالم ، فهى فى سبيل الوصول الى هذه الغاية الحضارية المعقدة لم تختصر مرحلة ، ولم تلغ حقبة من الزمان ، وانما عاش تطورها شبرا شبرا ، وعاشت الامة ثانية ثانية ، وتكيفت مع كل الظروف الناجمة عن مراحل تقدمها المختلفة، يشهد على ذلك حروبها الدينية والوطنية والاهلية، ومذاهبها الفلسفية والادبية والفنية ونظمها الاجتماعية وانماط سلوكها واخلاقياتها وغير ذلك من مظاهر الثقافة الغربية . وقد دفع ثمن ذلك ملايين الانفس التى ذهبت ضحية هذا التطور الحضارى الطاحن .

فاذا كان التطور الحضارى بهذا القدر من باهظ التكاليف والصعوبات فكيف يستقيم عقلا ان تنقل الامم المتخلفة من مرحلة القرون الوسطى الى الثلث الاخير من القرن العشرين فى مدى سنوات معدودة دون ان تدفع ثمنا غير ثمن الادوات الحضارية التى تحدث هذه النقلة السحرية فى حياتها ؟ والواقع ان ذلك لا يستقيم عقلا ، وان الثمن الذى تدفعه هذه الامم لا يقدر بثمن ، لان نقلها ليست نقلة حضارية حقيقية ، وانما هى نقلة صورية ، تنفصل فيها روح ومقومات حياتها الوجدانية والشعورية عن واقعها المعاش. فهى تعيش فى الحاضر بجسمها ، ولكنها تحيا فى الماضى بوجدانها ومشاعرها . وهى تسعى الى احراز الحسنيين معا : التمتع بثمرات الحضارة ، مع المحافظة على ما الفته من مواصفات مجتمعها القديم : تريد ان تأخذ من كل من العالمين خير ما فيه ، وذلك ما لا يستقيم مع سنة التطور . والنتيجة الحتمية لهذا السعى ان تفقد كلا العالمين . تفقد ماضيها لانه معزول عن حياة الناس المعاشة ، لم تنفعل بما يجرى فى واقع الحياة ، ولم تتأثر بالصدمات التى تتعرض لها الناس عادة فى تطورهم . فقد ظل هذا الماضى نمطا مكرورا تتوارثه الخلف عن السلف فى دقة واستكانة ، مثل ما يتوارثون الساقية او السلوكة (اداة الزراعة فى السودان) دون كبير تغيير ، لان التغيير الفكرى لا يحدث الا بتغيير نمط الحياة، وحين جاء التغيير اتانا من الخارج ، وفرض علينا فرضا فى كثير من مظاهره .

فان الذين جاءونا بادوات الحضارة الجديدة لم يتيحوا لنا الفرصة لنعانى مرارة التحول ، ولنجرى فى كياننا وعقولنا التغييرات اللازمة التى تستقيم مع المرحلة الجديدة التى انتقلنا اليها. وبذلك تلاءم ما بداخلنا مع الذى يحدث فى خارجنا . ولعلنا لو منحنا تلك الفرصة لما استطعنا ان نفعل شيئا ذا بال لجمودنا وموتنا الحضارى وعدم اسهامنا المباشر فى العطاء

الحضاري الذي غزانا بحوثته والاته ونظمه الفكريه والاجتماعيه . وكان ان اتت مع الادوات الحضاريه كل الهياكل الفكريه التي تستند اليها ، فتغير نظامنا التعليمي التقليدي الذي كان يصل الدارس بمجتمعه البسيط وحل محله نظام جديد يحشو الذهن وينجافى عن الروح والوجدان . وتغيرت نظم الاداره والحكومه والقانون ، وتغير بالتالي الزي كما تغير سواه من مظاهر حياتنا الخاصه والعامه . ولم تكن لنا في كل ذلك كبير اختيار ، وبذلك فقدنا قدرة التحكم في حاضرنا ، لانه نابع في كثير من جوانبه من سنة غير سنتنا ، مدعوم بقوة من خارج ديارنا . وكان ثمن النقلة الهينة التي اعترت العشرين سلب قدرتنا على التطور الذاتي وتجاوزنا عن مقومات حياتنا الوجدانيه والاجتماعيه واستبدالها في كثير من المواقف بمستوردات من الخارج ، وبذلك اصبحنا تابعين لغيرنا لا في مجال التفوق الصناعي فحسب ، بل في مجال الحياة الفكريه والاجتماعيه ايضا . والعقاب الذي يصيب من يرضون بالتبعيه هو شلل الاراده ، وموت المقاومه ، والتسابق على التقليد ، والاهتمام بالقشور دون اللباب ، والتبجح بالظاهر دون العنايه بالمخبر ، وينعكس ذلك كله في واقع الحياة انفصاما في الشخصيه ، وازدواجيه في المجتمع ، وانفصالا يكاد يكون تاما بين الضمير والاداء ، وبين القول والفعل ، وبين الايمان والمسلك ، وبين العباده والمعامله ، وبين الدين والدنيا ، وبين القيم والاخلاق وواقع الحياة المعاش . ويكون تقدمنا الشكلي على مستوى الاحتياجات الماديه للمجتمع سبيلا الى تعميق حده هذه الثنائيه المدمرة في حياة الفردوالجماعه لانه تقدم يهتم بالمظهر الخارجي لتطور المجتمع ولا يلقي كبير بال لمحتواه .

نتلقف الازياء والافكار

وكيف لا يكون الامر كذلك ونحن معجلون عن امرنا ، علينا ان نختصر الزمن ، ونلغي المسافات ، لكي نلحق بركب التقدم بعد قرون طويلة من التخلف والجمود الحضاري ؟ وقد وجد فينا الاستعمار الفكري بغيته فاذا بنا لا نتلقف الازياء والادوات والانظمة وحدها ، بل نتلقف معها الشعارات الفكريه والقيم الاجتماعيه التي هي وليده مجتمعات مختلفه عنا في كل شيء. واذا كان الدين في المجتمع الاوروبي امرا شخصيا لا ينظم كل حياة الناس ، لان المسيحيه التي يدينون بها تعطي ما لله لله وما لقيصر لقيصر ، ويؤكد هذا الاتجاه الشخصي ، فلماذا لا تكون هي النظره السائده عندنا ، على الرغم من ان ديننا ليس امرا شخصيا ، بل هو موغل في اجتماعيته ، وعلى اساسه تقوم شخصيات الافراد ويرتكز هيكل المجتمع ـ وواضح ان النظره الاوروبيه للدين دعم للتراث الاوروبي ، وتطوير للمجتمع الغربي في حين ان تطبيقها على مثل مجتمعنا فيه مجافاة لتراثنا ، وتدمير لكيان مجتمعنا .

واذا كان تراث المجتمع الاوروبي وطبيعة تطوره يجعل من المسلك الخلقي للافراد امرا خاصا بهم لا علاقه له بالحياه العامه ، التي ينظمها القانون منذ عهد الرومان ، فلماذا لا يصلح هذا الاتجاه لنا ؟ على الرغم من أن تراثنا يؤكد اجتماعيه الفرد . ويجعل من مسلكه الشخصي امرا لاينفصل عن حياة المجتمع العامه لان الضوابط التي تحدد حريات الافراد هي نفس الضوابط التي تحدد سمات المجتمع عامه ، لان قيم الدين في مجتمعنا التي تنظم حياة الفرد وحياة الجماعة على السواء قد حلت محل سطوة القانون في المجتمع الاوروبي وحين سعت النظم الاوروبيه الى اباحة الحريات الشخصية فيما يتعلق بالامور الخلقيه سعت في نفس الوقت الى فرض سيادة القانون لتامين سلامه المجتمع من شطط هذه الحريات . اما نظامنا فيسعى الى خلق المواطن الذي يسلك السلوك الاجتماعي الامثل بدافع

من ضميره لا خوفا من القانون ، فاذا انهارت هذه الصلة بين الفرد والمجتمع ، واصبح كل فرد يفعل ما يحلو له بدعوى الحرية الشخصية دب الفساد والنهب في المجتمع ، وعجز القانون عن صيانة حرمات الناس وحقوقهم ، وقد كان النظام التعليمي القديم يؤكد هذه الروح الجماعية ويسعى عن طريق القول والعمل الى تدعيم الصلة العضوية بين الفرد ومجتمعه ، لقد كان تعليما للمواطنة بحق وحقيقة .

واذا كانت الثورة التعليمية في أوروبا قد قامت على تحرير المناهج من القيود الدينية الكثيرة التي كانت تكبلها ، فما احرانا أن نفصل التعليم الديني عن التعليم المدني ، ولا يهمنا ان نفصل بذلك بين عقولنا وارواحنا ، او نقيم حاجزا سميكا بين تراثنا وماضينا وبين حاضرنا . وهكذا وجدنا انفسنا نطبق منهجا في الثقافة والتعليم مغايرا كل المغايرة لوضعنا الفكري والاجتماعي . فانفصلنا عن التراث ، وانفصلنا بالتالي عن مصادر الابداع والاصالة في انفسنا ، التي هي وليدة التراث . وبذلك انفصل تعليمنا عن مجتمعنا ومن هنا جاءت غربة المثقف. لقد كانت تجربة ماضينا المشرق في ربط ثقافة المجتمع بمعطيات العلم تجربة رائدة كانت احق بالاحتذاء من تجربة الغرب المستمدة من ظروفه التاريخية الخاصة ، ولكننا كنا وما نزال نحكم وضعنا الحضاري مغلوبين على أمرنا ، ونقل ان ننقل من ماضينا ما انقطع لانه الاصلح والاوفق ، نلح على ابعاد ثقافتنا الوطنية عن دائرة البحث والاهتمام الحي . وبذلك نحرم انفسنا من المزاوجة بين التراث وبين العصرية ، فنخرج من هذه الورطة الحضارية التي تردينا فيها كارهين .

وقل مثل ذلك في القوانين ، فما اكثر المفاهيم القانونية التي نطبق على حياتنا وهي مخالفة لروح تراثنا ، لانها مستمدة من بيئة مختلفة عن بيئتنا .

حقيقة التقدم الحضاري

ومجمل القصة ان التقدم الحضاري ليس شكلا ولا ادوات يسخرها الناس فتحدث المعجزة ، وانما هو روح تكمن وراء كل هذا الانجاز المادي والفكري ، فاذا تغيرت الروح او تغيرت تغير العالم من حولها . وذلك مصداق قوله تعالى (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم) . وتغيير النفس بهذه الطريقة الجذرية هو الذي يحدث التقدم الحقيقي الذي يتكامل فيه الباطن مع الظاهر . وغاية هذا التغيير ان يتطابق القول والعمل ، وان يتحول الايمان من القلب الى انجاز في واقع الحياة . معناه ان يعيش الناس القيم ويطبقوها بدل ان يجادلوا حولها . وقد كان هذا هو هدف الاصلاح الديني في أوروبا ، اذ تحولت تعاليم المسيح عليه السلام الى طقوس وشكليات ، فسعى دعاة الاصلاح والمنشقون على الكنيسة الرومانية ان ينزلوا الدين من آلية الطقوس وسفسطة الجدل الى حياة الناس البسطاء بحيث (يحيا الناس فلسفة المسيح لا ان يضعوها موضع الجدل) كما ذكر اراسمس ، احد دعاة الاصلاح الديني الاوائل في أوروبا . لم تكن حركة الاحتجاج الدينى البروتستانتية التي اكتسحت غرب اوربا ، وانتقلت من بعد الى امريكا أكثر من دعوة الى تحقيق القيم المسيحية في حياة الناس تنفي الازدواجية التي كانت قائمة بين قيم التراث وواقع الناس المعاش ، وتوحد الارادة وتحقق التقدم . ويجب أن لا يصرفنا العداء للدين الذي يتجلى في كتابات الكثيرين من العلماء والفلاسفة الذي تحدثنا عنه في مقام اخر عن ان نتبين الحقيقة الهامة التي تعطي الحضارة الغربية اصالتها وقوتها ، وهي انها استطاعت

أقوال معاصرة


محمود رياض


ماكنمارا

■ انني اؤمن بان على التزاما يجب ان اؤديه . وسأظل كذلك الى ان يحين اجلى .. انني رجل صوفي الى حد كبير .

الشاه محمد رضا بهلوى

■ لقد عشت شهورا مريرة هذا العام . ومن حقي ان احصد اكبر قدر من السعادة قبل اعتزالي وهو ما لن يتم قبل سنة .

محمد على كلاى بطل العالم فى الملاكمة

■ الجامعة العربية ليست مهددة بالافلاس . ولكنها مفلسة فعلا !

محمود رياض الامين العام للجامعة العربية

■ القدس هي عاصمتنا الى الابد . ولن يرفرف علم عربى على جبل المعبد .

مناحيم بيجن رئيس وزراء اسرائيل

■ هناك مخطط امريكي يستهدف « تزويج » اليابان الغنية صناعيا وعسكريا ، الى الصين الشعبية الغنية بالموارد البشرية .

صحيفة النجم الاحمر السوفيتية

■ بدون حل القضية الفلسطينية لن يكون هناك سلام فى الشرق الاوسط .

جورج بول وكيل خارجية امريكا الاسبق

■ لقد تم تغيير النظام فى موريتانيا بمنتهى السهولة . لقد كانت العملية بمثابة عرض عسكرى تم وسط حماس الشعب .

الرئيس الموريتانى الجديد ولد سالك

فى قمة نجاحها ان تعيش قيم تراثها ، وان تطبق فى حياتها العادية قدرا كبيرا من الالتزام والانضباط بحيث اصبح ميسورا على كثيرين من عامة الناس ان يتحلوا بصفات الامانة والصدق والوفاء واداء الواجب بوحى من الضمير ، وليس يهمنا ان تكون هذه الصفات قد تركزت باسم الدين ، او باسم الانسانية او باسم الوطنية والقومية . ولعل بروز هذه الظاهرة الاخلاقية هو الذى دفع الشيخ محمد عبده الى قولته المشهورة عن مسلمى الغرب الذين رآهم بلا اسلام ، بالمقارنة بحال الاسلام الضائع فى دياره بلا مسلمين .

والذين يتحدثون عن المواطنة كمعيار للانجاز الوطنى بمعزل عن التراث واهمون ، لان المواطنة فى صميمها هى القيم المترسبة عن التراث فى وجدان الناس ، بحيث يؤدون واجبهم الوطنى باخلاص وايمان مضحين فى سبيل الصالح العام بمصالحهم الذاتية . وسبيلنا الى خلق هذا النموذج الرفيع من المواطن الذى يتم على يديه تقدم المجتمع ماديا وروحيا هو سبيل المعاناة الروحية والفكرية على مستوى الفرد والجماعة ، بان نعيش روح تراثنا ، وذلك بان نبدأ من حيث دهمتنا الهجمة الاستعمارية فحولتنا عن مسارنا الطبيعى ، وصرفتنا الى اودية التيه والضلال التى تحدثنا عنها كثيرا . لابد ان نعيش تطورنا شبرا شبرا . لابد ان ندرس تراثنا بكل ابعاده ونعمل فيه الذهن على كل المستويات . وسنكتشف ان الداء الذى اصابنا اقدم من ذلك بكثير كما ينجلى فى كتابات الامام الغزالى ، الذى عاش فى


ولد سالك

- الرئيس ديستان اعاد الاعتبار للماسونية في فرنسا ·

الصحفي الفرنسي دانيا مالو

- ٦٠٠ مليون انسان سيعانون من الفقر المدقع في سنة ٢٠٠٠ ·

روبرت مكنمارا رئيس البنك الدولي


ملاي

- **لم نأت لارض اسرائيل للبحث عن السلام ، ولكننا جئنا للبحث عن وطننا !!**

حركة جويش ايمونيوم الاسرائيلية ·

- **بعقولنا نستطيع ان نواجه اى شيء ونجد له حلا ، وبعواطفنا نستطيع ان نفسر كل شيء ·**

البروفيسور مورتيمور ادلر

رئيس مجلس محررى الموسوعة البريطانية


شاه ايران

- ساعة العمل في ١٢ دولة أفريقية لا تمكن الفرد من شراء أكثر من كيلوجرام واحد من الخبز . بينما العامل الاوروبي او الامريكي يستطيع أن يشترى بأجر هذه الساعة ١٥ كيلوجرام خبز ·

تقرير لمنظمة العمل الدولية

- مرت شعوب العالم الثالث بمرحلتين متميزتين اقتصاديا مرحلة الاسرة الملكية المالكة . ومرحلة الاسرة العربية المالكة ·

الكاتب اليوغوسلافي ميلوفان دجيلاس

النصف الثاني من القرن الخامس الهجرى ونوق في بداية القرن السادس سنكتشف كما اكتشف هو أن علوم الدين المختلفة التي كان المفروض أن تكون ارشادات ونصائح للسلوك الشخصي حتى يعيش المسلم اسلامه على معرفة وبينة ، قد تحولت الى قواعد جدلية مبتورة عن حياة الناس يتناولها من اسماهم بـ (بالمترسمين) اى الذين يهتمون بالرسم او (الشكل دون الروح) في تجريد نظرى وبعد عن الواقع . واصبح من ثم حامل علوم الدين يحمل العلم في رأسه ولا يتقيد باحكامه في حياته . وما ينطبق على عالم الدين ينطبق على المسلم العادى لان المسئولية واحدة . ولسنا هنا بصدد الحديث عن المخرج من الازمة الروحية في الاسلام الذى ارتآه الغزالي في التركيز على الرياضة الروحية المتمثلة في الطريق الصوفى ، وانما الذى يهمنا في هذا المقام اننا مقدمون على ثورة روحية تنزل فيها العلم من عقول العلماء ورفوف المكتبات ودهاليز المخازن الى حياة الناس العادية ، وكلما عايش الناس تراثهم وانفعلوا به واعملوا فيه عقولهم دخل في دورة حياتهم العادية ، وانتفت الثنائية بين التراث والواقع ، وانتفت بالتالى الثنائية في شخصية الفرد والمجتمع واصبح بفضل وجداننا الجديد وامكانات التقدم المتاحة لنا في هذا العصر تقدما حقيقيا لا صوريا ، وبذلك نخرج من دائرة التبعية ونكون انفسنا .

■■

الخرطوم ــ د٠ عون الشريف

وزير الشئون الدينية بجمهورية السودان

ليس حرباً على الله ورسوله

بقلم : محمد فتحى عثمان

سبق مجيد للشريعة والفقه في تمييز خلاف العقيدة والرأى

هل يرفض الشرع فعلا قبول شهادة غير المسلم على المسلم ؟

دائما نؤكد ان الاجتهاد حق .. لكننا نخشى ممارسته .

فى هذا الجزء الثاني من دراسته الخاصة للعربي ، يتصدى الكاتب الاسلامي الدكتور محمد فتحي عثمان الاستاذ بجامعة الرياض ، لمجموعة من القضايا بالغة الدقة والاهمية فى شهادة الذمى على المسلم. تقبل او لا تقبل - خلافات الراى والعقيدة ، درجاتها في الفقه الاسلامي . وهل تعد من جرائم البغي والحرابة ، ثم قضية الحدود وحجمها ودورها فى التصور الاسلامي .

اجاز مجلس الدولة في مصر مشروع قانون باحكام جريمة « الحرابة » وعقوبتها ، حتى تتقدم به الحكومة الى السلطة التشريعية . وجريمة الحرابة وعقوبتها يستندان الى نص صريح في كتاب الله هو قوله سبحانه « انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا ان يقتلوا او يصلبوا او تقطع أيديهم وارجلهم من خلاف او ينفوا من الارض ، ذلك لهم خزى في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم . الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم فاعلموا ان الله غفور رحيم – المائدة / ٣٣ – ٣٤ »

والآية الاخيرة تتضمن حكما جديرا بالالتفات في السياسة العقابية لدولة الاسلام فهي تستثنى من العقاب الذين صحت دلائل توبتهم قبل وصول يد السلطة اليهم والقبض عليهم ، لان هدف الشريعة من العقوبة منع الجريمة لا استئصال المذنب ، وشريعة العقاب انما تعمل في المجتمع الاسلامي متضافرة مع وسائل التربية والتوعية والاعلام والاصلاح الاجتماعي . ولا تعمل شريعة العقاب وحدها منفردة او مستبقة للوسائل الاخرى، ومع ذلك يتوهم البعض ان احكام الحدود والقصاص او العقوبات هي عنوان الشريعة وامارة اقامتها ان لم تكن هي الشريعة كلها .. في حين ان اتجاه احكام الشريعة في العقوبات ان تنجع الوسائل الاخرى في التربية والاصلاح بحيث تسد المنافذ الى الجريمة ، وتغنى عن التدخل العقابي حتى ولو بعد اقتراف الفعل محل المؤاخذة الجنائية . ويرى الامام ابن القيم ان هذا الحكم عام في سائر الجرائم التي يعاقب عليها الشرع وليس مقصورا فقط على التائبين من جريمة الحرابة قبل اعتقالهم ووصول يد السلطة اليهم يقول رحمه الله واجزل مثوبته « واما اعتبار توبة المحارب قبل القدرة عليه دون غيره فيقال : اين في نصوص الشارع هذا التفريق) بل ان نصه على اعتبار توبة المحارب قبل القدرة عليه من باب التنبيه على اعتبار توبة غيره بطريق اولى ، فانه اذا دفعت توبته عنه حد حرابته مع شدة ضررها وتعديه فلان تدفع التوبة ما دونه بطريق الاولى والاحرى . وقد قال تعالى : قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وقال صلى الله عليه وسلم : التائب من الذنب كمن لا ذنب له . والله تعالى جعل الحدود عقوبة لاسباب هي الجرائم ، ورفع العقوبة عن التائب شرعا وقدرا » (١)

شهادة الذمي

وقد عرض مشروع القانون الخاص بجريمه الحرابة سالف الذكر ، الى حكم « شهادة الذمى على المسلم » ، وهو امر كان ينبغى ان يأتى في القانون الخاص بقواعد الاثبات وفقا لما جرى عليه التقنين الحديث . وبكون الاثبات هو الذى يجمع احكام الكتابة والاقرار الشفوى والشهاده واليمين وسائر البينات على الدعاوى وفقا لما تجرى عليه التقنينات الحديثة .

وشهادة الذمي على المسلم بوجه عام محل خلاف في تراثنا الفقهي ، فمن الاولى ان يكون محل تدقيق في تقنين معاصر . وقد ذكر ابن القيم ان « الكافر قد يقوم على خبره شواهد الصدق فينبغى قبوله والعمل به » (٢) ويشير فقيه معاصر الى ان « آيتى الاشهاد على التبايع والاشهاد على دفع الاموال لمن بلغ من الايتام جاءتا مطلقتين عن قيد يفيد اشتراط الاسلام في الشهود من المسلمين . يقول تعالى : واشهدوا اذا تبايعتم، ويقول : فاذا دفعتم اليهم اموالهم فاشهدوا عليهم ، حقا انه اشترط في آية اخرى ان تكون الشهادة من ذوى عدل من المسلمين ، يقول تعالى : فاذا

(١) ابن القيم : اعلام الموقعين – المطبعة المنيرية – القاهرة جـ ٢ص ٤٨ – ٤٩

(٢) ابن القيم : الطرق الحكمية تحقيق حامد الفقى ص ٦٦ / ٨٠

بلغن اجلهن فامسكوهن بمعروف او فارقوهن بمعروف واشهدوا ذوى عدل منكم .

لكن بالتامل والنظر نجد ان هذه الاية جاءت فى حكم من احكام الطلاق وبذا يمكن ان يقال ان شهادة غير المسلم على المسلم لا تجوز فى الطلاق ونحوه مما يندرج تحت احكام الاسرة ــ الاحوال الشخصية ــ اما فى غير ذلك من المسائل المدنية ونحوها فانها تجوز فيها الشهادة مع اختلاف الدين » (٣) ويرى شيخ الازهر الاسبق محمود شلتوت ــ رحمه الله ــ اخذا من « الطرق الحكمية » لابن القيم ان الشريعة تقبل شهادة غير المسلمين على المسلمين « فى المعاملات العامة التى جرت العادة بحصولها امامهم او اشتراكهم فيها ، اما مثل الرجعة والزواج وطهارة الماء ونجاسته وحل الذبيحة وحرمتها من الشئون الخاصة بالمسلمين فان شهادتهم فيها لاتقبل» (٤)

آراء تجيز الشهادة

على ان ثمة آراء باجازة شهادة غير المسلم على وصية المسلم فى السفر اخذا من قوله تعالى « يايها الذين آمنوا شهادة بينكم اذا حضر احدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم أو آخران من غيركم ان انتم ضربتم فى الارض فاصابتكم مصيبة الموت ــ المائدة / ١٠٦ ، ومن هذا الراى الحنابلة وفقهاء اهل الحديث والثورى والاوزاعى وابن حزم وبه قال الشيعة الامامية . وقد احتج ابن القيم لذلك ورد على المخالفين فى كتابه « الطرق الحكمية » (٥) وكان الامام ابن تيمية من قبله قد ذهب الى ان القاضى لو حكم بعدم قبول شهادة الكافر على وصية المسلم فى السفر لوجب ان ينقض حكمه لمخالفته نص الكتاب بتاويل غير مقبول . ويقول احد فقهاء الاسلام المعاصرين « اذا كان الشارع قد اباح للمسلم التعامل مع غير المسلمين دون ان يشترط لهذه الاباحة ان تكون بحضور مسلمين ، والمعاملات لابد أن تنشأ عنها حقوق والتزامات ، الا يدل هذا ضمنا على جواز قبول شهادة غير المسلم على المسلم فى هذه المعاملات جوازها للمسلم على غيره حفظا للحق على صاحبه عند التناكر والجحود ؟ والواقع ان مدار الشهادة وقبولها فى الحكم كونها صالحة لكشف الحق فى المسالة فتكون بينة مقبولة ، لان البينة فى الشرع كما يقول ابن القيم : اسم لما يبين الحق ويظهره . والشهادة تكون صالحة لكشف الحق اذا كان صاحبها صادقا وقامت القرائن على صدقه . والصدق لا يمتنع تحققه فى غير المسلم لانه خلق جميل دعت اليه الشرائع والعقول السليمة . فينبغى قبول شهادة غير المسلم على المسلم كلما ظهر صدقه ... » (٦)

وثمة آراء اخرى فى تراثنا الفقهى بشان شهادة غير المسلم على المسلم فى الجرائم التى تتنوع بتنوع عقوباتها بين حدود وقصاص وتعازير . . وقد يكون من الاولى ترك الحكم فى شان شهادة غير المسلم على المسلم فى هذا المجال لتقدير القاضى الجنائى مثل سائر الشهادات والشهود ، فالقاضى الجنائى صاحب سلطة تقديرية واسعة كما هو معروف ، وقد يرى من قرائن الاحوال ما يطمئن معها الى شهادة غير المسلم على المسلم اولا يطمئن. وهذا المسلك اقوم بالعدالة وادنى لمبادىء الاسلام العامة الصريحة من متابعة استنتاجات ترى فى « الشهادة » نوعا من « الولاية » ، والمقرر ان لا ولاية لغير المسلم على المسلم ... والحق ان فى جعل « الشهادة » ولاية تجوزا ، وان فى اطلاق منع ولاية غير المسلم على المسلم تجوزا آخر ، فقد نقل الماوردى وجها يجيز ان يكون عامل الفيء ذميا « وان كانت معاملته فيه مع المسلمين كالخراج الموضوع على رقاب الارضين اذا صارت فى ايدى المسلمين » .

بل اجاز الماوردى للذمى ولاية وزارة التنفيذ لامام المسلمين مالم يؤد ذلك الى الاستطالة والاستعلاء والجور .

كما اجاز ان يعمل الذمى فى قبض الزكاة ممن تجب عليهم ، مادام اصل المال الذى تجب

---

(٣) محمد سلام مدكور : المدخل للفقه الاسلامى ــ القاهرة ص ٣٤٧ ــ ٣٤٨ .

(٤) محمود شلتوت : فقه القرآن والسنة (القصاص) ــ القاهرة ص ٦٩ .

(٥) ابن القيم : الطرق الحكمية ، تحقيق حامد الفقى ص ١٦٦ ــ ٨ .

(٦) عبد الكريم زيدان : احكام الذميين والمستأمنين فى دار الاسلام ــ ط ٢ بيروت ١٣٩٦ هـ / ١٩٧٦ م ص ٥٧٨ ــ ٩

عليه الزكاة معروفا وقدر زكاته محددا بناء على معرفة الاصل . (٧)

بين ((الحرابة)) و ((البغى))

لايشهر وصف ((الذين يحاربون الله ورسوله)) على كل من اخل بامن الدولة فى شريعة الاسلام، فقد ظفر الذين يخاصمون الدولة لعقيدة او راى بمعاملة خاصة متميزة ... وهذا سبق مجيد لشريعتنا وفقهنا استند الى وقائع مبكرة من تاريخنا فى خلافة على بن ابى طالب .

((فاذا اجتمعت طائفة من اهل الفساد على شهر السلاح وقطع الطريق واخذ الاموال وقتل النفوس ومنع السابلة فهم المحاربون)) (٨) — على حد تعريف الماوردى . ويختلف حكم جريمة ((الحرابة)) عن حكم جريمة ((البغى)) التى تجمع بين الاعتقاد والراى من جهة وبين التجمع والظهار المقاومة للدولة بصورة ايجابية من جهة اخرى حتى وان لم يستعمل البغاة القوه المسلحة ويمارسوا العنف فى بعض احوالهم ولابد من التعريف الدقيق لجريمتى الحرابة والبغى للفارق فى اركان الجريمتين وللتمييز فى معاملة مرتكبيهما.

يقول الماوردى : ((واذا بغت طائفة من المسلمين وخالفوا راى الجماعة وانفردوا بمذهب ابتدعوه، فان لم يخرجوا به عن المظاهرة بطاعة الامام ولاتحيزوا بدار اعتزلوا فيها وكانوا افرادا متفرقين تنالهم القدرة وتمتد اليهم اليد ، تركوا ولم يحاربوا واجريت عليهم احكام اهل العدل فيما يجب لهم وعليهم من الحقوق والحدود . وقد عرض قوم من الخوارج لعلي بن ابى طالب لمخالفة رايه وقال احدهم وهو يخطب على منبره : لا حكم الا لله، فقال على : كلمة حق اريد بها باطل ، لكم علينا ثلاث لا نمنعكم مساجد الله ان تذكروا فيها اسم الله ، ولا نبداكم بقتال ، ولا نمنعكم الفيء ما دامت ايديكم معنا . فان تظاهروا باعتقادهم وهم على اختلاطهم باهل العدل ، اوضح لهم الامام فساد ما اعتقدوا وبطلان ما ابتدعوا ليرجعوا عنه الى اعتقاد الحق وموافقة الجماعة، وجاز للامام ان يعزر منهم من تظاهر بالفساد ادبا وزجرا ولم يتجاوزه الى قتل او حد ... فان اعتزلت هذه الفئة الباغية اهل العدل وتحيزت بدار تحيزت فيها عن مخالطة الجماعة : فان لم تمتنع عن حق ولم تخرج عن طاعة لم يحاربوا ما اقاموا على الطاعة وتادية الحقوق . وقد اعتزلت طائفة من الخوارج عليا بالنهروان فولى عليهم عاملا اقاموا على طاعته زمانا وهو لهم موادع الى ان قتلوه ، فانفذ اليهم ان سلموا الى قاتله فابوا وقالوا كلنا قتلة . قال فاستسلموا الى القتل منكم ، وسار اليهم فقتل اكثرهم . وان امتنعت هذه الطائفة الباغية عن طاعة الامام ومنعوا ما عليهم من الحقوق وتفردوا باجتباء الاموال وتنفيذ الاحكام ، فان فعلوا ذلك ولم ينصبوا لانفسهم اماما ولا قدموا عليهم زعيما كان ما اجتبوه من الاموال غصبا لاتبرا منه ذمة وما نفذوه من الاحكام مردودا لايثبت به حق ، وان فعلوا ذلك وقد نصبوا لانفسهم اماما اجتبوا بقوله الاموال ونفذوا بامره الاحكام، ولم يتعرض لاحكامهم بالرد ولا لما اجتبوه بالمطالبة ، وحوربوا فى الحالين على سواء لينزعوا عن المباينة ويفيئوا الى الطاعة . قال تعالى : وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما ، فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر الله ، فان فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل واقسطوا ان الله يحب المقسطين)) (٩)

كذلك تضمنت مدونة الفقه الحنفى الكبرى ((المبسوط)) اخذا من خطاب الامام علي للخوارج مبادىء جليلة هامة قررتها كما يلي : ((.. فيه — اى فى كلام الامام علي سالف الذكر — دليل على انهم (الخوارج) مالم يعزموا على الخروج فالامام لايعرض لهم بالحبس والقتل .. وفيه دليل على ان التعريض بالشتم (اى تعريض الخوارج بشتم الامام علي وهو بجانب كونه احد المسلمين ينبغي ان يصان عرضه فانه الخليفة وامام المسلمين فى وقته) لا يوجب التعزير (اقول : ومن باب اولى يكون ذلك حكم النقد الموضوعي) فانه لم يعزرهم وقد عرضوا بنسبته الى الكفر .. وفيه دليل على انهم يقتلون دفعا لقتالهم حين يعزمون على القتال بالتجمع والتحيز دون اهل العدل)) (١٠) .

---

(٧) الماوردى : الاحكام السلطانية ص ١١٦،٢٧ ، ١٣٠ .

(٨) الماوردى : الاحكام السلطانية ص ٦٢.

(٩) المصدر السابق ص ٥٨ — ٥٩ .

مراتب الجريمة السياسية

وفي هذا التراث الفقهي . النفيس مايصلح للتمييز في « الجريمة السياسية » بين مراتب ثلاثة متصاعدة : ادناها الاقتصار على بيان الراى واذاعته وترويجه باستعمال « الكلمة » وحدها ، ويتجه الفقهاء الى عدم العقاب على ذلك مهما كانت ادانة الراى ذاته ولو كان « مذهبا ابتدعوه وانفردوا به » على حد قول الماوردى ، على ان يرشد الامام هؤلاء ويوضح لهم«فساد ما اعتقدوا وبطلان ما ابتدعوا ليرجعوا عنه الى اعتقاد الحق وموافقة الجماعة » . وقد يجوز هنا عقاب فردى محدود لا جماعي ويخص من انفرد بالجرم الاكبر « فللامام ان يعزر منهم من تظاهر بالفساد ادبا وزجرا ولم يتجاوزه الى قتل او حد » . وتلى ذلك مرتبة الاجتماع والتجمهر والتحيز بدار ، التي تعنى قيام « جمعية » ثابتة ، ولايزال الماوردى يرى في هذه المرحلة المتصاعدة عدم العقاب طالما ان الفئة الباغية المعتزلة لاهل العدل المتحيزة بدار ماتزال مقيمة « على الطاعة وتادية الحقوق » .

وانما يبدا تدخل الدولة ضد هؤلاء البغاة حين يعلنون المقاومة والخروج على الدولة بصورة من الصور ولو لم يستعملوا السلاح والعنف ، وهي المرحلة التي « تمتنع فيها الطائفة الباغية عن طاعة الامام وتمنع ما عليها من الحقوق وتنفرد باجتباء الاموال وتنفيذ الاحكام ... » ويميز الماوردى هنا تمييزادقيقا بين حالتين لاجل النظر في امضاءتصرفات هؤلاء كحكام ثورة او حكام فعليين او واقعيين De facro وهي حالة اقامة حكومة معلنة « بان نصبوا لانفسهم اماما اجتبوا بقوله الاموال ونفذوا بامره الاحكام » . ففي هذه الحالة تسلم اجراءاتهم وتصرفاتهم « فلا يتعرض لاحكامهم بالرد ولا لما اجتبوه بالمطالبة » . اما عندما لاتقوم حكومة معلنة فان الفتنة كما يبدو يعد هذا امارة على شيوع الفوضي بين هؤلاء البغاة ومن ثم اعتبر « ما اجتبوه من الاموال غصبا لاتبرا منه ذمة وما نفذوه من الاحكام مردودا لايثبت به حق ». ويرى الماوردى حرب البغاة في هذهالمرحلةالجماعية الايجابية من نشاطهم الباغي سواء اكانوا قد اقاموا لهم اماما او زعيما ام لم يقيموا . وجدير بالالتفات والتقدير ما نالته جرائم البغى لارتباطها بالاعتقاد والراى من تمييز في احكام الاسلام عن جريمة « الحرابة » ، ورعاية الفقهاء للبغاة ومعاملتهم بما يختلف عن المجرمين الاخرين .

مكان العقوبات من الشريعة

لطالما قرر العلماء ان القانون علم اجتماعي ، ويمثل الجانب الاجتهادى من شريعة الاسلام هذه الحقيقة ، اذ تنعكس على صفحاته احوال المجتمع القائم في زمان ومكان بعينهما . ولقد نسب الى الخليفةالعادل عمر بن عبد العزيز خامسالراشدين كما روى عن الامام مالك قولة تقرر انه « يحدث للناس اقضية بقدر ما يحدثون من الفجور » وليست شريعة الاسلام مقصورة على احكام العقاب ، وليست تعاليم الاسلام محصورة على الاحكام التشريعيه وحدها ، اذ تتفاعل العقيدة وشعائر العبادة واخلاق الفكر والسلوك واحكام السلطة معا في نفس الفرد والجماعة فتؤتى ثمارها ، وتتضافر على تحقيق سلامة المجتمع ونموه وتعدمه وسائل التربيه والتوعية والاعلام وابراز القدوة الفردية والعرف الجماعي الرشيد واثارة المبادرات الفردية الى البر والخير والنفع والتسابق في هذا كله مع التعاون عليه في نفس الوقت .

وياتي دور التشريع متضافرا مع هذه الوسائل كلها ، وليس التشريع مقصورا على العقوبات وحدها، وانما تتعدد فروع القانون العام والخاص وما يكون له منزلته الخاصة بين هذا وذاك . والاسلام يعطيالتشريعات الاجتماعية والاقتصاديه مكانها الاساسى المقدم في شريعته مثلما يتجه الى ذلك التشريع الرشيد

تقويم النفوس اولا

والاسلام الذى اورد حكما عقابيا للقتل ، قد عمل بصفة اساسية جذرية على ان يقتلع اسباب الحقد والعداوة والعدوان التي تدفع الى القتل، واتجه لتحقيق ذلك عن طريق العقيدة وشعائر العبادة والاخلاق ، واستعمل وسائل التربية والتوجيه، ثم عمد الىالتشريع السياسيوالاجتماعي والاقتصادى الذى ينظم العلاقات بين الاطراف المختلفة بمايحقق العدل بين الغنى والفقيروالحاكم

(١٠) السرخسي : المبسوط جـ ١٠ ص ١٢٥ ـ ١٢٦

والمحكوم وبين اى انسان وانسان آخر وبما يستل عوامل الاثرة والعصبية . ثم جاء حكم العقوبة على القتل فشغل مكانه المناسب دون افراط فى البناء التربوى والتشريعي للاسلام .

والاسلام الذى عاقب على شرب الخمر قد حرص في توجيهاته واحكامه الاساسية على ان يكفل للجسم طيبات الطاعم والمشارب ويكفل للنفس السكينة والعزيمة والايجابية حتى لاتنطلع للهروب من الواقع . ولا بد من تحقيق هذه التعاليم المادية والنفسية كلها حتى تقع العقوبة بعد ذلك موقعها الصحيح . كذلك يعاقب الاسلام على الزنا بعد ان يامر بستر العورات وغض الابصار وتيسير الزواج ، ويعاقب على السرقة بعد ان يوجب العمل لكسب الرزق وعمارة الارض ويهيء السبل النفسية والمادية للعمل والانتاج ويضمن حقوق العامل وصاحب المال ويحدد دور الدولة الاسلامية وسلطتها الشرعية وبيت مالها في ضمان العدل الاجتماعي . والاصل الاصيل في تعاليم الاسلام كلها والسبيل الجذرى العميق لتحقيق اى اصلاح هو تقويم النفوس التي هي الاساس البشرى لكل تقدم ، فيراقب المؤمن ربه فى علاقته بالناس ، ويبتغى الاخرة فى طلب الدنيا ، ويتعبد الحاكم والمحكوم والقاضي والمتقاضى والمدعى والمدعى عليه بانفاذ عدالة الله والحرص على اعلائها فوق كل هوى وفوق اى سلطة . ومن ثم اهاب القرآن بايمان المؤمنين حين امرهم باحكام شريعته « ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل ان الله نعما يعظكم به ان الله كان سميعا بصيرا . يايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم ، فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ، ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر ذلك خير واحسن تاويلا . الم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت وقد امروا ان يكفروا به ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا . واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول رايت المنافقين يصدون عنك صدودا ـ النساء / ٥٨ ـ ٦١ » .

وقيام المناخ العقيدى النفسى ، الاخلاقى الاجتماعى ، وفقا لتعاليم الاسلام ضرورى لنجاح الاحكام القانونية والقضائية . فتربية الفرد ووعى المجتمع وسلامة نظامه وضمان الاستقرار المادى والنفسى تشكل ركائز اساسية ياتى بعدها دور احكام العقاب ليستدرك ما قد يطرأ من انحراف جزئي او يبدو من ثغرة . والله يامر بطاعته في كل اوامره ونواهيه ، التي لا تشغل منها احكام الحدود والقصاص وسائر العقوبات الا مكانها المعلوم وحيزها المحدود . بل ان من احكام العقوبات ما كان شخصيا وجدانيا بين العبد وربه ، مثل احكام « الكفارات » .

اذا وصلت الهداية للقلب

وحين تتخلف الاسس النفسية والاجتماعية الضرورية لحفظ كيان الفرد والجماعة ، تقوم الحجة الكافية للعفو من العقوبة في شريعة الاسلام ، فالحدود تدرأ بالشبهات ، وفى الحديث : « ادرأوا الحدود عن المسلمين ما استطعتم فان وجدتم للمسلم مخرجا فخلوا سبيله ، فان الامام لان يخطيء فى العفو خير من ان يخطيء فى العقوبة « ١١ » والحديث هنا يقرر ما خلصت اليه مبادىء القانون الجنائى الحديث من ان «تبرئة المدان خير من ادانة البرىء» والاصل ان المتهم بريء حتى تثبت ادانته » والشبهة التى تدرأ الحد قد تكون ظرفا فرديا محدودا كما قد تكون وضعا اجتماعيا عاما ، فمن المعروف ان عمر قد اسقط حد السرقة فى عام المجاعة باعتبارها من حالات الضرورة المستثناة فى احكام القرآن العامة » فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه ـ البقرة /١٧٣ » « وقد فصل لكم ما حرم عليكم الا ما اضطررتم اليه ـ الانعام/١١٩ » . وتطبيق احكام الاسلام بحقها يستلزم رفع الضرورات الماديه والمعنوية التي تعرقل انفاذها ، بضمان العدل السياسي والاجتماعي والاقتصادى وتبديد الجهالة وبيان الهدى للناس حتى يتحمل الفرد مسئوليته كاملة « ومن يشاقق الرسول من

---

(١١) رواه ابن ابى شيبة والترمذى والحاكم فى المستدرك والبيهقي في السنن وادرجه السيوطى فى الصحيح .

بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ـ النساء / ١١٥ » « ان الذين ارتدوا على ادبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سول لهم واملى لهم .. ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول من بعد ما تبين لهم الهدى لن يضروا الله شيئا وسيحبط اعمالهم ـ محمد/٢٥ ، ٣٢ » . وتسقط العقوبة في شريعة الاسلام اذا وصلت هدايته الى قلب المذنب قبل ان تصل السلطة الى جسده ، فشعار السلطةالشرعية :الهداية قبل العقوبة... وقد تقدم راى الامام ابن القيم في تعميم الحكم بان التوبة تجب الجريمة وتمنع العقاب شرعا وقدرا !! .

وقد كان القانونيون المحدثون لا يحمدون كثرة التشريع في دولة من الدول ، وكانوا يرتاون ان المجتمع الراقي يستغني بالتربية الاسرية والعرف الاجتماعي السليم عن اوامر التشريع وزواجره . ولكن الدولة العصرية غدت تكثر من التدخل بالتشريع في المجالات المتعددة مهما كان ايمانها بالليبرالية . وما زال القانونيون لا يرون الاكثار من احكام العقوبات .والاقتصار في التدخل التشريعي بقدر الامكان مرغوب في شريعة الاسلام. ففي الصحيح ان الرسول صلى الله عليه وسلم قال « ان الله تعالى فرض فرائض فلا تضيعوها وحد حدودا فلا تعتدوها وحرم اشياء فلا تنتهكوها ، وسكت عن اشياء رحمة بكم من غير نسيان فلا تسالوا عنها » .

كما ورد في الحديث « اعظم المسلمين جرما من سال عن شيء لم يحرم فحرم من اجل مسالته (١٢)

نموذج من الزكاة

والاسلام ـ على سبيل المثال ـ قد خاطب في شان تشريع الزكاة الضمائر قبل كل شيء « خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها ـ التوبة/١٠٣ » . ومن ثم يوصي القرآن دافع الزكاة ان تجود نفسه بخير ما عنده « لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ـ ال عمران/٩٢» ، بينما يوصى عامل الزكاة ان ياخذ فقط ما تطيب به نفس الدافع . وهذا ما فهمه كثيرون من امر الله العام « خذ العفو .. الاعراف/١٩٩ » . ـ وكان من وصية الرسول لمعاذ بن جبل حين بعثه الى اليمن « وتوق كرائم اموالهمواياك ودعوة المظلوم » وورد فيالحديث « المعتدى فيالصدقة كمانعها » . ولقد راى عمر بن الخطاب مرة بين غنم الصدقة شاة ذات ضرع ضخم فقال : « ما اظن اهل هذه اعطوها وهم طائعون ، لا تاخذوا حزراتالمسلمين » ـ اى خيار اموالهم التى تشتغل قلوبهم بها ولا يزالون يحزرونها في انفسهم . على ان احكام الشريعة مع ذلك قد امرت الا يؤخذ من الحيوان في الزكاة ما هو ظاهر العيب مثل الجرباء والعوراء والعجفاء . (١٣) وقد ارتاى عثمانبن عفانانيترك للمكلف نفسه دفع زكاة مالا يظهر من الاموال لمستحقيها ، وتشمل هذه الاموال النقدين الذهب والفضة وعروض التجارة التى لا تجبى عنها العشور ، بينما تكتفي الدولة بتكليف عمالها جمع زكاة الاموال الظاهرة من زروع وحيوان .

وقد خطب عثمان فذكر الناس بواجبهم الشرعي في دفع الزكاة واحالهم الى ضمائرهم فقال « ان هذا شهر زكاتكم ، فمن كان عليه دين فليقضه ، وزكوا بقية اموالكم » . وثمة رواية لكلام عثمان تزيد : ان الزكاة لا تطلب حتى ياتي بها دافعها تطوعا ، وقد يكون المقصود بذلك زكاة الاموال غير الظاهرة ، فدافعها مخير بن توجيهها مباشرة الى مستحقيها او ادائها لعامل الزكاة حتى يتولى هذا توزيعها على مستحقيها ، ويكون دفع زكاة الاموال غير الظاهرة الى عامل الزكاة فيهذه الحالة تطوعا واختيارا ، بينما يكون دفع زكاة الاموال الظاهرة الى العامل الزاما واجبارا مع اخذ ما تطيب به النفوس من الحيوان .

وقد تكون الاشارة الى اخذ الزكاة مندافعها الذى ياتي بها تطوعا حكما عاما قصد به تاكيد ان

---

(١٢) أورد هذينالحديثين وغيرهما ابنكثير فيج ١ من تفسيره للاية ١٠١ ـ ٢ من سورة المائدة « يأيها الذين آمنوا لا تسالوا عن اشياء ... »

(١٣) ابو عبيد القاسم بن سلام : الاموال ـبتحقيق خليل هراس ـ القاهرة ـ ص ٥٥١ ـ ٣ نصوص رقم ١٠٨٢ ـ ٦

اداء الزكاة هو استجابة لامر الله نتيجة وجدان المؤمن قبل كل شيء . وذكر ابو عبيد القاسم بن سلام ان « الصامت » ـ ويسميه الفقهاء ايضا الاموال الباطنة او غير الظاهرة ـ هو الذهب والفضة « وحكمه ليس الى السلطان انما هو الى امانات المسلمين ، وصدقة الحرث ـ اى الزرع ـ والماشية انما هي الى الائمة تؤخذ من الناس على الكره والرضا » (١٤) .

وقد ارتاى عمر بن عبد العزيز ان ياخذ الزكاة من المنبع بالنسبة لبعض حالات الدخول النقدية وهى التي تاتى من بيت المال فكان « اذا اعطى الرجل عمالته اخذ منها الزكاة ، واذا رد المظالم اخذ منها الزكاة ، وكان ياخذ الزكاة من الاعطية اذا خرجت لاصحابها » (١٥) ويبقى مع ذلك رأى عثمان له وجاهته ودلالته ، وقد يكون الذى ادى الى قرار عمر بن عبد العزيز تغير الظروف . وقد روى بالنسبة لزكاةالزروع نفسها فى صدر الاسلام ان عامل الزكاة كان لا يحصى الغلة وزكاتها فى اول الاسلام وانما كان يتسلمها وفق ما يقدره دافع الزكاة نفسه بحكم ضميره . وحين شرع الامويون منذ ايام مروان يحصون ويحسبون قال الصحابى عثمان بن حنيف لعامل الزكاة او قد فلعتموها ؟ انها لم تكن جزية قط ؟ قال ابو بكر بن حزم : وكان الناس قبل ذلك لا يؤتون لزكاة حرثهم انما يؤدى الرجل ما قدر له ان يؤدى لا يتبع بشيء ولا يسال عن شيء حتى كان من امر مروان ما كان (١٥) .

ترى هل تقنع مثل هذه الحقائق كل مخلص للاسلام وشريعته ، فنحرص على اقرار الاسلام فى اعماق النفوس ، وتقرير اسسه في مجال التشريع الاجتماعي واشاعة هدايته فى كل مكان .. ولا نظن قط ان الشريعة هي فقط احكام الحدود !! يومها يصدق علينا الوصف القرآني « .. امة يهدون بالحق ، وبه يعدلون ـ الاعراف /١٨١ » .

ان امامنا قضايا فقهية ليست بالقليلة في مجال العقوبات وغيرها ، تحتاج الى بحث عميق ومناقشة جادة ، حتى تنضج فى عقولنا قبل ان نتناولها بالتقنين ... فلا نعمد الى نقلها عن مدونات الفقه بحروفها لاننا لم ندرها فى رؤوسنا ، ولم نحاول النفاذ الى ما وراء كلماتها ، والى حقائق مجتمعنا ، بعد ان مرت القرون المتطاولة على اجتهادات اسلافنا في شانها وصياغتهم لها !

ـ نحن نؤكد ان الاجتهاد حق ، لكن نخشى ممارسته ، ونرهب كل من يحاوله ويجربه ...

ونحن نزعم ان كل احكام الاسلام قريبة الفهم والتنفيذ ، وان كل مستحدثات العصر من القضايا والوقائع يسهل قياسها على ما فات ، والقطع فى شانها بكلمات ... ومع ذلك فاننا فى مجال الاحوال الشخصية ذاته ، لا تكاد لجنة تجتمع لدراسة حصيلة التجربة بالنسبة للتشريعات القائمة والحقائق الاجتماعية الواقعة ، ولا تكاد تبدا المناقشات وتعرض المشكلات ، حتى يصر الكثير او الاكثر على التمسك بما فى بطون الكتب وحدها من اجتهادات . ولقد صرح عالم جليل من علمائنا المعاصرين رحمه الله مرة في احد هذه الاجتماعات ان موافقته على اى تعديل فى احكام التشريع القائم مشروطة بوروده فى احد كتب السابقين وروايته عن فقيه قديم ولو كان رايا مرجوحا !!!

وهكذا تنفض اللجنة بعد اجتماعات متطاولة ، وقد اقتنعت السلطة المختصة وقتها بالابقاء على تشريع الاحوال الشخصيه القائم ايا كانت ثغراته ، مادام ليس من المستطاع التقدم خطوة الى الامام ، وتصحيح المسار بالرجوع الى اصول الشريعة واحكامها الثابتة لتلبية حاجات المجتمع بدلا من الانحصار الى الابد فى اجتهادات السابقين وما ارتاوه منذ قرون !!

« ربنا لا تجعلنا فتنه للذين كفروا .. الممتحنه /٥ » ـ آمين . ■■

محمد فتحي عثمان

---

(١٤) المصدر السابق ص ٥٩٧ ، ٦٨٤ ٧٥٨نصوص رقم ٩٩٠ ، ١٢٤٧ ، ١٥٥٦ ، ١٨١٧ ـ ٨
وانظر ايضا يحيى بن آدم : الخراج بتحقيق احمدشاكر ص ١٥٩ نص رقم ٥٩٤

(١٥) ابو عبيد القاسم بن سلام : المصدرالسابق ص ٥٩٠ نص رقم ١٢٢٦

(١٦) المصدر السابق ص ٦٥٤ رقم ١٤٤٥ ـ ٦٠:

الذكرى المئوية الأولى لفيلسوف لبنان

أمين الريحاني

"قل كلمتك وامش"

بقلم : فاروق الجمال

من المنتظر ان تقيم جامعة بركلي في كاليفورنيا، الولايات المتحدة ، ابتداء من الرابع والعشرين من شهر نوفمبر (تشرين الثاني) الجاري اسبوعا ثقافيا بمناسبة الذكرى المئوية لمولد فيلسوف الفريكة امين الريحاني ، المصادفة في اليوم الاول من الاسبوع الثقافي .

وستلقى في حلقات متوالية مجموعة من الدراسات التي تتناول الاتجاهات الفكرية في ادب الريحاني باللغتين العربية والانكليزية .وسيقام معرض لمؤلفاته المنشورة والمخطوطة الى جانب المؤلفات الموضوعة عنه والمنشورة باللغات العربية والانكليزية والروسية والفرنسية والاسبانية والالمانية .

وسيشترك في اسبوع الريحاني ادباء اميركيون واساتذة جامعيون من العرب والاميركيين ومستشرقون من روسيا وانكلترا وكندا . في الذكرى المئوية لمولد فيلسوف العرب امين الريحاني الذي تذكرناه طويلا في ايام المحنة الاليمة ، تذكرناه لانه طالما نادى بوطنه القوى المعافى « بمدينته العظمى » حيث يسود العدل والحق . وحيث تقوم الحرية والمساواة بين المواطنين .

ونذكره اليوم ، تماما بعد مائة عام من مولده، لنعترف له ، بحزن عميق ، اننا ما عرفنا بعد ، كيف نحقق الوطن الذى تصوره و «المدينة العظمى» التي نادى بها .

فيا من رفعت شعار «قل كلمتك وامش» نعترف لك اليوم اننا ما عرفنا بعد ، كيف نقول كلمتنا ونمشي .

يوم قال امين الريحاني ، وهو في مطلع الشباب، كلمته المعروفة «حياتي اريدها ان تشع لا ان تفرقع» رسم لنفسه نهج حياته فقد شاء ان يتجاوز القشور البراقة الى الجوهر بقدر ما شاء ان يتجاوز انهدم الى البناء . من هنا صفة الايجابية التي تلازم ادبه في خواطره كما في بحوثه ومسرحياته، في قصصه كما في شعره المنثور ورحلاته .

ادب الريحاني جله عصارة اختبار حي . فقد علمه مفكرو القرن الثامن عشر الفرنسيون والفلاسفة الوضعيون كيف يقرن النظريات بتجسيداتها العلمية فتصبح روحا وجسدا اى ذاتا كلية .

احب الريحاني لبنان فما توقف عند التغني



بالارز والآس والبيلسان بل جسد العاطفة الوطنيه الفطرية نضالا فاعلا • حارب العثمانيين يوم كانوا في سدة المجد وثار على الانتداب فلا ساوم ولا هادن • وطاف كل قرية وعايش اهلها وتشبع من امسها ويومها ودون انطباعاته في «قلب لبنان» • واكب على مجتمعه يدرسه تفصيلا فيعمل المبضع بالفساد وينوه بمآتي الحضارة وينادي بالتسامح الديني والوحدة الوطنية والحرية والتقدم وحرية الانسان فاذا «ريحانياته» ورحلاته ورواياته «خالد وجهان » و « زنبقة الغور»تفيض بالنماذج البشرية الساعية الى تحقيق ذاتياتها بوحي مبادىء انسانية مثلى •

واحب الريحاني العرب ـ يقول الدكتور جميل جبر ـ فما اكتفى بالتغني بالمغني وحده وعرار نجد . بل طاف البلدان الشقيقة في اصعب اسباب التنقل واتصل بالملوك والرؤساء والشعوب يعرف بعضهم الى البعض الاخر ويمهد سبيل التفاهم بينها على أسس العلم والمنطق والمصلحة المشتركة• واتت كلماته ثمارها حيثما زرعت لانها صدرت عن اخلاص اكيد وعقل راجح وايمان بتطور الانسان•

الاصلاح والثوب البالي

لقد كان الريحاني رحالاواديبا حقق فكرة الالتزام الاجتماعي على ارفع مستوى . لقد وعى ان الكاتب الاصيل هو اولا كائن بشري يعيش في جو البشر ويمشي على ترابهم ويتحدث بلغتهم ويتنشق

هواءهم ويتالم لالمهم .يقلق لقلقهم وان عليه بالتالي ان ينطلق بلسانهم فلا يراوغ ولا يميع ولايتخنث ولا يتلهى باللفظ المنمق على غير مضمون .

ومن افكاره وكلماته التي نشرها بدورا للزارعين وقالها ومشى فهي :

الاصلاح الحقيقي هو الاصلاح الجذري اذ الثوب البالي خير من الثوب المرقع ـ الحرية السياسية تبقى عقيمة ان لم ترتكز الى الحرية الروحية وليدة العلم الصحيح والتهذيب ـ المدنية الحقة تقوم على العدالة الاجتماعية والمساواة ـ الشعب الامثل يعي الانسانية ويعمل على تحملها بحزم واباء ـ الثورة الحقيقية تبدأ فكرا وشعورا ولا يبقى من آثارها بعد ان تمر ، الا ما كان منطبقا على ما نضج في الانفس والعقول ، بل لاينمو من بذورها الا ماوافق التربة التي تزرع فيها ـ التعصب والغوف هما توأما الجهالة والتقليد .

مسافر لا يتعب

ولايمكن الحديث عن النهضة الادبية والاجتماعية في لبنان والعالم العربي دون التوقف عند امين الريحاني . فهذا الكاتب الملتزم كان له مع جبران افعل الاثر على جيله سواء في انتاجه واسلوبه ام في نهج حياته النضالي . ومايزال هذا الاثر بارزا حتى اليوم .

ماهي خصائص هذا الاديب وماهي المراحل الرئيسية في حياته ؟ وماقيمة عطائه الفكري في خدمة لبنان والعالم العربي وتقدم حضارة الانسان ؟ .

ولد امين الريحاني في ٢٤ تشرين الثاني في سنة ١٨٧٦ في قرية الفريكة اللبنانية . وتعود ذكرياته الى معمل الحرير الذي كان يديره ابوه في مسقط راسه وحيث كان يلعب «بالغميضة» ويطارد الفراشات ويجمع الزهر للعذراء .

وتميز منذ الحداثة بشهوته الى المعرفة والاكتشاف . ففي مدرسة «تحت الزيتونة» كما في باحة كنيسة مار مارون حيث كان الاب مرقس يردد مزامير داود متثائبا كما في المدرسة التي كان يديرها نعوم مكرزل ابدى ميلا لشؤون الثقافية .

سافر الى نيويورك حيث ساورت الدهشة ذلك اللبناني الصغير . كيف لا وقد انتقل من الحياة الهادئة البطيئة الى عالم تطغى فيه الآلة على الانسان ، عالم السرعة والنشاط المستمر فعاوده الحنين الى بلاده. لكن طموحه ابى عليه الا ان يجابه قدره ويثبت اقدامه في نيويورك .

في الليل والنهار درس الريحاني الانكليزية في ادابها الحديثة والقديمة وهو يعمل ولا يتذمر . لكن هذا الاستمرار في الكد استنزف حيويته. كان يروم الجديد والعجيب في كل شيء فسعى اليه في المراقص والحانات لكنه لم يرتو . فنقم عليه ابوه المحافظ على التقاليد الاخلاقية وطرده من المنزل فانصرف الى هواية الفن المسرحي وانضم الى فرقة جوالة يرأسها هنرى دجوت ما عتمت ان افلست فعاد الشاب المغيب عودة الابن الشاطر يستغفر اباه ويجدد عهد الدراسة وكان احب الكتاب اليه شكسبير وروسو وكارليل ورينان . واستهوته بنوع خاص افكار الثورة الفرنسية فثار على العادات البائدة التي كانت تشل النشاط الخلاق في بلاده .

عاد الريحاني منهوك القوى الى الفريكة في سنة ١٨٩٨ . عاد الى الكنيسة القديمة ومراتع الصبا لا ليلعب هذه المرة بل ليستريح ويتامل ويطالع ويكتب فترجم الى الانكليزية اشعار ابى العلاء المعرى .

ولما كان الشرق مازال راتعا في خموله اشتاق الريحاني الى نيويورك اذ الانسان كالنبتة تتاصل جذوره حيث يعيش .

وفي سنة ١٩٠٠ رجع الريحاني الى الولايات المتحدة فنشر فيها باكورته « المحالفة الثلاثية » وبقي هناك حتى سنة ١٩٠٤ فرجع الى لبنان مشبعا بافكار روسو وفولتير والمدرسة العلمية حول الحرية والتقدم وكانت هذه الافكار ملء الاجواء الاميركية .

لم يكن القسم المحتل من لبنان ولا البلدان العربية المجاورة حيث كان ظلم الولاة يشترع القوانين لترضي الريحاني فنمت في ذهنه فكرة الاصلاح الشامل الممتد الى روح الشعب وعاداته وتقاليده وقيمه . انه حلم جبار لكنه وهمي خطر في محيط تصفي فيه المقصلة حسابات الناقمين. ومع هذا كانت حفنة من المثقفين تعمل في الخفاء الا ان عملها الفردي كان قليل الاثر وكان بالتالي

لابد من تجميع العناصر الديناميـة وتوجيهها وتجسيد أمانيها الاصلاحية فكان الريحاني ذلك الموحد . واذا الفريكة ملتقى الشباب المتحرر . وهناك كانت تجرى المناقشات الحارة حول الوسائل الفعاله لقلب الوضع السياسي وتتبعها مناهج العمل والنشرات الدورية السرية والمحاضرات تردد اصداء تلك الاجتماعات فتحرم النيام .

في سنة ١٩٠٩ انهار عهد السلطان عبدالحميد ومنح الدستور الجديد حرية اوفر لولايات السلطنه فاطمأن الريحاني ، الى حد ما ، لهذا المصير فعاد يحلم بنيويورك والحرية التامة التي توفرها للاديب، لكنه قبل ان يغادر لبنان نشر « الريحانيات » وهي مجموعة مقالات وخطب وقصائد مفعمة بالروح الوطنية الحارة .

دامت اقامة الريحاني في الولايات المتحدة عشر سنوات هذه المرة لان الحرب الكونية الاولى قطعت المواصلات بين العالم الجديد والعالم القديم .فما ان عاد السلم حتى راح يفكر بالرجوع وقد سيطرت عليه فكرة زيارة الجزيرة العربية ونشر الافكار التقدمية فيها والسعي الى توحيد كلمتها .وبالفعل زار تلك البلاد وقام بمهمته خير قيام رغم العراقيل الكثيرة المختلفة التي اعترضت سبيله فادام مفاوضات الصلح والتعاون تمتد بين شيوخ الجزيرة .

وعاد الريحاني من رحلته الشهيـرة ودون انطباعاته عنها « في ملوك العرب » واظهر للعالم حقيقة ما شاهده في الجزيرة العربية واليمن والعراق .

في سنة ١٩٢٤ كان الريحاني يدير من صومعته في الفريكة معركة الاستقلال الكتابية . فلبنان الخاضع للانتداب رغم تحرره من الضغط السياسي العثماني مازال يفتقر الى الحرية الناجزة في التعبير العملي . فاستأنف الريحاني اتصاله باصدقاء الامس وقام بحملات عنيفة ضد الظلم فاضطهد ولم يهادن .

ادب الرحلة

ان ادب الرحلة لون قائم بذاته مضى الغربيون به بعيدا من حيث المتعة والفائدة . اما في العربية فقد بقي في اول الطريق ، جامدا تنقصه دينامية الفن . هذا اذا استثنينا احمد فارس الشدياق الذي شغلته الغرابات اللغوية عن الانصراف الكلي الى ادب فكه خلق له .

جمع الريحـــاني الادب الحسي الى المــادة الاخبارية الطريفة .فحكى باسلوب روائي مرح سلس حكاية اسفاره الطويلة في بلاد العرب يوم لم تكن تربط بينها اية وسيلة من وسائل المواصلات الحديثة . فجاءت رحلاته وهي تشكل الاهم من آثاره في الانكليزية والعربية ، موسوعة متكاملة الحلقات تنطوي على كل علم وخبر ، من تاريخ الى جغرافيه الى اقتصاد الى اجتماع ، بل شريطا ملونـــا ناطقا ذا احجام يوهم القارىء انه رفيق الرحالة.

حتى في سرد الاشياء العادية عرف الريحاني كيف يكشف لها وجها جديدا ويخلق جوا يساعد على تبديد السأم . من عفوية في الحوار هنا الى مسارة حميمة هناك ، الى شمول في الوصف هنالك ، وتربط بينها جميعا روح دعابة تدفع الى الاستزادة.

قصر الريحاني رحلاته على العالم العربي .لم يذكر شيئا عن اسفاره في سائر العالم القديم ولا الجديد . ولعل رسالته العربية حملته على هذا القصر .فقد شاء ان يعرف العرب الى العرب ليقرب بينهم جميعا ، لان الانسان في طبيعته ، عدو ما يجهل . وقد شاء ايضا ان يدل على مواطن الخير والشر والتقدم والتاخر . في بلاد العرب بغيرة الرسول الموجه . ولعله اول من اشار الى موارد النفط في الشرق العربي ففتح عليها العيون ومهد لظهور الثروات الطائلة فيها . وبين آثار الريحاني في ادب الرحلة يأتي قلب لبنان في الطليعه من حيث الابداع والمتعه . فهذا الكتاب الذي طبع بعد موت الريحاني والذي لم ينجز ينطوي على مجموعة رحلة في قلب الجبل اللبناني قام بها الامين في مراحل مختلفة من حياته وهو يسرد فيها انطباعاته مستندا الى نظرات في التاريخ والجغرافيا جامعا دقة التحليل الى طرافة النكتة .

الاسلوب هو الرجل ..

فلما صحت كلمة بوفون« الاسلوب هو الرجل»في أديب بقدر ما صحت في صاحب قلب لبنان . فذلك الانسان الحر الصريح المرح العصبي المزاج ،جاء اسلوبه برقا ، سلسا ، فكها ، متماسك الحبك ، بعيدا عن كل غرابة وتعقيد .

لقد ادرك الريحاني ان الاديب الاصيل هـو اولا واخرا انسان شفاف الحساسية ، يقظ الخيال، يعيش الوجود في صميمه ويستوحي اختباره باخلاص. لقد فهم ان الادب الحي نداء للقارىء. فبقدر ما يبطل الاديب ان يكون جزيرة ، بقدر ما يهبط من برجه العاجي الى الارض فيتصل بقارة الحياة والانسان بقدر ذاك يشهد على جيله ويؤدي رسالة.

مازال امين الريحاني حتى اليوم صاحب مدرسة خاصة في الكتابة ينهج نهجها الكثيرون. ذلك انها استمدت معطياتها من وحي مقتضيات العصر فجاءت تسد فراغا في محيط الادب اللفظي المرصوف على غير مضمون وجاءت ثورة على الكلام المنمق والاحاجي والتوريات التي جعلت الانشاء العربي عند اكثرهم ضربا من التسلية على غير طائل . فما هي خصائص أسلوب الريحاني التي تجاوزت محنة الزمن ؟

انشاء بزق ، فكه ، سلسل ، متماسك الحبك ، عصبي ، بعيد عن التعقيد والغرابة . انه يلائم ، كل الملاءمة تنقل الكاتب على غير تمهيد من الوصف الى الحوار ، الى النقد فان لكل لون من الحديث لونا من اللفظ .

★ ★ ★

خاطبها بعصفوري الصغير فنادته حبيبي

وروى احد ادباء لبنان ، قاصدا زوجة الريحاني،

حبيبي امين : ان اعداءك كثيرون وانا فخورة بكوني قادرة على معونتك

وسابقى ولو كان علينا ان ننام على مقعـد خشبي ...

الذين قرأوا للريحاني أو عنه قلما خطر لهم ان هذا الاديب الملتزم كان متزوجا وان زوجتـه كانت فنانة معروفة . ذلك ان فيلسوف الفريكة لم يذكر شيئا في كتاباته عن هذا الموضوع ، لان الذين كتبوا سيرة الريحاني لم يتوقفوا كثيرا عند زواج الريحاني لان التفاصيل اعوزتهم . وهذه بعض رسائل متبادلة بين هذين الزوجين المعروفين في عالمي الادب والفن ، وبعض تفاصيل هذه العلاقة العاطفية وتطوراتها .

في اواخر سنة ١٩١٤ اقيم في سان فرنسيسكو معرض اقليمي للرسم نالت جائزته الاولى آنسة اميركية سكوتلندية الاصل تقطن ولاية كاليفورنيا اسمها برتا كابس .

لقد اثارت الكتابات عن برتا كابس اهتمام الريحاني وابدى رغبته لبعض الاصدقاء الاميركيين في التعرف اليها .

وجمعت الصدفة المدبرة امينا وبرتا في حفلة شاي راقصة في نيويورك احياها صديق مشترك وكانت برتا قد قرأت كتاب «خالد» لامين الريحاني وتذوقت نهجه الطريف .. وكان هو قد علم بعض الشيء عن سمتها التصويري فدار الحوار بينهما حول علاقة الادب بالفن وانتهى الى علاقة الاديب بالفنان او الفنانة . وتوثقت حلقات الرقص وكان امين يستأثر بمراقصة برتا طوال السهرة ، الصلة بين عاشقي الجمال هذين ، وكان هذا في مطلع سنة ١٩١٥ .

.. وكان لقاء ثان ، من قبيل المصادفة بالظاهر، بين الريحاني وبرتا كابس ، وطد العلاقة بينهمـا فازدهرت مع الربيع . وكان هذا في نيسان .

وعام ١٩١٦ عقد الزواج بينهما في محكمـة مدنية في نيويورك .

وكانت الحرب في اشد استعارها وكانت الصحف الاميركية ظماى الى اخبار وثيقة المصدر عـن ميادين القتال فاوفدت معلنا بوكمن وفورومامينا، وكان يحرر فيهما ، الى اوروبا ليطلعهما بتفصيل على الوضع العربي .

وكانت مناسبة شهر العسل للعروسين فمضيا الى فرنسا حيث قضيا فصل الصيف ثم اشتد الخطر على فرنسا فهربا الى اسبانيا ، الـى الاندلس ،وقد شاء الامين ان تعيش زوجته في أجواء الامجـاد العربية القديمة فساحا معا في قصور الحمراء، واشبيلية واعجبت برتا بالفن العربي العريق في الاندلس .

ومن وحي هذه القصور كتب الريحاني يومئذ : « ان في قلب الاندلس ملجأ قلما يلجأ الاندلسيون اليـه . هناك مقام لا تسمـع فيه ضجة العيد ، مقامات كان لها من السرور ايام زاهرة ومن المجد اعلام وقباب ما تبقى منها اليوم غير قصور متهدمة نبتت في جدرانها الاعشاب ونظم العنكبوت مرثاته فوق النوافذ منها والابواب وجلس في عروشها

العاليه السكون ودفن في جنتها المهجورة الشعر والادب والفنون . طلول كانت بالامس معاهد وقصور . هدى اثار الحرب وقد امست عروشا نربة النسيان ومدفنا لمجد الزمان وعبرة بليغة للانسان . .

اما برتا فقد اخذت بعض رسوم احتفظت بها تذكار عن تلك الرحلة الاوروبيه الرائعة رغم اضطراب احواء الحرب .

لما اعلنت الولايات المتحدة الحرب على المانيا سنه ١٩١٧ خشي الامين ان تنقطع المواصلات عبر المحيط الاطلسي فقرر العودة الى الولايات المتحدة لاكمال عمله الصحفي .

بعد برتا في اسبانيا تكمل سياحتها بينما ذهب امين الى نيويورك ومنها الى المكسيك حيث قام بحملة ضد المانيا اخذ موقفا صريحا لجهة الحلفاء ورأى لحساد الفرصة مؤاتيه للنيل من امين الريحاني فنشر بعضهم حملة عليه . وقد بلغت برتا اصداء هذه الحملة فكتبت الى امين تقول

حبيبي امين

عرفت ان عداءك كثيرون . وانا محورة بكوني قادرة على معونتك . سابقى في جانبك ولو كان عليا ان ننام على مقعد خشبي او تحت ارصفة بروكلين . اريد ان اذهب اليك . فانا وحيدة هنا . اريد ان اسمع منك كلاما جميلا » .

اجابها الريحاني :

عصفوري الصغير

انت بدايه ونهاية كل جهودي . وانت دوافع طموحي . ان قست فانت عزائي ، وان بعدت فانت فرحي .

في ٦ آب ١٩١٧ كتب اليها من نيويورك :

« انا لا اود ان استقر في هذه البلاد قبل ان افقد كل امل . وهذا يعني انني سانتظر نهاية الحرب . انني اعمل على دعم حركة التجنيد في صفوف الحلفاء ضد المانيا وكان يخطب في الجاليات اللبنانية والسورية ويحثها على التطوع وسواء تحققت الجبهة الشرقية ام لا فان مثل هذه الحركة تفيد السوريين . ساخطب في اجتماع عام داعيا للتطوع . اجتمعت بالرئيس روزفلت وحدثته بموضوع فلسطين قبدا قبيل الاطلاع على هذه القضية ، ومترددا في ارائه . لكن الولايات المتحدة ستدعوني يوما للقيام بدور حاسم لحل مشكلة الشرق الاوسط . وسوف يعلم تيودور روزفلت حينئذ انه كان على خطأ حين لم يشأ ان يستمع الى ارائي .

نجحت الحملة المنظمة ضد الريحاني في المكسيك فالقت حكومتها القبض على الريحاني ، فابرق الى برتا يعلمها بالامر فاسرعت الى المكسيك وكان لامين فيها شقيقه يوسف واصدقاء كثر .

وكتب الريحاني من سجنه الى برتا يقول :

الساعه العاشرة صباحا

انه الاحد الثاني في السجن .

استعمت الان رسالتك . اني لأتساءل ماذا يستطيع اللبنانيون والسوريون المعارضون للحكومه هنا ان يفعلوا غير اعلان حقهم في قضية عادلة والعمل على تحقيقها . »

وبعد ان انتهت الحرب وعاد السلم يخيم على العالم من جديد عاودت الريحاني فكرة القيام برحلة الى البلدان العربية السحيقه بعد ان تقلص عنها الظل العثماني . وكانت الفكرة قد خطرت له مرات من قبل ولم يتسن له تحقيقها . لكنه اصبح اليوم غيره بالامس ، فقد قيدته مسئوليه الزواج . هل ترافقه برتا في هذه الرحلة كما رافقته الى اسبانيا .. لكنه ما ان عرض الفكرة على زوجته حتى استهجنتها بسبب صعوبة المواصلات وغرابة الاحوال بالنسبة لها .

وما انفك امين يرغب برتا بمرافقته الى الجزيرة العربيه ليعودا منها الى لبنان «مورد الشعر» . لكنها استرسلت في عنادها وابت ان تترك نيويورك حيث بدات شهرتها بارتفاع .

واصر الريحاني على تحقيق حلمه .. واتفقا اخر الامر على ان يذهبا معا الى حزر الباليار حيث بعض صديقاتها ثم ينطلق هو الى الجزيرة العربيه على ان تلحق هي به الى البصرة عن طريق الهند بعد حين .

لكن برتا لم تلحق بالامين . فكانت القطيعه بينهما وقررا الطلاق .. ■■

فاروق الجمال

فهمي هـــويدى
يكتب من الجزائر

■ شهدت في الجزائر موقعة لاكتشاف الذات !
وهي احدى حلقات « الجهاد الاكبر » الذى تخوضه الجزائر منذ الاستقلال . بل قل انها جزء من معركة الامة العربية التي لم تنتصر فيها بعد . ان نعرف من نحن ، وعلى اي ارض نقف ؟ الامر الذي يرتبط اشد الارتباط بتساؤلات اخرى هامة مثل : ماذا نريد واي طريق نسلك؟.. لان تحديد الهدف هو الذى يحدد الوسائل والاساليب . وطبيعة المعركة هي التي تحدد طبيعة السلاح : ننصرف لاكتشاف انفسنا ، ام نكتفي باكتشاف النفط والغاز ؟ .. الذات ام الزيت ؟!

موقعة جزائرية

والمشكله الملحه في الجزائر ، ان ثمه جيلا يقف الان على المسرح لا يعرف من هو ولا ماذا يريد . الجيل الذى سبقه اختاروا ان يكونوا «مجاهدين». وان يحرروا التراب الجزائرى من الاستعمار الفرنسي بالبندقيه والمدفع . كان الهدف امامهم واضحا والاساليب محدده ، والعدو مجسدا ومرئيا . اما هؤلاء ، فقد صعدوا الى المسرح بعدما انتهت الملحمه ، فتحولوا الى متفرجين .

وحتى لا نظلم هذا الجيل ، فينبغى ان نقرر ان بعضهم اختار ان يبقى متفرجا ايثارا للراحه والاسترخاء وتهربا من المسئولية . لكن هناك آخرين ـ ربما معظمهم يقولونها ـ جلسوا في مقاعد المتفرجين لان « النص » المعروض عليهم لم يكن مقنعا لهم ، او لانهم لم يفهموا النص ولم يستوعبوا اهدافه ومراميه ، او لانهم وجدوا ان « الادوار » وزعت على غيرهم ، بحيث لم يعد لهم مكان على المسرح على الاطلاق ، فانسحبوا الى حيث صفوف المتفرجين .

وايا كانت الاسباب فالنتيجه واحدة : ان هذا الجيل الجديد من الشباب انفصلت عربته عن القطار. انصرف في المقاهى والميادين وعلى الارصفه، يدخن السجائر ويتامل الواجهات ويعاكس خلق الله بالغمز واللمز والصفير !

وكلنا في هذا البلاء سواء . فهذا الذى تعانى منه الجزائر ، هو صوره طبق الاصل من واقع يعيشه الشباب في بقيه اجزاء الوطن العربى . شراذم هائمه تعذبها الحيره ، ويهددها الضياع

ومع ذلك ينبغي ان نقرر ـ ايضا ـ انه جيل لم يولد فاسدا بكل تاكيد ولكنه « افسد » لسبب او آخر . وهي قضية جديرة « بالمناقشه » ، رغم الظروف المعقدة والدقيقه التى تحيط بعناصرها واطرافها .

ضرائب اوربية للجزائر

كانت «الموقعة» في مدينه باتنه عاصمه الاوراس، جبال الجزائر الشهيره . هناك ، احتشد الجمع، بقيادة مولود قاسم وزير الشئون الدينيه ، الذى اختار ان يقاتل على هذه الجبهه ، مستخدما كافه الاسلحه . من سوط صغير في يده ـ للتلويح فقط ـ الى مجلة « الاصالة » التى تصدر عن وزارته ، واسمها يعبر عن رسالتها ، الى ملتقيات الفكر الاسلامى ، التى يدعو اليها كل من يستطيع ان يسهم بذخيرته في هذه المعركة .

كان جدول الاعمال يدور حول قضية واحدة :



جانب من القاعة . وقد ظهر فى الصف الاول الدكتور فاضل الجمالى رئيس وزراء العراق الاسبق

تصوير :
اوسكار مترى

لاكتشاف الذات !

ان يسترد الشباب ثقته في نفسه ، كجزائريين ، وكعرب ، وكمسلمين .

مثلا ، احتل بند « الجزائر والعالم » جانبا من المناقشة . وكان محورها هو صفحات التاريخ المدفونة، التي تشير الى انه كانت هنا دولة مرهوبة الجانب ، لها سطوتها وقوتها ، قبل ان تجثم على صدرها الاستعمار الفرنسي في عام ١٨٣٠ .

من هذه الصفحات ما يقوله بحث الدكتور يحيى بو عزيز استاذ التاريخ بجامعة وهران : كانت الجزائر اقوى دول المغرب العربي الاسلامي بسبب مساحتها وطول سواحلها وغناها الاقتصادى الاه الذي اكسبها وضع الزعامة على سائر دول المنطقة. واعترفت لها دول اوروبا بذلك . واخذت تدفع لها الضرائب والهدايا ، باكثر مما تدفعه لتونس وطرابلس بعد استقلالها في القرنين ١٧ و ١٨ . حتى اصبحت تلك الدول تهابها وتبرم معهـا معاهدات السلم والصداقة حتى تتجنب نقمتها وغضبها .

يضيف الدكتور بو عزيز ان هنري فارو سجل ما كانت تدفعه اوروبا وامريكا للجزائر على النحو التالي :

ـ الولايات المتحدة وهولندا والبرتغال ونابولي والسويد والنرويج والدانمارك ، تدفع ضريبة كل عامين .

ـ الدانمارك والنرويج والسويد تدفع ضرائب اضافية في شكل اسلحة وحبال وصوار ورما وذخيرة البارود ، ورصاص وحديد ، تقدر قيمتها بمبلغ ٢٥ الف فرنك لكل دولة .

ـ اسبانيا وفرنسا وانجلترا وهانوفر وسردينيا والبندقيـة ، تدفع هـدايا دورية للدايات (الحكام) والباشوات واعضاء الديوان ، عند ابرام المعاهدات او تعيين القناصل لها بالجزائر .

ـ النمسا وروسيا لا تدفعان الضرائب ، ولكن تدفعان اموالا طائلة ، لفداء اسراهما الكثيرين بالجزائر .

صفحة اخرى تثير الانتباه ، في بحث الدكتور شارل . ل . فيتز ، مدير المعهد الامريكى للدراسات الاسلامية في جامعة دنفر (ولاية كولورادو) . وكان موضوعه « الولايات المتحدة والثورة الجزائرية » . تقول فيها ان امريكا ايدت بقاء فرنسا في الجزائر خوفا من الشيوعية ، ومساندة لاقدم اصدقائها في اوروبا . لكن بعض اعضاء مجلس الشيوخ لم يقروا هذه السياسة، وايدوا استقلال الجزائر . وكان في مقدمة هؤلاء



مولود قاسم



احمد توفيق المدني

جون كيندي (الرئيس الامريكي المقتول) الذي قدم في ٢ يوليو عام ٥٧ مشروع قرار الى مجلس الشيوخ يطالب بتغيير موقف بلاده من الثورة الجزائرية ، وبتأييد استقلالها، وفتح باب مناقشة هامة حول هذا الموضوع في المجلس ، وكان مما قاله كيندي : انه لما كانت امريكا ذاتها نالت استقلالها بوسائل ثورية ، فينبغي ان تكون سياستها هي تأييد استقلال الجزائر . حتى اذا ادى ذلك الى فقد صداقة فرنسا !

وقدم كيندي مع آخرين مشروع قرار بهذا المعنى ، احيل الى لجنة الشؤون الخارجية حيث دفن هناك ولم ير النور .

ثم دارت دورة الزمن ، وعندما حصلت الجزائر على استقلالها عام ٦١ كان جون كيندي رئيسا للولايات المتحدة الامريكية !

على ان النقطة التي اثارت جدلا اكبر كانت تتعلق بتقييم مرحلة الحكم العثماني للجزائر والمغرب العربي . وقد صار ذلك خلافا ملحوظا بين مفكري المشرق والمغرب . المشارقة ، خاصة المصريين والسوريين والعراقيين يرون في الحكم العثماني كارثة حلت بالامة العربية . بينما المغاربة يرون العكس اذ يعتبرونه منقذا لهم من اطماع الاسبان والفرنسيين . الاولون يقولون ان العثمانيين كانوا نذر شر ، وقد قاد المؤرخ المصري الاستاذ محمد عبد الله عنان هذا الاتجاه . والاخرون يؤكدون انهم كانوا رسل خير،وهو ما اكده المؤرخ الجزائري الاستاذ احمد توفيق المدني ، الذي كان وزيرا سابقا للثقافة .

غيبيون كيف ؟؟

لكن المناقشة الاوسع ، والاهم ، كانت حول قضية الدين والعلم . وقد كان رأيي – ولا يزال – ان هذه القضية من موروث الفكر الغربي بالدرجة الاولى . منذ وقف الكنيسة ضد العلم ، فقررت احراق جاليليو ومنعت تدريس فلسفة ابن رشد، واعتبرت اكتشاف « العالم الجديد » خطيئة لا يرضي الله ! . اعني ان صدام الدين مع العلم لم يكن « ظاهرة » في التاريخ العربي والاسلامي، وان اثارة هذا الموضوع بيننا ، هي من قبيل المراهقة في قضية لا تعنينا أو على احسن الفروض فانها بمثابة مناقشة لمشكلة عانى منها الاخرون !

ومع ذلك ، فيبدو ان القضية تشغل بال الشباب الجزائري ، ربما بحكم اقترانه او تعلقه بالفكر الغربي ، وتأثره بموروثه .

وكان ابرز الذين عرضوا التصور الاسلامي لهذه العلاقة ، الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي ، الاستاذ بكلية الشريعة في جامعة دمشق ، اذ قال انه « خطأ كبير ان نقول ان للدين سبيلا مستقلة يتناكب بها سبل العلم . وخطأ اكبر ان نعقد اي موازنة بين هذين السبيلين الوهميين لنهتدي الى الاجدى منهما ! .. اذ ان الميزان الوحيد امام حركة الفكر الانساني انما هو العلم وحده .وليس للانسان العاقل في نقض هذه الحقيقة اي اختيار. واضاف : لكن على الانسان اذا سار في سبيل العلم ، الا يقف منه عند اي مرحلة من مراحله او ثمرة من ثماره . بل عليه ان يواصل السير والبحث بموضوعية وتجرد ، ليبين النهاية التي



د محمد سعيد رمضان البوطي



د . موريس بوكاي

تسلمه اليها ذلك السير العلمي الهادي .
« فاذا فعل الانسان ذلك ، فانه سيلاقي وجها لوجه مع الدين الحق . وسيجد انه الثمرة الاخيرة الكبرى لغراس العلم » .

ودلل الدكتور البوطي على قوله بان كل اكتشافات العلم وانجازاته وقفت عند نواميس الكون لم تغيرها : الشيخوخة والموت وتتابع الاجيال .. الى اخره . ثم ان حركة هذا الكون الهائل التي تمضي باتساق وتلاق معجز بين مظاهرها المتنوعة على تحقيق غايات محددة ، ضمن نظام دقيق محكم .. ذلك كله يعودنا الى ان وراء هذا الكون مكونا ابدع نواميسه ، وهو يسلم الى اليقين بوجود الله عز وجل . الامر الذي يحاول « الماديون » ان يهربوا من الاعتراف به ، ويطلقون على هذه النواميس « عقلانية الطبيعة » !

واشار الى الاية الكريمة : « ولا تقف ما ليس لك به علم ، ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسئولا » . وهي امر الى الناس جميعا بان لا يعرفوا على شيء مما يريدون ان يتيقنوا منه الا بميزان العلم ودلائله . وكلمة « ما » في الاية اداة عموم ، فهي تشمل كل شيء ، حتى الايمان بالله وكتبه ورسله !

وكان هذا التوجيه هو الذي دفع فقهاء المسلمين على مر العصور الى اخضاع كل مبدأ او قيمة اسلامية في ميزان العلم . بدأوا فوضعوا منهجا علميا للبحث عن الحقيقة ، ورسموا من خلاله قواعد علمية دقيقة للتفريق بين الحقائق واشباهها، واتجهوا الى القرآن ذاته فوضعوه في هذا الميزان، حتى اذا ما انتهوا من انه تنزيل من الله سبحانه، كانت خطوتهم التالية هي وضع منهج علمي لتفسير النصوص القرآنية على وجهها الصحيح . وهو الذي سمي اليوم « قواعد اصول الفقه » . ثم اخضعت الاحاديث الشريفة لدراسة هائلة امكن من خلالها وضع ميزان دقيق لكل حديث ، اى « ضبط الروايه والاسناد » ، وهو ما سمي بعلم مصطلح الحديث ، وفن الجرح والتعديل » .

وتساءل الدكتور البوطي في ختام بحثه ، هل بعد هذا يقال ان في الاسلام شيئا اسمه علم منفصل عن آخر اسمه دين ؟ .. وهل بعد هذا كله يقال ان المسلمين غيبيون لا يحكمون العلم او العقل فيما يعتقدون ؟

محنة الايمان بالله

عن الجانب الاخر ، الواقع الغربي ، تحدث الدكتور موريس بوكاي ، وهو جراح فرنسي لمع في السنين الاخيرة بعد ان اصدر كتابه : « القرآن والانجيل والتوراة ، دراسة مقارنة » الذي ترجم الى ٩ لغات بينها العربية . وفيه سجل عدة ملاحظات على الكتب الثلاثة ، واثبت ان القرآن جاء بشواهد علمية منذ ١٤ قرنا ، واكدها العلم الان . وهو ما يثبت انه تنزيل من الله ، وانه الوحيد الذي لم يمسه التحريف والتعديل . ورغم ان هذه معلومات بديهية بالنسبة لنا ، الا انها تعد « اضافة » بالغة الاهمية للعقل الغربي .

قال الدكتور بوكاي ان الايمان بالله في الغرب يتعرض لازمة حقيقية . واستند في ذلك الى احصاءات الاسقفية الفرنسية ، التي تشير الى انه كان في فرنسا عام ٦٠ حوالي ٣٦ الف قسيس.

وان تقديراتهم توقعت ان يتجدد رجال الكنيسه بصورة مرضية ، اذا زادوا بمعدل ١٥٠٠ قسيس جديد كل عام . الا ان العكس تماما هو ما حدث. هذا الرقم المتوقع لم يزد على ٨٩٤ قسيسا جديدا في سنة ١٩٦٧ ، ثم ظل العدد ينخفض حتى وصل الى ١٣٦ سنه ٧٦ ، و ٩٩ سنة ٧٧ .

وفي تفسير هذا الانحسار ، قال الدكتور موريس بوكاي ان من اسبابه الاساسية « فقدان الثقه في الكتب التوراتية » . وشرح وجهة نظره بقوله انه منذ سنة ٧٠ بدات تظهر دراسات للاهوتيين مسيحيين حول مدى سلامة نصوص الاناجيل .

واضاف ان الذى فتح باب البحث في هذا الموضوع هو مجمع الفاتيكان الثاني (٦٢ - ١٩٦٥) الذى قال عن كتب العهد القديم - في التصريح المجمعي رقم ٤ - انها « تتضمن نقصا ، وباطلا »! ومن هذا الباب دخل بعض اللاهوتيين المسيحيين لاعادة تقييم نصوص العهدين : القديم والجديد .

ملاحظات هامة

وذكر الدكتور بوكاي مجموعه من الملاحظات حول صحه المعلومات الواردة في الاناجيل . من ذلك ان انجيل « لوقا » ينسب ٧٥ جدا لعيسى عليه السلام منذ آدم ، وهو ما يتعارض مع ما نعرفه عن الحد الادنى لقدم الانسان على وجه الارض . كما ان انجيل لوقا يتحدث عن قصة « الشوحه المعجزه » ، باعتبارها حدثت في زمان عيسى عليه السلام ، بينما قال انجيل يوحنا انها قصة ستحدث عندما يبعث المسيح من جديد . فضلا عن ان الاناجيل الثلاثة لا تذكر وصية عيسى الروحية ، التي هي موضوع مقاطع طويلة جدا في انجيل يوحنا .

واضاف الدكتور موريس بوكاي : ان هذه الملاحظات تجد تفسيرها في البحوث العصرية التي اجراها بعض الخبراء المسيحيين ، الذين قالوا ان صياغات متتالية لنصوص انجيلية قد كتبت في الماضي ، انطلاقا من روايات سمعية عن عيسى عليه السلام، كانت ذائعة لدى الجماعات المسيحية الاولية . وهو ما يصفه الاب كانجيسر الاستاذ بمعهد باريس الكاثوليكي بانها « نصوص مكتوبة للمناسبات او للنضال»، لانها كانت نتيجة لصراعات بين جماعات مسيحية متنافسة .

اما العهد القديم - يقول الدكتور بوكاي - فان تناقض قصصه حول الخلق والطوفان وغيرها، وتعارضها مع المعارف العصرية ، وهو ما بات امرا معروفا - ادى الى ان فقدت التوراة تلك الاصالة التي كانت تضفي عليها في القرون الماضية .

وبعدما انتشرت هذه الافكار عن الكتب المقدسه، وصارت بين ايدى الجميع . كان من الطبيعي ان يفقد الناس ثقتهم بالله وايمانهم به . اذ «كيف يلهم الله الناس ما لا يطابق الواقع ، كما سبق ان لاحظ القديس اوغوستين ؟ » . وكان منطقيا ان تتعزز هذه الثقة المفقودة ، طالما ان الناس يجهلون او يرفضون فكرة أن وحي الله لم يقف عند عيسى عليه السلام .

وانتهى الدكتور موريس بوكاي الى قوله : «لقد وجدت هذا التوافق بين الدين والعلم في تفكير يقوم اساسا على المعطيات العلميه، يوم ان شرعت في دراسة القرآن الكريم» . .

ثم تساءل : الم تتاكد مفاهيم علم الفلك بمحتوى السماوات ، والكواكب السيارة ، والايضاحات الدقيقه بشأن الليل والنهار ، وكانت انجازات العلم في هذه المجالات تتفق تماما مع ما جاء به القرآن الكريم . الامر الذى يستحيل معه ان يكون هذا الكلام الذى قدم الى العقل الانساني منذ ١٤ قرنا ، هو من صنع البشر ، بل هو تنزيل من الله سبحانه .

نقطة نظام !

لكن الحماس الذى قوبل به هذا البحث لم يدم طويلا . اذ اعقبه بحث آخر للدكتور محمد اركون (جزائرى يعمل استاذا بكلية السوربون الجديدة بباريس) ، كان مدخله دعوة لاعادة النظر في المنهج الذى اتبعه الدكتور موريس بوكاي وغيره. وكان مما قاله : انني لا اريد ان اجادل هؤلاء في تناولهم لعلم التاريخ وتلاعبهم بقواعد الالفاظ ومبادىء الفلسفة وانثروبولوجية الاديان. بل اني اعترف لهذا التيار الادبي القوى عند المسلمين باهمية نفسية فائقة . اذ هو يساعد على تاصيل الايمان والاعتزاز بالتعاليم الاسلامية ، ازاء الغزو الفكرى الغربي الذى اجتاح العالم الاسلامي منذ القرن التاسع عشر بوجه خاص . الا ان ما اريد قوله هو ان هذه الوظيفة النفسانية الهامة تزداد

الى نتيجة معاكسة ، بل ضاره . هي انها تصادر عملية الاجتهاد العقلي المجرد والمنتج ، ونحن نعلم ان العقل لا يوفق الى نتائج علميه سليمة الا اذا تحرر من الاهتزازات الوجدانيه والتصورات الذاتية » .

وكان مما قاله لي اركون انه يعارض تناول القرآن من حيث انه كتاب يفسر الظواهر الطبيعيه او ان النظريات العلمية الحديثه تؤيد ما جاء به. انما ينبغي ان يظل القرآن في مكانه الحق : كتاب هداية للبشر . والاجتهاد في تفسير القرآن الكريم يجب ان لا يكون اسير هذه الرؤيه العلميهالضيقه المحدودة .

ثورة في الاسرة

وفي اكثر من جلسه كان الواقع الغربي مثار حديث ومناقشه . ليس فقط لان الغرب هو عند الكثيرين المثل والنموذج – في غيبه مثل ايجابي معاصر عربي او اسلامي – ولكن ايضا لان معرفه الآخرين قد تساعدك على معرفه نفسك. اذ قد يدفعك اكتشاف رصيد الآخرين ، الى مزيد من الثقه بنفسك والاعتزاز برصيدك وثروتك .

وفي هذا الاطار نوقش موضوع الاسره في العالم الان ، الى اين تتجه : الى اليسرى ام العسرى ؟ والتعبير من صياغه وزير الشئون الدينيه الجزائري مولود قاسم .

اختلف الغربيون حول مصير الاسرة بين منذر بزوالها ، ومؤمن ببقائها . وكان الدكتور ادوارد شورتر ، استاذ التاريخ بجامعة تورنتو (كندا) ، ممثلا لفريق المنذرين . اذ قدم بحثا طريفا ومثيرا استهله برسم صوره سريعة للواقع الغربي كما يراه ويلمسه . قال انه يسكن في مبنى من عدة طوابق .

« على يميني امراه لها ثلاثة اطفال ، انجبتهم من زوجين مختلفين ، وهي بلا زواج الان . وابنى يتردد على منزل امراه اخرى ليعتني باطفالها عندما تخرج مع صديقها لتمارس رياضة التزحلق على الجليد . وقد تخلى عنها زوجها . وفي مقابل منزلي مباشره يقع المنزل الوحيد الذي تسكنه اسرة عادية في منطقتنا . انها اسرة مستقيمة السلوك . باستثناء ان هذا هو الزواج الثاني للرجل ، وان للاسرة صديقا يتناول العشاء على مائده كل ليلة :

وانتهى من ذلك الى قوله : « نحن الان نعيش ثورة في عالم الاسره . ستكون هناك اسرة ، لكنها اسرة تختلف عن النوع المتعارف عليه » . هذه هي القضيه على حد تعبيره .

واضاف ان اسرة المستقبل في الغرب لها ثلاثه ملامح اساسيه :

– فعلاقات الزوجين العاطفية اكثر حدة ، وذات طابع جنسي اكثر صراحة .

– وعلاقات الابوين بابنائهما منذ سن البلوغ والمراهقة تتسم بالبرودة الشديدة . وذلك يفسر تزايد جرائم الاحداث ، والزياده الهائلة في نسبة الشبان الذين يعيشون بعيدا عن اسرهم في سن المراهقه ، وهو ما اثبته آخر احصاء امريكي على الاقل (عام ٧٤) .

– والزيجات الجديده اقل ثباتا واستقرارا . والاحصاءات تشير الى ان نسبة تتراوح بين ٢٥ و٤٥٪ في الغرب تنتهي بالطلاق . وان متوسط اعمار هذه الزيجات هو ٧ سنوات فقط » .

« ان احد الاسباب التي ادت الى هذا الانفجار الهائلفيالاسره،هو الثوره التي شهدتهاالسنوات الخمس عشره الاخيره في العلاقات الجنسيه ، والتي تروج لها وسائل الاعلام والنشر بالحاح شديد . حتى صارت ثقافتنا كلها تعرضللسوس. سوسالعلاقات الجنسيه التي تفسر بصورة لا رجعه فيها ديناميكيه الحياه الزوجية . ان كتابا واحدا يفسر الـ متع بالحياة الجنسيه قد وزع مؤخرا ثلاثه ملايين ونصف مليون نسخه . والازواج اكثر سابقا لاقتناء هذه الكتب ، لانهم بداوا يعتقدون ان العلاقه المنطقيه الوحيده التي تجمع كل واحد منهم بزوجه هي العلاقات الجنسيه . وما على الواحد منهم الا ان يتقن مبادىء هذا الفن ويطلى عن الزواج » .

وهكذا خلقنا الظروف المواتيه لانحلال العلاقات الزوجيه : ابناء غير مرغوب فيهم يقذف بهم الى دوامه الحياة في سن مبكرة وبلا ايه عواطف اسريه – وعلاقات جنسيه افلتت من كل تصور – وامكانيات اقتصاديه للمراة وفرها خروجها للعمل، وجعلتها تستغني عن اشياء كثيرة ، الاسره في مقدمتها . اذ انها كانت بحاجة الى غطاء الاسره هذا قبل خروجها للعمل .

لا مبرر للتشاؤم

هذه الصورة القاتمة عارضتها الكاتبة الفرنسية فرانس كيرى ، التي قالت في محاضرتها : انني ازعم بطلان هذا الاعتقاد الذي يقول بان الاسرة اصبحت مهددة بالفناء . والاحصاءات الفرنسية تدل على ان عدد المتزوجين في فرنسا حسب الاوضاع التقليدية لم يسجل من الارتفاع في اي وقت مضى ما سجله اليوم . ومع ذلك فالتغيير موجود . لكنه لم يؤثر على بنيتها العميقة .

وهذا التغيير ينبغي الا يكون باعثا على القلق ، لانه لا يعرض الوجود العائلي للخطر . فضلا عن انه يعبر ـ بالعكس ـ عن حيوية الاسرة وقدرتها على التكيف مع دروس التاريخ المتجددة الى ما لا نهاية .

ماذا يحدث في الواقع ؟ ـ ساءلت الصحفية الفرنسية ..

وردت قائلة : ما حدث هو نفاذ لافكار عصرنا الى المؤسسة العائلية . ولماذا نستغرب ان تصل هذه الافكار التي ثارت ضد الانظمة الاقتصادية والسياسية للمجتمعات الغربية الى الدويلات الصغيرة التي هي الاسرة ، ان تاثير الافكار قد بلغ اليوم قوة لا نظير لها ، لانه مدعوم بالصدى الهائل الذي تعطيه اياه وسائل الاعلام . ان مبادىء العدل والحرية والمساواة تجتاح دويلات الاسر . وهذه فتحت الباب لقيام الاسر على اسس صحيحة وقوية للغاية .

ثم اضافت ان الدراسات التي اجراها في فرنسا فريق « شامبردى لوف » اثبتت ان المراة ما زالت متمسكة بدورها الانثوي ، وان مطلب المساواة او العدل لم يفهم باعتباره دعوة الى التماثل مع الرجل ، ولكنه دعوة لان يعمل كل في مجاله في ظروف عادلة .

ومن ناحية اخرى ـ قالت ـ ان العلاقات بين الآباء والابناء اصبحت افضل مما مضى . لقد صار مفهوما لدى الآباء ان الشباب والمراهقة لهما ظروف خاصة . وان الآباء اصبحوا يتقبلون بمزيد من السهولة فكرة اختلاف ابنائهم عنهم . فضلا عن ان قيمة امتداد الابناء للآباء تغيرت.فلم يعد اساس النجاح هو مبلغ ما ورثه الابن عن اسرته ، بل مبلغ ما يعرفه هو ويجنيه بجهده .

خلاصة الامر ان كلا منهما كان يعبر بامانة عن واقع يعيشه . الدكتور ادوارد شورتر نقل الصورة في الولايات المتحدة الامريكية وكندا . وفرانس كيرى نقلت الصورة كما راتها في اوربا .

لكن ما ينبغي ان نذكره ان تجارب السنوات الماضية اكدت لنا ان امريكا هي مستقبل اوربا . او هي النموذج المتقدم للحضارة الغربية ، وانه اذا كان الامريكان لسبب أو آخر قد سبقوا ، فان الاوربيين ماضون على الطريق ذاته ، وبالغون هذه « الذروه » ، عاجلا أم آجلا .

ومع ذلك دعونا ننظر لنرى : هل ينقل الاصحاء عافيتهم الى المرضى ، ام ينقل المرضى عدواهم الى الاصحاء ؟ !

●

لم يكن هذا هو كل ما في الملتقى . فليست هذه كل الاراء التي قيلت ، ولا هي كل الموضوعات التي اثيرت . فقد كان هناك مثلا نقاش حول الجامعات ، لم تقل فيه كلمة خير عن الجامعات العربيه ، اهدافها وقدراتها وممارساتها . وكان هناك ايضا اكثر من محاضرة عن « الاوراس » التي عقد الملتقى في رحابها .. وذلك موضوع يتطلب معالجة اخرى . خصوصا وانه كان قضيه تاريخ اكثر منه قضية راي .

وطوال اسبوع كامل استمرت الوقفه بلا توقف في دار الثقافة.مناقشات حتى التاسعة او العاشرة ثم لقاءات مع الشباب حيث يقيمون ، كانت تمتد حتى منتصف الليل . وكانت اسئلتها الملحه تدور حول القضيه : من نحن ؟ وعلى أي ارض نقف ؟.. وماذا نريد ؟

وقد ساهم في الالحاح على هذه الاسئله ان الجزائر الغت منذ العام الحالي ، استقلال التعليم الديني ـ وهم يطلقون عليه « الاصلي » ـ واصبحت هذه المعاهد والمدارس تابعة للتعليم العام (وزارة التربية والتعليم) . الامر الذي اثار قلق البعض ، رغم التاكيد الرسمي على ان المدارس باقية على حالها ، والتغير طرا فقط على جهة الاشراف .

ومع ذلك فالقلق قائم .. ومخاوف البعض من ان تكون هذه بداية لخطوات ادماج تالية ، هذه المخاوف تتردد في الاوساط المهتمة بالتوجه الاسلامي .

حتى قال احد هؤلاء وهو يسرد شكوكه : يبدو ان « سي مولود » يعزف وحده !

ترى هل تكمن المشكلة الحقيقية في اختيار الكبار لا الصغار ؟؟ .

■■

حتى الانسان يحاولون تبديله



غسيل المخ

.. الأسرار والثمار ؟

بقلم : الدكتور ماهر الهوارى

ماذا يقصد بعملية غسيل المخ ؟
نسمع أحيانا هذه العبارة ، ونشعر عند سماعها بغموض شديد مع شيء من الرهبة . وربما كان من المناسب أن نوضح أولا العلاقة بين الدعاية وعملية غسيل المخ . أن العمليتين تهدفان الى تغيير آراء واتجاهات ومعتقدات الفرد.

فالدعاية يعرفها لندلى فريزر (١٩٦٢) بأنها نشاط او فن اغراء الغير للتصرف بطريقة معينة ، ما كان ليتصرف بمثلها فى حالة عدم وجود الدعاية ، فهى لاتعتمد على القوة او الاكراه بل على الاغراء والاقناع . وعملية غسيل المخ تصل الى تحقيق اقصى اهداف الدعاية بالتغيير الكلى لافكار الفرد . وتعرف بانها الجهود المنظمة للاغراء بقبول مبدأ او امر او عقيدة معينة . كما تعرف بانها استخدام اى وسيلة تهدف الى تغيير او تبديل الفكر او العمل ضد رغبة الانسان او ارادته او معرفته (١٩٧٤) . فعملية غسيل المخ تستخدم القوة أو العنف غالبا لافحام افكار او اراء وتبنيها ضد رغبة الانسان .

اكتشاف غسيل المخ

كان اول مابدأ الباحثون يفكرون فى هذه العملية ، فى عام ١٩٣٠ م حيث كان الحزب الشيوعى فى روسيا يقوم بحركة تطهير او تخلص من بعض الاعضاء . فقد دهش الناس عندما قام كبار اعضاء الحزب والموظفون بالادلاء باعترافات كاملة عن اخطاء واعمال غير مشرفة تماما .

ولم يكن هناك ما يبرر مثل هذه الاعمال او الاعترافات • ولقد شك الباحثون في ذلك الوقت في استخدام العقاقير او التنويم المغناطيسي للحصول على هذه الاعترافات غير المشرفة (١٩٧١)•

ولقد قرانا في الصحف في الستينات من القرن الحالي ان طبيبا فرنسيا كان يعمل في الصين، انقطعت اخباره ثم ظهر بعد حوالي ثلاث سنوات في مؤتمر صحفي ، انكر فيه معتقداته وآراءه الديمقراطية واصبح يدين بآراء اخرى • وفي اثناء الحرب الكورية ، كان بعض الاسرى من الامريكيين اعترفوا علنا بانهم استخدموا الاسلحة البكتريولوجية (ولم يكن هذا صحيحا) • كذلك طالعتنا الصحف منذ عامين ان احدى العصابات الامريكية قد اختطفت ابنة احد الاثرياء • وبعد سنتين ضبطت هذه الفتاة في حادث سطو مسلح على البنوك مع العصابة التي سبق ان اختطفتها •

فماذا حدث في هذه الحالات مما جعل الفرد يغير آراءه ومعتقداته ونواحي سلوكه ؟ لقد استنتج الباحثون أن ماحدث ومايحدث في مثل هذه الحالات انما هو عملية غسيل المخ • وهي عملية التغيير الكلي للاتجاهات والمعتقدات والقيم عن طريق اعادة تشكيل الفكر •

الاطار النفسي للعملية

حاول الباحثون تفسير مايحدث في عملية غسيل المخ على أساس احد الاتجاهات او المذاهب في علم النفس • فقد رأى بعض الباحثين ان عملية غسيل المخ ماهي الا تطبيق لتعاليم بافلوف في التعلم الشرطي • فما يحدث في حالة غسيل المخ ماهو الا عملية تعلم واكتساب اتجاهات وافكار اخرى • ويرى الباحثون أن هناك كثيرا من الافكار ونواحي السلوك يكتسبها الفرد اثناء حياته عن طريق عملية اقتران مثير شرطي بمثير آخر غير شرطي يؤدي الى استجابة معينة • وبالتكرار ـ واحيانا من مرة واحدة فقط ـ يصبح المثير الشرطي كافيا لاحداث السلوك • فالطفل «يتعلم» الخوف من حشرة ما او حيوان أليف كالكلب او القط مثلا اذا رأى الرعب او البرق، اذا رأى شخصا ما يبدو عليه الخوف وهكذا • بل ان بعض الباحثين يرون ان أغلب الأمراض النفسية يتم تعلمها على أساس هذه النظرية • ومما يثبت السلوك الجديد او المتعلم وجود مكافأة او تعزيز، كالطعام او الامن او تجنب موقف غير مرغوب فيه •

فما يحدث في حالة غسيل المخ ، هو أن اصرار الفرد على آرائه ومعتقداته يؤدي الى الحرمان والتعذيب الشديد • اما اظهار بعض الآراء المؤيدة للجماعة الجديدة ، فيقابله نوع من تخفيف العذاب او المكافأة يتناسب مع مقدار التأييد الذي يظهره الفرد لآراء الجماعة •

ويرى آخرون ان عملية غسيل المخ ، تعتمد على آراء فرويد • ويرى المؤيدون لهذا الاتجاه ان حدوث الصراعات الشديدة ، ومايتبعها من قلق شديد ، يؤدي الى محاولة التخلص من هذا القلق باي طريق ولو عن طريق المرض النفسي او العقلي لان النفس الانسانية لاتستطيع تحمل القلق • وهذا مايحدث في عملية غسيل المخ ، اذ ان اثارة الصراعات داخل نفسية الفرد،هل يقاوم ـ بتحمل العذاب والقلق ـ في سبيل التمسك بمبادئه ومثله العليا ، او يعترف بذنب لم يرتكبه للتخلص من الآلام والقلق ؟ ثم يبدأ يشك في نفسه فهل هو مذنب حقا أم برىء ؟ (لان الاتهامات دائما غامضة) ويستتبع هذا في اغلب الاحوال اثارة الاحساس بالذنب ، وقد يؤدي ذلك الى نشوء صراعات طفلية ظلت مختفية في أعماق اللاشعور• وباختصار يرى هذا الاتجاه ان حدوث صراعات نفسية ، نتيجة التعذيب والعزل ، تؤدي الى حالة استعداد لدى الفرد لقبول افكار اخرى للتخلص من هذه الصراعات •

اما الاتجاه الثالث فهو يرى ان عملية غسيل المخ تعتمد على اسس علم النفس الاجتماعي • فاذا عزل الفرد عن الجماعة ، ودمر احساسه الاجتماعي بالانتماء ، فانه يصبح قابلا للايحاء والتحول ، لوجهة نظر أو ايديولوجية معينة •

مراحل وأساليب

ولكن الرأي الاقرب الى الصواب ان عملية غسيل المخ ، لاتعتمد على مدرسة او اتجاه واحد في علم النفس• ويرى كثير من العلماء مثل لفتون وهنكل وولف انها تعتمد على العمليات الآتية :

١ ـ التوحد أو التقمص : ويقصد به أن الفرد يمتص او يستدمج بعض نواحي الفكر او السلوك الموجودة في شخص آخر ، يكون عادة مصدرا للقوة والعدوان او العطف•وينتهي الامر في عمليةغسيل المخ بان يتوحد الفرد مع الشخص المسئول الذى يقوم باستجوابه • فهو مصدر للقوة والعدوان لانه هو الذى يامر بتعذيبه ووضعه في الزنزانة • وهو ايضا لا يخلو من العطف لانه ينصح الفرد بالاعتراف كما انه يعطف عليه فعلا ، فيامر بتخفيف القيود او التعذيب والسماح بزيادة الطعام او النزهة داخل السجن • فهو يلعب دوره بمهارة شديدةبحيث ينتهي الامر بعملية التوحد ، اى يصبح الفرد مثل الشخص المسئول في ارائه وافكاره •

٢ ـ خفض الطاقة العقلية والقدرة على التمييز الصحيح • وذلك عن طريق التهديد والتعذيب • وغموض الامور امام الفرد ، حتى ان الاتهام الموجه اليه يكون غامضا وغير محدد ، مثل عدم الولاء ،

٣ ـ فقدان القدرة على التوجيه • ان الفرد الخاضع لعملية غسيل المخ يشعر بعدم قدرته على التصرف وعلى توجيه نفسه في اى اتجاه ، فهو لا يعرف أن يختار له طريقا • هل يعترف بذنب لم يقترفه للتخلص من الحالة التي هو فيها ؟ وهل هذا هو التصرف الاحسن ؟ مثل هذه القرارات الهامة لايستطيع الفرد اتخاذها • وهذا الشعور ناتج من العزلة التي فرضت عليه •

٤ ـ الايحاء .الاثر النفسي للايحاء معروف،وهناك تجارب كثيرة في علم النفس توضح آثاره ولامحل لذكرها الان ، وهو يستخدم في اغلب مذاهب العلاج النفسي • ومما يزيد من أثر الايحاء العوامل السابق ذكرها كالتوحد والتعب والقلق •

٥ ـ التكرار ، التكرار له اثر كبير في عمليات التعلم•بل ان نظرية ثورنديك في التعلم بالمحاولة والخطأ تعتمد اعتمادا كبيرا على التكرار • فتكرار القول للفرد بانه مذنب • كل من يقابله من قبيل المحقق وزملائه في السجن يقول له انه مذنب واذا بدأ الفرد في الاعتراف بذنوبه ، فان عليه أن يكرر ويحفظ المبادىء الجديدة التي يراد له اعتناقها •

التجهيل أولا

كيف تتم عملية غسيل المخ ؟ •• تبدأ العملية اولا «بتجهيل» ذات الفرد،اى محو هويته او ذاتيته• ويتم ذلك بعزله عن المجتمع وعن اصدقائه وزملائه وعن الروتين اليومي المتبع ، ويكون العزل في سجن او معتقل كذلك يعطى رقما بدلا من اسمه فاذا حاول ان يذكر اسمه تجاهله القائمون بحراسته• كما يفرض عليه نظام صارم في الاكل والنوم والغسيل بحيث لا يعمل شيئا بدون اذن •

ويتبع ذلك الايحاء اليه بانه ارتكب جرما معينا يستحق عليه العقاب•ويكون الاتهام غامضا غير محدد بحيث يكون من الصعب التمييز بين الجرم والبراءة بين الواقع والخيال • فمثلا يتهم الفرد بعدم التعاون وبمقابلة اشخاص معينين • ويهدف ذلك الى ايقاظ الاحساس الشديد بالذنب • فاذا انكر ارتكابه جرما معينا ، او حاول ان يتذكر اسمه يستمر سجنه مع التعذيب • والتعذيب قد يكون عقليا وجسميا • فيذكر له ان زوجته طلبت الطلاق وان اطفاله لايجدون نفقاتهم ، وان اصدقاءه قد اعترفوا عليه او تبرأوا منه ومن سلوكه غير المشرف • ومن وسائل التعذيب الهامة الاستجوابات والاسئلة المرهقة ، التي تستمر من ١٢ ـ ٢٤ ساعة يوميا ، يكون الفرد اثناءها في حالة من التعب والارهاق الشديد ، ثم يعاد الى الزنزانة فيظن الفرد انه تخلص من العذاب مؤقتا على الاقل • ولكنهم يوقظونه بعد قليل وتعاد الاسئلة مرة اخرى ويشمل التعذيب الجسمي الاكل القليل والنوم القليل مع الاحساس الدائم بالتعب والارهاق •

فيهبط وزنه وتضطرب حالته النفسية مما يؤدى الى التوتر والقلق وهذا بدوره يؤدى الى زيادة التعب وهكذا • كذلك قد تستعمل الصدمات الكهربائية في التعذيب •

وبالتدريج ومع استمرار التعذيب فان الفرد يضطر الى تصديق التهم الموجهة اليه ، والنظر اليها على انها حقائق والاعتراف بها • خصوصا وانه يتبع التعذيب والتجويع دائما المعاملة الحسنة الكريمة اذا اعترف بالتهم الموجهة اليه •

وبذلك تتم الخطوة الاولى في عملية غسيل المخ، وهي «تجهيل» ذات الفرد ، وتفريغها مما فيها من اتجاهات وقيم ومعتقدات • ثم يتبع ذلك الخطوة الثانية وهي الايحاء اليه بالافكار والمعتقدات

المضادة التي يرغبها القائمون بهذه العملية . ويتم ذلك عن طريق الايحاء الشديد . وقد يحدث ذلك تحت تاثير ادوية معينة تزيد من قابلية الفرد لتلقي واعتناق مايلقي اليه من افكار وآراء ،او تحت تاثير التنويم المغناطيسي (بيرلسون ١٩٦٤). ومع ازدياد الثواب كلما اظهر تقبلا اسرع للافكار الجديدة . كما ان حضور مجموعات دراسية يومية تلقن فيهم المبادىء المطلوبة . والقرارات والمناقشات الجماعية . والنقد المتبادل والنقد الذاتي جزء اساسي من هذه المناقشات .

وبعد ان يتم امتصاص الفرد للقيم الجديدة تماما . واعترافه باخطائه فانه يحاكم ويعطى عقابا خفيفا حيث انه قد تم تغييره . هذا وتتراوح مدة هذه العملية بين ٦ شهور واربع سنوات او اكثر . وعمق استمرار التغييرات في الاتجاهات يتوقف على شخصية الفرد وقوة دوافعه ومدى استمرار البيئة في تاييد اتجاهه الجديد .

تجربة شخصين

ولعله من المناسب ان نذكر خبرة شخص مر بهذه التجربة الخطيرة وهو طبيب كان يعمل في الصين (براون ١٩٧١) يدعى الدكتور فنسنت يقول انه قبض عليه في احد شوارع شنغهاي ، واودع في سجن «مركز اعادة التعليم » ووضع في زنزانة صغيرة ٨ × ١٢ قدما وكان معه ثمانية سجناء . وكانوا مجموعة مختارة منتقاة . وكل منهم يحاول تعديل الاخرين ، لياخذ تقديرا احسن وبالتالي يفرج عنه بسرعة . وكانوا جميعا من الصينيين . وامره رئيس الزنزانة مخاطبا اياه برقم معين ، ان يجلس في وسط الزنزانة .وجلس الاخرون حوله وكانوا يطلقون عليه صفات : الاستعماري ، الجاسوس ، ويطلبون منه ان يعترف بجرائمه ، فاحتج بانه طبيب وليس جاسوسا . وانه عمل في خدمة الشعب الصيني عشرين عاما . ولكنهم استمروا في اتهاماتهم وقالوا : ان الحكومة لديها الدليل على جرمه ، وهي لا تخطىء ابدا ، وانه لم يقبض عليه بلا سبب . وسالوه عن النشاط الذي يزاوله لتغطية جاسوسيته . وتسمى هذه العملية «النضال» . وهي تنفذ بهدف مساعدة السجين على الاعتراف واستمر ذلك عدة شهور .

ثم اخذ للاستجواب لاول مرة في حجرة صغيرة بها الشخص المسئول او « القاضي » والمترجم والسكرتير . وبدأ بسؤال غامض « انت ارتكبت جرائم ضد الناس ويجب الان أن تعترف بكل شيء» . وكانت اجابات السجين بالبراءة يرد عليهم بان الحكومة لا تقبض مطلقا على رجل برىء . ثم اخذوا يسالونه عن نشاطه واصدقائه .. الخ خلال العشرين سنة من عمله في الصين . واستمر القاضي في القول ان الحكومة تعرف كل جرائمك ، ولهذا قبضنا عليك . والان عليك أن تعترف وهذه هي الطريقة لانهاء قضيتك بسرعة واطلاق سراحك في العال . ثم أخذوا في الضغط عليه باسئلة عن علاقاته بالسفارة الفرنسية ، والحكومة الامريكية ،والصين الوطنية واليابان .وبعد عشر ساعات من اسئلة الاتهام استمر في القول بانه برىء ، وانه لايعرف لماذا قبضوا عليه . فغضب القاضي . وامر بتقييد يديه من خلفه . واخرجه من الغرفة وطلب منه ان يذهب ويفكر في جرائمه . وارسل الى الزنزانة ، وبدأ زملاؤه في الزنزانة في النضال مرة أخرى . واستمر هذا النضال طول النهار . وكانوا يقول له مثلا : أنت تعيش كالكلب ،مقيدا تاكل بفمك مباشرة ، لاتغتسل لاتقضي حاجاتك بطرق صحية ، وكل ذلك لانك لم تعترف ،اذا اعترفت انتهى كل شيء .

وفي اليوم التالي سيطرت عليه فكرة قهرية انه يجب ان يتخلص من قيوده . وبدأ في الاعتراف بنشاطه في التجسس الذي يعرف انه غير صحيح. وعندما سئل عن التفاصيل بدا عدم الترابط . فرفض القاضي ذلك واعاده الى الزنزانة مرة أخرى . واستمر « النضال » مع زملائه .

وفي اليوم الثالث اعترف بطريقة منظمة . واخذ القاضي يكافئه بنزهات قليلة . ولكن كان عليه انيعترف مرة اخرى لزملائه في الزنزانة، فاذا رفض استمر النضال . وبدا كان كل شيء في الزنزانة يتركز حول اعترافاته . وكل مايفعله او يقوله يكتب ويرسل للسلطات . واستمر ذلك ثمانية أيام ليلا ونهارا بدون نوم ، وتحت ضغط مستمر من الاخرين . فكانوا يقولون له « انت تريد القيد بالسلاسل ، تريد أن تقتل ، والا فيجب

ان تكون مخلصا ، فتصبح السلاسل لا لزوم لها ». واخيرا وقد احاط به التعب والغلط والشعور بالعجز ، لم يستطع المقاومة وسلم بالامر واعترف اعترافا متناسقا ، فيه خليط من الحقائق واشباه الحقائق والاكاذيب .

فازيلت القيود ، وكان يجلس جلسات مريحة . واصبح القاضي صديقا له ، يكلمه بطريقة مناسبة ويذكر له أن الحكومة اسفة لما حدث له . وانه لايزال عليه أن يعترف اعترافا كاملا . ويحاول « اصلاح » نفسه . وقدمت له مساعدات لاعادة الاعتراف ، هذه المساعدات تشمل بعض الاسماء للاعتراف عليهم . فاذ قال ان هذا لم يحدث ، اعيد للزنزانة مرة أخرى ، واستمر الامر هكذا الى ان رصح تماما لما يرغبونه من اعترافات بدا أنه قد أصبح يعتقد أنها حقائق . وكوفيء بالنوم المناسب ، وأصبحت الاسئلة هادئة وقليلة . وابعدوا عنه زملاءه في الزنزانة، ومع ذلك استمرت مباداته برفقه ، وتقديم طعام ردىء .

وبعد ذلك كان عليه ان يشارك في برنامج « اعادة التعليم » الذى كان يستمر مابين ١٠ ـ ١٦ ساعة يوميا . وكان البرنامج يشمل افكارا من التي يرون ادخالها في عقله . وكان على كل فرد أن يناقش وان يعبر عن نفسه (من وجهة نظر الحكومة) واعترف أمام الجماعة بانه كان جاسوسا . وانه كان يتستر تحت عمل طبيب فطلبوا منه أن يعتبر نفسه وأن ينتقدها وان يبحث عن « الاصلاح » وهكذا كانت كل مناقشة تبدا في مستوى عقلي ثم تتحول الى تحليل ونقد ذاتي .

وبعد سنة من اعادة التعليم ، سئل مرة اخرى بواسطة القاضي أن يحسن اعترافاته ، وزادت الجرائم التي اعترف بها ، ثم اعطي برنامجا آخر استمر ١٤ شهرا .

وفي خلال السنة الثالثة من السجن بدا فنسنت يؤمن بصحة اعترافاته وتحسنت معاملته جدا وعقد له مؤتمر صحفي اعترف فيه بكل جرائمه . ثم مثل امام القاضي ، فحكم عليه بالسجن ثلاث سنوات (وقد سبق أن قضاها فعلا) فاطلق سراحه .

هل ينجح الغسيل ؟

قد يخطر ببالنا هذا السؤال : هل عملية غسيل المخ هذه لا مفر من نتائجها وانها ناجحة في جميع الاحوال . والاجابة كلا ، فان نجاح واستمرار نجاح هذه العملية يتوقف على عدة امور . منها شخصية الانسان فكلما كانت الشخصيه اكثر تكاملا وتماسكا ، قل تاثير عملية غسيل المخ . كذلك تاثير البيئة التي يعيش فيها الانسان ، فاذا استمر الانسان في المعيشة في نفس المجتمع الذى عملت له فيه عملية غسيل المخ للايمان بمبادئه ، فان تاثير العملية يستمر ولكنه اذا انتقل الى مجتمع آخر ذى مبادىء أخرى فقد يعود الى مبادئه الاصليه . ومن اهم العوامل ايضا الايمان ، فاذا كان الايمان قويا ، والولاء للجماعة التي ينتمي اليها الفرد شديدا ، مااستطاعت الوان العذاب ان تغير من اتجاهات الانسان . والتاريخ مليء بامثلة كثيرة من هؤلاء الذين ماتوا في سبيل الدفاع عن آرائهم وتمسكهم بها .

ومالنا نذهب بعيدا ، ان قصة بلال مؤذن الرسول وما تعرض له من اهوال لكي يرتد عن الاسلام معروفة للجميع . ولعل في ذكر بعض تفاصيل العذاب الذى تعرض له ما يؤكد قولنا ان قوة الايمان تستطيع ان تقاوم عملية غسيل المخ وتغيير افكار ومبادىء الانسان . فعندما بلغ امية مولى بلال ان عبده قد دخل دين الاسلام وآمن بمحمد عليه الصلاة والسلام وأصبح يقرا القرآن، استشاط غضبا وهدد بلالا ، فلم يعره اهتماما . فربطه امية بحبل غليظ في عنقه وسار به في شوارع مكة ، وجمع حوله الاطفال يسبونه ويرمونه بالاحجار والاقذار . ولكن بلالا اخذ يردد قولته المعروفة « احد .. احد » . وعندما اقبل المساء وقد يئس امية من تعذيبه ، اشار عليه ابو جهل ، بان يربطه بسلاسل غليظة ويتركه في الشمس المحرقة والريح الساخنة بلا ماء ولكنه استمر يردد « احد .. احد » . فامر ابو جهل اتباعه بحمل صخرة ضخمه ، ووضعها على صدره وابتسم ابو جهل منتظرا ان يسمع ارتداد بلال ولكنه قال « احد .. احد » . ان يقتلوني فلم اكن لاشرك بالرحمن من خشية القتل فيارب ابراهيم ويونس وموسى وعيسى نجني ثم لا تبل » .

دكتور ماهر محمود عبد الهادى
كلية التربية جامعة الرياض

كلام فى العدل :

عن الفقر والكفر

بقلم : فهمى هويـــدى

فى « دار الاسلام » كل مخلوق له حق فى الحياة الكريمة . بدءا بالحيوان ، وصعودا الى الانسان ، مخلوق الله المختار • اذ يكفى ان يكون المخلوق من صنع الله ، ليرتب له ذلك حقوقا فى رفع كل صور المهانة والاذى عنه •

ولثمة حديث شريف يقول : من قتل عصفورا عبثا ، عج الى الله عز وجل يوم القيامة يقول : يا رب قتلنى عبثا ولم يقتلنى لمنفعة • وقصة المرأة التى كتب عليها ان تدخل النار فى « هرة عذبتها » معروفة • ومشهور أيضا قول الخليفة عمر بن الخطاب فى مسئوليته عن كل ما فى عالم الاسلام ، «حتى ولو عثرت بغلة فى العراق » •

وهذا أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز يؤرقه أن الابل فى مصر تحمل فوق طاقتها ، فيكتب بنفسه الى واليه هناك قائلا : «أما بعد ، فقد بلغنى ان الحمالين فى مصر يحملون على ظهور الابل ما لا تطيق • فاذا جاءك كتابى هذا ، فامنع ان يحل على البعير اكثر من ستمائة رطل ! ✻ •

وعندما يبصر فى جولاته اناسا يحملون مقارع فى اسفلها حديدة مدببة ينخسون بها دوابهم ، فلا يكاد يستقر فى مجلسه حتى يوقع قرارا يحرم استخدام هذه المقارع !

وعندما سئل الامام احمد بن حنبل عن تشميس دود القز ليموت فى نسيجه ، ويستخلص منه الحرير الذى يستخدم فى الصناعة (وكان هذا الاسلوب معروفا فى العراق على عصره) ، كان رده : اذا لم يجدوا منه ابدا ، ولم يريدوا بذلك ان يعذبوه بالشمس • فهو يجيز اماتة الدودة . فقط اذا كان ذلك من ضرورات الصناعة !

●

هذا عن الحيوان فى عالم الاسلام ، فما بالكم بالانسان ؟

والانسان فى القرآن ، هو المخلوق المكرم الذى سخرت من اجل اسعاده السموات والارض ، بل هو خليفة الله فى هذه الارض • هل يمكن ان يقبل له الاسلام اذى او مهانة باى قدر ؟ •• وهل هناك اذى للانسان ومهانة لكرامته اكثر من الفقر ؟

لقد كان طبيعيا ، ومنسجما مع تكريم الله الانسان ، ان يقف الاسلام موقف الرافض العنيف للفقر ، بل موقف الفزع الاكبر على الناس من الجوع ، والمعرض الاكبر لهم على ان ينتزعوا باظافرهم حقهم فى القوت من الاغنياء •

✻ معجزة الاسلام عمر بن عبد العزيز – خالد محمد خالد •

« الشيطان يعدكم الفقر .ويامركم بالفحشاء(لاحظ ارتباطها بالفقر) والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم ـ البقرة ٢٦٨»· وقد كان للرسول عليه الصلاة والسلام دعاء شهير يقول فيه : اللهم انى اعوذ بك من الكفر والفقر · فقال رجل : ايعدلان ؟ . اى هل هما فى مقام واحد . فكان رده : نعم ·

وثمة دعاء آخر بنفس المعنى يقول : اللهم انى اعوذ بك من الفقر والقلة والذلة . واعوذ بك من ان اظلم أو أظلم ـ رواه أبو داود والنسائى ·

وبنفس المنطق يجيء الحديث الشريف :كاد الفقر ان يكون كفرا ـ رواه ابو نعيم فى الحلية عن انس ·

●

بعد « الرفض » . ما هو الحل الاسلامى للمشكلة ؟

ربما كان من افضل الكتابات فى معالجة هذه القضية ما كتبه ابو عبيد القاسم فى مؤلفه الموسوعى « المال » وما عرضه الفقيه الدكتور يوسف القرضاوى فى كتابه « مشكلة الفقر وكيف عالجها الاسلام » . ورسالته العلمية التى نال بها الدكتوراه حول موضوع لصيق بالقضية هو : الزكاة · والدكتور القرضاوى يطرح حلولا اربعة كفلها الاسلام لمواجهة مشكلة الفقر ·

فالاصل ان كل انسان فى عالم الاسلام مطالب بان يعمل ما دام قادرا على ذلك : «هو الذى جعل لكم الارض ذلولا . فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه ـ الملك ١٥ » والعمل قرين الجهاد « وآخرون يضربون فى الارض يبتغون من فضل الله . واخرون يقاتلون فى سبيل الله ـ المزمل ٢٠ » ـ و ·· ما اكل احد طعاما قط خيرا من ان ياكل من عمل يده . وان نبى الله داود كان ياكل من عمل يده ـ رواه البخارى » ·· و « اليد العليا خير من اليد السفلى ـ رواه ابن عمر » ·

والايات والاحاديث وشواهد التاريخ الاسلامى معروفة لدى الكثيرين . وكلها تؤكد قيمة العمل وتعززها . بالامر حينا . وبالنصح حينا . وبالترغيب مرة وبالترهيب مرة ·

× بعد ذلك يجيء العنصر الثانى من حلول مشكلة الفقر . وهو : كفالة الموسرين والاقارب. ذلك أن «أولو الارحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله ـ الاية الاخيرة من سورة الانفال» ـ « ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى ـ النحل » (لاحظ كلمة يامر) ـ و « ·· من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه ـ متفق عليه » · والتشريع الاسلامى هو الوحيد الذى ينفرد باقرار هذا الحق للفقير تجاه قريبه الموسر ·

× و « الزكاة » هى الحل الثالث · وهى ليست احد اركان الاسلام الخمسة فقط . ولا قريبة الصلاة فقط. ولكنها ايضا العبادة الوحيدة التى يمتد اثرها الى الناس بصورة مباشرة · فهذا مال يقتطع بنسبة معينة . ليوجه الى مصارف محددة فى المجتمع · بينما الاركان الاربعة الاخرى تقوم فى علاقة الانسان بربه ·ولا تنعكس على الاخرين الا فى صورة غير مباشرة . بقدر انعكاس اداء شعائرها على خلق المسلم وسلوكه ·

ولخطورة الدور الذى تؤديه . فقد تشدد الرسول عليه السلام فى شانها حتى قال : « من اعطاها مؤتجرا (اى طالبا للاجر والثواب) فله اجرها · ومن منعها فانا اخذوها . وشطر ماله (اى نصفه) غرمة من عزمات ربنا . لايحل لآل محمد منها شيء » ·

وهذا الحديث ـ يقول الدكتور القرضاوى ـ يجيز لولى الامر مصادرة نصف مال من امتنع عن اداء زكاته · وهو نوع من العقوبات المالية التى يتخذها الحاكم عند الحاجة تاديبا للممتنعين

والمتهربين • وبذلك صارت الزكاة هي الركن الوحيد من اركان الاسلام الذي يخضع المسلم لعقاب دنيوي اذا قصر في ادائه •

وبنفس السبب قاتل الخليفة الاول ابوبكر الصديق ومعه الصحابه ، مانعي الزكاة • وقال كلمته المشهورة « والله لاقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة » •

وهو ما استند اليه فقيهنا ابن حزم في فتواه « وحكم مانع الزكاة، انما هو ان تؤخذ منه . احب ام كره فان مانع دونها فهو محارب فان كذب بها فهو مرتد . فان غيبها ولم يمانع دونها فهو آت منكرا • فوجب تاديبه او ضربه حتى يحضرها ، او يموت قتيل الله تعالى الى لعنة الله : ✻

وللزكاة ــ كما نعلم ــ مصارف ثمانية محددة « انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم ، وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل . فريضة من الله . والله عليم حكيم ــ التوبة ٦٠.٨٥.

والذي يتصل بموضوعنا ان هذه الزكاة فريضة على المال من صاحب المال الاصلي وواهبه سبحانه ، وانها ليست تبرعا من الاغنياء ، ولكنها حق للفقراء • « وفي اموالهم حق للسائل والمحروم ــ الذاريات ١٩ ، ••وان الهدف الاساسي لها هو اعانة ذوي الحاجة من المسلمين • وهناك من يحاول ان يصور العدالة الاجتماعيه في الاسلام بانها « عدالة قائمه على الصدقات » ، بمعنى التبرع ومد اليد • ويغيب عن هؤلاء ان الاسلام يعتبره مال الله في الاساس ، وان نصيب الفقراء فيما لدى الاغنياء هو « حق » بالدرجة الاولى . وان الزكاة ليست متروكة لتطوع القادرين وامرحتهم . ولكنها فريضة واجبة ، تقتطع من مالهم اذا تقاعسوا عنها • اي انها في حقيقتها « ضريبة » سنوية واجبة الاداء للحاكم المسلم ، هدفها تحقيق التكافل في دار الاسلام ، حتى لا يظل المال « دولة بين الاغنياء»

لكن هذه الزكاة ليست كل حق الفقراء فيما لدى الاغنياء ، ولكنها الحد الادنى المفروض في الاموال • ولولي الامر اذا لم تسد الزكاة حاجة فقراء المسلمين ان ياخذ المزيد من الاغنياء، بالقدر الذي يسد هذه الحاجة • والحديث الشريف صريح في ذلك « ان في المال حقا سوى الزكاة ــ رواه البخاري » •

× والمصدر الرابع لمعالجة مشكلة الفقر هو الخزانة الاسلاميه بمختلف مواردها • ففي املاك الدولة الاسلاميه ، والاموال العامة التي تديرها وتشرف عليها ، بالاستغلال او الايجار او المشاركه • وفي خمس الغنائم ــ ان وجدت ــ وفي مال الفيء وفي الخراج (الضرائب العقاريه) •• في كل هذه الموارد نصيب للمحتاجين والمعوزين • (ما أفاء الله على رسوله من اهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كيلا يكون دولة بين الاغنياء منكم ــ الحشر ٧) •ولنذكر قسم الخليفة عمر بن الخطاب « والله ما من المسلمين احد الا وله في هذا المال نصيب •

ويخطيء من يظن ان هذه الكفالة مقصورة على المسلمين وحدهم ، رغم اشارة عمر بن الخطاب الى ذلك • اذ ان المقصود باشارته هم الذين يعيشون في دار الاسلام • وعمر نفسه هو الذي اثار انتباهه شيخ مسن يسأل الناس، فقال له : ما انت يا شيخ ؟ قال : ذمي (وكان يهوديا) فرد عمر : ما انصفناك ! •• أكلنا شبيبتك ثم نضيعك في هرمك • واخذه الى بيته فاعطاه ما وجده عنده، وأرسل الى مسئول بيت المال يقول : الى هذا وضربائه (وامثاله)،

✻ المحلى ــ جـ ١١

فافرض لهم من بيت المال ما يكفيهم وعيالهم ٠

ذلك انه عندما يتصل الامر بالفقر والحاجة ، فان القضيه المطروحه تصبح قضية كرامه الانسان ، مجرد كونه انسانا ، مسلما او غير مسلم ٠ والنص القرآني « ولقد كرمنا بني آدم » لم يقصر التكريم على مخلوق دون آخر ٠

●

وليس الهدف من هذا كله ان يعيش الانسان في عالم الاسلام عند حدود الكفاف ٠ ولكن الهدف هو أن تسد حاجة الانسان قدر الامكان ، ليعيش حياة كريمه تليق بمخلوق الله المختار ٠

والحديث الشريف يقول : من ولي لنا عملا وليس له منزل فليتخذ منزلا ، او ليس له زوج فليتزوج ، او ليس له دابة فليتخذ دابة ـ رواه الامام احمد وابو داود ٠ « واذا كان الحديث واردا في حق موظفي الدولة ، الا ان العله التي اقتضت حصول الموظف على ذلك ، وهي تحقيق كفايته للقيام بعمله بامانة واستمرار ، تقتضي توفير ذلك لجميع العاملين ، ولو باسهام من بيت المال » ٠ (١)

وعمر بن الخطاب هو صاحب القول : اذا اعطيتم فاغنوا ٠

وقد سئل الامام الحسن البصري عن الرجل تكون له الدار والخادم ، اياخذ من الزكاة ؟ ٠٠ فاجاب بانه ياخذ ان احتاج ، ولا حرج عليه ٠ (٢)

وثمة اتفاق على ذلك بين أئمة المذاهب الاربعه ، حتى قال الاحناف لا بأس بان يعطى من الزكاة من له مسكن ، وما يتاثث به في منزله ، وخادم وفرس ، وسلاح ، وثياب البدن ، وكتب العلم ان كان من اهله ٠ واستدلوا على ذلك بقول الحسن البصري (كانوا يعطون الزكاة لمن يملك عشرة آلاف درهم من الفرس والسلاح والخادم والدار) ٠ والمعنى بذلك هم صحابة رسول الله « لان هذه الاشياء من الحوائج اللازمة التي لا بد للانسان منها ، فكان وجودها وعدمها سواء (٣) ٠

وقد افتى الفقهاء بان العابد لا يستحق زكاة بينما العالم المحتاج يستحقها ، لان الاول ينفع به نفسه والاخر ينفع الناس بعلمه (٤) ٠

هؤلاء وامثالهم ، يعتبرون «اصحاب حاجة» يحق لهم نصيب من الزكاة ! ٠٠ أليس هذا امرا مدهشا ؟ أليس مدهشا أيضا أن يعطى أحد المحتاجين ثلاثا من الابل من بيت المال في عهد عمر بن الخطاب ، فيبعث عمر موظفي بيت المال على ان يردوا أمثاله ويقول ، كرروا عليهم الصدقة وان راح على أحدهم مائة من الابل» ٠

واليس مدهشا أن يبلغ هذا الاحساس بالتكافل مدى في ذلك الوقت المبكر من عمر تجربة الانسان يدفع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب الى أن يفرض لكل مولود مائة درهم ، فاذا ترعرع زاده الى مائتين ، فاذا بلغ زاده كذلك ٠ بينما في عهد عمر بن عبد العزيز يطوف المنادون : اين المساكين ؟ اين الغارمون (المدينون) ؟ ٠٠ اين الناكحون (الراغبون في الزواج) اين اليتامى ؟ ٠٠ حتى قيل : ما مات عمر بن عبد العزيز ، حتى جعل الرجل ياتينا بالمال العظيم فيقول اجعلوا هذا حيث ترون في الفقراء ، فما يبرح حتى يرجع بماله ٠

---

(١) [illegible] الاسلام ـ مصطفى السباعي ٠

(٢) الاموال لابي عبيد

(٣) بدائع الصنائع ج٢ للكاساني ج٢ (٤) [illegible]

وهذه الملابسات والشواهد ، هي التي استندإليها ابن حزم في كتابه « المحلى » وهو يحدد « الكفاية » التي بدونها يصبح الانسان فقيرا-اذ قرر أن أدنى ما يتحقق به المستوى الانساني لمن يعيش في دار الاسلام هو : طعام وشرابملائمـان ، وكسوة للشتاء وأخـرى للصيف ، ومسكن يليق بحاله (أى حقوق المأكل والملبسوالمسكن) ·

●

واذا لم يتحقق هذا الحلم العظيم ، ووقعالمحظور ، واستبد الفقر بالمسلم ·· اذا جاع مثلا ؟؟

هنا ترتج الارض والسماء ، فهذا مخلوقالله المختار وخليفته على الارض يتعـرض لمذلة الفقر ومهانة السؤال·وهنا تقفالنصوصالاسلامية ، موقفا بالغ العزم والعنف ، تجـرم الحدث ، وتدعو الى ازالة آثار الجريمة بكافةوسائل الترهيب والتحريض ·

هنا تتوالى الاحاديث: أيما أهل عرصة-منطقة أو حى سكن - أصبح فيهم امرؤ جائعا، فقـد برئت منهم ذمـة الله ورسولـه - ليسالمؤمن الذى يشبع وجاره جائع الى جنبه وهـو يعلم - ثم هذا الحديث الخطـير في مدلوله :اذا بات مؤمن جائعا فلا مال لاحد ·

ويعلق الدكتور علي البارودى على هـذاالحديث في كتابه : دروسفيالاشتراكيةالعربية بقوله : انه ما دام في المجتمع جائع واحد أوعار واحد ، فان حق الملكية لاى فرد من افراد هذا المجتمع لا يمكن أن يكون شرعيا ولا يجباحترامه ولا تجوز حمايته· ومعنى ذلك أن هذا الجائع الواحد يسقط شرعية حقوق الملكية الىأن يشبع ✻ ·

وقد حدث في عهد عمر بن الخطاب أنأصاب بعض المسلمين عطش شديد ، فمروا على بئر ، ولكن أصحـابه رفضوا أن يشربوا منـه، فلما وفدوا على عمر أخبروه بالامر فقال : هلا وضعتم فيهم السلاح » ✻✻ ·

ومشهور بيننـا قول الصحـابى أبى ذر الغفارى : عجبت لمسلم لا يجد قوت يومه ولا يخرج على الناس شاهرا سيفه !

وفي المحلى (جـ ٦) كتب ابن حزم عنالمسلم الذى يشتد به الجوع ، بينما يجد طعاما فيه فضل عن صاحبه ، فيقول أنه « فرض علىصاحب الطعام اطعام الجائع ·· وله -الجائع- ان يقاتل عن ذلك ، فان قتل فعلى قاتله القود(القصاص) وان قتل المانع فالى لعنة الله ، لانه منع حقا ، وهو طاغية · قال الله تعالى :فان بغت احداهما علىالاخرىفقاتلوا التىتبغى حتى تفىء الى أمر الله - الحجرات ٩ - ومانعالحق باغ على أخيه الذى له الحق » ·

وفي فقـه الحنـابلة انه اذا مات المسلمجوعا فان القادرين الذين حوله يعتبرون قتلة، ويلزمون بدفع الدية عنه ، لانهم مسئولون أمامالله عنه ·

وفي رأى فقهاء آخرين أن المسلم الجائعاذا مات وهو ينتزع حقه في القوت من الاغنياء يعد شهيدا لانه مات وهو يدفعظلما اجتماعياوقع عليه ، « ومن مات دون مظلمته فهو شهيد» بنص الحديث الشريف، ثم انه مات وهو يحاولان يغـير بيديـه منكرا ، اذ هو مطالب بذلك شرعا · « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ··الى آخر الحديث » ·

وقبل ان نطـوى هـذه الصفحة ينبغي أننتنبه الى أن هذه النصوص الاخـيرة تتصـدى لحالة واحدة يستبد فيها الفقر بالناس ، هىحالة الجوع ·· أى منتهى الفقر ·

وبقى ان نتأمل على الجانب الآخر حالـةمعاكسة ·· منتهى الغنى ! ■■

✻ العدلالاجتماعي - د · عماد الدين خليل· ✻✻ الخراج لأبى يوسف ·



رحلة قطرة الحليب

نموذج لإعجاز القرآن

بقلم : الدكتور محمد مروان السبع

● المؤكد ان الحليب غذاء كامل القيمة الغذائية • اذ من الممكن اعتباره الغذاء الاوحد ـ من بقية الاغذية ـ الذي يستطيع الانسان ان يتغذى عليه خلال كافة مراحل العمر المختلفة وحتى بدون مرافقة الاغذية الاخرى • فاي غذاء اخر ـ عدا الحليب ـ لا ينهض لوحده كممون لاحتياجات الكائن الحي من كافة المواد الغذائية والمعدنية بل يجب ان تشارك عدة اغذية معا لتحقق متطلبات الجسم من الاحتياجات الغذائية •

أما الحليب فهو الغذاء الاوحد للطفل الرضيع والغذاء الرئيسي للفطيم واليافع والرجل والكهل والشيخ • أرأيت طفلا رضيعا يستطيع أن يقيم اوده ويشتد عوده دون أن يشرب الحليب • بل لا يمكن أن نتصور بقاءه على قيد الحياة دون ان يتغذى على هذا الغذاء السائل اللذيذ • ولم لا وقطرة الحليب غنية بكافة المواد الغذائية الضرورية والهامة لمختلف العمليات الحيوية الجارية في الجسم• فهي تحتوى على البروتين ببنيات مختلفة لبناء خلايا الجسم الجديدة وترميم الخلايا التالفة واعطاء النمو للكائن الحي • وتضم الدهن بصيغ مختلفة معقدة لكنها تؤمن الطاقة الحرارية لاعمال الجسم الحيوية المختلفة • وتشتمل على السكر السهل الاحتراق والذي يعطي الطاقة الحرارية الانية بشكل سريع• وتحتوي على الاملاح المعدنية الكبرى التي يحتاجها الجسم بكميات كبيرة . والصغرى التي لا تلزم للجسم الا بمقادير زهيدة للغاية • وتحتوى على الفيتامينات بكافة انواعها وفروعها •

واخيرا تضم قطرة الحليب المضادات الحيوية التي تؤمن للجسم مناعة تامة ضد الامراض والعلل، وخصوصا الحليب المفرز في الايام الاولى بعد الولادة • فالطفل الحديث الولادة يتعرض لهجوم الجراثيم ومسببات الامراض بشكل شديد ولا يكون الطفل عند ذاك مستعدا لمقاومة هذا الهجوم لعدم

امتلاكه للاجسام المضادة • لذا نجد الخالق جل وعلا قد اوجد في الحليب المفرز في الايام الاولى بعد الولادة تلك الاجسام المضادة التى تقي الطفل من امراض شديدة الوطاة ريثما تتكون في الجسم المناعة الذاتية الكافية بشكل تدريجي وعلى مراحل•

تتكون قطرات الحليب في حوصلات خاصة بالضرع والثدى (فى المراة) تدعى بالحوصلات الخروبية • ويبلغ عدد هده الحوصلات بالملايين • وتتالف الحوصلة المجهرية الواحدة من خلايا طلائية مرصوفة بجانب بعضها البعض مشكلة اسورة مفتوحة من جهتها السفلية (انظر الشكل المرفق)• وتحصر بينها فراغا يدعى فراغ الحوصلة تصب فيه قطرات الحليب المنسابة وتخرج الى قنيوة شعرية تدعى قناة الحوصلة • وهده تفضى الى قناة اعرض فاعرض حتى تنتهي الى قناة الحليب الرئيسية التى تصب في مخزن الحليب • وهذا بدوره يحفظ الحليب لحين ادراره عبر الحلمة •

وتتالف الخلية الطلائية في الحوصلة الخروبية من جدارين : خارجى مفعم بالاوعية الشعرية التى تمد الخليه بالدم والاعصاب ، وداخلى طرى ترتشح منه قطرة الحليب الجاهزة • ومن الجدير بالذكر أن كل خلية طلائية تصنع قطرة الحليب بشكل جاهز بكل محتوياتها الغذائية والمعدنية والحيوية •

مصل الدم والحليب

ومن المعروف أن الدم وما يحمله منمواد غذائية يعتبر المصدر الاساسى لامداد الحوصلات الخروبية بحاجتها لصنع قطرة الحليب•غير أن هدهالحوصلات تلعب دورا عظيما في عملية انتقاء تلك المصادر الغذائية • ونظرة بسيطة الى المحتويات الكيميائيه لمصل الدم مع المحتويات الكيميائيه لقطرة الحليب يتصحلنا الفرق الشاسع والبون الكبير فيما بينهما (انظر الجدول) •

وهكذا نجد ان هنالك مركبات موجودة فيالحليب لم تكن موجودة اصلا فى الدم • على الرغم من ان هذا الدم بالذات هو الدى يمد الغدة اللبنيه اصلا بالمواد الضرورية لتكوين الحليب ومثال تلك المركبات (اللاكتوز والكازئين وغيرهما) • وكدلك فان الحليب يفوق مصل الدم فى سكر الحليب (اللاكتوز) بمقدار ٩٠ ـ ٩٥ مرة و ٢٠ مرة في الدهن و ١٤ مرة فى الكالسيوم و ٩ مرات فى البوتاسيوم و ١٠ مرات فى الفوسفور • الا ان الحليب يتقهقر امام الدم فى كمية البروتينبمقدار مرتين وبالكلور ٣ مرات وبالصوديوم ٧ مرات •

وادن فقد حصل اختلاف فى التركيب الكيماوى للحليب عن مصدره الاساسى الا وهو الدم • وهو ليس اختلافا عشوائيا تابعا للصدفة العمياءالبحتة. وانما هو امر موجه بقدرة عظيمة كي تصبح قطرة الحليب مستساغة الطعملديذة النكهة مقبولةالقوام والمظهر واللون وغنية بالقيمة الغذائية العالية • وعند النظر في معلومات الجدول المرفق نرى ان خلايا الحوصلات الخروبية فى الثدى تقوم بعمل خارق مدهش للغاية عند صنعها لقطرة الحليب • أى لا كما يقال انها تعمل عمل مصفاة واعية منتقية !! اى انها تنقيتلك المواد الضرورية انتقاء وانتخابا ولا تسمح بمرور بعض المواد الاخرى •

مقارنة بين مكونات مصل الدم ومركبات الحليب الكيميائية فى الابقار

الماء الغلوكور الالبيومين الحموص الاميية الحرة الدهن

	الماء	الغلوكوز	الالبيومين	الغلوبيولين	الحموض الامينية الحرة	الدهن	الفوسفات العضوية	الكولسترول الحر	الكالسيوم	الفوسفور	الصوديوم	البوتاسيوم	الكا
مصل الدم %	٩١	٠ر٠٥	٣ر٢	٤ر٤	٠ر٠٠٣	٠ر٠٩	٠ر٢	٠ر١٧	٠ر٠٠٩	٠ر٠١١	٠ر٣٤	٠ر٠٣	٥
الحليب %	٨٧	اللاكتوز ٤ر٨	ر٥٢	٠ر٠٥	الكازئين ٢ر٩	٣ر٨	٠ر٤	آثــار	٠ر١٢	٠ر١٠	٠ر٠٥	٠ر١٥	

ولكن دعنا عزيزي القارىء نستعرض الادوار المتضادة التي تقوم بها خلايا الحوصلات العروبية في وقت واحد معا بشكل منسق ومنظم يعجز عن فهمها الادراك ويقصر عن تصورها العقل .

أ - دور ترشيح وتصفية : تقوم تلك الخلايا بتصفية الماء الموجود في الدم وترشحه بنسبة مساوية لكميته في الحليب حسب الامر الوراثي الصادر عن صبغيات النوع الحي .

ب - دور انتقاء وعرقلة : تقوم الحوصلات العروبية ذاتها بعملية اصطفاء فيزيولوجية معقدة، وانتقاء دقيق من مصل الدم . بحيث تعرقل مرور الغلوكوز والاحماض الامينية وبعض مركبات البروتين والفوسفات الدهنية مع تغير واضح في نسبها الكمية عند دخولها الى الحوصلة . بينما تسمح للاملاح المعدنية وتسمح بمرورها بنسب مختلفة عن نسبتها في الدم . واذن فهي تتدخل في العرقلة والانتقاء لمصلحة قطرة الحليب .

ج - دور تكوين وتصنيع : لا شك ان الدور الهام والاساسي الذي تضطلع به خلايا الحوصلة العروبية هو صنع اغلب مركبات الحليب . فتكوين سكر الحليب (اللاكتوز) والكازيين والدهن يحصل في الحوصلات العروبية للضرع والثدي . وهذا ما تؤيده دراسة التركيب الكيماوي للدم الوارد الى الضرع في الشريان الغدي . والاخر الصادر عنه الوريد اللبني . وبمعرفة الفرق بين مركبات الدم الشرياني والدم الوريدي يمكننا ان نحكم على تلك المواد التي استنفدت واستعملت في تكوين الحليب .

د - دور امرار دون تدخل : تمر الهرمونات والعقاقير والفيتامينات والروائح وبعض الاملاح المعدنية من الدم الى فراغ الحوصلة بحالة جاهزة ودون تدخل من الحوصلة العروبية سواء في نسبتها ام في كميتها .

أفبعد هذه الادوار المتضادة يقال بان الحوصلة العروبية تقوم بعملية اصطفاء وتصفية واعية وهل للحوصلة عقل Mind مفكر ومدرك . لا شك ان وراء هذا العمل الرائع المنظم قدرة جبارة خالقة .

واذن تحتفظ خلايا الحوصلة العروبية بالمواد والاملاح الواردة مع تيار الدم في اسوبتها وتستوعب لازماتها . وبعد ذلك تقوم بصناعة المركبات الغذائية في قطرة الحليب تشكل مدبر ومختلف في البنية الكيميائية والكمية لما هي عليه في قطرة الدم . وتشترك في هذا البناء كافة اجزاء الخلية المجهرية . بعدئذ تخرج قطرة الحليب الى فراغ الحوصلة جاهزة طازجة سائغة للشاربين .

من اعقد العمليات

بدون جدال فان تشكل قطرة الحليب داخل خلايا الحوصلة العروبية يعتبر من اعقد العمليات الفيزيولوجية الجارية في الجسم الحي على الاطلاق، واكثرها دقة واعمقها تحولات بنيوية وطاقوية . وتشارك في هذا التكوين خمائر وهرمونات وتوابع ومركبات لا حصر لها يعجز عن وصفها البيان .

وجدير بالذكر ان كافة اجهزة الجسم المختلفة تساهم مساهمة متفاوتة الاهمية والدرجة في تكوين الحليب .

- فالجهاز الهضمي يمد الدم بمستحالته الغذائية المتكونة عن عمليات الاستقلاب الهضمي . وتساهم الغدد المتصلة المتعلقة بالجهاز الهضمي في رفد الدم بمستحالاتها الكيميائية والغذائية المختلفة ايضا .

- والجهاز التنفسي يقوم بتنقية الدم وامداده بالاوكسجين كي تدور في الضرع او الثدي لامداد الخلايا باحتياجاتها من الاوكسجين والمواد الغذائية. وقد ثبت انه لانتاج - اللتر - من الحليب يجب ان يمر في الضرع ٤٠٠ - ٥٠٠ ل من الدم . فاذا فرضنا ان بقرة ما تنتج ١٠ كغ حليب في اليوم على اقل تقدير فمعنى هذا انه يجب ان يمر في الضرع يوميا ما مقداره ٤٠٠٠ - ٥٠٠٠ ل من الدم . فتصور معي ايها القارئ العزيز - ضخامة هذا العمل الخلاق .

- والجهاز العظمي يخزن الكميات الزائدة في الجسم من الكالسيوم والفسفور لحين الطلب . فاذا لزم الامر وطلب الضرع كميات اضافية من هذين العنصرين لتكوين الحليب قام هرمون مفرز من الغدة جارة الدرقية بحل واذابة محتويات العظام من الكالسيوم والفسفور وصبه في الدم . ولذلك نجد ان الابقار العالية الادرار تتقصف عظامها وتتكسر بسهولة عند اقل صدمة نظرا لهشاشة العظام وفراغها .

- والجهاز العصبي هو المسؤول عن نقل

الاحساسات والاستثارات المحيطة بعملية افراز الحليب وادراره عن طريق النهايات العصبية الرفيعة المنتشرة ضمن خلايا الثدى . وقد يكون رد فعل الجهاز العصبي في عملية صنع الحليب ايجابيا او سلبيا حسب الظروف .

ـ وللجهاز التناسلي ايضا دور في عملية تكوين الحليب . فلا تفرز قطرة حليب اطلاقا من بكر ولا ثيب اذا لم تحمل ومن ثم تلد . اذ ان ادرار الحليب مرهون بنزول المولود وبدء بكائه طلبا للتدى ودليل غريزي على جوع الطفل .

ـ والغدد الصماء تساهم مساهمة فعالة في عملية افراز الحليب عن طريق رسلها (هرموناتها) المختلفة التي تصبها في الدم وتحث بواسطتها خلايا الضرع على الافراز . وتتحكم هذه الهرمونات في المنحنى البياني لانتاج الحليب على مدار فصل الحلابة .

والان كيف يسيل الحليب خارج الثدى وكيف تتم عملية الادرار ؟

لاشك ان سيلان الحليب خارج مكان افرازه عملية معقدة مرتبطة بظروف بيئية وهرمونية وعصبية يجب توفرها بشكل ملائم ومواتٍ كي يتم بصورة سهلة وطبيعية ففي الابقار والاغنام والماعز والحيوانات الثديية المنتجة للحليب تبدأ الافعال الانعكاسية لادرار الحليب بتوفر الشروط التالية :

١ ـ اقتراب موعد الحلابة في زمن محدد ثابت .

٢ ـ دخول الحلاب الذى اعتادت عليه الحيوانات الى الحظيرة بالبسته ورائحته المميزة وقرقعة سطوله والجلبة الناشئة عن الاستعدادات لبدء عملية الحلابة .

٣ ـ التهام كمية من العليقة المركزة المحتوية على الاعلاف الجاهزة والمخلوطة بنسب معينة مساعدة في عملية الادرار .

٤ ـ تدليك الضرع وعمل مساج له مع قليل من الماء الفاتر .

وهنا يصل الفعل الانعكاسي العصبي الى اوجه . تقوم النهايات العصبية المنتشرة في خلايا الضرع بنقل هذا الفعل الانعكاسي الى الدماغ بواسطة السيالة العصبية . فيحدث امر عصبي صادر من الدماغ للغدة النخامية فتقوم هذه بافراز هرمونين : احدهما من الفصل الامامي ويدعى البرولاكتين ، وثانيهما من الفصل الخلفي ويسمى الاوكستوسين .

فيسيران في الدم حتى يصلا الى العضلات الدائرية الملساء المحيطة بقناة الحلمة فيجبرانها على الانبساط والارتخاء فيبدأ سيلان الحليب بالجاذبية الارضية وبواسطة مص الحلمات من قبل الرضيع .

غير ان ادرار الحليب لا يدوم طويلا . اذ يفرز من غدة صغيرة فوق الكلية هرمون جديد بامر من النخامية ذاتها يدعى هرمون الادرنالين يعاكس عمل الهرمونين السابقين ويثبط تاثيرهما فتعود حلمات الضرع الى الانغلاق خلال ٥ ـ ٧ دقائق فقط من الانبساط . وافراز الحليب من ثدى المراة مشابه تماما لمثيله في ضرع البقرة . وتلعب شفاه الرضيع اثناء امتصاص الحلمات دورا هائلا في احداث الفعل الانعكاسي العصبي المسبب لافراز الحليب .

ومن المعلوم انه اذا تعرضت المراة المرضع لهزات نفسية وعصبية مفاجئة وحوادث مرعبة فان كمية هرمون الادرنالين تزداد في الجسم وتتعاظم ، ويصبح هو المسيطر والمتحكم في التقلصات والتشنجات المختلفة التي تقع في مناطق الجسم العديدة . وبالتالي تبقى حلمات الثدى مغلقة فترة طويلة فيؤدي ذلك الى انقطاع افراز الحليب وعدم تكونه بتاتا .

هذا وتلعب الهرمونات الجنسية المفرزة من المبيض دورا كبيرا في نمو الثدى وتكامل حوصلاته الغدية ويشارك في هذا العمل هرمونات اخرى معينة تفرز من الغدة النخامية ايضا . بينما نجد هرمونات اخرى تقوم ـ على العكس ـ بمنع افراز الحليب وتكوينه مثل هرمونات المشيمة المغلفة للجنين اثناء الحمل . وهذا شيء فطرى رباني . اذ من الضروري ان يقل افراز الحليب حتى ينعدم تماما مع كبر الجنين في الرحم وتعاظم احتياجاته الى الغذاء . وحاجة الجنين الى الغذاء اولى واهم من حاجة الرضيع الى الحليب . بينما لا يجد الجنين مصدرا لغذائه سوى دم امه الحامل . سبحانك جلت حكمتك وعظمت قدرتك في بديع ما صنعت وجميل ما خلقت . واخيرا اجدنى عزيزي القارىء متطامنا امام عظمة الخالق مسترجعا قوله تعالى « وفي انفسكم افلا تبصرون » .

صدق الله العظيم . ■■

جامعة حلب ـ د . محمد مروان السبع

حجاج منذ الأزل :

الوثنيون

والذين عرفوا الله

بقلم : الشيخ طه الولي

■ هي رحلة طويلة في اعماق التاريخ تلك التي قطعها الانسان وهو يمارس الحج .. بدءا بالصنم والمعبد ، وانتهاء ببيت الله الحرام .

والحج في اللغة معناه القصد الى مكان أو غرض بعينه . ويقال رجل محجوج للمقصود الذي يزوره الناس لحاجة او لاخرى . وفي الاصطلاح الديني فان الحج يعني انتقال المسلمين من مواطنهم حيث كانوا الى مكة المكرمة لاداء احد فرائض الاسلام الخمس وهي شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ، واقام الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع الى ذلك سبيلا . من حيث احتمال الصحة البدنية واستقرار الحالة الامنية وتوفر القدرة المالية .

وجدير بالذكر ان الحج ليس من العبادات التي ينفرد بها المسلمون دون غيرهم من سائر الامم على مختلف المذاهب والاديان ، بل هو من المناسك التي مارسها الناس في عباداتهم منذ اقدم الازمان في العديد من المواطن والامصار والبلدان . وان كلمة « حج » نفسها ، وردت في كتابات الشعوب السامية ، والعرب من هذه الشعوب ، مما يدل ان الساميين كانوا يحجون الى بيوت يحفظون بداخلها اصنامهم . وكانوا يطلقون على كل من هذه الاصنام اسم « رب البيت » الذي هو فيه .

وكثيرا ما كانت هذه البيوت تقام في الواحات في ظل الشجر ، او عند تجمعات المياه او بالقرب من المواقع الطبيعية الملائمة . وكانت هذه البيوت مقصدا دينيا للذين وقدهم الورع فهم يشدون اليها رحال الحج للتبرك بها او لتقربهم ، على حد زعمهم ، الى الله زلفى .

فقدماء المصريين ، قبل حوالي اربعين قرنا كانوا يحجون الى هيكل « ايزيس » الذي كان موجودا في قلب مدينة بسايس (صا الحاليه) وفتاح في منفيس وامون في طيبة .

واهل اليونان كانوا يحجون ايام الوثنيه الى معبد مينارفا في اثينا ومعبد جوبتر في اولمبيا وهيكل ديانا في افسوس .

حج في اليابان

وما زال اليابانيون حتى اليوم ، يمارسون الحج الى هيكل عظيم مشهور في ولايه آسجي باليابان ويوجبون على انفسهم زياره هذا المعبد ولو مرة واحدة في السنه ، وفي اثناء هذه الزيارة يتجرد الشخص من ثيابه ولا يبقى منها الا ما يكفي لستر عورته ، وهم يقصدون المعبد المذكور سراعا يركضون وفقا لطقوسهم المرعية في هذه المناسبه .

وكذلك ، فان للهنود مواسم محدده اثناء السنه يحجون فيها الى بعض المعابد مثل معبد جاغرناث، ومثل هيكل الـورا في حيدر اباد الدكن ، وهـذا الهيكل يعتبر من عجائب الدنيا ، ذلك انه محفور في الصخر على امتداد نحو فرسخـين . ومـن المعابد الذي يخصها الهنود بالحج ، هيكل بوذا القائم في احدى الجزر القريبة من جزيرة سيلان في بلاد الشرق الاقصى والهنود يكثرون من الطواف حول مشاعر حجهم ثم يقصدون بعد ذلك بحيرات معينه يعتبرونها ذات ماء مقـدس . فيغسلـون جسومهم بهذه البحيرات ويرطبون مآزرهم التي يتزرون بها بعد استحمامهم بتلك المياه بقصد التبرك والايمان بالطهارة النبيلة والتقوى ، حسب معتقداتهم الخاصه ومن اشهر هذه البحيرات تلك التي بالقرب من بحر قزوين وتدعى بحيرة مادن .

هذا فيما يتصل بالديانات الوثنيه ، القديم منها والحديث ، اما فيما يتصل بالديانات التي تواضع الناس على تسميتها بالسماوية التي ينبع انبياؤها نبيا مرسلا ومعه كتاب مـن وحـي الله عز وجل ، فاننا نذكر اليهود ، الذين كانوا يحجون في عهد ما قبل المسيح الى المكان الذي يقولون ان تابوت العهد موجود فيه منـذ اربعـة عشر قرنا سبقت ميلاد عيسى بن مريـم عليـه السـلام . وبسبب هذا الحج ازدهرت مدينة بيت المقدس ، ردها الله للعروبة والاسلام ، وفي العصور القديمة قبل ان يدمرها الحريق الذي انزله بها طيطس الروماني حوالي سنة ٧٠ ميلادية وجلا اليهود على اثره من هذه المدينة التاريخية العظمى .

وما زال اليهود ، حتى الان ، يحجون الى حائط البراق الذي يرتبط اسمه بذكرى الاسراء النبوي الشريف والبراق هو الفرس المجنح الذي تقول التقاليد الشعبية انه الدابة التي نقلت النبي صلى الله عليه وسلم في اجواء السماء عندما اسري به يوم ٢٧ رجب ولهذا الحائط قداسة خاصة لدى اليهود الذين يعتقدون انه من بقايا سور الهيكل الذي بناه سليمان بن داود .فهم يحجون اليه مرتين خلال السنة وخصوصا في موسم عيد الدجاج (القربان المقدس) وهم يرتلون عنده بعض مقاطع من توراتهم ويتباكون على ملكهم الضائع ، وكان ذلك قبل ان يثبوا على فلسـطين ، جبرها الله ، ويغتصبوا حق اهاليها الشرعيين ويحتلوا هذه البلاد على انقاض كرامه العرب وعزه الاسلام والمسلمين .

امام خشبه الصليب

والمسيحيون لهم مواطن يحجون اليها في مواسم معينه . وكان ابتداء الحج عندهم في سنة ٣٠٦ ميلاديه اي منذ ادعت هيلانه ام قسطنطـين امبراطور روما انها عثرت على خشبه الصليب الذي يقولون ان المسيح عيسى بن مريم علق عليه ايام الرومان . فلقد بنى قسطنطين كنيسه وضع فيها هذه الخشبه على اسم كنيسة القيامه ، ومن ثم اصبحت هذه الكنيسه مزارا مقدسا يحج اليها نصارى العالم ويمارسون خلال هذا الحج طقوسا معينه تتخللها مراسم كهنوتيه يقوم بهـا امـير الكنيسه في الفاتيكان حيث يقلد الحاج من ابناء ملته ثوبا من الصوف الخشن ويسـلمه عصـا الترحال ، حتى اذا انتقل الى الشرق وحـل بفلسطين ، زار الخشبه المذكورة في الكنيسه التي هو فيها ثم يتحول الى نهر الشريعة (الاردن) فيغتسل بماء هذا النهر تشبها بما فعل المسيح عيسى بن مريم حين عمده ابن خالتـه يوحنـا المعمدان بمائه وان كثيرا من الحجاج المسيحيين ينتهزون هذه المناسبه فيبللون الثوب الخشن الذى يرتدونه بماء النهر المذكور ويحتفظون به دثارا لهم ثم يوصون بان يدرج معهم في لحدهم عنـد موتهم . على نحو ما يفعل بعض البسطاء مـن حجاج المسلمين الذين يحملون معهم ثوبا يبللونه بماء زمزم ويوصون بان يكفنوا به عند وفاتهم .

ولم يتوقف المسيحيون عن الحـج الـى بيت المقدس الا فترة محدودة في ايام الحكم السلجوقي ففي هذه الفترة استعاضوا عن زيارة مواطنهم المقدسة بالاتجاه صوب حاضرة الفاتيكان في روما

حيث مقر الفاتيكان (البابا) . وللمسيحيين ـ ولاسيما الاورثوذكس ـ ، مواطن اخرى يقصدونها بالحج من ذلك كنيسه تريف بالمانيا التي يقولون ان فيها القميص الذى كان يرتديه المسيح عليه السلام عندما القى الرومان القبض عليه وحاكموه نتيجة وشاية اليهود .

وكذلك فانهم يحجون الى كنيسه مشهورة باسم : سيدة لورد في جنوب فرنسا ويزعم هؤلاء ان مريم ام عيسى ظهرت في هذه الكنيسه لذلك فانهم يحجون اليها للزيارة ومن ثم فانهم يغسلون بينبوع قريب منها ويجمعون ماءه في قوارير يرسلونها الى من يريد التبرك بها لقاء ثمن محدد وهم يزعمون ان في هذا الماء سرا يؤدى الى شفاء المرض واعادة العافية الى المحرومين منها .

جذور في الجاهلية

والعرب قد عرفوا الحج في هذا المعنى الديني قبل اسلامهم من الجاهليه الى الاسلام وذلك انهم كانوا يحجون الى الكعبه الشريفه قبل حوالي خمسه وعشرين قرنا من ظهور الاسلام . ودائما كانت الكعبه في نظرهم « بيت الله » فكانوا اذا قدموا الى مكه المكرمه يبادرون الى زياره البيت الحرام والطواف به . واذا قضوا من مكه وطرهم وارادوا مغادرتها قصدوا البيت للزيارة والطواف مودعين هذا الحرم الذي كان يحظى باجماعهم على قداسته وحرمته بالرغم مما يثور فيهم من نوازع الخصومه القبليه والتندد من اجل التجاره والمرعى او التباهي في الاعتزاز باصنامهم وانسابهم وذكريات ابطالهم في الحرب والقتال .

ومما يؤكد قدم عهد العرب بنسك الحج بين شعائرهم الدينيه في الجاهلية وجود شهر « ذى الحجه » في عداد الشهور التي يتالف منها تقويمهم السنوي واعتبار هذا الشهر واحدا من اربعه شهور يمتنع فيها الناس عن الاصطلاء بنار الحرب مهما كانت الاسباب والظروف التي تخامرهم او تحيط بهم وقد ورد اسم هذا الشهر في كتابه « المسند » باسم « ذو حجتن » كما ان كلمه « حج » نفسها قد وردت في تلك الكتابه . وقد نقل المؤرخ العراقي جواد علي في كتابه « تاريخ العرب قبل الاسلام » عن ابيفانيوس قوله انه يوجد بين اسماء الشهور عند العرب شهر اسمه « حج البيت » وان هذا الشهر هو ذو الحجه نفسه .

اذن فان وجود اسم شهر ذى الحجه في التقويم الاسلامي الهجرى ومن قبله في التقويم الوثني الجاهلي ، يدل دلالة واضحه على ان العرب كانوا دائما ، يقصدون ما سمي « بالبيت » خلال شهر ذى الحجه للقيام بمناسك الحج كعمل قربه الطقوس الدينيه وجعله فريضه مثوبة على اهل الجزيرة العربيه حتى قبل ان يستظلهم الاسلام من حماه الوثنيه الجاهليه . بيد ان النصوص التي بين ايدينا لم تحدد لنا مكان هذا البيت كما انها لم تحدد هذا البيت نفسه ، الامر الذي حمل المؤرخين على القول بان الجاهليين كان لهم اكثر من بيت سواء في شمال الجزيرة او في جنوبها وان هؤلاء الجاهليين كانوا يعظمون هذا « البيت » من خلال الحج اليه بما لا يختلف عما اقره الاسلام فيما بعد مع بعض التعديلات التي تجعل هذه الشعيرة الدينية متناسقة مع طبيعة الدعوة الدينيه القائمه على عبادة الله الاحد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد . ■■

الكويت ـ **طه الولي**

سيارة

* في احد الاماكن العامة كانت هناك لافتة كبيرة تتضمن العبارة التالية : « ثمن هذه السيارة الفخمة عشرة الاف جنيه استرليني » . وقد اضاف احدهم العبارة التاليه في اللافتة : « واذا لم يوجد لديك المال فبامكانك تقديم منزلك ثمنا لهذه السيارة » .

قضايا حيوية

هذه مجموعة من الاراء والملاحظات والتساؤلات تعالـــج بعض القضايا الحيوية،وتعبر عن وجهات نظر اصحابها فى هذه القضايا •• وعملا بحرية النشر ، فاننا نفســح المجال لهذه الاراء كما تلقيناها ، بغير حذف او تعديل •

حول المحاولات المعاصرة لتطبيق الشريعة الاسلامية

"إن الله بعث محمداً هادياً ولم يبعثه قاضياً"

بقلم : عبد الوهاب احمد الافندى

دائما كنت احب المسيح عليه السلام •

صــورته فى خاطرى تتــالق بالانسانية والرقة ، والبعد عن القسوة • وكنت احبه اكثر ما احبه حينما اذكر قصته مع المراة الزانية التى استفتاه اليهود فى رجمها ، ليس استفتاء استعلام ، وانما استفتاء تعجيز ، يريدون ان يفجروا التناقض بين طبيعته المتدفقة بالرحمة والمحبة ، وبينما يزعمون انه امر الله برجم الزناة •

قال السيد المسيح : « من كان منكم بغير خطيئة فليرمها بحجر • »

وانفضت جموع الخطائين الناعقين لاذى غيرهم ، الناسين ما وقرت به ظهورهم من خطايا لا تكفى اعمارهم للاستغفار لها ، ثم هم يجدون فى تلك الاعمار متسعا لتتبع خطايا الاخرين !

هناك ظاهرة سيكولوجية يطلق عليها علماء النفس مصطلح « ردة الفعل »

انها تتمثل فى ابداء انسان سلوكا مناقضا تماما لرغبته ، كان يكون مبالغا فى حسن معاملة من يكن

له العداء المرير أو ان ينخرط في جماعة لمحاربة الخمور ليغفي ولعه وتشوقه للخمر ، او ان يطالب بمعاقبة كل المذنبين ليغرق الحنين الدافق في داخله لممارسة الخطيئة •

الشعور الذى اكنه للسيد المسيح لا يفوقه الا اعجابى بافضل البشر ، محمد صلى الله عليه وسلم •

الانبياء دائما يبهروننا بتجسيدهم اروع ما فى الانسانية ، واجمل ما فى البشر من مشاعر الحب والتفهم للاخرين ، ونكران الذات • وانني اعتقد انه لو لم يكن مع الرسل دليل على انهم مبعوثون من العناية الالهية الا شخصية كل منهم ، وما يكنونه من حب لبنى الانسان لكفاهم ذلك دليلا •

انظر الى الرسول صلى الله عليه وسلم وهو دامى الوجه والقدمين ، مشرد من كل الاماكن ، يقول : « ارجو ان يخرج الله من اصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئا • »

لله كل هذه العظمة ، وكل هذا التسامي ! ولله ذلك الموقف يوم احد ، حين وقف ذلك الرجل وهو دامى الخدود ، مجرح الوجه بالسهام ، وحلقات المغفر مغروزة فى لحم وجهه ، فيفتح فمه المكسور الرباعية ، المتلىء دما طاهرا ، ويحرك شفتيه الداميتين ليدعو لمن فعلوا به كل هذا فيقول : « اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون ! »

ادراوا الحدود بالشبهات

انني لا ادرى من هو اول من نشر فكرة ان الاسلام هو فى جوهره عقوبة الخارجين عليه من اهله باقامة الحدود عليهم ، ومن غير اهله بالعمل او الاستعباد ، ولكنه قطعا ليس هذا الرجل •

لقد قال صلى الله عليه وسلم: «ادراوا الحدود بالشبهات » .

وقد ضرب اروع الامثلة على ذلك •

انظر اليه وقد جاءه ماعز الاسلمى يعترف بالزنا ، فرفض الرسول الكريم ان يستمع لهذا الاعتراف ، ان الاعتراف بالذنب توبة عنه ، وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يعلم ان مغفرة الله تشمل التائب حتى وان لم يرجم ، ولكن الرجل اصر على ان يستمع الرسول الى اعترافه ، فيحاول الرسول صلى الله عليه وسلم ان يقنعه بان جريمته قد لا تكون بالمستوى الذى يتخيله ، فيصر الرجل ، حتى يضطر الرسول الكريم لاستعمال عبارات لا يمكن ان ترد على لسانه مطلقا فى ظرف اخر ، حتى يقطع الشك بانه مارس العملية الجنسية كاملة مع امراة لا تحل له ، فلم يكن مناص بعدها من اقامة الحد •

وايضا تلك المراة التى اتت اليه وهى حامل من الزنا ، فابى ان يقيم عليها الحد حتى وضعت طفلها ، وفطمته ، ثم اسلمه الى من يكفله •

ويسمع وهو عائد من اقامة الحد على المراة رجلا يحتج بان بعض دم المراة قد سقط على ثوبه فنجسه فغضب الرسول حتى عرف ذلك فى وجهه ، وانتهر الرجل قائلا : « لو قسمت توبة هذه المراة على اهل المدينة لوسعتهم • »

ولعل مما هو حقيق بالتنويه ان الرسول لم يسال ايا من الشخصين المعترفين بالزنا عن شريكه فى الجريمة •

لقد كانت الصورة واضحة فى ذهن الرسول الكريم لرسالته السامية • انه قد بعث هاديا ولم يبعث قاضيا •

سماحة الانبياء

وضوح الرؤية والهدف عند الانبياء جانب اخر

مشرق من جوانب شخصياتهم التى تفيض روعة وبهاء ونورا ٠

الهدف واحد ، وواضح : ان يهتدى الناس ، كل الناس ، او على الاقل اكبر عدد ممكن من الناس ٠

الرسول الكريم كان دائما يضع الهدف الاوحد هذا نصب عينيه ، ولا يسمح لرغبة اخرى ان تشغله عنه ٠

كان امامه وقدماه داميتان ٠

كان امامه ويداه داميتان ٠

كان امامه وخداه داميان ٠

كان امامه وقلبه يقطر دما ٠

وكان امامه وقلبه يشرق فرحا صبيحة فتح مكة ، فيطاطىء الراس ويسفح دموع الخشوع مكان صيحات الاستعلاء ٠

لم يكن الرسول الكريم يريد نصرا على احد ، كان فقط يريد ان يعرف الناس الحقيقة ٠

كان يرتفع فوق الجراح ، وفوق الانتصارات ، ليتعلق بامنيته الدائمة :

« اللهم اغفر لقومى ، فهم لا يعلمون »

لقد لخص هذا الدعاء الامنية والمشكلة ٠

كل ما فى الامر ان هناك قوما لا يعلمون الحقيقة ، وكل ما نستطيعه لحل المشكلة هو ان نتمنى من الله مساعدتنا على حلها ، وان نعمل من اجل ذلك الحل ما فى وسعنا ٠

الله سبحانه وتعالى لا يريد أن يقسر احدا على عبادته ٠

وهذا كل ما يريده الله منا ٠

وحتى لا يقع الانبياء فى خطا الاعتقاد بان شيئا من هذا قد يكون من واجبهم ، فان الله لم يكلهم الى عصمتهم ، بل وضع لهم حدود مهمتهم بطريقة لا تقبل الجدل :

« فذكر انما انت مذكر ٠ لست عليهم بمسيطر»

« ٠٠ ليس لك من الامر شىء او يتوب عليهم ، او يعذبهم ، فانهم ظالمون ٠ » ٠٠

« افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ؟ »

« فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب ٠٠ »

الانبياء كانوا يعـرفون ذلك ٠ وكانوا ايضـا يعرفون أن الطريق الذى خطه لهم الله طويـل وشاق ٠٠ شاق جدا ٠ وانه طريق مستقيم واحد ، لا يحتمل الدوران حوله باى طرق ملتـوية ، من القسر ، او الارهاب ، او الاستعجال بالعـذاب ولا بالاسترضاء ٠٠

والذين كانوا يخرجـون على هذا الطريق ، كانوا يتلقون العقاب الرادع والحاسم والفورى ، حتى ولو كانوا من الانبياء ٠

لقد منع الله الرسل من التنازل عن اى شىء من مبادئهم استرضاء لاحد ٠

« ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا ٠ اذن لاذقناك ضعف الحيـاة ، وضعف الممات ٠٠ » تماما كما منع قسرهم على اتبـاع الهدى ٠

وعندما خرج يونس عليه السلام على ما امر به ، فاستعجل لقومه العذاب ، عوقب هو ، وهدى الله قومه الذين استبطا هداهم بغير مبرر ٠

وان أمثال يونس لكثير فى كل العصور ، وهم وان كانت ينقصهم وضوح رؤية وصفاء الانبياء ، فانهم لا يخلون من العجلة التى خلقت صفة ملازمة للبشر ٠

هؤلاء ينسوا من طول دعوة الناس الى الهدى ، وبدلا من ان يبحثوا عن العيب الكامن فى نفوسهم، والنقص الذى اخرهم عن العيب فى منلم يستمعوا لهم • وهم يتخيلون انهم لو نصبوا المشانق والمدى، وشهروا السيوف والسياط ، فان الهدى سيعم العالم •

وكم فى هذا من تناقض مع رسالة الانبيـاء الاساسية • الرسل جاءوا لينقـذوا البشرية من عذاب الاخرة وشقاء الدنيا ، وهؤلاء يريدون ان يجمعوهما على الناس •

اننا لو قطعنا سارقا فارغ القلب من الهدى ، او جلدنا سكيرا ليس فى قلبه ذرة من الايمان بالله واليوم الآخر ، او رجمنا زانيا لا يرى فى ذلك توبة ، لا نكون انقذناه من عذاب الاخرة ، بل نكون فقط اضفنا له عذابا جديدا • فالله لا يقبل الا توبة المؤمنين المخلصين •

فاذا اردنا اذن ان نتبع خطوات الرسل ، فلنبدأ بان نفتح القلوب ، لا السجون •

لا سلطة لاحد باسم الدين

انه لمن المدهش عدم خـلو المجتمعـات فى كل العصور والاماكن ، من اناس يلبسون مسـوح مختلف الديانات حتى الملحدة منها ، وكل منهم يعتقد بان آراءه الشخصية ، ورغباته ـ المنحرفة فى الغالب ـ هى التمثيل الاسمى للرغبة الالهية، والقوانين الطبيعية الحتمية •

وهؤلاء يستعينون على تصديق انفسهم، وتحقيق اوهامهم ، بقسر الناس على اتباع رغباتهم •

ود:نما كانت السلطة السياسية هى مطيةامثال هؤلاء الى تحقيق اهوائهم •

لهذا فانا ضد اىقدسية تمنحللسلطة السياسية• فهذه السلطة مهما كانت ليست الا مجموعة اهواء افراد ، قد يكونون خيرين وقد لا يكونون •

ومعظم القدسية تاتى للسلطة السياسيـة من تمسح المتعلقين بها بالدين •

والمانع الوحيد لهذا الالتباس هو الا يسمح لاى كان بان يتولى السلطة باسم الدين ، ولكن باسم من يحكمهم •

لا يحـكم احـد باسم الاسلام ، ولكـن باسم المسلمين ، لو شاءوا •

ولا احد باسم الماركسية ، ولكن باسم الماركسيين والشيوعيين ان كانوا الغلبية •

ولا يحكم حاكم باسم الله ، ولكن باسم العباد، فالله تنزه وتعالى عن اهواء العباد •• حتى لو كانوا حكاما •

لقـد رفض الرسـول صلى الله عليه وسلم السلطة فى مجتمع ولنى ، مع انها كانت ستساعده اشد المساعدة على اداء رسالته • قال له قومه ليستميلوه : « لو شئت ملكا ملكناك •• » فلم يقـل : « لاحكمنهم حتى اطبق عليهم الشريعـة الاسلامية » • وانما اثر ان يستمر فى مهمتـه الاساسية : توضيح الحقيقة • وللناس بعد ذلك ان يحكمـوا من شاءوا ، وما شاءوا ، بعد ان يعرفوا تلك الحقيقة •

لله يا محمد بعد نظرك،وروعة تمسككبالمبادىء• والله لمن بعدك ، حتى لا يقعوا فيما بينت فعلا وقولا خطاه • ■■

عبد الوهاب أحمد الافندى

تركستان ..

[illegible]

[illegible]

بقلم : عبد القادر طاش

● اشار المحرر فى افتتاحية مجلة (العربى) العدد ٢٣٤ الى (التقارير التى خرجت من الصين اخيرا والتى تقول : ان هناك اتجاها واضحا الآن الى انهاء الخصومة مع الاديان واشاد بهذه الخطوة باعتبارها خطوة الى الامام) واعتبر هذا الاتجاه (صدى لتيار ساد فترة فى مجتمعات حاربت الاديان ، ثم اخذت تتراجع الان عن خصومتها الشديدة لها) • وقال المحرر فى نهاية كلمته (ما نريد ان نلفت النظر اليه ان هذه الريح الجديدة التى تهب على الصين ، ينبغى ان تذكرنا بان ثمة اكثر من ٤٠ مليون مسلم يعيشون غرب الصين فى مقاطعتى سينكيانج ويونان ، وهؤلاء لا يعرف العالم الاسلامى عنهم شيئا منذ نصف قرن!) ثم دعا الى اثارة هذه القضية فقال : (هؤلاء المسلمون بحاجة الى من يلقى نظرة عليهمويستطلع احوالهم ، وليكن ذلك من خلال سفارة اية دولة اسلامية ، مثلما فعل البوذيون ، وهذا اضعف الايمان !)

ولكن لنا ملاحظة على فقرة هامة وردت فىمقال المحرر وهى التى اشارت الى أن المسلمين يعيشون غرب الصين فى مقاطعتى سنكيانغ ويونان ! فقد اعتبر سنكيانغ مقاطعة صينية •• وهى فى الحق ليست كذلك ان اردنا الدقة والموضوعية • فـ (سنكيانغ) هو الاسم الصينى لبلد مسلمعريق هو (تركستان الشرقية) ، او ما عرف فى تاريخ الاسلام ببلاد ما وراء النهر ، لقد عمدت الصينالى تغيير معالم هذا البلد فكان مما عملته ان حاولت طمس الاسماء الحقيقية للمواقع الجغرافية فى هذا البلد مبتدئة باسمها الذى عرفت به (تركستان) فحولته الى اسم صينى هو (سنكيانغ) واعتباره مقاطعة صينية ، وتحويل جميع اسماء المدن الهامة فيه الى اسماء صينية ، فـ (كاشغر) العاصمة تحولت الى (شولى) و (ياركند) اصبحت (سوتش) و (اورومجى) صارت (تيهوا) و (ختن) تعرف بـ (هوتى) «١» • واتبعت الصين ضمن محاولاتالتغيير هذه سياسةالاستيطانالصينى عن طريق نقل الصينيين وخصوصا المزارعين الى التركستان ، وكذلك باجبار التركستانيين المسلم

على التزاوج والتصاهر معهم وقد بلغ عدد الصينيين المستوطنين خلال سبع سنوات مليوني نسمة .

وقامت السلطة الشيوعية عام ١٩٥١ م بتطبيق قانون الاصلاح الزراعي في تركستان وكان الهدف منه الاستيلاء على الاراضي الزراعية الخصبة من ايدي المسلمين وتوزيعها على الصينيين المستوطنين.

والمعروف ان تركستان لها معالمها المميزة وهي :

ـ الجنس : ذلك ان الجنس التركستاني لايمت الى الجنس الصيني بصلة . فالتركستانيون هم من اصل تركي ، بل هم اجداد الاتراك ، ونحن نعلم ان العثمانيين الذين اسسوا دولة تركيا هم من نزحوا من اواسط آسيا ـ من تركستان ـ الى الاناضول . وتركستان كلمة فارسية مؤلفة من (ترك) وهو شعب اسيوي قديم نشأ في سهول سيبيريا وجبال (التاي) ، و(ستان) ومعناها ارض او محل او بلاد .. كما تشير المراجع التاريخية وكلمة تركستان استعملت من قبل الايرانيين الساسانيين اول مرة للبلاد التابعة لدولة (كوك تورك) ويقول ياقوت الحموي في معجم البلدان : (تركستان اسم جامع لبلاد الترك) ويقول ابن الاثير (بلاد التركستان هي كاشغر وبلاساغون ـ الماتا حاليا ـ وختن وطراز وغيرها مما يجاورها من بلاد ما وراء النهر) .

ـ اللغة : يتكلم اهل تركستان اللغة التركستانية التي هي اصل اللغة التركية الحالية . وليس هناك فرق كبير بين اللغتين اذ يتفاهم الاتراك والتركستانيون بلا صعوبة ، وكان التركستانيون منذ دخول الاسلام الى بلادهم يكتبون لغتهم بالحروف العربية .

ـ الدين : حيث يمثل المسلمون في تركستان الغالبية العظمى من اهل البلاد .

ـ الانتفاضات المستمرة : حيث شهدت ارض التركستان ثورات وحركات جهادية مستمرة ضد الحكم الصيني وقد كللت هذه الثورات بانشاء جمهوريتين تركستانيتين مستقلتين خلال تاريخها. ولكن الصينيين قضوا على هاتين الجمهوريتين بعد فترة وجيزة من قيامهما .. وقد كانت الجمهوريتان سنة ١٨٦٥ م وسنة ١٩٣٣ م .

ـ ان الصينيين انفسهم ـ كبعض مؤرخيهم ـ يعترفون بان تركستان ليست من الصين .

وقد وردت تركستان في كثير من المؤلفات الصينية الرسمية على انها بلد اجنبي وليست من الصين وكلمة (سنكيانغ) تعني (المستعمرة الجديدة)!

وتقع التركستان الكبرى بقسميها الشرقي والغربي في وسط اسيا بين الصين وروسيا . تحدها سيبيريا شمالا و (ايديل اورال) وبحر قزوين غربا ، ومنغوليا والصين شرقا وايران وافغانستان وكشمير والتبت جنوبا . ويبلغ عدد السكان اكثر من ٤٠ مليون نسمة . وقد دخل الاسلام اليها عندما فتح القائد المسلم (قتيبة بن مسلم) مدينة (كاشغر) عاصمة تركستان الشرقية ـ سنة ٩٦ هـ ـ ٧١٥ م وقبلها فتح (سمرقند) في تركستان الغربية سنة ٨٦ هـ ٧٠٥ م وبدأ دخول الاتراك في الاسلام على شكل جماعي في القرن الرابع الهجري ـ العاشر الميلادي ـ فقد اسلم سنة ٣٥٣هـ ـ ٩٦٤ م السلطان (صادق بغراخان) فاسلم الاتراك وقتها حكومة وشعبا .

اما تركستان الشرقية وهي التي نحن بصدد الحديث عنها ، فقد خضعت للحكم الصيني ردحا طويلا من الزمن حتى سنة ١٩٤٩ م . ويبلغ عدد سكانها حسب الاحصائيات غير الرسمية اكثر من ٨ ملايين نسمة . وقد كانت من سياسة الصين وروسيا تقاسم التركستان فاستولت روسيا على الجمهوريات الاسلامية في روسيا وهي تركستان الغربية ، الاكبر مساحة والاكثر سكانا من تركستان الشرقية الغنية بالمعادن و(اليورانيوم) ،وتتمتع بموقع استراتيجي في خارطة الصراع الصيني الروسي . ■■

عبدالقادر طاش

الفلكلور هذه الظاهرة المستوردة

بقلم : تركى على الربيعو

لا يشعر المرء بجهلـه الا عندما يعجز عن شرح وجهة نظره . هذا الكلام لاندريه موروا . والـذى دفعنى للبدايه به هو عجز ثقافتنا عن اعطاء هوية لثقافتنا القوميه . هذا العجز يدفعها لاستعـارة ادوات ودوافع التعبير ـ عن ذاتنا ـ من مجتمـع آخر بعيد كل البعد عنا ، تعابير مستوردة ضمن قوالب جاهزة وممهورة باختام رجال « الكاوبوي » لدفعنا الى هذيان ودوران ضمن حلقة مفرغـه .

واحدى هذه الحلقات هي ما يسمى بالفولكور او الثقافه الشعبية فهذه الظاهرة تلقى الدعـم من دولنا ، ولها ميزانياتها ومراكزها الثقافيه .

فى الخمسينات فى مرحلة صعود البورجوازية الصغيرة فى عالمنـا العربي بدا الاهتمام بالشعـر الشعبي واللغة العامية والازياء الشعبية وبالاغاني الفلاحية (ياعين موليتين ـ على دلعونا ـ حمدية ـ على اللالا) وبحكايا الاطفال والعجائز واطلق علـى هذه الامـور ما يسمى بالفولكلور . ولقد جـرى التركيز على ظاهرة الفولكلور لكونها تمثل اولا جزءا من متعة هذه البرجوازية وثانيا لكونه (اى الفلكلور) كان تقليعةمن تقليعات البورجوازية فيجب تعميمها لانها جزء منوارداتها التياستوردتهاالىجانبالميدى والبكيني . لقد جاءت فكرة الفولكلور لتخدم هدفا استعماريا . جاءت لتحل محل ثقافتنا القديمـة الاصيلة .

ولذلك يجب ان نعارض بشدة بل وبعنف المزج الخطير بين ثقافتنـا القوميه والتي نحن باشـــد الحاجة الماسة لها فى مرحله بناء الدوله القوميــه المعاصره فى ظـل تحديات العصر العديدة وبـين الفولكلور كظاهره مستورده . فمن اراد ان يستمتع بالرقصات الفولكلوريه وبالازياء الشعبية وبالاغاني الفلاحية وبالرقصات البربريه فى المغرب وبمسرح نجيب الريحاني فى مصر الذى عاود الظهور مـن جديد باسم المسرح الفكاهي ، فانني اقول فليتمتع المتمتعون فهذه الاشكال التعبيريه ليست هي لب ثقافتنا انها استخفافبماضيناوحاضرنا ومستقبلنا. ذلك ان الثقافة القوميه ليست هيالثقافه الشعبية فهـذه مجـاراة للغير بدون شـعور . الثقافـة القومية هي التعبير الواعي والهادف عن واقـع مجتمع معـين باسلوب ولغة مـن خصائص هـذه المجتمـع . هذه هي الثقافـة التي تعرف بدور المثقف الايجابي . المثقف الملتزم بحركة التاريـخ .

الثقافة كما يعرفها وزير الثقافـة التونسي فى محاضرة القاها فى المركز الثقافي فى دمشق علـى انها مجموعة رؤى ومفاهيم ومبادىء يستند اليها الفرد ليكون شخصيـة خلاقة ومبدعة ، وهـذا التعريف ينطبق على مستوى الفرد والجماعـة . فالثقافة ابداع وخلـق وليس استيرادا لعلب السردين والعلبات الجاهزة . الثقافة استشفاف

لعالم المستقبل . فالمسرح المصرى فى ظل الدولـة القوميه تنبأ بنكسه حزيران قبل وقوعها على حـد قول احد مؤلفي المسرح سعد الدين وهبه . الثقافه ليست ثقافه التكرار والاستمراد كما انها ليست انعكاسا للواقع . والشاعر الذى بكى فى حزيران وفرح فى تشرين هو ساج ساقط كما تقول غـادة السمان . بل الثقافه تعبير حي وملموس باسلوب ولغه من هذا المجتمع . وثقافتنا التي يجب بناؤها تستمد اهمـيتها من ذلك التعريف ، وتتجلى اهميتها بالقدره على العطاء والاستمرار فى عمليه الخلـق والابداع فالسير على سكه الاخرين انهكنا بـدون فائده .

البعد عن الثقافة الاصيلة

ان اطلاعنا على تجربتنا التاريخية ومعرفتنـا بالثقافه المعاصره وارتباط وعينا بسلوكنا ، هذه الامور تشكل بعض شروط ثقافتنا المميزه التـي تمنع الانسان بعيب عنـ ـا ومحور عطائهــا .

اعود بنظريه الفولكلور لاقول انها جاءت مـع الزحف الاستعمارى للوطن العربي والعالم الثالث بقصد ابعاده عن ثقافته الاصليه وجعله يراوح فى مكانه وطرح ثقافه بديله ، ان عبد الله العـروى يوضح ذلك فى ثقافة العرب والفكر التاريخي يقول « ان نظريه » الفولكلور مبنية على اساس المدرسه الشداديه وان لم تصرح بذلك . ولها فى الواقــع تاريخ قديم يرجـع الى بداية الاستعمـار ، ان العلماء الاستعماريين هم الذين بدأوا البحث فى اللهجات والفنون الشعبيه .. والتقاليد المحليـه والصناعـات التقليديـه وكان الغرض من ذلك (خاصه فى المغرب والجزائر) مواجهة الاصالـه العربيه الاسلاميه باصاله اكثر عمقا وجذورا .

ونفس الحال جرى فى مصر وفى ميدان السياسه الثقافيـه . فنجيـب الريحانـي ومسرحياتـه كشكش بك ـ وحمار وحلاوه لم تخلق شيئا ولـم تقدم شيئا بل خدمت الاستعمار فى اظهار صـور مضحكه بعيده جدا عن الشعب المصرى . صور مابثت ان اختفت فى بداية بناء الدوله القوميـه بقياده عبد الناصر . ثم عاودت الظهور من جديد . فنجيب الريحاني لم يمت بل مر فى مرحله نبوغ لستحق الكبس فى ظل الظروف المعاده وتخـرج على صور عديده باسم المسرح الفكاهي ولهذا يجب ان نفرق بين الكوميديا والفكاهه وهذا الامر متفـق عليه الجميع .

لقد ظهر الفولكلور مع بداية المفهوم الامريكي للثقافه الذى يرى انه لا توجد مجموعه انسانيـه مهما صغرت ومهما تاخرت بلا ثقافه . لان الاعمال الانسانيه كلها اعمال التفكير والتعبير ، واللباس والرقص كلها رموز وآداب لمجتمع ما . تساوى بذلك زنوج الكنغو فى رقصاتهم التعبيريه فى معبد وثني مـع الحركات التعبيريه لراقصـه باليه فى بحيره البجع لان كليهما شكل من اشكال التعبير. تساوى بذلك شعوب الاسكيمـو مع الشعـب الالماني . لاتفرق هذه النظريه بين قصيده لادغار الن بو او بزار قباني وبين هذيان محموم لمريض فى مستشفى الامراض العقلية ، جاءت هذه النظريه لتلغى دور المثقفين ودور الثقافـه فى حياة الامـه وتعطي الفولكلور بعدا جديدا جاعله منه اساس الثقافات وتساوى بين معركه القادسيه وبـين رقصه لفرقة اميـه .

ليس مسرحا وطنيا

كل هذا الكلام لاشير ان الفولكلور جاء فى وقت كان فيه مجرد فرجه للسياح الوافدين على الوطن العربي ليصبح بعدها فرجه للبرجوازية التقليديه تروح عن نفسها وتصفق لاختراعاتها .

لقد بدأ كفرجه ثم انقلب لـ شكل اصاله زائفه. والواقع ان الفولكلور لا يعكـس ادنى مستـوى تعبيرى عن واقع تلك الامه .

والملاحظ منذ فتره انتشار المسارح الفكاهيه فى سوريه مثلا . مسـرح دويد ونهاد وياسين بقوش

قضايا حيوية

وفطوم ومحمود جبر وابو عنتر فى البطر مثل الطفر والعز للرز . كذلك الحال فى مصر . فؤاد المهندس وعادل امام . وغيرهم كثيرون فى الساحة العربية .

ان هذا النوع من المسرح ليس مسرحا وطنيا ولن يكون . انه بصورة جوهرية مسرح عابر وعرضى وانتعالى انه لا يفعل شيئا سوى تكرار للذاتنا على خشبة المسرح وشاشه التلفزيون وهو اذ يضحكنا انما يدفعنا للسخريه من ذاتنا فقط والا فليتساءل احدنا مالذى استطاع ان يفعله دريد ؟

ان الدوله اذ تقوم الان بمساعدات مادية كبيرة م..'نمه لسياسه الفولكلور محاوله لتشجيعها واعطائها محتوى شعبيا . اقول ان هذا العمل عمل ما خاطىء لان مانراه لايمثل صورة شعبيه فالشعب لا يريد تكرار نفسه بابتذال فى كل لحظة ضمن دائره مغلقة . لان كل هذه الاشكال الفولكلوريه من موسيقى وتطريز وازياء وفنون ورقصات ليست فى النهايه سوى رد فعل تجاه اصالتنا وتجاه عداء الاسلام لكل هذه الاشكال المزيفة . كذلك فان خلق ثقافة متقوقعة منا والينا هو فولكلور جديد يدفعنا للنبوغ والظهور المرة تلو المرة بشخصية كركوز وعواظ . فالاخرون ليسوا محتاجين لثقافتنا ولن يهمهم بل نحن المسؤولون عن اعطاء نهج جديد وتجربة جديدة رائدة فى ميدان الثقافة . لاباس ان نخطىء فهنالك فرق كبير بين الخطا والتقوقع . بين النية الحسنة مع العمل وبين التواكل لاننا تاريخيا اثبتنا المخطىء مرة والمصيب مرتين . والمفروض بنا ان نواجه هذه الظاهرة المستوردة بثقافة قومية واعية وهادفة لاننا فى مرحله بناء الدولة القومية المعاصرة فى ظل تحديات العصر الحديثة . وعلى ثقافتنا هذه ان تدير ظهرها للفولكلور ولكل ثقافة معلبة ومستوردة ويجب بناء ثقافه تميز بصورة جيدة بين التعبير عن الذات وبصورة حقيقية وبين الفولكلور كظاهرة مصطنعه ومرسومة . ■■

تركي الربيعو

بقشيش

* غادر احد الاشخاص مطعما وهو فى حالة سيئة للغاية حتى انه نسي ان يعطي الجرسون الموجود على الباب الخارجي البقشيش المعتاد · ومع ذلك قام الجرسون بمساعدته على ركوب سيارة اجرة ثم قال له « بالمناسبة ، فى حالة ضياع حافظة نقودك وانت فى طريقك الى المنزل تذكر سيدى انك لم تفتحها هنا ·» ·

مجلة صن شاين

خمسة من الحمقى

* فى احد الايام استدعاني مدير الشركة التي اعمل فيها ليستوضح مني عن سبب وجود غلطة فى التقرير · ولما قابلته قلت له « ان عليك ان تفهم بان هناك اربعة من الموظفين الحمقى يعملون معى» فنظر الى مندهشا وقال لى «انك محظوظ ، فانا لدى خمسة من الحمقى» ·

لويس نيمونز

« وما من دابة الا هو آخذ بناصيتها
ان ربى علــى صراط مستقيــم »

قران كريم

[illegible]

بقلم : دكتور عبدالمحسن صالح

■ كل مخلوق ميسر لما خلق له . وكل أمر فى كل مخلــوق ميسر لما خلق لــه . وكل أمر فى الارض والسماء قد دبر بحكمة بالغة . ليسرى كل شىء بقدر معلوم !

لكن الكلام شىء . والبحث عن العميقه شىء اخر . والدين يبحثون . نراهم يتوصلون الى اكتشاف امور قد لا تخطر لنا على بال . لكنها تقربنا الى الله أكثر على أيه حال . ففيها نرى ابداع خلقه فيما قدر فسوى فهدى !

فاحيانا ما يصيب الانسان غرور . فيحسب ان كل الافكار المبتكرة انما هى له وحــده . دون أن يكون للخلائق الاخرى فيها أدنى نصيب .

لكن لا جديد تحت الشمس . « لو كنتم تعلمون »!

فها نحن أمام صورة من صور الحياة التى قد تجعلنا نتخلى ـ ولو الى حين ـ عن غرورنا . فلا نحسب أن هذا الكوكب لنا وحدنا . بل تشاركنا فيه أمم أمثالنا . وربما مصداقا لقوله تعالى « وما من دابة فى الارض . ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم . ما فرطنا فى الكتاب من شىء » .

ودابتنا التى سنقدمها هنا واحدة من المخلوقات التى تسكن شواطىء البحر الاحمر . وقد تجدها بجوار سواحل السعوديه . أو جمهوريه مصر العربيه حيث تنتشر الشعب المرجانيه . او فى أماكن أخرى من بحار العالم ومحيطاته .

ومخلوقتنا هده سمكه رقيقة الحال . الا أن لها مع الاسماك الاخرى مواقف منيــرة . تجعلهــا دات أفضال لا تنكر . وخدمات لا تجحد !

فى البداية لقاء كشف سرا مثيرا

لكن قبل أن نقدم هده المخلوقه المتواضعه . دعنا اولا نقدم كونراد ليمبو . فهدا الرجل واحد من العلماء المتازين الدين درسوا الطبيعة الحيــة . وبالتحديد مخلوقات البحار والمحيطات .. ولهــدا قضى شطرا كبيرا من حياته وهو يغوص فى الاعماق حتى راح ضحية الواجب فى أحضان مياه البحــر الابيض المتوسط فى ٢٠ مارس عام ١٩٦٠ .

يقول « ليمبو » : بينما كنت اقوم بالغوص فى المياه الباردة بجوار شواطىء كاليفورنيا فى ربيع عام ١٩٤٩ لاحظت لقــاء عجيبا بــين سمكتين من جنسين مختلفين . احداهما أكبر من الاخرى بعشرات المرات .. ولقــد شاهدت السمكة الكبيــرة وهى تترك سربها وتنطلق مسرعه الى السمكة الصغيرة .

لف بها سندهمهم . فمن عادة السمك الكبير
ياكل الصغير . ولكن ما حدث اثار شكوكي ..
اح بما كان يختلج في نفسي . اذ رايت السمكه
رة تسلم نفسها للصغيرة . وتقف أمامها في
ع عريب وهي هادئة مستكينة تم تفرد لها
فها عن اخرها . وهنا تتقدم الصغيرة لتلف
ر بفمها المدبب على جسم الكبيرة . وكانما هي
ترضع !

مرت الدقائق بطيئة متثاقلة وانا ارقب هذا
اء المثير . حتى كاد صبري أن ينفد . وفجأة
فت السمكة الصغيرة واختفت بين الاعشاب
ية . بينما اسرعت السمكة الكبيرة لتلحق
ها .. ولم أملك الا أن أدون هذه المشاهدة
رة في مذكراتي علني اجد لها فيما بعد
ل .

ن ما راه « ليمبو » واعتبره شيئا عابرا .
في الحقيقه الا بداية متواضعة لمشهد يتكرر
لبحار والمحيطات ملايين المرات يوميا .. ويسير
نفس المنوال قبل أن ينشأ الجنس البشرى
ات الملايين من السنين !

اذا يعني هذا اللقاء الغريب والمريب بين
، صغيرة وكبيرة ؟ !

نى أن هناك ميثاقا غير مكتوب بين السمكه
يرة « سنيوريتا » وبين الاسماك الكبيرة .
احترماه فيما بينهما كما لم يحترم البشر
قهم المكتوبة وغير المكتوبة . وكانما الاسماك
ة قد اعطت لسنيوريتا « كلمة شرف » بالا
بها ادنى اذى ، رغم أنها على بلعها لقادرة ،
يف تؤذى أو تاكل « ولية نعمتها » والحامية
ها من أدران البحار وأمراضها وطفيلياتها
ضف الى ذلك أن الاسماك الكبيرة لو أكلت
يوريتا » لتفشت بينها الامراض والاوبئة
، وكانما « سنيوريتا » في هذه الحالة
ة هيئة صحية مائية شعارها دائما « النظافة
لايمان » .. و « درهم وقاية خير من قنطار
» .. الى آخر هذه الشعارات الجميلة التي
ا البشر بافواههم ، ولا يطبقونها غالبا في
م !
هي « سنيوريتا » ؟

من هي « سنيوريتا » ؟

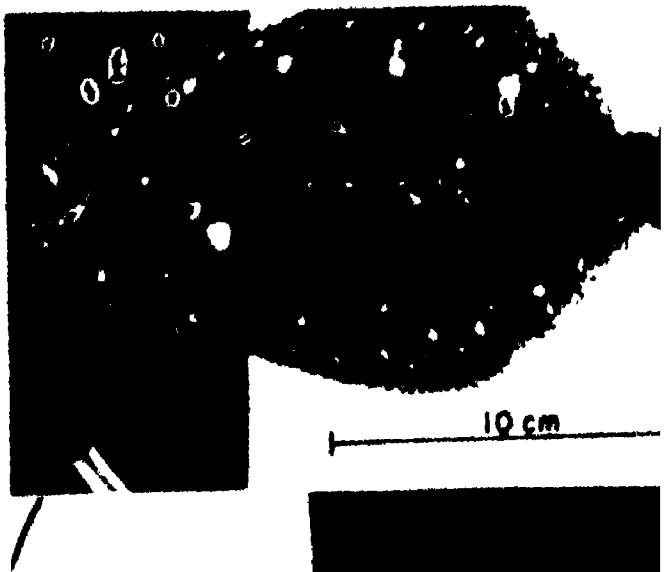
، .. من تكون «سنيوريتا» هذه؟ وما قصتها؟

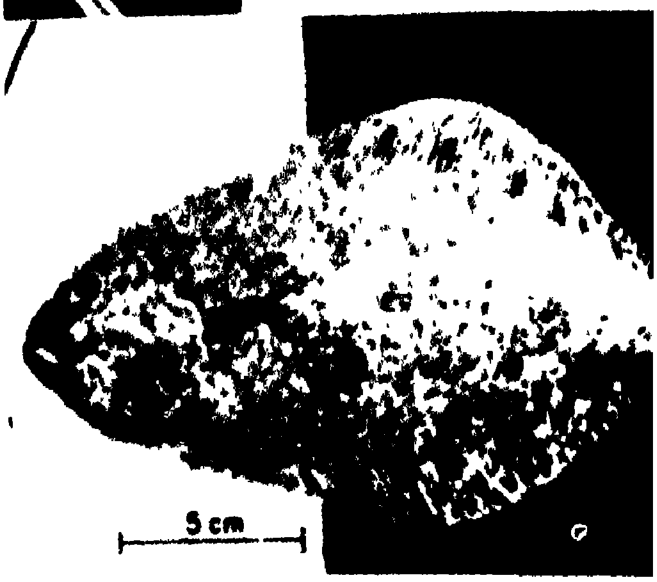
سنيوريتا ... اسم على مسمى .. فالاسم جميل كصاحبته تماما . كما أنها من اسرة Labridae «لابريدي» اكبر اسرة سمكيه تسكن مياه البحار والمحيطات . ثم انها قد توارثت ـ اب عن جد ـ امتلاك صالونات للتجميل ومستشفيات للتطبيب، ولكن بدون مبان او ادوات او لافتات او اعلانات وضجة وغلبة كالتي يقوم بها البشر .. فكل شيء في البحار يسير بهدوء ونظام . ومن يرغب في التوجه الى « مؤسسات سنيوريتا » ومصحاتها ، فسوف يجد منها كل ترحاب وعناية . فالباب مفتوح للجميع . كما ان الخدمة مجانا . فلا دفع أتعاب أو قائمة دواء أو اى شيء اخر من أمور عالمنا التي تؤرقنا وتشقينا . ثم أن « سنيوريتا » لا تمتلك من المؤهلات غير فمها المدبب الذي يساعدها على القيام بوظيفتها وخدماتها للاسماك الاخرى .. ولكن . مم تشكو الاسماك ؟ ... وكيف تتسخ أجسامها وهي تعيش في مياه البحار النظيفة الصافية ؟

الواقع ان ما يجرى على المخلوقات الارضية ، يجرى أيضا على الكائنات المائية . فللأسماك قائمة طويلة من امراض فطرية وبكتيرية وطفيليات تعيش على جلودها وزعانفها وخياشيمها .. كما أنها قد تصاب في حادثة . كان تعض سمكة سمكة أخرى . وتنهش قطعة من لحمها . فيصاب المكان المنهوش بميكروب وتقيح . كما يحدث لنا على أرضنا . ولهذا لم تترك الحياة مخلوقاتها بدون رعاية وحماية من الامراض والاصابات فكان أن اسست لها ملايين « المستشفيات » تحت الماء . وعلى « سنيوريتا » أن تديرها وتشرف عليها !

ولكي يتاكد العلماء من هذه الحقيقة . قاموا باصطياد أسماك النظافة ـ كما يحبون أن يطلقوا عليها ـ ومن بينها سمكتنا الحلوة « سنيوريتا » من المناطق أو المحطات الثابتة التي تعيش دائما فيها . فتناقصت أعداد الاسماك التي كانت تفد الى هذه المحطات طلبا للنظافة مما يكون قد علق بها من طفيليات . أو أصابها من ميكروبات . اذ ليس لحضورها من فائدة ما دامت « هيئة الرعاية الصحية » قد اختفت من مناطقها . وأغلب الظن انها قد توجهت الى مناطق اخرى لتبحث فيها عن « سنيوريتا » وأترابها ..

وأغرب من ذلك أن أسماك المنطقة التي غابت عنها أسماك النظافة قد ظهرت على جلودها وخياشيمها وزعانفها تورمات وتقرحات واصابات





... صبغه الميلانين
... لم
...
نسيج الصبغة ...
... الصور ... السمكة
واحدة في ...

سبوعين اثنين . يعنى هدا أن الامراص
نها . فى حين أن اسماك المناطق الاحرى
فيهـا » سيورتيا « بقيت فى عايـة
سعادة . ولقـد تاكد العلماء من هـده
راء مزيد من التجارب فى احواض كبيرة
. فظهر أن الاحواض التى توحد فيها
» لا تمرض أسماكها . فى حين تتفشى
أسمـاك الاحواض التى لا ترعاهـا
« !

العـالم الطبيعى . راندال . بتحليل
مام الذى ابتلعته » سنيوريتا . فوجده
لطة عجيبة لعدد من الطفيليات التى
جلود الاسماك وزعانفها وخياشيمها .
على أنواع من الكائنات المطرية التى
ض . وأنواع من البكتريا التى تسبب
روح أو التورمات . بالاصـافة الى
من الحروح التى قامت » سيوريتا «
تخدمة فى دلك فمها المدبب .. لـكن
لا تمرض بما بلعت . بل اصبح لها
بة غذاء طيب مستساغ . وعليه تعيش!

حدث بها مشكلاتها . دون ان تلجـا الى مضادات
حيويه او مبيدات طفيليه وفطريـه . او عمليات
جراحيه . فى حين أن البشر لم يتوصلوا بعد الى
طريقة ناجحه فى التخلص من امراضهم وطفيلياتهم
وميكروباتهم رغم الهيئات الصحية . والميزانيات
الهائلة . ولهذا فعلينا ان نعود الى نظم الطبيعه
لنتعلم منها كل ما هو مفيد وممتع وبديع .

مستشفيات تحت الماء !

لكن » سيوريتا « الممرضه والطبيبة والمنظفه
ليست وحدها فى الميـدان . فأسرتها او عائلتها
تضم ـ حتى الان ـ حـوالى ١٤ نوعـا تخصصت
جميعها فى نفس العمل الذى تقوم به »سيوريتا«
وليست هده هى الاسرة الوحيدة ايضا التى تعرض
خدماتها على الاسماك الاحـرى . فلقـد اكتشف
العلماء حتى الان اكثر من ١٦ أسرة او عائلة .
تضم حوالى ٤٥ نوعـا من الاسماك الصغيرة التى
تسهر على تمريض الاسماك الكبيرة . ولكل نوع
منها زبائنه وبيئته و » تاكتيكه « وسلوكه. وكأننا
نحن نقف أمام مجتمعات غريبه لها نظمها وعاداتها



التمريض والتطبيب تعرف كيف وأين تجد المحطات الثابتة التى اتخذتها هذه « الهيئات الصحية السمكية » بمثابة مواقع « استراتيجية » حتى تهتدى أسراب السمك اليها ، فلقد لاحظ العالمان « راندال » و « بيدرسون » أن الاسماك المريضة تاتى من مسافات بعيدة الى هذه المحطات التى تقع عادة بين الشعب المرجانية أو عند رؤوسها ، أو بجوار النتوءات الصخرية البارزة تحت الماء ، أو على مشارف الاعشاب البحرية الكثيفة ، أو قد تسكن بجوار حطام السفن الغارقة •

هى لاتحب الفوضى !

ومن الظواهر الغريبة التى يذكرها « ليمبو » انه شاهد عددا من الاسماك المصابة بقروح جلدية وأورام مميزة تواظب على الحضور يوميا الى تلك المحطات وفى فترات منتظمة ، ووجد أن «سنيوريتا» او أترابها تبدى اهتماما كبيرا بتلك القروح والاورام ، وتزيل منها الانسجة المتقيحة بفمها الصغير وتاكلها •

ومما يذكر هنا أن أحد العلماء ظل ست ساعات تحت الماء وهو يرقب وفود السمك التى تاتى الى محطة واحدة تسكنها « سنيوريتا » ، فاحصى خلال الساعات الست حوالى ٣٠٠ سمكة تم لها جميعا اجراء المطلوب بواقع سمكة فى الدقيقة الواحدة تقريبا •

لكن هناك اجراءات خاصة يجب أن تسير الاسماك



لكل نوع من أنواع أسماك التمريض والتطبيب زبائنه الخاصة من الاسماك . والصور المنشورة هنا توضح كيف يترك السمك الكبير الزائر جسمه للسمك الصغير الذى يدور حوله ليكتشف اى أثر لجرح أو طفيليات او تقرحات ، فيقوم بازالتها وتنظيفها بدقة وسرعة يحسد عليها .

السمكه الكبيرة جاءت للعلاج بواسطة السمكتين الصغيرتين اللتين تقوما بالاعتناء بها وتخليصها مما الم بها .. لكن قد يحدث ان يندس بين اهل المهنة سمكة مخادعه لا تنتمي للنوع بل تشبهه ظاهريا . فبدلا من ان تعتنى بالسمك الزائر وتقدم له الخدمة المطلوبة . تقوم بقضم جسمه وتأكل ما قضمت . وتستطيع ان ترى اثر هذا العض فى ذيل السمكة الكبيرة الظاهر اسفل الصورة (هناك عضتان واضحتان) .. لاحظ ايضا انه من الصعب التمييز بين السمكه الحقيقية والسمكة المزيفة الموجودتين تحت اطار الصورة .





على هداها حتى لا تضيع وقت « سنيوريتا » فيما لا يفيد . اذ ذكر « جورج بارلو » ان على السمكة التى تطلب العلاج أن تقف أمام « طبيبتها » فى وضع عمودى بحيث يكون رأسها الى أسفل، وذيلها الى أعلى . ولا تتحـرك من مكانها . أو تمـد زعانفها الى اخرهـا . وكانمـا قد نومت تنويمـا «مغناطيسيا !

واذا كانت تشكو من شيء فى حياشيمها او حنفها . فعليها أن تفتحهما عن اخرهما حتى تدخل السمكة الصغيرة الى داخلها . وتزيل كل ما علق بها من أدران . وقد تشعر السمكة المصابه بخطر يهدد حياتها . فتلفظ السمكة الصغيرة من فمها حتى تختفى فى مكان أمين . وتهرب السمكة الكبيرة أو قد تدخل مع السمكة المهاجمه فى معركة، وكانما السمك هنا يعرف كيف يحافظ على مواثيقه حتى ولو ألمت به الظروف الصعبة . ثم أنه لا يحـاول ان يقطع اليد التى امتدت اليه بالاحسان . أو لا يتمثل بقولنا نحن معشر البشر عندما نقع فى المصائب فنقول « علىّ وعلى أعدائى » !

وقد تفد أسراب السمك الى هذه المحطات فى جماعات كبيرة . وقد يحـدث الازدحـام والتنافس ليكون لكل منها الاسبقية فى العناية والتنظيف . ولكن يبدو أن « سنيوريتا » لا تحب الفوضى .. كما أنها تريد أن تقوم بعملها باطمئنان واتقان دون فوضى او ارتجال كما يحدث أحيانا مع بعض البشر .. اذ يحدثنا الذين شاهدوا « سنيوريتا » عن كثب أنها تسرع بالتقهقر الى مخبئها عندما تفاجأ بهذه الفوضى . وقد يقف السمك فى طريقها، ويحول بينها وبين الهرب . فتذعن للعمل !

الذكور اجمل من الاناث

الا ان هناك أنواعا أخرى من السمك تعرف فى معاملاتها معنى النظام كما لم يعرفه بعض أصحاب العقول . ولهذا اذا جاءت للعلاج . فانها تفد الى محطـات التمريض فى مجموعات صغـيرة . وتقف هادئة ساكنة حتى يحين دورها . أو ربما لتهييء الجو الصالح للعمل . لسنا ندرى . ولكن الذى ندريه أن « سنيوريتا » وأترابها تقوم بالواجب خير قيام . وكانما هى تهوى هذا النظام . فكلمـا انتهى العمل فى مجموعة . تركت مكانها لغـيرها حتى تاخذ دورها وبالترتيب .. حقيقة عرفتهـا ايضا بعض انواع من السمك قبل أن يعرفها بعض البشر !

ومن الامور الغريبة التى لاحظها العلماء وهم يدرسون سلوك هذه الكائنات تحت الماء . ان بعض الاسماك تحضر الى هذه المحطات دون أن تكون قد أصابتهـا أمراض طفيلية أو بكتيرية .. الـخ . والغريب كذلك أن معظم الزوار من الذكور . وقد تخرج الذكر من محطة ليدخل محطة أخرى مجاورة . او قد يزور نفس المحطـة مرات عديدة فى اليـوم الواحد . حتى لقد قيل أن وقتذكور الاسماكموزع بالتساوى بين العناية بالمظهر والزينة والنظافة . وبين البحث عن الطعام . وكانما هذه المحطات قد تحولت الى « صالونات » من نوع جديد !

والتعليل المقبول لهذه الظاهرة أن معظم ذكور الاسماك تدخل فى معارك من أجل الانثى . وقـد تصاب فى هذه المعارك بجـروح . وعندما تصـاب الجروح بالتقيح . فلا بد من الذهاب الى محطات التمريض . ولهذا فان زبائنها من الذكور أكثر من الاناث . لكن بعض هذه الذكور قد ياتى فقـط من أجل الزينة . فالمعروف فى عالم الاسماك ان الذكـور أجمل بكثـير من الانـاث فللذكر زعانف مزركشة طويلة . وألوان بديعـة . ومظهر مهيب حتى يروق فى عين الاناث التى تظهر بعض الدلال .. لا فرق هنا بين أنثى سمكة وانثى بشر !

ويبدو أن الانثى تفضل الذكر النظيف الانيق على الذكر المهلهل الضعيف . ذلـك أن النظـافة تؤدى الى الصحة والجمال . وكلاهما مطلوب فى حسن الاختيار . الاختيار الطبيعى الـذى تسعى اليه الحياة لتحافظ علىأجيالها المقبلة قويةصامدة منيعة .. وكانما هى تمتثل لقول الرسول الكريم « تغيروا لنطفكم فان العرق دساس » !

أسرار الظواهر الغريبة

ولقد استعان العلماء بهذه المحطات السمكية فى دراسة توزيع الاسماك الكبيرة وأسماك الاعماق فى البحار والمحيطات . فما عليهم الا أن يختاروا محطة ثم يراقبوا الوفود السمكية التى تزورها . ومنها يعرفون أنواع السمك وتوزيعه فى مناطقه المختلفة .

لقد عرف بعض الصيادين هذه الحقيقة ايضا .

فاذا ارادوا صيدا وفيرا فما عليهم الا ان يذهبوا الى هذه المحطات ليصطادوا الوفود القادمة دون تعب او مشقة .

ويبرز الان سؤال هام : كيف يتعرف السمك الكبير على اسماك التمريض والنظافة ... ولماذا لا ياكلها رغم صغرها كما يفعل مع غيرها من الاسماك الصغيرة وكما هي العادة ؟

يذكر « راندال » في بحث منشور انه لم يتوصل الى اكتشاف سمكة واحدة من اسماك النظافة في داخل احشاء الاسماك الكبيرة التي كانت تزور هذه المحطات . بل وجد بدلا منها اسماكا اخرى صغيرة في حجم اسماك النظافة . ولكنها ليست من نفس الاسرة ... اضف الى ذلك أن « سسورتنا » او غيرها قد تدخل في فم السمك الكبير دون ان تخشى شيئا . ثم تخرج منه مطمئنة البال .

والواقع ان العلماء لم يستطيعوا ان يجدوا تعليلا لسر هذه الظواهر الغريبة . ونحن لا نستطيع ان نقول ان السمك له القدرة على التفريق بين الصالح والطالح . او انه يدرك معنى النافع والضار . فيحافظ مثلا على هذه السمكة . ويبلع غيرها . ومع ذلك فقد قدم البعض تعليلات غير منطقية .. منها مثلا أن السمكة الكبيرة تذهب الى محطة التمريض وهي « شبعانة » . أو ان الامها التي تؤرقها تضيع شهيتها . أو أن أسماك النظافة سامة . ثم ظهر بعد ذلك ان الكثير منها غير سام .. الى اخر هذه التعليلات التي لا تقوم على اساس . ولا يزال السر مطويا حتى الان . وما أكثر الاسرار التي لا نزال نجهلها .

بطاقات سمكية عائلية

اما كيف يتعرف السمك الكبير على افراد الاسرة التي تعتني بتمريضه وعلاجه . فذلك يحتاج الى شرح طويل يتناول مسائل التطور والاختيار الطبيعي الذي نشا على الارض منذ مئات الملايين من السنين . ولكن يكفي أن نقول أن الامر قد دبر بواسطة « البطاقات الشخصية والعائلية » التي تحملها هذه الاسماك . لتوضح بها شخصياتها للاسماك الاخرى !

لكن ليس معنى ذلك أن أسماك النظافة تحمل معها بطاقات كالتي نحملها . بل منحتها الحياة سبلا يتوافق مع مجتمعاتها . ذلك أن أسر أسماك النظافة قد جاءت بالوان زاهية وزركشة منمقة . واختلاف صارخ في اللون مع « ارضية » البيئة المائية التي تعيش فيها . بحيث يمكن تمييزها دون حدوث اخطاء تؤدي الى ما لا تحمد عقباه . وكانما هذه الالوان البديعة قد اصبحت بمثابة لافتات حية تقول « نحن هنا ... لنعرض عليكم خدماتنا . فلا تهاجمونا او تاكلونا » .. ولقد نجحت الفكرة . واستمرت عشرات الملايين من السنين !

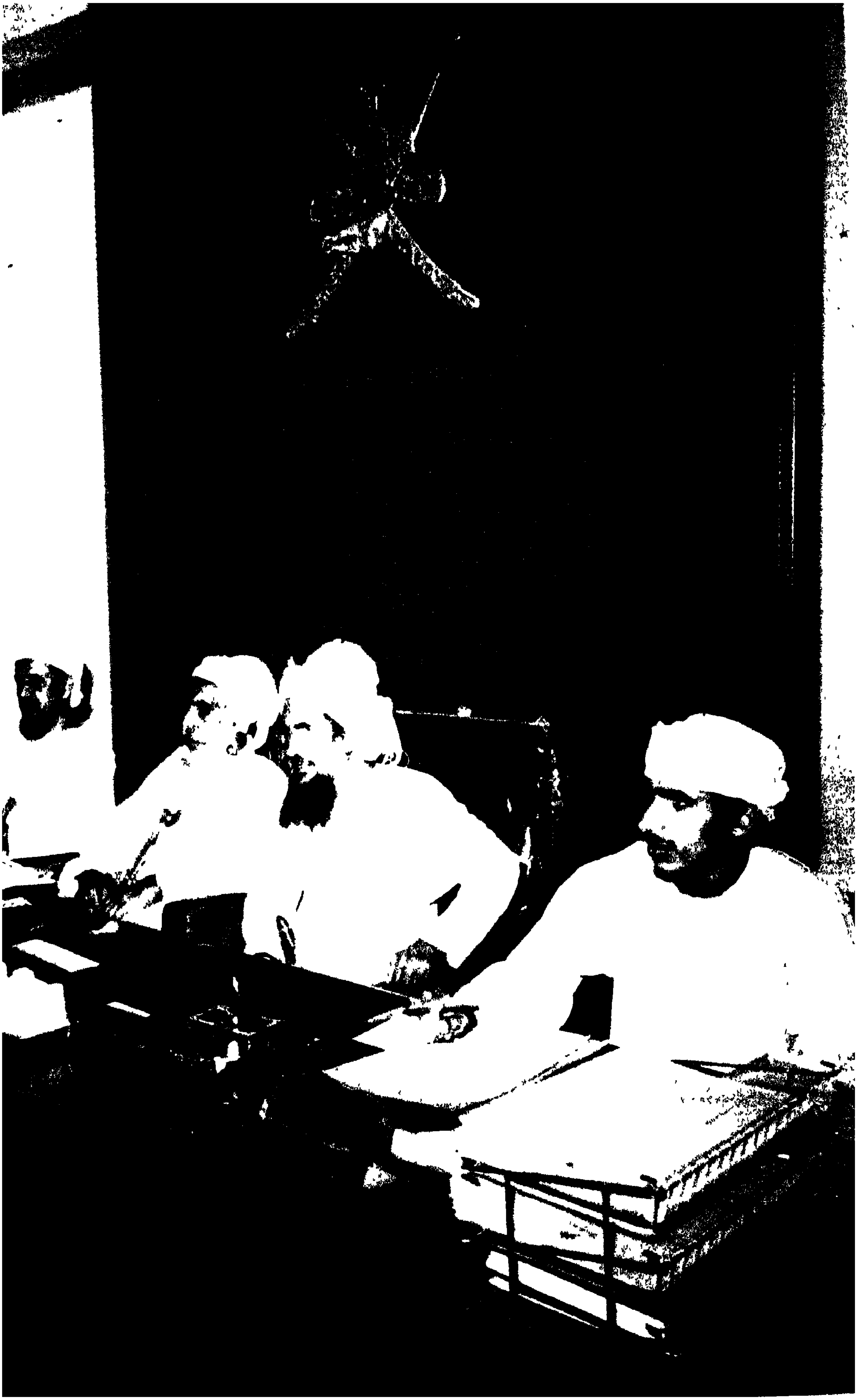
الا ان الغريب حقا ان بعض الاسماك التي تاتي الى هذه المحطات طلبا للعلاج تغير ألوانها عندما تبدأ « سسورتنا » او غيرها في التجول على جسمها . فسمكة « الغراب » مثلا (اسمها هكذا) تغير لونها الى زرقة فاتحة . وتتحول السمكة المغرة . من لونها الصافي الى حمرة . كحمرة الجمر . في حين ان سمكة سليمان يتغير لونها الفضي الى البرونزي ... الخ . ويبدو ان تغير هذه الالوان بمثابة اشارة تقول . « مشغول .. وتحت التنظيف او العلاج » ..

لكن اغرب هذه الامور جميعا ان ارباب المهنة قد اندس بينهم من ليس منهم . فلقد اكتشف العلماء حتى الان نوعين – على الاقل – من الاسماك المقلدة لاسماك النظافة فكان التقليد بالشكل والحجم واللون . ولكن الوظيفة مختلفة تماما . لانها تقوم على الخداع والاحتيال .. من ذلك مثلا سمكة صغيرة اسمها البليني . تتقدم هذه السمكة الى الاسماك القادمة للعلاج . وكانما هي تعرض عليها خدماتها . وتنخدع السمكة القادمة فيها وفي مظهرها . وتعطيها نفسها . وبدلا من ان تقوم بعلاجها تقضم شيئا من جسمها او زعانفها بفمها الحاد . ثم تولي الادبار . لكن الاسماك البالغة احيانا ما تتعرف على هذه السمكة المحتالة وتطاردها . فلا تلدغ سمكة من «بليني» مرتين

ثم .. الا ترى معنا ان ما يحدث بين البشر . يحدث ايضا بين السمك !

فلاشك اننا سمعنا كثيرا عن طبيب مزيف . وكذلك تعرف أنواع من السمك لتقوم بنفس الحيل . مع فارق هام : ذلك أن عمليات «النصب والاحتيال» قد ظهرت بين السمك قبل ان يظهر الجنس البشري على الارض بعشرات الملايين من السنين ! .. ■■

الاسكندرية – د . عبدالمحسن صالح





مفتاح سلطنة عمان جذب اليها
أناسا مختلفين جاءوا اليها من
مختلف ارجاء العالم .. ولكن
امام المحكمة الشرعية يتساوى
الجميع فهي المسئولة عن محاكمتهم

المصور وسط الورد
يستمتعون في منازل
العمانيين .. وعند عصمت
العمادي حريمه لعاصمة
مصر . العائلة الجديدة

عُمان

!!

استطلاع :

تصوير :
صلاح اده

المجتمع العماني .. عادت اليه عائلاته المهاجرة حاملة عادات وتقاليد جديدة لم تكن معروفة من قبل



■ عادوا .. عادوا بعشرات الالوف لياخذوا بيد بلدهم الذى كاد أن ينساه العالم . نتيجة حكم مظلم استمر ٣٨ عاما كاملة !

عادوا ليتفاعلوا مع اخوانهم فى البلاد . حاملين لهم أفكارا جديدة وخبرات واسعة . أعطت لانطلاقة عمان نكهة خاصة .. من الحرمان المطلق . الى الانفتاح الواسع الكبير ..

كانت اخر مرة عشنا فيها حياتهم القاسية منذ ثمانى سنوات مضت .. قالوا لنا : « اعطونا فرصة بضع سنوات لنبنى بلدنا ثم عودوا الينا .. » واليوم عدنا اليهم بعد أن عاد الابناء الى الوطن الام .. وتمنينا لو أن كل مغترب عربى عاد الى بلده ليفعل ما فعله ابناء سلطنة عمان لبلدهم خلال تلك الفترة .

نقلوها من حياة القرون الوسطى الى القرن العشرين مباشرة . غير متهيبين من صدامهم مع حضارة الصواريخ والاقمار . وكيف يهابونها وهم احفاد حضارات قديمة كانت تشع عندما كانت اوربا تعيش فى ظلام ؟!

القفز من فوق القمم

منذ ثمانى سنوات رأيناهم يسيرون فى أزقة مسقط القديمة حاملين الفوانيس .. وحاولنا العثور على تلك الازقة التى تتشابه مع شوارع القدس القديمة ، فلم نجد لها أثرا ، لقد تهدمت وأزيلت . لان العاصمة مسقط لم تعد حبيسة الجبال العالية . لقد قفز عمرانها من فوق القمم الصخرية . وامتد لمسافة ٨٠ كيلومترا على طول الساحل : من مطرح حتى السيب ! .

ومطرح هى المدينة التوأم لمسقط .. نسفوا جبالها ونقلوا مئات ألوف الاطنان من صخورها ليعبدوا كورنيشها الجميل ويقيموا ميناء قابوس الكبير ..

وفى زحمة البناء والهدم ، كانت أصوات المسئولين تناشد أهالى « مطرح » المحافظة على طابع مدينتهم التقليدى : ازقة ضيقة عامرة بالاسواق ، ومنازل قديمة رائعة ذات زخارف رقيقة ناعمة .. وأسقط فى يد ابن « مطرح » فهو تاجر ذكى متمرس . يعلم جيدا أن بناء مسكن حديث مكان المنزل القديم ، سوف يدر عليه الكثير من الاصفر الرنان .. لهذا كان ينتهز فرصة الليالى الظلماء ، فيعمد الى هدم منزله القديم ليرفع مكانه عمارة حديثة تستاجرها البنوك والشركات بايجارات خيالية ، تصل الى حوالى الفى ريال عمانى شهريا للفيلا (الريال = ٣ دولارات تقريبا) !

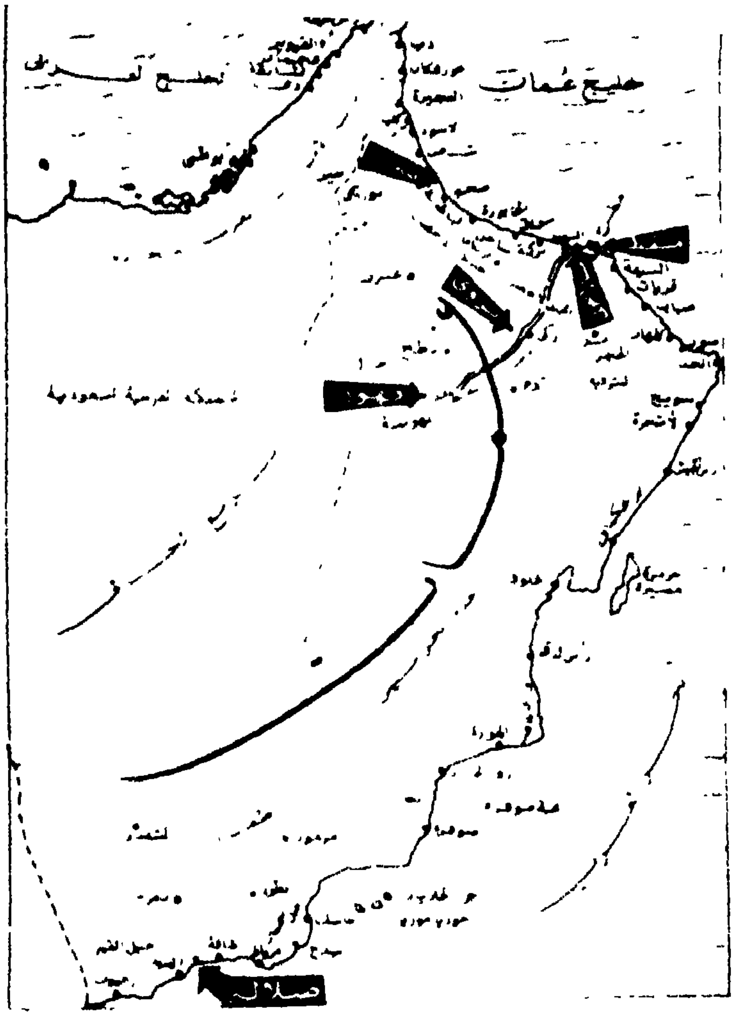
منهاتن عمان !!

وأروع المناظر تشهدها من الطائرة لمنطقة رأيناها فى الماضى زراعية تنتج البقدونس والخيار والخضراوات ، فاذا بها اليوم أرضا نبتت عليها مئات العمارات .. انها « روى » الضاحية السكنية التجارية الرائعة الملاصقة لمسقط .. التى يطلقون عليها اسم « منهاتن عمان » لعماراتها المرتفعة ثمانية طوابق .. !

ونتابع سيرنا وسط أراض صحراوية كانوا يصيدون فيها الارانب والغزلان ، فاذا بها اليوم ضواح جديدة للعاصمة المنطلقة : الوطية .. القرم .. مدينة الاعلام .. مدينة قابوس .. الغوبر .. المدينة الدبلوماسية .. مطرح الكبرى ..

امتد العمران ليشمل الصحراء والجبال المحيطة بمسقط العاصمة .. كل شخص عماني اصبح يطمح فى الحصول على منزل حديث ، وهو يكره السكن فى الشقق لهذا انتشرت الفيلات فى كل انحاء البلاد ..





توضح هذه الخريطة موقع [illegible] في سلطنة عمان التي [illegible] مساحتها حوالي ٣٠٠ الف [illegible] نسمة حوالي مليون [illegible] مليون نسمة [illegible] ١٩٧٧ [illegible] ٤٨٢ مليون ريال [illegible]

العمريه ·· الوادي الكبير ·· العامرات ··وادي حطاط ··

لمن تبنى العمارات ؟

امواج متتالية من العمارات ظهرت خلال السنوات القليلة الماضية ·· وعندما سألنا بلدية العاصمة عن عدد رخص البناء التي منحوها·· اجابونا . منحنا ٣٦٦ اباحة عام ١٩٧٢ ارتفعت الى ٣١٠٠ عام ١٩٧٦ لتنخفض الى ٢٣٠٧ اباحة عام١٩٧٧ ·

نهضة عمرانية واسعة هي ردة فعل لحرمان سابق . فالعماني لم يكن من حقه البناء··كانوا يعجزونه بسؤالهم : اين اثبات ملكيتك للارض؟·· اما اليوم فقد حصلت على اربع قطع من الارض: واحدة زراعية مساحتها ٧ افدنة ··واخرى سكنية مساحتها ٩٦٠ مترا مربعا في مدينة قابوس دفعت ثمنها ريالا عمانيا واحدا للمتر المربع ·· ومن حقي ان اطلب قطعتي ارض اخريين لاغراض صناعية وتجارية ·· كما حصلت على قرض من الحكومة يوازي ٦٠ مرة راتبي الشهري ·· ·

وحركة البناء في السلطنة كانت بدايتها على هيئة طفرة بعد ارتفاع اسعار النفط ·· المواطن ياخذ قرضا من البنوك. ويشيد منزله ·· واستمر هذا الوضع حتى نهاية عام ١٩٧٧ حيث بدأت تظهر لاول مرة في تاريخ عمان لافتات «شقق فارغة للايجار ·· » ·

ويفضل اهل عمان السكن في فيلات مستقلة . وقد تجد الواحد منهم يمتلك اكثر من بيت في اكثر من منطقة ·· سكان العاصمة تضاعف عددهم حتى وصل عددهم الى مائة الف نسمة ·

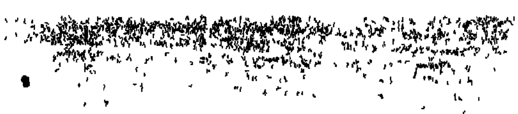
واكثر هؤلاء السكان من المزارعين الذين هجروا الريف الى المدينة ، ومعهم الوف المغتربين العمانيين العائدين الى وطنهم ··

عودة الطيور المهاجرة

لقد هاجر العمانيون بلادهم مكرهين ·· كانوا يعيشون في ظلام حقيقي··لا امال ·· لا طموحات·· لا صحة·· لا تعليم··كانت عمان اسما على الخارطة فقط ·· عقارب الزمن توقفت فيها ·· لهذا ماكاد السلطان الشاب قابوس يعلن في ٢٣ يوليو ١٩٧٠ ان ابواب سور مسقط سوف تفتح ليلا لاول مرة منذ ٤٠٠ سنة ·· وان عمان للعمانيين ·· وانه مهما كانت اسباب اغتراب العمانيين فاننا نرحب بعودتهم ليساهموا في اعادة بناء بلدهم ··

ما كاد العمانيون يسمعون هذا الكلام ، حتى





قل أن تجد بيتا فى عمان ليس فيه جهار تلفريون
والى جانب محطة مسقط العاصمة افتتحت محطة
ارسال فى صلالة جهزت بأحدث المعدات

الى اليسار طالبان من مدرسة قابوس فى صلالة
انها مدرسة داخلية ترعى ٢١٥ تلميدا فقدوا أهلهم
او تشردوا من جراء الثورة التى كانت قائمة فى ظفا



تبدل مجتمع ظفار تبدلا جذريا . فمن حياة الزراعة
والبداوة تحول الى مجتمع مستقر يعيش فى مدينة
صلالة .. وهذه صورة فى احدى المكتبات التى فتحت
حديثا فى المدينة ، وتبيع الكتب العربية والاجنبية .

شهدت عمان هجوما مجنونا من اجل شراء مصنوعاتها
المتميزة برسومها ونقوشها الفضية الوطنية القديمة
الدقيقة ، لهذا عمدت وزارة التراث القومى الى
اقامة متحف خاص لحفظ هذه المصنوعات الفضية القديمة



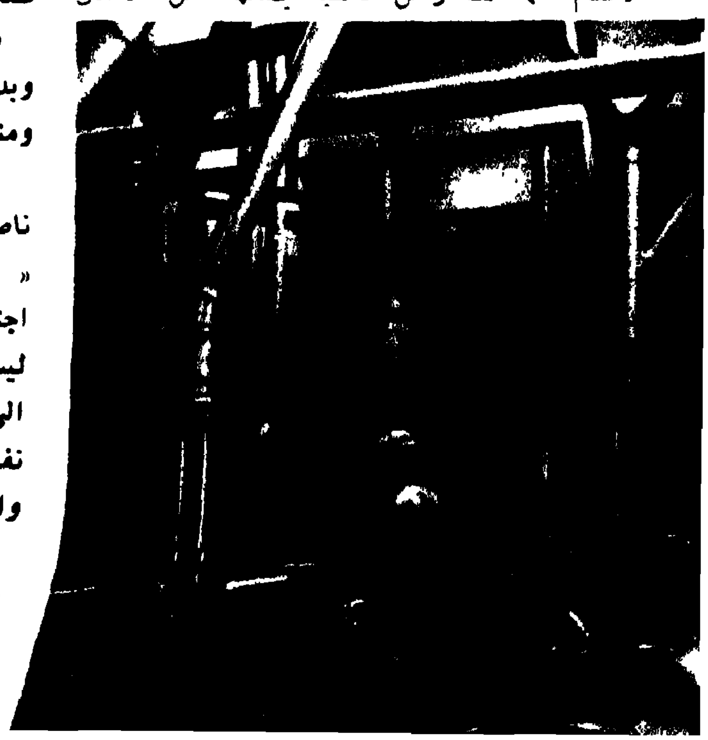




كان التنقيب عن النفط محصورا في شركة واحدة ، اما اليوم فتتنافس ٧ شركات في التنقيب عنه . وانتاج النفط ينتج من ١٠ حقول في منطقة فهود ، وكمياته كانت تتحقق سنويا بمعدل ١٠٪ .. وجاء اكتشاف النفط في الجنوب ليزيد الانتاج ، الذي سيصدر كله من ميناء الفحل قرب مسقط .

●

مطاحن الدقيق العمانية اصبحت تقدم للاسواق ١٨٠ طنا من الدقيق النظيف يوميا .. يستهلك منها نحو ٣٠ طنا محليا والباقي يصدر لدولة الامارات وقطر واليمن .. ويخطط المسئولون من اجل انتاج ٦٠ ألف طن من العلف سنويا لاطعام ٤٠ ألف راس ماشية يملكها اهل الجبال



بدات رحلة العودة للطيور المهاجرة .. نفضوا الغبار عن دشاديشهم المهملة المنسية في قاع الصندوق . وارتدها فخورين معتزين ، بعد ان كانت ترتبط في اذهانهم بمعاني الفقر والغربة والذل ..

وكانت العودة من منطقتين رئيسيتين : بلاد البترول الخليجية .. وجزيرة زنجبار التي كانت امتدادا لعمان قبل ان يقع فيها الانقلاب الدموي عام ١٩٦٤ كما جاءت مجموعات اخرى من المغتربين في انجلترا واوربا .

تاثيرات على المجتمع

عاد المغتربون وانتشروا في كل مدن وقرى السلطنة .. نزوى .. صلالة .. ابرا سمايل .. البريمي .. طاقة .. عادوا ليختلطوا باقارب يعيشون في مجتمع مغلق قديم .. وكان التاثير نحو الافضل ملموسا في كل المجالات .. فالمغترب الذي عاد سنة ١٩٧٠ مع اولاده المتعلمين، اقام في بيت شقيقة لفترة . وهذا اعطى دافعا قويا لهذا الشقيق من اجل الاصرار على تعليم اولاده تشبها باولاد اخيه ..

والفتاة المتعلمة المغتربة بدات تبحث عن عمل لاول مرة في تاريخ عمان . عمل يتناسب معمؤهلها الجامعي . وتبعتها شقيقتها فنزعت عن راسها كتل الذهب والفضة التقليدية ، وبدات هي الاخرى تتعلم وتعمل ..

وفي وزارة الصحة عاد ٢٩ طبيبا عمانيا مؤهلين تاهيلا عاليا .. وما زال في انجلترا نحو ٢٠طبيبا عمانيا يعملون هناك ..

وعاد خريجو كليات الشرطة العربية والاجنبية وبدات لاول مرة عمليات تعريب ادارة الشرطة ومناهجها .

ونسال وزير الشئون الاجتماعية خلفان بن ناصر الوهيبي عن المجتمع العماني وتاثيرات « العودة » عليه فيقول : « اعتقد اننا فيوضع اجتماعي متوسط طيب يكاد يكون مثاليا ، فبلادنا ليست منتجا كبيرا للنفط ، اي اننا لسنا اغنيا الى الدرجة التي يفسدنا فيها الغنى .. وفي نفس الوقت لسنا فقراء لنكون ناقمين على انفسنا والعالم كله .. »

« اننا بلد يتغير بالطول والعرض ـ اذا ـح
التعبير ـ وتركيزنا منصب على الانسان اما
البناء والتعمير واقامة الفنادق الفخمة ا ليست

سوى مظهر حضاري من مظاهر تغيرنا الشامل ..
واذا كنا نتلمس اليوم بعض التأثيرات الايجابية للذين عادوا منذ عام ١٩٧٠ الا ان التأثير العقيقي الذي احدثوه على المجتمع المحلي وعاداته .لن يظهر الا بعد انقضاء جيل او جيلين .

فلاحون مصريون في عمان

ان عمان تدفع اليوم ضريبة التطور والانفتاح، ومن سخريات القدر ان هذا البلد الذي كان مصدرا لليد العاملة اصبح اليوم مستوردا للعمالة من الخارج . وخاصة من الهند والباكستان لرخصهما وقربهما من المنطقة ..

انما نشكو من نقص في اليد العاملة وخاصة في الزراعة . لهذا اتفقنا مع المسؤولين المصريين على احضار ٧ عائلات من فلاحي مصر للعمل في عمان .. انها تجربة نرجو لها النجاح .بدأناها على نطاق ضيق لنتفادى كل خطأ قد يعترضها .

هذا ماصرح به لنا السيد سعيد احمد الشنفري وزير الزراعة والاسماك والنفط والمعادن ..وقد تابع الوزير كلامه قائلا .. عندنا كميات هائلة من الغذاء . ومكننا مضاعفتها عند الحاجة ولكن مشكلتنا هي التسويق .. لهذا نرانا نركز في عملنا على التسويق . نقيم المراكز ونشتري المحصول من المواطنين .. ثم ننقل الانتاج للمناطق المتباعدة.. وهذا سوف يؤمن لنا اكتفاء ذاتيا عندما نتغلب على هذه المشكلة التي هي اساس مشاكلنا الزراعية..

نفط من ظفار ومسندم ..

وينتقل حديث الوزير من الزراعة الى النفط فيقول . عندنا حاليا سبع شركات نفط عاملة في البر والبحر .. واحدة منها فقط منتجة للنفط هي شركة تنمية نفط عمان . تعمل على عشرة حقول في منطقة فهود لتنتج ٣٢٩ الف برميل يوميا.. ان انتاجنا من النفط يتناقص سنويا بمقدار ١٠٪ ولكننا اكتشفنا اخيرا النفط في جنوب البلاد . وهذا سيمدنا بنحو ٣٠ الف برميل اضافي يوميا ستبدأ في الوصول الى منطقة فهود عبر خط انابيب طوله ٤٠٠ كيلو متر مع بداية عام ١٩٨٠.

. وانا كوزير للنفط متفائل جدا لمستقبلنا النفطي . والدلائل في منطقة رأس مسندم مشجعة جدا هي الاخرى . حيث اكتشفنا اخيرا حقلا كبيرا للغاز هناك ..



[illegible] ١٩٨ [illegible] الذي [illegible] منذ اربعة الاف [illegible]

●

الى اسفل . [illegible] في الزراعة [illegible] الاحمر [illegible] الفاكهة واللوز [illegible] في ظفار [illegible] الارض الطيبة التي [illegible]

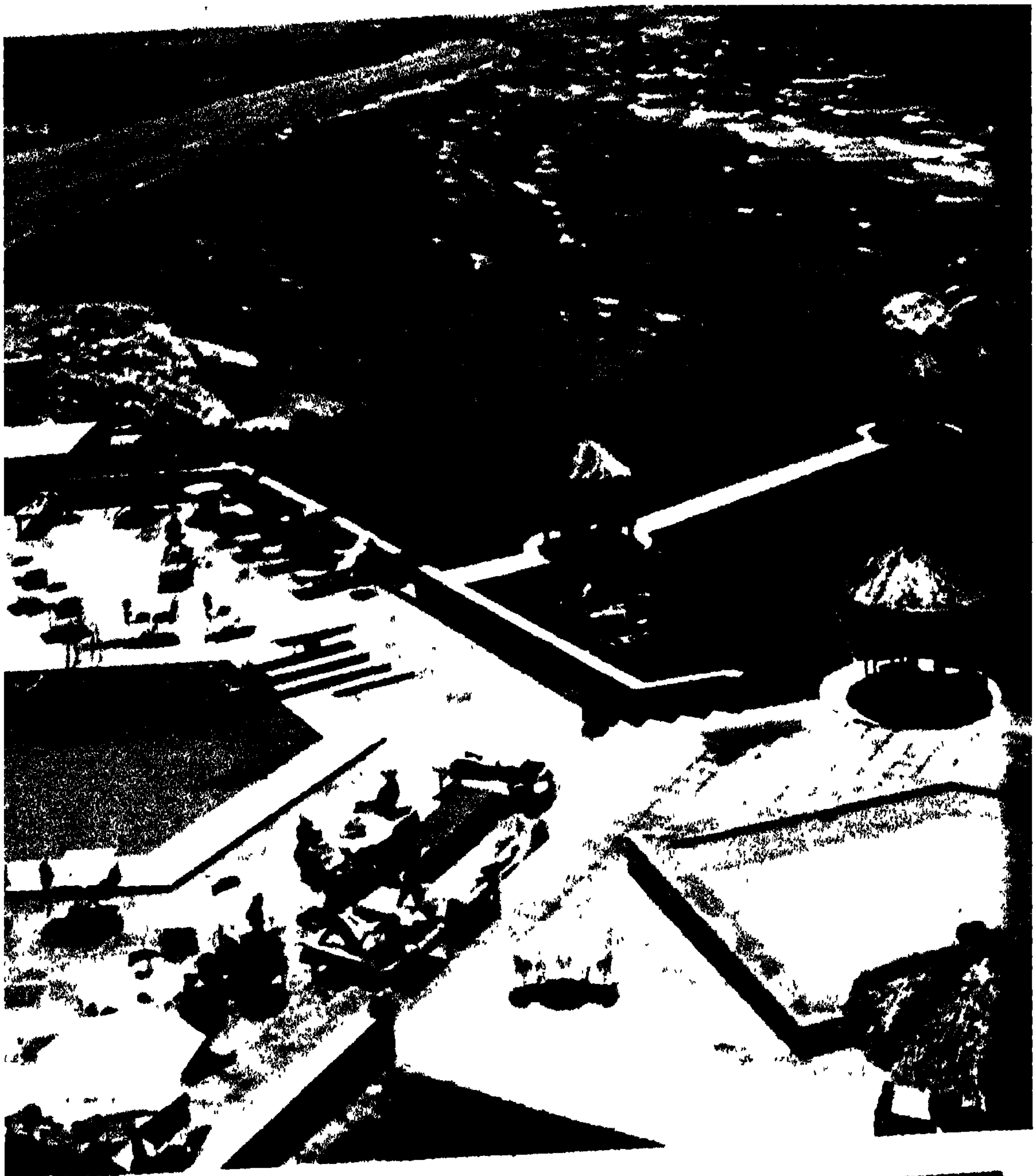


ينتمي أبناء عمان الى مجتمع حضاري مستقر منذ آلاف السنين .. لهذا لم تستطع سنوات الانغلاق أن تطمس ملكة الابداع ، فما كاد باب البلاد ينفتح من جديد حتى انطلق يبني ويعمر المباني والفنادق الفخمة الرائعة ليرتاد فيها التجار والخبراء الاجانب .. وانتشرت المتاجر والاسواق المركزية في العاصمة وصلالة، تعرض أحدث المنتجات وتجلب الخضر والخضراوات واللحوم بالطائرات .

... والمرأة العمانية المثقفة التي عادت الى بلادها بعد غربتها الطويلة في الخارج ، لم تفقد هويتها العمانية أبدا، ففي الحفلات والاعراس تعود وترتدي زيها الوطني الذي يختلف من منطقة الى أخرى اللباس الظفاري .. ولباس ساحل الباطنة .. ولباس المنطقة الشرقية .. الوان صارخة جميلة ، وكتل من الذهب تتحلى بها المرأة .









٠٠ ومعادن من عرجة !

وتمثل ايرادات النفط ٩٥٪ من جملة ايرادات السلطنةالبالغة ٤٩٥ مليون ريال ٠٠ وهذا الوضع لن ينفرد به النفط طويلا فقد اكتشفوا فيشمال السلطنة كميات هائلة من خام النحاس ٠٠ اجروا عليها دراسات شاملة ٠٠ حفروا ٢٠٠ حفرة فى نفس الاماكن التى حفر فيها الاقدمون منذ ٥آلاف سنة . وثبت لديهم ان كمية خام النحاس الموجود حاليا تقدر بنحو ١٧ مليون طن مترى ٠٠ لهذا بدأت الاعمال فى المشروع الذى سيتكلف نحو ٤٧ مليون ريال عمانى من اجل تعدين النحاس وتركيزه قبل البدء بتصديره عام ١٩٨٠ من ميناءصحار ٠٠ « والى جانب النحاس اكتشفنا حوالى ٣ مليون طن من الكروم . وعثرنا على الاسبست فيالغوير وعلى الفحم الحجرى فى جيلان قرب صور ٠٠ والحديد وجدناه مبعثرا فى مناطق متباعدة ٠٠ معادن كثيرة موجودة عندنا تحتاج الى دراسات طويلة باهظة الثمن ٠٠ »

هذا ما صرح به لنا وكيل الوزارة حسن عبد الله المرزع ٠٠

وحلقنا فوق مناجم النحاس ٠٠ بقعة ذهبية صفراء وسط ارض قاحلة ٠٠ تنتظر المعدات لتبدأ عملية الاستغلال والتصدير ٠٠





الذبابة السوداء ولومي العصفور !

وانطلقت بنا الطائرة صوب صحار .. ان هذا الميناء التاريخي الذى كانت تنطلق منه السفن الى بلاد الصين . سوف يصبح المدينة الصناعية الاولى فى السلطنة عندما يبدأ تصدير خام النحاس منه..

ولكن صحار اليوم تضم اهم محطة تجارب زراعية .. ان موقعها على ساحل الباطنة الخصيب يضفى عليها اهمية خاصة .. انهم يزرعون فى العروة الشتوية اى عندما يموت الزرع فى المناطق الاخرى يبدأ الزرع هنا

وفى نفس الوقت يخوض رجال محطة التجارب حربا شرسة على الحشرات وامراض النباتات .. المتق فى النخيل . والذبابة السوداء وصانعات الانفاق فى اشجار اللومى (الليمون) الحامض..

واللومى هو المحصول الزراعى الثانى بعد التمور ... جميع دول الخليج تعتمد على السلطنة لمدها بلومى العصفور المجفف .. والعصفور هى عائلة قديمة تقوم بشراء كل كميات الليمون مقدما من مزارعى ساحل الباطنة لتجففه بنفس الاسلوب التقليدى القديم .. يترك الليمون ٤٠ يوما تحت اشعة الشمس . ثم يوضع فى مخازن مظلمة لمدة سنة ، وبعدها يعرض لاشعة الشمس قبل تعبئته فى جوالات وتصديره لدول الخليج لاستعماله شرابا منعشا مثل الشاى . وخلطه على الطعام .. ويقولون لك : « كل حامض داء .. ما عدا حامض اللومى دواء ! » .

الى اليمين : المرأة تتعلم فى عمان .. والعلم يؤدى للشعور بالكرامه .. وهذا يوصل الى المطالبه بالحقوق .. والمراه العمانيه تختلف فى احتها من منطقه الى اخرى داخل عمان ، ففى حين نجد ١٠٠ فتاه يعملن الى جانب الرجال كشرطيات ، وحوالي ٩٠ فتاة يعملن ممرضات ، نجد بنات صلالة في الجنوب يذهبن للمدارس محجبات تماما .. بينما شقيقاتهن يعملن بكفاءة ونشاط فى مصنع التمور فى نزوى والرستاق .. وتجتمع عضوات جمعيه نهضه المراة العمانية فى مقرهن الانيق فى مسقط العاصمه ، يبحثن عن الاسلوب الواجب اتباعه للتوفيق بين الطموحات والتقاليد .

٩٠٪ من الاناث متزوجات !

واذا كان الرجال يفضلون شرب حامض اللومى فان النساء يفضلن تناول القهوة فى جلساتهن بعد الظهر .. كانت المرأة – فى زيارتنا السابقة – تقضى ثلاثة شهور تصنع (الكمة) الطاقية الانيقة التى يضعها الرجال فوق رؤوسهم . اما اليوم فوضع المراة تبدل تماما ، بعد وصول المغتربات الطبيبات والمهندسات والمديرات والصحفيات والممرضات .. لقد اصبحت المراة العمانية تعمل الى جانب الرجل ، فى بعض الدوائر الحكومية . ولكن مشاركتها فى الحياة العامة ما زالت محدوده حتى اليوم ، فبالرغم من البناء الانيق الذى شيدته الدولة لجمعية نهضة المراة العمانيه الا ان نشاطها لم يرتفع بعد الى مستوى روعة البناء !.

حقيقة ان بعض نساء عمان خرجن وتعلمن وحصلن على قدر كبير من التعليم ، الا ان نسبة هؤلاء اقل مما تتطلع اليه المراة العمانية .. ولعل ما جاء فى المؤتمر المحلى لقيادات الانشطة النسائية ما يؤكد هذه الظاهرة : « كيف يمكننا ان نطلب من المراة العمانية المشاركة الفعالة فى تنمية البلاد وهى غير مهيئة لا ذهنيا ولا نفسيا ونسبة الامية متفشية بينها بدرجة عالية جدا .. اننا نريد ان نؤكد انه لا تنمية ولا صحة افضل ولا تربية صالحة مع امية المراة .. »

واذا اردنا معرفة اسباب امية المراة – رغم افتتاح المدارس الكثيرة – فان هذا سيؤدى بنا الى عادة الزواج المبكر المتفشية فى عمان .. فالفتاة ما تكاد تنهى بعض المراحل الاولى من التعليم حتى تسحب من المدرسة للزواج «لان المذهب الاباضى – المذهب الرسمى للدولة – يبيح الزواج فى سن مبكرة جدا للصبى والصبية ويعطيهما الحق ، بعد ان يبلغا ، ان يفسخا الزواج او يقراه .. كما ان زواج الرجل الكبير السن بفتاة صغيرة مسموح به شرعا .. » .

وفى دراسة لمنظمة اليونيسيف ووزارة الشئون الاجتماعية . اجريت مع مجموعة من نساء نزوى اتضح ان : ٢٧٪ من النساء تزوجن قبل سن الحادية عشرة و ٧٣٪ تزوجن ببلوغهن سن الخامسة عشرة .. ، ٩٠٪ من الاناث متزوجات . وسبب هذه النسبة العالية جدا من الزيجات يرجع الى ان زواج المراة بعد الطلاق ، او بعد وفاة





[illegible] معظم الاطفال [illegible] يولدون ويمو[illegible] [illegible] لعنايه [illegible] [illegible] الامومة [illegible] الاطلاق لطويل [illegible] [illegible] سهولة .



[illegible] الممرضات [illegible] مستشفى [illegible] الصورة [illegible] المريض [illegible] الصورة [illegible] مستشفى [illegible]

زوجها ، امر شائع لان مهرها تنخفض .. قيمته جداً !

حربٌ على الامراض

وهكذا اصبحت كل دراسة اجتماعية توصم المجتمع العماني بهذه الصفة : « نسبة عالية من الخصوبة ونسبة مرتفعة لوفيات الاطفال » .. ولكن ريح التغيير السريع اخذت تقلب هذه المفاهيم تماما . فبينما كانت نسبة الوفيات بين الاطفال تصل الى ٧٠٪ وجدناها تهبط الى ٦ر٠٪ فقط في مستشفى خولة بالعاصمة ،حيث اجريت ٥٩٩ ولادة توفى خلالها ١٠ اطفال فقط، كان هذا في شهر ديسمبر ١٩٧٧ .

لقد بدأ الجمهور يتجاوب تماما مع مجهودات وزارة الصحة في حربها على الامراض .

الطبيب الطائر !

«اننا نتحرك في كل المجالات والاتجاهات ،لا نبخل على الصحة باى شيء .. ميزانيتنا ١٩مليون ريال .. وعندنا حاليا ١٣ مستشفى خمسة منها في العاصمة وسبعة في صلالة وسمايل ونزوى والرستاق وصحار والبوريمي وصور .. »



كان الدكتور مبارك الخضوري وزير الصحة العماني يتحدث الينا امام خارطة كبيرة لمشاريع الصحة واردف قائلا : « .. والمناطق المتباعدة عن مراكز التجمع طبقنا عليها نظام الطبيب الطائر » ... بالهليكوبتر .. واللنشات .. والسيارات نرسل الطبيب مع الممرضة والدواء لتوصل الخدمات الى كل شبر في البلاد .

لقد حققنا انتصارات باهرة ضد مرض التراخوما الذى كان يصيب ٨٠٪ من السكان في بعض المناطق ،وبعد المكافحة المستمرة والعلاج والتوعية استطعنا تخفيض نسبة الاصابات الى ٦٪ فقط .

وفي عام ١٩٧٧ قمنا بتقديم العلاج لاكثر من اربعة ملايين مراجع لمستشفياتنا ومستوصفاتنا واجريت ٤٧ الف عملية جراحية .. وهذا شيء رائع بالنسبة الى اوضاعنا الصحية حيث كان العلاج يتم عن طريق الكي بالنار .

تمر بالهيل والنارجيل !

والام الاسنان في السلطنة ترجع الى نقص الفلورين في الماء والى اكل التمور باستمرار مع عدم تنظيف الاسنان .. ولكن عادة اكل التمور هذه بدأت تقل اثر فتح مصنعين لتعليب التمور وتقديم التشجيعات المجزية من الحكومة للمزارعين .. انها تقدم ٥٠ ريالا عمانيا مكافأة عن كل بهار تمر (البهار يوازى نصف طن)

ان تمورنا هي ارقى واحلى تمور في العالم.. وعندنا اكثر من ٩٠ نوعا من التمور افضلها للتصنيع هو « الفرض » .. ومما يذكر ان كلا من المصنعين ينتج يوميا نحو ثلاثة اطنان من التمور المصنعة المتنوعة : محشوة باللوز .. مخلوطة بالنارجيل (جوز الهند) .. ومخلوطة بالسمسم.. وحب الهيل..وسوف يرفع المصنعان انتاجهما الى ١٤ طنا يوميا لمواجهة الطلبات الخارجية المتزايدة..

تراث يتكلم

وهكذا اصبح العثور على التمر من الصعوبة بمكان في اسواق العاصمة التى تعانى من الغلاء في الاسعار ، فالبيضة الواحدة تباع بمبلغ ٧٥ بيسه في الاسواق المركزية .. انه البيض ..المجنح القادم على الطائرة من الخارج ! .

ولكن الغلاء الحقيقي يبلغ حده الاقصى في المصنوعات التقليدية ، فالخنجر العماني المعقوف ارتفع ثمنه من ٣٠ ريالا حتى وصل الى ٥٠٠ ريال !

وجاءوا بالرجل الديناميكي السيد فيصل بن على بن فيصل لينقذ ما يمكن انقاذه من التراث فبدأ بعملية اقناع لاصحاب الحرف حتى لا يبخلوا بتوريث فنهم للابناء ، ونجحت الفكرة ..

ثم اتجه ناحية المخطوطات العمانية القديمة « حيث استطعنا جمع اربعة آلاف مخطوط عماني قديم ، وما زال هناك ٣٠ الف مخطوط موجودة في المكتبات الخاصة بالمنازل يرفض اصحابها التنازل عنها ، لهذا صدر قانون حماية المخطوطات الذى يمنع اخراج اى مخطوط من البلاد عمره اكثر من ٥٠ عاما .. »

وينهي مدير المخطوطات محمد سعيد الوهيبي كلامه قائلا : « لقد استطعنا عمل فهارس لحوالي ١٢٠٠مخطوط في سنة واحدة وطبعنا مخطوطين



[illegible] احمد بن [illegible] المطرب العماني [illegible] الدور [illegible] في مكتبة [illegible]

منها .وتجرى حاليا عمليه تجميع لطبع خمسة وعشرين مخطوطا عمانيا اخر .. ".

أرض ماجان ..

ان العماني يعشق سماع قصص ماضيه القديم ... وحتى يتكلم التراث القديم بلغة العصر جلبت وزاره التراث القومي خمس بعثات انجليزية وامريكيه والمانيه وفرنسيه وايطالية للتنقيب عن الاثار العمانية .. وقد تم بالفعل تحديد مواقع ٤٠٠ منطقة اثرية للتنقيب فيها ..

وقال لنا الدكتور باولوكوستا الخبير الايطالي للاثار : "كل الدلائل تشير الى ان ارض سلطنة عمان هي ارض مملكة ماجان التاريخية التي اعطت نفائس المجوهرات والنحاس الى ممالك الرافدين القديمة .." .

الكم والكيف ومشكل التعليم

وتصدر في مسقط حاليا مجلة رائدة للدراسات والابحاث العمانية باللغة الانجليزية .. الى جانب تسع مجلات اخرى .. ولا توجد صحيفة يومية في البلاد وانما تصدر جريدة عمان مرتين في الاسبوع .

● عمان .. مستقبل يتكلم !

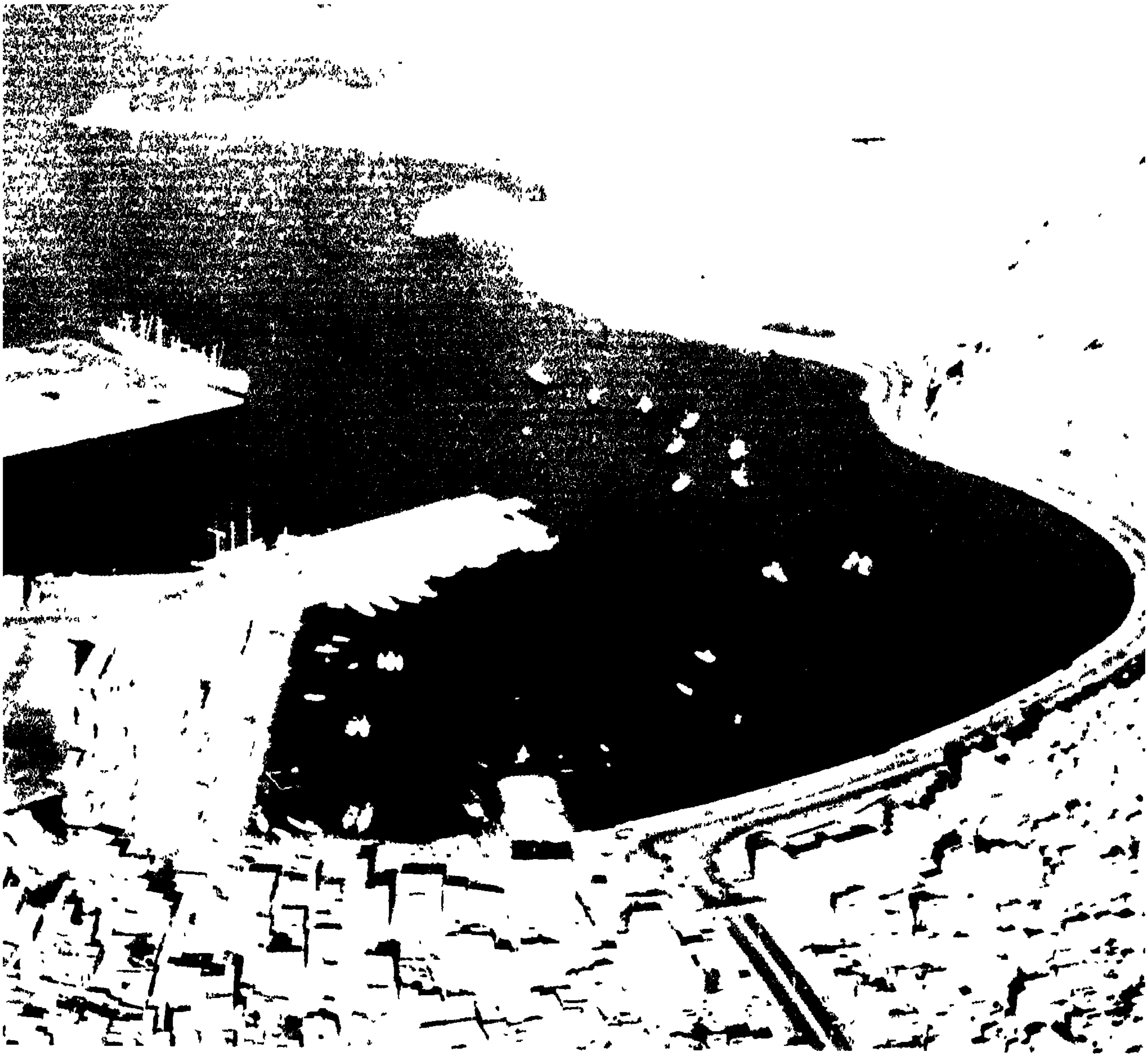
ويوجه الشباب في الاندية الرياضية الثقافية نقدا لاذعا لبعض صحف بلادهم لانها "كم" وليست "كيفا" .. ان عدد المتعلمين في السلطنة يزداد باستمرار ، فبعد ان كانت هناك ثلاث مدارس لتعليم مليون نسمة قفز الرقم الى ٣١٠ مدارس يتعلم فيها ٧٦ الف تلميذ وتلميذة !.

والمشكل الذى يواجه التربية حاليا هو :كيف توجه هذه الاعداد الهائلة من التلاميذ الذين انهوا تعليمهم الابتدائي والمتوسط ، وبداوا يطرقون ابواب التعليم الثانوى بشدة ؟

واجتمع مجلس التربية برئاسة السلطان قابوس وعضوية ٩ وزراء . وقرر احداث انقلاب في اسلوب التعليم ،بمعنى ان جزءا من خريجي التعليم الابتدائي سيتجه الى الابتدائي المهني وجزء اخر يصعد للاعدادي ، ونفس الشيء سينطبق على خريجي الاعدادية .. وهكذا سيتحول مسار التعليم الى روافد مهنية صناعية لم يكن يعرفها المجتمع من قبل ..

ان سلطنة عمان في اشد الحاجة الى العمالة الفنيه المتوسطة للعمل في المشاريع الكثيرة في البلاد . وفي مقدمتها مشاريع الاسماك ، فالساحل العماني طوله ١٧٠٠ كيلو متر ، وهو واحد من اغنى السواحل بالاسماك ،لان بحاره الدافئة تسمح بتكاثر مئات الانواع من الاسماك: الكنعد والصداه والسردين والعرش والسلاحف البحرية والشارخ (سرطان البحر) كان التمليح والتجفيف تحت اشعه الشمس هما الاسلوبين المتبعين .. اما اليوم وبعد ان تمت عملية المسح الشاملة للثروة السمكية فقد بدا العصر المكثف في كل المجالات.. اقيمت مستودعات التبريد والتجميد في مطرح وصحار وصلاله ، واشتريت قوارب الصيد والسيارات المبردة . وظهر صندوق تشجيع صائدي الاسماك . واقيم مصنع لمنتج الناعم طاقته ٣٦ طنا .. ووصلتنا ادوات مصنع طحن الاسماك وعظامها وتحويلها الى علف للحيوانات وسوف نقيمه في صلاله لوجود ثروة حيوانية كبيرة هناك تحتاج الى انتاجه .. ان اسماكنا هي ارخص الاسماك في المنطقة، نصدرها حاليا الى كل دول الخليج العربي والهند .." .

كان راشد البرواني الشاب العائد من بلاد الاغتراب والمسئول عن الثروة السمكية في وزارة الزراعة ،يتحدث الينا وعشرات الصيادين يدخلون



وزير الاعلام والثقافه السيد فهد آل سعيد :
نريد انتاج برامج تلفزيونية تعبر عن اصالة المنطقه ولا نريدها برامج تجاريه !



وزير الزراعة والاسماك والنفط والمعادن ، السيد احمد الشنفرى : اذا نجحنا في التسويق نجح كل شيء !

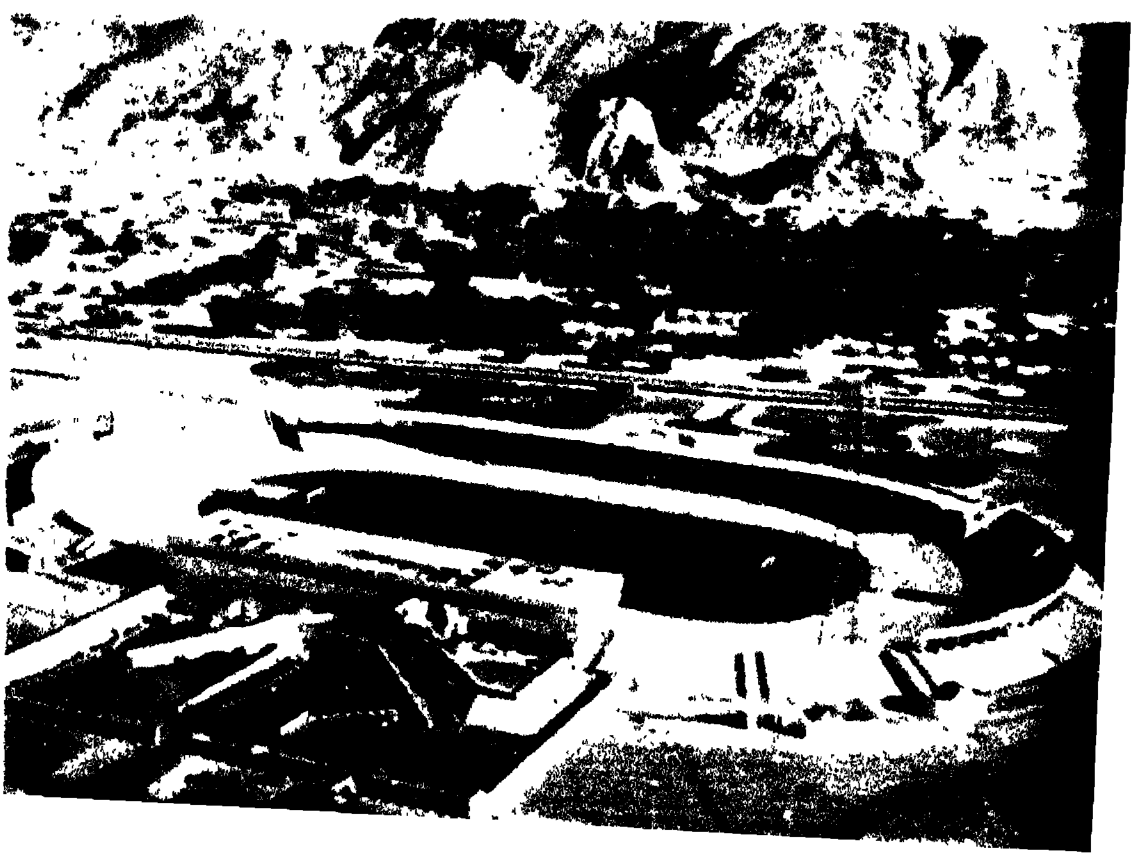




كانت وسائل المواصلات شبه معدومة في سلطنة عمان . اما اليوم فالطرق المعبدة والمطارات والموانىء أصبحت تربط مختلف مدن البلاد بعضها ومع مختلف دول العالم ·· وميناء قابوس (الصورة اليمنى) الذى افتتح عام ١٩٧٤ أصبح الموانئ الرئيسية التى تربط السلطنة بالعالم ··· وفوق الارصفة العشرة للميناء يتم تفريغ وشحن مليون ونصف مليون طن من البضائع سنويا ·

الى اليسار الاسماك العمانية من اطيب وارخص الاسماك وخطط استغلال هذه الثروة الهائلة تمتد بسرعة كبيرة فوارب الالمنيوم تشترى بالمئات وتوزع على الاهالى ، ومخازن التبريد نقام فى كل ميناء ·· والطلبات الخارجية لاستيراد الاسماك العمانية تنهال باستمرار على وزارة الزراعة والاسماك ··

استاد الشرطة الرياضى فى منطقة الوطية ويتسع هذا الاستاد لنحو ٣٠ الف نسمة . وهو مجهز بالاضواء لاجراء المباريات ليلا ·· وقد أصبح هذا الاستاد مركزا لاقامة مختلف الاحتفالات الهامة ، وفيه يجرى العرض العسكرى احتفالا بالعيد الوطنى ·



مستفسرين.. ان الصيادين الوطنيين يصطادون يوميا من ٤ الى ٦ اطنان .بينما الشركة الكورية تقوم بصيد ما لايقل عن ٦٠٠ طن شهريا تعطى منها ١٨٠ طنا (٣٠٪) للحكومة والباقى لها دون ان تتحمل الحكومة اية مصاريف ..

الجريمة تواكب الحضارة

ان سلطنة عمان تواجه اليوم فى انفتاحها الكبير مشاكل افقية متتالية متتابعة . لا تعطى فترة راحة لاى من المسئولين ، الذين خلناهم يعملون تحت شعار، (تفادى الاخطاء التى وقع فيها جيراننا أثناء انطلاقاتهم) ..

وبين ايجابيات وسلبيات الانفتاح نجد ان عدد السيارات المسجلة لم يكن يتجاوز ٨٤٠ سيارة فى عام ١٩٧٠ !! واليوم قفز عدد السيارات الى ٤٦ الف سيارة !

وجلب الانفتاح اناسا من كل أطراف الارض الى السلطنة حتى بلغ عدد القادمين ١٩٠ ألف نسمة فى عام ١٩٧٦ وفى نفس الوقت حاول ٣٠٢٨ شخصا التسلل الى البلاد ودخولها بطريقة غير شرعية فالقى القبض عليهم ..

ومع الحضارة الزاحفة ، وهى ظاهرة تشكو منها كل البلاد الاخذة باسباب النمو ، تضاعف عدد الجرائم من ١٢٤٩ جريمة عام ١٩٧٢ الى ٢٢٢٥ جريمة عام ١٩٧٦ ويرسل المعتقلون والمجرمون الى مجمع سجن المدمة الجديد الذى افتتح عام ١٩٧٦ ونقل اليه معظم سجناء قلعة الجلالى وسجن الباب الكبير ..

البنوك والربا ..

وهذه الزيادة الكبيرة فى الجرائم والحوادث اصبحت تشكل عبئا مخيفا ثقيلا على مختلف أجهزة الدولة الفتية .. والمسئول عن البت فى هذه الجرائم هى المحاكم الشرعية التى تحاكم كل الناس بصرف النظر عن الجنسية أو الدين أو الموطن .. والقاضى يبحث أولا فى كتب فقهاء المذهب الاباضى لتطبيق أحكام الشريعة الاسلامية ، فان لم يجد بغيته لجأ الى المذاهب الاسلامية الاخرى ليجد حلا للنزاع المعروض عليه ..

« ومن القضايا التى ظهرت حديثا قضايا المصارف والبنوك التى تشكل الفائدة الربوية عنصرا أساسيا من عناصر نشاطاتها . ولما كانت الشريعة الاسلامية واضحة فى تحريم الربا فان المحاكم الشرعية تحكم باصل الدين دون الفائدة »..

ويتابع مستشار وزارة العدل كايد عبد اللطيف ابو فورة كلامه قائلا : « أما الامور الجزائية كحد السرقة وقطع يد السارق فلها شروط كثيرة يجب توفرها لتطبيق هذا الحد . ويبدو أن القضاة الشرعيين فى السلطنة قل ما تتوفر لديهم الشروط الشرعية التى تلزم بقطع يد السارق مثلا .. وفقا للقاعدة الشرعية المعروفة : « تدرأ الحدود بالشبهات .. »

لسنا براميل نفط متحركة !

ان التوعية الشاملة لابن عمان بتاريخ وطنه وحضارته . وبالانجازات التى تمت فى بلده ، هى الاساس الذى سيجعل المواطن يحافظ على هذه المكاسب وينميها .. وفى حديث مطول مع وزير الاعلام العمانى السيد فهد ال سعيد قال لنا : « اننا نهدف الى تغيير نظرة العالم الينا .. انهم أصبحوا ينظرون الينا وكاننا برميل نفط متحرك .. اننا يجب أن نبدل هذه النظرة الخاطئة ، لهذا ترانا نقيم المعارض والاسابيع العمانية فى اغلب أرجاء العالم ، لانها أشياء محببة للشعوب يلمسها المواطن الاجنبى ويراها بنفسه .. وبهذا الاسلوب سنجعل العالم ينظر الينا كشعب حضارى متطور .. وهذا هو الشيء المهم .. »

أحلام اليقظة

ان عمان اليوم تقف فخورة معتزة بابنائها الذين عادوا اليها ليعملوا دون شعور بالنقص أو الاستعلاء .. هويتهم ما زالت عمانية صرفة رغم ضياعهم فى أركان العالم لمدة ٤٠ عاما ..

قد يعانى بعضهم من نقص لم يتعوده ، فى بعض الخدمات . ولكنه لا يتذمر لانه فى بلده ووسط مجتمعه ، ويعلم أن كل شيء يبنيه سيبقى له ولأولاده ..

ويكفيه سعادة أنه منذ ثمانى سنوات كان يسير فى الطرقات حاملا الفوانيس . أما اليوم فاصبح ينطلق فى الطرقات الغارقة فى الضوء .. ولكنه عندما يذهب ليسهر فى فنادق المدينة ، نجد الحنين قد راوده الى الفوانيس القديمة ، يجلس أمام شعلتها ، يحلم أحلام اليقظة بيوم أفضل وغد أروع .. ■■

سليم زبال



طرائف اجنبية

تشرشل .. كان السبب !

● كان ونستون السياسي البريطاني الراحل هو السبب وراء تخصيص بيت لاستضافة زوار رئيس الولايات المتحدة الامريكيه .. فقد كان ضيوف الرئيس قبل ذلك يقيمون في البيت الابيض طوال فترة زيارتهم الرسمية .

والذي حدث بالضبط أن تشرشل . وكان رئيسا للوزارة البريطانية امام الحرب العالمية الثانية . جاء الى واشنطون لاجراء محادثات عاجلة مع فرانكلين روزفلت رئيس امريكا في ذلك الوقت .. واستمر الاجتماع حتى ساعة متاخرة بعد منتصف الليل .. ثم ذهب الجميع للنوم .. الرئيس الامريكي في جناحه الخاص .. وتشرشل في الغرف المخصصه للضيوف في الطابق الثاني .

وصحت اليانور زوجة رئيس امريكا من نومها كعادتها في ساعة مبكرة من الصباح .



ففوجئت برئيس حكومة بريطانيا بملابس النوم ، وقد راح يذرع القاعة جيئة وذهابا ، وسيجاره الكبير بين شفتيه !

وصاحت اليانور : «ونستون ماذا دهاك .. ماذا تفعل في هذا الوقت المبكر من الصباح؟»

وقال تشرشل : « لقد تذكرت شيئا . فقمت من فراشي .. لابد ان اقابل فرانكلين الان !

ـ هذا مستحيل .. ان الرئيس نائم ، ولا يمكن ازعاجه الان. ارجوك ان تعود الى غرفتك !»

وعاد تشرشل . ومن يومها لم يعد الضيوف ينامون في البيت الابيض مع الرئيس تحت سقف واحد . لقد خصصوا مبنى « بليرهاوس » الذي يقع على الجانب الاخر من الشارع لاستضافة زوار رئيس امريكا.

احدث اسلوب للتخسيس !

● كانت مشكلة هي ان يعثر على العدد الكافي من العمال والعاملات الذين يحتاج اليهم ليبدأ عمله في محل غسيل وكي الملابس . ولم تفلح الاعلانات التي نشرها في الصحف في ان تشد عاملا واحدا او عاملة الى محله رغم الاجور السخية التي وعد بصرفها لهم. واخيرا طرأت له فكرة .. ان عشرات من الفساتين التي ارسلتها صاحباتها للتنظيف . تدل على انتمائهن جميعا الى حزب « اشجار الجميز » .

واسرع الى الصحيفه التي يعلن فيها وكتب هذه المرة يقول في اعلانه « مطلوب سيدات سمينات قويات . يرغبن في تخسيس اجسامهن .. العمل شاق . ولكن النتائج مضمونه والاجر سخي للغاية ! »

ولم يكد يظهر الاعلان ، حتى فوجئ صاحب المحل بطابور طويل من النساء اللواتي يرغبن في الالتحاق في هذه الوظيفة الجديدة .. وكانت المفاجأة عندما اكتشف ان نصفهن على الاقل . حملن اليه ثيابهن لتنظيفها منذ بضعة ايام ! »

من البرازيل :

رجع الذكرى

قلم : الدكتور شاكر مصطفى

عند اجفاني تحوم على الدوام ،كطيور الجنة ذكريات خمس سنوات من عمرى قضيتها في أمريكا اللاتينية وبخاصة في بلدين : احدهما أسباني صميم والاخر برتغالي صميم . وقد وقفت في مقال سابق عند كولومبيا ، فهل ترى يسمح لي بوقفة ذكرى عند البلد الاخر ؟ من حق الوفاء لسنوات عمرى تلك وللمئات العديدة من أصدقائي الأحباء هناك أن أفعل.

سان باولو



قد تعرف ان أمريكا اللاتينية هي « العالم الجديد » وانها عشرون بلدا لكل منها طعمه ولونه وتاريخه وخلائطه العرقية ، وانها ماتشاء من الجنات والقسوة والوحش والروعة • على ان البرايزل منها بلد متميز ••

انها ارض الخشب الجمرى(١) والببغاوات، ومزارع البن ، وكوخ الزنجية راقصة السامبا ورحاب الامازون ــ الاب ، والغاب الذى لا ينتهى عند افق ، وصحارى الجوع ، وملاعب الغاوشو •• البرازيل هي « بلد الغد » كذلك رآها ستيفان تزفايغ وكذلك يراها كل من يعبر اليها المحيط • كل شيء في البرازيل يبرعم وينمو ويمد • ان ابرز ما فيها انها امكان ، وانها وعد عريض •• ولا تسل عن الامس والماضي والتاريخ • انها بنت الامس القريب • خلاصة كل امرها كلمات :

الله خلقها •••

كابرال اكتشفها

الزنجى عمرها

البرتغالى منحها الكنيسة واللغة

و « الغرينغو » (٢) احتكر الاستثمار ! !

والصدفة هي التي رسمت الخطوط الاولى في تاريخ البرازيل الذى نعرف • البرازيليون مثلا لا يعترفون بكريستوف كولومب • الذى كشف الدنيا البرازيلية هو القبطان بدرو افاريس كابرال ، آخر سنة من سنوات القرن الخامس عشر (٣) كان يحاول الوصول الى الهند لبعض التوابل والجوهر من غير طريق افريقية فوقع على الشاطىء البرازيلى • ولم يابه كثيرا له • كل ما فعله قداس دينى اعلن فيه امتلاك جزيرة (فيراكروس) ثم تابع الطريق الى الهند •• ومنذ ذلك الوقت يبدا التاريخ ! تاريخ البرازيل !

الصدفة الاخرى كانت حين امسك البابا الكسندر بورجيا (٤) سنة ١٤٩٣ بقلم رسم به خطا اعتباطيا طولانيا ما بين القطبين الشمالى والجنوبى ، على الخريطة غير الدقيقة امامه للارض الحديثة الاكتشاف وحدد التوسع المسموح به لكل من البرتغاليين والاسبان ••• ومنذ ذلك الوقت كان قدر البرازيل ان تكون برتغالية وقدر امريكا اللاتينية الباقية كلها ان تكون اسبانية !

لكن البرتغال ، البلاد ــ الام ، كانت اضال كثيرا في المساحة واقل كثيرا في عدد البشر من ان تبتلع هذه القارة وتبتلع معها المستعمرات الاخرى التي افتتحت على مراكبها وسيوفها في افريقيا ايضا وفي جنوب بلاد العرب وفي الهند ، في وقت واحد !! لم تستطع البرتغال ان تمنحها مع السكان الاوائل ، اكثر من اللغة التى يصر البرازيليون على انها لغة البرازيل لا البرتغال !

وقلائل هم الدين يذكرون ان فرنسا ، بعد ذلك، اخذت تزاحم البرتغال على استعمار البرازيل • وكانت تصر على اقامة « فرنسا القطب الجنوبى » مابين مصب نهر الامازون وخليج الريودى جانيرو • لكن البرتغاليين تكلبوا بالساحل كالسراطين • ولم يكن اندياحهم في البلاد صعبا • لم يجدوا امامهم ما وجد الاسبان في المكسيك والبيرو من دول منظمة حربية ومدن وجدوا الارض الفضاء التي ينتشر فيها شعب التوبى البدائى • الذى كان يكفى واحد منمثل كاراموروا(٥)

---

١ ـ معنى كلمة البرازيل (الخشب الوردى اللون) كأنه النار او الجمر • وقد اشتهرت بهذا الاسم لان البرتغاليين كانوا يأخذون هذا الخشب منها • وقد غطى هذا الاسم على الاسماء الدينية الاخرى التي سميت لتلك البلاد •

٢ ـ لقب يطلق في أمريكا اللاتينية على ابناء الولايات المتحدة •

٣ ـ كشف البرازيل سنة ١٤٩٩ ، وامريكا سنة ١٤٩٢ •

٤ ـ كانت له البابوية ما بين سنتي ١٤٩١ ـ ١٥٠٣ ويعرف بلقب الكسندر السادس •

٥ ـ لقب اطلقه الهنود على السائح ، كان ديهمر الماريس الذى كناه وهو معاصر من الهنود ان يطلق طلقة نارية واحدة لكي يأتيه الهنود ساجدين للرب خالق النار (وهذا معنى الكلمة)

خالق النار لكي يصمقه دهشة ويكفي حصان عادي لان يذيبه رعبا ...

كان اهم ما فعله الفاتح البرتغالي هو التوغل في الارض الفضاء ووضع الحدود في الاعماق ، حيث خط النهر العافر . ولم يستطع البرتغالي استئناس الهندي لتاهيل الارض والتعدين فاتى لهذه المهمة بالرقيق الزنوج . الزنجي هو الذي صنع البرازيل . في ظل المزارع الكبيرة : (الفازندة) والبيت الكبير (كازاكراندة) . هو الذي زرع فيها قصب السكر والقطن والطباق وصنع السكر لاوروبا ونقب المناجم كهوفا من الظلام الخانق واستخرج الذهب والماس والاحجار الكريمة من مسيلة الانهر . وهو اخيرا الذي اعطى البرازيل معظم السكان المولودين(الغلاسين) والجدور الثقافية الاولى !

واذا كان التوازن في الخليطة الجنسية ما بين البرتغالي والهندي والزنجي هو الذي منح البرازيل سحنتها البرازيلية فان ثقافة الزنجي ـ وهي اسلامية في جدورها ـ قد اجتثت من الجذور . لم يبق منها الا الاهتمام العام بالثقافة الذي يلحظه المرء في ساحل باهيا حيث ظهر معظم الكتاب والخطباء والشعراء البرازيليون (بينما يسيطر على باقي البلاد الخمود الثقافي المطبق) والا الفولكور الشعبي والمعتقدات الخرافية التي اضحت قوام المنابع الفنى البرازيلي ، وجوهر التراث القصصي للاطفال هناك ...

« برازيلات » عدة لا واحدة !

وظلت البرازيل فراغا اوسعحتى اواسط القرن الماضي . تشبث الناساولا بالساحل . وفي القرن السابع عشر تجاوزوا نهر سان فراسيسكو (٦) ولم ياتلفوا مع سفوحجبال « الاند » في الغرب الا في اواخر القرن الماضي حين اخذت الهجراتتزحف الى البرازيل موجة بعد موجة تعطيها بعض التكاثر السكاني : واحدة المانية واخرى ايطالية وثالثة عربية ورابعة صينية وبين هذا ودلك يونان وارمن واسبان وانكليز وهولنديون ... اخر الهجرات هجرة اليابانيين المنظمة التي ترعاها والتي تمسك مزرعة الخضار البرازيلي

اغريب بعد هذا ان تظل البرازيل طفلة الروح .لا شخصية واحدة فيها ؟ انها قارة من ٨٫٥ مليون كم ٢ تقرب اوروبا وانها تسعون مليونا من النا التفاعل الحي الخلاق بين الارض البر عليها لم يتعمق بعد ليتكون من عد الك العضاري العتيق ؟

ما تزال امشاجا من العروق والعادا والشجر والنهر والبركان والهجرة . . خامات من الارض والبشر . شلالها ا يروض بعد . وعروقها المعدنية ما تزا التراب . واهلها حتى الاقدمون . ما ت فيهم روح الفاتح المستثمر ، او كبر البدىء او اشجان الزنجي الاسير !

وهناك برازيلات اعداد لا برازيل هناك برازيل الفاووشو على الخيل ـ ا وبرازيل الالمان في سانتا كاترينا ، ا الغابة في ... روسو) ، وبرازيـ (الكاندومبليه (٧) في (باهيا) الجوع والفيافي الممزقة في الشمال الريودي جانيرو ، عروس عواصم ا وبرازيل سان باولو الالة القاسية الم وبرازيل الامازون والادغال الاستوائية المسكين والدابة المرخية الاذانوالشجر.

.. وبرازيلات اخرى بين هذه وتلك و انها حتى في الاسم الرسمي « الولا البرازيلية » ولاياتها الاحدى والعشرو منه هي في شان...انها نموذج فر المتحد او الاتحاد المتباين . وليس ... صدف التاريخ وتلاوينه ولكن دكتاتور واستبدادهم ايضا ....

الارض البرازيلية . بعد خمسة ا الكشف ، ما تزال على روعة الخلق الاو البرازيل الغربي كله غاب متصل لا ابعد . هو اكبر بحر من الشجر في لا الشجر الرومانتيكي ولكن العملاق الملت

---

٦ ـ هو أحد انهار البرازيل الضخمة فيالشمالالشرقي .

٧ ـ هيرقصة العبادةوالسحر لدىزنوجالبرازيل.

الذي اعطاه لدى الناس اسم «جهنم لخضراء» . انه «عالم مظلمة . ساكتة حتى عزع واليأس و بجنون ، متبدءة بانواع من نشجر لم يخلق مثلها في البلاد جمة وتخترقها كالرصاص تارة بعد اخرى اصوات القردة لعداءة ونعيق النسر الاسود والببغاء الامريكي وعطط الوحشية والفهود تلمع عيونها الحمراء بين الاغصان كالمار الجحيم ... اما الصمت فاكثر رهبة . انه دنيا الافعى القماطة ، والاناكوندا ، حية الماء الضخمة ، والوطواط المصاص ، عفريت العرافات والعراش العملاق ، والنمل الوحشي والحشرات سيدة الغاب ...

نهر الامازون

اما الامازون ـ الاب فيملك سعيدا ذلك الغاب كله . كالوريد المتشعب الرهيب يجري ، تهوى اليه عشرات الانهار الضخمة ، بعضها اسود كما لو كان ينبع من جبال الحبر ، وبعض في صفرة الرمال ، وبعض احمر ازرق ،وبعض كاصفى ما يكون الماء . وتتحرك قوارب الشجر المحفور ، كما تدب (العايولا) السفينة النهرية في العرض المائي الذي يجاوز العشرات من الكيلومترات... اما اذا فاض فالويل للضفاف . في مثل هزيم الرعود والعصف تنهار غابات كاملة وتطوي بوحشها وارضها فيه . او تسير معه جزيرة طافية باشجارها عليها القردة والطيور لدى حيث ...

والامازون فرغ سكاني رهيب . الرحالة والمبشر وطريد المجتمع والباحث عن ارض الذهب (الدورادو) هم وحدهم الذين اغراهم النهر الاب والغابة التي تحتضن . فلم يجدوا هناك سوى المطر والافعى والحشرة والحر القاتل ... واسنان السمك القزم المفترس (٨) : وفي مطلع القرن الحالي ، حين صار حوض الامازون ارض المطاط الشيطانية ، صار ايضا ارض الموت الاخضر ... جزيرة (مارابانا) عند (مناوس) على مدخل نهر نغرو (النهر الاسود) كانت تسمى (مجزر النفوس) . الداخلون الى الغابة كانوا يودعون هناك ضمائرهم وانانيتهم ويتحولون بعدها الى وحوش ...

وتنتقل الى شرقي لبلاد فاذا التنوع الغريب..

الشمال الشرقي . برازيل الرقيق والسكر المديمة ، فضاء يرى هو تارة الصحراء بكل ملامحها وجمالها القاتل وتارة للكاتنما (الاشجار المزمة) والعشب والنخيل (٩) ... وللنزوح البشري ايضا : الموردينيتيو (١٠) زاحف دوما الى الجنوب . انه في (سييرا) ! و (سرتون)فقير ، فقير حتى الجوع ،أيام الجفاف ، مهروس التعصب. والعصاة ، في عرفه ابطال شعبيون . اليس (لامبيون او البرق) قاطع الطريق بطلا هناك ؟

ان تحركت نحو الجنوب قليلا الى (باهيا) فاجاتك دنيا اخرى كانما قطعة من افريقيا قد هربت فالتصقت هناك . اللون الزنجي ، على درجاته ، هو السيد في باهيا ، هذه المدينة التي يتجمع فيها كل تاريخ البرازيل وتمتد حولها غابات الكاكاو وتعطر في ممراتها وفي سوقها الواطيء المراة ـ الزرزو (١١) ريا القرفة والقرنفل . كما تعشعش عبادات الجن والارواح ...

وتمضي جنوبا الى ارض المعادن والمزارع الجبلية (ميناس جيرايس) . قراها المرتفعة مزارع منظمة تهرب تحتها الاصداء في الوديان المعتمة ،واعطاف الجبال ومسائل الانهر مناجم للذهب والماس والحديد والمنغنيز والميكا والاحجار نصف الكريمة . اما

---

٨ ـ نوع من السمك الصغير (بطول ٢ ـ ٣ سم) يهاجم الجثث بعشرات الالوف مرة واحدة فيغادرها عظاما بعد دقائق

٩ ـ في مناطق النخيل هذه (بالميراس Palmeiras قامت اول جمهورية زنجية مستقلة في امريكا من العبيد الابقين ، في اواسط القرن السابع عشر .

١٠ ـ موسكي الشمال الشرقي ومنطقة السرتون Sertao

١١ ـ اسم مينا (Mina , او Mynah) يعطى في البرازيل للمراة السودانية وتعني الكلمة الاصل طائر الزرزور الاسود الرشيق . واما ريا القرنفل و القرفة (الدرصيني) فمن عنوان رواية للروائي البرازيلي جورج امادو عن خلاسية من باهيا اسمها غابرييلا . ريا القرنفل والقرفة

السكان (المينيروس) فحياة محافظة جادة ، وانتاج يمسك عجلة البرازيل ...

ان مضيت جنوبا بعد ذلك فانتبه ! انك اذن في ميناء الفردوس ، وعند اجمل مدن الارض بحرا ووديانا وخلجانا وجبالا غابية ومتمة . انك في « الريودى جانيرو » ، القصيدة الالهية الفاتنة . تمثال السيد المسيح يطل عليها بارتفاع ٤٠ مترا فوق قمة كوركوفادو (الاحدب) باسط اليدين يتامل . ولكن الكاريوكا (١٢) لايدعونه يبعث الشجن في نفوسهم فتحت اقدامه غابات (تيجوكا) او (التردابوافيستا) للراحة والمتعة وعن بعد تزلق العين من مرتفعات (اكابولكو) ومن جبل السكر لتغرق في الغابات قبل الغرق في البيوت ثم زرقة البحر ولتضيع في الخليج الهلالي الاوسع (كوباكابانا) الذى : « حف من انجم الثرى بنطاق » حتى لتحسب ان جنيات الماء فيه :

سرن والموج في جرار من النـو
ر تناقلنها على الاعناق (١٣)

وبين هذا وذاك تلعب الغابة السوداء والبحر اللازوردى والشوارع والابنية والكعوب الراقصة الرشيقة لعبة العناق والتداخل ... ويلهو الناس ما شاء اللهو . انها المدينة الابيقوريه بامتياز. هذه المدينة الوثنية الروح التي تعبد اللذة والمباهج وتدعي ان الله برازيلي لانه يحميها دوما ولانه غفور رحيم !ورغم الفقر الساحق وكثرة الشحاذين الذين حاول حاكم المدينة (لاسردا) ذات يوم ان ينظف وجه المدينة السياحي منهم باغراقهم في البحر ، ورغم احياء التنك (الفافلا) التي تنتشر على سفوح المدينة كالجدرى الاسود تضج بالزخم والبؤس ، رغم كل اولئك فان للريو كل سنة ثلاثة ايام بلياليها من اللهو المجنون . في اواخر شباط (فبراير) يجب ان تكون هناك لتحضر الكرنفال ، لترى المدينة كلها ترقص (السامبا) و (المرشا) و (الفريفو) وتغني الاغاني المرحة التي يؤلفها لها سكان (الفافلا) المعدمون ، وتسيل في الشوارع مواكب صاخبة لا تنقطع . الزنجية تعمل سنتها بكاملها لتشترى ثوب الكرنفال .. وتعيش ايامه الثلاثة خارج الزمن...

قلبها الحديدي النابض

ولم تفقد الريو شيئا بانتقال مقر الحكم الرسمي منها الى برازيليا ، مدينة الخطوط الهندسية العملاقة والابعاد الواسعة التي نبتت غريبة وحيدة في اعماق البر البرازيلي وفضائه الارحب . بقيت الريو هي عاصمة الحياة الكاملة الرخية في نظر البرازيليين . اما الزهرة الحجرية ـ الفولاذية المبتكرة الخطوط فلها الله ، وان تنتظر ...

ولا تغادر الريو الى الجنوب ، مرة اخرى الا اذا اردت ان ترى القلب الحديدي النابض للبرازيل : مدينة سان باولو . انها تلال من المصانع والابنية والمداخن والاحياء والشوارع يتكوم فيها عشر سكان البرازيل كلها ، في مسطح متموج من الارض يزيد قطره على ١٢٠ كيلومتر . (الباوليستا) جعلوا مدينتهم التي كانت للبن من قبل مدينة كوزموبوليت بدون لون . مدينة للمال وللمصنع ولركض اللقمة وللجشع القاتل. هي وحدها كل ديناميكية البرازيل وكل رجال اعمالها . التمثال الضخم العظيم فيها لمن يسمونهم بالرواد (البانديرانتة) (١٤) يمثل طموحها وغرورها .

انها القاطرة التي تجر القطار البرازيلي كله وتعرف ذلك وتتعامل مع البلاد كلها على انها كذلك وعلى انها صاحبة القوة المحركة..والزعيق: وحلم الباوليستا هو الثروة السريعة السريعة . واذا كان الحيتان الكبار يحصلون عليها دوما ولو عن طريق الاحتيال الذى يعتبر هناك ذكاء ومهارة،

١٢ ـ الكاريوكا هو الاسم الذى يطلق في البرازيل على سكان الريو .
١٣ ـ البيت للشاعر المهجرى شفيق المعلوف من قصيدة .
١٤ ـ كلمة البانديرانته (banderiates) ترجمتها الحرفية حملة الاعلام ويعنون بهم رجال الحدود . وهم مجموعة الرواد المغامرين الذين توغلوا في الارض البرازيلية ، وثبتوا حدود البرازيل الحديثة . ويعتبر (الباوليستا) وهم سكان سان باولو ان الباندير انته كانوا منهم !

فان المعدمين ذوى الافلاس المزمن ، وهم ملايين ، يحلمون بالثروة المفاجئة عن طريق الحظ الـذى يؤمن به الجميع . المقامرة هي الطريق . وينتظر كل واحد منهم ان يربح (البريميو) في اليانصيب او في لعب البرعوث (البيشو) ـ رغم مكافحة السلطة لها ـ أو في سباق الخيل الذى لا ضرورة للزحام الشديد على ميدانه المكتظ فكل بار ، وكل دكان يقوم بمهمة الرهان .. والبركة في الاذاعة التي تعلن النتائج !

ولكي تصل من سان باولو الى اقصى جنـوب البرازيل عليك أن تعبر بسانتا كاتارينا ، المقاطعة الالمانية الشقراء.حتى سجلات بلديتها كانت تكتب بالالمانية وحتى الزنج فيها لا يتكلمون البرتغالية ولكن لغة عوته وفغته .. انها برازيل الالمان الذين لم يصلوا بعد الى وادى نهر البارانا الاعظم في الغرب . لم يدللوا الغاب هناك ولا جبروت شلال (ايفواسو) المندفع حصة كيلو مترات من الماء الهاوى .. مسكينة بياعارا أمامه . « بلعـــوم الشيطان » في وسطه بئر هائلة من الرعب والدوار والماء الابيض ، يهوى تسعين مترا ، صعرا على صخر ، ليثير الف قوس قزح ! ...

اما اقصى الجنوب ، ارض النهر الكبير الجنوبي (ريو غراندة دوسول) فمسطح لا نهائي المـدى الاستواء . عالم من الخضرة بلا وجهه ولا علامات ولا ابعاد . انها « البامبا » . عشب وسماء ثم عشب وسماء حتى لتحسب أن الله مسح من الكون كل شيء غير العشب والسماء : السادة الاولون لديس برلوها كانوا يسمون«سادة الارض الفضاء» Senores de nada .وحصانهم الذى اطلقوه فـي الارض سرعان مـا اضحى قطعـانا من العصـان الوحشي وزاحم اللاما البرية (الجواناكو) تماما كما زاحمتها قطعان البقر التي تكاثرت وتكاثرتهلا اصحابها يحيطون بالالاف المؤلفة من اعدادها ولا الادغال التي تنطلق فيهاتعرف الابعاد ...

من أصل عربي ؟

وهكذا ركب السكان هناك الخيل . اصبحت حياتهم كلها على ظهورها وعلى السنابك . وشيئا فشيئا صاروا معها قطعة واحده . وظهر بـــذلك نموذج (اغاووشو) (١٥) الراعي الخيال الذى يميز الجنوب والذى اضحى (وان كان الآن فـي طريق الاضمحلال) جزءا من قصص الناس ومن اساطير الصغار.فرسان.اغاووشو. هم رجالالعراء والارض الفضاء هناك .رعاة البقر الذين يبدون وكانهم شعب من السنتور (١٦) فدنسي المشي على الاقدام ...

اما اذا دققت ملامحهم السمراء الجديدة وعيون الصقور التي يحملون وعرفت كرمهم الحاتمي ، وحسهم المرهفوصمتهم المتكبروقيم الشرفوالمروءة وعادات الثار لديهم ، وشدة الغدر والحنق علـى القيود واحتقار المدينة ، وشاركت فـي حلقاتهم المسائية حول نار الشواء ، يشربون الماته(١٧)في كوزـها الخشبية الشبيهه بالنراجيل الصغيـرة ويستعيدون ذكريات الغزو والقتال القديم فيمـا بينهم ... فهل تراه يداخلك الريب في اصلهم العربي ؟

انى لم اقصد من هذا لا الى التاريخ ولا الـى الجغرافيا ولا الى الدراسة الاجتماعيه ـ الانسانية وانما هو رجع الذكرى ... فهل وفيت حــــق الذكرى؟ اعرف انى لم افعل !

ليس كل الذى تسطر في قلبي هذا الذى تخط يميني .

■■

الدكتور شاكر مصطفى

---

(١٥) ـ ... المارغاتو ... اصل هذه الكلمه ... الى ... ... لا سيما وان هناك ... تكشف ان اجداد هذه الجماعات التي تسرلفتك الارض قد نوا ... العرب ...

(١٦) ـ السنتور ... كان اليونان يزعمون ... حصان ... الاعلى بشر .

(١٧) ـ ... كالشاى ... ويشرب ... في المشرق العربي ... المغتربين العرب ... لدعايه ...

● حل مسابقة العدد ٢٣٧ ●

	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢	١٣	١٤	١٥
١	ا	ل	ج	ى	ن	ا	ت		ب	ا	ر	و	م	ت	ر
٢	ل	ى	ب	ا	ن	ت	و		ا	ر	ا	د		ج	و
٣	ق	ف	ر		و		ل	ا	ر	و	س		ا	و	ج
٤	ر	ر		م	ى	ر	ا	ب	و		ى	م	ل	ى	
٥	ن	ب	و	غ		م	ه	ن	د	س		ن	ه	د	ا
٦	ى	و		ا	ح	ض		ا		ى	ف	ج	ر		ل
٧	ه	ل	ا	ل		ا	ص	ل	ا	ل	ا	ن	و	ا	ع
٨				ا	ب	ن	ا	ب	ى	ا	ص	ى	ب	ع	ه
٩	ا	ل	ب	ه	و		ف	ى		ن	و	ق		ا	و
١٠	ل	ى	ل		خ	ر	ى	ط	ه		ل		ق	ص	د
١١	ب	ل	و	د	ا	ن		ا	ل	ا	ى	ا	د	ى	
١٢	ى		ر	ر	ر		ب	ر	س	ب	ا	ى		ر	ق
١٣	ا	س		ا	س	ك	ا		ن	ن		ل	ا		د
١٤	ت	ب	ك	ى	ت		ب		ك	و	ل	و	م	ب	و
١٥	ى	ا	ب	ه		ا	ل		ى	س	ت	ل	ه	م	ه

ابن أبي أصيبعة

●

ابن البيطار

اثنتان في واحدة :

(٨) افقيا : ابن أبى أصيبعـة ، ولد فى دمشق ، وتعلم الطب على أبيه ثم فى المارستان الناصرى بالقاهرة • له كتاب « عيون الانباء فى طبقات الاطباء » ذكر فيه مشاهير الاطباء مع أقوالهم ونوادرهم •

(٨) رأسيا ابن البيطار،ولد فى مالقة،وجاب شمال افريقيا لدراسة النبات ، وصار رئيس العشابين فى مصر ، وتوفى بدمشق • له كتاب « الجامع لمفردات الادوية والاغذية » •

الفائزون بالجوائز

الجائزة الاولى ثلاثون دينارا ـ الهادى بن منصورعبد الملك ـ صفاقس / تونس

الجائزة الثانية عشرون دينارا ـ محمد عزت عبدالحافظ المطيرى ـ السلامية / نجع حمادى / مصر

الجائزة الثالثة عشرون دينارا ـ عز الدين بشرىمحمد خير ـ كلية الهندسة / جامعة الخـرطوم / السودان

٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا كل منها خمسة دنانير فاز بها كل من :

١ ـ وفاء محمد احمد العيسى ـ القادسية/الكويت

٢ ـ أحمد عبد الفتاح حسن قاسم ـ حى الاسير حسن / عمان / الاردن

٣ ـ محمد يونس طرقجى ـ حلب / سوريا

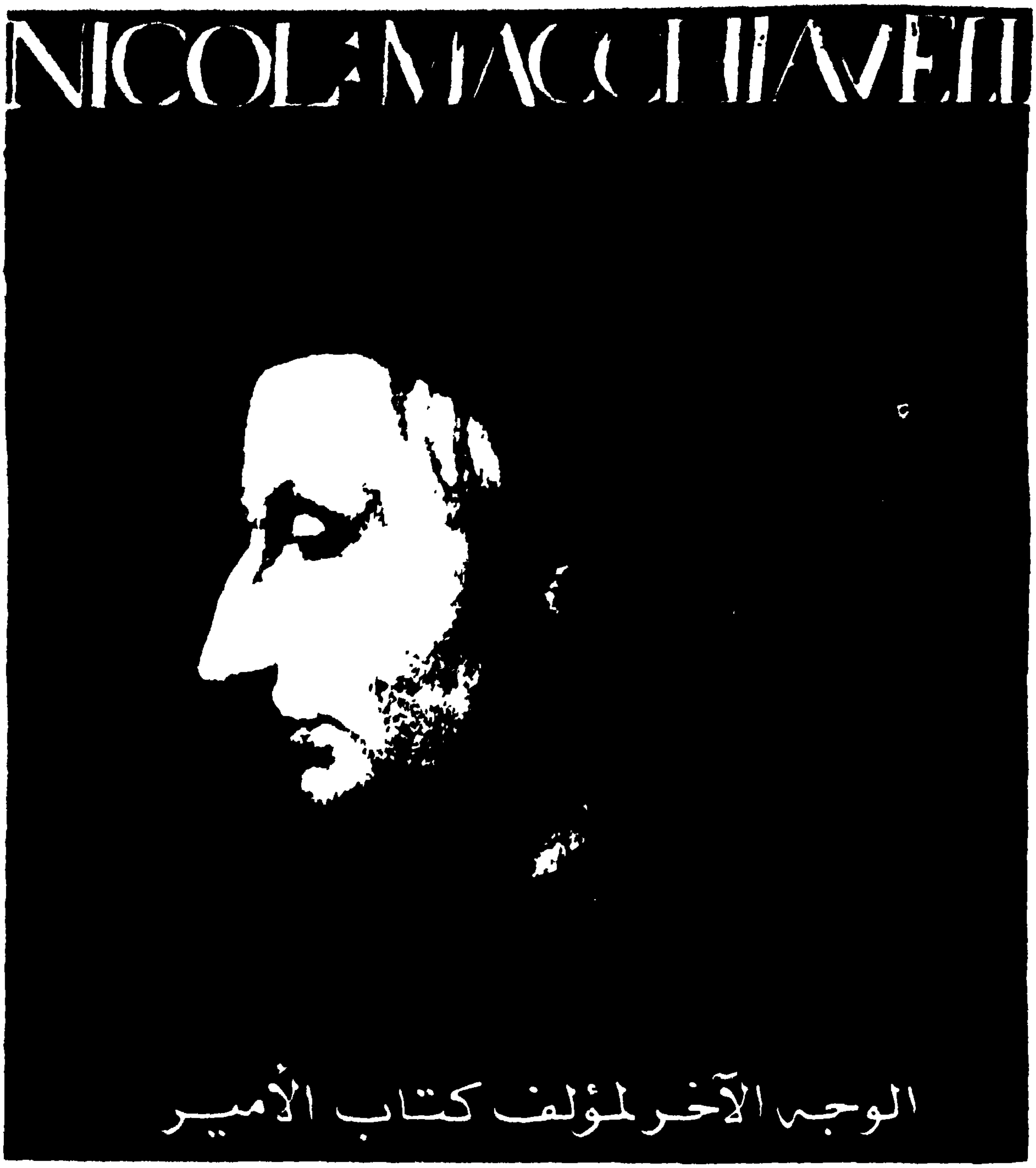
٤ ـ أحمد نجم اسماعيل ـ بنغازى / ليبيا

٥ ـ لطيفةابراهيم سعد الشبعانـ المحرق/البحرين

٦ ـ فريال محمد جلال الدين ـ الخبر / السعودية

٧ ـ نوار محمد حسن ـ الكاظمية / بغداد/العراق

٨ ـ عبد العزيز محمود صالح ـ كانو / نيجيريا



ماكيافلي

مسرحياً ساخراً

بقلم : علي أدهم

يعد الكاتب السياسي الايطالي الفلورنسي نيقولا ماكيافلي (١٤٦٩ ـ ١٥٢٧م) في طليعة المفكرين السياسيين ، العالميين . وقد كان عبقريا متعدد الجوانب ، واسع الخبرة ، نافذ النظرة ، وهو من جهابذة الادب الايطالي . وأصحاب الاساليب الممتازة، والآثار الادبية القيمة الخالدة .

وحياة ماكيافلي يمكن تقسيمها الى ثلاثة أقسام. القسم الاول يبدأ من تاريخ ميلاده الى سنة ١٤٩٤ التى التحق فيها بخدمة الجمهورية الفلورنسية التي تكونت بعد سقوط أسرة المدتشي التي كانت مسيطرة على الحكم في فلورنسا . وقد امتدت خدمته في حكومة الجمهورية حتى ١٥١٢ وهي السنة التي قمعت فيها الحكومة الجمهورية . وعادت أسرة المدتشي الى الحكم . وانتهى معها القسم الثاني من حياة ماكيافلي . وبدأ القسم الثالث الذي انتهى بوفاته . وقد أقالته من وظيفته اسرة المدتشي . وكانت ناقمة عليه لاشتراكه في الحكم الجمهوري . ولنزعته الجمهورية المتأصلة . وقد اظهر ماكيافلي في المدة التي قضاها في خدمة الجمهورية براعة ملحوظة . وكفاية نادرة . وبذل جهودا جبارة مضنية لتوطيد الجمهورية ومعالجة مشكلاتها المستعصية التي تكاثرت في عصره الذي اشتد فيه الخلاف بين العقائد المتناظرة والقوى المتصارعة . وحفل بالدسائس الهدامة . والمؤامرات الدامية . وقد اكتسب ماكيافلي في خلال ذلك خبرة عريضة . وتعرض لتجارب قاسية ولكنها نافعة وحية . واحتك باكثر رجال عصره البارزين من الملوك والوزراء والقادة والزعماء . وتعرف مواقفهم . وسلوكهم . ووقف على الكثير من خفايا نياتهم واسرار حياتهم . وقدر الزعماء الجمهوريون خبرته في العلاقات بين الحكومة الجمهورية والحكومات في داخل شبه الجزيرة الايطالية وفي خارجها . وقد أوفد رسولا الى ملك فرنسا أربع مرات .وارسل الى شيزاربورجيا سنة ١٥٠٢ واتصل بالبابا يوليوس الثاني في روما . كما أوفد الى بلاط الامبراطور ماكسمليان . ولم يكن نظام السفارات الدائمة قد أنشىء . وقد مكنته قوة ملاحظته وعمق تفكيره وسعة ثقافته من تفهم التيارات السياسية والاتجاهات الدبلوماسية .

اتهام بالتآمر

ولم تكتف حكومة أسرة المدتشي بفصله من عمله بل وجهت اليه كذلك تهمة الاشتراك في مؤامرة لتقويض سلطتها . وتدمير مكانتها . وقدم للمحاكمة وأعتقل . وتلقى صنوفا من التعذيب حسب ما كان متبعا في عصره . وأفرج عنه بعد أن ثبتت براءته مما نسب اليه . ولم يجد مندوحة عن مغادرة فلورنسا الى منزله الريفي المتواضع في سان كاسيشياتو القريبة من فلورنسا .

ولم يكن ماكيافلي بحكم مزاجه وتكوين طبيعته من الذين خلقوا ليكونوا شهداء لافكارهم مثل معاصره سافوناولا الذي اثر الموت على الارتداد عن أفكاره واتجاهاته . وكان ماكيافلي يشعر بالألم والضيق لفقدانه السلطة والابتعاد عن متابعة الخدمة الوظيفية . وحاول التقرب من الاسرة المدتشية . ولكنه لم يوفق في ذلك فاضطر الى أن يفرغ للتاليف . وفي هذه المرحلة الثالثة من مراحل حياته كتب المؤلفات التي أذاعت شهرته سواء في السياسة والتاريخ والادب . ووجد من تجاربه وخبراته السياسية والدبلوماسية والاجتماعية ذخيرة ثمينة أحسن الانتفاع بها واستخلاص الحكمة من ثناياها . وكان عقله الناشط يجعله متلهفا على العودة الى خدمة الدولة عن طريق حكومة المدتشي . وقد اهدى كتابه الذي ثار حوله الجدل العنيف والذي اسماه « الامير » الى لورنزو المدتشي . ولكن هذا الامير لم يحفل به . ولم يعن بالاطلاع عليه . « وانتابه الالم وأطبقت عليه الشجون حينما أخفقت مساعيه في التقرب من الاسرة الحاكمة وقرر الانقطاع للتاليف لتهدأ نفسه . وينعم باله .

ومن عجائب المصادفت ان كتاب « الامير » الذي ذاعت شهرته لم يكن معروفا في حياة ماكيافلي . ولم يطبع الا بعد موته بخمسة اعوام . ويقول المؤرخ ارسكين موير في كتابه القيم عن ماكيافلي « لو ان ايطاليا في مطالع القرن السادس عشر سئل عن ماكيافلي لاجاب : تقصد مؤلف « ماندرا جولا » لان معاصريه كانوا .يعرفونه بوصفه مؤلف

هذه المسرحيه المكاهية . وقد كتب ماكيافلي غيرها من المسرحيات ولكنها كانت خير ما كتب من المسرحيات.وقد امتدحها وقدرها كثيرون فقاد محتدمو النزعات . واعتبر فولتير انها خير مما كتبه ارسطو فانير.وقال عنهاماكولي المورخ الناقد البريطاني . انها عمل رجل لو انه وقف نفسه على التاليف الدرامي لارتفع فيه الى اسمى الدرجات ولاحدث تاثيرا باقيا حسنا في الذوق العام .

وقد كتبها ماكيافلي وهو يعاني الم اخفاقه في التقرب من اسرةالمدتشي . وقعدهالامر في استرضاء لورنزو المدتشي باهداء كتاب الامير اليه وتصديره باسمه . ومهما ما يكن من الامر فان هذه المسرحيه تعد في طليعه المسرحيات الكاهية في الادب الايطالي الى اليوم .

« ماندرا جولا »

وتدور مسرحيةماندراجولا حولقصةتاجر فلورنسي ميسور الحال اسمه نيشياس . تزوج زواجا سعيدا بفتاة حسناء طيبة النفس وديعةالاخلاق غير موفورة الذكاء وكان كلاهما يتلهف على الانجاب . وقد كدر عليهما صفو الحياة تعذر ذلك .

وكان يعيش في باريس شاب مرح في الثلاثين من عمره اسمه كاليماكو . وقد نشا في فلورنسا ولكنه قضى عشرين سنة من حياته في باريس . وبلغته الاخبار عنزواج نيشياس كالموكشي وزوجته الحسناء الفاتنة واستقامة اخلاقها. فاشتاق الى رؤيتها . وبادر الى الحضور لفلورنسا . وسرعان ما وقع في شباك حبها . وكان اسمها لوكريزيا . وما عرف عنها من العفاف وحسن السمعة جعله يركز امله على سذاجة زوجها وشدة حرصهما على الانجاب . وكان هناك المدعو ليجوريو . وهو رجل متمرس في الضلال وطلب المال . وكان يغشى منزل كالموكشي من الحين الى الحين . فوعده باعطائه مبلغا من المال اذا شارك في هذه المؤامرة. كان السيد نيشياس يحمل لقب دكتور وله ثقة كبيرة بنفسه . وقد اجاد ماكيافلي في تصوير شخصيته فيمسرحيته.وجعله هدفا لسخريته البارعة وحاول ليجوريو أن يقنع نشياس بان يعمل بنصيحة الاطباء . وياخذ زوجته الى الحمامات . وبذلك يتيح الفرصةلكاليماكو للاجتماع بلوكريزيا والحديث معها . ولكن السيد نيشياس برغم حرصه على الانجاب يرى في الابتعاد عن منزله مغامرة كبرى . ويقول له ليجوريو لقد تعودت النظر الى القبه القريبه من دارك .. فيقول له نيشياس « انك مخطىء في ذلك . لقد كنت كثير التجوال في شبابي ولم اقصر في الذهاب الى السوق . وليس هناك مكان محاط بالاسوار على مقربه من فلورنسا لم اذهب اليه . ولقد زرت بيزا وليغورن وهل رأيت البحر؟ انه اكبر من نهر الارنو »

ويستمر الرأى على ان يطلب ليجوريو نصيحه الاطباء وان يعمد نشياس على اقناع زوجته بالقيام بالرحلة .

وفي الفصل الثالث يستفسر كاليماكو من ليجوريو باهتمام شديد عما تم . ويجيبه ليجوريو ان ان كالموكشي سيذهب الى الحمامات . ولكنه يخشى ان يكون هذا ليس فيه فائدة كبيرة للمحب . ويقول له كاليماكو « اخشى ان تكون على صواب في هذا القول . ولكن ماذا افعل ؟ . واى طريق اسلك ؟ لا بد من المحاولة ولو كانت عظيمة وخطيرة وضارة . والموت خير لي مما اعانيه ولو انى كنت استطيع النوم ليلا او تناول الطعام او الحديث او ان اجد السرور في اى عمل اباشره لاستعنت بالصبر . وسايرت الزمن . ولكن ليس هناك سبيل للشفاء ان لم أجد ما يبعث على الامل . ولما كنت ارى انه لابد له من الموت فانا لا احجم عن شيء . ولا أخشى شيئا . وانى على تمام الاهبة لأتحول الى انسان له قسوة الوحش وضراوته ولا اعف عن ارتكاب الكبائر » .

ويقول له ليجوريو انه قد خطرت له فكرةمجدية، ويعرض عليه انه سيقدمه لنيشياس بوصفه طبيبا . ويوافق كاليماكو على ذلك . وحينما يقدمه ليجوريو لنيشياس يقول لهانه طبيب .وانه قد اهتدى الى دواء يمكن زوجته من ان تنجب له طفلا . ولكن الرجل الذى يقترب منها بعد ان تتناول هذا الدواء يقضي نحبه في مدى ثمانيه ايام . ويسر نيشياس حين يسمع عن هذا الدواء ولكن حينما يذكر له عواقبه الخطيرة يتكدر خاطره. ويتردد في الامر . ويهون عليه ذلك كاليماكو بان يقول له انه يعرف شابا مغامرا جعله حب المخاطرة لايتردد في الاقدام على أى عمل . و يوافق نيشياس على ذلك . ولكن هناك مشكلة اخرى . وهي اقناع

لوكريزيا بقبول هذا العلاج ، فهي صالحة وعفة ، مبرأة من المكر والدهاء ، والتناع والدتها بصواب هذا العلاج قد لا يحملها على الموافقة ، وهي لا تريد ان تكون سببا في وفاة شاب في مقتبل العمر. وقد ادى تمنعها الى الاستعانة بالراهب تيموتيو الذى كانت تفضى اليه لوكريزيا باعترافاتها . ويوفق الراهب في ازالة شكوكها ، وفعالية ترددها في نظير مبلغ من المال ، وتؤكد لها والدتها أنه ليس هناك اية خطيئة في هذه المسالة . وما دام الراهب تيموتيو قد قرر ذلك فان عليها ان تكون مطمئنة البال .

يقول الراهب بعد أن ظفر بنصيبه من المال ، لقد امضيت ساعتين في مراجعة كتبي ووجدت بها الكثير مما يؤيد وجهة نظرنا ، وما دام هناك خير مؤكد وشر يشك في حدوثه فان علينا أن نغتنم الفرصة حتى لا نفقد الخير خشية من وقوع الشر، ويقول الراهب للزوجة « انك ستلدين طفلا ، وتفوزين بنفس تتجه الى الله ، والذى يوجد الخطيئة هو النية لا العمل ،وانت ترتكبين الخطيئة اذا رفضت طاعة زوجك ولم تلبى رغبته ، واذا وافقت فانك تدخلين السرور على نفسه » .

وحينما يخلو الراهب بنفسه ويفكر فيما اقدم عليه يقول لنفسه « ان النصيحة السيئة قد تقود الى المشنقة ، وقد يدفعنا حرصنا على ارضاء الناس الى ارتكاب الخطا ، وقد ياتى الخير من الشر ، وانى اعلم انى لم اقصد الاساءة الى أى انسان » .

ويظهر ماكيافلي كاليماكو في حوار مع نفسه يقول فيه « انك لمجنون ، وستعلم ان اوهامك ستتبدد وتزول ، ويتبع سرورك الندم ، ولكن ما هو اسوأ ما يمكن ان اصل اليه ؟ انى اذا مت فسأذهب الى الجحيم ، ولكن الكثير من الظرفاء المحبوبين قد ماتو ودخلوا النار لتورطهم في الخطيئة ، واذا مت فانى سالحق بهم ، ولكن ما دام الكثير من الظرفاء قد ماتوا ودخلوا النار فلماذا أخشى دخولها ؟ »

وقد كتب ماكيافلي مسرحيته ماندراجولا ليرفه عن نفسه ، وقال في مقدمتها « اذا كانت هذه القصة غير جديرة لتفاهتها بان تكون من تاليف من يريد ان يظهر بمظهر العاقل الذى يلتزم الجدية فالتمسوا له العذر فهو يحاول ان يحول الشو.. حل به الى سرور ، ولا يستطيع ان يتجه بوجهه الى اتجاه آخر مادام لم تتح له الفرصة لاظهار مواهبه، وما دامت اعماله لم يقدرها احد . »

وقد مثلت هذه المسرحية بفلورنسا ، وقوبلت بحماسة شديدة حتى بلغت شهرتها روما ، وطبعت في فلورنسا واعيد طبعها في روما ، وذاعت شهرتها في جميع انحاء ايطاليا .

اجتماع رؤساء الشياطين

وكتب ماكيافلي مسرحية اخرى وهى مسرحية كليزيا ، وهى اقل اصالة من مسرحية ماندرا جولا وقد استمدها من رواية كاسينا التى الفها بلوناس وهى تدور حول أب وابن يقعان في غرام الفتاة كليزيا ، وقد نشات الفتاة في منزل الاسرة كانها احدى بناتها ، واراد الاب نيكوما أن يتخذها زوجة لخادمه بيرو ، وحاول ابنه كاليندرو أن تكون زوجة لتابعه اسناشيو وتساعده في ذلك والدته التى لحظت التغير الذى طرأ على زوجها وعرفت سببه ، ويحدث خلاف بين الزوجة التى ترى ان زواج الخادمة من تابع ابنها اصلح لها لان خادم الابن يعرف عمله ، ويقوم به خير قيام ، وله رصيد من المال ، في حين أن بيرو خادم زوجها يقضى أوقاته في الحانات وعلى موائد القمار ، ويكاد يموت من الجوع ، واخفاق الاب في سعيه يرد له عقله ، وتقول له زوجته « انى لم أحاول ان اجعلك موضوعا للسخرية ، وانما أنت الذى حاولت أن تجعل ابنك موضوعا لها فحدث عكس ما قدرت ، وكيف فكرت في أن تتزوج من فتاة خادمة نشات في منزلك بعد أن يتم عقد قرانها على خادم ؟ أتحسب أنك تعيش بين قوم لا يبصرون ولا يعملون على ابطال مساعيك غير اللائقة ؟ نعم لقد اشتركت في مقاومة أهدافك ، ولم يكن هناك سبيل آخر ليعيدك الى صوابك » .

وقد كتب ماكيافلي روايات اخرى تقترب من ماندراجولا وكيلزيا تجلت فيها قدرته على وصف المواقف الفكاهية الساخرة ، وتصوير الشخصيات التى تنم على أحوال عصره واتجاهاته ومستواه الاخلاقي والثقافي .

وفي طليعة القصص التى كتبها قصة « زواج

رئيس الشياطين بلفاجور - ويروى فيها أن رجلا صالحا تقيا بينما كان يؤدي الصلاة تبدت له رؤيا شاهد فيها عددا من الارواح هابطة الى الجحيم . وكان أكثر هذه الارواح تشكو ما أصابها من الزوجات وانتهى ذلك الشياطين . فعقدوا جلسة جمعت طائفة من رؤسائهم لبحث هذا الموضوع . واتخاذ الاجراء المناسب . وقال زعيمهم انه من العزم الرجوع الى القوانين واستماع اراء الاخرين . ولقد اعتزمت أن استرشد برأيكم وان أعمل بنصيحتكم . ولا تزال الارواح الوافدة على الجحيم يعزو أصحابها سبب ذلك الى زوجاتهم . وأخشى ان ينسب الينا جانب من هذا الاتهام . ويؤخذ علينا عدم الاهتمام بالعدالة . وقدر امراء الشياطين أهمية الموقف . واتفقت اراؤهم على أن يرسلوا احدهم في صورة بشر الى الدنيا ليرى حقيقة هذا الاتهام . ولم يكن أحد منهم راغبا في الاضطلاع بهذه المهمة . وترك الامر للمصادفة . وكان القيام بهذه المهمة من نصيب كبير الشياطين بلفاجور . وبرغم أنه لم يشعر بالارتياح لتوليه القيام بهذا الاختبار فقد تأهب لاحتمال التبعة . واقسم أنه سيتبع الارشادات التي أجمع على اتباعها مجلس الشياطين .

رحلة الى الارض

وقبل ان يترك الجحيم أصر على ان يزود بمائة الف ورقة (نوع من العملة القديمة) لينفق منها على حياته الزوجية في الارض . وخرج محفوفا بحشد من الشياطين بوصفهم خدما واتباعا له . ودخل فلورنسا في احتفال ضخم . وتسمى باسم دون رودريجو . واتخذ له منزلا فخما في حي القديسين . وظهوره بمظهر الثرى الميسور الحال جعل الكثيرين من أشراف المدينة واثريائها يتقربون منه . ويخطبون وده . املين أن يتخذ له زوجة من احدى بناتهم . وتزوج الفتاة هونستا دوناتي . واقام بمناسبة زواجه حفلا غاية في الروعة والجلال . وهبوطه من الجحيم جعله عرضة للاهواء البشرية والميل الى الظهور في المظاهر الاخاذة وكثرة الانفاق في هذا السبيل .

واحب زوجته حبا عارما . ومن سوء حظه انها كانت ميالة الى حب المظاهر وكثرة الانفاق . وكانت لا تتورع عن السخرية به ورميه بأقبح الصفات اذا لم يستجب لطلباتها . وتزايد غرورها واسرافها حتى أصبحت غير محتملة . ولم يطق الخدم البقاء في خدمتها . وحتى الشياطين الذين صحبوه في خروجه من الجحيم هجروه وآثروا العودة الى النار على البقاء في الارض هربا من خدمة هذه السيدة الوقحة . وتمادت في الانفاق حتى اضطر الى الاستدانة من المصارف ليرضي اهواءها . وتكاثر عليه الدائنون حتى رأى الاعتصام بالاقامة مع المزارع مانيو فخبأه عنده في اكوام من القش محجبه عن عيون الدائنين . ووعده بلفاجور بانه سيمنحه القدرة على طرد الشياطين عن النساء مقدرا لجميله . وان هذه القدرة ستدر عليه مالا كثيرا . وعلم ان فتاة في ناحية مجاورة قد تملكها الشيطان . وكان هذا الشيطان هو رودريجو نفسه . واستدعى مانيو لعلاجها . فاخذ يهتف في اذن الفتاة ببعض الكلمات . وتركها الشيطان ليستولي على ابنة ملك نابولي . واستدعى مانيو لطرده . وقد صادف ذلك رودريجو الذي اتخذ طريقه الى ابنة ملك فرنسا .

ولما كانت شهرة مانيو قد ذاعت فقد أرسل ملك فرنسا في طلبه . لشفي الاميرة ابنته . ولم يكن مانيو راغبا في الذهاب استجابة لهذه الدعوة خشية اغضاب رودريجو . ولكنه لم يستطع الامتناع عن الذهاب . ولما كان يعرف أن رودريجو سيرفض هذه المرة الاستجابة لطلبه فقد طلب من الملك اقامة منصة في كاتدرائية نوتردام . ويكون وراءها المحراب وأن يأمر بوقوف مجموعة من الرجال على أحد الجوانب حاملين جميع أنواع الالات الموسيقية مستعدين للعزف . وان يحضر القساوسة والاشراف مرتدين افخر ملابسهم . ويحيطوا بالاميرة . ولما رأى رودريجو ذلك المشهد الفخم استولت عليه الدهشة . وقال لنفسه « ماذا يقصد مانيو من وراء ذلك ؟ أتراه يريد ان يخيفني بحضور هؤلاء القساوسة ؟ ومن المؤكد انه يعرف انني رأيت المواكب الفخمة في السماء . وسمعت مختلف الاصوات في الجحيم . ولن يخيفني ذلك او يعصف بلبي » وعزفت الموسيقى . وارتفعت أصوات

الجماهير . فقال رودريجو لماثيو « ما معنى هذا ؟ فاجابه ماثيو قائلا وهو يهتز ! « ان امرأتك قادمة » فلما سمع رودريجو اسم امرأته فقد صوابه ، ولم ينتظر ليفكر فيما قاله ماثيو وهل هو حق ، وترك الاميرة وابتدر الهرب بقدر ما يسرت له ذلك ساقاه . مؤثرا ان يلقى الهدوء وراحة البال فى الجحيم . على البقاء فى الارض مع زوجته ٠

وقد ادعى بعض الكتاب أن ماكيافلى كان يشير فى هذه الاقصوصة الى علاقته بزوجته . وسوء معاملتها له ، ولكن المؤرخ الثقة فلارى ينفى ذلك . ويقول أن جميع الحقائق تدل على أن ماريتا كانت زوجة صالحة . وأن زوجها كان أحق باللوم منها. وموضوع الاقصوصة ليس من ابتكار ماكيافلى لانه موجود فى اقصوصة « الوزراء الاربعون » وهى فى كتاب تركى ماخوذ من مصادر عربية وقد استمدته المراجع العربية من أصل هندى ، ووصل الى ايطاليا من الشرق . واختاره ماكيافلى لاقصوصته ٠

وقد نظم ماكيافلى الكثير من الشعر ، وبعض قصائده يدل على أنه كان قادرا على نظم جيد الشعر . وله قصائد معروفة فى الادب الايطالى عن الحظ والطموح وانكار الجميل واغتنام الفرص، وشعره بوجه عام يمتاز بقوة التفكير اكثر من امتيازه بقوة الخيال وبراعة التصوير ٠ ■■

على أدهم

عادة ٠٠

❋ يعترف أحد الاشخاص باحتفاظه بعادة شاذة ولكنها مفيدة ٠ فهو يشترى يوميا صحيفة ولكنه دائما ياخدها الى منزله ويضعها فى درج المكتب بدون ان يقرأها ٠ وبعد أسبوع او اسبوعين يتناول الصحيفة ويقرأها ثم يقول لنفسه «حسنا، الحمد لله ان ذلك لايحدث اليوم»٠

مجلة نيويورك

★ ★ ★

منطق

❋ طالب احد المحامين فى المحكمة الهندية العليا بتطبيق القانون الانجليزى على القضية المعروضة امامها ٠ وقد رد احد القضاة قائلا : « كيف لنا ان نطبق القانون الانجليزى فى محكمة هندية ، فالفرق بين القانون الانجليزى والقانون الهندى كبير كالفرق بين البنطلون والازار الذى يرتديه الرجال فى الهند »٠ فاجاب المحامى ولكن سيادتكم تعلمون ان المبدأ الاساسى فى القانونين واحد ٠

راش ميكانت

اعداد : يوسف زعبلاوى

ملح الطعام وارتفاع ضغط الدم

● تضاعف الاهتمام مؤخرا بارتفاع ضغط الدم ومضاعفاته .. لا فى الولايات المتحدة فحسب انظر العدد ٢٢٨ وانما فى مختلف الدول المتقدمة ايضا .. لا عجب اذن ان اتخذت منظمة الصحة العالمية من العبارة التالية : « حذار من ارتفاع ضغط الدم » .. شعارا ليوم الصحة العالمى الذى اقامته فى شهر ابريل الماضى ..

وتجدر الاشارة الى ان ضغط الدم بات من اسباب الوفاة الرئيسية فى اقطار عديدة مختلفة .. فهو يحتل المرتبة الثالثة بين تلك الاسباب فى بريطانيا وسائر دول اوربا الغربية .. ولكنه يتصدر اسباب الوفاة فى اليابان دون استثناء .

ويؤكد الخبراء الصلة الوثيقة بين ارتفاع ضغط الدم وبين مقدار ما يتناول المرء من ملح الطعام . فمع ان كمية الملح التى يحتاجها جسم الانسان لا تزيد على ٧ ـ ١٠ جرامات بالمتوسط يوميا . وتتضاعف الى ١٥ ـ ٢٠ جراما فى الحالات التى يتضاعف فيها التعرق . فقد بلغ مقدار ما يتناوله المرء من ملح الطعام فى بريطانيا ودول اوروبية اخرى ١٥ جراما بالمتوسط يوميا . وقفز حتى بلغ ٣٥ ـ ٤٥ جراما فى اليابان ...

ومما يلفت النظر ان جموع اليابانيين الذين يعيشون فى دول الغرب لا يعانون من ارتفاع ضغط الدم بقدر اليابانيين المقيمين .. ذلك ان المغتربين لا يلبثون ان يجاروا اهل الغرب فى ماكلهم ومشربهم وفيما يتناولون من ملح الطعام ..

ولعل اخطر ما يذكر عن ارتفاع ضغط الدم انه كثيرا ما ياخذ صاحبه على حين غرة . وقد يفاجئه وقد بلغ حدا من التفاقم لا يجدى معه علاج .. من ثم كانت الضرورة تقضى بقياس ضغط الدم على نحو متواصل منتظم .

نبات كندى يبشر بالشفاء من الانزلاق الغضروفى

● من المعروف ان الانزلاق الغضروفى (Slipped Disc) غالبا ما يتعذر علاجه بالعقاقير ويستوجب الجراحة .. هذا ما تعارف عليه الناس واجمع عليه الاطباء فى مشارق الارض ومغاربها .. باستثناء بلد واحد على الاقل .. هو كندا .. فقد اكتشفوا فيها نباتا اسمه البيبايا Papaya واكتشفوا قدرة هذا النبات العجيبة على الشفاء من الانزلاق الغضروفى والقضاء على آلامه بلا جراحة ..



ويتم العلاج بالبيبايا فى كندا حقنا بعصارته ، وذلك على يد الاطباء المسؤولين فى المستشفيات والمراكز الطبية الحكومية .. ولا يحتاج العلاج الى اكثر من يومين يقضيهما المريض فى المستشفى عقب الحقن . لا عجب اذن ان كان



الكثيرون ممن يتناولون هذه العقار هم من رعايا الولايات المتحدة الامريكية .. فضلا عن الكنديين بالذات..بل ان الكثيرين من الاطباء الامريكيين يحولون مرضاهم الى اطباء كندا ومستشفياتها لمعالجة الانزلاق الغضروفي بعصارة البابايا ..

ومن طريف ما يذكر هنا ان الدكتور هوارد بتس نوبل Dr Howard Bates Noble وهو أحد كبار جراحي شيكاغو المختصين بعمليات الانزلاق الغضروفي . كان في وقت مضى من بين المصابين بهذه الافة اللعينة .. وكان عليه ان يختار بين علاجها بالجراحة وعلاجها بعصارة البابايا .. واختار الجراح البابايا .. وتوجه الى مستشفى ولزلي Wellesley Hospital في تورنتو (في كندا) حيث تولى الدكتور ايان مكناب Dr Ian Macnab حقنة بالعصارة العجيبة ... ومنذ ذلك الحين (اواسط السنه الماضية) والدكتور بتس لايشعر بشيء من المضايقات واوجاع الظهر التي ترافق الانزلاق الغضروفي .. لقد شفي الدكتور بتس من الافة اللعينة وذلك باعترافه هو . وهو أجدر من يؤخذ برأيه في مثل هذه الحالات .

ومنذ ذلك الحين والدكتور بتس يحول مرضاه الذين يعانون من آلام الظهر ..الى كندا ، للمعالجة بعصارة البابايا .. ويقدرون جموع الامريكيين الذين يعبرون الحدود الى كندا للعلاج بعصارة البابايا بالمئات .. ان لم نقل بالالاف.

شركات التبغ العملاقة

● قطعت دول الغرب شوطا كبيرا في الكشف عن مضار التدخين ومخاطره . وعن الصله المباشرة بينه وبين بعض امراض القلب والسرطان . واثبتت الدراسات العلمية الاخيرة فيما البتت ، ان محتويات التبغ من القطران والنكوتين .وخاصة القطران .هي التي تسبب تلك الامراض .. من ثم كانت القوانين التي تحدد نسبة عليا لتلك المحتويات .وتنص على وجوب عدم تخطي هذه النسبة. ومعنى هذا تخفيض للنسبه الطبيعية التي يحتويها التبغ من النكوتين والقطران ، ومعناه ايضا مزيد من تكاليف انتاج السجاير نظرا للنفقات الاضافية التي يستوجبها التخفيض .. بل قل الاساليب والمواد الكيماوية التي لاغنى عنها لتحقيق ذلك التخفيض .. والزيادة في نفقات الانتاج معناها نقصان في الارباح الصافية ..

ورافق ذلك النقصان هبوط في مبيعات السجاير تبعا للحملات التي قامت بها صحف الغرب وعممت فيها ما أثبتته الدراسات العلمية السالفة الذكر .. وهكذا اصبح خطر التدخين على صحة الانسان وعلى حياته امرا مفروغا منه ومسلما به في الدول المتقدمه .. واصبح بالتالي رادعا

تلقائيا ضد التدخين .

على ان شركات التبغ الكبرى. وهي شركات عملاقة كما لا يخفى. اتجهت الى الدول المتخلفة .. دول العالم الثالث. وقد كسدت سجايرها وقلت ارباحها في اسواق الدول المتقدمة .. اى انها استغلت جهل الدول المتخلفة لمخاطر التدخين الحقيقية التي تمخضت عنها دراسات الغرب العلمية .. واستغلت ايضا عدم وجود اى قانون يحدد نسبة القطران او النكوتين في السجائر المستوردة. وانطلقت تصدر سجايرها الى اسواق الدول المتخلفة بكامل محتوياتها الطبيعية من النكوتين والقطران .. غير عابئة بما يترتب على ذلك من مخاطر واضرار . ومطمئنة كل الاطمئنان الى النتائج مادامت الدول المتخلفة تفتقر الى وعي الدول المتقدمة وقوانينها .

ولعلك تتساءل بعد هذا كيف عرفنا ما عرفنا ونحن جزء لا يتجزأ من الدول المتخلفة .. عرفناه من تقرير صدر في الدول المتقدمة .وفي بريطانيا بالذات. دفاعا عن الدول المتخلفة وفضح فيه واضموه شركات التبغ. العملاقة واساليب استغلالها لاسواق الدول المتخلفة وعنوان التقرير هو :« داء الغد/التبغ والعالم الثالث ، وهو من منشورات عرفت بعنوان «العرس على العاجة ..» وقد وضعه مايك مولر .. واضع التقرير الاسبق الذي نشره سنة ١٩٧٤ بعنوان « مبيدات الاطفال ..»



سويسرا
تسهم في رفع معنويات المقعدين

● المقعدون والمصابون بالكساح والشلل النصفي وما الى ذلك من امراض كانوا ومازالوا بحاجة الى مزيد من الاهتمام من جانب الصناعة والتكنولوجيا.

لذلك كان الكرسي الحديث الذى صمموه خصيصا للمقعدين موضع ترحيب كبير .

أما مصممو الكرسي فمركز في بازل بسويسرا Paraplegic Centre وهي الهيئة الرسمية التي تعنى بالمقعدين من الناحية الطبية بخاصة .. وأما صانعوه فشركة فالوتي Valutec في اوسترزوريغ في سويسرا وقد تعاونت هذه الشركة والمركز السالف الذكر في تصميم الكرسي فضلا عن صنعه .

ويمتاز هذا الكرسي الذي سموه كرسي ليفو المتحرك Levo Wheel Chair . بقدرته الكبيرة على التكيف .. فالمقعد يستطيع النهوض والوقوف بواسطته وقضاء حاجته بنفسه .. على نحو ما ترى في الصورة .. ومن شان ذلك ان يحد من فقدان العظام كلسها ويخفف ما يسببه الضغط من تقرحات . ومن شانه ايضا ان يساعد على التفريغ للمثانة وينشط الدورة الدموية .كثيرا او قليلا .

أضف الى ذلك الفائدة السيكولوجية .. فالقدرة على الحركة وقضاء الحاجة بقدر كبير من الاستقلال يرفع من معنويات المقعدين ويقضي على الشعور بانهم عالة على غيرهم ولا خير يرجى منهم . ■■

في الكويت

بقلم : الفاروق عبد العزيز

في ٣٠ يونيو عام ١٩٤٦ ادار المغفور له المرحوم الشيخ احمد الجابر الصباح حاكم الكويت الراحل دولابا فضيا معلنا تحميل ناقلة البترول الانجليـزية « بريتيش فيروزيلير » باول شحنة من نفط الكويت . كان يوما مشهودا وتاريخيا . فهاهي ذى اعوام التعب والكدح قد شارفت علـى الانتهاء وهاهي ذى الجهود المعروفـة للبحث عن مصدر جديد للثروة منذ نهاية العشرينات قد تكللت اخيرا بالنجاح .

في هذا اليوم التاريخي بدا ان أيام الغوص والجفاف قد ولت الى غير رجعة . فالزمان لن يعود شحيحا . وبدا ان هذه الايام قد تلاشت واندثرت مع ظلال الماضي الرومانسيه القديمـه القاسيه .

على مقربة من شيخ الكويت الراحل كانت تقف وحدة سينمائية انجليزيه مكونة من مصور ومسجل صوت ومساعد . كانت الوحده قد استـقدمت بواسطه شركة نفط الكويت لتسجيل هذه اللحظة التاريخية ليولد اول فيلم تسجيلى حقيقي في تاريخ الكويت الحديثة : « النفط في الكويت » .

وكما هو الحال في معظم البلدان التي يبدا النشاط السينمائي فيها دون وجود تراث سينمائى فقد انطلق هذا النشاط في حضن شركة كبرى كشركة نفط الكويت التي تبنت تسجيل الاحداث الهامه سواء في حقل عملها او في الكويت بشكل عام . والسمة المشتركة الثانية ـ مع بلدان العالم الثالث عموما ـ هي ان الانطلاقة قد بدات بالفيلم التسجيلي . ورغم ان الفيلم التسجيلي الوثائقي يعتبر في الواقع فيلما بلا جمهور عريض الا انه ـ في الواقع ايضا ـ يمثل معمل الصقل الحقيقي للسينمائي . وقد استطاعت الشركة ان تنتج قرابه العشرين فيلما حاولت من خلالها ان تستشرف آفاق الحياة في الكويت . والمثير في هذه الافلا-



المغفور له الشيخ احمد الجابر يدير دولابا فضيا معلنا تصدير اول شحنة من نفط الكويت

انها لم تتوقف عند تسجيل عمليات الشركة المختلفة كبناء الجزيرة الاصطناعية او انشاء مشروع المطار ولكنها تعدت ذلك الى تسجيل مناحي الحياة المختلفة في الكويت مما اسهم في وضع التطور الذي حققته الشركة في اطاره الاوسع الذي يشمل الكويت ككل .

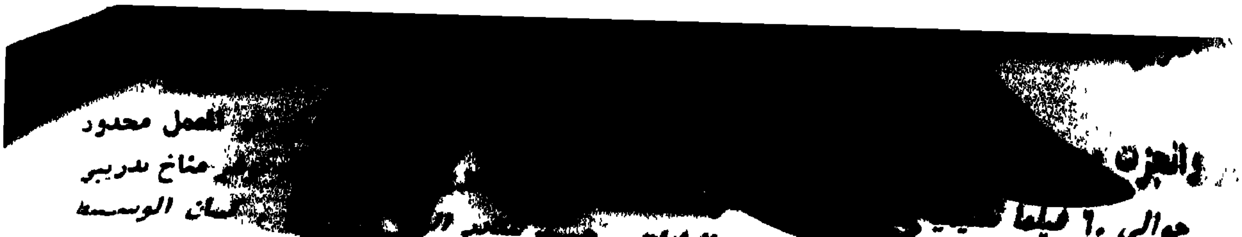
بيد ان اول فيلم صور في الكويت كان قد قام به سائح عابر يدعى الن فلرد وذلك في عام ١٩٣٢ . كان قد صور قطاعا من ساحل الكويت وبه بعض سفن الغوص والتجارة التقليدية (البوم والبوم والسنبوك والبطله) كما كان يسميها اهل الكويت القدامى ، قبل ان تبحر في طريقها الى الهند .

وكان نادي الكويت للسينما قد عرض في ١٥ ابريل الماضي اول فيلم وثائقي كويتي طويل قام بتصويره اول هواة التصوير في الكويت وهو محمد حسن قبارد . وقد اطلق قبارد على فيلمه اسم « الكويت بين الامس واليوم » واستعان فيه ببعض لقطات فيلم او اخرى ارشيفية للكويت في الثلاثينات مما احتفظت به شركة نفط الكويت .

ومن خلال الحوارين المعرضين الثلاثينات وكويت ما بعد النفط امكن للمشاهد ان يحدد بعد القيمة الفعلية لهذه الحقبة التاريخية المعاصرة .

وكان قبارد (المولود في عام ١٩١٨) قد ثقف نفسه بنفسه في مجال الكاميرا السينمائية التي حصل عليها من البحرين في عام ١٩٤٨ ، ويذكر قبارد ان ثمة افلاما كانت تعرض في زمن المرحوم الشيخ احمد الجابر الذي شاهد جزءا من فيلم قبارد واعجب به كتسجيل حي للتطور في هذه الفترة ويمثل الفيلم في مجموعه دعوة حميمة للعودة الى الماضي منبها الى ضرورة الاستمساك بقيمه وعاداته الاصيلة برغم التطور السريع الذي طرأ على البلاد خلال الثلاثين عاما الاخيرة .

غير ان النظرة الرسمية الى دور الوسيط السينمائي قد بدأت خلال العقد الخامس تتبلور في شكل اجهزة معنية بالانتاج السينمائي . وكان طبيعيا ان يظل الاهتمام الحكومي مقصورا على افلام الوزارات والافلام الرسمية . فقد انشأت دائرة المعارف (وزارة التربية الان) قسما للسينما



والجزء ... حوالي ٦٠ فيلما ... و « مشاهد من الكويت » وافلاما اخرى عن العادات الصحيه . وبين عامي ١٩٥٩ و ١٩٦١ قامت وزاره

الشئون الاجتماعيه والعمل بانتاج بعض الافلام الثقافيه عن « تقاليد الزواج » و (الغوص) اضافه الى الجريده الناطقه (عددان في الاسبوع) وقد تحملت وزاره الاعلام بهاتين المهمتين الرسميتين

وذلك بعد انتقال مسؤولية الانتاج السينمائي لها. ولعل ابرز انتاج لها في هذه الفتره هو فيلم « اليوم المشهود » عن يوم عيد الاستقلال الاول في عام ١٩٦٢ .

هذا عن الانتاج . اما على صعيد العرض فقد تأسست شركه السينما الوطنيه الكويتيه في الخامس من اكتوبر عام ١٩٥٤ لتقوم بانشاء دور العرض التي بدأتها بافتتاح السينما الشرقيه في عام ١٩٥٥ الى ان اكتمل لها بافتتاح دار سينما الصليبيخات في عام ١٩٧٨ اثنتي عشره دارا بالكويت.

وتستورد الشركه بالدرجه الاولى افلاما تحقق واذواق المشاهدين في الكويت . وكان من اثر ذلك ان تعاظم عدد المشاهدين ـ خاصه مع افتقاد الكثير من وسائل الترفيه في البلاد ـ وتعاظم بالتالي تاثير الفن السينمائي في المنطقه .

مع عام ١٩٦١ بدأ التلفزيون انتاجه السينمائي وقد آلت اليه اقسام الانتاج بالوزارات الاخرى كان هذا طبيعيا خاصه وان كادرا فنيا كان قد بدأ تكوينه في معمل التلفزيون . وكان طبيعيا

... العمل محدود ... مناخ تدريبي ... الوسط ... السينمائي من خلال دور العروض والتلفزيون وحركه الشغف السينمائي التي كانت ... في العقد الخامس) في مناطق الكويت ... المركز الثقافي العمالي والمركز الثقافي النسوي ومركز تدريب الشباب ومراكز ... الاساسيه ودار الرعايه في حولي ـ كان الوسط من خلال هذا كله قد اكد سلطته ونفوذه . ولكن دراسه واحدة لم تتناول الكم والكيف فيما يتعلق بعلاقه المشاهد بهذا الوسيط وما يعرض عليه من خلاله.

غير ان حركه التلفزيون قد اثمرت في نهايه الستينات في تحقيق تحول كبير تحسب حسابه . فمن ايام الغوص ـ التي ولت الى غير رجعه ـ جاء اول فيلم كويتي طويل « بس يا بحر » للمخرج خالد الصديق الذى صنع اول افلامه القصيره « الصقر » (١٩٦٣) في معمل التلفزيون .

وقد جاء الفيلم مفاجاه لكل من شاهده في عام ١٩٧١ . اول فيلم طويل من بلد ليس به تراث سينمائي سابق . ولم تكن المفاجاه مقصوره فقط على كونه اول عمل لمخرجه الشاب ولكن للاسلوب المميز الذى مزج فيه بين الرومانسيه والواقعيه من خلال قصه حب مستحيل في بيئه قاسيه قسوه البحر والحياه . لقد خرجت الصحف المحليه والعربيه وبعض الصحف الاجنبيه تمدح الفيلم وتعتبره « نقطه ضوء في ليل السينما العربيه » . افاد التدريب او معمل الفيلم التسجيلي صاحب

من الانتاج السوداني الكويتي المشترك « عرس الزين »

من « عرس الزين » ثاني الافلام الطويلة للمخرج الكويتي خالد الصديق .







مقهى كويتي قديم

الذى مزج كما استطعت بين الرؤيه التسجيليه للواقع وبين الامكانيات التعبيريه المصوريه الهائله لهذا الواقع .

ولكن الفيلم لم يحقق تيارا . وبرغم ان خالد الصديق عاد في عام ١٩٧٧ ليقدم « عرس الزين » (عن قصة الطيب صالح) انتاجا مشتركا مع السودان الا ان المشكله ظلت قائمه ومحمله بمجموعه من التساؤلات . لماذا لم ينبثق التيار كما كان متوقعا ؟

قبل ان انتقل للجزء الثاني من هذا المقال ومحتمما العرض التسجيلي لتجربه السينما في الكويت اود ان اشير الى مولد حدث سينمائي هام في المنطقه وهوانشاء نادى الكويت للسينما في ١٤ مايو ١٩٧٦ . ويستمد هذا الحدث اهميته من حقيقه ان كافه التيارات والحركات السينمائيه قد ولدت في حضن نوادى السينما منذ انشائها لاول مره في عام ١٩٢٢ في باريس . فالموجه الجديده الفرنسيه والسينمانوفو البرازيليه والسينما الجديده المصريه قد خرجت جميعها من عباءه النوادى التي توفر العروض الجيده والمناقشات المستفيضه حولها ، بالاضافه الى النشرات التثقيفيه التي ترافق العروض .

ولم تكن تجربه نادى الكويت للسينما سهله . فقد قام النادى في بلد ليس له تراث سينمائي من اى نوع . بالاضافه الى ندره مصادر الحصول على الافلام الجيده . ولكن عروضه التي تجاوزت

من فيلم « الصقر » لبدر المضف (انتاج التلفزيون ١٩٧٣)



في مجملها المائة فيلم علاوة على الندوات التي اقامها قد اسهمت الى حد ما في تحريك التربة السينمائية في الكويت وفتح المجال امام هواة هذا الفن في اول تجمع سينمائي كويتي .

المستقبل

انطلاقا من هذا العرض السريع لواقع الوسط السينمائي في الكويت سنحاول ان نسير نحو المستقبل . وبالطبع فان الحديث عن المستقبل ليس حديث نبوءة بحال . ولكننا سنحاول قراءة الواقع مرة اخرى لوضع تصور ما عن مستقبل هذا الفن .

من الثابت حتى الان ان الانتاج السينمائي في الكويت مازال بانتظار المبادرة الفردية ومن الفنان. ومن الطبيعي ان يحجم الممول عن استثمار امواله في هذا الميدان خاصة مع عقبات التوزيع التي تبرز في مقدمتها صعوبة متابعة اللهجة المحلية عند عرض الفيلم في معظم البلدان العربية الاخرى وهذه مشكلة عامة ليس من شان الممول الفردي حلها . كما ان عزم الفنان على مواصلة السير في هذه الطريق الشاقة يخور امام عجز المنتج عن تحقيق احلامه . وهنا يمضي طرفا معادلة المال ـ الفن كل في طريق .

من هنا يكون تدخل الدولة حتميا لتشجيع هذا الفن الذي هو مرآة عاكسة حقيقية لصورة الواقع. في الماضي والحاضر ورؤية تنبؤية للمستقبل .



محمد حسين قبازرد: أول هواة التصوير الكويتيين .



صناعة السفن كما بدت في فيلم « الكويت بين الامس واليوم »

وتشجيع الدولة لايعني الا المبادرة بالدخول كطرف في العملية الانتاجية انطلاقا من ادراكها للطاقة التعبيرية الهائلة التي يحملها هذا الفن عن التراث والتاريخ الوطني والشعبي لاى شعب .

كما ان خريجي معاهد السينما من الطلبة الكويتيين يعودون الى الوطن باعداد متزايدة راغبين في التعبير عن الهوية القومية لبلادهم من خلال السينما . وهذا بدوره يسهم في حل مشكلة الكوادر الفنية المطلوبة لعملية الانتاج .

ويبدو ان مستقبل الفن السينمائي في الكويت مرهون ـ في تقديري ـ بالتعاون اللازم تحقيقه بين كافة هذه العناصر ـ الدولة ـ التلفزيون ـ نادي السينما ـ شركة السينما ـ الفنان ـ لوضع صورة واقعية عن امكانياته التطورية .

في الافق تلوح بوادر التطور . فالارض ماتزال خصبة قابلة له . وكل ما هنالك هو ان نبدأ استثماره الان .. وغدا . ■■

الفاروق عبدالعزيز

مقالات وكلمات

■ الموسيقى مع وجبة الغداء تعتبر بمثابة اهانة لكل من الطاهى وعازف القيثار ·

تشيسترتون

■ كلمتا الراحة والقناعة هما أقدم علاج عرفه الرجل ·

لويس نايزر

■ خير عمل تقوم به لاكرام وفادة ضيفك هو أن تلوذ بالصمت ·

انجى باباديكس

■ ما يعتبره معظم الاشخاص فضيلة بعد سن الاربعين ، هو بساطة بمثابة فقدان الحيوية والنشاط ·

فولتير

■ الذكرى السنوية للزواج هى بمثابة احتفال للحب ، والثقة ، والشراكة ، والتساهل ، الترابط ولكن هذا الترتيب يختلف من سنة لاخرى ·

فرانك كلارك

■ الاخلاص كالتوابل ، فالاكثار منها يسبب لك نفورا ، والتقليل منها يجعلك بحاجة اليها ·

بل كوبلاند

■ الشعور بالمسئولية من الاهداف السامية التى يجب ان يتوخاها كل فرد ·

كلودى ماكدونالد

■ كثيرا ما نخفق فى اشياء عديدة كالحب ، والنوم والتصرف غير المتكلف ، عندما نحاول ان نقوم بها بدون رغبة ·

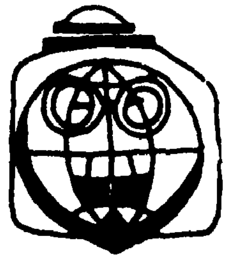
وليام هازلت

■ لا تبحث عن جميع المميزات فى شخص ما وانما عن احسنها ·

كونفوشيوس

■ التصميم كالبالون فتارة يحملك الى مكان مرتفع جدا بحيث تتردد فى السماح بالخروج منه ·

لين اوليننغ هاوس



طرائف عربية

حجة

● قيل ان رجلا شهد عند سوار بن عبد الله القاضي فقال له : « ما صناعتك ؟ » قال : « انا مؤدب صبيان » قال : « انا لا نجيز شهادة مؤدب الصبيان » ! قال : « لم؟ قال : « لانك تاخذ على تعليم القران اجرا » . قال « وانت تاخذ على القضاء بين المسلمين اجرا » . قال سوار : « انى اكرهت على القضاء » . فقال الرجل : « يا هذا ، هب انك اكرهت على القضاء فهل اكرهت على اخذ المال ؟ » فسكت سوار ، ثم قال : « هات شهادتك » . واجازها .

من ادبك ؟

● قيل لرجل من ادبك ؟ قال : نفسي فقيل له وكيف ذلك ؟
قال : كنت اذ استقبحت شيئا من غيرى اجتنبته .

احمقان وأحمق

● حكى ان احمقين اصطحبا فى طريق فقال احدهما للاخر « تعال نتمن على الله فان الطريق تقطع بالحديث » فقال الاول « انا اتمنى ان يهبنى الله قطعان غنم ، انتفع بلبنها

يطلق زوجته ببيت شعر

● قال دعبل بن على الخزاعى : « اجتمعنا ثلاثة من الشعراء فى قرية ذات بساتين واشجار وارفة الظلال ، تسمى طهياثا فتنادمنا وشربنا يومنا كله ثم قلنا : ليقل كل شاعر منا بيتا من الشعر فى وصف يومنا هذا ، وفرحتنا تلك فقال اولنا :

نلنا لذيذ العيش فى طهياثا

فاجابه الثانى :

لما حثثنا القدحا ثلاثا

فارتج على الثالث واعجلناه فجاء على لسانه قوله :

وامراتى طالقة ثلاثا

ثم اخذ يبكى وينتحب على تطليقه لزوجته، وقعدنا نضحك منه ونتعجب مما اتفق . »

من العراق

● بلغ عبد الملك بن مروان اضطراب اهل العراق ، فجمع اهل بيته واولى النجدة من جنده ، وقال : « ايها الناس ان العراق قد شح ماؤها ،واملولح عذبها، وعظم خطبها، وظهر ضرامها ، وعسر اخماد نيرانها ، فهل من ممهد لهم بسيف قاطع ، وذهن جامع ،وقلب ذكى ، وانف حمى ، فيخمد نيرانها ،ويروع غيلانها،وينصف مظلومها ، ويداوى الجرح حتى يندمل ، فتصفو البلاد وتامن العباد ، فسكت القوم ولم يتكلم احد . فقام الحجاج وقال : « انا للعراق يا امير المؤمنين » فقال لـه عبد الملك : « ومن انت لله ابوك ؟ » فقال : « انا الحجاج ابن سيف » قال : « اجلس لا ام لك ، فلست هناك » . ثم كرر القول ثلاثا فسكت القوم الا الحجاج ، فانه كان يقف فى كل مرة ، ويقول « انا للعراق يا امير المؤمنين » . فقال عبد الملك بن مروان : « اظنك صاحبها ، والظافر بها ، وان لكل شىء يا حجاج آية وعلامة، فما آيتك وعلامتك ؟ » فقال الحجاج : « العقوبة والعفو ، والتقتير والبسط ، والازورار والادناء ، فمن جادلنى قطعته، ومن نازعنى قصمته ، ومن خالفنى نزعته ، ومن دنا منى

ولعمها وصوفها» ، اما الثانى فقال : « اما انا فاننى اتمنى قطعان ذئاب ارسلها على غنمك حتى لاتترك منها شيئا » قال : « ويحك اهذا من حق الصحبة وحرمة العشرة » ؟ ثم انهما تصايحا وتخاصما ، واشتدت الخصومة بينهما حتى تماسكا بالاطواق ، ثم تراضيا على ان يحكم بينهما اول من يطلع عليهما فى الطريق ، وما هى الا ساعة حتى طلع عليهما شيخ بحمار عليه زقان من عسل ، فحدثاه بحديثهما فاخذ الشيخ الزقين وفتحهما حتى سال العسل على التراب ثم قال : « صب الله دمى مثل هذا العسل ان لم تكونا احمقين»

اكرمته ، ومن طلب الامان اعطيته ، ومن سارع الى الطاعة بجلته ، فهذه آيتى وعلامتى ، وما عليك يا امير المؤمنين الا ان تبلونى والا فلتستبدل بى فان الناس كثير ، ولكن من يقوم بهذا الامر قليل » .

فقال عبد الملك : « انها لك فما تحتاج اليه ؟ » قال : « قليل من الجند والمال » . فدعا عبد الملك صاحب جنده فقال : « هيىء له من الجند شهوته والزمهم طاعته وحذرهم مخالفته » .

ثم دعا الخازن فامره بمثل ذلك فخرج الحجاج قاصدا نحو العراق .

اعرابية ذكية

● قيل ان المامون ركب للصيد ، ومعه سرية من العسكر ، فبينما هو سائر اذ لاحت له طريدة ، فاطلق عنان جواده وكان على سابق من الخيل ، فاشرف على نهر ماء من الفرات ، فاذا هو بجارية عربية جميلة ، وبيدها قربة قد ملاتها وحملتها على كتفها ، وصعدت من حافة النهر ، فانحل وكاؤها ، فصاحت برفيع صوتها : « يا ابت ادرك فاها ، قد غلبنى فوها ، لا طاقة لى بفيها » . فعجب المامون من فصاحتها ، ثم دنا منها وقال :« يا جارية من اى العرب انت ؟ » قالت : « انا من بنى كلاب » فقال : « وما الذى حملك ان تكونى من الكلاب »فقالت : « والله لست من الكلاب ، وانما انا من قوم كرام غير لئام ، يقرون الضيف ، ويضربون بالسيف » . ثم قالت للمامون : « يا فتى ، من اى الناس انت ؟ » فقال :« او عندك علم بالانساب يا امة الله ؟ » قالت : « نعم ياعبد الله » قال: « انا من مضر الحمراء » قالت : « من اى مضر ؟ » قال : « من اكرمها نسبا ، واعظمها حسبا ،وخيرها اما وابا ، ممن تهابه مضر كلها » قالت « اظنك من كنانة » قال : « انا من كنانة » قالت : « فمن اى كنانة ؟ »قال : « من اكرمها مولدا ، واشرفها محتدا ، واطولها فى المكرمات يدا ، ممن تهابه كنانة وتخافه » . فقالت : « اذن انت من قريش » قال : « انا من قريش » . قالت « من اى قريش ؟ » قال : « من اجملها ذكرا ، واعظمها فخرا ، ممن تهابه قريش كلها وتخشاه » . قالت : « انت والله من بنى هاشم » . قال : « انا من بنى هاشم » قالت : « من اى هاشم ؟ » قال : « من اعلاها منزلة ، واشرفها قبيلة ، ممن تهابه هاشم وتخافه » .

عند ذلك قبلت الارض وقالت:« السلام عليك يا امير المؤمنين ورحمة الله وبركاته» . فعجب المامون من ذلك ، وقال : « لاتزوجن بهذه الجارية ، لانها من اكبر الغنائم »

وانتظر حتى تلاحقته العساكر فنزل هناك ، وارسل خلف ابيها ، وخطبها منه ،فزوجه بها ، واخذها ، وعاد مسر ... .

في
نظافة طفلها الرضيع

بقلم : الدكتور محمد صادق زلزلة

■ يعيش الوليد في بطن أمه ـ قبيل الولادة ـ امنا مطمئنا في « عالم » نظيف ، طاهر ، نقي ، حال من الجراثيم ومسببات امرض الاخرى • يأتيه رزقه رغدا بواسطة « الحبل السرى » ، فلا يحتاج الى رضاع قد يدخل الى جوفه ـ معه ـ بعض الجراثيم فتصيبه بالالتهابات والآفات • ويتنفس ـ كذلك ـ بواسطة دمه فلا يحتاج الى رئتيه وما قد يدخل اليها من جراثيم وغيرها •• وغير ذلك من اعمال غريزية (فسيولوجية) اخرى • فهو قد كان في غنى عن ذلك كله •

وعندما يطلق الوليد صرخته الاولى ـ عند ولادته ـ يكون وكانه يعلم انه قد فارق مأمنه الى عالم آخر ، يعيش فيه بعيدا عن امان «الرحم» ••عالم شرير مملوء بأعداء يتربصون به الدوائر• ومن اولئك الاعداء : جهل بعض الامهات اللائي يسئن له من حيث يردن نفعه ، وتقلبات الجو ـ من صروف الحر والبرد ـ وما فيها من اذى ، وقلة الغذاء ، أو سوء استعماله له •• ونحو ذلك • ولكن اكثر الاعداء تربصا به ، واعظمهم خطرا عليه ، وأشدهم أذى له ـ على الاطلاق ـ هي : الجراثيم • واشد الاعداء للجراثيم ، واعظمها خطرا عليها ـ على الاطلاق ايضا ـ هي : النظافة• فالنظافة ركن هام من اركان الحفاظ على صحة الطفل وهنائه ، ونموه نموا طبيعيا ، مستمرا ، مطردا •

نظافة الام

ان نظافة الطفل ـ اساسا ـ هي من نظافة امه ، وانعكاس لها • وقد قيل قديما : من تربى حسنا يربي حسنا • فكلما كانت الام نظيفة بطبعها وبثياتها ، انعكس ذلك على حالة طفلها ، وبالتالي على ما يتمتع به الطفل النظيف، من هناء وسعادة ، لبعده عن التلوث بما يسبب الآفات ، ويجلب المرض •

يجب على الام ان لا تغفل عن غسل يديها عند لمس الطفل ، والعناية به ، خاصة في اوائل اشهر حياته • فان الوليد ـ في اول شهر من ولادته



خاصة ـ يكون مجردا مما يستطيع به الدفاع عن نفسه من وسائل يتمتع بها الطفل الاكبر منه سنا• وغسل اليدين ـ لابعاد ما يمكن ان يكون قد علق بهما من جراثيم وغيرها ـ من الامور الضرورية عند لمس الطفل ، خاصة عند ارضاعه او تغذيته ، سواء من الثدى ، او من قنينة الرضاع •

ان كثيرا من مسببات المرض عند الطفل تدخل عن طريق الفم • وعلى هذا فان على الام ان تهتم بنظافة كل ما يدخل جوف الطفل ، او فمه ، وذلك باتباع الامور التالية :

١ ـ فى حالة الرضاع ، تعتنى الام بنظافة ثدييها ، فتقوم بغسل حلمة الثدى وما حولها قبل كل مرة رضاع ، وبعد كل مرة رضاع • ثم تعمل على حفظ حلمة الثدى بقطعة من القماش النظيف ، او من مناديل الورق الناعم ، حتى لا تمس ملابسها ، فتتجنب ـ بذلك ـ الكثير من المحاذير التى لا مجال لذكرها هنا • كذلك فان على الام ان تتوقف عن ارضاع طفلها من الثدى اذا ظهر على الحلمة ـ او ما يجاورها ـ التهاب، او تقطر ، او احمرار ، او نحو ذلك ، حتى يعالج الثدى فيشفى •

٢ ـ فى حالة الرضاع من القنينة ، تقوم الام بتعقيم قنينة الرضاع ، والحلمة المطاطية ، وجميع ما يتعلق بالرضاع من القنينة • ولكى لا تكلف الام نفسها عناء امر قد يثقل عليها ، فان من المستحسن لها ان تقتنى عدة زجاجات للرضاع ، تقوم بتعقيمها صباح كل يوم ، وذلك بغليها فى الماء مدة لا تقل عن ثلاث دقائق باى حال من الاحوال •

٣ ـ من المفروض ـ نظريا ـ ان يكون الماء الذى يشربه الرضيع فى اشهره الاولى ، معقما • فمن المستحسن ـ والحالة هذه ـ ان تقوم الام بغلى الماء ـ ثم تبريده ـ واستعماله بعد ذلك حسب حاجة الرضيع اليه •

٤ ـ من الافضل ان تقوم الام بارضاع الطفل قبل تبديل الحفائض ونزعها عن الطفل ، توقيا


كلام كلام
كلام كلام
كلام
بهجت



اللولب كمانع للحمل

● قالت محدثتي وقد سمعتني اتذمر من كثرة الانجاب وتعبي اثناء الحمل . وعدم مقدرتي على احتمال تناول حبوب منع الحمل • لماذا لا تستعملين اللولب ؟ واخذت تحدثني عن مزاياه •

فهل لي ان اعرف راى الطبيب ؟

ـ قديما عرف بان ادخال اى جسم غريب الى داخل الرحم يؤدى الى الاجهاض ، وقد استعملت هذه الوسيلة بطريقة غير علمية من قبل من هم بعيدون عن الطب ومن هم من المشعوذين والدجالين لاجهاض الكثيرات ممن كن يرغبن في ذلك لاى سبب في نفوسهن لا يقره الطب •

وقد توصل البعض بعد ذلك بادخال جسم غريب وبتركه داخل الرحم والمهبل كطريقة لمنع الحمل في اوائل القرن التاسع عشر الا ان هذه الطريقة لم يكتب لها النجاح لما كانت تسببه من التهابات داخلية بالجهاز التناسلي •

واخذ العلماء والاطباء يدرسون هذه الظاهرة الى ان توصلوا بان ترك جسم غريب داخل تجويف الرحم يمنعه من احتضان البويضة الملقحة عند نزولها اليه من غير ان يسبب وجود هذا الجسم اى تعب الا للقليل جدا من النساء •

واول ما بدىء باستعماله كان على شكل حلقة او سبيكة صنعت من المعادن مثل الذهب او الفضة • ثم بعد اكتشاف اللدائن وخاصة مادة «البوليتين» استغلت هذه المادة لصنع اللوالب لما لها من مميزات كرخص الثمن وبساطة تنوع الشكل ويسر عملية ادخالها بتجويف الرحم وسهولة اخراجها عند الحاجة • وقد طغى استعمالها على باقي الانواع • وشكلت باشكال منوعة منها ما هو على شكل حرف « S » بالانجليزية ومنها ما هو على شكل « T » وهكذا • وقد شاع استعمال اللولب في السنوات الاخيرة فاصبح يحتل المركز الثاني بعد حبوب منع الحمل • وعادة ما يستعمل اللولب اذا لم تتمكن المرأة من تناول حبوب منع الحمل اما لعامل نفسي او لعائق مرضي كوجود بعض الامراض التى تمـ
استعمالها او لاضطراب عقـ
يمنع اخذ الحبوب بانتظام •

ولا يوضع اللولب الا بواسـ
طبيب مختص وله جهاز خاـ
لادخاله في تجويف الرحم وـ
خيط من النايلون يتدلى ـ
المهبل للاستدلال منه على وجو
ويمكن ايضا تحديد مكانـ
بواسطة اشعة اكس حيث يوـ
بلدائن اللولب مادة عازلة لهـ

وقدرت فعاليته في عملـ
منع الحمل بعد دراسات وابحا
مستفيضة فوجد بان احتمـ
الحمل في اثناء وجوده يتراو
من ٢ ـ ٥٪ فقط • وان حصـ
وحدث الحمل فانه لا ضرر ـ
وجوده على الجنين فيمكن اخراـ
او حتى تركه ليقذف به اثـ
الولادة •

وللولب مزايا عدة نذكـ
منها :

ـ رخيص الثمن سهل الوضـ
والاخراج ـ لانه يوضع بداـ

تجويف الرحم فمضاعفاته محصورة بالجهاز التناسلي ولا تاثير له على باقي اعضاء الجسم كما يحدث في الحبوب مثلا – يستمر مفعوله طالما بقي في مكانه ولمدة طويلة – قليل المضاعفات اذا ما قيس بغيره من الموانع الاخرى – لا يؤثر على عملية الاخصاب وتعود لوضعها الطبيعي بعد اخراجه.

ولا يستعمل اللولب في الحالات الاتية :

في حالة النزيف الرحمي ..
في حالة وجود التهاب بالجهاز التناسلي – بعد الولادة او الاجهاض مباشرة .. قبل مرور مدة ستة أسابيع أو ثمانية اسابيع على الاقل ليعود الرحم لوضعه الطبيعي .

– بعد اجراء عملية القيصرية خوفا من تاثيره على الجرح الذى بالرحم فيعيد فتحه – عند وجود سوء خلقي بالرحم – عند وجود اورام بالرحم – عندما يسبب مضاعفات بعد وضعه .

واحسن وقت لتركيب اللولب هو بعد الحيض مباشرة على ان تفحص السيدة بعد ذلك بشهر ثم بعد ثلاثة اشهر ثم كل سنة للتاكد من وجوده . الا اذا حصل منه مضاعفات فيجب استشارة الطبيب في الحال .

اما مضاعفاته فهي :
– حدوث الحمل بالرغم من وجوده وان النسبة هي ما بين ٢ – ٥٪ خاصة في السنة الاولى من تركيبه .
– قد يحدث الاغماء عند تركيبه ولو ان ذلك لا يحدث الا قليلا جدا .
– قد يحدث بعض التمزق بعنق الرحم اثناء التركيب سرعان ما يلتئم ويعود لوضعه الطبيعي .
– قد يحدث زيادة في دم الحيض او نزف من الرحم نتيجة لوجوده .
– قد يحدث التهابات بالرحم من جراء وجوده او في اثناء تركيبه وان كان ذلك نادرا .
– قد يسبب خرقا لجدار الرحم وهذا ايضا نادر الحدوث .

ويجب ان نذكر هنا بانه حتى الان لم يثبت علميا بانه يؤدى الى حدوث تغييرات خبيثة في خلايا الرحم ولا في خلايا عنق الرحم اى انه لا يساعد على الاصابة بالسرطان .

نفث الدم من الرئة

● هل كل نفث دم دلالة على الاصابة بالسل الرئوى ؟ أم ان هناك اسبابا اخرى ؟

– لا شك ان ظهور الدم من فتحات الجسم يقلق الانسان ويفزعه ويجعله يفكر بانه مصاب باشد الامراض فتكا . والحقيقة أن كل انسان يكتشف ظهور الدم من فتحات جسمه سواء كان ذلك عن طريق الجهاز التنفسي او الهضمي او البولي – وخاصة اذا كان متقدما في السن عليه مراجعة الطبيب في اقرب وقت ، وليس معنى ذلك بان كل حالة تكمن وراءها مرض خطير ، كلا . ولكن كلا ، ولكن كما نقول دائما الوقاية خير من العلاج .. واكتشاف السبب ومعالجته المبكرة حتى ولو كان خطيرا افضل بكثير من ترك المرض يستفحل بالجسم .

وللنفث الدموى اسباب كثيرة ولكن قبل ذكرها يجب الاشارة هنا باننا يجب اولا أن نفرق بين الدم الخارج من الجهاز التنفسي وذلك الذى يخرج من الجهاز الهضمي عن طريق القيء ، وكثيرا ما يختلط الامر على المريض ولا يفرق بين الاثنين . وثانيا يجب ان نفرق بين النفث الدموى الحقيقي والنفث الدموى الكاذب او المزيف . فاما الحقيقي فهو الذى ينتج من اجزاء الجهاز التنفسي ابتداء من الحنجرة حتى حويصلات الرئة مرورا بالقصبة والشعيبات . اما الكاذب او المزيف فهو ذلك النفث الذى ينتج من البلعوم والانف والفم . وعند الكلام عن النفث الدموى نكون دائما عن الحقيقي وليس عن الكاذب او المزيف .

وقد يكون النزف بسيطا ولا

ولايشعر المريض بشيء ولا ينزع ولايعلق الاعند اكتشافه البصاق المصحوب بخطوط من الدم او بقطع صغيرة منه مختلطة به .

وقد يكون النزف من الشده بحيث يشعر المريض بدغدغة بالحلق يتبعها تدفق لماده ملحة المذاق بالفم وعند البصق يلاحظ كمية كبيرة من الدم . وهنا يشعر المريض بعدم الراحه والتعب والقلق وبخفقان القلب وسرعة النبض ، وقد يصاب بالاغماء والصدمه .

وغالبا ما يكون النفث الدموى مصحوبا بالسعال المتواصل أو المتقطع الشديد منه أو البسيط .

أسباب النفث الدموى :

اولا : التدرن الرئوى وهنا يكون الدم ناتجا اما عن تمدد شرياني في تجويف بالرئة او قرحة بوعاء دموى او من احتقان حول الاصابة .

ثانيا : احتقان وريدى مزمن بالرئة وغالبا ما ينتج من ضيق الصمام التاجي (الموالي) بالقلب .

ثالثا : التمدد الشعبي بالرئة .

رابعا : الالتهابات الرئويه المختلفة ـ كالتهابات انسجة الرئة أو الشعيبات أو القصبة أو وجود خراج أو غرغرينا .

خامسا : سد او حجز دموى بالرئة اثر جلطة أو ضيق باحد شرايين الرئة .

سادسا : أورام الرئة والشعيبات والقصبة او الغدد اللمفاوية القريبة منها .

سابعا : النزف الناتج من الاصابات الخارجية ككسر الضلوع والكدمات الشديده والجروح النافذة منها وغير النافذه .

ثامنا : وجود جسم غريب بالقصبه او الشعيبات .

تاسعا : بعض امراض الدم كسرطان الدم (اللوكيميا) ونزف الدم الوراثي (الهيموفيليا) ونقص فيتامين ج .

عاشرا : بعض الاصابات الرئويه بالطفيليات .

حادى عشر : انفجار بسبب تمدد واتساع جزء من الابهر وهو اكبر شريان بالجسم وهنا يكون النزف شديدا ويؤدى الى الوفاه .

اما اسباب النفث الدموى الكاذب فمعظمها ينتج من الفم والانف كورم اللثة والتهابها واحتقانها او من الرعاف او من النزف الناتج بعد خلع الاسنان والضروس .

الدكتور
محمد فاروق المهندى
وزاره الداخليه ـ الخدمات الطبية ـ الكويت

بولينا الدم

● ماهي الامراض التي تسبب ارتفاع نسبة يوليينا الدم

ـ المعروف ان نسبة بولينا الدم تتراوح بين ٢٠ ـ ٤٠ ملجرام في كل سنتيمتر مكعب من الدم • والمعروف ايضا ان البولينا تنتج من تمثيل المواد البروتينية وتفرزها الكلى بنسبة كبيرة وتفرز كذلك في العرق وبذلك يتخلص منها الجسم • فترتفع نسبة البولينا في الدم •

وهناك اسباب خارجة عن الكلى واسباب تتعلق بالكلى نفسها ، فمن الاسباب الخارجة عن الكلى : فقدان كمية كبيرة من سوائل الجسم وفي حالات النزف الشديد سواء كان داخليا ـ اى داخل الجسم ـ كما هو الحال في نزف المعدة والامعاء، او نزف خارجي كما هو الحال في الحوادث المصحوبة بالنزيف الخارجي • وكذلك ترتفع بولينا الدم في حالات الالتهاب الشديدة التى تحدث في الجسم والمصحوبة بهبوط في الدورة الدموية وبذلك لا تذهب كميات كبيرة من الدم الى الكلى لتصفيتها من البولينا فتتجمع في الدم • ويلاحظ نفس الحال في اى سبب من الاسباب التى تسبب هبوطا في القلب كارتفاع ضغط الدم او انسداد في شريان تاجي القلب او التهابات الرئتين المزمن •

ومن الاسباب الخارجة عن الكلى ايضا وجود انسداد مزمن في مجرى البول خارج الكليتين كوجود حصى في كلا الكليتين او الحالبين او تضخم البول او ضيق شديد في مجرى البول • ■■

اللغة العربية

وتاثيرها في هذه اللغات عبر القرون

بقلم : قسطنطين تيودورى

بدأت في العصر الاموى ترحمة العلوم الى اللغة العربية ، واول من بدأ حركة الترجمة فى ذلك العهد خالد بن يزيد حفيد معاوية الاكبر المتوفى سنة ٧٠٤ م • وعندما ازدهرت الحركة الادبية فى العصر العباسى ، وخاصة في عهد هارون الرشيد وابنه المامون ، ترجمت الى العربية ـ من اللغات اليونانية والفارسية والسريانية والهندية والكلدانية والمصرية ـ كتب الفلسفة والمنطق والطب والنجوم والرياضيات والتاريخ والكيمياء والتشريح وغيرها من العلوم، مما اوجد نهضة علمية وأدبية منقطعة النظير فى تاريخ اللغة العربية امتدت الى كثير من اقطار آسيا واوروبا وافريقية ، فطرأ بواسطتها تطور على العربية كان من نتائجه وجود لغة علمية تقاس بمعيار المنطق والبرهان العقلى ، كما وضع كثير من مصطلحات العلوم والفنون ، وضيعت كلمات جديدة فى جميع العلوم المعروفة فى ذلك العهد •

أثر اختلاط العرب بشعوب البلاد المفتوحة

وإبان الفتوحات العربية التى امتدت الى كثير من انحاء العالم ، خالط العرب عددا من الشعوب وتعلموا لغاتها . واقتبسوا منها بعض العلوم والفنون ـ وفى مقدمتهم الشعوب الارامية فى الجاهلية والقرون الاولى للاسلام ـ فنتج عن ذلك اندماج طائفة من كلمات هذه الشعوب فى لسان العرب • كما خالط العرب السريان . فاقتبسوا منهم مئات الكلمات الخاصة بالزراعة والصناعة والتجارة والملاحة • ومما يلفت النظر ان اكثر الكلمات العربية المختصة بالزراعة ارامية الاصل •

وقد غزا العرب فارس (ايران) سنة ٦٣٢ ، واستمرت سيادتهم لهذه البلاد العريقة فى الثقافة والمدنية نحو ستة قرون . فاخذوا منها قسطا كبيرا من تلك المدنية . واقترضوا من الكلمات الفارسية اكثر مما اقترضوه من سائر اللغات وقد حملوا

اسبانيا سنة ٧١١م ، واستمر حكمهم فيها نحو سبعة قرون .

وقد اثرت العربية في اللغة الاسبانية تاثيرا كبيرا ، فقد ذكر بعض الباحثين ان المقررات العربية التي دخلت الى اللغة الاسبانية تقدر بربع محتويات المعجم الاسباني . اما البرتغالفقد فتحوها في عام ٧١٤ وظلت سيطرتهم عليها حتى عام ١١٣٩ ، واسفر ذلك عن دخول ثلاثة آلاف كلمة عربية الى اللغة البرتغالية . وقد صنف الاب جان دى صوصه J. de Souza (١٧٧٤ـ١٨١٢) المولود في دمشق من ابوين عربيين ـ معجما في ١٦٠ صفحة (لشبونة ١٧٨٩) جمع فيه الالفاظ التي اقتبسها البرتغال من العربية ،هذه الالفاظ التي تغلغلت في اللغة البرتغالية الى حد كبير .

واتم المستشرق الهولندي ريغرت دوزي R.Dozy (١٨٢٠ ـ ١٨٨٣) الذي لقي شهرة واسعة بين اعلام المستشرقين ، معجم الالفاظ الاسبانية والبرتغالية المشتقة من العربية الذي كان قد بدأ بتاليفه المستشرق الهولندي انجلمان Engkman « ليدن ١٨٦٩ » وفي هذا المعجم الذي يشتمل على ٤٢٤ صفحة يجد القارىء الاصل العربي لكل الكلمات الاسبانية والبرتغالية المدرجة فيه

دخول كلمات أعجمية الى اللغة العربية

وفي غمرة احتكاك العرب بالصليبيين من محاربين وتجار ، تواترت علاقات فرنسا مع الشرق العربي وخاصة بعد احتلال فرنسا للجزائر سنة ١٨٣٧ ونشر حمايتها على تونس سنة ١٨٨١ وعلى المغرب الاقصى سنة ١٩١٨ . ونشات علاقات تجارية مدة طويلة بين دويلات ايطالية المستقلة والاقطار العربية ، فدخلت الى العربية من جراء ذلك كلمات لم تزل الى الان شائعة في الاوساط التجارية والمالية ككلمة : دوبيا ، برتستو ، كمبيو، كمبيالة ، بنك ، سيركولار ، بورصة ، وغيرها .

ومع ان العرب لم يفتحوا اليونان كما فتحوا غيرها ، الا انهم منذ ايام العباسيين اخذوا ينقلون علومهم ومؤلفاتهم من لغتها الاصلية او من ترجمتها السريانية . وقد قرا الفيلسوف العربي ابو نصر محمد الفارابي (٨٧٣ ـ ٩٥٠) كتب ارسطو ونشرها مع كتب افلاطون لمعاصريه،وشرحها لهم . وبعد نشاة النصرانية سادت اللغة اليونانية العامية في جميع اقطار الشرق التي كانت خاضعة لليونان . ولا شك ان شعوب سورية ومصر وغيرها من بلاد الشرق الادنى التي فتحها العرب قد تاثروا باللغة اليونانية فاقتبسوا منها مئات الكلمات ولا سيما عن طريق اللغة السريانية ،كما ان اللغة اليونانية نفسها اقتبست الشيء الكثير من العربية ، غير ان هذه المقتبسات اتخذت شكلا يصعب معه ارجاعها الى الاصل العربي .

وهكذا دخلت الى العربية على مر الزمن كلمات كثيرة من اصل سرياني وفارسي ويوناني ولاتيني وفرنسي وايطالي واسباني وتركي وغير ذلك .

كلمات من أصل سرياني

تاجر ، رقعة (قطعة ورقة للكتابة) اجبار جاسوس ، مجلة ، ترعة ، بقعة (قطعةارض)حسد حكيم ، اسبوع ، حرب ، رصيف ، روح ، حيوان الندم ، رحمن (نعت مختص بالله) ، جنة ، خيا[ط] درب ، دير ، اطلس (نسيج حرير رقيق) ، ك[...] (ابريق صغير) ، تنور ، اكليل (تاج) ، انبوب تلميذ ، حمى ، ربح ، اس (بمعنى اساس) ، امه[ات] (جمع ام) . بيت ، ترجم ، حشرة ، دمية ، مروح[ة] زمن ، زورق ، زاوية ، زيت ، سفينة ، مسجد ساس ، حانوت ، كنيس (معبد اليهود) ، صمص[ام] (سيف) ، وكلمات كثيرة غيرها نحسبها عر[بية] الاصل .

كلمات من أصل فارسي :

استاذ ، اوج (علو) ، دستور ، جوق (جما[عة] من الناس) ، برهان ، بستان ، ربان ، جه[بذ] (ناقد ماهر) ، زنديق، ديباج، ديباجة(مقدمةالكت[اب] او نحوه كانتمذهبة او ملونةعند العرب) ، ابريق ساذج ، سراب ، سرادق ، جزية (ضريبة) ،جن[اح] (اثم) ، جوهر ، صك ، دفتر ، ديوان ، خنجر سفتجة (كمبيالة) ، ابريق ، اسطوانة ، باز[ار] (سوق) ، جام (كاس) ، دكان ، ، سمسار ،عربو[ن] برطيل ، برنامج ، طازج ، طبق (مايؤكل عليه) طراز ، خليج ، درويش ، دولاب ، ناى (موسيقية) ، صرماية (كحذاء) ، روزنا[مة] (تقويم) ، خواجة (سيد) ، خز (حرير) ، جاموس بوتقة (وعاء تذاب فيه المعادن) ، الياقوت ، الم[...] القصعة (صفحة) ، الفلفل ، هندام ، بادنجان

باذنجان ، السرايا (الدوئر الحكومية ، بلاط الملك)، مارستان (مستشفى) ، نرجس ، النارجيلة(ويسميها العامة أركيلة) ، بريد ، بند (فصل او فقرة من كتاب) ، صهريج ، جادة (طريق) ، وكلمات غيرها نستعملها كانها عربية اصيلة •

كلمات عربية مشتقة من أصل يوناني

اسطول ، فردوس ، طقس (بالمعنى الكنسي) ، فلسفة ، موسيقى ، برج ، يرقان (اسم مرض) ، كيمياء ، ميناء ، درهم ، اقليم ، خليفة ، أسطور (جمعها اساطير) ، طقم ، قرطاس ، قيراط ، ابرشية ، ابليس ، أثير ، ارتوذكسي ، ازميل ، انجيل ، أسقف ، الماس ، اسفنج ، جغرافية ، بلسم، تلغراف ، خارطة ، دينامو ، فلس ، قندلفت (خادم الكنيسة) ، ارستقراطية ، مملاد (جمعها مماليد) ، الارث ، آفة ، كيلو ، كيلوجرام ، الناولون (أجرة الراكب) ، مسجل وغيرها •

كلمات عربية من أصل لاتيني

اسطبل (اصطبل) ، امبراطور ، بترول،بركان، ريف ، بلاط (بمعنى قصر) ، قنصل ، فرن ، دينار ، قبان (ميزان لاشياء ثقيلة) ، قنطار ، بارجه ، سراط (صراط) ، قنديل ، قناة ، قميص، ترازيت ، مانيفاتورا ، قلنسوة (نوع من لباس الراس) ، قيصر ، كردينال ، قفة (سلة) ، مل، كومسيون ، (عماله) ، قرن ، كوب (قدح) ، كوفيه (غطاء للراس) ، جنرال ، البروليتاريا (الطبقة العاملة) اقة ، كل هذه الكلمات مقتبسة من اللاتينية واكثرها اندمج في العربية بواسطة اليونانية أو الايطالية •

كلمات من أصل فرنسي

سكرتير ، برلمان ، بروتستانتي ، دكتور ،راديو طن (الف كيلو غرام) ، مليون ، مليار ، مارشال، باسبورت (جواز سفر) ، بلون (منظار)،باتيستا (نسيج رقيق من الكتان) ، دزينة ، نوفوتيه ، بورجوازية ، ماسوني ، بطارية ، وغير ذلك •

كلمات من أصل ايطالي

برميل ، بنك ، بورصة ، كمبيالة ، رصيد ، مبيو ، دوبيا ، كونتراتو ، فاتورة ، اكسترا ، سوكولاته ، سيكورتاه ، بروتستو ، باله ، صابورة (ماوضع من الثقل في قعر السفينة لئلا يميل احد جانبيها) ، قرصان (لصوص البحر) ، بيرة (معربها جعه) ، بولصة (لسان) ، ومنه : بولصه الشحن ، وبولصه التامين) وغيرها . ويلاحظ ان اكثر هذه الكلمات نستعملها اليوم في المصارف وفي معاملاتنا التجارية •

كلمات من اصل اسباني

بطاطا ، تبغ ، ريال ، الكناري (طائر حسن الصوت) ، كما (شعرة) ، اندمجت هذه الكلمات في العربية بواسطه اللغه التركيه •

كلمات من اصل تركي

بارة (جمعها بارات ، وهي الجزء الاربعون من القرش) ، فرش (مرشر) ، بيرق (راية) ، ترسانه (مستودع للذخائر وادوات الحرب) ، دمغه ،قسطه ، قمطان ، برغي ، كندرة (تركيه عامية) ، وجاق (مدفأة) ، بارود ، جمارك ، زنكين (غني)،جردان، فرمان (عهد السلطان للولاة) ، بقلاوة (نوع معروف من الحلواء) وغير ذلك •

اندمجت هذه الالفاظ ومئات غيرها في العربية، فزادت ثروتها ، واصبح من المتعذر التمييز بينها وبين الالفاظ العربية الاصيلة . وبهذه الطريقة اغنى العرب في عصورهم المزدهرة العربية بآلاف الالفاظ التي عربوها وجعلوها على صيغ عربية تلائم الذوق العربي . وقد اظهروا براعة في التحول والتعريب حتى صارت الكلمات الاعجمية عربية لا غبار عليها•فهل يخطر ببال احد غير كبار اللغويين ــ ان كلمة ترعه مقتبسة من السريانية ، وبستان مقتبسة من الفارسية ، وبرج من اليونانية، ودينار من اللاتينية ، وقسطه من التركيه ، ومليون من الفرنسية ، وبرميل من الايطالية ؟

اعتماد الغرب على الكتب العربيه

وقد افسح العلماء الاعلام ومشاهير الفلاسفه من العرب ــ الذين ظهروا في بغداد وقرطبه والقاهرة وتونس ــ مجالا لتقدم العلوم والفنون ، ورفعوا منار المدنية اكثر من خمسة قرون ، بينما كانت القارة الاوروبية باسرها غارقة في سبات عميق .

ولما افاق الغربيون من سباتهم هذا ، اخذوا يترجمون من العربيه الى اللاتينيه ، ولم يقتصروا على كتابات العرب الاصيله بل ترجموا ايضا

ما نقله العرب من العلوم عن قدماء الاغريق . وتالفت في طليطلة سنة ١١٣٠م جماعة من المترجمين برئاسة رئيس الاساقفة ريموند ، وكان فضل هذه الجماعة عظيما على البلاد الاوروبية .

وظلت جامعات اوروبا اكثر من خمسة قرون تعتمد في موادها العلمية على الكتب العربية . وفي نهاية القرن الخامس عشر كانت الكتب العربية المقررة في جامعة « توبنجين » Tubingen اضعاف الكتب اليونانية ، وكانت مؤلفات الرازي وابن سيناء تدرس في جامعة الطب الكبرى في «مونبلييه» Montpelier حتى القرن الثامن عشر .

اندماج الكلمات العربية في اللغات الاوروبية

وفي ابان سلطان العرب كان للعربية تاثير شديد في حياة الغربيين وقد ظهر ذلك في كثير من اللغات الاوروبية ، ولا مجال الان في هذا المقال لتعداد الكلمات اليونانية والاسبانية والبرتغالية والانكليزية والفرنسية المقتبسة من العربية ، اذ كما اقترضنا من الاوروبيين ولغات الشعوب الاخرى اقترضوا هم ايضا منا ، فقد استمد الاسبان معظم اسماء الرياحين والازهار من العربية ، ومن جبال البرانس انتقلت كلمات عربية كثيرة الى الفرنسية كالبرقوق والياسمين والقطن والزعفران،وقد اخذت اسبانيا وبواسطتها امريكا اللاتينية من اللغة العربية الشيء الكثير من مقوماتها اللغوية ثقافيا واقتصاديا واجتماعيا . وقد زود العرب الذين كانوا قادة البحر الابيض المتوسط كلا من فرنسة وايطالية بكثير من مصطلحات الجيش والادارة والصيد وغيرها . وجملة القول ان العربية كانت في العصور الوسطى لغة الفلسفة والطب ومختلف العلوم والفنون ، بل اكثر من ذلك ، كانت لغة دولية لمصطلحات التجارة والعلوم .

ومنذ اوائل القرن الماضي انعكست الآية ،فصار المترجمون من ابناء العربية يترجمون الكتب من الايطالية والفرنسية في العلوم المختلفة ، فاحدث ذلك انقلابا عظيما في العربية ، واكتسبت سعة في الاغراض والمعاني والاساليب وطرق التفكير ، وكان لانشاء مدرسة « قصر العيني » (١) في القاهرة اثر كبير على اللغة العربية ، اذ قام فيها من جهابذة الاساتذة من نقلوا بعض ما كان ضروريا آنذاك للطلبة من العلوم العصرية الى العربية ، ووضعوا مصطلحات علمية تقابل المصطلحات الغربية ، فكان لهذا المجهود العلمي الكبير اثر فعال ، ليس في مصر فحسب ، بل في الشرق العربي ايضا . وصحب ذلك نهضة علمية اخرى في سورية ولبنان ، نقلت فيها الكتب العلمية الى العربية ، واتسعت هذه الحركة على يد نخبة من الاساتذة وارباب النشر والصحف .

اول موسوعة عربية للمصطلحات العلمية

ظهرت اول موسوعة عربية للمصطلحات العلمية في عصر المامون العباسي باسم « مفاتيح العلوم » لابي عبدالله محمد الخوارزمي (٢) حول مصطلحات الطب والحساب والهندسة والفلك وغيرها من علوم ذلك العصر ، وفي احد مؤلفاته بحث في الجبر حلت مسائله في المعادلات الثلاثية بطريقة هندسية ، ويقال ان الخوارزمي لم يحل سوى المعادلات من الدرجة الثانية Eguation of 2 deyrees وان الذي حل معادلات الدرجة الثالثة هو عمر بن ابراهيم . ويعد الخوارزمي الذي عالج عدة علوم ـ اقدم الرياضيين العرب ، ونقلت كتبه في الجبر والمقابلة الى اللاتينية . والف محمد بن علي التهانوي الذي توفي بعد ١٧٤٥ معجم مصطلحات آخر بعنوان : « كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم » يتضمن المقررات الفنية المستعملة في العلوم الاسلامية ..

ومن الادلة على ان العرب ساهموا مساهمة فعالة في معالجة مختلف العلوم والفنون وفي وضع اصطلاحات خاصة لها ، ما كتبه ابو بكر محمد بن زكريا الرازي (٨٦٤ الى ٩٣٢ م) الفيلسوف الذي اشتهر في الطب والكيمياء ، ولقب جالينوس العرب وظل حجة في اوروبا حتى القرن السابع عشر للميلاد ، وما كتبه الرئيس ابن سيناء(٩٨٠ـ

(١) مقر المدرسة الطبية والمستشفى العسكري في مصر منذ ١٨٣٧ .

(٢) المعروف عن الخوارزمي صاحب « مفتاح العلوم » انه توفي سنة ٣٨٧ هـ ، وان عصر المامون العباسي او مدة حكمه العام بدأت بقتل أخيه الامين سنة ١٩٨ وانتهت بوفاة المامون سنة ٢١٨ ، فبين وفاة المامون ووفاة الخوارزمي هذا نحو ١٦٩ سنة هجرية ، وهذا الكتاب معجم وليس موسوعة بأي معنى من المعاني .

١٠٣٧ م) في الطب ايضا ، بالاضافة الى الفلسفة والصوفية ، وقد نقل الافرنج مؤلفاتهم الى لغاتهم واعتمدوها ، ثم ما كتبه ابن الهيثم (٩٦٥ الى ١٠٣٩ م) في الرياضيات والطبيعيات وفلسفة ارسطو ، ومن كتبه التي ترجمت الى اللاتينية « علم المناظر » في البصريات ، واصبح كتابا مدروسا في اوروبا في العصر الوسيط حتى روجر بيكون Roger Bacon (١٢١٤) ، ثم ابو الريحان البيروني (٩٧٣ الى ١٠٤٨م) الذي كان عنما في الرياضيات والفلك والطب والتقاويم والتاريخ والعلوم اليونانية والهندية ، ومن مؤلفاته « الآثار الباقية من القرون الخالية » الذي طبع في ليبزج Leipzig ١٨٣٨ وغير هؤلاء من علماء العرب وفلاسفتهم .

قابلية العربية ومجاراتها للعلوم الحديثة

وضعت في أواخر القرن الماضي وفي القرن الحالي بعض معجمات علمية لم يستفد واضعوها كثيرا من علوم العرب ، ولم يبالوا باستعمال مصطلحات العرب القديمة ، ولم يدققوا في تادية الحقائق العلمية ، فكانت هذه المعاجم لا تخلو من الخطا والتعجل ، وتغلب عليها كذلك الطابع الاجنبي . وكان يمكن لاولئك المؤلفين ان يطوروا الكلمات والمصطلحات التي استعملوها ليعطوا مقابلا صحيحا للمصطلح الاجنبي ، ويتم هذا :

(١) بطريقة الاشتقاق وهو اخراج كلمة من اخرى مع المحافظة على قرابة في المعنى واللفظ بينهما

(٢) بالتعريف وهو افراغ اللفظ الاجنبي في قالب عربي وهذا ما يسمى الدخيل الذي جرى على الابنية العربية

(٣) بالنعت وهو تركيب كلمة من كلمتين تتضمن كل منهما معنى ملحوظا في المصطلح المنعوت.

(٤) باخذ الكلمات على ما هي عليه في الاصل.

(٥) بالترجمة وهي اللفظ الغربي المتغير لمعنى من المعاني الجديدة الواردة الينا .

ولا أدري لماذا لا نلجا الى هذه الوسائل الخمس في وضعنا المعاجم العلمية والفنية ، فقد ثبت ان العربية لغة طيعة لينة ، يستطيع المرء ان ينحت ويقلب ويصرف منها ما يشاء ، وهي ذات تاريخ طويل حفلت بثروة كبيرة ، وتهيا لها من اسباب الرقي مواد كثيرة استعانت بها على مسايرة العصور، وأسطع برهان على غنى العربية واصالتها ونقائها، بل أسطع برهان على قابليتها للتطور ومجاراتها للعلوم الحديثة ، هو تقديمها المواد اللازمة لجميع المصطلحات العلمية والفنية في عصور الازدهار . وقد اقتبست اللغات الاجنبية منها الشيء الكثير ، مع العلم بان الاصطلاح العلمي في هذه اللغات مستعار اكثره من اللاتينية واليونانية .

ومما يجدر ذكره ان موسوعات اللغتين الانكليزية والفرنسية ، تضاف اليها بين سنة واخرى ملاحق كبيرة ، تشمل مئات المفردات الغربية ، من افريقية وآسيوية وهندية ، جرت على السن الشعوب بواسطة الجنود المحاربين المتنقلين ، مما الجا المجامع العلمية واللغوية في بريطانيا وفرنسة الى الحاق تلك الكلمات في صلب معاجمها ، لان الشائع المتعارف في نظرهم كالاصيل لايجوز اهماله ،خوفا من توقف اللغة عن التطور ، واصابتها بالجمود ، وفي ذلك عبر للعاذدين من رجال لغتنا .. ! ■■

مراجع البحث

- الاثار الارامية في لغة الموصل العامية ،للدكتورداود جلبي الموصلي .
- لغة حلب السريانية ، للاب القس جرجس شلحت
- غرائب اللهجة اللبنانية السورية، للاب رفائيل نخله اليسوعي
- البراهين الحية على تقارص السريانية والعربية، للبطريرك اغناطيوس يعقوب الثالث
- مقالات العلامة الاب انستاس الكرملي في مجلته، لغة العرب » .
- ماكان ينشر في اعداد قديمة من مجلة «المقتطف»عن الالفاظ الاجنبية التي دخلت على اللغة العربية
- ماكان يكتبه العلامة الاب شيخو اليسوعي في مجلته « المشرق» .
- الطبعة الحديثة من «المنجد» المعجم العربي لمؤلفه الاب لويس معلوف اليسوعي .
- الجزء الاول من معجم « المرجع » لمؤلفه العلامة الشيخ عبد الله العلايلي .

عاشق الكهرباء



قصة : فريتز ليبر

عرض : راجي عنايت

■ عندما كان السيد سكوت يعرض المنزل الريفي الذي يمتلكه على المستاجر الجديد السيد ليفريت، كان يامل الا ينتبه المستاجر الى وجود برج كهرباء الضغط العالي الذى تطل عليه نافذة حجرة النوم .. فقد كان ذلك البرج سببا فى تراجع اكثر من مستاجر طيب .. فالكثيرون من المسنين ما زالوا حتى يومنا هذا يخافون الكهرباء ... لم يكن هناك من سبيل الى اخفاء ذلك البرج ، سوى بجذب نظر المستاجر بعيدا عنه .. كان البرج يحمل الاسلاك التى تمتد الى قمة الجبل ليغذى اكثر من نصف روابى الباسفيك بالتيار الكهربائى .

لكن آمال وجهود السيد سكوت باءت بالفشل ، عندما نظر السيد ليفريت مباشرة الى ساحة الدار حيث البرج ، واخذت عينا الرجل المسن القادم من نيو انجلاند تحدقان فى البرج بما يحمله من عوازل زجاجية يبلغ قطر الواحد منها ١٨ بوصة ، وصندوق المحول المثبت عليه ، والذى يخفض قوة التيار الذى يصل الى المنزل الريفي والمنازل الاخرى القريبة منه والمقامة حديثا فى السهل .ثم تركزت نظراته على الاسلاك السميكة الثقيلة التى تتارجح متوازية ، وتمتد عبر التلال الخضراء . ثم امال رأسه ، لتلتقط اذناه الصوت المنخفض ولكن المتصل ، والذى يشبه صوت القلى فى الزيت ، متراوحا بين الازيز والطقطقة ، نتيجة لانفلات الالكترونات من اسلاك الكهرباء الى الهواء حولها .

« اتسمع هذا ؟ ! » . قالها السيد ليفريت بصوته الجاف الذى يعكس الاثارة لاول مرة منذ أن بدأ جولته بتفقد البيت . ثم استطرد « خمسين الف فولت ! .. طاقة الطاقات !.. » قال السيد سكوت فى محاولة للتخفيف « لا بد أن الظروف الجوية اليوم غير عادية .. فعادة لا تسمع مثل هذه الاصوات » . قال السيد ليفريت بصوت يكشف عن استيائه « حقا ؟! .. لا أظن ذلك .. » وبخبرة سكوت التجارية ، راى أن افضل ما يقوم به هو تغيير الموضوع الحرج ، فقال « عندما جرى تقسيم أرض روابى الباسفيك .. اشترى صاحب بيك هاوس معظم الاراضى التى ... » لكن السيد ليفريت لم يكن يستمع الى كلماته ..

عند انتهاء الجولة ، اصر السيد ليفريت على العودة الى الساحة حيث برج الكهرباء ، ثم وقف الى جوار البرج صامتا ، وقال « ما زال الصوت مستمرا .. هل تعلم يا سيد سكوت ؟ .. انني اجد فى هذا الازيز راحة عجيبة .. كما فى صوت الرياح او الامواج ..فاما اكره صوت الالات، ولعل هذا هو السبب الذى دفعنى الى الانتقال من نيو انجلاند .. . ثم استدار ليواجه سكوت سائلا «اتقول ان هذا الصوت مؤقت وعارض؟!..»

اجاب سكوت بمرونة التاجر « الحقيقة يا سيد ليفريت .. لم يحدث لى من قبل ان وقفت فى هذه الساحة .. ولم يصلنى هذا الصوت..يجىء ناعما بعض الاوقات ، عاليا فى اوقات أخرى .. لكنه لا يتوقف . لقد حاولت ان اخفى عنك هذه الحقيقة .. فكثير من الناس لا يحبون هذا الصوت .. »

قال ليفريت « لا لوم عليك .. فاغلب الناس حمقى ومجانين .. مستر سكوت .. هل وصل الى علمك أن أحدا من الجيران يعتنق الشيوعية ؟ »

اجاب سكوت بحسم وقوة « لا يا سيدى .. لن نعثر على شيوعى واحد فى كل روابى الباسفيك .. » ، قاطعه ليفريت قائلا « أصدقك .. أما الساحل الشرقى فهو غاص بهم .. مستر سكوت اعتبرنى مستاجرا للمنزل لمدة عام . وبالرقم الذى حددته لى .. » .

مد سكوت يده مصافحا وهو يقول « مستر ليفريت .. انت طراز الادمى الذى تحتاجه روابى الباسفيك ! »

تصافحت الايدى ، بينما ابتسم السيد ليفريت ، وهو يستمع بسعادة الى الطرقعة الرقيقة التى تنبعث من الاسلاك وهو يقول « هذه الكهرباء امر مدهش .. لا نهاية للالاعيب التى نقوم بها ..او يمكن القيام بها اعتمادا عليها .. على سبيل المثال .. اذا اراد الشخص ان يندفع الى عالم آخر فى لحظة واحدة .. ليس عليه سوى ان يفرق

الساحة بالماء . ويتناول سلكا نحاسيا طوله حوالي خمسة وعشرين قدما بيديه العاريتين ، ثم يطوح الطوق الاخر فوق هذه الاسلاك ٠٠ هوب ! ينتهي كل شيء !!

انتاب السيد سكوت لدى سماعه هذا ، شعور قوي بالندم . عندما تذكر انه قد اعطى كلمته لهذا المستاجر الغريب ٠ فقد تذكر قصة السيدة ذات الشعر الرمادي التي استاجرت شقة في عمارته ، بحثا عن مكان هادىء ، تتناول فيه جرعة كبيرة من الحبوب المنومة ٠٠لتنتحر : ٠٠وهذا السيد ليفريت بكلماته هذه ، وبحبه الجنوني للكهرباء ، وكراهيته للشيوعية وصوت الآلات، يعتبر نموذجا للمهووسين والمجانين الذين ينزحون الى الاماكن النائيةلممارسة هوسهم ٠

قال السيد ليفريت متغابيا » لا شك أنك تعاني الآن من القلق ٠٠ أليس كذلك ؟ ٠٠ تظن أنني قد أرغب في الانتحار ! ٠٠ لا تقلق يا سيدي ٠٠لقد اعتدت فقط على أن افكر بصوت مرتفع ٠٠ وانطق أفكاري مهما بدت غريبة ٠٠ « استراحت نفس السيد سكوت لهذه الكلمات ، فدعا السيد ليفريت الى مكتبه لتوقيع العقد ٠

● ● ●

بعد ثلاثة ايام ، مر السيد سكوت على البيت الريفي ليرى كيف يمضي الحال بالمستاجر الجديد، فوجده يجلس صامتا في الساحة على كرسيهزاز، تحت برج الكهرباء مباشرة ينصت باستمتاع الى صوت الازيز ٠وعندما لمحه قادما قال بصوت مرتفع » تناول مقعدا واجلس٠٠« مشيرا الى احد المقاعد الحديثة الموجودة بالساحة ، ثم استطرد اريد ان اخبرك يا سيد سكوت انني اجد هذا البيت الريفي، المقام المريح الذي كنت اسعى اليه ٠٠ استمتع بصوت الكهرباء ، واترك افكاري تتداعى ٠٠٠ في بعض الاحيان اسمع اصواتا صادرة عن الكهرباء٠٠ الاسلاك تتكلم ٠٠ ألم يصلك نبا الذين يستمعون الى حوار في صفير الرياح ؟ ٠٠« ٠

قال سكوت وهو يتململ في مقعده » نعم ٠٠ سمعت عنهم ٠٠ « ، ثم تذكر انه قد تسلم شيك السيد ليفريت عن ايجار الربع الاول من السنة ، فتشجع قائلا » لكن صفير الريح يتباين كثيرا ٠٠ اما هذا الازيز فيبدو رتيبا ، لا يمكن ان يتبين فيه المرء اصواتا ٠٠ « تقلصت عضلات وجهالسيد ليفريت ، مما كشف اهمية الموضوع لديه ، وقال بحماس ٠٠ » هراء ٠٠ فالنمل وهو من الحشرات الراقية الذكاء ، يجزم العلماء المتخصصون انه يستخدم لغة كاملة في التفاهم ، ومع هذا فهو لا يصدر سوى الازيز ٠٠ انا شخصيا اسمع اصواتا في ازيز الكهرباء ٠٠ « ثم راح يهتز فوق كرسيه صامتا والسيد سكوت يجلس جامدا في مواجهته٠

اخيرا قالليفريتبصوت حالم » الكهرباء تتحدث الي ٠٠ وتحكي لي كيف تنساب عبر الولايات الامريكية المختلفة عن طريق خطوط الطاقة الكندية الى منازلنا ، الى كل حجرة من حجرات المنزل ٠٠ ٠٠ انها تمضي الى كل مكان هذه الايام ٠٠ تمضي الى مكاتبنا ٠٠ الى مبانينا الحكومية ٠٠ الى مراكز القيادة العسكرية ٠٠ الذي يثير عجبي انها ايضا تستمع الى مكالماتنا التليفونية عن طريق تيارها الضعيف المستخدم في نظامالتليفونات ٠٠ ان كهرباء التليفون هي الشقيقة الصغرى للتيار الكهربائي ، التي تتميز باذانها الكبيرة٠٠ وهكذا ، فالكهرباء تعرف كل شيء عنا ، كافة اسرارنا ٠غير انها لاتخبر احدا بما تعرفه ٠ بعضنا ينظر الى الكهرباء باعتبارها قوة ميكانيكية باردة وهي ليست كذلك ابدا ٠٠ فهي تتمتع بدفء وتبقى حية وحساسية ٠٠ يكمن الود فياعماقها ٠٠ تماما كما في جميع الكائنات الحية ٠٠ «

كان السيد سكوت يستمع الى هذه الكلمات ، حالما بعض الشيء ، مفكرا في مدى الشاعرية الذي يمكنأن تكونعليهنشرةدعائية تحمل هذهالكلمات. وقطعت عليه حبل افكاره ، كلمات السيد ليفريت وهو يقول » والكهرباء ايضا ٠٠ تحتمل داخلها بعض عوامل الشر ٠٠ لذا يكون من واجبنا ان نستانسها ٠٠ ان نعرف مسالكها ، وان نتحدثاليها بامانة ، ولا نبدي خوفا منها ٠٠ باختصار ان نتخذ منها صديقا ٠٠ « ، ثم قال بصوت نشيط وهو ينهض من مقعده الهزاز » والان يا سيد سكوت٠٠ اعلم انك جئت لتطمئن على طريقة استخدامي للبيت ٠٠ فهيا بنا نقم بجولة في انحاء البيت ٠٠ «

رغم احتجاج سكوت ، ونفيه هذه النية ، الا انه اضطر الى الاستجابة امام السيد ليفريت ٠عندما اصبحا في حجرة النوم قال ليفريت » لقد ابعدت جانبا البطانية الكهربائية وجهاز تحميص الخبز الكهربائي ٠٠ لا ارى عدلا في استخدام الكهرباء

هذا الاستخدام المنزلي الرخيص ! . وقد لاحظ السيد سكوت ان المستاجر الجديد لم يضف الـى اثاث البيت سوى ذلك الكرسي الهزاز الذيىيجلس عليه في الساحة ، ومجموعة كبيرة من رؤوس السهام الهندية ..

● ● ●

لابد ان السيد سكوت قد تحدث عن هذا عند عودته الى منزله . ذلك انه بعد اسبوع من هذا اللقاء ، جاءه ابنه الصغير الذى يبلغ التاسعة من عمره وقال له « هاى بابا ..هل تعرف ذلك الرجل العجوز الذىخزنته في البيت الريفي ؟ » قاطعه سكوت قائلا اجرت له البيت الريفي .. هذا هو التعبير اللائق يابوب .. . استطرد بوب قائلا « طيب .. لقد زرته لارى رؤوس السهام التى لديه يا ابى .. فاكتشف انه حاوى ثعابين !! ..

حمق قلبسكوتجزعا وهو يفكر ..ياالهي..كنت اعلم انني ساكتشف شيئا شاذا حول ليفريت هذا .. لا شك انه اختار السكن في هذه المنطقـــة العالية ، لان الثعابين تنجذب اليها في الطقس الحار : .. ايقظه من افكاره هذه صوت ابنه يقول « انه لا يسحر ثعابين حقيقية .. بل مجرد وصلة كهربائية قديمة ... بعد ان اطلعني على مجموعة رؤوس السهام ، جلس القرفصاء على الارض وحرك يديه الى الامام والى الخلف فوق وصلة السلك الكهربائية .. وما لبث طرف السلك الذى يتصل بالصندوق الصغير ان تحرك جيئة وذهابا على الارض ، ثم فجاة : . ارتفع في الهواء ، كما يرتفع ثعبان الكوبرا من السلة .. كان عرضا مدهشا !!... »

قال سكوت لابنه بوب « لقد شاهدت الكثير من مثل هذه الحيل .. لابد ان الصندوق كان يتصل بخيط دقيق يتصل بيد الرجل .. يجذبه ، فيتحرك الصندوق ..» قال بوب محتجا « لكنىوانى يا ابى انني لم ار خيط .. » . فقال سكوت مفسرا « طبعا .. خاصة اذا كان الخيط له نفس لون الخلفية .. » ثم خطرت لسكوت فكرة ، فسال ابنه « بالمناسبة يابوب .. هل كان الطرف الاخر للسلك يتصل بالتيار الكهربائي ؟ قال بوب طبعا .. طبعا .. لقد قال لا يستطيع ان يقوم بهذا العرض اذا لم يكن التيار الكهربائي مارا فـى السلك .. انه يابى يسحر بالكهرباء .. لقد

قلت انه ساحر ثعابين حتى اجعل وصفي اكثر اثارة . بعد هذا خرجنا الى الساحة ، ورايته يسحر الكهرباء التي في الاسلاك المعلقة ، ثـم يجمعها تلتف حول جسده .. لقد كنت اراهـــا وهي تلتف من جانب الى اخر !! .. »

قال السيد سكوت ، وهو يجاهد لكي يحتفظ بصوته هادىء النبرة « ولكن .. كيف امكنك ان ترى ذلك ؟ » ضحك بوب وهو يقول « تصور يابى ..كانت الكهرباء تجعل شعره يقف الى اعلى.. ثم يميل الى احد جانبي راسه ، ثم يعود ليميل الى الجانب الاخر .. وعندما قال لى ان الكهرباء الان تنتقل الان الى صدرى ، رايت طرف المنديل الحريري الذى يخرج من جيب سترته العلوى .. كم استمتعت بذلك يابى .. اكثر من متعتي يوم زرت معك متحف العلوم والصناعات ... .

في اليوم التالي ، توجه الى البيت الريفي ، وقبل ان يلتقي باسئلته التى كان قد اعدهـــا اعدادا دقيقا ،عاجله ليفريت قائلا اعتقد ان ابنك قد اخبرك عن العرض السحرى الصغير الذى قدمته له بالامس .. انا احب الاطفال .. ابناء الجمهورية الامريكية الانقياء ، مثل ابنك ياسيد سكوت .. فقال سكوت متلعثما فعلا .. لقد روى لى .. فقاطعه ليفريت قائلا لقد عرضت عليـــه ابسط الحيل بالطبع .. مما يليق بالصغار .. قال سكوت . طبعا .. واظن انك استخدمت خيط دقيقا خافيا في حالة السلك الراقص ... لمعت عينا ليفريت . وعوضا عــن الاجابة على السؤال قال : « تعال يا سيد سكوت .. لنجلس قليلا في الساحة .. »

كان الازيز مرتفعا في ذلك اليوم..ومع ذلكلم يجد السيد سكوت مناصا من ان يعترف بينه وبين نفسه ان ذلك الصوت كان مريحا بشكل ما .. واستطاع ان يميز تنوعا واضحا في الصوت .. طرقعات متصاعدة ، همهمات ، طقطقات ،تنهدات : وسمع صوت ليفريت الذى كان يهتز فوق مقعده الكهربائي .. تخبرني عن كل الاعمال التى تقوم بها .. كـل انواع الترفيـه التي تمارسها .. الرقصات والاغاني ، كونسرتات فوق الطقطقة ، رحلاتها الى النجوم ، مسابقاتها العنيفة التى تبدو حركة الصواريخ الفضائيـة الى جوارهـا كزحف الثعابين البطيء .. تحكي لى ايضا عن

همومها . انت تذكر ولاشك انقطاع الكهرباء عن نيويورك .. لقد اخبرتني الكهرباء بالسبب .. لقد أصيب بعض أفراد عائلة الكهرباء بالجنون ، من فرط الاجهاد الشديد على ما أظن . فجمدت حركتهم .. مما اقتضى سرعة ايفاد أعضاء جدد من العائلة ودفعهم في شبكة الاسلاك النحاسية الواسعة الى حين علاج الاخرين من الانهيار العصبي الذي اصيبوا به .. لقد حدثتني الكهرباء عن مخاوفها من ان يتكرر هذا في شيكاغو وسان فرانسسكو .. الضغط هناك يتجاوز القدرة والاحتمال !!

بقي سكوت صامتا ، بينما استطرد ليفريت « ان الكهرباء لا تمانع مطلقا في العمل من اجلنا .. انها تتميز بالقلب الكبير وبحبها لعملها .. لكنها ستكون ممتنة كثيرا ، بشيء ولو قليل من التقدير .. قليل من الاعتبار لمشاكلها الخاصة .. فامامها صراع مع اشقاء لها يتصفون بالبربرية والهمجية .. تلك الكهرباء المتوحشة التي تظهر شراستها في العواصف والصواعق .. والتي تنقض على الارض لتصطاد وتقتل .. وهي اذا كانت اليوم تصل الى التحضر الذي تتميز به الكهرباء التي تسري في اسلاكنا ، الا انها ستصير كذلك ذات يوم ... فالكهرباء المتحضرة يا سيد سكوت هي المعلم الاعظم .. تعطينا الدروس عن كيفية العيش في نقاء واتحاد وحب اخوي .. تخدم الجميع بلا تفرقة .. وهي ايضا وطنية مخلصة .. لا تكشف اسرارها العظمى ، الا لمواطنين أمريكيين حقيقيين .. من امثال اديسون وفرانكلين .. هل تعلم انها قتلت ذلك السويدي الذي حاول اصطيادها بطائرة الاطفال الورقية؟؟! .. نعم . الكهرباء هي القوة العظمى الخيرة في الولايات المتحدة الامريكية ..»

كان سكوت يستمع الى هذا الحديث الطويل ، وقد غلبه النعاس ، يتصور السيد ليفريت داعية مقدسا لعبادة الكهرباء . وقد توافد عليه الاتباع من كل مكان . يسعون الى «كريشنا ليفريت» وهو يقيم مراسيمه العجيبة التي يقدم فيها القرابين الى الكهرباء .. وعندما انصرف هابطا الى بيته ، اخذ يفكر في تحذير بوب من الذهاب الى البيت الريفي وازعاج السيد ليفريت .

● ● ●

لكن ذلك التحذير لم يكن ينسحب عليه هو بالطبع .. فقد اعتاد السيد سكوت خلال الاشهر التالية ، ان يمر على البيت الريفي بين حين وآخر ، ليحظى بجرعات جديدة من (الحكمة الكهربائية) . كان من الواضح ان السيد ليفريت لم يكن يفعل اكثر من الجلوس على كرسيه الهزاز في الساحة عند برج الكهرباء ، سعيدا وفورا ..

مرة واحدة ، اثارت كلمات السيد ليفريت مخاوف سكوت من جديد ، عندما عاد الى الحديث الذي دار بينهما في اول يوم جاء فيه ليفريت لاستئجار البيت . فقد قال ليفريت « هل تذكر ماقلته لك ذات مرة ، عن القاء طرف السلك النحاسي الذي نمسك به على أسلاك الضغط العالي هذه ؟ .. لقد فكرت في طريقة أكثر فعالية . ذلك بان اوجه الخرطوم الذي يتدفق منه الماء بشدة الى الاسلاك . ممسكا بالمقدمة النحاسية للخرطوم . بالطبع يفضل هنا ان يكون الماء ساخنا ، وان تكون قد القيت فيه محتويات علبة ملح طعام كاملة قبل هذا .. » عندما استمع سكوت الى هذه الكلمات ، سعد بانه كان قد حذر بوب من المجيء الى هذا المكان ..

جاءت المفاجآت التالية في الزيارة التي بعدها ، عندما قال ليفريت وقد ارتسمت علامات الجد على وجهه « بالمناسبة .. لقد علمت ان طاقة الكهرباء الامريكية تتسرب هذه الايام الى باقي انحاء العالم .. ومعباة في بطاريات ومكثفات امريكية . بل ان بعضها يتسرب الى داخل الحدود السوفيتية .. اعتقد انها تلعب دورا وطنيا في التجسس على الشيوعيين .. انها وحدات جيش الحرية الكهربائي ! .. »

في الزيارة التي تلت ذلك ، لمس السيد سكوت ذلك التغيير الواضح الذي طرأ على السيد ليفريت .. فهو لم يعد يجلس على كرسيه الهزاز ، واصبح يذرع الساحة من جانب الى آخر بعيدا عن برج الكهرباء .. وان كان يلقي عليه بين الحين والاخر نظرات خاطفة من وراء ظهره .. وكان مزيج الخوف والعتاب والترقب الذي يتلاعب على ملامحه مثيرا للضحك .

قال بصوت مهموم ، انا سعيد برؤيتك يا سيد سكوت .. لقد صدقت حقا .. ولابد من نقل معلوماتي الى شخص آخر ، حتى اذا حدث لي ما

لا يسر ، يمكنه ان يتولى نقل هذه المعلومات الى سلطات الامن الفدرالية ·· ولو انني لا اعلم ما الذى سيكون بامكانهم ان يصنعوه ! · لقد اخبرتني الكهرباء هذا الصباح انها قد انتهت لتوها من تشكيل حكومة عالمية !! ·· تصور لقد وجدت لديها الجراة لتقول لي مثل هذا الكلام·· قالت ان الكهرباء الروسية اصبحت تجرى فـــى اسلاكنا ، وان الكهرباء الامريكية تسرى فـــى اسلاك السوفييت انها تنتقل من هنا الى هناك بلا حياء !··لقد اكتشفت انها لا تحمل اى اختلاف فى مشاعرها نحو الولايات المتحدة او الاتحـــاد السوفيتى ! · انها لا تفكر الا فى نفسها ! ··.

صمت ليفريت وقد تشنج وجهه بالالم ، ثم استطرد « الاكثر من هذا ·· لقد قررت الكهرباء ان توقف أى حرب كبرى قادمة ، ايا كانت عدالة تلك الحرب ، ومهما كانت فى صالح امريكا ·· انها لا تبدى ادنى اهتمام بذلك ·· انها الان تحرص فقط على مصادرها ، وتسعى جادةلحماية هذه المصادر من التخريب والتدمير··لقد افهمتنى الكهرباء انه عند الضغط على المفاتيح التى تطلق الصواريخ الذرية – هنا فى روسيا – ستعمل على تفجير هذه الصواريخفيمن يطلقها ! ·· لقد رجوت الكهرباء ضارعا ·· وقلت لها اننى تصورتهـا دائما امريكية مخلصة صادقة ·· ورحت اذكرها باديسون وفرانكلين ·· طالبتها ان تعيد النظر فى موقفها وتتصرف بشكل امين لكنها لم تفعـــل اكثر من ان ضحكت منى ساخرة !! »

ابتلع ليفريت ريقه ، وقد ظهر الفزع علىوجهه وهو يقول « ثم ·· ثم هددتنى ! ·· قالت انها فى حالة تدخلى لايقاف مسيرتها ، وكشـــف خطتها ، ستستدعى شقيقـها المتوحش من اعلـى الجبال ، وتساعده على قتلى ··· سيد سكوت ، ها انذا وحيد هنا مع هذه الكهرباء التى تطل على حجرة نومى ·· ماذا افعل ؟! »

وجد السيد سكوت صعوبة كبيـرة فى تهدئـة السيد ليفريت ، والانصراف من محضره · ولم يفلح فى الفكاك منه الا بعد ان وعده بالعودة فى الصباح الباكر للاطمئنان عليه ·· ولو انه قال لنفسه وهو يمضى ·· ساكون مجنونا لو فعلت ذلك ! ·

فى تلك الليلة ، سادت منطقة لوس‌انجيلوس واحدة من العواصف الرعدية النادرة ، تصحبها عواصف الرياح والامطـار المتدفقة كـالسيول الشلت العاصفة الاشجـار الضخمـة ، وشققت الشوارع · كان البرق يلمع بشكل ملموس ·وقد تلقت جهات الامن اكثر من مكالمة ، يؤكد فيها اصحابها اقتناعهم بان ما يجرى هو هجوم ذرى شامل ! ··

وقعت العديد من الحوادث نتيجة لهذه العاصفه العاتية · كان من بينها ما جرى اخطار السيد سكوت به فى صباح اليوم التالى ، علـى يـد الشرطة ·

لم يكن السيد سكوت قد عرف النوم فى تلك الليلة ، استيقظ عند اشتداد العاصفة ،منزعجا من هدير الرعد ، والومضات القوية الخاطفة للبرق · فى ذلك الوقت ، تذكر ما قاله لـــه السيد ليفريت ، حول تهديد الكهرباء له ، بانها ستسوق شقيقها المارد المفترس من اعلى الجبل·· لكنه الان ، وبعد ان نقلت الشرطة هذه الاخبار، قرر الا يشير الى هذا الموضوع ·

عندما ذهب السيد سكوت مع الشرطة الى البيت الريفى ، شاهد نتائج الحادث الغريبقبل ان يجرى تحريك شىء ·· والشىء الوحيد الذى استجد كان قطع التيار الكهربائى عن الاسلاك النقيلة التى كانت تحمل تيار الجهد العالى ، والتى كانت تلتف حول ساقى ليفريت ، وقـد ظهرت اثار الاحتراق البنية والسوداء على منامته التى كان يرتديها ·

لقد وصف رجال الشرطة ، بالاشتراك معرجال الطاقة الكهربائية الحادث كما يلى ·· فى قمة العاصفة ، انقطع احد اسلاك الجهد العالى على على بعد مائة قدم من البيت ، واندفعت النهاية القريبة للسلك بسبب الرياح ، وبتاثير الطاقة الكهربية التى تحملها ، ليس فقط من خـــلال نافذة حجرة النوم ، بل ومن خلال باب حجـــرة النوم ، لتلحق بالرجل العجوز وهو يهرب مـــن حجرة نومه الى الصالة · كما وجد ان اسلاك التليفون قد التفت مرتين حول ذراع الرجـــل الايمن ، كما لو كانت تمسك به حتى تمنعه من الهرب الى ما هو ابعد من ذلك ، حتى يلحق به السلك الكهربائى الضخم ·· ويصعقه !! ·· ■■

عرض : راجى عنايت

العرب والاعلام

تقصيرنا الاعلامى خارج حدودنا واضح لا يحتاج الى دليل . فى الوقت الذى نجد فيه ان باع الصهيونية الطويل يهيمن على معظم وسائل الاعلام العالمية .

ونسأل انفسنا لماذا ؟

هل لاننا ندافع عن قضايا خاسرة وغير عادلة ؟ ام لاننا لا نملك المال الذى هو عصب الاعلام ؟ ام لعدم وجود عقول اعلامية تدير وسائل اعلام عالمية .. ام لماذا ؟

الواقع اننا نملك المال .. وقضايانا التى ندافع عنها عادلة والعقول عندنا كثيرة والحمد لله وميادين الاعلام العالمية يمكن ان تفتح ابوابها لقضايانا خصوصا وان معظمها يعانى باستمرار من قلة الموارد المالية .. والاوساط الصهيونية التى تعمل لصالح اسرائيل تستغل هذه النقطة فالمال لديها جاهز .. بالاضافة الى استراتيجية اعلامية قادرة على الباس الباطل لباس الحق وغسل عقل الرأى العام العالمى وتضليله .. امام غياب صوت صاحب الحق وعدم حضوره عالميا.

لقد آن الاوان ان تنزل دولنا الى ميدان الاعلام العالمى .. كى تخاطب العالم وتفهمه عدالة قضايانا بجهود موحدة واستراتيجية واضحة لا لبس فيها ولا غموض .. وما دام المال متوفرا .. فكل الابواب الموصدة ستفتح امامنا على مصاريعها .

المسألة .. هى هل نريد حقا ذلك أم لا ؟

هذا هو السؤال .

محمد البوزيدى
وجدة ـ المغرب العربى

اكذوبة العداء للسامية .. واصل اليهود

● ابتدع اليهود عبر تاريخهم الطويل اكذوبة كبرى تتمثل فى ادعائهم بان اصل اليهود يعود الى سام بن سيدنا نوح عليه الصلاة والسلام .

وقد ادى استمرار ترديدهم لهذه الاكذوبة ودسها فى كل المجالات عبر مئات السنين الى ان الكثير من شعوب العالم ـ ومن بينها الشعوب الاسلامية ـ .. وقعت ضحية لتلك الاكذوبة التى اقترن لفظ السامية باليهود واصبح الاتهام «بالعداء للسامية» هو القول الرائج الذى يعتمد عليه اليهود فى ابتزاز الشعوب وخلق عقد الذنب لديها .

واذا عدنا الى كتاب الله وسنة رسوله الصحيحة فاننا لن نجد اثرا لهذا الادعاء .. وانما جاءت الآيات لتحدد الاصل الحقيقى لبنى اسرائيل وذلك فى قوله تعالى فى سورة الاسراء .

« وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبنى اسرائيل الا تتخذوا من دونى وكيلا ذرية من حملنا مع نوح » .

« فاسرائيل » اذن هو احد الذين آمنوا بسيدنا نوح وكان بين الذين نجوا مع هذا الرسول الكريم عندما حل القضاء الالهى بقومه ..

ومن هذه الاية ذاتها يتبين كذلك ان القول بان (اسرائيل هو سيدنا يعقوب) انما هو كذلك من الادعاءات التى دست فى كتب التراث الاسلامى امتدادا لترويج اليهود لمزاعمهم واكاذيبهم عن اصلهم التاريخى.

ولقد تأكدت هذه الحقيقة من ان سيدنا يعقوب ليس هو اسرائيل فى العديد من الايات الاخرى فالله تعالى يقول فى سورة آل عمران .

« كل الطعام كان حلا لبنى اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه » ..

وتذكر هذه الاية ان اسرائيل قد حرم على نفسه بعض الطعام وان ذلك التحريم قد تم من

فنان من الاردن

● سعدت بقراءة مقال الاستاذ راجي عنايت عن الغزاق الاردني محمود طه والذى نشره العربي مؤخرا وبما انني خزاف ونحات اردني معروف رغبت في اقامة معرض لي في الكويت لعرض اعمالي وهي كثيرة وقد ارسلت بهذا الى جمعية الفنانين التشكيليين في الكويت ، وآمل ان تتاح لي الفرصة لاقامة هذا المعرض ٠

محمد علي السيد
عمان / الاردن ٠

فى المتاهة الانجليزية العربية

● طالعت ما كتبه الدكتور احمد عبد الرحيم مصطفى حول هذا الكتاب (العربى ٢٣٣) ،واود ان اقدم بهذا الشأن الملاحظات التالية :

المؤلف ايلي خضوري (وليس خدوري) من عائلة خضوري التي كانت في العراق ٠ وكثيرا ما يخلط القراء بينه وبين الدكتور مجيد حدوري وهو عربي عراقي وله عدة مؤلفات باللغة الانجليزية ، بسبب ان الاسمين يتشابهان عند كتابتهما بالحروف الانجليزية ٠

ايلي خضوري كاتب صهيوني ،وقد سدر هو وزجته سيلفيا حاييم مواهبهما لتشويه تاريخ العرب الحديث والطعن فيه واختلاق التحويرات والمزاعم عليه ،

لقد ادرك الدكتور مصطفى بعض مغامز خضوري واجتهاداته اللئيمة ، ولكنه لم يدركها كلها ٠ فالشريف حسين وابناؤه ومن كان معهم من رجال الحركة العربية يومذاك قاموا بالثورة العربية عام ١٩١٦ من اجل تاسيس دولة عربية مستقلة ، وقد كانت تلك المطامح تشغل اذهانهم واذهان اعضاء جمعيتي العربية والفتاة السريتين ،الذين استشهد بعضهم على اعواد المشانق وعاش البعض الاخر لكي نعمل على تحقيق تلك الغاية الشريفة ٠ وقد تزعم الشريف الثورة بتلميذ من اعضاء الجمعيتين ٠ اما نزول الشريف عبد الله ضيفا على الخديوى عباس الثاني فليس امرا مستغربا ، اذ كانت بينهما صداقة منذ ان قام الخديوى بالحج الى الحجاز عام ١٩٠٨

كنت اتمنى ان ينشر المؤلف النصوص الاصلية لما جاء في رسالة ٢٤ اكتوبر ١٩١٥ ،لانه من المؤسف ان الدكتور مصطفى ياخذ كلام خضوري على علاته عندما يقول ان رسالة ٢٤ اكتوبر هذه لم تعط الشريف شيئا على الاطلاق» ٠ ورسالة وعود الانجليز للعرب وعهودهم امر ثابت ومعروف وكتبت فيه عشرات الكتب في مختلف اللغات ،كذلك الامر بالنسبة لما يزعمه خضوري من ان الانجليز ابلغوا الشريف بمضمون معاهدة سايكس ـ بيكو ، وهو زعم طلع به في الاصل في كتابه الاول (انجلترا والشرق الاوسط) ٠وقد بينت في كتابي (الحركة العربية) حقيقة هذا الموضوع وفندت مزاعم خضوري التي لا تقوم على اساس علمي موثوق ، كما فندت مزاعمه في كتابه هذا الاخير ، في كتابي (صفحات مطوية) ٠

سليمان موسى
عمان ـ الاردن ص٠ب ١٨٥٤

تلقاء نفسه ودون وحي من الله تعالى ٠٠ وذلك يؤكد ان ان اسرائيل لم يكن نبيا او رسولا لان الانبياء والرسل لاتحرم شيئا الا بوحي من الله تعالى ٠

فهل لنا ان نتدبر ما اورده اليهود من مزاعم عن اصلهم « السامي » وما يزعمونه من ان « اسرائيل » هو سيدنا يعقوب ؟؟

هل لنا ان نواجه الحرب الفكرية التي يشنها اليهود على طريق الاطماع والاغتصاب؟؟

مهندس / عادل النمرى
مدير ادارة بشركة السويس لتصنيع البترول / مسطرد

الواقع العربى هو المسئول

● نشرت مجلة العربى فى العدد ٢٢٣ مقالا للاستاذ نبيل الليثى تحدث فيهعن نقل العلم والتكنولوجيا ‥ لا شك ان الكاتب حالفه التوفيق فى تصوير واقع الامة العربية‥ولا ينكر مكابر ان العلم والتكنولوجيا ليستا من الطلاسم التى استغلق فهمها على ابناء العرب ‥ ولكن المعاناة التى يرزح تحتها الوطن العربى وبالتالى المواطن العربى جعلت الامر يبدو على غير حقيقته ٠

الفرد العربى قادر على الابداع وهضم مختلف العلوم ‥ واكبر دليل على ذلك ، وجود الاف من ابناء الامة العربية فى مختلف مجالات العلوم ٠

العقول العربية هاجرت الى الغرب لانها لم تجد الامكانيات التى تستطيع ان تبدع فى ظلها ٠

العقل العربى بخير ولكن الواقع العربى الممزق هو المسئول الاول ٠

عبد الباسط عمر
حلب

كلمة ونص
مع قراء العربى

* عماد كمال الطنطاوى ـ مصر :وصلتنا قصة فتاة الغورية ‥ لا باس ٠

* م ٠ مصطفى الحسين ـ العراق : قصة غولان وصلتنا وقصيدة كلمات عاشقة ، وناسف لعدم النشر ٠

* محمد عبد الحليم ـ الفيوم ـ مصر : رسالتك عن فقيد الغناء فريد الاطرش تدل على تعلقك الشديد بهذا الفنان العربى الاصيل ٠

* محمود الطبانى ـ القاهرة وجهة نظرك عن احتمال قيام حرب طاحنة شرسة بين العرب واسرائيل ‥ يدل على انك قارىء صحف ممتاز ٠

* معتز الحمصى ـ جامعة دمشق : سؤالك عن مثلث برمودا يحتاج الى بحث مطول ليس هنا مجاله ٠ ساحاول الرد فى خطاب خاص ابعثه لك ٠

* نزار سكر ـ سوريا :يبدو انك متاثر بالباحثة الالمانية زيغريد هونكه صاحبة كتاب « شمس العرب تسطع على الغرب » التى تحدثت فيه عن تاثير العرب المباشر فى العلوم والثقافة على اوروبا والغرب ٠

* سعد مهدى جبار ـ محافظة ديالى بالعراق : اكتب الى جامعة الكويت / الخالدية وسوف تقوم بالرد على استفساراتك حول الالتحاق بالجامعة ٠

* عبد اللطيف الغمرى ـ الدقهلية مصر : حول طلبك الى وزارة التربية ٠

* *صلاح صلاح الدين ـ الجيزة مصر : أين النماذج التى يمكن من خلالها الحكم على رسومك الكاريكاتورية ؟*

رؤية جديدة لألف ليلة وليلة



ولعل عذر المستشرقين في ذلك انهم ـ أو معظمهم على الاقل ـ ليسوا أدباء ولا نقادا، وانه لا يعنيهم ادبنا كأعمال فنية بل كل ما يهمهم هو ما يستخلصونه منه لشعوبهم لفهم نفسية مجتمعاتنا ومعرفة نواحي الضعف والقوة فيها . فيتعلمون كيف يتعاملون معها لتحقيق ما يريدونه من أهداف • وهم يلجأون في ذلك الى الادب لانه مصدر أساسي لهذه المعلومات في مجتمعات غابت عنها الاحصاءات والابحاث واستخدام الوسائل العلمية لرصد حركة المجتمع واستشفاف تحولاته واتجاهاته المقبلة •

ولكن الذى اريد ان أقوله أنه حتى الشكل الادبي ـ بخلاف ما يتوهم هؤلاء المستشرقون ومن سيرون في ركابهم من دارسينا ـ يمكن أن يكون له دلالة اجتماعية • فالشكل الادبي المتخلف دلالة على مجتمع متخلف . والشكل الادبي الناضج دلالة على مجتمع أكثر تحضرا او تعقدا اذا شئت • والقصد بالادب المتخلف هو الادب رديء التوصيل ، باعتبار ان الادب ـ بل الفن عموما ـ انطباع لدى المبدع يعمل على ايصاله الى المتلقي أو المتذوق . وكلما كانت ادوات هذا المبدع جيدة التوصيل امكن ايصال الانطباع الى وجدان المتلقي . وكلما كان رديء التوصيل فشل في مهمته • وجودة التوصيل تعتمد على تحقيق عدة عناصر يمكن معرفتها من الكتب التى تتعلم منها فنون الابداع الادبي او من المعاهد المخصصة لذلك أما ممارستها فتعتمد على تفاعل المستوى الحضاري والموهبة الفنية معا •

لهذا سرني كثيرا ان اقرأ الدراسة المخطوطة التى تقدمت بها الباحثة العراقية الدكتورة فريال غزولي لنيل درجة الدكتوراه في الادب من جامعة كولومبيا بالولايات المتحدة الامريكية • وهي تعلن في مقدمتها انها ستنظر الى ألف ليلة وليلة بنظرتها الى عمل فني قد تكامل امامها لتبحث كيف امكن تكوين هذا البناء من سديمية الحياة وخليط القصص الشعبي الذى ـ حتى وان أخذ كثير منه عن شعوب مختلفة ـ الا انه انصهر في بوتقة الوجدان العربي الاسلامي في العصور الوسطى لتخرج أمامنا عملا فنيا متكاملا يمكن دراسته ككل•

نص في حالة تدفق

والدكتورة فريال باعلانها هذا كأنما ترى أن الباحثين السابقين قد كفوها مؤونة البحث في أصل الليالي وهل هي هندية أم فارسية أم عربية، كما كفوها مؤونة دراسة الجوانب الاجتماعية ، مما اتاح لها أن تتحرر من هذا التراث المنهجي الاكاديمي الذى ظل يمسك بخناق ألف ليلة وليلة قرونا طويلة . لتقدم لنا رؤية جمالية لليالي كنا نفتقدها . كما نفتقدها في النظر الى كثير من أعمالنا الادبية المرموقة • وهكذا بدا أن هذه النظرة الجديدة مهيأة أمامها وما عليها الا أن تكون لديها شجاعة الريادة •

وترى الدكتورة فريال ان وجود عدة مخطوطات لليالي في العواصم الاوربية الكبرى وفي القاهرة يوضح انه ليس هناك مخطوط أصلي أخذت عنه بقية المخطوطات • فألف ليلة وليلة نتاج فني للعمل الجماعي • لهذا فلا يجب الحكم عليه بالمقاييس التى نحكم بها على الادب المدون • فالتفرقة بين الليالي وغيرها من النصوص الادبية لا يجب ان يكون على اساس العمل الشفاهي والعمل المدون ، بل على أساس النص الثابت والنص الحر • والنص الثابت قد يكون عملا شفاهيا مثل النصوص الدينية ، لكنها لا تتغير عند تدوينها ، أما النص الحر فيتغير في تركيبه وأفكاره •

وألف ليله وليله نص حر يسمح بتقبل تغييرات جذرية في مضمونه مع احتفاظه بهويته • وسبب هذه المرونة هو وجود البناء الام ـ أو ما يعرف بالقصة الاطار ـ الذى يمكن أن يضم عدة أنواع وأساليب متناقضة وموضوعات مختلفة بغير أن يفسد هذا تناسق النص ، حتى ليبدو أن الاضافة الى والعدد من ألف ليلة وليلة اغراء لكل ناقد لألف ليلة ، حتى أن بعضهم اضاف ليالي بعد الليلة الاولى بعد الالف • ومعنى هذا أن في صيغة النص ما يسمح بل ما يغري بذلك • فالنصوص تنال ما تستحقه من معاملة • فألف ليلة وليلة نص في حالة تدفق أو جريان •

والقضية الاساسية في الليالي بتلخيص شديد هي أن ملكا اكتشف أن امرأته تخونه فقرر أن *يتزوج كل ليلة من عذراء ليقتلها في الصباح وبعد عدة زيجات من هذا النوع استطاعت شه... أن تؤجل مصيرها ـ ومصير بنات جنسها ـ* با... *تروي قصصا تشد انتباه الملك • وتستف...* ها...

القصة بضع صفحات فى أول الكتاب واخره • ولو ألغيت هذه القصة فسيشبه ذلك ـ على حد تعبير الدكتورة فريال غزول ـ حبات عقد انفرط خيطه ، والعكس اذا أبقينا على هذه القصة الاطار واستغنينا عن بقية القصص فسيشبه ذلك خيط عقد بلا حبات • فالقصة الاطار فى ألف ليلة وليلة هى فردوس مفقود ثم فردوس مستعاد • والخطيئة والموت يسيران فيها جنبا الى جنب • وشهرزاد تحارب الزمن المحدد لموتها بروايتها المستمرة لكسب الوقت •

وسنضطر الى الاقتصار على تقديم دراسة القصة الاطار لليالى فى هذا البحث القيم لضيق المكان ، ولكنه يكفي كنموذج لهذه الدراسة • فالدكتورة فريال تقسم القصة الاطار الى أربعة أقسام : أولها قصة شهريار ، ثم رحلة الملكين شهريار وأخيه شاه زمان ومقابلتهما للصبية التى خطفها الجن ، أما الجزء الثالث من القصة الاطار فهو خرافتا الحمار والثور مع صاحب المزرع والديك والكلب ، أما الجزء الاخير فهو الذى يأتى فى نهاية الليالى حين يعفو الملك عن شهرزاد •

شهريار وشاه زمان

وبداية القصة تحكي عن ملكين أخوين أكبرهما شهريار واصغرهما شاه زمان ، كان كل واحد منهما فى مملكته حاكما عادلا فى رعيته مدة عشرين سنة الى أن اشتاق الكبير الى أخيه الصغير فارسل وزيره يطلب منه أن يزوره ، فتاهب للرحلة وخرج طالبا بلاد أخيه ، فلما كان نصف الليل تذكر حاجة نسيها فى قصره فرجع ودخل قصره فوجد زوجته راقدة فى فراشه معانقة عبدا أسود ، فلما رأى هذا اسودت الدنيا فى وجهه • ثم أنه سل سيفه وضرب الاثنين فقتلهما فى الفراش • ثم واصل رحلته الى ان وصل الى مدينة أخيه • وهناك تذكر ما كان من أمر زوجته فحصل عنده غم زائد واصفر لونه وضعف جسمه ، فلما رآه اخوه على هذه الحالة ، ظن فى نفسه أن ذلك بسبب مفارقته بلاده وملكه ، الى أن قال له فى بعض الايام : يا أخي أنا فى باطني جرح • ولم يخبره بما رأى من زوجته • فعرض عليه أن يسافر معه الى الصيد والقنص لعل صدره ينشرح • فابى اخوه ذلك „ فسافر وحده الى الصيد • وكان فى قصر الملك شبابيك تطل على بستان اخيه فنظر واذا بباب القصر قد فتح وخرج منه عشرون جارية وعشرون عبدا ، وامراة أخيه تمشي بينهم وهى فى غاية الحسن والجمال ، حتى وصلوا الى فسقية وخلعوا ثيابهم وجلسوا مع بعضهم ،واذا بامراة الملك قالت : يا مسعود ، فجاءها عبد اسود فعانقها وعانقته . وراها الملك شاه زمان وهى تخون اخاه كما خانته زوجته . وكذلك فعل باقي العبيد بالجوارى ولم يزالوا فى تقبيل وعناق ونحو ذلك حتى ولى النهار • فلما رأى أخو الملك ذلك قال والله ان بليتي اخف من هذه البلية . وقد هان ما عنده من الهم والقهر . وقال هذا اعظم مما جرى لي ولم يزل فى أكل وشرب • وبعد هذا جاء اخوه من السفر فسلما على بعضهما . ونظر الملك شهريار الى أخيه شاه زمان وقد رد لونه واحمر وجهه وصار ياكل بشهية بعدما كان قليل الاكل • فتعجب من ذلك وساله عن السبب فامتنع معرجا أول الامر لكنه افضى اليه فى النهاية بسبب اصفرار لونه اول الامر ، ثم الح عليه اخوه ان يذكر سبب استرداد لونه . فاعاد عليه جميع مارآه • فقال شهريار لاخيه شاهزمان مرادى ان انظر بعيني،فقال له اخوه شاه زمان تظاهر انك مسافر للصيد والقنص واختف عندى وانت تشاهد ذلك وتتحققه عيانا . فاستمع شهريار الى حيلة اخيه شاهزمان ورأى بنفسه ما سبق ان سمعه بأذنه فطار عقله من راسه •••

فى هذه القصة نجد ان الثنائية تسيطر على شخصياتها • فهناك الملكان الشقيقان . وعنصر التكرار واضح فى تجربتيهما ، ولكن تجربة شهريار كانت تصعيدا لتجربة اخيه شاه زمان • فزوجة شاه زمان تخونه سرا مع عبد اسود • اما زوجة شهريار فهى تعتمل بخيانتها علنا مع مجموع يبلغ اربعين عبدا وجاريه بالاضافة اليها والى العبد مسعود•ونرى ان بليةشهريار كانت شفاءلبلية اخيه شاه زمان تاكيدا للمثل « من راى بلوى غيره هانت عليه بلواه „ • فقد استرد لونه بعد اصفراره •

وشاه زمان يقتل زوجته فور اكتشافه خيانتها، اما شهريار فهو يؤجل قراره مرتين مرة بعد ان يتاكد بنفسه « فليس من سمع كمن رأى » ومرة بعد قيامه برحلة بحثه التى ستكون بدورها ـ كما سنرى ـ تصعيدا جديدا لخيانة زوجته • و لتشابه بين قصة شاه زمان وشهريار نجد علاقة احدهما

بالنسبة للاخر كعلاقة الصوت والصدى . وهكذا بدنا النص باول مظهر من مظاهر الثنائية الا وهو الازدواجية .

وهده الازدواجية ـ ازدواجية الرجال ـ تقابلها ازدواجية نسائية ممثلة في العلاقة بين شهرزاد ودنيازاد . فدنيازاد تؤكد اختها . ويمكن القول انها صورتها السلبيه التي صاحبتها من اول الليالي الى اخرها . كما ان شاه زمان الصورة الباهتة ـ منها ـ لشهريار .

ثنائية ملحوظة

وتحمل اسماء هذه الشخصيات ثنائية صوتية ولاحظ الحساس في كل من شهرزاد ودنيا زاد . والامر نفسه ـ ولكن في بدايه الاسماء ـ بين شاه زمان وشهريار . ونحن نجد ان التكرار الصوتي او اللفظي في اسماء الشخصيات نظام متبع في قصص الاطار في الف ليلة وليلة مثل قصه السندباد البري والسندباد البحري. وعبدالله البري وعبدالله البحري .وقصه الاخوين عجيب وغريب . وهده الثنائية اللفظية امر مالوف في المنولوجيا.وهي اشبه بثنائيه الشخصية وصورتها في المراة . فنحن نستطيع ان نستوعب بعمق اكثر شخصيه السندباد البحري الثري المغامر الذي يحكي مغامراته عندما نجد امامه السندباد الحمال المعسر الذي لم يغادر مدينه بغداد يوما .

والعلاقة بين شهريار وشهرزاد هي مايسمى في المنطق علاقة الاضافة على النحو التالي :

شهريار ـ شهرزاد . زوج ـ زوجة . سلطان . جارية . مستمع ـ راوية .

ويكون هـذا التنـائي الملكي قطبين متقابلين متكاملين . كما ان هذه الثنائية تتحقق علـى المستوى اللفظي ايضا . فهناك جناس في بداية الاسمين .

ثم هناك من ناحيـــة اخرى ثنائية الاضداد تتمثل في هاتين الشخصيتين ايضا ـ شهريار يبدو في مظهر المستبد الشرقي ،والذكر الذى يلتهم في كل ليلة امرأة . بينما شهرزاد تقوم بدور الانثى التي تهدد وتروض هذه الشهية المتوحشة . فهي تحاول ان تستأنسه بتحويل شهيته الى النساء الى شهية لقصص عن النساء . فعبقرية شهرزاد انها حولت النساء مـن موضوعات جنسية الـى موضوعات للخيال الجنسي . والولوج الى هذا العالم الرمزي هو اخطر خطوة اتخذتها شهرزاد . وبذلك اصبح استخدام اللغة امرا ممكنا . وبامكان استخدام اللغة اصبح من الممكن انبثاق احاديث لا نهاية لها .

وبحصول شهرزاد على ميزة القص . انعكست علاقتها بسيدها . فهي كراوية لها اليد العليا . واصبحت الجانب الايجابي . بينما شهريار المستمع هو الجانب السلبي . ويؤكد هذا تلك المعرفة الموسوعية التي كانت عليها شهرزاد . فهي كانت قد قرات الكتب والتواريخ وسير الملوك المتقدمين واخبار الامم الماضين . قيل انها جمعت ألف كتاب من كتب التواريخ المتعلقة بالامم السالفة والملوك الغابرة والشعراء .

فشهرزاد قوية من جانب وان كانت بلا حول ولا قوة من جانب اخر . فوضعها متضاد وكذلك حالتها . فهي من المفروض ان تموت لكنها ظلت تعيش . والعلاقة بين شهرزاد وشهريار علاقه معقدة . فلا يمثل احدهما نموذجا خالصا . فهناك شيء من ايجابية شهريار في شهرزاد وشيء من سلبيتها فيه .

وهده الثنائية التي تسيطر على علاقة الشخصيات الرئيسية يبدو انها تتسلل او تنفذ الى موضوع القصة . حيث نجد انها تتضمن الحب والموت . فاول حدث درامي يقع حين يجد شاه زمان زوجته في الفراش مع عبد اسود . ويتكرر هذا المشهد التشبقي حين رأى شاه زمان زوجة اخيه مع عبد اسود .ثم يتكرر للمرة الثالثة حين يراه شهريار بنفسه . ووقوع الحدث ثلاث مرات من شانه ان يضخمه ويؤكده .ويضاعف من كثافة الصورة هؤلاء الجاريات العشرون اللاتي كن يصاحبن زوجة شهريار مع العبيد العشرين في الحديقة الملكية . والذين اقترفوا نفس الاثم . وكل الذين اشتركوا فـــي عمليات العهر هذه كان الموت نصيبهم . وهكذا نجد ثنائية الشبق والموت في هذا الجزء من القصة .

امرأة في البدء والانتهاء

ان قصة الف ليلة وليلة قصة رباط ز... فصمته امرأة والتام على يد امرأة أخرى . . ... شهريار الاولى وجدت مع عبد أسود . . ...

هنا خيانة مزدوجة ، لانها خيانة للرباط الزوجي وخيانة للطبقة التى تنتمى اليها الملكة زوجة الملك . فالعبد هنا والملكة هنا قطبان متنافران اشد التنافر . وتلاحظ الدكتورة فريال بدكا. اننا لا نجد أسماء للزوجتين الخائنتين . زوجتي شهريار وشاه زمان . ولا للعبد الذى وجد مع زوجه شاه زمان . أما العبد الذى وجد مع زوجة شهريار فان اسمه مسعود . ولكن مسعود أقرب ما يكون الى الاسماء العامة وليس اسم شخص بالذات . فقد كان يطلق على كثير من العبيد في العصور الوسطى الاسلامية . وعدم ذكر الاسم معناه أن الشخصية أقرب ما تكون الى الرمز او النمطية . وجريمه الزنا لم تقترف مع رجل اسود ولكن مع عبد أسود . وجريمة الزنا تمس ثلاثة اشخاص الزوج والزوجة والعشيق . والزوج ملك يمثل النظام والقانون في مقابل العبد الذى يمثل الفوضى والتخريب . ومعنى هذا أن الزوجه لا يكفيها العلاقة الجنسية التى يباركها المجتمع ، وتبحث عن علاقة غرامية أشد بدائية . انها غريزة الموت تقحم نفسها على غريزة الحياه .

والفقرة التى تصف عودة شاه زمان الى قصره فعاة توضح الاستخدام الذكى والنص للون . فالفقرة تتكرر فيها كلمة السواد لتربط بين هذه الافتتاحيه والرواية الليلية التى كانت ترويها شهرزاد لتسكت عن الكلام المباح عندما يدركها الصباح . فشاه زمان يتذكر فى منتصف الليل ما نسيه فى قصره بعد أن كان قد غادره فى رحلته الى أخيه . والليل يذكرنا بالسواد . ومنتصف الليل يذكرنا باشد لحظة فى الليل سوادا . وعندما راى شاه زمان ما يحدث بين زوجته والعبد الاسود . اسودت الدنيا فى عينيه . وهكذا فان لونا واحدا . هو السواد . اتصف به وقوع الحادث والزانى ورد الفعل . وبذلك ربط اللون بين ثلاثتهم . بينما نجد أنه عندما عفا الملك عن شهرزاد فى نهاية الليالى فان القصاص يصف تلك الليلة بان لونها كان أبيض مزوجه النهار .

كذلك نلاحظ أن النص استخدم اللون للتعبير عن الحالات الوجدانية ، فشاه زمان عندما كان عند اخيه وتذكر ما كان من أمر زوجته حصل عنده هم زائد واصفر لونه . فلما شاهد أن بليته أخف من بلية أخيه احمر وجهه وصار ياكل بشهية .

وفى الجزء الثانى من القصه ينقلب الوضع . ففى الرحلة التى قام بها الملكان يمر كل منهما بتجربة معكوسه لتجربتهما السابقتين . حيث يمارس كل منهما مع الصبية التى خطفها الجن ما سبق ان مارسه عبد اسود مع زوجته . وبذلك اصبحت العلاقة على النحو التالى .

العبد ـ شهريار

شهريار ـ الجن

هذه العمليه المتعاطفة ستكرر فى القصة التى رواها الوزير لابنته شهرزاد عن الحمار والثور . فالحمار الذى نصح الثور بالتمارض لكى يعفى من العمل الشاق ستنتهى به الامر ان يقوم هو بعمل الثور الشاق ـ تماما كما كان شهريار معتدى على عرشه . فاصبح هو معتديا على أعراض الاخرين ـ بينما يستمتع الثور بالراحه التى كان ينعم بها الحمار . وكما تعلم شهريار درسا من تجربته وادرك ان حالته ليست هى الحالة الوحيدة. ومن ثم يعود الى عرشه . كذلك فان الحمار يدرك ان نصيحته قد كلفته ثمنا غاليا . ويعمل على استعادة مكانته السابقة حين ادعى أنه سمع سيدهما يقول انه ينوى ذبح الثور ان لم يعد الثور الى صحته .

تجربة مع الصبيه

ونحن نصف نائتين ان تجربة الملكين الشقيقين مع الصبية التى اختطفها الجنى كانت تصعيدا حر لتجربة كل منهما بسبب خيانة زوجته له . فالجن كان قد اختطف الصبية ليلة عرسها ووضعها فى علبة وجعل العلبة داخل الصندوق ورمى على الصندوق سبعة اقفال وجعله فى قاع البحر العجاج المتلاطم الامواج . ومع ذلك فما ان خرج لحظة من البحر وجلس وفتح صندوقه واخرج منه العلبة ووضع رأسه على ركبتها ونام . حتى لمحت الملكين اللذين كانا قد تسلقا شجرة خوفا من الجنى ، فامرتهما ـ باشارة ـ بالنزول والا نبهت عليهما العفريت فيقتلهما شر قتلة . فخافا ونزلا . فطلبت من كل منهما ان يفعل معها ما سبق ان فعله عبد اسود مع زوجته فعن خوفهما من الجنى فعلا ما امرتهما به . فلما فرغا قالت لهما اقلعا . واخرجت لهما من جيبها كيسا واخرجت لهما منه عقد فيه

خمسمائة وسبعون خاتما . فقالت لهما : أتدرون ما هذه ؟ فقالا لها لا ندري . فقالت لهما : أصحاب هذه الخواتم كلهم كانوا يفعلون بي على غفلة من هذا العفريت . فاعطياني خاتميكما أنتما الاثنان الاخران . فاعطياها من يديهما الخاتمين . فقالت لهما : ان هذا العفريت قد اختطفني ليلة عرسي . ثم انه وضعني في علبة وجعل العلبة داخل الصندوق في سبعة أقفال ، وجعلني في قاع البحر العجاج .. ويعلم أن المرأة منا اذا أرادت امرا لم يغلبها شيء .. فلما سمعا هذا الكلام تعجبا غاية العجب . وقالا لبعضهما : اذا كان هذا عفريتا وجرى له أعظم مما جرى لنا ، فهذا شيء يسلينا . ثم انهما انصرفا من ساعتها ورجعا الى مدينة الملك شهريار ، ودخلا قصره ، ثم انه رمى عنق زوجته وكذلك أعناق الجواري والعبيد .

ففي قصة الملكين مع الصبية والجني نجد أنهما يكتشفان أن ما جرى للعفريت أعظم مما جرى لهما ، لانه مع كل ما اتخذه من حيطة تفوق ما اتخذاه مع زوجتيهما ، قد استطاعت الصبية أن تحطم كل العوائق وتفعل ما فعلت ــ لا مع عبد أسود واحد ولا في حفل فيه عشرون جارية وعبدا ــ بل مع مئات الرجال الذين بلغ عددهم خمسمائة وسبعين مضافا اليهم الشقيقان ، أي حيث الحيطة الاشد كان الفجر الاشد . وقد كان ذلك الموقف شفاء لجرحهما ، كما كان ما رآه شاه زمان من قبل من خيانة زوجة أخيه شفاء لجرحه . وقالا لبعضهما : اذا كان هذا عفريتا وجرى له أعظم مما جرى لنا فهذا شيء يسلينا . وهكذا تتكرر قصة الخيانة الجنسية ثلاث مرات . ولكنه ليس مجرد تكرار عددي بل تكرار تصاعدي . واذا كان التكرار في القصص الشعبي للتاكيد فان التكرار التصاعدي لتاكيد أشد .

كذلك أحب أن أنبه الى أن تجربة الملكين مع الصبية التي اختطفها الجني تختلف عن تجربة العبد مع زوجة كل منهما ــ من الناحية الاجتماعية على الاقل . فالزوجتان مرتبطتان برباط اجتماعي هو رباط الزواج . ومع ذلك فهما تحطمان هذا الرباط . ولذلك فان الراوي أو القصاص جعل أمرهما ينكشف لتنالا عقابهما على هذا التمرد الاجتماعي . أما في حالة الصبية المخطوفة فان الامر عكس ذلك تماما . فالجني هو الذي حطم هنا علاقة الزواج الشرعية التي كانت الصبية على وشك الارتباط بها ــ أو لعلها كانت قد ارتبطت بها توا ــ حين اختطفها ليلة زفافها ، لذلك فانه ينال عقابه اجتماعيا بان تخونه باستمرار رغم ما فرضه عليها من قيود . ولهذا فان ما ترتكبه لا ينكشف ولا تنال عقابا على ما تقترفه رغم كثرة مرات خيانتها التي بلغت المئات . والتي يوحي لنا النص أنها مهما بلغت مئات أخرى في المستقبل فستظل خياناتها سرا مكتوما . ولعل هذه هي المقابلة المستفادة من القصتين . ولهذا فانه عندما ترتكب الخيانة زوجتا الملكين الشقيقين تقتلان مع الزانيين . بل ان كل من شارك في اقتراف الجريمة يكون له نفس المصير . أما في قصة الملكين وأسيرة الجني فان من لا يرتكب الخيانة ــ اذا سميت في هذه الحالة خيانة ــ هو الذي يكون مصيره القتل .

اما الجزء الثالث من القصة « الاطار » فهو حين عرضت شهرزاد على أبيها الوزير أن تكون « فداء لبنات المسلمين وسببا لخلاصهم » ، وذلك بسبب هروب البنات من المدينة . فقص عليها أبوها حكاية الحمار والثور مع صاحب الزرع ، ومن داخلها قصة الديك والكلب . وهكذا نلتقي باول خرافتين في الليالي .

وتنبه الدكتورة فريال الى أن قصة الحمار والثور تبدأ ببيان تفاوت الحظوظ بين كل من الحيوانين . الثور يعمل في الحقل ويشقى ، والحمار لا يقوم الا بالاعمال الهينة . فالحمار « فوق » والثور « أسفل » . وينصح الحمار الثور بالتمارض تجنبا للعمل . ولكن صاحبهما ــ الذي يعرف لغة الحيوان ــ ياخذ الحمار بدلا من الثور للعمل في الحقول . وبذلك ينقلب الوضع فيصبح الثور « فوق » والحمار « تحت » . ويندم الحمار على نصيحته ويحاول الخروج من هذه الورطة باقناع الثور أن سيده سيذبحه اذا استمر في تظاهره بالمرض . ويصدق الثور الحمار ، فيبدي علامات الصحة في الصباح التالي ، مما ترتب عليه عودته للعمل في الحقول . وبذلك يعود الوضع بين الحيوانين الى سابق عهده . فالخرافة اذن لها ثلاث حركات : فوق تحت فوق أو تحت فوق تحت .

للتحرر من الزمن

وتختلف هذه القصة اختلافا بينا عن قصة الديك

والكلب . التي انبثقت من القصة السابقة . ذلك ان التاجر عندما رأى ثوره يحرك ذنبه « ويبرطع » ضحك حتى استلقى على قفاه . فطالبته زوجته بان تعرف منه سر ضحكه . لكنه أعلن لها ـ وعلى عكس شهرزاد ـ انه اذا باح لها بالسر فسيموت . أي انه اذا كانت قصص شهرزاد تنقذها من الموت فان قصة التاجر تؤدي به الى الموت . تماما كما كانت قصة شاه زمان لاخيه شهريار عن خيانه زوجة اخيه سببا في هلاكها وهلاك واحد وأربعين عبدا وجارية « فقالت لا بد أن تخبرني بذلك وما سبب ضحكك ولو كنت تموت . فقال لها ما اقدر ان ابوح به خوفا من الموت فقالت له انت لم تضحك الا علي ـ ثم أنها لم تزل تلح عليه وتلح في الكلام الى أن غلبت عليه . فتحير واحضر أولاده وارسل فاحضر القاضي والشهود واراد أن يوصي ثم يبوح لها بالسر ويموت لانه كان يحبها محبة عظيمة . لانها بنت عمه وأم أولاده . وكان قد عمر مائة وعشرين سنة . ثم أنه أرسل واحضر جميع اهلها وأهل حارته وقال لهم حكايته ، وانه متى قال لاحد على سره مات . فقال لها جميع الناس ممن حضر بالله عليك اتركي هذا الامر لئلا يموت زوجك أبو أولادك . فقالت لهم لا أرجع عنه حتى يقول لي ولو يموت ، فسكتوا عنها . ثم ان التاجر قام من عندهم وتوجه الى دار الدواب ليتوضا ثم يرجع يقول لهم ويموت . وكان عنده ديك تحته خمسون دجاجة ، وكان عنده كلب . فسمع التاجر الكلب وهو ينادي الديك ويسبه ويقول له : انت فرحان وصاحبنا رايح يموت . فقال الديك للكلب وكيف ذلك الامر ، فاعاد الكلب عليه القصة ـ فقال له الديك والله ان صاحبنا قليل العقل . انا لي خمسون زوجة أرضي هذه واغضب هذه . وهو ما له الا زوجة واحدة . ولا يعرف صلاح أمره معها . فما له لا ياخذ لها بعضا من عيدان التوت ثم يدخل الى حجرتها ويضربها حتى تموت او تتوب ولا تعود تساله في شيء . قال : فلما سمع التاجر كلام الديك وهو يخاطب الكلب رجع الى عقله وعزم على ضربها . وقد نفذ التاجر ما اعتزم عليه حتى قبلت يديه ورجليه وتابت .

فبينما نجد ان قصة الثور والحمار اساسها ارتفاع الحركة وانخفاضها ، نجد ان اساس قصة الديك والكلب وسيدهما هو تحاور وجهتي نظر .

والقصص الخرافية والقصص الدينية في الف ليلة وليلة لا تخرج عن احد هذين الشكلين . والقصص التي تجري على منوال قصة الحمار والثور اساسها ان الشخصيات الرئيسية شخصيات متضادة وما فيه الخير لاحدهما فيه الشر للاخر ، وخسارة الواحد ربح للاخر . وفي مثل هذا الشكل لا يمكن للشخصيات ان تتطور . فمثل هذا النوع من الخرافات لا يسمح الا بتبادل الاوضاع .

ولما كان الهدف من حكاية القصص في الليالي هو تأخير ـ أو التغلب على ـ الوقت أو الزمن . فان القص او الرواية يصبح وسيلة للتحرر من الزمن . والخرافة القصيرة القائمة بذاتها ليست صالحة لمصارعة الزمن . ولهذا ففي الليالي نجد ان قصر الخرافة يعوضه تكرارها .

دخلت التاريخ

اما الجزء الرابع والاخير من القصة الاطار فهو الذي ياتي في نهاية الليالي حين يعفو الملك شهريار عن شهرزاد ونحن نكتشف في تلك النهاية ان ما انقذ شهرزاد من الموت ليس روايتها لاقاصيصها فقط . ولكن انجابها ثلاث ذكور . ولما كانت الالف ليلة معناها ثلاث سنوات تقريبا . فتكون شهرزاد قد انجبت ولدا كل سنة . ويمكن ان نستمر في الانجاب بهذا المعدل كما كانت مخصبة في القص . اي انه كان لها قدرة على التكاثر قصصيا وذرية ، وبذلك يكون المعنى المستخلص من القصة ان الحياة تتغلب على الموت . وان الموت يمكن هزيمته بما وما يخلفه الانسان « اللي خلف ما مات » .

والخلاص عن طريق القول امر شائع في الادب الشعبي . كما في اسطورة اوديب حين حل اللغز الذي القاه عليه ابو الهول فصرعه . وفي السير الشعبية كثيرا ما تلقى الغازا اذا حلها البطل نجا من الموت . وهكذا فان الف ليلة وليلة تعلن على لسان شهرزاد « انا اروي . اذن انا موجودة » . والربط بين خصوبة القول والخصوبة الجسدية ليس غريبا على الادب العربي . فطالما وصف كبار الشعراء ابياتهم بانهم فحول .

واضيف الى ملاحظة [illegible] ان شهرزاد [illegible] حتى حياتها [illegible] لكنها

ابقت على نفسها فى التاريخ الادبى ايضا ، فحققت بذلك اكثر مما كانت ترجوه • كانت تريد تجاوز اللحظة المحددة لنهايتها للحصول على عمر ـ مهما طال ـ فهو محدد . فاذا بها تحصل على عمر يبقى ما بقيت الانسانية تقرأ قصتها وما روته من قصص غيرها ،مثلها فى ذلك مثل المصريين القدماء الذين بنوا اهراماتهم ومقابرهم وحنطوا موتاهم حتى يصمدوا بعثهم فى حياة اخرى ـ لا نؤمن بها نحن اليوم على النحو الذى تصوروه هم ـ لكنهم بعثوا فى تاريخ البشريه وبعد اربعة آلاف سنة ، حين عثرنا على اثارهم •

شهرزاد وعنترة

كما ترى الدكتورة فريال ان الف ليلة وليلة هو عمل فنى ضد السيرة • فابطال السير دائما رجال• وحتى فى حالة كونهم نساء ، كما هو الحال فى سيرة ذات الهمة ، فانهن يكدن يكن رجالا متنكرين فى شكل اناث • اما فى الف ليلة وليلة فاننا نجد ان بطلتها شهرزاد مثال الانوثة فى الحضارة العربية الاسلامية • فهى جذابة متعلمة ، ذات نشاة طيبة وابنة شخص يحتل مكانة مرموقة • وتشغل البطلة شهرزاد فى الليالى مكانة البطل فى السيرة • لهذا فبدلا من ميدان الحرب التقليدى حيث يثبت البطل ذاته ، فان بطلة الف ليلة وليلة تواصل كفاحها من خدرها وهى راقدة فى فراشها ،وسلاحها روايات واحاديث • فبطل السيرة رجل افعال ، بينما شهرازد سيدة اقوال • وهى لا تتزحزح عن مكانها ، بينما عنترة ـ على سبيل المثال ـ يتحرك شرقا وغربا فى كل انحاء العالم المعروف لعرب العصور الوسطى •

والاساس الذى تقوم عليه الف ليلة وليلة هو وجود ازمة ثم انفراجها • وهذا واضح فى القصة الاطار • فعندما سال شهريار اخاه شاه زمان عن سبب غمة الزائد واصفرار لونه وضعف جسمه اجابه : يا اخى انى انا فى باطنى جرح • وجاء الرد على ذلك من شهرزاد فى قولها للملك شهريار : انا احدثك حديثا يكون فيه الخلاص ان شاء الله •

فالنص يدور حول هذين المحورين•وكلمة خلاص تعنى النهاية • فهو قص هدفه وضع حد للقص، انه موجود من اجل الا يوجد •

وتختلف قصص الف ليلة وليلة فى النوع والتكتيك والمحتوى ، وتضم امثلة دينية ،وحكايات سحرية ، ورومانسيات تاريخية ، وقصص حيوانات، الخ • وتغطى موضوعات فقهية ولغوية وتاريخيه وجغرافية وسيكلوجية • وترى الدكتورة فريال ان هذا التنوع الهائل ليس محض صدفة ، لكنه يؤدى وظيفة يمكن تسميتها بالدفعة الموسوعية للعمل • وهذه الموسوعية التى تتصف بها ليست مرتبة ترتيبا هجائيا ، ولكن هذا لا يقلل من قيمة العمل الاستيعابية • فالعمل الموسوعى فى العصور الوسطى الاسلامية كان المقصود من قراءته الحصول على تأثيره الكامل فى مجموعه • وأيا كانت مصادر الف ليلة وليلة : بابلية أو هندية أو عربية ، فانها قد ادخلت فى المجموعة عن قصد ، على نحو ما كانت التواريخ العامة التى كتبت فى العصور الوسطى الاسلامية تضم اليها تواريخ غير العرب ، وكان الهدف من هذه الجهود هو الحاجة الى حفظ الماضى وتجميع المعارف المختلفة • والف ليلة وليلة ما هى الا التعبير الادبى عن هذا الاتجاه •

ان ألف ليلة وليلة التى جمعت اكبر مجموعة من قصص الفانتازيا فى ادبنا العربى ، تلك القصص التى تذوب الفواصل بين العالمين المرئى واللامرئى ، وتزدحم بالاماكن المرصودة والطلسمات وتتجاوز المسافات المكانية والزمانية ، ولا يهتم سامعها اذا كانت قد وقعت ام لم تقع ، نقول ان مجموعة هذه القصص ليست اولا مجموعة خوارق أو وثائق اجتماعية او مصدرا للمعلومات ايا كانت، وان كانت يمكن ان تكون كل هذا ، لكنها اولا عمل فنى متكامل • اذا اردنا ان نستكشفه ونفوز بخباياه وأسراره فعلينا ان نعامله كما يقدم هو نفسه الينا : عملا شعبيا قصصيا • وهو وان كان مصدرا لكثير من الدارسين والباحثين البعيدين عن مجال الادب والقريبين منه ايضا ، فقد كان كذلك مصدرا لوحى كثير من الادباء والفنانين فى جميع انحاء العالم شرقيه وغربيه • ■■

يوسف الشا[illegible]ى

مسابقة العدد

■ مسابقة هذا العدد هي « الكلمات المتقاطعة » .. والمطلوب ايجاد الاجابات الصحيحة لها وارسالها الينا .. ويمكنك اعادة رسم مربعات الكلمات المتقاطعة على ورقة مستقلة ، حتى لا تشوه صفحة العدد بقطعها منه .. أما الكوبون المنشور في أسفل الصفحة المقابلة ، فمن الضروري أن يرفق بالاجابة حتى تفوز بواحدة من الجوائز التي مجموعها ١٠٠ دينار تمنح على الوجه الآتي :

الجائزة الاولى ٣٠ دينارا ـ الجائزة الثانية ٢٠ دينارا الجائزة الثالثة ١٠ دنانير و ٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا كل منها ٥ دنانير .

ترسل الاجابات على العنوان التالي : مجلة العربي صندوق بريد ٧٤٨ الكويت . مسابقة العدد ٢٤٠ » وآخر موعد لوصول الاجابة الينا هو أول يناير (كانون ثاني) ١٩٧٩ .

اثنتان في واحدة :

اذا استطعت حل مسابقة الكلمات المتقاطعة ، ستجد في (٨) أفقيا اسم خليفة عباسي معروف ، كما ستجد في (٨) رأسيا اسم صحابية معروفة .

كلمات أفقية :

(١) جهاز قياس ضغط ـ يشفي ـ ادرك .

(٢) دولة اوربية ـ عاصمة بوليفيا .

(٣) ضرب بجمع الكف ـ من الاوراق المالية ـ ضمير ـ من افرازات الجسم .

(٤) حرفان متشابهان ـ جواهر ـ من الاديان ـ نصف كلمة (يبلع) .

(٥) في البيضة ـ عاصمة اوربية ـ من الماشية .

(٦) من العناصر ـ اشكره ـ تعلق مرضي .

(٧) سكان جزيرة جرينلاند ـ أمصار ـ من اجزاء الجهاز التنفسي .

(٨) خليفة عباسي معروف .

(٩) قطر عربي ـ افسد ـ هدمها .

(١٠) نما ـ جس ـ رسام اسباني قديم معروف .

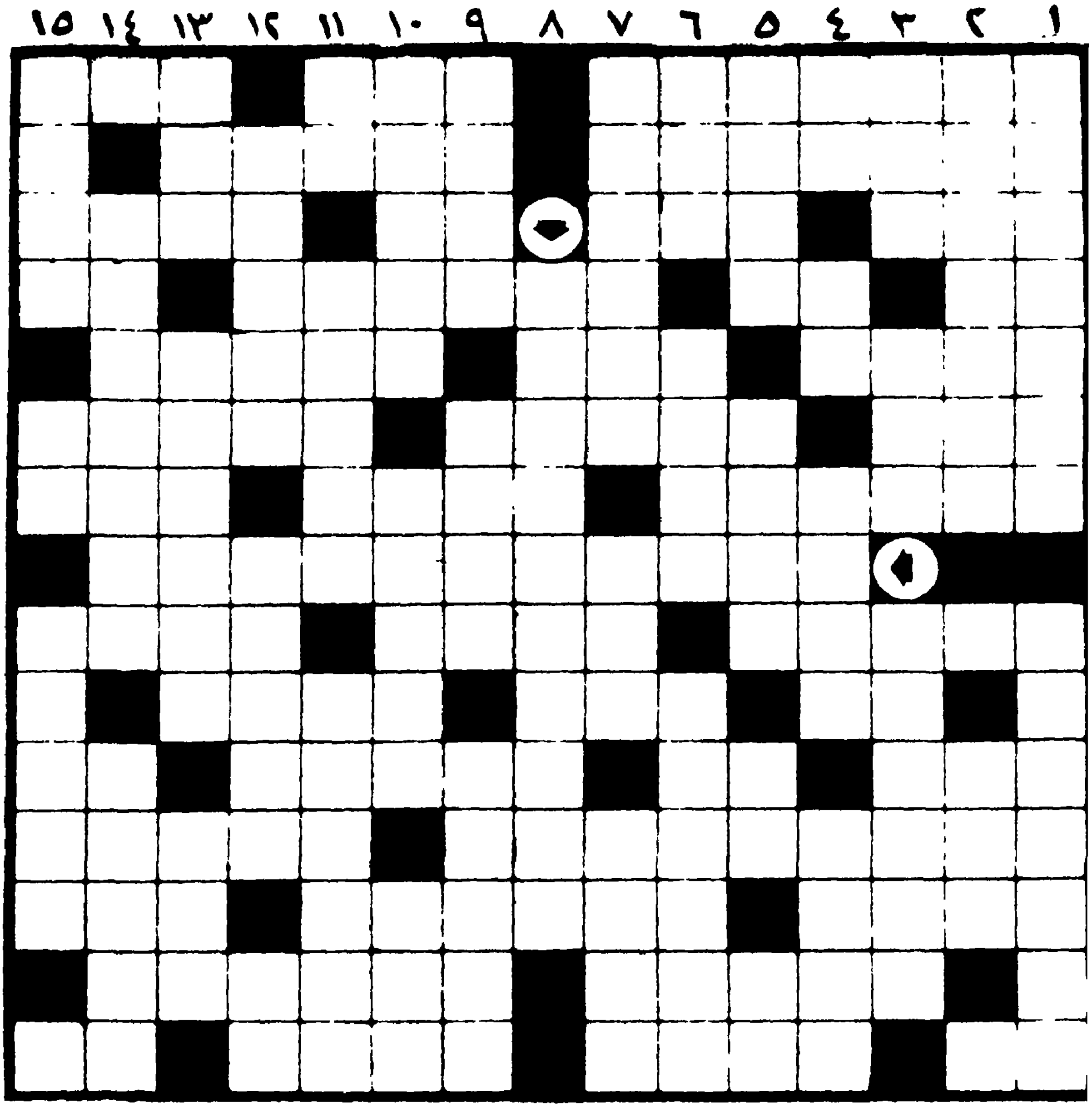
(١١) من منظمات هيئة الامم المتحدة ـ مقام موسيقي ـ غناء الطائر ـ صرف .

(١٢) عاصمة افريقية ـ مدينة جزائرية .

(١٣) شمال ـ احد ...

(١٤) ترفع ـ ...

(١٥) هلك ـ ...



كلمات رأسية :

(١) دولة آسيوية ـ قائد سياسى فرنسى حارب فى سبيل استقلال الولايات المتحدة •

(٢) شاعر وكاتب مسرحى اغريقى ـ أخفى •

(٣) لقب ـ اهدم ـ مواد ضروريةلغذاءالجسم•

(٤) حرفندبة ـ ارشد ـ يخشى ـ معدلانطلاق•

(٥) منقار الطائر الجارح ـ طمانينة ـ حرف نفى ـ حرفان متشابهان •

(٦) فاكهة ـ تخضع لها القوالب الشعرية ـ من انواع القنابل •

(٧) من العناصر ـ حرف عطف ـ أبغى •

(٨) صحابية معروفة •

(٩) يلعب ـ من اوجه القمر ـ تليدة •

(١٠) حيوان يشبه الدب ـ من أوقات الصلاة ـ عطش •

(١١) جوهر ـ يبارح ـ ولاية أمريكية •

(١٢) دولة آسيوية ـ قوية ـ تصف كلمة (جياد) •

(١٣) خاف ـ من القارات ـ من الامراض •

(١٤) من سور القرآن الكريم ـ ضاهت •

(١٥) شكل هندسى منتظم ـ نصف كلمة (نة ـ) ـ شدة الغيظ •

اديب سوداني معروف

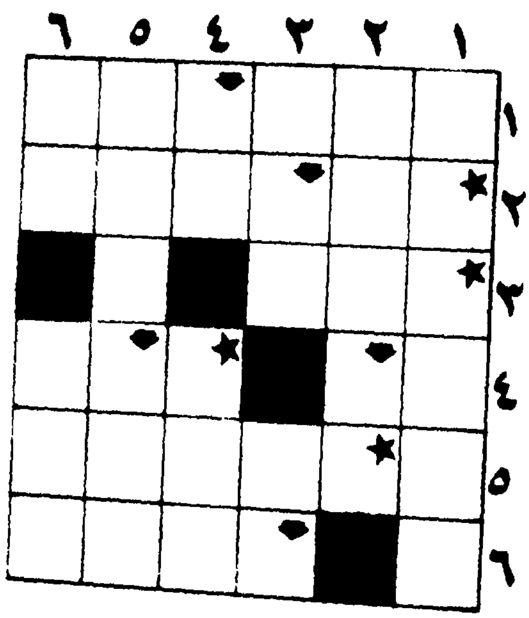
ابدأ اولا بحل مسابقة الكلمات المتقاطعه . بعد ذلك انقل الحروف التي في المربعات التي بها الاسهم، ورتبها بحيث تصنع الاسم الاول لاديب سوداني معروف . ثم أنقل الحروف التي في المربعات التي بها النجوم . ورتبها بحيث تصنع لقبه .

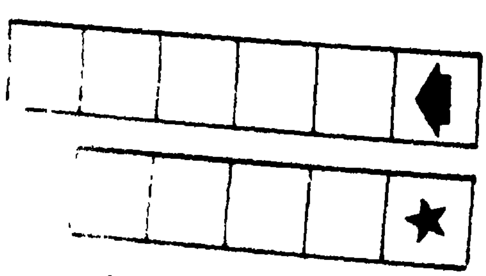
الكلمات الافقية :

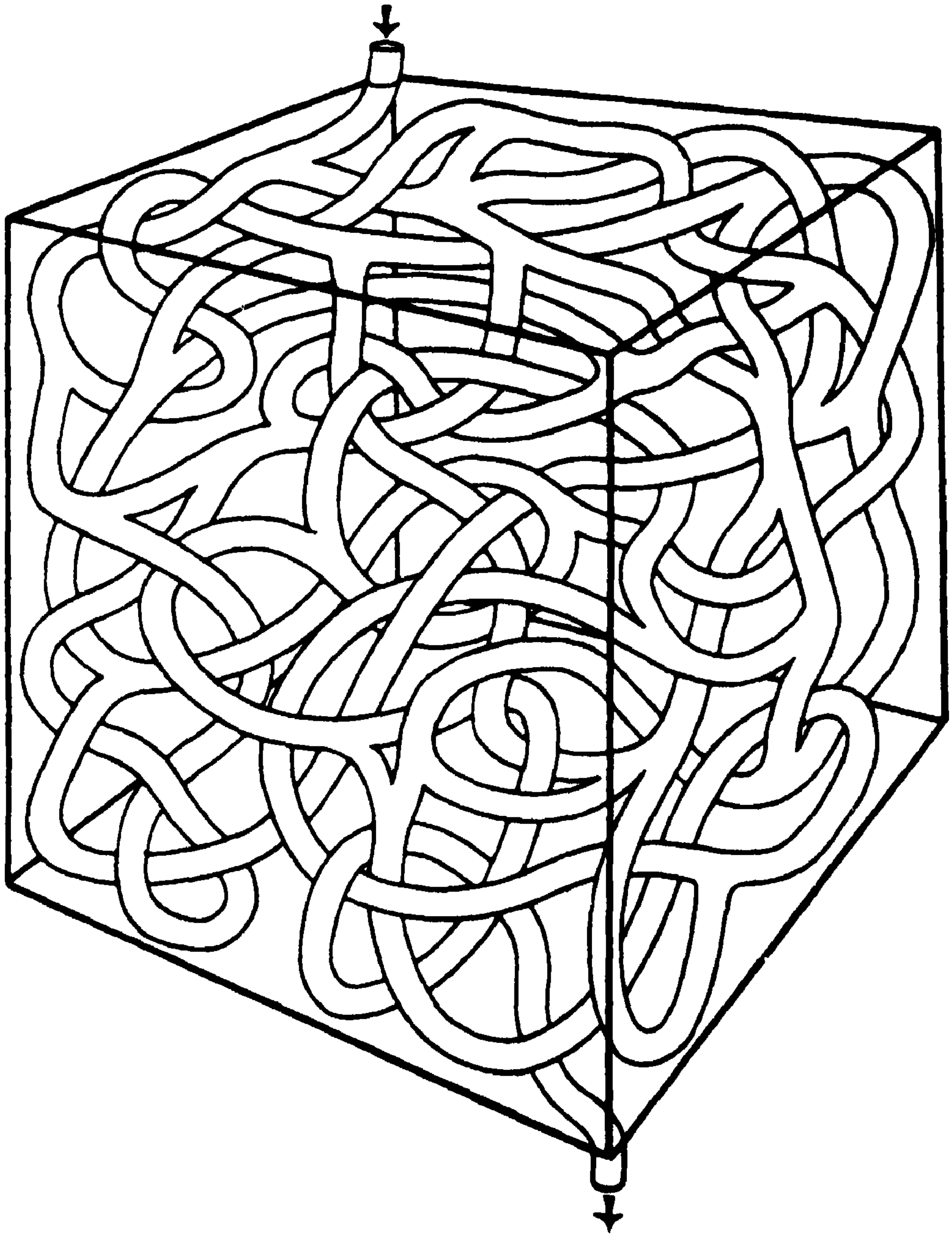
(١) وسيلة انتقال .
(٢) عاصمة أوربية .
(٣) شهر هجري .
(٤) للتعريف ـ وقت .
(٥) امبراطور فارسي قديم .
(٦) على اليمين .

الكلمات الرأسية :

(١) الذي يرفع صوته بالغناء .
(٢) عدم النجاح (معكوسة) .
(٣) لحد ـ نصف كلمة (رائد) .
(٤) نصف كلمة (طويل) ـ خجول .
(٥) من العناصر الكيميائية .
(٦) نصف كلمة (رهيب) ـ شرع .







مشكلة السباك

كانت المشكلة التى استدعى السباك من اجلها ، هو أن يمتحن هذا الغزان الملىء بالانابيب ، حتى يتخلص من كل الانابيب التى ليست لها ضرورة ، ويستبقى الانبوبة التى تجعل الماء ياخذ اقصر الطرق بين الفتحتين .

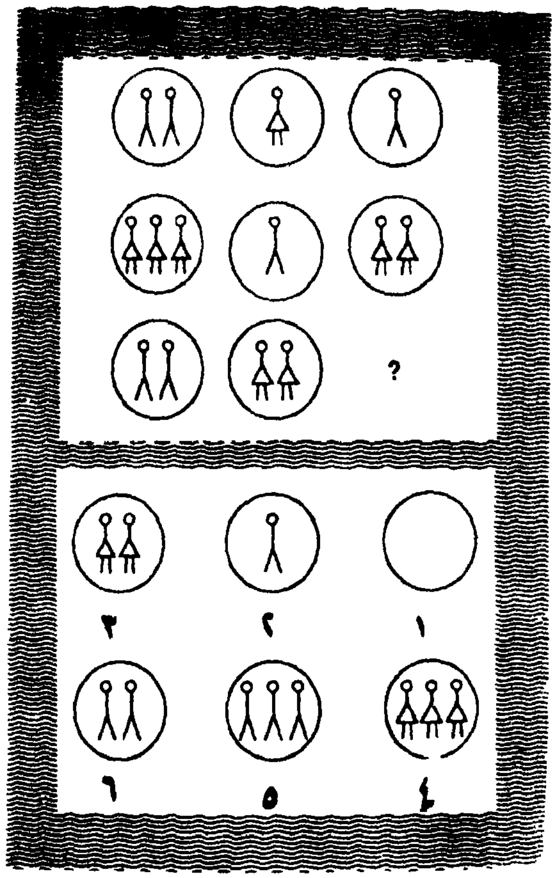
هل تستطيع أن تحدد الانبوبة المطلوبة ؟..

● بالعقل فقط ●

● استاذ نبيه يسال ●

ما عمر كل بنت من بناتي ؟ .

عندى ثلاث بنـات : اينــاس ، وبديعــةوجمـالات .. هل تستطيع أن تعـرف عمر كل واحدة منهن ، اذا قلت لك أن عمر ايناس حالياقدر عمر بديعة وجمالات معا . ومند عام فقط كان عمر بديعة ضعف عمر جمالات . أما بعـدعامـين من الان ، فسيكون عمـر اناس ضعف عمر جمالات ؟



الشكل المطلوب

من دراسة العـلاقة بـين الاشكال التى فى الصفين العلويين ، حاول أن تعرف أى الاشكال ذات الارقام ، يحل محل علامة الاستفهام .

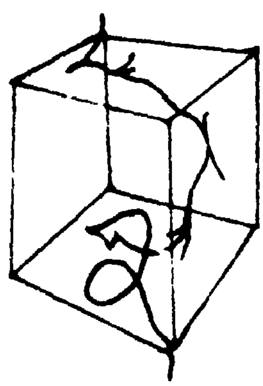
الحلول

النجمة والسهم :

الطيب صالح .

متاهة :

الحل كما فى الرسم .



استاذ نبيه يسال :

الاعمار كالتالى ، ايناس ٨ سنوات ، بديعة ٥ سنوات ، جمالات ٣سنوات .

الشكل المطلوب :

رقم ١ .



دليل الزمن

[illegible]

RADO

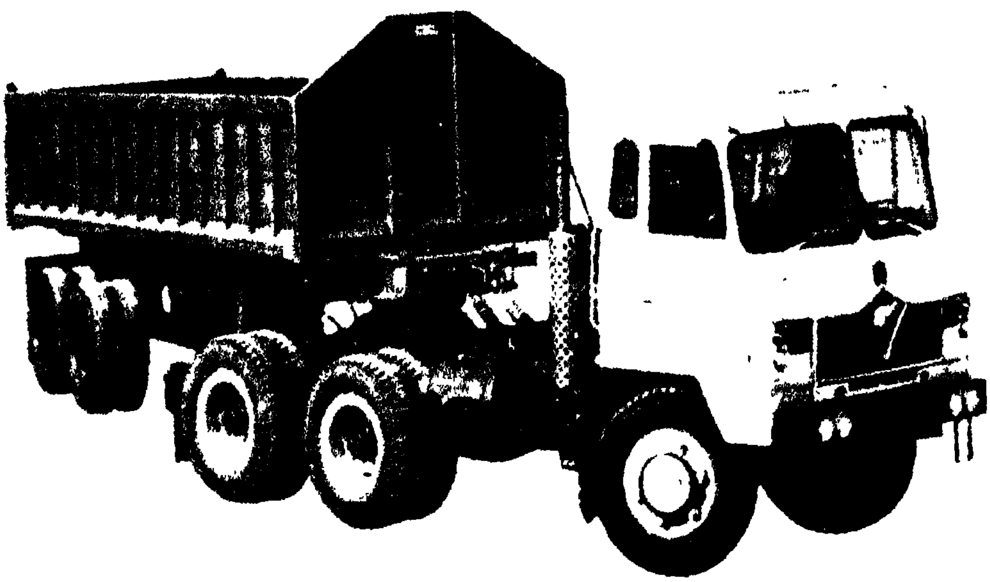
ـد في الجمال وسعة الى الابد



فودن

حرار سوبر هولماستر
متانة معتمدة. قوة واداء

حرار سوبر هولماستر. ٦٥ طن. وحدة فودن [illegible] محاور صمم للقيام باعمال النقل والانشاء الاكثر صعوبة. في اي مكان من العالم. جرت هندسه ليكون د[illegible] كاملة حتى في اقسى ظروف التشغيل



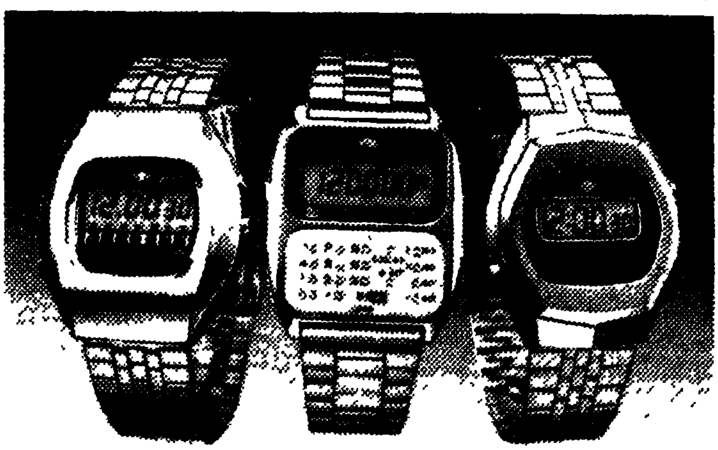
AA10



يمكنك الاعتماد على اوريينت للحصول على آخر التطورات في تكنولوجيا الساعات :
ساعة رقمية حديثة تعمل على البطاريات الشمسية ، مستعملة طاقة الشمس اللامحدودة. لاحاجة لإعادة
التعبئة للإستعمال اليومي . فعند الحاجة يكفي تعريض البطاريات الشمسية ، الموجودة في اسفل وجه الساعة الجذاب
لنور الشمس او نور الغرفة لبضع دقائق فقط هذا كل مايلزم كي تعمل هذه الساعة العجيبة مدة ٢٤ ساعة . ان التطور
الدائم تقليد متبع لدى اوريينت . ان هنالك مجموعة كبيرة من ساعات الكوارتز الفائقة الدقة والجودة كي تختار منها
ساعات اوريينت كوارتز ، تقدم لك اكثر بكثير من اعطائك الوقت الصحيح فقط

ORIENT اوريينت

Manufacturers **ORIENT WATCH CO., LTD**
Official & Exclusive Exporters and Distributors to the Middle East
JAPAN OVERSEAS CORPORATION
7 8 4 Minami Aoyama Minato Ku Tokyo TEL 407 5901 TLX J26896




باركر ١٨
فلوتينج
يختلف هذا القلم عن غيره، ليس عليك
إلا أن تكتب به لتكتشف السبب فهو بينما
يكتب "يطوف" (فلوتينج) على سطح
الورقة. مفهومه جديد في عالم
الكتابه. يتوفر في عدة نماذج صقلت
بالذهب أو بالفضة أو بصبغ اللك
أو بالفولاذ ليلائم أقلام باركر
١٨٠ من حبر سائل وحبر جاف
باركر ١٨٠ فلوتينج
يقدم لك الجودة
التي لاتفقدها سوى
أقلام باركر.
PARKER
PARKER
180
floating ball



عزيزي القارئ

بعدما أفسدت السياسة الكثير من جوانب حياتنا العربية لا تزال الثقافة — حتى الآن — مسرحا يمكن أن تلتقي عنده أمتنا وننسى فيه نزاراتها وصراعاتها، وأحزانها أيضا . وتحت هذه الراية شهدت الكويت خلال الشهر الماضي مهرجانا ثقافيا كبيرا التقت فيه الدول العربية من أقصاها الى أقصاها . اذ اشتركت ١٤ دولة في معرض الكتاب العربي الرابع ، بأهم وأحدث ما أخرجته مطابعها من كتب جديدة وقديمة . وكان المعرض في الحقيقة بمثابة مؤتمر ، قمة ، ثقافي مثير للانتباه .

وتشير الدلائل كلها الى أن هذه المسيرة الثقافية تحقق نجاحات مطردة . ذلك أن عدد الكتب التي قدمت في معرض هذا العام (حوالي ١٦ ألف كتاب) أربعة أضعاف الكتب التي عرضت في المعرض الاول الذي افتتح في عام ١٩٧٥ كما أن قيمة الكتب المباعة تضاعفت مرة كل عام ، حتى وصلت الى أكثر من ٨١ الف دينار في المعرض الثالث .. فضلا عن أن هناك اهتماما ملحوظا بثقافة الطفل العربي تمثل زيادة نصيبه من تلك الكتب ، أربعة أضعاف نصيبه في المعرض الاول (من ٥١٧ الى ٢٢٥١ كتاب) .. حتى الدول العربية المشتركة زاد عددها من ١٢ الى ١٤ دولة ، مضافا اليها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ومنظمة الاقطار العربية المصدرة للبترول .. وهكذا

وقد كانت ملاحظتنا التي سجلناها في العام الماضي — عند انعقاد المعرض الثالث — هي أن الجديد في الكتب محدود ، وأن ذلك يعكس محنة المفكر العربي . لكننا هذا العام نجد أنفسنا مدفوعين الى أن نغض البصر عن أي ملاحظة ، لأن المحنة اتسع نطاقها ، وصارت محنة الانسان العربي ، وليس المفكر وحده . ذلك أننا نعتبر مجرد اقامة هذا المهرجان الثقافي العربي قيمة يجب أن نتشبث بها ، بعدما ازداد تمزق الامة العربية وتقطعت بينها أوصال كثيرة ، وبعدما صرنا نبحث عن موقع واحد أو أرض مشتركة واحدة يمكن أن تلتقي فوقها أمتنا المثخنة بالجراح .

ان اقامة مثل هذه المهرجانات الثقافية في هذه المرحلة ، هدف في حد ذاته . وهنا تبرز قيمة الدور الذي يؤديه المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالكويت ، الذي كانت [illegible] المعرفة » التي بدأ باصدارها هذا العام . [illegible]

اننا نرجو أن نشهد المزيد من [illegible]

يصل أهل الثقافة والنشر ما قطعه أهل [illegible]

العربي

رئيس التحرير : أحمد بهاء الدين

القسم العام :

■ حديث الشهر المائة الاوائل ـ احمد بهاء الدين ٦

اسلاميات :

■ فى القرآن والمسالة العلمية ـ د . عماد الدين خليل ١٩

■ للمناقشة : هؤلاء المترفون ـ فهمى هويدى ٣٥

تاريخ :

■ دعوة لفتح ملف حرب ١٩٤٨ ـ د . أحمد عبد الرحيم مصطفى ٢٥

■ نحن .. فى البرازيل ـ د . شاكر مصطفى ٤٣

■ ماساة سقوط غرناطة ـ على ادهم ١١٤

شخصيات :

■ احمد الصافى النجفى بيروتيا ـ ربيع ديب ٣١

■ قاسم امين : ظالم أم مظلوم ؟ ـ محمد خليفة التونسى ٥٤

■ المعرى والزهاوى ورحلة الى اسبانيا ـ عبد الرزاق البصير ٥٩

استطلاعات :

■ بغداد العباسية .. رحلة فى المكان والزمان ـ مصطفى نبيل ٧٢

طب وعلوم :

■ أنباء الطب والعلم : اشجار البترول الخضراء مصدر بديل للطاقة ـ انقذوا الساحل قبل فوات الاوان ـ جهاز الكتروني لقياس ضغط الدم ـ يوسف زعبلاوى ٤٨

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

تصدرها وزارة الاعلام بحكومة الكويت

والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABI — No. 241 December 1978 — P. O. Box 748 KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٤٢٧١٤١ تلغرافيا « العربى »

الإعـــلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات

المراســلات : تكون باسم رئيس التحرير

المجلة غير ملتزمة باعادة اى مادة تتلقاها للنشر



صورة الغلاف :

● استطلاع هذا الشهر رحلة في المكان والزمان، داخل بغداد العباسية ، التي كانت يوما مركز الدنيا ، وعاصمة أقوى دولة في العالم ، وهي اليوم كالعديد من مدن العروبة مستودع الحضارة الاسلامية ، لقد انتقلت عاصمة الاسلام من المدينة الى دمشق ، ومن دمشق الى بغداد لتستقر هناك خمسة قرون حافلة ..

(التفاصيل ص ٧٢)

■ الاجهاد والتوتر عدوان للحياة • ــ د • عبد المحسن صالح ٦٤

■ السرطان في الاطفال • ــ د • انيس فهمي ١٠٣

أدب :

■ الناس والفصحى في الحديث اليومي ــ د • أحمد صدقي الدجاني ٥٠

■ قصة العدد : رهان ــ للكاتب التركي عزيز نسين ــ ترجمة صفوان الشلبي ١٢٤

علم نفس :

■ ان تكون متفوقا .. كيف ومتى ؟ ــ عبد الوهاب شكري ... ١٠٦

اجتماع :

■ روح القلم ــ د • أحمد الشرباصي ١١٢

فنون :

■ في مهرجان الحمامات للمسرح والموسيقى والعروض الشعبية ــ د • علي الراعي ٣٩

■ بقلم فلان ــ كاريكاتير بريشة بهجت عثمان ٦٢

■ لوحة لها قصة : بعد ظهر يوم الاحد للفنان الفرنسي «جورج سيراه» ــ صبحي الشاروني ٩٢

■ سينما اولى وثانية وثالثة ؟ ام عالم أول وثان وثالث ؟ ــ الفاروق عبد العزيز .. ٩٦

متنوعات :

■ عزيزي القارىء ... ... ٣ ■ اقوال معاصرة ١٨

■ حل مسابقة العدد (٢٣٨) ... ٤٧ ■ حوار القراء ١٢٠

■ طرائف غريبة ... ... ١٢٣ ■ مسابقة العدد ١٢٨

■ نزهة العقل الذكي ... ... ١٢٨ ■ الفهرس العام لسنة ١٩٧٨ ١٣٣

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس ، الخليج العربي ريالان قطريان ...
بحريني ، العراق ١٢٠ فلسا • سوريا ١٠٠ قرش ، لبنان ١٠٠ قرش
السعودية ريالان سعوديان • السودان ١٠ قروش • ج.م.ع ١٠ ...
الجزائر ٥ر٢ دينار • المغرب ٥ر٢ درهم • اليمن ...
جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ٢٠٠ فلس •

الاشتراكات : يراجع طالب الاشتراك :
١ ــ الشركة العربية للتوزيع وعنوانها : ص • ب (...
٢ ــ مؤسسة توزيع الأخبار وعنوانها : ٧ شارع الصحافة ...



[illegible]

من [illegible]

نعمق في كل التاريخ [illegible]

ثم الى [illegible]

انها محاولة لا يقدم عليها الا احد « الهواة » . ففي تقديري ان اى مفكر دارس محترف ، كلما تعمق فى الدراسة فزع من المحاولة ! لانها فى الواقع مستحيلة !

ولعل هذه هي طرافة الكتاب . فالمؤلف الأمريكي فعلا من الهواة بهـذا المعنى . ولكنه هاو مـن نوع خاص . ذلـك انه رجل علم مـن المتخصصين فى علوم الفضـاء ومن العاملين البارزين فى علوم الأقمـار الاصطناعية والصواريخ فى امريكا . ولكننا نلاحظ من دراسته انه من ذوى الاهتمامات المتعددة . فلديه شهادة في الرياضيات من جامعـة كورنيل (١٩٥٢) وشهادة في القانون مـن جامعة نيويورك (١٩٥٨) وشهادة فى الفيزياء من جامعة اديلفي (١٩٦٩) ودكتوراه فى الفلك من جامعة برنستون (١٩٧٢) . اما حياته العملية فقد عمل في مركز ابحاث الفضاء العسكرية فى ميريلاند ، والمركز القومي لدراسات طبقات الجو فى كولورادو . وفى أكبر مرصد للافلاك فى كاليفورنيا وهو الآن مسئول علمي عن التطبيقات العلمية لعلوم الفضاء فى ميريلاند .

ويقول المؤلف ــ دكتور مايكل هارث ــ انه تأثر بكلمة شـهيرة للفيلسوف الانجليزى فرانسيس بيكون التى يقول فيها « القراءة تصنع الانسان الكامل » فانطلق يقرأ في كل مجال اتيح له .

ونعرف من بعض ما نشر عنه وعن الكتاب فى الصحف الامريكية انه اقدم على اعطاء عصارة حياته الى الآن لهذا الكتاب عقب مناقشة حول عشاء ، تحدى فيها آخرين انه يمكن عمل مثل هذه المحاولة : اختيار اهم مائة فى التاريخ كله ، وترتيبهم بدرجة الأهمية !

ونعرف بعد ذلك من قراءة الكتاب امرين لا شك فيهما مهما كان فى الكتاب ــ بالطبيعة ــ من نواقص :

الأمر الأول ــ ان المؤلف قد بذل جهدا جبارا خارقا فى قراءة تاريخ العالم وحضارته بكل وجوهها . لأن من اصعب الأمور على اى كاتب او فرد ان يتجاوز طغيان التاريخ الحديث عليه لكي يكتشف اهمية شخص مات من الوف السنين مثلا . وان يتجاوز انتماءه الى حضارة الغرب مثلا ليكتشف اهمية رجال فى حضارات أخرى بعيدة غريبة عنه ، كحضارة الصين ، او مصر القديمة ، او الحضارة العربية .

والأمر الثاني ــ ان ــ المؤلف مهما كانت النتيجة التي وصل اليها فقد كان على درجة عالية من التجرد وعدم التحيز . او انه حاول اقصى ما يمكن ان يحاوله انسان ...

والدليل على ذلك انه اختار « الأول » فى الأهمية فى التـاريخ الانساني كله : نبي الاسلام محمد ، عليه الصلاة والسلام .

وانه وضع نبي المسيحية عيسى عليه السلام فى الرقم الثالث ، واضعا قبله العالم اسحق نيوتن . وانه وضع نبي اليهودية موسى فى الرقم السادس عشر ، بعد بوذا واينشتين وماركس ولينين وارسطو وباستور وجاليليو وغيرهم !

ومن الملفت للنظر ان المؤلف اختار من ابطال الحضارة الاسلامية رجلا وضعه بين المائة الأوائل ، واعطاه رقم الحادى والخمسين هو : عمر بن الخطاب . ولا ننتظر طبعا ان ننظر المؤلف المسيحى الامريكي مهما بذل من جهد الى التاريخ نظرتنا اليه . ولكن اختياره عمر بن الخطاب بالذات من التاريخ الاسلامي ، يدل على جهد عظيم ... فلا اظن ان مؤرخا اسلاميا يمكن يختار فى العظمة وعمق التاثير – بعد محمد عليه السلام – الا عمر بن الخطاب ...

وقد حدد المؤلف معيارا يختار على اساسه المائه الأوائل : ...

فهو لم يرشح « الأعظم » ولكن « الأهم » ...

ووضع « للأهمية » ، خيرا او شرا ، معيارا هو : درجه تاثير الفرد المرشح على حياة البشرية ، كما وكيفا ، وطولا وعرضا وعمقا ، بصرف النظر عن « نوع » التاثير ...

فهو يضع « هتلر » مثلا ، كما يضع « جنكيزخان » و « ستالين » بين هؤلاء المائه .. رغم انه يرى ان تاثيرهم كان سلبيا ، ولكن المعيار الذي رشحهم هو معيار « مدى تاثيرهم » فى حياة الانسانيه ، او فى حياة قطاع كبير من الانسانية ... سلبا او ايجابا .

والكتاب بكل اوصافه السابقة ، يستعصى على التلخيص ، ولكنه رياضة ذهنية بديعة ، خصوصا في سرده لأسباب وحيثيات الاختيار ، وكل الممكن هنا ، فى هذه الصفحات هو القيام بجولة سريعة بين احراشه .. ذلك ان مناقشة كل « حكم » تحتاج الى كتاب كامل ، فضلا عن انها تحتاج الى خبير متخصص فى كل موضوع !

●

والفصل الأول ، عن الرجل الأول فى التاريخ كله كما ذكرت ، عن محمد (٥٧٠ – ٦٣٢ ميلادية) . وقد سرد قصة حياته في ايجاز ، لا اظن ان القارىء العربي فى حاجة الى معرفته . ولكنه برر اختيار « الأول » بقوله :

« ان اختيارى محمدا ، ليكون الأول في فائمة اهم رجال التاريخ قد يدهش القراء . ولكنه الرجل الوحيد فى التاريخ كله الذى نجح اعلى نجاح على المستويين : الديني والدنيوى .

فهناك رسل وانبياء وحكماء بدأوا رسالات عظيمة ، ولكنهم ماتوا دون اتمامها ، كالمسيح فى المسيحية .. او شاركهم فيها غيرهم او سبقهم اليهم سواهم ، كموسى فى اليهودية ، ولكن محمدا هو الوحيد الذى اتم رسالته الدينية كامله وتحددت كل احكامها وآمنت بها شعوب باسرها فى حياته . ولأنه اقام الى جانب الدين دولة جديده ، [illegible] فى هذا المجال الدنيوى أيضا وحد القبائل فى شعب ، والشعوب [illegible] ووضع لها كل اسس حياتها ورسم امور دنياها ووضعها [illegible] الانطلاق الى العالم .. ايضا فى حياته ..

فهو الذى بدأ الرسالة الدينية والدنيوية .. واتمها [illegible]

ويضيف الى ذلك : ان معظم الذين غيروا التاريخ ظهروا فى قلب احد المراكز الحضارية في العالم .. فى بيئة متقدمة تبرر ظهور العظماء فيها .. ولكن محمدا هو الوحيد الذى نشا فى بقعة من الصحراء الجرداء المجردة تماما من كل مقومات الحضارة والتقدم . ولكنه جعل من البدو البسطاء المتحاربين قوة معنوية هائلة قهرت بعد ذلك امبراطوريات فارس وبيزنطة وروما المتقدمة بما لا يقاس ، وفى تاريخ الغزو فى كل زمان ومكان يكون الغزو عسكريا . ولكن فى حالة الرسالة المحمدية فان معظم البلاد التي فتحها خلفاؤه استعربت تماما وتغيرت لغة ودينا وقومية .. من العراق وسوريا الى آخر الشاطىء الافريقي غربا الى السودان جنوبا ، وبقيت امة واحدة تتكلم لسانا واحدا الى الآن . فهناك اليوم وبعد ١٤٠٠ سنة خمسمائة مليون مسلم ولكن هناك بينهم حوالى مائة وخمسين مليون عربي . وهو معيار فى قياس أثر الرسالة ، اى استمرارها الزمني وثباتها ، ليس له مثيل في تاريخ الفتح في العالم ...

كذلك لا يوجد نص فى تاريخ الرسالات نقل عن رجل واحد وبقى بحروفه كاملا دون تحوير كل هذا الزمن سوى القرآن ، الذى نقله محمد . الأمر الذى لا ينطبق على التوراة مثلا او الانجيل .

((هكذا نجد ان فتوحات العرب التي بدات فى القرن السابع الميلادى قد بقيت تلعب دورا هاما فى التاريخ الانسانى حتى يومنا هذا ومن اجل هذا النفوذ الديني والدنيوى ، فاننى ، وجدت ان محمدا هو صاحب الحق الوحيد فى ان اعتبره صاحب اعظم تأثير على الاطلاق في التاريخ الانساني)) .

●

وبعد محمد ـ صلوات الله عليه ـ يقفز المؤلف قفزة هائلة ليضع في الرقم الثاني له مباشرة اسحق نيوتن (١٦٤٢ ـ ١٧٢٧) الذى يرى انه اعظم عالم على الاطلاق .

يقول انه ولد يتيما مثل محمد ! ولكنه فى سن الثامنة عشرة دخل جامعة كامبريدج ، وبسرعة هائلة استوعب كل ما هو معروف من العلوم والرياضيات وبدا ابحاثه المستقلة . وبين سن الحادية والعشرين والسابعة والعشرين ، كان قد وضع اسس كل النظريات العلمية التي خلقت الثورة العلمية والصناعية التي عرفها العالم ...

واذا كنت هنا لست بصدد سرد اكتشافات نيوتن العلمية ، كما انني لا أنوى طبعا أن أسرد المائة الذين اختارهم ، الا اننى اتوقف عند ذكره ووضع المؤلف له فى الرقم التالي لمحمد والسابق للمسيح ، لمجرد الاشارة الى نوع تفكير المؤلف واتجاهه فى ترتيب الرجال . فضلا عن ان شرح ما قاله عن نيوتن يحتاج الى علماء فى الطبيعة والكيمياء وعدد كبير من العلوم .

●

وكان طبيعيا ان يشرح المؤلف المسيحي ، للقارىء الامريكي المسيحي ، لماذا وضع المسيح فى المرتبة الثالثة ..

انه يقول ان تأثير المسيح والمسيحيه معروفان . وان المسيحية كدين تضم الآن اكبر عدد من الاتباع فى العالم . ولذلك فالسؤال هو لماذا لم يضعه فى المرتبة الأولى ...

يقول ان اول سبب هو ان المسيحيه ، بعكس الاسلام ، لم تقم بجهد رجل واحد مثل محمد ، بل قام بالجهد اثنان : عيسى ، وبولس الرسول . فالمسيح فى رأيه هو الذى وضع القيم الأخلاقيه الأساسيه للمسيحية وافكارها الأساسيه عن السلوك الانساني . ولكن الفقه المسيحي صاغه وفصله بولس الرسول . كما ان بولس الرسول اضاف الى ذلك فكرة قدسية المسيح التى لم يقل بها احد قبله . كذلك فان بولس الرسول هو الذى كتب جزءا كبيرا من ((العهد الجديد)) وهو الذى كان اقوى معبر ومبشر بالمسيحيه فى القرن الميلادى الأول .

لقد مات المسيح في سن صغيره نسبيا – سنه وثلاثون عاما – ولم يترك بعده سوى عصبة قليلة من الاتباع والتلاميذ. مات المسيح واتباعه ليسوا اكثر من فرقة صغيرة من فرق اليهوديه . ولكن بولس هو الذى ناضل فى الدعوة . وجمع الانصار ، وتوجه بها الى اليهود وغير اليهود ، اى الى كل البشر ، وبهذا نمت واصبحت احدى الديانات الكبرى في العالم . وبولس هو الذى اسس ((الكنيسة)) بالمعنى الذى عرف بعد ذلك . ولكنه يقول انه لم يضع بولس قبل المسيح لانه بدون ظهور المسيح ما ظهر بولس .

ويقول المؤلف : كما انه لا يمكن ان ننسب الى المسيح مسئوليه كل اعمال المسيحيين خصوصا حروبهم المذهبية الرهيبة واضطهادهم لليهود ، فانه ليس صحيحا بالمثل القول بأن النهضة العلميه الحديثه أثر من آثار المسيحية ، لمجرد ان النهضة العلميه هذه ظهرت فى اوروبا المسيحية . بل على العكس . فقد اقترن تحول اوروبا الى المسيحيه بهبوط ذريع فى حرية العلم والتفكير العلمى .

((اما قيام الثورة العلمية فى اوروبا فهو دليل على ان شيئا ما فى تراث اوروبا الثقافى هو الذى ساعد على ذلك . هذا الشيء لا يرجع الى تعاليم المسيح ، ولكنه يرجع الى العقلانيه الاغريقيه التى ... ارسطو واتباعه . فالثورة العلمية والفكريه جاءت مع عصر النهضة ((الرينيسانس)) وليس مع انتشار المسيحية)) .

وبعد المسيح يضع المؤلف : بوذا (٥٦٣ – ٤٨٣ ق.م)

لانه مؤسس احد الاديان الهامة هى البوذية .

ان بوذا اسمه الاصلى الامير سيد هارتا ، ابن احد ملوك منطقة فى شمال الهند تجاور نيبال . وفى سن السادسة عشرة تزوج ابنة عم له من نفس عمره وكان نعيش فى جو من الثراء والرفاهيه . ولكنه لم يكن راضيا بكل ما تقدمه له القصور الملكية من رفاهية . لقد استولى عليه ما رآه من ان معظم الناس فقراء تعساء يشكون الفاقة . وان القلة الاغنياء ايضا تعساء ، حياتهم فارغة او ان الكل في النهاية يمرضون ويموتون . وبدأ يعتقد ان الحياة لا بد وان لها معنى اكثر من متع الوجود العابرة ، والتى تنتهى بالالم والموت .

وعندما بلغ التاسعة والعشرين ، ومجرد ان انجب ابنه الاول قرر ان يهجر الحيـاة التى كان يعيشـها وان يهب نفسـه للبحث عن الحقيقه . فترك قصوره ، وزوجته ، وطفله ، وكل املاكه وتحول الى مفلس متجول .

ولفتـرة تعلم على ايدى بعض اهل العلم فى عصره ، ووجـد ان تعاليمهم لا ترضى ضميره ، فعكف على تطهير نفسه ، بتعذيب الجسد وحرمانه .. وامضى سبع سنوات فى صيام عنيف وحرمان هائل حتى وجد ان الجوع المتوالى يؤثر على قواه الذهنية ، فعدل عن هذا السبيل الذى كان شانعا .

وفى ذات ليلة ، وبينما هو جالس تحت شجرة تين ضخمة ، صفا ذهنه ، واحس وكأن كل الاسئلة التى كان يبحث عنها قـد وجدت اجوبتها ، وقضى الليل كله ساهرا مفكرا متأملا ، حتى اذا اشرق الصبح وجد انه اصبح « بوذا » وترجمتها « المستنير » .

كان عمره وقتها خمسـة وثلاثين سـنة . وبعدها عاش خمسة واربعين عاما اخرى ، قضاها متجولا في شمال الهند داعيا الى فلسفته الجديدة ، متحدثا الى كل من يمكن ان يستمع له . فلما مات ، كان قد ترك وراءه آلافا من الاتباع والتلاميذ . الذين تابعوا دعوته ، وتناقلوا تعاليمه شفاها جيلا بعد جيل ، حتى تم تدوين بعضها .

ويلخص المؤلف تعاليم بوذا فى ما يسمى « الحقائق النبيلة الاربع »

اولا : ان الحياة الانسانية بطبيعتها غير سعيدة .

ثانيا : ان السبب فيعدم السعادة هو الانانية والشهوات الانسانية.

ثالثا : ان انانية الفرد وشهواته يمكن وضع حد لها ـ والقضاء عليها يصل بالفرد الى حالة «النيرفانا» وترجمتها الحرفية (الاستئصال).

رابعا : ان وسيلة التخلص من الانانية والشهوة هو سلوك «الطريق ذى الصفات الثمانية » : الراى الصحيح ، الفكر الصحيح ، الكـلام الصحيح ، العمل الصحيح ، المسلك الصحيح ، الجهد الصحيح ، الحساب الصحيح ، التامل الصحيح .

والبوذية ـ بعكس الهندوكية ـ موجهة لكل البشر ، ولا تعترف بفوارق بين البشر .

وقد اخذت البوذية تنتشر بعد وفاة بوذا ببطء ، حتى جاء القرن

الثالث بعد الميلاد ، واعتنقها ((اشوكا)) اعظم اباطره الهند . وبواسطه انتشرت بسرعة فى الهند ثم امتدت الى ما حولها .. الى الصين واليابان وكوريا شمالا وسيلان وجنوب شرق آسيا جنوبا مثل بورما والملايو وتايلاند .. الخ .

والغريب ان البوذية تضاءلت فى الهند حتى انقرضت تقريبا فى القـرن الثاني عشر الميلادى ، بينما بقيت فى اماكن اخرى خارج الهند .

ويقدر المؤلف عدد البوذيين حاليا بحوالي مائتى مليون نسمه . ولكنه يرى ان بوذا كان المصدر لتعاليم وفلسفات كثيره ، وخصوصا فى ناحية السلوك السلمى .

وهو يرى ان بوذا الهندى وكونفوشيوس الصينى تتشابهان ، كما انهما كانا معاصرين احدهما للآخر . ولكنه وضع بوذا قبل كونفوشيوس لأن بوذا وجه تعاليمه للجميع ، بينما كانت تعاليم كونفوشيوس خاصه بأهل الصين وحدهم ، لذلك لم يعتنق الكنفوشيه احد خارج الصين ، ولذلك فقد اعطى بوذا المكانة الرابعة وكونفوشيوس المكانه الخامسة .

وقد كان فضل كونفوشيوس انه اول من مزج الافكار والقيـم الاساسية لدى الصينيين ونسج منهـا فلسفة متكاملة ، تقـوم على الاخلاقية الفردية وعلى فكرة ان الحكومة وجدت لتخدم الناس لا لكى يخدمها الناس ، وانها تحكم باعطاء المثل الصالح . وقد ساد مذهب كونفوشيوس في الصين اكثر من الفي سنة واثر فى نسبه كبيرة من سكان العالم من نواح كثيرة .

وبعض الناس ينسبون الى كونفوشيوس انـه مؤسس ديانـه . والواقع كما يقول المؤلف أنه لم يتعرض لأى شيء دينى ، لا للحياة بعد الموت ولا لاي شيء غيبى . انما كان واقعيا عمليا يهتم بحياة الانسان على الارض فقط وامثل الطرق لتنظيمها واعلائها .

وقد كان فكره محافظا . فقد تبنى عادة الصينيين القديمه فى عباده الآباء والاجداد والانتماء لهم دون الوطن ، وعادتهم فى خضوع المراة تماما للرجل وفي طاعة الشعب للحاكم . وان كان قد قاوم الطغيان . وبنفس الفكر المحافظ كان كونفوشيوس ــ منذ ٢٤٠٠ سنة ! ــ يرى ان الماضى هو العصر الذهبى ! وكان يدعو الحكام والشعب للعودة الى الماضى ! وهذا الاتجاه المحافظ هو ما حاول ماوتسى تونج بعد ٢٤٠٠ سـنه ان يحطمه فى الصين ، خلال الثورة الثقافية ، حين اعلن الصينيون الحرب على الكونفوشية .. واحرقوا كتبه وهاجموا تعاليمه وحطموا تماثيله فى كل مكـان .

والغريب ان مذهب كونفوشيوس تعرض لهذا القدر مرتين [illegible] الاولى بعد وفاته بحوالى مائتى سنة ، حين حكم الصين اول [illegible] سلالة ((الشى ــ ين)) فاعلن الحرب على تعاليمه وحرق [illegible] وحرم مذهبه .

والمرة الثانية بعد وفاته بحوالى ٢٤٠٠ سنة على يد [illegible]

وفي المرة الاولى ، عادت تعاليم كونفوشيوس مع استيلاء سلالة ((الهان)) على السلطة . فقد جعل اباطرتها تعاليم كونفوشيوس الدين الرسمي للصين لأول مرة ! ..

ولذلك يرى المؤلف انه يجب الانتظار مائة سنة بعد وفاة ماوتسى تونج ، لنحكم اذا كان قد نجح فى تحطيم كونفوشيوس نهائيا ام لا . ذلك ان قوة كونفوشيوس ترجع الى انه لم يبتدع الكثير ، ولكنه صاغ القيم الصينية الموروثة فى نسيج متين !

وبالمناسبة فان المؤلف يضع ماوتسى تونج بين ((المائة)) ويعطيه الرقم ((عشرون)) في ترتيب اهم رجال التاريخ .

●

وبعد كونفوشيوس ياتى فى المرتبة السادسة ((بولس الرسول)) وقد تحدثنا عنه فى الحديث عن المسيح . ثم ياتي مخترعان : الأول صينى وهو ((تساى لون)) مخترع الورق ، ثم الالمانى ((جوتنبرج)) مخترع الطباعة الحديثة .

ويهتم المؤلف اهتماما كبيرا بذلك الصينى ((تساى ــ لون)) الذى اخترع الورق منذ الفي سنة . ويسجل دهشته لان معظم المؤلفات والانسيكلوبيديات الغربية لا تذكر اسمه . وان اسمه ليس معروفا الا في الصين . فى حين ان اختراع الورق كان اساسيا فى تكوين العالم كما نعرفه اليوم .

لقد كان ((تساى ــ لون)) من الخصيان والكتبة في بلاط الامبراطور ((هو ــ تى)) وفى حوالى سنة ١٠٥ قبل الميلاد قدم هذا الموظف اول عينة من الورق الذى اهتدى الى تصنيعه بنفس الطريقة التى يصنع بها الورق الآن من حيث الجوهر .

وقد وهبه الامبراطور مالا كثيرا مقابل هذا الاختراع الفذ . واعطاه لقبا ارستيقراطيا . ولكن الطموح طغى عليه فقضت عليه مؤامرات القصر . وحين فقد كل شيء .. اخذ حماما ساخنا ، وتعطر ، ولبس افخر ثيابه ، وشرب كأسا من السم !

وظلت الصين وحدها دون العالم كله تستخدم الورق عدة قرون وتحتفظ بسر صناعته . كان المصريون القدماء قد اكتشفوا ورق البردى وكانت اوروبا تستخدم انواعا من الجلود خصوصا ((البارشمنت)) . ولكن ندرة هذه المواد وارتفاع ثمنها كان مستحيلا من ان يحل شيء محل الورق الذى احدث ثورة هائلة بجعل القراءة والكتابة سهلة وميسرة والتعليم ضرورة .. الى آخره .

وفى القرن السابع الميلادى ــ يقول المؤلف ــ قبض العرب على بعض الصينيين المتخصصين في صناعة الورق . وعرفوا منهم سر الصناعة . وبدأ صنع الورق لاول مرة خارج الصين فى سمرقند وبغداد. ثم انتشر فن صناعة الورق فى العالم العربى كله . وفي القرن الثانى

عشر ، اى بعد العرب بخمسه قرون ، اخذت اوروبا فن صناعه الورق عن العرب ، ثم جاء جوتنبرج واخترع المطبعه الآليه فكان ما نعرفه الآن من شأن الورق والطباعه فى تغيير وجه العالم .

ويستعرض المؤلف فترات تأخر الصين عن اوروبا ثم الفتره التى قفزت فيها الصين وسبقت حضارة اوروبا وصارت اكثر غنى وتقدما بما لا يقاس حتى القرن الثالث عشر عندما زارها الرحاله « ماركوبولو » وسجل هذا التقدم . ويرجع المؤلف السبب فى ذلك الى ان الصين كانت قد عرفت الورق وبدلا من كتب الحجر والبامبو ظهرت كتب الورق . واكتشفت الصين بعدها جمع الحروف يدويا واخترعت البارود وغير ذلك . فلما عرفت اوروبا الورق ، ثم ظهرت المطبعه على يد جوتنبرج وفى بيئة مهيئة للتقدم قفزت اوروبا الى الامام بسرعة هائله ..

●

ولعله بعد ذلك لا مفر من الاكتفاء بنشر قائمه اسماء المائه الاهم فى تاريخ الانسانية ، في كشف ملحق بهذا المقال .

ويبقى ان نعيد بعض ملاحظات المؤلف :

ذكرت منها انه اختار معيارا للاهميه : مدى تأثير الفرد على حياة اكبر عدد من الناس لأطول مدة . اى الاكثر تأثيرا ، خيرا او شرا .. فهو يختار هتلر مشعل اكبر حرب داميه فى التاريخ . ويختار وليم مورتون الذى ادخل التخدير فى الجراحة ، فازال آلاما رهيبه من حياة ملايين البشر عبر قرون لا نهاية لها .

ومنها ما نلاحظه من كشف الاسماء ، فهو يعطى مؤسسى الاديان ، يعطى الاهمية الاولى للمخترعين والمكتشفين والعلماء ، قبل الكتاب والادباء مثلا .. لان هؤلاء نتائج عملهم عالمية وواضحه فى تطوير العالم، بعكس اولئك . ولكنها فيما اظن ليست قضيه مطلقه ..

ياتى بعدهم مؤسسو الدول والغزاة والفاتحون ..

وفي العلوم الانسانية يهتم بالمفكرين والفلاسفه الذين ادت افكارهم الى تغيير عقل الانسان واعادة تكوينه او فى ايجاد حركات اجتماعيه اثرت فى احداث التاريخ .

ومن معاييره فى اختيار الافراد : ان هناك من قام بعمل ، كان لا بد ان يقوم به احد ، ولو كان غير صاحبه بحكم الظروف ، ولكن هناك من قام بحدث ما كان ليقوم به احد سواه ..

ثم هو يضع لنفسه خط رجعة : فهو يضع تحفظا على كل الاسماء التى اختارها من رجال القرن العشرين . اذ لم تمض وقت كافية لاصدار حكم نهائى عن حجم تأثيرهم كما حدث بالنسبه للاقدمين ... مدى تأثير كونفوشيوس بعد ٢٠٠٠ سنه اكثر مما ... تونج ، ولم تمض على وفاته خمس سنوات . وقد ... قبل نهاية القرن العشرين ، وقد يبقى اثرها قائما

المائة بالترتيب

١ ـ محمد صلى الله عليه وسلم
٢ ـ اسحق نيوتن (مخترع)
٣ ـ المسيح (مؤسس المسيحية)
٤ ـ بوذا (مؤسس البوذية فى الهند)
٥ ـ كونفوشيوس (مؤسس الديانة الكونفوشية فى الصين)
٦ ـ بولس الرسول (ناشر المسيحية الاول)
٧ ـ تساوى ـ لون (مخترع الورق)
٨ ـ جوتنبرج (مخترع المطبعة)
٩ ـ كولومبوس (مكتشف امريكا)
١٠ ـ اينشتين (نظرية النسبية)
١١ ـ كارل ماركس (اقتصادى ومفكرسياسى)
١٢ ـ لويس باستور (اهم اسم فى الطب ومكتشف الميكروبات ووسائل مقاومتها)
١٣ ـ جاليليو (مخترع فى العلوم والرياضيات ومخترع التلسكوب وعالم فلك احرقه رجال الكنيسة لتجاربه العلمية)
١٤ ـ ارسطو (فيلسوف اغريقى)
١٥ ـ لينين (قائد الثورة الشيوعية)
١٦ ـ موسى (نبى اليهودية)
١٧ ـ داروين (مخترع وصاحب نظرية النشوء والارتقاء)
١٨ ـ شى هوانج تى (اول من وحد الصين)
١٩ ـ اوغسطس قيصر (امبراطور روما)
٢٠ ـ ماوتسى تونج (زعيم الثورةالصينية)
٢١ ـ جنكيز خان (الفاتح المغولى الذىوصل الى قلب اوروبا)
٢٢ ـ اقليدس (فيلسوف وعالم عاش فى مصر والاسكندرية ٣٠٠ ق . م)
٢٣ ـ مارتن لوثر (مصلح دينى وثائر)
٢٤ ـ كوبر نيكوس (مخترع وعالم فلك)
٢٥ ـ جيمس وات (مخترع آلة البخار)
٢٦ ـ قسطنطين الاكبر (اول حاكم لامبراطورية بيزنطية)
٢٧ ـ جورج واشنطون (قائد ثورة استقلال الولايات المتحدة)
٢٨ ـ ميشيل فارادى (مخترع الكهرباء)
٢٩ ـ جيمس ماكسويل (مخترع الكهرباء)
٣٠ ـ الاخوان رايت (مخترعا الطائرة)
٣١ ـ لافوازييه (اهم اسم فى علم الكيمياء)
٣٢ ـ فرويد (مؤسس علم النفس)
٣٣ ـ الاسكندر الاكبر (الفاتح الاغريقى)
٣٤ ـ نابليون بونابرت
٣٥ ـ هتلر
٣٦ ـ وليم شكسبير
٣٧ ـ آدم سميث (مؤسس علم الاقتصاد)
٣٨ ـ اديسون (مخترع الكهرباء)
٣٩ ـ انطونى فان ليونهوك (هولندى ، مكتشف الميكروبات)
٤٠ ـ افلاطون (فيلسوف اغريقى)
٤١ ـ ماركونى (مخترع اللاسلكى)
٤٢ ـ بيتهوفن (موسيقار)
٤٣ ـ ورنر هايسنبرج (عالم فيزياء)
٤٤ ـ جراهام بل (مخترع التليفون)
٤٥ ـ الكسندر فلمنج (مكتشف البنسلين)
٤٦ ـ سيمون بوليفار (محرر امريكا الجنوبية)
٤٧ ـ كرومويل (قائد الثورة الدستورية فى انجلترا)
٤٨ ـ جون لوك (فيلسوف انجليزى)
٤٩ ـ مايكل انجلو (رسام ومثال)
٥٠ ـ البابا يوربان الثانى (الذىبدأالحروب الصليبية)
٥١ ـ عمر بن الخطاب (الخليفة الثانى للرسول .
٥٢ ـ آشوكا (اول امبراطور وحد الهند)
٥٣ ـ سان اوجستين (مفكر دينى مسيحى)
٥٤ ـ ماكس بلانك (عالم فيزياء المانى)
٥٥ ـ كالفن (مصلح دينى)
٥٦ ـ وليم مورتون (ادخل التخدير فى الطب
٥٧ ـ وليم هارفى (مكتشف الدورةالدموية.
٥٨ ـ هنرى بيكريل (عالم طبيعة ومكتشف الـ Radioactivity)

٥٩ ـ جريجور مندل (اهم مكتشف فى علوم الوراثة)
٦٠ ـ جوزيف ليستر (اول جراح استخدم ال Anticeptic فى الجراحة)
٦١ ـ نيكولاوس اوجست اوتو (مخترع محرك السيارات وغيرها)
٦٢ ـ لويس داجير (مخترع آلة التصوير)
٦٣ ـ ستالين (حاكم روسيا بعد لينين)
٦٤ ـ ديكارت (فيلسوف فرنسى)
٦٥ ـ يوليوس قيصر (قيصر روما واعظم فاتحيها)
٦٦ ـ بيسارو (اسبانى من فاتحى امريكا الجنوبية وبيرو بالذات)
٦٧ ـ هيرناندو كورتيز (فاتح المكسيك)
٦٨ ـ الملكة ايزابيلا الاولى (ملكة اسبانيا التى مولت رحلة كولومبوس)
٦٩ ـ محمد الفاتح (الامبراطور العثمانى فاتح القسطنطينية)
٧٠ ـ توماس جفرسون (كاتب اعلان حقوق الانسان الاول فى الثورة الامريكية)
٧١ ـ جان جاك روسو (احد فلاسفة الثورة الفرنسية)
٧٢ ـ ادوارد جينر (اهم من طور عملية التطعيم ضد الامراض والاوبئة)
٧٣ ـ ولهلم رونتجن (مكتشف اشعة اكس)
٧٤ ـ جوهان سباستيان باخ (مؤلف موسيقى)
٧٥ ـ لاو ـ تسو (مفكر عسكرى)
٧٦ ـ انريكو فيرمى (صانع اول مفاعل ذرى
٧٧ ـ مالتوس (مفكر اقتصادى)
٧٨ ـ فرانسيس بيكون (فيلسوف)
٧٩ ـ فولتير (كاتب ومفكر)
٨٠ ـ جون كنيدى (بوصفه صاحب مشروع وضع اول انسان على القمر)
٨١ ـ جريجورى بينكس (اهم اسم فى اختراع حبوب منع الحمل)
٨٢ ـ سوى ـ وينارتى (اعاد توحيد الصين فى القرن الخامس)
٨٣ ـ مانى (مؤسس الديانة المانوية)
٨٤ ـ فاسكو داجاما (مكتشف طريق راس الرجاء الصالح)
٨٥ ـ شارلمان (ملك فرنسا وموحد اوروبا)
٨٦ ـ قورش (امبراطور فارس)
٨٧ ـ ليونارد يولر (سويسرى من اهم علماء الفيزياء والهندسة)
٨٨ ـ مكيافيلى (المفكر ومؤلف كتاب الامير)
٨٩ ـ زرادشت (مؤسس الديانة الزرادشتية فى فارس)
٩٠ ـ مينا (موحد شمال مصر وجنوبها)
٩١ ـ بطرس الاكبر (اهم قيصر روسى)
٩٢ ـ مينسيوس (اهم فيلسوف صينى من مدرسة كونفوشيوس)
٩٣ ـ جون والتون (مكتشف وجود الذرة)
٩٤ ـ هومـروس (شـاعر اغريقى ومؤلف الالياذة)
٩٥ ـ الملكة اليزابيث (ملكة انجلترا التى هزمت الارمادا)
٩٦ ـ جوستنيان الاول (ابو القانون الرومانى)
٩٧ ـ جوهان كبلر (عالم فلك ومكتشف قوانين حركة الاجرام السماوية)
٩٨ ـ بيكاسو (رسام)
٩٩ ـ ماهافير تياجى (مؤسس احد اهم الديانات الهندية بعد بوذا)
١٠٠ ـ نيلز بوهلر (عالم ذرى دانمركى)

مرشحون لم يدخلوا فى المائة الاوائل

١ ـ توماس الاكوينى (مفكر دينى)
٢ ـ ارشميدس (مكتشف قانون الجاذبية)
٣ ـ شارلز باباج (اول من فكر فى الكومبيوتر ووضع مبادئه قبل قرن من انتاجه)
٤ ـ خوفو (بانى الهرم الاكبر)
٥ ـ مارى كورى (ساهمت فى اكتشاف الراديوم)
٦ ـ بنيامين فرانكلين (مفكر وكاتب ومخترع)
٧ ـ غاندى (الزعيم الهندى المعروف)
٨ ـ ابراهام لنكولن (محرر العبيد فى امريكا)
٩ ـ ماجلان (مكتشف مضيق ماجلان)
١٠ ـ ليوناردو دافنشى ([illegible] ايطالى فى عصر النهضة)

أقوال معاصرة



القذافى

■ « ليس عندى حل لمشكلة الصحافة والاذاعة ، وقد قلت اذا كنتم تريدون بيعها أو حرقها ، فاحرقوها ، لانها لا تستحق هذا العدد من الموظفين ولا هذه الملايين التى تنفق عليها ويجب أن تكون تابعة لامانة المواصلات أو الكهرباء لادارة آلاتها .

العقيد معمر القذافى

■ اذا لم نجد حلا معقولا لقضية نهوض القوميات المحلية فى دول أفريقيا ، فلن تتوقف حروب القارة .

الرئيس السودانى جعفر النميرى



النميرى

■ هذه هى الحرية التى يريدها لنا كارتر ، ان شعبنا يرتدى ثوب الحداد وأنا معه .

الزعيم الشيعى الايرانى آية الله خمينى

■ لم يكن الكرادلة يودون ان يزيدوا من خطورة المشاكل التى تواجهها ايطاليا بانتخاب بابا من جنسية أخرى .

الاب جوزيه كليمونت أسقف بوليفيا

■ اذا كان هناك أمل لحل قضية لبنان عن طريق مساعدات خارجية فهو فى طريق الحل العربى .

الامير سعود الفيصل وزير خارجية السعودية



سعود الفيصل

■ لا يعنينا أن تكون الصحافة سلطة رابعة أو خامسة ، بقدر ما يعنينا توفر حرية الرأى والتعبير لاصحاب الفكر المعارض قبل أصحاب الفكر المؤيد .

الخبير الدستورى العربى الدكتور وحيد رأفت

■ ربما أحبه البعض ، وربما كرهه البعض ، لكنه مع ذلك شد انتباه الجميع .

سيرجى خروشوف ابن الزعيم السوفيتى الراحل

■ جميع المناهج النقدية عندنا انعكاسات لفلسفات غربية لم تتأصل فى بيئتنا .

نجيب محفوظ



نجيب محفوظ

■ من أكبر الاخطاء أن نظن أن العقبة النفسية التى تقف فى طريق السلام يمكن التغلب عليها بضربة واحدة .

الجنرال شلومو جازيت ــ مدير المخابرات الاسرائيلية

■ كلمة «لا» التقليدية فى الحركة الفلسطينية ليست ثورية بالضرورة ، وكلمة «نعم» ليست دائما شكلا من أشكال الخيانة . بل قد يكون الموقف على العكس ، اسلوبا فى الهروب من المشاكل والتزيى بزى النقاء العقائدى المنحول .

أبو اياد ــ صلاح خلف

بقلم : الدكتور عماد الدين خليل

هل ثمة أكثر دلالة على ارتبـاط المسلم بالارض من تسمية سورة كاملة باسم « الحديد »•• وهو من اهـــم الغامات واخطرها ؟

الذى يقرأ كتاب الله يتمعن فى محاولة للالمام بطسعه موقفه من (العلم) . يجد نفسه امام حسد من الايات ممتدة وفق ابعاد ثلاثة توازى المسالة العلمية فى اتجاهاتها كافة ، يتناول اولها مسائل تتعلق بحقيقـة العلـم وافاقـه ومنهج الكشف عن الحقائق العلمية فيما يعرف بفلسفة العلم ونظرية المعرفة • ويعرض ثانيها مجموعة من السنن والقوانين العلمية فـــى مجالات العلم المختلفة وبخاصة الطبيعـــة والجغرافيا وعلوم الحياة ، فيما يسمى بالعلوم المحضة أو الصرفة • ويدعو ثالثها لاستخدام هذه السنن والقوانين . التى كشف عنها منهج تجريبى فى البحث ،من أجل ترقية الحياة وتنميتها على طريق خلافة الانسان لاعمار العالم ، فيما يعرف بالعلوم التطبيقية (التقنية) •

وما من شك فى أن هناك ارتباطا وثيقا ومحكما بين هذه الابعاد ، يقود احدها الى الاخر ،فالمنهج طرح طريقة عمل للكشف عن الحقائق : السنن والنواميس التى تحكم الكون والعالم وتعمـــى صيرورتهما الزمنية ذات النظام المعجز •• وهـذه السنن والنواميس تمنح الانسان ـ بدورهـــا ـ (المعادلات) التى يتمكن بها من أن يدخل الى صميم هذا التركيب المعجز لبنية الكون والعالم من اجل اعتماد تلك السنن والنواميس لتنفيـذ قدر من « التطبيقات » العلمية تمضى بالحياة البشرية قدما صوب الاحسن والارقى . وتتيح للانسان أن يتحرر من شد الضرورات لكى يكون أكثر قدرة على رفع رأسه الى فوق ومحاورة السماء ، وتلبية حاجاته الروحية التى بها يتميز الانسان عن سائر الخلائق•

معطيات القران وفهم العالم

صحيح ان كتاب الله ماجاء لكى يكون كتابا علميا ، كما هو معروف . تماما كما أنه ما جاء لكى يكون كتاب جغرافيه او تاريخ او اى مـــن حقول المعرفة المتنوعة •• وصحيح ان الحاح بعض المفكرين المعاصرين على حمل ايات الله معانى وتفاسير علميه لم تقصد اليها البته قد دفع بعضهم الاخر ، وبرد فعل يتميز بالالحاح نفسه ، على نفى ان تكون للقران اية صلة بمعطيات علمية •

فان الحصر العاطفى ـ [illegible] ولم

رد فعل خاطىء [illegible]

الاتجاه ، وهذا [illegible]

فى تحويل القرآن الكريم الى كتاب رياضيات وفلك وفيزياء وطب وتشريح،دفع طائفة أخرى الى وضع جدار عازل بين القرآن وبين المعطيات العلمية ، وكان كتاب الله جاء لكى يخاطب الانسان بمعـزل من العالم الذى هيىء لهوالكون الذى يتحرك فيه٠٠ ان هذا التضاد المتطرف يجب الا يضيع عليناالرؤية الصحيحة لموقف القرآن فى المسالة العلمية ٠٠وهو موقف واضح ومؤكد من اية زاوية نظرنا ٠

ان القرآن يظل فى حالة حضور دائم فى قلب العالم والكون،يعايش سننهما ونواميسهما ويحدثنا عنهما ٠ وانه لامر بديهـى ان تتعانق معطيـات القرآن ومعطيات العلم وتتوازيا ، لا أن تتضادا او تقوم بينهما الحواجز والجـدران ٠٠ ذلك ان مصدر العطاء واحد ٠٠ وهو الله جل وعلا ،صانع السنن والنواميس ومنزل القرآن ٠٠ خالق الكون والعالم وباعث الانسان (قل : كل من عند الله) ليس هذا فحسب ، بل أن الانسان باعتباره معنيا بصنع السنن ونزول القرآن ٠٠ الانسان بما انه خليفة الله فى هذا العالم ، ويده المريدة التى تسعى لاعمـاره وترقيتـه ، كما تؤكد النظـرية القرآنية ، يقود بالضرورة الى هذا اللقاء الاكيد بين كتاب الله وسننه فى العـالم ٠٠ اذ كيف يستطيع الانسان أن يؤدى دوره فى العالم ، فى اطار تعاليم القرآن وشرائعه ، ان لم يتحرك ــ ابتداء ــ لفهم هذا العالم والكشف عن سننـه ونواميسه ؟

التناغم بين الثنائيـــات

ان مفهوم (الحركة) فى الاسلام ، على خلاف عدد من المذاهب والاديان ، ينبثق اساسا عن هــذا التناغم والتلاحم بين الثنائيات : الروح والمادة٠٠ الطبيعة وما وراء الطبيعة ٠٠ الارض والسماء ٠ العلم والايمان ٠٠ الانسان والله ٠ وان افتقاد اى طرف من أطراف هذه المعادلة المنطقية سوف يقود الى الفوضى والضياع ، وسوف يجره ديـن الله من القدرة على الحركة والانتشار ٠

وهاهنا ، بصدد الحديث عن الموقف من العلم، يبدو اكيدا ذلك التناغم والتلاحم بين كتاب الله وحقائق العلم ومعطياته ٠٠

ولكن ، اذا كانت آيات الكتاب تتضمن حقائق ومسلمات مطلقة لاياتيها الباطل من بين يديه ولا من خلفها ، بينما تظل معطيات العلم اسير نسبيتها وتغيرها وقلقها وتحولها ، فكيف يلتقى المطلق بالنسبى ، والكلى بالجزئى ، والشامل بالمحدود ؟ وهل يصح أن نفسر بعض آيات القرآن على ضوء نظرية او كشف علمى قد يتعرضان فى اية لحظة للتشكيك والنقض ؟

الا يقود هذا الى نوع من التشكيك والتناقض يمتد الى صميم المعطيات القرآنية نفسها ؟

والجواب يقتضينا الرجوع الى القرآن نفسه ٠ الى الابعاد الثلاثة التى تناول من خلالها مسائل العلم هذه كما رأينا ٠٠

منهج عمل شامل

ففى البعد الاول ، يطرح القران الكريم منهج عمل فـى آلكشف عن سنن العالم والحياة ونواميس الكون ٠٠ وهو منهج متساهل مرن ،لا يخضع لتقلبات الزمان والمكان ، ومن ثم فانه يعلو على المتغيرات النسبية ويظل سارى المفعول فى اى عصر وفى اية بيئة ٠٠

لقد دعا القرآن الناس الى التبصر بحقيقة وجودهم وارتباطاتهم الكونية عن طريق (النظر الحسى) الى ما حولهم ، ابتداء من مواقع أقدامهم وانتهاء بآفاق النفس والكون ٠٠ واعطى للحواس مسؤوليتها الخطيرة عن كل خطوة يخطوها الانسان المسلم فى مجال البحث والنظر والتامل والمعرفة والتجريب٠٠ قال له (ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد ، كل اولئك كان عنه مسؤولا) (١) ٠

وناداه ان يمعن النظر الى ماحوله ٠٠ الى طعامه « فلينظر الانسان الى طعامه ٠ انا صببنا الماء صبا ٠ ثم شققنا الارض شقا ٠ فانبتنا فيها حبا٠وعنبا وقضبا ٠وزيتونا ونخلا٠ وحدائق غلبا٠ وفاكهة وابا » (٢) ٠٠

الى خلقه « فلينظر الانسان مم خلق ؟ » (٣)٠٠

الى الملكـوت « او لم ينظـروا فى ملكوت السماوات (٤) والارض ؟ » ٠٠

الى التاريخ وحركة الانسان فى العالم « افلم

---

(١) الاسراء ٣٦ ٠

(٢) عبس ٢٤ ــ ٣١

(٣) الطارق ٥

(٤) الاعراف ١٨٥ وانظر يونس ١٠١ وقاف ٦

يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ؟ كانوا اكثر منهم واشد قوة ، (٥) .. الى خلائق الله « افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت ؟ » (٦) ..

الى آياته المنبثة في كل مكان « انظر كيف نبين لهم الايات ؟ » (٧) ٠

الى النواميس الاجتماعية « انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض ؟ » (٨) ٠

الى الطبيعة وهي تنبعث من قلب الفناء برحمة من الله ومقدرته « فانظر الى آثار رحمة الله كيف يحيي الارض بعد موتها ؟ » (٩) ٠

الى الاثمار وهي تتدلى من غصون الاشجار « انظروا الى ثمره اذا أثمر وينعه » (١٠) ٠

الى الحياة الاولى كيف بدأت ، وكيف نمت وارتقت «قل : سيروا في الارض فانظروا كيف بدأ الخلق » (١١) .. ودعاه ان يحرك (سمعه) باتجاه الاصوات لكي يعرف ويميز ،فياخذ او يرفض، فمن الاختيار البصير ينبعث الايمان « لا تكونوا كالذين قالوا : سمعنا : وهم لا يسمعون (١٢) ٠

وانتقل القران خطوة أخرى وسالهم أن يحركوا (بصائرهم) ، تلك التي تستقبل في كل لحظة مدركات حسية ، سمعية وبصرية لاحصر لها ،ومن ثم تتحمل (البصيرة) مسؤوليتها في تنسيق هذه المدركات وتمحيصها وموازنتها وفرزها من اجل الوصول الى الحق الذي تقوم عليه وحدة نواميس الكون والخليقه . فمن ابصر فلنفسه ومن عمي فعليها » (١٣) ٠

ان العقل والحواس جميعا مسؤولة لا تعدى احداها عن الاخريات في تحسس معه لتحسسات والتمحيص والاختيار .. والانسان مسير بهذه المسؤوليه لانه من طينة اخرى غير طينة الانعام ، انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا ، (١٤) .. ومن ثم تتوالى الايات ، تؤكد مرة تلو مرة على ان السمع والبصر والفؤاد جميعا هي التي تعطي للحياة الانسانية قيمتها وتفردها وان الانسان بتحريكه هذه القوى والطاقات،بفتحه هذه النوافذ على مصراعيها ، باستغلال قدراته المدة حتى النهاية ،سيبصر قمة انتصاره العلمي والديني على السواء لان هذه الانتصارات ستبوئه مركزه المسؤول كسيد على العالمين وخليفة لله في الارض ، وانه بتجميد هذه الطاقات ،وقفل نوافذها ،وسحب الستائر عليها ، يكون قد اختار بنفسه المنزلة الدنيا التي ما ارادها له الله يوم منحه نعمة السمع والبصر والفؤاد وهي منزلة البهائم والانعام « اولئك الذين لعنهم فاصمهم واعمى ابصارهم » (١٥) ٠

وحشد اخر من الايات،بلغهايقرب العشرين ،حث على تحريك (العقل) ، المفتاح الذي منحه الله بني آدم وقال لهم : افتحوا به ابواب الملكوت ، وادخلوا ساحة الايمان بالله الذي سخر لكم ما في السماوات والارض « كذلك يبين الله لكم اياته

---

(٥) غافر ٨٢

(٦) الغاشية ١٧

(٧) المائدة ٧٥ وانظر الانعام ٤٦ ، ٦٥ ٠

(٨) الاسراء ٢١

(٩) الروم ٥٠

(١٠) الانعام ٩٩

(١١) العنكبوت ٢٠

(١٢) الانفال ٢١ وانظر البقرة ١٧١ و ١٨١ ،الحج ١ و ٢٧ ، المائدة ٨٣ القصص ٧١ و ٧٢ الاعراف ١٠٠ فاطر ١٤ فصلت ٤ و٢٦ ، الملك ١٠ مريم ٤٢، الانبياء ٤٥ ، الانعام ٢٥ و٣٦ يونس ٦٧ ، الفرقان ٤٤ السجدة ٢٦ ، الشعراء٧٢ ، ياسين ٢٧ الانفال ٢٣ غافر ٢٣ ... ١٨ ، الحج ٧٣ ، الكهف ١٠١ ٠

(١٣) الانعام ١٠٤ وانظر القصص ٧٢ ،الذاريات ٢١ الاعراف ١٧٩ ... الزخرف ٥١ ، الطور ١٥ البقرة ١٧ يونس٤٣،السجدة ٢٧ ياسين ٩ ... ١٠٨ ، القيامة ١٤ ــ ١٥ ق ٨ النمل ١٣العنكبوت ٣٨ ... ٣ ... ٤٤ ، الحشر ٣ ٠

(١٤) الانسان ٢

(١٥) محمد ٢٣ وانظر النحل ٧٨ الاعراف ١٧٩،المؤمنون ٧٨ ...

لعلكم تعقلون » (١٦) • وآيات اخرى دعت الانسان الى (التفكير) ، العميق ، المتبصر ،المسؤول بكل ما يحيط به من علامات واحداث واشياء وموجودات «قل: هل يستوى الاعمى والبصير افلا تتفكرون؟»(١٧) وما يقال عن (التفكر) يمكن ان يقال عن(التفقه) وهو خطوة عقلية ابعد مدى من التفكير ، اذ هى الحصيلة التى تنتج عن عملية التفكير ، وتجعل الانسان اكثر وعيا بما يحيط به ، واعمق ادراكا لابعاد وجوده وعلاقته فى الكون ، كما تجعله متفتح البصيرة دوما ، مستعدا للحوار ازاء كل ما يعرض له من اسئلة وعلامات :« فما لهؤلاء القوم لايكادون يفقهون حديثا ؟ » (١٨) •

واكد القرآن الاسلوب الذى يعتمد (البرهان) و (الحجة) و (الجدال الحسن) للوصول الى النتائج الصحيحة القائمة على الاستقراء والمقارنة والموازنة والتمحيص استنادا الى المعطيات الخارجية المتفق عليها،والقدرات العلمية والمنطقية لاولئك الذين بلغوا شاوا بعيدا فى هذا المضمار «تلك امانيهم !! قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين » (١٩) •

العلم هو الدين ! !

هكذا يبوء العلم ، بمفهومه الواضح ،الشامل (فاعلية) فى غاية الاهمية فى المجتمعات التى ترتضى الدين ، او المنهج الالهى ، طريقة لها فى الحياة •• ولابد ان نضيف هنا حقيقة اخرى فى غاية الاهمية تلك هى ان كلمة (العلم) وردت فى القرآن الكريم مرارا كمصطلح على (الدين) نفسه الذى علمه الله انبياءه •• على النواميس التى يسير الله بها ملكوته العظيم •• على الحقائق الكبرى الموجودة عند الله فى(ام الكتاب) وكاشارة الى القيم الدينية التى نزلت من السماء فى مقابلة الاهواء والظنون البشرية•ومن ثم يغد[و] العلم والدين سواء فى لغة القرآن • ان كلما[ت] الله سبحانه تعلمنا هذه الحقيقة ، وتبصرنا بمواقع العلم والدين الفسيحة ، الممتدة ،المتداخلة كما اراد لها ان تكون لا كما يريد لها الوضعيو[ن] الذين يسعون جهدهم للفصل بين الكلمتين«ولئن اتبعت اهواءهم من بعد ما جاءك من العلم مالك من الله من ولى ولا نصير » (٢٠) •

«والراسخون فى العلم يقولون : آمنا به ،ك[ل] من عند ربنا » (٢١) •

« ومالهم به من علم الا اتباع الظن » (٢٢)
« انما العلم عند الله وابلغكم ما ارسلت به»(٢٣)
•ولا يسعنا هنا استعراض جل ماورد من آيات فى هذا المجال ، او حتى الاشارة اليه ، ويكفى ان نشير الى ان كلمة (علم) بتصريفاتها المختلفة وردت فى عدد من الايات جاوز السبعمائة والخمسين (٢٤) •

دعوة لتطوير الحياة

ونتجاوز البعد الثانى لحظات لكى ننظر الى البعد الثالث ، فاذا به دعوة ملحة فى اكثر من موضع من كتاب الله الى اعتماد حقائق العلم وكشوفاته لتطوير الحياة وترقيتها بمزيد من التطبيقات (التقنية) على كافة المستويات • وهو ايضا مرن ، يتميز بالشمولية والديمومة ،اذ هو دعوة للافادة من الحقائق العلمية الراهنة فى مدى كل عصر ،لاحداث تطبيقات على مستوى العلاقات المدنية لذلك العصر ، فاذا ما حدث ان تغيرت الحقائق العلمية وتبدلت العلاقات المدنية ، كان بمقدور النداء القرآنى ان يمضى لكى يخاطب كل جيل ان يتحرك لاحداث تطبيقات اخرى على مستوى الحقائق الجديدة ، ومن خلال العلاقات

(١٦) البقرة ١٧١ ٢٤٢ وانظر العنكبوت ٢٢ ،٤٣ ، يوسف ٤٢ ، الحج ٤٦ •
(١٧) الانعام ٥٠ وانظر الروم ٨ ، سبا ٤٦،العمران ١٩١ ، الاعراف ١٧٦ ، الحشر ٢١ •
(١٨) النساء ٧٨ وانظر هود ٩١ ، الانعام ٦٥،طه ٢٨ ، الاعراف ١٧٩ ، الانفال ٦٥ ، التوبة ٨٧ و١٢٢ المنافقون ٧ • (١٩) البقرة ١١١ وانظر المؤمنون ١١٧ ، النساء ١٧٤ ، النمل ٦٤ القصص ٣٢و٧٥ الانعام ٨٣ و١٤٩ ، النحل ١١١،العنكبوت ٤٦ الحج ٨ •
(٢٠) البقرة ١٢٠ (٢١) آل عمران
(٢٢) النساء ١٥٧ (٢٣) الاحقاف ٢٣
(٢٤) انظر عن هذه النقطة بالتفصيل كتاب(التفسير الاسلامى للتاريخ) للمؤلف ، الفصل الثا[لث] (دار العلم للملايين ، بيروت / ١٩٧٥) •

المتغيرة .. الم يدعنا القران الكريم الى ان نعد لاعدائنا القوة التى نرهبهم بها ، ونحمى - بالتالي - وجودنا ودورنا فى الارض ؟ الم تات هذه الدعوة متضمنة هذا الموقف المرن . الشمولي، الممتد عبر الزمان والمكان والذى يلتقى فيه الراهن بالشامل ،والموقوت بالدائم:«واعدوا لهمما استطعتم من قوة» مطلق القوة«ومن رباط الخيل » ،اكثر الاسلحة مضاء فى ذلك العصر « ترهبون به عدو الله وعدوكم » . الم يؤكد فى (سورة الحديد)اعتماد هذا الخام الخطير فى ميادين السلم والحرب،وبما يحمله الحديد ملزم لطرائق الاعتماد وصيغه ؟

هل ثمة اكثر دلالة ؟ !

سورة الحديد ؟ هل ثمة اكثر دلالة علىارتباط المسلم بالارض من تسمية سورة كاملة باسم خام من اهم واخطر خاماتها ؟ هل ثمةاكثر اقناعا لنزعة التحضر والابداع والبناء ،التى جاء الاسلام لكى يجعلها جزءا اساسيا من اخلاقيات الايمان وسلوكيته فى صميم العالم ، من هذه الاية التى ترد فى السورة » لقدارسلنارسلنا بالبينات .وانزلنامعهم الكتاب والميزان ، ليقوم الناس بالقسط ، وانزلنا الحديد فيه باس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ، ان الله قوى عزيز ».. الاية التىتعرض خام الحديد كنعمةكبيرة انزلها الله لعباده ، وتعرض معها المسالة فى طرفيها اللذين يتمخضان دوما عن الحديد : (الباس الشديد) تمثلا باستخدام الحديد كاساسات للتسلح والاعداد العسكرى ، « والمنافع » التى يمكن أن يحظى بها الانسان من هذه المادة الخام فى كافة مجالات نشاطه وبنائه (السلمى) وهل ثمة حاجة للتاكيد على الاهمية المتزايدة للحديد بمرور الزمن ، فى مسائل السلم والحرب ، وانه غدا فى عصرنا الراهن هذا ، وسيلة من اهم الوسائل فى ميادين القوى الدولية سلما وحربا ؟ ان الدولة المعاصرة التى تملك خام الحديد تستطيع أن(ترهب) أعداءها بما يتيحه لها هذا الخام من مقدرة على التسلح الثقيل.. وتستطيع أيضا ان تخطو خطوات واسعة لكىتقف فىمصاف الدول الصناعية العظمى التى يشكل الحديد العمود الفقرى لتقدمها ..

ولا بد أن نلتفت - هنا - الى هذا التداخل العميق والارتباط الصميم فى آية الحديد بين ايصال الرسل والرسالات بكتب معهم واقامة الموازين الدقيقة لنشر العدل بين الناس ، وبين الحديد الذي يحمل فى طياته (الناس)،ثم التاكيد من ان هذا كله انما يجىء لكى يعلم الله (من ينصره ورسله بالغيب) و (ان الله قوى عزيز) . ان هذا الموقف المتشعب المتداخل يقودنا ثانية الى ان الاسلام جاء لكى يشد الانسان الى اعماق الارض ويدعوه الى التنقيب فيها من أجل اعمارها وحمايتها .. وان المسلم لن تحميه وتنصره الا يده المؤمنة التي تعرف كيف تبحث عن الحديد وتصوغه من أجل الحماية والتقدم والنصر ... وانه - بمجرد ان يتخلى عن موقعه الفعال هذا ، الذى يرتبط ارتباطا وثيقا بحركة الجهاد الدائمة ، ويختار بدلا من ذلك . مواقع الفرار والاتكال والانتظار السالب لمعونة الله - فانه يتناقض مع نفسه وعقيدته ، وسيهزم لا محالة . ما دام قد اشاح عن الموقف القرآني الذييكاد يصرح باعلىنبرة انه بدون الاعتماد الواعي ، المسؤول الذكي الخبير . على مصادر القوة والباس - لن يكون هناك (نصر) ولا (تقدم) ولا (حماية) للموازين والقيم العادلة التيجاءالانبياء(ع)،بكتبهمالسماوية لتنفيذها فى الارض ، حتى ولو حبس المؤمنون انفسهم فى المساجد ، السنين الطوال ، يبكون ويتضرعون !

وهكذا .. فحيثما تلفتنا ، عبر هذا البعد الثالث من معالجة القران للمسالة العلمية وجدناه يتخذ دعوة دائمة ، لا تحدها حدود ، ولا تاسرها متغيرات ولا نسبيات ، لدفع الجماعة المؤمنة الى صياغة مزيد من التطبيقات المبنية على حقائق العلم وكشوفاته ومعادلاته .

البعد الثاني

ونرجع الى البعد الثاني ، حيث طرح القران حشدا من الحقائق والسنن والنواميس فىمجالات العلم المختلفة ، وبخاصة الطبيعة والحفر [illegible] عموم الحياة ، فى عدد واسع من المقاطع و الايات لا يسمح المجال لتحليلها واستعراضها .. [illegible] بعض المفكرين او المفسرين [illegible] أحد الموقفين [illegible] الموقف الاول [illegible] لتفسير ايات القر[illegible] خطا منهجي [illegible]

والمتغير بالدائم والنسبي بالمطلق .. فاذا ما حدث ان تبدلت الجزئيات والمتغيرات والنسبيات العلمية ـ وهذا شانها كما يؤكد العلماء انفسهم ـ أدى ذلك الى احداث شرخ او قلق ذهني ازاء تلك الايات التي فسرت وفق مقولات لم يتح لها الدوام.

والموقف الثاني يرفض كلية الاعتماد على معطيات العلم الحديث تحسبا من مصير كهذا ..

الموقف الوسط

والمنهج الاقرب الى الصواب هو ان نتخذ موقفا (وسطا) كما علمنا كتاب الله نفسه ان نتخذ في كافة مساحات الحياة ، فلا هو بالالتصاق الكامل بمعطيات العلم المتغيرة ، ولا هو بالرفض الكامل للتفسير بها .

ان المفسر المعاصر يجب ان يعمل عقله ،وقدراته في مجال تخصصه اذا توفرت لديه ، لادراك طبيعة العلاقة بين طرفي المعادلة : الاية القرآنية والمقولة العلمية ، مستفيدا ـ من جهة اخرى ـ في الاتجاهات الحديثة التي ظهرت اخيرا في مجال التفسير القرآني ، تلك الاتجاهات التي تعتمد مفردات القرآن نفسه ومنحنياته البيانية لفهم مضامينه ومعانيه فيما يعرف بالتفسير البياني للقرآن ،ومن شانه ان يمنح المفسر ضمانات موضوعية لنشاطه، لتحميه من الافراط او التفريط في محاولة الوصول الى الدلالات المقصودة للكلمات والتراكيب الجميلة .

ومن خلال هذا التوازن في القدرة العلمية (التخصصية) والقدرة التفسيرية (الموضوعية)، يمكن المفسر ان يتحرك لكشف من الدلالات المقصودة للايات العلمية في كتاب الله .

معطيات العلم ليست سواء

هناك من الحقائق العلمية ما اصبح بمثابة قوانين نهائية، بل بداهات مسلما بها لا تقبل نقضا ولا تغيرا ، من مثل الدور الذي تلعبه الرياح ـ على سبيل المثال ـ في عملية الامطار ، ومن مثل الدور الذي تلعبه الجاذبية في حركة المجموعة الشمسية ،ومن مثل المراحل التي يمر بها الجنين في الرحم ، وتغير نسب المكونات الغازية قربا او بعدا عن الكرة الارضية ..وغير هذه الحقائق أمور كثيرة ما كان العربي يوم نزول القرآن يلم بابعادها (العلمية) ،ومن ثم فان تفسير الايات القرآنية التي تناولت هذه الحقائق واكدت عليها، كما انه سيتكىء على بداهات علمية بالنسبة للقرو الاخيرة، فانه سيكشف ـ في الوقت نفسه ـ جوان الاعجاز العديدة التي تضمنها القرآن واشاراتها

وهنالك من الحقائق العلمية ما يحتمل اك من وجه . ولكن هذه الوجوه جميعا انما تدور في اطار واسع مرن ليس ثمة مانع ان نحيل عليـ آيات قرآنية اخرى لادراك دلالاتها ، من مثـ تلك الايات التي تؤكد (النظام) الذي يمسك بناء السماوات المعجز ان يتفكك ويتبعثر ويضيع .

اما النظريات التي لا تزال موضع اخذ ورد . والتي لم تتبلور ـ بعد ـ كحقائق وقوانين وبداهات مسلم بها ، فان بمقدور المفسر ان يكون حذرا ازاءها ، والا يتكىء عليها الا بمقدار ما يتيح له ذلك تسليط الضوء على جانب من جوانب المضمون الذي تحتويه الاية .

ليست سواء .. معطيات العلم التي تتمغير باستمرار .. ومن ثم فان التعامل معها يجب ان يحاذر عن مظنة الارتباط الكامل او الانفصال الكامل .

ان الارتباط الكامل سيمنع القدرة على الفهم والادراك من التحرك بشتى الاتجاهات، والانفصال الكامل سيضعف هذه القدرة ويقيم أسلاكا شائكة بين جانب من معطيات القرآن وبين الانسان المعاصر..

ورطة الانسان المعاصر

والانسان المعاصر ـ اليوم ـ في أمس الحاجة الى يقين ديني يعيد اليه وحدته الضائعة وسعادته المفقودة وأمنه المسلوب .

وما دامت القناعة المبنية على (الحقائق العلمية) هي اليوم اكثر القناعات فاعلية للتحقق بهذا اليقين .. ومادام كتاب الله يمنحنا هذا القدر الكبير ، المعجز من هذه الحقائق التي راحت تتكشف عقدا بعد عقد وقرنا بعد قرن .. فلماذا لانتحرك على ضوء هذه المعادلة العلمية لانقاذ الانسان المعاصر من ورطته بفقدان اليقين ؟

« سنريهم آيتنا في الافاق ، وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق ، او لم يكف بربك انه على كل شيء شهيد ؟ »

(بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ، ولما يأتهم تاويله ! !) .

وصدق الله العظيم .. ■

الموصل / د . عماد الدين خليل

دعوة لفتح ملف حرب ١٩٤٨

كم من القصائد والخطب والاغاني والقصص والمسرحيات حظيت بها فلسطين ؟ وكم بيانا انقلابيا - او ثوريا - وعد بالتحرير وغسل العار والتضحية والفداء ؟ وكم من الدماء أريقت ومن الاموال انفقت ومن الحريات خنقت باسم فلسطين .. وفلسطين بعد لم تتحرر ؟ وفي ثنايا هذا كله .. هل ووجهت الجماهير العربية يوما ما بحقيقة الاحداث التي تمخضت عن الاوضاع القائمة ؟

بقلم : الدكتور

أحمد عبد الرحيم مصطفى

- حتى الآن ليس بين أيدينا دراسة علمية عن حقيقة وظروف ما جرى ؟
- ما هو حجم الدور البريطاني الغامض ؟ وماذا يفسر اختلاف مواقف الدول العربية ؟
- الافراج عن الوثائق البريطانية بعد ٣٠ عاماً قد يكشف جانباً من الحقيقة وإزاحة ستار التعتيم عن الوثائق العربية صار ضرورة

واذا ما كان التاريخ هو ذاكرة الشعوب ومستودع خبراتها فان الامة العربية بحاجة الى السجل الحقيقي للاحداث اكثر من حاجتها الى الاساطير ودواوين الحماسة وتهويمات الامجاد الحقيقية والمختلفة . فليس ادعى الى مواجهة الذات وتصحيح الاخطاء من فتح الملفات .. كل الملفات وتقويم البطولات الحقيقية والمزيفة . ان كشف الاقنعة هو وحده الكفيل بالاخذ بايدي الاجيال الصاعدة بدلا من تخديرها بالمسكنات والوعود وانصاف الحقائق. وقد آن الاوان لكشف الاقنعة عن الحروب العربية ـ الاسرائيلية واولها حرب ١٩٤٨ التي هي بحاجة الى دراسة علمية سواء من حيث ملابساتها الدولية او ارتباط تطوراتها بالعلاقات القائمة حينذاك بين الدول العربية التي اشتركت فيها (العراق ـ سوريا ـ لبنان ـ شرق الاردن ـ مصر ـ السعودية). فالعرب ،ومن اهم صفاتهم الكبرياء والاعتزاز بانفسهم وبماضيهم ،لم يتحمسوا بعد لنشر تفاصيل هزيمتهم على يد شعب لم تكن له دولة .. شعب مشرد ضال واجه الاضطهاد والتنكيل في شتى انحاء الارض ، ثم عاد ليهزم احفاد المنتصرين في القادسية واجنادين وحطين وعين جالوت . والهزيمة لا أب لها ولا أم، وبخاصة اذا ما اصيب بها شعب ابي .. فمثل هذا الشعب يتهرب من مدلولاتها ويسقطها على اى شيء الا مقوماته . وهكذا كانت الكتابات الاولى عن حرب ١٩٤٨ تحمل عنوان «المأساة» و «النكبة» و «الكارثة » (١) ـ الخ الخ ،وبين صفحاتها تطل اتهامات« الخيانة » و « العمالة » و « التآمر» ـ الخ الخ . اما تسلسل الاحداث ووضع النقاط على الحروف فقد ضاعا في دهاليز ، التعتيم ، خاصة وان الانظمة العربية القائمة وقت حلول الهزيمة ، فرضت ستارا حديديا على كل ما قد يكشف تقصيرها واخطاءها ، ولم تنشر من الاوراق الرسمية المتناثرة في الصحف والمجلات الا ما يبرر موقف كل منها ويلقي بتبعة ماحدث على الاخرين.

آخر ما كتب

وبعد مرور ثلاثين عاما على هذه الحرب ،آن الاوان لفتح ملفاتها والقاء الضوء على احداثها ـ التي لعبت دورا اساسيا في تطور القضية الفلسطينية ـ تفرج دوريا عن وثائقها الرسمية ـ كلها او جلها ـ بعد مرور هذه الحقبة الزمنية وان بعض الكتابات المتزنة قد خرجت الى حيز النور ملقية الضوء على جانب او آخر من جوانب هذه الحرب . فقد ظهرا اخيرا الجزء الثالث من مذكرات الدكتور محمد حسين هيكل (٢) الذي خصص الفصل الاول منها لحرب ١٩٤٨ واثار فيه تساؤلات واوضح بعض الحقائق التي استقاها بحكم قربه من صانعي القرار المصري ، وان يكن قد تنصل من كثير من الامور بحكم كونه ـ عند نشوب الحرب ـ رئيسا لمجلس الشيوخ لا وزيرا مسئولا والدكتور هيكل كما عودنا بصفته اديبا ومؤرخ لا باعتباره سياسيا حزبيا (فقد كان في عام ١٩٤٨ رئيسا لحزب الاحرار الدستوريين المشترك في التآلف الحاكم) ، عودنا الامانة في العرض والنزاهة في الحكم ، باستثناء ما يتصل بانتمائه الحزبي ـ وحتى فيما يتعلق بهذا الانتماء لانجده موغلا في اللجاج كما هي عادة الحزبيين في كثير من البلدان . واهم المؤشرات التي وردت في الجزء الثالث من مذكرات الدكتور هيكل تساؤله عن مدى صلة بريطانيا بدخول مصر الحرب بعد ايام من اعلان رئيس وزرائها (محمود فهمي النقراشي) ان الجيش المصري ليس في وضع يمكنه من خوض الحرب في ذلك الوقت . وسنعود الى هذا المؤشر بعد قليل حين نستعرض التناقضات العربية وسياسة بريطانيا العربية في اواخر الاربعينات .

هناك ايضا دراسة شاملة عن حرب ١٩٤٨ كتبها الصحفي الامريكي دان كورزمان المراسل السابق لصحيفة « الواشنطن » بوست تحت عنوان «البداية: ١٩٤٨ ـ الحرب العربية الاسرائيلية الاولى » ـ فالنتين ومتشل ، لندن ١٩٧٠ . وقد بنى كورزمان دراسته على ما استطاع الحصول عليه من الوثائق السرية ، وعلى حوالي الف مقابلة اجراها مع بعض من اشتركوا في الاحداث ممن قابلهم في البلدان العربية او في اسرائيل او الولايات المتحدة او بريطانيا او فرنسا او ايطاليا .والكتاب الذي يقع في اكثر من ستمائة صفحة ، يعرض بالتفصيل وباسلوب متحرر بعض الشيء من صرامة العرض التاريخي الصرف اقرب ما يكون الى العرض الروائي ، لاهم التطورات العسكرية والدبلوماسية التي مرت بها الحرب . فهو ...

(١) اطلق على هزيمة ١٩٦٧ اسم « النكسة » .

(٢) نشر الجزء الثالث هذا العام بعد ان ... نشره في السابق . وقد قدم له احمد هيكل المحامي وهو ابن المؤلف .

تفاصيل الصراع الشديد بين الرئيس ترومان وبين وزارة الخارجية الامريكية حول مساندة قيام الدولة اليهودية ، كما يبرز الظروف التى احاطت باغراق السفينة اليهودية «التالينا» فى ميناء تل ابيب، ويعرض بالتفصيل لمذبحة ديـر ياسين ولاجهاز العرب على عدد من اكبر اطباء وعلماء مستشفى هاداسا ، وللمفاوضات التى جرت بين الملك عبدالله والمندوبين اليهود (ومنهم موشى ديان) ولصداقة المثيرة التى توطدت فى الجبهة بين جمال عبد الناصر وبعض الضباط الاسرائيليين •

وهناك دراسة ثالثة بعنوان «الصداقة المنسية- اسرائيل والكتلة السوفيتية فيما بين عامى ١٩٤٧ و ١٩٥٣» ـ من تاليف آرنولد كرامر استاذ التاريخ بجامعة تكساس (طبع جامعة الينوى ، ١٩٧٤) ـ تعرض فيها للاسباب التى دفعت الاتحاد السوفيتى فى عام ١٩٤٧ الى مساندة آمال الصهيونية فى اقامة دولة يهودية ثم امدادها بالسلاح ـ وهو تطور جديد فى ذلك الوقت ، خاصة وان السوفيت قد درجوا منذ عام ١٩١٧ على الوقوف الى جانب العرب فى وجه الامبريالية الغربية •وقد بنى كرامر دراسته على المعلومات التى استقاها من مجموعات الوثائق الرسمية والخاصة ومن المحادثات التى اجراها مع معظم من بقوا على قيد الحياة ومن هؤلاء البعثة الاسرائيلية الى براج فى عام ١٩٤٨ وبعض الدبلوماسيين والقادة العسكريين السابقين ومن الصحف والمذكرات •والكتاب يوفر اول دراسة من نوعها ، وبخاصة فيما يتعلق بنشاطات الهاجاناه فى تشيكوسلوفاكيا وشراء الاسلحة ثم نقلها الى فلسطين ، ويبين ان روسيا لم تقتصر على تزويد الدولة اليهودية بالعتاد الحربى والطائرات المقاتلة ، بل انها وفرت لها فى تشيكوسلوفاكيا مناطق للتدريب السرى لقواتها ، كما امدتها بوحدة من « المتطوعين » التشيك •

التاريخ يعيد نفسه

هذه مجرد نماذج من المعلومات الجديدة المتصلة بحرب ١٩٤٨ التى هى بحاجة الى اعادة تقويم على ضوء المنهاج العلمى الهادف الى التوصل الى كل الملابسات المحيطة بها محليا ودوليا • فبالاضافة الى كون مثل هذا المنهاج كفيلا باستجلاء بعض الجوانب الغامضة المتصلة بهذه الحرب ، فانه يوفر خدمة قومية حين يفسر الاسباب الموضوعية للهزيمة حتى لا تتكرر لاحقا المصيبة •

فالقصة ذاتها تتكرر منذ عام ١٩٤٨ من حيث تمزق العرب وخلافاتهم واطماع بعض حكامهم وعدم استغلالهم للظروف الدولية فى خدمة الاهداف القومية على عكس الصهيونية . اليهود يتحركون فى كل الاتجاهات ويمنون الدول بالوعود ويستعملون مختلف الاسلحة للتاثير فى الشعوب ويظهرون انفسهم بمظهر اصحاب الحق والعرب بمظهر المعتدين •

فقبل عام ١٩٤٨ كانت الحرب الباردة على اشدها بين الاتحاد السوفيتى ـ المعسكر الغربى ، فى الوقت الذى اشتدت فيه التناقضات الامريكية ـ البريطانية• وقد دخل العرب الحرب بجيوشهم النظامية فى اخر المطاف دون اتفاق على خطة موحدة للتعامل مع هذه الدول الثلاث بالصورة التى تخدم قضيتهم• فبريطانيا كانت تواجه المشاكل فى مصر واوروبا والهند ، ومن ثم مقاومتها للضغوط الامريكية الرامية الى السماح بدخول مائة الف يهودى الى فلسطين فى الحال • ذلك ان استسلام لندن للضغوط الامريكية كان يقتضى استقدام مزيد من القوات البريطانية الى فلسطين للمحافظة على الامن والنظام . مما يكلف الحكومة البريطانية المفلسة مزيدا من النفقات • هذا الى ان الحكومة البريطانية العمالية لم تكن تود اغضاب العرب الذين كانت تود استمالتهم بقصد تكتيل الانظمة العربية فى حلف للدفاع عن الشرق الاوسط • وقد ذهب رئيس الوزراء البريطانى كليمنت اتلى الى ان من واجب الحكومة البريطانية ان تتحمل النفقات المترتبة على تنفيذ توصياتها اذا ما اصرت على ذلك • الا ان الذى حدث هو ان واشنطون لم تبد اى استعداد للاضطلاع باى مسئولية عسكرية او سياسية،خاصة وان رؤساء الاركان المشتركة قد اوصوا بعدم استخدام القوات الامريكية و اتخاذ اى اجراء قد تترتب عليه نتائج فى فلسطين لا تستطيع القوات البريطانية ان تسيطر عليها ، او يكون من شانه اغضاب العرب على المعسكر الغربى وتحولهم الى المعسكر الاشتراكى •

وفى ١٤ فبراير ١٩٤٧ ... البريطانى ارنست بيفن ... الفلسطينية على الامم ... اتخذ هذا القرار ... فلسطين اصبح ...

المتحدة من بريطانيا البقاء في فلسطين باعتبارها « شرطيا » مسئولا عن الاماكن المقدسة • وما ان بدات الجمعية العمومية في بحث القضية الفلسطينية حتى صرح بيفن في ٢٩ مايو ١٩٤٧ بانه شخصيا لن يتقيد باي قرار تتخذه الامم المتحدة الا اذا جاء باجماع الاراء ـ ومعنى هذا عدم التوصل الى اي تسوية على الاطلاق !

واتضح للجميع ،بمافيذلك بريطانيابوجه خاص، ان اي حل لابد ان يفرض !

والآن لنا ان نتساءل عن الدافع وراء موقف بريطانيا الذي كان من شانه عرقلة التوصل الى حل سريع • فهل كان ساستها يتوقعون ان تؤدي الفوضى المستمرة الى استدعاء القوات البريطانية من جديد لاعادة الامن والنظام ؟ ام انهم كانوا يخشون التغلغل الروسي بعد ان ايد الروس التقسيم بعد صمت طويل ؟ الحق ان بريطانيا كانت في مازق لاتحسد عليه •ففي الوقت الذي كانت فيه الولايات المتحدة ـكالعادة ـ عرضة للضغط الصهيوني بسبب موسم انتخابات الرئاسة وتنافس الحزبين الرئيسيين على كسب « الاصوات اليهودية » كان الروس معادين لانظمة الحكم العربية المتحالفة مع الغرب والتي دمغت بالاقطاع والرجعية، ويسعون الى قيام دولة يهودية عصرية تلعبدورها في القضاء على النفوذ الغربي ، وبخاصة اذا لم تحل امريكا محل بريطانيا بعد انسحابها • وهكذا وجدت بريطانيا نفسها امام امر واقع حين اقرت الامم المتحدة مشروع تقسيم فلسطين الى دولتين احداهما عربية والاخرى يهودية ـ ومن المرجح انها حاولت خدمة اهدافها باتباع اساليب جديدة،خاصة وقد تزعزع وضعها في الشرق الاوسط حيناصبحت امتيازاتالنفطوالانابيبموضعاللمراجعةالمستمرةفي العواصم العربية وتعثرت المفاوضات مع مصر حول معاهدة ١٩٣٦ وتعرض الانجليز لموجة ارهاب شديد في فلسطين على ايدي العصابات الصهيونية (٣) في الوقت الذي اساءت فيه الدعاية الصهيونية الى بريطانيا في شتى انحاء العالم •

احتمال انتصار العرب ؟

واذا كان حرص بريطانيا على استرضاء العرب وغضبها من الصهيونيين من العوامل الرئيسية التي شكلت سياستها الفلسطينية في هذه العقبة فكذلك الحال بالنسبة الى تقدير لندن لمستقبل فلسطين بعد انتهاء الانتداب • فلم يكن احتمال انتصار العرب عسكريا بالامر البعيد ، ومن ثم تفكير بيفن في ضمان فرصة العودة الى فلسطين على شكل ارتباط غير رسمي مع العرب ، وبخاصة مع الملك عبدالله حاكم شرق الاردن •

فقد كشف احد سكرتيري بيفن المقربين النقاب عن ان وزير الخارجية البريطانية قد تنبا بانتصار العرب في القتال الذي بدت بوادره ، وعن انه كان من المتوقع ان يطلب اليهود من بريطانيا التدخل لصالحهم بحيث تتاح الفرصة لاعادة تقسيم فلسطين بحيث لا يسيطر اليهود على كل من حيفا والنقب، وهما الموضعان اللذانكانت هيئةالاركان البريطانية تبغي السيطرة عليهما بقصد نقلالقوات البريطانية اليهما في حالة الانسحاب من قاعدة قناة السويس، على ان يتم استرجاعهما فيما بعد طبقا لمعاهدة تعقد مع الملك عبدالله •

وقد شارك القادة العسكريون البريطانيون بيفن في تقديره لنتائج الصراع العسكري علىفلسطين ـ ففي مارس ١٩٤٨ صرح المرشال مونتجومري بان اليهود اصبحوا عاجزين عن حماية خطوط مواصلاتهم ، وايدت هذا الحكم تقارير العسكريين البريطانيين في القدس وعمان والقاهرة • بل ان قائد القوات البريطانية فيفلسطين ـ سير جوردون مكميلان ـ صرح بان الجيوش العربية لن تجد صعوبة في الاستيلاء على فلسطين باسرها •

وعلى حين ان الجماهير العربية عقدت العزم على انقاذ فلسطين بكل الوسائل وضغطت في هذا السبيل،فان الدولالعربية ابدت حماسة لاستلاب أجزاء من القسم العربي الذي نص عليه قرار التقسيم تفوق حماستها لعرقلة قيام الدولة الصهيونية • ولم يدافع عن المحافظة على عروبة فلسطين سوى سوريا التي كانت تسعى الى توفير عازل في وجه امارة شرق الاردن يضمكلا من سوريا وفلسطين ، على ان يوكل حكم هذه الاخيرة للمفتي الحاج امين الحسيني •

وكان الملك عبدالله هو الوحيد الذي يمسك بزمام المبادرة ويعرف بالتحديد ماذا يريد • فان

(٣) في الفترة الممتدة مابين نهاية الحرب العالمية الثانية و ٢٠ اكتوبر ١٩٤٧ قتل الصهاينة ١٢٧ بريطانيا وجرحوا ٣٣١

.جتمع رؤساء الوزراء العرب في القاهرة فـــي .يسمبر ١٩٤٧ في دورة طارئة للجامعة العربية .دفها تحديد موقف العرب من قرار التقسيم ، امر .بدالله مندوبيه بمعارضة تسليح الفلسطينيين من .صار المفتي وحث الدول العربية على ارسال جيوشها .نظامية على اثر انسحاب القوات البريطانية فقد كان .بدالله يود احتلال المنطقة العربية ، خاصة وانه .صل الى اتفاق مع الصهاينة بهذا الصدد وان .يشه (الفرقة العربية) كان هو الجيش العربي .وحيد الذي يحظى بتدريب جيد وباسلحة حديثة . .لا ان قرار الدورة الطارئة لم يتمش مع مخططات .لملك عبدالله : فقد قرر رؤساء الوزراء ان تبذل .حكوماتهم كل ما في وسعها لمعارضة التقسيم وذلك .بجمع ١٠٫٠٠٠ بندقية وغيرها من الاسلحة الخفيفة .بقصد توزيعها على عرب فلسطين وتجنيد ٣٫٠٠٠ .متطوع وانشاء لجنة عسكرية ملحقة بالجامعة العربية مهمتها تدريب المتطوعين وتنظيمهم . وكان من راى الملك عبدالله ان مثل هذه القرارات لن تتمخض عن اية نتائج عملية ، خاصة وان هجمات المتطوعين العرب من شانها ان توفر لليهود فرصة شن هجوم مضاد والاستيلاء على اراض لم تخصص للدولة اليهودية التي نص عليها قرار التقسيم .

الطامحون الى الزعامة

ولكن كيف يتسنى لعبدالله ان يعترض وحده على قرار رؤساء الوزراء العرب ؟ الحق ان الحاج امين الحسيني كان يسعى جاهدا الى تنفيذ قرارات الدورة الطارئة ، وكذلك الحال بالنسبة الى سوريا ومصر اللتين كانتا تخشيان ان يحتل الجيش الاردني فلسطين العربية . اما السعودية فكانت تعارض تسليح الفلسطينيين وارسال جيوش نظامية حتى لايؤثر تطور القتال على ثروتها النفطية ، ولان بريطانيا كانت تمني المملكة بالزعامة ،بـل ويلوح لها فلبي ــ المستشار البريطاني للملـك عبدالعزيز ــ بان يتوج احد امرائها ملكا على فلسطين ! (٤) بل ان العراق الذي كان يحكمـــه الهاشميون اقرباء الملك عبدالله ، لم يكن علـى استعداد للموافقة على مخططات حاكم شـــرق الاردن ،خاصة وان ساسة العراقيين كانوا يتفاوضون مع بريطانيا حول عقد معاهدة دفاعية تحل محل معاهدة ١٩٣٠ ، ومن ثم حرصهم على مواجهة الاتجاهات الخاصة بتواطؤ العبو[illegible] [illegible] [illegible] لاسرائيلية والصهيونية . فعبد[illegible] هو الاخر [illegible] يطمع في الاستيلاء على فلسطين كلها بعد حصر [illegible] القسم العربي الذي نص عليه قرار التقسيم . وكان يامل في ان يوافق اليهود على التمتع بالاستقلال الذاتي في مناطق مملكته ويعتقد ان بامكانه التعايش مع اليهود الذين بامكانهم مساعدته على تحقيق طموحاته سواء في فلسطين او في الشام . والتقت اهدافه مع المخططات البريطانية الساعية الى تكتيـــل المشرق العربي في منظمة للدفاع المشترك ــ ومن ثم سماح جلوب وكركبرايد للمتطوعين العـــرب بدخول فلسطين،على ان يتم ذلك خفية عن الانظار .

وهكذا جرى تنظيم « جيش التحرير العربي » الذي اختير الجنرال العراقي اسماعيل صفـــوت باشا قائدا عاما له واقام مركز قيادته بالقرب من دمشق ، على حين تولى فوزي القاوقجي ــ قائد ثورة ١٩٣٦ في فلسطين ــ قيادته الميدانية . وما وافى ربيع ١٩٤٨ حتى كان الفدائيون العرب قد قسموا فلسطين الى عدة جبهات : فتولـــى فوزي القاوقجي واديب الشيشكلي مسئولية القطاع الشمالي الذي كان يعمل فيه ٧٫٠٠٠ مقاتل عربي وتولى عبدالقادر الحسيني قيادة القطاع الاوسط الذي كان يعمل فيه ٥٫٠٠٠ مقاتل معظمهم من رجال « اللجنة العربية العليا » غير النظاميين . واما القطاع الجنوبي ، الذي كان يضم كل منطقة النقب فقد شغله الفان من متطوعي « الاخوان المسلمين » المصريين . وبدأ المتطوعون العرب في مهاجمـة المستوطنات الصهيونية دون ان يواجهوا ايـــة عراقيل من جهة الانجليز الذي سلموهم بعض مراكز الشرطة . وكانت النتيجة هي نجاح العرب في اوائل عام ١٩٤٨ في قطع الطرق الواصلة بين تل ابيب والقدس وبين حيفا والجليل الغربــي وبين بحيرة طبرية والجليل الشرقي وبين العفولة ووادي بيسان . وما لبثت المستعمرات اليهودية في النقب ان عزلت عن بقية فلسطين ، في الوقت الذي حوصر فيه اليهود في القسم الغربي من القدس . الا ان الصهاينة نشطوا في استيراد السلاح من امريكا واوروبا وبخاصة تشكوسلوفا[illegible] فـــي الوقت الذي جرى فيه [illegible] [illegible] العسكرية المبثقة من [illegible] [illegible] عن طريق بيع الا[illegible] [illegible] باثمان عالية [illegible]

(٤) راجع كتاب « فلبي العرب » لاليزابيث مونرو .

كما ادى اصرار المفتي على السيطرة علـــى القوات العربية العاملة في فلسطين الى اشتداد الصراع بينه وبين القاوقجي الذي لقي التأييد من جانب الحكام العرب وعمل على اقصاء الفلسطينيين عن صفوف قواته • واغرب من هذا ان القاوقجي قد توصل الى اتفاق مع قوات الهاجاناه تعهد بمقتضاه الا يساند جيش التحرير العربي عبدالقادر الحسيني اذا ما شن اليهود الهجوم على جبهة القدس • وكان لكل ذلك اثره في دفع عبدالقادر الى خوض معركة القسطل في محاولة يائسة للسيطرة على الموقف •

بداية النزوح

...

وحين اعلن اليهود دولتهم في ... مايو ١٩٤٨ ... دخول الجيوش العربية النظامية الى فلسطين لم تزد القوات العربية الممكن ارسالها الى الميدان على ٢٣٫٠٠٠ مقاتل منهم ١٠٫٠٠٠ مصري و ٤٫٥٠٠ اردني و ٣٫٠٠٠ عراقي و ٣٫٠٠٠ سوري و ٢٫٠٠٠ من متطوعي جيش الجامعة العربية و ١٫٠٠٠ لبناني وبضع مئات من السعوديين بالاضافة الى بضعة الاف من الفلسطينيين المسلحين ولكن غير المدربين • ومن الواضح ان الحكومات العربية كانت اميل الى ابقاء معظم قواتها داخل اراضيها حرصا منها على حماية اوضاعها الداخلية • ورغم شك هذه الحكومات في طموح الملك عبد الله ، فانها سعت الى الحصول على تأييد الفرقة العربية ... ذات القيادة ... الجيش العربي ...

احمد عبد الرحيم



أحمد الصافى النجفى بيروتياً

بقلم : ربيع ديب

[illegible] علاقة [illegible]
[illegible] عابرة وإن طالت [illegible]
[illegible] الشاعر بالترحل ، وكأنما هو [illegible]
[illegible] القديم فى ترحله [illegible]

ونمط حياته ومسلكيته ، فساعرض هنا بعض ما عرفته عن هذا الجـانب ، تاركا لغيرى مقـارنة شعره بما قاله الدكتور دبدوب وما قلته وما سيقوله غيرنا .

قوتي أم ضعفهم ؟

فمنذ اضطر الشاعر الى مغادرة العراق والحضور الى لبنان سنة ١٩٣٠ ، بعد احتلال الانجليز بلده سنة ١٩١٧ ، ونتيجة مواقفه المعروفة من الاستعمار البريطاني والفرنسي والحكومات التى ظاهرتهمـا آنذاك ، وتعرضه بالتالى للسجن فى بيروت على اثر اشتراكه فى تظاهرة من اجل وطنه (وقد اثمر ذلك ديوانه المعروف « من حصـاد السجن ») . والشاعر يرى فى بيروت مدينة من وطنه العربى الكبير له ملء الحرية فى التحرك داخلها والانتقال الى مدينة عربية اخرى ، لا يشعر بالغربة الا بقدر ما يشعره بها الاخرون . حتى اذا ضيق عليه الخناق ، ولقى من عسف الاغبياء وسخريتهم ما يجرح كرامته . لجأ الى الشعـراء يستوطنهم ، واجدا أن « وطن الشاعر الغريب شاعر » كما يقول فى ابيات له سمعناها منه . هو الذى سخر من سجنه ومن سجانه ومن الحكومات التى راحت الواحدة تلقى بعبء قضيته على عاتق الاخرى ، فكتب ـ وكان يكتب فى سجنه المظلم بعيـدان الكبريت ، يبلل عودا بلعابه يجعله قلما، ويستضىء بعود آخر يشعله ـ :

حكومـة لبنـان قد راجعـت
فرنسـا لفـكى فلم تسطـع

وراحت فرنسـا الى الانكليز
تراجعهم ، جـل من مرجـع

وقد راجع الانكليز العـراق
ولليوم بالامـر لم يصـدع

فقلت اعجبوا أيها السامعـ
ـون ويا أيها الخلق قولوا معى

أمن قوتى صرت أم ضعفـهم
خطـيرا على دول اربـع ؟

وهكذا . ومع بساطـة العيش والمظهـر التى اشتهر بها ، كان له فى بيروت وطنه الـ «نخبوى» ، متمثلا فى أدباء وشعراء معروفين وجلهم محافظون. كما كان له وطنه «الشعبى» متمثلا فى رواد المقاهى من عمال ومتبطلين . وقد يبدو تناقضا تنقله عبر المسافـة بين الاذاعـة اللبنانيـة ومعها المقـاهى « المتفرنجة » كما يقول ، « ومقهى فلسطين » فى شارع المعرض ومقهى «الحاج داود» على الشاطىء . لولا ان هذه المسافة بعينها هى ما يمكن ان يكون الـ «الكل» المنسجم الذى يعنون شخصيته، خصوصا اذا ما عرفنا أنه غالبا ما كان ينقل الى الاذاعة . أو أى منتدى فكرى آخر، شخصيته ، البسيطة المعروفة فى المقهى ، يقتحم بها ترف الاندية التى غالبـا ما كان يهرب منها ، الا اذا اضطرته دواعى العيش الى ارتيادها ، وقد قرأ علينا فى مقهى فلسطين ما يعبر عن ذلك ، وهو قوله :

أمر من النـوادى زاخـرات
بألوان المجـاملة الوضيعـة

وأوى للحقول طليـق نفس
فلست مجاملا الا الطبيعة .

ذلك اننى أبلغتـه رغبـة موظف رسمى معب للشعر فى الاجتماع به . وقد أعرب النجفى عن موافقته ، لولا أنه أصر على أن يكون الاجتماع فى احد المقهيين : « فلسطين » و « الحاج داود » . ولما كنت اتصور استحالة ان يوافق الموظف المذكور على هذا الشرط ، فقد وجدتنى أمام استحالة أن ينتقل النجفى الى مكتب ذلك الموظف الذى اتحرج من ذكر اسمه لعلمى بانه سيعترض على ذلك .

ولكن كيف كان النجـفى يبرر اختيـاره هذه البساطة فى العيش ؟

ربما شعر يوما ، ونحن فى مقهى فلسطين فى شارع المعـرض ، اننى اعقد موازنة خفيـة بين سلوكه وسلوك الهيبين ، وقد شرعوا فى الستينات يفدون الى بيروت ، واذكر اننى كنت اتحدث عنهم أمامه ، اقول : ربما شعر باهتمامى بموازنة من هذا القبيل ، عندما قال منفعلا : « دولا*

* هؤلاء باللهجة العراقية .

هبيين .. أنا الهبي الحقيقي » . وتابع بما معناه : « ليس الهبي ، الذى يفترض فيه ان يحمل فلسفة معينة ، من ياتي بالثوب الجديد فيمزقه طلبا للبساطة يعارض بها ترف المترفين فيتعقيدات حياتهم وابهتها . أنا الهبي لانني لا افتعل شيئا من هذا » . فهل كان النجفي يعارض حياة المترفين معارضة سلبية على نحو ما ؟

قد يكون في اختياره هذا النمط من العيش ، واقتصاره على البسيط من اللباس ، وفراره الى الحقول – وقد كان يجد في حدائق المدن تقليدا لها – ما يكشف موقفا معارضا للترف المبنى على استنزاف الناس . علما أن مواقفه من الاستعمار قد تكون فاتحة مواقفه المتمثلة غالبا في سلوكه الشخصي ، باعتبار أن الاستعمار لا يمكن ان يكون الا صنيع اناس غير بسطاء مثله ، صنيع اناس مترفين يستنزفون سائر الاقوام حقا .

هذا الموقف المعارض لما هو متخلف كالاستعمار، والترف القائم على دعائم من تخلف الاخرين ، كان يمكن له أن يؤسس عنده موقفا متقدما من الشعر . ولكن الحقيقة – كما بدت لي – أن التناقض المحتمل في شخصية النجفي انما يكمن هنا بالذات. ففي لقاءات عديدة كنت اتعمد الاشارة الى الشعر الحديث والشعراء المحدثين ، وكانت عبارته المالوفة «دولا» ترن في فضاء المقهى ثم تخفت : « دولا مو شعراء .. دولا علاكين » . ولم يكن ليرضى ، بشكل خاص ، عن الشاعر الفلسطيني محمود درويش . وليس ذلك فحسب ، فقد قال اكثر من مرة ان الشعر كف عن أن يكون شعرا منذ أبي نواس الذى كان يرى فيه قمة الشعراء العرب . ولكن أليس ذلك هو موقف المحافظين في كل عصر عربي ؟ وهل يمكن تجاوز ادلال النجفي بذاته وبشعره ، وقد حاول ان يقف موقفا وسطا لا يخفي مع ذلك اعتداده ؟ قال :

بابداعي الاشعار لا اتكلف
متى رمت ابداعا من البحر اغرف

نايت بشعرى عن قديم ومحدث
فشعرى كروحي جاهلي مثقف

لست شاعرا !

جئته يوما بـ « شاعر ناشيء » فاذن له بالقراءة. فما أتم ابياتا فلائل حتى هتف بعصبية . كفى .. انت لست شاعرا . ولولا أنني نصحت على قدم الشاب لكان الدم المحتقن في وجهه تحول الى كلمات قد تجرح الشاعر

ومرة – كما روى لي – اجاب دعوة اديبة لبنانيه (اصر هو على عدم ذكر اسمها) . وكانت تدعي غرامها به . وقد زارها في مكتبها . حتى اذا جلس ، شرعت الات الهاتف الكثيرة فوق مكتبها ترن الواحدة تلو الاخرى ، والمرأة تلتقط سماعة مرة وسماعتين مرة أخرى . ولما طال بها الوقت وهي منشغلة بمكالماتها الهاتفية ، تناول النجفي ورقة عن المكتب وكتب

ديه أسرحي منك صدق المواطه
وقلبك مقسوم على الف هائم

ثم خرج دون ان تشعر به .

وروى لنا انه دخل مقهى « متفرجا » – كما يقول – حيث راى رجالا ذوي لحى قيل له انها لحى فنية ، وان اصحابها شعراء محدثون ، فاستمع اليهم ، ولما لم يعجبه شعرهم قال :

وصادفت باشكال اللحى مطرا
وشعرهم يصدم الاسماع بنظمها

تحار افكارنا في فهم شعرهم
اشعارهم كلحاهم ليس تفهمها !

ولعل في ذلك ما يؤكد ما ذهبنا اليه من ضيقه بالشعر الحديث ، واعتباره اياه شعرا غير مفهوم، علاوة على انه لا يمكن حفظه شان الشعر العمودي.

والغريب ان النجفي الذى لم يكن ليرى في شعر المحدثين شعرا مفهوما ، كان يرى في لغة البكم لغة مفهومة . اشار يوما الى مجموعة من العمال البكم وقد تحلقوا حول طاولة في مقهى فلسطين وراحوا يتخاطبون بحركات ايديهم واصابعهم . وقال « هؤلاء ترتاح اليهم وتفهمهم بالقلب » . وكان يمضي وقتا طويلا بالقرب منهم . يحتسي [illegible] المفضل : الشاي الممزوج بالعسل [illegible]
ويترك لك ان تختار [illegible]
بدفع الحساب . [illegible]
يشرب ويشرب [illegible]
متعللا بانه يملك من [illegible]
فقد كان رحمه الله لا [illegible]

الفقراء ما منحته اياه الحكومة العراقية (راتبا شهريا قدره ثمانون دينارا عراقيا) وقد كتب قصيدة في هذا المعنى لا اذكر منها شيئا ولعلها في حيازة ناشر لبناني كان يودعه قصائده تباعا •

يمدح ولا يرثي

كان النجفي لا يدخن ، الا أن رئتيه ـ كما كان يقول ـ كانتا تمتلئان بما يكفي من دخان التبغ والنارجيلة العابق في جو المقهى ، يعب منه من غير قصد ثم يخرج الى نزهته الاعتيادية في شارع المنارة على الشاطىء قرب السفارة الاميركية ، ينظف رئتيه بهواء البحر ، قبل ان ياوي الى غرفته في الطابق الثاني من « فندق المعرض الكبير » او منزله في محلة الشياح جنوبي بيروت ، وكان يتركه مفتوحا ليتمكن جيرانه من الاستفادة من مياهه •

واذكر اشارة الدكتور بدوب الى أن النجفي كان يعاني ، اي الماضي ، من مرض الزحار المدمم ، فلعله كان لا يزال مصابا بهذا الداء سنة ١٩٦٩ • فقد استمهلني حين دعوته لزيارة بلدتي شحيم لاحضار دوائه ، وقال أنه يعاني اسهالا دميما مزمنا • وكنت اتصور هذا الرجل النحيل المريض عازفا عن الطعام يكتفي باقله ، الى أن زال هذا التصور وانا اراه ياتي ـ في وجبة واحدة ـ على نصف فروج ونصف كيلو من اللبن ورغيفين • وكنت، وانا أراه ينقل خطوه ببطء وثقل في شوارع بيروت ، اتصوره قريبا من حتفه !

ويطول بنا الحديث ان نحن استرسلنا في رصد حياة هذا الشاعر الذي انتهى في أواخر حياته انسانا اقرب الى الصوفي ، يقول شعره في الله والاسلام ، رقيقا خاشعا ، وكانما يستغفر ربه تائبا عن ذنب لعله انشغاله في حياته الطويلة عن التعبد ، وان كان لم ينس لحظة همومه الوطنية • يرى في سرحان سرحان بطلا قوميا فيمدحه ويهتف: « فكلنا سرحان » ، ويقف من النائبة البريطانية : « ماكاي » موقف الاكبار فيمدحها بقصيدة احملها أنا الى الاديب الفلسطيني الشهيد غسان كنفاني، وكان رئيسا لتحرير ملحق الانوار ، فينشرها في الملحق رقم ٢٧٠٧ تاريخ ١٩٦٨/٥/١٢ ،ومما قاله:

أنت أحييت سيرة الاولياء
بالفدا تقتدين بالانبياء

يا نصيرا من السماء أتانا
اذ خلت أرضنا من النصراء

كنت فخر الرجال لو كنت منهم
فغدا الفخر ذا نصيب النساء

كيف جاء الفدا لنا من غريب
فوق ما نرتجيه من قرباء

أنت حققت ما سراه خيالا
حين أخرست دعوة الادعياء

أنت جيش من الدعاة أتانا
في مثال من رقة وبهاء

وهو وان كان يمدح ، وقد مدح العديدين . ومن بينهم سرحان وماكاي وصديقه الاديب اللبناني سمير شيخاني ، احتراما لا تملقا ، فقد كان لا يرثي • وقد قرأ لنا قصيدة في رثاء الاديب رئيف خوري هي غير القصيدة التي اثبتها الدكتور دبدوب في مقاله • وفي القصيدة التي اذكرها يقول :

لغير الحق لم تمدح وتذمم
فمدحك كان للحق الدعاء

ومثلك صاحبا يرثيه مثلي
وثق لم أرث غيرك والسلام •

ذلك أنه كان كبيرا في كل شيء ، يضن بالرثاء لانه يرى فيه تملقا ومجاملة وهو الكاره لذلك ، الا أن يكون صديقا كرئيف خوري • وهل أحرى من النجفي باكرام الصديق وقد كان صدوقا ؟ وهل احرى به من عزة النفس في الشعر وقد كان عزيزا في جميع تصرفاته ؟

وكما مضى العظماء وخلدتهم آثارهم ، مضى الشاعر النجفي يخلده شعره وتخلده ذكريات الناس عنه ، ذكريات لا شك في أهمية تدوينها ، فهي جزء من تراث جدير بان يكمل صورة الشاعر • ويقينا ان واحدا من المهتمين بشعر النجفي سوف يقف جزءا من اهتمامه على النهوض بهذه المهمة •

شحيم ـ لبنان ـ ربيع ديب

* قاتل ادوار كندي •

كلام في العدل :

هؤلاء المترفون

بقلم : فهمي هويدي

قد يستوجب الامر اعتذارا ، لان مناقشة هذه القضية تدور حول « المترفين » ..

ووجه الاعتذار هنا أن الامة العربية تعيش الان ظاهرة الترف ، بعد ان تدرجت في السلم صعودا ـ وربما هبوطا ! ـ من الغنى الى الثراء الفاحش الى الترف • وبعدما انفتحت ابواب الكسب الحلال والحرام على مصاريعها ، في زمن انكسرت فيه قيمة العمل امام طوفان المال المنهمر وتحت ضغطه •

اعني أن من يعنيهم الامر هنا هم اناس حولنا . كثار وربما دون حدود ، نقرأ عنهم كثيرا وقد نلقاهم ، وربما نعرف بعضهم • هم أهلنا وان باعدت بيننا المسافات ، في الامكنة والارصدة !

غير أنه قد يغفر لنا ويرفع الحرج ان ما نقوله ـ أو ننقله بتعبير ادق ـ هو كلام الله ورأى الاسلام كما نفهمه . وليس رأيا أو اجتهادا شخصيا قد يثير مشاعر غير القادرين تجاه القادرين •

وعلى ذكر هذين الفريقين ـ الفقراء والاغنياء ـ فان التصور الاسلامي للعلاقة بينهما يقوم على فكرة الاخوة والمودة والتراحم • وهي تختلف تماما عن فكرة الصراع الطبقي التي يقول بها الماركسيون •

ثمة « اعلان اخاء » بين جموع المؤمنين جاء به الاسلام منذ ١٤ قرن • ونص عليه القرآن « انما المؤمنون اخوة ـ الحجرات ١٠ » و ... « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » ـ حديث رواه البخاري ومسلم ، و .. « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم ، كمثل الجسد الواحد .. » الى آخر الحديث ..

وقد كان المجتمع الاسلامي الاول يعيش في ظلال وارفة من هذا الاخاء الرحب ... التي جعلت الميسورين من الصحابة يتسابقون في البذل والاسهام فيما ... ورفعة المسلمين ، من ابى بكر الصديق الذي كان له يوم اسلامه ... ٤٠ الف درهم ، انفقها في سبيل الله ، حتى انه عندما هاجر ... مدخراته الا خمسة آلاف فقط ، الى عبد الله بن جعفر الذي ...

لامه البعض قال : ان الله عودني عادة وعودت عباده عادة : عودني أن يعطيني ، وعودت عباده أن اعطيهم فاخشى اذا قطعت عادتي عن عباده ،أن يقطع عادته عني ! الى أبو موسى المردار (من المعتزلة) الذى رفض ان يورث ورثته ماله ، وسئل عن السبب فقال : كان مالي حق الفقراء لكني خنتهم وانتفعت به طول حياتي !

وقبله قال ابن عمر : لقد اتى علينا زمان ،وما احد احق بديناره او درهمه من أخيه ٠

هكذا فهموا اعلان الاخاء ، وهكذا مارسوه ؛حتى قام مجتمع « كان فيه أغنياء لا يخافون حقد الفقراء ، لانهم ادوا حق الله في اموالهم ،وفقراء لا يخشون شح الاغنياء ، لانهم ما برحوا في فيض غامر من برهم وسخائهم ٠ ولكن كانوا يتنافسون فيما بينهم ، ويتسابقون في فعل الخير والحث عليه » * ٠

●

واذا كان العدل الاجتماعي هو موضوع مناقشتنا الاساسي ، فقد كان لازما أن نقف عند الظاهرتين الخطيرتين اللتين يحاربهما الاسلام لتحقيق العدل ـ الذى هو عماد الشريعة كما قلنا ـ والظاهرتان هما : الفقر والترف ٠

واذا كان الاسلام يقرن الفقر بالكفر ـ وكانت هذه قضية المناقشة في العدد الماضي ـ فانه يعتبر الترف جريمة ، بل سرطانا مدمرا ٠

لا اعتراض ولا تحفظ على اليسر والغنى بكل تاكيد ، بل العكس هو الصحيح ، فالغنى مطلوب اذا كان ذلك مستطاعا ٠ والله سبحانه امتن على رسوله بالغنى « ووجدك عائلا فاغنى ـ الضحى ٨ » ـ وجعل الاغداق في الرزق والمال نوعا من الثواب العاجل في الدنيا « فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا ٠ يرسل السماء عليكم مدرارا ٠ ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهارا ـ نوح ١٠/١١ » ٠

وكما أن الرسول كان يستعيذ بالله من الكفر والفقر ، فهو نفسه القائل : اللهم انى أسالك الهدى والتقى، والعفاف والغنى ـ رواه مسلم والترمذى ـ و ٠٠ نعم المال الصالح للرجل الصالح رواه البخارى ـ وعندما دعا لصاحبه وخادمه انس قال : اللهم اكثر ماله ٠

وعندما استشار سعد بن أبي وقاص الرسول عليه السلام في أن يتصدق بثلثي ماله قال : الثلث والثلث كثير ٠ انك ان تذر ورثتك اغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس٠

وعمر بن الخطاب هو القائل : اذا أعطيتم فاغنوا ٠

ولعلنا لاحظنا ـ في مناقشة العدد الماضي ـ كيف كان الفقه الاسلامي شديد الحرص على أن تكون الزكاة مصدر تيسير على الناس ،وكيف رفض الفقهاء مبدأ العيش على الكفاف ٠

اقول ان الغنى في التصور الاسلامي مطلوب،باعتباره تعبيرا عن اليسر الذى يليق بكرامة الانسان ، مخلوق الله المختار ٠٠

لكن الغنى شيء ، والترف شيء آخر ، اذ بالترف يختل ميزان العدل الاجتماعي ، وينفتح الباب لكل عوامل التحلل والسقوط ٠ وحقائق التاريخ شاهد على ذلك ٠فقد كان الترف بداية الانهيار ، من الامبراطورية الرومانية واليونانية ، حتى دولة الاسلام ذاتها ٠ وما يسجله التاريخ عن أحداث الفترة الاخيرة لحكم العباسيين في العراق ، وحكم الفاطميين

---

* اشتراكية الاسلام ـ د ٠ مصطفى السباعي

والكلبيين في صقلية ، وحكم الطوائف في الاندلس ، لا يعاجنه بأن قدر ذلك لسقوط والتشرذم الذى حدث فى عالم الاسلام وفتنه .

كان الترف هو المعول الذى هدم تلك الابنية الاسلامية الشامخة .

ومن بين كل العلل التي تصيب مجتمعا يتسلل اليه الترف والبطر . فليس هناك ما يعادل جريمة حبس مال الاغنياء وتبديد مال الله في غير وظيفته الحقيقية واتجاهه الصحيح .

●

والترف قضية نسبية وتقديرها متروك لواقع كل مجتمع وظروفه الاقتصاديه . لكنه بوجه عام مرحلة يلجأ فيها الاغنياء الى تكديس الاموال ،والخلود الى حياة الدعة والخمول . مرحلة يفقد فيهـا الانسان صفته كخلية حيـة منتجة في المجتمع . الى عنصر اناني مستهلك، لا يرى فى الكون ورسالة الانسان الا الشهوة الجامحة والبطر والتمرغ فى اللذائذ والمتع..

والقرآن يذهب الى ابعد من ذلك فى تصديه العنيف والقاسي لظاهرة الترف والمترفين ، فهم أعداء الهدى والعرفان . أعداء الحق والعدل. ولذلك فصورتهم في القران الكريم ترتبط دائما بالافساد فى الدنيا ، وسوء المآل فى الاخرة .

« ان الانسـان ليطغى ، ان رآه استغنى ـ العلق ٧ » .. فثمه علاقة بين الثراء الفاحش ـ وهو المعنى هنا ـ وبين الطغيان . « وأما من بخـل واستغنى . وكـذب بالحسنى . فسنيسره للعسرى ، وما يغنى عنه مالـه اذا تردى ـ الليل ٨/١١ » .. وهؤلاء الذين يحبسون المال فى الدنيا لن ينفعهم هذا الشح فى الآخرة ..« والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم ـ التوبة ٢٤ »..هذا جزاء الذين يكدسون المال ولا يرعون فيه حق الله ، الذى هو حق الفقراء .

هم القاعدون الخاملون فى الدنيا : « انما السبيل على الذين يستاذنونك وهم اغنيـاء رضوا بان يكونوا مع الخوالف ، وطبع اللـه على قلوبهم فهم لا يعلمون ـ التوبه ٩٣ » ـ وقد نزلت الآية فى الذين تخلفوا عن القتـال جبنا واستكانه الى الدعه ، فى معركه تبوك التى نشبت بين المسلمين والروم فى العـام التاسع الهجرى .

وهم بمـا يضربونه من مثل وما يمثلونه من قيم ، مصدر افساد وبلاء لكل مجتمع ، بل مدير غضب الله ولعنته « واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا ـ الاسراء ١٦ » . (وأمرنا هنا تجيء بمعنى أكثرنا ، ثم لاحظ الربط بين الترف والفسق ـ « وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها ـ القصص ٥٨ » .

وهم بما يفعلون يظلمون الناس ويظلمون انفسهم . واستحقوا وصف التجريم . واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين . وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون ـ هود ١١٧ » .. وربما ألفت هذه الايـة بعـض الضـوء على ما قبلهـا . فسقوط اى مجتمع وهلاكه ليس قدرا مكتوبا عليه ، ولكن له اسبابه . وهى تكمن ـ فى حالتنا هذه ـ فى ظاهرة الترف التى تستشرى فيه .

والآية لها مغزى آخر اكثر من تجريم الترف والمترفين ، لكنهـا هنا تعنى ... ـ التصدى لهذه الظاهرة والقضاء عليها . واذا تقاعس المجتمع عن ذلك فالمهمه ...

« وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون » .

وهم على مدار التاريخ ضد الهدى والعدل:« وما أرسلنا فى قرية ... مترفوها انا بما أرسلتم به كافرون ـ سبأ ٣٤»

وهم دائما مكابرون جاحدون · « انهم كانوا قبل ذلك مترفين · وكانوا يصرون على الحنث العظيم · وكانوا يقولون : اإذا متنا وكنا ترابا وعظاما أإنا لمبعوثون ؟ » · وفي هذا الموضع من سورة الواقعة يواصل القرآن انذارهم بمصيرهم في الاخرة ، حيث تنتظرهم افظع نهاية . ويخاطبهم الله سبحانه بهذا التوجه الملىء بالازدراء ·· « ثم انكم أيها الضالون المكذبون . لآكلون من شجر من زقوم فمالئون منها البطون . فشاربون عليه من الحميم . شاربون شرب الهيم » ··

والايات كثيرة في القران الكريم * وكلها تسن هجوما ضاريا وقاسيا على الترف والمترفين . وتكشف ما في الترف من جرم وقبح وكفر وظلم ··

●

وهذا الموقف الحاد من حالة « منتهى الغنى » ـ المتمثل في الثراء الفاحش والترف ـ يتفق تماما مع موقف التصور الاسلامي من حالة « منتهى الفقر » ، المتمثلة في الجوع ، والتي تحدثنا عنها في الشهر الماضي ··

ان التصور الاسلامي يرفض الفقر ومضاعفاته التي قد تصل الى حد الجوع ·

ولكن التصور الاسلامي يقبل الغنى ، ويرفض مضاعفاته ، التي قد تصل الى الثراء الفاحش أو الترف ·

ان « الطيبات من الرزق » بنص القران هي الحد الادنى المقبول في عالم الاسلام ·· ليس اى رزق ، وليس الحد الادنى من الرزق ··

والمطلوب دائما أن يظل ميزان العدل قائما ، على المستوى الشخصي والجماعي ·· « وكلوا واشربوا ولا تسرفوا ـ الاعراف ٣١ » و ·· « كل ما شئت والبس ما شئت ، ما خطئتك اثنتان : سرف أو مخيلة ـ رواه البخاري ·

●

وفي ختام الرحلة تستوقفنا ثلاثة مواقف تكاد تشكل علامات أساسية وضرورية في مسيرة العدل ·· الموقف الاول ، قول الرسول عليه السلام « اذا آتاك الله مالا فلير أثر نعمته وكرامته عليك ـ رواه أبو داود والنسائي » ، وهو الذى يطرح نفس فكرة الآية الكريمة « وأما بنعمة ربك فحدث » ·· وهي دعوة الى الاستمتاع بالرزق في المخبر والمظهر ·

الموقف الثاني ، في الصحيح أن اعرابيا سأل النبي عليه السلام : بالله الذى أرسلك، هل أمرك الله أن تأخذ الصدقة من أغنيائنا فتقسمها على فقرائنا ؟ ·· قال : نعم · وهو ما عبر عنه عمر بن الخطاب بقوله : لو استقبلت من أمرى ما استدبرت ، لاخذت من فضول الاغنياء (ما يزيد على حاجتهم) فرددتها على الفقراء ·· وما قاله على بن أبي طالب : ان الله فرض على الاغنياء في أموالهم بقدر ما يكفي فقراءهم ، فان جاعوا أو عروا أو جهدوا ، فبمنع الاغنياء ·· وهي دعوة لا تحتاج الى ايضاح أو تعقيب ·

الموقف الثالث ، ما رواه أبو ذر عن النبي عليه الصلاة والسلام : الاكثرون هم الاقلون يوم القيامة · أى كلما زاد مالك في الدنيا قل حظك في الآخرة !!

ولك ـ بعد ـ أن تختار ! ■■

---

*للتفصيل انظر كتاب الدكتور عماد الدين خليل « العدل الاجتماعي » ·



في مهرجان الحمامات للمسرح والموسيقى والرقصات الشعبية

بقلم الدكتور علي الراعي

ها اناذا أعـود مرة أخرى الى تونس • يفتح باب الضيعة الجميلة ، وادخل ارضهـا ذاتالشجر والثمر • اسير خطـاى ذاتها التي خطوتها منذ عشرةأعوام • عشرة اعوام ؟ نعم • عشرة اعـوام ، وان انكـرتحواسي جميعـا ان هذا الزمن الطويل قد مر منذ سرت لاولمرة في مماشى ضيعة الحمامات•

■ منذ أكثر من أربعين عاما ـ في الثلاثينات، هاجر سباسيتان من رومانيا وتوجه الى تونس • كان رجلا يعشق الجمال ، ولكنه لا يعيش فيالخيال الا ريثما يحوله الى حقيقة • نزل بقرية الحمامات، واشترى أرضا ، وبنى قصرا ، ثم اشترى ارضا ، واضاف الى القصر ، ثم اشترى ارضا وبنى مزيدا من أجـزاء القصر • فلمـا اكتمل حلمـه ، فقـد الاهتمام • هكذا اقول انا ، ناظرا الى الرجل من الداخل • اما من نظر اليه من الخارج فقد قال : انه طعن في السن ، وعجـز عن رعايـة الحقيقة البديعة التيصنعتها يداه ، فتنصلمنها ، وعرضها للبيع : جارية جميلة ، يحوزها كل من ثقل جيبه بالمال ! وسمعت حكومة تونس بامر الضيعة الجميلة المعروضة للبيع فقالت : انا ازايد على كل مشتر • وبالفعل وقعت الضيعة من نصيبهـا ، فقررت في شانهـا اجمل ما تتخـذ حكومة رشيدة من قرار • جعلت الضيعة والقصر ، وما احاط به من فلاب مركزا ثقافيا ، اطلقت عليه اسم المركز الثقافي الدولي بالحمامات •

وفي البداية كانت كله ... على النحو التـالي : على ... الغرب وفنونه ... الثقافة وتد ... ويحدث له ...

وعلى هذا الاساس أصبح المركز الدولي ، واجهة دولية لبضائع الغرب الثقافية . يراهـا المواطن التونسي ، فيعجب وينبهر . ولكن : لا يحدث لـه أبدا ذلك التطهر الارسطاطيلي من أدران الامية المحلية .

ذلك أن المركز كان مخزنـا للثقـافة ، وليس مركز اشعاع لها . لكي تحصل على مركز اشعاع عليك أولا أن تحصل على دينامو . ولكي تحصـل على دينامو ، لا بد أن تكون نظرتك الى الثقافة دينامية ــ أي قادرة على الحركة والتحريك .

المحلية أولا

وراجع المسئولون عن المركز انفسهم ، واخذوا يسألون : أين الخطأ ؟ لماذا لا يعمل الجهاز الـذى استوردوه ؟ لماذا يعرض التونسيون عن المركـز ، وهو الذى انشىء من أجلهم ؟ لماذا يشعرون انهم لا ينتمون اليه ، ولا هو يعبر عنهم ؟

ولم يطل الوقت بالمسئولين عن الثقافة في تونس حتى اهتدوا الى الجواب . ان الطريق الى الدولية يبدأ دائما بالمحلية . ولكي تكون دوليا حقا ، عليك أن تكون محليـا ، وقوميـا أولا . على المركز أن يخدم الثقافة التونسية والثقافة العربية في المحل الاول ثم يعرض ثقافة العالم بعد ذلك ــ ثقـافة العالم ، أكرر ، وليس ثقافة الغرب وحده .

ومن ثم ، اخذ المركز الثقافي الدولي بالحمامات يسير على الدرب الصحيح . تونس والعرب أولا ، ثقافة العالم الثالث ثانيا ، ثم ثقافة باقي العالم ثالثا . على كل هذه الثقافات أن تلتقي وتصطدم ، تتفاعل في بوتقة الحمامات ، لكي يصبح المركـز دوليا حقا ، ولكي تتعرف الثقافة العربية المعاصرة على نفسها من خلال الحركة ، وعن طريق انعكاس حركتها على الآخرين .

ومن وراء هذا الكشف البسيط والعسير معا ، كانت تقف فئة قليلة من الرجال ، على رأسهم : الاستاذ طاهر قيقة ، الذى عهد اليه بادارة المركز ، فسكر فيه ، كما يعسكر القائد في أرض المعركة ، عينوه من بعد وكيلا لوزارة الثقافة ، فلم يترك ميدانه أبدا . ولم ير في المنصب الجديد الا وسيلة لتسهيل حركة المركز الثقافي الدولي بقرية الحمامات .

★ ★ ★

منـذ عشر سنوات اذن وطئت قدمـاى مماشي ضيعة الثقافة هذه . كان معي كرم مطاوع ، وكنا قد عينا من قبل ادارة مركز الحمامات عضوين في لجنة التحكيم التي يناط بهـا النظـر في عروض مهرجان مسرح المغرب العربي الكبير .

أسـير في طرقـات الضيعة ، ويسير معي كـرم مطاوع .. في الخيال طبعا .. اسمعوا : أنا أومن بأن الغـائب حـاضر دائما . انـه يترك وراءه اشعاعا يلتقطه أصحـابه ، فيحيون بـه معـه في غيابه . وهكذا كنت أرى كرم مطاوع ، واستمع الى أحاديثنا في شرفة العصر ، حتى ساعة مبكرة من الصباح .. أحاديث حول المسرح والثقافة، وأحداث كنا نئن تحت وطأتها يومذاك فقد كنا نتحدث في ظل الهزيمة الكئيب .

في ذلك العام ، ١٩٦٨ ، تعرفت عن كثب على الفن المسرحي في المغـرب الكبـير . كانت تونس تعرض « هاملت » باخراج طموح ، لمخـرج تونس الواعد الـذى اختطفه الموت قبـل الاوان : على ابن عياد . وكانت الجزائر تقدم مسرحية مترجمة، تدور أحداثها حول مآسي التمييز العنصري. اسمها : « الكلاب » ، وكانت المغرب تعرض مسرحية موليير الباقية : « طرطوف » ، في نص ممغرب (أى محول الى المغربية) باقتدار ، قام به رجل المسرح المعروف. احمد الطيب العلج . أما ليبيا فقد قدمت مسرحية اسمهـا : « حسناء قورينـة » للكـاتب الروماني القديم : بلاوتوس .

التحم المشرق المسرحي بالمغرب المسرحي صيف ذلك العام . كان معنا أيضـا ــ عضوا في لجنـة التحكيم ــ الكاتب اللبناني عصام محفوظ ، الذى كتب للمسرح اللبنـاني الجـاد بعضـا من أحسن مسرحياته ، بينها : « الزنزلخت » ، و « في انتظار مصطفى » .

واحدث الالتحـام نوعا من الصدام بين لجنـة التحكيم والدول المشاركة في المهرجان . فقد رأت كل من هذه الدول أن عرضها يستحق الجـائزة . ولكن اللجنة اعلنت ان الجائزة في رأيها هي من

نصيب الجزائر اخراجا ، وتمثيلا ، وتوفيقا في اختيار النص • وأصرت على رأيها هذا ، رغم ما اثار من عواصف •

وقبلت الدولة الداعية ـ تونس ـ برأى النقد، وتبنته ، فتبنت معه مبدأ هاما هو : أن المجاملة قد تجوز في كل شيء الا في الفن • ذلك ان حبل الكذب في الفن قصير ، قصير •• !

على الطريق الصحيح

كنت قد قطعت الاشراف على طبع كتابي « الكوميديا المرتجلة في المسرح المصرى » ، لاحضر مهرجان الحمامات • وفي ذلك المهرجان كان شيء غير منظور يتخلق أمامنا •• ويتخلل أحاديثنا • المغرب يلتحم بالمشرق ، والمشرق يبحث عن هوية عربية للمسرح • كانت مسرحية سعد الله ونوس « حفلة سمر من أجل ٥ حزيران » ، قد ظهرت بعد الهزيمة ، وكان كل من توفيق الحكيم في كتابه « قالبنا المسرحي » و يوسف ادريس في مقالات ثلاث حول مسرح السامر ، قد طمحا في أوائل الستينات الى اعادة النظر في الصيغة اليونانية التي التزمها المسرح العربي المعاصر منذ قيامه في بيروت عام ١٨٤٨ • ثم ظهر كتاب : « الكوميديا المرتجلة » عام ١٩٦٨ وبعد أشهر قليلة ظهرت أول مسرحية عربية في المغرب الكبير تغترف من التراث، وهي مسرحية : « رأس الغول » ، التي تعاون في كتابتها كل من الكتاب المسرحيين الشباب : سمير العيادى ، محمود لرناووط ومحمد رجاء فرحات ، عن قصة للكاتب الشاب : عز الدين المدني، ضمنها كتابا هاما له اسمه : « خرافات » •

وضعت هذه المسرحية الفن المسرحي في تونس ـ ومن ثم في المغرب ـ على طريق كان حتى ذلك التاريخ فرعيا ـ متمثلا في محاولات الكاكي في الجزائر كتابة مسرحيات موضوعها التراث ـ فاصبح من ذلك التاريخ فصاعدا اتجاها رئيسيا في المغرب والمشرق معا •

وازداد هذا الاتجاه رسوخا بفضل جهود الطيب الصديقي في المغرب ، متمثلة في : « ديوان سيدى عبد الرحمن المجذوب » • وظهر كتابي : « فنون

الكوميديا ... [illegible]

فقدت الاطار ... [illegible]

... وقيمة رشيدا ... [illegible]

من مقامات بديع الزمان ... [illegible]

العرب في ... الصورة على ... [illegible]

والكنه ... دور ... المصري ... [illegible]

تلك المقامات • ولم ... الطيب للصديقي ان ... [illegible]

التحدي ، واخرج من مقامات بديع الزمان عرضا مسرحيا جميلا ، كانت واسطته ... المقامة المصرية

وقد احدث العرض دويا كبيرا في المشرق والمغرب معا ، بما قدم من متعة ، وما أثبت من قصة ـ قصة ان التراث العربي يحوى مواد هي درامية بالامكان او بالفعل ، وانه ما على رجال المسرح العربي الا ان ينظروا نظرة الفنان العاشق الى ذلك التراث ، ليعودوا منه بكنوز الموضوعات •

وهذا بالضبط هو ما فعله عز الدين المدنى في مسرحياته « ثورة صاحب الحمار » و « ديوان ثورة الزنج » و « رحلة الحلاج » و « مولاى السلطان الحفصى » و : « الغفران » • وفيها جميعا نظر عز الدين المدنى الى التراث التاريخي والثقافي الذى تمثله هذه المسرحيات ، نظرة مثقف عربي يعيش في الربع الاخير من القرن العشرين ، ويعيش في مشاكل العالم الثالث ، ويقاسى مع الملايين من تخلف وفقر ، وتضييق • لقد اسقط المدنى متاعب الثورات في العالم الثالث المعاصر على ثورة صاحب الحمار التي قامت في المغرب ، وثورة الزنج التى هبت في المشرق ، فرأى فيهما العيوب التى تعانى منها ثورات العالم الثالث دائما • تفتر الثورة بنفسها ، وسرعان ما تتحول الى دولة وحكم ، وتثور فيها المنازعات ، فتنهزم من الداخل قبل ان يهزمها أعداؤها الخارجيون •

وبهذه النظرة سعى المدنى الى بث الحياة في التاريخ ، واتخذه وسيلة غير مباشرة لنقد العالم نقدا قويا وبناء معا •

بحثنا عن ...

فابتنت عن ... [illegible]

الحمامات • لقد ... [illegible]

له جل وقته ... [illegible]

العربي. وفي النتائج التي حققتها أو لم تحققها ـ حتى الان ـ عملية البحث الدائب عنهوية للمسرح العربي • كان كل منا صريحا مع الاخر . وكنا نتحدث وغمامة واضحة تظلل حديثنا • عمامة كتب عليها خصوم الهوية العربية للمسرح • ماذا فعلتم حتى الان ؟ انما تبحثون عما هو غير موجود • فليس هناك مسرح للعرب واخر للانجليز وثالث للروس •• الخ وانما يوجد فقط فن واحد للجميع . هو فن المسرح •

وجعلنا نستعرض جهود الباحثين عن الهوية العربية لمسرحنا •• ونعدد انجازاتهم : بفضل تغيير النظرة الى الصيغة المسرحية والمادة التى تحويها هذه الصيغة . اصبح هناك تيار قوى . متعاظم القوة بين فنانى المسرح العرب . يحتج على الصيغة اليونانية للمسرح . ويحاول بدرجات متفاوتة من النجاح أن يحل محلها الصيغ العربية المتوازنة •

وهذه الصيغ هي . بحكم سماتها والظروف المحيطة بها . صيغ شعبية• ذلك أن الادب الرسمي للعرب لم يشجع قيام المسرح . فاندفع تيار الابداع العربي الى قنوات شعبية . عرفها الشعب واحتضنها . ومدها بالتأييد القوى عبر القرون •

وقبل البحث عن الهوية العربية للمسرح . كانت هذه الاشكال الشعبية المسرحية العربية موضع احتقار او استخفاف يتردد بين الكبت والعلن • وكانت مهمة كل المثقفين المسرحيين ان يديروا ظهورهم لهذه الاشكال الشعبية . معلنين أنهم يضعون فنهم المسرحي المرتقب موضع التضاد والمعاداة للصيغ الموروثة •

وقد وصلت الحركات المسرحية التيقادها أنصار المسرح المحترم . الراقي . المجتلب من أوروبا . في كل من مصر . والعراق وتونس الى طريق مسدود بعد وقت غير طويل • ولم تفلح مسرحيات كثيرة كتبها المسرحيون العرب على النمط الاغريقي في ردم الهوة التى تقوم حتى الان بين فن المسرح وبين الجماهير . التى لا تزال تعتبر الصيغة المسرحية الغربية جسما غريبا . يلفظه وجدانها الفني والمسرحي في كل فرصة •

وآية ذلك ما حدث في مهرجان الحمامات هذا العام : ١٩٧٨ • لقد نجحت كل العروض التى قامت على التراث مثل : « عاشق المداحين » . المصرية بينما قل الاقبال بشكل ظاهر على « روائع الفن المسرحي العالمي » مثل « انتيجون » جان انوى (المسرح القومى المصرى) و « اسطورة جلجامش » . المسرح القومى العراقى •

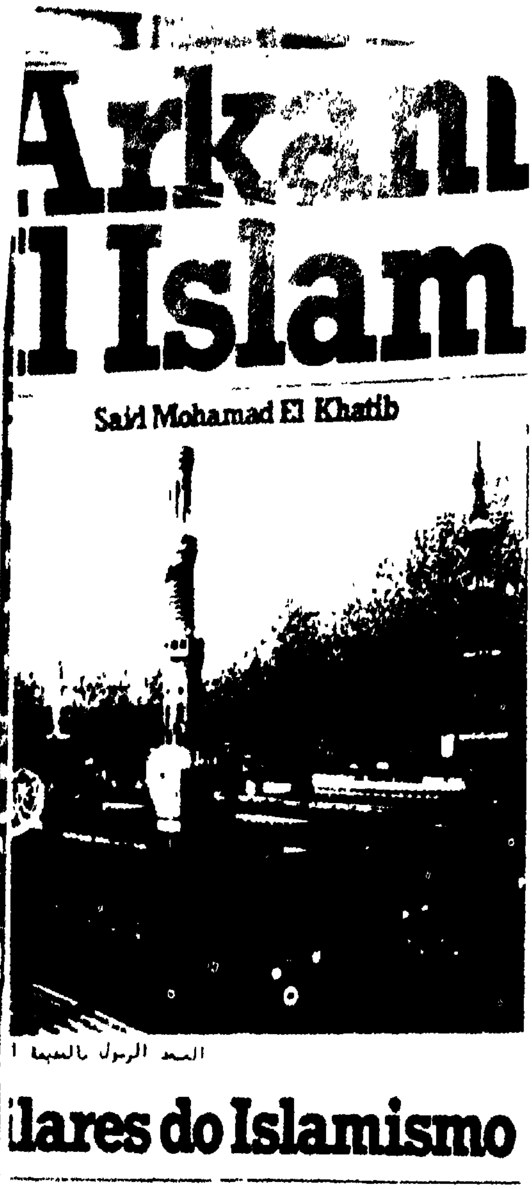
فالجماهير اذن تساند بوضوح حركة احياء التراث العربي . وتحديثه . والنظر من خلاله في أمر اقامة مسرح عربي الهوية بالفعل : صيغة وموضوعا • وما هذا بالكسب القليل . مهما حاولنا التواضع • ولكنه ـ بالقطع . ليس كل ما يمكن كسبه في هذا الميدان •

فلقد حدثني المدني عن مشروع له طريف . ومفيد وجليل يرمي الى البحث في المنمنمات العربية . عن طريقة خاصة بالعرب في رسم المناظر وتصوير الحركة • وقد حاول فنان الجزائر محمد راسم دراسة فن رسم الحركة في المنمنمات القديمة . كما تعاون كل من الطيب الصديقى (المغرب) وعز الدين المدنى (تونس) للعمل في هذا السبيل • ثم ناقش المدنى مع المخرج المسرحي المصرى سمير العصفورى مشروعا محددا يقيم المدني بمقتضاه في القاهرة ليدرس مع العصفوري المنمنمات العربية كمصدر للحركة والملابس معا . وعلى ضوء ما تسفر عنه هذه الدراسة . قد يمكن العثور على طريقة مميزة لتصوير الحركة واعداد الملابس . تعطى التشكل الخارجي للصيغة العربية للمسرح . وهي الصيغة التى نجهد من سنوات في البحث عنها •

وواضح أن مشروعا كهذا يقتضي تخصيص مبلغ محدد من المال . يغطي نفقات الاقامة والدراسة • وهو لن يكون مبلغا كبيرا • لن يزيد على تكاليف اخراج مسرحية من المسرحيات المتوسطة . وفي مقابل هذا فان البحث سوف يعطي الجهود المبذولة لتعريب المسرح في الوطن العربي دفعة قوية •

ترى هل تستجيب هيئة ثقافية ما . في طول الوطن العربي وعرضه . لرجاء اتقدم به اليها عبر سفير العرب الدائم : « مجلة العربي » • للنظر في هذا المشروع نظرة واعية ؟ ■■

د • علي الراعي •



نحن في البرازيل

بقلم : الدكتور شاكر مصطفى

الاسلام كان في البرازيل قرونا . والمساجد كانت هناك . ومحاولات اثبات الوجود الاسلامي بالقـوة كانت . آخر ثورة اسلامية قامت في ((باهيا)) سنة ١٨٣٥ ثم سحقت . سحقت حتى العظم .

● مرة اخرى اعود الى البرازيل .

فما حدثتك بعد عن المسلم هناك ، عن العربي المغترب ، عن دمائنا السارية في عروق البرازيل. وما اعادني الى الحديث عنها سوى اخ لي هناك (*) بادرني منذ أيام برسالة راكضة معاجلة ... راكضة لانه اودعها البريد في

كورتيبا فاذا بها بعد ... على
مكتبي ، مع كسها ...
لانها وصلت عهدا ...
وكان له فضل ...
وفحت ... له
سندو؟ ...

* هو الصديق الاستاذ سعد محمد الخطيب ...
١٩٢٩ وله مطابع ودار نشر (عرافيا) في كوريتبا ...

كالفراش الملون من الافكار تتارب عند عيوني . ونشوه حرى اين منها نشوه الرحيق ! كتب الى يقول في كثير من الفرح المجاهد السعيد : « ... ارسلت اليك كتاب اركان الاسلام ، وكرامه الفرد في الاسلام ، وقد اصدرتهما باللغه البرتغاليه ، مع العربيه ، وعددا من احدى مجلاتنا : (الانبياء) فعندنا تسع مجلات شهريه ونصف شهريه واسبوعيه توزع ٥٠٠ الف نسخه على ٢٧ الف محطه تسع في البرازيل . وقد اهديت كتاب اركان الاسلام الى ٢٣ مؤسسه اسلاميه في البرازيل وارسل اليك ايضا قصاصات الجرائد التي كتبت عن ذلك . وانا افخر بـه . فانا واولادى نعمل في هذا السبيل وما هو الا من رضى الوالدين ... »

ونقرأ في مقدمه الكتاب : « ... تمر سنون المهجر بآلامها وآمالها فلا تزيدنا الا تمسكا بالاسلام وشعورا بالمسئوليه نحوه . وقد تجسد شعوري بالمسئوليه في اخراج كتاب اركان الاسلام ١٩٧٤ وانا اعيد للبرازيل المضياف اهم مما اعطانيه من ماده : اعطيه قيما وحضاره وتراثا. وقد سبق لي ان نشرت بالبرتغاليه كتاب (حضاره العرب) للدكتور غوستاف لوبون سنه ١٩٦٤ فكان له صدى هائل لانه اول كتاب من نوعه بلغه البرازيل . ونشرت كتاب (فلسطين والحق الدولي) سنـه ١٩٧٦ وقـد لاقى الاستحسان والرواج بفضل الله ... »

ويتحدث الرجل في مقدمة الكتاب عن بناء سته مساجد في البرازيل في الاعوام الخمسه الاخيره (في مدن ، لوندرينا ، بارينـوس ، كوريتيبا ، باراناغوا ، برازيليا) وبجانب كل مسجد مدرسة لتعليم اللغة العربيـه والدين الاسلامي . وعن تأسيس اربع جمعيات اسلاميه جديده وعن اقامه المركز الاسلامي في بارازيليا سنه ١٩٧٥ ... وتتدافع الذكريات في جبيني . فسقطت الرساله على يدى ، واغلق من نفسه الكتاب وصمت المجلات ... تذكرت التاريخ البرازيلي كله موكبا موكبا . الاسلام كان هنالك قرونا والمساجد كانت . ومحاولات اثبات الوجود الاسلامي بالقوه كانت . آخر ثوره اسلامية كبرى قامت في باهيا سنه ١٨٣٥ ثم سحقت . سحقت حتى العظم !

الذين يكتبون تاريخ البرازيل لا يذكرون من هذا كله حرفا . غاب في النسيان المتعمد كل ذلك . ان خلاصه ما يذكرون هو ان للبرازيل ، قبل عصر الاكتشافات تاريخا موغلا في الماضي المظلم للشعوب الامريكيه الاولى ، وان لها بعد الاكتشافات تاريخ اربع مائه وخمسين سنه من اجترار الحياه العادية بصخب احيانا وبهدوء احيانا ولكنه يدور بين قطبي التاج والكنيسه . يقولون انها قصت .... انها قصت قرنين « سابه ملك » تبع التاج البرتغالي في لسبونه ؟ وان ملك البرتغال (بدرو) الاول الذى طرد من بلاده سنه ١٨٠٩ لجأ اليها فسكنها حتى سنه ١٨٢٠ ، وان ابنه بعد اعلان استقلالها سنه ١٨٢٢ صار امبراطورها الدستوري ، وان الجمهوريه اعلنت فيها بعد ذلك سنه ١٨٨١ وانها تعاني مثلها في ذلك مثل كل دول امريكا اللاتينيه من الانقلابات العسكريه ومن الانقلابات المضاده منذ اكثر من ثلاثين سنه ... وانها منذ عشر سنوات نقلت عاصمتها من ريودي جانيرو الساحليه الى برازيليا اعجوبه الخط الهندسي الحديث ، في الداخل ، لكي تدخل الحضاره اعمق فاعمق في قلب القاره ولكنها لم تستطع الافلات من قبضة الجنرالات ؟ ....

هـذه هـي خلاصـه كل التاريخ البرازيلي المكتوب . اما تاريخ اهلي واهلك هناك فلم يكتب ابدا : لا قديمـه الذي انتهى سنه ١٨٨٣ ولا حديثه الذي بدأ منذ اكثر من مائه سنه ...

الدماء العربية

هل تدير الحديث ، عن اهلي واهلك ؛ عن الدماء العربية التي صبت ، منذ اكثر من قرن ، في الخليطه العرقية البرازيليه التي ما زالت في طور التكون وفيها الف لون ولون مميز ؟ سيل الاغتراب العربي الحديث الى البرازيل بدأ بقطرات أول ما بدأ ... في سنة ١٨٧١ دخـل البرازيل مغتربان عربيـان اثنـان فقط وقبـل انهمـا من بيت لحم . هذان كانا النواة الاولى للجماعه العربية التي تعد الان مع الاولاد والاحفاد وأولاد الاحفاد قرابة المليونين ... الواحد صار مليونا في قرن ، ومما يجهله الكثيرون ان الدفعـات الاولى من المهاجرين لم تعمل في التجارة ولكن في جمع المطاط ... ولم تقم في المراكـز المدنيـه المعروفه ولكن في قلب الدغل الوحشي . ولم تستقر على الارض ولكن زرعت افرادا على طول


BRASIL-LIBANO

ANTIGO "Fata Lubnan"

مؤسسة الطباعة والنشر

Grafipar

واجهة صحيفة المغتربين العرب في البرازيل

الضعاف الموحشة الرهيبة لنهر الامارون . الهجوم المجنون ، في نهاية القرن الماضي على المطاط جعل الشركات الامريكيه تجمع هذه الايدي العاملة المشتتة وتسوقها على السفن النهريه فتزرعها على ضفاف النهر واحدا بعد واحد . في كل عشرين كيلو مترا بائس يترك وحده مع بعض النسيج والخرز والامشاط لينتظر ما قد يطل عليه من الهنود (الكابوكلو) ومعهم ما جمعوا من سائل المطاط .. الذين جنوا من الرعب ، او ضاعوا في الغاب المفترس ، او غادرهم الهندي جمجمة متقلصة الشفاه او لدغتهم الافاعي او حشرات الغاب ، هؤلاء ما دخلوا في حساب احد ولا عرف عنهم احد شيئا ... الاخرون الذين بقوا في بعض المدن ، تجمع الكثير منهم ، ثم تجمعوا في سان باولو على الاخص ، وفي الريو ، وفي (رسيفه) باقصى الشمال وفي (بلواوريزونته) وكورتيبا (قرطبة) ليعملوا « بالكشة » باعة متجولين (ماسكاتيه) ... الجميع كانوا يتحولون باعة متجولين . الفلاح الذي لم يعرف سوى المحراث معلم المدرسة والنجار والمكاري واجير البيك والصياد والخياط والبيطار كلهم هناك باعة متجولون . كلهم اكلت سيور الكشة الثقيلة من اكتافهم واليدين نحا وتشويها ودمامل باقية ....

لم تكن سلال الذهب هي التي وجدوها على الدروب البعيدة وفي الغابات ولكن كان الموت والجوع والاتربة والوحول وذوب الاعصاب الاهانة والقوى افترسها الانهاك ... والناس يذكرون قصص المغتربين الناجحين ... أترى هناك من يذكر ان مقابل كل ناجح كان هنالك الف فاشل وفاشل .... ممن سحقهم النمال وحياة السكع والعمل والسل ، وانطفأت عيونهم على .... لا شيء !! « المعجزة » المهجريه العربية هنا جذورها الواقعية : في الوحل والعرق والدموع الخرساء ....

كم قاسيت ؟ وكم جعت ؟

ومن « الكشه » الى الدكان ، الى المتجر والمصنع ، الى الشركات ثم المؤسسات الكبرى والبنوك والمعامل ودنيا الاعمال والنوادي الفخمة والقصور وحياة السياسة والمال والفكر ، لم يكن الانتقال نزهة رخية ولا مشي الهوينى ، ولكن طريقا مزروع الجنبات بالشوك والفواجع واشلاء الفاشلين . كان ملحمة كبرى من الملاحم تحتاج الى هوميروس آخر يكتبها ويضعها فصولا فصولا . الشاعر الياس فرحات يرحمه الله غامت عيناه وهو يقول لي : كم رأيت ، كم قاسيت ؟ كم جعت ؟

[illegible]

كم ولجت الغابات والليل داج
ووميض البروق شمسي وقمري
كم توسدت صخرة وذرعي
تحت رأسي وخنجري فوق صدري !
حتى لو اتيح لنا المبيت ... فاين نبيت؟
انا :

نبيت باكواخ خلت من اناسها
وقام عليها البوم يبكي ويندب
مفككة جدرانها وسقوفها
يطل علينا النجم منها ويغرب !
عليها نقوش لم تخطط بريشة
تظن صباغا لونها وهي .. طحلب !
يغني لنا فيها الهواء كأنه
ينومنا . والبرد للنوم مذهب
فنمسي وفي اجفاننا الشوق للكرى
ونضحي وجمر السهد فيهن يلهب !

فاذا حدثوك اليوم ان المغتربين العرب هنالك قوة مرموقة المكانة فلا تنس انهم دفعوا ثمن ذلك قرنا من الجهاد الاكبر الممزق ، مشوا به من الكشة المتسكعة الى شارع (٢٥ مارسو) الى قمة المجتمع البرازيلي . فيهم الحمصي وابن دير القمر وابن بيت لحم والناصرة وصافيتا ومرمريتا ومرجعيون وجبل عامل وجبل العلويين وابناء يبرود والنبك وراشيا وحلب واربد والشوف وطرطرس وجبيل وبعلبك والبترون ... كل الشام هنالك . ولقد تعرف معنى هذه المسيرة ـ الملحمة ان عرفت انهم مشوها ولا دولة من ورائهم تدعم الخطى او تحمي المصالح بينما كانت تعوي بالعكس وراءهم كلمة (توركو) كالكلاب النابحة :

انت (توركو) ولو زطنت الثريا
وجعلت السها بسابك حاجب !

نواب عرب في المجلس الاتحادي

ومع ذلك فقد كان منهم في البرازيل ذات مرة وفي وقت واحد سبعون نائبا في المجلس الاتحادي (من اصل ..٥) وكان منهم الوزراء وفيهم الوف المهندسين والاطباء والمحامين وعشرات الالوف من رجال الاعمال واصحاب الشركات والمعامل والمصارف . نواديهم في الريو وسان باولو هي النوادي الاولى في البلاد . مستشفياتهم الخيرية هي المستشفيات الرائدة . ولهم الكاتدرائيات والكنائس الباذخة والجامع المعمور (في سان باولو وكوريتيبا) والصحف باللغتين العربية والبرتغالية . وفيهم الصحفيون باللغتين والقصاصون باللغتين ، والشعراء ايضا باللغتين. ان رجال الفكر والقلم من ابناء الاغتراب ظل مدود هنالك . ولست اقصد الشاعر القروى (رشيد سليم الخورى) والياس فرحات وشفيق المعلوف يرحمهما الله ما كانا ابر واتقى . انهم منا هؤلاء . ما هاجروا الا بالجسد لقد بقوا معنا روحا وفكرا . ولكني اقصد الاخرين الذين اغتربوا بالحرف والفكر انهم الكوكبة الواسعة المجهولة . من رجالها دافيد نصر زعيم المقالة الصحفية فيالبرازيل ، وسلمون جورج السياسي الشاعر ، وسيسيليو كارنيرو (سيسيل غنمه) الروائي الطبيب ، ونعيم ابو سمرة القصصي الشاعر ، وجورج مدور صاحب القصص الرائع ... و ... و ...

من ذا اذكر ومن ذا ادع ؟ يوم افنضح حاكم (الريو) القوى « لاسيردا » سنة ١٩٦٠ بانه ينظف عاصمة البرازيل من الشحاذين باغراقهم في البحر كان اقوى صوت وقف يندد به وبجبروته وجرائمه هو صوت الشاعر والاستاذ الجامعي جميل منصور الحداد . لقد كتب ديوان شعر كامل بالبرتغالية عنوانه الحاكم والشحاذون قال فيه مما قال :

أيتها الاجساد التي اغرقت بين الدرجات والزبد
لكي لا يغرق نقط املنا
يجب أن يبقى دوما نور وظلام . يزدن واهرمن
يا حاكم الغثيان والكهوف الاولى
قابيل ! قابيل ! ماذا فعلت ؟

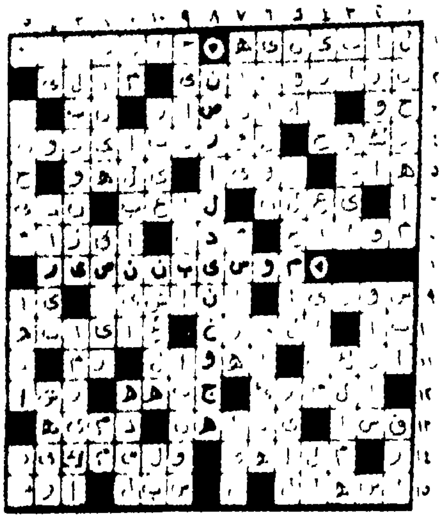
له الله صديقي صاحب الرسالة القادمة من البرازيل مع الكتب والمجلات ... هل تراه كان يعلم اى شلال من الذكريات اثار في خاطرى بكلماته ؟ وهل تراه كان يعلم انى منذ غبت عن البرازيل لم تغب البرازيل عني ؟ ولقد طالما تذكرت ، وحننت ،

وتلفتت عيني . . . ومذ خفيت
عني الطلول ، تلفت القلب !

■■

الكويت ـ **د . شاكر مصطفى**

• حل مسابقة العدد ٢٣٨ •



موسى بن نصير

•

نصر الدين خوجة

اثنتان في واحدة :

(٨) افقيا : موسى بن نصير • غزا افريقيا الشمالية في خلافة عبد الملك بن مروان . والوليد بن عبدالملك • وأوفد طارق بن زياد لغزو شواطيء أوروبا ، ثم لحقه متوغلا في اسبانيا فاخضعها •

(٧) راسيا نصر الدين خوجة • صاحب النوادر عند الاتراك ، وهو اشبه بجحا عند العرب . ويرجح ان الشخصين لهما اصل واحد • وقد اختلف المؤرخون في تحديد العهد الذي عاش فيه •

الفائزون بالجوائز

- الجائزة الاولى وقيمتها ٣٠ دينارا فاز بها : اموري عبد الرحمن عبد القادر/[illegible]
- الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارا فاز بها : صادق عبد علي/[illegible]
- الجائزة الثالثة وقيمتها ١٠ دنانير فاز بها : سيون حوري/[illegible]

٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا كل منها خمسة دنانير فاز بها كل من :

١ ـ رضاب عبد الستار ابراهيم امين/الكاظمية ـ العراق

٢ ـ ناصر رمال/بيروت ـ لبنان

٣ ـ فاطمة محمد عبد الله خليفة/دبي ـ الامارات

٤ ـ احمد صالح الموعد/دمشق ـ سوريا

٥ ـ ميرفت [illegible]

٦ ـ محمد [illegible]

٧ ـ [illegible]

٨ ـ [illegible]

أنباء العلم والطب

اعداد : يوسف زعبلاوى

انقذوا الساحل

قبل فوات الاوان

● كارثة القحط التى منيت بها دول الساحل فى افريقيا سنه ٧٤/١٩٧٣ كانت ماساة رهيبة ولا ريب ٠٠ فقد ذهب ضحيتها ١٠٠ر٠٠٠ نسمة من البشر و ٦ ملايين رأس من الماشية ٠

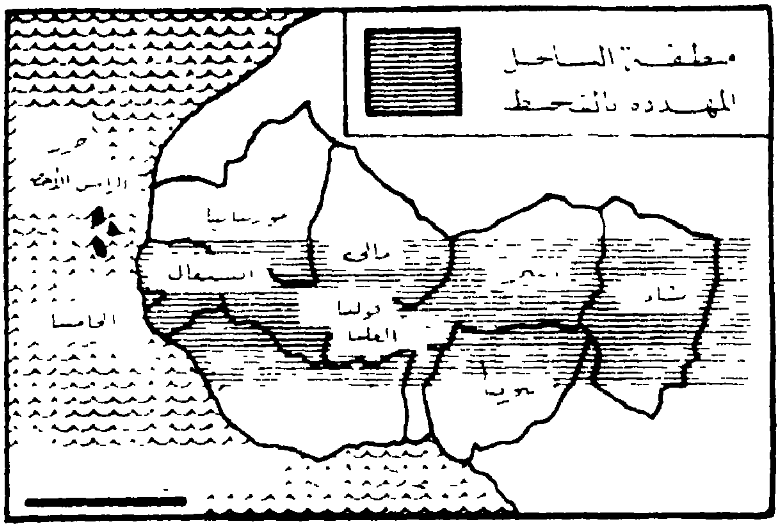
وتهدد المنطقة حاليا كارثة قد تكون أشد هؤلاء منسابقتها ٠٠ وقد بدأت الماشية تنفق بالعملة فى المناطق الاكثر جفافا وهى :

جزر الرأس الاخضر ، الشاد مالى ، وجمبيا ٠

فما لم تبادر الهيئات الدوليه الى النجدة وتقديم المساعدات فورا وبدون تاخير ٠٠ فان الفرصة السانحة حاليا ستفوتها ويتعذر عليها انقاذ ما يمكن انقاذه ٠٠ وعندئذ تستفحل النكبة وتتخذ أبعادا لم يسبق لها مثيل ٠

وتبلغ المساعدات الضرورية ٦٠٠ر٠٠٠ طن من الاطعمة ، وذلك بتقدير الهيئات الدولية نفسها٠٠ على أن هذه الكميات لا تكفى الا لما تبقى من السنة الحالية (سبتمبر ـ ديسمبر)٠

وقد كان المفروض ان تكون أكثر تلك المؤن أو كلها قد وصلت المنطقة وتم توزيعها قبل نهاية فصل الصيف الماضى٠ ولعل التاخر لم يكن نتيجة اهمال أو سوء ادارة بقدر ما كان نتيجة خلل فنى فى أجهزة الانذار المبكر الموجودة فى المنطقة ٠



أشجار البترول الخضـراء مصدر بديل للطاقة

● احتمالات استخراج البترول من الشجر احتمالات خطيرة ولا ريب ٠ فهى تعنى مصدرا للطاقة لا ينضب له معين ٠٠٠ بخلاف مخزون البترول فى باطن الارض ٠٠ فهذا محدود ولا مفر من ان يجف فى مستقبل قريب او بعيد ٠٠

هذا وشجر البترول ليس جديدا على اوساط الغرب العلمية ٠٠ وقد تعرضت له مجلة Science ، فى تقرير مفصل نشرته فى اواخر سنة ١٩٧٦ ٠وقد تضمن ذلك التقرير الذى كتبه البروفسور ملفن كلفن Melvin Calvin ،احد علماء جامعة كاليفورنيا فى بركلى واحد الفائزين بجائزة نوبل٠٠ تضمن خلاصة التجارب العلمية العملية التى اجراها الكاتب على شجرة البترل ،وفى مزرعته الخاصة ،والتى



استغرقت بضع سنوات .

اما شجرة البترول هذه فاسمها Euphorbia وتنتمي الى اسرة شجرة المطاط هفيا Hevea الا انها اقرب الى الاعشاب منها الى الشجر . وتضم الاسرة عدة فصائل اهمها اثنتان : فصيلة اللاثيروس Euphorbia Lathyrus وفصيلة ثيروكلي Euphorbia Tirucalli وكلتاهما من الاعشاب . الا ان العشبة الاخيرة اكبر قليلا من الاولى .. وتنمو العشبة الاولى على الطبيعة في شمال كاليفورنيا .. وتزرع الثانية في صحارى البرازيل ، وذلك كسياج ولاغراض التسوير . فالعشبتان اذن تنموان في اقاليم قاحلة جافة . وتلك هي ميزتهما الاولى .. اما ميزتهما الثانية فهي فيما تفرزان من بترول نقي خال من الكبريت .

على ان هذه المزايا لاتجدى فتيلا مالم يكن في الامكان ضمان المحصول بكميات تجارية وتكاليف معقولة .. فهذه هي الاعتبارات الحاسمة التي ستقرر في النهاية مصير اعشاب البترول وزراعته . وهي الاعتبارات التي اولاها البروفسور كلفن اهتمامه .

ودلت التجارب التي اجراها عالم كاليفورنيا على ان محصول البترول المزروع يتراوح بين ١٠ ـ ٥٠ برميلا من الفدان



جهاز الكتروني لقياس ضغط الدم

نجحت احدى الشركات اليابانية في صنع جهاز الكتروني لقياس ضغط الدم .. والجهاز بسيط الاداء ، وبسيط الاستعمال ، بحيث يسهل على اى كان قياس ضغط دمه بنفسه .. وقراءة الارقام الحمراء الواضحة التي يمليها الجهاز .. ذلك أن الجهاز يعمل اوتوماتيكيا .. فهو يكتشف مستوى الضغط تلقائيا ، ويطبق عليه ثم يمده بالارقام مصحوبة باحد الحرفين (L)او (H) وهما يرمزان لحدي الضغط الاعلى والادنى ..وهكذا يتسنى للمرء أن يقيس ضغط دمه في اى وقت يشاء بواسطة هذا الجهاز ، لا قياسا اوتوماتيكيا فحسب ، ولكن قياسا مضبوطا ودقيقا ايضا . ■■

الواحد في السنة الواحدة .. وان نفقات استخراجه تبلغ بالمتوسط ١٠ ـ ١٥ دولارا للبرميل الواحد .. على ان يجرى استخراج البترول بعصر اعشابه ، على نحو ما يعصر قصب السكر .. لا استدرارا ، على نحو ما يستخرج المطاط من جذوع شجرة .. وما اسرع ما تنمو الاعشاب المقطوعة ثانية .. بحيث لاتحتاج مزارع البترول الى اعادة زراعة او تجديد سوى مرة في كل عشرين سنة .

بقي ان نذكر ان مساحة مزارع البترول ... تستطيع ان تفي باحتياجات الولايات المتحدة كلها .. فتغنيها عن البترول المعدني ... مصادر ... المساحة ... [illegible]

الناس والفصحى في الحديث اليومي

بقلم : الدكتور احمد صدقي الدجاني

هل حاولت ان تتحدث بالعربية الفصحى في حياتك ومعاملاتك اليومية ؟
هذه تجربة استاذ جامعي نجح في المحاولة ، ومارس الفصحى على مدى عشرين عاماً ، وهي تستحق التسجيل .. والقراءة .

● لم انشأ في بيت يحرص على الحديث بالفصحى . فقد كانت لغة المخاطبة اليومية بين افراد أسرتي هي « لهجة » اهالي يافا ، أو لاقل على التحديد لهجة المثقفين من اهالي يافا . لأني ما زلت اذكر كيف لاحظت ونحن اطفال نمرح على الشاطىء اختلاف لهجتنا عن لهجة « البحارة » ولذ لي ولاخوتي واقراننا ان نقلد تلك اللهجة .

ولا اذكر ان اساتذتي في المرحلة الابتدائية قد حرصوا على ان يمسك تلامذتهم بالفصحى في الحديث اليومي ، وان كان بعضهم قد حبب الي اللغة العربية بنطقه الجميل لها .

ولم يطرأ تغير يذكر على صعيدي البيت او المدرسة في الموقف من الفصحى حين فرضت علينا « النكبة » عام ١٩٤٨ النزوح عن فلسطين الى لبنان فسوريا . كنت آنذاك في الثانية عشرة من عمري وقد استمر بي المقام في بانوبة البنين باللاذقية . والتغير الذي طرأ هو ان اللهجة التي تسامعتها في المدرسة او في الحي اصبحت لهجة اهل اللاذقية وهي مختلفة الى حد ما عن لهجة اهل يافا . وما زلت اذكر كيف انتبه الصبي ـ الذي هو انا ـ لهذا الاختلاف ولاحظ ما ينشأ عنه من مفارقات طريفة . ومن الامثلة التي تخطر على بالي الان كلمة « الستة » التي نسمع بين اهالي وسط فلسطين وجنوبها وكلمة « استة » التي نسمع في سوريا ولبنان وشمالي فلسطين ولكل منهما مدلول مختلف(١) . وقد كنا نقول فلان خزى فلانا او كسفه فاذا بنا نسمع كلمة نحفه وبرحه . وكان هذا الانتباه بداية اهتمام بمعاني الالفاظ ونشأتها وتطورها ستدي فيما بعد الى دراسة فقه اللغة وفلسفتها .

ويمكن ان نذكر ايضا ان الصبي بعد ان نال شهادة الدراسة المتوسطة بدأ يعاون اخاه الاكبر في اعطاء دروس خصوصية في الرياضيات . وكان اخوه قد عمل مدرسا وهو في السادسة عشرة من عمره ليسهم في اعالة اسرته . وقد سعر الصبي باهمية اتقان التعبير عن نفسه وهو يلقي هذه الدروس .

---

(١) الستة بمعنى لم تجيء . واسته بمعنى الان

المدرس الصغير

الفقر الجذري الذي طرأ على حياة الصبي دفع حتى نال شهادة الدراسة الثانوية وهو في الخامسة عشرة من عمره ، اذ فرضت ظروف اسرته القاسية عليه ان يعمل مدرسا ليستطيع لاحقا الاكثر ان يتابع دراسة الجامعة بعد ان ادى واجبه في الانفاق على الاسرة ثلاث سنوات . ولما كان عمر الصبي دون السن التي شرطها ... في « الحكومة » ، فقد اتجه الى العمل في مدرسة خاصة « اعدادية » اصبحت حديثا في ناحية ... وهكذا تعاقد على تدريس الرياضيات والعلوم في ثانوية « الشريف الرضي » بالقرداحة من اعمال قضاء جبلة بجبل العلويين .

اقبل المدرس الصغير على عمله الجديد . وما زلت اذكر كيف استشعر اهمية اتقان التعبير عن نفسه . ووجد نفسه أمام سؤال برز امامه ولا بد له من اجابة . السؤال هو بأية لهجة يلقي دروسه ويتعامل مع طلابه ؟ كان لا يزال يتحدث في بيته باللهجة الباقية ، كان قد بدأ يتقن التحدث بلهجة اهل مدينة اللاذقية ، وها هو يدرس طلابا يتحدثون بلهجة ثالثة . وما اسرع ما تعود على سماع اللهجة الجديدة ، ولكنه لم يحسن التحدث بها . ولاحظ ان لهجته غريبة على اسماع طلابه ، كما ان محاولته التحدث بلهجتهم غريبة على سمعه هو . وهكذا لخص الموقف بينه وبين نفسه « ان القيت دروسي بلهجتي فتحت مجالا لتلعثمهم وربما ضحكوا على بعض تعبيراتي ، وان القيتها بلهجتهم قد يضحكون لعدم اتقاني وبعضنا سأضحك على نفسي . وجاءت اجابته على السؤال بلغاته بان انعطف الى التحدث باللغة الفصحى .. لغة القرآن والادب والكتب .

بدأ لسان صاحبنا ينطلق بالفصحى في تلك السنة الدراسية ، خاصة بعد ان تطوع لتدريس مادة الدين حين لم يجد مدير المدرسة مدرسا يتحمس لتدريسها . فقد حرص على ان يحضر المادة تحضيرا جيدا ويحفظ الآيات القرآنية المقررة . وخاض بتدريسه هذه المادة تجربة غنية افاد منها الكثير على صعيد التعامل مع اختلاف المذاهب .

تأكدت لدى المدرس الصغير اهمية الالتزام بالفصحى اثناء قيامه بعمله كمعلم حين اسهم في ... اليالي ... ...
...ساعده ارتجالا من حلقة في ثانوية ... ...
... لهجة جديدة ... ...
تجربة الحديث بها ما دام قد ... ... الا
باللغة الفصحى .

الرحلة الى دمشق

انتقل صاحبنا للاقامة في دمشق بغية الجمع بين العمل ومتابعة دراسة الجامعة . وذلك بعد ان استقر رأيه على دخول كلية الآداب والتخصص في دراسة التاريخ بعد ان تعذر عليه دخول كلية العلوم او كلية الهندسة لانهما تتطلبان التفرغ الكامل . وعمل مدرسا في ثانويتي حطين الثانوية وثانوية فلسطين للبنين وهما من مدارس وكالة الغوث التي يتلقى العلم فيها ابناء فلسطين .

كانت عادة التحدث بالفصحى قد تمكنت منه . وقد تابع تدريسه للرياضيات ثم لمادة الديانة ووجد ان الفصحى سعفه في استخدام التعبيرات الدقيقة . وانا اذكر كيف تطوع لتدريس مادة الديانة حين علم من مديرة المدرسة بان مدرسة اللغة العربية طلبت من طالبات السنة الاولى الاعدادية ان يقفزن عن الفصول الاولى من الكتاب المقرر التي تبحث في الطهارة » وتدنيسها » ـ اي ... صفحاتها بالدراسة ـ لانها تتحدث عن البلوغ والمسائل المتعلقة بالجنس وذهبت ساخطة ... يومها بعد ان اتفق مع زميله الى المفتش وعرض عليه استعداده ، فكان ان عهد اليه بتدريس الدين . وقد اقبل على شرح الكتاب المقرر من اوله ، ولاحظ ان استخدامه الفصحى في الشرح مكنه من تناول اي موضوع بحدة ووضوح ... دوما بتجاوب طالباته وطلابه معه واتحاد ... الى درسه .

وانا اذكر كيف استفسرت ... ...
عن معنى آية السوء » اخذ ...
الرقت الى ... ...
واحراجه . ...
شرح لاستاذ ...
الاجمالي . ...
... .
والنساء ...

وتعريفه بحقائق الحياة وتثقيفه جنسيا ولا مجال هنا لشرحها وانما اشير الى دور اللغة الفصحى في انجاحها . ويبدو انها خلفت اثرا ملموسا من التلاميذ . وقد اخذت فكرة عن هذا الامر حين التقيت اثناء حضوري اجتماعا في ابو ظبي بأديب شاب لامع في مجال الاذاعة مع آخرين في حفل رسمي ، فاذا به يتحدث للحاضرين كيف شده الى عشق اللغة العربية والتحول الى الادب مدرسه الشاب الذي كان يدرس الدين في مدرسة فلسطين الثانوية بدمشق ، ولا يتحدث الا باللغة الفصحى . وقد جذبته الفصحى فداوم وهو النصراني على حضور دروس الدين الاسلامي واتصل منذ ذلك الحين بالادب .

كان في الثانية والعشرين حين انهى دراسته الجامعية وحصل على اجازة في الاداب « قسم التاريخ » . وقد اتجه الى الانضمام لوالديه في طرابلس الغرب فعمل هناك مدرسا للتاريخ في معهد للمعلمين . ولم يلتفت كثيرا الى تغير اللهجة عليه لان الفصحى كانت قد تمكنت منه فاصبحت وسيلته في التعبير ، اللهم الا من زاوية اهتمام نما عنده يدفعه الى التأمل في هذه اللهجات والبحث عن اصل الالفاظ وكيفية تطورها . وقد خرج من هذا التأمل وهذا البحث بنتائج تستحق حديثا خاصا . وتابع صاحبنا خلال تلك الفترة اقباله على القراءة ، وتمكنت منه عادة كتابة خواطره من وحي ما يعيشه في يومه حتى التزم بالكتابة الصحفية والتأليف . كما تابع بهمة العمل العام وانتظمت محاضراته في السياسة والادب والفكر . واقترنت صورته بالفصحى فلم يعد الناس يذكرونه الا بها ولم يعد هو يأنس الا لها .

ايجابية واعدة

كيف يستقبل الناس على اختلاف فئاتهم ومستوياتهم ومشاربهم الحديث بالفصحى ؟

ما هي ردود افعالهم عليه ؟ والى اي مدى ينسجمون معه ؟

اجابتي هي من واقع تجربتي التي تمتد على مدى ربع قرن . واذا اردت ان اصف التجربة بكلمة او كلمتين اقول انها « ايجابية واعدة » .

ايجابية لان استقبال الناس لها — على اختلافهم — يسير في الغالب الى انسجامهم معها . وواعدة لان تجاوب الناس معها سريع .

الملاحظة الاولى التي الاحظها حين اتحدث بالفصحى مع اناس اقابلهم للمرة الاولى في السوق او في الشارع متناولا امور الحياة اليومية هي انهم يصابون للوهلة الاولى بالدهشة والاستغراب. ولكنهم ما اسرع ما يألفون « النغمة » .

ملاحظتي الثانية هي ان ردود فعلهم في الغالب — تكون ايجابية « بالفصحى » فان كانوا من العامة الذين تلقوا قدرا بسيطا من العلم استخدموا « الفصحى المدرسية » وان كانوا من المثقفين انطلقوا في حوار فصيح يعطي الحديث طابعا رفيعا . وحين يجري الحديث مع امي يأبى الرد بالعامية مع اظهار فهمه لما قلت وظهور ما ينبيء بسروره لسماع اللغة الفصحى . ولا يخلو الامر من فئة نادرة تأخذ الامر كله مأخذ الهزل متأثرة بالصورة المشوهة التي تقدمها بعض التمثيليات الاذاعية والتلفزيونية والافلام السينمائية للحديث بالفصحى . ولكن ما اسرع ما يتحول الامر الى الجد حين اتابع حديثي بتلقائية غير ملتفت الى نغمة السخرية وكأنني لم انتبه لها او اشعر بها .

لقد استخدمت تعبير « الفصحى المدرسية » لاميزها عن الفصحى . لاني الاحظ من تعليق الناس على حديثي واحاديث آخرين يلتزمون بالفصحى انهم يؤكدون سمة التلقائية وخاصية السلاسة في هذه الاحاديث . ويشيرون دوما الى ما يسمونه اصطناع الحديث بالفصحى . وانا اسلم بهذا التفريق ومرده فيما اعتقد ان التزام الحديث بالفصحى يكسب الحديث التلقائية والسلاسة ، بينما اسلوب تعلمها في مدارسنا والاقتصار عليها عند قراءة النصوص العربية ليس الا ، هو الذي يوحي بذلك الاصطناع .

ملاحظتي الاخيرة هي ان جل الناس بعد ان يتجاوزوا وقع مفاجأة الحديث بالفصحى وبعد ان يظهروا ردود فعلهم الاولى عليه ما اسرع ما يألفون هذا الحديث وينسجمون معه . ومن هنا فان موقف المتحدث بالفصحى وهو يصرف امور حياته اليومية هو موقف قوي أهم ما فيه أنه قريب الى قلوب الاخرين ، كما انه اقدر على

التعبير الدقيق . وهذه القدرة على التعبير الدقيق لا تمنع المحدث بالفصحى ان يشعر احيانا بحاجة الى استخدام تعبير شبع على الستة العامة . وقد درجت في مثل هذه الحالة على استخدامه بلا تردد لاني وجدت بعد متابعة في المعاجم ان كثيرا من تعبيرات العامة هي تعبيرات فصيحة في الاصل وقد وردت في القواميس .

لغة القرآن

ولقد فكرت في سر الفة الناس للفصحى وانسجامهم معها فرجحت ان السبب يعود الى انها لغة القرآن الكريم الذى يسمعون الستة ويرددونه بخشوع . كما انها لغة القراءة الجادة سواء في الصحف او في الكتب . وهي في الوقت نفسه لغة الحديث الرفيع الذى يسمعون اليه في الاذاعة او في المحاضرات العامة او في الخطب الرسمية او في حوار الخاصة .

والان وبعد هذا الحديث الذى طال عن الفصحى وقصتي معها لا بد لى كي اوفي هذه القصة واكملها ان اقول ان تجربتي طرحت امامي منذ فترة سؤالا جذريا هو « ما هي الفصحى وما هي العامة ؟ »

الفصاحة في المعاجم البيان ، واللفظ الفصيح ما يدرك حسنه بالسمع ، وفصح الاعجمي تكلم بالعربية فجادت لغته ولم يلحن ، ورجل فصيح حسن البيان ويميز جيد الكلام عن رديئه ،وكلام فصيح يعين صاحبه على اجادة التعبير.والفصاحة من الفصح اللبن اذا ذهبت رغوته . ولقد قدر العرب منذ القديم الفصاحة وميزوا بين اللغة العالية ولغة العامة ، ويبدو ان التفريق الواضح بين لغة فصحى ولغة عامية هو امر حديث نسبيا يعود الى القرن الماضي . وقد الح هذا الامر مع ظهور اليقظة العربية في خضم الحوار حول لغة التعبير وطريقة الكتابة .

وفي محاولتي ان اجد الاجابة للسؤال الذى طرحته كنت اتتبع باهتمام لهجاتنا العامية . وكلما استوقفتني كلمة اهرع الى المعجم بحثا عنها .. وقد وجدت ان كثيرا من الكلمات المتداولة في هذه اللهجات كلمات فصيحة جاء ذكرها في المعاجم . ولاحظت ان كل لهجة اختارت كلمة بعينها فتداولتها . وفي ... هذه الكلمات ... ولا اريد هنا ان استرسل في ايراد الامثلة ... ذلك لانني ارجو ان اعكف على ... ولكن اكتفي بذكر تعبيرى « بنى وبدى » وكلاهما بمعنى الارادة والرغبة . والاول يشيع في بعض اقطارنا العربية شمال افريقيا بينما يشيع الاخر في بلاد الشام . ان اصلهما هو « يبغي » و « يودى » وكلاهما في الاصل فصيح كما نرى ، وقد تعرضا للتغير . وتتبعت ايضا طريقة اللفظ في هذه اللهجات فقادني ذلك الى البحث عما كتب عن لهجات العرب القديمة . ووضح لى ان لهجاتنا الحالية انما هي استمرار لها . وتأكد لى انه لولا اعتمادنا نحن العرب لغة واحدة في الكتابة لتحولت هذه اللهجات الى لغات ، ولحدث للغة العربية ما حدث لغيرها من اللغات القديمة التي تفرق كل منها لعدة لغات .

ان هذه اللغة الواحدة هي لغة القرآن الكريم، وهي قبل ذلك لهجة قريش البليغة وكانت قريش كما قال ابو نصر الفارابي « اجود العرب انتقاء للافصح من الالفاظ ، واسهلها على اللسان عند النطق واحسنها مسموعا ، وابينها ابانة عما في النفس » ويبدو لى ان التجاوب الذى يلاقيه حديثنا بالفصحى موروث منذ ان برزت لهجة قريش بين العرب قبل الاسلام ومنذ ان اختار الله اللسان العربي المبين لتنزل به القرآن الكريم. ولقد استوقفني في مستهل تجربتي ما عبر به ابو الريحان البيروني عن مشاعره تجاه اللغة العربية في كتابه « الصيدنة » ديننا والدولة عربيان ، والدين والدولة توأمان يرفرف على احدهما القوة الالهية وعلى الاخر اليد السماوية .. " والهجو بالعربية احب الى من المدح بالفارسية .. »

ان هذه المنزلة النفيسة وهذه الميزة ... للفصحى تجعل المستقبل لها ... اليوم القائم بين العامة ... يمكن ان ... سياسة اعلامية ... ووسائل الاعلام ...

قاسم أمين: ظالم أم مظلوم؟



(١٨٦٣ ـ ١٩٠٨)

بقلم : محمد خليفة التونسى

« العائلة هى اساس الامة ،ولما كانت المراة هى اساس العائلة كان تقدمها وتاخرها فى المرتبة العقلية اول مؤثر فى تقدم الامة وتاخرها »

● كان الشيخ الرئيس ابن سينا حكيما حين سأل الله أن يهبه حياة عريضة لا طويلة ، وقد تحقق له أمله ، اذ مات قبل بلوغه الستين ، ولكن كان نبوغه مبكرا ، وامتلأت حياته بكثير من الاعمال الكبار فى عالم الطب ، وعالم الفلسفة ،كما جرب من متع الدنيا وانكادها مايكفى لملء اضعاف عمره فكأنه عاش عدة اعمار فى عمر واحد ، وهكذا تكون البركة فى الاعمار بعمق التجارب الحيوية وتنوعها ، ثم بآثارها فى اصلاح الانسانية ، او زيادة ثروتها الادبية والحضارية .

وقد كان لنابغنا قاسم امين وكثير من اخوانه النوابغ ـ لاسيما المبكرون فى النبوغ ـ مثل هذا الحظ فى الحياة ، فهو لم يعمر أكثر من خمس واربعين سنة (١٨٦٣ ـ ١٩٠٨) ولكنه نبغ مبكرا ، وكان رجل نظر كما كان رجل عمل فحفلت سنواته القليلة بكثير من الخدمات الجليلة التي افادت منها امته ، وستبقى لها فوائدها طالما وعتها كما أرادها هو ، ووضع طريقها وغاياتها فى حدود الكرامة الانسانية ، لا كما ارادها الاخرون من دعاتها وادعيائها .

محور نشاطه

ولم يقتصر نشاط قاسم فكرا وعملا على مجال واحد ، بل شمل عدة مجالات ، ولكننا مهما نمض معه فى انشطته خلالها حتى يبلغ اوسع مداها ـ نجدها تدور حول محور واحد ، هو « التربية » .

ومن المجالات التي اسهم قاسم فى اصلاحها القضاء والتشريع ، ومنها الاجتماع والاقتصاد ، ومنها الادب والفن والنقد ، ومنها اعمال البر والاحسان العامة،ولكن اسمه لم يشتهر بيننا الا مرتبطا بدعوته الى تحرير المراة ، كما لم تشتهر هذه الدعوة الا مرتبطة به ، وان كان فضل قاسم أعظم من ان ينحصر في هذه الدعوة وحدها فشهرته بها وان نشرت بعض فضله ـ قد جار على بعضه الاخر فبقى مستورا ، او مجهولا وهكذا كل شهرة حين تبدى من الفضل بعضه لا كله

ونجول مع قاسم في مجتمع عصره ، بل في مجتمع عصرنا ايضا فنرى فيه كثيرا من جوانب التخلف ، ونسمع – الى جانب دعوة قاسم الاصلاحية – دعوات اصلاحية اخرى من دينية وسياسية واقتصادية واجتماعية وادبية وفنية وغيرها ، وكلها تحاول علاج جوانب التخلف فينا ، فاذا تأملنا دعوة قاسم وجدنا انها لم يفتها شيء ادركته تلك الدعوات ، سواء في تشخيص امراض المجتمع او في اسبابها ، او وسائل علاجها .

كل ما ادركه اصحاب تلك الدعوات من عيوب المجتمع وتوصيفها ادركه قاسم ، وكل ما تفرق عندهم من اسبابها جمعه قاسم في سبب واحد كبير ، هو « نقص التربية » وكل ماتفرق عندهم من وسائل علاجها جمعه قاسم في وسيلة واحدة شاملة هي « التربية » وهو ينتجه بها الى « المراة » لانه ملهم بشعوره الحي ، ثم يرى بنظره النافذ فيما وعاه من تجاربه ومطالعاته ، ثم يقدر بفكرة المنطقي العملي ان كل مجتمع كان حي معقد يتالف من عدة اسره ، فالاسرة خلية المجتمع ، والابوان قوام الاسرة ، ولاسيما الام لانها ميزان الاسرة كما قال ، فاذا حسنت تربيتها احسنت هي تربية اولادها .

فلا تربية بغير اسرة ، ولا اسره بغير عواطف تربط بينها وتجعلها وحدة متكافلة مهما يحدث بين افرادها من اختلاف . ومن اقواله الكثيره في تاييد ذلك «الامر الذي يلزم ان تلتفت اليه كل امة لاتغفل عن مصالحها الحقيقية هو وجود النظام في العائلات التي يتكون منها جسم الامة ، لان العائله هي اساس الامة ، ولما كانت المراة هي اساس العائلة كان تقدمها وتاخرها في الرتبة العقلية اول مؤثر في تقدم الامة وتاخرها » (ص ١٢١ من « تحرير المراة »)

أسس التربية السوية

وللتربية السوية عند قاسم اسسها النفسية، لانها اسس عاطفية تستمد اصالتها وصلابتها وثباتها من الفطرة في كل نفس ، فالاطفال ينبغي ان ينشئوا على الولاء لدينهم ، والولاء لوطنهم، وعلى الايثار او الولاء للآخرين ، وتقديم المصلحه العامة على المصلحة الخاصة . وعلى هذه المبادىء الثلاثة الديني والوطني والايثاري تقوم التربية السوية . والفرق واسع بين هذه التربية وبين التعليم الذي [illegible] دفعه من الكثرة او القلة او السعة او الضيق ، [illegible] ان يكسب صاحبها عقلا علميا مستقلا ، مع ان العقل العملي المستقل هو اهم شيء للانسان في ممارسة حياته . وفي ذلك يقول [illegible] .. ولكن ارى همم الناس موجهة الى التعليم ، ولا ارى احدا [illegible] الى تربية النفوس ، وارى الحرص على التعليم منحصرا في تعليم الذكور ، مع ان تهذيب الاخلاق مقدم على التعليم ، وتعليم البنات مقدم على تعليم الذكور » .

ومن هنا يبدو لنا ان دعوة قاسم التربوية – وكان اظهر ما فيها « تحرير المراة » – تلتقي مع كل الدعوات الاصلاحية في عصره وفي غير عصره ، وتصافحها في مودة ، وتبادلها العون ، ولا تصادم اي دعوة اصلاحية او تعطل نشاطها ، بل ان دعوة قاسم اشمل هذه الدعوات واقربها الى العلاج ، ثم هي اعمقها جذورا في نفوس الافراد والجماعات، وانبلها اثرا ، فالعنصر الانساني هو مصدر كل اصلاح ، وهو وسيلته كما هو غايته ، ولااصلاح ولا اصلاح لغيره الا به ، ولا صلاح ولا اصلاح له الا بالتربية السوية التي تهيء لكل فرد ان يحقق ذاته باستكمال مواهبه الفطرية الخاصة في نشاط حر متصل ، والتآلف مع سواه لخدمة نفسه ومجتمعه : كل فيما يحسنه ، مع مراعاة المصالح الجماعية دون اهدار المصالح الفردية ، الا ان تكون ذلك ايثارا عن مودة تمليه الطبيعة الخيرة في نفوس الافراد ، وعلى هذا النحو القائم على التراضي الحر تتصل الفرد شخصيته ، ويستوفي المجتمع مصالحه ، اياً كانت حياتهم من الرخاء او الشدة . وقد لاحظنا انه يقيم التربية على مبادىء ثلاثة اولها هو الدين ، لانه لا صلاح ولا اصلاح لفرد ولا مجتمع ولا حل لمشكلاته بغير قوة روحية تربطه بالانسانية جمعاء وبالوجود كله من ورائها .

والذين وقفوا من دعوة قاسم مؤيدين او معارضين ، وهم يظنونها دعوة الى سفور المراة عن وجهها وكفها وقدميها بدلا من حجابها ، او دعوة الى خروجها من منزلها [illegible]

[illegible] دعوة الى تحرير [illegible]

المعارف – [illegible]

البعيدة [illegible]

وبعيدة [illegible]

داخله

يستقل بتدبير اموره على ما تقتضي مصالحه ، وينافس ارقى المجتمعات ثقافة وحضارة لخدمة البشرية جمعاء . فدعوة قاسم اشبه بالحبة الصغيرة التي فيها ـ بالقوة ـ كل ما في الدوحة الباسقة من جذور وسيقان وفروع واوراق وازهار واثمار ، وهي اذا احسن تعهدها كفلت خروج هذه الشجرة لتؤدي كل وظائفها .

لماذا اتجه الى التربية ؟

لا شك في ان الاحوال الوطنية في عصر قاسم وما سبق عصره من بداية القرن التاسع عشر قد املت له في فكرة « التربية » فردية وجماعية، فقد حاول قومه السعي لمجاراة الغرب في تقدمه ودفع عوادية عنهم بمثل اسلحته ، فاذا خطواتهم تعثر في كل اتجاه ، لا سيما الاتجاه السياسي والعسكري ، وان كانوا قد نهضوا بعد كل عثرة لتجديد مواصلة السير بعزم ، ولكن لا شك عندنا ايضا في ان قاسما قد استلهم دعوته التربوية من طبيعة الخيرة ، وتأمله احواله الشخصية ، اذ كان هو مثلا حسنا لاثر التربية السوية في نفس صاحبها وسيرته الطيبة بين الناس ، فهو لم يكتف بما زودته به تربيته البيتية في اسرته الكريمة المتدينة ، ومكانتها الموقرة بين الاسر وعند كبار الحكام، ولم يكتف في تعليمه بما زودته به المدارس من معلومات ، بل اتم تربيته بنفسه بنفسه ، اذ تعلم بالمطالعة ما قصرت عنه المدارس في تعليمها له ، ثم لم يكن في ذلك « دودة كتب » همه تحصيل اكبر قدر من المعلومات الجيدة ، بل يبحث عن الحقائق ليدرب عقله على التفكير السليم ، وينفي عنه الوهم والخرافة ، ويتخذ من فهم الحقيقة وسيلة الى عمل ينفعه وينفع سواه ، وهذا ما يسميه هو « العقل العملي » كما اشرنا من قبل ، وهو لا يحارب الجهل في فرد ، بل يحاربه في الجماعة كلها فيكون تعليمها وسيلة الى تربيتها ، للخلاص من البؤس والضلال ، وللتحرر من استعباد غيرها لها ، وللتعود على الاعتماد في اصلاح امرها على جهودها الخاصة .

فالتربية رياضة دينية خلقية عملية ، سواء في الفرد او الجماعة ، واثرها ثابت دائم ، وهي عملية متجددة تتحقق بالممارسة طول الحياة .

وهذا ما تدل عليه اخباره صبيا وشابا ورجلا ، اذ لم ينقطع وهو طالب الى دروسه الرسمية ـ كشأن معظم الطلاب ، ولهذا لم يتفوق بين زملائه طوال دراسته في مصر مع ما عرف به من ذكاء واجتهاد وسعة اطلاع في علوم كثيرة خلال ذلك وبعده ، حتى اذا كانت سنة التخرج في دراسته العالية بمصر ـ وهي مفترق طرق الى المستقبل كله ـ اكب على دروسه الرسمية فكان اول دفعته في الحقوق ، وعلى اساس اسبقيته حصل على بعثة الى باريس ليتم دروسه الحقوقية هناك . ولقد كان همه خلال دراسته في فرنسا ان يستوعب أعظم قدر من الثقافة فيما يسمى « العلوم الانسانية»وان يشاهد ما استطاع من معارض الفنون ومتاحفها،ويكشف من مخالطة البيئات الفرنسية اسباب تقدم الغرب وغلبته على سواه ، ولذلك صار مثلا نادرا في المعرفة الموسوعية ، للاستعانة بها في ترقية مواهبه ، وتقويم مسلكه ، وللاهتداء بها في مشروعاته الاصلاحية العلمية .

ويهمنا نص هنا في أسباب نزعته الى التربية لا ننسى اثر تلمذته للاستاذ الامام محمد عبده الذي جاهد في مجال السياسة ما جاهد مع استاذه الكبير السيد جمال الدين الافغاني ، ثم يئس من السياسة وأهلها في نهاية المطاف بعد اغلاق جريدتها العروة الوثقى في باريس سنة ١٣٠١ هـ (١٨٨٤م) (١) ، فانصرف في سنواته العشرين الاخيرة الى التعليم ، واصلاح الازهر اكبر معاهده وشارك مع تلامذته ومحبيه ـ ومنهم قاسم امين ـ في تأسيس الجامعة المصرية والاسهام في المشروعات العامة للبر والاحسان ، ليتعود الشعب ان يستقل بتدبير اموره بنفسه ، ولا يعتمد على الدولة واعوانها المتقلبة .

تعدد المواهب ، وتعدد المشاغل

وكثير من الناس يعملون في مجال واحد او مجالات شتى ولا يتخصصون باحدها ، ولكننا نراهم يعملون فيها جميعا بموهبة واحدة ، ومنهم متعددة المواهب ، لكل منها اختصاصها فهو يعمل بهن جميعا .

وقد كان قاسم من ذوي المواهب المتعددة :

---

(١) كان قاسم في باريس خلال اصدار جريدة العروة الوثقى ،وكان على أقوى الصلات بالحكيم جمال الدين الافغاني ومحمد عبده ، وقد اسهم في تعليم استاذه محمد عبده هناك اللغة الفرنسية

فله حينا نظرة العالم الذى يعتمد على الملاحظة والتجربة .

وله حينا نظرة المفكر او الفيلسوف الذى تعنيه الماهيات ، وتحليل القضايا الذهنية ، واستخلاص القوانين الكونية او الوجودية ، والتزام البراهين المنطقية .

وله احيانا شعور الفنان بدوافع الحياة وبدائع الجمال فى نفسه وفيما تحيط به ، وابداع القوالب المناسبة من خياله ليصور خوالجه ومعانيه ، فيجعلها اشكالا محسوسة واضحة ، بعد ان كانت غامضة هائمة فى عماء ، ووسيلته فى تصويرها تنسيق الكلمات لانه أديب .

وله وعي المتصوف العابد الذى يعشق اسرار الحقائق ، ويستطيع بلوغها بنفاذ بصيرته ولطف ذوقه ، ولا يستريح حتى يلاصقها ، فاذا لاصقها انطبعت فى يقينه ، وامتلأ بها وجدانه ، فهدتت على سيرته مع نفسه وسيرته مع سواه ، والزم نفسه طواعية ما يلزمه الاقتناع الشخصي ، وان لم يلزمه غيره شيئا ، فاعماله ومساعيه صورة بيانه واقواله ، ونيانه واقواله وحي يقينه .

وكان له تعمق الاصوليين او المشرعين فى البحث عن نفسيات الافراد والجماعات ، ومعرفة اخلاقهم وعاداتهم واحوالهم، ودوافعهم الى اخذ ما ياخذون وترك ما يتركون ، مختارين او مضطرين ، راغبين او راهبين ، ومن هنا يعرف ما هو اصلح لهم من التعاليم والقوانين فى مرحلة معينة ، ليرقى بهم الى مرحلة اعلى دون تراخ ولا تعسف ، وهذا ما اتسمت به تنظيماته التشريعية والاجتماعية ، وقامت عليه احكامه القضائية ، وان كان فى احكامه القضائية خاضعا لنصوص القانون الذى هو من عمل الدولة ، غير انه — على وفق تلك الاصول التشريعية الطبيعية التى هو على نحو من عدالتها ... ... يحقق القصد ... دون خروج عن حدود ... الاجتهاد ... حريته .

... كان خطيبا بارزا ... خطباء عصره ... على استماله سامعيه الى وجهته ، واقناعهم بها ما استطاع ، معتمدا على ما فى نفوسهم من حب الخير والعدل ، وهذا ما يكسبه خطبه القضائية حتى كان فى النيابة ، وقد شهد له بذلك الاستاذ ابراهيم الهلباوى الذى كان نابغة عصره فى المناظرة والخطابة ، وكذلك تكشف عن قدرته الخطابية اسما خطاباته فى المحافل المشهورة ، ومنها خطابه فى تابين استاذه محمد عبده عقب وفاته سنة ١٩٠٥ ، وخطابه قبل ذلك فى موضوع ذكرى « الجامعة المصرية » وغاياتها الوطنية والانسانية العالية ، وخطابه الاخير فى نادي المعلمين مساء ٢٣ من ابريل سنة ١٩٠٨، اى فى ليلة وفاته (٢) لكنه لم يكن من خطباء الجماهير فى المحافل العامة .

وكانت له قدرة على النقد الاجتماعي والنقد الادبي والفنى عامة فى أسلوب مهذب سهل وكل ذلك على خبرة بالمجتمع وطرق اصلاح عيوبه ، الى جانب خبرته باسرار الفنون ورسالتها الانسانية العظيمة فى التربية الفردية والجماعية .

وقد اسلفنا انه كان رجل عمل وتدبير ، كما كان رجل نظر وتفكير ، فكانت له قدرته العملية فى جذب ذوى الاريحية من طبقته للمشاركة فى الاعمال العامة للبر والاحسان ، وحسبنا من ذلك نجاحه مع استاذه محمد عبده وتلاميذه فى تاسيس « الجمعية الخيرية الاسلامية » وما يتبعها من مدارس ومبرات ، وهى قائمة برسالتها حتى الان ، ثم اسهامه القوى فى مشروع « الجامعة المصرية» (٣) اذ كان انشط عضو فى لجنته ، واداتهم

---

(٢) ذلك المساء أحس بالتعب ولكنه ذهب الى النادي لالقاء خطابه ... عاد الى ... فطلب من السيدة قرينته كوبا من الشاى ليعيد له نشاطه ، فلما ناولته اياه ... الحياة .

(٣) بدا التفكير فى هذا المشروع عند الامام محمد عبده وجماعته ... امتد به العمر شهورا لتم تنفيذه ، ثم حدث جماعته الاعداد له ... منزل تلميذه سعد زغلول وتولى امانة اللجنة قاسم امين ... اللجنة الى الامة للمساهمة في هذا المشروع ... وبقي قاسم امينا لها حتى عين سعد وزيرا للمعارف سنة ١٩٠٨ ... الجامعة كما وضحها قاسم فى بياناته وخطاباته ايجاد ... المعرفة للمعرفة ، وتخرج قادة كبارا فى كل المجالات الوطنية ...

كواعب يرفلن في وشي الجنة ، وبايديهن المزاهر وانواع ما يلتمس به الملاهي فيعجب ، وحق له العجب ، وليس ذلك ببديع من قدره الله جلت عظمته .

ومن غريب الامر ان ارتياحي لرسالة الغفران كان اكثر من ارتياحي لكتاب الزهاوي . ولعل مرد ذلك ان ابا العلاء كان يصف امورا فيها كثير مما ترتاح اليه نفوس المستجمين ، اذ انه قد تخيل الجنه وما فيها من لذائـذ لا تخطر عـلى البال . وليس من شك ان الذي ينعد عن معر عمله يسعى لان ينعد عن والحمه فهو يبغى ترفيه النفس والناس اصناف في رفيه نفوسهم فبعضهم يجده في اللذات الماديـه ،وبعضهـم يجـده في اللذائذ المعنوية وكثير من الصنف الاول سرفون على انفسهم غاية الاسراف الى حد سببب له تلك الرفاهية التى سعى اليها كثيرا من الامـراض والمشاكل .

لقاءات في أسبانيا

ومهما يكن من امر ، فقد اضفت الى لقائي بابي العلاء ، والشاعر الزهاوي لقاءات اتصلت بالمعهد العربى الاسباني ، والمعهد العربيالاسلامى وكانت رئاسـة المعهـد الاول مناطة بالمستشرق الاسباني (اوتراى) اما ادارة المعهد العربـى الاسلامى فانها موكولة الى الدكتور عبد العزيز سالم صاحبالمؤلفات الكثيرة التى تؤرخالحضاره العربية في الاندلس ، كما انى زرت المركز الثقافى العراقى . ولقد كان حديثي مع رؤساء هـذه المعاهد متشعبا امتد الى آفاق كثيرة ولكن هذه الاحاديث لا تخلو من الم فان كل هذه المعاهد تشكو من اهمال الدول العربية للجانب الثقافي فهي لا تتلقى من الآثار الثقافية الا القليل بل ان الصلة بين هذه المعاهد صلة ضعيفة الى حـد كبير . ويبدو ان سبب ذلك يعود الى تأثير الخصومات السياسية وهو امر يدعو حقا الى الاسى . وعلى اي حال ، فان هـذه المعاهد تقوم بنشاط ثقافي لا باس به . ولقد تساءلت عن السبب الذى جعل حكوماتنا لا تهتم بالناحية الثقافية فلم اجد في جواب واحد وهو : انهم لم يتعمقوا في مفهوم الثقافة فهم يتصورون ان الثقافة بعيده عن الحياة المعاصرة او انها تتناولها من بعيد بحيث لا تؤثر الا تاثيرا لا يستحقالاهتمام وهذا فهم خاطىء للثقافة بطبيعة الحال ، فالثقافه الحقيقية تعنى التعرف على ما يجرى في البلد من افكار .. وآراء وتيارات بحيث يستطيع كل بلـد ان يؤسس صداقته ومعرفتـه على اسس واقعية . ومن يقرأ تاريخ الاستشراق ينضح له ان من اهم اسبابه هو ان الدول الغربية ادركت انها لا تستطيع ان تتعامل مع الشرق الا بعـد ان تفهم افكاره وآراءه . لذلك هيأت للذين لهم ميول الىمعرفة الثقافة الاسلامية كل ما يحتاجون اليه وطلبت منهم ان يكتبوا عن كل شيء يصلون به كتابة دقيقة مفصلة ، مما جعل الصورة تكون لدى تلك الدول واضحة متكاملة .

ولست في حاجة الى ان انوه بما لاسبانيا من علاقة ثقافية قديمة وبمواقفها السياسية فان ذلك معروف لدى الجميع . ولقد وضح لي مدراء تلـك المعاهد العربيـة الثقافية ان الصهيونيين يقومون بنشاط له تاثيره فمن ذلك مثلا ان اللغه العربية كانت معدوده في الجامعات الاسبانية من اللغات القديمة ، مما يجعل الطلاب يقبلون عليها اقبالا لا باس به لانهم اذا اخذوا يقارنون بين اللغة العربية واللغة السريانية مثلا او اللغـه الكلدانية رجحت اللغة العربية بطبيعة الحال .

حيلة صهيونية

لكن خصومنا الصهيونيين فكروا في اضعاف هـذا الاقبال فهداهم تفكيرهم الى ان يسلكوا سبيلا ظاهره تعزيز اللغة العربية وباطنه اضعاف اقبال الطلاب عليها وهو ان تعد اللغة العربيهلغه حديثه معاصرة ومعنى ذلك ان يخير الطالب في الجامعات الاسبانية بين ان يتعلم اللغة العربيه او الانجليزية او الفرنسية او غيرها من اللغات الحديثة مما يجعل الطالب يبتعد عناللغة العربيه ويختار اى لغة اوروبية ، لان صلته بفرنسا او بايطاليا او انجلترا او غيرها من الامم الاوروبية اقوى من صـلته بالامة العربيـة ، وما تزال المحاولات جارية من قبل بعض المعاهد العربية لتوضيحخطا هذه الفكرةواظهار ابعادها ومقاصدها المتفرضة ضد هذه الامة المجيدة ، كما ان بعد

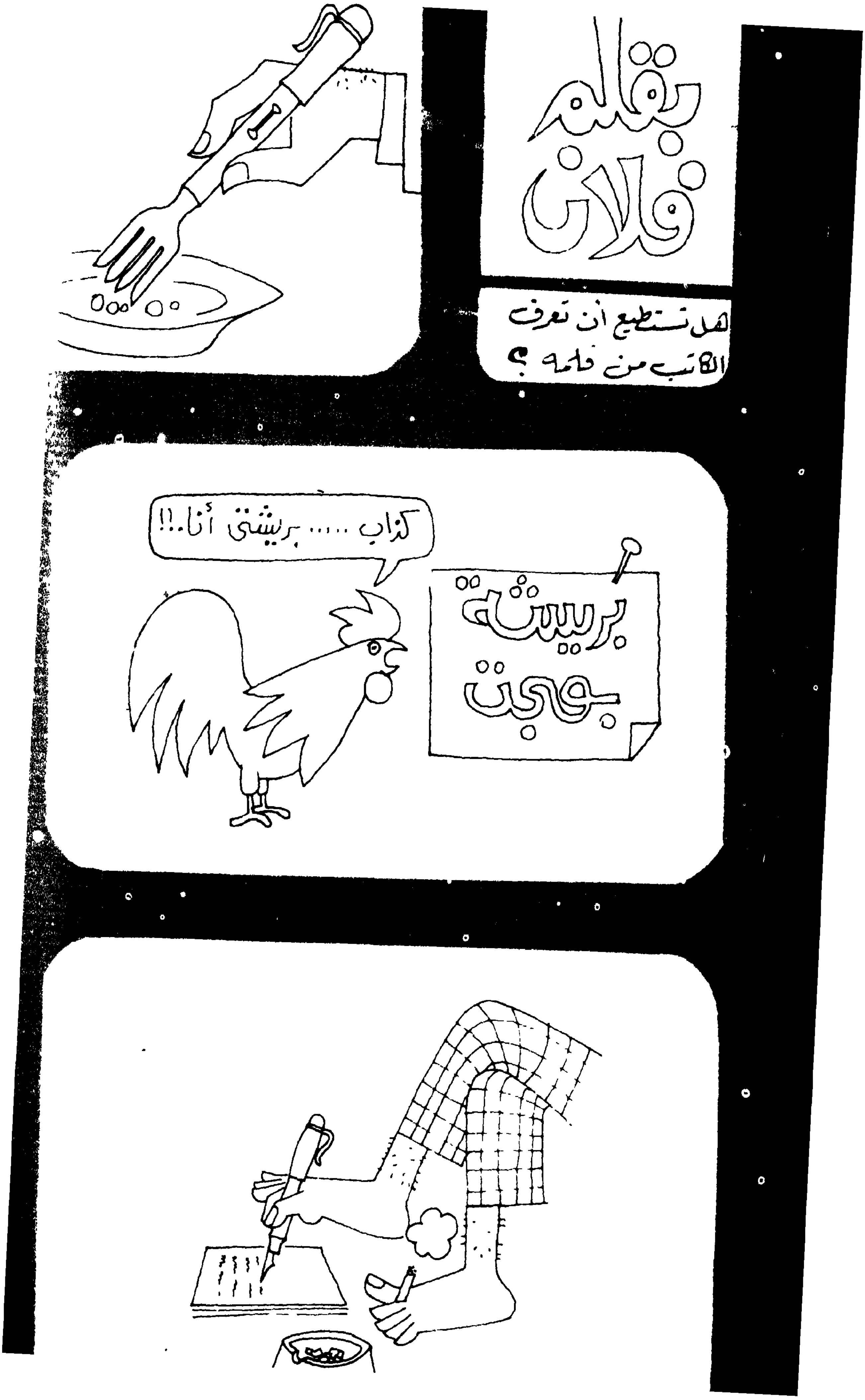
الذين يعملون في المعاهد الاسبانيه اخبرني بان القرآن الكريم قد ترجم الى اللغه الاسبانيه وقد قرأ تلك الترجمة فوجد ان في مقدمه الكتاب تحاملا شديدا على خاتم الانبياء محمد عليه السلام وعلى شريعته الغراء ، وقد طلب منه ان يترجم تلك المقدمه الى اللغة العربية لتقوم الجهات المختصه بتفنيد ما فيها من شبهات واضاليل .

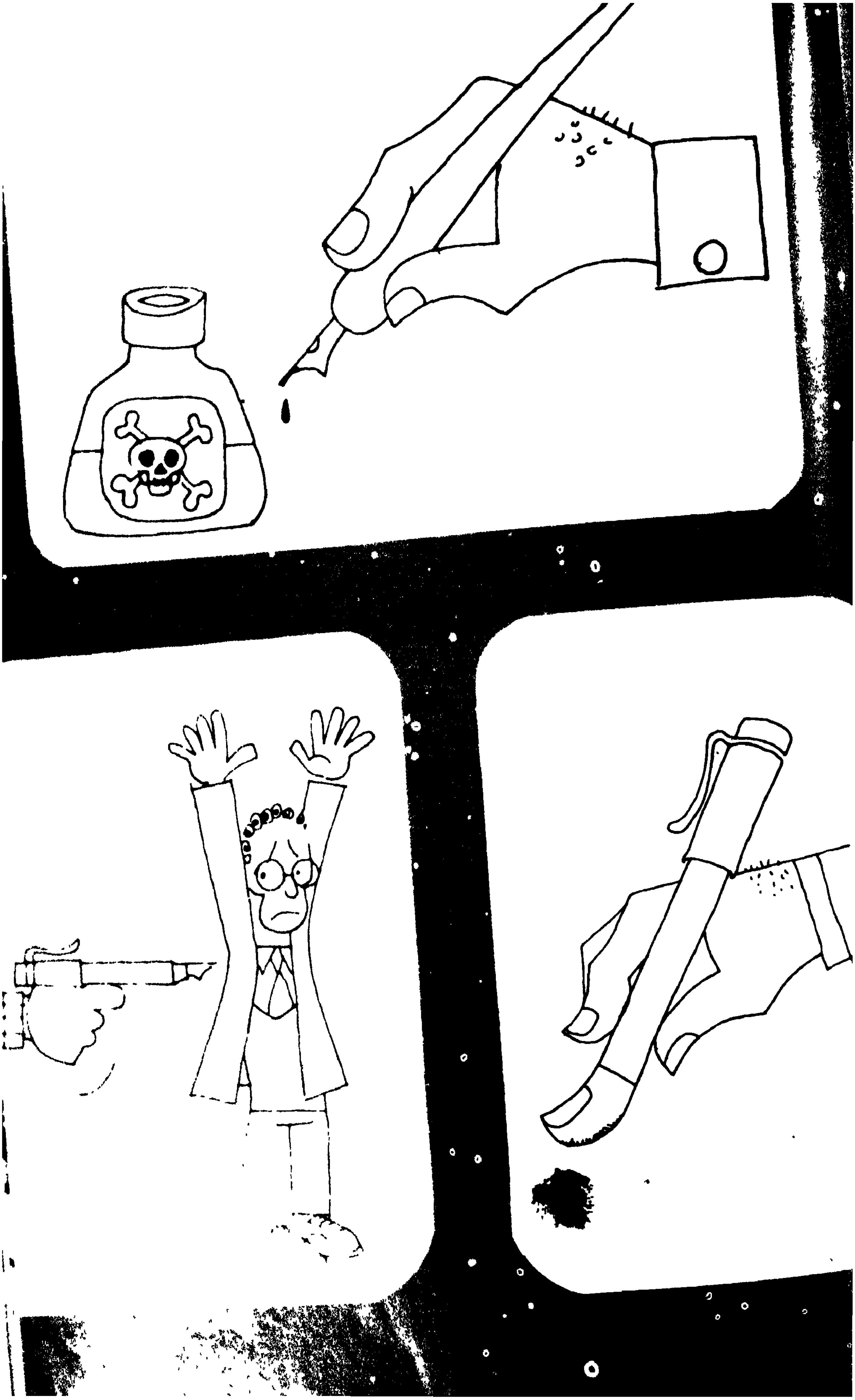
ومما يجدر بنا ان ننبه اليه هو ما يشعر به بعض المثقفين الاسبان من صلة قويه نحو الامه العربية وهم يعبرون عن تلك المشاعر تعبيرا لا غموض فيه فهم يقولون لك اننا استفدنا وما زلنا نستفيد من صلتنا بكم، فقد نقلتم الينا حضارات الامم اليونانية والرومانية والفارسيه والهنديه الى جانب ما اضفتم الى تلك الحضارات من امور كثيره دفعت بتلك الحضارات الى الامام ، مما مكن الاسبانيين من ان ينقلوا تلك الحضاره الاسلامية القديمه الى اوروبا فانفتحت آفاق الفكر امامهم ، مما جعلهم يستطيعون ان يوصلوا الحضاره الانسانيه الى ما وصلت اليه في العصر الحاضر وهناك جانب آخر نشأ من صلتنا بالامه العربية ما زلنا نستفيد منه وسنظل نستفيد منه الى ما شاء الله ونعني بذلك الجانب تلك الاثار الحضارية العظيمة التي تجتذب الينا السواح من جميع اطراف الارض . .

مكانه مميزه يوجب علينا : يهتم بها اهتماما خاصا لتكون صلتنا بتلك الدولة متينه وثيقه فان القاعده قويه لا يجوز لنا اهمالها بأي حال من الاحوال . بل ان علينا ان نهتم بالجانب الثقافي في جميع الدول لان الثقافه من اهم الامور التي لا يجوز لنا ان نهملها والاهتمام الثقافي الذي ادعو اليه هو ان تكون الحركة الفكرية ، قديما وحديثا ، مصوره تصويرا واضحا متكاملا لدى تلك الامم الحيه فان اعداءنا الصهيونيين وغير الصهيونيين يبذلون جهودا قويه لتكون صورتنا قاتمة مظلمه ، وفي ذلك ما فيه من الاضرار التي لا تحصى . ثم ان كثيرا من الاقطار العربيه تصدر آثارا فكرية ممتازه لو نشرت بين الاجانب لغيرت كثيرا من الصوره التي رسمها اعداؤنا عنا .

ومما لا شك فيه ان النشاط الفكري والثقافي لا يؤدي غرضه المطلوب الا اذا كان انتشاره واسعا بين الامم الاجنبيه فليس من المبالغه اذا قلت بان التوزيع المتقن يعادل الاصدار . اذن ، فلا بد من ان نحرص كل الحرص على نشر آثارنا الفكريه بين الامم الحية .. فهل من مستجيب ؟ . ■●

الكويت — عبد الرزاق البصير


بقلم فلان
هل تستطيع أن تعرف الكاتب من قلمه ؟
كذاب ..... بريشتي أنا..!!
بريشة بهجت



الاجهاد والتوتر

عدوان للحياة !

بقلم : الدكتور عبدالمحسن صالح

الانسان ليس حيوان تجارب، ومع ذلك فقد وضعته مدنيته الحديثة في اقفاص ليمر بتجارب كثيرة ومتنوعة ثم لتظهر عليه بعد ذلك اعراض لم يعرفها اجداده من قديم الزمن .. فكانما الانسان قد اصبح حيوان تجارب دون ان يدرى !

الارتفاع المطرد للانهيارات العصبية ، والاجهادات النفسية ، والذبحات الصدرية، والازمات القلبية، والقرح والتمرد ، وما شابه ذلك من امراض المدنية انما هى انعكاس لعوامل كثيرة تتسلط على الانسان في قفصه الذهبى الذى دخله دون ان يدرى !

والعلماء يرقبون من قريب او بعيد هذا « الحيوان » الذى في القفص ، ويسجلون عليه كثيرا من الاعراض ، ويشيرون من طرف خفى الى ان حياة الانسان الحالية يخيم عليها التوتر والاجهاد ، وهذا من شانه ان يؤدى الى بعض الامراض ، وقد تكون تلك الامراض من الخطورة بمكان ، لكنهم مع ذلك لا يستطيعون - اى العلماء - ان يؤكدوا شيئا الا اذا تقدموا ببحوثهم المدعمة بالتجارب ، علها تحقق نظرياتهم !

لكن الانسان - كما ذكرنا - ليس حيوان تجارب ، ولهذا لجا العلماء الى الحيوان الاصيل ، ووضعوه تحت حالات من التوتر العصبى ، او الاجهاد النفسي ، واخلوا يسجلون ما يمكن ان تتمخض عنه هذه الحالات من اعراض لهم فيها تفسير وتاويل !

وكان « بوريس » ضيف احد المؤتمرات العلمية التي انعقدت خصيصا لتداول موضوع من اهم موضوعات عصرنا الحديث ، وهو بالتحديد



على وجوههم تظهر علامات الحزن

« المجتمع والاجهاد والمرض » ـ وقد عقد هذا المؤتمر منذ سنوات قليلة بالسويد ، وتحدث فيه العالمان الروسيان لابين وشيركوفيتش بشيء من الحزن عما اصاب بوريس !

لقد كان بوريس قردا مهيبا وقويا وعزيزا في قومه .. فاذا سار انسحب له القرود الاخرى الطريق ، واذا القى اليه الطعام ، لم يستطع احد من قومه ان يقرب طعامه ، اللهم الا اذا شبع وترك لهم ما عافته نفسه ، ثم ان احدا من القرود الذكور الشابة لا يجرؤ ان يغازل انثى امامه ، فلقد كان بوريس هو زعيم قومه البالغ عددهم اربعين قردا والقاطنين في مستعمرة قرب مباني الجامعة .

وجاء العالمان الروسيان ، واخذا بوريس وعزلاه عن بقية القرود بحاجز ، وبحيث يرى كل القرود وهي تمرح وتلعب وتغازل « حريمه » ، صحيح انه كان يثور ويغضب ، لكنه لا يستطيع ان يتدخل كما كان يعمل قبل ذلك .. فماذا كانت النتيجة ؟

يقول العالمان الروسيان : ان الوضع الذي اصبح عليه القرد قد اصابه بحالة من العصبية والتوتر ، لكن ذلك قد ادى فيما بعد الى ارتفاع ضغط دمه بمعدلات عالية ، ثم الى اضطراب في قلبه ، وبعد شهور من هذه التجربة اصيب بازمة قلبية انتقل بها الى رحمة مولاه ! .. وتكررت التجارب مع قرود وحيوانات اخرى ، فادت الى نفس المأساة !

الفئران والانسان

على ان هناك تجربة ...
يذكرها لنا ...
« بيولوجيا ...
الى ان الطب ...



دكتور بونفيلز كان قد صور فيلمــا علميا عن الفئران التي وضعها تحت حالات من التوتر والاجهاد ، لتثبت ان ذلك قد يؤدي الى ظهور قرحات المعدة ، فكان ان منعها من الحركة بحرية في اقفاصها ، فظهرت فيهــا بالفعل بعض القرح ، وعندما وصــل بونفيلز الى باريس مع زملائه ، ليعرض هــذا الفيلم في الجامعة ، وجــدوا امامهم رتلا من السيارات التي تتحرك ببطء شديد ، او تتوقف اكثر مما تتحرك ، فانتابهم عصبية وقلــق ، وعندما وصلوا الى ساحة الجامعــة ، وجدوا تكدسا طلابيا واضرابا ، وعندئذ نظروا بحسرة الى بعضهم البعض ، وكانما لسان حالهم يقول : جئنا نثبت نظريتنا على الفئران ، وها نحن نراها تتكرر امامنا على الانسان !

اى كانما الزحام والحد من الحرية في الحركة والعمل ، وما يؤدي اليه ذلك من توتر عصبي ، واجهاد نفسي ، ربما كان من اسباب بعض الامراض التي تصيب الانسان ـ خاصة في المدن المزدحمة .. فما يجري على الحيوان يجري على الانسان ، لان اسس الحياة واحدة ، والتفاعلات الكيميائية واحدة ، والعمليات الحيوية متشابهة .. الخ .

ومع هذا ، فالانسان يختلف بطبيعة الحال عن الحيوان في الاحاسيس والشعور والادراك ومجابهة متطلبات الحياة ، وما فيها من ضغوط حسية وجسدية ومعنوية ، وما يقابله من انفعالات يومية بحكم عمله واحتكاكه بمن حوله ، وطبيعي ان الانسان كلما جابه مزيدا من ضغوط الحياة زادت انفعالاته ، « واحترق » دمه ـ على حد تعبير عامة الناس ، وهو تعبير يحمل بعض الحقيقة ، لان الانفعالات يؤدي الى اطلاق جيوش من الهرمونات في تيارات الدم ، فتؤدي هذه الــى اثارة الاعضاء ، ووضعها تحت اجهاد ، وهذا قد يسبب كثيرا من الامراض التي يعاني منها الانسان .. والحيوان ايضا .

اذن فالانفعال والتوتر والاجهاد قد اصبحت جزءا من حياتنا اليومية ، وهي ـ بلا شك ـ بمثابة وباء يهدد جهازنا العصبي ، فتؤدي الى اضطرابات نفسية وعضوية .. الا اننا نختلف فيما بيننا في مجابهة هذا التهديد ، فمنا من يستطيع ان يخلق هامة للعاصفة ويتخلص بذلك من مسببات الانفعال وما يصاحبه من توتر واجهاد ، ومنا من لا يستطيع ، او ما بين ذلك يكون شأن الاخرين .. ولهذا ينصح بعض العلماء والاطباء ان للاجهاد حدا لا يجب ان يتعداه .. صحيح ان احــدا لا يستطيع ـ في وقتنا الحاضر وفــي مدننا المزدحمة والمتصارعة ـ ان يتجنب التوتر ، لكن عليه الا يتحمله الا بالنسبة المناسبة ، وبالنمط المناسب ، ولفترة مناسبة ، حتى لا يتحول الى محنة او خطر حقيقي ـ على حد ما يقول كل من ادوارد جوبر وولفريد سايون ، وبربارا كولي في كتابهم « الصحة من اجل حياة افضل » .

والواقع ان اسباب الاجهاد او التوتر كثيرة ومتنوعة ، فالاصابات البكتيرية والفيروسية ، والتعرض للبرودة او الحرارة لفترات طويلة ، ومجابهة المصائب والحوادث ، والافلاس والحزن والضوضاء والاحساس بالكراهية من الاخرين ، وضغوط العمل والحياة ، او الفشل فيهما ، وغير ذلك من اسباب ، قد يؤدي الى الانهيار والمرض .

ومجابهة ضغوط الحياة يعتمد الى حد كبير على نوعية الانسان ذاته ، وعلى مركزه الاجتماعي وعمره وجنسه (اى ذكر او انثى) وحالته المالية وشخصيته ومقاومته لظروف الحياة ونوعية البيئة التي يعيش فيها وقدراته الصحية .. الخ .

شحنة يجب تفريغها

ومع كل هذه الظواهر المخيفة ،

ومع تعرضنا جميعا للانفعال والاجهاد والتوتر ، الا ان اجسامنا قد امتلكت مكانيكية بيولوجية رائعة لتستخدمها كوثيقة تامين ضد الاجهاد ، وهذه الوثيقة صالحة ايضا في عالم الحيوانات الثديية او ما دون ذلك .

فبعض علماء الطب النفسي يقولون. ان سبب اصابة القرد بوريس بازمة قلبية لم يكن مردها الى فقد سلطانه او عزله ، بل يرجع ذلك الى عدم استطاعته « التنفيس » عن نفسه ـ كما تقول العامة ، اى كانما جسمه قد شحن ليؤدى شيئا تفرغ فيه شحنه ، وعندما لم يستطع تفريغها، اثر ذلك ـ على المدى الطويل ـ في ضغطه وقلبه .. فكل القرود السادة في مجتمعاتها تعتزل السيادة مرغمة عندما يتقدم بها العمر ، ويحل محلها الاقوياء للزعامة ، وقد يبقى القرد المعزول سنين طويلة وهو فاقد لسلطته، فينزوى في موقع لا يحسد عليه ، ومع ذلك لا يصاب الزعماء المعزولون بازمات قلبية .. ذلك انها قبل ان تعتزل كان لا بد ان تدخل مع القرود التى تطلب الزعامة في معركة او معارك فاصلة، وعندما يفرغ الزعيم منها شحنته في المعركة ، ويعود كل شيء الى طبيعته، يحس بان الزمن ليس زمنه ، وعليه ان يترك الزمام لغيره !

لكن .. ما هى هذه الشحنة التى يجب تفريغها ؟ .. وكيف تشتغل تلك الميكانيكية البيولوجية التى تقف معنا كوثيقة تامين ضد الاجهاد ؟

دعنا اولا نتعرض لهذه التجربة العابرة التى قام بها بعض العلماء على احد رواد الفضاء، فبينما هذا الرائد الفضائى مشدود الى كرسيه على آلة جهاز الطرد المركزى في انتظار تشغيله، بغرض معرفة اثر الجاذبية القوية على جسمه ، بينما هو كذلك ، القطت اذنه تعليقا ساخرا ، فظن ان هذا التعليق يمسه ، وفى لحظة خاطفة

سجلت الاجهزة ...
ضغطه من ١٢٠/٢٠ الى ...
اى زيادة تقدر بحوالى ...

لكن الناس يعرفون ـ من خلال تعدد الاثارة التى مروا بها ـ كيف يتأثر الجسم لكلمة نابية، او حادثة مفاجئة، او سماع خبر مفجع ، او اهانة من رئيس في العمل ، او ثعبان في الفراش يزحف ، او هدف كرة في ملعب ، او اى امر آخر من الامور التى تسبب الانفعال والفزع والتوتر ، وعندئذ يحسون ان القلوب تقف تنبض ، وان العرق قد يتصبب ، وان الانفاس قد تلهث ، وان الوجه قد يحمر خجلا ، او قد يمتقع اللون خوفا .. كل هذا وغيره علامات على استجابة الجسم لاى عامل من العوامل الخارجية التى تتسلط علينا ليل نهار ، ولا بد ان يبدأ بما يشبه الانذار ، لينتهى على خير ، او قد تعقبها بعض الاضرار .. او قد يكون الخبر او المنظر بالغ القسوة ، فتحدث صدمة تؤدى الى الموت !

فالحواس تلتقط احداث عالمنا ، وبسرعة تنقلها الى امخاخنا ، وفى غمضة عين تحل شفرة الاشارات الواصلة اليها ، وبطريقتها الخاصة تحول ذلك الى منطقة صغيرة في قاع المخ يطلق عليها اسم تحت المهاد ، او تحت سرير المخ ، فتترجم ما وصلها الى نبضات عصبية كيميائية ، وتبعث معلوماتها بعد ذلك في غدة صغيرة من خلال « خط » عصبى مباشر بين بينهما ، وغدتنا تلك تعرف باسم الغدة النخامية ، وهى دائما جاهزة بجيش كامل من هرموناتها ...
في الغدد الاخرى ، وتحثها ...
لتجهز الجسم للحالة ...
اصابة فاثارة ...
تقع فوق الكلية ...
الكظرية او الا...
عن الرازعدة



القرد بوريس وهو يصرخ منفعلا ، أو يجلس متوترا، دون أن يفرغ كبته ، فودع الحياة وانتقل الى رحمة مولاه !



الانسان القلق في تأهب وصراع مع الحياة ، ولكل شيء ثمن !

اقفاص الانسان التي يمارس فيها الحياة والزحام والاحتكاك والقلق .. فما الثمن ؟ (انظر المقال).
على وجوههم تظهر علامات الخوف أو الفزع أو التوتر .. وما في داخلهم أشد !





الادرينالين الذى يؤثر على القلب ، فيجعله يدفع مزيدا من الدم ، ويؤثر على البشرة ،فيسحب منهامعظم دمائها (ولهذا يمتقع لون الوجه) ، ويوجهه الى العضلات ، فيجهزها بمزيد من الغذاء والاوكسجين ، فربما تدخل في معركة ، والمعركة تحتاج الى طاقةزائده او ربما تطلق ساقيها للريح هربا من خطر غير محتمل ،والهرب ايضا يحتاج الى طاقة زائدة ، وتوليد مزيد من الطاقة يستلزم اوكسجينا ، فيشتغل الرئتان اسرع ، ولهذا نشعر بان نفسنا قد بدأ يرتفع مع ارتفاع نبضنا .. وبالاختصار نقول ان الجسم قد حلت به « تعبئة عامة » على وجه السرعة ، وكانما صفارات انذار كيميائية وعصبية وهرمونيه قد انطلقت في لحظه خاطفه ، لتجهز الجسم لمؤثرات عالمنا التي نصفها نحن بالاجهاد والقلق والخوف والتوتر وضغوط الحياة وما شابه ذلك .

كلما زادت ضغوط الحياة

وطبيعي انه كلما زادت ضغوط الحياة وطالت ، استمرت هذه الانذارات الكيميائية والعصبية تدق في جسم الانسان دون ضابط او رابط وهذا من شانه ان يخل بنوع من التوازن البديع الذى جاءت به اجسامنا لتعيش حياة متوازنة كذلك ، والخلل في الموازين يعني اضطرابا ، والاضطراب في الاعضاء يعني مرضا ، وللمرض صور شتى ، ومن صوره ارتفاع ضغط الدم ، واضطراب في الهضم ، وقرح في المعدة والاثنى عشر ، واحيانا قد يحدث تهيج في البشرة ، وقد ينتهي كل هذا بازمة قلبية تختلف شدتها باختلاف المؤثرات التي تسلط على الانسان والحيوان .

لكن .. ما فائدة هذه الوظيفه البيولوجية التي ذكرنا انها تؤمن حياتنا ضد تلك الاخطار ، وها نحن نراها وقد تخلت عن رسالتها ، فيؤدى ذلك الى الانهيار او الازمات ؟

الواقع ان لكل شيء في الكون والحياة طاقة محدودة ، فاذا زادت الامور عن حدودها ، فقد تنقلب الى اضدادها .. والجسم الحي ليس بمستثنى ولا خارج على تلك الحدود ، فكانما خلاياه هنا بمثابة جيش هائل في حالة تاهب دائم ، وكثيرا ما تاتيه الانذارات بتوقع هجوم مفاجيء ، فيعلن حالة الاستعداد القصوى ، ثم لا يجد ما يستحق ان يفرغ فيه ما استعد له ، وطبيعي ان الحال لو استمر على ذلك زمنا ، فهذا كفيل بتمرد الجيش على الوضع القائم ، وقد ياتي بامر فيه ضرر بالغ ، وهذا الضرر بالنسبة للجسم الحي مرضى ،

او هي كما يصفها لنا عالم الفسيولوجيا ديفيد هامبورج « ان الكائن البشرى المعاصر كثيرا ما يؤهل نفسه لتحريك جسمه لعمل شيء ، ثم ينتهي ذلك الى اللاشيء .. انه استعداد للفعل ، ولا فعل » !

او كانما انت تدوس على البنزين ، وفي الوقت ذاته تدوس على الفرامل .. صحيح ان الامور قد تستمر على ذلك زمنا ، لكن لابد ان ينهار شيء في السيارة ، وكذلك يكون الحال مع الانسان والحيوان ..وطبيعي ان احدا لا يستطيع ان ينكر ان المدنية الحديثة بقيودها وتعقدها ومتطلباتها وصراعها هي بمثابة الفرامل او اللجام الذى



يكبل الفرس ـ نعني الانسان ـ عن العوده الى الحياة الطبيعية التي ارتضتهـا الكائنات الحية سبيلا ، فالانسان في مدينته ، كالحيوان في قفصه ، ولا شك ان حيوانات الاقفاص تختلف في امور كثيرة عن الحيوانات المتحررة الطليقة ، اذ غالبا ما تنهار الاولى وتموت ، واحيانا ما تتمرد وقد تقتل ، وكذلك الانسان، فقد نرى ذلك في اضرابات جماعية قد تتخذ مظاهر العنف والتدمير ، او نراها في مزيد من الامراض والازمات التي تزيد بمزيد التقدم والمدنية !

على اننا اذا تركنا ظاهر الامور ، ونظرنا الى بعض بواطنها ، لرأينا الجسم الحي وهو يحاول ان يعيد كل شيء الى توازنه الطبيعي ، ولنتصور ان انسانا حساسا واقع تحت مؤثرات جسدية او نفسية، وبحيث تؤدي هذه المؤثرات الى جعل الجسم في حالة استعداد دائم (او حتى متقطع) بهرموناته واوكسيجينه وسكرياته وكل ما يؤهله لطاقة زائدة يدخل بها صراعا او معركة او يكبح بها جماحه .. الخ ثم اذ بهذه الجيوش من المركبات لا تستهلك في الغرض الذي تحركت من اجله (وهو ما يعبر عنه عامة الناس « بحبس » الدم ـ كان « يحبس » رئيس دم مرؤوسه ، اى يضعه تحت اجهاد دون ان يستطيع المرؤوس ان يتمرد او يفعل شيئا ليستهلك فيه تعبئته الجسدية) ، وطبيعي انها لا يمكن ان تبقى هكذا ، فبعد زمن يطول او يقصر لابد ان تختفي ، ليعود الجسم الى معدلاته الطبيعية ، فيتخلص منها بعمليات كيميائية يطول شرحها ، وطبيعي ان لكل عملية نواتج ، ومن

سوائب الا...
الكولسترول ...
وهذا يؤدي الى ...
وتصلبها ، وفي الوقت ...
سطوحها غير ناعمه ولا مستويه ... هذه الترسبات الكلسانيه الحويه تصبح على الاوعيه الدمويه كالطبقات .

وقد تكون عليها الجلطات ، وقد تنمو هذه فتسد شريانا من شرايين القلب، فتحدث الازمات او الموت .. ولهذا ، فان لكل فعل ، رد فعل .. لاتختلف هذا الآلات عن الكائنات !

ان الاحصائيات الطبيه تشير الى حقيقه واحده : ان الزياده المطرده في التقدم الصناعي ، تقابلها زياده مطرده في بعض امراض العصر الحديث وعلى راسها ضغط الدم وتصلب الشرايين والقرح والانهيارات العصبيه ، والازمات القلبيه ، ثم ان معدل هذه الامراض تنخفض انخفاضا ملحوظا في المجتمعات البدائيه او غير الصناعيه .. فساكنو الغابات مثلا لا يصابون بهذه الامراض كما يصاب بها اهل الريف ، كما ان معدل الاصابه بها عند اهل الريف اقل من ساكني المدن ، وكلما زادت المدن ازدحاما وضوضاء وتلوثا وصراعا ، كان نصيبها من الامراض اكبر ، ومن الازمات اكثر !

فهل نستطيع ان نعزل انفسنا عن المؤثرات والاجهادات التي نقابلها في حياتنا العصريه المتشابكه والمعقده؟

لست ادرى، ولعلك تدرى ، فالعصر جذاب، ومن الجاذبيه ما قتل ! ■■

د. عبد المحسن صالح
الاسكندرية



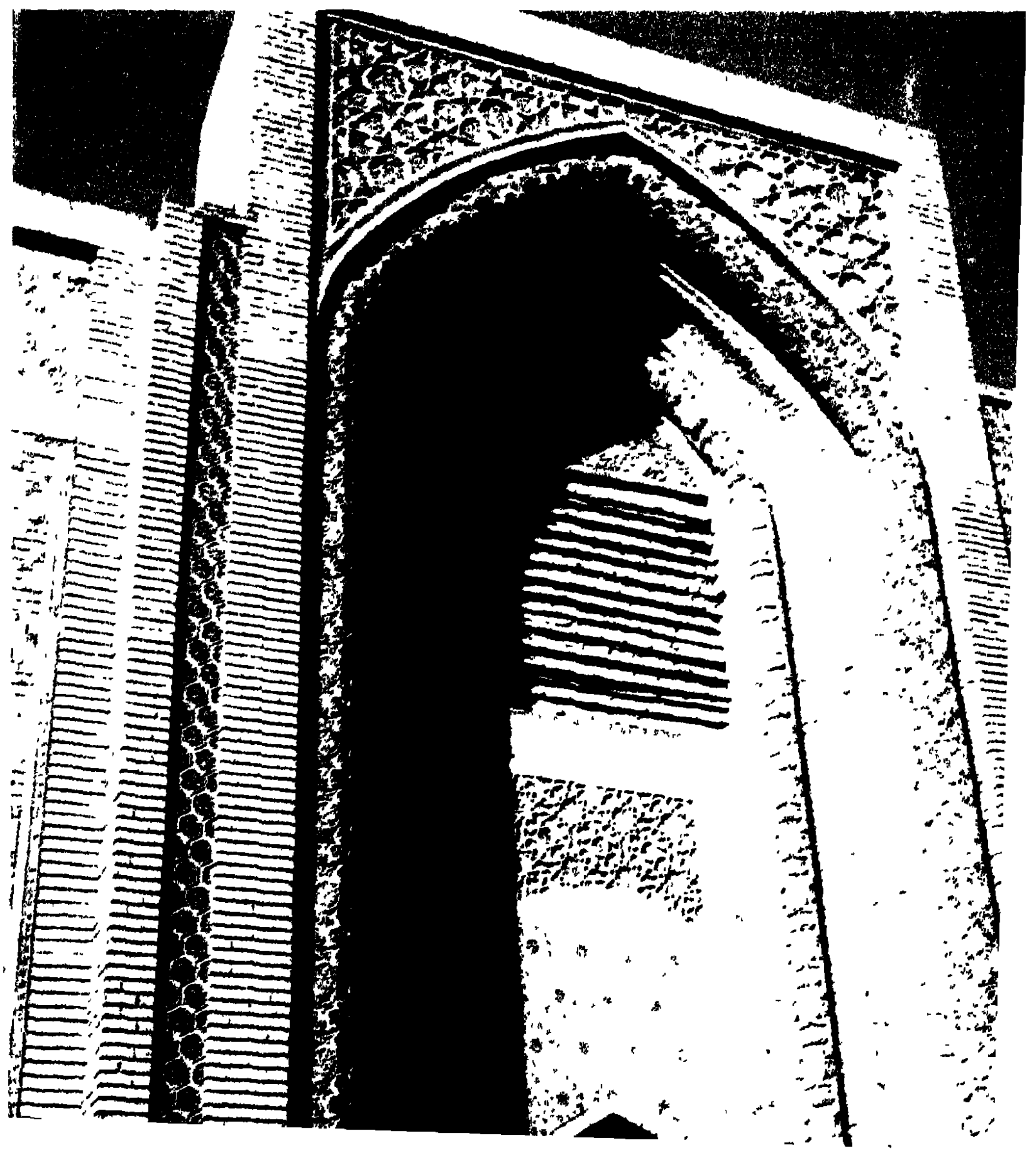


بغداد العباسية

تمثال نصفى لأبى جعفر المنصور مؤسس بغداد ·

رحلة فى المكان والزمان

استطلاع بقلم : مصطفى نبيل   تصوير : عبدالناصر شقره



بوابة المدرسة المستنصرية وتبدو زخارفها فى التكسية الاجرية . وهى أقدم مكتبة (٨٠ الف مجلد) واقدم جامعة ، شيدت عام ٦٣١ هـ دمرها التتار ·

عقود الرواق للساحة الوسطى للقصر العباسى المكونة من عناصر هندسية ونباتية ، اقيمت فى عهد الناصر لدين الله العباسى (٥٧ - ٦٢٢ هـ)



● نهبط الان في مطار بغداد الدولي ··« على المسافرين ربط احزمة المقاعد والامتناع عـن التدخين ·· » هذا ما اعلنته بالفعل مضيفة الطائرة، ولكن مالبثت الطائرة ان دارت دورتين واوضح قائدها انه قد داهمت بغداد عاصفة ترابية يتعذر معها هبوط الطائرة ، ورجعنا الى مطار الكويت في انتظار نهاية العاصفة ، وفي نهاية ١٢ ساعة شاقة وصلنا الى بغداد ··

كانت هذه بداية «عاصفة» لرحلة بغداد ،وليست البدايات دائما مثل النهايات ، عشت تجربة بغداد المعاصرة وغصت في بغداد التاريخ ، التي كانت عاصمة الدولة الاسلامية العظمى ، والتي كان لها دور متميز في الحضارة العربية ، والتـي استمرت في العصور المظلمة مستودع البقية الباقية من حضارة الاسلام ·

★ ★ ★

منذ لحظة وصولي الـى بغداد شاهدت حركـة تغيير واسعة ، فانت امام مدينة ترتدي ثوبا جديدا· ورشة عمل في كل مكان ، شوارع جديدة وانفاق وجسور ومبان حكومية على الطراز العربـي واحياء جديدة بمراكزها التجارية تزحف خـارج بغداد القديمة ، وانعشني ذلك الاتساع في الرقعة الخضراء ونمو الحدائق العامة وحركة التشجير المستمر مع امتداد العاصمة امتدادا دائريا لم يكن متوقعا لتستوعب افواج المهاجرين القادمين من الريف بحثا عن العمل في المشاريع الجديدة ··

وفي غمرة حركة التشييد والبناء استمرت صورة بغداد التاريخ هاديا ومحركا ، وانعكس ذلك على المشاريع التي تحافظ على طعمها الخاص وشخصيتها المميزة · وفي كل زيارة طيلة سنوات وسنوات، اتجول في شوارعها الجديدة وازقتها وعلى ضفافي نهرها، ابحث عن معالم العمارة والشخصية العربية التي شهدت اوج ازدهارها هنا ··

وبغداد من اقدم المدن العربية واغناها بالتاريخ واميزها بشخصية نفاذة ، وهي احدى العواصـم العربية التي تجمع بين النهر والنفط ، بين الزراعة والصناعة ، بين الحضر والبادية ، مما وضعها امام مستقبل بلا حدود ، وتستمد نكهتها الخاصة من نهر دجلة الذي يتلوى ليقسمها ويجعلها مدينة ضفتين تربطهما الجسور المتعددة ، واحتفت بغداد بالنهر فاعدت له المشاريع ·

وبعد النهر والنفط ياتي موقعها الفريد الذي تكشفه الجغرافيا ويؤكده التاريخ ، فبغداد بؤرة العراق تتوسط الشمال والجنوب ، وهي افضل منطقة للعبور بين البحر المتوسط وايران ، وتتوسط ايضـا الشرق والغـرب فتقـع على « خاصـرة » الرافدين ،مع جنوح نحو الشرق ، وهي قلـب التجمع السكانـي او كمـا قيـل « شمس وسط اقمارها » فتقف بين كفتين ممسكة بالتوازن العمراني، وهي من اكبر عواصم العرب سكانا فيبلغ تعدادهم الاخير ثلاثة ملايين نسمة اى ما يعادل ربع سكان العراق ··

ويؤكد شخصيتها انها عاصمة « دولة تخوم » عربيه ، كانت مسرحا لصراع حضاري جبار ، فعلى ارض العراق تحددت نتائج معارك تاريخية كبرى،وبقي التاريخ له اهتمام ومغزى خاص لدى سكان بغداد. فما زالت حـلاوة انتصـاراته في حلوقهم ومرارة هزائمه في قلوبهم ··

وتشهد بغداد حوارا صامتا وصاخبا بين القديم والحديث يشترك فيه الحجر والبشر ، تقف الاحياء القديمة الى جوار الاحياء الحديثة ، والاسواق التقليدية الى جوار الاسواق المعاصرة ، ويشارك في هذا الحوار الدائر الفنان التشكيلي بريشته وازميله بعد أن حقق نجاحا ملحوظا في مزج الاصالة بالمعاصرة ، فاستوحى من التراث اغلب أعماله ، واختار لحظات بغداد التاريخية وشخصياتها وقصصها مادة لاعماله ، فعكس التعلـق بمراحـل التالـق التاريخي ، ونقل اعماله من القصور الى الشوارع والحدائق والميادين وعلى ضفاف نهر دجلة ·

وخلال جولة سريعة في بغداد ··تظهر معالم التغيير·

الف في شارع « ابو نواس »على نهر دجلة رئة الحي التجاري المكتظ بالسكان ، بين الشارع والنهر رقعة خضراء تنتشر فيها المقاهي والكازينوهات التي تقدم لروادها المشروبات المختلفة والسمـك «المسجوف »اكلة بغداد الشهيرة ، وتنتشر علـى ضفة النهر اعمال الفنانين التشكيليين : الشاعر العربي ابو نواس الذي ارتبط اسمه وشعره بليالي بغداد يمسك في استرخاء كاسه بيده ، والـى جانبه رمز اشهر رواية عربية « الف ليلة وليلة » تمثال لشهريار وشهرزاد يتسامران ؟·

في هذا المكان يتزاحم سكان بغداد وزوارها عند الغروب ··

وفي مواقع اخرى من بغداد تعف تماثيل الكندي والمتنبي والجاحظ وابن سينا والفارابي والرازي، وكل مفكري الدولة العباسية ، ينظرون الى المدينة الصاخبة ، من خلال اعمال فنية متقنة ٠

قصة بناء بغداد

ووقفت امام تمثال نصفي ضخم في احد الميادين المحيطة بحديقة الزوراء ، وهو تمثال أبي جعفر المنصور مؤسس بغداد ٠ وهذا التمثال يحكي في صمته قصة بناء بغداد ، قصة العنفوان الحضاري عندما ينعكس في احتيار موقعها ، تلك الخبرة الإنسانية المتراكمة لدى العرب وهي بداية الارض الصلبة بين مسطحات ما بين النهرين الرخوة مما جعلها تستغل النهر كطريق متحرك وكشارع رئيسي تحاول كل المدينة أن تطل عليه ٠٠

وتروى كتب التاريخ كيف تفقد ثاني الخلفاء العباسيين المواضع المقترحة لعاصمة الدولة الجديدة ، بعد أنبعث الرواد ليرتادوا مكانا وصفه وحدده لهم : «بان يكون رافقا بالعامة والجند ، موقعا ترتفق به الرعية ويوافقها ولا تغلو عليهافيه الاسعار ولا تشتد فيه المؤونة ، فاني ان اقمت في موضع لا يجلب اليه من البر والبحر غلت الاسعار وقلت المادة واشتدت المؤونة وشق ذلك على الناس ٠٠ »

وبعد معاينة الموضع قال : مررت في طريقي بموضع اجتمعت فيه هذه الخصال فانا راجع اليه وبايت فيه ، فان اجتمع لي ما اريد من طيب الليل فهو موافق لما اريده لي وللناس ٠ » فبات فيهوقال لن معه هـذا موضع ابني فيـه ، تاتيه المادة من الفرات ودجلة ، ولا يحمل الجند والعامة الا مثله ٠٠ ، فانت متوسط للبصرة وواسط والكوفة والسواد كله ، وانت قريبمن البر والبحر والجبل» وهي على الطرقالهامة ٠٠ « سرعه الدنيا كل ما ياتي من الرقة والشام والثغر ومصر والمغرب ، فيها يحط وينزل ٠٠ »

والقصة تحكي عن طراوة جو بغداد في الصيف والشتاء وفي الليل والنهار ، وهو غير قائم الان، فبغداد شديدة الحرارة في الصيف وقارسة البرد في الشتاء ٠٠

ويبدو ان الطقس مثل الحياة كلها دول !

والنكـ ...

احميازها رسمه ...

المرة في السمى و ...

وسحيك الآلاب من انصين في ... سروم ،

وانــ ... أنهار لا يصس عدوك لا ... او

لطرة ، فاذ لطعت لا يصز عدوك ٠٠

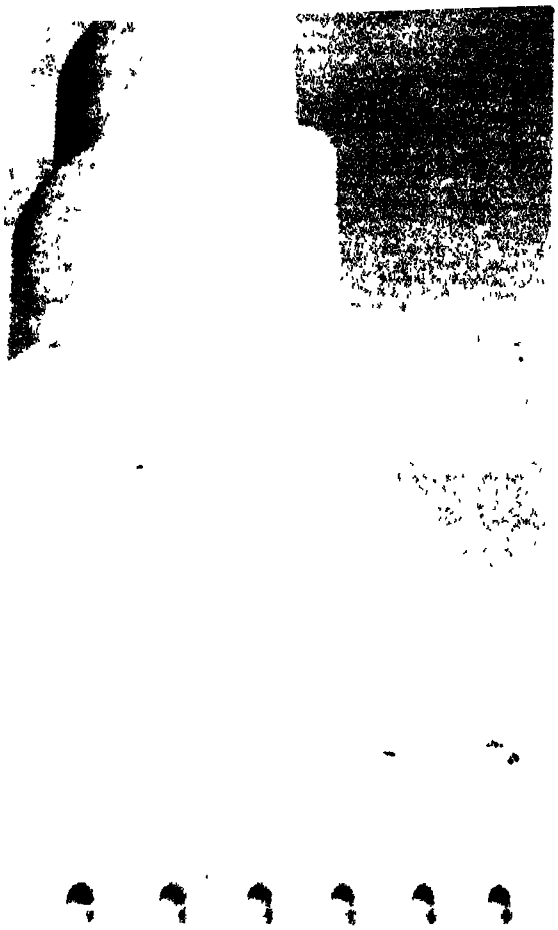
وحابـبغداد متكرةوفريدة فيعصرها،وقدم اليها ، كل مر يفهم شيئا في البناء ، من كل ارجاء العالم الاسلامي ، وطلب المنصور أن يرى المدينة كيف تكون ٠٠ ؟ فخطت له بخطوط هندسية ووضع على هذه الخطوط حب القطن وصب عليه نفط توقد فيه النار ، فتاملها والنار فيها فتفهمها وعرف رسمها ٠ واختار الخليفة جماعة منالخبراء منهم الامام ابو حنيفةبنالنعمان ليشرفعلىالبناء

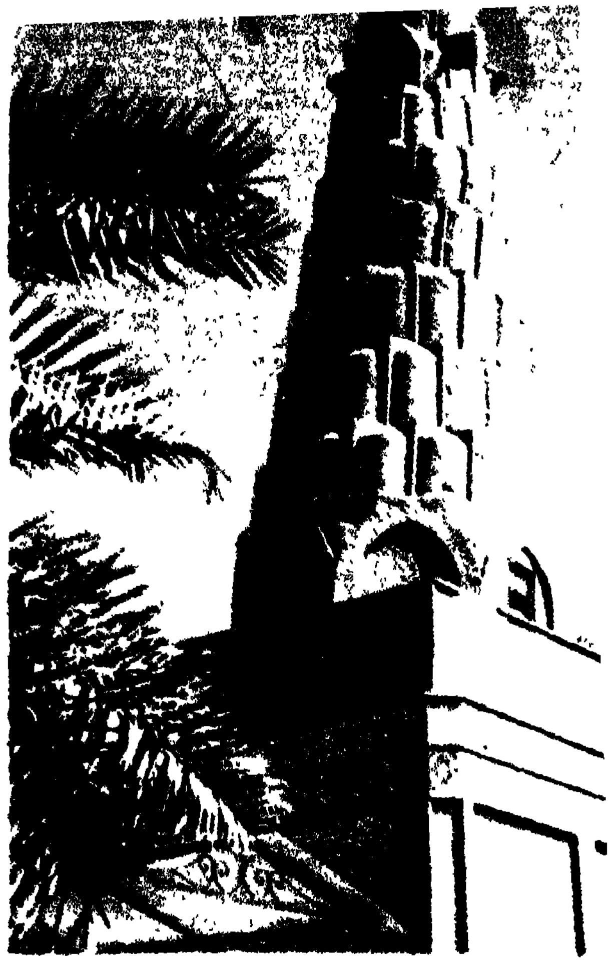
وبنيت على شكل دائرة يتوسطها قصر الخليفة والجامع ،تحيط به قصور القادة ورجال الدولة ، وكانت حصنا جبارا وقلعة ذلك الزمان ، وجعل لها أربعة أبواب كبار كل بابين متقابلان والطريق بينهما يقسم المدينة قسمين ، اذا ماجاءها قادم من المشرق دخل من باب خراسان ومن الحجاز دخل من باب الكوفة واذا جاء من الغرب دخل من باب الشام واذا جاء من فارس والبصرة والبحرين دخل من باب البصرة ، وبنى للمدينة سورين تفصل بينهما ارض خالية للدفاع ، واحد السورين أعلى من الآخر بما يقارب النصف ، وعرض السور لدى قاعدته عشرة امتار ، وحول السور ١١٣ برجا للمراقبة والحراسة ، ولم يكتف بذلك بل حفر حول المدينة خندقا عريضا عميقا وأجرى فيه الماء من قناة ، وجعل للابواب الاربعة دهاليز اربعة ، وللاسوار اربعةأبواب مضاعفة منالحديد ، ويلاحظ ان هذه الابواب تفردت بظاهرة معمارية هامة هي الازورار ٠ فكان الداخل من الباب الخارجي لا يدخل مباشرة الى المدينة ولكن ينحني الى اليسار في دهليز يفضي الى الباب التالي وزاد على ذلك حفر نفق يمتد تحت الار... ... المدينة اعده في حالة ...

ذلك لمدينة ...

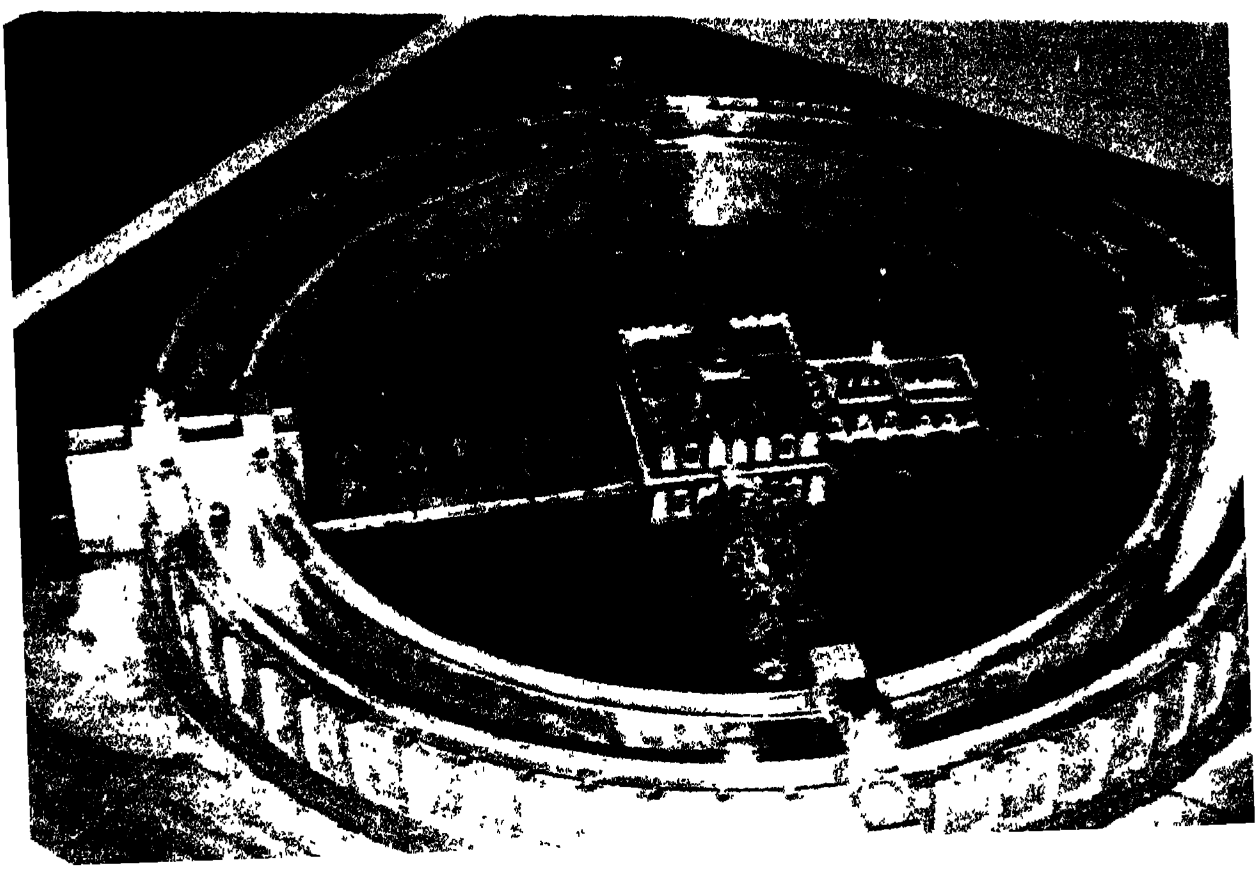
بنيت مدورة ...

موضع ...





قبة مرقد الشيخ عمر السهروردي من أقدم جوامع بغداد . شيدت عام ٦٣٢ هـ على طراز القباب السلجوقية · (الى اليمين أعلا) ، ومنارة الملوية في الجامع الكبير في سامراء شيدها المعتصم عام ٢٢١ هـ . يبلغ ارتفاعها ١٧٠ قدم ، على نمس نمطها جامع ابي دلف وجامع ابن طولون في القاهرة · (الى أعلا) ، و « ماكيت » بغداد المدورة يتوسطه القصر والجامع وحولهما السور وبوابات بغداد الاربعة . صنعت من الفضة والذهب الخالص · (الى أسفل)





لوحة جدارية داخل مسجد يونس تحكي قصة يونس والحوت. ويقع على النهر في الكوفة وهو مسجد للنساء فقط.

سوق الشورجة والمحلات المتخصصة بالشمع والعطارة.



لازورارهـا عن القبلة . والمدورة لاستدارتهـا ، والروحاء لطيب هوائها • ولكن الاسم الذى بقى على كل لسان هو بغداد ••

ونعود من الزمان الى المكان ، ومن التاريخ الى الحاضر ، الى شوارع بغداد ••

نعود الى شارع السعدون ، الشارع التجارى فى قلب العاصمة والذى امتلأ بالعمارات الجديدة والعصرية وازدحم بالفنـادق بعد ان لم يكن به سوى فندق واحد من فنادق الدرجة الاولى هو فندق بغداد . فى أحد الميادين تمثال جميل « لمرجانة جارية على بابا » وهى تصب الزيت على رؤوس اللصوص فى الجرار فى تشكيل بديع مستوحى من القصة المشهورة ••

وهكذا تنتشر أعمال الفنان العراقى ، الذى زين بغداد كما لم تزين عاصمة عربية أخرى •

النفاذ الى التاريخ

وجولة أخرى فى الاحياء القديمة المكتظة مثل الكاظميـة والاعظمية والاسواق التقليدية كسوق الشورجة تكمل صورة بغداد • انها أسواق تشبه العديد من الاسواق العربية : سوق الحميدية فى دمشق وخان الخليلى فى القاهرة. وفى هذه الاحياء تقف المبانى العتيقة محتفظة بارادة تاريخية لا تقهر، المساجد البغدادية المميزة • شارع الرشيد أهم شوارع بغداد التاريخية ، التاريخ القديم والحديث معا ،بأهم الاثار التاريخية العباسية والتى أبرزها المدرسة المستنصرية فى سوق الصفافير ، والقصر العباسى الملاصق لوزارة الدفاع، والبيوت البغدادية القديمة المنتشرة والمتهالكة ••

وهنا جامع الحيدرخانة أحد معاقل الحركة الوطنية العراقيـة • وهو الذى شهد مواكب المناضلين والشهـداء منذ ثورة العشرين التى كانت الـرد على اعلان الانتـداب البريطانى بعد أن ساهـم العراقيـون فى القتـال ضد الاتراك ، وبدلا من الحصول على الاستقلال حكمت القوات البريطانية حكما عسكريا قاسيا ••

وتمضى فصول التاريخ وتمر مواكبها بشارع الرشيد وفى اواخر عام ١٩٣٦ يقوم الجيش العراقى بانقلاب وطنى بقيادة بكر صدقى ، والذى لم يكمـل العام ، ويتبعـه رشيد عالـى الكيلانـى رئيس الوزراء بثورة ضد بريطانيا ، وتنزل قوات الاحتلال الى بغداد بعد شهر من اعلان الحرب العالمية الثانية.

ويشهد شارع التاريخ أعنف الثورات واعظمها فى مواجهة معاهدة بورت سموث عام ١٩٤٨ مما أدى الى الغائها •

وتدور دورة تاريخية ويشهد شارع الرشـيد فصلا جديدا بقيام ثورة ١٤ تمـوز ١٩٥٨ التى أنهت الحكم الملكى واخرجت العـراق من حـلف بغداد ، وتوالت الاحداث التى كان محورهـا وزارة الدفاع بشارع الرشيد وشهدت محاولـة اغتيال عبدالكريم قاسم ثم اقصاءه •

هنا يتمكن المواطن من النفاذ الى تاريخه ••

معادلة الاصالة والمعاصرة

تقوم ادارة الحفاظ على التراث بترميم بيت النقيب ، كما تعمل على حصر الدور البغدادية القديمة لصيانتها وترميمها ، فقد نجح المولعون بالتراث والذين يتاملون بشغف بقايا الماضى من انقاذ هذا المبنى من براثن الاهمال ، وفى نفس الوقت استمر النقاش وقال البعض : ان مهابة بغداد القديمة العباسية او العثمانية ليست لها اى علاقة بالمناظر المتنافرة التى نراها فى احيائها القديمة ، ويتساءل البعض الاخر : هل تفرغ هذه الاحياء من سكانها لتتحول الى متاحف ؟ وهـل المطلوب ان يتحول بيت النقيب وخان مرجان الى مطعم سياحى كما يخطط البعض من المهتمين بالسياحة وجذب الاجانب •• ؟! ويستمر الحوار ليتناول مستقبل الاحياء القديمه والمبانى الاثرية•• نفس الحوار فى القاهرة ، ودمشق ، وغيرهما من مـدن العروبة القديمة •

ولكن الحل العملى والغالب هو أن تكون العمارة العربية موصولة بالماضى ، فما ينطبق على الماضى الشامخ والتراث الثقافى ينطبق على البنايـة العتيقة فى وسط حيها ، فمنظر البناية بمعزل عن اطارها الانسانى امر خاطىء ،وانقاذ البناية ينطلق من تطوير الحى باكمله وبعث حياة نشيطة وملائمة من حولها ، فالاصالة ليست تقليد القديم بقدر ما هى البحث والتجديد فى اطار الشخصية الخاصة المميزة ••

ولعل الطريق الصحيح هو السعى الدؤوب للوصول الى « الثوابت » التى تمكن المعمارى من استعمال « المتغيرات » من اجل الحفاظ على الطراز العربى

المميز . فاكتشاف سرقديم وسر استمراريته وبقائه على مر العصور هو الحل العملي لمعادلة الاصالة والمعاصرة . وهو بلا شك يساعد على وقف التشوهات المنتشرة في المدن العربية والناتجة من التناقضات القائمة بين ماض خلاق وحاضر يتسم بالتقليد ..

وفي احد البيوت البغدادية هو بيت السيد زهير اعطيه نموذج لتحقيق تلك المعادلة في استخدامه الرشيق والذكي لهذه « الثوابت » فهو بيت عصري وفي نفس الوقت تفوح منه رائحة الاصالة ..

الانضباط في الشارع البغدادي ..

وبغداد تعاني من الزحام الشديد . والسير فيها لا مثيل له في الفوضى . كل سائق يمشي على هواه ويسرع بشكل طائش . الاف السيارات في الاحياء القديمة وفي شارعي الرشيد والسعدون التي تكاد تختنق . رغم كل محاولات الانضباط وانتشار رجال المرور الذين يتقاضون بصرامة الغرامة من كل من يخالف قواعد المرور . ورغم بداية اقامة الانفاق مع مفترقات الطرق ..

والمحاولة جادة لفرض الانضباط في الشارع البغدادي وتصل الى الحد الذى يقص فيه شعر الشاب اذا تركه مرسلا ..

فمعدل زيادة السكان السريعة في بغداد ادى الى تفاقم مشاكل الخدمات من مشاكل الاسكان الى توفير السلع التموينية . كما ان امتداد بغداد الحديثة لتشكل دائرة قطرها ٣٠ كيلو متر زاد من صعوبة حلها . فما زالت بغداد شبه دائرة تذكرنا بمدينة المنصور المدورة . ويرجع هذا التوسع الافقي والنمو الدائرى الى ان ساكن بغداد يفضل العيش في مسكن خاص بحديقة مستقلة . وكانه الحنين الجارف الى الريف . وفشلت كل محاولات خلق عادة سكن العمارات . ومازالت مشكلة الاسكان حادة . والمواصلات ايضا فتستخدم بغداد الباصات ذات الدورين . وبقيت المشكلة تنتظر مشروع «المترو» ليضع حدا لمشاكل الحركة في عاصمة واسعة الاطراف . ورغم الالتزام الصارم بتحديد الحكومة للاسعار الا ان الاختناقات التموينية تتكرر نتيجة التزايد المستمر لسكان بغداد والقوة الشرائية المتنامية ..

عاصمة الدولة الاعظم

والتاريخ مازال قويا في بغداد المعاصرة . عندما العرب بعد [illegible] وعاصمة [illegible] هنا لنشر [illegible] دولة [illegible] معاصر خمسة قرون خالفة [illegible] نصوص ممنوحة لبعض فصوله . [illegible] هذا التاريخ الذى نعتز به [illegible] من تاريخ العرب وحضارتهم .

فحتى الان عندما نذكر العصر العباسي . يتبادر الى الذهن تلقائيا تلك الصور الشعرية والخيالية لقصص الف ليلة وليلة وصور قيان بغداد . العامرة . والمتعة . وتبقى اضواء الحضارة المزدهرة والعلم والتجارة ودروس السياسة في خلفية الصورة لا يلتفت اليها سوى عدد من المؤرخين والباحثين . ويكفي انه كان ضمن دراستنا في الجامعة تاريخ الفكر السياسي الذى نتتبعه لدى الاغريق والرومان وانتقلنا الى مدارسه ونظرياته الحديثة . ولم يكلف احد نفسه بان يقدم لنا دراسة عن الفكر السياسي في هذه [illegible] الهامة من التاريخ هذه الحقبة التى حق لهم فيها [illegible] بانهم كانوا في تاريخ البشر سيدا مذكورا . في عصر اوسع دولة عربية اسلامية موحدة . واطول مدة عرفتها اسرة في ذلك التاريخ . العصر الذى انتشر فيه العرب في الشرق والغرب فاتحين ومتوطنين . العصر الذى تحولت فيه لغة العرب الى لغة عالمية في الدين والسياسة والعلم والحضارة . والتى كانت فيه وعاء الثقافة الانسانية في ذلك الزمان . والتى ضمت ثقافات جميع الشعوب التى دخلت الاسلام . وكانت العربية هي اداة الوصل بين امهات الكتب القديمة واللغات المعاصرة ..

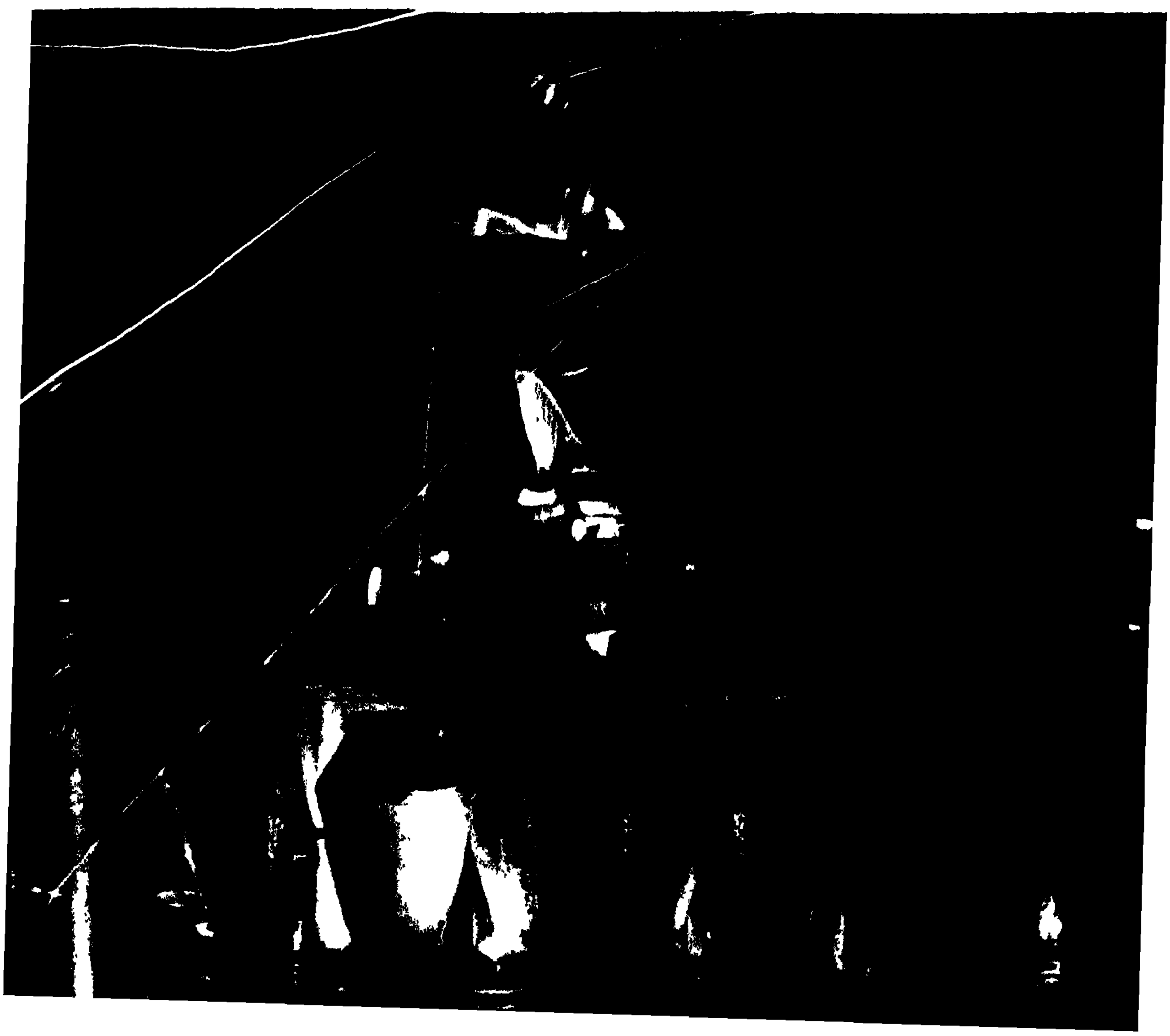
كان على قمة المجتمع الدولي الدولة الاسلامية المسيطرة على مقدرات اكبر عدد من الشعوب . الحضارة العربية الاسلامية [illegible] المهيمنة . تنظم السلم والحرب [illegible] الفكر والفن والانتاج . قدمت للعالم [illegible] في كل جوانب الحياة [illegible] التبت حتى امواج [illegible] الامبراطورية [illegible]

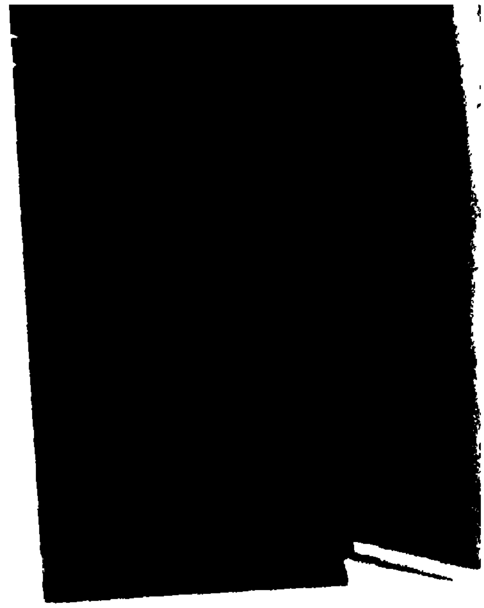
وفي هذه [illegible] والمفاهيم [illegible] الاسلام [illegible] تطبيق [illegible]



شهرزاد وشهريار يتسامران على شاطىء نهر دجلة في شارع أبي نواس · مستوحاة من الف ليلة وليلة ·

مرجانة والعرار صورة تشكيلية في احد ميادين بغداد لقصة علي بابا ···





تمثال ضخم للمارابى ·



المناطق الاثرية ـ أحد الازقـة التى تحتاج الى عناية ·

كل الاحوال قدم العرب تجربة انسانية انعكست على كل شئون الحياة . ففي العصر العباسي الاول عادت المبادىء الاسلاميةفتاكدت من جديد .وتجسدت في مؤسسات عالمية تسودها الشريعة ، وترتع في بحبوحة القوة والثروة والثقافة .

ولم يكن مضى على صدر الاسلام سوى قرن وثلث من الزمان تولى الخلفاء الراشدون فترة تزيد على ربع قرن والامويون قرابة القرن، واستمرت الدولة العباسية خمسة قرون بدأت في القرن الثاني الهجري وانتهت باجتياح هولاكو لبغداد عام ٦٥٦ هـ ـ ١٢٥٨ م ..

والتنقيب في مواقع التاريخ العباسي له مغزى هام اذا تبينا ان العديد من الظواهر التي نحياها تمتد جذورها الى هذه الفتره التاريخية .

وقد تحركت عاصمة الدولة الاسلامية مع تحرك الوسط الجغرافي لها . فمع اتساعها انتقلت من المدينة الى دمشق ثم الى بغداد ،فبعد امتدادالدولة الاسلامية الى المناطق الشرقية في آسيا ، ومع انتقال طرق التجارة العالمية الى العراق كان من الضروري أن تتمدد العاصمة على محور يمتد من خليج البصرة الى الموصل ..

والان .. اين بغداد المنصور والرشيد والمامون .. ؟

لم يبق من بغداد تلك سوى بعض الاثار العباسية ، فاندثرت وضاعت من الزمن مدينة المنصور المدورة ، وقصر الخلد وقصر باب الذهب وجامع المنصور والقبة الخضراء والسور وما احاط به من الدور ..

وبقي يتحدى الزمن القصر العباسي على نهر دجلة جنوب وزارة الدفاع ، بعمارته العربية ونقوشه وايوانه . والذي اقامه الناصر لدين الله العباسي (٥٧٥ ـ ٦٢٢هـ) وكان منذ ثمانية قرون دارا للعلم جمعت فيها الكتب والمخطوطات من كل مكان، والمدرسة المستنصرية التي شهد روافها وقاعاتها ازدهار العلم والمعرفة،والتي افتتحت عام ٦٣١هـ . وبقي من سور بغداد باب واسط (باب خراسان) احد ابواب بغداد القديمة ، ثم منارة جامع الخفافين وهي من اقدم المنائر القائمة ذات القبة «المخروطية» ، ومنها ايضا مقبرة الشيخ السهروردي صاحب الطريقة السهروردية ، وهي من آثار بغداد التي تجذب اليها المهتمين بالعمارة العربية ..

ويرجع دارسو الآثار ندرة لآثار العباسية لتدمير التتار لبغداد ولطبيعة مواد البناء التي اقيمت بها بغداد،فقد كانت من الاجر،وايضا لجو بغداد ورطوبة الارض التي تتلف المواد البنائية ، كما انه كثير ما كان يغرقها فيضان نهر دجلة حتى تم التحكم في تقلبات النهر بانشاء سد الثرثار ، هذا رغم حرص عرب ذلك العصر على اقامة قصور ومساجد تخلد مع الزمن فيذكر الطبري نقلا عن المامون قوله لاحد مهندسيه : « اذا بنيت لي بناء فاجعله ما يعجز عن هدمه ليبقى طلله ورسمه .. »

ونقل عن العرب قولهم : لا شيء ابقى ذكرا من البناء فاتخذوا منه ما يبقى لكم ذكرا ...

ولهذا عاشت آثار سامراء التي كانت عاصمة لثمانية من خلفاء بني العباس ،وبقيت منارة الملوية والمسجد الجامع من اهم الاثار المعمارية للعصر العباسي قائمة تتحدى الزمن ..

بغداد تستقبل سفير الروم ..

* وتتتابع الصور من حياة بغداد العباسية الزمان : احد ايام القرن الرابع الهجري والقرن العاشر الميلادي وبالتحديد سنة ٣٠٥ هـ .

المكان : قصر الخليفة المقتدر بالله . الذي شهد استقبال سفير امبراطور الروم قسطنطين التاسع . اذهل الاستقبال الضيوف ، ففي وسط الحديقة شجره من الفضة وزنها خمسمائة الف درهم وعليها طيور من الفضة تصفر بحركات خاصة . والشجرة وسط بركة مدورة وعلى يمين البركة تماثيل خمسة عشر فارسا لبسوا الديباج ، والشجرة فروعها من فضة واغصانها من الذهب ..

والبحيرة من الزئبق الذي يحمل اربع زوارق مذهبة ، ومحاطة باربعمائة نخلة غطيت جذوعها بخشب الساج المنقوش ..

وفي الحديقة مائة من السباع ، مع كل سبع مروضه ، واربعة افيال مزينة بالديباج وعلى كل منها ثمانية رجال ، ومجموعة اخرى من الزرافات والفهود والنمور .

ويعكس ما رواه المبعوث مدى الرفاهية والغنى الذي كانت تتمتع به الدولة عندما تكدس في عاصمتها كل ذهب العالم الوسيط ، وبعد ان اتجهت الى

التجارة الخارجية البحرية مع الشرق الاقصى ، مما فتح امام بغداد سيلا من التقدم والرخاء الاقتصادي ..

* ومن صور هذا العصر ازدهار العلم والثقافة فكانت بغداد مركزا هاما يقصدها الطلاب من كل مكان ، يقوم فيها الدرس في المساجد الجامعة التي كانت مكانا لتلقي العلوم .

وصاحب هذه النهضة العلمية حركة ترجمة واسعة ، وقام الفكر الاسلامي من امتزاج الثقافات ونما على اساس الاخذ والعطاء ، ولم يوجد من يتهم فكرا بانه مستورد، وترجمت امهات الكتب الى العربية ، حتى انه في ايام القتال بين الروم والعرب قام التبادل الحضاري بينهما ، ويروى التاريخ كيف لم ينس المسلمون خلال غاراتهم على الروم زمن الرشيد والمامون ان يسعوا للحصول على كتب العلوم المختلفة من انقره وعمورية،ولم يكتف الخلفاء باحضار الكتب ولكنهم احضروا العلماء ، فاذا ذكر للمنصور احضاره بعض علماء الطب من الهند فقد نقل عن المامون انه ارسل رسالة الى تيوفيل امبراطور الروم يطلب فيها السماح للعالم الرياضي ليو بزيارة بغداد ويعرض في مقابل ذلك الصلح الدائم والفي قطعة ذهبية .

* وفي مبنى مهيب اقيم « بيت الحكمة » الذي جمعت فيه الكتب من كل انحاء العالم ، وبعث الخليفة المامون الى حاكم صقلية كتب الفلاسفة ونفائس العلم من مكتبة صقلية ، وجمعت الكتب بلغاتها وبدات ترجمتها وكان يعطي وزن ما يترجم ذهبا ، كما امر بان تشترى المصنفات اليونانية من آسيا الصغرى ، وارسلت بعثة الى ملك الروم لترجمة العلوم المخزونة هناك ، ولم يكتف العرب بالترجمة وانما تجاوزوها الى التحقيق والاضافة .

وفي عصر المامون استهل ابو يوسف الكندي فيلسوف العرب واحد عقولهم الكبرى في تاريخ العالم نشاطه الفكري بما قدمه من دراسات في التاريخ الطبيعي وعلم الظواهر الجوية ، وعني علم العرب فوضع رسالة ذكر فيها ما يزيد عن خمسة وعشرين ضربا من ضروب السيوف وفقا

● بعد

لمصادر انتاجها من اليمن وحتى فرنسا وروسيا .

* وشهدت هذه المرحلة التاريخية [illegible] جمة . ويعجب المرء كيف لم تطبق هذه المعارف النظرية في الحياة اليومية . وهذه المعارف ذاتها التي طبقت في اوروبا بعد عصر النهضة وقامت على أساسها الثورة الصناعية ، فمثلا وجدت العجلة التي استخدمت في الحروب ولم تستخدم في المواصلات . وعرف النفط واستعمل للوقود وللاضاءة ولكنه لم يتحول الى الصناعة .ومن المدهش كتاب احمد بن موسى بن شاكر في علم الحيل والذي طرح مائة مسالة نظرية وقدم الاجابة عليها جميعا . ولكن يلاحظ ان ٢٠ مسالة تطبيقات عملية لمعارف نظرية تتعلق بالحرب و ٨٠ مسالة للالعاب والتسلية ..!

وهذه الظاهرة نفسها هي التي حولت جابر بن حيان اعظم الكيميائيين العرب من كيميائي الى ساحر !

وربما يرجع ذلك الى عدم نشوء الحاجة التي تحول هذه المعارف النظرية الى تطبيقات ، او لعله طبيعة المجتمع الذى كان يقوم على الخاصة ،

وشهد هذا العصر ظهور الاصمعي والفراء
ويبقى تفسير هذه الظاهرة قابلا للبحث والدراسة.
والكسائي والخليل بن احمد في اللغة ، والمبرد والجاحظ في الادب ، وابو نواس وابو العتاهية ومروان بن ابي حفصة والعباس بن الاحنف في الشعر ، وابراهيم بن الخليفة المهدي وابراهيم الموصلي وابنه اسحق في الموسيقى . وفي العلم والطب والفلك آل بختيشوع واولاد شاكر وحنين ابن اسحق والخليفة المامون وابن ماسويه وابن البطريق وغيرهم ، وظهر فقه المذاهب الاربعة .. وكان هؤلاء هم اعلام التقدم الفكري في عصرهم باجمعه ..

* ونشات الجمعيات العلمية مثل جماعة اخوان الصفا التي كانت رسائلهم عامرة بالحكمة والفلسفة والرياضيات [illegible] ووصف المعادن والنبات والحيوان [illegible] ، وبلغت رسائلهم [illegible] بمثابة دائرة معارف موسوعية [illegible] في العصر .



البساط والسجاد احد أقدم الصناعات في العراق ويتكون من الصوف المطرز بالالوان الداكنة في أشكال هندسية ، وزخـارف ونقوش واشكال حيوانيـة بألوان جذابة ·





احد البيوت البغدادية الذى استخدم الفن العربى فأصبح متناغما مع البيت الحديث . ويلاحظ الاستخدام الذكى والرشيق للزجاج الملون ، والخشب المنقوش ، والمعلقات ذات الطراز العربى جنبا الى جنب مع اللوحات الحديثة .



وازدهرت مدرسة بغداد الفلكية سبعة قـــرون بدات مع تاسيس مدينة السلام وحدد العرب مدة السنة بالضبط ، واقدم فلكيو المامون على قياس خط نصف النهار الذى لم يوفق له الاوربيون الا بعد الف سنة كما ذكر العالم الفرنسى جوستاف ، لوبون ، يقول .. «ان العرب هم الذين نشروا علم الفلك فى العالم كله ، فقد دام عملهم فى حقل الحضارة بعد زوال سلطانهم السياسى » .

وشهد هذا العصر من المنجزات صناعة الورق والتى بدات فى سمرقند وانتقلت الى بغداد فى عهد الرشيد ومنها الى الشام ومصر والاندلس ، وقدم العرب اداة حفظ الثقافة والعلوم ونشرها الواسع والرخيص .

وحفلت بغداد بعدد كبير من خزائن الكتب وكان لهذه الخزائن انظمة خاصة بالمطالعة والاعـارة والاستنساخ وبيع الكتب وتجليدها وتزويقهـــا ونقشها والاعتماد على النساخ ..

* وفى عصر الرشيد تتلاحق الصور الموحية .فقد تجمعت كل روعة فترة الاستقرار فى عهده والتى يمكن اعتبار سيرته كما يقول الدكتور شاكـــر مصطفى مكملة للميراث الفكرى للانسانية ،والذى يمكن ان يقارن عصره بعصر لويس الرابع عشر فى فرنسا او الملكة فيكتوريا فى بريطانيا ..

ونقلت روايات الف ليلة وليلة صورة عصر الرشيد الى اذهان العالم ، حتى اصبح الرشيد لدى الغربيين يمثل نواحى الجلال والعظمة العربية .

* وازدهرت الموسيقى والغناء بفضل اهتمام الخلفا والوزراء حتى ان صاحب كتاب «الفخرى» فى الاداب السلطانية يقول : من اشهر المغنـــين فى ذلك العصر ، ابراهيم الموصلى وابنه اسحق، وكانا من رجال الادب ، وكتب اسحق رسالة مطولة فى الغناء صحح فيها انغامه واحتفظ بالغـناء القديم وانتشر الغناء فى هذا العصر انتشارا كبيرا حتى اصبح من حاجات الناس الاساسية .

* ولقد لعبت القيان دورا كبيرا فى حياة بغداد الاجتماعية ، يقول ابوحيان التوحيدى فى كتاب « الامتاع والمؤانسة » .. ان عدد الجوارى اللاتى يحترفن الغناء فى بغداد بلغ حسب احصائــــه اربعمائة وستين جارية وكان الناس يترددون ء المحال العامة للسماع للمغنيات ، وكانت العـ بتعليم الجوارى تزيد على تعليم الحرائر ، و ثمار هذا الجو كتاب الاغانى لابى الفرج الاصفها

* وظهرت فى عصر الرشيد «شقاوات »ببغداد عن جمع الامام جعفر الصادق الفتوة وتولى رئا واشترط للانتماء لها مكارم الاخلاق ، وكان يو بها الظلم والطغيان ،وعندما داهمت بغداد الفـ بسبب الحرب بين الامين والمامون قاد سهل بـ سلامة الانصارى الفتوة لقتال الشطار الذين اخـ يمارسون السلب والنهب ، وازدهرت الفتوة عصر الخليفة الناصر لدين الله،ووضع لها نظ خاصا ، وعين لفتيانها المراتب، والبسهم سراو الفتوة البيضاء التى لايزال يلبسها أبناء البلد الاحياء الشعبية حتى الآن .

* والصورة هذه المرة من الصين ومن سجل تار الامبراطور كوانج تونج ، وتعكس دور العرب المجتمع الدولى .. يقول :

« فى عهد دولة تانج وفد على كانتون عـ كبير من الغرباء ، وكان هؤلاء الغرباء يعبد الله وليس لهم فى معابدهم تمثال او صنم وكانت مملكة الاسلام قريبة من مملكة الهند و نشأت ديانة هؤلاء الغرباء التى تختلف عن دي بوذا ، وكانوا لا ياكلون لحم الخنزير ولا يشر الخمر ويعتبرون الذبائح التى لا يذبحونها بايد طعاما نجسا ، واستاذنوا الامبراطور وحصلوا على اذن بالاقامة فى كانتون ، وبنوا دورا جم من طراز يختلف عن ذلك الذى فى بلادنا ، وكا لهم ثروة عظيمة ودانوا بالطاعة لرئيس انتخ بانفسهم .. »

وعندما قامت فى عام ٧٥٦ م اضطرابات الصين واجبر امبراطور الصين على التنازل العـرش لابنه طلب الابن النجـدة من الخليفـ العباسى المنصور ، فاجاب بارسال قوة عسكر نجح بمساعدتها فى استراد عاصمته من ايـ الثوار ، وتضيف المصادر الصينية ان قوة النج العباسـة لـم تعد الـى بلادهـا وبقيت فـ الصين وتزوج افرادها هناك واستقروا .

هل الدولة العباسية ثورة ٠٠ ؟

ونصل الان الى السؤال التالى : هل الدولة العباسية كانت تطورا طبيعيا واستمرارا لما قبلها ام ثورة على ماسبقها ٠٠ ؟ لنعرف ما اضافته الدولة الجديدة فى التاريخ العربى والاسلامى ٠٠

تذهب اغلب المصادر الى ان انتقال الخلافة من بنى امية الى بنى العباس هو الانتقال من عصر تاريخى الى آخر وانه انقلاب جذرى وثورة فى كيان الدولة العربية الاسلامية ، ولكن هذا التغير كان فيه من الدهاء والقدرة السياسية اكثر مما فيه من الانقلاب . وهو انتقال الحكم من اسرة الى اخرى مع تعديلات فرضتها سنة التطــور.

وهى تختلف بذلك عن ثورة الاسلام العميقة فى الجزيرة العربية عندما غيرت المفاهيم والقيم وانعكست على البنية الرئيسية للمجتمع العربى . والعديد من انظمة العباسيين كانت استمرارا او تطورا لمؤسساته . فمع اتساع الدولة الاسلامية ودخول شعوب متعددة فى الاسلام ، استجاب العباسيون الى ذلك الواقع الجديد . وعادت المبادئ الاسلامية فتاكدت من جديد واندحرت فكرة ارتباط الاسلام بجنس مسيطر هو العرب . وتحولت الدولة الى دولة قوميات متعددة بعد ان كانت فى العصر الاموى واحدة القومية . وبرز دور الشعوب الاخرى تحت راية الاسلام .واختفت التفرقة التى ظهرت فى العهد الامــوى فكانت اسلامية اممية تقوم فيها العرب بدور الحكام ويلعبون فيها دورا رئيسيا مع بروز الشعوب الاخرى على اساس وحدة الاسلام الذى يجمع بين المواطنين جميعا . وكان من علامات قوة الدولة العباسية ما حدث داخلها من امتزاج حضارى خلاق وتعزيز ظاهرة التفاعل الحضارى بين العرب وسواهم من الشعوب والحضارات الاخرى وخاصة مع فارس وتركيا والهند . وظهر ذلك فى نظام الضرائب الذى لم يعد يفرق بين العرب وغيرهم . اذن كانت الدعوة العباسية استجابة لدخول شعوب متعددة فى الاسلام واتساع رقعة الدولة التى امتدت فى المناطق الشرقية فى آسيا ٠٠

وصاحب ذلك الاتساع . قيام الدعوة العباسية السرية فى الامصار التى نظمت صفوفها تنظيما ... وقد ...

من ال... لقوة الامر و ... والظروف ... و ... لسقط و ... وبحح ... فى استغلال ذلك وما لم ... ما احقق فى ... على ... كافة المحاولات التى قاموا بها . وقد شكلت قضية البيت العلوى احد العصور البارزة للدولة . والتى كانت نتيجة المطالبة الشديدة التى تعرضوا على اساسها . وسرى الانقسام الى صفوفهم فكل فرقة تدعو لاحد ابناء البيت العلوى . وهى قضية الذين يقدمون التضحيات دفاعا عن مبادئهم ومن اجل التغيير . فياتى غيرهم ليحصد ثمر تضحياتهم . فعادة لا ينتصر الاكثر اخلاصا او الاشد صدقا وانما الاكثر كفاءة والاشد براعة . فكان العباسيون هم الاكثر دهاء والابرع سياسة والاكثر واقعية . يعيشون حياة ظاهرها قائم على رواية الحديث والتفقه فى الدين وباطنها قائم على دراسة الاحوال الاجتماعية والتيارات السياسية يعدون لتاييد الدعوة جماعات واتجاهات متشابهة الاهداف . ترى كل من هذه الجماعات فى الدعوة العباسية تحقيقا لمصالحها الخاصة وحلا لمشاكلها .

وظهرت كفاءتهم فى الاستجابة للواقع الجديد واختيارهم لخراسان لانطلاق دعوتهم . وكبورة للعمل السياسى . فقامت الدعوة على محور جغرافى مثلث يمتد مابين الحميمة فى الاردن وبين الكوفة فى العراق حتى خراسان فى اقصى الشرق الاسلامى . واختيرت الكوفة لبدء النشاط العباسى فهى جغرافيا متوسطة الموقع بين الشام والبلاد الشرقية ٠٠

وهكذا اتبع العباسيون سياسة عميقة واقعية ويذكر صاحب الفخرى ... ان الدولة العباسية ساست العالم سياسة ممزوجة بالدين والملك فكان اخيار الناس وصلحاؤهم يطيعونها تدينا والباقون يطيعونها رهبة او رغبة ٠٠

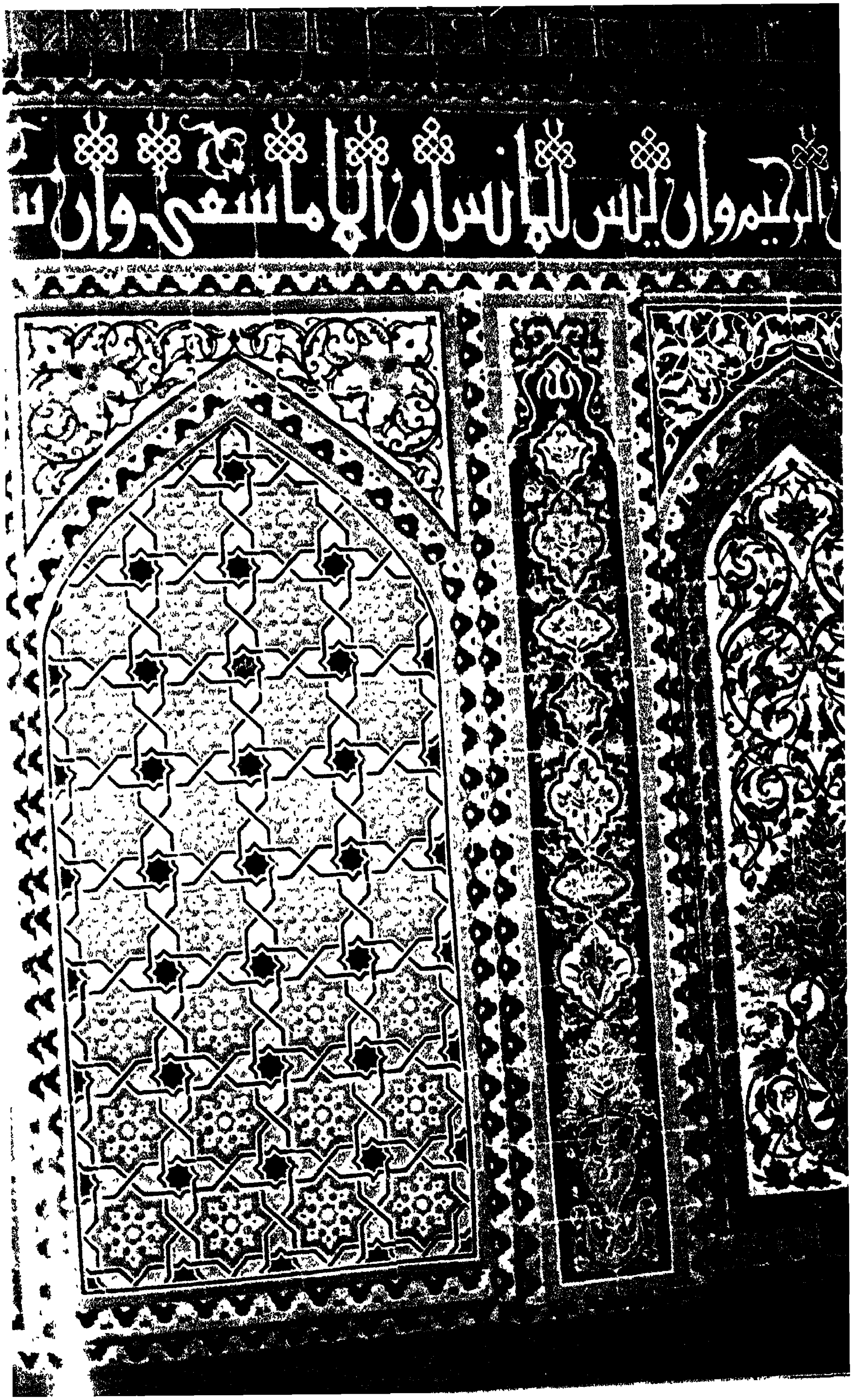
فقد قام بنو العباس ...

احياء السنة ...

وار... ...

وحا...

...


الرحيم وان ليس للانسان الا ما سعى وان



خان مرجان ببغداد الشرقية والمتفرع من شارع الرشيد ، ويتكون الخان من قاعة كبيرة مسقوفة بعقود فى اطرافها شبابيك للانارة . والبناية تمثل اسلوبا فريدا فى الفن المعمارى ببغداد عام ٧٦٠ هـ ــ ١٣٥٩ م .



جامع الامام على الهادى فى سامراء . التكسية باستخدام البلاط القيشانى. وهو أهم ما تتميز به العمارة الاسلامية ، ومدرستها فى بغداد ويقوم على زخرفة نباتية وهندسية ونموذج من نص « بسم الله الرحمن الرحيم ليس للانسان الا ما سعى » فى اطار من القيشانى والنقوش الهندسية ، ثم حزمة بديعة من الفن التشكيلى فى مدخل الجامع .

السلطة عند العباسيين مقدسة من الله . وتعبر عن ذلك خطبة أبي جعفر المنصور « أيها الناس انما انا سلطان الله في أرضه أسوسكم بتوفيقه وتسديده وتاييده . وحارسه على ماله أعمل فيه بمشيئته وارادته ، واعطيه باذنه فارغبوا الى الله وسلوه أن يوفقني للرشاد والصواب وأن يلهمني الرأفة بكم والاحسان اليكم » .

ومع نهاية عصرهم ادعوا أن السلطة ستبقى في ايديهم والا « فسيختل نظام العالم وتحتجب الشمس ويمتنع المطر .. » وكان النفوذ الديني هو السبب في العمر الطويل الذى تمتعت به . كما كان السبب في احترام الفرس والترك للخليفة العباسي .

ومع استمرار الدولة العباسية حقق العصر العباسي الاول تالقا ونجاحا في الميدان السياسي ، اما بعد ذلك من مراحل العصر العباسي فقد استمر العطاء الحضاري مع المصاعب السياسية التى بدأ يواجهها العباسيون . فبعد البزوغ والعنفوان جاء التدهور والاضمحلال، وتحولت الظواهر التي كانت من علامات القوة الى علامات وهن وضعف . فبعد ان كان اتساع الدولة أحد مزايا الدولة العباسية فقد أصبح أحد أسباب ضعفها . فمع اتساع الدولة وضعف السلطة المركزية وبدائية وسائل الاتصال والمواصلات بدأت اوصال الدولة تتقطع والذى عبر عنه ابن الفوارس بن الخازن المؤرخ المعاصر لتلك المرحلة بذكره قول الموفق العباسي :هذه السنة مصر وساير الشامات في يد خمارويه بن طولون . والجزيرة مع اسحق لافضل فيها عنه . وقنسرية والعواصم مع أبي الساج . وخراسان وما وراء النهر في يد نصر بن احمد . وطخارستان وبلخ وسمرقند في يد داود بن هاشم بن كيجور . ونيسابور في يد رافع .وسجستان وكرمان وفارس واصفهان في يد عمرو بن الليث. واضاف ليس في الدنيا (لنا) غير سمى الفرات..

* وبعد انتصارهم الحاسم على البيت العلوى ارتبط تاريخ الدولة العباسية بالصراع بين ال بيت الرسول .. البيت العباسي الذى ينتمي الى العباس بن عبد المطلب عم رسول الله،وآل البيت العلوى الذى ينتمي الى على بن أبي طالب،والذين رأوا في المنتصف الثاني من القرن الثالث ان ينظموا صفوفهم ويمهدوا لقلب الدولة العباسية . وبعثوا دعاتهم الى جميع الاقاليم الاسلامية حتى قامت دولة لهم في المغرب ، ومن المغرب مدوا سلطانهم الى مصر وسوريا والجزائر والحجاز واليمن .

وهذا الصراع زلزل أركان الدوله واحد اسباب تفككها ومنه نشطت الفرق المختلفة مثل الشيعة والخوارج والمرجئة والمعتزلة . وحلاله ظهرت الحركات الصوفية والقرامطة وثورة الزنج .

من الوحدة الى الانقسام .. !!

* وفي مرحلة شيخوخة الدولة العباسية تحولت ظاهرة القوة المتمثلة في الامتزاج الحضارى بين الشعوب الاسلامية الى ظاهرة ضعف .وظهر الاصطلاح الذى ترد كثيرا في كتابات هده المرحلة وهو «الشعوبية » وبداية ظاهرة الانقسام .فنشب بين العرب انفسهم تنافس بين المضريين واليمنيين تم بين العرب والفرس والترك . ويلاحظ أن هذا الصراع كان يشتد ويخفت مع ضعف الدوله وقوتها . وتعد ملامحه فيما قام به ابوجعفر المنصور عند قتله ابا مسلم الغرساني . وظهر في عصر الرشيد متمثلا في نكبة البرامكة ويعود ويطل براسه من جديد في الصراع الدى نشب بين الامين والمأمون..

وقد ظهر تعبير الشعوبية في العراق لان تنوع الشعوب تركز فيها بوصفها مركز الدولة وعقدة الطرق التجارية من بحرية وبرية . وانتقل اليها معظم العلماء والحركة الثقافية سواء العربية أو علوم الاوائل من الاغريق والفرس والهند . وشهد الصراع بين القوة العربية والقوى الاخرى . وافرخت فيه نقمة عبرت عن نفسها بالتحاق بعض المناوئين بالثورات وتبنى كل فكرة مناوئة للحكم..

ومن أهم أسباب هذه الظاهرة ما قام به الخلفاء أنفسهم عندما سعوا الى تدعيم سلطتهم عن طريق احدى الجماعات القومية الضعيفة وتقويتها والاعتماد عليهم ظنا منهم ان ليس لهم آمال وان الخلفاء متى اصطفوهم يستطيعون الاعتماد عليهم . ولكن سرعان ما يتميزون ويشكلون قوة تسعى الى الاستئثار بالنفوذ والسلطة وهذا ما حدث من الاتراك وكان أحد أسباب انتقال العاصمة من بغداد الى سمراء . ووصل نفوذهم الى الحد الذى يولون فيه الخلفاء ويعزلون من يعترض طريقهم . وتحولت البيعة الى مظهر شكلي فقدت

فيه معنى الاختيار وغدتمناسبة للاعتراف بالخليفة وليس اختياره ..

ولم يعد حديث الهمداني مجديا حين قال «انه من ميزات بغداد أن السلطان آمن من أن يغلب عليها رئيس لبعض الآراء كغالبية الطالبين كثيرا بالشيعة في أهل الكوفة ، وذلك أن من مخالفي الشيعة من يقرن بالشيعة ، وبها من مخالفي المعتزلة من يقرن بالمعتزلة ، وبها من مخالفي الخوارج من يقرن بالخوارج ، فكل فريق يقاوم ضده .. »

وهي لعبة خطرة ثبت أنها عادة ترتد على من بداها ، ودفع الخلفاء ثمنا غاليا لارتكابها . وهكذا لعبت السياسة بالعقيدة ، وأصاب الدولة العباسية داء الانقسام واخطاره . وأخذت وحدة الاسلام السياسية تتفكك ، وتظهر في الاقاليم اسر حاكمة تعترف شكليا بسيادة الخليفة وتحكم باسمه ..

مشكلة ولاية العهد !

كما أن مشكلة ولاية العهد أرهقت الدولة العباسية وأضعفتها ، فلم يوضع نظام ثابت متفق عليه ، وتحولت الى نزاع مستمر في قمة البيت العباسي ، فلا أخذ بفكرة ولاية الابن الاكبر ولا بفكرة اختيار عميد العائلة وكبيرها . وكان الخلفاء تحت تاثير عاطفة الابوة يعهدون بالولاية الى ولدين أو أكثر من أبنائهم ، مما يزرع بذور الشقاق في الاسرة فالذي يصل الى الحكم يفضل ابنه على أخيه . هذا ما قام به أبو جعفر المنصور عندما فضل ابنه المهدي على ابن أخيه عيسى بن موسى ، وارتكب ذات الخطا المهدي فجعل ولاية العهد بعد ابنه موسى لابنه هارون ، مما أدى الى موت الهادي مسموما ، وتعود وتظهر المشكلة مع الهادي عندما صمم على نقل الخلافة الى ابنه جعفر وطلب من أخيه هارون التنازل عنها ، ومع بلوغ الازمة حول ولاية العهد الى الذروة يموت الهادي وهو في الثالثة والعشرين ، ويكشف الطبري خبايا الحادث بقوله :

كانت وفاته من قرحة في جوفه من قبل جوار لامه الخيزران عندما امرتهن بقتله لاسباب منها أن الهادي نابذ امه ونافرها «ويضيف» .. حدثني بعض الهاشميين أن سبب موت الهادي أنه لما جد في خلع هارون وأخذ البيعة لابنه جعفر خافت الخيزران على « هارون » فدست اليه من جواريها ، ولما مرض

في [illegible]

وهي [illegible]

فيها الآه وتمهد [illegible]

بين العهد وتكرر [illegible]

انسانه السلالة لامين ثم المأمون [illegible]

وتتكرر المأساة ويقتل المأمون الامين في صراع مسلح ذاة حصير سنوات انهك الدولة العباسية ومزق الجسد العباسي ..

الأفول .. !!

وتمضي ايام بغداد ..

وكان اجتياح هولاكو لبغداد عام ٦٥٦ هـ ١٢٥٨ م بداية النهاية للدور المتألق الذي قامت به بغداد في العالم وبداية ظلام طويل فقدت خلاله امواج الغروب واستمدت من الاحتلال لاحتلال وعاشت مرحلة سهور استمرت اربعة قرون . وتوالت على سكان بغداد الاحداث وبقيت بغداد تنتقل بين الحكام والمذاهب ، مرة ينتشر المذهب الشيعي وينتقل الكثير من الفرس الى بغداد ويضعف المذهب السني ويأتي حكم الاتراك العثمانيين في النصف الاول من القرن العاشر للهجرة في عهد السلطان سليمان . ويرتفع المذهب السني على ما دونه من المذاهب . ويعود كرة اخرى المذهب الشيعي . عندما يحتل الشاه عباس الكبير بغداد في الثلث الاول من القرن الحادي عشر للهجرة . ويعود حكم الاتراك العثمانيين باحتلال السلطان مراد الرابع بغداد ١٦٣٨ م ليدعم المذهب السني ، وفي كل هذه الدورات يضطهد اهل بغداد من الذين يخالفون الحاكم الجديد المذهب ..

وبدات مع الاحتلال البريطاني عام ١٩١٧ مرحلة جديدة في تاريخ بغداد ، وشهدت الصراع الحضاري مع الغرب . فالعاصمة التي كانت [illegible] مركز الاستقطاب الفكري والاشعاع [illegible] في حضارة العربية اصبحت وجها لوجه امام الحضارة الغربية الغازية ..

وتستمر بغداد [illegible]

دورها التاريخي [illegible]

الاستمرار [illegible]

اصطر [illegible]

بعد ظهر يوم الأحد

للفنان الفرنسي جورج سيراه

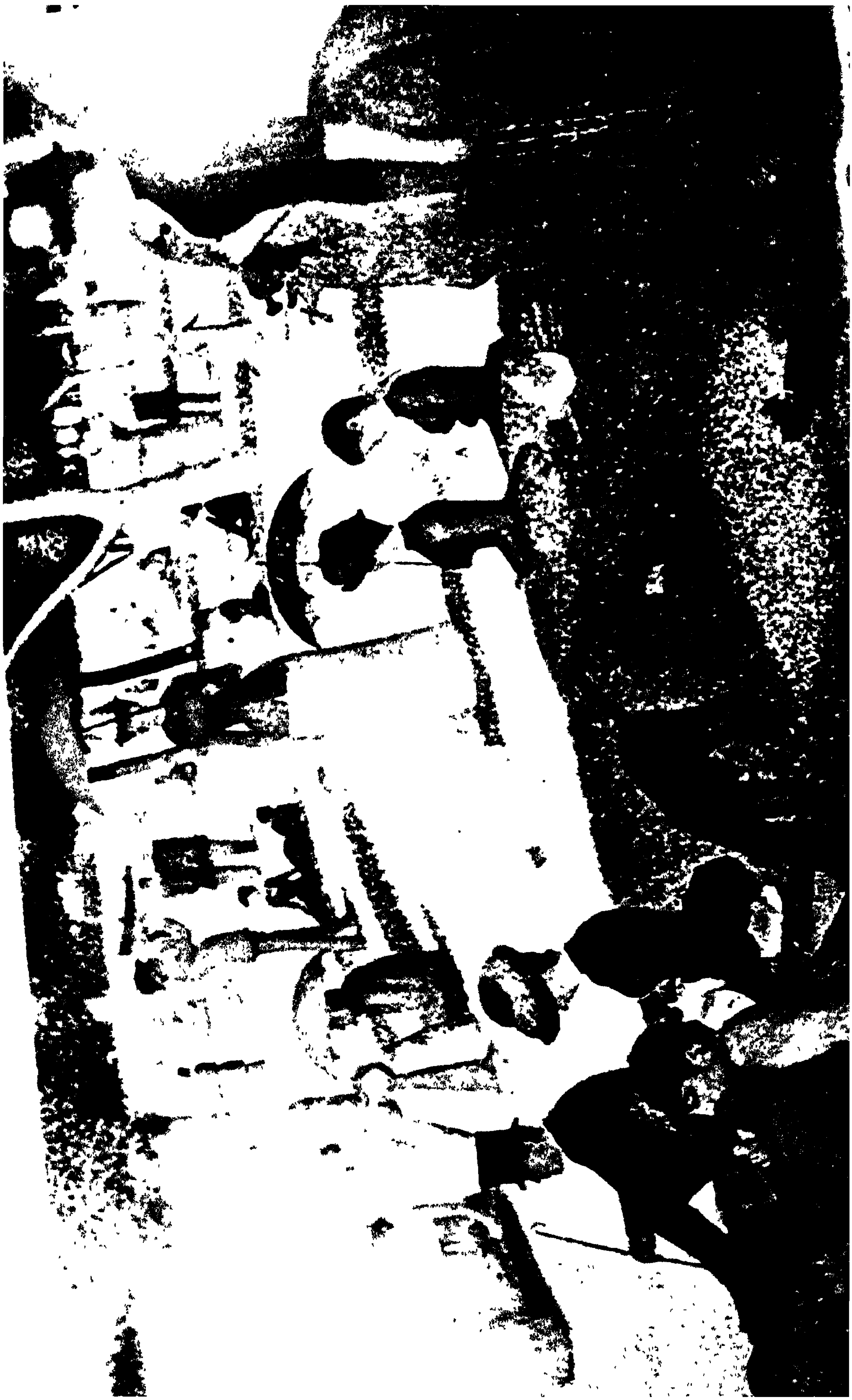
(١٨٥٩ ـ ١٨٩١)

(صبحي الشاروني)

استغرق الفنان الفرنسي « جورج سراه » في رسم لوحته الرائعة الكبيرة المسماه « بعد ظهر يوم الاحد في جزيرة لاجراندجات » ، مدة تزيد عن عامين .. فقد بدأها عام ١٨٨٤ ولم يتمها الا في عام ١٨٨٦ .. وخلال تحضيره لهذه اللوحة رسم ٣٨ دراسة بالالوان الزيتية و ٢٣ رسما تحضيريا بالخطوط ، وهي معروضة الان ضمن مقتنيات معهد الفنون في شيكاغو بالولايات المتحدة الامريكية ، بينما تنتشر اللوحات التحضيرية والرسوم في العديد من المتاحف الامريكية والاوربية.

ولا يرجع السبب في طول الزمن الذى استغرقه الفنان في رسم هذه اللوحة الى العدد الكبير من الدراسات والتخطيطات التحضيرية فقط ، وانما ايضا للاسلوب الذى اتبعه في رسمها وسمي بالاسلوب « التنقيطي » او « التقسيمي » . فهي عبارة عن ملايين النقط الصغيرة الملونة المتجاورة . وكل نقطة فيها تكون من لون نقي من احد الالوان الاساسية الثلاثة : الاحمر والازرق والاصفر ، بالاضافة الى نقط اصغر حجما من احد اللونين الابيض او الاسود. اما الالوان المختلطة : الخضراء والبنفسجية والبرتقالية ، وكذا التدرجات اللونية ، فقد حرص الفنان على ان يترك المشاهد ليحققها بنفسه عندما تتداخل هذه النقط المتجاورة امام ناظريه ، وتمتزج في عملية « فيزيائية » داخل شبكية كل عين تنظر الى اللوحة .. ونفس الشيء يحدث عند تصويرها وطبعها مصغرة (كما نراها الان) ، حيث تتقارب هذه النقط الملونة وتتداخل وتمتزج ، فتظهر الالوان المختلطة التي قصد الى تحقيقها الفنان دون ان يضعها بحالة مختلطة على لوحته . ولم يكن بحاجة الى نور النهار اثناء رسم هذه اللوحة ـ مثل التأثريين ـ لاختيار الوانه ، لانه في لوحاته التحضيرية كان قد حسب حساب كل لون بدقة .

ولهذا تعتبر هذه اللوحة ذات مكانة خاصة في تاريخ فن التصوير الزيتي الحديث ، وفيها يتمثل اسلوب هذا الفنان « التنقيطي » وموهبته الفذة في اكمل صورها .. فقد كان يعمل بدقة شديدة وببطء ، مع صبر لا ينفد ، ليلا ونهارا ، وفق خطة محكمة : من اجل اثبات نظريته العلمية في عالم الالوان والاضواء والظلال . واطلق على هذا الاسلوب في تاريخ الفن اسم « التأثرية الجديدة » . ومثل هذا الحساب العلمي الدقيق



في الفن يكبت الجانب العاطفي ويمنع الفنان من التعبير بطريقة تلقائية عن احساساته المباشرةوهذا ما يعيب « التأثرية الجديدة » .

ولد « جورج سيراه » في باريس عام ١٨٥٩ ، وكان والده يعمل خادما في المحكمة ، ولم يكن بين افراد عائلته من سبق له الاشتغال بالفن .. ومع هذا اختار دراسة فن التصوير الزيتي عندما بلغ سن التاسعة عشرة ، والتحق بمدرسة الفنون الجميلة ، حيث امضى عامين كاملين في دراسة الاسلوب التقليدي في الرسم على يدي استاذ بارع من اقطاب الاتجاه « الكلاسيكي الجديد » .

ثم راح يتدرب على الرسم بالخطوط لمدة عامين آخرين من سنة ١٨٨١ حتى ١٨٨٣ .. في تلك الفترة كان « جورج سيراه » يسعى الى اكتشاف اسرار الجمال في اعمال الفنانين السابقين عليه ، امثال «فيرونيز» و « انجر » و «يوجين دلاكروا»، حيث كان يعتقد ان دراسة ونقل الروائع الفنية القديمة المعروضة بمتحف « اللوفر » ، ستجعله يتوصل الى اكتشاف اسرار الجمال في تلك اللوحات ، وكانت تشغله قضية استخدام الالوان المتضادة مع تحقيق التوافق بينها في نفس الوقت. ولم يكن يحس بالضجر من هذا النوع من التعلم وما يتطلبه من مران عمل متواصل ، بل على العكس ، لقد اتفقت هذه الدراسة مع طبيعته المثابرة الرزينة ، وتفكيره المنهجي العلمي المرتب، بل اتجه ايضا الىالتوسع في دراسة الطرقالمختلفة في فن الرسم وعلم البصريات وكيمياء الاصباغ .

وتثبت هذه اللوحة ان هذا الفنان لم يهتم بالالوان وحدها ، كما في لوحات اقطاب المذهب « التأثري » امثال « كلود مونيه » و « أوجست رينوار » وغيرهما ممن حرصوا على نقل مظهر الاشياء منخلال تسجيل انعكاس الاضواء الساقطة عليها ، مع تحليل هذه الاضواء الى عناصرها اللونية الاولية التي تتبدى لنا في الوان « قوس قزح » ..

فرغم اعتماد « المذهب التأثري » على الجانب العلمي في تحليل الاضواء الا ان لوحات التأثريين تفتقد الى تماسك البناء ، وتبدو الاشكال التي يرسمونها خفيفة واقل استقرارا مما هي فيلوحات الفنانين السابقين عليهم من « الكلاسيكيين » .

ولهذا اعتنى « جورج سيراه » بعمق المنظر ، اي البعد الثالث الذي كان التأثريون قد اغفلوه تماما ، وان كان يظهر الى حد ما في لوحاتهم بوصفه نتيجة حتمية لتسجيل الاضواء والظلال ، بينما كان هذا الفنان في « تأثريته الجديدة » يحسب بالمليمتر مكان كل نقطة صغيرة من اللون في تحديده لاوضاع الاشخاص والاشياء بالنسبة الى بعضها البعض في (جوف) اللوحة ، حتى تاح لعين المشاهد ان تنظر الى (عمق) المنظر ، متنقلة من القريب الى البعيد ، ومن البعيد الى الابعد ، ومن الابعد الى الاكثر بعدا ، حتى تختفي الاشكال في اعماق الافق .

وهكذا اعاد « سيراه » الى الاجسام كثافتها ، بعد ان اوشكت على الافلات من ايدي التأثريين، بسبب حصر اهتمامهم في نقل الصورة السطحية العابرة التي تتراءى للعين عند اللمحة الخاطفة . وقد نجح « سيراه » في ذلك دون التضحية بشيء مما في الوان التأثريين من رونق وبهجة .

الا ان الكثافة التي تميز بها الاجسام فيلوحات « سيراه » ، قد اقترنت بتفكيك هذه الاجسام وتقسيمها الى جزئيات من الالوان . وكان «سيراه» يعارض مذهب التأثريين فيما يتعلق بالتلقائية ، على اعتبار انها لا تصلح الا للرسوم التخطيطية السريعة ، فكان ينسق الاشكال والخطوط في لوحاته تنسيقا دقيقا بحيث ينسجم كل عنصر منها مع غيره من العناصر انسجام النغمات في اللحن الموسيقي .

ومع هذا فقد كانت رسومه في المرحلة الاولى تتصف بالدقة « الكلاسيكيه »، كما برع في اللوحات التخطيطية المرسومة باصابع اللون الاسود (الكونتيه) .. وقد تقدم باحدى لوحات تلك المرحلة الى صالون باريس ، فعرضت بهذا المعرض الحكومي السنوي في عام ١٨٨٣ ، وكان صاحبها لم يتجاوز بعد سن الثالثة والعشرين .

ولكنه عندما بدأ تطبيق اسلوبه « التنقيطي » في اولى لوحاته الزيتية الكبيرة « المستحمات »، وتقدم بها الى صالون عام ١٨٨٤ ، فان لجنة التحكيم رفضت عرضها على الفور . ! فاعلن الحرب على تلك اللجنة ، وراح يدعو ضد دكتاتورية « اكاديمية الفنون » وتعنتها ، واشترك مع زميله « بول سينياك » ـ الذي ساهم معه في

ابتداع التنقيطية ومذهب التأثرية الجديدة تحت قيادة الفنان « اوديلونريدون » في تأسيس جماعة « المرفوضين » التي بدات من ذلك التاريخ في تنظيم (صالون) سنوى آخر يستطيع ان يعرض فيه اى فنان ، بدون لجان تحكيم وبلا تحكيم ، واطلقوا عليه اسم « صالون المستقلين » الذي يقام سنويا في باريس حتى الان . وقد عرض سيراه لوحته المرفوضة « المستحمات » في المعرض الاول لهذه الجماعة .

ورغم ما قوبل به « صالون المستقلين » من الاستنكار من جانب النقاد والسخرية من الجمهور ، الا ان لوحة « جورج سيراه » لفتت نظر واحد من كبار النقاد في ذلك الوقت هو « فيلكس فنيون » الذي ادرك ما في اسلوب « سيراه » من قيمة فائقة ، فانبرى للدفاع عنها وعن صاحبها منذ ذلك الحين حتى اقنع الجميع بقيمته واهمية اعماله .

اما جماعة «التاثريين» التي تكونت عام ١٨٧٤ ، فقد بدات تدب بين اعضائها عوامل الشقاق والتفرق رغم ان الجمهور الفرنسي كان قد بدأ يتعاطف مع اتجاهها بعد مرور عشر سنوات على انشاء الجماعة . ولكى يواجه زعماء « التأثرية » ظروف الخلاف بين اقطابها اقترح احدهم ضم « جورج سيراه » و « بول سينياك » اللذين اختارهما من بين عشرات الاتباع والمقلدين الذين

عملوا على ممارسة ال...

كما ابدعه « كلود مونيه » ...

وقد عرض « سيراه » لوحته « التأثرية » بعد ظهر يوم الاحد بجزيرة لاجراندجات » عام ١٨٨٦ في المعرض الثامن والاخير لجماعة « التاثريين » واعلن بذلك مولد « التاثرية الجديدة » او ظهور « التنقيطية » و « التقسيمية » في فن الرسم .

وقد بلغ ولع «سيراه» بدقة التحليل والقياس الى الحد الذى دفعه لوضع قواعد ثابتة لوقع الالوان المختلفة على النفس ، واثر اتجاهات الخطوط في استثارة الانفعالات ، ومن بين هذه القواعد : « ان البهجة تتحقق من الالوان الناصعة الدافئة ، والخطوط الصاعدة الى اعلى من خط الافق . اما الهدوء فيتحقق بتوازن درجات الالوان البارزة والدافئة مع الخطوط الافقية في اللوحة . بينما الكآبة تتسبب من الالوان القاتمة الباردة والخطوط الهابطة الى اسفل من خط الافق » .

الا ان وفاة « سيراه » المفاجئة في ٢٩ مارس ١٨٩١ وهو لم يتخط بعد سن الثانية والثلاثين ، قد منعه من استكمال عمله الاخير « السيرك » الذى يعرض حاليا ـ كما تركه ناقصا ـ في متحف التاثريين بجوار « اللوفر » في باريس . ■■

صبحى الشارونى

سينما أولى وثانية وثالثة؟



أم عالم

بقلم : الفاروق عبد العزيز





قد لايكون بوسع هذا المقال أن يقدم اجابة حاسمة على التساؤل المطروح فى عنوانه • لماذا ؟ لانني ربما فضلت أن يكتشف القارىء بنفسه مدى التطابق بين أى من هذه العوالم والسينما التى ينتجها ، مستعينا بما ساطرحه هنا من معلومات وآراء حول هذه العلاقة • أريد بذلك أن أجنب القارىء الانزلاق فى المطابقة السهلة بين هذه العوالم وسينماها ، وهو الامر الذى أدى – حتى لدى كثير من النقاد – الى الوقوع فى خلط مبين •

ولننطلق من حقيقة صارت اليوم فى حكم البديهيات مفادها أن الفن – أى فن – هو تعبير مجرد عن حقائق موضوعية ، حتى وان جاء هذا التعبير ذاتيا محضا • وبعبارة أخرى فان كل مجتمع ينتج الفن الذى يريده والذى هو – فى المبتدأ وفى المنتهى – تعبير عن القوى الفاعلة والمؤثرة فيه•

السينما الاولى

منذ عام ١٩٦٨ تقريبا وفى معظم المؤتمرات والمهرجانات السينمائية الخاصة بحركات السينما الحديثة فى العالم وتعبير السينما الاولى – والثانية والثالثة – يتردد فى بحوث ومناقشات الحاضرين • وأكاد أجزم بانه قد تحول الى اصطلاح • غير أننى أتصور أنه لم ينل بعد حقه من التعريف فى عالمنا العربى •

السينما الاولى هى السينما « الهوليودية » • هى السينما التى تخرج من أكبر «مصانع الاحلام» فى القرن العشرين ، وهى السينما التى سادت العوالم جميعا منذ العشرينات والى يومنا هذا بدرجات متفاوتة • ولكن لماذا لقبت السينما الهوليودية ، نسبة الى هوليوود مدينة السينما الهائلة بكاليفورنيا بالولايات المتحدة الامريكية ، بالسينما الاولى ؟ هل يمكن أن يعود ذلك الى سبقها التاريخى فى الظهور بالقياس الى السينما الاخرى ؟ ربما • وربما عاد ذلك الى هيمنتها شبه الكاملة على أسواق الانتاج والتوزيع فى العالم كله مما وضعها فى الدرجة الاولى • وربما عاد الى سيطرتها الفكرية التى جعلت منها نموذجا يحتذى بالدرجة الاولى • وربما بسبب هذا كله • فالسينما الهوليودية هى التى طورت فن السينما ، وجعلته فنا قابلا لاحتواء كثير من المضامين • وهى السينما التى خلقت الاساطير حول النجوم والبطولة والاجواء الخيالية • انها باختصار سينما ذات فضل تقنى كبير على الفن السينمائى فى العالم كله•

ولكن ما هى المواصفات التى تجعل من هذا الفيلم او ذاك فيلما منتميا الى السينما الاولى ؟ الاجابة ليست جامعة مانعة ولكن هناك مجموعة من السمات التى يمكن رصدها :

سمات موضوعية : انطلقت السينما فى هوليوود من مفهوم التسلية • وقد يبدو هذا عاديا اذ ان غايتى الفن – كما حددهما أرسطو فى « كتاب الشعر » – هما الامتاع والتثقيف • ولكن السينما الامريكية التى بدات كصناعة رأسمالية بحتة كان هدفها الاول هو تحقيق الربح • وأسرع الوسائل لتحقيق تراكم رأسمالى كانت تتمثل فى تطوير مفهوم التسلية فى موضوعات لا تتفاعل مع الواقع بقدر ما تنتمى لعالم خيالى ليس له وجود •

ويمثل راس المال فى الصناعة العملية الانتاجية برمتها • ومن ثم فان المنتج هو الذى يرسم معالم القصة – السيناريو ، ويحدد مواصفات الابطال ويقوم بالدعاية التى تخلق الاساطير حول أنماطه وخيالاته• لهذا سميت هوليوود « بمصنع الاحلام »



راعى البقر يتحول الى بطل كاراتيه فى ديكور حديد •



الان سجنها ويحسب [illegible]

سيدرم هذا ضياعه [illegible]

هو سودنة حالته صارت [illegible]

لا امسك المساعد اراهنا [illegible]

الموضوع تجد هناك موضوعات [illegible]

العرب (الوسترن) [illegible]

فالشريف اذا كان طويلا [illegible]

وهو خير دائما ولا تسويه [illegible]

لابد وان يقوم ببعض الاعمال التي [illegible]

عقبات قبل ان ينتهي نهايته [illegible]

او المدينة لاوجود لها . فالصراع في [illegible]

يتم دائما بين فرد وفرد [illegible]

واقع الحال بالفعل ـ متصارحان [illegible]

امراة يفوز بها الشريف في النهاية . [illegible]

البطل الوسيم محرما [illegible]

الوقت الا عندما يدرك في النهاية ان [illegible]

لاتفيد .

الهندى الاحمر : هناك ايضا طرد [illegible]

[illegible]



« سبارتاكوس » . أحد أوجه السينما الاولـــــى المشرقة .

واحدة مشتركة فى كل فيلم من الافلام بغض النظر عن الموضوع . البطلة ايضا لابد ان تكون دمية جميلة غير قادرة على الفعل او التاثير فى مجرى الاحداث الا على صعيد واحد فقط :جمالها هو الذى يحسم كل شىء .

وقد نتج عن هذا خلق ما يسمى باسطورة « النجم » فالنجوم نراها فقط على الشاشة الفضية ولا علاقة لهم من قريب او من بعيد بنجوم الارض الذين يعيشون عالمها ومشكلاتها . فما دام من الممكن صناعة الموضوع فهناك ايضا صناعة النجم ، وهذه مسالة معروفة تقوم بهـا شركات الانتاج الكبرى ، بالتعاون مع شركات الاعلان والدعاية والمؤسسات الصحفية وقنوات التليفزيون . كما قد تشترك شركات الديكور ومستحضرات التجميل فى هذه العملية خاصة فيما يتعلق بالبطلة ـ النجمة .

على مستوى الشكل هناك ايضا تكوين الصورة السينمائية الذى يضع البطل دائما فى مقدمة الكادر لكى يجسد دائما دور الفرد فى تحريك الموضوع ودفعه عبر مراحله المختلفة . واتساقا مع هذا فقد لازم مخرجو هذه الافلام الشعور بقدرتها الهائلة على تقبل القالب . بمعنى ان المخرج يستطيع ان يحدد دائما تكوين الصورة وقطعة الموسيقى الملازمة وجملة الحوار الضرورية والنهاية الحتمية قبل ان يبدأ عمله بسهولة تامة وقد غيب هذا الشعور بالقدرة الخلاقة حتى لدى كثير من المخرجين الممتازين وهناك ايضا اسلوب حل العقدة الذى يعتمد دائما على تدخل القدر المفاجىء او المصادفة غير المبررة او القدرة البدنية للبطل او سحر البطلة .

غير ان هذا كله لم يمنع ـ فى النهاية ـ من وجود مخرجين وفنانين آخرين كاورسون ويلز وايليا كازان ومارلون براندو ، وغيرهم ممن استطاعوا ان يثبتوا ذاتيتهم . ولكنهم ظلوا هامشا خارج عجلة الانتاج الضخمة التى تخرج سنويا ما يربو على الاربعمائة فيلم .

السينما الثانية

فى عام ١٩٤١ عرض فيلم « المواطن كيف » لاورسون ويلز . كان الفيلم صدمة هائلة لكل الذين اعتادوا على قيم السينما الاولى ومثالياتها . فالفيلم انتج فى عقر دار السينما الاولى ، ولكنه جاء مبشرا بسينما ثانية جاءت بمفاهيم وقيم مختلفة تماما على صعيدى الشكل والمضمون .

فقد طرحت السينما الثانية اسلوب الحكاية التقليدى جانبا واعادت صياغة الزمن السينمائى على اسس جديدة . كان العالم يتغير ، اذ بعد الحرب العالمية الثانية انهار نظام القيم القديم ،



من « وداعا أيها القرد » لماركوفيريري : السينما الثانية تقدم صراع الفرد مع الحضارة .

وبدأ فنانو السينما يفكرون في الشكل الذي يلائم عالم ما بعد الحرب . في ايطاليا ظهرت « الواقعية الجديدة » التي كان من ابرز فنانيها روسلليني وفيتوريو دي سيكا . وقد [illegible]

[illegible]

المشغول بمشكلات [illegible]

وفي عام ١٩٥٩ ظهرت « الموجة الجديدة الفرنسية » التي كان ابرز فنانيها جان لوك جودار وتروفو وشابرول ولوى مال وانييس فاردا . والانسان الذي يقدمونه هو فرد مطحون تنعكس عليه المتغيرات التي تطرأ على مجتمعه بشكل تراجيدي وهو بطل مثقف — في الغالب — يخفق في تحقيق التوافق بينه وبين العالم من حوله وتنتهي معركته دائما بهزيمته .

من عباءة هذه السينما خرجت معظم موجات وحركات السينما الجديدة في العالم . في البرازيل والارجنتين والمانيا ومصر والسنغال والهند والمكسيك .

[illegible]

[illegible] قد خرجت من العالم [illegible] . ولكن هذه مطابقة سهلة . فليست هناك هذه الفوارق الواضحة بين الانواع الثلاثة . بمعنى ان النموذج الامريكي للسينما الاولى قد تمكن الخروج عن اطاره (ولو بشكل هامشي) بواسطة فنانين كبار استطاعوا ان يبشروا بالسينما الثانية في داخل امريكا



رامی الشقر يظل كما هو ولار فی ديكور محتمد ٠

ذاتها ٠ كما ان السينما الثانيه قد حملت في حنباتها كافة موجات التمرد والثورة والرفض التي سادت العالم بعد الحرب الثانية وبشرت بالتالي ببزوغ شمس السينما الثالثة منذ حوالى عشر سنوات تقريبا (بعد مايو ١٩٦٨) ٠

ولكن العالم الثالث لا يصنع السينما الثالثه ٠ لماذا ؟ لان العالم الثالث هو اكثر هذه العوالم تخلفا وبالتالي فهو لايزال مرتعا ـ او مستودعا ـ للسينما الاولى ٠ والسينما الاولى لاتعيش فيه بحكم استيرادها فقط ولكنها تصنع فيه ايضا وبايد محلية ٠ وفي مصر التي هي اكبر بلد عربي منتج للسينما ومستورد لها ظهر كتاب في عام ١٩٣٦ بعنوان « السينما » للمخرج الراحل احمد بدرخان يحدد فيه دستور الفن السينمائي المصرى على غرار المفهوم الامريكي تماما وبعبارات واضحة تماما ٠ وقد وضع بدرخان شروط السيناريو الناجح والشكل الناجح الذى ينبغي ان يتم من خلاله تصنيع السينما ٠ وهكذا واكب هذا التنظير النقدى عملية اعادة تعبئة السينما الاولى لشعوب ما تزال في مرحلة التخلف الشديد ٠ او بعبارة اخرى صنعت سينما استهلاكية لمجتمع غير انتاجي ٠ والاصل ان السينما الاستهلاكية تصنع للمجتمع الاستهلاكي ٠ والعالم الثالث مايزال بحاجة الى سينما تعبر عن المرحلة التي يمر بها ٠ بيد ان ثمة صعوبة كبرى في هذا الصدد قد نتج عنها ظهور السينما الثانية من قبل جماعات السينمائيين الشباب كرد فعل لهيمنة السينما الاولى وهذه الصعوبة تتمثل في عدم وجود وحدة فكرية حقيقيه تنتظم العالم الثالث كما هو متوفر تقريبا في العالمين الراسمالي والاشتراكي مثلا ٠

وقد تمثل رد الفعل في المطالبة « بسينما تلبى احتياجات المجتمع » في محاكاة سينما الهموم الفردية الطاحنة ، والتي لاتهم الا فئه قليله في مجتمعات العالم الثالث التي تعاني من الفقر والجهل والمرض ٠

لهذا تجددت الدعوة الى صنع سينما ثالثة تعبر عن هذا العالم الثالث وتلبى احتياجاته الحقيقية٠ وقد بادر السينمائيان الارجنتينيان فرناندو سولاس واوكتافيو جيتينو الى اصدار بيان يدشن وجود السينما الثالثة ، وهى السينما التي تتجاوز كافة النظم للوصول الى الجماهير ٠ قد تكون سينما مباشرة ، حيه ، حقيقية ، بديله ، هامشية، نضالية ، موازية او ايا كانت المسميات ٠ ولكنها لاتريد اكثر من تلمس النبض الحقيقي للجماهير على اتساعها ٠

هذه السينما ماتزال تبحث لها عن وجود٠ ووسط الصراع الثقافى الذى يعيشه العالم الثالث ماتزال السينما الاولى هي الغالبة ٠ والباقي على الهامش ٠ ■■

فاروق عبد العزيز



بقلم : الدكتور ايس سهر

في السنوات الاخيرة . انتشر السرطان بين الاطفال ، حتى اصبح يسبب ١٢٪ من حالات الوفاة فيما بين الواحدة والرابعة عشرة • وفي هذه المرحلة من العمر لايتفوق على السرطان في سلوح الوفاة الا الحوادث !

■ المعروف ان السرطان نوع من الاورام الخبيثة التي تصيب الانسجة بضرر بالغ ويؤدي في آخر الامر الى الوفاة الامر اذا لم تستاصل بالجراحة او تعالج بالراديوم او الاشعاعات الذرية المولدة عن النظائر المشعة • وسبب هذا المرض غير معروف حتى الان • وان كانت هناك نظريات كثيرة تضيق عن ذكرها هذا المجال • وعندما يغزو السرطان اي عضو من اعضاء الجسم فانه يبدأ كنوع من الورم لايلبث أن يكبر على حساب خلايا العضو المصاب ويظل ينمو حتى يتلف نسيج العضو تماما ...

[illegible]

أن تكون متفوقاً

بقلم : عبدالوهاب شكري

■ الرغبة في التفوق ظاهرة مشتركة بين الانسان والحيوان وتعتبر مركز مجموعة من التصرفات الهادفة الى تحقيق الاستعلاء او ابراز الذات الكائن الحيواني او بلوغ غاية الاستعمال والحدود عن طريق ما يمكن في الارض مما يمنع الناس • وبعض التصرفات لا تظهر عند الحيوان الا مع تعدد افراده بين طيور او نحوها حيث يصول ذكر الحمام ويجول مختالا اماه تستبد به العجرفة والنخوة • وكذلك الديك بين مجموعة من الدجاج يصيح ثم ينفض جناحيه رافعا عنقه في غرور نافخا اوداجه تيها وبالهوه مظاهر • او « كالهر يحتمي ايضا حوله الاسد لحظة المواجهة مع الكلب • ويمارس هذه التصرفات السلوكية ليعبر عن الاحساس بالتفوق والاصرار عليه ويبلورها في صور مختلفة بواسطة التحدي او المنافسة او الدفاع او الهجوم او غيرها من الاساليب والممارسات المعينة لسلوك السيطرة والتطبع مما يشترك فيه الانسان والحيوان على السواء او مما ينفرد به احدهما عن الاخر •

ماذا يعنون بالتفوق قديما ؟

يعتبر التفوق بالنسبة لعامة الناس في المجتمعات المتخلفة قديما اكبر خطر يتهدد حياتهم الاعتيادية او الانتمائية التي تسير عادة على نمط محافظ لا يبغون به عوجا ولا بدلا يخافون عليه من حدوث تغيير يمس العرض او الجوهر او هما معا ، او هم هكذا يتصورون • وقد تذهب بهم الظنون والخشية الى اتهام اي سبق الى الاختراع او دعوة الى الاصلاح بالهرطقة والمروق عن الجادة القويمة . والويل لمن سبق عصره ، لان النبوغ في مثل هذه البيئات محفوف بالمخاطر • ولنا في كبار المخترعين ونوابغ المفكرين الذين فاجأوا جمهورهم بغير المألوف من الذي يقاوم ولاسيما في الغرب في بوادر الاصلاح الديني وفي العهد الاغريقي القديم حيث دفع الكثير من هؤلاء حياتهم ثمنا لسوابقهم او سعيهم الى الاختراع والاصلاح • او كما هي حال الانبياء مع اممهم في مجال الدعوة الى التوحيد التي تصطدم الكثير لتفوقهم في المعتقد على سائر الخلق •

نموذجان تاريخيان

وعلى العكس من ذلك في عهد التمدد من ماضينا كانت السلالة ... وضع العلماء العرب ثقتهم ... ذلك ... حال ... في ... حيث ... موضع جدال او شاهد ... المستوى ... المستوى ... وسواء ... الانسان ام ... الفيزيائيون ام الكيميائيون ام الرياضيون ام الفلكيون ام الفلاسفة ام غيرهم • وقليلة هي الحالات التي تعرضوا فيها لنوع من المضايقات لا علاقة لها بالدين لان « طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة » وانما هو نتيجة حسد فقط • ولكن هذا الموقف من العلماء العرب لا يمنعنا من ايراد حادثة يتيمة فيما نعلم لانتباس عليها حرصا على الامانة العلمية والانصاف التاريخي :

كان عباس بن فرناس المتوفى ٢٧٤ للهجرة عالما اندلسيا موسوعيا بادق ما في الكلمة من معنى . أجرى تجربة علمية كانت الاولى من نوعها في تاريخ الطيران كسا فيها جسمه ريشا وطيره ثم سقط وأصيب في ظهره لأنه (لم يعمل لنفسه ذنبا ولم يدر أن الطائر انما يقع على زمكه) • وكان من اللازم أن تنجح هذه التجربة لو أتيحت له الفرصة لاعادة تصحيح ما ارتكبه من خطأ تقني • ولكنها على أية حال جرت عليه تهمة الزندقة التي رماه بها خصومه وهي التهمة التي يواجهها عادة من هم على



.. كيف ومتى ؟

شاكلته • ولولا [illegible] عبد الرحمن الناصر [illegible] ان المجتمع الاندلسي في [illegible] الهجري كان واعيا [illegible] محسود عليها ، والرقبة [illegible] وقديما كان في [illegible] •

أما اوربا التي كانت [illegible] فان اضطهاد [illegible] وقمع سلطاتها [illegible] استمر التعصب [illegible] والعلماء [illegible] بداية عصر [illegible] مثلا أبهم العالم [illegible] جاليليو جاليلي (١٥٦٤ ـ ١٦٤٢) بالهرطقة [illegible] الانكسار واثبت ان الشمس هي مركز [illegible] الارض تدور حولها وهي النظرية [illegible] جرتعليه لعنة الكنيسة وسوء حياته • وعلى اساس من هذه المواقف العدائية [illegible] للمعطيات العلمية كان يجري التعامل مع التفوق بهذا الاسلوب من القمع والاضطهاد ولا سيما على يد الغوغاء والمتعصبين من رجال الدين في [illegible] المحافظة •

وقد اكتفيت بهذين النموذجين من التاريخ فقط للاستدلال على مفهوم التفوق عند القدامى وكذا موقفهم منه ولو ان البيئة الاسلامية بعيدة عن المقارنة • ويستعجل على الباحث في مثل هذه العجالة السريعة تحديد قائمة باسماء [illegible] من العلماء الغربيين الذين « [illegible] عليهم [illegible] وظلمهم المجتمع » •

وانطلاقا من هذه المرحلة سنرى بتركيز [illegible] كيف أن التفوق سلوك ومعطيات له أبعاد ودلالات نوعية سواء على مستوى الانسان أم على مستوى النتائج المحصلة •

نوعان للتفوق

التفوق نوعان : نوع خاص ونوع [illegible]

[illegible]

خصائص النوع الأول

[illegible]

الاسلوب التكتيكي للتعطيم والاحتفاظ بموقع الاستراتيجية طمعا في التفوق ، منها العاب الملاكمة مثلما يفعل محمد علي كلاي بطل العالم في الملاكمة وهو ينازل منافسه • وكذلك مارس نفس الاسلوب حرصا على التفوق بعض الشعراء الفرسان في الجاهلية كقول عبيد بن الابرص لامرىء القيس في المعركة القتالية التي جرت بين بني أسد وملكهم حجر والد امرىء القيس واخوته :

ولقد أبحنا ما حميـ
ت ولا مبيح لما حميا
ولو قدرت عليـ
ك رماح قومي ما انتهيا

وهو ما حمل امرأ القيس على الفرار من المعركة ويعيره عبيد بقوله :

وركضك لولاه ، لقيت الذى لقوا
فذاك الذى أنجاك مما هنالك

ويدخل اليوم الحرب النفسية كسلاح للتفوق في المواجهه مع العدو لا تقل خطورة عن الدبابة والمدفع او الاسلحة الالكترونيه •

وقد جاءت حضارتنا المعاصرة التي يقال انها لا شرقية ولا غربية حافلة بشتى أنواع النعم والنقم او كما وصف الرحالة ابن بطوطة بلدا أسيويا بقوله : « هي جهنم المليئة بالنعم » فالى جانب انتشار وسائل المواصلات من البرية الى الاقمار الاصطناعية الى الكشوف الطبية والعلمية والابحاث الفضائية ، الى وسائل التقدم والرفه ، الى سعي دائب لاحلال السلام الدائم بين أبناء المعمورة • الى جانب هذا كله وغيره أسلحة مدمرة ومخربة يتقن الانسان صنعها ويبدع •• الحافز عليها التسابق نحو التفوق العسكري تحت ستار ضبط ميزان القوى وخاصة بين الدولتين العظميين روسيا والولايات المتحدة • ومن ثم نبعت فكرة سباق التسلح الذي لا تؤمن عواقبه • وما تزال أشباح الحرب العالمية الثانية ماثلة للعيان تقشعر لها أبدان الاوربيين وترتعد لها فرائصهم كلما طاف منها طائف بذهنهم لما أذاقتهم من ويلاتها نتيجة التفوق العسكري النازي الذي أغرى المانيا الهتلرية برغبتها في السيطرة على العالم • فاين هذا من ايات العلم النافعة وفضائل العقل البشري في أسمى معانيها ؟ ولقد أحسن الرد الشاعر السوداني محمود سعيد العباسي حين قال :

عجيب أنباء المدنية كم عتوا
وكم ضيعوا فضل الثقافة والعقل
أتوا من طريق العلم كل بليدة
وجاروا فكان العلم شرا من الجهل

وتعتبر الراسمالية أبشع صورة للتفوق المادى في حياتنا الاقتصادية والاجتماعية ، لان تفوق الاغنياء يتم دائما على حساب الطبقات الفقيرة ، فكلما ازداد أولئك ثراء ازداد هؤلاء فقرا حتى قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه : «ما رأيت نعمة موفورة الا الى جانبها حق مضيع » • ولا يمكن ايجاد معادلة صحيحه لهذا التفوق السلبي الا بازالة الفوارق الطبقية والقضاء على الاستغلال والاقطاعية وخلق مجتمع مثالي تسوده العدالة الاجتماعية •

لماذا جنون العظمة ؟

وكبار النفوس عادة ما تجتشم أصحابها المتاعب وتنشقيهم ولا تجد راحتها الا في بلوغ أهدافها طالما أنها توحي بالتفوق كاحساس رائد يستجيب لنوازعها الجنونية ويغرى بالتسلل الى زمام السلطة ، ويظل هذا الشعور قويا طالما أنه مطمح سياسي يحمل الزعيم القائد على أن يقبض على ناصية الحكم بيد من حديد لينفرد باعلى موقع للتفوق وهو الحكم الذى لا يسمح بالتطاول عليه من قبيل الاغتصاب والا عوقب بتهمة الخيانة العظمى أولئك الطامعون والمتربصون • وقد يكون الطريق الى الحكم ممهدا ولا يتطلب سوى التعبير الحر بواسطة انتخابات نزيهة • وقد يكون محفوفا بالمخاطر ، وسلوكه مغامرة انتحارية • وقد سجل التاريخ السياسي منذ نشأة الدولة أحداثا من الانقلابات العسكرية والثورات الشعبية التي قادها زعماء سياسيون ـ ودعك من أولئك العظماء ـ يحدوهم الشعور بالتفوق كتيار كاسح على شعوبهم بموجبه الرضوخ لارادتهم في الحكم • وهذا النوع من التفوق استبدادى نفعي يظل صاحبه عرضة للاهتزاز بسبب عامل المنافسة والتهافت من قبل زعماء المعارضة والجيش يدفعهم الحلم بالتفوق السياسي من جهتهم الى محاولة الانقضاض على السلطة في البلاد بهدف اقرار نظام معين كبديل أو تصحيح نظام قائم ، وما الى ذلك من الذرائع السياسية التي يصعب سدها الا بثورة تطهيرية على الدكتاتورية والفساد الادارى لاقامة نظام

ديمقراطي شرعي يكون فيه افراد الشعب احرار امنين ، يعيشون في ظل العدل والمساواة • وبذلك ياخذ التفوق السياسي مجراه الحقيقي في قيادة الشعوب وزعامتها •

خصائص النوع الثاني

ويمتاز هذا النوع من التفوق بالانفتاح والشمولية وهو ما يعكس طبيعة الذين يمارسونه باسلوب التسامي عن الدعاية من غير هدف اناني أو نزوع الى الاستعلاء • فالذين يسعون الى النبوغ او الالمعية في مجال البحث العلمي مرهقة الفئة انما يحدوهم الشعور الجاد للاسهام في اداء الرسالة الثقافية والعلمية التي تناط بكل رجل واع يجد من نفسه الدافع لان يقوم بدوره الايجابي نحو المجتمع الانساني • لذلك نجد امثال هؤلاء يغرقون نفوسهم وسط تراكمات مضخمة من جلائل الاعمال التي تستهلك كل أوقاتهم وتبتلع حياتهم • وأخص هؤلاء فئة العلماء المصرفين للبحث العلمي في دهالير مختبرية مجهولة واحيانا معلومة في أماكن مختلفة من العالم • وكل همهم ان يذيبوا اعمارهم فيما يخدم مصلحة الانسانية وينفع الناس جميعا كالشمعة تضيء ما حولها وهي تحترق• وعلى أكتاف هؤلاء قامت حضارتنا العلمية المعاصرة حيث انه ما من مطلع شمس أو غروبها الا ورافق ذلك اختراع جديد او كشف عظيم هو فتح مبين في مجال التقدم والرخاء • وقلما نعم هؤلاء الجنود المجهولون بثمار مخترعاتهم وكشوفهم أكثر منا • وحسبهم ان يصنعوا الحياة لنا • بل حسبهم أيضا أنهم يحيون لينفعوا غيرهم وما لهم من ذلك مطمع •

والتفوق بهذا المنظور مرغوب فيه ومحمود ويجب التحريض عليه والتشجيع وغرس بذوره في نفوس ناشئتنا بشكل فعال •

كذلك يضاف الى هذه الفئة من العلماء الباحثين الكتاب والادباء والمفكرون، ويمكن تحديد مقياس التفوق الحقيقي عند هؤلاء في قيمة ما يكتبون وفيما يحسنونه من ضروب القول • ولا أهمية في ذلك للحكم • وهنا يكمن السر في ان بعض رواد القلم سرعان ما يدخلون رحاب الخلود من أوسع الابواب ولما تتجاوز أثمارهم الكتابة الاحاد حتى أننا كثيرا ما وجدنا النقاد يقولون في الثناء عليهم : ولو لم يكتب فلان غير رائعته الفلانية لكفاه » •

ولو [illegible] [illegible] والمرء هو [illegible] التفوق [illegible] في [illegible] والنعمة [illegible] رسالة العالم والمثقف [illegible] وهو [illegible] يكون [illegible] رسوخ كما [illegible] الكفاءة واضطرار العالم الى [illegible] • والتفوق الخاص ليس علامة مميزة تقصر الفرد الناجح وحده بقدر ما هو ميزة مشتركة بين ابناء جنسه خاصة وبين ابناء الانسانية عموما • فالشاعر الناجح في الجاهلية كان يحتفى به قبيلته ويصبح له من بينها مكانة مرموقة ليس في وجدانها لما تعرفه لها من احترام الناس وتقديرهم لها علاوة على كونه الناطق بلسان حالها ومخلد ذكراها لا سيما اذا كان هذا الشاعر من اصحاب المعلقات او من طبقات الفحول • وما جائزة نوبل الا مثال حي لتكريم العلماء المتفوقين الذين يثرون بكنوزهم المكتبة الادبية والعلمية • او الذين يسهمون بجهادهم ونضالهم في سبيل ارساء قواعد السلام في العالم دون اعتبار لجنسياتهم او قومياتهم • ولكن سنشتمل من هذا التعميم المتفوق العربي بكل اسف • وهناك أيضا الهيئات الحكومية والدولية ترصد الجوائز للمتفوقين من العلماء والباحثين وتعطيهم باوسمة الاستحقاق والكفاءة الفكرية كما تمنحهم الاكاديميات والجامعات الشهادات التقديرية والفخرية وتفرد لهم كراسي الاستاذية وتخصهم بالزمالة الى غير ذلك من ضروب التشجيع على التفوق والترغيب فيه •

دور المرأة

ولعبت المرأة دورا كبيرا في اكتساب الرجل عنصر التفوق • وقد ادرك العرب في جاهليتهم قيمة هذا الدور الذي من أجله كانوا يصطحبون نساءهم لحضور الغارات الحربية والمشاجرات والحروب [illegible] أناشيد البطولة والحماسة لتحريض رجالهن على النجدة والتفوق • على ان التأثير السحري للمرأة في صنع التفوق مرهون بوجودها ونزول نزوالها في جانب الاحسان • كالذي كان من أمر [illegible] الخمسة [illegible] الشاعرة الاموية لبنى الاخيلية • [illegible] شاب وسيم أعجبت به لبنى [illegible] العاشق ان يغار على [illegible] المسارعة عليه [illegible] التعويض عما [illegible]

يفتقر اليه من وسامة . فقبل الشاب الذى تمكن ثوبة من اسقاطه عدة مرات • حتى اذا ما أعيته الحيلة . اشار على ثوبة ان يستأنفا المصارعة بعيدا عن ليلى . ثم انطلقا معا نحو الوادى المجاور . وهنا تغير ميزان القوى لصالح الشاب الذى أسقط ثوبة فى أول جولة لهما • ثم قال له معللا سبب هزيمته فى المرات السابقة . انما صرعتنى بريح هذه يريد ليلى •

على أن ثمة لونا آخر للتفوق تكون المرأة خلفيته الصلبة ، وذلك ما يتعلق بنجاح شخصيات تاريخية فيمراكز القيادة والزعامة تحقيقا للمقولة المتواترة (خلف كل رجل عظيم امرأة) • وقد سجل التاريخ أسماء لامعه لنساء شهيرات صنعن المواقف الشجاعة وكتبن الصفحات المجيدة التى ارتقت بأصحابها المغمورين الى مراتب التفوق السياسى والعسكرى• ومكنتهم من اجتياز العراقيل وتخطى الصعوبات بفضل الحنكة والتجربة ، كالذى اشتهر عن زينب النفزوية التى نجحت فى توجيه سياسة زوجها الخليفة يوسف بن تاشفين المرابطى ازاء ابن عمه أبى بكر بن عمر لحمل هذا الاخير اثر عودته من الصحراء على التسليم النهائى له بالخلافة • فكان لها ما أرادت دون اراقة دماء • وذلك بما أوتيت من رجاحة فى العقل ودراية سابقة بطبيعة الزوج الاول لتصبح هى والزوج الثانى شركى عنان فى تدبير شئون الدولة المرابطية بنجاح ، ولكن بالنسبة اليها كان ذلك من وراء ستار •

بل يفوق هذا من منظار آخر ، أن بعض أمهات المؤمنين اشتهرن بالحكم والتبصر وبعد النظر ، وذلك كان من دواعى تفوق الرسول صلى الله عليه وسلم على مختلف الظروف الصعبة والحرجة التى واجهته فى بداية عهده بالوحى وكذا عند التوقيع مثلا على معاهدة الحديبية التى رفض المسلمون التسليم ببنودها لما بدا لهم أنه انتصار لقريش ودنية أعطوها فى مقابل ذلك فى دينهم • وكان من مضاعفاتها الخطيرة أن المسلمين ساعتئذ لم يستجيبوا لاوامر الرسول فى نحر هديهم وحلق رؤوسهماستعدادا لرحلة العودة الىالمدينة تراجعا عن أداء العمرة تلك السنة كما نصت المعاهدة • ولكن الرسول الذى لم تعوزه عبقرية الادراك والتصرف فىالاوقات العصيبة بادر باستشارة زوجته السيدة أم سلمى ، فاشارت عليه أن يخرج وينحر هديه ويحلق رأسه دون أن يكلم أحدا منهم •ففعل وتابعه أصحابه فى ذلك • وانفرجت الازمة التى كادت أن تؤدى الى الوقيعة بينهم •

وعندما نزل الوحى على الرسول صلى الله عليه وسلم لاول مرة وكان يعانى منه شدة حتى ليتفصد جبينه عرقا ، هرع الى السيدة خديجة يشكو لها من مخاوفه على نفسه . فاجابته : (كلا والله ما يخزيك الله أبدا . انك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق) • فكان جوابها هذا شافيا وداعيا من دواعى تفوق الرسول على المخاوف والهواجس مهما اشتدت وطاتها وقويت حدتها مع الاصرار على الاحتفاظ بمواطىء الاقدام من موقع النبوة دون التزحزح عنه قيد أنملة • ويحصل للرسول القناعة بان « صنائعالمعروف تقى مصارع السوء » • وهكذا ترتفع المرأة العربية بفكرها وعقلها الى مستوى الاحداث لتتحكم فى صعاب الامور وتكون الاداة الحاسمة للتفوق على الهزائم والمثبطات وبالتالى الواجهة الخلفية للمواقف الناجحة •

التفوق المصطنع

والتفوق من الوجهة الايجابية ، يكسب صاحبه شجاعة الرأى وقوة الايمان والثقة بالنفس ويدعم مركزه الاجتماعى والسياسى والدينى والثقافى ويرفع روحه المعنوية جميعا • فالمتفوق الكاسب لهذه المزايا هو أقدر الناس على قول الحق والامر بالمعروف والنهى عن المنكر وأشدهم تمسكا بالقيم والمثل ، وأكثرهم نزوعا الى التقوى ، وتقوى الله تفوق على المكارة والهموم وكل أنواع القلق النفسى ، ولا يحصل الفضل عند الله الا بها • وهى مجلبة للصفاء والسعادة والخلاص منالازمات والمنغصات « ومن يتق الله يجعل له مخرجا » والمظهر الارتقائى للتفوق فى أقصى مداه يتجلى فى التسامى بالنفس والارتفاع بها لتقارب الكمال المطلق والنأى بها عن الشر والفساد لتنسلك فى عداد الخالدين •

وجماع القول ، فان أعظم فوز معنوىيحققه المرء هو تفوقه على نفسه حملا لها على ما يزينها ، ومعرفته لها المؤدية الى معرفة الله تعالى•وبذلك « يعيش سالما والقول فيه جميل » •

وقد يعترى الزعامة او القيادة ردة أو افلاس

بسبب من الاسباب · فيجنح [illegible]
التناد ، او تستمسر لنزوات [illegible]
لتتجاوب مع رغبات تعتبر لا [illegible]
القمة ولا تتفق مع سمومكانتها [illegible]
من حالق عزها الى الحضيض · [illegible]
منهذا النوع [illegible]
التمثيل لا الحصر [illegible]
عاهل بريطانيا السابق الذى وقع فى [illegible]
أمريكية انتهى الى زواج بعصمتها [illegible]
ارادة · ولما كان الدستور الانجليزى [illegible]
ملوكه الزواج من الاجنبيات فانه [illegible]
هذا الملك الا اختيار واحد هو التخلى عن العرش
ليخلص الى حبيبته الاسرة · من هنا [illegible]
البون التاسع بين التفوق [illegible]
الذى لا يشكل الا المظهر الخارجى [illegible]
فى مثل هذه القصة وأضرابها · [illegible]
التكلى تدهورا كلما بلغت [illegible] فى الدولة
الحاكمة دور الهرم · ونظير هذا كثير فى تاريخ
الاسلام السياسى · وخير من يمثله [illegible]
على الله نيابة عن خلفاء الطور الاخير من الدولة
العباسية · فقد كان من الضعف بحيث استبد
دونه الولاة بالاقاليم الاسلامية جميعا بعد أن كانت
امبراطورية موحدة · ولم يبق له من الخلافة فى
بغداد الا الاسم . حتى انه كان يطلب اليسير من
المال فلا يصل الى يديه منه شيء · وقد شرح هذا
الخليفة الضعيف أحواله المزرية فى هذين البيتين

ليس من العجائب أن مثلى
يرى ما قل ممتنعا عليه
وتؤخذ باسمه الدنيا جميعا
وما من ذاك شيء فى يديه ·

ويضاف الى هؤلاء ملوك الطوائف بالاندلس
الذين اطلقوا على انفسهم الالقاب فى غير موضعها
[illegible] كان عليه حالهم من الضعف والخذلان والتظاهر
بالقوة وما هم باقوياء حتى ليقول فيهم الشاعر :

مما يزهدنى فى أرض أندلس
أسماء معتضد فيها ومعتمد
ألقاب مملكة فى غير موضعها
كالهر يحكى انتفاخا صولة الاسد

مثال هؤلاء وأولئك كثيرون ·

ما دور المدرسة الحديثة

ا التعليم فى العصر الحديث خطوات [illegible]

[illegible]

وتدهور فى العمر المعنوية ·

واذن [illegible] المدرسة الحديثة [illegible]
فى [illegible] نتائج العلم العالية [illegible]
تربوية هادفة [illegible] بروحى
مما لا [illegible] تتوزعه الحيرة والتمزق وتدارك
[illegible] وقوليته من جديد لتكون [illegible] على التوفيق
بين معطيات العلم والدين بلا [illegible]
ليكون فى وضعية سليمة تمكنه من اعطاء مدلولات
صحيحة وبناءة لمفهوم التفوق كظاهرة سلوكية فى
الدور · ويشاطر المدرسة [illegible] فى هذا الدور
ولا بد . مؤثرات تربوية واجتماعية وثقافية
وسياسية وادبية ودينية جامعة · اهمها · [illegible]
و[illegible] الصحافة والاعلام والجمعيات [illegible]
على اختلاف مشاربها وكذا الهيئات والمنظمات
السياسية والثقافية ورابطات [illegible]
الكتاب والادباء وما اليها من [illegible]
والتثقيف والتوعية [illegible]
منها مجتمع من المجتمعات [illegible]
المؤثرات كلا متكاملا [illegible]
امكن [illegible]
[illegible]



بقلم : علي ادهم

من الاقوال المأثورة ان الرجل العاقل الحكيم يستفيد من تجارب غيره من الناس اكثر من استفادته من تجاربه الخاصة ، وذلك لان تجاربه مهما كثرت وتنوعت فانها اقل عددا وتنوعا من تجارب الكثيرين من الناس • والتاريخ هو خلاصة تجارب البشر في حياتهم الدنيوية ومحاولاتهم الحضارية ، وقد اخذ هيجل على البشر انهم لايستفيدون من عبر التاريخ . ولكنه مع ذلك قدم لدارسي فلسفته كتابه المشهور عن فلسفة التاريخ الذي ضمنه خلاصة تفكيره التاريخي ، وجعله اساسا لدراسة فلسفته •

■ تاريخ المسلمين بالاندلس الذي استمر ثمانية قرون حافل بالتجارب والعبر ، والمواقف المشرقة والنكبات الصادعة ، والانتصارات العظيمة والهزائم المروعة . وقد مر بادوار ثلاثة بارزة ، دور الخلافة الاموية ، وكانت فيه كفة الاسلام هي الكفة الراجحة ، وليس معنى هذا ان هذا العهد قد خلا من بعض الهزائم والنكسات ، ولكن سيطرة الاسلام كانت الغالبة ، وقد ازدان هذا العهد بطائفة من كبار رجال التاريخ من أمثال عبدالرحمن الداخل وعبدالرحمن الاوسط وعبدالرحمن الناصر وغيرهم من افذاذ الرجال ، ولما طويت صفحة الخلافة الاموية ، وجاء عهد ملوك الطوائف وسيادة المرابطين والموحدين في اواخر القرن الرابع الهجري الى اوائل القرن السابع - كان موقف المسلمين قد تعرض للاخطار الشديدة الماحقة ، وكان في طليعة هذه الاخطار المدمرة محاربتهم بعضهم لبعض واستعانتهم في ذلك بعدوهم المشترك الذي كان يتربص الفرص للعمل على تقليص ظلهم واجلائهم عن الاندلس • والذي مكنهم من البقاء خلال هذه الفترة هو قدوم المرابطين من افريقية وانتصارهم على النصارى في معركة الزلاقة المشهورة سنة ٤٧٩ هجرية (١٠٨٦ م) ، وقد راقهم بعد ذلك البقاء في الاندلس فقضوا على سيطرة ملوك الطوائف وبسطوا سلطانهم على الاندلس ، ولما دب الضعف في دولة المرابطين ، وزالت دولتهم ، خلفهم الموحدون ، وكانت هذه الفترة حافلة بالكفاح والصراع ، ولما انهارت دولة الموحدين اصبح موقف المسلمين بالاندلس معرضا للزوال ، وتوالى سقوط الكثير من القواعد في

يدي الاسبانيين ، مثل قرطبة [illegible] واشبيلية .

مولد مملكة غرناطة

وربما كان من عجائب الاقدار [illegible] المتلاحقة ، والضربات [illegible] نتيجة غير متوقعة ، وهذه [illegible] القوى الاسلامية لتبقى [illegible] الجزيرة ، وتكوين دولة [illegible] الثبات والمقاومة مدة [illegible] هي مملكة غرناطة . ولم [illegible] على هذه الدولة [illegible] هجرية - ديسمبر [illegible] ١٤٩٢ [illegible] لصيبة - ١٣٩٧ [illegible] سقوط غرناطة في يد الاسبانيين [illegible]

ويقول المقري في نفح الطيب [illegible] بلاد الاندلس غرناطة .وقيل ان [illegible] ومعناه بلغتهم الرمانة . وكفاها شرفا [illegible] الدين بن الخطيب بها ، ويقول [illegible] غرناطة فانها دمشق بلاد الاندلس ومسرح الابصار ومطمح الانفس ، ولم تخل من اشراف [illegible] وعلماء اكابر ، وشعراء افاضل . ولو لم يكن لها الا ما خصها الله تعالى به من المرج الطويل ونهر شنيل لكفاها . وفيها يقول لسان الدين

غرناطة ما لها نظير
ما مصر ما الشام ما العراق

ما هي الا العروس تجلى
وتلك من جملة الصداق

وتسمى كورة البيرة التي منها غرناطة دمشق . لان جند دمشق نزلوها عند الفتح . وقيل انها سميت كذلك لتشبهها بدمشق في غزاره الانهار وكثرة الاشجار » .

ولما استولى الاسبانيون على معظم بلادالاندلس انتقل الباقون من سكانها اليها . فصارت كما يقول المقرى « المصر المقصود ، والمعقل الذي تنضوى اليه العساكر والجنود ، ويشقه نهر عليه قناطر يجتاز عليها ، وفي قبيلها جبل شلير ،وهو جبل لا يفارقه الثلج صيفا ولا شتاء ، ومن اعمالها لوشه ومنها اصل لسان الدين بن الخطيب وهذه

[illegible]

[illegible]

[illegible] والنفوذ [illegible] المسيحية [illegible] الاندلس [illegible] من العدو [illegible] الاحوال [illegible] بالاندلس [illegible] لاهلها [illegible] والكارثة المتوقعة [illegible] في سنة ٦٣٦ هجرية [illegible] الابار القضاعي [illegible] ملك تونس [illegible] مطلعه

[illegible]

وفي اوائل القرن السابع الهجري ظهر في شرقي الاندلس ابوعبدالله محمد بنيوسف بن هود . سليل بني هود من امراء سرقسطه السابقين . وكان الموحدون هم المسيطرين على الاندلس الاسلامية في تلك الفترة ، ولكن دولتهم بدا فيها الضعف والانحلال . ولذلك استطاع ابن هود حين ثار عليهم أن يستولي على مرسية سنة ٦٢٥ هجرية وقوى امره ، وعظم شانه ،واعتزم تحرير الاندلس من الموحدين ومن المسيحيين . ودخل في طاعته مجموعة من قواعد الاندلس مثل جيان وقرطبة وماردة وبطليوس . واستولى على غرناطة سنة ٦٢٨ هجرية . وظل يجاهد الموحدين والنصارى . ولكن النصارى تمكنوا من غزو قرطبة والاستيلاء عليها في سنة ٦٣٤ هجرية ، وكان لسقوط قرطبة وقع شديد في بلاد الاندلس ، ولم يلبث ابن هود ان توفي في ظروف غامضة في اوائل سنة ٦٣٥ هجرية .

وكانت ثورة ابن هود على الموحدين مقدمة لمرحلة جديدة في تاريخ الاندلس ، أو مقدمة لقيام مملكة غرناطة كما يقول الاستاذ عبدالله عنان .

وكان منشيء دولة بني الاحمر في غرناطة رجلا عربيا من بني نصر ، هو محمد بن يوسف بننصر، وقد لقب بابن الاحمر لشقرة فيه . وهو ينتسب الى بني نصر . وكانوا في الاصل سادة حصن من اعمال قرطبة ، ويرجع نسبهم الى سعد بن عبادة سيد الخزرج بالمدينة ، وكان رجلا شديد المراس كريم الخلق ، وقد ولد في ارجونة سنة ٥٩٥ هـ (١١٩٨ م) وكان يلقب بالشيخ اعترافا بزعامته على بني نصر ولكفايته النادرة ، ولما اضطربت الاحوال بالاندلس ، وضعف امر الموحدين ، وخرج عليهم محمد بن يوسف بن هود ، واخذ ينتزع منهم القواعد والثغور ، رأى بنو نصر فرصة للظهور ، معارضة ابن هود في جنوبي الاندلس ، ودعا محمد بن يوسف للامير زكريا صاحب افريقية ،واطاعته جيان وشريش ومالقه من القواعد الجنوبية سنة ٦٢٩ هـ . ولما لاح ان الامر قد استقر لابن هود الذي استولى على غرناطة وجاءته موافقة من الخليفة العباسي على دعوته وقبول حكمه ، رأى محمد بن يوسف الاحمر مصانعته والانضمام الى دعوته ، واعلن الطاعة له ، ولما توفي ابن هود انهارت دولته بادر ابن الاحمر بالاستيلاء على المرية من يد حاكمها من قبل ابن هود ، ودعته غرناطة الى دخولها . فدخلها في اواخر شهر رمضان سنة ٦٣٥ هجرية (١٢٢٨ م) .

وحكم بني الأحمر

وهكذا بدأ حكم بني الاحمر لغرناطة التي استطاعت ان تقاوم المسيحيين مدة قرنين ونصف القرن ، وقد انحاز اليه المسلمون الذين غلبوا على امرهم في النواحي التي استولى عليها النصارى ، وتكاثرت جموعهم ، وكانوا جلهم قوما موتورين تلتهب في نفوسهم الكراهية للذين اخرجوهم من ديارهم ، فهم يريدون فرصة ليثاروا لانفسهم تحت راية ابن الاحمر وحلفائه . وكانوا جميعا من مهرة الصناع والمزارعين والتجار ، وقد قيل ان خمسين الفا من العرب قدموا على سلطان غرناطة من بلنسية وشريش وغيرهما . ولكن ابن الاحمر مع قوة اسره وشدة مراسه لم يستطع الوقوف في وجه النصارى لان اسبانيا كلها الا قليلا اصبحت في ايديهم ، ورأى ابن الاحمر ان الدولة في حاجة ماسة الى الاستقرار والتوطيد ، وكان اصاغر الزعماء والحكام يؤثرون الخضوع لملك النصارى ، والاحتفاظ في ظله بمدنهم وقواعدهم .

وكان فرديناند الثالث ملك قشتالة في تلك الفترة يرى في ابن الاحمر زعيم الاندلس الحقيقي، فلما انتهى من اخضاع الثغور الشرقية عمد الى مهاجمة ابن الاحمر ، واستولى النصارى على حصن اراجون وبعض اماكن اخرى من املاك سلطان غرناطة ، وحاصر غرناطة بعد ذلك (في سنة ٦٤٣ هـ ـ ١٢٤٤ م) ولكن ابن الاحمر استطاع مدافعته بعد ان كبده خسائر فادحة ،وفي العام التالي زحف النصارى على جيان وحاصروها حتى اشرفت على السقوط ، ولما رأى ابن الاحمر ذلك لم يربدا منمصانعة ملكقشتالة وتقديم الطاعةله، واتفق معه على ان يحكم بلاده باسمه ، وان يقدم له جزية سنوية ، وسلم اليه قلعة جيان ، وقد قبل ابن الاحمر ذلك كله وهو يامل ان يسعفه القدر ، وتتحسن الاحوال ، ويوطد ملكه ، ويعمل بعد ذلك على استرداد سلطته ، وقد ارغم على معاونة النصارى في استرداد اشبيلية والاستيلاء عليها سنة ٦٤٦ هـ وكان هذا السلوك مالوفا

في تاريخ الاندلس منذ عهد ملوك الطوائف ، فقد ظاهر كثير من امراء المسلمين ملوك النصارى على اخوانهم في الدين ابقاء على مكانتهم ، واحتفاظا بسلطانهم .

والذى يبدو من اخلاق ابن الاحمر انه قبل الوضع راغما متألما وانقاذا للموقف ونزولا على حكم الضرورة القاسية وكان في مأموله انه يستطيع بعد ذلك ان يجمع شمل المسلمين ، ويجمع ما تبقى من تراثهم في دولة موحدة . وكان ابن الاحمر يرىانه لا ملك الا بالرجال،ولا رجال الا بالمال ، ولا مال الا بالعمارة . ولذلك اخذ رعيته بحسن السياسة واقامة العدل ، وعنى بتشييد المصانع والمعاقل ، كما عنى بالفلاحة والتجارة والصناعة . ولم يهمل الصحة العامة ، وقد شاد كثيرا من المدارس لطلب العلم . وبنى قصر الحمراء الشهير ، وهو من القصور المعدودة في الدنيا ،وبهذه السياسة الحكيمة استطاعتغرناطة ان تنهض بالاداب والفنون والعلوم . ووثق علاقته ببني مرين في المغرب ، وكانوا يرسلون الى غرناطة عونهم العربي . بل كانوا يبقون قوى حربية تحت سلطة ملك غرناطة تساعده اذا ماتحرش بهالاسبان ولقد ظل لهذا العون أثره ما بقى ملك بني مرين في المغرب ، فلما ذهب امرهم في القرن التاسع الهجري وقامت بعدهم دولة لم تستطع مد غرناطة بتلك المعونة التي كانت تتلقاها بدأ امر غرناطة في الضعف .

ويقول الاستاذ العبادى يحسن أن نشير الى ان ملوك المسيحية قد تركوا غرناطة وشانها في أول الامر لانصرافهم لتوطيد دعائمملكهم فيما فتحوه من البلاد ، ولكنهم ما لبثوا بعد ان استقر في ايديهم ما ملكوا ان بدءوا يشنون الغارة على املاك غرناطة وبادلهم المسلمون غارات بغارات ونكاية بنكاية ، وكثيرا ما كانت تبلغ الغارات حد العنف الذى لا رحمة فيه ، واتسم بعضها بالمغامرة وعدم التبصر . وكان يدفع اليها العمد وركبها حب الثار والانتقام .

غرناطة تحتل مكان قرطبة

ولما انس ابن الاحمر في نفسه القدرة [illegible] استعادة استقلاله ونبذه الخضوع لطاعة [illegible] لم يتردد في ذلك ، وعاونه في الاقدام [illegible] محاربتهم حلفاؤه بنو مرين ، وغيرهم من ملوك

[illegible]

العرب [illegible] مرة [illegible] هزمهم [illegible] ٦٦٠ هـ (١٢٦١ م) وقد توفى سنة ٦٧١ هـ (١٢٧٢م) بعد ان وطد دعائم دولته و [illegible] الاحمر .

ولقد بلغت غرناطة في ازدهار العلوم والاداب ما بلغته قرطبة ، وارتقت بها الفنون ارتقاء عظيما . وذاعت شهرة مهندسيها وساستها في انحاء اوروبا ،وهمالدس سوا العمراء ،وموهوا حيطانها بالزخرف الذهبي البديع ، وهي لا تزال الى اليوم موضع تقدير الفنانين واعجابهم .ومن غرناطة محمد الخامس هو الذى استوزر لسان الدين بن الخطيب الكاتب الشاعر المقدر ، كما وفد عليه العلامة المؤرخ ابن خلدون واقام في خدمته ، وكثيرا ما سفر له لدى النصارى وتعدد سفاراته .

وتوالى على عرش غرناطة بعد محمد الخامس عدة من ملوك بني الاحمر ولكنهم لم يكن لهم قوة اسلافهم وبعد نظرهم السياسي وحسن تدبيرهم لموقف غرناطة في اساسها المتصدعة . وشاء القدر ان يتزوج فردناند ملك اراجون من ايزابلا ملكة قشتالة في الوقت الذى دب فيه الضعف في مملكة غرناطة وذهاب حلفائها في المغرب . وكان حاكم غرناطة في هذه الاثناء عليا ابا الحسن ، ولم يكن ممن تنقصهم الشجاعة ولكنه لم يكن من ذوىالراى الراجح والتدبير المحكم . وقد ولى الملك سنة ٨٧١ هـ (١٤٦٦) م وقد استخلصه بعد نضال عنيف بينه وبين منافسيه وعلى راسهم اخوه ابو عبدالله المعروف بالزغل، ولما استقر ابو الحسن عبدالله المعروف بالزغل ، ولما استقر [illegible] في عرشه عنى بتحصين المملكة [illegible] واستطاع ان يسترد عددا من المواقع و [illegible] ويقول الاستاذ العبادى انه راى ان [illegible] اتحاد النصارى بالعرب قبل ان يهاجموه [illegible] فامتنع عن دفع الاتاوة التي كان يؤديها [illegible] لرسول فردناند الذى جاء يطلب في [illegible] المولاة [illegible] سلاطين غرناطة [illegible]

ماتوا [illegible]

السوق [illegible]

الصخرة [illegible]

[illegible]

وصفا تصور ما امتلأت به الصدور من الحقد والضغينة بين الفريقين .

ولم يرض اهل غرناطه عن هذا العمل ، وثار عقلاؤهم بمغبة هذا التهور . وقد رد النصارى على ذلك بالاستيلاء على حصن الحمة ، وبهذا الاستيلاء تمكنوا من وضع حامية قوية في داخل بلاد المسلمين وعلى مقربه من غرناطه نفسها . ولم يستطع ابو الحسن برغم المحاولات التي قام بها ان يسترد هذا الحصن.وتبادل الفريقان بعدذلك الغارات الانتقاميه.وكان ابوالحسن قداقترن بالاميرة عائشه ابنةعمه السلطان ابيعبدالله الايسر.ورزق منها بولدين هما محمد ويوسف. ثم اقترن بنصرانيه حسناء تعرف باسم ثريا واثرها على زوجته الاميرة عائشه . وكان وجود هذه الاميرة الاجنبية في قصر غرناطهمن دواعيبعث عوامل الشقاق والتفرقة في الاسرة المالكة .فقد اعقبت من السلطان ولدين، وحرصت على ان تكون العرش لاحدهما وبذلت جهدها لابعاد الاميرة عائشة وولديها من الحظوة والنفوذ . وحرمانهما من حق وراثة الملك . وكان ابو عبدالله محمد اكبرهما ولي العهد المرشح للعرش . وعمل ابو الحسن برأي حظيته ، وظلت ثريا دائبه في توسيع شقة الخلاف بين السلطان ابي الحسن من ناحية والسيدة عائشة وولديها من ناحيه اخرى حتى اعتقلهم جميعا في برج قمارش . وهو امنع ابراج الحمراء .واشتد في معاملتهم، واثار هذا التصرف غضب كثير من اعيان الدولة الذين كانوا يميلون الى ناحيه الاميرة عائشةوولديها وادى ذلك الى اثارة الاحقاد واضرام العداء ، وكانت الاميرةعائشةامراةحازمة.فدبرت وسيلةللهرب من البرج الشاهق . ووصل الامير ابو عبد الله محمد الى وادي اش ، واجتمع بانصاره ومؤيديه .

ونشبت الثورة على ابي الحسن واضطر الى الفرار الى مالقة وكان بها اخوه الامير ابوعبدالله محمد بن سعد المعروف بالزغل يرد هجوم جيش جرار من النصارى أرسله فرديناند الخامس ملك قشتالة . واغتنم ابو عبدالله محمد ابن السلطان ابي الحسن الفرصة وجلس على عرش غرناطةفي أواخر سنة ٨٨٧هـ واطاعته غرناطة ووادي آش واعمالهما ، وبقيت مالقة وغربي الاندلس في طاعة ابيه .

السلطان في الاسر

ووجد ملك قشتالة ان الموقف ملائم لاعاده الاستيلاءعلىمالقةولكنالمسلمينقاوموا مقاومةشديده وهزموا النصارى هزيمة ساحقة . ويرجع الفضل في ذلك الى الامير الزغل الذي استنهض عزيمة المحاربين ،واحسن تنظيمالدفاع،واعتزم ابو عبدالله محمد ان يحذو حذو عمه في الجهاد والغزو ، فهاجمفي ربيع الاولمن عام ٨٨٨هـ (ابريل ١٤٨٣م) حصن قرطبة شمال شرقي غرناطة ، وهزم النصارى في عدة معارك محلية ، وعاد بغنائم كثيرة. ولكن النصارى ادركوه في ظاهر قلعة اللسانة التي كان يحاول حصارها ونشبت هناك معركة اسفرت عن هزيمة جيشه وقتل كثير من قادته واسرهم ، وكان السلطان ابوعبدالله نفسه من الاسرى ، وقد استقبله قائد الفريجة الكونت كابرا استقبالا حسنا ، وانزله باحد الحصون القريبة ، وعادرجاله الى غرناطة التي روعتها هذه الكارثة ، واجتمع رأي كبراء غرناطةعلى استدعاء السلطان ابي الحسن ليجلس على العرش ولكنهكان قد فقد بصره ولم يعد في نفسه القدرة على احتمال أعباء الملك. فنزل لاخيه محمد ابي عبدالله الزغل حاكم مالقه وارتد الى المكلب . وأقام بها حتى توفي (سنة ٨٩٠ هـ)وخلفه على العرش اخوه الزغل .واخذ في تنظيم الدفاع وتدبير شؤون الملك .

وظل السلطان ابو عبدالله بن ابي الحسن في الاسر ، ورأى ملك قشتاله ان يستفيد من ذلك الموقف في تحقيق اهدافه ، وقد بذل السلطان ابو الحسن حين عودته الى العرش مجهودالافتداء ولده ، وعرض على فرديناند ان يدفع له فدية في نظير ذلك ، ولكنه لم يقبل الافراج عنهواثر الاحتفاظ به ، وبذلت الاميرة عائشة منناحيتها مجهودا لانقاذ ولدها ، واقترحت على ملكقشتاله ان يتولى ابو عبدالله الملك في ظل ملكقشتاله وان يدفع له جزية سنوية ، وان يقدم له المعونة العسكرية كلما طلب منه ذلك ، ورأى ملكقشتاله فرديناند ان يتخذ ابا عبداللهوسيلةلتحقيقمطامعه. وارسل قواته في انحاء مملكة غرناطة لتنتزع كل ما يمكن انتزاعه في غمار الفوضى السائدة فاستولت على عدة من الحصون والقلاع ، ونشبت في غرناطة ثورة وحرب اهلية شغل ملكها الزغل باخمادها ،وفي الوقت نفسهاطلق فرديناند سراح

ابى عبداللهبعد قبوله عقدالمعاهدة [illegible]
مع تعديل بعض نصوصها .واعلن ابو عبدالله [illegible]
وطاعته للملك فتنتالة، وفى شوال سنة [illegible]
فى البيازين من احياء غرناطة [illegible]
واجتمع حوله انصاره . واعلن الثورة [illegible]
وامده فرديناند بالذخائر والمؤن و [illegible]
غرناطة الى شطرين نتربص كل منهما بالاخر
فغرناطة واعمالها يحكمها ابو عبدالله ، ووادى
آش واعمالها يحكمها عمه الزغل ، و[illegible]
فرديناند حليفه ابا عبدالله . واستمر القتال
بينهما مدى اشهر .وفى ربيع الثانى سنة ٨٩٢هـ
(١٤٨٧ م) ارسل فرديناند جنوده الى بلش مالقه
الواقعة على مقربة من ثغر مالقه . فاسرع الزغل
الى الدفاع عنها . وسقطت بلش فى يد النصارى
(جمادى الاولى ٨٩٢هـ - ابريل ١٤٨٧م) وعاد الزغل
بجنده قاصدا غرناطه ، ولكنه علم ان غرناطه
اصبحت خاضعة لابى عبد الله فارتد بجماعته
الى وادى اش ، وبذلك استطاع
ملك قشتاله تقسيم مملكة غرناطه واعمالها الى
قسمين ليسهل القضاء عليهما ، وكان ابوعبدالله
قد اصبح فى الواقع تابعا لملكه قشتالة .وزحف
فرديناند بعد ذلك على مالقة واستولى عليها
فى شعبان سنة ٨٩٢هـ (١٤٨٧م) واستولى بعد
ذلك على المكلب والمرية (اوخر سنة ٨٩٤ هـ -
١٤٨٩م) واتجه الى وادى اش المعقل الاخير
للزغل ، ولم يجد الزغل فائدة من المقاومة
فاذعن لفرديناند فى صفر سنة (٨٩٥هـ يناير ١٤٩٠م)
وباع حقوقه لفرديناد . وجاز البحر الى المغرب
واستقر فى تلمسان وكان ملك غرناطة ابو عبدالله
يرقب هذه الاحداث وهو يشعر بان غرناطه قد
اصبحت على وشك السقوط.وبعث فرديناند الى ابى
عبدالله يطالب بتسليم الحمراء فلم ير أبو عبدالله
مناصا من المقاومة . وظفر ببعض الانتصارات .
ورأى فرديناند ان يقوم بالضربة الحاسمة .فهاجم
غرناطة ، وبدأ حصارها فى جمادى الاخرة سنة
٨٩٦ هـ (مارس ١٤٩١ م) ودافعت غرناطة عن
نفسها دفاعا بطوليا . واضطرت الى التسليم لما
اشتد باهلها الجوع والمرض . وبسقوطها كانت
نهاية دولة الاسلام بالاندلس (صفر ٨٩٧ هـ -
ديسمبر ١٤٩١ م) ودخل النصارى غرنـــاطة فى
الثانى من ربيع الاول سنة (٨٩٧ هـ - ٢ يناير
١٤٩٢ م) وغادر ابو عبدالله قصره . وقـــد

[illegible]

[illegible] الاسلامية [illegible]
[illegible] الدكتور [illegible] موسى
[illegible]
[illegible]
بلا [illegible] طوال [illegible] غرناطة [illegible]
وكان موقف بنى الاحمر من [illegible]
[illegible] من المغرب [illegible]
على العدو [illegible] التهاون [illegible]
بالاتفاق مع ملوك قشتالة [illegible]
[illegible] و[illegible] الاحمر [illegible]
حول غرناطة [illegible] ان [illegible]
[illegible] . [illegible] وتابع الدكتور موسى
[illegible] فائلا : وكم [illegible] اهل غرناطة
كم [illegible] اخوتهم [illegible] في كل
مكان ، وكان [illegible] والاسعاد في ايديهم لو انهم
[illegible] . لو [illegible] كل واحد منهم [illegible]
لو ذكر كل واحد منهم ان الامر [illegible]
[illegible] وحضارة و[illegible] - [illegible] الاندلس .
ولكن كل شيء كان ممكنا الا الاتفاق كل شيء
كان فى نظرهم معقولا الا ان [illegible] للاحمر
كلهم ارادوا ان يكونوا [illegible] . [illegible]
[illegible] المملكة . [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

وفى [illegible]
[illegible]
[illegible]

حوار القراء



رسالة من القدس

● ابعث رسالتي هذه من هواء فلسطين وبالتحديد من القدس ، راجيا ان يتمكن هذه الرسالة من اختراق قضبان السجن الكبير البكم .

لقد احتفلت « اسرائيل » بعيد استقلالها الثلاثين .. ونحن عرب القدس مازلنا نعيش سجناء الاحتلال .. ننتظر الفرج ولكن اين نحن منه .. معنوياتنا هبطت .. و « اسرائيل » تقيم المستعمرات في جميع انحاء البلاد .. في جبال اريحا .. في القدس .. في طولكرم .. في نابلس .. في الخليل . بناء المستعمرات في كل مدن الضفة الغربية يوحي بان اسرائيل لايمكن ان ترحل عن البقية الباقية من فلسطين وهي ما اصطلح على تسميته بالضفة الغربية وقطاع غزة .

لا اعتقد ذلك ، وكل من يعيش معي في السجن لاساوره مثل هذا الاعتقاد .

شابة من القدس

الذبائح وليست الدباغ

● قرات في العدد ٢٣٧ من مجلة العربي (عدد اغسطس ١٩٧٨) مقالا للدكتور علي الراعي بعنوان (سعيد عبده الطبيب والزجال والناقد المسرحي) وتحدث في مقاله عن المعركة التي قامت بين الدكتور سعيد عبده والاستاذ محمود كامل بعد ان قدم الاخير مسرحيته (الوحوش) لفرقة رمسيس وذكر بان سعيد عبده تناولها بالنقد اللاذع وهاجم غرضها في الميلودراما الذي تكتسح خشبة المسرح المصري تلك الايام اثر نجاح مسرحيتي انطون يزبك « عاصفة في بيت » و « الدباغ » .

والواقع ان اسم المسرحية الثانية لانطون يزبك هي الذبائح وليست الدباغ ويغلب على ظني ان الدكتور علي الراعي كتب اسم المسرحية صحيحا في اصل مقاله ولكن الخطا كان خطا مطبعيا .

صبحي امين المحامي
القاهرة

غول الغلاء واسعار الكتب

● ارتفعت اسعار الكتب بشكل جنوني ، حتى وصل ثمن الكتاب الواحد الى سبعة جنيهات اى مايعادل نصف مرتب شهر لموظف مصرى ، واصبح ارتفاع ثمن الكتب هو القاعدة .. وخطورة المشكلة تكمن في ان ارتفاع ثمن الكتاب وصعوبة الحصول عليه جعلت الناس ينصرفون عن القراءة لهوايات اخرى اقل كلفة فتغيب العقول واصيبت بالجدب الفكري .. وللناس العذر في ذلك ، فالحياة بصورتها الحالية ومطالبها المتعددة المتجددة مع كل يوم جديد لا تساعد المرء (وهنا اعني انا الطبقة العريضة من الجماهير وقدرتها على اقتناء الكتب الباهظة الثمن)وتفاقمت المشكلة بصورة رهيبة لجشع اهل الفكر ورغبتهم في تحقيق الكسب المادى والثراء على حساب الجماهير الكادحة ولكن هناك شعاع من الضوء مازال يضيء في هذا الطريق المظلم وعن طريقه يمكن حل المشكلة

١) يجب على الدول العربيه ان تتدخل للحد من ارتفاع ثمن الكتاب حتى عن طريق تقديم الدعم

٢) نشر المكتبات الثقافيه في كافة الارجاء ولا يقتصر الامر على العواصم فقط. والحرص على تخليصها من التعقيدات الروتينيه والمشاكل المادية .

عبد الرحمن كامل
بلبيس ــ شرقية

اين الغيرة على الاسلام

● تناقلت الصحف ان اوربا اخذت في الاونة الاخيرة تستهين بديننا لدرجة ان بعض المحلات التجارية في بريطانيا عمدت الى كتابة اسم الله على بعض الملابس الداخلية . وقد استهجنت هذه الصحف مثل هذه الجراة . اما انا فلم استغرب.. بعد ان رايت جنود اسرائيل يطاوون باقدامهم ارض المسجد الاقصى ..

وحرقه بعدذلك دون ان سحرك غيره هذه الامه الىصدق فيها قول الشاعر

العم الهون حى صار عندكم
طبع وبعض طباع المرء مكتسب
وفارقتم لطول الذل نخوتكم
فليس يؤلمكم خسف ولا عطب

اياد هادى الحميلى
العراق

بخل المتنبي

● ان محاوله اثبات اونفى بخل المتنبى يمكن حسمها بالرجوع الى ماكتبه ابو بكر الخوارزمى الذى عاصرالمتنبى اذ يقول :

ان احق الناس باللوم شاعر
يلوم على البخل الرجال ويبخل

وقد اعرب ـ أى المتنبى ـ عن عاداته وطريقته فى قوله :

بليت بلى الاطلال ان لم اقف بها
وقوف شحيح ضاع فى الترب خاتمه

ويروى الخوارزمى انه حضر عنده يوما بحلب وكان المتنبي قد احضر مالا مما وصله به سيف الدولة فصب بين يديه على حصير قد افترشه، ووزنه واعاده فى الكيس ، واذا بقطعه قد تخللت خلل الحصير فاكب بمجامعه ينقرها حتى توصل اليها فتمثل ببيت قيس بن الخطيم :

تبدت لنا كالشمس بين غمامه
بدا حاجب منها وضنت بحاجب

اليس فى هذا انصع دليل على حب المتنبي للمال ؟

عبد الرحمن احمد سارى
مصر

لقمان والحكمة الحبشية ؟

● لا شك انه فى تراثنا اكثر من لقمان ، فهنالك لقمان عاد ، وهو غير لقمان الحكيم المذكور فى القران الكريم وفى حين يهتم كتب الامثال بالاول ويتفق على انه عربى يهتم كتب التفسير بالثانى ، ويصفه بعضهم (لقمان) اخر محتملا ، وهو لقمان الامثال الماثرة ، وقد حاول هلر كاتب مادة لقمان فى دائرة المعارف الاسلامية ان يجعل من الثلاثة واحدا عبر ثلاث مراحل ، غير ان الدارسين من قدامى ومحدثين يرفضون هذا الراى الخطير .

اما ما ثار حول كون (لقمان) من عبيد الحبشة ، فان احد المستشرقين انطلق من اشارة غامضة مقتضبة فى بعض كتب الاخبار العربية غير الموثقة والتى لا يمكن الركون اليها الا بعد طول معاناة وتمحيص الى وجود شخص اسود او مغربى يسمى بلقمان ليقول ان (لقمان) كان عبدا حبشيا ، وهدفه من ذلك ان يبعد الحكمة عن العرب ، ويصفهم بالحمق وان الحكمة المأثورة عنهم ايام الجاهلية لم يكن عربية خالصة .

ويبدو ان الراى القائل ان (لقمان) كان عبدا حبشيا الذى يتبناه الاستاذ الاديب يوسف الشاروني يخدم فكرة يبسطها مقاله الذى نشره العربى فى العدد ٢٢٨ تحت عنوان (عندما تكلمت الحيوانات) وهى ان الذين ضربت عنهم الامثال واستنطقوا الحيوان بالعبرة والموعظة كانوا عبيدا يشعرون بالظلم ويخافون السلطان وهو يعددهم مبتدئا باسوب ومنهيا بابن المقفع حاشرا بينهم (لقمان) .

غير انني عندما وجهت ملاحظتي بشان لقمان لم انف وجود شخص اسود غامض يطلق عليه لقمان الحبشي او المغربي ، وانما تساءلت كيف جزم الاستاذ الشاروني بان لقمان الحكيم ، وحده دون الحكيم كان عبدا حبشيا فلو كان الاستاذ الشاروني دقيقا لقال (حسب رايه) ان هذه الامثال المطبوعة فى كتاب تنسب للقمان الحبشي او المولد كما عاد واطلق عليه فى مقاله (لقمان وامثالنا العربية) (العربى ـ العدد ٢٣٧) ، اذ ان لقمان الحكيم الذى لم يكن عبدا حبشيا باية حال من الاحوال هو غير لقمان عاد ولقمان الحبشي .

وبعد ان قرأت مقال الاستاذ الشاروني عن لقمان اود ان اساله ما سنده بان امثال الكتاب المطبوع هى للقمان الحبشي وما المصدر الذى اعتمد عليه خاصة وان هناك من يقول انها للقمان عاد .

[illegible] حمعر

وحدة الخير

● فقد طالعت في مجلتكم القراء بالعدد ٢٣٦ يوليو١٩٧٨ رسالة الاخ جورج خوري من الرياض مطالبا بجمعيه خيرية تشمل كافةاقطار العالم العربي ولما كنت بحكم مهنتي ومشاعري القومية مهتما بمثل هذاالعمل فانني ارجو ان تكتب الى الاخ الكريم وغيره من ابناء العالم العربي الذين يهمهم هذا الامر وانا وانى – بعون الله – من ابنائها مستطيع بذل الجهود في سبيل قيام جمعيه تعم نشاطها كل العالم العربي وتكون هدفها الرعاية الاجتماعية لكل الفئات المحتاجة للرعاية في الوطن العربي – وما اكثرها – وتساهم في الاحوال التي تحتاج الى اغاثة المنكوبين او اغاثة الملهوفين وانني كلي ثقة من ان اللائين من الاغنياء وغيرهم في الوطن العربي سيساهمون في هذا المشروع الجليل . المهم ان نبدأ العمل الجاد لانشاء هذه الجمعية بجهودنا الفردية دون اعتماد على حكومات . فكفى بنا اعتمادا على الحكومات في كل كبيرة وصغيرة ، لذا ارجو ملحا ان تكتب الى كل مهتم في سبيل ان نتفق معا على الخطوات التنفيذية .

الاخصائي الاجتماعي
محمد عبد الباقي مراد
ص.ب ١٩٨٤ الدوحة دولة قطر

ان الميت ليعذب ببكاء اهله عليه

● لقد قرأت في العدد ٢٢٥من مجلتكم وفي مقال لفهمي هويدي تحت عنوان « وثنيون أيضا : عبدة النصوص والطقوس » وأود ان اشير الى نقطة مهمة وهي ما قاله بان كتب الفقه تسجل رد السيدة عائشة لحديث منسوب الى النبي صلى الله عليه وسلم والحديث هو « ان الميت ليعذب ببكاء اهله عليه » لانه يعارض او يتعارض مع آية قرآنية وقاعدة فقهية هي « ولا تزر وازرة وزر اخرى » « وان ليس للانسان الا ما سعى » في حين ان هذا الحديث صحيح وهناك عدة احاديث صحيحة اخرى بهذا المعنى .

ودفع التعارض بين الحديث والاية ، التي اشار اليه الكاتب ، فقد قال محمد ناصر الدين الألباني في كتابه « احكام الجنائز »» ان الفقهاء اختلفوا في الامر في ثمانية اقوال واقربها الى الصواب قولان :

الاول : ما ذهب اليه الجمهور وهو ان الحديث محمول على من أوصى بالنوح عليه ، أو لم يوص بتركه مع علمه بان الناس يفعلونه عادة. ولهذا قال عبد الله بن المبارك « اذا كان ينهاهم في حياته ففعلوا شيئا من ذلك بعد وفاته ، لم يكن عليه شيء » عمدة القارئ (٤ / ٧٩) والعذاب عندهم بمعنى العقاب .

الثاني : ان معنى « يعذب »اي يتألم بسماعه بكاء اهله عليه ويرق ويحزن وذلك في البرزخ، وليس يوم القيامة، والى هذا ذهب محمد بن جرير الطبري وغيره، ونصره ابن تيميه وابن القيم وغيرهما ، وقالوا : « وليس المراد ان الله يعاقبه ببكاء الحي عليه ، والعذاب اعم من العقاب كما في قوله (ص « السفر قطعة من العذاب ») وليس هذا عقابا على ذنب وانما هو تعذيب وتألم » انظر كلام ابن تيمية في (مجموعة الرسائل المنيرية (٢/٢٠٩) وابن القيم في « التهذيب » (٤/٢٩٠ – ٢٩٣) من كتاب احكام الجنائز. واميل انا الى القول الاول لوجود حديث ان العذاب يوم القيامة وهو « من ينح عليه يعذب بما نيح عليه (يوم القيامة) » . والله أعلم .

(. . . . . .)
العراق



[illegible]

[illegible]

● [illegible] السفاح في [illegible] [illegible]

[illegible] المرأة و [illegible] [illegible] عليها [illegible] [illegible] والرغبة [illegible] والملاح [illegible] والقدود المهفهفة [illegible] . وجعل خالد [illegible] في ذكر النساء [illegible] انصرف عن المجلس .

وبقي السفاح مفكرا سائر نهاره فدخلت عليه ام سلمه المخزومية زوجته ، فلما رأته دائم الفكر ، كثير السهو ، نكرت عليه ذلك،والحت عليه، فلم تزل به حتى حدثها حديث ابن صفوان عن النساء،فغضبت غضبا شديدا وارسلت الى خالد بجماعة من مواليها وغلمانها وامرتهم الا يتركوا فيه عضوا صحيحا .

[illegible]

نصائح طفيلي

● [illegible] من الناس [illegible] وحضور الولائم و [illegible] والاعراس دون دعوة و [illegible] دون معرفة احد من اصحاب العرس او الوليمة .

وقد وجه طفيلي الى اصدقائه النصيحة التالية :

[illegible] دخل احدكم عرسا فلا [illegible] ويتخير المجالس . فان كان العرس كثير الزحام ، [illegible] ولا ينظر في عيون الناس ، ليظن اهل المرأة انه من اهل الرجل . ويظن اهل [illegible] من اهل [illegible] البواب غليظا وقحا [illegible]

[illegible] و [illegible] ولكن [illegible] و [illegible] .

[illegible]

رهان

للكاتب التركي عزيز نسين

■ خرجت ذات صباح أبحث عن مكان أرفه به عن نفسي . سرت وقدماي تعودانني كيفما شاءتا الى أن وصلت الى مكان انطلاق البواخر التي تذهب الى ضواحي استانبول في بحر مرمره ، ووجدت نفسي أقطع تذكرة الى يالوفا * . صعدت الى الطابق العلوي للباخرة ، حيث الهواء المنعش المريح للاعصاب . كانت المقاعد مزدحمة ، ولكني تمكنت أن أجد لنفسي مكانا بين هذه الجموع ، حتى اذا انطلقت الباخرة شعرت وكان حملا ثقيلا قد انزاح عن صدري .

وبينما كنت أحلق في سماء أفكاري ، سمعت صوتا يهمس في اذني .. التفت ناحية الصوت ، فاذا رجل في الاربعين من العمر ، أنيق الهندام ، تبدو عليه ملامح من وقار .

ـ تفضل سيدي ...

ـ لاقدم نفسي في البداية : عباس ...

ـ تتشرفنا ، اسمي فاضل ...

ـ في الحقيقة أنا مغرم بالمراهنة الى درجة الهوس .

ـ عفوا ، لم أفهم ماذا تقصد ؟

ـ أقصد أني على استعداد للمراهنة على أي

* احدى ضواحي استانبول وتقع على شاطيء بحر مرمره الشرقي .



شيء ومع أي انسان • أعتقد ان هوايتي هذه تثير استغرابك •

نظرت الى وجهه ، ترى هل سخر مني ؟ ملامحه لا توحي بذلك •

ـ ابدا ، لكل هوايته الخاصة به •

ـ هي بالنسبة لي اكثر من هواية ، فاذا لم اتراهن مع خمسة أو عشرة اشخاص يوميا ، قد لا أستطيع النوم تلك الليلة •

ـ ولكن هل تربح دائما ؟

ـ قد اربح احيانا وقد اخسر احيانا اخرى ، ولكن ليس القصد الربح أو الخسارة انما هو اشباع هذه الرغبة فقط •

ـ حسنا •

ـ أرجو ان لا أكون قد ازعجتك •

ـ على العكس فانا مسرور من التعرف عليك ،

وهل [illegible]

لاطول [illegible]

ـ [illegible]

ـ ولكن على ماذا ؟

ـ كما تشاء ، وعلى سبيل المثال معرفة [illegible] هذه السيدة التي تجلس امامنا •

ـ تحدث بصوت منخفض كي لا تسمعنا تلك السيدة •

كانت تجلس سيدة جميلة في المقعد الذي أمامنا تماما ، في العقد الثالث من عمرها ، على ما أظن •

ـ ساعطيك الف ليرة اذا عرفت عدد الاسنان الموجودة في فم هذه السيدة ، واذا لم تعرف فستدفع لي خمسين ليرة ، ما رايك ؟

عرض مغر جدا ، الف ليرة مقابل خمسين •

ـ يبدو الامر صعب ، فانا لا اعرف عدد اسنان زوجتي ، فكيف لي ان اعرف عدد اسنان سيدة أراها لاول مرة ؟

ـ ليس القصد [illegible] لا [illegible] ، الامر



مجرد تمرير للوقت . ومع هذا ساعطيك ثلاث ص للفوز بان تذكر ثلاثة أعداد .

ـ وانت الى تذكر اي عدد ؟

ـ وكيف لا ؟ ساذكر بعدك عددا واحدا فقط .

ـ حسنا . واذا لم نعرف كلانا العدد الصحيح ؟

ـ يكون كلانا قد خسر الرهان .

ـ لم افهم .

ـ اي لن أدفع شيئا وانت ايضا لن تدفع لي شيئا .

وفكرت بالالف ليرة وكيفية الحصول عليها بايه طريقة .

ـ ساقبل بهذا الرهان . ولكن بشرط ...

ـ ما هو هذا الشرط ؟

ـ اذا ما لم اتمكن من معرفة العدد الصحيح . سادفع لك خمسين ليرة . وانت ستدفع لي الف لبرة اذا لم تعرف العدد الصحيح .

ـ حسنا انا موافق.هيا اذكر لي ثلاثة أعداد...

ـ مهلا ... مهلا ... الامر ليس بهذه السهولة. أحتاج الى وقت للتفكير . ثم لنفرض أن هذه السيدة ستعمل طقم اسنان صناعية ؟

ـ يفسخ الرهان في هذه الحالة . فالاسنان الصناعيه لا تدخل في الرهان .

وبدات افحص السيدة بامعان وكان عيوني اشعه « اكس » تريد ان ترى اسنان هذه السيدة من خلف شفاهها المطبقه . ترى لو عرفت كم عمرها ؟ ... ومعلوماتي في البيولوجي ؟ اسنان الفتاة الشابة ثمانية وعشرون . ثم تظهر اربعة أضراس هي أضراس العقل ... المجموع اثنان وثلاثون سنا. وهكذا وبينما انا احسب واسترجع معلوماتي في رأسي . فتح عباس جريدة كانت في يده وغرق في صفحاتها وكأن الامر لا يعنيه . آه ... كيف لي ان اعرف عدد اسنانها ؟ شرلوك هولمز نفسه لا اظنه بقادر على حل هذه المشكلة . لنفرض ان عمرها ثلاثون عاما على الاقل . واربعون عاما على الاكثر ... واخرجت ورقة وقلما . ورسمت منظرا لفك علوي واخر سفلي يحملان اثنين وثلاثين سنا. الا يحتمل أنها قد خلعت بعض اسنانها نتيجة نخر او سوس ؟ من الافضل ان أجري مقارنة على اسناني ...

ـ سيد عباس ... هل معك مرآة . اذا سمحت.

واخرج مرآة من جيبه . فتحت فمي . فكي الاسفل ... واحد اثنان ثلاثة ... ناب . جسر ... خمسة ستة ... أملك ستة وعشرين سنا ... عمري في الاربعين ... هل أسنان النساء اكثر مقاومة من أسنان الرجال . أم العكس ؟

والتفت الى عباس المنهمك بقراءة الجريدة .

ـ هل تاذن ان أسالك هذا السؤال ؟

ـ تفضل .

ـ كم عدد اسنانك ؟

ـ تسعه وعشرون .

ـ وعمرك ؟

ـ خمسة وثلاثون .

ـ شكرا .

وعاد عباس الى جريدته . بينما سجلت عمري وعدد أسناني وعمر عباس وعدد أسنانه . وبدات استعيد معلوماتي الرياضية . رجل في الاربعين له سته وعشرون سنا واخر في الخامسة والثلاثين له تسعة وعشرون سنا . كم يكون عدد أسنان سيدة في الثلاثين من العمر ؟ ان هذا لا يكفي . يجب أن أعرف عدد اسنان اناس اخرين . الامر يحتاج الى قليل من الخبث .

ذهبت الى مقدمة الباخرة . ووقفت بجانب احد البحارة . ووضعت يدي على خدي وبدات بالانين .

ـ ماذا تشكو ياسيدي ؟

ـ اه .. أسناني اللعينة .. اه .. انها تؤلمني جدا . تصور لم يبق لي سوى عشرين سنا. كم سنا لك ؟

ـ لا أعرف .. لقد خلعت اثنين في العام الماضي. حقا ان الم الاسنان لا يطاق .

ـ افتح فمك كي ارى .

وفتح البحار فمه بسذاجة .

ـ ما شاء الله . عندك ثمانية وعشرون سنا جيدا . اظن ان عمرك واحد وعشرون او اثنان وعشرون سنة.

ـ ستة وعشرون .

ـ تنقلت من زاوية الى اخرى متبعا نفس الحيلة استطعت خلالها ان اجمع اعمار واعداد اسنان اناس كثيرين . ثم عدت الى مكاني بجانب عباس الذي انتقل من قراءة الجريدة الى كتاب لم اهتم بمعرفة اسمه فعقلي مشغول بحساب عدد اسنان

السيدة . وبعد حساب طويل [illegible]
قائلا :

ـ لقد عرفت . فعدد [illegible] سنا .

ـ مازال امامك احتمالان .

واستانف عباس القراءة [illegible] من جديد . وفجاة حضر [illegible] سؤاله .

ـ سيد عباس . وماذا لو [illegible]

ـ وماذا سنفعل ؟ سيعتبر [illegible]

ـ مستحيل لا اوافق،ولماذا [illegible] منذ اكثر من ساعة ؟

ـ ولم التلكؤ اذن ؟ هيا اسرع بالعساب .

ـ استطيع ان اقول يوجد لها ستة وعشرون سنا .

ـ بقي لك احتمال اخير .

غادرت الباخرة المحطة [illegible] السيدة . اذن امامي الآن وقت طويل لنهاية الرحلة وعلي ان الجا للحيلة لكي تفتح السيدة فمها . وهكذا استطيع ان اعد اسنانها بكل سهولة.وبدات بالتثاؤب بدون انقطاع . ونجحت الخطـــة . فقد انتقلـت عدوى التثــاؤب الى السيــدة . مددت رأسي .. واحد اثنان .. ثلاثة . واغلقت السيدة فمها . عاودت التثاؤب بحماس . ولكن عدوى التثاؤب انتقلت ايضا الى الجالسين بجوار السيدة ، الى جميع الجالسين في المقعد الــذي امامي ، والمقعد الذي اجلس عليه . الجميع كلهم يتثاءبون . المهم عندي اسنان السيدة . فعيوني تراقب فم السيدة ، احاول عد ما استطعت مــن الاسنان . كانت تضع يدها او منديلها ولكنهـا في النهاية استرسلت للتثاؤب بدون اكتراث .

تجلس على يمين السيدة امراة عجوز ، وتميل على الرجل الذي بجانبها قائلة :

ـ لست ادري ما كنه هذا الخمول الذي اصابني فجاة .

ـ وانا ايضا . على الرغم من اني نمت جيدا ليلة امس .

ـ لعله هواء البحر النقي .

طفلان آخران غرقا في سبات عميق على اثـر تثاؤب شديد . اصوات اخرى تنبعث من الطـرف الآخر للمقعد .

[illegible]

[illegible] عدد [illegible]

[illegible] وعشرون [illegible]

ـ وكيف [illegible] هو [illegible]

[illegible]

ـ [illegible]

ـ [illegible]

ـ [illegible] هي [illegible] عدد [illegible] :

وضحكت السيدة .

ـ وكيف لا [illegible] عشرة سنة .. وبعد ان [illegible] صرسي الذي كان يؤلمني [illegible] وعشرون سنا .

ـ اشكرك سيدتي .

وبعد ان غادرنا الباخرة . [illegible] قائلا

ـ كم عدد اسنانك ؟

ـ تسعة وعشرون .

وانهمت على فكه [illegible]

ـ انها الآن ليست كذلك . [illegible] مرة اخرى .

وسقط اثنان من اسنانه .

واستلمت [illegible]

الف ليرة [illegible]

اكترث [illegible]

حتى [illegible]

نزهة العقل الذكي

مسابقة العدد

■ مسابقة هذا العدد هي « الكلمات المتقاطعة » •• والمطلوب ايجاد الاجابات الصحيحة لها وارسالها الينا •• ويمكنك اعادة رسم مربعات الكلمات المتقاطعة على ورقة مستقلة ، حتى لا تشوه صفحة العدد بقطعها منه •• أما الكوبون المنشور في أسفل الصفحة المقابلة ، فمن الضروري أن يرفق [illegible] الجوائز التي مجموعها ١٠٠ دينار [illegible] على الوجه الآتي

الجائزة الاولى ٣٠ دينارا ـ الجائزة [illegible] قيمها ٤٠ دينارا كل منها ٥ دنانير .

ترسل الاجابات على العنوان التالي مجلة العربي [illegible] الكويت [illegible] ٢٤٠ » وآخر موعد لوصول الاجابة الينا هو اول فبراير [illegible] ١٩٧٩

اثنتان في واحدة

اذا استطعت حل مسابقة الكلمات المتقاطعة [illegible] صاحب حديث عيسى بن هشام ، كما ستجد [illegible] وجغرافي عربي معروف .

كلمات أفقية :

(١) حاملات العناصر الوراثية ـ من المحاصيل الزراعية ـ كثير .

(٢) صحابي وقائد اسلامي انتصر في القادسية ـ رغب .

(٣) أرض مرتفعة ـ اهم مؤلفات الرازي في الكيمياء .

(٤) الجواهر ـ نهضا .

(٥) من الاقارب ـ من الغازات ـ في المجموعة الشمسية .

(٦) يرشد ـ صفات ـ حيوان ـ نصف كلمة (اداة) .

(٧) التخمين ـ قاطع ـ دع .

(٨) صاحب حديث عيسى بن هشام

(٩) الاعجاب ـ الكوكب السادس [illegible]

(١٠) الاعلى ـ من العلوم الرياضية .

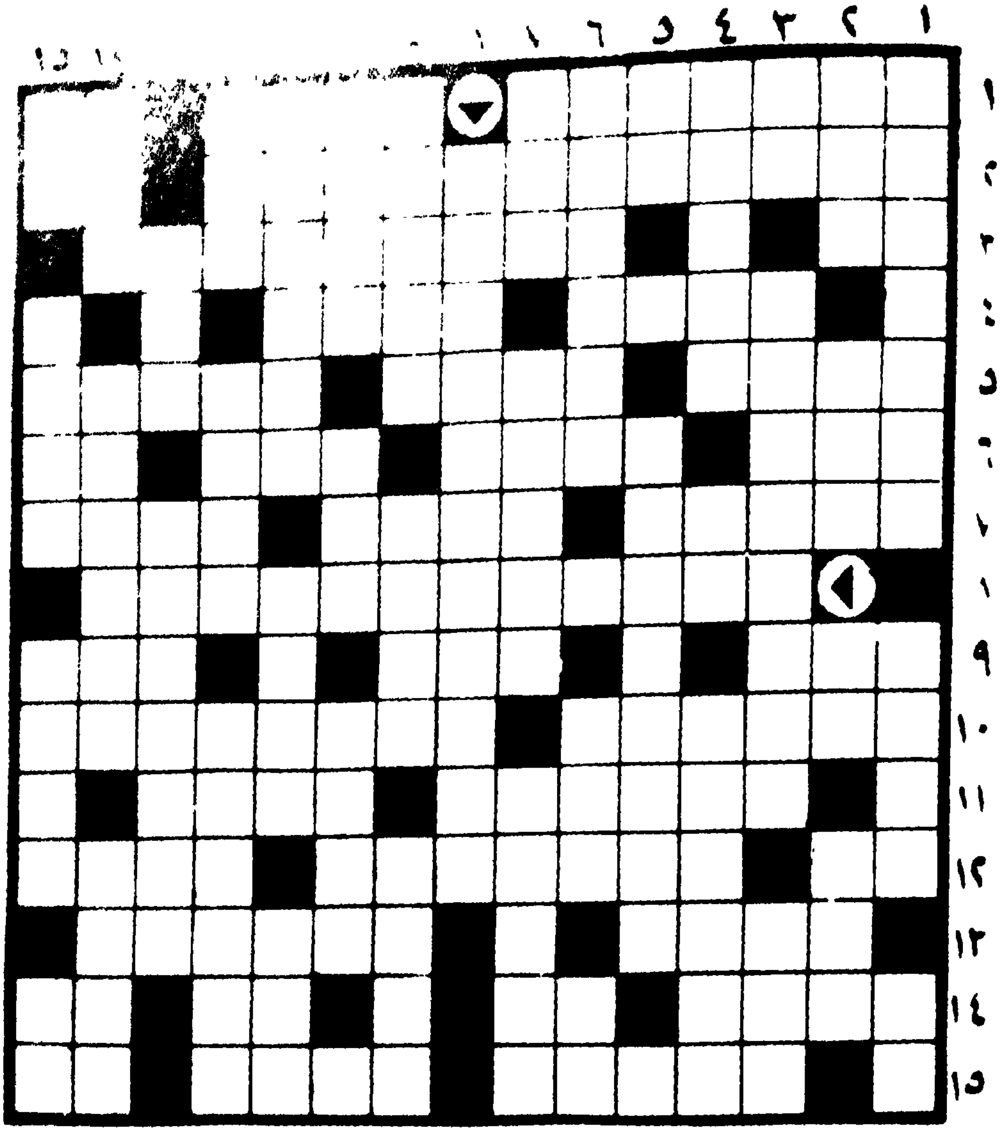
(١١) عاصمة [illegible] الايطالي ـ من انواع النسيج .

(١٢) مقام موسيقي ـ مؤتمر وضع فيه الحلفاء سوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسي ـ نصف يوم .

(١٣) من الاسماء الحسنى ـ نرتديها .

(١٤) طمانينة ـ للتفسير ـ نصف كلمة (يوسف) ـ في العين .

(١٥) الهة الجمال عند الرومان ـ عاصمة اوربية ـ من الاقارب .



كلمات رأسية :

(١) من الجمهوريات السوفييتية ـ عاصمة حامورابي ـ متشابهان .

(٢) عيسى ـ نقاش ـ متشابهان ـ وجع .

(٣) من الاقارب ـ من رتب المملكة الحيوانية ـ تجول .

(٤) يهتم ـ نصف كلمة (دحرها) ـ موسيقى وضع الحان اوبرا حلاق اشبيلية .

(٥) متشابهان ـ مقياس الهزات الارضية .

(٦) اسبيكم ـ وقت ـ حرف عطف .

(٧) من الذهب ـ عاصمة بوليفيا ـ فتى اسطورى جميل الوجه عشق صورته فى الماء .

(٨) مؤرخ وجغرافى عربى معروف .

(٩) من انواع الوقود ـ تعرض ـ من اشهر علماء الوراثة .

(١٠) فى الكسر ـ من الاشجار ـ مادة طيارة .

(١١) ينسب الى اسرة حاكمة فارسية قديمة ـ شمال ـ صحارى .

(١٢) فطر ـ مؤذن الرسول ـ قائد حربى انجليزى معروف فى القرن التاسع عشر .

(١٣) رفضـ ـ من ...

(١٤) ظلم ـ اخفـ ...

(١٥) ...ـط ـ ...

● النجمة والسهم ●

مهندس انجليزى شهير

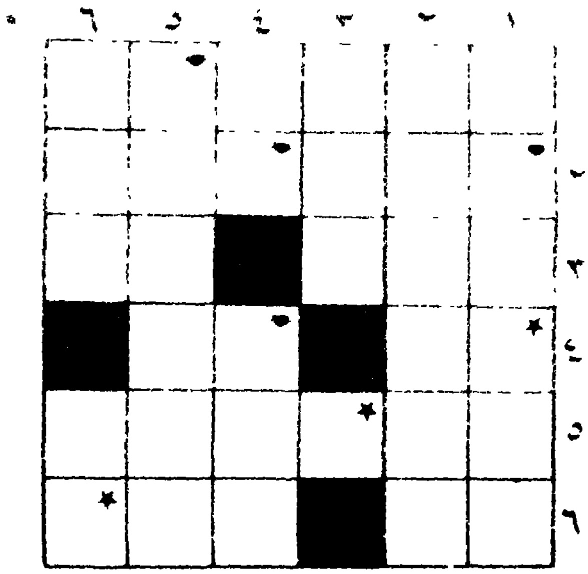
[illegible] حل مسابقة الكلمات المتقاطعة . بعد ذلك انقل [illegible] التى فى المربعات التى بها الأسهم . ورتبها بحيث تصنع الاسم الأول لمهندس انجليزى اشتهر [illegible] المخترعات العديدة التى اخترعها على الآلة البخارية . ثم انقل الحروف التى فى المربعات التى بها النجوم . ورتبها [illegible]

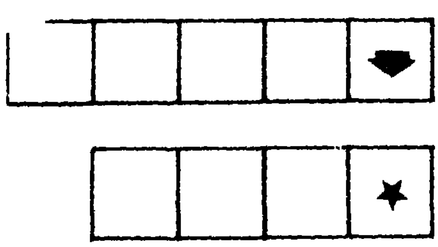
الكلمات الافقية :

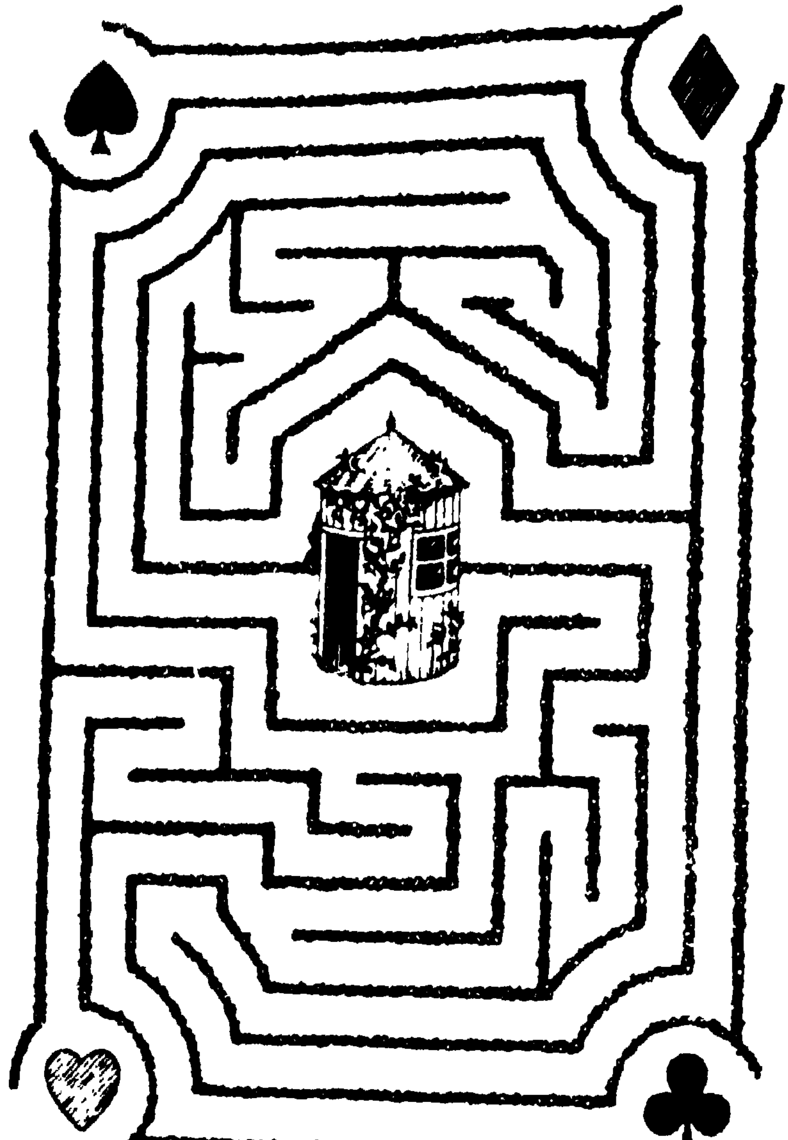
1. [illegible]
2. [illegible]
3. [illegible]
4. [illegible]
5. [illegible]
6. [illegible]

الكلمات الرأسية :

1. [illegible]
2. [illegible]
3. [illegible]
4. [illegible]
5. [illegible]
6. [illegible]







كشك الحديقة

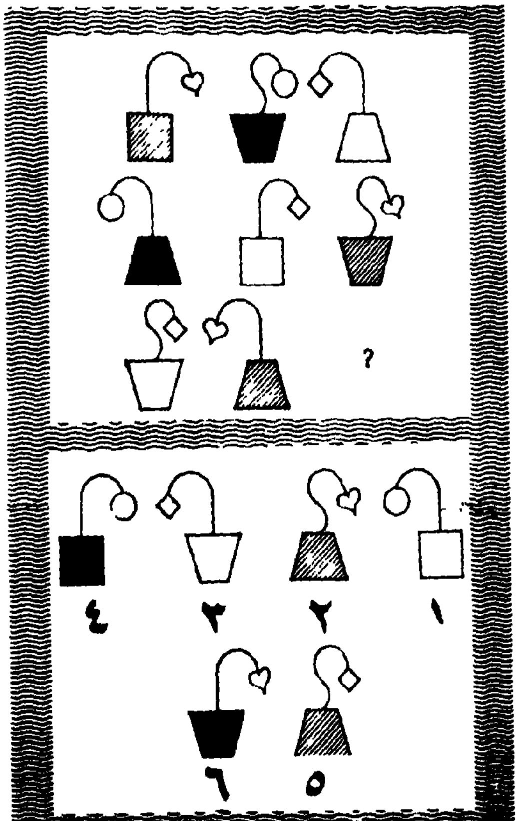
هذه ليست متاهه واحده .لكنها ١٢ متاهه في متاهه واحده
في كل مرة عليك ان تختار احدى علامات ورق اللعب ...
الى اخرى . وهكذا تكون امامك ست محاولات . ومطلوب منك ...
هذا مرة بالمرور على باب كشك الحديقه . ومرة ...
عليه .. وهذا يجعل عدد المحاولات ١٢ محاولة . المهم ...
لا يجوز ان تسير على نفس الطريق اكثر من مرة واحدة

استاذ نبيه يسال :

ماهو ترتيب المتسابقين ؟ ..

سبعة رجال اشتركوا في سباق الف متر . في نهاية السباق كانت اوضاعهم كالتالى :
- هشام خلف نبيل بنصف متر .
- على يسبق سليما بنصف متر .
- في نهاية السباق كان سليم يسبق هشاما
- كان خلف وهيب ثلاثة متسابقين .
- كان اسماعيل يسبق سليما بمسافة متر كامل .
- فهمى سبق وهيبا بنصف متر .
- لم تكن المسافة بين اى من المسابقين تقل عن نصف متر .

هل يمكنك ان تعرف ترتيب المسابقين ؟..



الشكل المطلوب

من دراسة العلاقة بين الاشكال التى في الصفين العلويين ، حاول ان تعرف اى الاشكال ذات الارقام ، يحل محل علامة الاستفهام .

الحلول

النجمة والسهم :

جيمس وات .

★ ★ ★

استاذ نبيه يسال :

ترتيب الاولوية ونهاية السباق كان كالتالى:
فهمى - وهيب - اسماعيل - على - سليم - نبيل - هشام .

★ ★ ★

الشكل المطلوب :

رقم ٤ .

العربي

فهرس سنة ١٩٧٨

من العدد ٢٢٩ إلى العدد ٢٤٠

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
حديث الشهر	١٣٤	ادب ولغة	١٣٩	تاريخ اشخاص	١٤٥
دين ورجال دين	١٣٤	صفحة في اللغة	١٤٠	من التراث العربي	١٤٦
للمناقشة	١٣٥	شعر وشعراء	١٤٠	تربية وعلم نفس	١٤٦
سياسة واقتصاد	١٣٦	قصص	١٤١	فلسفة	١٤٧
عروبة	١٣٦	علوم	١٤٢	مجتمع [illegible]	[illegible]
استطلاعات الكويت المصورة	١٣٧	انباء الطب والعلم	١٤٣	كتاب [illegible]	[illegible]
الاستطلاعات العربية المصورة	١٣٧	طبيب الاسرة	١٤٤	[illegible]	[illegible]
قضايا حيوية	١٣٨	تاريخ	١٤٤	[illegible]	[illegible]

حديث الشهر

بقلم : رئيس التحرير احمد بهاء الدين

الموضوع	الشهر / السنة	العدد	الصفحة
سنة التمزق العربي !	٧٨/١	٢٣٠	٦
منطق حروب المائة سنة .	٧٨/٢	٢٣١	٦
ولكن ما هـو الـرد ؟	٧٨/٣	٢٣٢	٦
اللغة العربية : سياسة وحضارة استراتيجية معا !	٧٨/٤	٢٣٣	٦
« صور » الغالية .. لم يدمرها الاسرائيليون .. لانهم ارادوها سليمة ـ لكي يكون لنا مستقبل .. ولكي يكون لنـا مستقبل افضل !	٧٨/٥	٢٣٤	٦
جان جاك روسو وفولتير .. العالم يحتفل بمرور قرنين على وفاتهما .	٧٨/٦	٢٣٥	٦
سولجنتسين ، أيضا .. بعد أن عاش في روسيا وعاش في أمريكا يبحث عن طريق ثالث .	٧٨/٨	٢٣٧	٦
البوهيميون أو صعاليك الفكر ، المفكر ـ دائما ـ خاضع للنبلاء .. ثم للناشرين ثم للحزب ، ثم ... !	٧٨/٩	٢٣٨	٦
حكايات متفرقة : هل بدأت الحرب العالمية الثالثة ؟ ـ معنى الازمة عندهم .. وعندنا ـ .. وبالمناسبة .. لا شيء ، يحدث في السويد ! بنـدول الساعة ! والمرأة من الصـين .. الى أوروبا .	٧٨/١١	٢٤٠	٦

دين ورجال دين

الموضوع	الكاتب	الشهر / السنة	العدد	الصفحة
قضايا علمية تنتظر أحكامها الشرعية	د . حسان حتحوت	٧٨/١	٢٣٠	١٤
مؤتمر علماء المسلمين والذين يحرثون في الارض	محمد عبد الله السمان	٧٨/٢	٢٣١	٩٦
في ذكـرى المولـد النبـوي : سيرة النبي لشبلي نعمـاني وسليمان النـدوي	د . عبد العزيز كامل	٧٨/٣	٢٣٢	٢٢
رد فقهي على تساؤلات / مقـال قضـايـا علمية تنتظر أحكامها الشرعية	د . يوسف القرضاوي	٧٨/٣	٢٣٢	٤٤
فقه المذاهب ليس كافيـا لعصرنا	د . حسين جوزو	٧٨/٣	٢٣٢	٦٣
تطبيق الشريعة الاسلامية لا يعني رفـض تجـارب الانسانية عبر القرون	محمد فتحي عثمان	٧٨/٤	٢٣٣	٢٦
النبي محمد رجل القومية العربية	عبد الحميد بن باديس	٧٨/٤	٢٣٣	٤٢
العـلاقة غير الضرورية بين الدين والجمـود	عبد الوهاب احمد الافندي	٧٨/٥	٢٣٤	٢٢
المعونات الفنية والاسـلام في افريقيا	د . محمد سلطان أبو علي	٧٨/٦	٢٣٥	٦٠
دليـل المسلم الحـزين الى مقتضى السلوك فـي القرن العشرين	حسين أحمد أمين	٧٨/٦	٢٣٥	١٠٤
تقـدير المسيحيين للنبي محـمد	د . ميجيل دي ايبالثا	٧٨/٧	٢٣٦	٨٨

الصفحة	العدد	التاريخ	الكاتب	الموضوع
[illegible]	٢٣٧	[illegible]	د . عادل الشيرى	نحو ثورة روحية ترد الانفصام فى حياة البشر .
٣٧	٢٣٧	٧٨/٩	د . محمد احمد خلف الله	دراسات قرآنية : طرح جديد لمواقف المعارضة .
٣٠	٢٣٨	٧٨/٩	د . عماد الدين خليل	شىء عن الموقف الجمالى فى الاسلام .
٥٤	٢٣٨	٧٨/٩	د . حسين حورو	قيل وقال لا تصلح غـذاء للجيل المسلم
٦٨	٢٣٨	٧٨/٩	فهمى هويدى	افغانستان بـلاد الاسـلام المغلق .
١٣	٢٣٩	٧٨/١٠	محمد فتحى عثمان	الشريعة الاسلامية فى صيغة معاصرة (١) .
٢٩	٢٣٩	٧٨/١٠	د . احمد عبيد الكبيسى	صفحات من التاريخ الاسلامى . المراة والسياسه فى أول أزمة واجهت المجتـمع الاسلامى ... ...
٤٨	٢٣٩	٧٨/١٠	د . زغلول النجار	مسلمو جنوب أفريقيا ينقصهم الرجال قبل المـال
٢٩	٢٣٩	٧٨/١٠	د . محمد موفاكو	الدين والمسالة الدينية فى البانيا ... .
١٨	٢٤٠	٧٨/١١	محمد فتحى عثمان	الشريعة الاسلامية فى صيغة معاصرة (٢) : .. خلاف الـرأى والعقيـدة ليس حربـا على اللـه ورسوله ... ...
٣٢	٢٤٠	٧٨/١١	فهمى هويدى	موقعة جزائرية لاكتشاف الذات ... ...
٥٣	٢٤٠	٧٨/١١	طه الشيخ الولى	حجاج منذ الازل : الوثنيون والدين عرفوا اللـه
٥٦	٢٤٠	٧٨/١١	عبد الوهاب احمد الافندى	حول المحاولات المعاصرة لتطبيق الشريعة الاسلامية « ان الله بعث محمدا هاديا ولم يبعثه قاصيـا »

للمناقشة

بقلم : فهمى هويدى

الصفحة	العدد	السنة	الشهر	الموضوع
٣٠	٢٣٠	[illegible]	١	حزب « التبرير » الاسلامى ! .. . .
٣٠	٢٣١	٧٨	٢	التغريب أو الهلاك ! . . ...
٣٥	٢٣٢	٧٨	٣	حيرة مسلم هذا الزمـان ! ... .
٣٤	٢٣٣	٧٨	٤	القرآن أم السلطان ! ... .
٣٣	٢٣٤	٧٨	٥	قراءة الاسـلام باعين مغمضـة ! ... ...
٣٤	٢٣٥	٧٨	٦	وثنيون أيضا : عبدة النصوص والطقوس . .. .
٣٧	٢٣٦	٧٨	٧	قراءة الاسلام بعـين واحدة : الديـنللانسان والعكس ليس صحيحا .
٤٢	[illegible]	[illegible]	[illegible]	البـلاغ الاول ... ...
٣٥	[illegible]			الى من يهمه الامر : العدل هو القضية ... ...
٣٩	٢٣٩	[illegible]		كلام فى العدل : مال من هذا ؟؟ ... ...
[illegible]	[illegible]	[illegible]		كلام فى العـدل : عن الفقـر والكفر .. .. ..

سياسة واقتصاد

الموضوع	الكاتب	الشهر / السنة	العدد	الصفحة
ونحن على ابواب الثمانينات •• مأزق التنمية العربية فى السبعينات	د • جلال احمد أمين	٧٨/١	٢٣٠	٢٠
نحو مؤتمر عربى للطاقة	د • محمود أمين	٧٨/٢	٢٣١	٩٠
المتهم الاول والاخير فى لبنان	تقى الدين الصلح	٧٨/٣	٢٣٢	١٢
كيف يواجه العرب اخطبوط الشركات العابرة للقوميات ؟	د • محمود عبد الفضيل	٧٨/٣	٢٣٢	٥٩
الدينار العربى : الحقيقة والوهم	د • حازم الببلاوى	٧٨/٤	٢٣٣	١٢
الدولار المشكلة !	د • حازم الببلاوى	٧٨/٥	٢٣٤	١٤
الصناعة للناس أم الناس للصناعة ؟	حافظ أحمد امين	٧٨/٥	٢٣٤	٩٧
صراع الاغنياء والفقراء حول اصلاح النظام الاقتصادى العالمى	د • محمود عبد الفضيل	٧٨/٦	٢٣٥	٢٨
أمريكا اللاتينية •• ذلك العالم الجديد	د • شاكر مصطفى	٧٨/٦	٢٣٥	٣٨
حرب العصابات تنتقل الى المدن	ليلى خالد	٧٨/٦	٢٣٥	١٤٠
هل يتحقق التكامل الاقتصادى فى منطقة الخليج ؟	د • محمود عبد الفضيل	٧٨/٧	٢٣٦	٩٢
انماء العالم الثالث وتقدمه بين النموذج المضاد والنموذج المقلد	د • حسن صعب	٧٨/٨	٢٣٧	٢٠
ماذا حقق العالم الثالث من تنمية ؟	د • محمد سلطان	٧٨/٩	٢٣٨	٥٦
محنة التكامل الاقتصادى الزراعى فى العالم العربى	د • سعد نصار	٧٨/١٠	٢٣٩	٥٣

عروبة

الموضوع	الكاتب	الشهر / السنة	العدد	الصفحة
افريقيا والعرب • ساحة الصراع الدولى الجديد !	(جزء خاص)	٧٨/١	٢٣٠	٣٥
عندما ذهب العرب والاسرائيليون الى « رودس »	د • احمد عبد الرحيم مصطفى	٧٨/٢	٢٣١	٤٠
نحو مؤتمر عربى للطاقة	د • محمود أمين	٧٨/٢	٢٣١	٩٠
محنة الثقافة عند الشباب العربى	د • فؤاد زكريا	٧٨/٣	٢٣٢	١٦
كيف يواجه العرب اخطبوط الشركات العابرة للقوميات	د • محمود عبد الفضيل	٧٨/٣	٢٣٢	٥٩
من مشكلات الثقافة العربية	د • محمد الرميحى	٧٨/٤	٢٣٣	٥٧
لماذا الهجوم على ماضى الامة العربية وتراثها ؟	ادريس الكتانى	٧٨/٥	٢٣٤	٩٠
الانهزام الثقافى امام الغزو الثقافى	د • مصطفى ابراهيم شعبان	٧٨/٥	٢٣٤	٩٤
ع المستقبل العربى	د • حافظ الجمالى	٧٨/٦	٢٣٥	١٢
ربية صحيح ولكن من أصل فارسى !	د • محمد التونجى	٧٨/٦	٢٣٥	٦٥

الموضوع	الكاتب	س/ش	العدد	الصفحة
الوطن بيت	[illegible] كامل	[illegible]	[illegible]	[illegible]
لا تظلموا الحضارة	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
العرب مبدعون لا مقلدون فى العمارة الزخرفية	[illegible] رسم	[illegible]	[illegible]	[illegible]
العرب والصيف (دراسة الشهر)	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
أسواق القاهرة العربية ...	[illegible] القطامى	[illegible]	[illegible]	[illegible]
خطة استقلال تونس فى مشروع شكيب أرسلان	د . عبد العظيم رمضان	[illegible]	٢٣٨	٤٤
الطباعة العربية فى اليابان	عمر طه	٧٨/٩	٢٣٨	١٢٤

استطلاعات الكويت المصورة

الموضوع	الكاتب	ش / س	العدد	الصفحة
دور الكويت فى أول أكاديمية للنقل البحرى ...	منير نصيف تصوير : حسن الصفار	٧٨/١	٢٣٠	١٢٠
شهادات باقية من عالم ما قبل النفط	فهمى هويدى تصوير : أوسكار مترى	٧٨/١	٢٣١	٦٨
الثوب الكويتى عمره نصف قرن	لولوة القطامى	٧٨/١	٢٣١	٨٢
عرس الزين	الفاروق عبد العزيز	٧٨/٤	٢٣٣	١٢٤
افتح يا سمسم أول برنامج تلفزيونى لتثقيف الطفل العربى تتبناه ٦ دول من الخليج العربى	سليم زبال تصوير أوسكار مترى	٧٨/٦	٢٣٥	٩٢
القديم والحديث فى الكويت .. المستشفى الاميرى بين عهدين وحضارتين	منير نصيف تصوير أوسكار مترى	٧٨/٨	٢٣٧	١٢٢
فى الكويت : صناعات وحرف تقاوم الاندثار ...	صادق يلى تصوير : حسن الصفار	٧٨/١٠	٢٣٩	٩٢

الاستطلاعات العربية والاسلامية المصورة

الموضوع	الكاتب	ش / س	العدد	الصفحة
تنزانيا العرب وصراع اللون والثروة	مصطفى نبيل تصوير : أوسكار مترى	٧٨/١	٢٣٠	٣٨
ثورة الاوجادين وقصة النزاع الصومالى الاثيوبى حولها	د . يحيى الشريف	[illegible]	٢٢٠	٥٨
ارتيريا .. الشعب والثروة	سعد زغلول فؤاد	٧٨ ١	٢٣٠	٦٢
المغرب .. الناس والطبيعة	سليمان الفهد لوحات بهجت عثمان	٧٨ ١	١٣٠	١٠٤

الموضوع	الكاتب	الشهر / السنة	العدد	الصفحة
الزنجي الثائر	د . شاكر مصطفى	٧٨/٥	٢٣٤	٣٧
عندما تحدث طه حسين عن كتبه	د . محمد الدسوقي	٧٨/٥	٢٣٤	٨٦
عربية صحيح ولكن من أصل فارسي	د . محمد التونجي	٧٨/٦	٢٣٥	٦٥
صفحة لغوية : الحال من المجرور ، والمبتدأ والخبر .	محمد خليفة التونسي	٧٨/٧	٢٣٦	١٠٣
لقمان وأمثالنا العربية	يوسف الشاروني	٧٨/٨	٢٣٧	١١٤
صفحة لغوية : الحال تاتي من كل الاسماء وما ينوب عنها .	محمد خليفة التونسي	٧٨/٨	٢٣٧	١٣٦
أسماء الاعلام والمصطلحات العلمية والاجنبية بين النقل الملتزم والتعريب .	د . محمد محمد السلاموني	٧٨/٩	٢٣٨	٥٩
عن الاعمار وانها بيد الله .	عبد الوهاب احمد الافندي	٧٨/١٠	٢٣٩	٣٥
اللغة العربية : تاثرها بلغات الامم وتاثيرها في هذه اللغات .	قسطنطين تيودوري	٧٨/١١	٢٤٠	١٢٥
رؤية جديدة لالف ليلة وليلة	يوسف الشاروني	٧٨/١١	٢٤٠	١٣٩

صفحة في اللغة

بقلم : محمد خليفة التونسي

الموضوع	الشهر / السنة	العدد	الصفحة
اجبره على الامر ، وجبره أيضا	٧٨/١	٢٣٠	١٦١
هو زوجها ، وهي زوجه ، وزوجته أيضا .	٧٨/٢	٢٣١	١٣٨
من تطور الكلمات ومعانيها	٧٨/٣	٢٣٢	١٢٤
الحال من غير الفاعل والمفعول به	٧٨/٥	٢٣٤	١٣٤
الحال من المجرور ، والمبتدأ ، والخبر	٧٨/٧	٢٣٦	١٠٣
الحال تاتي من كل الاسماء وما ينوب عنها	٧٨/٨	٢٣٧	١٣٦

شعر .. وشعراء

الموضوع	الكاتب	الشهر / السنة	العدد	الصفحة
وربما ما طير (من الارض المحتلة)	خالد نصرة	٧٨/١	٢٣٠	١٨
عمر أبو ريشة شاعر مجدد رائد	مصطفى عكرمة	٧٨/١	٢٣٠	١٣٥
من حقا صاحب هذه الابيات ؟	أكرم زعيتر	٧٨/٢	٢٣١	٨٨
انصافا لشعراء القارة السوداء	د . أبو الهدى فؤاد سعد	٧٨/٣	٢٣٢	٦٥
مر عام على وفاته : محمود حسن اسماعيل	د . حسان حتحوت	٧٨/٤	٢٣٣	٩٦

الموضوع	الكاتب			
علماء المعاجم وفن الشعر	عبد الرزاق البصير			
الغبر	صلاح عبد الصبور	٧٨/٥	٢٢٤	
اسماء وعبد الله	د . عبده بدوى	٧٨/٧	٢٢٦	٢٤
احمد الصافى النجفى هكذا عرف	د . قيس كسوب	٧٨/٨	٢٢٧	٥٨
شعراء معروفون مجهولون . ..	عبد الرزاق البصير	٧٨/٨	٢٢٧	١٠٤
قاض	عيسى العصفور	٧٨/٨	٢٢٧	١١٣
حوار	صلاح عبد الصبور	٧٨/٩	٢٢٨	١٦
جاردينيا	د . عبده بدوى	٧٨/٩	٢٢٨	١٠٧
اجمال القصة	صلاح عبد الصبور	٧٨/١٠	٢٢٩	١٢
كبر الصغار	ابراهيم السعطى	٧٨/١٠	٢٢٩	١١٣
شاعر الشام خليل مردم بك	عبد الغنى العطرى	٧٨/١٠	٢٢٩	١١٤

قصص

الموضوع	الكاتب		العدد	الصفحة
القناص (بيروت ٧٥ ــ ٧٦)	نهى ايراني	٧٨/١	٢٣٠	١٤٦
الديمقراطية ممنوعة للكاتب التركى عزيز يسين	يوسف وقاص	٧٨/١	٢٣٠	١٦٤
المتعهد	ربيع ديب	٧٨/٢	٢٣١	١٣٤
عقوبة الموت ما جدواها اليوم ؟	د . عدنان الدورى	٧٨/٣	٢٣٢	٥٦
اوه أفريقيا	زينب صادق	٧٨/٣	٢٣٢	١٣٦
وحدها فى قارب شراعى هذه المرأة عبرت الاطلنطى	صبيحة العسكرى	٧٨/٤	٢٣٣	١٠٦
الاوامر ، للكاتب الايطالى البرتو مورافيا ...	سهيل أيوب	٧٨/٤	٢٣٣	١٣٤
الحدود	ابو المعاطى أبو النجا	٧٨/٥	٢٣٤	١٣٦
من قصص الخيال العلمى : خدمة ممتازة ..	راجى عنايت	٧٨/٦	٢٣٥	١٢٨
السائق والفندق وأغراس التبغ	ربيع ديب	٧٨/٧	٢٣٦	١٣٦
منديله	مجيد طربيا	٧٨/٨	٢٣٧	١٣٨
الكراسى الموسيقية	يوسف السارونى	٧٨/٩	٢٣٨	٦٣
الازرار المقطوعة	فاضل السباعى	٧٨/٩	٢٣٨	١٣٢
قصة من الجزائر : خطيبتى	عبد الحميد بن هدوقه	٧٨/١٠	٢٣٩	٦٠
المسافرون الستة	سميح الله ابراهيم	٧٨/١٠	٢٣٩	١٣٤
عاشق الكهرباء	راجى عنايت	٧٨/١١	٢٤٠	١٣٠

العدد القادم : عدد ممتاز

علوم

الموضوع	الكاتب	الشهر / السنة	العدد	الصفحة
قضايا علمية تنتظر أحكامها الشرعية .	د . حسان حتحوت	٧٨/١	٢٣٠	١٤
البحوث الروحية بين الخدعة والحقيقة	د . عبد المحسن صالح	٧٨/١	٢٣٠	٩٤
أسرار تصلب الشرايين تتكشف	د . عبد المحسن صالح	٧٨/٢	٢٣١	٢٢
سفينة الفضاء « الرحالة » تستكشف أربعة كواكب	م . سعد شعبان	٧٨/٢	٢٣١	١٠٤
العائرون الثلاثة في هذا العصر : عالم الذرة وعالم الفلك وعالم الحياة .	د . عبد المحسن صالح	٧٨/٣	٢٣٢	٣٩
أنت تتمتع بالحصانة .. اذن فانت مسلح ضد السرطان .	د . نبيل رياض	٧٨/٣	٢٣٢	٩٦
الاقمار : آخر صيحة في عالم التجسس !	م . سعد شعبان	٧٨/٤	٢٣٣	٣٨
نقل العلم أو نقل التكنولوجيا	م . نبيل الليثى	٧٨/٤	٢٣٣	٦٣
دليل الالم في جسمك		٧٨/٤	٢٣٣	٨٧
مخلوقات أخرى تجيد التمويه والتخفى !	د . عبد المحسن صالح	٧٨/٤	٢٣٣	١١٦
وهم اسمه اكسير الشباب	د . عبد المحسن صالح	٧٨/٥	٢٣٤	٢٦
على أبواب عصر الانسان الآلى		٧٨/٥	٢٣٤	٤٣
رحلة المطاط من الغابة الى بيتك	يوسف زعبلاوى	٧٨/٥	٢٣٤	١٢٤
الصحة هى المريض الاول في الوطن العربى !	د . سعيد عبده	٧٨/٦	٢٣٥	١٨
بيرانيا .. سمكة صغيرة من أكلة لحوم البشر		٧٨/٦	٢٣٥	٤٣
الضوضاء خطر متزايد يهدد الانسان	د . أنيس فهمى	٧٨/٦	٢٣٥	١٠١
درس من أسماك الزينة : ليس باللبن وحده نعيش	د . عبد المحسن صالح	٧٨/٧	٢٣٦	٢٦
ثورة الكمبيوتر : عندما تتحكم الازرار الالكترونية في حياة الانسان .	سمير جيوسى	٧٨/٧	٢٣٦	٤٨
هوس اسمه الاطباق الطائرة ، لماذا لا تمر الاطباق بالعالم العربى ؟	فريد كامل	٧٨/٧	٢٣٦	٦٦
الطب في خدمة صحتك وشبابك وجمالك يا سيدتي	د . صبيحة الدباغ	٧٨/٧	٢٣٦	٨٤
جبهة لتحرير الحيوان !	سمير جيوسى	٧٨/٨	٢٣٧	٥١
لماذا الخلاف في صيامنا وأعيادنا والعلم قادر على قياس الزمن لجزء من بليون من الثانية ؟	د . عبد المحسن صالح	٧٨/٨	٢٣٧	٩٦
تصوير العالم العربى من الفضاء	م . سعد شعبان	٧٨/٩	٢٣٨	٢٤
عداء الشمس في الحيوان والبشر	د . عبد المحسن صالح	٧٨/٩	٢٣٨	٩٦
تى تتجنب امراض القلب ، نم مبكرا وانهض م العصافير .	د . صبيحة الدباغ	٧٨/٩	٢٣٨	١٠٨
جميد حياة المخلوقات وتعطيلها	د . عبد المحسن صالح	٧٨/١٠	٢٣٩	١٩
، السيبيرنية والحواسب الالكترونية : هكذا ر احتكار العقل البشرى	د . مصطفى جاموس	٧٨/١٠	٢٣٩	٤٣
ان تفقد السيطرة على اطراف جسمك ـ	د . محمد محمد أبو الشوك	٧٨/١٠	٢٣٩	١٠٧

الموضوع				
اسرار طائر الوقواق . حتى الانسان يحاولون تبديله . عسيز المسح الاسرار والثمار ! ..	د. ماهر لهورر	..	٢.	٢٨
رحلة قطرة العليب نموذج لاعجاز القران	د. محمد ...روان لسمع	٧٨/١	٢٤٠	٤٩
اسماك تدير مصحات للعلاج فى البحار	د. عبد المحسن صالح	٧٨/١١	٢٤٠	٦٥
دليل الام فى نظافة طفلها الرضيع .	د. محمد صادق زلزلة	٧٨/١١	٢٤٠	١١٦

انباء الطب والعلم

اعداد : يوسف زعبلاوى

الموضوع	[illegible]	العدد	الصفحة
لقاح جديد ضد الكوليرا ـ الكولسترول وفول الصويا ـ الادمان والموت المبكر ـ للحد من حوادث المرور	٧٨/١	٢٣٠	١٣٢
قلب قرد فى صدر فتاة ـ صواريخ هاربون للسفن الاسرائيلية ـ افران للطهى السريع جدا .	٧٨/٢	٢٣١	٥٣
هل ينتهى مرض السكر ؟ ـ نهاية السجائر المصنعه ـ لمسبط السواطئ الرملية ـ حاسبة صغيرة وعجيبة .	٧٨/٣	٢٣٢	٥٢
لكى تنخفض نسبة السكرى ـ تلوث الجو ـ الجراحون والشعور الطويله ـ قرود الشمبانزى ترافق وتصادق بعضهابعضا ـ الملاريا تهدد بالانتشار ثانيه.	٧٨/٤	٢٣٣	٥٤
فوارق النساء والرجال ـ لضعاف الذاكرة وفاقدها ـ القوارب الهوائيه كاسحات فعالة للجليد ـ الكلاب بحاجة الى رجيم .	٧٨/٥	٢٣٤	٦٠
جهاز للمكفوفين يمكنهم من السير وحدهم وتحاشى العقبات ـ قشر الشعر بدلا من نشره ـ منفاخ يفرغ الاوانى من هوائها .	٧٨/٦	٢٣٥	٥٤
شطرنج جديد تشتريه وتشترى خصمك العنيد معه ـ ثمرة رائد من ثمار الهندسة البيولوجية ـ روث البقر مصدر من مصادر الطاقة المديده ـ الذراع الالكترونية تتلقى أوامرها من الدماغ . ..	٧٨/٧	٢٣٦	٥٧
الانتورين يصلح علاجا لامراض القلب ـ اللوكيميا واحتمالات شفائها بالوصفات الشعبية ـ جهاز ناطق يسمع المكفوفين ما يريدون قراءته .	٧٨/٨	٢٣٧	٦٦
عربة أمريكية متعددة القابليات ـ اذان مصنوعة .. تحل محل الاذان الطبيعية ـ حذار من ارتفاع ضغط الدم ـ كمبيوتر السيارات .	٧٨/٩	٢٣٨	١١٧
الدولوبيد هل يستطيع أن يحل محل الاسبرين ؟ ـ دب قطبي يعزز أواصر الوفاق ـ كرسى جديد يبشر بالقضاء على الانزلاق الغضروفى ـ حبال الماسه بطراز القرن العشرين .	٧٨/١٠	٢٣٩	٦٥
ملح الطعام وارتفاع الضغط ـ نبات كندى ينشـ ... الانزلاق الغضروفى ـ شركات التبغ العملاقة ـ سوسه ا تسهد ...	٧٨/١	٢٤٠	١٠٥

طبيب الاسرة

الموضوع	الشهر/السنة	العدد	الصفحة
قناة الغدة اللعابية/التنفس عن طريق الفم/الحلا/الاسهال ما هى أسبابه ؟/النمش	٧٨/١	٢٣٠	١٥٣
الشعر الرمادى/سرعة ترسب الدم/أطفالنا والسعرات الحرارية الفارغة/الربو الشعبى •	٧٨/٢	٢٣١	١٠٩
أسباب نمو شعر الوجه فى النساء/انسداد القناة المنوية/لعلية الذقن/فيتامين (أ) والبشرة/مشكلة التنفس •	٧٨/٣	٢٣٢	١٠٣
تقشر البشرة/العين ومرض البول السكرى/العشى الليلى/التهاب البروستاتة المزمن •	٧٨/٤	٢٣٣	١٣١
الشباب والصلع/الانفصال النسبكى/من نتائج قرحة المعدة •	٧٨/٥	٢٣٤	١٣١
هبوط ضغط الدم/الاطفال والتبول/ارتفاع نسبة الكوليسترول فى الدم/خصيتا الطفل •	٧٨/٧	٢٣٦	١١٣
الصرع/البهاق/المغص الكلوى وأسبابه •	٧٨/٨	٢٣٧	١٢٨
لطفيليات/أمراض الزمن الحاضر/الماء الازرق والماء الابيض فى العين •	٧٨/٩	٢٣٨	١٢٩
ودة المدنية/ارتفاع ضغط الدم/الجرب/كثرة افرازات العرق •	٧٨/١٠	٢٣٩	١٢٦
لولب كمانع للحمل/بولينا الدم/نفث الدم من الرئة •	٧٨/١١	٢٤٠	١٢٢

تاريخ

الموضوع	الكاتب	الشهر/السنة	العدد	الصفحة
كويت فى الوثائق العثمانية	د • نجاة عبد القادر	٧٨/١	٢٣٠	٩٠
الة النبى الى هرقل	أحمد عادل كمال	٧٨/١	٢٣٠	١٤١
ـا نهب العرب والاسرائيليون الى ودس »	د•أحمد عبدالرحيم مصطفى	٧٨/٢	٢٣١	٤٠
٨ قرون : المحتسب كان مسئول النظافة ...	زهير الطعان	٧٨/٢	٢٣١	٤٨
ن دخلوا القدس وصلوا فى المسجد الاقصى	د • شاكر مصطفى	٧٨/٣	٢٣٢	٢٩
حالوت برغم الهزيمة والتمزق : الانتصار ـكن !	شريف جيوسى	٧٨/٤	٢٣٣	٤٤
لفتح ملف الدولة العثمانية	د•أحمد عبدالرحيم مصطفى	٧٨/٤	٢٣٣	٦٠
ـريب ولا هلاك	د • جلال أحمد أمين	٧٨/٤	٢٣٣	٦٥
تاخر اوروبا ونهضتها	شكيب ارسلان	٧٨/٥	٢٣٤	٥٨
الشيخوخة تحاصر البندقية	د • ثروت عكاشة	٧٨/٥	٢٣٤	١٠٤
ناجة لثورة علماء ومصلحين	د • نور الدين حاطوم	٧٨/٦	٢٣٥	٥٦

الموضوع	الكاتب	[illegible]	العدد	الصفحة
الحرب الدبلوماسية في منطقة الخليج بين العثمانيين والدهاء البريطاني ..	د . نجاة عبد القادر جاسم	٧٨/٧	٢٣٦	٦٠
سواكن : هل تصلح نجمة البحر خطيئة الشعب المرجانية ؟	د . احمد محمد عندور	٧٨/٧	٢٣٦	١٠٦
الوجدان اليهودي في مواجهة الذات الالهية	حسن ذو الفقار صبري	٧٨/٨	٢٣٧	٢٧
كولومبيا زهرة اوركيد وزمردة وحبة بن سمراء	د . شاكر مصطفى	٧٨/٨	٢٣٧	٤٢
المدن الحديثة لا تظما ابدا !!	سمير حوسي	٧٨/٩	٢٣٨	٣٩
المراهقة الفكرية والنقد التاريخي	د. احمد عبدالرحيم مصطفى	٧٨/٩	٢٣٨	٥٠
التزييف والخداع التاريخي	روجر جارودي	٧٨/١٠	٢٣٩	٥٧
تركيا « وليس (سنكيانج) »	عبد القادر طاشر	٧٨/١١	٢٤٠	٦٠
من البرازيل : رجع الذكرى	د . شاكر مصطفى	٧٨/١١	٢٤٠	٩٢

تاريخ اشخاص

الموضوع	الكاتب	[illegible]	العدد	الصفحة
في الذكرى المئوية لميلاده : محمد اقبال للمستقبل	د . عبد العزيز كامل	٧٨/١	٢٣٠	٢٧
عمر ابو ريشة ـ شاعر مجدد رائد	مصطفى عكرمه	٧٨/١	٢٣٠	١٣٥
ميخائيل شولوخوف والرحلة من القوزاق الى العالمية وجائزة نوبل	د . محمد حلمي مصطفى	٧٨/١	٢٣٠	١٥٦
صباح السالم الصباح امير الكويت الثاني عشر	ابراهيم الشطي	٧٨/٢	٢٣١	١٤
باكثير والقصة التاريخية	محمد امين توفيق	٧٨/٢	٢٣١	٣٤
شارلي شابلن اخر المهرجين العظام ..	د . علي الراعي	٧٨/٢	٢٣١	٥٨
اكليل غار عربي ـ اسلامي على هامة الدكتور الطيباوي	د . صفاء خلوصي	٧٨/٢	٢٣١	١٤٣
رؤية جديدة لحكم « الاستاذ » كافور !	سمير شما	٧٨/٣	٢٣٢	١٢٠
جان كوكتو والمسرح	د. ساميه احمد أسعد	٧٨/٣	٢٣٢	١٢٦
حوار مع البطل المهزوم محمد علي كلاي	فهمي هويدي	٧٨/٤	٢٣٣	١٨
وليد اخلاصي : كاتب مسرحي يعد بالكثير	د . علي الراعي	٧٨/٥	٢٣٤	٤٨
فرانز انطون مسمر عالم النفس الذي اكتشف التاثير المغناطيسي	علي ادهم	٧٨/٥	٢٣٤	٥٢
ابوعبدالله محمد آخر ملوك الاندلس	محمد عبد عنان	٧٨/[illegible]	٢٣٥	١٥٨
معاولة لفهم موقف ابن خلدون من العرب ...	د . عماد [illegible]	٧٨/٩	٢٣٦	٤١

الموضوع	الكاتب	الشهر السنة	العدد	الصفحة
الزهاوي بين العقاد والزيات	جمال الدين الالوسي	٧٨/٧	٢٣٦	٥٢
جاليليو : الحقيقة والرمز	د ٠ عبد العظيم أنيس	٧٨/٨	٢٣٧	٣٠
سعيد عبده الطبيب والزجال والناقد المسرحي ...	د ٠ علي الراعي	٧٨/٨	٢٣٧	٥٤
احمد الصافي النجفي هكذا عرفته	د ٠ فيصل ديدوب	٧٨/٨	٢٣٧	٥٨
ابو حيان التوحيدي ٠٠ ضاحكا	يعقوب افرام منصور	٧٨/٨	٢٣٧	٦٤
بين شوقي وطه حسين	د ٠ سعيد عبده	٧٨/٩	٢٣٨	١٨
في ذكرى مرور مائتي عام على رحيل روسو : حامل الشعلة ظهر صدفة ومات تعسا مجنونا ...	منير نصيف	٧٨/٩	٢٣٨	١٠٢
بوريس فيون : الطريق من الجاز الى الرواية ...	د ٠ سامية أحمد أسعد	٧٨/١٠	٢٣٩	١٠٠
بين وليم هارفي وابن النفيس	د ٠ صبيحة الدباغ	٧٨/١٠	٢٣٩	١١٠
الذكرى المئوية الاولى لفيلسوف لبنان : أمين الريحاني ٠٠ قل كلمتك وامش ٠ ٠	فاروق الجمال	٧٨/١١	٢٤٠	٢٦
الوجه الاخر لمؤلف كتاب الامير : ماكيافللي مسرحيا ساخرا	علي أدهم	٧٨/١١	٢٤٠	٩٩

من التراث الحديث

الموضوع	الكاتب	الشهر السنة	العدد	الصفحه
النبي محمد رجل القومية العربية	عبد الحميد بن باديس	٧٨/٤	٢٣٣	٤٢
اسباب تاخر اوروبا ونهضتها	شكيب ارسلان	٧٨/٥	٢٣٤	٥٨

تربية وعلم نفس

الموضوع	الكاتب	الشهر السنة	العدد	الصفحة
المعقول واللامعقول في الجنون	د ٠ فخري الدباغ	٧٨/١	٢٣٠	٨٢
تجربة من اليمن : ليس في المدارس وحدها يتعلمون	د ٠ طه الحاج الياس	٧٨/١	٢٣٠	١٤٨
السلوك البشري بين اللذة والالم ، وبين القنفذ والثعلب	د ٠ فخري الدباغ	٧٨/٢	٢٣١	١٠٠
العرب والسلام « دراسة نفسية »	محمود محمود	٧٨/٣	٢٣٢	١١٤
احلام النوم واليقظة	عبد الوهاب أحمد الافندى	٧٨/٤	٢٣٣	٩٨
اللعب ٠٠ لماذا لابد ان يلعب طفلك ؟ وكيف تختار لعبته ؟	د ٠ محيي الدين توق	٧٨/٥	٢٣٤	٦٣
الازمة الشاملة للشباب العربي	أحمد عبد الله حمد	٧٨/٦	٢٣٥	٦٢

الموضوع	الكاتب	الشهر / السنة	العدد	الصفحة
لا تظلموا الحضارة .	[illegible] عبد الله [illegible]	[illegible]	[illegible]	٥٢
ذكاء طفلك بين الوراثة والبيت والمدرسة	د . سمير عبده	٧٨/٨	[illegible]	١٠٠
احسن الكلام ، وخير الفعال ما جاء في محلـه وموضعـه	د . فخرى [illegible]	٧٨/٩	٢٣٨	١٤
العبقرية في الاصالة والابداع .	د . عبد الرحمن عيسوى	٧٨/١٠	٢٣٩	٢٦
نحن بحاجة الى ثورة تعليميه	د . علي عبد المنعم	٧٨/١٠	٢٣٩	٥١
بماذا يعبر النائم فـي طريقة سـومه التـي نتنا عليها ؟	جعفر [illegible]	٧٨/١٠	٢٣٩	١٢٢

فلسفة

الموضوع	الكاتب	الشهر / السنة	العدد	الصفحة
٠٠ ويسالونك عن الافـكار المستوردة	د . فؤاد زكريا	٧٨/١٠	٢٣٩	٦

مجتمع واجتماع

الموضوع	الكاتب	الشهر / السنة	العدد	الصفحة
عقوبة الموت ما جدواها اليوم ؟	د . عدنان الدوري	٧٨/٣	٢٣٢	٥٦
هكذا تغير عالم الرجال (تقرير امريكي) ..		٧٨/٣	٢٣٢	١٠٦
نحو وجدان جديد	د . عون الشريف قاسم	٧٨/١١	٢٤٠	١٣

كتاب الشهر

الموضوع	الكاتب	الشهر / السنة	العدد	الصفحة
بريطانيا وظهور آل سعود : صفحات من التـاريخ يكشف النقـاب عنها لاول مـرة . .	د . احمد عبد الرحيم مصطفى	٧٨/١	٢٣٠	١٩٩
اكليل غار عربي ٠٠ اسلامي على هامة الدكتور الطيباوي	د . صفا حلوصي	١	٢٣١	١٤٣
في ظلام سنوات النور ــ صورة للازمة التي يعيشها العالم الغربي واحتمالاتهـا	فريد كامل	٧٨/٢	٢٣٢	١٤١

الموضوع	الكاتب	الشهر/السنة	العدد	الصفحة
القضية العربية في الشعر الكويتي	د . محمد الرميحي	٧٨/٣	٢٣٢	١٤٧
الحضـــارة	د . حسين مؤنس	٧٨/٣	٢٣٢	١٤٨
في المتاهة الانجليزية العربية	د.أحمد عبدالرحيم مصطفى	٧٨/٤	٢٣٣	١٤١
رؤى المستقبل	ياسر الفهد	٧٨/٥	٢٣٤	١٤٥
الاهوار : رحلة في عالم مثير ومجهول	روز ماري صايغ	٧٨/٧	٢٣٦	٧٢
البندقية وغصن الزيتون	روز ماري صايغ	٧٨/٨	٢٣٧	١٤٥
دمروا قرطاجة .. سكرات الموت لثقافة قديمة ...	د . صفاء خلوصي	٧٨/١٠	٢٣٩	١٤١

الفنون واللوحات الفنية

الموضوع	الكاتب	الشهر/السنة	العدد	الصفحة
« انتصار حورس » اقدم مسرحيه في العالم ...	د . علي الراعي	٧٨/١	٢٣٠	٧٦
فنانة عربيه : عاشقة في دنيا العرائس	راجي عنايت	٧٨/١	٢٣٠	١١٣
حفل زواج في العصر الحجري « كاريكاتير » ...	بهجت عثمان	٧٨/٢	٢٣١	٥٦
لوحه لها قصة : مجرى ماء نهر سان فكتوار	صبحي الشاروني	٧٨/٢	٢٣١	١١٤
مدارس فنية : « كاريكاتير » ...	بهجت عثمان	٧٨/٣	٢٣٢	١١٢
الارض كروية قدمية « كاريكاتير »	بهجت عثمان	٧٨/٤	٢٣٣	١١٠
عرس الزين نحو سينما عربية جديدة	الفاروق عبد العزيز	٧٨/٤	٢٣٣	١٢٤
وليد اخلاصي : كاتب مسرحي يعد بالكثير ..	د . علي الراعي	٧٨/٥	٢٣٤	٤٨
فنان عربي : حلمي التوني .. عندما نحلم بعيون مفتوحة	راجي عنايت	٧٨/٥	٢٣٤	١١٦
٤٨ ساعة في قطر : حول ندوة المسرح العربي ...	د . علي الراعي	٧٨/٦	٢٣٥	٢٣
فلسطين والسينما	الفاروق عبد العزيز	٧٨/٦	٢٣٥	٤٦
مرنفات جديدة « كاريكاتير »	بهجت عثمان	٧٨/٦	٢٣٥	٥٢
..س « كاريكاتير » ...	بهجت عثمان	٧٨/٧	٢٣٦	٦٤
..ان تشكيلي من لبنان : حسين ماضي وصراع بين ..ل حرمون ومتاحف روما	راجي عنايت	٧٨/٧	٢٣٦	١١٦
.. فن النخبة الى فن الشارع	مصطفى نبيل	٧٨/٨	٢٣٧	٨٨
..ل يوم في رمضان « كاريكاتير »	بهجت عثمان	٧٨/٨	٢٣٧	٩٤
..وا باقتدار .. الجيل الصاعد من فناني ..يت	د . علي الراعي	٧٨/٩	٢٣٨	٨٨
..عات على الكرة الارضية « كاريكاتير » ...	بهجت عثمان	٧٨/٩	٢٣٨	١١٢

الموضوع	د .			
السينما في عالم متغير	الفاروق عبد العزيز	٧٨/٩	[illegible]	[illegible]
صفحة موسيقية « كاريكاتير » .	بهجت عثمان	٧٨/١٠	٢٣٩	[illegible]
شيء باق من فلسطين		٧٨/١٠	٢٣٩	٨٨
آفاق الفن السينمائي في الكويت	الفاروق عبد العزيز	٧٨/١١	٢٤٠	١٠٨
كلام .. كلام.. كلام .. (كاريكاتير) .	بهجت عثمان	٧٨/١١	٢٤٠	١٢٠

ركن الاسرة والمرأة

بقلم : منير نصيف

الموضوع	التاريخ	العدد	الصفحة
دائما نحن .. لا أنا .. ولا أنت !	٧٨/٢	٢٣١	٦٥
الام وحكايتها مع الزمن	٧٨/٤	٢٣٣	١١٢
خمسة وعشرون عاما من عمر المرأة الكويتية .. الى اين ؟	٧٨/٥	٢٣٤	١٠٠
الحياة .. لماذا نملها ؟ وكيف ومتى نرى صورها الحلوة ! . .	٧٨/٦	٢٣٥	١٢٤
رحلة مع الذكريات والندم !	٧٨/٧	٢٣٦	٩٩

نذكر فيما يلي الابواب التى اغفلها هذا الفهرس العام لتعذر فهرستها ونذكر الى جانبها أسماء محرريها :

نزهة العقل الذكي : راجي عنايت

طرائف عربية : صادق يلي

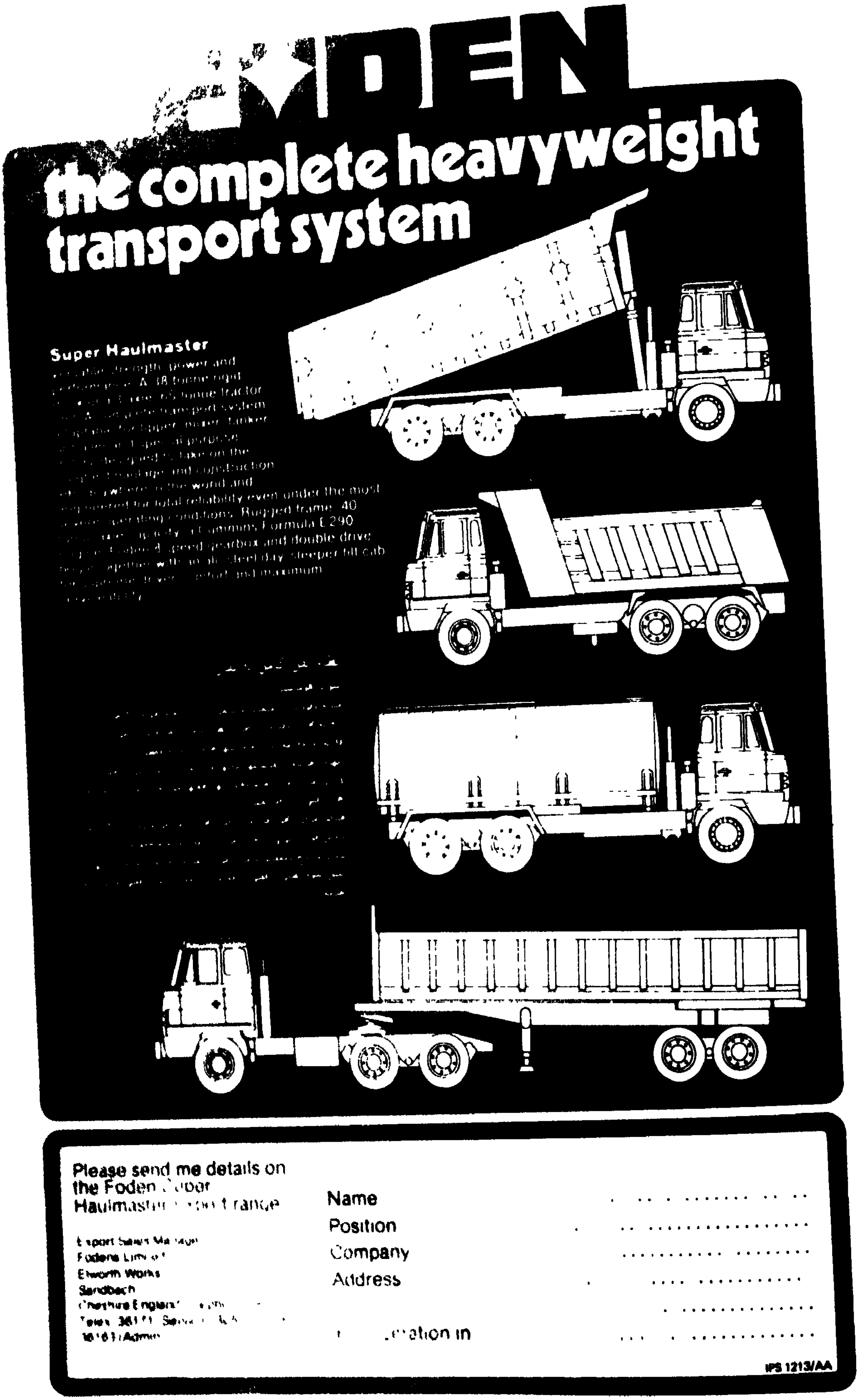
حوار القراء : عبد الحفيظ يونس

طرائف اجنبية : منير نصيف

العربي الصغير : يوسف زعبلاوى

الفهرس العام من اعداد : صلاح صادق





DEN
the complete heavyweight transport system
Super Haulmaster
strength power and
A 38 tonne rigid
65 tonne tractor
transport system
Super mixer tanker
special purpose
designed to take on the
and construction
the world and
engineered for total reliability even under the most
operating conditions. Rugged frame 40
Cummins Formula E290
speed gearbox and double drive
with all steel day sleeper tilt cab
and maximum
Please send me details on
the Foden
Haulmaster
Elworth Works
Sandbach
Name
Position
Company
Address
IPS 1213/AA

عندما تتطلب الأفضل فقط جي سي بي



إن جي سي بي هي مؤسسة بريطانية خاصة مئة بالمئة ومصممة لمعدات البناء. وإن نوعية منتجاتها المتقدمة قد مكنت جي سي بي من تحقيق نجاحات ملحوظة في كافة أنحاء العالم بالمقابلة مع شركات البناء ذات الجنسيات المشتركة.

وجي سي بي تنتج تشكيلة من الحفارات الزاحفة الهيدروليكية، وشاحنات جرف مفصلية ذات عجلات. وحفارات جي سي بي المحملة ذات الشهرة العالمية، تحتل المركز القيادي في أسواق أكثر من ٥٠ خمسين بلداً.

إن هذه الآلات تم تجربتها على مدى سنين طويلة وفي ظروف مناخية قاسية ومتنوعة في أكثر من ١٠٠ بلداً.

وكموزعين معتمدين لـ.. جي سي بي، فإننا نفخر بأن نقدم لكم تشكيلة واسعة من حفارات جي سي بي المحملة، ومحملات ذات عجلات وحفارات زاحفة تقترن بخدمات الإسناد.

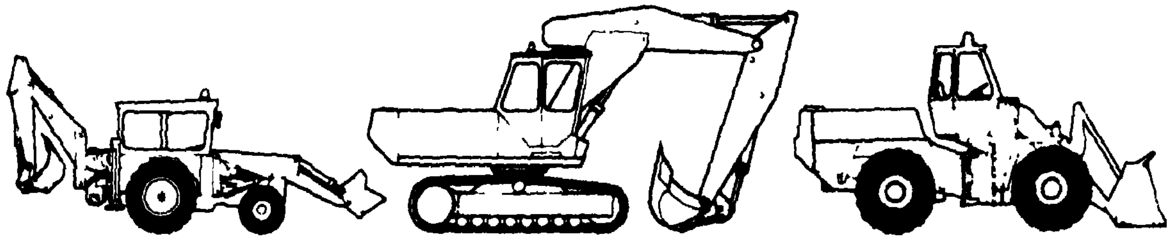
حينما تتطلب الأفضل، إختر جي سي بي

JCB Sales Ltd., Rocester, Staffordshire, England ST14 5JP.
Tel: 0889-590312 Telex: 36372

وكلاء جي سي بي: الجزائر، البحرين، قبرص، مصر، اثيوبيا، إيران، العراق، الكويت، لبنان، ليبيا، المغرب، عمان، قطر، المملكة العربية السعودية، تونس، تركيا، السودان، الإمارات العربية المتحدة، الجمهورية العربية اليمنية. للمعلومات اتصل بـ..

من أجل معلومات أوفى إتصل بـ..

JCB Sales Ltd., Branch Office, Floor 4, No. 19 Syngrou Avenue, Athens 403, Greece. Tel: Athens 922 6718. Telex: 219314.



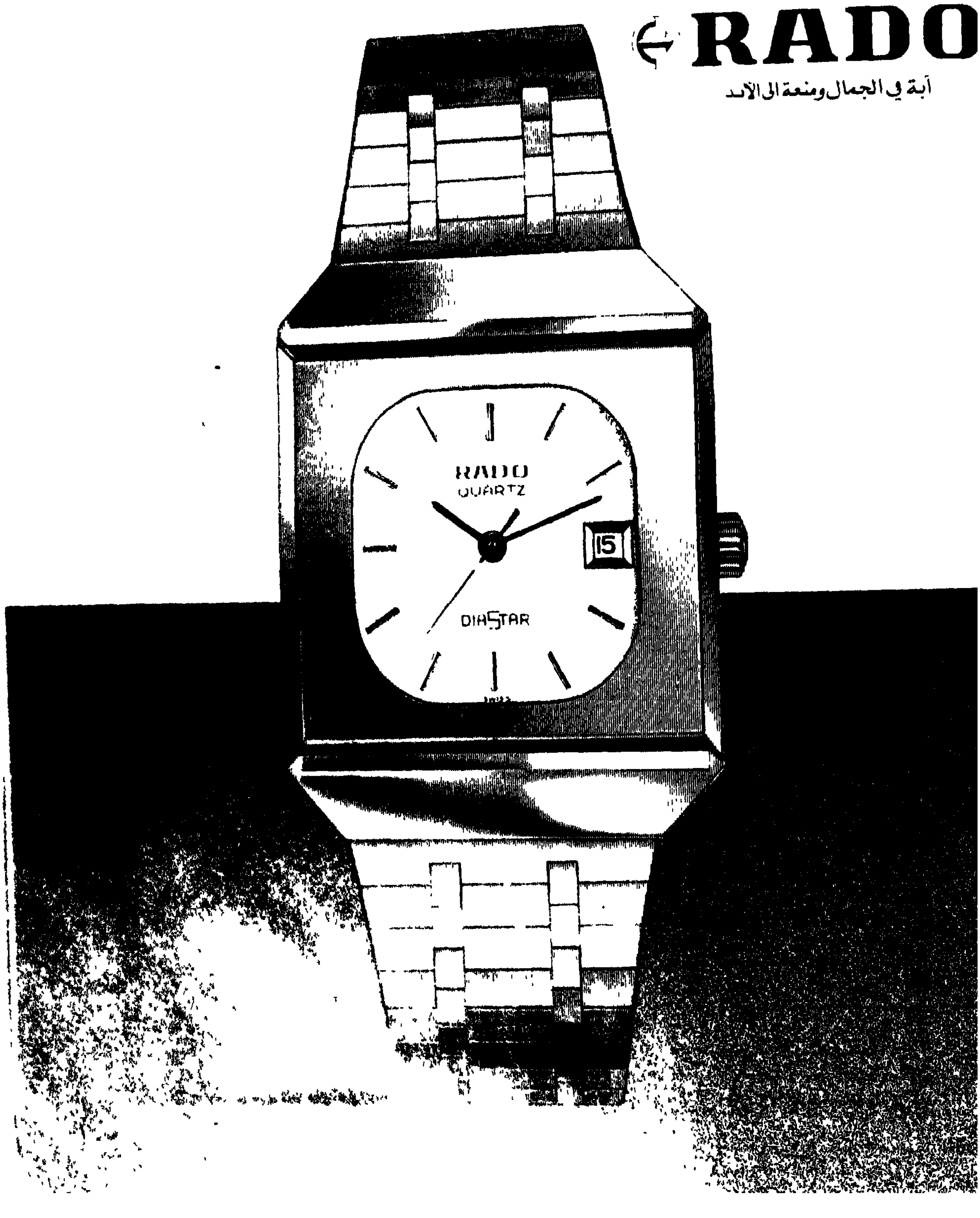
محملات جي سي بي ١٣ الحمولة، ٣ سي ١١١، ٣ دي ١١١، ارتفاع الحفر من ٣,٧٢ متراً إلى ٤,٦٩ متراً. سعة مجرفة الحمولة من ٠,٧ م٣ إلى ١,٢ م٣

دليل الزمن

هناك أناس يسهمون في تحديد ... و ...
أناس في الطليعة . يقررون الامور ...
من الساعات المقاومة للخدش ...
التي لا تخضع للمواصفات ...

RADO

أبة في الجمال ومنعة الى الأبد





تمتّع بثلاث نكهات مختلفة من ثلاثة أنواع فاخرة من الشوكولاته

اليوم، تمتع بكافة الميزات الزكية في ...
غدا، جرّب مذاق ميلكي و ...
وبعد غدٍ، تناول باونتي بمـ ...

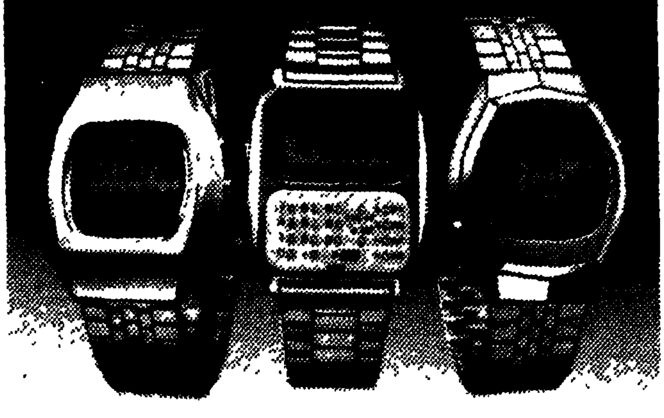
مارس، ميلكي واي وباونتي



يمكنك الاعتماد على اوريينت للحصول على آخر التطورات في تكنولوجيا الساعات : ساعة رقمية حديثة تعمل على البطاريات الشمسية، مستعملة طاقة الشمس اللامحدودة. لاحاجة لإعادة التعبئة للإستعمال اليومي. فعند الحاجة يكفي تعريض البطاريات الشمسية، الموجودة في اسفل وجه الساعة الجذاب لنور الشمس او نور الغرفة لبضع دقائق فقط. هذا كل مايلزم كي تعمل هذه الساعة العجيبة مدة ٢٤ ساعة. ان التطور الدائم تقليد متبع لدى اوريينت. ان هنالك مجموعة كبيرة من ساعات الكوارتز الفائقة الدقة والجودة كي تختار منها.
ساعات اوريينت كوارتز، تقدم لك اكثر مكثير من اعطائك الوقت الصحيح فقط.

ORIENT اوريينت

Manufacturers **ORIENT WATCH CO., LTD.**
Official & Exclusive Exporters and Distributors to the Middle East
JAPAN OVERSEAS CORPORATION
7-8-4, Minami Aoyama, Minato-Ku, Tokyo TEL 407 5901, TLX J26896





فكّـــــر ...

إن سعر الشراء مهم ولكنه ليس كل شيء. فكر بكافة التكاليف التي تنمو طوال عمر الرافعة الآلية لكي تستطيع تقرير ما هو الأنفع لك. تكاليف التشغيل بما فيها قطع التبديل والتصليح. كلفة ساعات التعطل عن العمل وتأثير الضرر في السعر إذا رغبت بيع الآلة.

تتصف رافعات الكاتربلر ببساطة الصيانة مما يسهل تنفيذها. فهي مصممة بحيث لا تتضمن إلا الحد الأدنى من نقاط الفحص، ويجمّع هذه النقاط سوية كلما أمكن ذلك مما يحقق الوصول السريع اليها كلها. وهذا كله يوفر أموالك على المدى الطويل كما أنك لا تتعرض للخسارة أثناء انتظار وصول قطع التبديل أو بسبب اضطرارك لتخزين هذه القطع. فموزعو كاتربلر يهدفون إلى توفير مخزون من القطع التي قد تحتاج اليها ويعني ذلك بالنسبة لك استثمار أموال أقل وتخفيض ساعات التوقف عن العمل.

وإلى جانب ذلك فإن موزعي كاتربلر يقدمون برامجاً خاصاً بمنع تعطل الآلة عن طريق اكتشاف المشاكل المحتملة قبل حدوثها. وكل ذلك جزء من خدمات « ذات تلميس ». وهي برنامج الدعم الشامل المعد لمساعدتك لتحقيق افضل مردود مما تنفقه من مال في استثمارك للعربات الرافعة.

فكر بالصورة الاجمالية قبل أن تشتري العربة الرافعة ... لكلفة الاجمالية المخفضة.

يوجد ٤٦ نوعاً مختلفاً تتراوح قدراتها بين ١ و ٢٧٫٣ طن

وهي تعمل على الكهرباء أو الديزل او البنزين أو الغاز لتعطي النتيجة

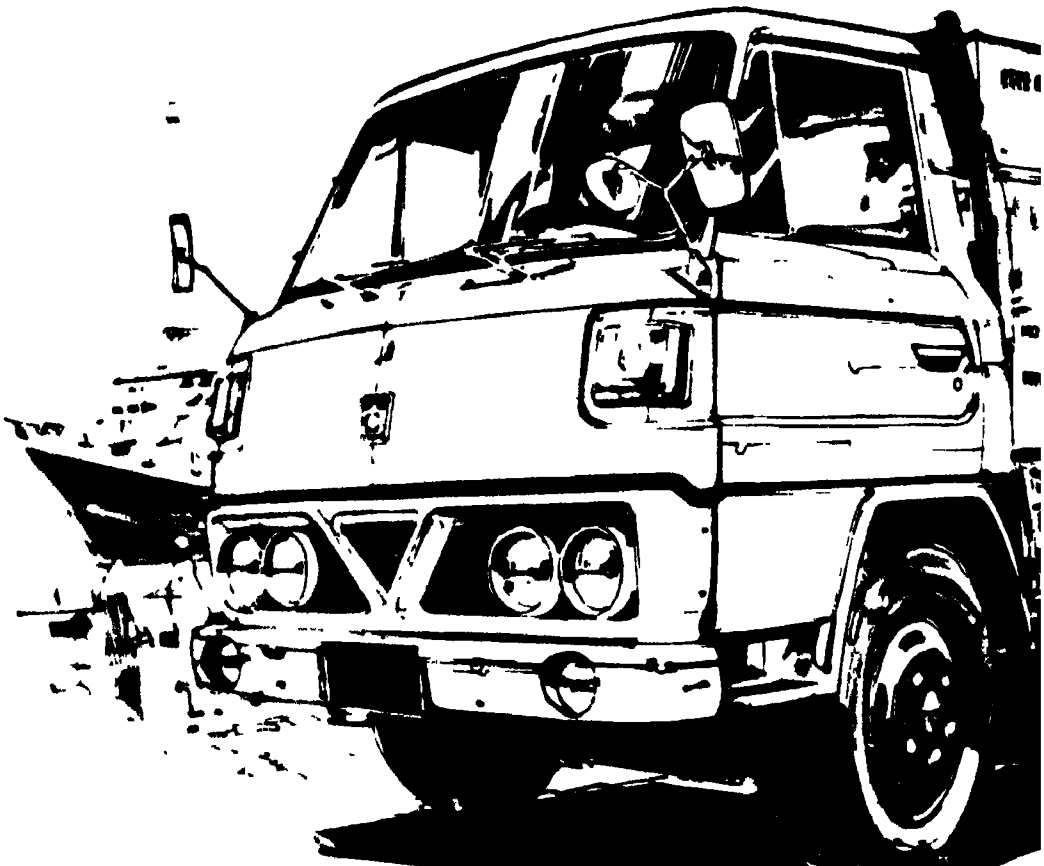
تصنع شاحنات ميتسو بيشي كنتر الخفيفة لاحمال الحـ...
انها تختبر وتجرّب لملاءمة أحوال العمل في الشرق الأوسط مع ...
ممتازة بعد الشراء يقدّمها لكم موزع كرايزلر في منطقتكم

شاحنات كنتر سهلة القيادة. ذات مقصورة ومعدات شبيهة عما تجدونه في السيارات العادية.

إنها سهلة التحميل. ويوجد أنواع مختلفة من الأجساد يمكنكم الاختيار منها. كما يمكن تقديمها على هيئة شاسي ومقصورة فقط

تتوفر بإطارات مفردة أو مزدوجة في الخلف. وبمحركات بنزين أو ديزل.

شاهدوا وجرّبوا مجموعة كنتر في محلات موزعي كرايزلر في جميع أنحاء الشرق الأوسط.



كرايزلر
انترناشونال


باركر ١٨٠
الإنجازات المتوفرة في هذا القلم وهو الذي يعتبر
اكثر أقلام باركر نحالة وتطورًا كثيرة.
وجميعها مصقولة بالذهب أو بالفضه على
أيدي أشهر حرفيي فرنسا.
يتوفر في مجموعة من ثلاثة أقلام
قلم حبر سائل وقلم حبر جاف
وقلم ذو رأس طوّاف.
باركر يقدم لك الجودة
التي لا تقدمها سوى
أقلام باركر.
PARKER
180
PARKER

مِنَ المسرح العالمي

وزارة الإعلام في الكويت

نوفمبر ١٩٧٨

١١١/٥

من الأعمال المختارة

يوجين يونسكو - ٥

الغضب * الملك يموت * العطش والجوع

ترجمة وتقديم : د. حماده ابراهيم

مراجعة : د. سيد عطية أبو النجا

ديو/ كاسيت دلك ستيري
في أفضل جهاز نقال



يضارع في إمكانياته أفضل أجهزة الاستقبال/ الكاسيت دلك ستيريو الضخمة. طاقته الصوتية ١٤ وات كاملة تعطي الصوت نقياً خالياً تماماً من أي تشويش. مجهز بأربعة مكبرات للصوت ثنائية الاتجاه، وبأربعة ميكروفونات للتسجيل، مع موصلات خاصة لمكبرين إضافيين خارجيين للصوت "وبيك آب" مما يجعل من الجهاز M 9994 K نظاماً كاملاً فريداً لموسيقى الستيريو.
الآن، وبكل صراحة: أيمكنك أن تتمنى المزيد ... أم تتوقع أقل ... من جهاز نقال للراديو/ كاسيت؟

SANYO سانيو